

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المنشور
إدارة أبحاث الأزهر
بالقاهرة
ت ٤٦٤٤

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

الجزء الأول - المحرم سنة ١٣٧٩ هـ - يوليو سنة ١٩٥٩ م - المجلد الحادى والثلاثون

السنة الحادية والثلاثين

المجلة في سنتها الحادية والثلاثين

قطعت هذه المجلة في سبيل الله ثلاثين مرحلة من مراحل عمرها المقدور ، تحمل القرآن وتبلغ ، وتعلن الأذان وتدعو ، وترفع المنار وتدل .
ولكنها كانت في مراحلها الثلاثين كالسائر في فدادن الأرض ، تجد الرى حيناً فتقوى وتنشط ، وتفقد أحياناً فتضوى وتذل .

وها هى ذى تبدأ بعون الله مرحلتها الحادية والثلاثين وقد توفر لها الزاد والعتاد والقوة :
وفرها لها الإمام الصالح المصلح محمود شلتوت ، فهى عسيه ألا تشكو بعد اليوم طوى ولا ضوى ولا كلاله .
ستسير فى المقدمة من ركب الإصلاح الثورى الصاعد ، تنشر نور الله فى كل طريق ، وتبث روح النبوة فى كل عمل ، وتقوّم لسان العربىة فى كل قطر ، وتجمع كلمة المسلمين على كل أمر .
والأمة العربىة فيما تكابد اليوم من أخطار الشيوعية والصهيونية والاستعمار ، أخرج ما تكون إلى هذا التوجيه .
والأزهر هو الباب المفتوح على السماء ، ينزل عليه منها الروح والروح والهداية ، فلا يفعل فعله فى جهاد العدو جيش ، ولا يحمل محله فى جهاد النفس قانون .
وهذه المجلة هى كلته ودعوته . وكلته ستبقى مابقيت الأرض . ودعوته ستسير ماسارت الشمس .
واقه متم نوره ولو كره الكافرون .

رئيس التحرير

قوى الإسلام الثلاث

بقلم : أحمد حسن الزيات

الإسلام دين القوة ، وكيف يكون غير ذلك وشارعه هو الجبار ذو القوة المتين . ومبلغه هو محمد الصبار ذو العزيمة الآمين ، وكتابه هو القرآن الذي تحدى كل إنسان وأعجز ، ولسانه هو العربي الذي أخرج كل لسان وأبان ، وقواده (الخالدون) هم الذين أخضعوا لسيوفهم رقاب كسرى وقيسر ، وخلفاؤه (المعمرين) هم الذين دفعوا عروشهم على نواصي الشرق والغرب ؟

الإسلام قوة في الرأس ، وقوة في اللسان ، وقوة في اليد ، وقوة في الروح . هو قوة في الرأس ؛ لأنه يفرض على العقل توحيد الله بالحجة ، وتصحيح الشرع بالدليل ، وتوسيع النص بالرأى ، وتعميق الإيمان بالتفكير . وهو قوة في اللسان ؛ لأن البلاغة هي معجزته وأداته ، والبلاغة قوة في الفكرة ، وقوة في العاطفة ، وقوة في العبارة .

وهو قوة في اليد ؛ لأن موحيه وهو الحكيم الخبير ، قد علم أن العقل بسلطانه ، واللسان ببيانه ؛ لا يغنيان عن الحق شيئاً إذا ما أظلم الحس ، وتمسكت النفس ، وعميت البصيرة ؛ لجعل من القوة المادية ذائداً عن كلمته ، وداعياً إلى حقه ، ومنفذاً لحكمه ، ومؤيداً لشرعه . كتب على المسلمين القتال في سبيل دينهم ودينه ، وفرض عليهم إعداد القوة والحيل لإرهاق أعداءهم وعدوه ، وأمرهم أن يقابلوا اعتداء المعتدين بمثله .

والإسلام بعد ذلك قوة في الروح ؛ لأنه يمحس جوهرها بالصيام والقيام والاعتكاف والارتياض والتأمل .

وهذه القوى المتفرقة إنما تتضام وتتجمع في قوى ثلاث ذوات صيغ ثلاث : قوة الفرد بالإيمان وصيغتها : (الله أكبر) ، وقوة الجماعة بالوحدة وصيغتها : (لا إله إلا الله) ، وقوة العالم بالآلفة وصيغتها : (السلام عليكم) ، فالتكبير والتهيل والتسليم هي هتاف المسلم في أذانه وصلاته ، وهي شعاره في أعماله ومعاملاته ، ولا أجد للإسلام خلاصة تستوعب أسرارها ومعانيه ومغازيه ، خيراً من هذه الصيغ الثلاث . ١

فأله أكبر جملة تضمنت سر الاعتقاد ، وسر الجهاد ، وسر الفداء ، وسر النصر . ولاشتغالها على هذه الأسرار كانت ركنا جوهرياً في الصلاة : يدخل بها المصلئ إلى الله ، ثم يرددها في ركوعه وسجوده ، وفي قيامه وقعوده ، ثم كانت هناك حماسياً في الحرب ، يصيح بها المجاهد عند الهجوم فيكبر في نفسه النصر ، ويصغر في عينه الخطر . وكان غالباً ما يكون هذا الهتاف : الله أكبر ! فتح ونصر . فإذا جاء نصر الله والفتح انقلب هذا الهتاف القوي نشيداً قومياً ينشده المجاهدون في كل مسجد ، ويردده المصلون في كل عيد : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . وقوة هذه الكلمة آتية من اعتقاد المسلم بأن الله أكبر من كل كبير ، وأقدر من كل قدير ، وأعلى من كل على . فهو في حمى هذا الاعتقاد ، يهاجم الجيش الكشيف ولا يخشى ، ويقتحم الخطر الدام ولا يبالى . وكيف يخشى ضرراً أو يبالى خطراً ، والله الذي تفرد بالسلطان الأعظم ، واختص بالقدرة العليا ، يحميه من ورائه ويكفيه من أمامه ؟ .

والتكبير في حقيقته إعلان عما يجيش بالنفس من إجلال للثل الأعلى ، وإعجاب بالعمل الأرفع ، فحين نكبر الله حين يملأ قلوبنا جلاله ، وحين يملك شعورنا صنعه ، وحين نكبره كل يوم في الأذان والإقامة والصلاة ، لأن الإسلام قائم بأركانه الخمسة على القوة أو على ما تحصل به القوة : فالصلاة نظاماً جسدية بالوضوء ، وطهارة روحية بالذكر ، ورياضة بدنية بالحركة . والزكاة تقوية للضعيف بالصدق ، وتنمية للسال بالتطهير ، وتمكين للجمع بالتعاون . والحج قوة اجتماعية بالتعارف والتآلف ، وقوة سياسية بالتشاور والتحالف ، وقوة اقتصادية بالبياعات والتسوق ؛ فلولا قوته الروحية في الصلاة ، وقوته الاقتصادية في الزكاة ، وقوته الاجتماعية في الحج ، وقوته المادية في الجهاد ، لما استطاع المسلمون أن يفتحوا أكثر الدنيا القديمة ، فيملكوا معظم أفريقيا وأطراف أوروبا من الغرب ، ومعظم آسيا وأطراف أوروبا من الشرق .

ولا إله إلا الله ، هي كلمة التوحيد . والتوحيد ركن من أركان الإسلام وعنوان بارز من عناوينه . يقصد به في الأصل توحيد الله ، ثم قصد به من طريق اللزوم توحيد الكلمة ، وتوحيد القبلة ، وتوحيد الغاية ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الحكم ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد الدين والدنيا . فهي من الكلم الجوامع ، التي وعث جوهر الإصلاح وسر النجاح لكل جماعة وأمة

ذلك لأن أشد ما تجتمع به القوة وتنسق عليه الحال ، الوحدة والجماعة ، وهما لباب الدعوة الإسلامية .

فالوحدة هي الأساس الذي حمل ، والجماعة هي البناء الذي قام . ومن ثم قامت سياسة الإسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة . فالفرد الذي يكفر بوحدة العقيدة والأمة يقتل ، والطائفة التي تبغى على جماعة المسلمين تقتل ، والحاكم الذي يضل قومه السبيل يعزل ، والصلاة إنما يعظم أمرها ، ويضاعف أجرها إذا أدبت في جماعة . وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات كل يوم ، ثم تكبر في صلاة الجمعة كل أسبوع ، ثم تعظم في صلاة العيدين كل عام ، ثم تعظم في أداء الحج مرة على الأقل في كل عمر .

أما السلام عليكم ، فهي الصيغة للمعنى الإسلامى الذى يقابل معنى الجاهلية قبل الرسالة ، ومعنى الجهاد بعد الدعوة ، ومعنى التكبير في أول الصلاة . ومقابلة التكبير وهو رمز القوة ، بالتسليم وهو رمز الرحمة ، دليل على أن القوة التي يأمر بها الإسلام هي قوة الحكمة والعدل ، لا قوة السفه والجور ، فهي قوة مزدوجة ، أو قوة فيها قوتان : قوة تهاجم البغى والعدوان في الناس ، وقوة تدافع الأثرة والطغيان في النفس . فالصلى يدخل في الصلاة إلى الله بالتكبير وهو خشوع وعبادة ، ويخرج منها إلى الناس بالتسليم وهو أمان ورحمة و (السلام عليكم) ، بعد أولئك كله تحية المسلم لئليه في الصلاة ، وتحية المسلم لأخيه في كل وقت . يلقيها عليه حين يلقاه فيضمن له الأمان من نفسه ، ويحمله على أن يعطى إليه بأمنه .

فأنت ترى أن القوة الحكيمة التي تصدر عنها العزة والمروءة ، والحرية والعدالة ، هي طبيعة الإسلام ووسيلته ، على ذلك كان إسلام محمد وأبي بكر وعمر ، وعلى ذلك كانت عروبة خالد وسعد وعمر . كان العرب والمسلمون حينئذ يحملون المصحف للعق ، والسيف للباطل ، وكان خلفاؤهم يجمعون بين إمامة الصلاة وقيادة المعركة ، حتى بلغوا من القوة : أن فعل كتاب الرشيد في (نيقفور) ما لا يفعل الجيش ، وبلغوا من المروءة أن سير المعتصم جيشا إلى (صورية) لإنقاذ امرأة .

فن لم يكن قوى البأس ، قوى النفس ، قوى الإرادة ، قوى العدة ، يؤمن بالوحدة ، ويحرص على الجماعة ، ويخلص للقومية ؛ كان مسلما من غير إسلام ، وعربيا من غير عروبة .

أحمد حسن الزيات

الإيمان: بين التفكير والفلسفة

للأستاذ عباس محمود العقاد

ينسب إلى المعري أنه قال في الزوميه :
قلم لنا خالق حكيم
صدقتم ، هكذا نقول
زعمتموه بلا زمان

وقولوا ، وهما مضارع فعل واحد ، ولم يكن
عزيزاً عليه أن يتجنب هذا الإبطاء الذي
يتجنبه الشعراء ممن لا يلتزمون في الروي
والقافية ما كان يلتزمه رهبان المحبين .

ولا مكان ، ألا تقولوا :
هذا كلام له خبيء
معناه ليست لكم عقول
ويروى ، قديم ، بدلا من حكيم في البيت
الأول ، وهي رواية ضعيفة متناقضة ؛ لأن
من يقول بقدم الخالق لا يستغرب بعد ذلك
أن يكون بلا زمان . فإن أقرب معاني القدم
إلى القدم ألا يكون مسبقا بما هو أقدم منه
إن لم يكن سابقا للزمان .

وأيا كان قائل الآيات فهو ولا ريب من
المفكرين الذين يترضون للفلسفة بغير أداتها ،
وقديما كان التفكير والفلسفة لفظين بمعنى
واحد يحل أحدهما محل الآخر بلا اختلاف
في رأى الكثيرين . ولكن موضوعات
التفكير قد تخصصت بعد تصنيف العلوم على
أوضاعها الحديثة ، فتمددت مذكات التفكير
على حسب الموضوعات والعلوم التي يتعدى
لها المفكرون .

ونحن على كلتا الروايتين نتردد في نسبة
الآيات إلى أبي العلاء لسبب يتعلق بالصيغة
في الزوميات على الخصوص ؛ فإن أبا العلاء
إنما نظم قصائده التي ألزم بها ما لا يلزم
في القافية ؛ ليتقيد بأكثر من حرف واحد
في الروي ، فليس من المناسب لهذا القيد أن
ينظم ثلاثة آيات : اثنان منها متبيان بنقول

هناك التفكير العلى ، ويكفى فيه أن تكون
للباحث قدرة على ملاحظة التجارب المحسوسة
والمقابلة بين المتشابه منها والمختلف ،
والإفضاء من هذه المقابلة إلى نتيجة عامة
محسوسة قلبا تتمدى الوصف والإحصاء .
وهناك التفكير الرياضي ، ويكفى فيه أن
يتفهم الباحث علاقات المدركات الفهمية التي

فيستغرب البديهيات التي تتقن بها الغرابة عند الفيلسوف وهي استقلال وجود الخالق عن الزمان والمكان .

إن الذي استغربه قائل الآيات الثلاثة هو الفهم الوحيد الذي يستطيع الفيلسوف أن يفهم به وجود الخالق المبدع لجميع الموجودات ، ومنها الزمان .

فليس في وسع العقل الفلسفي أن يتصور خالق يسبقه زمان ويحيط به مكان ، ولا بد للخالق من استقلال عن الوقت وعن الحيز المحدود ، ولن يكون الحيز إلا في حدود ، ولن يكون الخالق الأبدي إلا منزهاً عن جميع الحدود .

وإنما استغرب قائل الآيات أن يتنزه الخالق عن الزمان ؛ لأنه لا يفهم بالمشاهدة الحسية كيف يفرق بين الوجود في الزمن وبين الوجود بلا زمن ، وهو الوجود الأبدي السرمدي : وجود الخالق المنزه عن الحدود والأشكال .

أما العقل الفلسفي فإنه يستطيع على الأقل أن يفرق بين الوجودين ، وأن يدرك أنهما قعيضان متقابلان في أم الصفات ، ولا يلزم من إدراكه الفرق بينهما أنه يحيط بهما تصوراً وتصويراً للحس أو للبديهة ؛ لأن التناقض بين الوجود والعدم - مثلاً - معقول وإن لم يكن في وسع العقل أن يحيط بتمامية

يسلمها العقل فرضاً وتهديراً ولو لم يكن لها وجود في الخارج ، وأكثر ما تكون الحقائق الرياضية تقديرات ذهنية لا ترى بالحواس بل لا يتصورها العقل نفسه إلا من قبيل التسليم بالفرض الذي لا بد منه ، كالنقطة الهندسية التي لا طول لها ولا عرض ولا عمق ولا امتداد على الإطلاق ، وكالبسيط الذي يخالف المركب في الأشكال والأبعاد . فإن الذين الرياضيون يعقل من هذه الفروض ما لا وجود له في الطبيعة ، ولا دليل عليه ، إلا أنه مستازم بحكم البديهة ، وليس هذا الفرض من ضروب التفكير التي يطبع عليها من طبع على جميع المعلومات بالمشاهدة والتجريب .

والتفكير الفلسفي ملكة أخرى لا تشبه كل الشبه ملكة العلم التجريبي وملكة الفروض الرياضية ، ولكنها تشترك فيهما بنصيب لا غنى عنه ، وقوامها الأكبر أن تحسن الفهم في المسائل المجردة ، أو المقارنة ، كما يقول المتقدمون . وهي بهذا قد تشبه الرياضة إلى حد بعيد ، لولا أن الرياضة تنتهي إلى الفرض ولا يعنيها أن تصوره أو تحوم حوله بوجودان أو إلهام .

وصاحب الآيات الثلاثة مفكر يعتمد على المشاهدة التجريبية في فهم الحقائق الفلسفية ،

وغاية الفرق بينهما أن أحدهما امتداد مع الحركة ، والآخر امتداد مع السكون . وإذا كان العقل الفلسفي لا يحيط بحقيقة المكان إدراكاً وتصوراً فإنه ليستطيع أن يقيسها إلى مقتضاها فيخيه ذلك بعض الغنى عن الإدراك التامل والتصور المحيط ، إذ هو يستطيع أن يتبعه فيدرك أن وراءه شيئاً غير الامتداد الذي يترامى للإنسان . فلا بد من شيء وراء النقطة الهندسية التي هي حقيقة من الحقائق ، ولكننا لا نعرض لها امتداداً على الإطلاق ، وكذلك الخط الذي هو مجموعة من النقاط على هذه الصفة ، وكذلك النهاية الصغرى التي لا تفصل إليها بالحساب في الأبعاد ولا في الأرقام .

هناك شيء وراء امتداد الحركة ووراء امتداد السكون .
ما هو على التحقيق ؟ .

لا ندري ، ولا يمكن أن ندري ، ولكنه هناك ! .

وننتهي الآن إلى السؤال الذي لا مناص منه وهو : كيف إذن يكون الإيمان بالحقائق الأبدية ؟ وكيف إذن يكون الإيمان بالخالق الذي لا أول له ولا آخر ولا زمان ولا مكان ؟ .

إن العقل لا يستطيع أن يحيط به إدراكاً وتصوراً على وجه من الوجوه ، ولكنه

الوجود كله أو يدرك العدم على أي حال من أحوال الإدراك ، غير إدراك الفارق بينه وبين الوجود .

وكذلك الأبد والزمن قيعضان : فالأبد لا يتصور مع الحركة ، ولكن الزمن لا يتصور إلا مع الحركة .

الأبد لا تعقل له حركة في مكان ؛ لأنه بلا بداية ولا نهاية ، وبلا أول ولا آخر ، وبلا حين يتقل من بعد إلى بعد ومن موضع إلى موضع .

والزمن على قيعض ذلك لا يتصوره العقل إلا مع الحركة التي لا تخلو منها مكان .

وهنا يشترك العقل الرياضي والعقل الفلسفي في ملكات التقدير الصحيح . فالعقل الرياضي يستلزم أن يفرق بين الزمن والأبد ، ويستلزم أن يكون الزمن مبتدئاً ، وأن يكون الأبد بغير ابتداء ، ولا يستلزم أن يكون معهما ثالث بين هذا وذاك .

وعلى هذا النحو يدركهما العقل الفلسفي كما أدركهما حجة الإسلام الغزالي وضوان الله عليه . فإنه استلزم أن يكون أبد ، وأن يكون زمن لا زمن قبله ، ولم يستلزم بينهما شيئاً ثالثاً ؛ لأن هذا الشيء المقتحم من أغاليط الأوهام كما قال رحمه الله .

ويقال عن المكان ما يقال عن الزمان ،

كلا ! فإن القول . بترك المجهود العقل غير
القول يذلل المجهود إلى غاية هداه والانتباه
من هذا المدى إلى ما يليه .

فوق بين أن يقال : إن الإيمان ضرورة
عقلية ، وأن يقال : إن الإيمان يناقض العقل
أو أن العقل لا يعمل شيئاً في السعي إلى الإيمان .

وحسب العقل ، أولاً ، أن يعم أن الوجود
الابدئي ضرورة عقلية ، وأن الإيمان به
كذلك ضرورة عقلية ، وأن هناك مطلباً
يسمى إليه ليدرك منه ما وسعه إدراكه
ويقتضى منه إلى الملكة التي تهدي إليه ؛ فإنه
يدرك هذه الحقائق « عقلاً ، ولا يقتضى له
« عقلاً ، أن يهملها ويدع البحث عنها ، ومضى
آمن بذلك فقد أسقط الإنكار من حسابه ،
فليس في وسعه أن ينكر لسبب معقول .
وقد جله في الأثر أنه « كل ما خطر ببالك
فإنه بخلاف ذلك ، وما خطر على البال فهو
موجود ، وإن لم يكن له مثيل في الوجود »

عباس محمود العقاد

يستطيع أن يدرك ضرورة الإيمان بغير
شك وبغير محال .

إن الخالق الذي يستحق أن تؤمن به
لا تكون له حدود ولا يحصره إدراك ، ومن
كان كذلك فهو أعظم من أن تحيط به العقول .
فإذا يكون حكم العقل في هذه الحقيقة التي
يقررها ولا يسعه أن يقرر غيرها ؟

هل يكون سبب الإيمان مانعاً للإيمان ؟
هل تكون « الأبدية ، مبطله لوجود الخالق
ومبطله للإيمان به أو الإيمان بوجوده وهي
هي شرطه وسببه وداعيه ؟

العقل يدرك على الأقل أن الإيمان ضرورة
« عقلية » ؛ لأن سبب الشيء لا يكون مبطله
وسبب إلغائه ونقضه .

والعقل إذن يستلزم التسليم بالإلهام
والهداية الدينية في الأمور التي تمتنع الإحاطة
بها ؛ لأنها بطبيعتها وراء متناول العقول .

هل معنى ذلك أن العقل لا عمل له في
الإيمان ، ولا قدرة له على بلوغ الهداية ؟

الإسلام كنظام للحياة

للدكتور محمد البهي

الطبيعة البشرية أينما كانت ومتى وجدت ؛
لهديها الطريق السوي ، ويحبها الوهم
والخرافة فيما توجه إليه ، هو الذي أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله .

والإسلام في توجيهه للإنسان إذن يجب
أن يكون متفقا مع خصائص طبيعته : يعترف
بأنها طبيعة إنسان ، ويعمل على أن تبقى
طبيعة إنسان . لا يحاول أن ينقل الإنسان
من طبيعته إلى طبيعة ملك ، كما يحاول دون
أن تتحول إلى طبيعة حيوان . الإنسان
في الإسلام بشر ، ويبلغ بالإسلام أعلى درجة
البشرية .

لهذا كان الإسلام نظاما لحياة الإنسان
الذي لا يستطيع أن يبلغ مبلغ الألوهية ،
حتى لو كان رسولا مصطفى من ربه . قل إنما
أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إليه
واحد قل سبحانه ربي هل كنت
إلا بشرا رسولا ونظاما لحياة الإنسان
الذي لا ينبغي أن ينحط عن طبيعته التي يتميز
بها عن غيره .

الإسلام هو رسالة الله للبشرية كافة ، هو
الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم
آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ،
وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين ؛ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل
السلام ؛ ويخرجهم من الظلمات إلى النور
بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، هو رسالة
الله للعرب والعجم ، سواء من كانوا وقت
إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم : أم من
جاءوا بعده إلى يوم الدين ، وآخرين منهم
لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . »

هو رسالة الله لتوجيه الإنسان : كطبيعة
أحدها الله على خلق خاص وميزها على سواها
بما خلق . « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم
في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ،
وفضّلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا ، هو
الطبيعة البشرية ، سواء عاشت هذه الطبيعة في
المحرم ، أم على قم الجبال أم على شواطئ
البحار والأنهار ، أم في الشرق أم في الغرب
أم في الشمال أم في الجنوب : هو رسالة

منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يسدين زينتهن إلا لبعوثتهن يتدخل بتوجيهه :

(د) فيما يقتل به الإنسان . فيحرم عليه ما يثير أعضائه أو ي تلفها ، كالتهار في صورة المختلفة ، إنما الخروا ليسر والآنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلمكم قتلحون بينما ينصحه بما ينشط بدنه وعقله ويزيل عنه السامة والملل ، كباشرة الرى والعدو ، فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يرمون بالسهم فقال : « ارموا بني اسماعيل ، إن أباكم كان راميا ، وقال : كل هو ابن آدم باطل إلا مداعبته أهله ، وتأديبه فرسه وكان صلى الله عليه وسلم يسابق عائشة رضى الله عنها فيسبقها مرة ، وتسبقه أخرى . يتدخل بتوجيهه :

(هـ) في معاملة الإنسان للإنسان ، فإن كان الإنسان أباً أو أما نصحه بعدم الاقتان بالولد إنما أموالكم وأولادكم فتنة وإن كان ابناً نصحه برعاية علاقته بأبيه وأمه ورعاية تقوم على الوفاء ، وعلى المحافظة على الشعور الكريم نحوهما ، وتجنب ما يؤذى نفسيهما من قرب أو بعد ، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، فلا تقل لها أف ولا تنهرهما وقل لهما

وهنا نرى الإسلام يدخل بتوجيهه جميع جوانب الحياة الإنسانية . يدخل بتوجيهه :

(أ) في نظافة الإنسان فيحصله على غسل بعض أعضاء جسمه عدة مرات في اليوم ، وعلى غسل جميع جسمه في مناسبات خاصة ، ويحثه على أن يحتفظ بنظافة ثوبه وبدنه وفمه ضد الاجتماع واللقاء ، على نحو ما يحدث في صلاة الجمعة . يدخل بتوجيهه :

(ب) في غذاء الإنسان وشرابه . فيحرم عليه بعض ألوان الطعام ، كما يحرم عليه بعض أنواع الشراب ، حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلمكم قتلحون ينصح الإنسان عندما يتغى أن يتناول طعاماً أو شرباً أن لا يتناوله إلا إذا شعر بالحاجة إليه ، وبالمقدار الذى يسد به حاجته ، وكلا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع يتدخل بتوجيهه :

(ج) في ملابس الإنسان . فيحرم على الرجل لبس الحرير وأن يحتم بالنهب . ويحرم على المرأة أن تثير الفتنة في ملابسها وزينتها ، وقل للزومات يفضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر

وإن كن ذانجارة أمره بالقسط المستقيم
وبالعدل في المبادلة ، وأوفوا الكيل إذا كنتم
وزنوا بالقسط المستقيم ، ، ولا يبخسوا
الناس أشياءهم .

وإن كن ذاشهادة أو قضاء أمره بالعدل
مهما كانت الدوافع والظروف وإذا
قلم فاعدلوا ولو كن ذاقربى ، ، يأبى الذين
آمنوا كونوا قوامين لله شهادة بالقسط ،
ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ،
اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله . . .
يتدخل الإسلام بتوجيهه :

(و) في عبادة الإنسان لله فيوجهه إلى أن
المعبود إله واحد لا شريك له ، قل الله أعبد
مخلصاً ، له دينى ، ، ذلكم الله ربكم ، لا إله إلا
هو ، عاتق كل شئ فاعبدوه ، وهو على كل
شئ وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك
الأبصار وهو اللطيف الخبير . ، وثقه
بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت . ،

يتدخل بتوجيهه أخيراً :

(ز) في رفع الإنسان نحو أسى صورة
من صور الإنسانية . وهى صورة الإنسان
الذى لا تتحكم فيه شهوة المال والفرج .
ومن لا تتحكم فيه شهوة المال والفرج ، هو
الذى خشى ربه ، وآمن بمجرائه ، وعبد ربه دون

قولا كريماً . وانخفض لها جناح الذل
من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً .
وإن كن زوجا نصحه بالإحسان في المعاشرة
وفي المفارقة على السواء ، فامساك بمعروف
أو تسريح بإحسان ، وإن كانت زوجة نصحها
بأن تؤدى ما يجب عليها لقاء ما يجب لها .
، ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف . ،
وإن كن ذاقربة نصحه بتقديم المساعدة
لقريبه مهما نازعته في ذلك نفسه ، وآتى
المال على حبه ذوى القربى . ، وإن كن
ذا جوار نصحه بمشاركة جاره في سرائره
وضرائره ، وحل الأقل بأن يؤمنه من أذاه :
عن ابن أبى شريح أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ،
والله لا يؤمن : قيل : ومن يارسول الله ؟
قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه (شروره
وأذاه) . ،

وعنه صلى الله عليه وسلم ، مازال جبريل
يوصينى بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه . ،
وإن كان راعيا حمله مسئولية الرعاية
والقيادة ، كلكم راع ، وكل راع مسئول
عن رعيه . ،

وإن كن ذاعهد أمره بالوفاء بالعهد
« وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا
الآيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم
كفيلاً . ،

أكلن يوجد هناك خطر على الإنسان لو تخلى عنه الإسلام كلية ، أو لم يبدله النصح والتوجيه في بعض جوانب حياته ؟ . لماذا لم يدعه الإسلام مثلاً يفعل ما يريد في خاصة نفسه : في شأن نظامه ، وغذائه ، وكسائه ، وما يقتضى به ؟ أهناك ضرر عليه وحده أو على غيره معه لو تركه بدون توجيه في حياته الخاصة ؟ .

كل هذه أسئلة يجاب عنها ، لو تبين أن توجيه الإسلام كان ضرورة للإنسان وفق طبيعته الخاصة .

الإنسان يشتهي ، وأعد في الوقت نفسه لأن يكون ذا قيادة يقود بها ذاته ويقود بها ما عداه من الكائنات الأخرى . الإنسان طبيعة لها دوافع الانانية ، ومع ذلك لها ميل إلى الاجتماع .

الإنسان يشتهي ، وما يشتهي لبطنه وفرجه ، والإنسان ذو قيادة ، ومركز قيادته الفؤاد وهو سره وسبب تميزه . فلو استرسل الإنسان في طلب ما يشتهي لماش لبطنه وفرجه ، وأخضع ماله من ميزة القيادة لتحقيق شهوة البطن والفرج . وعندئذ يصبح إنساناً يشتهي فقط . يحاول أن يملأ البطن ويلبي رغبة الفرج . لا يتخير ما يملأ به بطنه ولا ما يلبي به رغبة فرجه . وإنسان يندفع ولا يختار يجنى على نفسه أولاً ؛ لا لأنه فقد خاصة الاختيار بين

اقتطاع ، وأعطى دون أن يسأل ، وحفظ حرمة الغير سرّاً وعلانية ، وأوفى بمعه إن حامد ، وصان الأمانة إن أوثق عليها ، وأدى الشهادة في غير موارد ، وإن الإنسان خلق هلوماً ، إذا مسه اثر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً ، إلا المصلين ، الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، والذين يصدقون بيوم الدين ، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم غير مأمون ، والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم شهاداتهم قانمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك في جنات مكرمون .

• • •

نرى الإسلام هنا يتدخل بالتوجيه في حياة الإنسان الخاصة والعامة . ينهاء عن هذا ويأمره بذلك . يتدخل في أمر نظامه ، وفي غذائه وشرابه ، وفي ملبسه ، وفي وسائل تسليته ، وفي معاملته لغيره ، وفي عبادته لربه . وحياة الإنسان أينما كان وفي أى مكان وجد ، هي تلك الحياة ذات الألوان العديدة : فلماذا كانت نهاية الإسلام بالإنسان إلى هذا الحد ؟

التي تتحرك بدافع الغريزة وحدها ، وهي كائنات الحيوان ، فلو ترك الإنسان نفسه لدوافع الأنانية وحدها عندما يتصرف أو يأتي بعمل ، لكان إنساناً لا يعترف بوجود غيره وعندئذ لا يفقد حاجته عند غيره لحسب ، بل سيمطلم بوجود هذا الغير معه ؛ لأن وجوده معه حقيقة واقعة غير منكرة ، وهو الآن إنسان يعتدى كما يعتدى عليه . يعتدى على غيره ؛ لأنه لا يعترف به ، ويعتدى عليه ؛ لأن غيره كذلك لا يعترف بوجوده .

والنتيجة التي تترتب على ترك الإنسان من غير توجيه ومن غير تدخل في رسم خطوط السير لحياته الخاصة والعامة - هي فقدان الإرادة والشخصية الإنسانية . فقدان المقاومة والمغالبة ، فقدان التميز والاختيار ، ثم الخصومة والاحتكاك والاعتداء المستمر .

ولذا - لأن الإنسان قد أهد من طبيعته وخلقه لأن يكون ذا شخصية وإرادة من جانب ، وذا ميل اجتماعي من جانب آخر - كانت رسالة الإسلام لمعاونة هذه الطبيعة ، ولإنماء ما لها من إرادة وميل اجتماعي . كانت رسالة الإسلام تحطيطاً للطريق الذي يوصل الإنسان إلى أن يكون ذا إرادة وذا قوة واستطاعة للمقاومة والمغالبة ، وذا مشاركة اجتماعية . كانت رسالة الإسلام لإيقاظ الوعي بالذات ، والوعي بالمجتمع معاً . إذ أضرار البشرية

الضار والنافع ؛ بل لأنه لا يستطيع الآن أن يقف عند حد . يسلك مندفعاً كل طريق مسوج أو مستقيم ، ويستخدم مضطراً كل وسيلة ضارة أو نافعة . لا يعرف خطاً معيناً لسيره ، ولا يسأل عن صالح وغير صالح فيما يتناوله من أكل وشرب ، ولا عن ضار وغير ضار فيمن يتصل به اتصالاً جنسياً . يرى الهلاك فيما يذهب إليه وليست لديه مقاومة : يرى في نوح معين من الأكل والشراب حسب إحساسه الباطني وتجربته الشخصية ، أنه مزيج له إن أكله أو شربه ، ومع ذلك لا يستطيع أن يمتنع عن أكله وشربه . ويرى في اتصال جنسي معين أنه يسبب له ضرراً في صحته ، ومع ذلك لا يستطيع أن يغالب رغبته الجنسية . هو إنسان ضعيف المقاومة والمغالبة في مواجهة شهوته . استكان لشهوته فوهنت إرادته وعزيمته ، وخضع لبطنه وفرجه ، وأغفل أمر القيادة فيه غللاً قلبه إلا من الشهوة ، وتحرك تفكيره كما تحركت قدماء في سبيلها وحدها . هو إنسان ميت في صورة حي ، وعليل في صورة مصح ، وهزيل في صورة قوي .

هذا من جانب . من جانب آخر الإنسان أيضاً له طبيعة تدفعها الأنانية ، ولكن مع ذلك لها ميل إلى الاجتماع بالآخر ، إذ المجتمع للإنسان وحده ، دون غيره من الكائنات

نزلوا من عرفات وطافوا بالكعبة أحاطوا
بقبلتهم جميعا ، التي تمنحى فيها فواصل الشرق
والغرب ، والجنوب والشمال في المكان
والاتجاه .

فإذا استعرضنا الصلاة والصوم من صور
العبادة التي جاء بها الإسلام . أدركنا أنهما
عبادتان لتنمية شخصية الفرد ، لتقوية إرادته
وإستطاعته على المقاومة والمغالبة . فالصلاة
وهي مناجاة لله وحده خمس مرات في اليوم ،
في واقع أمرها تفرغ القلب من زخرف
الدنيا وزينتها ؛ لأن لقاء المصلي بالله جل
جلاله فيها لا تعدله متعة من متع هذه الدنيا ،
وما في الدنيا هو شهوة البطن والفرج . وهنا
تدرك قول الله تعالى : « إن الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر » . وليس هناك لحش
ولا منكر إلا فيما تشتهي البطن والفرج .
وإذا استشف المصلي بمنع هذه الدنيا في
مواجهة لقاء المولى سبحانه وتعالى في مناجاته
وصلاته ، في تكبيره وتسبيحه ، في ركوعه
وسجوده — فإنه لا شك سيحد من رغباته
وشهواته ، وإذا مالت نفسه عن الانطلاق
إلى الحد ، فإنه سيتخير عند ما يشتهي .
سيتخير عندما يأكل ويشرب . وسيتخير
عندما يريد أن يتصل اتصالا جنسيا بغيره .
وعندئذ يصبح إنسانا ذا اختيار وتحديد ،
يصبح إنسانا يأخذ النافع ويركض الضرر .

هي في فقدان إرادة الأفراد ، وانعدام
المشاركة الاجتماعية بينهم .

والإسلام إذن جاء لاقتفاء هذه الأضرار
البشرية . واتقاؤهما — كما ذكرنا — في تنمية
إرادات الأفراد وتأكيد روابط المجتمع
بينهم . وهو بذلك رسالة توجيه ذى شقين :
الفرد والمجتمع .

وهنا نسأله كيف يدفع الإسلام هؤلاء
الأفراد عن طريق التوجيه ؟ . كيف يجعل
الفرد ذا إرادة ، وكيف يجعله ذا مشاركة
قوية بمجتمعه ؟ .

لنستعرض صور العبادة في الإسلام .
لنستعرض الصلاة والصوم ، والزكاة والحج .
لنستعرض الصلاة والتوجه إلى الله سبحانه
وتعالى خمس مرات في اليوم ، وثصوم شهرا
في العام من الفجر إلى غروب الشمس .
ولنستعرض الزكاة وهي اقتطاع جزء من مال
المزكى عن اقتناع إلى صاحب الحاجة . والحج
وهو اجتماع لمئات الآلاف من المسلمين
في مكان واحد وفي وقت واحد ، على جبل
عرفات عند غروب شمس اليوم التاسع من
ذى الحجة ، متجردين من كل ما يميز بينهم
من مظاهر الدنيا ، ومتجهين بديار واحد إلى
رب واحد ، مشتركين في إيمان واحد .
أجسامهم عديدة ولكن قلوبهم قلب واحد ،
وأبصارهم شائخة إلى الله وحده ، فإذا ما

حددنا ، أو في المكان الذي عينه من صلاة وصوم وزكاة وحج - هي صور لتدريب النفس البشرية على أن تحصل ما أهد لها بطبيعتها من قوة الإرادة وسبيل الاختيار من جانب ، وما كان لها من عاصلة الاجتماع وروح المشاركة الجماعية من جانب آخر . وبذلك تتمكن من الحد من الاندفاع في طريق شهوة البطن والفرج ، فتقي نفسها أخطار الاسترسال والتبعية ، كما تتمكن من رؤية الغير فتعترف بوجوده وتواخيه بدل أن تحتك به وتخاصمه .

العبادات كما حددها الإسلام هي لتنمية الفرد كإنسان ، وبالتالي هي لوقيته من أضرار نفسه ، ومن عدوان غيره عليه أو عدوانه هو على غيره . هي لتهديب الفرد وصفقه ، وإقامة المجتمع وبقائه .

وربما لا يبدو واضحاً أن المجتمع يقام ويبنى ، وأنه وصح طارئ على وجود الأفراد . وأن إقامة المجتمع وبناءه يتوقف على إيقاظ الروح الجماعية وتنمية الميل إلى الاجتماع عند الأفراد . وطالما لا توظف روح الجماعة بين أفراد من الناس ، فهم بمخوفة من البشر لم يرتق أمرهم إلى أن يصير مجتمعاً . ولذلك وجود المجتمع آية على تحضر أفرادها ، آية على أن وعيم الجماعي تيقظ ، وأن شعور

وتلك نتيجة الصلاة : « تهى عن الفحشاء والمنكر » .

والصوم - وهو حرمان البطن والفرج في الدرجة الأولى - حرماناً تاماً في فترة معينة - هو العبادة المباشرة لتنمية الاختيار والإرادة ، وقوة المغالبة والمقاومة ؛ إذ الصوم صراع بين مانع فيه شهوة البطن والفرج وبين حرمانهما من ذلك . هو صراع فيه مقاومة ومغالبة . فإذا صام الإنسان شهر رمضان من كل عام انتصر في مقاومته ومغالبته . وانتصرت معه الإرادة على شهوة البطن والفرج . واتصم العزم والتصميم على التردد والضعف والتبعية . وهنا ندرك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقدير الصوم فيما يرويه عن ربه : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » .

وإذا استعرضنا بعد ذلك عبادتي الزكاة والمج نجدهما - على نحو ما وصفنا - تطبيقتا عملياً لروح الجماعة التي أيقظتها صلاة الجماعة في الأوقات الخمس كل يوم ، وفي الجمعة كل أسبوع ، وفي الصيدين كل عام . كلناهما ينطوي على هذه الروح ، وكلناهما يزيد في قوتها وتأكيدها بالسعي والعمل .

ولئن صور العبادة التي رسمها الإسلام وفرضها على المسلمين في فترات الزمن التي

والعدوان « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . وكى لاتصل النفس إلى التفكير في الاعتداء ، فضلا عن مباشرة ، أمر بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . أمر بالعدل في جميع صورته : في الشهادة وفي الرواية ، وفي الحكم والفصل . وأمر بالإحسان في جميع صورته : بالمال ، والصحة ، والعلم والجاه . ونهى عن الظلم في جميع صورته : وهي كل ما يؤذى النفس والبدن والمالك والحرمة الشخصية . ونهى عن الفحشاء والمنكر في جميع صورهما : وهي كل ما لا ترضى عنه النفوس ويستقبحه العرف والوضع في المجتمع .

وبهذا : المجتمع الإسلامى مجتمع سلم ، وعدل ، وإحسان . مجتمع يستقبح الفواحش والردائل والعدوان . فهو مجتمع خلق فاضل .

ولكنه ليس بمجتمع استسلام ، ولا بمجتمع طغيان . ليس بمجتمع استسلام يقبل الطغمة ، فيسلم ، ولكنه مجتمع يدفع الطغمة بالطغمة « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

وليس بمجتمع طغيان ، بغريه الانتصار على مجتمع آخر فينسيه مبادئ الإنسانية في معاملته « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم

المشاركة عندهم في الغاية والمصلحة قد أخذ طريقه إلى الظهور في الحياة العملية . وغاية ما تسعى إليه البشرية الخالصة هي إقامة مجتمع لا يرتكز على القبلية ، ولا على العشوية ، وإنما على خصائص الإنسانية وحدها ، التي تتمثل في السلم في العلاقات العامة ، والاطمئنان وعدم الاضطراب في الحياة الخاصة .

والإسلام بتوجيهه - كما رأينا عن طريق العبادة - يسعى إلى إقامة المجتمع الإنسانى ، وإلى نزع العدوان والاعتداء من العلاقات العامة ، وإلى تمكين الاطمئنان في الحياة الخاصة . ولهذا كانت نظره إلى الناس نظرة واحدة « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وكانت رسالته إلى الناس جميعا « قل يأياها الناس إني رسول الله إليكم جميعا » . وكانت عبادته متجهة بالأفراد إلى اطمئنانهم أولا ، وإلى سلمهم في علاقات بعضهم ببعض ثانياً .

وبعد ما أيقظ الإسلام روح الجماعة في الأفراد عن طريق العبادة ، وأقام بذلك بينهم مجتمعه - وهو المجتمع الإسلامى - أحاط هذا المجتمع بسند قوى كى يبق ، وكى يستقر في بقاءه . أحاطه بتأكيد النهى عن الاعتداء

وليس رسالة المجتمع الإسلامى أن يعيش
التربية ، وإنما رسالته أن يكافح فى سبيل
القيم ؛ يكافح فى سبيل العدل ، ودفع الظلم
والاعتداء ، يكافح فى سبيل الترابط والتآخى ،
ورابطة الإسلام فوق رابطة القبيلة ،
وأخوته فوق لحمه الدم . هى قبل كل شيء
رابطة المبادئ وأخوة الأهداف والغايات
المشركة .

• • •

إن رسالة الإسلام ليست تخطيطاً
اجتماعياً من إنسان ، وليس طريقاً من
طرق التربية وضعه فرد من البشر . لو كان
كذلك ما صلح هذا التخطيط الاجتماعى للناس
كافة ، وما صلح هذا الطريق من طرق التربية
لغير فئة من الناس ، هى تلك التى أقام فيها
ذلك المربي . فالإنسان هو الإنسان . محدد
بيئته ، وبورائه ، وبشأته ، وبموامل
التأثير فى جو إقامته . ولذا تفكيره يعبر عن
محدوديته . ومن هنا كانت صلاحيته . إن
صلح - لمن عاش فى هذه البيئة ، وتأثر بموامل
الوراثة الخاصة والنشأة المعينة .

إن الإسلام وحى الله العليم بكل شيء .
« وهو بكل شيء عليم » ، هو تعاليم الله الخالق
لكل موجود ، وفوق كل إنسان « وهو
القاهر فوق عباده » ، إنه من وسع كرسيه

فى الدين ولم يخرجكم من دياركم أن تبغوم
وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . .
« لا يجرمكم شأن قوم على أن لا تصلوا ،
اهدلوا ، هو أقرب للتقوى » .

• • •

وهنا نرى أن رسالة الإسلام إظهار
للإنسان الحى والمجتمع القوى . للإنسان
ذى الإرادة والعزم ، وللمجتمع العطوف
المتواد المتآخى ، ولكنه المجتمع الآبى
الذى لا يقبل الضيم والذل .

للإنسان المسلم رسالة فى الحياة هى أن
يكون ذا إرادة ، وللمجتمع الإسلامى رسالة
هى أن يحقق العدل والسلم ، ويدفع الأذى
والعدوان . ورسالة المسلم مقدمة لرسالة المجتمع
الإسلامى . إذ لا يتحقق عدل ولا سلم فى
مجتمع ، ولا يدفع أذى وعدوان من مجتمع
إلا إذا كان أفراد ذوى إرادة . ذوى مراس
على الكفاح ، ذوى قوة على المثالية .

ليس رسالة المسلم - من وجهة نظر
الإسلام - أن يعيش ليأكل ويفسل ، وإنما
رسالته أن يأكل ويفسل ، ليكون ذا قوة
وغلبة ، أخشى أن تداعى عليكم الأمم كما
تداعى الآكلة إلى قصبتها ، قالوا : أمن قلة
نحن يا رسول الله ؟ قال : بلى أتم يومئذ
كثير ، ولكنكم ضئلاء كفتاء السيل .

نظرة واحدة هي أساس تعاليم الإسلام وأهداف ثلاثة هي الغاية من توجيه الإسلام .

الإسلام بعد ذلك ليس مسئولاً عن ضعف المسلم وخضوعه لشهوته ، وليس مسئولاً عن ضعف روابط المجتمع الإسلامي أو انحلاله ، وإنما المسئول عن ذلك سوء فهم الإسلام ، والانحراف في تطبيقه . كتاب الله ليس مسئولاً عما يستورد من الشرق والغرب من فكر في التوجيه . وإنما المسئول عن ذلك سوء فهم الإسلام والانحراف في تطبيقه .

وسوء فهم الإسلام والانحراف في تطبيقه لا يسأل عنه نفر معين من المسلمين ، وإنما المسلم ما دام قد ارتضى لنفسه أن يتسبب إلى الإسلام — عليه أن يؤمن أولاً بقلبه بالله ، فإذا آمن حقاً بالله عرف الطريق الصحيح إليه ، واتقوا الله ويعلمكم الله .

ترد بضاعة من الشرق وأخرى من الغرب . بعضها يدعو إلى الإلحاد ويكفر بالإنسانية وبقسمها .

وبعضها الآخر يدعو إلى الطغيان : طغيان المال على القيم الإنسانية ، وطغيان النار والحرب والقوة المادية على حق الشعوب في الحرية والحياة .

السموات والأرض . فصلاحيته إذن للناس جميعاً .

إن الإسلام ليس معرفة . إنه إيمان وتقوى ، إنه إيمان بالله ، وخشية من الله ، وتقوى الله . وهذا الإيمان هو مصدر الدفع في الإنسان نحو اطمئنان نفسه ، ونحو وعيه بالمجتمع ، ونحو إسهامه في بقاء المجتمع واستقراره .

الإسلام منحة إلهية . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . هو منحة الله لمبادء لا يكفر بها إلا الجاحدون .

هذا هو الإسلام كنظام للحياة . هو نظام للحياة الإنسانية الفاضلة المطمئنة المستقرة . هو نظام لحياة الفرد والمجتمع معاً . أساسه النظرة إلى الإنسان على أنه طبيعة تشتهي ولكن لها قيادة ، ونسجيب لدوافع الأنانية ولكن لها ميل إلى الاجتماع وقابلية نحو المشاركة الجماعية .

وتوجيه الإسلام يقوم على تنمية إرادة الفرد ليأخذ زمام الأمر بيده ، فلا يندفع اندفاعاً كما يندفع الحيوان والآلة . ويقوم على تنمية الوعي بالمجتمع ، وعلى صيانة هذا المجتمع من الانحلال والتدهور والضعف ، حتى يكون مجتمعاً قوياً فاضلاً .

التطبيق ، حتى يروج بين غيرنا بعد أن يسد حاجتنا ويعطينا عن التنمية لدينا . يوم أن نكون كما - وصف كتاب الله المؤمنين به - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ، - نكون بالفعل أضياء .

إننا إسلامنا خير أمة أخرجت للناس ، ولينا الله ورسوله والذين آمنوا ، إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ، فإن حزب الله هم الغالبون . - ولا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون . .

وإسلامنا لا يتصل بالشرق أو الغرب ؛ لأنه يقوم على الإيمان بالله ، وعلى تمجيد القيم الإنسانية ، وعلى مكافحة الطغيان في أية صورة . إننا لسنا شرقيين ولا غربيين ، إننا مسلمون . إننا دعاة الإيمان بالله وحده وبالقيم الإنسانية الفاضلة . إننا مجتهدون من ديننا لمقاومة الطغيان ، وإحلال العدل والسلم على .

إن إسلامنا لا يعرف طبقات في مجتمعه . لا يعرف مجتمعا يقوم على أرستقراطية المال والشرف ، كما لا يعرف مجتمعا يقوم على خصيصة العمل البدني وحده . ولكن يعرف التفاضل بين أفرادهِ على أساس من توجيهه . « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ولذا لا يقر أن تتحكم طبقة في طبقة ، ولا طائفة في طائفة ؛ لأنه لا وجود لطبقة أو طائفة فيه .

إسلامنا يعتمد على الضمير في الإنسان . ولذا لا يعرف الإرهاب في دفع الأفراد . إسلامنا يعتمد على الخشية من الله . ولذا لا يخشى طغيانا فيه ، من مجموعة على مجموعة ، للستوركد من الغرب أو الشرق بريق . ولكنه بريق خادع ، وإسلامنا هو الذهب الذي لا تتغير قيمته . ولكننا في حاجة إل أن نزيل عنه مالا به من سوء الفهم ، وانحراف

المكشور محمد البهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

مقدمة:

في هذا الوضع العمل الواقعي الذي يشعر فيه بأنه مشلول ، ويجعله مطالباً بأن يتصرف تصرف المباشر للسلسلة ، المواجه للأعمال في الخارج ، ولحساب ما يؤمن به ، لافي الذهن لحسب ولا لحساب من يعمل باسمه ويتفقد توجهه . هذه الحياة هي بعض ماهاياً عمر بن الخطاب تهيئة خاصة على غير ما تهيأ عليه المجتهدون الذين نعرفهم أو يعرفهم تاريخ الفقه الإسلامي . ولنا نفس طبيعته الشخصية إلى جانب ذلك ، فإن هناك أفراداً لم خلق البت في المسائل ، والقدرة على مواجهة المشاكل ، والرغبة في إنهايتها وحسمها ، لافي تأجيلها ومحاولة التوصل منها ، والتوصل عنها - أو بعبارة أخرى : هناك أفراد خلقوا متهيئين لتحمل التبعات ، والبت في الأمور ، كما أن هناك أفراداً خلقوا على طبيعة من التهييب للأمور ، ومحاولة الابتعاد عن اقتحام المشكلات ، ومواجهة مالا عهد لهم أو للناس به ، ومن شأن هؤلاء الآخرين أن يكونوا مقتنعين لآثار خيرهم ، متحرجين من الابتكار والإقدام على الجديد ، أما الأولون فن شأنهم الإقدام دون تردد أو ضعف ، والقوة في تحمل المسؤولية والاضطلاع بالأحوال والتبعات .

١ - لم يكن عمر بن الخطاب مجرد مجتهد عادي ، أو فقيه له فهم وتصرف في الشريعة ، ولكن ظروف حياته جعلت منه شخصية فذة في محيط الفقه والشريعة والدين ، كما جعلت منه شخصية فذة في السياسة والإدارة ، وذلك أنه منذ أول اتصاله بالإسلام كان يتبوأ منزلة عملية هامة ، وصدارة بجانب الرسول والأصحاب . وكان إحساس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منذ أول الأمر مهماً لذلك ، ودالاً عليه ، إذ كان يشعر بأنه لو أسلم عمر لكان لإسلامه أثر كبير في نجاح الدعوة وفوتها ، وكان لذلك يدعو الله أن يؤيد الإسلام به ، ولما أسلم فرح بذلك ، وفرح معه المؤمنون ، ولا شك أن شعور عمر بمركزه في هذه الدعوة بعث في نفسه ما يحس به المشلول من فكرة ومبدأ ، وذلك إحساس يعرفه الذين يتصلون بالأعمال اتصالاً شخصياً ، ويواجهونها بأنفسهم وجهالوجه فإنه يفتقر عن إحساس الذين يجتلبون لينظروا في المشكلات ، أو الذين يحاولون حلها على الورق أو من الكتب ، أو على الجمل : في غيبة عن المسؤولية الذاتية ، والمجابهة العملية للواقع . وابن الخطاب عاش طول حياته منذ أسلم

وطيبي أن أخطاء المترئين أو المتردين قد تكون قليلة ، ولكن ذلك ليس واجبا في حقيقة الأمر إلى أنهم في حصاة ومناعة عن الخطأ ؛ لعدم ذكائهم ، أو بعد نظرهم ، ولكن إلى أنهم لم يباشروا إلا عندا قليلا محصورا من التبعات ، استقلوا بالنظر فيه ، ولو شئنا أن نوازن بين فرد وفرد من هؤلاء وأولئك لكان علينا - لكي تكون الموازنة صحيحة منصفة - أن نعد أولا عدد القضايا التي أقدم عليها واضطلع بها كل منهما ، ثم ننظر في نسبة النجاح .

لهذا أصاب حرفي كثير ، وأخطأ في كثير ، وكان بحاجة أحيانا إلى أن يستشير ، واضطر أحيانا إلى أن ينفرد بالرأي .

- ٢ -

وعمر شخصية قوية ، خلق ليكون قائدا متبوعا ، لا جنديا تابعا ، وهذا المعنى كان يدفعه في كثير من الأحيان إلى أن يعارض الرسول نفسه ، وإلى أن يعتبر أن رأيه وزنا ، وأنه شريك في تقدير الأمور ، وفي توجيه السياسة العامة للدولة الإسلامية ، وحتى لما ينبغي أن يكون عليه الرسول في شخصه ، وفي بيته وبين نسائه ، وفي الموازنة بينه وبين أبي بكر يرينا أن أبا بكر كان مثال صاحب الممثل امتثالا تاما ، الذي يؤمن من أعماق قلبه بأن له قائدا هاديا مهديا من الله ، لا يمكن أن يصدر منه إلا ما هو حق

(١) أخرج البخاري من كتاب اللباس في صحيحه بسنده إلى عبد الله بن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبي ، جاء ابنه فقال يا رسول الله أعطني قبضك أكفته به ، وحصل عليه ، واستغفر له ، فأعطاه قبضه ، وقال له : إذا فرغت منه فأذنا ، فلما فرغ منه آذنه به ، جاء صلى الله عليه وسلم ليصل عليه ، فغذبه عمر فقال له : أليس قد تهك الله أن تصلي على المنافقين فقال لك : « استغفر لم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » قال ابن عمر قرتك « ولا تصلي على أحد منهم مات أبنا ولا تم على قبره » فترك الصلاة عليهم بعد نزولها .

كالكبريت بالنسبة إلى النار فكما سمع خبراً عن آمن به وقع في نفسه بموقع عظيم ، وصار كأنه - علم حاج في نفسه من غير تقليد ، وإلى هذا المعنى الإشارة فيما ورد من أن أبا بكر الصديق كان يسمع دوى صوت جبريل حين كان ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم - والمراد أنه من شدة التلبية والاتباع والافتداء ، كان بمثابة من يسمع ذلك بنفسه لنفسه. وهناك مقام آخر هو (المحدثية) ومظهره التأمل والتجوال بالفكر في ملكوت العلم والنظر ، ومن كان هذا شأنه مع الإخلاص في البحث والتطلع تواردت عليه الحقائق فكأنه يتحدث بها ، وربما وافق في الحوادث والأحكام ما ينزل به الوحي وإن لم يوح إليه. وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة (الصديقية) لآبي بكر ، وعرف أنه صاحبه المصافي الوفي الذي طبع حواسه بطابع قلبه من الإيمان المطلق ، فلا يشارى ولا يمارى فلذلك قال : (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً) وقال : (أبو بكر آمن الناس على في ماله وصحته) . كما عرف مقام المحدثية لعمر ، فقال : (لقد كان فيمن قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد فعمر) ، ولما عرف له هذه المنزلة ، ورأى الوحي في بعض الحوادث ينزل برأيه لم يكن يعبأ بأسلوب عمر المنبثق عن قوته في الحق ، والذي قد يلابسه أحياناً شيء من الشدة أو العنف والإصرار.

تتبعه في شأن الدعوة التي آمن بها ، ومن أنه ليس مجرد مستشار نظري يبدى رأيه ويتنهي الأمر ، ولكنه مستشار يحس بأن له شأنًا فيما يستشار فيه ، وبأنه يحمل من أعبائه مثل ما يحمل الذين استشاروه ، فكان يتحمس للرأي ويحاول أن يفرضه فرضاً ؛ لشدة إيمانه به ، ووقتته بأنه الحق والصالح ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف ذلك فيه ، ولا يكاد يغضب لشدة أو تحمسه ، أو مخالفته أو معارضته ، ثم كان يحاول أن يأخذه بالإقناع ، وأن يلزمه بالرأي أو بالعمل عن طريق بيان ما فيه من الخير والمصلحة في كثير من الأحيان ، أو عن طريق إخباره بأنه مأمور بذلك من الله في أحيان أخرى ، فكان عمر في الحالين يذعن لإذعان المؤمن المطمئن ، إما عن طريق المعرفة والإقناع إذا عرف ، وإما عن طريق الثقة والإيمان إذا لم يكن الوقت قد حان لأن يعرف .

وينبغي ألا يغيب عنا أن اختلاف عمر عن أبي بكر رضي الله عنهما ، ليس اختلاف الإيمان والشك ، ولا القوة والضعف ، وإنما هو اختلاف ملامح الشخصيتين ، ولذلك نرى الصوفية يستخلصون من صفات هاتين الشخصيتين مقامين من مقامات الإيمان ، فيقولون : هناك مقام يسمى مقام (الصديقية) فإن من الأمة من يكون في صفاء فطرته شبيهاً بالأنبياء ، فنفسه قريبة المأخذ من النبي

قد أخطأ ولم يتبين وجهة الصواب وقف له ورده وبصره بالامر ، ولم يصول على معارضته فراجع عمر نفسه ، وقد يعلم خطأه ، وقد يصبر على ما لم يتبينه فقه بصاحبه ، واطمئنانا إليه ، لا يدفعه الى الغضب أو الشغب أو الضواء النفس على شهوة الفالج دافع .

— ٣ —

ثم بانك ووضعت قضية عمر تمام الوضوح بعد أن تم له الاضطلاع بالمسئولية كاملة . وهنا نراه يأخذ في نسق آخر قد يبدو مخالفا لطبيعته فيكثر من الشورى ، ويستعين في دونه للسائل بالأسوال والبحث ومعرفة رأى غيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقرر ما يرى على بصيرة من الامر سواء أوافقهم على ما رأوا أو خالفهم . وقد قلت : إن هذا يبدو مخالفا لطبيعة عمر ؛ لأن طبيعته التي تحدثنا عنها طبيعة استقلالية ولكن المتأمل يعرف أن الشورى والبحث ، والفحص ، من أهم الملاح التي تكون الطبيعة الاستقلالية وليست تناقيا ؛ فإن القوى يريد أن

هذا مركز عمر من الرسول الكريم صلوات الله عليه ، ومع ذلك كان هذا المركز يحول بينه وبين أن يطلق لشخصيته القوية الجريئة صفاتها ، ولكنه انطلق حين كان بجانب أبي بكر بعد وفاة الرسول انطلاقا أوسع وأبعد ، فكان ربما رد على أبي بكر أمرا ، وربما صنف في هذا الرد كما فعل في حادثة المؤلفة قلوبهم (١) . وكان أبو بكر ثقتي يا خلاصه وحسن نيتي ، ولمرقتي بطابعه الشخصي ، وتأثرا بما كان يعامله به حبيبه رسول الله - كان أبو بكر لهذا كله ؛ ولأنه لا يتنى إلا الخير ، ولا يحركه عامل التعصب لرأيه ، ولا يعاني النزعة السلطوية التي عهدناها في الحكام والملوك ، حين يكبر عليهم أن يراجعوا فيما قرروا أو يرجعوا عنه ولو كان خطأ ؛ حفظا لمبايعتهم وردا على من تحدته نفسه بأنهم ضعفاء في رأيهم ، أو متخبطون في سياستهم - أقول كان أبو بكر لهذا كله ، يسمع من عمر ، ويقبل من عمر ، ويرجع أحيانا إلى رأى عمر ، وكان مع ذلك إذا رأى عمر

وما يذمهم . فقالا : والله ما ندرى أأنت الخليفة أم عمر ؟ - فقال بل هو . وجاء عمر حتى وقف على أبي بكر وهو مضطرب . فقال : أخبرني عن هذه الأرض التي أعطتها هذين أمر لك خاصة أم بين المسلمين ؟ فقال : بل بين المسلمين فقال : ما حلك على أن تخص بها هذين ؟ قال : استغفرت الذين حولي . فقال : أو كل المسلمين وسعهم مشورة ورمي ؟ فقال أبو بكر رمى الله عنه : فقد كنت قلت لك : إنك أقوى على هذا الأمر من لكسك غلبتي .

(١) روى ابن أبي الحديد وغيره : أن عيينة بن حصن والأفرع بن حابس جانا إلى أبي بكر فقالا له : إن عندنا أرضا سبعة ليس فيها كلاً ولا منعة ، فإن رأيت أن نعلمتها لعل الله ينفع بها بعد اليوم ؟ فقال أبو بكر لمن حوله : ما تقولون ؟ فقالوا : لا بأس فكتب لهم كتابا بها ، فاطلنا إلى عمر ليعهد لهم به ، فأخذهم منهم ثم نفل به شعاع ، فخذلهم وقال له مقالة سيئة ، ثم ذهب إلى أبي بكر

بالبت في بعض الألوان من دونه ، كما نعهده في حصرنا الحاضر ، وما يشبه من أن يكون بجانب الملك أو الحاكم العام ، وزراء لهم اختصاصات وسلطات ، تمكنهم من البت في بعض الأمور .

لهذا صار عمر كأنه عقل وفكر ، وتمحص للتدبير ومرن عليه .
وإلى هنا ترجع أوليات عمر .

— — —

ولم يكن عمر يفهم الإسلام فيما وراء العقيدة ، وما رسمه الله من شئون العبادة إلا على أنه نظام يستهدف المصلحة ، ويرى إلى تنظيم شئون المجتمع على صورة مؤلفة من العدل والخير والتعاون ، ومعرفة الحقوق لأصحابها وأخذ الحقوق بمن وجبت عليهم ، ولم يكن حريفا نصيا في كل ما يعرض عليه ، ولذلك نراه أحيانا يواجه بالنص ويروي له فعل أو قضاء للرسول ، ومع ذلك يتمسك بما قضى هو ، ورأى هو ، إما لأنه لم يكن يثق تمام الوثوق بصحة ما روى له ، وإما لأنه لا يراه معارضا أو صالحا لأن يقف معارضا لنص آخر أو ثق منه أو أدل منه ، أو لأنه يرى أن فعل الرسول كان معلا بعل ، أو مرتبطا بنوع من أنواع المصلحة والنظر الخاص ، وأن ما لديه من الحال الواقعة ليس على نفس الصفة ، ولا مرتبطا بتلك المصلحة ، فكأنه يرى نص الرسول أو فعله أو حكمه خاصا غير عام ، أو مقيدا غير مطلق ، أو أنه قضى به باعتباره رئيسا

يصدر رأيه قويا ، لأنه يريد حاسما لا تردد فيه ولا رجوع عنه ، فراء قبل أن يصدره يدرسه ويطنن إليه ثم يعزم فيه صمم — والقوى ليس عنده تلك العقدة النفسية من الشعور بالضعف وبأن الآخرين أقوى منه ، فهو لذلك لا يأتى أن يستشير ، ولا يدور بخلافه أن أحدا سيتصور أن استشارته ضعف أو قصور ، ولا يدور بخلافه أنه لو أخذ برأى فلان أو ترك رأيه لفلان ، فإن ذلك سيحسب عليه ، ويؤخذ على أنه ضعف في شخصيته أو أفعى في رأيه .

— — —

يضاف إلى ما ذكرناه أن عمر يعتبر هو المؤسس العملي للدولة الإسلامية ؛ لأنه أول حاكم قام نهض بأعباء الدولة في وقت كان لها فيه كيان داخلي وخارجي ، وصلات وإدارة ودخل وخروج على نظام متناسق ، وكان لها عمال وولاء وفتح ومصالح هنا وهناك . فهذا كله جعل عمر يدخل في معركة حامية الوطن ، وجعله مضطرا إلى إعطاء عمله جميع مواهبه ووقته وفكره ، ولم يمنحه فرصة التمل وترك الأمور ، ولا كان هناك سوايق يمكنه أن يعتمد عليها في كل شيء ؛ لهذا كان دوره دور المنشئ المؤسس الواضع للتقاليد الذي عليه أن يدرس كل مشكلة ويكون فيها رأيا ، ويضع لها حلا ، ولم تكن المشكلات قليلة ولا محصورة ولا كانت في دائرة دون دائرة ، ولا كان له أعوان يستقلون

ذاك على ما قضينا وهذا على ما تقضى .
والإلى الجانب يرجع كثير مما وجه
إلى عمر من النقد ولا سيما من إخواننا الشيعة .

- ٦ -

وكان عمر شديد الحرص على أن
يلزم المسلمون كتاب الله ، وعلى أن يكون
هو الدستور الأول ، والأساس الذي لا يبنى
إلا عليه ، حين يمارضه غيره ؛ ولذلك ورد عنه
أنه كان يكره التحديث أو الإفراط في التحديث
والرواية ، وأنه نهى عنهما بعض الذين أولعوا
بذلك من الصحابة ، وأنه كان يستشهد على
الحديث بغير روايه ، مع أن القاعدة التي
أخذ بها علماء الحديث والأصول تقضى
بقبول رواية الصحابي كائنا من كان ؛ لأن
الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ، بل
تقضى عند بعض العلماء بقبول رأي الصحابي
والاستدلال به في كثير من الأمور ، فالذي
كان عمر يفعله هو الاستيقاق حتى على الصحابي ،
بل روى عنه أنه كان يترك أحيانا رواية
يروها أحد الصحابة إذا رآها معارضة لنص
قرآني أو لسنة أخرى ، كما فعل في رواية
فاطمة بنت قيس فقال : لا ترك كتاب ربنا
وسنة نبينا لامرأة لا نعرف أحفظت
أم نسيت ؟

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

وإماما قدر ظروف وقته ، فله باعتباره رئيسا
وإماما أن يتقدم أيضا ظروف وقته .

وإذا كان عمر يطيع نفسه والرسول قائم
حتى يرحى إليه أن يراجع ويناقشه ويثير
عليه ، وكان الرسول يقبل منه ، ويقبل عنه ،
ويرجع أحيانا إلى دأيه ، فإنه ليس مما يتوقف
فيه عمر أن يراجع ويناقش ويفهم ما روى
عن الرسول بعد حياته ، ومرجع ذلك إلى
أنه في الحالتين - حالة حياة الرسول وبعد
عماته - لا يعتبر نفسه مطبقا لحسب ، ولا ينظر
إلى أفعال الرسول على أنها في كل صغيرة
وكبيرة تعاليم دينية ، لافرق في ذلك بين ما هو
من شئون التبليغ عن الله ، وما هو من شئون
النظر والاجتهاد والتطبيق العملي لما يصلح
عليه المسلمون أفرادا وجماعة ، ولم يكن يعتقد
عليه الأمر في نفسه هذا التعقيد الذي يبعث على
التحرج والتخوف والتزمت ، وإنما كان كما
قلنا : ينظر إلى الشريعة في جوانب المصالح
والمعاملات وسبل الحياة على أنها قواصد
مفهومة وأحكام معقولة ، وطرق عملية يبنى
أن تقدر الواقع وتقدر على أساس من الواقع ،
وأن تكون لها مرونة وقدرة على مواجهة
كل حالة ، وعلى أن تتقدم أحيانا وتتأخر
أحيانا وتنشدد أحيانا وتتساهل أحيانا ،
وقد روى عنه أنه حكم في قضيتين موضوعهما
واحد ، بحكمين مختلفين ففيل له في ذلك ، فقال

من قصدي الكتاب العزيز

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة

دليله من تاريخ العرب في جاهليتهم وتاريخهم ،
بعد أن دخلوا في الإسلام .

وغلاصة هذا الدليل أن الدين الإسلامي
في الأمة الإسلامية بمنزلة الروح من البدن ،
به حياتها كأمة وبه بقاؤها . وما كان
كذلك يجب أن يحتفظ به ويجعل بين الحشا
والفؤاد . والدليل على أن الدين الإسلامي
بهذه المنزلة ، تاريخ العرب قبل الإسلام ،
وتاريخهم بعد الإسلام . فقد كانوا متباغضين
أعداء . لجأ الإسلام فألف بين قلوبهم ،
وصاروا إخواناً وتبع ذلك العز والمنعة
والقوة وملك الأرض .

أشارت هذه الآية إلى مكان الدين الإسلامي
من الأمة الإسلامية . أهو زخرف لها وحلي ؟
أم حاجة من حاجتها وضرورة من ضروراتها ؟
أهو الشيء الذي تستغنى عنه وتمش دونه ؟
أم هو الشيء الذي لاغنى لها عنه ولم توجد
إلا به ولا بقاء لها بدونه ؟

أبانت الآية أنه ليس عضواً ثانوياً في جسم
الأمة الإسلامية ، فليس كطرف من الأطراف
التي تحيا دونه ، بل هو كالروح الساري فيها

المسلمون اليوم في أمر مريع ، في أمر له
ما بهمه ، فقد غزاهم المذهب الشيوعي في عقر
دارهم واحتاز بعض أبنائهم وهو الآن جلد
في أن يضم إليه رقعة المسلمين كلها ، والمذهب
الشيوعي مذهب مادي ينكر الأديان ، ويراها
ملهاة بالنعيم المنتظر في الآخرة عن النعيم
الحاضر في الدنيا . والمسلمون اليوم في موقف
الاختيار أختارون البقاء على دينهم ومثلهم
العليا ويرفضون المادية الشيوعية ، أم يقبلون
الشيوعية ويرفضون دينهم ؟ . وكان هذه الآية
الكريمة التي نحن بصدد تفسيرها أنزلت اليوم
غضة لتفصل في هذا النزاع وهي قوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم
على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك
يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، (آل عمران :

١٠٣) .

أنت الآية بحكم فصل في هذه القضية العتيدة ،
ولم يكن قولاً خالياً من الدليل وإنما بينت

للإسلام قيمته في توحيد الأمة وتأييد القلوب، وجعلهم إخواناً فيما حفظوا عليه ما حافظوا على وحدتهم واجتماعهم، وعزم وقوتهم. وما أجدر المسلمين في هذا العصر أن يذكروا للإسلام ذلك فيعلوا أنه كون المجتمع الإسلامي الذي عز وعظم، ولولاه ما تكون. وأنه هو الذي حافظ على وجوده وبقائه ولولاه لما بقى. يجب أن يعلموا ذلك وأن تحقق تلك النظرة التي ينظر بها إلى الإسلام من أنه علاقة بين العبد وربه بحسب، وأن الدين في المساجد والكنائس. هذه نظرة خاطئة، وهي سبب إهمال الإسلام اليوم. إن الإسلام هو الذي بث في الأمة الإسلامية الفضائل الاجتماعية التي بها عزت وسادت، من الألفة والمحبة، والتعاون والنصرة والفداء، والعدل والقيام بالإنصاف. لقد بنيت فضائلها كلها عليه، فإذا ضعف في نفوس المسلمين أو زال، ضعف أو زال ما بنى عليه من فضائل، ويتبع ذلك ضعف المجتمع الإسلامي. والمسلمون في هذا العصر أحوج ما يكونون إلى ما يبث فيهم القوة والتعاون والتناصر، وما يفعل ذلك هو الإسلام.

أى شيء أسنى قيمة، وأولى بأن تحفظه، وتدفعوا عنه دفاعكم عن أموالكم، وأبنائكم، وحرمتكم، من شيء جاءكم وأتم أجوع الناس بطونا، وأعراسهم جلوداً، وأذلم ذلاً، وأشقاهم عيشاً، وأبينهم ضلالة، فأطعكم وكساكم،

لا وجود لها إلا به ولا بقاء لها دونه. ليس هو من بناء الأمة بمنزلة شرفة من الشرفات، أو مئذنة، يعلو به البناء، وإنما هو بمنزلة القواعد والأساس من هذا البناء. فإذا انهارت القاعدة انهار ما عليها من بناء.

يبعث ذلك في عبارة موجزة، واذكروا نصرة الله عليكم إذ كنتم أعداء، فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار، فأنقذكم منها. ذكرهم حالهم التي كانوا عليها قبل الإسلام من العدوة والبغضاء، وحالهم بعد الإسلام من المحبة والإخاء، وما تبع المحبة والإخاء من التعاون والتناصر على دفع الأعداء والمغربين، وما تبع ذلك من العز والقوة والعلو، ولم يزد عليهم شيء إلا الإسلام. لم تمدهم أمة من الأمم المجاورة بحال ولا سلاح ولا عدة، ولم تعززهم بمجنود وغرسان. ولم يكن إلا أن جاءهم الإسلام فمزوا بعد ذلك وقروا بعد ضعف، وكثروا بعد قلة. فهو سبب هذا كله. به قام المجتمع الإسلامي وبه ظفر وانتصر وعز وغلب.

ليس ذلك حكماً خطائياً بل هو حكم برهاني مقدماته ضرورية، ترجع إلى الموازنة بين ما كانوا عليه قبل الإسلام وما كانوا عليه بعده، فما حدث من ألفة وأخوة بعد عدوة وبغضة، وإنما هو بما جدد عليهم وهو الإسلام. وقد أمرت الآية بأن يذكروا هذه النعمة ليعلموا

وإن المرء لا يسمعه أن يمر على هذه الظاهرة التي أشار إليها القرآن، وهي: أن العرب كانوا أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا إخوة متحابين، دون أن يتساءل ما الذي منحهم الألفة بعد التفرق والاضغان والإحن؟ وما الذي عهد إلى صدورهم فيما فيها من غل وضغن، وإلى عقولهم فأناها العداوات والترات، وعادت صدوراً بريئة طاهرة لا غل فيها ولا ضغن، بل المحبة والطهر، وعادت لا تذكر التراث والماضي المضرج بالسماء، وإنما تذكر الحاضر وما فيه من نعمة الأخوة. وهذا شيء كان صعب المنال،

بعيد الاحتمال؟ كما قال الله تعالى: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» (الأنفال: ٦٣)، وهذا أمر عجزى خارج عن الأسباب الاجتماعية فليس لنا أن نطمع فيه ثانية؛ لأننا خارج عن القوى والقدر؟ أم هو أمر يرجع إلى أسباب طبيعية مهدى إليها الله، فإذا رجع المسنون إلى تلك الأسباب وأخذوا بها ارتدت إليهم ألفتهم وعاد إليهم تعاونهم؟ كذلك ينبغي أن ننظر إلى هذه الظاهرة التي أشار إليها قتادة وهي أن العرب كانوا أذل الناس ذلاً وأشقاهم عيشاً، وكانوا يؤكلون. فلما جاء الإسلام صاروا أعزاء أقوىاء وملوكاً على رقاب الناس، وبسط لهم في الرزق وفي أسباب الحضارة والرفق. ما هذه الأسباب الخفية في الإسلام التي جعلت من

وأعزكم وبسط لكم في الرزق، وهذا كم من ضلالتكم؟

أى شيء أولى بأن يجعلوه بين الحشا والدؤاد ضنا به، وحفاظاً عليه، من شيء جاءكم وأتم أصغر أهل الأرض حظاً، وأدقهم شأنًا، لجعلكم شيئاً مذكوراً، ورفع قدركم فوق الأقدار، واسمكم فوق الاسماء؟

أى شيء أولى بأن تدفعوا عنه دفاع من يعلم أنه إذا حرمه هلك، من شيء جاءكم وأتم رعاة غنم، وحدادة إبل، لجعلكم رعاة أمم، وساسة عمالك؟

أى شيء أعظم في نفوسكم من شيء. عليكم الكتاب والحكم، بعد الجهل والامية؟

أى شيء أعظم من شيء جاءكم وأتم بغير بعضكم على بعض، فتنزلون وتنهبون حتى قال شاعركم:

وأحياته على بكر أخينا
إذا ما لم نجد إلا أعانا

لجعلكم أصف الناس وأهدمهم، تقومون في الناس حكماً مقسطين، حتى قال أحد خلفائكم: عمرو بن الخطاب لسانه على مصر عمرو بن العاص، وقد ضرب ابنه ابن أحد سكانها القبط متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟؟؟

تعلموا أيها المسلمون أن الدين يخادعونكم عن دينكم يسلبونكم أمى شيء في حياتكم، يسلبونكم أرواحكم، ومقومات وجودكم.

الأخلاق وأحسن الصفات، وأمرهم بما يوحى
مشاعرهم وآراءهم في الحياة، وأغراضهم ومشاكلهم
العليا وأهدافهم. وفرض عليهم أحوة إسلامية
جعل لها حقوقاً مثل الحقوق في أخوة النسب،
بل أكثر. فقد كانت المؤمن يقاتل أعمامه
في النسب بحماية لإخوانه في الدين. وبذلك زالت
العداوات والإحن القديمة، وحل محلها الإخاء
الإسلامي والتعاون.

لولا الإيمان اليقيني بهذا الدين لما أطاعوا
أوامره واجتنبوا نواهيه، ولولا أن الدين
جاء بخيرهم في الدنيا مع خير الآخرة لما تم
هذا الصلاح العظيم. نقول لولا اليقين بهذا
الدين الذي جاءهم لما أطاعوا، لأن العرب كان
فيهم خلق الأنفة والعناد والإصرار، لما فهم
من بدادة وتوحش. فكانوا لا يستجيبون
بعضهم لبعض، ويصعب على المرء قيادهم. فلما
كان الأمر أمرهم بما قبلوه وأطاعوه، وصاروا
يراعونه في السر كما يراعونه في العلن.

ولولا أن الأوامر التي يجب أن يأمروا
بها، والنواهي التي يجب أن يتنوها عنها تضمنت
الخير والصلاح: من المحبة والتعاون والصدق
والعدل وبذل النفس والنفس في سبيل الدين
من جمعهم، والبطاع عن عقيدتهم، لما بلغوا
هذا الشأ من الصلاح؛ فإنا لانعلم أمة من أمة
الأرض في القديم كان لها مثل هذا المطلب
الواسع والمجد الباذخ. ٩

محمد هرفز

عضو جماعة كبار العلماء

الضعف قوة، ومن الجمل علما، ومن التوحش
مدنية؟، ما هذه الأسرار الكامنة التي فعلت
لفعل السحر، وودت هذه القبائل في زمن
وجيز، لا يتسع لتربية فرد، وتهذيبه
وثقيفه؟. إنه ينبغي البحث في ذلك كله لتعلم
علل ذلك وأسبابه، ومعرفة العلل والأسباب
للأشياء هي العلم الحقيقي. وتعلم أسرار القوة
في الإسلام فتحافظ عليها ونجتلبها إن كنا قد
ضيعناها، وأسباب الضعف التي طرأت على
الإسلام فتتجنبها ونعود بالدين غصا كما كان؛
ليكون متاراً للعزة والمنعة والقوة والخير،
كما كان. إنه يجب أن نعرف وضعنا في هذا
الوجود، ونعرف الأفاعي التي حولنا، والتي
تنفث فينا سمومها، والتي حذرنا إياها القرآن
منذ نزل. وكل ذلك من التفسير بل هو صميم
التفسير؛ لأنه ليس الغرض من التفسير أن تعرف
مدلولات الألفاظ القوية والجمل، ولا تطبق
ذلك على أنفسنا وعلى مجتمعتنا. وإنما الغرض
أن تدبر القرآن ونفقهه، والفقه أعلى منزلة
من الفهم، ونطبقه على أنفسنا ومجتمعتنا، فنعتبر به
وننتدى؛ ولهذا أنزل القرآن، ألم، ذلك الكتاب
لأريب فيه هدى للتقين، (البقرة: ١، ٢).
مر ذلك كله كامن في الإيمان بهذا الدين
الجديد، الذي هو الإسلام. آمنوا بهذا الدين
إيماناً انفتحت عليه قلوبهم، وأطمأننت به
نفوسهم، فصاروا يعملون حسب أوامره
وينتجون عند نواهيه. وقد جاءهم بمكارم

موقف اليهودية والمسيحية والإسلام

من العِزوبة

للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وآفي

تنظر الديانة اليهودية إلى الزواج على أنه واجب ديني على كل قادر عليه . وبقررة قها . اليهود أن جريمة من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه تعدل جريمة القاتل ؛ لأن كليهما « يعطى نور الله . وينقص طله في أرضه ، ويبعد رحمة عن إسرائيل » . بل لقد ذهب كثير منهم إلى ما هو أبعد من ذلك ، فقرروا أن من يبلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء أن يرغمه على الزواج .

ومن أم الأسباب التي جعلت اليهود يعلنون من شأن الزواج إلى هذا الحد ، أن تخليد اسم الأسرة وتخليد شعائرها ووظائفها الدينية وتوثيق صلتها بالرب ، كل ذلك كان يتوقف في عقيدتهم على إنجاب البنين . وليس ثمة وسيلة مشروعة لإنجاب البنين إلا الزواج ، وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه الكريم حكاية عن زكريا : « وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتى عاقرا ، فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب ... » (١) . ومن أجل ذلك كانت الزوجة الشرعية نفسها إذا لم ترزق ذكرا تتنازل لجارية زوجها أو لجاريته عن فراشها ؛ ابتغاء أن يأتي منها زوجها بابن يخلد ذكرى الأسرة . ومن الغريب أن من كانت تأتي به الجارية من ثمرات هذا الفراش كان يعد ولداً للزوجة الأصلية لا للجارية التي ولدت . فكانت الزوجة هي أمه الشرعية ؛ على حين أن الجارية كانت تعتبر مجرد أداة استخدمت للإتيان به . وقد طبق هذا النظام على اسماعيل الذي جاء به إبراهيم من جاريته هاجر قبل أن ترزق زوجها الأصلية بابنها اسحق ؛ وطبق على « دان » و « نفتالي » Dan, nephthali الذين جاء بهما يعقوب من جاريته بيلها Bilha قبل أن ترزق زوجها الأصلية راحيل يوسف وبنيامين (٢) .

[١] آتي ٦٤٠ من سورة مريم

[٢] سفر التكوين [صالح ١٦ وفترات ١ - ١٤ من [صالح ٣٠ .

ولم يشذ عن ذلك من فرق اليهود جميعا إلا فرقة الحسديين أو الإيسينيين أو الآزين Esséniens (١) فقد كان من أهم مبادئ هذه الفرقة ، حسب ما يتحدثنا به المؤرخ الشهير يوسف Josephus ، الرغبة عن جميع متاع الجسم ، والنظر إليها على أنها شرور ، واعتبار التبتل (٢) والبعد عن النساء من أمهات الفضائل . ومن ثم حرموا على أنفسهم الزواج (٣) .

ومع أن هذه المبادئ الحسدية لم يكن لها أثر كبير في الديانة اليهودية نفسها ، ولم تطبق إلا في نطاق جماعة الحسديين وحدهم ، وفي مواطن منعزلة عن الناس ، فإنها قد تركت آثاراً ذات بال في الديانة المسيحية التي جاءت بعد ذلك . فقد ساد في المسيحية الاعتقاد بأن العزوبة أمثل من الزواج ، وأن الحصور (٤) أدنى إلى الله من يقرب النساء . وفي هذا يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل قورنثة (٥) : « من يزوج ابنته يأت عملاً طيباً ، ومن لا يزوجها يأت ما هو خير (٦) ، و « إنه من الخير للرجل أن يظل أعزب إلا إن خاف الوقوع

[١] انقسم بنو إسرائيل في العصور الأخيرة السابقة لليلاد إلى ثلاث فرق : فرقة الفروشين « مروشم pharisiens » وفرقة السادوقيين « سادوقيم saducéens » وفرقة الحسديين أو الإيسينيين أو الآزين « حسديم esséniens » ، ومعهم حسديم : الفقهاء ، والباء ، ولهم علامة الجمع في اسبرية « . وقد امتازت هذه الفرقة الأخيرة عن سائر فرق اليهود في الشؤون الاقتصادية بأنجاهاتها الصبوعية المتطرفة ، وفي العثون المديدة بالإكثار من النسل والوضوء ، ووجعها تقديم الأضحية والقرايين ، وبالدموع إلى الزهد والتعفف . ومحاربة البذخ والترف والحياة الناعمة ، وفي الشؤون العائلية بتعريم الزواج واعتبار التبتل من أمهات الفضائل . وقد طبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلي ، وحاشوا جماعات حول شواطئ البحر الميت . وقد وصلت إليها أخبار هذه الفرقة عن طريق ما كتبه الفيلسوف فيلون philon ، والمؤرخ اليهودي يوسف Josephus . وكلاهما من رجال القرن الأول لليلادى .

[٢] تبتل إلى الله وجل بتشديد الماء المتطهر وأطعم ، أو ترك السكاح وزهد فيه . ا . هـ . قاموس وبهذا المعنى الأخير سمى هذا الفعل ومشغاته في هذا المقال .

[٣] Josephus : De Bello Judaico, II, 8, 2.

[٤] الحصور : من لا يأتي النساء وهو قادر على ذلك ، والمنسوح منهم ، ومن لا يفهمين ، ولا يفهمين . من القاموس المحيط « وبأما الأول وحده نستعمل هذا الوصف في مقالنا هذا .

[٥] انظر بحثنا في هذه الرسائل وغيرها من أسفار العهد الجديد في مقالنا ببدء شوال ١٢٧٨ هـ من مجلة الأزهر .

[٦] الرسالة الأولى لبولس إلى أهل قورنثة ، طرس ٣٨ من الإصحاح السابع .

في الخطيئة (١)، ودأبى لأنصح الأيبي (٢) من الرجال والنساء أن يتتدوا بي ؛ فيطلبوا على ما هم عليه . فإن لم يتو أحدهم على العفة ، فلا مندوحة له حينئذ عن الزواج ؛ فلأن يتزوج خير من أن يكون وقودا لنار جهنم » (٣) .

ويعلق ترتوليان (٤) Tertullien على هذه الفقرة الأخيرة من رسالة بولس فيقول : « إن الأذى من حالتين لا يلزم أن يكون خيرا في ذاته ؛ فلأن يفقد الإنسان عيناً واحدة أفضل من أن يفقد كلتا عينيه . ولكن فقد عين واحدة ليس من الخير في شيء . فكذلك الزواج : فهو لمن لم يقو على العفة أفضل من أن يحرق بنار جهنم ، ولكن الخير أن يتق الإنسان الأمرين معا : فلا يتزوج ، ولا يعرض نفسه لعذاب النار . وإن قصارى ما يحققه الزواج أنه يعصم الفرد من الخطيئة ، على حين أن التبتل يروض المرء على أعمال القديسين ، ويذل له السبيل إلى منزلة الإشراف ، ويتيح له أن يأتي بالمعجزات . لجسم المسيح نفسه قد جاء من بتول عذراء . والقديس يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) والرسول بولس وجميع إخوانه الخواريين الذين سجلت أسمائهم في سفر الخلود ، آثروا التبتل وحشوا الناس عليه . وقد استطاعت مريم البتول أخت موسى (٥) أن تعبر البحر رمي وجميع من كن يسنن خلفها من النساء ، فانشق لمن فيه طريق يبس واتهين إلى الساحل الآخر سالمات . والقديسة البتول تكلا Thècle قد ألقي بها الكفار إلى الأسد الجامعة فوجت الأسد أمامها وخرت جاثية تحت قدميها (٦) ... وقد فتح السيد المسيح للخصيان أبواب السماء ؛ لأن حالتهم قد باعدت بينهم وبين قربان النساء . . . ولو أن آدم لم يعص ربه

[١] الرسالة الأولى لبولس إلى أهل قورنثوس ، فترقي ١ ، ٣ من الإصحاح السابع .

[٢] الأيم - بتشديد الياء المكسورة - : الضرب رجلا كان أو امرأة والجمع بهما أيبي ام . المصباح .

[٣] الرسالة الأولى لبولس إلى أهل قورنثوس فترقي ٨ ، ٩ من الإصحاح السابع .

[٤] من كبار رجال الكنيسة المسيحية « ١٦٠ ، ٢٤٠ م » .

[٥] هي التي ورد ذكرها في القرآن في قوله تعالى : « وقالت لأخته قصيه ، بصرت به عن جنب وم لا يعفرون . وحرمنا عليه المراضع من قبل : فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ماصحون ؟ » [آتني ١٢ ، ١١ من سورة القصص] .

[٦] تذكر القصص المسيحية أن الشبيبة تكلا كانت من السابقات الأوليات إلى اعتناق المسيحية في القرن الأول لليلادي على يد الرسول بولس ، وأن الله قد نجاها بمعجزة منه من كثير من أنواع العذاب التي امتحنها بها الوثنيون ؛ لينتوها عن عقيدتها ، ويغفل المسيحيون بذكرها في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر .

لعاش طاهرا حصورا ولتكثر النوع الإنساني بطرق أخرى غير هذه الطارق البهيمية ولعمرت الجنة بفسيلة من الطاهرين الخالدين ، (١) .

وينظر كثير من فقهاء الكنيسة المسيحية إلى هذه الحقائق على أنها من الأمور المسئلة في الدين بالضرورة ، أى التى لا يجوز إنكارها ولا النك فيها ، حتى إن مجمع مديولانس Mediolanense المسيحي قد حكم فى أواخر القرن الرابع الميلادى على الراهب جوفينيان Jovenien بالطرد من الكنيسة ؛ لأنه عارض المبدأ المسيحي الذى يقرر أن القتل خير من الزواج . وينظر هؤلاء الفقهاء كذلك إلى الزواج على أنه مجرد ضرورة لبقاء النوع الإنسانى ولصيانة الفرد من الفاحشة . ومن ثم لا ينبغى فى نظرهم للمسيحي أن يطلق لنفسه العنان فى إشباع شهواته ، بل ينبغى أن يعيد من ذلك بقصد واعتدال ، وفى الحدود التى تحقق القدرة والنسل ، فيكون شأنه شأن الزارع الذى إذا بذر البذرة انتظر الحصاد بدون أن يلقى فى الأرض بذوراً أخرى ، (٢) .

وقد ذهبت فرقة المارسيونيين Marcionies (وهى فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مرسيون) (٣) إلى ما هو أبعد من ذلك ، فحرمت الزواج تحريماً باتاً على جميع أفراد

[١] Tertullien, de Monogamia 3, atépar Westermarck, Idées Morales, [١] II, 395, 396 وقد وافق ترتوليان على مانعته الفقرة الأخيرة الخاصة بآدم وبله جرمحوار الجيسى ويوحنا دمشق Grégoire de Nysse, Jean de Damas ، وخالفه فى ذلك توماس الإكوينى St Thomas d'Aquin الذى يرى أنه صد بهد أخليفة قد جعل أفة بقاء النوع وانتشاره متوقفين على الاتصال الجيسى . ولكن هذا الاتصال - فى نظر توماس الإكوينى - لم يكن فى يده الخلقة مطلوباً على القدة الجنسية التى امتزجت به بعد أن هبط آدم من الجنة . Westermarck, op. cit. 396 .

[٢] Westermarck op. cit. 396 .

[٣] ولد مارسيون Marcion هذا ببلدة سيبوب Sinop . مباء على البحر الأسود فى تركيا ، فى أوائل القرن الثانى للميلادى . وكان أبوه قسباً ، وشأ هو قسيساً كذلك ، ولكن حكم عليه بالطرد من الكنيسة لمذهبه المنحرف عن أصول السجية ، ويقوم مذهبه على اعتقاد أن العالم السفلى من صنع الإله العادل Dieujuste أو الإله ديمجورج Demiurge وهذا الإله هو الذى اتحد من بنى إسرائيل شعباً مختاراً وأنزل عليهم التوراة . ولكن سلطان هذا الإله قد انتهى عند ماظهر الإله الخير Dieu Bon متشكلاً فى المسيح ، وخلص الإنسانية من خطاياها ، حيثخذ بمنك كل أعمال الإله اسابق . ومن ثم يقوم هذا للمذهب على اطراح العهد القديم « كتب اليهود المقدسة » فى حكمة وتفاصيله . أما العهد الجديد « كتب المسيحيين المقدسة » فإن هذا المذهب لا يعترف به إلا بمفرق : وما لإنجيل لوتا ورسائل بولس ويبد أن أدخل عليهما تعديلات كثيرة . وهل الرضى من الحرب الشعراء التى شنتها الكنيسة وشنها المحافظون من كتاب المسيحيين على هذا المذهب ، فإنه قد انتصر وتبعه خلق كثير ، فى إيطاليا وإفريقية ومصر . وظل كذلك حتى منتصف القرن الثالث ، ثم أخذ يضمحل بعد ذلك حتى انقرض انقراضاً تاماً فى القرن الخامس الميلادى .

نحلتها ، كما فعلت فرقة الحديدين من اليهود ، وأوجبت على كل متزوج يرغب في اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن ينفق عن زوجته ، وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده .

ومع أن الفرق المسيحية الباقية إلى عصرنا الحاضر لم تأخذ بهذا المذهب ، فإن نظرة المسيحية إلى التبطل على أنه الحالة المثلى ، وإلى الزواج على أنه مجرد ضرورة ، قد أدت بالتدريج إلى نظام العزوبة المفروض على الرهبان ، وعلى القسيسين في المذهب الكاثوليكي ، ففقد المصور المسيحية الأولى كان يحظر على القسيس أن يتزوج امرأة متوفى عنها زوجها ، كما كان يحظر عليه أن يتزوج مرة ثانية بعد وفاة زوجته .

وفي أوائل القرن الرابع الميلادي أصدر مجمع إلميرا (Elvira) (في أسبانيا) قرارا بتحريم الزواج والابتعاد عن كل شهوات الجنس على كبار رجال الكنيسة . وفي أواخر القرن الحادي عشر أصدر البابا جريجوار السابع أمرا بوجوب العزوبة وتحريم الزواج على جميع القساوسة والرهبان : كبارهم وصغارهم ، حتى لا تتدنس صفاتهم الكهنوتية بالاتصال الجنسي ، ومع أن هذا القرار قد لاقى في مبدأ الأمر معارضة شديدة في كثير من المناطق المسيحية ، فإنه لم يكدهم ينتهى القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان نظاما مقروا في الكنيسة الكاثوليكية ومطبقا على جميع القساوسة والرهبان من الرجال والراهبات من النساء .

• • •

وكان العرب في الجاهلية ينظرون إلى الزواج على أنه واجب اجتماعي وعائلي ، ويحرصون على إتمامه في سن مبكرة لذكر والأنثى على السواء ، بل لقد كانوا يزوجون الأنثى أحيانا وهي في سن الطفولة . ومع ذلك فقد كان منهم من يترك الزواج تبثلا ، وكانوا يطلقون في الجاهلية على كل رجل من هذا النوع اسم « الصَّروُرة » . ولعل هذا النوع كان يتألف من اعتنق المسيحية من العرب أو ممن تأثر بمقائدها .

• • •

وأما الشريعة الإسلامية فإنها تحث على الزواج وتنظر إليه على أنه الحالة المثلى ، والوضع السليم الطبيعي للسلم والمسلية . بل لقد ذهب الظاهريون من فقهاء المسلمين ، وعلى رأسهم داود الأصفهاني وابن حزم ، إلى أن الزواج فرض عين على كل مسلم قادر عليه ، وعلى مختلف أعبائه . فهو للسلم في نظرهم بمنزلة الصلاة والصوم وما إليهما من الفروض العينية حتى إنهم

يرون أن من تركه مع القدرة عليه وعلى أعبائه يكون [ثمه] ثم من ترك ركنًا من أركان الإسلام ، ويستدلون على ذلك بعدة آيات وأحاديث ورد فيها طلب النكاح بصيغة الأمر ، ذاهبين إلى أن الأمر المطلق للفرضية والوجوب . وذلك كقوله تعالى : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » (١) وقوله : « وأنكحوا الأيما منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم » (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهزل عرش الرحمن » ؛ وقوله : « من استطاع منكم البائة (٣) فليزوج ، ومن لم يستطع فليصم ؛ فإن الصوم له وجاء » (٤) وقوله : النكاح سقى فن رغب عن سقى فليس مني ، ؛ وقوله : « تناكحوا فكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة » (٥) .

وحق معظم فقهاء المسلمين الذين لم يذهبوا إلى حد القول بفرضية الزواج على الإطلاق ، ينزلونه منزلة تقرب من منزلة الواجب ، ويقولون بوجوبه إذا خفى الفرد الوقوع في المحرم .

فلا خلاف بينهم جميعا في أن العزوبة تتنافى مع الأوصاف الإسلامية الصحيحة ، وفي هذا يقول عليه السلام : « من تزوج فقد أحرز نصف دينه » ؛ ويقول : « إذا مات ابن آدم أقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ، والولد الصالح لا يكون إلا ثمرة لزواج مشروع . وعن أنس بن مالك أنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته . فلما أخبروا كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلا) ، فقالوا : أين نحن من رسول الله ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ١٤ . قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبدا ؛ وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر . وقال آخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

[١] آية ٣ من سورة النساء . [٢] آية ٣٢ من سورة النور

[٣] البائة والباء النكاح ، وبأ نويثا نكح ، من القاموس المحيط . والمعنى من فسر منكم على أعباء الزواج فليزوج

[٤] يطلق الوجداء على رضى عروق الحميه من غير إخراج . فيكون شبيها بالخضاء ؛ لأنه يكسر الشبهة ، ا هـ . من الصباح ، والمعنى : من لم تكن له قدرة على أعباء الزواج فليصم ؛ فإن في الصيام إضمارا لفترات ، ووقاية للهمة وصيانة للنفس من الوقوع في المحذور .

(٥) انظر في هذا الموضوع « بدائع الصنائع » فلكاساني ، باب الزواج .

أَنْجَعُ وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ

للأستاذ محمد الغزالي

- إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو
الناس إلى الإيمان .
وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب
إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب ...
- ومن ثم فإن الداعية الموفق الناجح هو
الذي يهdy إلى الحق بعمله وإن لم ينطق
بكلمة ؛ لأنه مثل حى متحرك للبادئ التي
يعتقها .
- أظن جمال الباطن أضعف أثرا من وسامة
الملاح ٩ .
- كلا ، إن طبيعة البشر حبة الحسن
والانفات إليه .
- وأصحاب القلوب الكبيرة لهم من شرف
السيرة وجلال الثمائل ما يبحث على الإعجاب
بهم والكون إليهم .
- وقد شكنا الناس في القديم والحديث من
دعاة يحسنون القول ويسئون الفعل !!
- والواقع أن شكوى الناس من هؤلاء
يجب أن تسبقها شكوى الأديان والمذاهب
منهم ؛ لأن تناقض فعلهم وقولهم أخطر شغب
يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم ...
- ولا يكنى - لكي يكون المرء قدوة -

عليه وسلم إليهم فقال : أتم الذين قلم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ؛
ولكنى أصوم وأفطر ، وأصل وأرقد ، وأزواج النساء ، فمن رغب عن سقى فليس منى ، (١) .
وأما ما ينسب إلى الرسول عليه السلام من أحاديث ترغب في التبتل ، كقوله : « خيركم
من لم يتزوج بعد المائة أو بعد الألف ، أى من التقويم الهجرى ، فهى أحاديث موضوعة
تعارض مع روح الإسلام وتعاليمه . ويظهر أنها تدبر عن اتجاهات مسيحية تسربت إلى
بعض بلاد المسلمين أو عن اتجاهات الغلاة من المتصوفين .

دكتور . على عبد الواحد واني

أقول : إن هذا الضرب من الدين العالي نادر الآن ، وأن أشعة الكمال المنبئة من وجهه لا تكاد ترى .

بل إن نقرأ من الناس الذين لا ينهم دين أقرب إلى المسلك الصحيح ، وأجدر بالقوام على شق الوظائف من آخرين انقلبوا إلى الدين ، وحلوا ضوائره دون اصطباغ به وتشرب لروحه ...

وعندما ينكب الدين بأقوام كثيرين على هذا الغرار ، فالجمال واسع لشيوع الإلحاد وانتشار المعصية والعدوان .

قال لي صديق : إن فلانا الأوربي ، إذا وكلت إليه مهمة خرجت من بين يديه متقنة الأداء ، ظاهرة الجودة . أما فلان الذي يكثُر الصلاة فقلبا يريحي في إحسان عمل أو أداء واجب ...

لقد جرعت لهذه المقابلة بين الشخصين ، ولم ينفذ منها أنها باطل - إذ هي أحيانا حق - وإنما ساء في منها أن ذلك « المتدين الكسول » دعاية شنيعة ضد الصلاة ، إنها القدوة الرديئة تعمل عملها ضد المثل الرفيعة والمبادئ الفاضلة .

وقد لاحظت أن الأجني - في أغلب الأحيان - يرى خشنا لكرامته ، وطعنا

أن بظواهر بالصالحات أو يتجمل للأعين الباحثة ؛ فإن التزوير لا يصلح في ذلك الميدان ، ولا بد أن ينكشف الخبوء على طول المعاملة وامتداد الزمن وتمحيص الأحداث .

وسرعان ما يبدو معدن النفس على الحقيقة الصارية ...

ذلك أن النفس المتحركة بروح الإيمان كالآلة الدائرة بما يعمر خزانها من وقود ، أما النفس المحرومة من هذا الروح فهي كالآلة التي تدفع باليد حيناً ثم لا يلبث أن يفلها العطل والمطب فتوقف وتسكن ...

والحسنة الطامة أن بعض المنافقين يحسبون أن تمثيل دور الإيمان لا يحتاج إلا إلى شيء من التكلف والمصانعة ، كما أن بعض المتهاونين يحسبون أن لباس التقوى يمكن نسجه بشيء من إدمان الرسوم وإتقان المهمة .

وهذا ضلال بعيد فالأمر أخطر مما يظنون . إن الدين الحقيقي صورة لجوهر النفس بعد ما استكانت به ونزلت على أمره ، واصطبخت بالفضائل التي شرعها ، وترفعت عن الرذائل التي حرمها ، واستقامت على ذلك استقامة تامة .

هذا الدين وحده هو الذي تلمس منه الأسوة ويقتبس منه الهدى ، ويؤسفى أن

قل لي باقة : كيف يهوى سلوك الفرد منا إلى هذا الحد ثم ينتظر أن يحترم الناس الإسلام ويقبلوا عليه ؟ .

إن الدعوة إلى الاسلام تكون أولاً بعرض ثماره في الأخلاق والأحوال ، أعني : ثماره في أتباعه المؤمنين به ، وروثه ترجى الإجابة ، ويرتقب الاحتماء ...

ولتعد إلى أسباب انتشار الإسلام أيام السلف الصالحين . . .

إن «خلق» الدولة ، وصلاح أنظمتها وكفالاتها أكبر حظ من العدالة والسعادة للأفراد ، كان الباعث الأعظم على دخول الناس في دين الله أفواجا ، وقبولهم عن طيب خاطر الانضواء تحت راية الإسلام .

بل فبطبتهم لأن دائرة هذا الدين بلغت من الرخابة حداً جمعتهم يأوون إليها وهم وافرون أعزاء . . .

حتى أيام اضطراب أجهزة الحكم في الدولة الإسلامية وقصورها ، عن التحليق مع المثل الرفيعة التي تشدها الإسلام في اختيار الحكام .

إن هذا القصور لم يقصد في مدى الخير الذي يحرزه الناس تحت علم الدولة الجديدة ١١ ذلك أنه أعلى درجة ألف مرة

في كيانه أن يصدر العمل عنه نافعا ، فهو بجهوده احتراماً لنفسه ، وصيانة لشخصه .

على حين تجد مواطننا ينتمى إلى الدين - كما يزم - ثم هو يقوم بالعمل على أسوأ الوجوه ، ويبسط لسانه بالجدل الطويل في تسويفه وإقناع الآخرين بقبوله ... ١

ولعلنا لم ننس قصة المهندس الذي أشرف على بناء جسر السلطان أبي العلاء ، وكان أجنبياً .

فإنه لما رأى عمله لم يصل إلى درجة الكمال التي يشدها ، رمى بنفسه من فوق الجسر العالي ، فهوى بين أمواج النيل ، وكاد اليم يبتلعه لولا إسعاف المنقذين .

لقد أحسن غضاظة من أن يعيش بعد ما فشل في إحسان العمل الذي كلف به ...

وإنما أثبت هذه القصة لآتي أمرف أنا ما مثله ، وقموا في شر من تفريطه وخرج العمل من بين أيديهم مبتورا مشوها ، فلما عوتبوا شرح كل منهم يتنصل ويعتذر أو يهزكتفيه ملتقيا التبعة على غيره . .

ولعله بعد ذلك جلس إلى مكتبه يهرج القهوة في كبرياء ١

أيصالح هؤلاء أمثلة للإسلام ؟؟ .

إن المسلمين استحقوا أن يتأسى الناس بهم، وأن ينسجوا على منوالهم، وأن يقلدوهم في أقوالهم وأعمالهم، وأن يهجروا لغاتهم الأصلية إلى اللغة العربية الوافدة؛ لأن المسلمين كانوا يمثلون في العالم نهضة مجددة راشدة مسعدة.

والمعجب بك قد ينوب فيك، وذلكم هو ما حدث في « المستعمرات » التابعة للشرق والغرب، أعني: لعارس والروم، يوم زحف عليها الإسلام، وانساب في جنباتها.

إن من الغباء البالغ أن تنتظر أحداً يؤمن بك عقب انتصار في معركة جمل، أو انتصار في ميدان حرب.

إن المتهور في أحد الميدانين قد يستسلم راضياً أو ساخطاً.

بيد أنه لن يتبعك عن إخلاص، ولن يشاركك الشعور والفكر أبداً.

ومن ثم نرى لزوماً علينا التوكيد بأن القدوة وحدها، وما يبعث على الاقتداء من إعزاز وإعجاب، هما السبيل الممهدة لنشر الدعوة في أوسع نطاق.

محمد بن عبد الله

من الخير الذي رأوه في ظل أكسرة فارس وقياصرة روم.

وحين نتابع أوصاف المسلمين الفاعحين - كما شرحتها بعض المتصفين من المستشرقين - نجد أن الجواهر ومقت حلة العقيدة الطاهرة بشيء من الدهشة، ورأت فيهم نماذج خلافة الفضل والعدل، فلم يكتشوا غير قليل حتى زاحوم عليها ١١

أجل: زاحوم عليها، وناقوم فيها، واعتنقوها ليعملوا بها مثل أو أجل من أصحابها الذين تقلوها، مصداق قول الرسول الكريم: « رب مبلغ أوهى من سامع »، « رب حامل قته إلى من هو أفته منه ».

الإعجاب بالإسلام في أحوال الفرد، والإعجاب بالإسلام في أحوال الدولة، هو وحده السبب الفعال في تزامم الخاصة والعامة على هذا الإسلام، وارتضاؤهم له...

والإعجاب لا ينبت في النفس خبط عشواء. أنظن العقول النضرة تعجب بالعقول الخرفة؟

أنظن الأخلاق الرضية تعجب بالأخلاق الرديئة؟

أنظن المتقدم في أفكاره ومشاعره يعجب بالتخلف في هذه وتلك؟ كلا كلا....

نفاية القرآن

- ٦٨ -

الهجرة - « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » .

(أ) ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعيًا كثيرًا وسعة .
(ب) ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ، ثم يدره الموت
فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيمًا .

واحدة منها اسم الهجرة كما حملته هجرة النبي
والمسلمين من مكة إلى المدينة ؛ حتى أصبحت
هذه الكلمة كعنوان خاص : فيه من المعاني ،
والذكرات ، والمقاصد ، ما يحتاج إلى بسطة
في القول ، وفحة في الرمن ، على نحو ما نرى
من عناية السكاكين سلفاً وخطاً ، وحتى
صارت الأذهان تنشط - عند ذكر كلمة الهجرة -
إلى استشعار قصص حق ، مضاعف ،
رائع ، خلاب عن شأن من شئون الإسلام
الحامية .

فن الحق الذي صرنا إليه أن نعتبر هجرة
محمد والمسلمين حادثاً أول في نوعه ، ومبدأ
جديداً في بابه ، وعبرة شاخصة على الرمن ،
وأن يعتبره المسلمون الأولون صدر التاريخ .

٢ - كانت دعوة محمد - صلوات الله عليه
وسلامه - سلبية رفيقة ؛ لأنها حق ، ولحق مع

١ - - حادث الهجرة النبوية الذي نحن
بصدده اليوم : لم يكن الأول في بابه - فيما
نقهم من التاريخ - فقد هاجر إبراهيم - عليه
السلام - بدينه ودعوته من العراق إلى الشام ،
بعد أن تحذاه الفرس ، وحاولوا أن يحرقوه
بالنار .

وهاجر موسى - عليه السلام - مع المؤمنين
به من بني إسرائيل ؛ فراراً من فرعون وجنوده
بمصر ، واستدراجاً لهم إلى البحر ؛ لينجو
موسى ومن معه ، ويغرق فرعون وجنوده
ويشبه ذلك أن تحول عيسى عليه السلام
من بلده وموالده - بيت لحم - إلى أورشليم ،
حيث انتهت حياته في بني إسرائيل .

ولكن هذه الهجرة ونحوها لم تأخذ ما أخذته
هجرة محمد - عليه وعلى صحبه الصلاة والسلام -
من الأهمية في ميزان التاريخ ، ولم تحمل

وإذ بلغ الشر مبلغه كان جائراً أن يأخذ الله قريشاً بهذا من عنده ، كما فعل بأهم سابقة ، فسلط عليها الأعاصير المحرقة ، أو الفرق المبيد أو للصيحة والصواعق الماحقة ، ولكن الله أكرم محمداً حتى في خصومه ، فأعصاهم من هلاك عاجل ، وأمهلهم إلى هذاب آجل ، واستجاب فيهم لدعوة محمد لم « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » ، أو لعل الله يخلق من ظهورهم من بعده .

٤ - ثم لما استجاب لدعوته أناس من حجاج المدينة ، وكثر بهم عدد المؤمنين من أبناء مكة أذن الله لمحمد بالمقاتلة ، دون إيجاب لذلك ؛ « أذن للذين يقاتلون ، بأنهم طلبوا وإن الله على نصرهم لقدير » ، ثم تدرج الإذن بالقتال إلى تكليف به ، إذ أصبحت للسلين كثرة ؛ « وقالوا لم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله » .

ولكن : كيف يتماثل محمد وهو مع القلة من مؤمنى مكة يعيشون فيها بين جمهرة ساحقة من كفار قريش ؟؟ ليس ميسوراً أن يحضر إليه الأنصار من المدينة ، ويتخلفوا عن وطنهم ، وأموالهم ؛ ليهاجروا قوما أشداء في بلدهم .

وليس سهلاً أن يظفر المحارب الدخيل على مواطنين يرفون مداخل بلدوم ويخارجها . وكما يقال : أهل مكة أدرى بشعابها .

هدوئه صولة تبدو وضيفة رحيمة . ولكنها لقيت خصومة باطلة عارمة .

وللباطل دولة ، يبدو فيها متجها عانيا . فما يكاد الحق ينبثق نوره حتى تبهت جهامة الباطل . . ولا يكاد الحق ينتثر رحمة ، حتى يذل جبروت الباطل ، ويستقر الأمر على خير ما أراد الله ، ويعيش الحق في سلطان الله ورعايته ، ويذهب الباطل ، أو يعيش في غير محبة الله ، حتى يزهر يوما ما ؛ « إن الباطل كان زهوقا » .

٣ - اشتد الحجاج من قريش مع محمد ، وبشدد ما كان شفوفا بهدايتهم ، ووفيا لقرايتهم ، كانوا ينفرون من نصحه ، ويتجهمون لشخصه ، وينسون ما بينه وبينهم من لمة ، ودم ، ورحم .

ومع ما لقي من عنتهم له ، وإيذائهم لمن يتابعه ، كان مأموراً بالتجاوز عن مساوئهم ؛ « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين » .

ولم يكن يستطيع غير الصبر والمصابرة ، فإذا اشتد به الضيق من مهايتهم لاذ بالصبر كما عليه ربه ، ولم يكن مأذوناً له - حتى بعد انضمام أناس إليه - أن يحاول الدخول معهم في حرب ؛ لأنها مجازفة بالقلة العارية عن قوة ، أمام الكثرة المستحصية .

ولما اقربت ليلة المؤامرة التي دبرتها قريش
لقتلك بالنبي ، وأعدت لها طائفة من شبابهم
الأشرار أذن الله لنييه بالمجرة .

وهنا تبدى المواقف الحاسمة ، ويكون
الرأي ، والتدبير ، والخيلة في إحباط مكر
قريش وتغلب مكر الله سبحانه .

فأبو بكر في داره يترقب نبأ الخروج
من يوم إلى يوم ، غير كاره لمكة ، ولكن
يثأراً لصحة الرسول ، وشغفا بالانضمام
إلى الأنصار ، وفي ساحة الهجرة من يوم جمعة ،
وحين غفوة الناس من حر الظهيرة يخرج
النبي - صلوات الله عليه - نحو بيت أبي بكر ،
ويسر إليه نبأ المجرة ، ويأذن له بالخروج
معه ، ويتفقان على التنفيذ من ليلتهما ،
على أن يكون ارتحالهما - أولاً - إلى غار في جبل
ثور ، بعيداً عن مكة ، وعلى شرف منها .

ولم يكشفوا ذلك إلا لنفر قليل : حاشة ،
وأسماء ، وأخوهما عبد الله ، ثم عامر بن فهيرة
خادم أبي بكر ، وعبد الله بن أريقط ، وهو
قرشي على دين قومه ، ولكنه أجهز ، دليل
على الطريق أمين ، وقد أسله أبو بكر راحلتين
ليحضر بهما إلى الغار بعد ثلاث ليال .

وإذا انتهى النبي وصاحبه إلى الغار اختفيا
فيه ، وظل عبد الله بن أبي بكر يقضي نهاره
في قريش ، ويرقب تدبيرهم ، ويسمع أخبارهم

لذلك : كانت السياسة الرشيدة التي رسمها
الإسلام ، وجعلها منها متبوعاً لنا إذا
اقتضت الحال في موقف كهذا - أن يهاجر
محمد وأصحابه إلى المدينة بلد الأنصار
الكثيرين الذين دخلوا في الإسلام ، وحالفوا
محمداً صادقين على التضحية معه في سبيل الله .

• - وقد أذن الله لمحمد أن يسمح
لراعي الهجرة من أصحابه أن يبادروا إليها ،
فصاروا يتابعون إلى المدينة أرسالا أرسالا .
أما هو : فقد بقي متطلعا إلى إذن الله له ،
وأتى على أبي بكر معه ، فلم يسمح له
بالخروج قبله .

أحس قريش من هجرة أصحاب محمد
أن الأمر جد لاهزل ، وأن من وراء ذلك
خطراً جماعياً سيحقق بهم ، فأخذوا يحزمون
رأيهم ، ويدبرون كيدهم ، ويبستون شراً ،
ويرجعون به ، وهم في وجل مما وراء ذلك
التجمع في المدينة ، حتى رتبوا مكيدة القتل
لنبي ، أو الإيقاع به على أي نحو يكون ،
وفاتهم أن الله محيط بما هم عليه ، وكاشف
لنييه ما يخفون ، وإذ يترك بك الذين كفروا ؛
ليثبتوك - يمنعوك من مواصلة دعوتك -
أو يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ،
ويمكر الله ، والله خير الماكرين ، أم يقولون :
شاعر ، تربص به ريب المنون . قل تربصوا ،
فإني معكم من المربصين .

إحدهما :- في حادثة سراقه بن مالك -
ثانيتهما :- في قصة أم معبد بنت كعب الخزاعية .

أما سراقه فكان مشركا ، سمع أن قريشا
فرضت على نفسها عطاء ماليا جزيل لمن يأتيها
بنيا محمد ، وإلى أين ذهب .

وكان سراقه ذا أمل في أشباح مرت من
بميد ، فامتلى فرسه ، واتجه إلى وجهة
الأشباح ، قرأها محمدا وأصحابه ، وعند اقترابه
منهم ساخت قوائم فرسه ، وثبتت مكانها
عاجزة عن النهوض ، فاستغاث بالنبي وطلب
إليه أن ينفوخه ويدعوله ، فإذا ما انطلقت
فرسه فسيحود كما أتى ، ولن يفضى بشيء من
ذلك ، وقد استجاب له النبي صلى الله عليه وسلم ،
وقبل وعده ، ودعا له ، فنهضت فرسه ،
وعاد الرجل ، ووفى بوعده ، ولم يتحدث
بهذا ؛ إلا بعد أن استقرت الأمور وأسلم .

وأما أم معبد بنت كعب الخزاعية ،
فكانت في نأى عن القوم ، تقيم في خيمتين
لها ، وزوجها يندو ويروح بالنعم ، وهي
في مقرها ، وكانت تسقى وتطعم من يمر بها
من المسافرين ، فمر بها المهاجرون وهم في
حاجة إلى طعام وشراب ، فألها النبي
صلى الله عليه وسلم - وهي لا تعرفه - عن شيء
من القوت ، فاعتذرت وأقسمت له أسفة ،
وكن عندها شاة مزيلة متخلفة عن الرعي ،
لا لبن فيها ، ولا يرجى منها ، فلأخذها النبي

ثم يأتي ليلا إلى الغار ويروى ما عرف ،
وفي الصباح يعود إلى مكة كما كن .

وظل حارس بن نهضة يندو بأغنام أبي بكر ،
يربها قريبا من الغار - وفي رواجه مساء
يمر بها على الصاحبين ، ويطلب لها ما يحتاجانه
من لبن .

وقريش تهمد نفسها في البحث وتتعب
محمدا وصاحبه هنا ، وهناك ، حتى وقفوا يوما
على باب الغار ، واشتد الملح بأبي بكر خوفا
على حياة الرسول ، فكان النبي يهذي من روع
صاحبه ، ويقول له : يا أبا بكر ! لا تمزن ،
إن الله معنا ، وقد ضلت قريش ، وحجب الله
أبصارهم عن في الغار ، وجعل من نسج
المنكيات على بابه ، ومن تفرخ الحمام
على مدارجه صارقا لقريش عن الإيعان
في داخل الغار ، ومكروا ومكر الله والله خير
المساكين .

فلما كن موعد عبد الله بن أريقط بعد الليلة
الثالثة حضر بالراحتين ، وحضرت أسماء بالراد
والماء ، وحينما أرادت تعليق الزاد بالرحل
وأحتاجت إلى رباط شمت نطقتها - حزامها -
نصفين فصارت بأحدهما قربة الماء ، وبالثاني
جراب الطعام ، فسميت من ذلك الحين بذات
النطاقين ؛ مفعلة لها ، وتقديرا لموقفها ،
ثم سار محمد وصحبه على بركة الله وفي رعايته .
٦ - وهنا يجيبان من مكارم الله لنيه :

سلوا أختكم عن شاتها وإناتها
فإنكمو إن تسألوا الشاة تشهد
ومن ذكر أم معبد في هذه الآيات ، وذكر
محمد ورفيقه ، أيقنت قريش أن محمدا وصحبه
قصدوا إلى المدينة لأن سيلها تمر بخيمتي
أم معبد .

٨ - وما كاد النبي وصحبه ينتهون من سفرهم ،
ويستقرون بين الأنصار حتى تهبأت للسلمين
حياة أرحب ، وأخذت قوتهم تزداد ،
ورهبهم تشيع .

وأخذوا ينشئون المساجد ، ويوتقون
العلة بين الأنصار والمهاجرين ، وينظمون
حياتهم الجماعية ، ويقومون بأركان دولتهم
الناشئة على أحكام القرآن ، وانبعثت من
جانبيهم إلى الآفاق سيرة عطرة .

وبدأت غزواتهم تشق للدعوة طريقتها ،
ونفسح لسلطانهم أن يمتد ، حتى تهبأت لدين الله
الحق أن ينشر لواءه ويركز قواعده في بلاد
غمرتها الضلالة ، ومزها الطغيان .

ومن ذلك الحين تأكلت قريش أن شمهم
آفة ، ودولتهم زائلة ، وكملوا أن يطفئوا
نور الله بأفواههم ، وسلاحهم ، ولكن الله
أتم نوره ، فأصبح للإسلام دولة ، ولأمته
أعجام ، وصار لها في سجل الحضارة ومجال العلم
صفحات مشرقات .

في حلب الشاة فأذنت له ترصية ومرودة ،
ولم تكن تأمل في الشاة لبنا ، فسمى النبي
باسم الله ، ومسح ضرع الشاة بيده فدر منه
اللين الغرير ، فشربت أم معبد وشرب السفر ،
وبقي عندها شيء كثير ، ثم غادروها ، وظلت
في عجب ، حتى عاد زوجها بنفاته ، ووجد
عندها بقية اللبن ، وسأها فقصت عليه النبأ
فعرف الزوج أن هذا شأن الرجل الذي
سمع به في قريش - محمد - وأيقن أن تلك
الأوصاف أوصافه التي يتحدثون عنها
في الأندية والأسفار .

٧ - وإلى هنا كانت قريش في بأس من
الوقوف على أثر محمد ، وفي جرح من فشلها
فيما دبرت ، وفي حيرة مما تصنع .

وعلى حين غفلة سمع الناس في مكة هاتفا
ينشد أياتا من أناشيد العرب وهم لا يرون
شخصه .

وما زالوا يتبعونه ويسمعون غناؤه حتى
خرج من أعلى مكة وهو يقول وهم يسمعون :
جزى الله رب العرش خير جزائه

رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ، وارتحلا به

وأفلق من أمسي رفيق محمد
لبن بني كعب مكان فتاتهم

ومقعدهما للؤمنين بمحمد

ويرى بعض العلماء بقاء الهجرة واجبة إذا تجددت أسبابها ، وغلب المسلم على أمره في بلده ، وهذا مفعول فإن الحكم يدور مع علته .

وعلى أى القولين فهناك هجرة واجبة ، دائماً ، وهى هجرة المعاصي ، حضراً وسفراً ، وهى جهاد أكبر كما قال الرسول لمن سأله عن الجهاد : فسمى جهاد النفس الجهاد الأكبر ، والجهاد لنفسه هو المهاجر لما نهى الله عنه .

١٢ - وبعد : فعند ما أذن الله لثني أن يسمح لاحتجابه بالمهجرة ، وأمره بعد ذلك أن يرحل مكة لم يكن النبي زاهداً في بلده ، بل كان يحبه أكثر مما يحب أى إنسان وطنه ، ولكنه يؤثر دينه على وطنه ، إذ ضاق به أهله ، ويؤثر أنصاره على قومه حبا فيمن أحبوا الله ، ورسوله واتبعوه ، وإن صاروا حرباً على قومه .

ولقد كان من حبه لمكة أن يسأل عنها من قدم إليه من أهلها ، وكان يذرف الدمع إذا حابه الحنين إليها ، وكان من قوله فيها : والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك لما خرجت ، وكيف كان يكره مكة وهى اللد الذى رفع الله من شأنه ، ومازه بمناقب لم تكن في بلد من الدنيا مما يطول بنا ذكره .

٩ - فإن يكن حادث الهجرة في أوله صراعاً بين الحق والباطل ، أو محاولة من محاولات البطولة الصامدة في وجه الكثرة الباغية فهو في نهايته نصر مؤزر للجهاديين الصادقين وهو في قدره منقبة من مناقب الإسلام ، وسيظل مفخرة لأهله ، حتى يلتقى عند الله محق ومبطل ، ويقضى الله بين الخصمين أمراً كان مفعولاً .

١٠ - وليس الحديث عن الهجرة مجرد قصص لما كان ، وإنما هو تجديد لمأثرة من مآثر أسلافنا نستمد منها العبرة ، ونأسى بما فهم من عزيمة ، وما كان لهم من ثبات على الحق ؛ لتظل راية الإسلام كما أقامها الأوائل خفاقة ، وتظل أجداد الإسلام مشهودة ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

١١ - ثم ما حكم تلك الهجرة في أمها وبومنا ؟؟ في أولها كانت معروضة ؛ لعجز المسلمين في مكة عن القيام بدينهم في أمان .

وبعد أن قربت شوكة المسلمين وفتحوا مكة لم تعد واجبة لزوال أسبابها .

ومن كلام النبي في ذلك : لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا ، يعنى إذا دعيتم للجهاد ، فانخرجوا إليه .

أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ، فهم آمنون من عذاب الله إن ظلوا على إيمانهم .
الفرقة الثالثة : المهاجرون فعلا ، فلم يأتوا أرض الله فسحة ، ودرغام - تراب يعششون عليه ، ويستثمرونه ومن هؤلاء المهاجرين من يخرج ثم يموت قبل أن يصل إلى مبعده ، وهذا في حكم المهاجر الذي وصل ، له الأجر ثابت عند ربه ، وفيه قول الله تعالى : « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله عفوا رحيمًا » .

هذه آيات الله في بيان الهجرة وجزائها ، ولكنها الهجرة في سبيل الله ، لا في مفايح الدنيا ، والتماس المتاع في جنباتها ، فإن ذلك يجر إلى الانحراف ، ويبعد عن مقاصد الخير ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله - يعني محسوبة له - ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » ، يعني غير محسوبة له هجرة ؟

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

ولكن حب الوطن شيء ، والقيام بنصرة الدين شيء آخر . وحب الأهل شيء ، وحب الحق شيء آخر .

١٣ - غير أن ناسا من المسلمين بمكة غلبهم حب وطنهم ، فتخلفوا عن الهجرة ، وظلوا في قريش يكثر بهم سوادها ، وتجرى على مشهد منهم منكراتها ، فزلت الآيات في فرق ثلاث .

الأولى : أولئك المتخلفون بغير عذر « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا - يعني يقول لهم الملائكة يوم القيامة - قيم كتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض . . . قالوا - الملائكة - : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، ذلك جزاؤهم لأنهم متظاهرون بالإسلام .

الفرقة الثانية : العاجزة لكبر أو لمرض أو نحو ذلك من الموانع ، هؤلاء غير مؤاخذين ، وهذا قول الله فيهم « إلا المستضعفين من الرجال ، والنساء ، والولدان ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا . فأولئك صى الله

ذوالنوز المصري

١٥٥-٢٤٥ هـ

للأستاذ الدكتور أحمد فوزي البهروني

من م ؟ فقال : من لا يعرف الطريق إلى الله تعالى ، ولا يتعرفه .

وكان يقول : سيأتي على الناس زمان تكون الدولة فيه للحق على الأكياس . (قلت : وهذا استطراد للشعراني - واللاحق من أنجع نفسه هواها ، وتمنى على الله تعالى الأمان ، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) .

وكان يقول : لم يزل الناس يسخرون بالفقراء في كل عصر ليكون للفقراء رضى الله عنهم التأسى بالانبياء عليهم الصلاة والسلام . وقال : قد جاءنى امرأة ... الخ .

حديث التماسح إذن كرامة من كرامات ذى النون ، جعلت تلك المرأة تتأدب في حق الفقراء من المتصوفة ، وتقلع عن السخرية بهم ، ولم يشر عبد الوهاب الشعراني أى إشارة يفسر بها هذه القصة : التفسير الذى يستفاد منه أن لقب ذى النون إنما يرجع إلى هذه القصة ، والشعراني لم يتعرض أبدا لتفسير لقبه ، وإنما اعتمد بعض المحدثين على هذه القصة

أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ، لقب بـ ذى النون ، وقيل : ذو النون المصري ؛ لأنه ولد بمصر و عاش فيها . واختلفوا في أصل موطنه أهو من مدينة إنجيم بصعيد مصر ، أم من بلاد النوبة في أقصى الجنوب من الأقليم المصري ؟ وتروى في سبب تسميته بـ ذى النون حكاية طريفة تذكرها عن الطبقات الكبرى للشعراني : قال - أى ذو النون - قد جاءتنى امرأة فقالت : إن ابنى أخذه التماسح ، فلما رأيت حرقها على ولدها أبيت النيل ، وقلت : اللهم اظهر التماسح ؛ فخرج إلى ، فشقت عن جوفه ، فأخرجت ابنها حيا مصيحاً ، فأخذته ومضت ، وقالت : اجعلنى في حل ، فإنى كنت إذا رأيتك سحرت منك ، وأنا نائمة إلى الله عز وجل .

ساق الشعراني هذه القصة في معرض حديث السخرية بالمتصوفة وهم الفقراء ، فذكر قبل الرواية السابقة مباشرة مانعه :

وستل رضى الله عنه عن السفلة من الخلق

وأنه عالم بآثار مصر القديمة . وهذا هو ما جاء في أخبار الحكماء للقفطى : « ذو النون ابن إبراهيم الإخميمى المصرى ، من طبقة جابر بن حيان فى انتقال صناعة الكيمياء ، ونقله علم الباطن ، والإشراف على كثير من علوم الفلسفة . وكان كثير الإلزامه لبرهانه بلده إخميم ، فإنها بيت من بيوت الحكمة القديمة ، وفيها التصاوير المعجبة ، والمثالات الغريبة ، التى تزيد المؤمن إيماناً ، والكافر طغياناً . ويقال : إنه فتح عليه علم ما فيها بطريق الولاية وكانت له كرامات » .

وليس ما ذكره المسعودى فى مروج الذهب حجة يستدل منها على معرفة ذى النون بالكتابة الهيرغليفية . فقد سمع المسعودى من أهل إخميم أن ذى النون : « كان من يقرأ عن أخبار هذه البرابي ودورها ، وامتنع كثيراً مما صور فيها ، ورسم عليها من الكتابة والصور . قال : رأيت فى بعض البرابي كتاباً تدبره ، فإذا هو : « أحذروا العبيد المعتقدين ، والأحداث المفترين ، والجند المعتقدين ، والنبط المستعمرين » . قال : ورأيت فى بعضها كتاباً تدبره فإذا فيه : « يقدر المقدور والقضاء يضحك » . وزعم أنه رأى فى آخره كتابة وتبينها بذلك القلم الأول فوجدها :

تدبر بالنجوم ولست تدبى

ورب النجم يفصل ما يريد

فى الموازنة بينها وبين قصة يونس الواردة فى القرآن ، والذي أثبت له الموت ، والحيوت هو « النون » ، ولذلك سمي يونس ذى النون وسمى ثوبان بن إبراهيم ذى النون كذلك .

قد يكون فى هذا التأويل بعض الصواب ، ولكنه تأويل متعسف ، ولم يعرض أحد من قدماء المؤرخين لتفسير هذه التسمية ، كما أن قصة التمساح هذه لم يذكرها القدماء ، وإنما وردت عن بعض المتأخرين ، ونحن نشك فى صحة وقوعها .

ونحن إذا تتبعنا أخبار ذى النون عند المؤرخين الأقدم فالأحدث ، وجدنا ظاهرتين تحيطان بحياته : الأولى أننا كلما رجعنا للتأخرين من أمثال الشعرائى وغيره ، وجدنا تزيدها فى الروايات ، ورأينا قصصاً جديدة لم يذكره المتقدمون . والظاهرة الثانية أن كل مؤرخ يذكر الجانب الذى يهجه من ذى النون وقد كان متعدد الجوانب ، فهو محدث ، وهو عالم بالكيمياء ، وهو من اشتغل بحل طلاسم الكتابة الهيرغليفية ، وهو صوفى .

فإن النديم فى الفهرست يذكره من جملة علماء الكيمياء ، ويذكر أن له كتابين فى هذا العلم ، كتاب « الركن الأكبر » ، وكتاب « الثقة فى الصنعة » .

والقفطى فى أخبار الحكماء يسميه بصفتين ، أنه عالم كيانى من أكبر العلماء فى هذه الصنعة ،

ويقول في ذلك : (وتبدو شخصية ذي النون الحقيقية في وضوح فيما يذكره عنه ابن القفطى في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء حيث يقول) : ثم أورد رواية القفطى بتأنيدها ، وبعد ذلك تكلم عن المسعودى الذى (توفى بعد ذى النون بمائة سنة كاملة ، وكان أول مصدر تكلم عنه ، فيخبرنا بأنه جمع معلوماته عن ذى النون من أهل إخميم عندما زار هذا البلد ...) .

تفة فيكلسون إذن في رواية المسعودى ترجع إلى أنه جمع أخباره من أفواه أهل إخميم ، الذين حدثوه عن ذى النون من أنه كان يعطيل القوف برسوم البراني وما فيها من تصاوير ، وأنه حل رموز هذه الرسوم . وقد حدثك من قبل أن المسعودى نفسه شك في قيمة معرفة ذى النون بآثار قدماء المصريين ، والنصوص المترجمة التي أوردتها تشهد بما لا سبيل إلى الريب فيه أنه لم يبلغ من العلم بها شيئا .

ولكن الأستاذ نيكلسون لا يثق فقط في علم ذى النون بلغة قدماء المصريين وأسرارهم ، بل يربط على ذلك الصلة بين علم الكيمياء وبين علوم الأسرار المدونة في رسوم قدماء المصريين ، اعتمادا على ما ذكره أصحاب المقالات عن هرمس ، وهو الذى إدريس ، وهو أخنوخ ، وأنه أول من بنى هياكل

ومن الواضح من هذه النصوص المترجمة أن ذا النون لم يكن يعرف اللغة الميريغليزية ، ولذلك شك المسعودى نفسه في علمه بها ، فقال : « وزعم » . وبذلك نستبعد من ثقافة ذى النون المعرفة بآثار قدماء المصريين ، التى حاول كأي شخص ينشد استطلاع المجهول حل طلاسمها ، ولكنه لم يوفق .

وتبقى من هذه الثقافة العلم بالحديث والفقه ، والعلم بالكيمياء والفلسفة ، ثم علم التصوف .

— ٢ —

وأفضل من كتب عن ذى النون حتى الآن وحلل شخصيته من جملة الروايات المذكورة والمتناثرة في كتب التراجم والطبقات ، هو الأستاذ نيكلسون ، في كتابه (في التصوف الإسلامى وتاريخه) وهو الكتاب الذى نقله إلى العربية الدكتور أبو العلا عفيفى (١) .

غير أن هذه الدراسة على عمقها وأصالتها انزلت فيها صاحبها إلى الأخذ بالروايات على لسان ذى النون دون أن يحصنها ، ودون أن يعرضها على ميزان النقد العلمى والتاريخى ، فيقبل ما يتفق مع العقل ، ويرفض ما لا يتفق معه ، وبخاصة إذا خلت الرواية من السند ، وجرت على ألسنة المتأخرين .

مثال ذلك أن نيكلسون يقبل رواية القفطى

(١) في النصوص الإسلامى وتاريخه من ٧-٢١٠ .

الكيمياء مشهورين كنفك ، مثل الرازي وابن سينا .

حقاً اقترنت الكيمياء بالسحر والطلسمات ولكن ذلك عند المشعوذين لا عند العلماء بمعنى الكلمة . ويبدو أن فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب ، وهى الفكرة التى سادت فى عصور متأخرة بعد القرن الرابع ، هى التى وصمت الكيمياء بهذه الوصمة الباطلة ، ولذلك كان المشتغلون بالكيمياء ، أى : بتحويل المعادن الخسيسة إلى نقيصة ، يعملون فى الخفاء ولكن الرازي وابن سينا وغيرهما لم يتجهوا هذه الوجهة السرية الباطنية ، وهم الذين وضعوا أسس ذلك العلم بمعنى الكلمة .

نحن إذن أمام أحد أمرين ، إما أن يكون ذو النون علماً حقيقياً بالكيمياء لامشعوذاً ، وهذا يقتضى النظر فى كتابيه اللذين أوردهما صاحب الفهرست وهما : الركن الأكبر ، وكتاب الثقة فى الصنعة . ولكن يبدو أن اللذين قرئوا بينه وبين جابر بن حيان ، وهو الذى كشفت كتبه عن شخصيته ، إنما يصفونه بالعلم فى هذه الصناعة .

ولما أن يكون ذو النون من المشعوذين ، وهذه أيضاً قضية لا نستطيع الفصل فيها دون الرجوع إلى كتبه .

أما ما قيل من أن جابراً كان يلقب بالصوفى ، فليس هذا دليلاً على أن كل مشتغل بالكيمياء

الأهرام ومدائن البرابي . ثم رتب نيكلسون على ذلك أنه يظهر من كل ما تقدم أن ذا النون كان من أصحاب الكيمياء والسحر ، (١)

ثم تكلم نيكلسون بعد ذلك كلاماً كثيراً عن الصلة بين السحر ، والكرامات ، والتصوف ؛ ليصل من ذلك إلى أن المتصوفة وصلوا إلى هذا السلوك من باب الكيمياء والسحر .

نقول : الاستدلال الذى يقدمه نيكلسون لا يستند إلى أساس صحيح . ذلك أن علم الكيمياء نقل إلى العرب فى عصر الترجمة ، بل قبل عصر الترجمة ، ويقال إن خالد بن يزيد الذى عاش فى آخر القرن الأول الهجرى كان أول من نقل كتاباً فى الكيمياء . ولكن مما لا شك فيه أن القرن الثانى للهجرة شهد كثيراً من الترجمات عن اليونانية والفارسية والهندية فى هذا الفن ، الذى يتصل بالمعادن والسوائل وخصائصها ، وفائدة ذلك كله فى الصناعات ، مثل : صناعة السكر والورق والخبر والألوان والمطور والروائح ، وأهم من ذلك صلة الكيمياء بالعقاقير وتحضير الأدوية النافعة فى العلاجات ، فهناك صلة وثيقة بين الطب والكيمياء ، وقد كان الأطباء المشهورون البارزون ، من علماء

القومية في عهد الأيوبيين

للاستاذ شفيق جبوري

المعيد السابق لكلية الآداب بدمشق

القومية في عصر الأيوبيين كان اسمها النخوة العربية :

كنت أعتقد أن النزعة التي غلبت على عصر صلاح الدين الأيوبي وأسرته إنما هي نزعة دينية لا غير ، وقد رسخ في هذا الاعتقاد زمناً طويلاً حتى كنت من أيام يسيرة أناقض جماعة أرادوا أن يجعلوا صلاح الدين رمز القومية العربية ، والذي حلني على هذا الاعتقاد ما كنت أعلمه من أن الصليبيين لما غزوا هذه البلاد كل همهم في الظاهر تخليص قبر السيد المسيح من أيدي المسلمين ، ولست أنسى زيارتي لأستاذ من أساتذة جامعة سياتل ، في الولايات الأمريكية المتحدة ، ولما ودعت هذا الأستاذ في جامعته دفع إلي كتاباً عن الصليبيين للاطلاع عليه ففتحت هذا الكتاب فوقع نظري عرضاً على قصيدة فرنسية من أيام الصليبيين اسم صاحبها :

Eustache Deschamps وفيها بيتان بحث فيهما الشاعر قومه على جمع الكلمة وتأليف القلوب لإتقاذ الأرض المقدسة ، وأذكر أني قلت لذلك الأستاذ في حينه : اقرأ هذين

كثرت في أيامنا هذه استعمال كلمة : القومية العربية ، فلا تكاد تخلو خطبة أو مقالة أو قصيدة من هذه اللفظة ، وعلى ما به رأينا من الضرورة أن نبعث عن أصول هذه القومية في تاريخنا ، حتى نستطيع أن نصل حاضرنا بماضينا ، ولكننا لا نقف إلا على عصر واحد من هذا التاريخ وهو عصر الأيوبيين .

لم يحدد العصر الذي نعيش فيه معنى القومية تحديداً شاملاً ، فلهذه اللفظة معان تختلف على اختلاف الأذهان التي تستفيض فيها ، غير أننا ننظر إلى القومية في مقالنا هذا من زاوية واحدة ، فالقومية في نظرنا إنما هي تعلق الناس بآثار قومهم في الماضي ، فلا نريد أن تتخطى هذا المعنى البسيط حتى لا نضيع في مهاب التعريفات فإذا كان هذا هو معنى القومية في نظرنا فكيف كان نظر التاريخ إلى هذا المعنى على أيام الأيوبيين .

لا شك في أن القومية لم يكن لها في القديم المعنى الذي اصطالحنا عليه في الحديث ، إلا أنهم لم يجهلوا روح هذه القومية وإن كانوا يطلقون عليها اسماً آخر ، فسنجد بعد سطور قليلة أن

تفارق السطور ولكن إلى جنب هذه الصيغة
صبغة قومية عربية واضحة .

فقد جاء في أحد كتب ابن الأثير :

« ورجال العرب هم المسلمون في مجال
الحرب على رجال فرسه وروحه ، وإن ارتاب
بذلك مراتب فليسال عنه أهل النهر ، وأهل
الخليج ، وما منهما إلا من هو من آثار تلك
الحروب المتقدمة في أمر مبرج » .

فإذا كانت القومية على نحو ما عرفها أحد
الكتاب الفرنسيين إنما هي التغنى بآثار
القوم في الماضي ، فإن الأثير في تفصيله العرب
على الفرس والروم في مجالات الحرب يتغنى
بزعة قومية صريحة ، إلى جنب تغنيه بزعة
دينية تناسب عصر الأيوبيين .

وجاء في كتاب آخر كتبه إلى الأمير
حسام الدين نائب الملك الأشرف وقد وحل
الخوارزمي عن خلاط غائباً :

« وقد رأى الأعاجم منه نخوة عربية تهز
الآهوال هزاً ، وتهزها برأ ، وتأتى الحياة
ما كانت ذلاً ، وتهوى الموت ما كان عزاً ، وهى
التي نقصت عليهم ماقلوه ، وأبطلت ما عملوه ،
وعرقتهم ما جهلوه » .

فهذه النخوة العربية التي وصفها ابن الأثير
إنما هي أبرز صورة من صور القومية
العربية ، هذه النخوة التي تهز الآهوال ، وتأتى
الذل هي أشرف ما يتغنى به العرب .

اليتين ، أفرهما في الليل والنهار ؛ لأنكم معاشر
التصارى أولى الناس يومنا هذا بإتقاد
الأرض المقدسة .

أجل ، كنت أعتقد أن الصيغة في زمن
الأيوبيين كانت صبغة دينية ليس إلا ،
ولكنى اليوم عدلت اعتقادي بعض التمديد ،
فقد كنت أطلع رسائل ابن الأثير التي
نشرها الأستاذ أنيس المقدسى بعد تحريرها
وتحقيقها ، فقرأت في مقدمة الناشر ما يلي :

« ونحن في نشرنا لرسائله ، لا نقصد فقط
إلى الناحية اللغوية والأدبية منها ، بل ننظر
أيضاً إلى ما تلقى من أضواء ، على أحوال
عصر من أهم العصور في التاريخ تعنى به عصر
صلاح الدين الأيوبي وأسرته ، ولأجل هذه
الغاية عطينا قبلاً بنشر ديوان ابن الساعاتي
وهو من كبار شعراء ذلك العصر » .

لا ريب في أن رسائل ابن الأثير ألقت
بعض النضياء على عصر صلاح الدين وأسرته
من الناحية القومية ، فقد نصفت طائفة
من هذه الرسائل ، وظهرت لي في خلال
ما تصفحه منها زعة أحب أن أسميها زعة
قومية ، فن كتب ابن الأثير كتب كتبها إلى
الملك الأشرف عند نزول العدو الخوارزمي
على مدينة خلاط ، في هذه الكتب صبغة
دينية لا شك فيها ؛ فإن كلمة الإسلام لا تكاد

العرب وآثار العرب وديار العرب. ولو قدر الصليبيين أن يستولوا على هذه البلاد لحجروا فيها كل مظهر من مظاهر القومية ، وأكبر هذه المظاهر اللغة والأدب .

بإذا بحثنا بعد اليوم عن عصر صلاح الدين الأيوبي وأسسه فإتينا لا نستطيع أن نجرد هذا العصر من نزعتين متلازمتين متناقضتين: نزعة دينية ونزعة قومية في وقت واحد .

وإني أرى عصر صلاح الدين في هذا المعنى امتداداً لعصر سيف الدولة ، فكما كان فضل الأيوبيين عظيماً في رد الصليبيين عن هذه البلاد وحفظ الدين ولغة العرب وأدب العرب ، فكذلك كان فضل الحمدانيين في رد الروم عنها ، لقد كانت نزعة الروم في محاربة سيف الدولة ، والتفكير في الاستيلاء على بلاده وما وراءها نزعة دينية ، فكان ملك الروم إذا غزا بلاد المسلمين جهم وجلاله بالصليب الأحمر ، وإذا رجعنا إلى الشعر الذي شاع في عصر سيف الدولة وجدنا على هذا الشعر آثار صبغة دينية ؛ مجازاة لطبيعة الحرب بين المسلمين والروم ، ولكن الشعراء هم ألسنة الأمة الناطقة في كل زمن من الأزمان ، جهموا في مدائحهم في سيف الدولة ، وفي وصفهم لحروبه ومغازيه بين النزعتين الدينية والقومية فكانت كلمة العرب لا تفارق قصائدهم .

وآخر ما أحب الاستشهاد به في رسائل ابن الأثير في هذا المعنى كلام جاء في كتابه إلى الأمير حسام الدين :

« ومضى كان كسرى بن كسرى كفراً
لقنعمان بن مقرن أو لسعد بن أبي وقاص... »

ومن أين للعجم وراح العرب التي ترد مهامهم إلى وفاضها وتحمل بسمرتها ما بوجوههم من صفة يياضها ، وتوردهم حياض المنايا فلا يستطيعون صدراً عن حياضها وقد أعوزهم أن ينظروا ما خصهم الله به من العناق الشواذب التي صهواتها معاقل حاصمة لامراكب ، وإذا صدم أحدها قرنه من العجم طاح من بين عوديه ، وخر لفته ويديه ، وصار برذونه لقي كلم على وضم ، أو كسوة في فم جمل ، وتبين حينئذ بسطة العرب وخيلها على العجم وخيل العجم .

من هذه السطور القليلة يتبين لنا أن عصر صلاح الدين الأيوبي وأسسه لم يخل من مظاهر نزعة عربية ، كما لم يخل من مظاهر نزعة دينية . فإن الحرب التي كانت تجمع بين المسلمين وبين الصليبيين كانت حرباً دينية لا شك فيها ، ولكن النزعة الإسلامية في تلك الحرب كانت تنطوي بطبيعتها على نزعة قومية ، فالنزعان منسجمتان ، فقد كان الأيوبيون في دفاعهم عن الإسلام ، يدافعون في الوقت نفسه عن لغة

ولكن الشاعر الذي غلبت على شعره
النحو العربية؛ إنما هو المتنبي. فقد كان في شعره
ياهي بكل شيء عربي، يياهي بلسان العرب،
وبتجان العرب، وبسيوف العرب، وقد
محبته هذه العاطفة الشريفة حتى أحر نفس من
أفكاه الذكية.

فاذا أردنا أن نبعث أصول القومية في أدبنا
وتاريخنا، لزمنا أن نعتي العناية كلها بعصرين
من عصور هذا التاريخ؛ عصر سيف الدولة،
وعصر صلاح الدين؛ فلولاهما لما كانت لنا
في هذه الأيام لغة وأدب ولما كان لنا إسلام.

تفريق جبر

وفي جملة أولئك الشعراء السرى وابن نباتة
وأبو فراس وغيرهم، فما أكرم هذه الصرخة
التي صرخها أبو فراس على لسان نساء بني
كلاب، وذلك أن سيف الدولة اصطنع بني
كلاب وأدناهم وآمن سرهم فقهروا العرب
وعلى كلتهم، إلى أن بنت منهم هفوة
أحفظت سيف الدولة فأسرى إليهم وأوقع
بهم وملك حرمهم وأموالهم، ثم صفح عنهم
وكرم، وجمع الحرم، وكل بن الخدم، وحملن
وأفضل عليهن. وأحسن إليهن فكتب إليه
أبو فراس في تلك الحال قصيدة يقول فيها:

ينادين بين خلال البيوت
لا يقطع الله أصل العرب !

التعصب الكريم

في نهج البلاغة: إن كان لابد من المصيبة، فليكن تمصيبكم لمكارم الخصال، ومحامد
الأفعال، ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها النجاء من ميوتات العرب.

فتمصبوا للخلال الحمد من الوفاء بالذمام، والطاعة لله، والاختصاص بالفضل، والإنصاف
للخلق، والكظم للفيظ، واجتناب الفساد في الأرض.

واحدروا مازل بالأمم قبلكم من المثلات لسوء الأفعال. فقد كروا في الخير والشر
أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم.

أسباب اختلاف الرأي بين المسلمين

للأستاذ محمود أبو رية

وثوكيد هذا الأمر يبين لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه : ليس في شيء من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً . ولكن ما لبث المسلمون أن وقعوا فيما نهام الله عنه ، ففرقوا واختلّفوا في عقائدهم وعباداتهم من بعد ما جاءهم العلم .

ولقد كان لهذا الاختلاف أسباب كثيرة ، منها ما هو سائغ مقبول ، جاء من ناحية الاختلاف في فهم النصوص ومنها ما هو «توت ينص به الحق بما كان مبعثه الأهواء المختلفة وما تخفى الصدور .

بسم الله محمداً صلوات الله عليه بدينه القويم الذي أرسل به من سبق محمداً من الرسل ، وأخرجه في صورة كاملة سمحة أتم بها نعمته على خلقه ؛ ليكون هذا الدين دستوراً صالحاً للناس كافة في حياتهم الدنيوية وما بعدها ، على مد العصور والأجيال ، وقد أمر الله سبحانه عباده أن يلتزموا الصراط المستقيم في اتباعه ، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً في الأخذ به ؛ فلا يفرقون ولا يختلفون ، فقال سبحانه : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

لا سبيل لنا إذن أن نتحقق من أمر ذي النون من الناحية العلمية التي أشار إليها ابن التديم والمسعودي والقفطي ولم يوضحوا لنا أمرها . فلم يبق إلا أن نتناول شخصيته من جهتين : هما اشتغاله بالحديث ، ثم انغماسه في التصوف ، مقيمين في دراسته نفس المنهج العلمي الذي أنبعثه ضد النظر في أمره العلمي .

وهذا ما سنفعله في المقال المقبل إن شاء الله .

دكتور أحمد فوزي الدهواني

« بقية ذو النون »

صوفي ، وأن الاشتغال بالصنعة مطية إلى سلوك طريق الصوفية ؛ إذ ليس ما يمنع من أن يكون الإنسان عالماً بسلوك المناهج العلمية في بحوثه ، ويكون في الوقت نفسه صوفياً في معرفته بالله . فهذا طريق ، وهذا طريق آخر . وكذلك فعل ابن سينا في أواخر حياته إذ كان طبيباً وعالماً ، ومع ذلك سلك طريق التصوف النظري كما يتضح من كتابه الإشارات .

المالكي والشافعي والحنفي والأوزاعي ، ومن ذوى مقالاتهم الجبيري والفردى والمشبى والجهي ، ومن شيعتهم الزيدى والرافضى والسبكي والفرافى والمخمسى والمحمدي وغير ذلك من الفرق - وأن أنه على المواضع التي منها نشأ الخلاف بين العلماء حتى تباينوا في المذاهب والآراء .

ثم أخذ بعد ذلك يتكلم عن « الأسباب الموجبة للخلاف كم هي ؟ » فقال : « إن الخلاف عرض لأهل ملتنا من ثمانية أوجه ، كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها . »

- الأول : منها اشتراك الالفاظ والمعاني .
- الثاني : الحقيقة والجهل .
- الثالث : الإفراد والتركيب .
- الرابع : الخصوص والعموم .
- الخامس : الرواية والتقلد .
- السادس : الاجتهاد فيما لا نص فيه .
- السابع : النسخ والمفسوخ .
- الثامن : الإباحة والتوسيع .

وقال : إن الخلاف العارض من جهة اشتراك الالفاظ واحتمالها التأويلات الكثيرة - ينقسم إلى ثلاثة أقسام : (أحدها) اشتراك في موضوع اللفظة المفردة . والثاني : اشتراك في أحوالها التي تعرض لها من إصراب وغيره . والثالث : اشتراك بوجه تركيب الالفاظ

وقد تكلم العلماء في أسباب هذا الاختلاف وأكثروا ، فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ ، ولم نجد أحداً قد استقصى أسباب هذا الاختلاف بعلم ، ولا بينها أوفى بيان بفهم ، مثل الإمام البطليوس^(١) ، فقد ألف في ذلك كتاباً نفيساً جاء كما وصفه هو أصدق وصف بقوله : إنه « كتاب في أسباب الخلاف الواقع بين الأمة قليل الظنير ، نافع للجمهور ، عجيب المنزع ، قريب المقطع يشبه المخترع ، وإن كان غير مخترع » .

وقد رأيت أن أوافي إخواني المسلمين في أفطار الأرض بفوائد من هذا الكتاب القيم تفهم ولا ريب في علمهم ودينهم ، وأن أنشرها على صفحات مجلة الأزهر لفراء ، بعد أن أصبحت - بحق - تحمل رسالة الإسلام على حقيقتها ، إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، بين المؤلف غرضه من تأليف كتابه فقال : « إنما غرضي أن أذكر الأسباب التي أوجبت الخلاف بين أهل ملتنا - الحنيفية - التي جعلنا الله من أهلها ، وهدانا إلى أوضح سبلها حتى صار من فقهاهم

(١) هو الإمام الكبير أبو محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوس ، سكن مدينة بلنة من جزيرة الأندلس ، له مؤلفات جليلة في الدين واللغة والأدب ، وكل شيء تكلم فيه كان غاية في الجودة توفى سنة ٥٢١ هـ .

القرء في كلام العرب معناه الوقت، فلذلك صح الطهر والحيض معاً .

ومن الألفاظ المشتركة الواقعة على الشيء وضده ، قوله تعالى : « فأصبحت كالصريم » قال : بعض المفسرين معناه : كالنهار المضيء ، يعنيضاء لاشيء فيها ؛ وقال آخرون كالليل المظلم سوداء لاشيء فيها ؛ وكلا القولين موجود في اللغة ؛ أما من قال كالنهار المضيء لحجته قول زهير :

بكرت عليه غدوة فرأيت

تعوداً لديه بالصريم هوأذله

يعني الصباح . وأما من قال كالليل لحجته قول الراجز :

تهوى هوى أنجم كالصريم وقال آخر :

كأنا والرحال على سوار

برمل خراف أسله الصريم

قال بعضهم : معناه : انحصر عنه الرمل وقال قوم : معناه : خرج من الليل وانقضى عنه . كما قال النابغة :

حتى غدا في بياض الصبح منصتا
يقرو الأماعر من لبشنان والأكمام
وإنما سمى كل واحد منهما صريماً ؛ لأنه ينصرم إذا واني الآخر . والمعنى أيضا يشهد لكل واحد من القولين ؛ لأن العرب تقول لك

وبناء بعضها على بعض . ثم معنى فقال : فأما الاشتراك العارض في موضوع اللفظة المفردة فنوعان : اشتراك يجمع معان مختلفة متضادة ، واشتراك يجمع معان مختلفة غير متضادة ، فالأول كالقرء . ذهب الحجازيون من الفقهاء إلى أنه الطهر ، وذهب العراقيون إلى أنه الحيض ، ولكل واحد من القولين شاهد من الحديث واللفظ ، أما حجة الحجازيين من الحديث فاروى عن عمرو وعثمان وعائشة وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أنهم قالوا . الأقراء الأطهار ، وأما حجته من اللفظ فقول الأعشى :

أفي كل عام أنت جلثم غزوة

تسد لأقصاما عظيم حرائكا
مورثة مالا وفي الحى رفعة

لما ضاع فيها من قروء نائكا
وأما حجة العراقيين من الحديث فقول النبي صلى الله عليه وسلم للستحاضة : اقعدى عن الصلاة أيام أقرائك . وأما حجته من اللفظ فقول الراجز :

يارب ذي ضغن على قرص

يرى له قرء كفره الحائض
وحكى يعقوب بن السكن وغيره من الأقويين أن العرب تقول : أقرأت المرأة إذا طهرت . وأقرأت إذا حاضت ، وذلك أن

أوتى منها . ونحن نشاهد كثيراً من الناس يحرصون على الدنيا ولا يؤمنون شيئاً منها ، فهو كلام محتاج إلى بيان وإيضاح ، ثم قال في آية أخرى : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد » . فإذا أضيفت هذه الآية إلى الآية الأولى بان مراد الله تعالى .

ووجه الخلاف العارض من هذا الموضع أنه ربما أخذ بعض الفقهاء بمفرد الآية أو بمفرد الحديث . وبني آخر قياسه على جهة التركيب الذي ذكرنا بأن يأخذ بمجموع آيتين أو بمجموع حديثين أو بمجموع آيات أو بمجموع أحاديث فيفرضي بهما الحال إلى الاختلاف فيما يتجانه ، وربما أفضت بهما الحال إلى التناقض فأحل أحدهما ما يحرمه الآخر . وربما أفضى بهما إلى الاختلاف في الأسباب فقط كاختلافهم في سبب تحريم الخمر .

وفي الباب الخامس الذي عقده على (الخلاف العارض من جهة الرواية) قال :

« هذا الباب لا تم الفائدة التي قصدناها منه إلا بمعرفة العلل التي تعرض للحديث ، فتحيل معناه . وربما أوجعت فيه معارضة بعضه لبعض ، وربما ولبت فيه إشكالا يحوج العلماء إلى طلب التأويل ، ثم أنشأ يبين هذه العلل فقال : « إن الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه

بياض الأرض وسوادها ، يعنون بالبياض ما لا عمارة فيه ، وبالسواد ما فيه العمارة . فهذا ما يحتاج به لمن ذهب إلى معنى البياض . وأما من ذهب إلى معنى السواد فإنما أراد أنها احترقت بريح صر أو نار كقوله تعالى : « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » .

وعند ما تكلم عن الخلاف العارض من جهة الأفراد والتركيب قال : « إنه باب ظريف جداً ، وقد تولبت منه بين الناس أنواع كثيرة من الخلاف . وهو باب يحتاج إلى تأمل شديد وحقق بوجوه القياس ومعرفة تركيب الالفاظ وبناء بعضها على بعض . وذلك أنك تجد الآية الواحدة ربما استوفت الغرض المقصود بها من التعبد ، فلم تنحجك إلى غيرها كقوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم » . وقوله تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » فإن كل واحدة من هاتين الآيتين قائمة بنفسها مستوفية للغرض المراد منها ، وكذلك الأحاديث الواردة كقوله صلى الله عليه وسلم : « الزعيم غارم » وربما وردت الآية غير مستوفية للغرض المراد من التعبد وورد تمام الغرض في آية أخرى كقوله تعالى : « من كان يريد حرث الآخرة زدله في حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب » فظاهر هذه الآية أنه من أراد حرث الدنيا

بعض روااته صاحب بدعة، أو متهما بكذب
وقلة ثقة، أو مشهور ببله وغفلة، أو يكون
متعصباً لبعض الصحابة منحرفاً عن بعضهم،
فإن من كان مشهوراً بالتعصب ثم روى
حديثاً في تفضيل من يتعصب له ولم يرد من
غير طريقه لزم أن يستراب به .

ومما يبعث على الاستراب بنقل الناقل أن
يعلم منه حرص على الدنيا، وتهاافت على
الاتصال بالملك، ونيل المكانة والحظوة عندهم
فإن من كان بهذه الصفة لم يؤمن عليه التغيير
والتبديل والافتعال للحديث والكذب
حرصاً على مكسب يحصل عليه .

وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على
نحو هذا الذي ذكرناه بقوله: «إن الأحاديث
ستكثر بعدى كما كثرت عن الأنبياء قبل،
فما جاءكم عنى فأعرضوه على كتاب الله تعالى
فما وافق كتاب الله فهو حق أو لم أقله .

وقد روى أن قوماً من الفرس واليهود
وغيرهم لما رأوا الإسلام قد ظهر وعم،
ودوخ وأذل جميع الأمم، ورأوا أنه لا سبيل
إلى مناهضته رجعوا إلى الحيلة والمكيدة،
فأظهروا الإسلام من غير رغبة فيه وأخفوا
أنفسهم بالتعبد والتشفيق، فلما حد الناس
طريقتهم ولجوا الأحاديث والمذالات وفرقوا
الناس فرقاً .

وإذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
يتشدد في الحديث ويتوعد عليه، والزمان

وسلم وعن أصحابه والتابعين لهم، تعرض له
ثمان علل :

أولها : فساد الإسناد .

والثانية : جهة من نقل الحديث على معناه
دون لفظه .

والثالثة : من جهة الجهل بالإعراب .

والرابعة : من جهة التصحيف .

والخامسة : من جهة إسقاط شيء من الحديث
لا يتم المعنى إلا به .

والسادسة : أن ينقل المحدث الحديث ويفعل
نقل السبب الموجب له، أو بساط الأمر
الذى جر ذكره .

والسابعة : أن يسمع المحدث بعض الحديث
ويفتوته سماع بعضه .

والثامنة : نقل الحديث من الصحف دون
لقاء المشايخ .

وأخذ يتحدث عن هذه العلل فقال عن العلة
الأولى وهي فساد الإسناد : «إنها أشهر العلل :
عند الناس حتى إن كثيراً منهم يتوهم : أنه
إذا صح الإسناد صح الحديث وليس كذلك ؛
فإنه قد يتفق أن يكون رواية الحديث مشهورين
بالعدالة، معروفين بصحة الدين والأمانة غير
مطمعون عليهم ولا مسترأب بتألمهم ويعرض
مع ذلك أهراض على وجوه شتى في ضمير
قصد منهم إلى ذلك - والإسناد يعرض له
الفساد من أوجه، منها الإرسال وأن يكون

الشيء . فقولهم أضعوا يحتمل أن يريد به كثروا ووفروا ، ويحتمل أن يراد به قللوا وخففوا ، فلا يفهم مراده من ذلك إلا بدليل من لفظ آخر ، وفي مثل هذا يجوز أن يذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المعنى الواحد ويذهب الراوى عنه إلى المعنى الآخر ، فإذا أدى معنى ما سمع دون لفظه بعينه كمن قد روى عنه عند ما أراده غير حامد ، ولو أدى لفظه بعينه لا وشك أن يفهم منه الآخر ما لم يفهم الأول ، وقد علم صلى الله عليه وسلم أن هذا سيعرض بعده فقال محذراً من ذلك . فضر الله أمراً سمع مثاقيل نوحاها وأداها كما سمعها قرب مبلغ أوعى من سامع .

ومن حلل الحديث أن يغفل المحدث عن نقل السبب الموجب للحديث ، فيعرض من ذلك إشكال أو معارضة لحديث آخر كنحو ما رواه قوم من أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالعربيين الذين ارتدوا عن الإسلام وأغاروا على إقاحه فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسمل عيونهم وتركوا بالحرمة يستشقون فلا يسقون حتى ماتوا ، وقد وردت عنه الروايات من طرق شتى أنه نهى عن المثلة . وإنما عرض هذا التعارض من أجل أن الذي روى الحديث الأول أغفل نقل سببه الذي أرجحه ورواه غيره فقال : وإنما فعل ذلك لأنهم مثّلوا برعائه فجازاهم بمثل فعلهم .

زمان ، والصحابة متوافرون ، والبدع لم تظهر ، والناس في القرن الذي أتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ظنك بالحال في الأزمنة التي ذمها وقد كثرت البدع وقلت الأمانة ؟ .

ثم أخذ يصف العلة الثانية وهي نقل الحديث (على المعنى) دون اللفظ بعينه فقال : وإن هذا الباب يعظم الغلط فيه جدا ، وقد نشأت منه بين الناس شغوب شنيعة ، وذلك أن أكثر المحدثين لا يراعون ألفاظ الشيء التي نطق بها وإنما ينقلون إلى من بعدهم (معنى) ما أراده باللفظ أخرى ، ولذلك نجد الحديث الواحد في المعنى الواحد يرد بألفاظ شتى ، ولغات مختلفة ، يزيد بعض ألفاظها على بعض .

ووجه الغلط الواقع من هذه الجهة : أن الناس يتناضلون في صورهم وألوانهم ، وغير ذلك من أمور وأحوالهم ، فربما اتفق أن يسمع الراوى الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم أو من غيره فيتصور معناه في نفسه على غير الجهة التي أرادها . وإذا عبر عن ذلك المعنى الذي تصور في نفسه بألفاظ أخر كان قد حدث بخلاف ما سمع من غير قصد منه إلى ذلك . وذلك أن الكلام الواحد قد يحتمل معنيين وثلاثة ، وقد تكون فيه اللفظة المشتركة التي تقع على الشيء وضده ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « قصوا الشارب وأغفوا

صحيحه من سقيته ، فإذا ورد عليهم حديث
بشع المسموع أو يخالف للشهور فظروا
أولاً في سننه فإن وجدوا في نقله ورواه
رجلا منهما يعض تلك الوجوه التي ذكرناها
استرابوا به ، ولم يجعلوه أصلاً يعول عليه ،
وإن وجدوا رجلاً للناقلين له ثقة مشهورين
بالعدالة معروفين بالفقه والأمانة ، رجعوا إلى
التأويل والنظر فإن وجدوا له تأويلاً يحمل
عليه قبلوه ولم يشكروه ، وإن لم يجدوا له
تأويلاً إلا على استكراه شديد نسبوه إلى
غلط وقع فيه من بعض تلك الوجوه المنتزعة
الذكر ، فهذه جملة القول في هذا الباب
واقه أعلم الله . . .

• • •

هذا جزء قليل من فوائد هذا الكتاب
الجليل ، وحيداً لو نشر في طبعة جديدة ؛ ليم
النفع به ، لأنه كتاب جامع ، لا يستغنى عنه
مفسر ولا فقيه ولا أديب ، رسم الله الإمام
البطلوسي وجزاه على فضله خير الجزاء .

محمد رابو رية

أما الملة السابعة وهي أن يسمع الحديث
بعض الحديث ويقوته سماع بعضه فمضرب
لذلك مثلاً ما روى من أن عائشة رضي الله عنها
أنجرت أن أباهم ريرة حدث أن رسول الله قال :
إن يكن الشؤم في ثلاث : الدار ، والمرأة ،
والفرس . وهذا الحديث معارض لما روى
في أحاديث كثيرة أنه صلى الله عليه وسلم نهى
عن التطير . فنضبت عائشة وقالت : واقه ما قال
هذا رسول الله قط وإنما قال : أهل الجاهلية
يقولون إن يكن الشؤم في ثلاث : الدار ،
 والمرأة ، والفرس . فدخل أبو هريرة فسمع
آخر الحديث ولم يسمع أوله ١ - وهذا غير
منكر أن يعرض ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يذكر في مجلسه الأخبار حكاية ، ويتكلم
بما لا يريد به أمراً ولا نهياً ، ولا أن يجعله
أصلاً من دينه وشيئاً يستسن به ، وذلك معلوم
من فعله ، ومشهور من قوله . . .

وختم البطلوس كلامه عن علل الحديث فقال :
« وإنما ذكرت هذه العلل المعارضة للحديث ؛
لأنها أصول لنقاد الحديث الممثلين بمعرفة

وقفه على رأس الخمسين

لأستاذ على الطنطاوى

مهداة إلى الأستاذ الزيات ، الذى راقته فى [رسائله]
نصف عمرى وصيت فيها شطر أفكارى وعواطفى .

ظننت فى النجوم ، فوجدت أنى استكملت
من ثلاثة أشهر إحدى وخمسين سنة قرية ،
فوقفت ساعة أنظر فيها فى يومى وأمسى .
أنظر من أمام لأرى ماهى نهاية المطاف ،
وأنظر من وراء لأرى ماذا أفنت من هذا
المسير .

• • •

وقفت كما يقف التاجر فى آخر السنة ،
ليجرد دفاتره ، ويحسّر حسابه ، وينظر ماذا
ربح وماذا خسر .
وقفت كما تقف القافلة التى جئ أهلوها .
وأخذهم السّمار ، فانطلقوا ركضون لا يعرفون
من أين جاءوا ولا إلى أين يذهبون ،
ولا يهدّون إلا إذا هدم التّعب فسقطوا
ثامنين كالقتلى .
وكذلك نحن إذ نعدو على طريق الحياة ،
نسبق كالجنانين ولكن لا ندرى علام تنساق
— فصل أبدأ من اللحظة التى تفتح فيها عيوننا
فى الصباح ، إلى أن يغلقها النعاس فى المساء ،
طلب المجد الأدبى . وسعيت له سعيه ؛
وأذهبت فى المطالعة حدة بصرى . وملأت
بها ساعات عمرى . وصرمت الليالى الطوال
أقرأ وأطالع . حتى لقد قرأت وأنا طالب
كتباً ، من أدباء اليوم من لم يفتحها مرة لينظر
فيها . وما كان لى أستاذ يصرنى طريق .
ويأخذ ييدى . وما كان من أساتذتى من هو
صاحب أسلوب فى الكتابة يأخذنى باتباع
أسلوبه . ولا كان فيهم من له قدم فى الخطابة ،
وطريقة فى الإلقاء ، يسلكنى مسلكه ويذهب
بى مذهبه . وما يسميه القراء أسلوبى فى الكتابة
ويدهوه المستمعون طريقى فى الإلقاء . شئ
من الله به على . لا أعرفه لنفسى . لا أعرف

خطياً ذللت القلوب ، وكتبت مقالات كانت أحاديث الناس ، ولطالما مرت أيام كان اسمي فيها على كل لسان في بلدي ، وفي كل بلد عشت فيه أو وصلت إليه مقالتي ، وسمعت تصنيف الإعجاب ، وتلقيت خطاب التثناء في حفلات التكريم ، وقرأت في الكلام على مقالات ورسائل ، ودرس أدبي ناقدون كبار ، ودرس ما قالوا في المدارس ، وترجم كثير مما كتبت إلى أوسع لغتين انتشاراً في الدنيا . الانكليزية والأردية ، وإلى الفارسية والفرنسية ... فما الذي بقي في يدي من ذلك كله ؟ لا شيء . وإن لم يكتب لي الله على بعض هذا ، بعض الثواب ، أكن قد خرجت صفر اليدين .

إني من سنين معزل متفرد ، تمر على أسابيع وأسابيع لا أزور فيها ولا أزار ، ولا أكاد أحدث أحداً إلا حديث العمل في المحكة ، أو حديث الأسرة في البيت ، فلماذا ينفعني وأنا في عزلي إن كان في مراکش والمهند وما بينهما من يتحدث عني ويمدحني ، وماذا يضرنني إن كان فيها من ينمني ، أو لم يكن فيها كلها من سمع باسمي ؟ .

ولقد قرأت من المدح لي ما دفعني إلى مرتبة الخالدين ، ومن القدح في ما هبط بي إلى دركة الشياطين ، وكرمت تكريماً لا أستحقه

إلا أني أكتب حين أكتب . وأتكم حين أتكم . منطقاً على بصيرة وطبعي . لا أتعمد في الكتابة إثبات كلمة دون كلمة . ولا سلوك طريق دون طريق . ولا أتكلف في الإلقاء رنة في صوتي ولا تصنعاً في مخارج حروفي ... وكنت أرجو أن أكون خطيباً يهز المنابر . وكأنها تمشي بأثارة البرد . وكنت أحسب ذلك غاية النفي وأقصى المطالب . فلما نك رعدت فيه . وذهبت مني حلوته . ولم أهد أجد فيه ما يشتهي ويمنى .

وما المجد الأدنى ؟ أمو أن يذكرك الناس في كل مكان . وأرب يتسابقوا إلى قراءة ما تكتب - وسماع ما تذيع - وتتوارد عليك كتب الإعجاب ، وتقام لك حملات التكريم ؟ لقد رأيت ذلك كله ، فهل تحبون أن أقول لكم ماذا رأيت فيه ؟ رأيت سراباً . سراب خادع ، قبض الريح ! .

وما أقول هذا مقالة أديب يتخلى الإغراب . ويستثير الإعجاب ، لا والله العظيم - أحلف لكم تصدقوا - ما أقول إلا ما أشعر به . وأنا من ثلاثين سنة أعلو منه المنابر ، واحتل صدور المجلات والصحف ، وأنا أكل الناس في الإذاعة كل أسبوع مرة ، من سبع عشرة سنة إلى اليوم ، ولطالما خطبت في الشام ومصر والعراق والحجاز والمهند وأندونيسيا

وديوناً كثيرة . فوق الله الدين ، وربي الولد ،
وما أحوج إلى أحد . وجعل حياتنا وسطاً
ما شكونا يوماً عوزاً ولا عجزنا عن الوصول
إلى شيء . نحتاج إليه . وما وجدنا يوماً تحت
أيدينا مالا مكنوزاً لا ندرى ماذا نصنع به .
فكان رزقنا والحمد لله كرزق الطير : تغفو
خاصاً وترجع بطاناً .

فلم أعد أطلب من المال إلا ما يقوم به العيش .
ويبقى الوجه ذل الحاجة .

وطلبت متعة الجسد . وصرمت ليالى الشباب
أفكر فيها . وأضعت أيامه في البحث عن مكانها
وكنيت في سكرة الفتوة الأولى . لا أكاد أفكر
إلا فيها . ولا أحن إلا إليها . أقرأ من القصص
ما يتحدث عنها ، ومن الشعر ما يشير إليها .
ثم كبرت سنى وزاد هملى . فذهبت السكرة
وصحمت الفكرة . فرأيت أن صاحب الشهوة
الذى يسلك إليها كل سبيل ، كالعطشان الذى
يشرب من ماء البحر ، وكلما ازداد شرباً ازداد
عطشاً . ووجدت أن من لا يرويه الحلال
يقنع به ويصبر عليه . لا يرويه الحرام ولو
وصل به إلى نساء الأرض جميعاً .

ثم ولّى الشباب بأحلامه وأوهامه . وفترت
الرغبة . ومات الطلب . فاسترحت وأرحت .

وقعدت أرى الناس . أسأل : علام

وأملت حتى لقد دعى إلى المؤتمرات الأدبية
وإلى المجالس الأدبية الرسمية المبتدئون
وما دعيت منها إلى شيء . فألعت الحالين ،
وتعدت الأمرين ، وصرت لا يردھينى نساء
ولا يهز السب شعرة واحدة فى بدنى .
وأسقطت المجد الأدبى من الحساب ،
لما رأيت أنه وهم ومراب .

وطلبت المناصب ثم فطرت فاذا المناصب
تكليف لا تشريف ، وإذا هى مشقة وتعب ،
لا لذة وطرب ، وإذا الموظف أسير مقيد
بقيود الذم . وإذا الجزع من عقوبة التقصير
أكبر من الفرح بحلاوة السلطان . وإذا مرارة
العزل أو الإحفاء من الولاية ، أكبر من حلاوة
التولية . ورأيت أنى مع ذلك كله قد اشتيت
فى عمرى وظيفة واحدة . سميت لها وتحرق
شوقاً إليها . هى أن أكون معلماً فى المدرسة
الأولى فى قرية حرسا (١) وكان ذلك أكثر
من ثلاثين سنة . فلم أنلها فما اشتيت بعدها
غيرها وطلبت المال وحرصت على التقنى .
ثم نظرت فوجدت فى الناس أغنياء وهم أشقياء .
وفقراء وهم سعداء . ووجدت حتى قد توفى أبى
وأنا لا أزال فى الثانوية . وترك أسرة كبيرة .

(١) قرية فى طرف النوبة ، كان منها الإمام محمد
صاحب الإمام الأعظم أبى حنيفة .

شمس الواقع ، كما يذوب ثلج الشتاء تحت شمس الربيع ، ولرأى المجنون في ليل امرأة كالنساء ، ما خلق الله النساء من الطين وخلقها (كما كان يخيل إليه) من القشلة ، ثم ملأها وزهد فيها وذهب بمن بغيرها .

ويرى الموظف الصغير الوزير أو الأمير ، يزل من سيارته فيقف له الجندي وينحني له الناس ، فيظن أنه يجد في الرئاسة أو الوزارة مثل ما يتوهم هو من لئنها ومتعتها ، لحرمانه منها ، ما يدري أن الوزير يعود الوزارة حتى تصير في عينه كوظيفة الكاتب الصغير في عين صاحبها أو هام . ولكننا نعلم دائماً بهذه الأوهام .

...

وفكرت فيما نلت في هذه الدنيا من لذائذ وما حلت من عناء طالما صبرت النفس على إتيان الطاعة واجتناب الممنوعة ، رأيت الحرام أنجيل فكففت النفس عنه على رغبته فيها ، ورأيت الواجب الثقيل لحملت النفس عليه على قورها منه ، وطالما غلبت النفس فارتكبت المحرمات وقعدت عن الواجبات . تأملت واستمعت ، فما الذي بقي من هذه المسحة وهذا الالم ؟ لا شيء . لقد ذهبت المسحة وبقى صقارها وذهب الالم وبقى ثوابه .

ولم أر أضل في نفسه ولا أغش لقاسم

يركضون ؟ وإلام يسمون ؟ وما ثم إلا السراب !

هل تعرفون السراب ؟ إن الذي يسلك الصحراء يراه من بعيد كأنه حين من الماء الزلال تحديق صافية في عين الشمس . فإذا كد الركاب . وحك الصحاب ؛ ليلغها لم يلق التراب .

هذه هي ملذات الحياة . إنها لا تلبث إلا من بعيد .

يتمنى الفقير المال . يحسب أنه إذا أعطى عشرة آلاف ليرة فقد حيزت له الدنيا . فإذا أعطيا فصارت في يده لم يجد لها تلك اللذة التي كان يتصورها وطمع في مائة الآلاف . إنه يحس الفقر بها وهي في يده كما يحس الفقر إليها يوم كانت يده خلاء منها . ولو نال مائة الآلاف لطلب المليون . ولو كان لابن آدم واد من ذهب ، لا يتغى له ثانيا ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب (١) .

والشاعر العاشق يملأ الدنيا قصائد تسيل من الرقة ، ونفيض بالشعور ، يعلن أنه لا يريد من الحبيبة إلا لذة النظر ومتمتع الحديث ، فإذا بلغها لم يجد لها شيئاً وطلب ما وراءها ، ثم أراد الزواج فإذا ثم لم يجد فيه ما كان يتخيل من النعيم ، ولذابت صور الخيال تحت

(١) حديث آخره (ويحب الله على من تاب) .

زهد الجاهلین - وهو معصية في الدين . إن الرمد الحق هو زهد الصحابة والتابعين ، الذين عملوا للدنيا ، واقتنوا الأموال ، واستمتعوا بالطيبات الحلال وأظهروا نعم الله عليهم ، ولكن كانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم ، وكان ذكر الله أبداً في نفوسهم وعمل ألتهم ، وكانت الشريعة نبراسهم وإمامهم ، وكانت أيديهم مبسوطة بالخير ، وكانوا لا يفرحون بالغنى حتى يبطروا ، ولا يحزنون للفقر حتى يياسوا ، بل كانوا بين غنى شاكر ، وفقير صابر ، ومن يحصل المال وينفق في الطاعة خير من لا يحصل ولا ينفق ، بل يسأل ويأخذ ، ومن يتعلم العلم ويعمل به خير من يتول الناس للعبادة في زاوية أو مغارة ، ومن يكون ذا سلطان ومنصب فيقيم العدل ، ويدفع الظلم ، خير من لا سلطان له ولا عدل على يديه . وليست العبادة أن تصف الأقدام في المحاريب فقط ، ولكن كل معروف تسديه إن احتسبت عند الله كان لك عبادة ، وكل مباح تأتبه إن نويت به وجه الله كان عبادة ، إذا نويت بالطعام التقوى على العمل الصالح ، وبمعاشرة الأهل الاستغفار والإصغاء ، وبجمع المال من حله القدرة به على الخير ، كن كل ذلك لك عبادة ، وكل نعمة تشكرها ، وكل معصية تصبر لله عليها كانت لك عبادة .

عن يقولون لك ، لا تنظر إلا إلى الساعة التي أنت فيها ، فإن :

مامضى فات والمؤمل غيب

ولك الساعة التي أنت فيها

لا والله . ما فات مامضى ، ولكن كتب لك أو هلك ، أحصاء الله ونسوه ، والآتي غيب ولكنه غيب كلكشاهد ، وما مثل هذا القائل إلا كمثل راكب سفينة أشرفت على الغرق ولم يبق إلا ساعات ، فما أسرع إلى زوارق النجاة إسراع العقلاء ، ولا ابتنى طوق النجاة كما يبتغيه من فاته الزورق ، ولكنه عكف على تحسين غرفته في السفينة الفارقة يزين جدرانها بالصور ، ويكنس أرضها من الغبار ، يقول لنفسه : مادامت السفينة غارقة على كل حال ، فلم لا أستمتع بساقى التي أنا فيها ؟ .

يفسد عمره كله بصلاح هذه الساعة ، وإذا عرض له العقل يسفه عمله فليضرب وجهه العقل بكأس الخمر التي تسمى هيبه فلا يبصر ولا يهتدى ، وإن من الخمر لخرة المال وخمرة السلطان .

هذا مثال من يحصل هذه الدنيا الفانية أكبر همه ، ويزهد في الآخرة الباقية ، ولو عقل لزهد في الدنيا . لا يحمل وكرته وعصاه ويسلك البرارى وحيدا ، ولا يقيم في زاوية ويمد يده للحسنين - فإن هذا هو

فلما أعطيتها نأقت إلى الخلافة ، فلما بلغت
نأقت إلى الجنة ١ .

هذا ما تطلبه نفس كل بشر ، إنها تطلب
العودة إلى موطنها الأول ، وهذا ما تحس
الرغبة الخفية أبداً فيه ، والحنين إليه ،
والفراخ الموحش إن لم تجده .

فهل اقتربت من هذه الغاية بعد ما سرت
على طريق العمر ، إحدى وخمسين سنة ؟

يا أسنى ! لقد مضى أكثر العمر وما ادخرت
من الصالحات ، ولقد دنا السفر وما تزودت
ولا استعددت ، ولقد قرب الحصاد وما حرثت
ولا زرعته ، وصحفت المواعظ ، ورأيت
المبرقبا انعطت ولا اعتبرت ، وآن أوان
التوبة فأجلت وسوفت .

الهم اغفر لي ما أسررت ، وما أعلنت ،
فما يغفر الذنوب إلا أنت .

الهم سترني فيما مضى فاسترني فيما بقى ،
ولا تفضحنى يوم الحساب .

« دمشق » على الطنطاوى

مستشار محكمة النقض

في الجمهورية العربية المتحدة

والإنسان منطور على الطمع ، تراه أبداً
كتليذ المدرسة ، كلما بلغ فصلاً كان همه أن
يصعد إلى الذى فوقه ، ولكن التليذ يسمى
إلى غاية معروقة إذا بلغها وقف عندها ،
والمرء فى الدنيا يسمى إلى شئ لا يبلغه أبداً ؛
لأنه لا يسمى إليه ليقف عنده ويقنع به ،
بل ليجاوزه واكضاً يريد غاية هى صورة
فى ذهنه ما لها فى الأرض من وجود .

وقد يعطى المال الوفير ، والجاه الواسع ،
والصحة والأمل والولد . ثم تجده يشكو
فراغاً فى النفس ، وحماً خفياً فى القلب ،
لا يعرف له سبباً ، يحس أن شيئاً ينقصه
ولا يدري ما هو ، فما الذى ينقصه فهو
يجتنى استكمالاً ؟

لقد أجلب على ذلك رجل واحد ، وجل
بلغ فى هذه الدنيا أعلى مرتبة يطمح إليها
رجل : مرتبة الحاكم المطلق فى ريع الأرض
فيما بين الأطلسى والصين ، وكل له مع هذا
السلطان الصحة والعلم والشرف ، هو عمر بن
عبد العزيز الذى قال :

« إن لى قسا تواقه ، ما أعطيت شيئاً
إلا نأقت إلى ما هو أكبر ، تمت الإمارة ،

المطالع والمقاطع

في شعر شوقي

للأستاذ علي الجندى

العميد السابق لكلية دار العلوم

- ١ -

ولا يصدو هذا إلا من مثل غبط الشعور ،
جامد العاطفة ، لا يحترم قراءه ولا سامعيه .
ويروون في ذلك أن ، ديك الجن ، الحمصي
أنشد ، دعبل الخزاعي ، مطع قصيدة ، وهو :

كأنها ما كأنه خلل الخلة

وقف الملوكة إذ بنها

ومعنى البيت إجمالاً : أن عشيقته في حسن
جيدها ، وحلاوة عينها ، تشبه الغزال الذي
هو بين نبات الخلة ، مثل سوار الجارية
المتربة ، الحسنة المشية ، المتهاككة فيها .

فما كان من دعبل إلا أن صاح في وجهه ،
أمسك !! فوافقه ما ظننك تم البيت إلا وقد
غشى عليك ، أو تشكيت فكيفك ! ولكأنك
في جهنم تخاطب الزانية ، أو قد تحببلك
الشیطان من المس !!

وقول دعبل أشبه بما يقوله العامة : أول
القصيدة كفر ، وأول الدن دردى .

أما المقاطع فهي أسس القصائد ، وخاتمة
الاشواط ، ونهاية الرحلة ، وهي أبقى من غيرها

تعد إجادة المطالع والمقاطع ، أى : المبادئ
والخواتيم من أمارات براعة الشاعر ، وبعد
غوره ، ودقة صناعته ، ورقافة حسه الموسيقي ،
وكبر حظه من الإلهام والألمية . وقد بما
سئل بعض النقاد عن أحذق الشعراء ، فقال :
من تفقد المطالع والمقطع . وحكمة ذلك :
أن المطالع أول ما تصافح أذن السامع ، وبها
يستدل على ما يعقبها من الكلام ، ويعرف منها
مدى قوة الشاعر وإطلاقه . والنقاد يقولون :
الابتداءات دلائل البيان . وقالوا : الشعر
قفل أوله مفتاحه . وإذن فليس من سلامة
الدوق ، ولا صفاء الشعور ، ولا بجماحة لطبع ،
ولا جمال البيان ، ولا مراعاة مقتضيات
الأحوال : أن يصك الشاعر أذان مستمعيه
بالنفس أو الجاني ، أو القبيح ، أو المستكره
من القول ، بأنه لا فرق - إذ ذاك - بينه وبين
من يقدّمهم بالخصي ، ويرميهم بالطين ، ويحثو
في وجوههم القبار . وذلك من أكبر دواعي
النفور منه ، والرغبة عنه ، والزراية عليه .

ما تقرى بين تكبير وإعلال
وللدائن هوت عطف عتال
ثم ناد جلتى وانشد رسم من بانوا
مشت على الركب أحداث وأزمن
باراك الزيج حى النيل والحرما
وعظم السطح من سينا والحرما
وتارة يسلس ويرق - وهو اللون الغالب
عليه - وبخاصة فى مطالعه الفزلية - كقوله :
سلوا قلبى غداة سلا وتابا
لعل على الجمال له عتابا
علت بالقلم الحكيم
وعديت بالنجم الكريم
وطن يرف هوى إلى شبابه
كلروض رفته على ديمانه
جبريل أنت هدى السبل
وأنت برهان العنايه
بافه يانبات النيل فى السحر
هل عندكن عن الأحباب من خبر
قلب يذوب ومدمع يجرى
باليل هل خبر عن الفجر
يلصق بين الحسان
فى شكله إن قيل بان
فى العقل والنعمة العاليه
معنى وعاشه باقيه
٢ - يتجنب الحروف البغيضة الناشرة فى
التوافق ، ومعنى على الترتيب : التاء والحاء

فى السمع ، والصق بالنفس ، وآخر ما يتصل
بالأذن ، لقرب العهد بساها ، وربما
حفظت دون سائر الكلام ، فمن الحق أن تكون
للقافية فى الإبداع والإحكم ، والنهاية فى الجمال
والجلال ، وأن يتركز فيها مغزى القصيدة ،
وتلقى فيها ووافدها ؛ لتغضى على ما عسى
أن يكون قد سبقها من العيوب ، وليبقى أثر
الشاعر حيا نابضا فى النفوس ، وإنما الأعمال
بنواينها - كما جاء فى الأثر - .

وهناك شاعران محدثان حازا قصب السبق
فى هذين اللونين من البيان : أولهما : أبو تمام
الذى عرف بروعة المطالع ، وغامتها ،
وجلالها ، والآخر : المتنبي الذى فاق كل شاعر
قبله فى حلاوة مقاطعه ، وبداعتها ، ومناسبتها
للقيام ، فكان إمام المحدثين - غير منازع -
فى حسن الخاتمة التى عنوانها دون المتقدمين .
والآن نريد أن نعرف ماذا كان شوق
فى مطالعه ومقاطعه ؟ .

إن من يقرأ شعره يخرج منه بما يأتى :
١ - بصرف مطالعه بين الجزالة والصناعة ،
وبين الثين والروادة ، تبعا للناسبات ، فهو
تارة يحول ويهضم فيها كقوله :
أقدم فليس على الإقدام تمنع
واصنع به المجد فهو البارع الصنع
قف تاج أهرام الجلال وناد
هل من بناتك مجلس أو ناد

والموسوعة في الأمور الجديدة التي يحتفل لها ،
ويشاركه غيره من الشعراء فيها ؛ مثل قصائد :
٢٨ فبراير ، ومشروع ملز ، والحمزية النبوية ،
ونيج البردة ، وصدى الحرب العثمانية ، والأزهر ،
ونكة بيروت ، ونكة دمشق ، وزلزال
اليابان ، والحرية الحمراء ، وشهد الحق إلخ...
فإذا تفرد ، أو دأب ، أو وصف
المراقص ، ومجالس الأناض ، فظم من اليهود
القصيرة والمجزوءات ، مثل قصائد : النعال ،
والطرية ، ومملكة النحل ، والصحف ،
والحجاب والصفور ، وغاب بولونيا ،
والبسفور إلخ...

كذلك كان يملك ذلك غالبا في مرأيه
فإذا رثى كبار السن والمقام من الرجال - مثل
سليمان أباطة ، وإسماعيل أباطة ، ومصطفى
فهمي ، ومصطفى رياض ، ومصطفى كامل ،
ومحمد فريد ، وأبي هيف ، وعمر المختار ،
وحافظ إبراهيم ، وثروت ، وجوليوش ،
وعاطف بركات - اصطنع البحار الطويلة
وما يدانيها ، وإذا رثى الشباب مثل : محمد
نعمور ، وعمر لطفي ، وعلى أبو الفتوح ،
أو رثى الفنانين وأشباههم في غير المحافل
مثل الشاعر الموسيقي « فردى » ، والعالم النباتي
صهيب غالب ، أو رثى النساء مثل الأسيرة
فاطمة إسماعيل ، وأم عباس الثاني ، أو عزى
في عزيز مثل تعزيتة للبارودي في ابنته ،

والذال والراى والشين والصاد والطاء والظاء
والعين . وأشدهن قبحا - عند ابن الأثير -
الحاء والصاد والطاء والعين .

فلم يقع في هذا المخطوطة كما وقع غيره من
الشعراء السابيين ، ومنهم شعراء يشار إليهم
بالبنان كآبي تمام والمنيني وابن هاني
الأندلسي ، لجأوا بالنهج الركيك ، أو المتعاطل
المستغلق ، أو الجهم الثقيل الوخم ، زهواً
بالقدرة وغرا بالتفاح ، فقال أبو تمام :

قف بالطوال الدارسات علانا

وقال المنيني :

كنى أرائي وبك لومك ألوما

هم أقام على فؤاد أنجما

وقال ابن هاني في مطلع قصيدة أطول من
ليل السليم ١١ :

سرى وجناح الليل أقم أقم

بل إن شوقي لم يرع أن يتأثر إمام الشعراء
في العصر الحديث « البارودي » فهو على
ما نعرف له من جمال الذوق وحسن الاختيار
دعه كثرة محفوظه وغزارة مادته - رحمه الله -
إلى النظم من هذه الحروف الوحشية كلها ،
ماعداد حرف العين فوقع فيما لا يصح أن يقع
مثله فيه .

٢ - يختار شوقي مطالعه من البحور الطوال

أعدت الراحة الكبرى لمن تعب
وقد بالحق من لم يأله طلبا
أثنى صنان القلب واسلم به
من رهب الزمل ومن سر به

الناس لادنيا تبع
ولن تحالفه ← شيع
رمضان ولي هانها يا ساق
مشاقه تسعي إلى مشاق
طال عليها القـم

فہی وجود علم
یا نافع الطلح أشباه ہوادینا
نشجی لوادیک أم نأسی لوادینا
منک یا ہاجر دانی
وہکفک دوانی

صريع جفنيك يتنى عنهما التهما
فما رميت ولكن القضاء رمى
من صور السحر المبين حيونا
وأحله حدقا لها وجفونا
يقول أناس لو وصفت لنا الهوى

فراق ما ادری الهوی کیف یوصف
مماؤك پادنيا خدام سراب

وأرضك عمران وشيك خراب
انظر إلى الأفار كيف تزل
والى وجوه السعد كيف تمحول

صلوه كيف يمنو لنا
ظالم لا يقب منه ما كفى
(البقيّة على صفحة ٧٩)

ولم يكل في ابنه ، ولحامد خلوص في أبيه ،
 جئنا إلى البحور القصيرة والمجزوءات ، وكان
 البحر الكامل ، أحب البحور إليه ، ولا يريد
 عنه في هذا الحب إلا محمود ضمن .

(٤) توخيه قوة التأخى وشدة الملامة
بين شطرى البيت ، حتى لتستدل من المصراع
الأول منه على المصراع الثانى ، وحتى يستطيع
السامع أن يتم البيت مع المنشد ، مصداقا
لقول من قال :

خنها إذا أشدت في القوم من طرب
 صدورها هرفت منها قوافها
 وهذا يدخل فيما يسميه البلاغيون تمكن
 القافية ، وهو يدل على سحاء اللمة ، وخصب
 القريحة ، وثرأ الطبع ، وقوة الملاحظة ،
 وفماذ البصيرة ، ومعرفة الصلات الدقيقة بين
 الالفاظ والمعاني والأوزان ، كما يدل على
 عناية الشاعر بإحكام البناء ، وإحسان
 الصياغة ، والحفاوة بالتنعيم والتطريب ،
 والاحتفال بالقافية ، وكل هذه السمات عرفت
 عن شوقي وعرفت في شعره ١ .

انظر إليها كيف تطالعك في مطالعته بغيرها
السائلة الوضاعة :

عنت أفلاك واحتواها الماء
وحداها بمن تقبل الرجا
وله الهدى والكائنات ضياء

وفى الزمان بهم وقتاً.

الديانات الجديدة

الفهم الفارع الذي تحمله البشرية

للوفاء بضريبة الفطرة

للاستاذ محمد فتحي عثمان

ولست أحاول الآن أن أعرض لمحاولة
هكسلي وحظها من التوفيق ، فهي ليست
المحاولة الأولى من نوعها في هذا الباب ، وقد
لا تكون أنجح المحاولات . وإنما الذي يعنيني
هنا أن أنسا عن التمسك التي جنتها البشرية
من هذا الاتجاه :

هل عاشت بغير دين ؟ ... وهل تحررت
فلم تخضع لإله ؟ ؟

وإذا كانت قد اعتنقت طرازا آخر
من (الدين) ؟

ترى هل كلفها الدين الجديد ، التزامات
أقل وحقق لها مكاسب أكثر ، بما كانت
تجنبه من ديانات السماء ؟ ؟

• • •

فلنستمع من هكسلي بعض الجواب :
« لقد ظهرت من قبل مذاهب اعتقادية غير
إلهية non-theistic belief-systems وأنجح
لها أن تغلب على قطاعات كبيرة من البشرية .
وأبرز هذه المذاهب : النازية في ألمانيا ،

كتب جوليان هكسلي Julian Huxley
الذي لا يعترف بالديانات السماوية ، في كتابه
Religion without (دين بغير وحى) يقول :

« كل الحقائق الحيوية في الحياة الدينية تبقى
وتستمر إنها لا تحتاج إلا إلى معاودة
تعريفها في اصطلاحات جديدة . إن الحقيقة
الحية لن تستغنى عن تبديل آزياتها - هذا هو
كل الأمر ! ! »

ولقد حاول هكسلي أن يعرض طرازه
الجديد للدين المنشود الدين الذي يستمد
أصوله من الطبيعة الكونية والإنسانية ،
لا بما وراء الطبيعة . الدين الذي لا يرضى
بالإله (الشخص) في سائرانه تعالى ، وبلتس
إله في القوى الملوثة والنواميس المرصودة .
الدين الذي يسير عصرنا العلمي ومنهجنا
التجريبي ، حتى لا تتمزق حياتنا بين الحس
والغيب ، بين الحقائق والكون ، بين الله
والإنسان ، بين الدنيا والآخرة ... !!

أركان ذلك (التوجيه المتظم) الذي أقرته فلسفتهم الجديدة والذي عرفه النازيون باسم Weltanschauung ومعنى ذلك على حد قول الدكتور دنكان جونز Duncan Jones : تلك الفلسفة التي تفرض على صاحبها إدراكا خاصا لمعنى الحياة، ووجود العالم على نحو يجعل نظره للحياة والعالم بمثابة العقيدة الدينية لديه، فيستمسك بها بكل ولاء وإخلاص، وتشغل في نفسه جلوة التحمس الشديد لإذاعتها في كل مكان، دون أن تتناق نشاطه الحدود السياسية وغيرها من الحواجز التي تفصل بين بلدان العالم، كما مما مهمته في الواقع التبشير بدين جديد ... وقرأ القساوسة البروتستانت من فوق المنابر احتجاجا ضد تلك الوثنية الجديدة التي أراد النازيون أن يستعصوا بها عن الأديان جميعها، (١).

« وليست البشفية مجرد برنامج سياسي بل هي كذلك فلسفة وعقيدة، إذ تمتد مجالها إلى أعمال الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ... واقتداستطاعت البشفية أن تبتك في قلوب أتباعها ومريديها الإخلاص وشدة الولاء لمبادئها إلى أبعد حد مما يذكرنا بولاء أتباع الديانات والعقائد المتحمسين لها، (٢).

(١) دكتور محمد فؤاد شكرى : ألمانيا النازية

١٩٦٠، ٢١٤

(٢) محمد فؤاد شبل : المستور السوميتي (رسالة

ماجستير) ١٩٤٠

والشيوعية الماركسية في روسيا . وحملت النازية في طبيعتها جرائم انحلالها بحكم دعواها في تسلط فئة قليلة على العالم أجمع ، كما كانت مدعاة للسخرية بالنسبة للفساد والقصور في تفسيرها لقدرة الرفيع المتعال ، حتى ماثلت في ذلك بعض الصور البدائية للكلمة : من حيوان معبود أو رب قبيلة متمطش للدم أو إله جبار متمتم ١١ .

وكانت الشيوعية الماركسية أكثر نفسيا وملاءمة ، لكن أساسها المادى المحض قد حد من فاعليتها ، فقد حاولت أن تنكر حقيقة القيم الروحية . وهذه القيم موجودة قائمة ، لذا كان على الشيوعية أن تتقبل نتائج هذا الخطأ الإيديولوجي ، فأقبلت في غيظ وحتى تفتح أبواب الكائنات للجموع المتمطشة إلى القيم الروحية التي اتبناها النظام الشيوعي ، (١) .

إن هذه المذاهب الجماعية بما تحويه من نظرات كلية أرادت أن تكون دين المستقبل ، لها نبوءاتها ، ولها عقائدها المستمرة المتأصلة التي لا تقبل جدلا ، وهي بذلك تحاول أن ترضى في الإنسان كل دوافعه وزغاته ، وتمد نفوذها إلى الفجوات التي عراها تطرف النزعة المادية منذ عصر النهضة الأوروبية .

« وقد بذل النازيون كل جهودهم حتى يدعوا

Religion without Revelation (١)

pp . 62-63

والعقوبة والاشتراكية وإن لاحظت على شكل فكرى ظاهر هو بالحقيقة قائمة على عواطف وتديّنات متباعدة ...

وحماسة مؤسس الثورة الفرنسية تعدل ناشرى دين محمد (٤١) فقد كانت تلك الثورة ديانة اعتقد رجال الطبقة الوسطى في المجلس الاشتراعى الأول أنهم أسسوها وقضوا بها على المجتمع القديم، وأقاموا بها حضارة أخرى على أتقاضه، وما وجد خيال قاتن شغل قلبه الإنسان أكثر من ذلك الخيال ١١ فكان أولئك الرجال يقولون: إن مبدأ الإخاء ومبدأ المساواة اللذين أعلنوهما يمنحان الأمم سعادة أبدية، وإنه لما قطعت العلاقات بالماضى المظلم الموحش أصبح المجتمع الجديد سائرا على نور العقل المطلق ...

توصف روح الدين بإستادها قدرة عظيمة إلى قوى طوية ... وهذه الروح هي أساس المعتقدات الدينية كلها وكثير من المعتقدات السياسية، والمنطق الدينى مشبع من المشاعر وسائر العواطف، والفن الشعبية الكبيرة تنال قوتها منه ... ولم تلبث مبادئ الثورة الفرنسية أن ألقت في قلوب الناس حمية دينية كالتي ألقتها المعتقدات الدينية السابقة، ولم تفعل بذلك غير تحويلها وجهة النفس الموروثة المتكاثفة مع الزمن ...

إن الطاقة النفسية والخصائص الاجتماعية تنفس من نفسها منذ أن حاول الإنسان العصرى أن يتنكر لفطرته ويحججه أشواقه، ويتجاهل منطق العمليات العقلية العليا فلا يسلم لغير التجربة الحسية المباشرة. وما فتئت هذه الطاقة الإنسانية التى أريد إهمالها تعمل صملا وتعب عن وجودها بصور متباينة، تصرخ مشيرة إلى الصنعب المستتر في كوامن الوجدان ينشد الإرضاء أو التمويض. وهذا لوبيون الفرنسى يتحدث عن مفخرة أمته التاريخية (الثورة الفرنسية) يقول:

ولم يقيم سلطان الثورة الفرنسية على ما كانت تنشره من المبادئ، ولا على ما كانت تضعه من الأنظمة؛ إذ الأمم لا تنال بالمبادئ والأنظمة إلا قليلا (١٤) وإنما السبب في قوة هذه الثورة وفي رضا فرنسا بما أتمته من المذابح والهنم والمول، وفي مدافعتها الطاغية حيال أوروبا المدججة بالسلاح هو إلتامتها ديانة جديدة - لا نظاما جديدا، ولقد أثبت التاريخ ما للمعتقد القوى من القوة التى لا تقاوم ... حقا إن مصدر المعتقدات سياسية كانت أو دينية مشترك، وهى خاضعة لسنن واحدة - أى إنها لا تكون بالعقل وكثيرا ما تكون خلافا لما يقتضيه العقل ٤١، فالבודהية والإسلام والإصلاح الدينى

دلالتها على الأعماق البعيدة في النفس الإنسانية التي تثبت وجودها بما يفيض على سطح المجتمع من أحداث وظواهر . . . مهما تكرر الناس لنفوسهم ١١.

وبمثل هذه الفلسفة يناقش لوبون الشيوعية أيضا في كتبه ، فطائها قساوسة متدينون لم يغيروا سوى اسم آلهتهم ، ومن مظاهر هذا الدين ما جاء في جريدة (الأومانيتيه) في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ من أن الأستاذ الشاب في السوربون ألني في حفلة افتتاح مدرسة ، موعظة حماسية استغاث فيها بالآلهة العقل . . أولئك الزعماء متدينون لاعتقادهم انقلابا يخرج منه عالم جديد ، هم يفخرون بإنكارهم الأساطير مع تمسكهم بأسطورة من فصيلة أساطير القرون الأولى ، فالخوارق عندهم بدلت شكلها فقط ، أي : أنها تبدو لهم على وجه قادر على تغيير طبيعة البشر وتعيد المجتمعات لجأة . إن النصرانية تقول بثواب في جنات الآخرة ، وهذه لا فتأ تعد بسماعة دنيوية لم تتحقق بعد ١٢ (١) .

ولكن لوبون لا يناهض الاشتراكية كأنحاء عام لتحقيق التكافل الاجتماعي ، وإنما يناهض النظريات والتفاصيل . . لا نكون

إن الأمة - عند المتقدمين والمتأخرين من اليمانية - كآلهة ، ذات شخصية سامية ، لا نسأل عما تفعل ، ولا نخشى أبدا ، فالجميع مسئول عن إقطاعها وإن جازها أن تقتل وتتهب وتحرق وتأتى أقصى المظالم ونطرح غندا في الفكر الأسفل من رفته اليوم إلى مصاف الأبطال ، ولا يعدل رجال السياسة عن السجود أمام حكامها ، مسيحين بمحمد فضائلها وحكمتها العالية ١٣

وقد فصلت نفسية رسلنا السياسيين الدينيين في الوقت الحاضر في مقالة نشرت في إحدى الجرائد الكبيرة عن أحد وذرأتنا السابقين : يسألون عن الفرقة التي ينسب إليها مسيو فلان ، هل هو من فرقة الملحدين . . . ؟ إنه لا يختار أى إيمان وحشى ، ويلعن روما وجنيف ، ويحمد بالعقائد التخليدية . ويكفر بالكناثر المعروفة ١٤ لأنه إن جعل الصحيفة هكذا ملء ، فذلك ليقم عليها كنيسة الخاصة التي هي ذات بدع أكثر من كل كنيسة ولن تقل محكمته التفتيشية في شدة تعصبا وعدم تسامحا عن أشهر حاكم نوركانة ١٥ (١)

ولنا في معرض مناقشة تفصيلية آراء جوستاف لوبون ، وإنما نأخذ منها هنا

(١) روح السياسة : ترجمة زعير ص ١١٤ ، ١١٥

١٢٥ ولزيادة التفصيل : كتاب المؤلف منه روح الاشتراكية .

(١١) روح الثورات : ترجمة زعير ص ٩٧

٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١

موافقة على علم ونور ، وتحقيق (الراحة الإنسانية) بغير دين ١١ .

ومضت الدراسات النفسية قدما ، وانفجرت كلكت فرويد تكشف عن مناهات (اللاشعور) ١ . اللاشعور وهل هناك غير الحس المباشر القريب ، وهل هناك غير العقل العاقل الرشيد ؟

وأقبل علماء النفس ينقبون في أغوار اللاشعور بنفس مناهج التجريب واستعملوا أساليب التأمل الذاتي

(الاستبطان) والملاحظة الخارجية والتحليل النفسى وتابعت الأبحاث والفحوص ، وأعد الناس أنفسهم لمهد جديد : تناس فيه (السعادة) و (الراحة) و (الاتزان) في المعامل بالعدادات ١١ وبدأت الثمار تفتح .

« يصارح فرويد النفس بأن كل صنوف النشاط التي تصدر عنهم تعود إلى ما يوجد في أعماقهم من فطرة توجه التفكير والسلوك على اختلاف أشكاله وأساليبه ، مع أن الناس بطبيعتهم يميلون إلى الفخر بقوة إرادتهم وإن أظهر الحزم في تقرير سلوكهم بأنفسهم ، وينكرون أى أمر في أعماق نفوسهم يوجه نشاطهم دون وعي منهم ١١ .

وأغلب النقد وجه إلى نظريته من الميل الجنسية وكان نقداً لاذعاً قويا دفعه هو إلى

بمناقضتها مفارمين لحركة التضامن الاجتماعى لئلا لا يدور في خلد أحد أن يحول دونها ، فتقدم طبقات العمال مادة ومعنى من المسائل التي تهتم جميع الناس ، والدليل على ذلك ارتفاع الكتل لشرورات التأمين ضد حوادث العمل وإنشاء بيوت العمال . ومنح العمال رواتب تقاعد وتعليم العمال والاعتناء بصحتهم وقمع اعتمادات مالية للزارعين . الخ ، (١) .

هكذا برزت الديانات الجديدة ، في العصر الذى لا يرضى بالدين ١ .

وهكذا أقيمت آلهة الهوى بعد أن رفض الناس أن يتقادوا للإله الذى تحدث عنه الأنبياء ١ .

إن نزعات الإنسان في التطلع للستور ، والتحمس لعفيدة ، والاتباع لقوة عليا ، والانخراط مع الزمرة . كلها نزعات لا تريد أن تموت ١ .

• • •

وأقبل العلم يعالج هذه النفس البشرية . . . هذا الكيان الغامض الذى يأتي بالمعجب العجائب ١ .

وتقرن صياغة الديانات الجديدة بدراسة النفوس . . . حتى تأتي الديانات مفصلة

في الحياة النفسية ، سيطرة شملت كل نواحي النشاط وتفاصيله في النفس ، على حين رأى فرويد أن الجنس على ماله من السيطرة في حياة المرء لا ينفق مع رغبة الإنسان في الحياة المخوفة التي لا يمكن أن تقتصر عليه ولا أن تشتق منه دون غيره ١١

كذلك قال فرويد برأى خاص عن اللاشعور ذلك أنه يزعم أنه قد كشف عن وجود (لاشعور جمعي) في النفس الإنسانية تشتق منه الحياة الشعورية واللاشعورية في الفرد ،

وهذا اللاشعور الجمعي موروث يحوى الغرائز كما يحوى الأفكار الأولى ، ولا تصدر عن هذا اللاشعور الجمعي صان بيته واضحة بل ميول إلى التفكير على منحنى معين قد تظهر في الأحلام أو في مخاوف الأطفال أو أوهام المعتومين ، بل في حياة الأسوياء من الناس حين يجبه الواحد منهم موقف لا تقيشه في نفسه المعارف العليا التي ألم بها منذ قريب ١٢ .

أما أدلر فقد وجد أن الغاية من كل مرض نفسي هي تمجيد الشعور بالشخصية الذي يظهر على أكثر أشكاله سذاجة في مبالغة المرء في إظهار الرجولة واعتزازه بكل ما يتصل به من سمات وميزات ، وهو يخطئ فرويد في تحليله الجنسي للأمراض العصابية ... الخ ، (١) .

(١) دكتور إسحق رينزي : علم النفس المعاصر ص ٥٢ : ٦٩ .

توضيح كثير مما قال به وإلى توسيع معنى الميول الجنسية عند الإنسان حتى وسعت الحياة الوجدانية كلها بل الحياة الخلقة والجمالية والفكرية أيضاً حتى لقد اهتبر بعضهم مذهبه نظرية للقيم لها صفة (الواحدة) مثل المذاهب الفلسفية التي ترجع كل ضروب النشاط إلى غريزة البقاء والتناسل . وقالوا إن نتيجة الفرض الذي وضعه فرويد (هو أنه يمكن التطبيق على كل شيء) ولهذا لا يمكن أن يثبت أى شيء ١١ .

ومن ألوان النقد التي وجهت إلى التحليل النفسي أن فرويد وأتباعه — على صواب كثير من آرائهم ، وعلى الجهد الذي بذلوه لاستنتاج الطريقة العلمية في أبحاثهم — يعرضون لدراسة النفس ويبحثون في أمراضها بفكرة سابقة في أذهانهم وبفرض يلتصون له الإثبات لحسب ١٢ .

ويطول بنا الحديث جداً لو أردنا أن نقصص أوجه النقد التي يمكن أن تؤخذ على فرويد فإن ما كتب في تحليل النفس وما كتب ضد هذا المذهب قد يسع مكتبة بأكملها ١١ .

على أن أهم من نقد فرويد وعمل على استكمال مذهبه اثنان هما أدلر وفرويد ... وكان مصدر الخلاف الأساسي بين فرويد وفرويد هو السيطرة الكاملة التي كان يقول بها فرويد حينذاك عن الميول الجنسية وحدها

ملزم فيها ، والاكتئال في علم النفس هو تحقق الذات ، وكما نكره الطبيعة كل فراغ فإن الكائن الحى يكره صدم الاكتئال كذلك ، ونحن نجد السعى إلى الاكتئال والإحساس بعدم الاكتئال ظاهرين بشكل واضح في الدين والذات المنتظمة يمكن أن تعرف بأنها تنظيم لجميع المواقف والاتجاهات المستساغة والإرادة هي الذات المنتظمة جامعة وهي الذات متحركة وإن المنبه المناسب للإرادة - ذلك المنبه الذى يصلح لإثارة الذات بصفة خاصة إلى النشاط - هو المثل الأعلى ، أى هو الفكرة أو الشيء الذى يؤدي إلى التحقق الكامل للفرد كله .

إن الكائن الحى إذا كان مدفوعا بالغريزة والبيئة وحدهما فإنه يسمى ما يتبع (سلوكا) أما إذا اشترك مع القوى الروائية والقوى البيئية مثل أعلى شعورى أو غاية يتجه إليها الكائن الحى سمينا النتيجة (مسلكا) ولهذا نذكر السلوك وتقصد به سلوك الحيوان ، ونذكر المسلك وتقصد به سلوك الإنسان ، وكل عمل غريزى يؤدي إلى نتيجة ما ، أو إلى (غاية) معينة ، ولكن هذه الغاية إذا أدركها الإنسان إدراكا شعوريا وسعى إليها بمحض اختياره فإنها تسمى غرضا ، والمثل الأعلى المائب من الناحية السيكلوجية هو المثل الذى يستطيع جلب التوافق للنفس باجتناب

وعادت المشكلة التى أودنا أن نحلها بلم النفس ، تسخر منا ...

وتشعبت فروع علم النفس: نظرى وتطبيقي وتحليل ، مرضى وعلاجى ، تربوى واجتماعى وصناعى وحرى ، فردى وجماعى ... فروع لا تنتهى تغشى كل آفاق الحياة .

وتعددت المدارس : فرويد وآدلر وبيونج ومكندوجل ، السلوكيون والارتباطيون (الجشتالت) والبراهمازم ... واقترنت الفلسفة بالعلم ، وتجاوز التجريبيون الحدود الصارمة للملاحظة والاستقراء إلى الآفاق المرونة للتعميم والاستنباط ... ودخلت الأهواء مع نفوس العلماء إلى معامل الاختبار وعيادات التحليل ١١١ .

ومع هذا كله ، فقد كشف علم النفس آفاقا هامة للمعرفة ، وأشار لإشارة واضحة إلى الطريق حين تجرد من التساؤل التى يعمدها تعصب صناعها ... إن آفة العلم فى الذين يتصايحون به لغير العلم ، ومن هنا استغلت آراء دارون فيما لم يكن يدور بخلد دارون ، ووجهت نظريات فرويد إلى أبعد مما تصوره فرويد ! .

أما العلم الرصين الناضج فتقرأ فى صفحاته لا بد لكل كائن حى من أن يتحرك صوب اكتئاله الخاص ، فكمال الحياة هو هدف الحياة ، والخافز إلى الاكتئال هو أقوى محرك

بأن تمنحه سعادة لا حد لها (١) ، هنا يسجل العلم تسجيلاً أميناً ، لا يتورط ، ولا يتعدى .
والدين لا يهتق بهذا العلم الأمين ، بل إنه يتمز به ، إذ تعاون أدوات الله التي استدعها في الإنسان من حواس وعقل مع أدوات الله التي أرسلها مباشرة من وحى وهدي ، ويركب الإنسان كل مركب لاجتلاء آيات الله في الآفاق :
« سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ، أما أن ينصرف الإنسان عن الله الواحد لينحت لنفسه آلهة تسد الفراغ ولا تغطي الظلمة ولا تنمي من الالتزام ، فهذه صفة حاسرة لا تقدم للعقل جديداً وتزيد قرابين الجهد والدم أي مزيد ؟

فنی عثمانیہ

(١) حاديفيليه : علم النفس والأخلاق ترجمة أبو العزم
ص ٨٥ - ٦ ، ٩٢ ، ٩٢ ، ٩٠ ، ١١١ ، ١٢١ ، ١٢٦

الاتصالات الفريزية جميعا وهو الذي يستطيع باستشارة الإرادة إلى غرض مشترك أن يصب للفرد باعتباره وحدة سيكلوجية في قالب كائن حي وهو الذي يضمن تحقق الذات والسعادة وذلك بإشباع السعى إلى الاكتمال... والرجل السعيد هو ذلك الذي يجد في الحياة تعبيراً متوافقاً عن غرائزه كلها - عن غرائز الطموح وإثبات الذات في مهنته ، وعن غرائزه الجنسية في الزواج ، وعن غرائزه الوالدية في أسرته أو في عمل الخير ، وعن استطلاعها في البحث ، وعن حبه للظهور في الإعلام ، أو الكتابة ، أو الرسم. وعن غرائز المفاتاة والغضب في دفاعه عن معتقده ... هذه الغرائز وغيرها حين توجه نحو غرض مشترك عام كأن يعيش من أجل بني جلدته تكون قينة

معرفته ، وهو كما يقول أكثر شعراء العرب
اختراعاً وتوليداً ابن الرومي :

مطلبه كالخاص في حرك السبعة

من دون درهما الخطأ

وكما يقول بعض نقاد الغرب «تين» : لأن
أفود جيتا أمهل على من أن أكتب ستة
آيات جملة من الشعر .

(۴ بقية)

علي الحسيني

ذلك أن شوقي كان يمتزجاً بآثار أسلافه الشعراء في الوزن والتقفية ، ويرى أن التجديد الصحيح : لا يهدم الأساس ، ولا يذهب بالأصل ، وأن الفن تعب وعناء ، والعبرة بهد متواصل ، وأن الشعر ليس هواً ولها كما ينظر إليه بعض الشعراء في هذه الأيام بل هو كما يقول قتاد العرب : عمله على الحافق به أشد من قتل الصخر ، وهو كالبحر أهون ما يكون على الجاهل به أهول ما يكون حل العالم ، وأنصب أسماحه قلباً من عرفه حق

من وحي الأخبار إلى المشتغلات بالشئون النسوية للأستاذ أبو الوفا الراغب

خبر صغير لكنه خطير ، خطير في معناه ودلالته وفيما ينشده من أهداف وغايات يشهه الأقدار في وقته المناسب حين الاحتياج إليه ، نسوقه إلى من يشتغل بالشئون النسوية ويتزعم بزعمه الدفاع عنها ، نسوقه إلى هؤلاء ثم نشرح ما فيه من مغزى ودلالة حتى أن يكون فيه مقنع لليب أو منصح لرشد .

نشرت بعض الصحف ، أن الملكة اليرانيات استأجرت لابنها ولي عهد إنجلترا أبا بدلا من أبيه الذي قام برحلة طويلة إلى الخارج حيث لم يبق مع ولي العهد رجل بين أفراد الأسرة المالكة فكلهن من الفتيات والسيدات ، وقد رأت الملكة أنه لا بد من وجود رجل مع ابنها الصغير ، ولهذا استأجرت له أبا ، وسيرافق الأب الجديد ولي العهد في كل مكان يذهب إليه .

وهذا هو الخبر وإنه لخبر غريب بل ربما كان من أغرب الأخبار . سيدعش له كثير من القراء وبينهم من يفهمه مذهب ،

وسكون تأويل أكثرهم بعيداً عن المغزى المقصود منه ، وسيجد فيه الدارس المتفحص معنى جديراً بالتقدير والاعتبار لما فيه من فلسفة سياسية واجتماعية وحكيمة ، ذلك أنه ولي العهد الحالي سيكون في المستقبل القريب أو البعيد ملكاً لدولة من أكبر دول العالم وأهمها مشاركة في توجيهه وقيادته ولا بد لمن يلي هذا المنصب من أن يعد إعداداً يناسب مسئولته وخطره ومسئوليته متشعبة ، فهي مسئوليات سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية ، وهذا الإعداد لا بد له من جو خاص يسوده الحزم والصرامة ، ويمزج فيه بين اللين والشدّة ليكون ذلك الجو صورة لواقع الحياة ، وواقع الحياة عبوس وابتسام ، وسلام وخصام وشدّة ورخاء واكتئاب وهناء .

ومن قبل هيات الأقدار لاحتجاب الرسائل العظمى في الحياة هذه الأجواء ، وقل أن تجد في أحبابها من لم يمتحن في تاريخه ، ومن لم

تخصه الحوادث حتى استبان مواهبه وملكانه
وأكثر هؤلاء نجاسا أطولهم في فترة الاختيار
والتمحيص ، وهذا الجو أو هذه البرقة التي
يصاغ منها الرجال وأصحاب الرسالات لا يمكن
أن تهيم امرأة أو مجموعة من النساء مما كانت
حظوظهن الثقافية والحنفية فالجو النسائي
بطبيعته جو مريح وبجاجة ، وقلق واضطراب
تسوده العاطفة المتقلبة والحنان المفرط وتسوده
الرعاية واليوقة ، والناس في هذا الجو لا بد
أن يكون صورة له ومطبوعا على قراره
- لا جرم أن يكون واهي الأركان مزروع
البنیان ، لا يثبت لحدث ، ولا يستقر على حال ،
لا يتألب الأقران ، ولا يركض في ميادين
الابطال ، ومن الغريب أن تكون هذه الحقيقة
متفردة في نفوس الشعوب حضرياً وبدويها
متقدما ومتخلفا وإنما لفسح في أفق الريف
بعض العبارات التي تترجم عنها ، نسجهم
يقولون في مصر وصف بعض الأشخاص
بالضعف والتخاذل : « هو تربية مجالة »
والمجالة في عرفهم اللغوي من ملت صا ذرجها
وتركت بعده تربية أبنائها . لقد أثار هذا
الخبر الذي ذكرناه أشجائنا بما تطالب به بعض
الهيئات النسائية في مصر ونشره الصحف
ويشتغل به الرأي العام وجعلنا نربط بينه
وبين هذه المطالب لتكشف عن وجه الخطأ فيها
ونأخذ من مغزاه الذي يلتقي مع بعض مقرراتنا
الدينية حجة حديثة على ذلك الخطأ ولحديث
عند هؤلاء اعتباره وتقديره وبخاصة إذا كان

الغريب مطلقه وأنه لطلع نخص في بعض الأحيان .
لقد أخذت بعض الهيئات النسائية تطالب
بامتداد مدة الحضانة للأبناء وسلب حق الرجال
في ضمهم إليهم لعل أقل ما يقال في أدب الجدال
عنها إنها وأمية متهافة ، وعما يه : إن الأمهات
أصلح لهذه المهمة من الآباء لمكان
الحنان والعطف في نفوسهن ولجبرتهن
بشؤونهم وتوافر أوقات الفراغ لرعايتهم ولاشياء
أخرى تدور حول هذه المهام ، ونحن
لا نستطيع أن ننكر بعض هذه الأشياء
ولكننا نقاش ونناقش كثيراً في بعضها
وبأيدنا أن نحدثها .

إن الحنان والمحبة قد مشترك بين الآباء
والأمهات وهذه الطبيعة لمولاد وأولئك
بالآباء ووقاية لمن العواصف والقواصف
وقد ما قال العربي البدوي سليل الصحراء :
إنما أولادنا بيننا
أكبانا تمشي على الأرض
ولم يقل إنما أولادنا بيننا أكبانا
أما أن الأمهات أخبر بشؤون الأبناء
وأدوى بوجوه مصالهم قتلك دعوى
دونها النجم ولعل في الواقع والمقرر في نفوس
العقلاء ما يغني عن الحديث فيه . إن تهيم
الآباء لرسالتهم في الحياة تحتاج إلى الحنان
والحب وتحتاج أكثر من هذا إلى القوة
والجزم . والحنان المحض ، والعطف الدائم ،
طريق لا تصد عنه .

فقسا ليزجروا ومن يك حلما
فليس أحيانا على من يرسم

الخطيرة في حياتهم ، ويعرض هذه الحسارة على الأبناء بمجموع مافي الرعاية الأبوية من الفوائد التي أشرنا اليها ، وأهمها هيمنة الرجل وسلطانه اللذان لا بد منهما لحماية الناشئة في عصر تنوعت فيه أسباب الفجاية والفتنة .

هذا وتعرض الأبناء للخطر في حالة زواج الأب بأخرى قد يحصل لهم مثله مع الأمهات وذلك حين ينزلن في تيار المدنية فيسلكن بهم مسالك اللهو والخلاعة ، وبفسدن عليهم مستقبل حياتهم وما أكثر الأمهات اللاتي أنزلن في ذلك التيار فوردن بأبنائهن الموارد الوخيمة . وعلى كل لحالات الشذوذ التي تعرض لبعض الآباء لاندعو إلى تغيير أحكام الحضاعة الحالية التي قررتها الشريعة وجرى بها العمل منذ أرسى الله قواعدها على أسس اجتماعية صحيحة ، ولم يستمسك بها الفقهاء والمفتون للهوى والعصية ولكن لما اضطوت عليه من مصالح واضحة وحكم معقولة .

إن المطالبة بتغيير هذه الأحكام قضية يغلب عليها الجانب العاطفي وينقصها الدراسة المثانة الواجبة كأكثر القضايا التي تتعلق بالإصلاح الاجتماعي المتصل بالدين في هذا العصر . وحيدا لو اقتصد القائمون على الحركات الإصلاحية في المطالب ثم استعانوا بذرى البصر بها فإن خطواتهم حينئذ تكون أكثر سدادا وتوفيقا . **أبرو الوفا المرغفي**

والأبناء في فترة خاصة في حاجة شديدة إلى سلطان الأب يفهم دون نزواتهم ، ويقيم خطواتهم ، والمرأة ضعيفة السلاح في هذا الميدان . وكل أب وكل أم يحسن بذلك وما أكثر ما تهدد الأمهات الأبناء عند الزلل بسلطان الأب فيرعون ويرتعون .

والشريعة الإسلامية كانت في هذا الشأن حكيمة ورائدة شأنها في كل ما ترسم وتقرر فتد قسمت فترة تربية الطفل بين الرجل والمرأة قسمة عادلة لجملة الفترة الأولى منها للمرأة وذلك حين يكون الطفل في حاجة إلى الجانب العاطفي الخالص وإلى الرعاية الجسمية المحضة ، وهي الفترة التي بين الولادة وسن السابعة أو قريب منها وولدت الطفل في الفترة الثانية - وهي الفترة الخطيرة فترة تكوين الشخصية من الناحية العقلية وإعدادها لمستقبلها - إلى الرجل ينفق فيها خبرته وتجاربه ويمارس فيها سلطانها وقوته ليجهل من أناته خلفا صالحا جديرا لحل مشاق الحياة في رحلتها الطويلة .

وربما يقال : إن الرجل قد تعود هذه الصلاحية لعنم أبنائه إليه ورعايتهم وخصوصا حين يتزوج بأخرى لما يتعرض له من توزيع حواطفه بينهم وبين زوجه الجديدة أو بما تسلبه الزوج الجديدة من عطفه عليهم ، فتضطرب حياتهم وتقسو معيشتهم ونحن نعلم بذلك إلا أننا نرى أنها حالات نادرة لا تسوخ سلب حق الآباء في ضم الأولاد إليهم في الفترة

استقبال شهر المحرم

للاستاذ عز الدين علي السيد

طالعنا هلال المحرم بهلاله السعيد ،
يعلن عاما هجرياً جديداً بعد أن تنفس طم
ثله آخر الأنفاس ، وقد انطوى عنا بجميل
من الأحداث في حياة الإسلام والعرب ،
ينبئ على العرب والمسلمين أن يقفوا منها
موقف التاجر الكبير عند رأس السنة ،
يحصي ماله وما عليه ليعلم إخفاه أو نجاحه ،
وليتعرف في حذق سر كل منها ، وليدخل
كامل الأمانة لاستقبال الزحام السيف ، وصراع
الحياة القاسية وهو قابض يديه ككتيها على
مجلة القيادة . مادفاً إلى نصر لا تبعده الأخطاء
ولا تستحيل به عبادة الهوى ، أو تنحرف به
عن الوصول الرذيلة .

أو يميد فيفزعنا اهتزازة ، لأن السادة العبيد
من حكامه غمرتهم المطامع فطمرتهم ،
فتوارت عنهم أضواء الفضيلة الممتدة في حقوق
إخوانهم وواجبات بلادهم ومقدسات تاريخهم
وحرمت أمتهم فأبنا النكسة التي أصابت
العراق في حكامه الثائرين ، وإذا فرحة
الأمس قد شر بها الأسى والألم ، والنار في
العراق تلتهم الأبرياء والهم يسفح السفهاء ،
والأمن تسلبه الرذيلة والخير يتكته الشر ،
فتحزن للعراق كما فرحنا للعراق ، وتقل دماؤنا
بالغضب لمقدساتنا فيه وإخواتنا منه ،
والمروبة شيء واحد لا يتجزأ ، والعقيدة
جلعة توحد المفرق ، وتؤلف المتناثر ،
ما دامت ثابتة صافية ، لم تحتلها من المكامن
عواصف الشك ، ولم تكسدها عناصر
الإلحاد .

انصرم هذا العام بآيات لقوم يتفكرون .
فأبنا العراق الحبيب بفور فيحرق الأصنام
ويجنى بعضنا بعضاً بانتصاره ، ورأبنا
لبنان العزيز تنفجر فيه البراكين فتطيح
بمعاقل العدوان الحاقدة على الحق ورأبنا
الجزائر الصابرة تضاعف جهودها في جهادها .
قتعالف النصر ، ويؤازرها النجاح ، وتؤيدها
الملائكة في كل خطوة ، كما رأبنا الكثير من
بقاع الأرض العربية والدنيا المسلمة يهتز

ولندمع هلال المحرم حادث الهجرة إلى يثرب الذي
ارتبط بالمولد الأول مولد الرسول عليه السلام
أوثق الربط وتوات بعده توح الإسلام ومغازيه
وحيا يوحى لهذا يتر الشد والفضيلة ، أو سلاحا
يشهر في وجه الباطل والضلال والرذيلة حتى
يستقيم المعرج ويمتدل المنحرف ، وتؤمن

الجهل والضلال ، ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، ، لن يؤمن لك حتى تخرج لنا من الأرض يثبوعا .
« ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » .

فليس دعوى الساهرين حول الدار عن الخارج المرتقب - وهم رصد لقلته ، من أجله قتيان فريش وأذكارهم وأحقدتم - أمرا تلده الصدقة ، أو تحكم به الظروف العابرة دون قصد من الإرادة والقدرة الإلهيتين ، هدفه دفع الباطل بالآية المبينة ، وإذ يترك بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .
وليس الدرع الواقى تحسوه المناكب

الضعيفة على باب الغار من نسيجها الوامن يسكنه الرفيقان الحبيبان ومن فوقه الجناح المرقش يحضن الغار في حنان ويهدل على رأسه في سكونة يمينك من الضعف والوهن أقوى سلاح في الوجود للضعيفين النازلين ، ليس ذلك أمرا تحدته الموافقة في الظروف دون العناية الحادثة من رب الرسالة الهادية ؛ صوتا لحياة القائمين بها وبرهنة على صدق ما يدعون .

وليس أحد المارة لو نظر تحت قدميه لرأى الرسول والصدى مع كثرة العيون وشدة الطلب تصرف أظفارهم عن الهدف

الحياة بأن رحمة الله من السماء شملتها ؛ فاجتثت من الأعماق جنود الغضب في الأرض حتى يكون فيها أمثال الملائكة أخلاقا . في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ، « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون » ، « أشداء على الكفار رحماء بينهم ، « أذلة على المؤمنين أصرورة على الكافرين ، « يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، .

وما نبت على هذا الثرى قبل ذلك بكثير من يتعاضى الفجور فضيلة أو يتعاضى الرذيلة هفة أو يمنح للعلم إجلالا للسلام ، أو يؤمن بالإنسان على أنه أخ يرحم ويعان حسبة لله أو تلبية لنداء العاطفة .

وقد صاحبت الهجرة إلى يثرب حجج النبوة الدائمة ، وعلامت الرسالة الصادقة لا ترك لمنصف أن يهلك في عهد فيقول : « ساحر كذاب » ، « يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون » . . . إلى آخر الاتهامات التى نسجها الحقد أو الحسد أو التهمك المولود في ثرى

بالأهل والولد يخرجون على فكره ،
ولا يؤمنون بدعوهه ، يضع الحنين إليهم
وعاطفة الحب لم تحت صرامة الحق الذي
حاربوه وصراحة الوحي الذي كذبوه ، فلا
يلبث الحنين الرفيق ، وعاطفة الحب أن يستجيلا
فضيا ثائرا على المارق « يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم
بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » . .

كان في الهجرة رضا النبي وأصحابه كل الرضا
بالله فتركوا فيه الأهل والمال والوطن ضنا
بالعقيدة وطلبا للحرية وتلبية لنداء الله ومن
يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما
كثيرا وسعة .

وفي الأرض منأى للكريم عن الأدنى
وفيها لمن رام التقى متحول
وفي الهجرة إلى ذلك انكشاف للجوانب
الإيتار والقداء في صحابة الرسول ، ولعدة
ارتباطهم به وانصباب روجه في أرواحهم
وانطباع عقيدته في عقائدهم فتعسّل التقى الباسل
يتسجى برد الرسول المهاجر ، وينام في مرقده
المطلوب ثابت الجأش رابط القلب مؤمنا بالله
يخرج على القوم في الصباح فيختمهم لا يهاب
بطش طيشهم للفاجأة ، وما تركه النبي الحاني
إلا حفاظا للذمة وردا للأمانات وإصلا للودعة ،
لم ينسه ذلك ما يكتنفه من المشاق وما يحيط

أقرب ما يكونون من الفرصة السالمة فيرجعون
بغنية الفشل . ليس ذلك من الأمور التي يمكن
أن تكون عادية في حياة الناس ؛ إذ العقل يوحى
باختفاء الخائف المتسلل في هذه المهاجر ليضل
الطالب . والأثر المتقني يؤكد أنه مأواه ؛
« إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ،
فأنزل الله سكينة عليه وأيده بمحمود لم تروها » .

هذه الآيات إلى حديث سراقه كانت جديرة
بإجماع أهل الدنيا على صدق محمد صلى الله عليه
وسلم في قضية الرسالة ، ولكن طابع البشرية
على اختلاف أفرادها لانسجام الحياة جعلت
حكمت ، فسمى من هذه الآيات وعن غيرها
من بصرته الزمّاح البارقة ، وحاد عنها من
هدته مصارع الطغاة الحامية ، أو تضاعفت
في قلبه أنوار الوحي الباهرة ، وظل على
كفره . من أضله الله على علم ، ونخم على سمعه
وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه
من بعد الله ؟ .

« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة
ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك
خلقهم » .

هلال المحرم يحمل تلك المعاني ، ويحمل
معها معنى عزة المؤمن يشد مكانها في أي بلد
أو وطن ، لا يبالى بالغرابة لإباء الضيم .
ونشدانا لقوة ، وبناء للأمل ولا يعطل

وإذا كان فيها من دفع فلتنفعنا هذه الذكرى
بالأمل في عامنا الجديد ولتدفعنا إلى الظهور
على الأهل والنفس والمال والولد في سبيل
العمة والمجد، والوحدة والكرامة، لتقتل
العدو الكاشح الذي بناوتنا في كل قطر
وبحار بنا في كل بقعة وبمحاصرنا في كل سوق؛
دعاية لا يرضن عليها بمال أو وقت، واقتصادا
لا يبخل عليه بقرق أو دم، وحربا لا يغفل
عن ميدانها ملكة ولا يمتنكا؛ وأعجب العجب
أنه الباطل يدفعه في عتف وأنه الحق تفرق
عليه في تماثل، ولا يؤسف ولا يحزن شر
من ذلك في حياة الآمل الحالم؟

هز الدين إلى لب
إدارة المعاهد ادينية

به من الصعاب، وأبو بكر الرقيق الصديق
يصحب النبي المهاجر يمرض نفسه لتقتل
المحتمل وإن كان لا يشك في نصر الله، يعز
عليه الرسول أكثر من نفسه فيقدمه إذا
ذكر الرائد، ويتخلف عنه إذا تصور
الطالب ليكون في الحالين دون الرسول
والأذى، وأسماء الفتاة الوديمة تذهب وتجيء
إليها بالطعام لا تخشى أن يدرکها من الأمر
المفزع ما تضيق به دفعا عن الروح، كل هذه
صور يحملها المحرم ويوحى بها هلاله، لترسم
في إطار من الروعة تشهد القلوب المؤمنة في
جلال، تتخذ منه عتادا وتستر به زادا.

يحمل هذا هلال المحرم وفوق هذا يحمل
هلال المحرم فإذا كان في الذكريات من تنفع

خصائص قوميتنا

- ١ - هي قومية بالمعنى الحضارى الشامل ولكنها ليست عنصرية .
- ٢ - وهي اشتراكية تدعو إلى تدخل الدولة لزيادة الدخل وتحقيق العدل في التوزيع ، ولكنها ليست شيوعية .
- ٣ - وهي « شورى » تؤمن بسيادة الأمة ، وتضع مصلحتها فوق كل شيء . وترى في الديمقراطية الصحيحة السليمة الطريق السوى الذى يكفل الحرية والكرامة والخير العام للأمة العربية .
- ٤ - وهي ترى أن كل نظام استبدادى يناهض طبيعة الأمة العربية من حيث الأساس ويعارض الحقائق النهائية التى ترسبت لهذه الأمة من تاريخها المجيد .
- ٥ - وقوميتنا بعد هذا « تقدمية » تجديدية تأخذ بكل وسيلة مجدية لإعلاء شأن العرب ورفع مستواهم الاجتماعى والثقافى والاقتصادى .

قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ فِي السِّينِمَا

لِلْأَسَازِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ نَاصِفٍ

في مهارة القائمين بها ، وفي اتقانهم على إخراج موضوع جدى عن حياة أحد الأنبياء ؛ لقد طاعر الأستاذ التابى صناعة السينما في مصر خلال الثلاثين سنة الأخيرة ؛ ولعله لا يعترض كثيرا حين أذكر أن تسمين في المائة من الإنتاج الخالى بهبط في مستواه الفني عن أول فيلم أخرجه «ستديو مصر» مثلا او إذا كانت هذه حال السينما عندنا فيجب أن نردد وتريث طويلا عن طلب إقحام قصص الأنبياء والرسل في سوق تضرب فيها الفوضى والجهل والارتجال بأوفر سهم .

إن الأفلام الدينية : لا يجب الترخيص بموضوعاتها بمثل البساطة التي ترخص بها لموضوعات الأفلام الأخرى لأسباب كثيرة أولا : مكانة مصر في العالم الإسلامى واعتبار ما يصدر عنها مثلا يحتذى . ولقد سمعت من أحد الدبلوماسيين أن بعض الأفلام المصرية التي عرضت في أندونيسيا كان ثغافتها أسوأ الأثر في نفوس الذين شاهدوها ؛ لدرجة اضطرت معها سفارتنا هناك إلى التدخل

اصترضت مشيخة الأزهر على فكرة إنتاج فيلم سينمائي يتناول حياة يوسف عليه السلام . وحاول الأستاذ محمد التابى في مقالين بجريدة «الأخبار» أن يثبت :

أولا : أن رأى رجال الدين في هذا الموضوع لم يتطور ، ولم يختلف عن آراء لم قديمة . ثانيا : أنهم ناقضوا أنفسهم فلم يحتجوا على حديث ثورته صحيفة «الأهرام» في عام ١٩٥٥ جاء فيه أن «سيسيل دى ميل» يبحث عن مثل يستند إليه القيام بتسجيل «صوت الله» باللغة العربية في الطبعة التي ستوزع على البلاد الإسلامية من فيلم «الوصايا العشر» الذي يخرجه .

• • •

ويبدو لى أن الأستاذ التابى على قدر اتصاله بالمشتغلين بصناعة السينما ليس لديه الوقت لمشاهدة إنتاجهم ؛ وإلا كان حكمه - وهو الناقد الأريب - أن صناعة السينما عندنا لم تتطور هي الأخرى ، حتى تتطور الآراء بالنسبة إليها ، وحتى يطمئن ويشق رجال الدين والدنيا

فيلا خطيراً تصل نسبة الكال فيه إلى درجة عالية . ولذلك يجب أن تقتصر تجاربنا على الموضوعات العادية ، ولا نقحم الدين في هذه التجارب . إن أفلام « الوصايا العشر » و « الزداء » و « كوفاديس » التي ضرب الأستاذ التابعي المثل بها قد تكلف الواحد منها بين ستة ملايين و ١٣ مليوناً من الدولارات وجبّت من أجلها أقسى الطوائف المنية . ولا يزال أناس يتصدون بالقول إتنا نصنع أفلاماً ممتازة على مستوى الأعلام العالمية ؛ والدليل على ذلك أن أصحاب هذه الأفلام لا يحدّون متفرجين لها حتى في بلادنا ، ويطالبون الحكومة بأن توفر لهم جمهوراً بقوة القانون ؛ والدليل الآخر أن فيلا واحداً من هذه الأفلام لم يبل جائزة من الدرجة الثالثة في أي مهرجان دولي أو شبه دولي .

ويقول فريق أكثر اعتدالاً أن طيننا أن نستعين بالخبراء الأجانب في إخراج أفلام عن ظهور الإسلام وفتوحاته وحضارته وأبطاله ، وهذا رأي غير مدروس ؛ فقد ثبت بالتجربة أن العمل الفني عن دين ما ، يجب أن يضطلع به رجل يعتنق هذا الدين ويؤمن به في قراءته ، ولقد كنت في الولايات المتحدة عند عرض فيلم « الوصايا العشر » والذي لا يعرفه أكثر الناس أن النقاد اليهود قابلوا الفيلم بحفوة ، ووصفوه بأنه جنسياً Sexy أكثر منه دينياً ، وقصموا على مخرج الفيلم

والنصح ؛ بأنواع سياسة معينة في هذا الشأن . فما بالك إذا كانت هذه الأفلام تعالج موضوعات لها قداستها وجلالها ؟ إن بعض الأفلام الدينية التي رخصنا بعضها ، ولا تزال تعرض حتى الآن لا يرغب أعداء المسلمين في أكثر من الحصول على حق توزيعها ؛ ولست أشك في إخلاص معظم منتجي هذه الأفلام ؛ ولكن الإخلاص وحسن النية لا يعالج بهما القصور الفني ؛ ولقد حصدنا كل الإخلاص والنيات الحسنة في فيلم « خالد بن الوليد » مثلاً .. ولكنني أعتقد أننا قلنا من شخصية خالد في هذا الفيلم ما يجور عن نيته الروم والفرس .

وقد يقال : إن قصة الفيلم مكتوبة في أسلوب وميكل راثين ، ولكن الكتابة الممتازة لا تكفي وحدها ، فسرديات « شكسبير » هي هي بنصها على مسرح « الأولاد فيك » وعلى مسرح « الانشراح » في بغداد ، ولكن الفارق بين الأداءين هو نفس الفارق بين ترجمة حياة ينجها لدينا كل من مستديو « مترو جولدوين » ومستديو « شيرا » .

والتشيل الممتاز لا يكفي كذلك وحده ؛ ولا يكفي الإخراج ، أو التصوير .. الخ .. فإن العمل السينمائي يتألف من عشرات الملاحظات المتصلة التي يجب أن تكون جميعها قوية متماسكة وفي مستوى متقارب . . . ونحن للأسف لم نصل بعد إلى الدرجة التي نتيج فيها

من أجل ذلك أعتقد أن مشيخة الأزهر كانت موقفة في رأيها الخاص في قصة يوسف الصديق ، كما كانت كذلك غير متنافسة مع نفسها حينما لم تبادر فتمترض على حديث نشر في « الأهرام » عام ١٩٥٥ جاء فيه أن سيسيل دي ميل يبحث عن مثل يستند إليه القيام بتسجيل « صوت الله » باللغة العربية في الطبعة التي ستوزع من فيلم « الوصايا العشر » في البلاد الإسلامية . لأنه ونحن الآن في عام ١٩٥٩ لم يعرض الفيلم المذكور بعد في أي بلد إسلامي وأعتقد أنه لن يعرض أبدا في جمهوريتنا ، لأسباب أخرى غير الدين ، وأغلب الظن أن « حديث الأهرام » المشار إليه لم يكن صحيحا ؛ لأنني - للصادقة - لازمت مستر دي ميل ، خلال لسنوات الثلاث التي أتت فيها هذا الفيلم ووقفت على خطته ورأيت في هذا الشأن ؟

محمد علي تاسف

اختياره لتثيل دور فرعون نجما محبوبا و يول بريتر ، أكثر من الذي قام بدور موسى « شارلتون هستون » ، ولو أن سيسيل دي ميل كان يهوديا لتلاني هذا النقد ، أو لما كان عمله موضع شبهة .

وشدني بذلك ما قرأته أخيرا عن رفض مدينة « سلبى » Selby بمقاطعة « يوركشير » الإنجليزية تمثالا ضامنا للسيد المسيح من صنع المثال اليهودي « ابشتاين » بحجة أن ملاح التمثال تدل على القسوة والفظاظة .

لأنني أول من يعنى النفس بكتابة قصة عمر رضى الله عنه للسينما ، ولكنني في الوقت ذاته أعتقد أن قصورنا الفني لن يحقق في الوقت الحالي مثل هذه الأمانة . وحينما نستطيع أن نخرج أفلاما عن أجدادنا الدينية في نفس المستوى الذي يخرج فيه الغرب أمثال هذه الأفلام عن أجداده ؛ فإن التردد والاعتراض سيكونان وقتئذ خطأ كبيرا .

سیدی المشتراک

بعد اشتراکک قبل اقضاء شهر المحرم ؛ فإن هذا العدد آخر ما يرسل إلى من لا يجد اشتراکک في هذه المدة .

أشرف الفرقان في تحريز الفكر الإنساني للأستاذ عباس طه

الأمم السابقة على التاريخ ، فلم تشاهد جماعة من جماعته محرومة من دين ساذج يواهم الحالة العقلية التي كانوا عليها ، ولا تزال على الأرض قبائل ممعة في التوحش تقوم مثلاً عساً على ما كان عليه الإنسان في وجوده الأول - وما انعقد عليه إجماع المؤرخين الأول أن الخلق سبحانه لم يحرم الإنسان وهو في ذلك البرك الأسفل من مطلع وجوده من وسل يهونه إلى الحق بالقدر الذي يطيقه عقله .

ولكنه ما كان يليك أن ينقاد لأوامره ، فيؤله قوى الطبيعة أو يتخيل وراء ظواهرها روحاً أو أرواحاً تمنحه الخير متى رضيت عنه وتقذفه بالشر متى قصمت عليه ، فكان يستدر رضاهما عليه بما تزبته له عقله الناقصة ولو بتضحية فظة كبده لاسترضائها ولا ريب أنه كان يصدر في كل ذلك عن رجال انحلوا أنفسهم صفة الوساطة بينه وبين الآلهة . فكان يدين بما يوسوسون له به ضمير طالب على ما يدعون دليلاً ، لأنه كان يقدمهم لحسب ولكن لأنه لم يكن يميز بين ما هو حق وما هو باطل من العقائد ، فشكل شيء كان في تقديره

لم يكن الفكر الإنساني في عهد الخليقة الأول على قط من التقبل لما توحى به الفطر السليمة والآراء المستقيمة ، بل كان يخط في جهالة جهلاء وحمية عمية ، كان يخط في مهمه قفر لا يأتي البصر الحديد على أطرافه ، تكتشفه الظلمة من كل جانب وتحيط به الكثافة من كل سبيل ، وقد غطى ذلك المهمة بنام قسكاف وكلماً وكلماً كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ؛ لأن قواد الفكر في تلك العهود الحراك أحوال عقل البشر إلى مأكلة رتع فيها قادة الدين واستحلوا لأنفسهم الصدارة الراقفة ، قلبوا الأوضاع ومسحوا الطباع وبدلوا خلق الله وكانوا على ذلك قادرين .

فانطلقت شعة الهداية الدينية من قفوس روادها ؛ لأن النصرانية من جهة والوثنية من جهة أخرى كانت لها الصدارة الأول في تلك العصور المظلمة القاتمة ؛ فأول ما وجد الإنسان على أديم تلك الرقعة السوداء كان جاعلاً كل الجمل ، وكان مع جهله هذا ليس بمجرد من طائفة دينية كما يدل عليه كل ما وجد من آثار

أن خضت وطأه ونحمت جنونه فتمكن
فلاسفة كثيرون من الإنشاء بمذاهبهم
إلى الناس وفي بعضها ما يخالف عقائد
عالمهم بل منها ما يفضي إلى المادية البحتة .

غير أن هذا العهد لم يطل أمده ؛ فلما شملت
الديانة المسيحية أوروبا أصبح لحفظتها من
السلطان ونفاذ الكلمة ما ليس للربك
المتوجين فوضعوا حدوداً للخطر لا يسمح
لأحد بتعديها فوقعت حركة الفكر أكثر
من عشرة قرون أو يزيد لم ينبغ في غضوننا
على ما يقول المؤرخون عالم واحد في أي فرع
من فروع العلم ، وبقيت كتب الآوائل مكسدة
في المكتبات ترتع فيها الحوام والحشرات .
وكان العالم لا يخلو في خلال تلك القرون
إلا أكمة الجامعة من نبوغ عقول نيرة تبحث
في العوالم السكونية وتجوب في آفاقها بعيون
بصائرهم فتأتي بما يعتبره القائمون بالشئون
الدينية زيفاً وانحرافاً وإلحاداً فكان هؤلاء
التوايغ المفكرون يحاسبون على ما مارسوه
وأبرزوه العيان حساباً دونه كل حساب
فيستأبون ويعزرون تزييراً حاسماً إن كانت
خطاياهم هينة فإن عادوا إلى مثل ما أخذ عليهم
لجزاؤم القتل على أقطع صورة .

هذه الشدة البالغة في القسوة لم تحجب
العقول القوية النيرة المستبصرة عن العلوم
رويداً رويداً فكان تجمار العقائد ينتقلون
أعمالها واحداً إثر واحد ويخمدون أنفاسهم

جميعاً ما دام يصدر عن الميمنين على ديانتهم
والمسكين بخطامه شأن المقلد إذا وقع في آفاق
رجل مضلل يعبك به كما يبعك الريح القاصف
بكومة من الحشيم .

فلما استبان للإنسان شيء من العلم بالوجود
الذي يمش فيه وجعلت قراء العقلية تشعره
شعوراً ساذجاً بأن من الأمور ما هو حق
ومنها ما هو باطل ازداد ثقة بقادته وركوثاً
إليهم واحتفاظاً بما يفضون به إليه .

انتقل الإنسان درجة بل درجات في باحات
العلم ، وقويت فيه غرائزه العلمية والأدبية
وما يحيط به من ظاهرات هذا الوجود وتأهبت
للقيام بمحصنها من حياته العقلية ، ولم يؤثر في
خضوعه لأوليائه وقادته لأنهم بما انقطعوا
لمهتهم الروحية كانوا يسبقونه إلى التطور
فيوفره حاجته من المدد العقلي فيضطر إلى
الانقياد لهم كلما حفزته الحاجة الملحة إلى المزيد
منه فيظل أسيراً في قبضتهم .

تابعت القرون والأجيال والناس سواسية
على هذه الحال حتى ولدت الفلسفة اليونانية
ونبع بين أحضانها رجال وقر في قلوبهم
أن من حق عقولهم عليهم أن يناقشوا رجال
الدين في نظرياتهم وقضاياهم وفيما يدلون به
إلى الناس من عقائد فكان جزاؤهم القتل .
وأكبر من ذهب منهم محبة لرأيه الفيلسوف
سقراط الحكيم حمدة الفلسفة اليونانية
ولكن ما لبث هذا الحجر الشديد على الفكر

المستور القرائي فتوصلوا إلى مدى بعيد من المعارف والفنون وصارت جماعات قرطبة وأشبيلية مثابة لطلاب العلم الغربيين؛ فهاجروا من معينها الصافي ما لا يصلون إلى مثله في بلادهم ومرتوا على الأسلوب الذي كان يجرى عليه علماء المسلمين من الحرية والاستقلال فتشبعت به نفوسهم وارتاحت إليه عقولهم، فلما عادوا إلى بلادهم جعلوا يثبون في مواطنهم هذه الروح الجديدة، فسرت في أذكيائهم مبركان النور في الظلام، وفتحت أمامهم آفاقاً من النظر والتأمل وبصرتهم بمواطن الفساد في نظمهم التعليمية، وسلطانهم الاستبدادية - ومضى أشعرت النفوس بنقصها اندفعت مضطرة بهزائرها لتكبله فانتدب أفراد منها للتفكير والنظر غير معتدين بالحدود التي أمرت السلطة الدينية بعدم تعديها فحدث من جراء ذلك كل ما ذكرناه من ذلك التاريخ هنا -

ولاشك أن مؤرخي أوروبا قد اعترفوا بأن دخول العلوم الإسلامية في أوروبا وغزوها آفاقها كان عن طريق الأندلس وطريق إيطاليا إذن فاستمدادها روح نهضة من النهضة الإسلامية أمر لا مراء فيه، وقد أطبق على ذلك مؤرخو أوروبا وفلاسفتها وأهل الرأي فيها على أن المدنية التي ترونح فيها أوروبا اليوم والجمال الفكري الذي تمتلح فيه حقائق وجودها العلمية، إنما هي من صنع العلوم الإسلامية، والفلسفة القرآنية، فيبان الأسلوب الذي تمكن به القرآن من تحطيم

حتى لا تسرى عدوهم إلى سوام، تلك الحال جلوية على هذا السؤال حتى بلغ عدد ضحايا العسكر الحمر أكثر من ثمانمائة ألف على ما رواه المؤرخون، أحرقوا بالنار أو ألحقوا في البحار أو ماتوا وغزوا بالسفائيد الممهاة .

ومن عجب أنه كلما ازداد عند هذه الضحايا كثر المترجمون لحطامهم، والمستهدون بهديهم، وكلما أوغل رجال الدين في ضلالتهم، استبسل رجال الفكر في جهادهم، واستيقظ الناس من سباتهم، وبعد أن كان النزاع محصوراً بين رجال الدين ورجال العلم جاوزهم إلى رجال الدين أنفسهم، وما هي إلا نبرة قصيرة من الزمن حتى انصدعت وحدتهم وتفرقت كلمتهم وتبددت أشغالهم، فأعلن سوادهم عزلتهم عن البقية الباقية من زملائهم، ثم أسسوا مذهباً جديداً للسيحية باسم البروتستانتية فيها تسامح كبير بالقياس إلى غيرها، وجمال فسيح للفكر المنطلق غير الحبيس والرأي المستقل وكان ذلك في القرن السادس عشر أي : بعد ظهور الإسلام بنحو عشرة قرون .

الناظر في هذه السلسلة الطويلة من التنازع يظنها تطورات أدبية علمية، والحقيقة أنها تتصل بالنهضة التي أحدثها القرآن في الشرق اتصالاً وثيقاً، فإن المسلمين اتصلوا بأوروبا من جهة غربها منذ أواخر القرن الثامن الميلادي بفنهم للأندلس، فأسسوا فيها دوراً للعلم، وجروا فيه من حرية البحث واستقلال الرأي على ما يقضى به

لكل امرئ يومئذ شأن بقيه ، ، يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما
عملت من سوء ، تود لو أن بينها وبينه أمداً
بعيداً ، ، يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون
الجبال كالغصن ، ولا يسأل حميماً ، يصرونهم
يود المحرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ،
وصاحبه وأخيه ، ونفسيك التي تزويه ، ومن
في الأرض جميعاً ثم ينجيهِ .

فالتفوس متى آتت بأن لا شيء ينجيها
من عذاب يوم الجزاء غير عملها الذاتي ، تأملت
في وجه خلاصها من هذا الهول المستطير ،
وطالما تحققت أن شفاعة الشفعاء ، ووساطة
الوسطاء ، لا ينجيها من مصيرها المحتوم مقتض
الجلود على الموروثات ، وأيقظت في نفسها
الاستجابة إلى النقد الذي يوجهها إلى الصراط
السوي ، والتمحيص فيما يمرض لها من علوم
وآراء ، فلم تعد أسيرة أحد فيما يخامرها من
عقائد وموروثات .

وذلك هو معنى حرية الفكر واستقلال
الرأى الذي سمي لإقامة دولتيهما العابرة أجيالا
متطاولة ، وبذلوا في تشييدها دماء رخيصة
على حين أن الإسلام أقامها في سنين
معدودات ، لقد أنشأ الإسلام أمة تنظر
وتأمل وتفكر ، وتدعو كل فرد منها للتفكر
والتمحيص والبحث . عباس طه

الحامى

الأصناف المنيعة التي كان يرسف فيها الفكر
الإنساني في مدى سنين معدودة بعد أن لبث
عليها قروناً كثيرة يحمل في طياته أجل العبر
للسائلين والمتبصرين .

أنزل الله الفرقان والناس ما كفون على
عبادة الأوهام والجلود على تضليل الآباء ،
والطاعة للزعماء ، فلو كان قد جرى على النمط
البشرى في بحث هذه العقليات الخاملة ، وتغيب
هذه النفوس الهامدة ، لاستبح كل ذلك قروناً
وآماداً ، ولكنه طلع على البشرية في هذا
الموطن بآية الآيات ، ومعجزة المعجزات ؛
لتكون في هذا الوجود الصاخب قسماً يستضاء به
في الظلمات الحوالك إذا عميت النبل على
الحكام وشملت الحيرة قلوب أهل الحيرة .

لقد حرر الإسلام العقلية البشرية من طريق
غير مباشر ؛ بلجأها من الناحية التي يقوى
شعورها بها ، وهي ما يستول إليه بعد الموت ،
فأفاض مثلاً في التهوريل من العذاب الذي
ستصل به النفوس الجاحدة الكافرة في حياة
الجزاء إفاضة لم تؤثر عن أسلوب سواء مؤكداً ،
أن الإنسان وهو في هذا الطور لا يجدي
شعاعة شفيع ولا وساطة وسيط ، حتى ولو
كان ملكاً مقرباً أو رسولا مكرماً ، بل لا يجد
من يتطوع أو يسخر نفسه لتجديته وانتشاله
من وعده : من أب أو أم أو صديق ؛ لشغل
كل امرئ يومئذ بما كسبت يده يوم يفر
المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبه وبنيه ،

مَائِقَةُ الْعَزَلِ الْإِسْلَامِيِّ

الْقَدَرُ وَالْمَصَادَقَةُ فِي الْإِسْلَامِ وَالْفَلَسَفَةِ الْمَادِيَّةِ لِلْأَسْتَاذِ عِبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَفَّادِ

malebranche المتوفى سنة ١٧١٥ ميلادية ،
مؤلف كتاب «البحث عن الحقيقة» أشهر تصانيفه
في هذا الموضوع .

ورأى ملبرانش في تحليل الحوادث
بالأسباب الطبيعية على اعتبارها المؤثرات
الحقيقية في ظواهر الوجود أنها صورة أخرى
من صور الوثنية تدعى بالهة أخرى مع الله
تشاركه في الخلق والإرادة ، وأن المؤثرات
الحقيقية ليست مما تحدثه الحوادث المخلوقة
وليس مما يفيدنا المصرفة بالأشياء ؛ لأن
المادة أدنى من العقل والنفس ، ولا يأتي
أن يؤثر الأدنى فيما هو أعلى منه وأرفع
بطبيعته ، وإنما يتأثر عقل الإنسان بعقل
أرفع منه وأعظم وأقدر على التأثير فيه ،
وكل ما نراه من هذه الأسباب المادية فإنما هو

موضوع هذا المقال كتاب باللغة الانجليزية
ألفه كاتب مسلم متخصص بهذه الدراسات
الفلسفية هو الأستاذ «مجيد نظري» وسماه
Islamic Occasionalism and its Criti-
que by Averros and Aquinas.

أي «منهج المصادقة الإسلامي ونقده عند
ابن رشد وتوما الأكويني» .

ويراد بمنهج المصادقة عند الأوربيين
إنكار الأسباب الطبيعية واعتبارها مصادقة
أو مناسبة تستل بها على إرادة الله المباشرة
للحوادث ؛ لأنها المؤثر الحقيقي في كل شيء
وراء ظواهر الأسباب .

وإذا ذكر هذا المنهج عندهم بين مذاهب
الفلسفة انصرف ذهنهم إلى فيلسوف اشتهر به
وتخصص له وقضى حياته في الدعوة إليه
وتفديد أقوال خصومه وهو توماس ملبرانش

على جلبيته ، فإن حجة الإسلام رضى الله عنه لم ينكر الأسباب ولا أنكر نتائج البحث فيها ولا وجوب هذا البحث لتحصيل المعرفة المناسبة لمعلوماتنا عن المادة وظواهرها ، وإنما قال : إن هذه الأسباب ونتائجها عوارض تتقابل وتوافق وتحصل الأشياء عندها أو معها ، ولكنها لا تحصل بها ولا تتوقف في أصولها عليها ، ولم يكن من المعقول أن يعطل الحكيم الكبير حكمة النظر في مخلوقات الله وما تجعل عنه من دلائل النظام والتدبير ، ولكنه لم يكن من المعقول أيضا أن يؤمن بإرادة الله الفعل لكل شئ . ثم يتبدد الإرادة الإلهية بنظام الحوادث على نحو لا يستطاع فيه التغيير والتبديل ، كما يريد الله .

ونحسب أن فلسفة ابن رشد في الرد على أقوال الغزالي في السببية ، كانت خليفة أن تنسج للزيد من الإيضاح والدفاع ، ونقول : « الدفاع » ؛ لأنها في الواقع قد تعرضت للهجوم المتلاحق من النقاد المغربيين وبعض الشرقيين سواء منهم أصحاب المنطق وأصحاب الإيمان ، وبروخ جدا في تأويل أقواله بما يؤم نزوع الرجل إلى الإلحاد والإنكار ، حتى أصبحت الرشدية في الغرب مرادفة للكفر والمجود ، وحتى خطر لبعض الشرقيين أن الفيلسوف الكبير يمنع القول بقدرة الله على التغيير والتبديل ، حتى تملكت بهما إرادته على الوجه الذي تقتضيه .

حوارض ظاهرة توافق ظهور الإرادة الإلهية لحواسنا وعقولنا ، ولا يلزم منها أن تكون علة مؤثرة في جميع الأحوال ، كما لا يلزم من تابع شيئين في الترتيب أن يكون أسبابهما سببا عموما لحدوث تاليه .

والمؤلف الفاضل - الأستاذ مجيد طرى - يعرض لفلسفة مبرانش في سياق الآراء التي تناولتها أقوال الفلاسفة والمتكلمين من المسلمين ، ولا يفوته أن يمتقب هذه الآراء إلى مصادرها الأولى من كتب الأشاعرة على الخصوص ، ويتوقف طويلا عند المعركة الكبرى التي نشبت حول هذه المسألة - مسألة الأسباب والمصادقات - بين الغزالي وابن رشد قبل أن تصل إلى علماء اللاهوت وأقطاب للفلسفة الأوربية في القرون الوسطى .

فالحقيقة أن مناقشات الغزالي وابن رشد حول هذه المسألة لم تدع للفلسفة الأوربية بقية تزيد عليها في بابها . فكل ماجاء في أقوال الأوربيين المتأخرين عن السببية فهو معروض بتفصيلاته على الوجه الآثم في أقوال الطرفين اللذين اختلفا عليه بين مفكرى الإسلام ، وأشهرهم صاحب تهافت الفلاسفة وصاحب تهافت التهافت ومن عقب بعد ذلك على الكتائب .

وعنى المؤلف بعض العناية بإزالة اللبس الذي لحق بالأمكار من مذهب الإمام الغزالي

الجانب الحديث من هذه المسألة في الفلسفة المادية الأخيرة عند القرين ، وهي فلسفة المادية الثانية «الجدلية» التي يسمونها أحيانا بالفلسفة المادية الاقتصادية ، ويفسرون بها ظواهر الوجود جميعا وظواهر التاريخ الإنساني الذي تحكمه القدرة الاقتصادية كما يقولون .

• • •

إن الحملة على عقيدة المسلمين في الفضاء والقدرة قد استنفدت كل ما في جمعيتها من سهام التي فوقها إليها فلاسفة القرون الوسطى ثم عاد الساسة المستعمرون إلى تقويقها مرات خلال القرن التاسع عشر ؛ لأنهم أرادوا أن يحصلوا استثمارهم ضرورة محرومة في البلاد الإسلامية ، تمهيدا في زعمهم لإصلاح تلف البلاد وتعليم أهلها وإتقانهم من جمود «التراكل» الذي فرضته عليهم عقيدتهم في «القصة» وفي «المكتوب» .

نفدت سهام الفلسفة الأوربية في القرون الوسطى وأعقب الحملة على الإسلام بهذا الصدد مذهب علمي يؤيد آراء الحكمة المتكلمين والأشاعرة ، ويتفق عليه علماء العصر كما يتفق عليه فلاسفته ، وهو : تقريرهم أن العلم يصف الظواهر الطبيعية ويسجل أوصافها التي يتقرون بعضها ببعض على صورها الظاهرة

أما فلسفة ابن رشد كما تراها أمامنا مبسطة في أقواله فليس فيها ما يسوغ هذا الاتهام ، وليس في كلامه ما ينفي قدرة الخالق في خلقه ، بل كل ما هنالك أنه يفهم أن الله لا يصنع الشيء على وجه من الوجوه إلا لحكمة عالية تستدعي أن يكون ذلك الشيء مخلوقا على هذا الوجه دون غيره ، وأن خلقه على هذا الوجه أحكم من خلقه على سواه ، فلا يجوز أن يقال : إن اختياره سبحانه وتعالى لسفته في خلقه حيث يتساوى فيه الأفراد والاختلاف ، وليس من الممتنع على قدرة الله أن تكون له سنن يختارها غير هذه السنن ، ولكنه لا يختار السنة وينقضها في حالة واحدة ولا يخلو عمله من نظامه المأثور حيثما ارتضى لخلقته هذا النظام .

واللهذان من ثم ملتزمان على أساس واحد ، وهو التسليم بالقدرة الإلهية وأثرها في أسباب الحوادث ونتائجها ، ولولا أن الجدل يفرى بالناحية المخالفة لما اتسع الخلاف على السببية كل هذا الاتساع بين القائلين بحصول الأشياء مع هذه الأسباب والقائلين بحصولها من أثر هذه الأسباب .

• • •

ونحن نضع الكتاب وموجوهه القديم عند هذا العرض الموجز وننتقل منه إلى

الأبدية المحكة ، تسلياً بأن « المكينات » لا تدبر نفسها ولا تتركب باختيارها ، ولا بد لها من تركيب ومن إدارة ، يتولاها مهندس لا يحسب في عداد المكينات .

قال الماديون الاقتصاديون : كلا . كلا . إن الوجود يتلقى الحركة من طبيعة تكوينه ، ولا يلقاها من قانون مسلط عليه ، دخيل على حركاته وسكناته .

فالحركة في المادة ضرورة مستمدة من طبيعتها الأبدية ، وطبيعتها الأبدية أنها تشمل على تقيضين يتبع كلاهما الآخر إلى غير انتهاء . هذا في العالم المادي منذ كان بلا ابتداء .

أما في العالم الإنساني فالضرورة الأبدية تمثلها الظروف الاقتصادية ، فهي القوة المسيطرة على الأمم والآحاد ، وهي الدافع الغالب الذي لا تقاومه إرادة الفرد ولا إرادة الجماعة ، فلاحية لإرادة إنسان قط مع ظروف الاقتصاد أو وسائل الإنتاج ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تخطر لإنسان فكرة عليية أو لحظة فنية مالم يكن لها محركتين ضرورات الاقتصاد الممثلة في وسائل الإنتاج .

نعم . لاسيلاً إلى فكرة قط لم تخلقها وسائل الإنتاج ، ولم تبعثها حاجة مادية في ظروف الجماعة التي تقيض منها ، وتدخل في ذلك علوم الرياضة وبديهيات المنطق والهندسة والحساب

ولكنه يتقضى عند ذلك فلا يدعى أنه قد نفذ إلى أصول العلة والأسباب من ورائها .

وتفقدت سهام الاستمرار وأعقبت حملته على « القدرية المتواكلة » حملة مناقضة لها تحاول أن تثير المخاوف من خطر الإسلام المهاجم وخطر « الجهاد » كما يصورونه في حلتهم الجديدة على غير معناه .

أما الحرب القائمة اليوم في هذا المجال فهي الحرب الضروس بين عقيدة الإسلام في القضاء والقدر وعقيدة الكفر والإلحاد التي يبشر بها الماديون الاقتصاديون ، ومذمومة الشيوعية بزعماء ماركس وأنجلز ولينين .

هؤلاء الماديون ورثوا « القدرية » المادية من أسلافهم في الإنكار والنسوى العلية : أنصار القوانين الآلية في الطبيعة وفي حياة الإنسان وفي توارخ الأمم الإنسانية .

فهؤلاء الماديون ، الميكانيكيون ، ينكرون الخلق الإلهي ، ويضرون كل حركة في هذا الوجود كما تفسر حركات الآلات المسيرة على نظام لا يقبل التغيير والاختلاف ، ومن هنا كانت تسميتهم بالميكانيكيين أو الآليين .

وتلام الماديون الماركسيون فنقضوا هذه الفلسفة بما وسعهم من العنف والسخرية مخافة أن يتسلل من الفكر إلى القول بالحاجة إلى « المهندس » المذهب وراء هذه « المسكة »

أخرى ، وتلحق بهما ثالثة ورابعة وخامسة ، كأنها تستمد أصول مادتهما من ألف كون لامن كون واحد .

وتعود إلى النقائص المزعومة فلا ترى حالة واحدة منها تعتبر تقيضاً لما قبلها أو لما بعدها ، فلماذا يعتبر عنصر الحديد مثلاً مناقضاً لعنصر النحاس أو عنصر الهيدروجين ؟ ولماذا يعتبر عهد الصناعة مناقضاً لعهد الفروسية ؟ وعهد الكهرباء مناقضاً لعهد البخار ؟ أو عهد الذرة مناقضاً لهذا وذاك ؟ .

إنها تختلف فم ١ .

إنها تختلف ؛ لأنها أشياء كثيرة وليست بشيء واحد ، وقد تختلف في وقت واحد ولا يقال إن اختلافها متولد من تقيض يجر إلى تقيض على تابع الأزمان ، وقرق بعيد بين القول باختلاف الأشياء وبين القول بأن التقيض منها ينتج التقيض بعده ويسبقه في الزمان .

وهذا هو معنى تناقضهم الذي لا يفسر شيئاً من الاختلاف في الزمان الواحد ولا من الاختلاف في الأزمنة المتعاقبة .

هذا هو التفسير الذي لا يوجد في الدنيا شيء أخرج منه إلى التفسير .

ونرجع إلى «وسائل الإنتاج» التي يفسرون بها كل دور من أدوار التاريخ الإنساني فإذا فهم منها كما يصورونها ؟ .

وأول الأباطيل في هذا المذهب أن يسموه بمذهب « التفسير » المادي للتاريخ ، ولا تفسير فيه للمادة ولا للتاريخ ؛ لأن التفسير هو حل مشكلة التناقض في الأشياء ، فلا يحتاج الذهن إلى التفسير إلا إذا حيرته مشكلة من مشكلات التناقض يحاول أن يخلص منها إلى التوفيق المعقول .

أما هذا المذهب فقد جعل النزاع نفسه حكماً في قضية النزاع ، وجعل التناقض حلاً للإشكال وهو عين الإشكال .

المادة مركبة من تقيضين ، وهذا هو تفسير المادة عند الماديين ، وهذا هو الحل الذي يطل عندهم حيرة المعقول .

وأشد من ذلك إمعاناً في الحرب من الحقيقة والتعمية على الفكر أنهم لا يصورون لنا مادة الوجود كيانا واحداً يعض في سلسلة التناقض إلى نهايتها على وقيرة واحدة في هذا الكون المتظم ، الوحيد .

بل ننظر إلى المادة على قولهم قرى أمامنا أكوانا متفرقة كل قطعة منها تركب رأسها إلى تقائضها المزعومة كأنها منفصلة عما حولها . فهنا في الفضاء الرحيب دخان يتحول إلى كوكب وإلى جانبه في أجواز الفلك كوكب يتحول إلى دخان ، وبينما تنتهي الدولة الرومانية من تقائضها ، تبتدى الدولة العثمانية في تقاض

وهذه هي النواميس الفعالة التي أسقطوا أمامها حرية الإنسان واختياره ، وحسبوا أنهم قد استردوا هذه الحرية من القضاء والقدر في عقائد الأديان ولا سيما عقيدة الإسلام وأنهم قد انتزعوا الحرية الإنسانية من ظلمات الدين وأسلبوها إلى أنوار العلم تحت شمس النهار .

والآن تحرى الفرق العلى - ولا نقول الدنى أو الفلسفى - بين تفسير « المادية الماركسية » لحرية الإنسان وتفسير الإسلام لهذه الحرية على حسب العقيدة الإسلامية المتفق عليها بين الحكماء والمتكلمين والفلاسفة من المسلمين .

وخلاصة هذا الفرق في كلمات معدودة أتينا أمام تفسير معقول ، بل أمام التفسير المعقول دون غيره ، لا أمام تسمية ودوغان في الحقيقة ، ولا أمام مشكلة نستريح منها - كرها - فنحسبها حلا للمشكلات .

يعتقد المسلم أن الله سبحانه وتعالى هو الفعال المريد لكل شئ ، والإنسان وما يعمل بعض هذه الأشياء .

ويعتقد المسلم أن الإنسان مسئول عن عمله بحاسب عليه ، ولا تناقض بين العقيدتين . لأن المسلم يعتقد أيضاً أن الله خلق له حرية ، وأن الله من خلق للإنسان وحرية .

فهم منها أن القوم يتغيلون « وسائل الإنتاج » منه ماردة هائلة تكمن وراء التاريخ لكي تنقله من دور إلى دور إلى نهاية الأدوار .

ولكن ما الذى يغير وسائل الإنتاج ؟ ما الذى يغير هذه الماردة الهائلة التي تغير جميع الأدوار ؟ أنغيرها حاجات الناس بين حقبة وحقبة وبين جيل وجيل ؟ فما الذى يغير حاجات الناس فيطلبون اليوم غير ما طلبوه قبل سنوات .

وإذا كانت حاجات الناس هي أساس النظم والأديان والعلوم والمعارف والفنون فلماذا لم يعرفوا علاج السرطان حتى الآن ؟ ولماذا لم يعرفوا علاج الأوبئة وهم قد احتاجوا إلى علاجها قبل مئات القرون ؟

وإذا كانت بديهيات الرياضة نفسها وليدة الحاجة إليها فلماذا عرفت حضارة « المكسيك » رسم الدائرة الرياضية ، ولم تعرف صناعة « العجلة » أو الإطار الدائر ؟ مع أنها هي الدائرة المفيدة التي يحتاجون إليها في الزراعة وفي الصناعة وفي القتال ؟

وانظر إلى ما شئت من تفسير « مادي » عند القوم فلن نجد فيه إلا التسمية والزيف في التفكير والحرب من المشكلة باتخاذ المشكلة في عقدها الكبرى حلاً للإشكال .

فالقدرية الإسلامية هي القدرية الوحيدة التي يقبلها العقل علما ومنطقا وتفكيراً على نهج المؤمنين أو نهج المشككين .

الله خالق كل شيء يريد كل شيء . ويخلق كل شيء . .

وبما يخلق الله هذه الحرية الإنسانية ، فهي حرية توافق ما عليه من تكليف .

وعبر ذلك إحالة في العقل وفي فهم النواميس والحدود .

غير ذلك هو « التعمية » المسماة التي تسول للإنسان أن يلقي حريته أمام الأحداث والنقائض ، وأن يكره عقله على تصور المحال وهو لا يتصوره مفتوح العينين ، فما من بصر ينظر ليرى يستقر بالنظر عند مشكلة من النقائض تحتاج إلى كل تفسير ، ثم يقول لنفسه ولغيره : هذا هو التفسير .

ولقد آمنوا بالمادة وهم لا يفهمونها ، ووهبوا لها حريتهم وهم لا يمتثلونها ولا يلومونها .

هل مانت الوثنية العمياء كما قيل ؟ كلا . هذه هي الوثنية في ثوبها القديم ، وستذهب كما ذهبت وثنيات من قبلها في شق الآثواب . ولا بقاء لغير الله وما أراد له البقاء .

عباس محمود العقاد

فهي حرية وليست بقيد ، وكون الله خالق للحرية والقيد لا يبنى أنهما شيان مختلفان ، وأن الحرية اختيار وأن القيد اضطرار ، فهكذا يصنع الصانع الخشبة التي لا تتحرك ويصنع المحرك الذي يحمل تلك الخشبة ، ولا يكونان مع ذلك صنعة متشابهة لأنهما خارجان في قدرة واحدة .

فالحرية حين يخلقها الله للإنسان هي الحرية التي يحتاج إليها للنهوض بالنبذة الملقاة عليه .

وفهم الحرية الإنسانية على هذه الصفة هو الفهم الوحيد الذي يقبله العقل ولا يتطلب له حرية سواها .

والأفقا هي الحرية التي يريدنا إن لم تكن هذه الحرية كافية لحل التبعة والمحاسبة عليها ؟ أترأها تكون حرية تسمع لكل إنسان أن يصنع ما يشاء بنفسه وبغيره من الناس وسائر الموجودات ؟

تلك حرية مستحيلة عقلا ؛ لأن حرية فرد واحد على هذه الصفة تعطل كل ما عداها من الحريات .

أترأها تكون حرية متائلة بين جميع المخلوقات في كل زمن وكل مكان ؟

تلك قيد من القيود الآلية لا حل معها لاختلاف المساعي والأعمال واختلاف التبعة والحساب .

مَحَبَّةُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

قِصَّةُ الْمَدَاءِ

للدكتور أحمد الطرابلسي

وزير التربية والتعليم بالإقليم الشمالي

شع من بسمة الصباح الضياء وأفاقت من نورها البطحاء
وتبدت كذاك فانتفض الرم — ل — ابتهاجا لما تبدت كذاك
فمن الشمس والزمان تضار ومن الظل واحة غناء
الشهبوب الفساح والأفق الزا هي ، وتلك الغائم الشفراء
والخضم الموج بالمرس والتبهر المصن والقبه الزرقاء

صورة تفجر العيون وسحر صبرى ، ومنعة ، ودواء
ونحشة ملؤها الجمال وصمت غاشع لا تشوبه ضوضاء
أيها الشاعر انتداهل قدى ما قدى الطبيعة الخرساء
إن صمت الزمان عود وزما ر ونأى ويزهر وحدا
نعم يفهم المسامح سمرا وغناء ، هبات منه الغناء ا

• • •

من هو السالك التفغار وتبدأ لاسى فى جيئه سياه
مطرقا رأسه الصديق تبدى فى أساير وجهه البأساء
وال جنبه ابنه سائر الب تقزى فى صدره الأهواء
بأسى خطى أبيه والحمد لان بالشاة أسوة واحدا

فإذا الرمل منعت والفضاء
 فيه أرض ولا تحيب سماء
 كآباء الحزين لولا الحياة
 هم يفسدوا لما أراد القضاء
 عيل سلواه في الدثني والعزاء
 مل وقد عمت الدني الظلام
 ونأى عن جنونه الإغفاء
 ليس بما تبني السماء نجاء
 وقضاء الله الرحيم مضاء
 بآينه وهو عينه والهنداء
 ، حارت في كنهها الحكماء
 ناه في الأرض رسلك الخلفاء
 ض في ، ويسعد الأغنياء
 وعراء بسد النشاط وناء
 دليه ، وليس في القفر ماء
 وقد آده الرقي والظماء
 نصب منه مريض وعضاء
 نهجنا ، أين قصدا والرجاء ؟
 ي ، وأدمت أصابعي الحباء
 فلقد هد فوق الإعياء ؛
 سبه وقد شفه الآسى والشقاء
 رى وأن تستفزه البرحاء ؛
 عزمك ، أين الثبات أين المضاء ؟
 وعليه المقييل والإرساء
 ت وتلقى الجهود والأعباء
 متهى البك والآسى الإغضاء

يسأل الرمل عن وجوم آيه
 يسأل الأرض والسماء فما تظ
 وتراه بهم يسأل عن ذا
 يا إلهي ! هذا خليك إبراهيم
 وإلى جنبه ابنه البر اسماء
 جاءه وحيك المقدس في اليه
 حب من نومه الشرود مروعا
 إنما تطلب السماء قضاء
 قد قضى الله ما أراد وأمضى
 ليكن ما أراد سوف يضحى
 يارحيم الأكوان ! حكمتك الغرا
 إن ألقى الجراح يارب ما عا
 أنت قدرت أن يعذب في الأر
 طال سير الفتي وعذرت قواه
 أين يضحى به أبوه ولا ذا
 وتحمرا وقال يستطلع الر
 د أتي طال سيرنا وعراق
 أين نبغى ؟ لعلنا قد ضلنا
 أبتاه كلك يداى ورجلا
 مل إلى الظل نستجم قليلا
 فأجلب الأب الرحيم يوا
 باسمنا يمنع المدامع أن نجم
 يا صغيري الحبيب ، كيف خبا
 غاية السير ذروة التل هذا ،
 فوقه يا بني تسمى الجراحا
 فاستحي الطفل من آيه وأغضى

ثم سارا وفي الفؤادين نار وأحاديث جمة وبكاء . . .
 سكنت خطرة النفس فالأرض لبيب والافق والأجواء
 فبكى الطفل لا يحيرُ شكاة واليباني عن بشه صماء
 مطرقاً رأسه الصغير ليحني عن أبيه البكاء، وكيف الخفاء؟
 وأبوه الساجي يسارقه الحفظ فتزور في صدره الأدواء
 مشهد يمنع القوافي من الجزى وتعيان عن وصفه الشعراء !
 أبه دمع البنين ماذا يعانى ويقاسى من سكبك الآباء ؟ !
 رحمة للأب الشفيق وللأم إذا ما نباك الأبناء !

• • •

مسح الطفل أدمعاً فوق خديبه وأهداه لها لآلام
 قائلًا والشعوب في وجهه با دكن قد براه داء صياء .
 يا أبى قد دنا المكان وفيه للبيض الحناء والنعماء
 هو ذا المذبح المقدس والحبل ، وهذى سكينك العوجاء
 وعلى منكبي محرقة الدبح ، فأين الضحية القرناء ؟
 أترى قد نيتها أم تراها سبقتها إليه الرعاء ؟ ،
 صق الوالد الوجيع وسالت عبرة فوق خده عصماء
 وأجاب ابنه مشيحاً برجه غضنته السنون والأرزاء :
 يا صغيرى هناك يرقبنا القر بان ، لا يفتدن بنا الإبطاء
 إليه يا موكب الجلال الذى ما دت له من خشوعها الصحراء
 إن هذى الدموع ضجت لها الدنيا ، ورجت لسكبها الأرجاء
 وأجل الدموع ما يذرف القاب ، وتعيان عن حبه الكبرياء
 الفتى خافت الأنين صموت قد براه طول المدى والحفاء
 وأبوه يبكى عليه حساناً بالدمع تسحه الأنبياء !
 ذاك إبليس فتنه الشر والآثم ، من كل همه الإغواء
 ساءه أن يفوز ما أمر الله ، وأن يخذل الحنا والرياء
 فأتى هاجراً يبتها الأمر ، وإبليس ساعده النساء

قال : « فمِ الثواء يا أم إسما عيل ، والتكل بئِنَّ والشفاء
لست تدرين ما يحبك لك المفسد — دار ، نامت عن حظها الأثقياء !
قد غدا بابنك المحب إبراهيم هم تحبوه حُبَّة هوجاء
زاعما — والإله أعدل من أن تصلى تار مخطئ الأبرياء —
أن وحيا أتاه ، في الليل ، والناس من نيام ، والأرض والآماء
ودعاه ليذبح الطفل صبوا ! تلك رؤيا مكذوبة شفاء
أسرعى ! أنقذيه ! من قبل أن ترى وى بقاتى صمائه الغبراء ...
فأجابته وهى تخفى أساما ولظاها : « لن يكذب الإيحاء !
إن يكن ذاك ما أراد إلهى فهو الخير كله والهناء ،

• • •

إيه إبليس ! غاب فألك يا م — كين ! ما كل غادة حواء !

• • •

وصل الوالد الحزين ، ولكن ود لو طال سيره والعناء
وابنه من ورائه مثل الخطو — و ، تظلى فى صدره الصعداء
حط عن منكبيه وهو يحيل الطرف : أين الخراف ، أين الظباء !
ونحمرى فلم يجد حوله الفذبح ولا هز مسميه ثناء
فرنا ثائر الشكوك ، وفى عينيه شوق للسر واستقصاء
وأبوه يحار فى فقه النطق ، وفى الرزة تبكم البلغاء
شد من حزنه على قلبه الواهى ، وغشت عيونه الضراء
قال يأنور مقلنى ويا من — هو عيشى وسلوى والرجاء
طال ما قد كتمت عنك من السر وقد شاق سمعك الإصغاء
يارجائى ! ماذا أقول ؟ وهل للنطق فى زحمة الدموع غناء ؟
كلما هم بالكلام لسانى أيبسته المصيبة السوداء !
جاءنى الوحى فى المنام بأمر ليس فيه دفع ولا إرجاء
قال لى : اذبح غداً وحيدك ، يا لسهول فزرو لذكرك الأحباء
يا بُنى ! انظر ما تراه ، ولا تأخذك فى غضبة ولا استهزاء

فأشعر الفقى كما انفضت فى خطرة الريح ورده حسنا
وسرت رهبة الردى فى محيا ، ورثت غمامة صفراء
وده لو يكتم الاسى من آيه ، كيف يفتى عن العيون الداء ؟
رعدة الموت ما تخلص منها قراء قضاوا ولا أمراء
إنما الموت حيثما حل فى الكو خ وفى القصر غمة وبلاء
هو الشيب مثلاً هو للأط فال ، غول ، وحية وقطاع
وأجاب الفقى يواسى أباه لو يفيد العزاء والنساء ،
أبناء ! أفضل ما أمرت ولا تأ خذك فى رحمة ولا أهواء
أنفذ الوحي يا أبى ! هل يطيع الله إلا المعاصر السعداء ؟
أيتا عالمة على هذه الأرض ، وما الحياة فيها بقاء ؟
لاين يا أبى هلم فاضحى من قبل أن يذب السماء
ثم عصب عيني رقفاً بمندبيل ، فظلمت سمحة نكراء
واخذ الخنجر المظلم حتى تغطي شياؤه الخراء
ثم وضعه على خناتي واذبح نى كما تذبح الطبا والشاء ...
فاذا ما ذبحتى وتروت من دى هذه الرمال الظباء
فاحترس أن يصيب كفك شيء منه ، أو أن ييل منك الرداء
وتجنب رشاشه ، لاين أج رك فيه ، ولا يقل الجواء
دعه للرمل يسرب فى حنايا ، قفيه لحرمها إطفاء
دعه يلعب كما تبدد عطر فى القضا أو تفسيت أصداء ...
وإذا ما فرغت منى وحالت بيتا ظلة الردى الشجاء
وأردت الرجوع بمدى إلى الداء ر ، فلى يا أبى إليك رجاء
ذاك ثوبى فآزره عني إذا مُت ، وقد خضبت منى السماء
واحجبه إذ تعود ذكرى لآسى فيه سلوة لها وعزاء
إيه ! أماء لو علمت مصيرى وتبينت ما تريد السماء
نقلتُ منك ثلاً وتقيلاً ، ولكن هيات منا اللقاء !
لست آسى إلا عليك من الدنيا ، ولولاك لم يرعنى العفاء
عذب الموت فى سيلك يارب وساخ الليل وعطاب الفداء

فرور السكين في العنق ثم
 أضجع الوالد ابنه مثلاً نعد
 والفقير ساكن كما نام في المهـ
 والآب الواله المعذب قدوى
 قبل الطفل ثم عصب عينيـ
 تولى البصر الدياجي وتنجو
 واتضح الخنجر الرهيب بكف
 كاد يردى فتاه لولا هتاف
 وإذا بالسما تلتصع الآ
 رفع الوالد المعذب عيناً
 فإذا بالدموع تضحك في عينيه
 ملك في الفضاء يحمل كبشاً
 هبط الأرض مثلاً تهبط الرو
 فدية للصبي أرسلها الله
 رحمة الله كم تداركت الخـ
 يا خليل الرحمن هيا ارفع الطفـ
 واذبح الكبش يا نبي فداء
 واجدا حاشعين شكراً لمن عم
 رحمة الله تغمر المحرم الما
 إليه شعري قد تيمتك البطولا
 غنها فهي للحراشات ملهى
 واروها فالشباب مصغ لما تكـ
 والزمان الشقي ساد به الشر
 عذبت في جهنمه العبقرياً
 غنها ربما تعزى جريح
 سير الخالدين كم شب في أحـ
 ولبيب النيران ظل وماء ..
 جمع شاء وديفة خرساء
 د تقنيه أمه الحسناء
 نازرات في صدره الأنواء
 وقد ينفع البصير النطاء
 من قذاهن مقلّة عيـاء
 أرعشها الفجيعة الخراء
 في السموات مطرب ونداء
 نوار فيها وتسطع الأضواء
 ملأها المدامع الوطء
 بشرا وتجلى الضراء
 قد تعالى في السحب منه الثناء
 ض اشتياقا حماسة يضاء
 تهادى بحملها البشراء
 ق وقد أعوزتهم الرحاء !
 ل فقد ردتك إليك الساء
 عظم المفندى وطاب الفداء
 البرايا نداء والآلاء
 صى ، فكيف الخلائق الأبرياء
 ت وأغواك نورها الرضاء
 وعزاء ويلم وشفاء
 قد هذه الآسى والدام
 وأخنى هلى بنيه الشقاء
 ت كما فاز بالنعيم الرياء ..
 أو تجافت عن ذلها الجبناء
 ضانها الخالدون والعضاء

آراء وأحداث

كان من فضل الله على الأزهر ، علمائه ، وطلابه ، أن أبل شيخه الجليل من مرضه ، وأن استأنف عمله في الإدارة العامة بعد غياب شق مداه ، ويسرنا - بين يدي هذه العودة ، وقبل أن نمردها ألقاه الأستاذ الأكبر من كلمات موجبة ، وتصريحات هادية أن تثبت هذه التهيئة الآملة كما كتبها الأستاذ محمد كامل الفقي المدرس بكلية اللغة العربية .

تهنئة وأمل

بعد غيبة طال مداها ، ومحنة امتحن بها السيد الإمام فكان عليها من الصابرين ، أشرقت طلعه ، وكرمت وقادته ، وتددت بالشكر ألسنة المسلمين ، أن أبرأ الله قلوبهم ، الذي هو منهم في موضع الحب والإجلال والتكريم .

لما حوله من حياة رتيبة غير نابضة بالحس والحركة والتوثب ، وهو الناشئ في مدرسة الإمام ، محمد عبده ، والمعاضد للأستاذ والمرافق ، والمناصر للرجل العظيم ، الشيخ عبد المجيد سليم ، بل هو خاصة أوليائه وأصفيائه .

إن الأستاذ الأكبر ، الشيخ محمود شلتوت ، رجل صنعه الله على عينه فذا متميزاً في صفاته وغاياته ، فهو ذكي لمساح ، جرىء هادئ ، لم يعيش حياته - في شتى مراحلها - كما يعيش الناس ، إذ لم يدرج لحظة واحدة في مدارج الخمول ، أو يرض بما تفرضه الحياة إن تهاوى مع أسى الغايات وأكرم الأمثال .

فهو الناظر طالباً وأستاذاً ، وهو الناقد له من صنف أو أدنى .

وكان علماء الأزهر والمشفقون عليه يأسفون
أشد الأسف لهذا التهافت ويشفقون على
« أئمة الجامعات » أن تتكاثر عليه السهام .
وأن يمسى هدفاً لحملة ظالمة لا تبصر فيها
ولا رشاد .

ولكننا اليوم نحس بأن هذه الآلة قد
خرست ، وبأن تلك السهام قد ارتدت إلى غور
أهلها ، وبأن الأزهر قد أمسى صاحب الفضل
فيما أعده الله له ، وسمت بين المسلمين مكانة
إمامه وأساتذته وطلابه .

ولعل من يمن الطالع أن يمسى الأزهر أمل
المسلمين شعوباً وحكومات في أن يقهر مبادئ
الزيف التي كادت تدخل إلى بعض النفوس
والعقول ، وأن يصد عن مصريل عن المسلمين
حامة ما تسلل من الشرق إلى عقائدهم مما يهدم
أصول الإيمان ، ويمحو - لا قدر الله -
رسالة الإسلام وكتاب الله المجيد .

فالعلاء اليوم جند يقفون صفاً لصيانة
المسلمين من الشرك الزاحف والضلال الذي
يدق أبوابهم في شره وإصرار .

ولقد أتاحت للأزهر في عهد شيخه الحالي
فرصة يثبت فيها وجوده العامل ، وفضله
القوى الذي لا يفتى غناء في النود عن
الإسلام وكتاب الله قوة مهما اشتد خطرهما
وطال صياله .

والحقيقة التي يلتقي فيها محبوا الشيخ وحاسدوه
أنه أمد العلاء صوتاً ، وأقرهم من قلوب
المسلمين مكانة وأذيعهم صيتاً .

وقد كان الأزهر يرون إلى قريب يستخفون
من بعض ما يعمرون به ، وينفرون من
الصور المرتسة لهم من بعض قاذتهم ، أما
اليوم فهم يكتسبون مزيداً من التكريم والرفعة ،
بما يجده شيخهم الجليل من توقير يلائمه ،
ولإجلال يتسق مع علمه وكفاحه في رد
العاديات عن الأزهر والمسلمين .

ومنذ حين تنادى أعداء الأزهر اللد ،
وخصومه العتاة بالخلاص من هذه الجامعة ،
وزعموا لتبرير دسوتهم الفاجرة أن الأزهر
لم يعد صالحاً للحياة لمجاافته للنهضة ، ولعكوفه
على رجعية تموق الركب ، ودعا هؤلاء إلى
الخطوة الثانية ، وبرروا دسوتهم بضيض
من الأدلة المارقة ، وجروا بعض الناس على
ما يراه شيخ الأزهر « من فتوى ، فسفوها
الفتوى في غير ما استحياء ، ودفع الاستتار
« حدية شفيق » مثلاً إلى تغليب « شيخ
الأزهر » في رأيه ولعل بعض المنطيين انتصر
لها « مفتية موفقة » .

وقال بعض كبار المشرقيين على التعليم : إن
منهج الأزهر لا تساوق القومية العربية أو
نهضة العرب الصاعدة .

بفرحتنا الكبرى ضارعين إلى الله أن يمكن
له والعلماء العاملين من النهضة التي تبرز شأن
الإسلام وتعيد ركب العرب، وتخلص المسلمين
جميعاً إلى غايات طالما تطلعون إليها .

محمد طاهر الخفسي

مدرس بكلية اللغة العربية

...

ذلك ، وقد أدى الشرح حق هذه المناسبة ،
وكنا نود لو اتسمت محقق المجلة لاستيعاب
القصائد الجيدة التي ألفت ، وفي طليعتها
قصيدة الأستاذ حسن جاد المدرس بكلية اللغة ،
وقصيدة الأستاذ أحمد شميع السيد ، والأستاذ
محمد أمين جمال الدين ، والأستاذ حسني مهدي
هداده ، والأستاذ يوسف إبراهيم خليل .

...

أما الصحافة فقد أحصت ما ألقاه الأستاذ
الأكبر من كلمات ونصائح ، بعد ما صورت
مشارع الأزهريين قاطبة في استقبال إمامهم
العظيم .

قالت الأهرام :

فتحت غرفة مكتب شيخ الأزهر رأس لأول
مرة بعد ٢٢٢ يوماً وجلس فضيلة الشيخ محمود
شلتوت إلى مكتبه يزاول عمله من داخل
الأزهر . كانت أوامر الأطباء تفرض

ويقضي أن هذه الفرصة هي حلم من أحلام
الشيخ ، وأمل من آماله التي تفتي بها ،
فهو لا يرى نفسه سعيداً بأحما قرر المين إلا
يوم أن تتاح للأزهر فرصة يؤدي فيها واجبه
وينهض فيها برسالته ، ويشهد الناس جميعاً
سهره على هذه الغاية المقدسة وقنائه فيها ،
وبلاءه في سبيلها بلاء مؤمنين أبطال حراس
على مجد الإسلام ورفعة شأنه وإعزاز أهله .

لقد كنت بالأمس القريب أمر بقاعة
المحاضرات الأزهرية فيشجيني ما غشاها من
ظلة ، وأسأل نفسي متى أراها مشرق الفكر
ومنبع الأدب والعلم ؟

وقد حمدنا الله شكراً أن انتشع عنها ذلك
الصمت الرهيب فباتت منبراً لفحول الأدب
والعلم ، وأئمة البيان والفكر ، واجتنب
الأزهر الأندية إليه ، وطادت الجامعة للعلاق
بتلك الوثبة قبله وكعبة .

وأقيمت أسس جديدة نزيهة لشئون شتى
في الأزهر ترقى عن التثنيات ، وتنزه عن
الاهواء ، ودبت الحياة الجادة الكريمة
في أروقته مما يشر بالأمل في نهضة مباركة
إن شاء الله .

هذه خواطر سريعة تتألق في عقولنا
وقلوبنا بمناسبة إقبال الأستاذ الأكبر وقيامه
على شئونه من منبر هذه الجامعة نمزجها

بين الأستاذ الأكبر والعقاد

وبعث الأستاذ العقاد هذه البرقية
صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر . مصر .

رضاكم آية الرضى من الله وعباده الأكرمين
وقفنا الله لاستحقاقه بالعمل النافع والمجاهد
الصالح والهداية التي تديم لنا العطف في فضيلكم
ومريدكم .

عباس العقاد

وقد بعث الأستاذ الأكبر بهذا الرد

السيد الأستاذ الكبير عباس العقاد :

حياتكم الحافلة بالخير المليئة بالإنسانية
تبشرنا بأنكم ستعلمون البشرية عقلا وعاطفة
في اللاحقة بأضعاف ما خدمتموها في السابقة
أطال الله بقاءكم وأمد حياتكم وعم النفع بكم .
عمود شلتوت

وأول شيء فعله شيخ الإسلام عند وصوله
إلى مكتبه هو رده على حفاوة مستقبله
من العلماء والطلاب بكلمة قال فيها :

« السلام عليكم بعد ابتلاء اثنتي عشرة طائفة
على ، وكنت أتجه خلاله إلى الله وقت عمتي
أن يصون الأزهر ، وأن يوقه لآداء رسالته
والنهوض بأعبائه . فشلتوت لا يمشي إلا إذا
طاش الأزهر وأدى أبناء الإسلام رسالتهم

على فضيلته عدم مغادرته البيت الذي يسكنه
في مصر الجديدة ، واستسلم الرجل لأوامر
الأطباء وراح يزاول مهمته من مكتبه داخل
البيت ، وظل مكتبه في الأزهر مغلقا خلال
هذه المدة ، وأمس انتهت أوامر الأطباء ،
والأول مرة يغادر فضيلة الشيخ عمود شلتوت
بيته في طريقه إلى مكتبه

كان أول قرار لشيخ الأزهر الجديد هو
موافقته على مشروع تسجيل القرآن المرقط
الذي اشتهر بمشروع المصحف المسموع .
قال شيخ الأزهر إن رسالة جماعة كبار العلماء
هي : الاجتهاد في فقه الإسلام واستنباط الأحكام
من المصادر الأولى وهي القرآن والسنة .
والذين يغلطون باب الاجتهاد هم في الوقت
نفسه يجهلون ويرجعون ويختارون والترجيح
والاختيار نوعان من الاجتهاد ونحن نعد الأزهر
ليكون أبنائه أئمة مجتهدين .

أول برقية من بطريرك الأقباط

كانت هناك مئات البرقيات تلقاها شيخ
الإسلام من كل مكان . من الدول ومن الهيئات
ومن الأفراد .

كانت أول برقية من خطبة البابا كيرلس
السادس بطريرك الكرازة المرقسية والتي يقول
فيها : شكراً لله على شفاعتكم . الله يحفظكم في صحة
تامة وعافية كاملة ،

شفاهم بقسامة واسعة لينشوا فضيلة الأستاذ
الأكبر الشيخ محمود شلتوت بشفاؤه من مرضه
وحضوره إلى مقر عمله الرسمي لأول مرة منذ
تعيينه شيخاً للأزهر في ٢٢ أكتوبر الماضي .

وقد ألقى السادة عبد الحكيم سرور مدير
الشتون العامة بالأزهر ، ومحمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة ، والدكتور محمد البهي
مدير عام الثقافة ، وصادق كمال الدين المراقب
بكلية الشريعة ، ومحمد البطاوي المدرس ،
وأحد الطلاب الأكابر كلمات ترحيب
بالأستاذ الأكبر .

ثم تحدث الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
إلى « الشعب » حديثاً خافياً :

العبء الكبير

وأعرب الأستاذ الأكبر عن تقديره للدور
الكبير الذي تقوم به جريدة « الشعب » وقال
إن هديتي للشعب بمناه الواسع ، ولجريدة
« الشعب » خاصة ، هي العمل متعاونين جميعاً
لا فرق بين شخص وشخص ، ولا إنسان وإنسان ،
على تركيز الإيمان في القلوب ، والوقوف
صفاً واحداً أمام التيارات الجارية الموحدة ،
التي لا تريد إلا قتل المعاني السامية والمثل العليا
التي أودعها الدين قلوبنا ، وربي عليها شعبنا .
إن هذه التيارات الجارية - مع إيماننا وحقنا
في الله ثم في التفافنا حول بطل هذه الأمة ،

في جميع الأوطان ، وأتم يا أبنائي وإخواني
من الطلاب والعلماء والأخوة والبنوة هي الشعار
ينفي وبين الأزهرين جميعاً - ولا أجد
ما أستطيع أن أصبر به عن شكرى سوى
أن أتوجه إلى الله سبحانه وتعالى أن يؤيد
رئيسنا المؤمن الموفق الرئيس جمال عبد الناصر
راعى الأزهر ، والمدافع عن دين الله
والقومية العربية وأن يزيد توفيقاً
إلى توفيقه .

وإن في هذه اللحظة أعظمكم - والله شهيد
على ما أعهد - أن أضحي بنفسى وأبنائي
في سبيل الإسلام والأزهر .

وقد كان من حسن حظ الأزهر في هذه
الأيام أن ولي الأمر في هذا البلد شاب مؤمن
يعرف للأزهر كرامته ورسالته ، ويؤمن بأن
حياة العروبة متوقفة على النهوض برسالة
الأزهر .

فسيروا على بركة الله واستعينوا بالله في أداء
رسالتكم ، واعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
والمؤمنون .

هاتف شيخ الأزهر بحياة الرئيس ووددت
الجاهير الخفاف خلف الشيخ الأكبر .

وقالت الشعب :

أدوة الأزهر تدب فيها حركة غير عادية ،
ورجل الأزهر أتوا من كل مكان ، وعلى

على العالم الإسلامي بنشر مبادئ الدين ، وقوية عقيدة الإيمان ، وإن اليوم الذي يمكن الأزهر فيه من أداء رسالته هو أسعد أيام حياتنا وتاريخنا ... لا أقول تاريخ أشخاصنا ، ولكن تاريخ القومية العربية والرسالة الإسلامية . وإن ثقتنا وإيماننا بكفاءة السيد الرئيس جمال عبد الناصر للأزهر والرسالة الإسلامية يجعلنا بالقي الإيمان بوصول الأزهر إلى مهمته ، وأداء رسالته في تبيد غيوم الشك والشبه ، ورد إلحاد الملحدين إلى محسورهم في صدورهم ، أبقاء الله وحفظه للأزهر والعروة والإسلام .

وفد الأساتذة والطلاب

وفي وفد الأساتذة والطلاب ألقى فضيلته هذه الكلمة :

إن السعادة إنما تكون بتحقيق الأهداف وبلوغ الغاية التي نرجوها لخير أمتنا الإسلامية وأن ذلك مرتبط كل الارتباط بأداء الأزهر رسالته ومهمته ، وإن باقته ثم بكم نستطيع أن فصل جميعا إلى هذه الغاية ، إنه التعاون الذي نرجوه والإيمان الذي ننشده ونسعى إليه ، كل ذلك سنصل به إلى الغاية ونحقق الأمل المرجو .

إن على الأساتذة والمدرسين والموظفين والطلاب مهمة يجب أن تحملها قلوبهم ، وأن تظل دائما في نفوسهم وألا يشغلهم عنها

وقائد هذا الشعب الرئيس جمال عبد الناصر - لن نجد مكانا تثبت فيه ، ولا خصوبة تميش بين أجزائها ، وإن نجد ثغرة تنسلل منها ، وإن سنقف قوة أمامها نرددها ونصددها لنعبش في أمن واستقرار نخضم ديننا وشعبنا وأمتنا ، وعلى الصحافة العرب الأكبر في ذلك ، وإتنا مع الإخلاص والسير في الطريق المستقيم نستطيع أن نصل إلى أهدافنا إن شاء الله : (وأن هذا صراطى مستقيما تبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

وهذا تسجيل مني لجريدة « الشعب » لما لمسته فيها من عمل على تركيز لقوة الإيمان في القلوب وتشقيت شمل الإلحاد والشيوعية ، وخدمتها المستمرة للحركة الإسلامية .

وإنى أدعو الله تعالى أن يوجه الصحافة التوجيه الرشيد ، والعمل السديد ؛ لنخدم شعبنا وأمتنا .

ثم سأل مندوب الجريدة فضيلة الأستاذ الأكبر عن دور الأزهر في المعركة التي تدور بيننا وبين الموجات الإلحادية والعملاء ... ؟ فأجاب فضيلته :

إن مركز الأزهر من العالم الإسلامي مركز القطب من الرما ، وأن شمس الأزهر تسطع

النشاط الثقافي للأزهر

شديد، ورغبة قوية إلى أن تفتح هذه القاعة وتنبعث منها آثار الحركة العلمية الدينية بمحاضرات وبحوث يلقها أهل العلم من أزهريين وغير أزهريين ، وطالما حاولت بنفسى تحقيق هذه الرغبة ، فكانت تحول دون ذلك الحوائل ، وتقام الصعاب ، وظلت هذه القاعة غاية غالية ينظر إليها القادون والزائحون ، ويتقدمها المنتدرون حتى لقد

كلية الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر
في الحفل الختامى للوسم الثمانى الأول
لعام ١٩٥٨ / ١٩٥٩

من يوم أن أكل بناء هذه القاعة ، وأتم الله علينا نعمته فقلسها الأزهر وأنا في شوق

الأزهر بأدائه لرسالته وتمكنه من أداء مهمته . ورسالته تحتاج في تحقيقها إلى التعاون والتضامن وأنا بكم ولكم أضحي بنفسى وبأبنائى فى سبيل الأزهر ؛ لأن رسالته هى رسالة محمد ابن عبد الله - ومن حسن حظ الأزهر أنه يريد تحقيق نهضته فى عهد رجل يؤمن بالله وبرسالة محمد بن عبد الله ويؤمن بالأزهر ؛ لأنه هو الحامل لهذه الرسالة ، ذلكم هو الشاب المؤمن القوى السيد الرئيس جمال عبدالناصر ، فسيروا على بركة الله ، واعملوا فى البحث والاجتهاد ، واحرصوا على أن يفيد الشعب منكم ، كما أود أن تغفوا دائماً بجانب الخير ، وتعملوا له وأن تكونوا سدوداً مانعة للشرك والمبادئ الهدامة ، وقل عملوا فسيرى الله عملكم ورسوله .

شاغل ، هذه المهمة علمية دينية اجتماعية ، هى رسالة الأزهر ، وما رسالة الأزهر إلا رسالة الإسلام التى حققت البشرية الخير وأمنها بالنور والعرفان ، فلتعاونوا جميعاً على بلوغ هذه الغاية ، وعلى الطلاب ألا يضيعوا فرصة فى سبيل الفهم الصحيح العلم والحياة ، وأن يكونوا لبنات قوية فى بناء نهضتها وفى عصرنا الذهبى عصر الشباب المؤمن القوى الرئيس جمال عبدالناصر ، فإن عنايته بالأزهر ورعايته له تبشر بالخير الوفير الذى يعمد إليه مجده ويعاونه على أداء رسالته .

وفى وفد ضم زعماء المسلمين باليونان ، وأعضاء هيئة التدريس بكلية اللغة العربية قال : يا أبنائى : إن حياتنا بحياة الأزهر وحياة

بدأ بمحاضرة جامعة منبعها القرآن وحده وهي :
 هـ في العلم ومجالاته ومكانه في القرآن الكريم ،
 ولكن صاحبها قد قصد السير على مبدأ وحى الله
 لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان أول
 ما نزل عليه (اقرأ) .

وقد بلغ عدد المحاضرات من النوع الأول
 ثلاث عشرة محاضرة .

وبلغ عدد محاضرات النوع الثانى التوجيهى
 تسعا وأربعين محاضرة .

وبذلك كان مجموع ما ألقى في هذه القاعة
 من محاضرات علمية وتوجيهية اثنين وستين
 محاضرة .

والذى ملأ نفسى من هذه الحركة كلها شيء
 آخر وراء هذه المحاضرات وبمحوها وتناجها
 ذلكم هو اجتماع رجالى للثقافتين الدينية
 والمدنية في صعيد واحد والتقاؤهم - إخوة
 متعاونين - ينشرون كلمة الله وينتقون عن
 أسرار الإسلام وعن مقدار صلته بالصالح
 العام ، فيها :

(الإسلام دين المستوى الكامل فى الإنسانية)
 وفيها : (المسلمون أمة واحدة) . وفيها :
 (الموراث الثقافى فى حياتنا) . وفيها :
 (الخطوط الكبرى للنظام الاقتصادى فى
 الإسلام) وفيها : (القرآن يخلق المجتمع
 المتفائل) . وفيها : (ميثاق الأمم والشعوب

سمعت اليوم من أحد إخوانى أعضاء جماعة
 كبار العلماء أن إشاعة سرت عن هذه القاعة
 الخاوية ، تقول إنها مسكونة بالأفاعى كما
 سمعت عن أحد أساتذة الجامعة الذين حضروا
 بعض المحاضرات فيها أخيرا أنه يقول ، أين
 كانت هذه القاعة ، وكيف ظهرت فجأة ؟ إنها
 اكتشفت جدد يشبه اكتشاف هرم خوفو .
 وهما هى ذى قاعة المحاضرات الأزهرية ،
 الكبرى قد فصحت والمحمد لله رب العالمين ،
 وهما هى ذى قد أقيمت فيها المحاضرات ،
 ويسرني ويسركم أن نعلم أن هذه المحاضرات
 كانت على نوعين : محاضرات علمية ذات
 بحث عميق ومبادئ قيمة فى الحياة الاجتماعية
 متصلة بخطوط قرية بأصول الإسلام وأخرى
 توجيهية تبسط السبيل أمام الراعظ والمرشد ،
 وهى محاضرات الثمينة الروحية الأخيرة اختص
 بإلقائها بعض أساتذة الأزهر نذكر منهم
 الدكتور محمد الهبى مدير الثقافة الإسلامية ،
 والأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى شيخ كلية
 الشريعة ، وأخانا الدكتور على عبد الواحد
 وافي العالم الاجتماعى الكبير .

ومما زاد فى سرورى - وأعتقد أنه يزيد
 من سروركم أيضا - فى هذه المحاضرات أنها
 تناولت معظم النواحي الاجتماعية الحية التى
 كان للإسلام فيها رأى الواضح مع ظهور
 الروح الإسلامى فى كل محاضرة منها ، ومن
 حسن التفاؤل أن النوع الأول من المحاضرات

في الإسلام). وأخيراً : محاضرة الليلة التي
نستمع إليها من الدكتور أحمد ثابت حريضة
المستشار المساعد بمجلس الدولة : وهي
(الإسلام وضع الأسس الحديثة للقرية) .
التقى العريقان المثقفان في الإقليم المصري
بعد تقاطع طويل ظن معه كثير من الناس
مختلف الظنون ، فالتحده الذي جمع الإخوة
ورددم إلى عنصرهم الأول ونسبهم الحقيقي
وصار الكل يرمون عن قوسه وهو القرآن
الكريم والإسلام .

النشاط العسكري الرياضي

يتم فضيلة الأستاذ الأكبر منذ ولي منصبه
الخطير بالعمل على أن يتبوأ الأزهر مكانه
وأن يعود إليه مجده وألا يقتصر على التفوق
العلمي لحسب ، وإنما نكون له الميزات التامة
في كل ناحية وباب ، فمن سبق على ، إلى فوق
عسكري إلى امتياز رياضي وثقافي واجتماعي ؛
إيماناً من فضيلته بأن العقل السليم في الجسم
السليم ، وحرصاً على تنفيذ سياسته التي رسمها
لإصلاح الأزهر والنهوض به :

والأزهر الآن يسير بخطى واسعة نحو المجد
الذي يريده المسلمون له ويطلقون فيه الآمال
الكبار على السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

وإعداداً لهذا كله جعل فضيلته التربية
العسكرية مادة إجبارية يختبر فيها الطلاب
تحريرياً وشفوياً وقد أدى أربعون
ألف طالب امتحانهم هذا الشهر في هذه
المادة ، وسيقام معسكر التدريب العسكري

ونرجو أن يزيد هذا الاجتماع قوة على قوة
وأن يمد الله في حياة الجميع ليخرجوا للناس
من هذه القاعة ومن محاضراتهم فيها الأسرار
الكامنة في الإسلام ومبادئه ، والنظم القويمة
التي بها حياة الأمم وسعادة الأفراد .

وهذا عهد يأخذه الأزهر على نفسه بلسان
شيخه في آخر ليلة من ليالي هذا الموسم
العظيم وإنا نوثقه بقراءة سورة (والمصر إن
الإنسان لفي خسرة ، إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .
ونتهل إلى الله تعالى بهذه المناسبة العلية
الإسلامية السعيدة أن يكلاً بعين دعاته
رئيس الجمهورية العربية المتحدة الشاب المؤمن
جمال عبد الناصر لقاء ما هياً للعلم والدين

من كلمة الأستاذ عبد الحكيم محمد سرور
في حفل توزيع الشهادات على طلبة الأزهر
من خريجي الخدمة الاجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام
على سيدنا محمد رسول الله الذي أرسله
بشريعة ذات مثل وقيم اشتملت على الصلات
الاجتماعية السليمة والأصول البناءة العظيمة.

وبعد : فإن الخدمة الاجتماعية والنهوض بها
أصل من أصول النهضة في المجتمع الذي
نعيش فيه ، وليست الخدمة الاجتماعية ولا
شئونها بدعا في العصر الحديث ، وإنما هي
دعوة للدين الإسلامي وهدف من أهدافه ؛
إذ أن الدين الإسلامي دين بالمعنى العام
الشامل فكما يحدد العلاقة بين الإنسان وربه
بمعنى بناء الجماعة وتنظيم شئونها العامة .

ونحن إذ نريد الخير لجماعتنا والسعادة لأمتنا
يجب علينا أن نلتزم ذلك في الإسلام الذي
يقوم على الأخوة الصادقة والرحمة المتبادلة
والتعاون العام والمحبة العميقة والشعور الموحد ،
الامر الذي يجعل الفرد لبنة من لبنات المجتمع
فيبذل من نفسه وماله وراحته وعلمه ومعارفه
ما يحقق الخير .

ولكن ما السبيل إلى ذلك ؟ أهو عن طريق
القانون ؟ إن القوانين ستة لازمة لحياة المجتمع
لكن لاخير في قانون لا يحظى بتقديس القلب

بسيدي بشر لطلاب المعاهد الدينية ويشترك
فيه أربعة آلاف طالب .

كما سيقيم معسكر التدريب الراقى بمرسى
مطروح لطلاب الجامعة الأزهرية ويشترك
فيه خمسمائة وألف طالب وذلك في منتصف
الشهر القادم لاستكمال التدريب .

هذا وسينتار من بين الطلاب المتفوقين في
هذه المعسكرات مع اللياقة الصحية من
يلتحقون بمدارس الجيش التي تؤهلهم تأهيلا
خاصا يخدمون به وطنهم العربي والإسلامي ،
ويؤدّدون به من حياض القومية العربية
المكيّة في الأزهر .

ثم يلتحق هؤلاء الطلاب المتفوقون بالمدارس
التي تنمي فيهم روح التضحية والعطاء وإنكار
الذات وذلك بمدرسة الضفادع البشرية ومدرسة
الهابطين بالمظلات ومدرسة الصاعقة إلى غير
ذلك مما يقتاسب والقوى الكامنة في أجسام
الطلاب ، حتى يكونوا نواة صالحة وبذرة طيبة .
ويقام كذلك معسكر الرواد والقادة بمرسى
مطروح للأساتذة والطلاب ويضم خمسمائة
أستاذ وطالب .

كما يشترك الأزهر في مشروع ناصر لتوسيع
قناة السويس بالإسماعيلية ، بخمسمائة طالب
كذلك .

حياة كل فرد مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياة الآخرين ، بل إن الأخوة الدينية الناشئة عن رباط العقيدة الصالحة والإيمان الصحيح لأقوى ما يبعث في النفوس معاني التراحم والتعاطف والتعاون وتبادل الشعور والإحساس ، يجعل ذلك في قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » ، ويتضح في قوله صلى الله عليه وسلم : (المسلم أخو المسلم لا يظله ولا يغلظه) وبهذه المبادئ تصير الأمة جميعاً جهازاً واحداً يتقاسم الفرح والحزن والمحنة والألم والسعادة والشقاء والرحمة والعطف والإرشاد والمعونة .

لقد عني القرآن بأمر اليتامى ورعايتهم بل جعلها من ضمن الوصايا القيمة التي أوصى بها القرآن ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده .

كما حثت الشريعة بالصدقة التي لا ينقطع أثرها بالبذل وانتقال المال من يد إلى يد ، كإفشاء المرافق الدائمة النفع مثل المستشفيات والملاجئ ودور التعليم ، ومأوى الغرباء وعابري السبيل وقامير الثغور وإمالة الأذى عن الطريق وغير ذلك من وسائل النفع العام مما يحقق لنا سلامة الخدمات الاجتماعية . والقرآن دائماً يحقق معنى الأخوة الإسلامية مقترناً بكل بذل وعطاء لإشعار الباذل أنه إنما يبذل لأخيه .

هذا وإتانا لنأمل إن شاء الله أن تشجع هذه الدراسات وتنمو لتخرج لنا أبطالاً يؤمنون بالله ثم بمجتمعهم ووطنهم ويلتفنون حول كل مصلح يؤمن بالله وبمبادئ الإسلام ؟

ولا يمكن فيه سكن العقيدة الصالحة في قلب المؤمن ، فإن القانون لا يملك من الإنسان إلا ظاهراً ، فما يملك بما تأخذه فجأ من الغرب غير مدروس ولا معروف ، أم هو بالدين ؟ نعم إن الدين هو الكفيل بذلك ؛ لأنه الذي يخلق في الإنسان قوة في ضميره وإيمانا في قلبه بما فرضه الله على المؤمن من عبادات ومعاملات تعمل على تطهير القلب من الحقد والحسد كما تعمل على تقوية أوامر الألفة والمحبة بين الأغنياء والفقراء وبين الناس جميعاً . وهذه النواحي كلها تخلق الرقابة على كل التصرفات ، فلا يترك أخ أخاه حيث تهب خدمته وإنما يقبل الإنسان على خدمة أخيه بوازع من قلبه وورق من ضميره ولا يصلح مجتمع نام فيه الرقيب القلبي أو الوازع النفسي ، ويوم ينال الرقيب القلبي في الجماعة يضطرب جلها ونسوء أخلاقها وتفكك الأواصر فيها تنحيا حياة هوية يسودها الحسد والحقد الذي يقضى عليها القضاء الأكيد .

لحاجتنا إلى إيجاد الضمير الديني أمر ضروري في كياننا الجماعي .

ولقد حثت الشريعة الإسلامية العناية الكاملة بالخدمة الاجتماعية عناية تشد أوصال المجتمع على أساس قويم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبدين تغسل إحداها الأخرى ، ويقول المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) فأى تعاون أعين وأبعد أثراً من هذا التعاون الذي يجعل

الكتاب

جدد حياتك

تأليف الأستاذ محمد الغزالي

بقلم الأستاذ محمد رجب اليوسى

فالكتاب بموضوعه ومؤلفه جدير بالتقدير والتحليل ، على أننا لا نحتاج إلى إيضاح هدفه للقراء ، فعنوانه الدقيق « جدد حياتك » ، يكفى كفاية تامة في بيان مرماه ، ولكتنا نوضح الأسس التي ارتفع عليها بناء هذا الإنتاج ، ولعلها تنحصر في شمول النظرة ، وتوسع الثقافة وبلاغة الصير ، وثلاثتها تسد سدا جيدا في الإقناع والتوجيه . إن النظرة المحدودة لشيء ما لا تستطيع أن تبرزه على حقيقته ، فأنت إذا نظرت من زاوية خاصة إلى لوحة حسية أمام عينيك لا تقدر أن تكشف جوانبها المختلفة ، بل تعود منها بفكرة جزئية تصدق في أمر وتكذب في أمور ، والنظرة المحدودة في المنويات أشد خطرا على الحقيقة ، وأبعد مدى عن الواقع فلا بد لمن يسير أغوار النوازع والخواج أن يقلب الرأي على شق وجوهه ، وأن ينظر إلى موضوعه

لا يمكن لكتاب يظهر في النصف الثاني من القرن العشرين باحثا عن طريق السعادة في الحياة إلا أن يكون ثمرة ناضجة لتجارب عميقة ، وعصارة صافية لقراءات بصيرة ، فموضوع حتى كهذا الموضوع يتطلب من الجلد والموهبة ، نصيا كبيرا يعين على سيره واكتشافه ، فهو في حاجة ماسة إلى دراسات متشعبة لعلوم النفس والتربية والاجتماع من ناحية ، وإلى نفس حية غصبة المشاعر قوية الأحاسيس من ناحية ثانية ، ثم إلى عقل بصير يزن ويحلل وينقد من ناحية ثالثة ، وهذه الأضلاع الثلاث يمكنك أن تجد قائمة صادقة فيما تطالع من بحث وما تنشئ من تسديد .

وقد قدمت الأستاذ الغزالي لقراء مجلة الرسالة من عشر سنوات ، وأحب أن أتخذ من كتابه « جدد حياتك » سبيلا لتقدمه على صفحات هذه المجلة .

يمش وراه أسوار عالية من فضائه يحس
بوحز الألم على هذا النحو؟ كلا، إن الإهانات
تسقط على قاذفها قبل أن تصل إلى مرماها
البيد، ص ١٢٤.

فهذه زاوية أولى من ذوايا الثقة بالنفس،
ولو اقصر الكاتب عليها لفقد ما تميز به من
شمول النظرة، وتشعب الاتجاه، ولكنه
يعرض لك الزاوية الثانية فيقول:

« وإحساس المرء إذا زاد من حده يصحبه
عن الآخرين، ويحصره في ظلم خاص به،
ولا يزال ماضيا في تكبير شأنه، وتهوين
غيره، ولا تزال نفسه تعجبه وتفسج حوله
غلالة سميكة من الغرور والشراسة، ولا تزال
أنا تنمو فيه ويتضاعف ورقها وتضخمها
حتى يقول: أنا ربكم الأعلى، إن حب الذات
والعيش في إغرائها منه حثا إلى الاختناق
وهو اختناق أدبي، وإن وصل صاحبه إلى
قمة المجد والسلطان ».

بعد هذه الزاوية الثانية يسير بك الكاتب
إلى زاوية ثالثة يحمل فيها حب النفس، وتطهر
« أنا » في عيطلها عظيمة قوية، تلك هي زاوية
الآهوال والمحن حين تدلم الخطوب، ويتطلع
الناظرون إلى متقذ بطل يحمل روحه على
كفه ويقول، أنا، الحبيبة بملء شفثيه،
ويألها من كلة قوية تدعو إلى الإجلال
والإعجاب، « فأنافى هذه المناسبات صيحة القوة

نظرة المتفرد الذي لا بدع زاوية في منحنى
أو مربعا في اتجاه، وإذا ذلك يستطيع أن
يقدم ما يقنع ويجمع، فلا يترك قدما يتردد في
العقل، أو استدراكا يفد إلى التفكير، وإذا
بلغ الكاتب هذا المبلغ فقد سلك الطريق
القسيم.

وأنت تجد شمول النظرة فيما تطالع من
سطور هذا الكتاب، فما لم مؤلفه بناحية
إلا وشفعها بإيضاح ما تنطوى عليه من
غوامض، ولا يجهز لقله أن يملأ منها وجها
واحدا، فقد يكون الوجه الآخر أدعى إلى
استكمال الرأى ونضوج المذهب، ونحن في حياة
محيرة متشعبة فلا بد أن يتشعب إزاءها طريق
العلاج، ومناحي التشخيص ١١

لقد تكلم الكاتب - مثلا - من إحساس
المرء بنفسه، فجسده وعظمه وذكر أن النفس
التي تمتلئ بالثقة واليقين تقدم على المصاعب
آملة مستبشرة وتحترق المكاييد مترققة مستعجلة،
« فالرجل العظيم حقا كلما حائق في آفاق الكمال
اتسع صدره، وامتد حله، وعذر الناس
من أنفسهم والنفس المبررات لأغلاطهم،
فإذا صلا عليه ضر يريد تجريحه فظفر إليه من
قته، كما ينظر الفيلسوف إلى صديان يمشون
في الطريق وقد يرمونه بالأحجار، وقد رأينا
الغضب يشتط بأصحابه إلى حد الجنون عند
ما نتقم عليهم نفوسهم أأفلو كان الشخص

لنصرة الحق ، وفاتحة العمل لنعم الإيمان
والعهد بأداء الواجب إن بهتت تكاليفه ،
والشعور المخاد بأن المرء قبل غيره مفروض
عليه أن يتوهم بما نذب إليه ، أنا التي يقولها
امرؤ في مجال لطمع غير أنا التي يهتف بها
وجل في مجال الفزع وبين الاثنين بسد
المشرقين .

هذا مثل واحد من أمثال النظرة الشاملة
في الكتاب ، وأنت تجد نظائره في جميع
ما تقرأ ، فهناك مثلاً فرق بعيد بين الصبر
حين يصبح ينبوعاً تسيل منه مخايل الرجولة ،
وحين يكون بلادة تحرف إليها الطباع
المريضة .

وهناك التفكير في المستقبل إذ يسلم إلى
وساوس قلقه ، وأوهام ضجيرة ، فيكون داء
يعضل . وإذا يكون استعداداً وتأهباً وحيلة
فيكون شفاء يريح ، وهناك العودة إلى
الماضي حين تكون مجال العظة وموضع
الاعتبار والاستفادة فقسد ، وحين نصير
تجديداً للحزن ونكناً للجروح وإغلاماً للمين
فتشقى ، وهناك مركب النقص حين يحفز إلى
السكال ويحسدو المجد فيشر ، وحين يمنح إلى
الراء والنظاهر الكاذب فيجذب ويمحل ،
وهناك عشرات الأمثلة من هذه الألوان
المنقابلة لغت إليها الأنظار في اهتمام وتقدير .

أما تنوع الثغاة في الكتاب فيستشفه
القارئ . استشفافاً دون أن يجد ما يدل عليه
من ثبوت المصادر ، وحشد للراجع ، ومباواة
بالتنقيب والاطلاع فأنت ترى حصاة
معضومة لعلوم متنوعة ، دون أن تصدم
بمصطلحات عليية . يحشد لها المتعاملون أو قضايا
ذهنية يمرضها المباحون ، بل أجزم أنك
لا تكاد تحس بأصول هذه الثغاة البانعة ؛ لأن
الكاتب قد هضم قراءاته المختلفة هضمًا صحيحًا ،
فتحولت على أسلأت قلبه مادة أخرى ، كما
تحول الطعوم والمشارب إلى دماء تجري في
المروق ، فهي وإن استمدت خلاصتها
بما أكل وشرب إلا أنها في شرايينها المتدفقة
ذات لون خاص وحيوية خاصة ، فأنت إذا
قرأت قوله مثلاً — ص ٧٧ — « وقد علم
أولو النهى من تجاربهم ، أن هناك أشياء
تبدو من الإنسان وهو غير آبه بها ولا يفظ
لها بعدها الآخرون عليه ، ويستتجون منها
أفكاراً خاصة ويرون وراءها نيات غريبة » .
أقول إذا قرأت ذلك فأنت ستنتقل إلى العقل
الباطن في علم النفس ، وتعرف كيف يفصح
عن رغباته المكبوتة بهذه البوادر الضئيلة ،
فتكون على صغرهما المنكش أبغ في التضاح
صاحبها من ألف مذياع ، والمؤلف يستمد
فطرته تلك من دراسته النفسية ، ولكنه يأن
أن يحشد المقررات النظرية في اصطلاحاتها

إيثار الغفو عنهم ، وتنقية القلب من الضغائن طليم ، وترك الاستغفال بما أسلفوا من سيئات . أما أن تكون عواطف الإنسان سواء ، تجاه من يحسن إليه ومن يهجو عليه فذلك مستحيل . ، وهذا صحيح وإذا كان الكتاب للتربية والتهديب فقد غلب الجانب الوجداني من النفس وسرد الشعر الرائع عربيا وأجنيا ليثير به الأحاسيس ، وقد هزنت الأبيات الجميلة المختارة مرة ما لفتني ، جعلتني أقل أكثرها في أوراق الخاصة ، وإن كنت لا أوافق على الاستشهاد ببعضها فيما حده الكاتب من مجال ، فهو ينقل مثلا قول الشاعر :
والت هويتان :

« ما أجل أوف أواجه الظلام والأنواء والجوع والمصائب والمآسى واللوم والتفريع كما يواجهها الحيوان وتواجهها من الأشجار الجفوع ، فالقياس بين الإنسان وغيره مع الفارق ؛ لأن الحيوان به النبات لا يدرك العواقب فيبتس ، أما العاقل فيشقى في النعم بعقله ، ولعل مما يشفع لوالث هويتان أنه شاعر ينظر بإحساسه وحده ، ولكن ماذا يشفع للؤلؤ وهو مفكر يمزج الحس بالعقل .. ويمضي مع الخيال إلى مدى محدود ! هذه وجهة نظر فقط ولعلها تكون مداعة أكثر منها معارضة فالحال شيء حبيب .

العلمية ، بل يحيلها بأسلوبه الخاص إلى عبارة واضحة متواضعة . وهو أحيانا يأتي بالظاهرة النفسية دون أن يتعامل بتحليلها العلمي ، بل يتركه للتخصصين ، وقد كشف كل شيء عنه دون أن يلجأ إلى مصطلح غريب ، وإذا قرأ القارئ مثلا قوله « ومن المؤسف أن بعض الناس يقع على السبئية في سلوك شخص ما فيتم الدنيا ويقعدها من أجلها ، ثم هو يسمى أو يتعاطى مما تحتل به حياة هذا الشخص من أفعال حسن وشماثل كرام ، فليس بعد هذا الوضوح البديهي في حاجة إلى لغة خاصة ترجع بهذه الصورة إلى قاعدتها العلمية في دنيا الاصطلاحات والتعاريف ، وهكذا تقطف الثمرة دون أن تشكل الفراس والري والتشذيب ، وقد دفعه هذا النوع الثغاني إلى أن يقتبس أقوالا عديدة لأئمة المفكرين في الشرق والغرب والمسيحية والإسلام مع مقارنة لذينة بين نتاج العلوم وحصاد القرائح وكثيرا ما يشفع النص بتحليل عميق يضيف إليه الرائع الطريف .

فلديك قول المسيح عليه السلام « أحبوا أعداءكم ، فقد نقل الغزالي أولا تعقيا عليه قول ، ديل كل نيجي ، إنه ليس تقويما للخلق فقط وإنما هو تقويم البدن أيضا ، إذ أن العداوة تذيب الجسم وتقرى الصلوع ، ثم أتبع ذلك بقوله « أما عجة الأعداء فلعلها تنق

«والرجل المقبل على الدنيا بعزيمة وحسب لا تخضعه الظروف السيئة المحيطة به ، إنما يستفيد منها ويحتفظ بخصائصه أمامها ، كبنور الأزهار التي تظلم تحت أكرام السبخ ، ثم هي تشق الطريق إلى أعلى مستغلة ضوء الشمس براحتها المنعشة ، لقد حولت الحما المسنون والماء الكدر إلى لون بهيج وحل فواح ١١ » .

أو مثل قوله «الأفراد والجماعات منطلقون في سباق رهيب لإحراز أكبر حظ مستطاع من حطام الدنيا ، وقوام البدنية والنفسية تدور كالآلة الدائبة وراء هذه الغاية إلا أن الآلات قد يقطر عليها من الزيت ما يربط حدة الاحتكاك أو يمنع الشرر المتولد من إحراقها ، أما أصحاب الناس في حراك المادة ، فكثيراً ما تفقد هذا العنصر اللطيف ، وتمضى مستتارة يستبد بها القلق والضيق حتى تشغل فتأني على الأخضر واليابس » .

أليس في أمثال هذه الصور الجميلة ما يقرع الأسماع الغافلة فيوقف التأمين ١١ ؟ لقد كان القلم في يد الفزائى ناقوساً يجلجل ، ورحداً يرن ، فهل من سميع ؟

محمد رجب البيومي

وحلى ذكر الاكتباسات والاستنبهات نسجل للكاتب سمة الصدر لدى خصومه في الرأي ، فقد استدلل بكلام كثير قد كتور زكي مبارك وأيد ما قلناه من الآراء في استحسان وتحييد مع أنه في كتابه عن الاستعمار قد حارب الدكتور زكي مبارك حرباً طاحنة وعقب على آرائه في النثر الفنى بما يطمس لآلامه الخلوب ١١ ولكنه حين يجد الإصابة لديه في كتاب التصوف يستق من معينه ويفرق فرقا جلياً بين رأى والشخص ، سانا طريقة معتدلة جداً أن يسلكها الباحثون . فنقل بعد ذلك إلى الضلع الأخير وهو التعبير المطبوع فقد ترقق الأسلوب كالجدول المادى الشفاف حافلاً بكثير من الصور والأخيلة التي ترسم جواً من الجمال الفاتن ، وهو في صوره الأدبية لا يعتمد إلى المبالغة المتكلفة ، بل يهدف إلى الفكرة القوية فيلبسها كساء أعاداً تزدحم به فيوضع تقاطيعها ورشاقها دون أن يصيبها بتمويه خداع ، ولا أدري لماذا يذكرني بآبن الأتمنع ، فكلا الكاتبين يتخذ من الخيال البلاغى إطاراً زاهياً لأفكاره ولكن الجزالة لدى الأديب العباسى تحمل الطريق للرقه لدى الأديب المعاصر ، ولكل عصر مقال ، فما أجهل أن نستروح غير البيان التصويرى من مثل قوله :

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

وزير الدولة يزور الأزهر

قال السيد كمال وقفت وزير الأوقاف :
إن المسلمين في أنحاء العالم ليعطفون على الأزهر
أمالا كباراً ، وخاصة في هذه الفترة التي نرجو
أن يستكمل الأزهر فيها كل نواحيه ؛ لينهض
برسالته ويؤدي الأمانة التي وضعت بين يديه .

وقال : إن الأزهر لم يرق في قوميته العربية
وفي رسالته الإسلامية ، وهو ناجداً أن
يظل قائماً بهذه الأمانة ، وأن يزايد ولاسيا
في عهد النهضة الحديثة .

وكان السيد الوزير قد زار كليات الأزهر
يرافقه مدير مكتبه السيد / محمود عبد الناصر ،
وكان في استقباله فضيلة الشيخ محمد نور الحسن
وكيل الأزهر والدكتور محمد عبد الله ماضي
مدير المعاهد الدينية ، والدكتور محمد البهي
مدير الثقافة الإسلامية وغيرهم . . .

ورحب السيد الوكيل بالسيد الوزير باسم
فضيلة الأستاذ الأكبر والأزهريين وطاف
الوزير بالكليات ، وقاعة المحاضرات الكبرى

والملاعب ، وميدان التربية العسكرية للجامعة
الأزهرية ، وسرمار أيمن وسائل النهوض ،
ووعده باستكمال الأسس التي تمكن الأزهر
من القيام بأعباء رسالته الاجتماعية والثقافية
والرياضية ، والتربية العسكرية . . .

كما أبدى إعجابه بما عرض عليه من
المشروعات الإصلاحية بشأن الدراسة ،
والمكتبات ، والبعثات الداخلية والخارجية .

وزير الشؤون الاجتماعية :

زار فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ د. محمود
شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر السيد محمد
توفيق عبد الفتاح وزير الشؤون الاجتماعية
والعمل التنفيذي للإقليم المصري ورئيس لجنة
الحج في منزله مهنتاً لسيادته بالحج ، وقد
دامت الزيارة مدة طويلة تناولت الحديث
في شئون إسلامية شتى .

وقد قال السيد الوزير إنني أحمل إليكم
تهنئات المسلمين وسرورهم بتوجيهاتكم
وخطوطكم الرئيسية في الإصلاح الذي ستنت
آثاره إلى جميع الآفاق الإسلامية ، وإنني

الشيخ عبد الله المبارك الصباح خالص الفكر على ما قسم به ، وأعضاء البعثة الأزهرية بالكويت من إذاعة الأحاديث القيمة التي كان لها أعظم الأثر في بث الروح الإسلامية الصحيحة في قلوب المستمعين وشرح مبادئ الدين الحنيف .

محمد توفيق النصين

المذهب الجعفري

بعث السيد/ محمد جواد سري من بيروت إلى فضيلة الأستاذ الأكبر بالبرقية الآتية: —
إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والقاهرة .

صلوات الله وسلامه عليكم « وبعد »
« فإن الفتوى التاريخية التي أعلنت فيها العالم صحة المذهب الجعفري ومساواته للمذاهب الأربعة قد أدخلت العالم الإسلامي في باب تاريخ جديد ودفعته ألف سنة إلى الأمام ، وسيبقى صدق هذه الفتوى إلى الأبد ، لقد سجلتم هذه الفتوى وجودكم وبرزتم شاعرين في سجل الخالدين . ٩ »

وفد علماء جامعة فولي

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في مكتبه وفد علماء جامعة فولي باكنج بأمریکا وقد قال رئيس الوفد لفضيلته : إنني أحمل إليكم أطيب تحية وأعرق تقدير من أحدث جامعة في أمريكا إلى أقدم جامعة الأزهر ، التي نتعرف

لا زلت أذكر يا فضيلة الأستاذ الأكبر هذه الأحاديث الدينية الموجهة للسليين في شئون دينهم وجمعتهم وأذكر أننا كنا دائماً نهرع إلى الاستماع إليها .

وقد قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننا سرى صون دائماً على أن نعيد للأزهر مكانته في العالم الإسلامي وخاصة في عهد النهضة المباركة التي تمثل في السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة وقائد العروبة ، والمحرص على كل ما يحقق للأزهر رسالته ، كما أنني أشعر بذلك في كل اتجاهاتي نحو الإصلاح في الأزهر ، وإن شعوري بمحبكم جميعاً للإصلاح ليدفعني إلى الثبات والإخلاص في سبيل دين الله ، وفي سبيل الأزهر الذي يلقى عليه المسلمون آمالاً كباراً ، حقق الله آمالنا جميعاً وزادكم خيراً وبركة .

نشاط البعثة الأزهرية

في الكويت

أرسل الأستاذ مدير الإذاعة الكويتية هذه البرقية :

فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن جلال رئيس البعثة الأزهرية المحترم .

يسرني أن أبعث لفضيلكم باسم حضرة الرئيس الأعلى لدار الإذاعة صاحب السمو

مقطعات من الصحف والمجلات

تساع الإسلام :

الطيب بمختشوع بن جبريل عند المتوكل يوما فأجلسه بجانبه ، وكان عليه دراعة حرير رومية بها فتق ، فأخذ المتوكل يجادته ويبحث بالفتق حتى وصل إلى التيفق (وهو ما اتسع من الثوب) ، ودار الكلام بينهما حتى سأل

كل المسلمون يحملون من العلماء ما لا يطيقونه من سوام ؛ فكان العلم يغفر لهم كل ذلة ، ويحو كل خطيئة ، حتى لو كانت هذه الذلة تتناول الخليفة نفسه ؛ فقد كان

فضيلتكم أن للجامعة الأزهرية مندوبا في واشنطن فأبلغ فضيلتكم إنني سأذهب إلى مسجد واشنطن لأعرض آثاركم أيضا في بلادنا ، ثم قال أحد الأعضاء موجه كلامه إلى فضيلة الأستاذ الأكبر: سيدي إنني متأثر جدا وسعيد جدا ، وكل غبطة وسرور منذ استمعت إلى إمام المسلمين في تلسم الرسالة التي ناشدتم العالم فيها السلام .

فقال فضيلك : « هذه رسالتنا ونحن نعمل لها طسول حياتنا جاهدين ؛ لأنها رسالة الإسلام كما نعمل فيها معتمدين على الله ، ثم على أمثالكم من رجال العلم والتهنئات وفتنائه ووفق كل غلص أمين بحب للسلام . ورضى الله المجاهد الراعي للسلام الذي يبع الوحي قويا فيه السيد الرئيس جمال عبد الناصر . وانصرف الوفد شاكرا مؤكدا الدعوة لفضيلة الأستاذ الأكبر بضرورة زيارته لأمريكا .

بكم موجهها لها ، وإماما للمسلمين في أنحاء العالم . وإتنا لبسرنا جميعا أن نسير على ضوء القيادة الروحية في كل ناحية من أمثال فضيلة الأستاذ الأكبر .

كما انتهزها فرصة مباركة بعد ما سمعت من بيان فضيلتكم الذي يدفع العالم جميعا إلى السلام يسرني أن أنتهز هذه الفرصة فأوجه لمضيفكم دعوة لتشريف وطننا الذي يسعدنا أن يراكم وتشريف جامعتنا الحديثة . فقال فضيلة الأستاذ الأكبر ، أرجو أن يكون لنا ذلك الحظ ، وأرجو أن تحصلوا دعوى هذه إلى السلام ، وأن توجهوها لرجال العلم والدين عندكم فإننا لو تضافرنا جميعا ، وأخلصنا النيات لم السلام بروح الممودة ، وهذا الناس واستمروا ، وعملوا الخير البشرية جمعا .

ثم قال رئيس الوفد : « إنني وقد علمت من

إلى السجن ، فرأيت المسلمين الأشقياء عراء
مطروحين على الأرض يلفظون آخر أنفاس
حياتهم ، وقد شئت أيديهم وراء ظهورهم ،
وأحرقت أجسامهم من رؤسهم إلى أقدامهم
بالنحاس الملتهب ، وتفوح منهم الروائح
الكريهة ، فلما رأيت هذا المنظر المفرع
أشفقت عليهم لسوء حالهم ، ورأيت أن
أريحهم من هذا العذاب ، فأطلقت عليهم
الرصاص من « الطليجة » التي كانت معي .
فلما سمع « كوتن » هذه القصة المؤلمة سأل
« تومسن » : وماذا فعلت بالذين تولوا كبر
هذا التعذيب الشنيع ؟ قل : ما فعلت شيئا .

ويعلق المؤلف الأمريكي « إدوارد توماس »
على هذه الحادثة فيقول : (منظر قاجع ؛
أناس يحرقون أحياء بالنار المشتعلة ، والانجليز
والسيك قائمون حولهم يتلذذون برؤيتهم كأنهم
في منزه عام) .

نعم ... لقد فقد الانجليز بعد انتصارهم
كل إحساس بمعاني الإنسانية ، وتجاوزوا في
انتقامهم كل ما يتصوره الإنسان : رأوا أن
القتل بالرصاص سهل على القتولين فاستعملوا
المشقة ، وكانوا يشقون في كل مكان ،
ويقفون حول المشقة يضحكون ويصفقون
وكانوا يشدون ضحاياهم على فم المدافع ثم
يطلقونها فتتناثر أضلاعهم في كل مكان ،

المتوكل : بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب
بخلط في عقله) يحتاج إلى الشدة ؟ - يعني شدة
الوثائق عليه حتى لا يؤذي الناس - فقال
بنتيشوع : إذا عبت بفتق دراجة طيبه حتى
بلغ التيفق شدته (يعني كما فعل المتوكل)
فصنحك المتوكل حتى استلقى ، ولم يفضب
المتوكل ولا أصاب طيبه العالم المسيحي بأذى ؛
لأن نفسه تأتي أن تؤذي العلم أو تعصف
بكرامة العالم . ومن لواذ الإسلام .

وحشية الاستعمار :

وكتب أحد الضباط (مجندي) في مذكراته
يقول : (وبتنا تلك الليلة وكنا حراسا على
المسجد الجامع في دلهي ، نمضي أكثر أوقاتنا
في قتل الأسرى الذين قبضنا عليهم صباحا :
نقتلهم بالرصاص أو بالبنش ، ولكن كان
يظهر على وجوههم آثار الشجاعة والصبر
بالرغم من ذلك ، مما يدل على أنهم كانوا
يضعون بأنفسهم هدف عظيم ، ولذلك كانوا
لا يخافون من الموت أو القتل) .

ويذكر مستر « تومسن » للستر هنري
كوتن عن أحوال بعض المسلمين المسجونين
في بنجاب فيقول : (أثنائي ذات ليلة عسكري
من طائفة السيك وبعد أن حياني بالتحية
العسكرية خاطبني قائلا : لعل الرئيس يجب أن
يشاهد المسجونين ، فقممت وهرولت مسرعا

وفي هذه المناسبة علينا أن نذكر بإيجال واحترام المرحوم العلامة أمير البيان شكيب أرسلان حينما كتب شروحه وتعليقاته الضافية على كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للشرق الأمريكي «لوتروب سوارد» . فكانت هذه الأبجيات دائرة معارف ؛ إذ أنه أرخ لكل بلد فيه مسلمون ، وبحث تاريخ دخول الإسلام في كل بقعة من بقاع العالم ، وتسلسل مع الحوادث التاريخية ، ولكنه توقفت سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٤ م وهو تاريخ

إخراج الطبعة الثانية للكتاب ، حاضر العالم الإسلامي . وكان رحمه الله يحرص على أن يورد في البلدان الثانية التي لا يعرف عنها مسلمو الشرق الأوسط إلا النزر اليسير ، فسد بذلك - رحمه الله - فراغ لم يملأه أحد قبله ، وقدم

لقراء العربية معلومات قيمة عن كل بلد فيه إسلام ومسلمون ، غير أن الأمور قد تبدلت منذ ذلك التاريخ (تاريخ إصدار الكتاب) .

وجدت حوادث لا حصر لها ، وبرزت لوجود دول إسلامية عظيمة كإندونيسيا وباكستان والمغرب وتونس وليبيا ودول أخرى في طريقها إلى الاستقلال ، فن الضروري جدا ملء هذا الفراغ ، وسد هذه الفجوة ، وتسجيل أحوال كل بلد إسلامي منذ ذلك الوقت حتى الآن ، وعمل ملحق لكتاب العلامة شكيب أرسلان .

عن البعث الإسلامي

وكانوا يلقون أجساد الضحايا بجلود الخنازير ويخيطونها عليهم أو يدهنونهم بشحوماتهم يهرقونهم ، وكانوا يجبرونهم على فعل الفاحشة بعضهم بعض ، ويحشرون الناس في البيوت ثم يشعلون النار فيها فيتحول المساكين إلى رماد : رجالا ونساء وأطفالا ، ولم يتركوا وسيلة للتشكيل والتعذيب يفتن العقل في إخراجها إلا فعلوها بضحاياهم ، ولم يفرقوا بين فاجر ومهادن ؛ فالكل عندهم فاجر .

هذه الصور المخزية تمت على أيدي مدعي الحضارة ، وسقط على مر التاريخ وصحة عار على جبينهم ، وكفى على جبينهم من وصمات . «عن مجلة الحج» .

حاضر العالم الإسلامي :

من المؤلف أتنا نرى أنفسنا مقصرين قنصيراً كبيراً في هذه الناحية على حين نرى أعداءنا - شرقيين أو غربيين - يتولون هم تدوين حاضرتنا ، قراهم يقعون أمورنا ، ويمكثون السنين الطوال في بلادنا ، فيعرفون كل شيء عنا ويكتبونه ، لا من وجهة نظرنا بل من وجهة نظرهم ، ووفق ما تقتضيه مصالحهم .

ولقد ألف هؤلاء الكتب ، وأفتشوا المجلات الدورية التي تبحث عن شؤون العالم الإسلامي : ماضيه وحاضره ؛ وتنبأ بمستقبله .

الفهرس

صليحة

١ المجلة في سنتها الحادية والثلاثين

رئيس التحرير

٢ قوى الإسلام اثلاث

للأستاذ أحمد حسن الزيات

٣ الإيمان : بين التفكير والفلسفة

للأستاذ عباس محمود العقاد

٤ الإسلام كنظام للحياة

للأستاذ الدكتور محمد البهي

٥ ظلمات في كه عمر

للأستاذ محمد محمد للذني

٦ من هدى الكتاب العزيز :

واعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

للأستاذ محمد هـ هـ

٧ موقف اليهودية والسيعة والإسلام من العروة

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

٨ أجمع وسائل الدعوة

للأستاذ محمد الغزالي

٩ قصص القرآن — الهجرة .

للأستاذ عبد العليط السبك

١٠ ذو النون المصري

للأستاذ الدكتور أحمد نؤاد الأهواني

١١ القومية في عهد الأيوبيين

للأستاذ شبيب جبري

صليحة

١٢ أسباب اختلاف الرأي بين المسلمين

للأستاذ محمود أبو ربه

١٣ وثقة على رأس الخمين

للأستاذ علي الطنطاوي

١٤ الطالع والمقاطع في شعر شوقي

للأستاذ علي الجندي

١٥ البيانات الجديدة

للأستاذ محمد فتحي هنيان

١٦ من روى الأخبار : إلى المتفلات بالشئون النفسية

للأستاذ أبو الوفا الرازي

١٧ استقبال شهر المحرم

للأستاذ هز الدين علي السيد

١٨ قصص الأنبياء في السينما

للأستاذ محمد علي قاصد

١٩ أثر الفرقان في تحرير الفكر الإنساني

للأستاذ عباس طه

٢٠ القدر والمصادفة في الإسلام والفلسفة المادية

للأستاذ عباس محمود العقاد

٢١ قصة الفداء ، قصيدة

للككتور أحمد الطرابلسي

٢٢ آراء وأحاديث

لقضية الأستاذ الأكبر

٢٣ النشاط الثقافي للأزهر

١١٨ الكتب

١٢٣ آباء الأزهر

١٢٦ مقتطفات من الصحف والمجلات

القسم الإنجليزي

In the name of God, the compassionate, The Merciful

This is the second issue of al-Azhar Review with an English supplement. It is an honest attempt to start a new era in the history of this review to satisfy the dear desires of our English readers. We most sincerely hope that this humble attempt will meet with their kind satisfaction.

All suggestions will be received with utmost warmth, and we invite our readers to write to us with their impressions and serious remarks to help keep this review constantly improving and continually progressive.

Hammudah Abd al Atti

CONTENTS

Our Religion In Tribulation and our Homeland
in danger. Page 1 — 5

BY

Ahmed Hassan El Zayat, Editor - in Chief.

The Reform of Humanity in Islam P. 6 — 10

BY

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout, Rector
of al - Azhar University.

Islam, the Religion of the Virtuous Standard P. 11 — 25
of Humanity.

BY

Dr. Mohammad El-Bahay, Director General of
the Islamic Culture Department.

A Doctrine in Bankruptcy. Communist Materialism P. 26 — 30
incapable of Survival.

BY

Abbas Mahmoud El-Aqqad,

much of their despotism but ultimately awake from slumber to resist and to oppose them. These nations, however, can become resisting and their voice can be listened to and their dispute may be propagated allover the world.

Conversly, when the Russians exploit a country there is no place for resistance or uprising save the sword of the exploiters.

Their policy, then, of annihilation and extirpation will not be more merciful than their's in their own homeland. Where is Bulganin ? where is Perla ? Where is Malinkove ? Where is Molotove ? where are the hundreds and thousands of the ex-colleagues and compeers whose reckoning and resistance were feared of some day ?

Such a ruler who removes those persons out of his way in the daylight can not leave in the conquered countries even a single head to be raised against him asking for reckoning and desiring for resistance ; but he will paralyse their activities and make them cripples.

This is a brutal and devilish monster that besests countries in this age, and they will not be safe unless they put it to death. That will be " the liquidation of the last vestige " of the doctrine which infulnuced a nation by means of terror and misleading, and desires to impose its control upon all nations ! God forbid such a thing.

be exercised by a governmental machinery based on terror and misleading by which machinery the sole ruler will be endowed with powers which will never exist and had never been granted to the most despotic rulers as Nyron and Jankiz khan.

This is a fact exposed to us by the actions and words of the rulers in Russia, needless to refer to the opinions of the antagonist or the critics from other countries.

Upon the foundations of such a doctrine a whole nation, from the baby to the old man over fifty, was built. Nevertheless, its rulers are still traitors and unjust, and terror and cheating are still smoothing the way for its absolute dictator to execute souls, to discredit honour and to distribute sustenance just the way he likes.

It is obvious that misleading here depends upon terror and does not depend on the subtle tactics which may deceive those who are not obliged to accept submission or capitulation. That is because their assumption, the unjust and the subdued alike, is weak enough to be rejected by a listener free from fear and foolishness. And this is not the reality which has been unveiled by the result of the Communist rule in Russian countries only, but it is also the fact exposed

in all nations influenced by Russia and considered as its satellites. A quick glance on the Russian colonies and quasi Russian colonies is sufficient to prove that Russians do not impose their domination over a country which is separated by a geographical barrier.

All their colonies and their semi-colonies in Asia and Europe are situated close to them to be within the reach of the armed terror, and they could not replace the armed terror or the armed spying with misleading only.

Thus Tito in Yugoslavia got out of their grasp and even criticised and mocked at their systems and teachings. He challenged them and achieved success in his challenge, though he holds the principles of another social ideology.

So long as these "anti imperialism and exploitation Communists," as they pretend to be, are able to subjugate a foreign country by the force of weapons, they will impose frustrations and terror upon it in such a manner that could not be tolerated by the worst imperialists in the past centuries nor in this twentieth century.

All the nations encroached by non-Communist imperialists suffer so

His contemporary successor, Khrushchev, claims that Stalin was a despotic tyrant and unjust strangler who shed the blood of innocent people and fabricated lies against the honest servants of the nation. But, paradoxical enough, this very successor to Stalin, Khrushchev who is making these accusations against Stalin did the same as soon as he got into power.

Shortly afterwards he did with his collaborators in government what Stalin did with his own. Killing, exciting, dismissing and hurling accusations of treachery are very popular elements in Khrushchev's treatment of his colleagues and collaborators, although his campaign against Stalinism, which he accuses of the same crimes, is still going on.

Was his leader Stalin just or unjust? And is his successor Khrushchev truthful or otherwise? Both cases are the same. If Stalin were just, there were thousands of traitors, wicked and corruptive from amongst Communist leaders. On the other hand, if he was unjust there existed a ruling government which resorted to a policy of terror, cheating and misleading. As regards Khrushchev, truthfulness, if it ever happens, is an agony, and his dishonesty, which often happens, is a horrid calamity. And his blind imitation of Stalin,

who has been severely accused and condemned by him, gives an add proof of the evil which has subterranean roots in all machineries of the Communist government. Because his truthfulness refutes the basic principles of the Communist doctrine, it enables us to see that the Communist reign empowers the despotic ruler with such tyranny that had never been granted to the most oppressive caesars in the darkest reigns of oppression and exploitation. The worst is that Khrushchev ejects lies against a leader to a nation and to a government without being disclosed or ashamed.

Thus, it is not difficult for him to continue, shamelessly, the very policy of all these men which he, contradicting himself and truth, disapproved.

However, it is inevitable to conclude that Communism bankrupted thoroughly in its social policy; because it is a strange and impractical doctrine. And because the Communists in a whole Communist nation failed to introduce, after forty years of control, a just ruler but a tyrant, a liar and a murderer whether he is in power or is deposed. And that the Communist system is, fundamentally worse than all systems ever known in the history of despotism and capitalism. This is because it is to

because the Communist Revolution declared from the very beginning a slogan:

"Whoever is not with Communism is against it", and annihilated all those who hesitated to support it although they showed no resistance to it. But whether this assumption is probable or otherwise it does not lead to any effective result. All it can lead to, however, is that the number of the heartedly opponents of Communism is limited to a few thousands cut from all means of authority and influence among millions of men and women with strong control over all actions and opinions.

More than a hundred and fifty millions, all born in the domain of Communism and isolated from the world's doctrines, have been living in the Communist atmosphere for a period over forty years

This "Ideological uniformity" is unprecedented in the whole history of nations, and this is a chance given to the Communist Revolution the similar to which chance has never been accorded to any other social or political movement. And had the Communist doctrine been validly based on the pillars of freedom and security of rights, it should have now been in an utmost state of stability

and self-confidence, and all its leaders should have been efficient, capable in their leadership, sincere in carrying it out and truthful in their belief in it and in managing its affairs. Otherwise how much time would be sufficient to supply efficient, sincere and faithful leaders? And from what ideology would Communism borrow them if it is unable to bring them up in its own land among people ranging from the age of twenty to that of sixty years?

Yes, the Communist doctrine should have to-day a free and stable government run by efficient and sincere rulers. But is this the actual situation in the Russian countries? Is this the real case taken from the statements of the Russian people themselves or of their rulers, not to mention the statements of their enemies and opponents?

No, that is not the actual situation or the observable reality in Russia, as has been constantly described by the Russian rulers from the Stalin reign to that of Khrushchev the first and the last.

Stalin put to death hundreds and thousands because he accused them of treachery, sinister intentions against the people, trespassing on their interests and violation of their constitution.

A Doctrine in BanKrupcy

Communist Materialism Incapable
of Survival
by

ABBAS MAHMOUD EL-AQQAD

Forty - two years ago, just before the end of the first World War, Communism prevailed in Russia. All Russians to - day, men and women, were born and brought up in the Communist environment and influenced by the Communist principles and beliefs. They were isolated, from their infancy to their adulthood, from any other doctrine opposing or obstructing Communism except those who are about or over sixty years old.

Those of them who reached forty years were born two years after the declaration of the doctrine, so they did not know any doctrine other than Communism since they learnt how to speak.

And those who reached fifty years were, at the declaration of the doctrine, eight years old, so they were first educated in the Communist schools, and the first thing to know was how to learn the doctrine and live up to it. Likewise, those approaching sixty years were, at that time,

eighteen years old of which they spent three years during the first World War, and when they were forty years old and then fifty and over, they were implicitly and explicitly Communist. They were taught and educated in such a manner as to live a Communist life and know nothing about any doctrine different from or contradictory to Communism.

A nation with all its population, men, women, old, young and children, is in a state of absolute submission to the Communist call and education, and hears nothing against Communism.

So if we assume that the Communist Revolution spared the lives of its non - supporters, this would be true only of some unorganized individuals of sixty years old or over, who cannot oppose the doctrine by introducing any alternative to it or by exerting any influence against it or having any effective and practical means of competition with Communism. Yet this assumption is hardly probable

guidance. Likewise, that which raises to the Most Sublime Value in existence, namely God, is the religion. And Islam is both the religion and the guidance. It is very probable that a society may advance in material civilization, yet the very society stands, from the human point of view, under-developed. Science may make progressive steps in the fields of physics and mathematics, while the human values of scientists and their society retrogress.

When egoism and individuality dominantly prevail, and when the social ties and belief in God weaken or disappear, there will be no qualities of any high standard of humanity. And if the material and industrial civilization leads to conflicts and clashes, to aggression, there will be no virtuous standard of humanity among the people of such civilization. And if the physio-mathematical science is used for destruction and annihilation and to originate fear and instability, then the people of this science are not of any virtuous or high standard of humanity.

Surely, man is different from the tool. Unlike the tool he is endowed with freedom and will. The tool cannot work by itself without craftsmanship, without the conductorship of man. And his conductorship becomes a good one when he comprehends values, knows good and evil,

appreciates brotherhood and co-operation, and, finally, when he knows God.

Piety, which is the keeping of duty to God, is also different from the physio-mathematical science. The former consists in kindness, mutual mercy, patience, persistence in good and other valuable ideals. But the latter is useless except when it is accompanied by piety as explained just now.

Islam guides man to reach the virtuous standard of humanity wherever he happens to be: in a desert or in a city, in a materially civilized society or in an uncivilized one. Islam, as God has described it, is the mission of chasteness and purification from the domination of animality. It is the mission of wisdom represented in the conception of values and ideals. It is the mission of development from deviation to straightforwardness in the human behaviour. Islam is all that everywhere and all the time for all people, whether they are Arabs or non Arabs, lived in the past or will come to life in the future generations. "He it is Who has sent among the unlettered ones a messenger of them, to recite to them His revelations and to purify them, and to teach them the Scripture and wisdom, though heretofore they were indeed in error manifest. Along with others of them who have not yet joined them, He is the mighty, the wise" (Surah. 62, V. 2-3),

education guides man to these values, then it is Islam taking an educational formula.

And if education guides him to values other than the unity of God, it does not raise him to the highest values, and so he falls short of reaching the virtuous, perfect standard of humanity.

Besides that, Islam is not only a conductive system but is also a religion. It stimulates man first by belief in God and, secondly, by the fear of his anger and requiting. Through such fear of God, man develops in himself a conscience by which he is intrinsically motivated to conceive values and be thoughtful of them, and to act according to this thoughtfulness, so that his action will be a good one.

Here in religion, man's heart is filled with faith, and then his mind sets off to conceive values "And observe your duty to God, and God will teach you; (S. 2, V. 282). But in education guidance is to the mind and conception, not to the heart, and rarely does it develop a heart filled and occupied by faith. So educational systems cannot be a substitute for Islam; they are insufficient.

Islam and the Civilized Society :

. It may also be said, as has

been frequently said, that Islam is a religion suitable only to the primitive people, for it helps them in their development to reach a comparatively high standard of humanity. And this is why it was good for the tribal communities of the desert, while the civilized society is in no need for it.

But let us ask this question : What is the civilized Society referred to here ? Is it, for example, our contemporary society of material and industrial civilization ? the society of physio-mathematical science ? Truly, material and industrial civilization helps man to attain a high standard of living, but it is incapable of elevating him to a high standard of humanity. That is because it does not exercise its influence in the sphere of values but in the range of matter and tool. Physio-mathematical science plays its role in discovering the universal forces and does not treat human values. It may even attract people with material power to ridicule the abstract values and make mock of them.

There is no necessary connection between the standard of material civilization and that of virtuous and revered humanity. Nor is there any necessary connection between the physio-mathematical science and the human values. That which elevates to the conception of human values is

All forms of duty and worship that Islam has enjoined aim at ascertaining these three values: Liberty, the sound conception of society and the unity of God. So if we reflect on fasting, we shall realize that it is the worship which leads to liberty and choice, because it results in freedom from the domination of the instincts and bodily desires and makes room for the will.

Likewise, giving alms and pilgrimage are two forms of worship which lead to the awakening in their performers of the sound conception of society and its survival. Prayer, on the other hand, is the worship that emphasises belief in the unity of god. The praying person's utterance: "God is the greatest" together with his spiritual and sentimental experience of what he says in both loud and silent expression of belief in the unity of God.

So we find that Islam guides man to all values and abstracts and puts in its guidance emphasis on the values of freedom and human will, the sound conception of society and finally the value of the unity of God. These three values portray the virtuous, sublime standard of humanity, and without their attainment man remains humanly immature, because he will be then either under-developed or in constant conflict and fluctuation

between his instincts, egoism and animality on the one hand, and his elevation to the high standard of humanity on the other hand.

The Glorious Qur'an most eloquently describes the effects of the Islamic guidance in elevating man from a lower position to a higher and more magnificent standard. It says: "Is he who was dead and We have raised him to life, and set for him a light wherein he walks among people, as him whose similitude is in utter darkness whence he cannot emerge?" (Surah. 6, V. 122).

Thus the person who has not been raised to the virtuous human standard is dead and has no human life, whereas the one who has been raised to such a standard is alive and active, and walks among people in the light of this standard.

Is Education Sufficient?

It may be argued that education can replace Islam and produce the same results in elevating man to the virtuous standard of humanity and the sublime values.

But let us ask: What sublime values does education guide man to? Does it guide him to liberty and choice? to the sound conception of society? to the unity of God? If

reproduces, begets and is begotten. It exalts the aim of his worship for above all material ends.

Islam advocates the unity of God: "And your God is One God. There is no God but He, the Beneficent, the Merciful" (Surah 2, V. 163).

"And He is God; there is no God save Him. His is all praise in this life and Hereafter, and to Him you will be brought back" (Surah 28, V. 70).

The attitude of Islam in this point is not demonstrated only in positive terms as just mentioned, but it is demonstrated in negative terms as well. It emphatically rejects belief in more than one God as the Qur'an says: "They surely disbelieve who say: God is the third of three; when there is no God save One God" (Surah. 5, V. 73). It also rejects the belief that He has a child: "The Originator of the heavens and the earth! How can He have a child? when there is for Him no consort, when He created all things and is aware, of all things?" (Surah. 9, V. 101). "And say: 'Praise be to God, Who has not taken to Himself a son, and Who has no partner in the Sovereignty, nor has He any protecting friend through dependence. And magnify Him with all magnificence'" (Surah 17, V. 111). God, according to this point of view of Islam, is neither

tangible nor is He visible. "Vision comprehends Him not, but He comprehends all Vision" (Surah 6, V. 104). The Glorious Qur'an summarizes the qualities of Goodhood in this respect as follows: "Say: He is God, the One! God, the eternally besought of all! He begets not nor was begotten. And there is none comparable to Him" (Surah 112, Vs. 1 - 4). Thus the unity of God the worshiped is pure and absolute, and His difference from the tangible and the visible is plain.

We have already mentioned that the distinctive quality of man is manifested in his ability to conceive, and that this conception develops from sense perception of the tangible and ends up with the conception of values and abstracts. So if man attains by his conception to a sublime value, which is the assembling centre of all values, and believes in it as the ultimate culmination of all values and sensible objects, then his conception rises to the highest level, and then his human standard reaches the highest grade. At this stage he would have comprehended the whole being. He would have comprehended the basis of being represented in the tangible scattered particles and also what is beyond these particles of values. Finally, he would have comprehended the most sublime value in existence represented in God, the One.

faces towards the East and the West; but righteous is he who believes in God and the Last Day and the angels and the Scripture and the prophets; and gives wealth, in spite of his love of it, to kindred and to orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask, and to set slaves free; and observes proper worship and pays the poor-due. And (righteous are) those who keep their treaty when they make one, and the patient in distress and adversity and time of stress. Such are the dutiful" (Surah 2, V. 177).

Mutual help, therefore, in belief in God and the rest of the invisible ideals, in giving wealth, in spite of one's love of it, to those who need it and performing prayer, in paying the poor-due and keeping the treaty, in patience at times of distress and adversity, - such help leaves no place for conflict and clashing among individuals. Nay, it develops in them brotherhood, love and solidarity. Then the believers stand like the bricks of a solid structure with each one sustaining the other. And this is the farthest distance that man can reach away from the effects of his individuality and egoism to approach the sublime standard of humanity.

Conversely, man's acceptance of the prohibition of extending help in sin and aggression represents the

same thing, namely, turning away from egoism and individuality and reaching the high standard of humanity. This is because rash leaning towards sin and aggression is one of the most specific features of human childhood. If somebody points to another and shouts a "thief", this will be sufficient to summon all the boys of the district and make them unconsciously hasten to the person pointed to as a thief and hurt him. But such boys can hardly assemble and hasten to abdicate their possessions or allow others to share these possessions with them.

(3) Islam and Godhood:

It has been clear so far that the Islamic guidance helps man in reaching the purely human standard; as it helps him to exercise his liberty and choice, and to become a member of a co-operative society in which egoistic conflicts and individualistic clashes cease. This is even clearer and more vivid in the sphere of Divinity and belief. In this respect Islam helps man to be of pure and unstained humanity. It keeps him away from being a worshiper of any tangible object, from being a pagan or polytheist. It makes him inaccessible to wrong imaginations with regard to Divinity and the ultimate aim of worship. It keeps him safe from imagining his God as a personified being, who eats, drinks, marries,

(2) Islam and the Conception of Society :

By now it has become clear that Islam guides man in such a manner as to draw his attention to abstract meanings and make him desirous of ideals, so that his rash leaning towards the instinctive behaviour of individuality and egoism may be mitigated. Among these abstract meanings is the conception of society, its rise and preservation. The conception of society consists of solidarity among a group of people who mutually recognize their co-existence and jointly endeavour for common aims. The rise of society is possible only with the emergence of a vivid consciousness of solidarity among the individuals, and with a faith deep enough to prevent conflicts and aversion. The preservation of society is dependent upon the maintenance of this faith and consciousness together.

The purpose of the Islamic society is clearly defined in the Holy Qur'an. It is a pure faith in God and devotion of one's life to Him and for His sake. "The Believers are those only who believe in God and His messenger, and they doubt not and struggle hard with their wealth and their lives in the way of God. Such are the truthful ones" (Surah. 49, V. 15).

By so defining the purpose of society and life, the Holy Qur'an does not derive its definition from any material source or base it on any tangible thing or view it with any sensible object. But it defines this purpose as the most sublime value in the whole being, namely, God, glorified be He, Who is the centre of absolute perfection in all forms represented in the highest values: in His ability and Mercy, His creativeness and kindness, His goodness and righteousness, His wisdom and powerfulness, etc.

Through the Qur'anic definition of society in this manner, Islam elevates individuals to the high standard of humanity. The first step is the very making of the definition of society as such, and the second is the explanation of the conception of society in immaterial and intangible terms.

Not only does the Qur'an define the conception of society but also the means of its foundation and survival. This is explained in the words of God: "And help one another in sin and aggression, and keep your duty to God. Surely God is severe in requiting (evil)" (Surah 5, V. 2).

Moreover, the Qur'an defines righteousness as follows: It is not righteousness that you turn your

ease as well as in adversity and those who restrain (their) anger and pardon men..." (Surah. 14 V. 132 - 133).

So it calls upon the believers explicitly to be of free will and choice. And as long as the effects and domination of the instincts cease, there is free will which is the result of choice.

Thus we see that Islam's attitude towards individuality and egotism is to guide man in such a way that his human quality in its highest form masters his behaviour. This quality is the ability to conceive the invisible and the unseen, the abstract values and the human ideals represented in justice, the doing of good, and refraining from indecency, evil and wickedness. They also include the safeguarding of honour, observing the consecration of the property and respecting rights of self.

Islam with its guidance to man awakens his conscience and conducts his attention to these values, so that he may attain them by both his conceptional and perceptive qualities. And when he attains them he is no longer confined to the sphere of sense perception but will also approach the sphere of values and abstracts. Here man can conceive *Kind* and

Quality in addition to his perception of *size* and *quantity* which he has already acquired. Besides that, he can comprehend the *general principle* in addition to the particles scattered in his physical environment and already in mind.

At this stage of his development man stands fluctuating and uncertain between the tangible and the intangible. And here comes the decisive moment in his life with regard to his liberty and freedom of choice: Will he be inclined to the tangible or otherwise? If he is attracted to *kind*, *quality* and the *general principle*, he naturally gives them preference. And by so doing he turns his back to the sphere of human childhood, the sphere of the tangible, and marches on to approach the purely human sphere, the sphere of values.

Thus Islam, by glorifying ideals and values, guides man to them. So it enables the human adolescent to make his humanity triumph over his instincts in the current struggle between them in this stage of his life. And if Islam helps the adolescent to emerge out of this struggle victorious, it is helping him to become a *man* of liberty and free choice, and to be no longer dominated by his instincts.

in the way of God. Such are the truthful ones" (Surah. 49, V. 15), it strongly exhorts the believer not to submit to his individuality or egoism. This is because the one who sacrifices his wealth and life in the way of God is not the one who is dominated by his egoism or individuality. Such a sacrifice of such a man is based on liberty and choice.

When he has restrained his individuality and resisted the domination of his instincts refusing to exert any response to them, he then becomes a free, willing man who stands against his individuality and egoism. He becomes liberal.

And so the Glorious Qur'an, when it says: "Surely God enjoins justice and kindness and the giving to the kindred, and forbids indecency and evil and wickedness" (Surah. 16, V. 90), it urges the believer in God to be free and enjoy his liberty and choice.

This is so because man does not act justly unless he recognizes the existence of others and regards their rights. Such recognition originates in him from his being self-controlled and a master of his instincts. In this we see an impressive demonstration of liberty and choice.

Moreover, kindness mentioned above is not only giving money to

others or being charitable, but it is giving money as well as extending magnanimity, knowledge and prestige from one to another without return. Kindness, therefore, is more than mere justice, and so it is based upon freedom and choice and mastering one's individuality or egoism.

Furthermore, the giving to the kindred also manifests liberty and choice; because the giving to the kindred, who are in most cases spiteful, is not only a giving without return but also a giving that there may be reasons to suspend it. Thus he who gives his kindred clearly illustrates his choice and freedom of action, and consequently shows his firm command over his egoism and individuality.

If man yields to these principles and refrains from indecency, evil and wickedness, his yielding will be expressive of his free will and choice because he, then, will be ultra egoism and not subjected to his individuality.

Islam urges the believer to restrain his anger and to pardon others in spite of his ability to retribute, and emphasises that by the verse "And hasten to forgiveness from your Lord and a garden, as wide as the heavens and the earth; it is prepared for those who keep their duty: Those who spend (in the way of God) in

the instinct and the perception is that of adolescence or adulthood, it is the decisive phase in man's life which leads him either to maturity or continuance of the stage of childhood which is nothing but animality in human disguise.

The adolescent man is in pressing need for help to make the conception, the specific quality of man, triumph over instinct and its influence. He needs help to be transferred:

a — From acting and being motivated by instinct to a free man having the liberty of choice.

b — From an individualistic and egoistic to a sociable man participating with others in the course of life.

c — From an incessant controversial to a co-operating and brotherly person.

e — From a pagan and polytheist to a believer and monotheist.

F — From being an adorer of world lust or self-guarding against material harms to a sacrificing man, who devotes himself and his property to God.

The Role of Islam in This Improvement:

Whatever assists the adolescent to attain this improvement is

that which elevates him to the highest standard of humanity.

Thus if there is a conductive motive to stimulate him to become (a) a free man of choice; (b) a useful member of a brotherly and co-operative society; and (c) a monotheist whose God is invisible, has no associate and neither begets nor is begotten, then and then only that motive is man's assistant in reaching a sublime level of humanity. It is the assistant that leads him to his very human and natural quality, which quality distinguishes him from animals.

Here the question arises: Is Islam that assistant? The answer to this may be found in the following pages.

The Attitude of Islam towards Freedom and Choice:

Freedom and choice, as we have mentioned earlier, are not libertinism or unrestrictedness, but they are the ability to make judgements and give preference. The evidence of such ability is not to be blindly induced by one's individual and selfish interests. When the Qur'an describes the Believers by saying: "The Believers are those only who believe in God and His Messenger, then they doubt not, and struggle hard with their wealth and their lives

or orders, and giving preference to what he chooses.

So long as the instinct prevails and since perception is limited by sense, man misses the power of conceiving the quality, not to speak about taking it in to consideration and giving preference to it. And what looks like liberty and choice in the sphere of the childish man's behaviour is nothing but the rashness of instinct taking the form of liberty and choice. And this is not liberty, and it is better to call it libertinism.

The handsome demonstration of what we mentioned is that man of the primitive tribes is more motivated and agitated by explicit motives than by his free will which is the result of analysis, comparison and preference.

The primitive man who is a mere child does not sacrifice himself or give what he possesses unless he has been obliged and enforced to do so.

Similarly, the child in the mature society does not give what he has out of conviction because he admits no conviction as it is erected on comparison and preference, liberty, choice and free will.

"Perception," the specific quality of man and the cause of his superiority to animal, begins in the child's

life in an immature form, but it may get advanced and promoted if there is a means to help in its growth and advancement to overcome the mighty and mastering instinct. That is why the sophisticated or the civilized society interferes to make a proper atmosphere concerning the environment, home and school to cultivate quickly the perception on the one hand, and to weaken the effect of the instinct, or rather, to sublimate it on the other hand.

And when man's perception is elevated beyond the tangible entities of size and quantity, to the Abstract, Kind and Quality, then this man traverses the stage of his childhood to face a new one of conflict between instinct and perception in its highest form and that is abstraction.

The transformation of man's perception from the tangible to the abstract can be judged by the answer he gives when asked "who is the father?", and if he answers by saying that the father is he who has the quality of fatherhood, then he is a mature man. But if he answers by pointing to his father, then he is still in the stage of human childhood, and if he continues keeping this behaviour he will be considered as a backward and primitive man.

The stage of conflict between

too, worshiped animal and fire, and the same was the case with ancient Greeks.

Thus the primitive man tied his belief to the tangible, and as the tangible surroundings had been multitudinous, the primitive man was polytheist. And because he deified tangible objects to gain something from them or protect himself by their aid and against harms, the primitive man's worship was pragmatic and for material aims. So when the ancient Egyptians worshiped the desert, they aimed at avoiding the harmful effects of sands carried by the hot, southerly and seasonable winds. And when they worshiped the Nile, their sole aim was to get the water flood in order that they might grow plants and breed animals.

When tying his belief to the tangible, the primitive man makes no distinction between the human and the non-human. He worships man, male and female alike, as well as animal. He approaches his human deity through desirable offerings of food and the like, and feels no embarrassment or shame of having a deity of human nature who eats and drinks, marries and reproduces children, etc.

In the sphere of art, the primitive man illustrates, through his art, only

the tangible things of his environment such as human beings and animals. His art is characterised by simplicity because the scattered tangible things which he can illustrate are not complicated, and he illustrates them as they are.

Similarly, in the sphere of language we find the names of human individuals derived from names of tangible things like flowers, trees, birds, animals and the rest of such things, beyond which the primitive man's perception cannot reach.

Thus the aspects of human childhood can be abridged in two items.

1 — Prevalence and domination of instinct, egoism and individuality.

2 — The perception can be applied only to the tangible and visual entities. According to these two aspects friction and chaos increase among individuals. And the vigilance for mutual affinities comes to an end and Paganism, represented in multiplication of deity and creed, prevails. Such deity may have qualities similar to those of the man who deifies them and who may even deifies beings inferior to him.

Man in the stage of human childhood cannot exercise the liberty of the mature man, because human liberty is nothing but man's "choice" which is built upon making distinction between many matters or things

ability to conceive, or as the Greeks called it rationality. But, as said previously, this quality is not well-balanced with the instinct at this stage. It is something comprised in perception and feeling and is the motive of conceiving the mutual relations between man and his fellow-man, in addition to his conception of his selfishness and individuality. It is the motive that replaces, in man's life, accidental relation of animals with purposeful aims. It is the motive that makes man founds his relation with others according to his will and choice, not at the instance of any external force as in the case of animal aforementioned.

Perception begins to be effective in the life and behaviour of the human being from his childhood, but it is only a certain kind of perception that appears and exercises influence upon him at an early stage of his life. And that is the sense perception which is connected with sensible and substantial things.

This kind of perception transmits to the human being's mind the impressions of what is perceptible in his environment. Then he behaves according to the impressions of these perceptible surroundings, which are transmitted to his mind. And the more the perceptible thing is attractive and effective, the quicker and stronger

the human being responds to it. The strong colour, the red for example is more attractive to him than the white or the grey, and so he is more attracted to it than to the others. Likewise, objects of big size are more impressive and more appealing to his perception than those of small size. Hence, he responds to the former more than he does to the latter. Unlike the perceptible objects, the abstract values play no role whatsoever in the life and behaviour of the infant human being; for he acts according to his instincts first and then in accordance with his sense perception which has less impact upon him than his instincts.

Primitive tribes represent in the human society life the infancy of man, and the primitive human being is like a child in his behaviour and perception. He behaves at the instance of his instincts, and his perception is limited to material things only. All this is manifested in the primitive man's beliefs, art and language.

In the sphere of belief, the primitive man deifies tangible, creatures, human or natural. He deifies man and animal, fire and desert, rivers and the like. Ancient Egyptians, for example, deified Isis, Ausoria, the snake, the Nile and the desert. The ancient Arians of India and Persia,

The quarrel arising then among males is good evidence of the fact that nothing but selfishness drove them to quarrel with each other.

As a result of this selfishness of the animal behaviour no ties among the individuals are conceived to be regarded, and no common objectives or joint ends to be aimed at. If afterwards an animal meets another, it is nothing done on purpose but an accident. And if the reproduction of animals continues, it is because that a male meets a female by chance in a sexual operation. Another result of this selfishness is the continuation of quarrels and struggles among selfish individuals when they meet accidentally, or when they are driven to meet each other by a mature human being.

In short, the animal is in possession of nothing but instincts, and its instincts are depicted in selfishness and individuality.

The beginning of Man :

Man in the very beginning, or in the starting point of his development is an animal having the potential qualities of a mature, human being. He is actually an animal but well-prepared to be distinguished from animals. Nevertheless, he cannot in fact be distinguished from animals unless his human characteristics

appear gradually one after another.

In the beginning of his life man is a child, and the starting point of his maturity is the "human" infancy. The human child behaves almost like an animal. He is both selfish and individualistic. He turns to his mother only for egoistic purposes as to satisfy, for example, his hunger or his need for care. And this is why he turns to his mother more than he does to his father; because his father does not response to any of his direct needs in this period.

The human child is he who quarrels with others as a result of his egoism and individuality. If, supposedly, two toys of the same kind and size were put together before two children and you asked them to take one toy each, the two children would quarrel and each one would try to take the two toys for himself. And if a third person interfered to take a toy from the child who has taken the two and give it to the other, the one from whom the toy was taken would cry and weep, and would probably show gestures of anger, although he is not the owner of the two toys.

Because the child is by nature a human being, a certain human quality gradually manifests itself in him besides his instinctive behaviour, and that is apprehension or the

animality; because the animal is motivated only by the instincts. Thus the animals' behaviour is merely a reflection of their simple and instinctive motives; while man's behaviour is motivated by both his human and instinctive motives. The Greeks defined man as a rational being, a reasoning animal, and this definition is a clear expression of the two motivating and entangled powers in man. Thus the behaviour of man is neither a reflection of only one of these two powers nor of the two separated from each other. But it is a reflection of both powers amalgamated together. Therefore, it is said that man is originally of a dual nature and animal is of a simple one. So the bringing up of man aims at making his dualistic nature harmonious unlike the taming of animal which takes care of only some of its instincts.

This is because the difference between savage animal and the tame is that the latter's instinct of self-defense weakens by the effect of taming and inherited qualities, and thus becomes easily controlled by man and irresistably subservient to him. Conversely, the very instinct of the former animal grows stronger and freer out of man's control and away from his observation. That is because the savage animal, unlike the tame, has not yet been taught by man or

brought under his command; for man is the only tamer of the animal.

The instinct of self-defense in the savage animal is the same as that of the tame, and there is no difference between them, so far as behaviour motive are concerned, except in the instinctive sphere. And if the behaviour of the animal clearly depicts an instinctive motive, then the instinctive behaviour is the animal behaviour and vice-versa.

The most peculiar quality in the animal's behaviour is individuality or selfishness. It does not recognize kinship ties nor fatherhood nor sonhood nor the like relations, not to mention family or community bonds. And in all the animal's instinctive actions the animal nature discloses its character which is selfishness and individuality.

This character appears also in the sexual intercourse, as the male animal does not communicate the female for the sake of species preservation but for selfish ends and individual purposes. The female stimulates the male which hurries to it and then pays no attention to the intercourse they had some moment ago. Such selfishness is clearly demonstrated when the female animal agitates more than one male at the same time and in the same place.

Islam The Religion of the virtuous standard of Humanity

by

Dr. Mohammad El-Bahay

Director General of the Islamic Culture Department
al-Azhar University

(1) The Childhood of Humanity :

Man undergoes evolution in his humanity as well as in his physical growth. But his physical growth is not necessarily followed by improvement in his humanity. Often a man may be physically well-built and become a father of more than one child and a husband of more than one wife, nevertheless the same man remains, from the human point of view, under-developed.

Man's development in humanity is subject to the degree of ridding himself of his instinctive, primitive behaviour on the one hand, and his adaptation to the human characteristics on the other. The development of man's humanity represents ebb and tide at the same time. It represents ebb and shrinking in the instinctive realm, and represents tide and expansion in the sphere of human values. Development of humanity is like abstracting the human values from instincts.

Human values and instincts of the human nature are not balanced in the beginning of man's life. The human values during the childhood of man are like a seed covered by instincts of very wide expansion and very deep effect.

The development of these values is nothing but to help them in their growth and expansion. And the more these values grow in man the more his instincts subdue and cease expansion until the scale of values overweighs that of instincts.

The instincts and human characteristics of man however are not balanced in his infancy as well as in his adulthood. In the former stage the instincts overbalance his human characteristics, whereas these characteristics overweigh the instincts in the latter, when he reaches adulthood and maturity.

It should be borne in mind that when we speak of instincts we mean

co-operation and reciprocal exhortation to truth and endurance. It demands mutual responsibility between the individual and the community in the sense that each of these is both responsible to and for the other. In this connection the Qur'an says: "Surely God enjoins justice and the doing of good (to others)." (Surah, 17. V, 79). "Surely the noblest of you with God is the most dutiful of you" (Surah 49, V.13) "And help you one another unto righteousness and pious duty" (Surah, 5. V. 2.)

As regards common responsibility the Qur'an says: "And from among you there should be a party who invite to good, enjoin the right and forbid the wrong. And these are they who are successful" (Surah.3,verse.103) In addition to that, the prophet, peace be upon him, says, "Each one of you is a guardian responsible (for his dependents) and will be questioned (by God)", and "the attitude of a believer to his fellow-believer should be helpful like the two hands of man which assist each other".

Thus we conclude by pointing to the fact that the world has been driven to destruction and misery as a result of its desertion of this honourable and divine reformation. This desertion has led the world to be strained between the hot, bloody and destructive war which by nature annihilates everything and destroys all fruits

of civilization, and the terrifying cold war which fills the heart with fear and horrors.

World leaders and statesmen have experienced all ways of reformation in various methods and constant attempts, nevertheless they have not been able to even mitigate human sufferings, fears, chaos and feelings of insecurity.

So I, in the name of faith and for the sake of humanity introduce these Islamic principles of reformation to the conscious hearts and sound minds of religious authorities, social reformers and political leaders, hoping that they will devote their efforts to the service of humanity and its deliverance from pains and terror. I am appealing to these authorities, reformers and leaders alike to renew their pledge to God, follow wholeheartedly His way and restore human relations in a good order; so that mankind may enjoy peace and security, and may joyfully lead a course of dignified life with pleasant exercise of God's blessings of free thinking, free will and free action. And in this field fair competition is strongly demanded. "I desire nothing but reform so far as I am able. And with none but God is my success. In Him I trust and to Him I turn (repentant)" (Surah, 11, V. 88).

And peace be upon those who follow the right path.

Likewise, he may replace water with pure earth when performing his ablution if he fears disease or aggravation of disease. Moreover, he may do his prayer at his convenience; i.e., if he cannot stand or sit he is allowed to pray by symbolic gestures by virtue of moving his eyes, or head or heart.

Islam founds its reforms on reality as already mentioned, and reality ascertains that no knowledge is obtainable without good health, and that no noble struggle can be carried out without maintaining this health. This is because health is man's capital and the source of his happiness. And this maxim is so popular that it is often said: "Maintenance of health is preferable to performance of rituals".

Since Islam commands the maintenance of good health in the material aspect, it exhorts man to exert unflagging efforts to attain property through legal means as well. This is meant to help in the establishment of civilization and consolidation of human relations, and at the same time to provide man with fair satisfaction of his wants through agriculture, commerce and industry.

Islam has a sound financial system by which, when strictly followed, man can protect himself against the evils of fiscal tyranny, lavishness and extravagance. It accords man,

in the meantime, to enjoy the good provisions he procured as regards diet, adornment and lodging without falling into vicious extremes. It does not escape Islam to draw man's attention to the fact that he is the vicegerent and trustee of property which is God's own and which He grants to whom He pleases, because He is the sole Sustainer.

Hence Islam ordains a portion of the rich's wealth to the benefit of the needy classes and common welfare. The Qur'an says in this connection, "And in whose wealth there is a destined right. For the beggar and the destitute" (Surah, 70. V, 24, 25) "And Spend in the way of God and cast not yourselves to perdition with your own hands and do good (to others). Surely God loves the doers of good" (Surah, 2. V, 195).

Besides this harmonious combination of spiritual and material reformation of man's independent personality, Islam, as regards his social personality, ordains that right and duties should be mutual between the individual and the community, whether it is a private community like that of the family and workfield, or a general community, like that of the national society and the human community at large. And to achieve this aim Islam enjoins justice, equality,

by the tyranny of rulers and the oppression of the religious authorities. And so man has been given the liberty of thinking to understand himself, to appreciate life and to discover the secrets of the universe for his own interest and for the benefit of mankind.

All this is strengthened by the religious duties meant to keep man always thoughtful of God in words and deeds. The result of this is the creation, in man's heart, of mercy and kindness to the poor, the afflicted and the weak. Mercy and Kindness are essential bonds so long as they befriend man with man. Besides kindness, through the worship of God, man is taught to bear patiently the difficulties and pains of life. This patience encourages the Muslim to welcome the physical difficulties of pilgrimage for he goes on pilgrimage with a fervent desire to meet there the kind-hearted, the good doers and the virtuous. Such a convention takes place once a year in a land of glorious past and honourable history as it was the sphere of conveying God's message to His bondmen by the Divinely chosen prophets to fulfill this function. The Qur'an refers to that by saying: "Our Lord, I have settled a part of my offspring in a valley unproductive of fruit near your sacred House, our Lord, that they may keep up prayer, make the hearts of

some people yearn towards them and provide them with fruits; haply they be grateful" (Surah 14, verse 37).

These duties of worship are: (I) the five daily prayers; (II) giving alms to the poor; (III) fasting during the glorious month of Ramadan and (IV) making pilgrimage to the sacred Mosque of God.

Thus Islam has introduced faith and worship as a means of spiritual reformation directed to man's heart and mind, guiding him to the straightest path. And by achieving this goal, man is completely devoted to God in words and actions to gain His content without going astray. In regard to this point the Qur'an says: "Say: my prayer and my sacrifice and my life and my death are surely for God, the Lord of the worlds. No associate has He. And this am I commanded, and I am the first of those who submit" (Surah 6, verses 163-164).

The Material Aspect:

As for the material aspect, Islam demands the maintenance of good health and enjoins remedy and immunity. It has gone so far in this direction as to commute the religious obligations in cases of disease or disability. For example, a Muslim may break his obligatory fast of Ramadan if he feels unable to continue.

Scripture. Wherby God guides him who seeks His contentedness into paths of peace, and brings them out of darkness into light by His will, and guides them to the straight path" (Surah 5, Verses 15 - 16). "Surely, this Qur'an guides to that which is most upright, and gives good tidings to the believers who do good deeds that theirs will be a great reward" (Surah 17, V. 9).

To achieve the destined happiness of mankind, the message of Muhammad has founded its human reformation on the bases of the actual nature of man as composed of soul and body each of which is entitled to a certain share of enjoyment, and as endowed with an independent personality by which he is tasked with self-responsibility and is a solid brick in the structure of society (his own patriotic society and the human community at large), and finally as having rights and bearing duties according to the logic of his dual personality.

There is no doubt that the happiness of man, according to his nature, cannot be realized without the spiritual and bodily enjoyment, nor without the exercise of both his personal and social functions. And Islam has brought what provides man with happiness in all these aspects. All beliefs, creeds, morals and legislations, laid down by Islam,

are a means of this wonderfully harmonised reformation by which Islam has overcome both pure materialism and pure spiritualism. In this point the Qur'an says: "But there are some people who say, Our God, give us in (this) life. And for such people there is no portion in the Hereafter" (Surah 2, V. 200).

"O you who believe, forbid not the good things which God has made lawful for you". (Surah 5, V. 87) "Say: Who has forbidden the adornment of God which He has brought forth for His bondmen and the good provisions" (Surah 7, V. 32).

The Spiritual Aspect:

Concerning the spiritual aspect, Islam calls upon man to believe in God, the Creator of life, the source of goodness and the goal that to Him, and to Him alone, man should devote his worship, and on Him, and on Him alone, man should depend for help and rescue. And by so doing man feels his dignity and rejects being submitted to none but God.

Moreover Islam asks man to follow the right way approved by God, which way leads him to happiness both in this life and the Life to come.

Islam by this attitude has freed man's mind from the fetters caused

The Reform of Humanity in Islam

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of al-Azhar University

People of this world have two different ways of life: One is that of pure materialism dealing only with the explicit affairs of life such as acquiring property, power and influence regardless of the means of their attainment and use; the other is the way of pure spirituality solely concerned with solitude, cellacy, fasting, asceticism and the like with complete cutting from the material life. Each of these two different ways, if exclusively adopted, hinders humanity from reaching its aim for which it was prepared by the law of creation, the material elements which are made subservient to it and the wisdom according to which it has been chosen as the manifestation sphere of God's glory and loveliness.

Pure materialism, as we have learned, is the principal factor of tyranny, slavery, humiliation and drastic subjugation committed against souls properties and honours. Similarly, pure spiritualism, as we have experienced, comes to nothing but destruction and disintegration. It impedes the constructive powers of man by

which humanity is honoured from functioning in the fields of thought, will and action. This impediment deprives man of his natural qualities and values, and makes the secrets of the universe remain hidden in the folds of the earth and space of the sky. It causes the loss of the wisdom by which God created the world and man in the form He has chosen and for the purpose He has decided.

Hence, in order that man may not fall a prey to either pure materialism or pure spirituality, God wisely provided him with complete, comprehensive reformation so as to preserve his prestige, achieve the goal of his creation, enjoy his freedom of thought and will and rejoice at the results of his work armed with faith, assured of justice and protected by security and stability.

The Message of Muhammad :

With such reformation, for which humanity had waited long and had been well-prepared, the message of Muhammad has come; as the Qur'an says: " Indeed, there has come to you light from God and a plain

word of Arabs would have remained one, and the Califate of muslims would have continued to be unifying. Yet the realization of Arab unity was an achievement of which no one had been capable before except Muhammad, and of which no one will ever be capable except a man who follows the guidance of Muhammad: a man who is for others, not solely for himself, for his nation before his family and for humanity after his patriotism, a man on whose tongue the word "I" dies but lives in his conscience to join, in his mind the entity of his personality to that of his people. Thus he feels the pain of his people because they are the focus of his conscience, conceives their needs because they are the manifestation of his mind, and holds their leadership because they are the expression of his wil.

Such a man with decent self and disinterested inclination is above sins of the people and dirt of the earth. He is not greedy because his aim is

far beyond material life, does not hate because his goal is higher than hatred and gives no favouratism for his kindness is broader than kinship. In his shrewdness, persistent personality and high aspirations he proves greater than events and stonger than mishaps. And whenever he takes a decision he carries it out, and whatever object he aims at he attains it.

This is the man who was expected by Arabs for a long time to be for them the shepherd who drives out the wolf, the thread that holds the necklace, the guide who carries the light, the leader who raises the flag, the instructor who trains them how to manufacture the needle and the cannon, how to dig the mine and plow the field and how to harmonize between public and private interests.

The man on whom God has conferred all these virtues and merits is the leader. Where, by your Lord, do you find them? Are they in Abd al-Nasir or in Abd al-Karim?



religion, hostile to each other as regards life, with each group claiming to be the safe one. We are three Caliphs at the same time, one Abbasside in Bagdad, one Omayyade in Gordova and a Fatumite in Cairo. Each Caliph has his own troubles and offenses supported by evil-doers against his own brother,

The tribal fanaticism which is hooting in Iraq to day, declares, according to the statments of the evil-doers: "Qasim is the only leader" and "The Republic of Abdul Karim can never be a province". By this they mean that the leader is Qasim and not Abdul-Nassir, and that Iraq is too great to be a third province in the United Arab Republic with Egypt and Syria.

The passion for power and desire for authority are the worst diseases of tribal fanaticism and the Communist in both old and modern Orient.

And if we examine the factors of disunity and conflict among Arabs in all stages of their history and all places of their countries, we shall find these factors in the natural desire for fame, autocracy and vice of envy on the part of rulers and leaders.

So if we sincerely wish to expel Communism away from our religion and out of our homeland, we had better remedy tribal

fanaticism in the same way as Islam has done.

This means that we should silence in ourselves that voice of egoism, calm down in our minds the stormy caprices and renew our conception of the Islamic principles of altruism, brotherhood, sacrifice and manliness. These Islamic principles are unequivocally stated in the Qur'an and prophetic traditions: "The believers are brethren" (Surah 29, verse 10), "And they decide their affairs by council among themselves" (Surah 42, verse 38), "And help one another in righteousness and piety, and help not one another in sin and aggression". (Surah 5, verse 2), "The believer for his fellow-believer is like a solid structure; each part sustains the other", "People are equal like comb teeth", etc. These are sublime examples of peace, order and government. They are desired by unhappy and exploited people who aspire to them through revolution after revolution and war after war but do not attain them because of conflicting powers and interests.

Whenever fatical kinship is gone, unity prevails as was the case in the time of the Prophet and his two successors (Abu Bakr and Umar). And had not been for Mu'awiyah who returned this fanatical kinship to strengthen his own power, the

It is nothing but evil ambitions which the devil whispered in the heart of a group of Russian adventurers who suffered Caesarian dictatorship and endured aristocratic enslavement. And as soon as these adventurers brought down the throne of their despotic dictators and destroyed the tower of their subjects they developed an inferiority complex and were overtaken by hunger for revenge. Consequently, they shared equally the practice of Caesarian oppression and the feeling of nobles' arrogance. They nobilized all kinds of production, intellectual, industrial and agricultural for military purposes in order that they might be able to enslave all God's bondmen and make all God's land a fief of their own.

A part of six million Caesars has prepared iron, fire, intranquility, horror, disturbances and chaos to put this plan into practice and attain this aim. Is it possible that benevolent powers may be defeated by this evil and that virtuous principles are overcome by this corruption? No, our cousins in Iraq and brothers in faith in every country! Arab mentality is long-lived and imperishable.

Islamic faith is so illuminous that it admits no misleading.

The destructive doctrines, whose darkness once prevailed in Iraq were

alien to Islam and extraneous to Arabs. The Arab homeland will remain, by its virtue of mentality and faith, insured against every evil and armed against every dissension.

The danger of Communism is not that it is a system or organization which rivals the religion of God for there is great difference between light and darkness, sight and blindness

The danger of Communism lies in that its principal method of propagation, beyond atheism and corruption, is to mortify nationalism and revive tribal fanaticism which is the inherited disease of Arabs and which has been throughout their eventful history the main cause of all evils, i.e., disunity, controversy and multitudinousness of states.

This same tribal fanaticism motivated the Muslims of Madina (AL ansar) to say on the day of "Saqifah": "One prince from us and one from you".

It was the evil voice that hovered between Uthman's grave and the centre of Caliphate to instigate Muslims to say: "We are hashimites, Omayyades. We are Qaysis or Yamanis, We are Alawis or Abbasids. We are Arabs and cosmopolitanists.

We are seventy two groups boycotting each other as regards

at the price of Islam?, preferred isolation to unity?, become subject to a layman, who is puffed up by devil and elated by authority? and thus following his whim, as a stubborn horse, who does not pay any attention to the respectable appeal or yield to the restraining bridle?

May God forbid you from being as the Communist say about you, lewd after having been faithful since the believer does not apostatize as long as he has a sound mind. If it is possible for an individual to be foolish, this possibility cannot be applicable to the whole country.

Moreover if you are deceived by the comparison between two systems, then let us remind you, if you have forgotten, that Islam is a Divine system revealed from the Creator of the whole universe. Islam is a perfect constitution for the reform of both the individual and the community of all races, in every time and everywhere. It is a system that advocates the unity of God and ascribe no partner to Him in his creation. It sanctifies all divine revelations, does not make distinction between any of his messengers, fraternises all human beings in spirit and faith rather than in race or native place. It puts on the same level brothers in rights and duties.

Islam does not privilege a class

of the society over another nor does it prefer a race or colour to another. It entitles the poor to a certain percentile right in the wealth of the rich payable willingly or otherwise to establish social justice. It adopts a consultative form of government conducted by serious people of sound judgement; so that no despot would be free to rule capriciously and no dictator would insist on his error. It liberates mind, conscience and spirit and does not restrict research or restrain thinking. It rejects blind imitation, opposes slavery and enjoins upon Muslims justice and righteousness to non-Muslims who hold beliefs or opinions different from those of Muslims. It joins religion to life to give the conscience the upperhand in dealings and empowers faith with the effective role in behaviour.

Islam, in an abstract, is the system that realises human unity and grants no recognition of restricted kinship or limited racialism or narrow nationalhood. It makes brotherhood in faith and gives preference to goodness and cooperation on righteousness and pity.

As for communism, it is not a belief based upon goodness, nor a method founded on truth, nor a message conveyable in a fair manner.

Our Religion in Tribulation and our Homeland in Danger

by

AHMED HASSAN EL ZAYAT

Editor - in Chief

The Red rulers of Iraq opened wildly the eastern door of the Arab land to Communism and invited it to come in publicly, not in secret. They paved the way for Communism through dragged bodies, hoisted its flag on hanged gallows and placed it higher than the religion of God by means of: tearing the Qur'an into pieces in the streets, murdering learned Muslims (ulama) in the mosques, buying the conscience with gold and terror and fabricating lies and doubts against beliefs.

They made the word of Communism the uppermost with the aid of careless rulers, shameless judges, unsatisfied executioners, cannons sowing death, daggers ejecting poison and horror that make the heart tremble.

The enemies of Communism (the nationalists) whose number is estimated at nine tenths of the Iraqi people, who struggle for Arab Unity and who are loyal to Arabism, have been reached by the Communist fierce wind, which left some of them killed

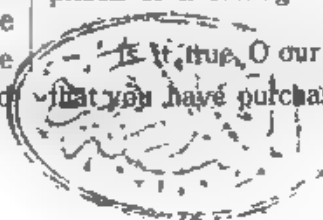
in the streets and others driven to prison or detained indoors or vagrant in wilderness. The Iraqi rulers aim, through these human offerings, at making the religion pure for the Communist "prophet" (Lenin) whose words to Maxim Gorki read: "We do not mind if we kill three fourths of mankind in order that the remaining fourth may become Communist".

Yes, O Red of Iraq! you have exaggeratingly made the religion pure for the gods of fire, destruction and evil

Your deeds in Bagdad have been more terrible than those of the most subversive movements that Iraq had ever known, like that of Mazdak, Babik, al-Muqanna, Leader of the Zang, Hulakou and Ibn al-Sabbah

Thus you are on the verge of diverting the whole country into a prison or a carnage!

Be true, O our cousins in Iraq! that you have purchased Communism



مجلة الأنوار

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المستشار
إدارة اجتماع الأحرار
بالقاهرة
ت ٤٦٤١٩

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد والقرن
بذل الاشتراك
٤٠ في المهرز العربيه المتحدة
٥٠ خارج المهرز
والدكتورين والطلاب بتبديل طمس

بقيادة ركن شيخنا الأنوار في أول كل شهر عربي

الجزء الثاني - صفر سنة ١٣٧٩ هـ - أغسطس سنة ١٩٥٩ م - المجلد الثاني والثلاثون

للسلام والهدوء

٢٤
٢٤٤٤٦

الجهاد فضيلة في العرب وفريضة في الدين
بقلم : أحمد حسن الزيات

تسألني من يؤدي المسلم فريضة الجهاد إذا لم يؤدها اليوم ؟ دينه يتقم عليه الكفر محاربه مع الشجعية ، ووطنه تنفر على جوانبه القوام من الاستعمار ، وإخوانه في فلسطين أخرجتهم دول النصرانية من ديارهم وأموالهم ليدخلوا فيها من صنوا الصليب من سلائل يهودا . وقومه في الجزائر تنظفهم المنايا السود والحر على متون الجبال وفي بطون الأودية وهم يجاهدون على فة صدم وقصر صدم ثلاثة أرباع المليون من جنود مستكبين زودهم الطبع الفرنسي بالرصونة والقسوة ، وسلمهم الميثاق الأطلس بالصواعق والبراكين ، فهم يدكدكون بها القرى الجزائرية على من فيها من بني وأيام ومجرة . وشعبه في أقطار العروبة وديار الإسلام لا يزال في معترك الخطوب ومثقبك الطامع يجار بالشكوى ، ويصرخ من الظلم ، وينضب للكراسة ، ويثور العنق ، فلا ينال من الضمير القوي إلا ما تال حبة الريح من الصخر الأسم . هذه ووسيا تريد أن تدفق في سهول

الأولى أدركوا أن علة ما أصابهم من الاستعباد والاستعمار إنما هي اعتمادهم على الحق دون القوة ، وعلى القول دون العمل . وأصل ذلك الضعف ، والضعف يجاني طبيعة العربي ، وينافي حقيقة المسلم . فتنادوا من وراء الحدود المصطنعة والستور المضروبة بلسان الأدب وإلهام الروح ووحى العقيدة إلى العمل سراً وعلناً للاستقلال الذي يجرى ، ثم إلى الآلة التي تجمع ، ثم إلى الوحدة التي تقوى ، ثم إلى القوة التي تدافع . وهذه المراحل الوعرة المهلكة التي تؤدي إلى الحرية والعزة لا يقطعها إلا الجهاد الفدائي الذي فرصته شريعة الله واقتضته طبيعة العرب .

ذلك الجهاد الفدائي هو بذل المال والنفس في سبيل فكرة سامية ، كإعلاء كلمة الله ، أو تكريم ذات الإنسان ، أو تحقيق حرية الوطن . وهو فرض عين على كل مسلم قادر إذا وقع المسلمون في خطر عام لا يقدر على دفعه قوم دون قوم ، كالاستعمار والصهيونية . والقيام به لا يتقيد بزمان ولا أرض ولا جنس . مثله في ذلك مثل الأركان الخمسة للإسلام ، ولكنه يختلف عنها في أمر دقيق ، ذلك أن المسلم قد تصنف في نفسه البدواعي إلى إقامة هذه الأركان كلها أو بعضها ، فيترك الصلاة والصوم ، ويهمل الزكاة والحج . وإذا ذكره بها واعظ ، أوحى عليها خطيب ، جعل قوله

للشرق لتفسخ بذهابها دياناته وفلسفاته ، وهذه أمريكا تقيم من دونها السود لتظل مستأثرة بخيراتهم .

وهذه انجلترا تحاول بالقتل والاحتلال والاستبعاد والاضطهاد أن تخلي الجنوب العربي من أهلها لتستبدل بهم عبيدانا من الآفاقين يصنعون لها بقاء الاحتلال ودوام العزلة .

وهذه فرنسا تطمع بكثرة العديد وقوة الحديد وسطوة النار أن تفرنس الشعب الجزائري ليستظل بغير ضلله ، ويتكلم بغير لغته ، ويؤمن بغير دينه .

وهذه الأرض كلها أمامك تستطيع أن تنفضها قطعة قطعة قبل تجد العيون تشوف ، والأفواه تتحلب ، والأطماع تتصارع ، إلا هل هذا الجزء الذي انبثق منه النور وعرف به الله وكرم فيه الإنسان ؟

• • •

وجوابي أن المسلم المؤمن لا يزال على ذكر من أن دينه قرآن وسيف ، وتاريخه فتح وحضارة ، وشرعه دين ودنيا ، وحربه جهاد وشهادة ، وحكومته خلافة وقيادة ، فهو مجاهد أبداً ، لا ينفك عنه الجهاد أصغره وأكبره . فإذا لم يجاهد عدوه جلمد نفسه ، وإذا لم يراقب ثغوره راقب سميره ، والمسلمون منذ استيقظ وعيهم على وجفات الحرب العالمية

الرسول في السنة ، وفصلها الفقهاء في الفقه .
والجهاد كسائر الأركان يستند إلى نص
للقرآن الكريم ، وإن من سورة ما موضوعه
الحرب والسلام والغنائم والأسرى واليهود
وجدة ما يتألف منه قانون الحرب في الإسلام
كسور في التوبة والانتقال .

ومن المغايز الدقيقة لقرآن الكريم أنه
لم يعرض لأسرى المسلمين بنظام ولا معاملة
كما عرض لأسرى العدو ؛ لأنه يأمر بالثبات
وينهى عن المزيعة إلا للخدمة أو لخدمة .
« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا
زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ
دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد
بأه بغضب من الله » .

والجهاد العدائي درجة على الجهاد المطلق ؛
لأن العدائي يسند ولا يطمع في العوض ،
ويعنى ولا يفسكر في الثواب . وحسبه
أن يشعر وهو يسبل حينه على آخر شعاعه
من نور الدنيا أن نفسه مغتبرة لأداء واجبه
مطمئنة إلى لقاء ربه .

أما المجاهد فهو يبيع ماله ونفسه ليشتري
من الله الجنة ، فالتضحية في ذنبه بيع وشراء ،
وعمل وأجر .

أما سر القوة في المجاهدين فعليه عند
الإسلام وحده . كان العرب من قبله قوى
مبثرة على دمال الصحراء لا تجمعها وحدة

ذات ربه ، ولعل السبب في هذا الضعف أن
العمل بهذه الأركان قائم بين المسلم وربه ،
فلا وازع لها إلا من ضميره .

أما عقيدة الجهاد فقائمة على الصلوات بينه
وبين ربه ووطنه وولده وماله وتراثه وذكراته
وأمانه ، فهي لا تزال حية في نفسه على
تراخي الزمن وشدة الترك ، كالنار في البركان
الحادي ، تسكن ولا تنطفئ ، ونسكن ولا
تظهر ؛ حتى إذا أثارها الحية لدين يمان ،
أو لوطن يهاجم ، انفجرت في نفوس المسلمين
انفجار الحمم فما تمد من شيء أمت عليه
إلا دمرته . بذلك تفسر تلك الصيحة الإسلامية
العامة التي أخفقت دول الاستعمار من جميع
الأنظار المسلة على انقطاع السبب وتباعد
الشقة ، تستنكر العدوان الثلاثي الذي وقع
على مصر وتستمد لدفعه عنها بالأموال
والأنفس . وبذلك تفسر هذه الغضب العربية
الشاملة لما يصيب الجزائر اليوم من بغى
الاستعمار الفاجر وطفيان المحتل الواعل
وعنوان الطامع المغير ، وما تبع هذه القضية
من تعاون العرب على إمدادها بالمال والعتاد
في ميادين الحرب ، وتأيدتها بالرأي والصوت
في مجالس الحكم . ولم يكن عطف المسلمين على
مصر ولا غضب العرب لجزائر لعصية الجففس
أو لحق الجوار ، وإنما كانا لتلك الحفيظة
الدينية التي أوحاها الله في الكتاب ، وبينها

ثبتت بورد سعيد بالأمس ليلة وستين ألفا من أعقاب الصليبيين ، وثبتت اليوم الجزائر لسجامة وخمسين ألفا من أحفاد نابوليون .

وبهذه الروح القدس التي تشع في قلوب المجاهدين الصبر والصدق والثبات والإقدام والإيثار والتفدية كانت قوة المجاهد ضعف قوة عدوه . وإن يكن منكم مائة صابرة يتلبوا مائتين . وإن يكن منكم ألف يتلبوا ألفين يا ذن الله والله مع الصابرين .

والجهاد بعد أولئك كله سعادة لا يؤتاها إلا من اجتناب الله لإكرام خلقه وإعزاز حقه وإصلاح أرضه . وقد سماه الله الشهداء ، وجعل مقامهم في الجنة مع الصديقين والأنبياء . هؤلاء هم الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . وهم الذين فتحوا الفتوح للإسلام ، ومهدوا المهدى للدين ، وسقوا الأراضي المفتوحة بدماهم الزكية فأبنت تلك الحضارة التي طهرت النفوس وعمرت الدنيا وثقلت العالم .

فما أسعد أولئك الذين ادخرهم الله ليعز بهمادهم وطنا ، ويعي باستشهادهم أمة !

أحمد حسن الزيات

ولا تربطها رابطة ، فلما اصطفاها الله لأداء رسالته أمدم بروح من عنده وحدت الشئيت وألفت النافر وجمعت الكلمة ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم . ثم قوى هذه الروح فيهم بعقيدة القضاء والقدر فقال لثنيه صلوات الله عليه ، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

ثم ضمن للجهاد الفوز بإحدى الحسنيين : النصر الذي تعقبه العزة لله والحرية للوطن والكرامة للإنسان ، أو الشهادة التي يعقبها البقاء في الدنيا بالذكر ، والخلود في الجنة بالروح .

بهذه الروح الإلهية خرج البديريون وهم زهاء الثلاثمائة إلى أمة الكفر من أبطال قريش وهم زهاء الألف فكبكبهم قتل في وادي بدر ، وطأت الفتة القليلة إلى يثرب بالنصر والأسرى ، وطأت الفتة الكثيرة إلى مكة بالهزيمة والجرحى .

وبهذه الروح المنبثقة من روح الله خرج بنو الجزيرة من أجواف الأودية وأصاف القفر ضثال الجسوم قلال العند ضفاف العدة إلى الإمبراطوريتين اللتين تقسما يوشد ملكوت الأرض فقوضوا الإيوان على ملك كسرى ، وحطموا العرش على سلطان قيصر . وبهذه الروح الملتبة في دماء المجاهدين

المساواة

في الإسلام وفي المذهب الهندي

للأستاذ عباس محمود العقاد

المساواة غير ومصلحة إذا أريد بها أنها تعطي كل ذي حق حقه ، وأنها تحول بين كل إنسان وبين العدوان على حق غيره ، وتسوي بين جميع الناس في حدود المعاملة .

ولكنها شر ومضرة إذا أريد بها أن تمنع المزايا والكفايات ، وتجعل الناس جميعا كأنهم فرد متكرر لا فرق بينهم في الصفات ، ولا اختلاف بينهم في الأعمال والأخلاق ، ولا تمييز بينهم في التبعة والغاية .

ومعنى المساواة على كونها شراً ومضرة هي استعالة تامة من جهة ، وحالة لا يتمناها المقلد الراشدون لو جلا تحصيلها من جهة أخرى .

فهى استعالة تامة لأن عوامل الاختلاف بين الموجودات جميعا ولا سيما الموجودات المركبة - أحسن جداً من أن يحيط بها سبب واحد أو جهة أسباب محدودة ، ولا سيما تلك الأسباب التي يسمونها في مذهب الماديين بالأسباب الاقتصادية .

وحسبنا مثل واحد من كواكب الفضاء .

ونجومه وأجرامه المختلفة ، فليست هناك أسباب اقتصادية كالأسباب التي تعمل في المجتمعات الإنسانية ، ولتكننا لا نرى بين ملايين الملايين من الكواكب نجمين اثنين يتساويان في الحجم والعدد والسرعة والموقع والتركيب وسعة المدار .

فإن لم يكن هذا المثل كافياً فلتنظر إلى مثل آخر من عالم النبات الذي يحسب من الكائنات العضوية .

تخذ من الغابة الواحدة شجرة واحدة ، وتخذ من الشجرة الواحدة غصناً واحداً ، ومن الغصن الواحد فرعاً واحداً ، ومن الفرع الواحد ورقة واحدة ، فإنك لن ترى لهذه الورقة شيئاً قط في طولها وعرضها ، وشكل استوائها أو استطالتها وخطوط نقوشها وحوافها ، ولن ترى ورقتين تشابهان في الصبغة أو في توزيع اللون بين أجزائها .

فإذا كانت أسباب التنوع بين الكائنات بهذا العمق الذي لا يسبر غوره ، وبهذه الأمانة

وهذا هو الإنصاف أصدق الإنصاف ،
وأفصح الإنصاف .

وأما ما عدا ذلك فالمساواة فيه ظلم وبخس
للحقوق .

« هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون » .

[الزمر : ٩٠]

« فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم
على القاعدین درجة » .

[النساء : ٩٦]

• • •

« لا يستوى الخبيث والطيب » .

[المائدة : ٩٠]

• • •

وينشأ عن هذا التفاوت في الصفات
ما لا بد أن ينشأ عنه من التفاوت في الأرزاق
ولكنه لا يبيح لصاحب المال أن يحسبه
حكراً له ، ولا يأخذ لطافة من الناس أن تحصر
الأموال بين يديه .

• • •

« والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكك
أيمانهم فهم فيه سواء » .

[النحل : ٧١]

• • •

« كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

[الحجر : ٧]

• • •

التي لا يحصيها سبب واحد ، ولا جملة من
الأسباب المحدودة ، فمن المسخ المشوه لتكوين
الاحياء الإنسانية على الخصوص أن تقصرها
على شبه واحد ، وهي على تركيبها المتشعب
أحق بالاختلاف من أجرام الكواكب
وأوراق الأشجار .

ولهذا تعتبر المساواة استعالة بعيدة كما
تعتبر مصاباً حيويًا غير مرغوب فيه إن تأتى ،
وما هو بالتأتى على وجه من الوجوه .

وكل ما هو مستطاع ومرغوب فيه فإنما
هو منع الاختلاف القاطم بين الناس ، وإطلاق
عوامل الحياة الحرة التي تؤدي إلى تنوع
مزاي الحياة وتوفير نصيبها من الكفايات
والصفات ، وتوسيع مداها من الحقوق
والواجبات .

وهذا ما صنعه الإسلام ، ولم يصنعه ولن
يصنعه مذهب هدام .

• • •

يسوى الإسلام بين الناس جميعاً فلا تميز
بينهم في حقوق الإنصاف وحقوق المعاملة ،
ولا فضل لأحد على الآخرين بغير أعماله
وأخلاقه التي تجعلها كلة التقوى ، وهي كلة
تجمع فيها كل ما ينطوى في أداء الواجب
ورعاية الحدود واجتناب المحظورات .

« يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم
عند الله أفعالكم » .

[المبررات : ١٣]

فلم يحض جيل واحد على مجتمع من المجتمعات التي يفرضون عليها مبادئهم المادية إلا ظهرت فيه طبقات من الرؤساء والخبراء والمديرين والمديرين يتفاوتون قبل كل شيء في أحوال المعيشة الاقتصادية من مسكن وملبس وطعام ورياضة وفوذ وحفظ من المال والمتاع .

وكل ما يستفاد من تلك المساواة الموهومة أنها سلبت عشرات الملايين قدرتهم على التقدم ؛ لأنها قتلت فيهم عوامل الأمل والحذر التي تستحث الحاملين والكسالى إلى السعي والطموح ، إذ كثر الباعث الأكبر على تقصير الكسل والخمول أن يشعر الحامل الكسلان بالخوف من طاقبة الضعة ، وبالحافز إلى التقدم واستثارة ما فيه من حسن الاستعداد للعمل وطلب المزيد . وإن الملايين من الخلق ليفقدون هذا الحافز الطبيعي إذا أيقنوا أنهم معطون إلى مصيرهم ، طاملين أو غير طاملين . ويتنهي الأمر بتلك المساواة المادية إلى ظلم محيط لا تغلث الأمم ولا الآحاد من سوء عتباء . وأول المظلومين ، أولئك الذين يتخيلون أنهم هم الموهودون بالإصاف والمدل والراعية ، فإن العاجز الذي يحرمة المجتمع حوافز المهمة هو المظلوم المسكين الذي يبلغ من طله أن يحبل أنه مظلوم ويرضى عن ظالمه .

هذه المساواة ، هي الحق الواجب ، وهي الرضا للناس آحادا وجماعات ، فما من مصلحة الإنسانية جماء أن يتساوى فيها العلم والجهل ، والسعي والكسل ، والطيبة والخبث ، والنقطة والغباء . وما من أحد يرضى عن هذا التساوى ويطلبه ويجعله أساسا للعامة في المجتمعات الإنسانية ، إلا أن يكون من أراذل الخلق الذين وطنوا أنفسهم على الإخلاء إلى الضعة واستراحوا إلى نصيبهم من الجهل والعجز ، وأضربوا الحد والضغينة على من يسمو بهمة إلى نصيب فوق هذا النصيب .

• • •

والمسألة هنا ليست بمسألة الإصلاح الأدنى حسب ، ولكنها مع هذا مسألة الممكن الذي لا يتأق غيره على طول الزمن ، وما تأتي قط ، ولو في زمن قصير .

فالمساواة التي يدعيها أصحاب التفسير الاقتصادي التاريخ ، لا تتم في مجتمع من المجتمعات الإنسانية ولو قبض على زمامه أصحاب هذا التفسير عشرات السنين ، بل هم كلما تقدموا في مجتمعهم ستة بصدوا به عن مساواتهم الموهومة ، واضطروا على الرغم منهم إلى التسليم بالعوامل الحيوية والعوامل الكونية ، التي لا تسمح لحظة واحدة بإلغاء الفوارق والمزايا بين الأحياء .

المادة الصماء ، وذلك هو إصناف الحق والخير ، وهو إصناف الإسلام .

ذلك هو الإنصاف الذي لا يحرم الإنسان العاقل روحه وضميره ولا يلغى فيه براءات الأمة والطموح إلى الكمال ، وترجى بلغة الاقتصاد تقول : إنه يفتح ميدان العمل للعاملين ويحميهم غوائل الإفراط والتفريط من جانبيه فيأبى على القادحين أن يحصروا الثروة بين أيديهم ، ويأبى للعاجزين أن يفقدوا نصيبهم فيوليم من ثروة الأمة كلها أكثر من ثلاثة في المائة بين زكاة ومعونة وكفارة ونافذة ، محسوبة في كل عام من الثروة كلها لا من ربحها الزائد في ذلك العام .

نوطان من المساواة تختار بينهما الإنسانية فلا تحاد في الاختيار وفيها بقية من الخير .

عباس محمود العقاد

وأقبح ما في هذا الظلم أنه نزول يابى للنازل أن يصعد باختياره ، وأنه يسوى الأعلى بالأدنى حيثما استطاع ، فإذا نظر المتساوون إلى حضيضهم الذي يسمونه المساواة لم يجدوا دونه منزلة يبطلون إليها ، فهي مساواة ليس دونها مكان يتسع للزبد من الهبوط ، وهم يتجنبون فيها الأعلى على الدوام ولا يتجنبون ما هو أدنى .

ولأنها المساواة شرف حين ترتفع بالأدنى إلى ما هو أعلى منه ، وحين تهبط إلى الرغيع حته وتأبى عليه أن يجرى على حق غيره ، وحين تكون إصفاً للعاجز ؛ لأنها تستنهنه إلى القدرة ، وإصفاً للقادر ؛ لأنها تكافئه على المزية ولا تعاقبه عليها بحرمانه من جزائها . وحين تكون في أحضانها إصفاً للمعطرة السليسة التي فطرت على التنازلات والنوح من أبحرام الفضاء إلى ذوات العناصر في

رأى

أعتقد مخلصاً أن العروبة إن اتحدت كانت بقوميتها أساساً لنهضة الشرق ، وأن الشرق إذا نهض كان طبيعته أضمن للسلام من الغرب ، وأن الإسلام إذا تجدد كان بسياسته أصح لإقرار العدل من كل نظام ، وأن الأزهر إذا أصلح كان بثقافته أهدى إلى تربيتنا من أى جامعة .

الرسالة سنة ١٩٣٩ م

الزيات

مع المذاهب الإسلامية

للأستاذ الدكتور محمد البهي

وله حق الطاعة المطلقة على المؤمنين به . والفكر الإسلامي لا يجب للطاعة له إلا بقدر ما فيه من تمثيل لكتاب الله ورسالة السماء . ذلك أن هذا الفكر أصالة يخضع للنقد والمخالفة .

الفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي هو للفرق بين ما لله وما للإنسان . والصلة بين الأمرين هي الصلة بين شيتين : أحدهما قام على الآخر واستند إليه في قيامه ووجوده ، ولكن لا على أنه يصوره تماماً ، ويكون معبرا عنه تمثيل المثل للثل .

هناك إذن إسلام نزل به الوحي الإلهي . وهناك إذن مسلمون آمنوا بهذا الإسلام ، وترجموا تعاليمه في سلوكهم وحرصوا على أن يبقوا على إسلامهم في جيلهم ، كما حرصوا - لأعقابهم في الأجيال المتتابعة - أن تظل هذه الأعقاب على هذا الإسلام ، وعلوم كيف يكونون مؤمنين ، كيف يترجمون إيمانهم بالصورة التي ارتضوها ، كيف

إن المذاهب الإسلامية هي ضروب من الفكر الإسلامي ونحن بحاجة إلى توضيح للفرق أولاً بين الفكر الإسلامي والإسلام نفسه .

الفكر الإسلامي ليس هو الإسلام . هو صنعة المسلمين العقلية في سبيل الإسلام ، وبمشورة مبادئه ، والإسلام هو رسالة الوحي الإلهي إلى رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . والقرآن هو كتاب هذه الرسالة . وفي حكمه ما انضم إليه من أحاديث شفاهية للرسول ، توضح بعض ما طلب توضيحه منه .

الفكر الإسلامي مستحدث ، ويخضع لقانون التطور ، ولعوامل الاضمحلال على السواء ، وكتاب الإسلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لأنه نزيل من حكيم حميد . الفكر الإسلامي غير معصوم من الخطأ والوهن ، والإسلام معصوم من ذلك كله . وكتاب الإسلام (وهو القرآن) - لأنه معصوم من الخطأ والوهن - له قداسة

فيها ، وأيضاً فالوقائع المتجددة لا توفى بها النصوص ، وما كان منها غير ظاهر في المنصوص فيحمل على منصوص لثابتة بينهما ، وهذه كلها إشارات للخلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم .

ولهذا الاختلاف في الفكر الإسلامي — لا يبرر رأى مفكر في اتجاه من اتجاهاته ، ولا رأى صاحب مذهب من مذاهبه ، وكذا لا يبرر رأى المفسرين في الاتجاهات المختلفة جميعاً عن الإسلام تمام التعبير وسيظل الإسلام نعمة الساء ، وسيظل الفكر الإسلامي صنعة الإنسان المسلم على أرض المسلمين . ومن يجعل إذا من الفكر الإسلامي إسلاماً كأنه يجعل في الواقع إسلامات عديدة مختلفة لدين الله الواحد .

ولأن الفكر الإسلامي هو الصنعة العقلية للإنسان المسلم ، كان الفكر الإسلامي في جملة مستحدثات بعد نزول القرآن والسنة النبوية الشفافية ؛ دفعت إلى استحداثه هوامل ، لا تنحصر في طبيعة فصوص القرآن ، ولا في تقييم الحديث من جهة سنه بل تتجاوز ذلك إلى اتساع رقعة المسلمين . وسيادتهم على بلاد كانت لها مدنية ثقافية وحضارية مادية ، وكذا إلى التطلع إلى السيادة والزعامة في الأمة . وإلى

يحرصون على بقاء الإسلام فيهم ، وبقائهم هم أمة مسلمة ٢ .

وتهيئة هذه الكيفيات ، وتحديد معالمها في عباراتها التي تورث من جيل إلى جيل في كتبها المتداولة — هي الفكر الإسلامي . وهذه الكيفيات في تهيئتها وتحديد معالمها وصياغتها — تختلف حتماً حسب اختلاف الأفراد ، والأجيال ، والظروف المحيطة . وربما يصل الخلاف فيما بينهم إلى درجة الفجوة أو المقابلة الواضحة . يقول ابن خلدون في مقدمته — في الحديث عن العقبة : « العقبة معرفة أحكام الله في أفعال المكملين بالوجوب والخطر ، والنسب ، والكرامية ، والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة ، وما نصبه الشارع لحرقها من الأدلة . فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها : فقه . وكان السلف الصالح يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم . ولا بد من وقوع الاختلاف بينهم ؛ ضرورة أن الأدلة غالباً من النصوص ، وهي بلفظ المصرب . وفي اقتضاءات ألفاظها الكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف . وأيضاً فالسنة مختلفة الطرق والثبتوت ، وتعارض في الأكثر أحكامها ، فتحتاج إلى الترجيح ، والترجيح يختلف أيضاً ، فالأدلة من غير النصوص تختلف

غير ذلك من العوامل التي من شأنها أن تدعو إلى المحاولات الفكرية لتبرير أمرها أو رفضه ، أو تدعو في الجملة إلى الجدل العقلي والمناقشة .

ومذهب أهل الحديث . وم أهل الحجاز وإمامهم مالك بن أنس الأصبحي ، إمام دار الهجرة . ومن بعده محمد بن إدريس الشافعي الذي مزج فقه أهل المدينة بفقه المراق بعد أن ارتحل إليه .

ومذهب الظاهريين . وإمامهم داود بن حل وابنه من بعده : ومذهبهم يقوم على إنكار القياس وإبطال العمل به . وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص القرآنية والسنية ، وكذا في الإجماع . وردوا القياس الجلي والعلّة المنصوطة إلى النص ؛ لأن النص على العلّة - فـ تقديم - نص على الحكم في جميع محالها .

دفع الإنسان المسلم إلى وضع التفسير ، ففسر القرآن أولاً بالرواية ، مستندا إلى الآثار المنقولة عن السلف . وهي معرفة الناسخ من المنسوخ ، وأسباب النزول ، ومقاصد الآي واشتمل التفسير بالرواية - كما يقول ابن خلدون - على التفسير الثمين ، والمقبول والمردود . وفسره ثانيا متأثرا فيه بلون معين من الحزبية المنهجية كتفسير « الكشاف » لفرخندري ، وتفسير « الكبريت الأحمر » لنجى الدين بن عربى ويمثل رأى الكشاف مذهب الاعتزال ويمثل « الكبريت الأحمر » رأى المنصوطة المتأخرة في التجلي والحلول ، والوحدة في الوجود .

وبجانب هذه المذاهب الفقهية التي عرفت بجمهور المسلمين يوجد لأهل البيت - وم الشيعة - فقه انفردوا به . وأقاموه على أساس من اعتقاد : أن أهل البيت « نص » على أن تكون « الإمامة » بهم . ولذلك سميت الشيعة بالإمامية أيضا .

ولا تختلف أصول الفقه عندهم عنها عند جمهور المسلمين فالقرآن هو القرآن ، والسنة

ودفع الإنسان المسلم إلى وضع الفقه تحت تأثير أحداث الحياة السياسية والاجتماعية ونحت زبادة أمصار الإسلام ودخول غير المسلمين من أرباب المدينيات والحضارات السابقة على الإسلام - وانقسمت مذاهب المعروفة بين جمهور المسلمين إلى ثلاثة مذاهب : إلى مذهب أهل الرأى والقياس ، وم أهل العراق ؛ لأن الحديث كثر قليلا بينهم فاستكثروا من القياس ، ومهروا فيه .

تفكير المسلم في تفريعها من الإسلام فإن اختلاف التفكير لم يخرجها جميعاً — قبل غزو الفكر الإغريق الوثني للجموع الإسلامي من الاعتدال في اتصالها بالإسلام ، ولا عن التسامح بين المختلفين في التفكير ؛ لأن الجميع أصدروا في تفكيرهم من مبدأ واحد ، هو : من اجتهد وأصاب لله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ لله أجر واحد . فالكل مأجور ؛ لأنه يهدف إلى الحق . وإلى حيلة في الوصول إلى هذا الحق . للكل يهدف إلى أن يكون مسلماً في إيمانه وعمله والاجتهاد كما يعبر عن حيوية المسلم إزاء الإسلام والحياة معا — أو كما يعبر عن طاقة الملازمة التي يحملها المسلم ؛ ليوافق دوماً بين الحياة التي يعيشها الآن وبعد الآن وبين الإسلام الذي يؤمن به . يعبر من جانب آخر عما يصاحبه من روح اليسر وروح الحرية في التفكير ، وإن كانت حرية محدودة .

فبدأ الاجتهاد الذي قام عليه الفكر الإسلامي الأصل مبدأ بناء ، ومبدأ حركة ، ومبدأ حرية ، وبالتالي مبدأ تيسير ، وفي الوقت نفسه مبدأ صفا وتسامح ؛ إذ الخصومة النفسية إنما تقع عند ما تشتد أزمة النفس وضيقها ، وعند ما يفرض عليها الإلزام والاتباع ، وهكذا عند ما ابتدأ الفكر

هي السنة . إنما الخلاف في السنة مثلاً في ثبوت مروى أو عدم ثبوته . وهذا ليس خاصاً بالسنة والشيعة . وإنما يوجد بين مذاهب السنة بعضها وبعض . فكأن من مروى ثبت عند الشافعي ولم يثبت عند غيره .

وإن إذا سميت طائفة بالسنة وطائفة أخرى بالشيعة فليس هذا إلا اصطلاحاً ؛ فإن الشيعة يعملون بالسنة ، وأهل السنة يحبون آل البيت ويعملونهم .

كما وجد فقه الخوارج ، راعوا في استنباط الأحكام من النصوص موقفهم الخاص في الإمامة والقرامات الإمام نحو الرعية ، وواجب الرعية نحو الإمام .

ودفع الإنسان المسلم — عند ما زاحمت العقائد الأخرى العقيدة الإسلامية ، أو عند ما حاولت أن تنال منها — إلى النفع من عقيدة الإسلام ، فوضع علم الكلام .

فالتفسير ، والفقه ، وأصول الفقه ، وعلم الكلام تصور اتجاهات الفكر الإسلامي الأصل . وهي تمثل الفكر الإسلامي الأصل ؛ لأنها منبثقة عن الإسلام ، باستخدام المسلم تفكيره في تفريعها عنه . ومهما اختلف

الإسلامي الأصل على أساس من الاجتهاد والاختلاف في التفكير والنظر .
 بالديانات المختلفة ، في التنصب لها والجدل حول قيمها بين الأتباع .

نجد طابع هذا الفكر الطابع البشري ، السائر إلى الأمام . ولا تكاد تلمس فيه تنازلاً ولا خصومة خارجة عن روح النظر السليم بين المختلفين في التفكير فيه . ونجد المسلمين آنذا أصحاب رأي وأصحاب حجة وأصحاب علم فيما ياثروه من ضروب التفكير المختلفة .

إن الخلاف في الرأي سنة الحياة ، ولكن التنصب للرأي مصدر الفقرة والضعف ، وأساس الحقد والغل . « ربنا اغفر لنا ولإخواتنا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » .

ولكن الوقوف بالاجتهاد والركون إلى التقليد هو الذي حول ملكة الاستنباط والاستخراج إلى التأسس واتباع ما وضعه إمام المذهب . وإذا حيل بين المقلدين وبين الاختيار في التقليد ، وبين التنقل في التبعة . فالتنظر أن تصبح المذاهب الفقهية أشبه

الهم إن دينك دين الوحدة والقوة ، دين الحياة ، دين الأخوة في الإنسانية . اللهم هب لنا من أمرنا رشداً ، بالرجوع إلى كتابك وسنة رسولك ، وأبعد عنا سوء الفقرة باتباع الهوى ، والتعادي في استغلال الفقرة المذهبية .

دكتور محمد البرهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

النفوس القوية

كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه يساه عن حاله فكتب إليه أمير المؤمنين يقول :
 فإن تأسى كيف كنت فإني عزيز علي أن تشرى بي كآبة
 فليد علي عرض الزمان صليب فيفرح واش أو يساء حبيب
 وقال عبد العزيز بن زدارة الكلبي :
 لقد عجت منه الليالي لأنه إذا نال لم يفرح وليس لشكبة
 عن حاله فكتب إليه أمير المؤمنين يقول :
 فليد علي عرض الزمان صليب فيفرح واش أو يساء حبيب
 وقال عبد العزيز بن زدارة الكلبي :
 لقد عجت منه الليالي لأنه إذا نال لم يفرح وليس لشكبة
 صبور علي مصلاه تلك البلبابل
 ألت به بالحشاع المتضائل

الأزهر ومذاهب الفقه الاسلامي للاستاذ محمود اشرقاوي

وهذه ناحية أخرى يجب أن نشير إليها ونسجلها في مطلع هذا المقال . وقد أعرف أكثر من غيري بعضاً من العلماء الكبار يقولون هذا الذي يقوله شيخنا الأكبر يؤمنون به ويعملون به أيضاً ، ولكنهم يؤمنون ولا يعملون . ويقولونه بينهم وبين أنفسهم ، ويعملون به كذلك بينهم وبين أنفسهم ولكنهم يحدون من الحكمة أو من المداواة والتقية وإثارة السلامة ألا يظهروا بذلك على الناس ولا أن يعلنوه لهم ولا أن يعرف عنهم ذلك ويفشو .

وهذا الذي أجد أن لابد من الإشارة إليه وتسجيله في بدء الحديث ، والإشارة أيضاً لما في تصريح الأستاذ الأكبر ، برأيه هذا وبوصفه هذا ، من دلائل الشجاعة والصدق وإرشار المصلحة العامة للمسلمين والإخلاص للرأي وحده والعقيدة .

وأعتقد أن القارئ أدرك أني أقصد بهذا الذي قرأاً ونسمع : التصريحات التي صرح بها شيخ الأزهر في شأن بعض المذاهب الإسلامية وما يدعو إليه من دراستها وتمحيصها والعناية - والاعتراف بها قبل ذلك -

فرا الناس ويقرءون في هذه الأيام الأخيرة أحاديث تطيب بها نفوس المثقفين الفاقهين من رجال الدين وغيرهم من الذين يحرصون على أن تقوم العقيدة وأن يقوم رجالها بما يجب عليها وعليهم نحو الحياة العامة للمسلمين في هذا العصر . أحاديث تطيب بها نفوس الفاقهين المثقفين وتسعد قلوبهم لما فيها من الصدق والإيمان والإدراك العميق الشامل لمشاكل العقيدة ومشاكل المسلمين في فروع كثيرة من حياتهم الحاضرة .

وهذه الأحاديث التي تقل على الصدق والإيمان والإدراك الصادق ليست جديدة يسمعاها الناس من شيخنا الأكبر شيخ الأزهر ويتلقونها عنه لأول مرة ، فقد سمعناها وتلقيناها منه وقرأناها له منذ ستين طوية . وهو أستاذ في كلية الشريعة ، أو عضو في جماعة كبار العلماء ، أو غيرها من العجان العلمية أو الجماعات التي تعمل التقريب بين المسلمين ومذاهبهم أو وكيل للأزهر . ولكن الجديد هو أن ما سمعناه من أستاذنا الشيخ شلتوت من قبل . فسمعه الآن منه وهو شيخ للأزهر بوصفه هذا .

هذه هي الثقافة الإسلامية شاملة كاملة .
وهي خضم هائل من المعرفة ، ومن الآداب
يجب أن يعرفها الأزهر كلها ، وأن يحيط بها ،
وأن يدرسها أهل دراسة حبيقة دقيقة مستوعبة
بصورة .

ولا أستطيع ، بطبيعة الحال ، أن أعدد
ألوان هذه الثقافة وفنونها وآدابها ولكفى
أذكر أمثلة من ذلك تكفي لتحديد ما أقصد .
ففي المذاهب الفقهية ، مثلاً يدرس الأزهر
وكتبا ، في مذاهب الأئمة الأربعة ولكنه
لا يعرف شيئاً عن مذهب الأوزاعي . وقد
كان يسود في وقت من الأوقات البلاد
الإسلامية في المغرب الإفريقي ، وفي الأندلس ؛
ولا يعرف شيئاً عن مذهب الزيدية ، وقد
كان ولا يزال يسود بلاداً إسلامية هي اليمن ،
ولا يعرف شيئاً عن فقه الشيعة وقد ساد قطعة
عظيمة من البلاد الإسلامية ، ولا يزال .
وهي بلادها هراقة في حياة الإسلام وثقافته
ولها قيمة كبرى كذلك في مقومات الحياة
العامة للسليين . ولا يكاد الأزهر يعرف
إلا شيئاً قليلاً من فقه المذهب الوهابي وهو
يسود الآن البلاد التي يحيط فيها الوحي
ونزل القرآن .

ولبعض الطوائف الإسلامية الأخرى
مذاهب وآراء في الفقه والفهم الديني
لا يعرف الأزهر عنها شيئاً ولا يدرس طلبته

والأخذ بما تطمئن إليه نفوس الباحثين
من آرائها وأدلتها وألا يتقيد الناس بما
ألفوا أن يتقيدوا به من حدود هذه المذاهب
الأربعة المعروفة .

ولم يكن حديث شيخ الأزهر في هذا
دهوة مجردة ، بل هو مصحوب بالحرم
والإقدام والعمل على أن يقوم الأزهر فعلاً
بهذه الدراسة وما يتبعها . وهذه ناحية ثانية
جديرة بأن تذكر وتسجل لشيخ الأزهر ،
وأن تحمد له أيضاً .

الثقافة الاسعوبية

الأزهر قسوام على الثقافة الإسلامية
والعربية ، وعلى كفاءة التوجيه الديني للسليين
في كل بقاع الأرض ، ولئن يريد أن يعرف
الإسلام أو أن يعرف عنه من غيرهم .
والثقافة الإسلامية والعربية هما ذلك الإنتاج
الفكري والعلمي والأدبي الذي يشمل ثقافة
هذه الرقعة الفسيحة من الأرض التي انتشرت
فيها لغة القرآن وثقافته ، من حدود الصين
إلى شاطئ إفريقيا الغربي منذ عرفت هذه
البلاد الإسلام — بل من قبل ذلك — إلى
هذا العصر الذي نفبش فيه . وتلك الرقعة
من أرض أوربا ، شرقاً وغرباً وجنوباً ،
وقد عرفت دين الإسلام وثقافته ، أو بعضها
منها ، زمناً طويلاً أو غير طويل .

- وندعو إليه معه - رأياً علياً مجرداً ، بل هو
- مع ذلك - ليس مقطوع الصلة بالحياة العامة
للمسلمين جميعاً ، وليس مقطوع الصلة بمستقبلهم
وأهدافهم التي يحرص عليه وعليها المخلصون

من حكامهم والمتقنون الفاضلون من رجالهم .
فالمرقة - كما يقولون - طريق الآلة . وهذه
الشعوب الإسلامية على هذه الأرض يدعوها
- بل يأمرها - دينها أن تتأرق وتتنقى
وتتأزر ، وأن تكون على الدوام كالجسد
الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر
الجسد بالحنى والهوى كما جاء في بعض الحديث
الشريف ، وكذلك تدعوها مصالحها العليا
إلى هذا التأخر والتأزر والتساند .

والأزهر - وهو على ما وصفنا من القوام
على حياة المسلمين الروحية - من حقه أو من
واجبه أن يذكر المسلمين على الدوام بهذه
الوحدة التي يأمرهم بها الدين ومقصود لها
مصلحتهم العليا ، وسرقة المذاهب الإسلامية
المختلفة التي يعتقدها ويعمل بها المسلمون - سبيل
لتخفيف هذه الحدة القائمة من الخلاف بين
طوائف المسلمين وبلادهم ، ودراسة هذه
المذاهب دراسة نزيهة غلصة مجردة خالية من
التعصب المذهبي والتبعية الفكرية منجلاً لاشك
في جدواه لتخفيف هذه الحدة وإزالة هذه
الجبوة ثم الانتقال منها إلى النصافي والتساند
والمؤازرة والحرص على الخير المشترك .

وأسأله منها شيئاً ، أى شيء ، فأهبط
بما جدم مذاهب ونحل ، سليمة أو مستقيمة
منحرفة أو مستقيمة ، كالبائية ، والبهائية
وغيرهما .

ليس واجبا على الأزهر أن يدرس هذه
المذاهب وغيرها ليذكر ألوان هذه الثقافة
الفقيرة وما بينها من فوارق وما تستند إليه
من دليل ؛ ولكن ليجد في كثير منها كذلك
نبأ من المعرفة والإدراك والعلم قد لا يجد
في هذه المذاهب التقليدية التي يقف نشاطه
ودرسه عليها . وقد يجد فيها من الآراء
المقبولة ما يمينه على وضع الحلول لمشكلات
لا نهاية لها يلقاها الناس كل يوم في حياتهم
الحاضرة ، ويريدون أن يعرفوا حكم الشرع فيها .
وبعض هذه المذاهب - كما قال فضيلة الأستاذ
الأكبر - بحق - يستند في حكمه إلى القرآن
الكريم والحديث الصحيح ، ويبدو للتأمل
الذي أنسلخ من التعصب والتبعية المنهجية
وأما واضح الرجحان .

أما المذاهب المنحرفة فما أرى إلا أن
الأزهر يفيد من درسها بيان انحرافها ودفع
شرها عن الناس وعن العقيدة .

المعرفة والمؤازرة :

ليس هذا الذي يدعوا إليه شيخنا الأكبر

نقاء النصره من علماء الشيعة لأنهم جميعاً مسلمون ، والإسلام ، كالعلم ، وحم بين أهله . ولأن الخطر الأكبر يريد أن يتغنى على العقيدة من أصولها وأشرواقها ، عندئذ ، على الجميع . لا أريد أن أتحدث فى السياسة العامة فليس هذا من شأن اليوم ولا هذا مجالها . ولكنى أريد أن أنه إلى أن التقارب الذهنى والمذهبي سبيل إلى المعرفة . والمعرفة سبيل إلى الآلة وما يتلوها من الآخرة . وسبيل هذا التقارب الذهنى والمذهبي هو الدرس المخلص الزيه . وهذه ، على ما أعتقد ، هى دعوة شيخ الأزهر التى يؤيده فيها المخلصون الفاقهون وتؤيده فى إيماننا وبقيننا وأقلامنا ، إن الحق لا يعرف بالرجال :

وهناك أحاديث أخرى أريد أن أقولها وأفيض فيها لولا خشيت أن أطيل . ولعل أقولها فى وقت قريب ، غير أنى لا أريد أن أخلص من هذا الحديث قبل أن أقول للذين قد لا ترضيهم هذه الدعوة أن ما يحرصون عليه من رأى أو قول قد لا يكون غير الآراء . ولا أسلم الأقوال . وأن هذه الآراء والأقوال لعلها قد نالت شيئاً كثيراً من القداسة لقائمة على الآلة وإيمان النظر لا غير .

كما أريد أن أذكركم بأن هذه الدعوة لتحكيم الرأى والدليل وتسويده على النقل والمخاطبة

ومصائر الأمم فى هذا العصر أصبحت وهينة بتوجيه السواد الأكبر من الناس ، أى بتوجيه الشعب ، وهذه ظاهرة لا شك فى وجودها ولا فائدة من المكابرة فيها ، وليس بد من الاعتراف بها حقيقة واقعة فى حياة الأمة العربية والشعوب الإسلامية الآن ، وحقيقة أخرى يجب التسليم بها : هى أن هذه الشعوب تنهز بقلوبها وعواطفها إلى الوحدة وتعمل فى سبيل أن تصل إليها ، وهذه الشعوب ، كما نعرف ، ما يزال للدين والعقيدة الأثر الأول والتوجيه الأقوى بين أفرادها وسوادها ومن هنا كانت أهمية المورد الذى يجب على الأزهر أن يقوم به فى توجيه هذه الشعوب عن طريق العقيدة نحو مصائرنا العليا وأهدافها . وفى أحداثنا القريية جداً أكبر شاهد على ذلك وأقوى دليل . فقد رأينا أن الشيوعية الباغية توشك أن تنقض لتقوض الإيمان الراسخ فى بلد إسلامى قريب لنا . وتحاول أن تهدم المقدس من آدابه وتقاليد ومثله ، فلما أحس أهل هذا البلد بما يحاول البناء أن يوقوه به دينهم ومقدساتهم ، توجهوا به من الشيعة إلى الأزهر يستصرخونه ، وآزدم الأزهر وشيخه الأكبر وفصرم بكل ما يستطيع . ولم يمنع الخلاف فى المنصب والعقيدة أن يلجأ علماء الشيعة فى العراق إلى الأزهر السنى . ولا أن يلجأ الأزهر السنى

نفاية القرآن

الفنوز الجميلة في نظر الاسلام

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) بدیع السموات والأرض
(ب) صنع الله الذي أتقن كل شيء

في القرآن الكريم آيات وآيات، يرادها تذكير الناس بما أسبغ الله عليهم من فضله وسماهته . وفي القرآن الكريم توجيهات بيّنة إلى ناحية الإبداع والجمال في كل ما خلقه من كائنات، فأسلوب الكتاب العزيز لم يقف هنا عند الامتنان بمراد النعم للاحتجاج بها لحسب ،

ليست شيئاً جديداً في الحياة الإسلامية ولا أمراً طارئاً على التفكير الإسلامي والفقهى أيضاً . وبكفيتي أن أذكرهم بهذه الكلمة القوية المخلصة التي كتبها أبو الفرج الجوزي قبل ثمانية قرون وقد كانوا يسمون أبا الفرج واعظ المراق وعالم الآفاق ، واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيقبون قوله من غير تدبر بما قال ، وهذا عين الضلال ؛ لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل . كما قال صلى الله عليه وآله : « يا حارث بن حوط وقد قال له : دأبظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل ؟ فقال يا حارث : إنه ملبوس عليك . إن الحق لا يعرف بالرجال ، يعرف بالآثار » .

عذري من قوم يقولون - كلما طلبت دليلاً - : هكذا قال مالك

محمود الشرفاوي

[١] من ٨٦ - ٨٧ من كتابه : « دأبظن العلم والطهارة » . أو تليس إليس ، طبع القاهرة ١٣٤١
المخاض ومثير المشقة .

لا يعرف بالرجال ، يعرف بالآثار ،

من سنة الله فيما صنع ، وفيما يحب أن نحاكي صنيعه في حدود طاقتنا البشرية — وفقه المثل الأعلى .

وكأنه تعالى يريدنا أيضاً أن توجهنا إلى هذا بقوله : « خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي (جبالا) أن تميم بكم ، » .

فإذا روعي ما يقترن بالسموات من هولم أخرى ، وما يتصل بالأرض من كائنات ، وروعي ما قامت عليه تلك الخلائق من تنسيق ونظام رتيب ، وضع لنا من ملاح القدرة ما يريدنا لإجلالا ومهابة للذي خلق وأبدع ، واقفات مداركتنا إلى التسليم بأن هذا - حقا - هو صنع الله الذي آمن كل شيء .

وواضح أن هذا توجيه قوي إلى تذوق الفن الجليل ، وحض على الأخذ منه بما يستطاع ؛ فإن الجلال في كل شيء من تمام النعمة به ، وليس مظهراً ثانوياً فيه .

والدنيا كلها نعمة مشورة في هوالها ، وتامها في جمالها .

ومن هذا كُن الامتثال بها وبكل ما فيها حقا لله على عباده ، وأمرنا معتقداً به في شرعة العقول الواحية .

هذا — وما يقال حديثاً : إن الفنون الجميلة ضرورية من ضرورات الحياة المتحضرة ، ونحن نسبق غيرنا إلى تقرير هذه القضية ،

بل أهاب بنا كثيراً ، ونهنا في قوة إلى تقصى ما فيها من جمال قد يبلغ مبلغ الروعة في كثير منها ، وطالبنا بالانكشاف نحو إبداعها ؛ ليكون من تقديرنا لها استلهام للإيمان من سبيل جديدة غير السبيل التقليدي ، هي سبيل الوجدان والبصيرة ، والاعتناء بما فيه من عجائب .

وليكون هذا التقدير ظاهراً لهبة الجلال في روى الإنسان ، وحافزاً على الأخذ بسنة الله في خلقه ، من الإجلالة في عملنا ، والافتخار بمواهبنا في كل ما تصدى له من شئون .

وفي الآيتين السابقتين — في مطلع حديثنا — تعريج صريح بالثناء ، والمباهاة بالجانب الفني — كما نسميه نحن — فيما صنع الله .

فالسموات والأرض آيتان من آيات الله العكبرى ، تشهدان بقدرته — لا شك — وتنبهان العقول والأذهان على عظمتهم .

والتميز في شأنهما تجاوز الإفادة والمباهاة بخلفهما إلى المباهاة بإبداعهما ، وحسن تنسيقهما على نحو ما نراها من الروعة الباهرة . ولذلك لم يقل : خلق ، كما قيل في مواطن أخرى .

بل قال : « بدع السموات والأرض » . وهذا الإبداع من صفات الله سبحانه ، وذلك مناط المباهاة والتعظيم بالنسبة للجنانيب الإلهي . وهو أيضاً مثار الاستنهاض إلى الاقتباس

استعراض الأجساد العارية ورسمها بالألوان
المغرية ، إلى آخر ما هنالك من مخزيات فاضحة
يعامها النوق ، ولا تعتبر فنا جميلا إلا في
مقاييس الفجوة .

فإذا وقفنا من غيرنا موقفا إيجابيا في تقدير
الفنون الجميلة ، واعتبارها ضرورة من
ضرورات الحياة ؛ فنحن نقف منهم موقفا
سلبيا فيما شطحوا إليه من هذا القليل ١١ .
نواقهم لأننا نستقي علنا بهذا ورأينا فيه
من جانب الدين ، ومن النوق البرى من
لؤة الهوى .

ونسير في تعليق المبدأ سيرا بصيرا نحو
فيه المنافع المشروعة ، ونقصح بدعوتنا إلى
الفنون الجميلة الكريمة عن رغبتنا في استغلال
المواهب ، وعن مقاصد الإسلام من إشادته
بإجبال الفنى ، ومن الدعوة إلى النشاط في
ميدانه العلى والتطبيق جميعا ونخالف غيرنا
فيا توبصوا فيه ؛ لأنهم يقلدون سوانا من
ذوى النزعات المنحرفة الذين لا يترجمون
من سقطات ، ولا تحسك عليهم بيته مزنة ،
ولأننا ندفعهم غرائز طائشة ، وينشطلون في
تحصيل الرغبات ولو كانت فيما يعافه الحياء
الإنسانى .

ثم : مادام الدين الذى شرح لنعيش في ظلاله
قد تكفل بتوجيهنا إلى أهداف صحيحة نأخذ
منها حظنا ، وترقى بها حياتنا ، وتسلم عليها

وإلى الاعتراف بما للفنون الجميلة من أثر في
إبهاج الأنفس ، ومن شأن في ترقية النوق ،
وتثبيته المشاعر إلى التجديد في مناهج الحياة
ما استطعنا .

غير أننا نخالف غيرنا - إلى حد ما - في
تفسير هذه القضية ، وفي تطبيقها كبداً مسلم
به ، فنحن نعتبر الفن الجميل دوحه تنجلي فيها
مواهب الإنسان ، ومראה صافية تمثل فيها
أسرار الطبيعة المسكونة ، وتنعكس عليها
حضارات الشعوب الفائرة والحاضرة ونعتبرها
كذلك دروسا حية يتلقنها الخلف ليتبينوا
منها كيف كانت حياة أسلافهم ، وكيف قامت
حضارتهم فيما قامت عليه من آثار وآثار ؛
ليتاح للأجيال اللاحقة أن تتخذ من ماضى
الأسلاف معالم طريق تسير في ضوئها نحو
أهداف سامية في تركيز مجدهم التأله والطريف .
هذه نظرتنا إلى الفنون الجميلة ، وبهذا
الاعتبار يصح أن نكون صدق لدعوة القرآن
فيما نفهم .

ولكن غيرنا من خالفهم يتوسعون في
مفهوم القضية ، وفي تطبيقها ، حتى أفضحوا فيها
ما ليس منها ، وانحرفوا بها إلى غير أهدافها .
قراهم يماهرون بالدعوة إلى الرقص دون
تخرج ، ويصنفون إلى الغناء المايين في إسرار ،
أو يتأفنون على الصور المثيرة حتى في أخس
أوضاعها المرذولة ، بل يتجاوزون هذا كله إلى

٤ - « تبارك الذي جعل في السماء بروجا ، وجعل فيها سراجا وقرأ منزها » .

٥ - « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ، ووبرت ، وأنبتت من كل زوج بهيج » .

٦ - « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون » .

٧ - « وما ذرا لكم في الأرض مختلفا ألوانه » .

٨ - « ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، (غصون متدلية) ، وجنات من أعناب والرتون والزمان مشتها وغير متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه » .

٩ - « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ، لنبلوهم أيهم أحسن عملا » .

فأنت ترى ما في الآيات من تفسيق الأوصاف ، وذكر البهجة والزينة ، واختلاف ألوان الزروع والشجار والأزهار ما يشهد بتقدير الإسلام للجمال في تلك المخلوقات ونعموها وابتعائها لزرعة التأمل فيها من جانبنا حتى نقبس منها منها متجنا نفسج على غرارها .

وقد يكون التفصيل المسهب في مثل ذلك كله مجموعا في نحو قوله : « الذي أحسن كل شيء خلقه » ، على أن هناك ترجيحاً ذاتياً لنا إلى تجميل أنفسنا واتخاذ الزينة في وقت العبادة ومكانها ، « يا بني آدم خذوا زينتك عند كل مسجد » ، « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة

أخلاقنا وجمعتنا فلماذا نبعد عنه إلى غير ما اختار لنا فيما عليه الغواية » ، وتهنئهم به قوميتنا التي نحاول شد أركانها بأوثق ما يضمن لها القوة والتغلب على محاولات الماكرين بها ؟ ولكي نفهم مكانة الفن في نظر الإسلام أوضح مما سلف ننظر في ثنايا الآيات بعدد - وفيها الكفاية للتدليل .

وأول ما يبدو هنا من هذه النظرة ويعبرنا من روايتها أن القرآن نفسه نموذج أدبي من الفن الرائع في نمطه كله : لفظاً ، ونقياً ، وفواصل

فليس هو شعراً ، ولا رجلاً ، ولا جملاً ، ولا ثراً بما يمهده الناس ، وإنما هو منبهج علوي له طابعه الخاص في تنسيقه ، وله موسيقاه التي يسمو بها على قدرة الإنس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

وليس هذا وحده - بل يبرز ما في القرآن من رواء بلاغي بحسن عرضه للآيات الكونية وتجميل ما تحتويه من بواطن الإجلال ... ولديك أمثلة :-

١ - « أولم ينظروا إلى السماء فوقهم : كيف بنيناها ، وزيناها ، وما لها من فروج » .

٢ - « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين » .

٣ - « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » .

واقفنت أن يساق إلينا التحذير منها خشية
الغرور بها ، والإصراف في التهاك عليها .

فإذا وعينا ما تحدث به القرآن عن دنيانا ،
وما احتوته تعاليم الإسلام عن الجبال في كل
موطن من مواطنه ، أدركنا أن الله يحب
الجبال ، ويحبنا على قدره ، وشأنه ، والأخذ
به في كل ما نحن بسيله .

غير أن جمال الفن ، كما أسلفنا ، ومهما
أفسحنا فيه الخطى ، لا يتسع للهازل ، ولا
يتمدد إلى الجانب التثري في الدين بتغيير
أو تبديل في أحكامه أو الماسر بشئ مما
تلقيناه صحيحا من تعاليمه ، وآدابه ، وما رحمه
لتنظيم المجتمع في إطار سليم .

فليكن إبداعنا الفني فيما نضع من نظم
اقتصادية ، وفيما نهي من أسباب القوة ،
وإعداد الجيش ، وفيما نبني ونزرع ، ونخترع ،
ونصنع ، وفي كل ما يفتح لنا منافذ الدنيا
كشفا ، وانخفا ، واقتباسا ، ونماونا جديدا
وليس الفن إطلافا في إهدار الخلق ، وهتك
الآداب ، وشيوع المجون ، وقتل الأنبياء
وترويع الرذائل .

وإن هذا التجديد الذي نشكو منه لأخطر على
مقومات الحياة ، وأنتكى من حروب العدوان .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هموا ذهب أخلاقهم ذهبوا
واقه نسأل التوفيق والسلامة ؟

هــم اللطيف البكي

عضو جماعة كبار العلماء

فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، إل
آخر آية الوضوء .

وكان النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ،
يتجمل بترجيل شعره ، وتنسيق هندامه وكان
يقول : « إن الله جميل يحب الجمال » وكان يطرب
لسماع الصوت الجميل في تلاوة القرآن ، ويحث
على تجميله في القراءة كما كان يطرب لسماع
الصوت الجميل . في أمازج العرب من حداة
الإبل أثناء السفر .

وحسبنا بمحمد قوة لنا في الانحاء ،
ومطابقة الفطرة المصقولة في التأثير بالجمال
في كل شئ . وما يمكن الجمود أن يتغلب على
الفطرة حتى تنجهم للجمال ، أو نجسد جانب
الإبداع ، وتفاوت المواهب في آثارها الفنية :
ولو أن الدنيا كلها لم تكن عوالم متنوعة :
من بحار ، وزروع ، وجبال ، ورمال أو :
لو أن كل عالم من هذه العوالم لم يكن متفاوتا
في وحدته ، كأن تكون الجبال ذات لون
واحد ، أو تكون الزروع غطاء واحدا ،
في شكله ولونه ، أو تكون النصار كذلك :
لو لم يكن هذا التفاوت لانعدم فيها الإبداع
ولكانت دنيا مملوءة وكانت الحياة فيها جافة
مزهودا فيها ، حتى ولو كانت كلها بساتين
مزهرة مشرقة وبهذا التنوع وهذا الإبداع
استحقت الدنيا أن تكون مثار المباهاة بها
من جانب الله ، وتهيات لأن تكون قنة لنا ،

المستشرقون والإسلام

للاستاذ الدكتور سليمان دنيا

الحديث ، ولعل لا أجنب الصواب إذا : قلت : إن ملاحظه كانت تدل على رغبة منه في أن يشترك معي في حديث ، ولكنه كان يفضل أن أكون الباني ففعلت . سأله عن اسم الكتاب الذي في يده ، قال لي برأسه وأعطاني أذنه في نهاية اهتمام ، ولما فرغت من السؤال الذي ألقته إليه باللغة الإنجليزية ، عقب في لهجة عربية متكلفة وصوت جهوري تشويه - رغم أنه - لكثرة أعجمية قائلا : نعم 11 فقلت له : يبدو أنك تعرف العربية جيدا فنسب إلى نفسه نسا طويلا ، كان يقرب فيه من العرب والإسلام حيناً ، تطميناً لي وتأييلاً لقلبي ، ويبعد عنهما في زهو خفي يتم عن كراهية وبغض ، حيناً آخر ، وأخيراً انتهى من سلسلة النسب هذه بأنه مسلم من أبوين مسلمين .

فعلت أسأله عن اسم الكتاب ، فقال : إنه « معجزات محمد » ، فقلت له : ما دمت تعيد العربية فلم لا تقرأ عن موضوع المعجزات كتباً عربية ؟ فارتبى في كرسبه إلى الوراء في زهو واعتداد ، وقال : لقد

لست أنكر أن للمستشرقين حق أن يبحثوا في الإسلام وعلموه ، فالإسلام وهو رسالة الإنسانية كلها ، ليس فهمه وفهمه من حق فريق دون فريق ، ولا طائفة دون طائفة . ولكني لست أجهل أن لبعض المستشرقين جهوداً لا تعرف المبال ، وصبراً لا يعرف التفاد ، وفراغاً هادئاً طويلاً هريضاً ، خصصوها كلها لتكيد للإسلام والتبيل منه .

ولم في ذلك وسائل متنوعة ، منها الظهور بمظهر المسلمين وإثارة الشبه والشكوك في نفس من يلتقون بهم منهم ، ومنها الكتابة المخرقة المضللة . لقيني منذ أيام - وأنا أركب ترام الأزهر - واحد منهم ، جلس على الكرسي المقابل لي وفي يده كتاب بدأ يقلب صفحاته في عصبية واضحة ، ويحلق فيه بعينين لا تطرفان ، وينفخ النفس ويجذبه بأنف هريض يسمع لحركة النفس فيه دويحاً ، وكانت صفحات الكتاب الذي في يده مزيجاً من سطور أفرنجية وسطور عربية . كانت كل هذه المظاهر توحى لرائبها برغبة في الاستطلاع ، فدفعني الفضول إلى أن أبدأ

حلول لمشاكل دين لا يؤمنون به ؟ هل تظن أنهم وضعوا حلاً لمشكلة التثليث ؟ وهنا هب الرجل واقفاً ، ووضع يده على كتفي ، وأولاني نصف نظرة بيننا النصف الآخر كان يتحسس بها باب الترام تأمياً للانصراف ، وقد استولى عليه من الفزع والرهبة ما جعله يظهر في صورة المتجمل ، وقال وهو على هذه الحال : ونحن أيضاً نقول بالتثليث ، السنا نقول : بسم الله الرحمن الرحيم ؟ يريد أن كلمات « الله ، و « الرحمن ، و « الرحيم ، تدل أيضاً على آلهة ثلاثة ، وأراد أن يولني ظهره لينصرف ، فاقهضت واقفاً أشعره أتقن نازل معه ، وأتينا ينهني أن نظل معاً بعض الوقت حتى نمرغ من الحديث الذي بدأناه ، وهنا نزلنا من الترام .

فقلت له : إن « الله ، و « الرحمن ، و « الرحيم ، ألفاظ ثلاثة : اسم وصفتان لمسمى واحد ، مثل ما إذا كان يقال لى أو لك فى البيت « ذوزو » ، ولكن الاسم المكتوب فى شهادة الميلاد هو « ذكريا » فكان تعليقه : وكذلك الحال عندهم ، فقلت له : فهل الأب والابن وروح القدس أسماء ثلاثة لمسمى واحد ؟ قال : نعم ، قلت فهم إذن يقولون بالتروحيد المطلق ؟ قال نعم : قلت خير .

ثم قلت له : فما شأن هذا الإله الواحد عندهم ؟ هل صلب حقيقة ؟ فقد يديه معاً إلى

قرأت كثيراً جداً ، ولكن يا أستاذ - وهنا أشار بإصبعه إشارة الاهتمام ، وبعد مواضع من وجهه علامة « من أمل فى شيء - مخاب رجلاه - ما كل ما يقرأ يصدق ، ولقد خلق الله لنا عقولا ، ولا بد أن نستعملها ، وإن المستشرقين قد أجدوا اللغة العربية ، حتى أصبحوا فى مصاف أهلها دواية وفهما ، وهم فوق ذلك أحرار الرأى ، أقوياء الحجة ، ولا بد أن نتفجع بكتبهم ، وأن نقيدهم من بحوثهم .

وهنا قدرت أن الكتاب الذى فى يده لا بد أن يكون لمستشرق ، فسألته عن اسم مؤلفه ، فأجلب فى اعتداد وغر : إنه لقلائ الجواترى الذى كان مسلماً وتنصر .

وعند هذا الحد كانت صورة واضحة للرجل قد ارتسمت فى نفسى ، فلم تعد فى حاجة إلى أن أطيل معه أكثر من هذا فى الحديث عن نفسه وعن كتابه ، فهو مستشرق يعطن الإسلام ويبطن الكفر ، وسواء صح ما قدرت أم لم يصح ، فما كنت لأستطيع أن أتركه يغادرنى دون أن يعلم أنه كان سبي الخط بلقاءى هذا الصباح ، فقلت له - رغم أن الترام كاد يصل إلى نهاية الخط - إنك قوى الثقة فى المستشرقين ، فهل تظن أنهم قد فرغوا من وضع حلول لمشاكل دينهم الذى يدينون به ، قبل أن يتبرعوا بوضع

سواسية لا يتفاضلون من جهة الحساب ولا من جهة النسب ، ولا المال ولا المنصب ، إنما يتفاضلون بالقوى والعمل الصالح ، لا وسطاء بين عامة الخلق وبينه ، بل الكل يتصل به ويتأجبه ويطلب منه العون والمساعدة ، ادعوني أستجب لكم ، وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، أمور الخلق كلها بيده ، فهو الذي يفر الذنوب ويستر العيوب ويقلل من العثرة ، في سرية تحفظ الكرامة ولا يفتق معها أحد على زلة أحد أو جريرة ، ولا تمن للنفرة في الإسلام أكثر من أن يستشعر المذهب الندم ويثوب إلى رشده ويعقد العزم على الاستقامة .

فإذا يا ترى في هذه العقيدة من جود ؟ . هل تصور الأستاذ دسميث ، عقيدة الإسلام تصوراً صحيحاً ، كما جاء بها الإسلام وكما يعرفها المسلمون ، ثم لم ترقه ورآها جامدة غير طيعة ولا مسابة لما تقتضى به الفطر السليمة ؟ إذن فليحدثنا عن العقيدة التي يراها غير جامدة وغير آلية . أمي التي تنزل بمستوى الإله إلى مستوى البشرية ؟ أم التي تجعل من بعض الناس طائفة ممتازة تتحكم في بقية ، وتلك من السلطة ما يغفلها غيران الذنوب والوقوف على أسرار العباد ؟ فليحدثنا الأستاذ دسميث ،

الأمم في صورة تماثل واستسلام ، وقال في صوت متهدج خافت : أتريدني أن أتكلم في هذا الأمر في الطريق العام ؟ فقدت له لشرب مما قبحنا من القهوة هنا ، وأشارت إلى أحد المقاهي بالمدينة ، فتخلف عن بعض خطوة ، ودبت على كتفي وقال : كلها ثلاثون أو أربعون سنة ، ونلقى الله أنا وأنتا ونعرف أينما على حق ، ومع ذلك فإني أسأل الله لك الجنة ، ثم انفصل عني مهرولاً في شارع الجيش ، فقدت له مع السلامة ، وما أدري أسمع تحييتي ، أم كان قد سبقها .

• • •

هذه صورة من صور دعايات المستشرقين ضد الإسلام ، وليست هي أول الصور ولا آخرها ولكنها أحدثها ، أكتفي بذكرها هنا ، لا تنقل إلى لون آخر من ألوان دعايتهم الكتابية ، ومن صور هذا اللون ما كتبه المستشرق دلفرد كاتول دسميث ، الأستاذ في جامعة « مايجل » في مجلة جمعية المستشرقين الأمريكيين يقول : « إن الدين الإسلامي آلى جامد » .

وإني لأسأله : ماذا في الإسلام من جود ؟ . هل الإسلام جامد في عقيدته ؟ عقيدته التي تقرر أن الإله واحد ، له وحده الكمال المطلق ، ليس به حاجة إلى خلقه ، ولكن الخلق كلهم هم المحتاجون إليه ، والناس لديه

أقول بينما ينص القرآن على قطع يد السارق
نصارحياً ، إذا بالتقامين على تطبيق شريعة
الإسلام ، وتنفيذها يحدون السرقة بالعمل
المدواى الذى من شأنه أن يسلب الجماعة
أمنها وطمانيتها ، ولذلك لم يحكم عمر على
سارق طم الجماعة بالقطع ؛ لأن زعزعة أمن
الجماعة لم يكن هو الباعث له على السرقة ،
وإنما الحاجة الملحة والضرورة القاسية هي
التي دفعت به إليها .

كذلك لما سرق بعض الخدم بعبراً وذبحوه
وعلم الحاكم الإسلامى أن الخدم لم يفعلوا
ما فعلوا ، إلا لأن سادتهم يبيعونهم ، لم يحكم
عليهم بالقطع ؛ لأن باعث السرقة ، الذى
من أجله قضى القرآن بقطع اليد ، مستف
هنا ، فقد تنبج الحاكم الإسلامى باعث هذه
السرقة ، فوجده فى إجابة السادة لخدمهم ،
فأعفى الخدم من المسئولية ، وأنزل بالسادة
حقوبة قاسية ، هى دفع أضعاف ثمن البعير
لصاحبه ، حتى لا يتسبوا بإجاعة الخدم
فى إحداث مثل هذه الجريمة مرة أخرى .
فانظروا يا أستاذ « سميت » كيف أن الإسلام
لا يحمده على الظواهر ولكن ينفوس وراء
التوايا والسرائر ، ويوقع الجراء على المنصب
فى الجريمة ، لا على من ظهرت على يديه
الجريمة .

إلى العقيدة التى اختارها لنفسه واتى وأما
طبيعة غير جلمدة ، تسير العقول وتلائم
الفطر ، وليطمئن إلى أننا على استعداد لأن
نشاركه إياها متى كشف لنا عن لياقتها لقبول ؛
فإن دين الإسلام يهتم على أهله طلب الحقيقة
ويأمرهم بالتابع الحق متى ظهر وأين ظهر ،
أليس يقول بنى الإسلام : « الحكمة ضالة
المؤمن أنى وجدها التقطها ولو من كافر » .

• • •

أم الإسلام جامد فى شريعت ؟ شريعته التى
اعتبرت العرف ، والعادة ، وجعلت لها دخلا
فى تقدير الأحكام ، كما اعتبرت البواض
والدوافع وجعلت لها دخلا فى تحديد
المسئولية .

خذ مثلاً قطع يد السارق ، فبينما ينص
القرآن نفسه على هذه العقوبة ؛ لما الجريمة
السرقة من خطر على كيان المجتمع يزعزع أمنه
ويسلب طمأنينته ، والأمن والطمأنينة هما
كل شئ فى حياة الجماعة ، لذلك سن الإسلام
هذه العقوبة لتكون كفيلة بالقضاء على
الجريمة وتحقيق الأمن والطمأنينة (١) للمجتمع

١٩١ وإذا أراد الأستاذ « سميت » أن يعرف
المزيد من فضل هذه العقوبة على المجتمع ، فليقرأ
رسالتنا « الدين والفن » ليرى أن هذه العقوبة
التي حول من أصحها المستقرعون تشفيها على الإسلام
هى منيرة من مفاخر الإسلام .

لا نخالفك في أن التخاذل والميوعة ليسا من طبيعة الإسلام في شيء ، ولتكن هذه من الآن قطعة خلاف بيتنا ، فإن الهزل والتخاذل والميوعة ليست من الحكمة التي قال فيها رسول الإسلام : « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها ولو من فم كافر » .

• • •

أم الإسلام جامد في سلوكيته ؟ وكيف وقد بنى الإسلام السلوكية الأخلاقية على أساس من الفطرة السليمة ، والضمير الإنساني المتيقظ المتحرر المتفهم الواعي ، ولم يقم للسلطات الخارجية كبير وزن فقال رسول الإسلام : « استفت قلبك وإن أتاك الناس وأقنوك » .

فهل بعد هذا يحق للأستاذ « سميت » أن يقول عن الإسلام : إنه آلى جامد ؟ ليقول لنا الأستاذ « سميت » أين يكون التحرر في السلوك إن لم يكن في القاعدة التي أقام عليها الإسلام سلوكيته ؟ اللهم إلا أن يعنى الأستاذ « سميت » بالتحرر ، الانطلاق الحيواني ، فنحن لا نخالف في أن الإسلام ليس فيه تحرر بهذا المعنى ، ولا ينبغي أن نعلن أن الإسلام حرب على هذا النوع من التحرر ؛ فإن الإسلام حريص على أن يقيم مجتمعا إنسانيا لا مجتمعا حيوانيا ، وليست هذه الحيوانية من الحكمة التي قال عنها رسول الإسلام

وأريدك من أمر حقيرة السرة في الإسلام بيانا فأقول : إن فقهاء الإسلام قدروا أنه ليس على الأجير ولا على الرجل يكونان مع القنوم يخدمانهم - إن سرقاهم - قطع ؛ لأن حاملها ليست بحال السارق ، وإنما حاملها حال الخائن ، وليس على الخائن قطع (١) لأن الحياة لا تستبح من دعة أمن الجماعة ما تستبحه السرة ؛ لذلك لم يكن جوازها القطع .

ولولا خشية الإطالة يا أستاذ « سميت » لأريتك ألوانا أخرى من التشريعات الإسلامية تقيين منها أن الإسلام مرن طبع لا جود فيه ولا آلية ، ومع ذلك فبهذا - كما قلنا سابقا - أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها ولو من فم كافر ، قد لنا - إن كان لديك - على شريعة أكثر طواعية من الإسلام ومرونة ، ونحن على استعداد لأن نأخذها منك ، بشرط أن نلاحظ أن مبدأ الإسلام في بناء المجتمعات أن يقيمها على أسس غير مائعة ولا منهارة ؛ فإن في الإسلام جدية تأتي الهزل ، وصرامة تجافي الميوعة فإن كانت جدية الإسلام التي نباعد بينه وبين الهزل ، وصرامته التي تجافي التخاذل والميوعة هما ماثار شبهتك التي من أجلها قلت عن الإسلام : إنه جامد ، فنحن

(١) الموطأ من ١٧٦ ج ٦ .

بأن يعمل لسعادة الآخرين يمثل ما يعمل لسعادة نفسه ؟ وعلى أساس من هذا المبدأ يحرص المسلمون على أن يلبثوا دعوة دينهم إلى غيرهم تحقيقاً لمبدأ المحبة الذي أكدّه دينهم وجعله شرطاً ضرورياً لبلوغ مرتبة الخير الأعلى . فالمسلمون إذ يلبثون الناس دعوة دينهم إنما يريدون أن تبلغ الإنسانية كاملها ورشدّها . وهم يفعلون ذلك بوازع من حب الخير للغير بنفس المقدار الذي يحبونه لأنفسهم . فإين يا أستاذ دسميث ، هذا الاتجاه الإنساني الكريم من الاتجاهات الاستغلالية الأنانية التي تدفع بالقوى إلى أن يمتلك الضعيف ويستغله ويعتصره ، ويستزف دماءه وأمواله ؟ قل لنا أى الاتجاهات هو الآلى الجامد ، وأيها هو الروحى الخافى ؟ .

عجبا لأمثال هذه المحاسن كيفه نجد ويساق القول جزافاً في ذمها ، ممن يقولون : إنهم دسّوا وعرفوا وقدرّوا وفكروا ووازنوا ؟ أين هي الدراسة وأين المراقبة ؟ وأين التقدير والتفكير والموازنة ؟ .

هل عرف أولئك الدارسون أن الإسلام قد جاوز نطاق عطفه ورحمته حدود الإنسانية ، لجعل للحيوان الأعجم حقوقاً ، وجعل التفريط في هذه الحقوق جريمة تستوجب العذاب ، يقول رسول الإسلام : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ، ولا

الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها » ولو من قم كافر ، فليعندنا الأستاذ دسميث ، إذا كنا لا نوافق على أن في الإسلام حرية حيوانية بل فيه حرية إنسانية فقط .

ثم إن الإسلام يجعل باحث السلوكية وهدفها روحياً صرفاً هو حب الله تارة ، وحب الخلق تارة أخرى . يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي : « ما تقرب عبدي شئ أحب إلىّ مما افترسته عليه ، ثم لا يزال يتقرب إلىّ بالتواقل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وليس المراد الحب المجرد ولكن ما صحبه العمل ، والمقصود بالأخ في الحديث — كما يرى رجالات الإسلام الذين نال منهم الأستاذ دسميث ، في مقاله نيلا غير كريم — ليس هو الأخ في النسب ، ولا الأخ في الإسلام ، ولكنه الأخ في الإنسانية ، فيقتضى هذا الحديث يصبح حقاً على كل مسلم أن يحب لكل إنسان — مهما تكن جنسيته ووطنه — مثل الذي يحبه لنفسه من الخير . ويتوقف على هذه المحبة صدق إيمانه وسلامة عقيدته فأى جود في دين يرى بلوغ كل فرد من أهله سعادته مشروطاً

والإسلام يعلن في صراحة قامة أنه مادي روحاني معا ؛ لأنه شرع الله للإنسان المكون من عنصرى المادة والروح . والملائمة بين الشريعة والمشرع له تقتضى أنه مادام الإنسان روحا ومادة فلا بد أن يعنى الإسلام به من حيث هو روح ومادة معا ؛ لأن تحقيق بعض ما تتطلبه طبيعة الكائن الحى ، دون البعض الآخر ، تحيف من حقوق هذه الطبيعة . وعلى هذا الأساس جاء الإسلام ماديا وروحيا معا ؛ بمعنى أنه يوفر للإنسان ما يتطلبه وجوده المادى ، ويوفر له ما يتطلبه وجوده الروحى .

ومما جاء فى هذا المعنى قول رسول الإسلام :
« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واهمل
لآخرتك كأنك تموت غدا » فإذا بعد أن
يرمى الرسول بأن يعيش المرء - لدنيا عيش
من يخلد فيها لا يموت أبدا ، وأن يعيش
للآخرة عيش من يتأهب لقائها غدا ، من
اعتراف بأن الإنسان مادة وروح ، وأن
السعادة روح ومادة .

ثم إن فى التكليف بالأمرين معا دليلا على
أن العناية بالدنيا لا تعارض فى فطر الإسلام
مع العناية بالآخرة ، وأن العناية بالآخرة
لا تعارض مع العناية بالدنيا ؛ وذلك لأن
الدنيا ليست تعنى حياة الفرد ولا حياة

هى تركتها تأكل من خشاش الأرض ، ثم
يرسلها قاعدة كلية يقول : « فى كل ذات كبد
رطبة أجر » . أهذا هو الجود الذى يعاب
على الإسلام ؟ أهذه الأحكام هى نتيجة
الدراسة والتفكير والتقدير والموازنة ؟ تافه
لجمل أكرم لنفس من معرفة مثالة مضلة .
• • •

أم الإسلام جامد فى فطر الأستاذ « سميت ،
لأنه لا روحانية فيه ؟ إذا كلف هذا هو
المقصود من قوله : « إن الإسلام آلى جامد »
فليفسح لنا الأستاذ « سميت » صدره لترفع
إليه شكوى الإسلام من الماديين الذى
يعيبون على الإسلام أنه روحاني صرف
فى الروحانية حيث يجعل متاع الدنيا المادى
نافعا بالقياس إلى متاع الآخرة الروحى .
وليفسح لنا الماديون - بدورهم - صدورهم
لترفع إليهم شكوى الإسلام من الأستاذ
« سميت » حيث يرميه بتهمة الجود والمادية .
إن الذى يقف بين تهمة الماديين للإسلام
بأنه روحاني ، وتهمة الأستاذ « سميت » له بأنه
جامد لا روحانية فيه ، ربما يتسرع فيحكم بأن
إحدى التهمتين كاذبة لا محالة ، وفى الحق أن
فى الإسلام جانبا روحيا هو وحده الذى كان
موضع اهتمام الماديين ؛ لأنه الذى يختلفون
معه فيه ، فعابوا الإسلام بأنه روحاني ، وفيه
جانب مادي ، هو وحده الذى وقف عنده
الأستاذ « سميت » ليعيبه على الإسلام .

الكرام تكشف عن أن نصيب الآخرة - من غير إجحاف بحق الدنيا - هو الأوفر، فيبدو الإسلام أشبه شيء بروحانية صرفة . فإذن من الحق قول الأستاذ « سميت » : إن الإسلام مادي لا روحانية فيه .

• • •

وبعد : فبأى معنى من المعاني يرى الأستاذ « سميت » الإسلام بأنه آلى جامد ؟ لقد بان لكل ذي عينين أن الإسلام ليس جامدا بأى معنى من المعاني .

يا الله ما أصدق قولك : « إن الإنسان لظلوم كفار » أئى يظلم نفسه ويكفر نعم الله عليه . هذا وإنى أقول للأستاذ « سميت » ما علمنا الله قوله في هذا المقام :

يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

المركنور سليمان دينا

أستاذ الفلسفة المساعد

في كلية أصول الدين

الإنانية ، وإنما الحياة التي يأمرنا الرسول بأن نعيش لها عيش من لا يفارقها أبدا . تعنى حياة الجماعة الإنسانية الكاملة المهدبة وإذن يكون الوفاق بين التكليفين واضحاً : التكليف بالعمل للدنيا كأنما هي باقية لاتزول ، والتكليف بالعمل للآخرة كأنما بدأتها الغد القريب ؛ لأن العمل للدنيا باعتبارها حياة الجماعة كلها تعيشها عيشة كاملة مهذبة لا يقوم إلا على أساس من تمكين العدل والرحمة والإخاء والمحبة بين الجميع . والعمل لتمكين مبادئ العدل والرحمة والإخاء والمحبة هو نفسه عمل من صميم أعمال الآخرة ؛ لأنه نسام عن الأنانية الفردية البغيضة . وفي عمل للفرد لتثبيت مبادئ العدل والرحمة والإخاء والمحبة بين الجماعة البشرية إقامة لدنيا الجماعة كلها ولدنيا الفرد أيضا أفنى لا بد أن يضممه فيض هذه المبادئ وإن كان هو يازر بذورها ، وفي هذا العمل إلى جانب الأعمال الأخروية الصرفة ، تمكين لإقامة الحياة الآخرة ، وبذلك يصبح الجمع متأنيا بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة في حياة الفرد الواحد .

والنظرة الفاحصة في هذا التوجيه النبوى

حَلَجْنَا إِلَى التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ

وَالِإِحْتِكَامِ إِلَيْهِ

لِلْأَسَازِ مُحَمَّدٍ سَلَامٍ مَذْكُورٍ

أَسَازِ الشَّرِيعَةِ بِكَلْبَةِ الْمُحَقَّقَةِ بِجَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ

١ - التشريع هو سن القوانين : سواء كانت هذه القوانين آتية عن طريق الأديان ويسمى تشريعا سماويا أم كانت من وضع البشر وتفكيرهم ويسمى تشريعا وضعيا .

والتشريع الساموي : هو مجموعة الأوامر والنواهي والإرشادات والقواعد التي يشرعها الله تعالى للأمة على يد رسول منها ليعملوا بها ، ويبتدوا بهديها ، وهو تشريع بلطبع من وجه إليهم ، من نوى منهم إطاعته ، ومن نوى معصيته دون إكراه فله أتباعه ، ومن خالفه تعرض للجزاء في الدنيا والآخرة وغضب الله ، ومن أتبعه فله من ذلك واستحق الثواب الآخروي ورضا الله .

٢ - التشريع الوضعي : هو مجموعة الأوامر والنواهي والقواعد التي يضعها فرد أو جماعة وتختارها الأمة بواسطة من له السلطان لتحكم إليها وتسير على ضوئها في الحياة ، وهي تهدف إلى إقامة التوازن بين هديد الحريات المتعارضة ومختلف المصالح المتضاربة .

وإن كان كل تشريع - سامويا كان أو وضعيا - يقصد به تنظيم الروابط بين الناس إلا أن التشريع الساموي تشريع إلهي بمصادره وأحكامه الأولى ، بينما التشريع الوضعي يستمد أحكامه من سلطة الدولة .

حاجة الناس إلى تشريع يحكون إليه :

١ - التماس بطبيعتهم في حاجة إلى تشريع يحسد لهم علاقاتهم ، ويبين لهم حقوقهم وواجباتهم ، ويحدد من أنانيتهم ، وينظم صلاتهم والتزاماتهم ، وإلا لكان الأمر فوضى بين الناس يأخذ القوى كل ما يريد بقوته ، ويفقد الضعيف كل ما يحتاج إليه بضعفه ، خصوصا أن النفوس قد جبلت على الأثرة وحسب الذات ، وانقضت تحت تأثير ميول غرائزها المختلفة ، ولذا فإن حقوق الفرد وحرياته تتأثر تأثرا واسعا بهذه المصالح مما يجعله ميالا بطبعه إلى الرغبة في إيجاد نظام يحدد له الحدود ، من أجل هذا قال علماء الاجتماع : « إن الإنسان اجتماعي بطبعه ، إن الحياة الاجتماعية لازمة له ، وهذا يستتبع ضرورة وجوب التشريعات في المجتمع لتحكم

أما التشريع الوضعي : فهو مجموعة الأوامر والنواهي والقواعد التي يضعها فرد أو جماعة وتختارها الأمة بواسطة من له السلطان لتحكم إليها وتسير على ضوئها في الحياة ، وهي تهدف إلى إقامة التوازن بين هديد الحريات المتعارضة ومختلف المصالح المتضاربة .

وإن كان كل تشريع - سامويا كان أو وضعيا - يقصد به تنظيم الروابط بين الناس إلا أن التشريع الساموي تشريع إلهي بمصادره وأحكامه الأولى ، بينما التشريع الوضعي يستمد أحكامه من سلطة الدولة .

حاجة الناس إلى تشريع يحكون إليه :

١ - التماس بطبيعتهم في حاجة إلى تشريع يحسد لهم علاقاتهم ، ويبين لهم حقوقهم وواجباتهم ، ويحدد من أنانيتهم ، وينظم صلاتهم والتزاماتهم ، وإلا لكان الأمر فوضى بين الناس يأخذ القوى كل ما يريد بقوته ، ويفقد الضعيف كل ما يحتاج إليه بضعفه ، خصوصا أن النفوس قد جبلت على الأثرة وحسب الذات ، وانقضت تحت تأثير ميول غرائزها المختلفة ، ولذا فإن حقوق الفرد وحرياته تتأثر تأثرا واسعا بهذه المصالح مما يجعله ميالا بطبعه إلى إيجاد نظام يحدد له الحدود ، من أجل هذا قال علماء الاجتماع : « إن الإنسان اجتماعي بطبعه ، إن الحياة الاجتماعية لازمة له ، وهذا يستتبع ضرورة وجوب التشريعات في المجتمع لتحكم

٤ - والمفروض في المشرع ألا يتأثر عند وضع تشريعه بالهوى ، وألا يقصد الوصول إلى غرض فردى ، أو مصلحة خاصة وإنما القصد منه حماية المجتمع ، وحماية الأفراد من الهوى الجامح والآثرة ، وحجب الذات ، وهذا متحقق واضح في التشريع السماوى ؛ لأنه من عند الله المنزه عن الخطأ والغرض والهوى ، بينما التشريع الوضعى يستمد أحكامه من سلطة الدولة التى تسنه وتصدله وتلقيه حسب الظروف وكثيرا ما يتحكم فى هذا الغرض والهوى وتراعى حالات فردية يكون قد تأثر بها رجال التشريع ، سواء أكانت مادية يأنحاء من يملكون الترجية ، أم بدوافع نفسية خاصة .

مميزات التشريع السماوى :

• - القول بوجود إله قوى قادر على خلق كل الأحياء والأشياء فكرة اشتركت فيها كل الأمم القديمة التى بلغت غاية رفعة من الحضارة ، والعلم الحديث فى الواقع لا ينق أن هناك قوة خارقة فوق طاقة المخلوقات تهيم على هذا الكون ، فتشريع يأينا عن هذا الطريق لا شك فى أن الناس فى أشد الحاجة إليه ؛ لأنه من عند عالم الغيب والشهادة الذى يعلم ما توسوس به النفس يعلم خاتمة الأعين .

العلاقات بين الناس ، وتدفعهم إلى القيام بالواجب ، وإذا فصلاح المجتمع منوط بحكم قائم على نظام واجب الاحترام .

٣ - والقصد من وضع الشرائع لإخراج المرء المكلف بأحكامها من داعية هواه وبعده عن الآثانية ، فاتباع الهوى والاعتقاد إلى طاعة الأغراض العاجلة والشهوات الزائلة ، عمل مذموم تهدف الشرائع إلى محاربته فى النفس ، وقد جعل الله تعالى اتباع الهوى مضادا للحق قسباً له وفى القرآن . . . فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (١) ، وفيه : وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى (٢) ، وفيه : ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فىهن (٣) ، وفيه : أفئن كان على بينة من ربه كنزى له سوء عمله واتبعوا أهواءهم (٤) .

وما ذكر الهوى فى القرآن إلا فى معرض التلم ومقابله بالحق الواجب الاتباع ، وهو شرع الله ولذا فإن السلف قالوا (٥) : احذروا من الناس صنفين : صاحب هوى فتنه هواه وصاحب دنيا أعجبه دنياه .

(١) سورة من الآية ٢٩ .

(٢) سورة النجم الآية ٣ ، ٤ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢١ .

(٤) سورة محمد الآية ٥٤ .

(٥) إعلام الموقعين لابن القيم ج ١ ص ١٢٩ .

فهو يعمل على تكوين المرء على مثال حسن ويعنى بتوثيق العلاقة بين المرء وأخيه وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين ربه ، ولذا فقد نص على أحكام للعبادات كما نص على أحكام للمعاملات وغيرها ، أما القوانين الوضعية فإنها قاصرة على علاقة الفرد بالآخرين أو علاقته بنفسه بقدر ما يعود على المجتمع فقط .

خامساً : التشريع الساموى من لكل عمل من أعمال الإنسان حكيم ، حكما فى الدنيا يتعلق بمظهر العمل وأثره بين الناس ، وحكما فى الآخرة يتعلق بالقصد الحقيقى والباصت عليه ، وأثره المترتب عليه فى الآخرة من ناحية الحل والحرمة ، أو بمعنى آخر حكما ينظم الصلة بين الإنسان وغيره من البشر ، وحكما فى نفس المسألة ينظم صلته بربه وهذا ينظر فيه إلى حقيقة قصده ونواياه . فالتشريع الساموى يحاسب على الأعمال الداخلية حتى التحضيرية كما يحاسب على الأعمال الخارجية بخلاف الوضعى فإنه قاصر على بعض الأعمال الخارجية .

سادساً : التشريع الساموى ، فيه ناحية إيجابية وناحية سلبية ، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أى : أنه يعمل على جلب المصالح ودفع المفاسد فكلهما مقصود فى

وما تخفى الصدور . ولذا فإننا نستطيع أن نقارن بين التشريع الساموى والتشريع الوضعى ونخرج ببعض مميزات التشريع الساموى التى تجعله أحق بالاتباع .

أولاً : التشريع الساموى محيط بكل شئ ؛ لأن المشرع مطلع على كل شئ . أما التشريع الوضعى فلا يمكن أن يرقى إلى هذا أو بعضه مهما قوى سلطان واضعه فالإنسان لا يعرف شيئاً من سواة أخيه إلا إذا كانت ظاهرة أو قام عليها الدليل .

ثانياً : تشريع من الحكيم الخبير المنزه عن الخطأ الذى لا يضل ولا يفسى يستحيل أن يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أما الإنسان فهما قوى شأنه فهو قاصر فى تفكيره محدود فى إدراكه ، ولذا فإن ما يرضه من تشريع سرعان ما يظهر قصورها وخطئها ويأتينا الباطل من بين يديها ومن خلفها .

ثالثاً : التشريع الساموى منزه عن الغرض والموى بعيد عن المؤثرات ، والاتعالات ، أما التشريع الوضعى فقد يلاحظ عند وضعه أغراض معينة ، ومصلحة أشخاص معينين .

رابعاً : التشريع الساموى فوق ذلك يربى فى النفس طهارة القلب ويقظة الضمير . ودقة الشعور ، وكظم الغيظ والمفوق عند المقدرة .

معروف ، ومنها ما هو مردفين ، ومنها ما هو خير ، ومنها ما هو شر ، والناس في كل هذا متفاوتون ، فهل ينتهى كل شيء بوقاة الإنسان وينمحي أثره فلا حساب ولا عقاب ، يستوى المصلح والمفسد ، والعامل على إحياء الرذيلة مع الخير المتمسك بأهداب الفضيلة ؟ هل يستوى الحاكم الظالم المنغمس في شهواته وملذاته ، المستهتر بأرزاق الناس وأعراضهم وحررياتهم لا يعنيه إلا أن يكون السيد المطاع ، سواء أكانت الطاعة خوفا من جوره ، أو اتقاء لبطشه وظله أم اقتيادا له وحبا لعدله ، هل يستوى هذا وذلك مع الصالحين أعمالا المتفانين في أداء الواجب ، وإعطاء كل ذي حق حقه ؟ وهل بانتهاء حياة الفرد انتهى كل شيء وزال حق المظلوم وقاز الظالم بما اقترفت يده ١٤ .

وهل يقبل العقل أن يكون مصير الجنس البشرى الذى عمر الأرض واكتشف بعض ما فيها من نعم وما فى الكون من أسرار ، دافعا إلى الأبد دون رجعة أو جزاء ؟ هل يقبل العقل هذا أم يرى أنه لا بد من عالم آخر توفى فيه كل نفس ما كسبت يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، وما عملت من سوء ... لا شك أن العقل يتجه إلى أن الموت يخفى من وراءه شيئا آخر ، وأن الروح إنما تنتقل من وجود إلى وجود ، فمن يعمل

التشريع بذاته ، وبالجملة فهو متفق فى أحكامه مع قانون الأخلاق ومتصل بالضمير الإنسانى اتصالا وثيقا ، أما التشريع الوضعى فيغلب على طابعه الناحية السلبية فقط إذ يعنى فى الغالب ببدء الفساد والنهى عن الأدنى .

سأبما : التشريع السماوى فوق ذلك تشريع رادع له من القوة والبطش ما لا يمكن أن يكون لغيره ، إذ أن كل من يؤمن بالأديان السماوية يؤمن بالبعث والحساب ، وهذا حق لا شك فيه ، وقد اهتمت تفكير البشر إلى الحياة الآخرة من قديم الزمن ، وكان المصريون القدماء هم أسبق الأمم إلى معرفة هذا والتنبيه به ، فمن نحو ستة آلاف سنة تقريبا كان أساس العبادة أن كل إنسان مسئول بعد الموت عن أعماله فى الدنيا أمام محكمة إلهية ، ثم بعد ذلك بأكثر من ألف سنة هرب السكندانيون شيئا عن الآخرة ، ومن بعدهم الفرس والإغريق والرومان ، حتى الهندوكيون والبوذيون فإنهم يؤمنون بأن الروح تنتهى أخيرا إلى وجود آخر .

والعقل يقبل هذا ويستسيغه ، فالفرد يقضى فترة فى الدنيا يعمل فيها ما توجهه إليه مواهبه ورغباته ، ثم يمضى من الحياة تاركا وراءه أعمالا وآمالا وخطايا فهم المحب ، وفهم المبغض ، ويزول الإنسان من الوجود ونبقى ذكراء وأعماله ، ومنها ما هو ظاهر

الوضعي له اتجاه إلى هدف واحد هو تنظيم الروابط الاجتماعية بين الناس ، أما الشرائع السبؤية فهي توفى في الإنسان الضمير وتدحل بين الإنسان وقسه وبينه وبين خالقه ، وتوجهه في مجوعها توجيهاً محموداً في صلاته بالناس ، هذا التشريع الإسلامي وهو عاتم الشرائع السبؤية يهدف إلى أمرين : —

تنظيم رابطة الإنسان بربه ، وتنظيم رابطة الناس بعضهم ببعض ، وهذا مبنى على أن كال ربط مصالح الناس ببعض يكون بتنظيم صلاتهم بالرب ، وأن القوانين التي تنظم أمور الناس لا توصل إلى كال المقصود إلا إذا سايرتها قوانين تنظم رابطة الإنسان بربه كما أنه مبنى أيضاً على أن للإنسان حياة في الدنيا وحياة في الآخرة . ولذا فإنه من أحكاما تتعلق بالعبادات ولا نظير لها في التشريع الوضعي ، وأنه وضع لكل منها حكماً على الصورة الظاهرة وهو ما يحكم به القاضي نتيجة إقرار أو بينة أو قرائن ، وحكام آخر من جهة وصف الشرع للمسألة فيما لنية الشخص التي يطلبها الله وهو حكم أخروي . وفوق ذلك فالتشريع السبؤي تشريع إلهي بمصادره وأحكامه الأولى ، بينما التشريع الوضعي يستمد أحكامه من سلطة الدولة التي تسمه وتمده وتلقيه حسب الظروف وقد يتحكم في هذا القرض والمهى .

مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

فالإنسان مع هذا إن استطاع أن يتنكر لجرمته ويتصل من عقاب الدنيا فلن يستطيع ذلك في الآخرة . اقرأ كتابك كنى بنفسك اليوم عليك حسياً .

وبذا تكون أحكام الشرائع السبؤية رادعة قوية يضاهها الإنسان في السر والعلانية ، ولا يستطيع أن يهرب منها أو يمتل عليها ، ولا معر للؤمن بالله من طاعتها . — يحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من مئى مئى ، ثم كفن نطفة مخلوق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ۚ

يق أن نقول : إن التشريع السبؤي شجع على الطاعة وبشر الصالحين أعمالاً ووعدهم باثواب ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لم أجرم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وفى هذا من الحث على الطاعة والتحذير من الآثام ما فيه ؛ لأن المطيع سوف لا يتخلص من عقاب العصيان فقط ، بل سيأخذ أجراً على طاعته . . . فتشريع يكافئ المطيع أولى بالاتباع من تشريع يقول للحسن : لا فضل ولا أجر على ما أدبت من واجب .

ينتج من هذه الموازنة والمقابلة : أن التشريع

والإسلام لم يفصل بين الدين والدنيا . وإنما جمع بين الروحانيات والماديات وجعل الأول طريقاً للثانية . فساكت العبادات في الإسلام مجرد شعائر وطقوس آلية ، وإنما جاءت لتتقرب بها إلى الله ، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر والبغى ، واعتبر الإسلام كل عمل من أعمال الخير فيه عبادة ، فقد ربط الإسلام بين الدين والدنيا وبين العبادات والمعاملات . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض . . . ومن منا صدق فيما لطيفة الإسلام من محمد بن عبد الله الذي قال : (الساعى على الأرملة والمسكين كالغماهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار) ، ويقول في الحديث على العمل : (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه) وقال : (طلب الكسب بعد الصلاة المكتوبة هي الفريضة بعد الفريضة) .

ولقد قال عمر بن الخطاب : أسلموا أموالكم التي رزقكم الله ، واقليل في رفق خير من كثير في عنف ، من له مال فليصلحه ، ومن كانت له أرض فليعمرها ، ولا تؤخروا عمل اليوم إلى الغد فإنكم إن فصلتم ذلك تذهب عليكم الأعمال فلا تدرون بأيتها تبدون ولا مأيا تأخذون .

ما قدمناه هو عرض موجز سريع لمميزات الشرائع السماوية ووجوب اتباعها والاحتكام إليها ، وأحق هذه الشرائع بالاتباع هو الإسلام ؛ لأنه غاتم الشرائع وأعماها ، وهو فوق كونه ديناً يتعبد به فقد جاء وافيًا بحاجة الناس أفراداً وجماعات ، عادلاً سهلاً من غير إفراط ولا تفريط ، لا كهانة فيه ولا وساطة بين الخلق والخالق ، فكل مسلم في أطراف الأرض ، وفي لجج البحر يستطيع بمفرده أن يصل بالله ، وهو فوق هذا أبدى صلاح لكل زمان ومكان يقول الله تعالى : وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً . . . وقل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ، . . . تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، ويقول : وما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، ويقول عليه السلام : « بعثت إلى الناس كافة إلى الأحمر والأسود ، وقد أرسل فعلا دعوته إلى أمبراطور الروم وملك الفرس وحاكم مصر ، وملك الحبشة وملك اليمن ونجاشي الحبشة ، لقد كان الرسول حكيماً في مسلكه ؛ لأن الحاكم أو الزعيم إذا قبل الدعوة لنفسه فإنها تنجب رواجاً في منطقة نفوذه لأنها تأمن بمصادرة السلطان ، فوق سهولة أخذ الناس بها من بعده وما دفع الرسول إلى هذا إلا ثقة من قوة رسالته ، وأنها دعوة الحق ، وأنه يبلغ ما أنزل إليه من ربه .

فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها
وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء
رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها ، ولعل
هذا يفيد أن الأصل في الأشياء الإباحة
ولا يحرم إلا ما ورد نص بتحريمه .

كما روعي في التشريع الإسلامي مسأسته
لصالح الناس فقد شرع الله بعض الأحكام
ثم أبطلها ونسخها لما اقتضت المصلحة هذا
التبديل ، ولما كانت مراعاة مصالح الناس في
أموالهم معاملاتهم المالية أساساً في التشريع
الإسلامي بدليل توسع الشارع في بيان عللها
ليدور بالحكم مع علته وجوداً وعندما ،
ولينهنا إلى أن نسلك هذا الطريق ، ونسير
بمعاملتنا في وادى المصالح ولا نجهد على ما قد
يكون روعي فيه مصلحة خاصة ومطابقة خاصة
وإقليم خاص .

ولما كان المسلمون في كل لجاج الأرض
مخاطبين بالشريعة لزم أن يكون التشريع قد
راعى مصالحهم رغم اختلاف أجناسهم ، فإن
تضاربت هذه المصالح ، وكان أساس تحقق
بعض المصالح الإضرار بالخير لوحظ تقديم
المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، ودفع
الضرر الأكبر بالضرر الأدنى .

من أجل هذا نجد القرآن وإن فصل أحكام
العبادات وما يتعلق بنظام الأسرة فإنه لم
يتناول بالتفصيل أحكام المعاملات المالية
والبنائيات وما يتعلق بالقضاء وعلاقات

وقد مر عمر على قوم من القراء فرآهم
جلوساً ناكس رؤوسهم فقال : من هؤلاء ؟
فقالوا : هم المتركون . فقال كذبوا هم
المشاكرون يأكلون أموال الناس . إنما المتوكل
رجل ألقى حبه في التراب وتوكل على رب
الأرباب ثم قال : يا معشر القراء ارفسوا
رؤوسكم واكتبوا لأنفسكم . وقال : لأن
أموت وأنا أضرب في الأرض أبني من
فضل الله أحب إلى من أقتل بجاهداً في سبيل الله ،
يقول الله : « وآخرون يضربون في الأرض
يبتغون من فضل الله ، من هذا بين الإسلام
يدعو إلى العمل والكساح ويحارب البطالة
والكل ، ويهدف إلى التسامح والمساواة
والحرية ، جاء يخاطب العقل ، ويعلم علم
الواسطة بين الخلق والخائق ، قد أحاط العقيدة
بالأخلاق الفاضلة المهيبة للنفس ، وآخى بين
الدين والدنيا أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر
جاعلاً للشورى أساس الحكم في الإسلام
والشاهد الذي لا ينكره حتى الجاحد المنفرض
أن التشريع الإسلامي إذا حسنت الدعوة إليه
جذب الناس إليه بسرعة خاطفة ، وتقبله
الناس باطمئنان وبر ، وما ذلك إلا لأنه
قائم على دعائم وأسس متينة فقد يسر على
الناس ونفى الحرج عنهم . » يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر ، وروعي فيه قلة التكاليف
كي لا يرمق كاهل الناس ، ويسهل عليهم أمثالها
يقول عليه السلام : « إن الله فرض فرائض

من العلماء ، ويسترشدون بها لتعرف حكم كل ما يقع ويحدث .

ومع هذا فتشريعنا بمحمد الله غنى بمصادره المرة ، ومنها الإجماع والقياس وهما ينبوع القوة التي تجعل الفقه الإسلامى يتحرك ويتطور بكل حرية ، ومنه اعتبار ما نعارف عليه الناس إذا أعوزنا النص من الكتاب والسنة ، ولا خير من اختلاف الحكم الذى يفتى على العرف تبعاً لاختلاف العرف فى البيئات المتباينة بل فيه ما يدل على قوة التشريع واتساع أفقه وصلاحيته لتطبيق دائماً ، كما أن هناك الاستحسان والمصالح المرسلة وكلاهما فيه سر ورحمة .

من كل هذا يبين لنا مقدار حاجة البشرية إلى الشرائع السابوية ، وأن التشريع الإسلامى حاتم الشرائع وأعمها وأقدرها على رعاية مصالح الناس ومسايرة أحوالهم ، وأنه أفضل قانون ينظم حياة المجتمع الإنسانى بما فى أحكامه من قوة وبطش ، وسعة وسر . وقد كانت الأمة الإسلامية أقوى الأمم وأرقاها حينما كانت أحكام الإسلام هى السائدة ، وحينما أخلص المسلمون لدينهم وتعلقوا به . وإنا لنسأل الله أن يرشدنا إلى فهم الإسلام الفهم الحق ، ويوفقنا للإخلاص له والدعوة إليه ، اللهم جنبنا الزلل واهدنا إلى طريقك الحق المستقيم .

محمد سليم عكور

أستاذ العمادة بكلية حقوق القاهرة

الدولة الإسلامية بنيرها فى السلم والحرب ، وما شابه ذلك مما يتغير بتطور البيئة ، وإنما حل عليها بوجه عام حتى يكون ولاية الأمر فى كل عصر فى سعة من أن يفصلوا قوانينهم فيها حسب مصالحهم فى حدود أسس القرآن من غير اصطدام بحكم جرتى .

والتشريع الإسلامى وإن كان لم يتناول أكثر الأحكام العممية بالتفصيل وإنما أشار إليها وبين أسسها وقواعدها إلا أنه لم يترك ناحية من النواحي التى نهم البشر وتنظم حياتهم إلا وجاء بها فقد تناول الأحكام الاقتصادية وجاء بمبدأ التوحيد : « قل هو الله أحد ... » كما تناول الأحكام الخلقية لحارب الفوارق بين الناس إلا فى طاعة الله ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وبمبدأ لئيم مكارم الأخلاق ، كما تناول أحكام العبادات وأحاط بكل الأقسام فى القانون العام الخارجى والداخلى والخاص بنوعيه أيضاً .

وقد انعقد إجماع الفقهاء رغم اختلاف مذاهبهم على أن الشريعة الإسلامية حكا فى كل فعل يصدر من الإنسان وهذه الأحكام بعضها ييتها نصوص القرآن والسنة لحوادث وخصوصات اقتضت بيان أحكامها حين وقوعها وبعضها لم تتيه تلك النصوص ، وإنما قامت عليها الدلائل لتظهر أحكامها وتبينها حين الحاجة فيهدى بها أهل الذكر

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

- ٢ -

لو جعله قراضا، فقال عمر : قد جعله قراضا
فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه ، وأخذ
عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب
نصف ربح المال .

...

اتصلت هذه القصة بفقه عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ؛ لما ورد في آخرها من قضائه
بأن يكون مال الدولة الذي حمله إليه ولداه :
عبد الله ، وعبيد الله قراضا : للدولة نصف
ربحه ، ولهما النصف .

وفي هذه القصة جوانب من الفقه :

الأول : أن أبا موسى أمير البصرة أراد
أن يكرم عبد الله وعبيد الله ، ففكر في
الوسيلة التي يتوصل بها إلى هذا الإكرام .
فرأى أن يتفقهما نقدا ماليا .

ولما اتجه إلى إكرامهما لمعنى شريف
يصح أن يقصده ولي الأمر ، ذلك هو أن
عبد الله وعبيد الله كانا في أمر متصل بصلاح
المسلمين ، إذ كانا جنديين في جيش بالعراق ،
فلا انتهى عملهما وقتلا واجمين ؛ كان من

حدث مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه قال :
« خرج عبد الله ، وعبيد الله ، ابنا عمر
ابن الخطاب ، في جيش إلى العراق ، فلما
قفلوا مرا على أبي موسى الأشعري ، وهو
أمير البصرة ، فرحب بهما وسهل ، ثم قال :
لو أقدر لكما على أمر أتفقكما به لعلت ،
ثم قال : بل ههنا مال من مال الله أريد أن
أبسط به إلى أمير المؤمنين ، فأسلفكما فتباعان
به متاعا من متاع العراق ثم نعيما به بالمدينة
فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون
الربح لكما ، فقالا : وددنا ذلك ؛ ففصل
وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما
المال ، فلما قدما بأما فأربحا ، فلما دفعا ذلك
إلى عمر قال : أكل الجيش أسلفه مثل ما
أسلفكما ؟ قالوا : لا ، فقال عمر بن الخطاب :
ابنا أمير المؤمنين فأسلفكما أدبا المال وربحه ؛
فأما عبد الله فسكت ، وأما عبيد الله فقال :
ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا ، لو قصص
المال أو هلك لضمناه ، فقال عمر : أدباه ؛
فسكت عبد الله ، وراجعه عبيد الله ، فقال
رجل من جلساء عمر : يا أمير المؤمنين

الذي أملاه ، ولم يجد في ذلك العرض ولا في هذا القبول ما ينأى المصلحة العامة أو يكون شبهة عليهما .

وهذا يعطينا فكرة صالحة في السياسة الحكيمة ، وهي أنه لا مانع عند حسن القصد ونبل الغاية من أن يكرم من يستحق التكريم بما لا ضرر فيه على الصالح العام .

هذا هو التحليل الصحيح لموقف أبي موسى وموقف عبد الله وعبيد الله .

أما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فقد نظر إلى الأمر من زاوية أخرى فوق موقف المتشدد المتحفظ ، وهو تحقيق بهذا الموقف كرئيس عام للدولة ، يرى من واجبه أن ينأى بنفسه وبولديه عن كل شبهة ، ويرفع بسمعته وسمعتهما عن كل مقال ، ولقد كان صريحاً في الإعراب عن ذلك ، إذ قال لابنيه مقرراً إياهما بما يعرف : « أكل الجيش أسلفه مثل ما أسلفكما » ، فلما أجاباه بالنفي قال : « ابنا أمير المؤمنين فأسلفكما ! أديا المال ورجعه ! » . وإنما أراد بذلك أن يبين لابنيه مظهر المحاباة في فعل أبي موسى كما لعله يرد على خواطر من يريدون النقد ، ولا يحسنون الظن ، وهو في الواقع يعرف حسن نية أبي موسى ، وحسن نية ابنه ، غير أنه كان شديد التورع في كل ما يتصل بنفسه

الطبيعي أن ينظر إليهما الأمير نظرة الرضا والإعجاب بما قاما به من خدمة عامة للمسلمين ، فإذا انضم إلى ذلك أنهما شخصتان لامعتان بإلمامهما من العلم والفضل والتبريز ؛ ظهر المعنى النفسى الذى سيطر على الأمير ووجهه إلى الترحيب بهما والتفكير في تكريمهما ، وتدير الوسيلة إلى تحقيق هذا التكريم .

وهذا الصنيع من أبي موسى لا ينبغي أن يحمل على الرغبة في إثارتها بالنفع ؛ تقريباً لهما أو لإيهما ، فما كان أبو موسى بالذى يقصد إلى ذلك وهو الصالح الجليل ولكنه أمير تصرف في بساطة وسماحة ؛ لأنه لا يمانى أية عقدة نفسية تجعله يتردد فيما فصل ، أو يخشى أن يؤول صنيعه تأويلاً سيئاً ، ومما يدل على ذلك ، وعلى أن الأمر قد أخذ بروح السباحة واليسر أن عبد الله وعبيد الله لم يترددا في قبول ما عرض عليهما أبو موسى بل قالوا في صراحة ودعاً ذلك ، فإذا عرفنا سيرتهما ، وأنهما كانا من الورع والتقوى بمكان عظيم ، وأن كلا منهما كان من المثل القوية للشباب الغف الذى المجاهد المضى في عهد الإسلام الأول ؛ كان لنا أن ننظر إلى الأمر من ناحيته السهلة النظرية : أمير أراد أن يكرم شابين أبلياً بلاء حسناً في خدمة المسلمين ، فعرض عليهما أمراً لا يضر بالصالح العام ، وفيه نفع لهما ، فقبلاه بالروح

هذا هو ما يستخلص من تلك القصة ،
أو بعض ما يستخلص منها ، من دققة الأدب ،
أو من دأب الفقه .

ويبقى بعد ذلك ما يستخلص منها من فقه
الاحكام ، وذلك هو الجانب الثاني من
الجوانب الفقهية في هذه القصة :

فن ذلك أن يقال : ما هو التكليف الفقهي
لصنيع أبي موسى مع عبد الله وعبيد الله ؟
هل أراد بذلك إحراز المال في ذمتها هل
أنه وديعة وأمانة ؟ أو أراد منعهما
بالسلف ؟

فإذا قلنا بالأول كان من مقتضاه أنه لو ضاع
المال وهلك لما كانا ضامنين ؛ لأن المودع
أمين فلا ضمان عليه .

وإذا قلنا بالثاني كان من مقتضاه أنهما
ضامنان .

والواقع أن الصورة القانونية أو الفقهية
لهذا الصنيع إنما هي صورة سلف أريد به
منفعة المسلف ، وقد صرحنا الرواية بذلك
حيث يقول لها أبو موسى : « فألسفكاه
فتبتان به متاعا . الخ » . وقواعد الشريعة
تفرق بين السلف الذي يقصد به منفعة
المسلف ، والسلف الذي يقصد به منفعة
المسلف ، فالأول غير جائز ، والثاني جائز .

أو أهله ، لمكانه من رياسة الدولة ، ولذلك
كان يقسم لعبد الله بن عمر أقل مما يقسم لغيره
من المهاجرين الأولين ، وكان يعطى خمسة
أبنته مما يصلح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
آخر من يعطى ، فإن كان نقصان في حبتها ،
وما عرف عنه أنه خص نفسه أو أحدا
من أهل بيته أو ممن يقتضى إياها بمنعة
من مال الله .

وهذا يتبين أن موقف عمر كخليفة
ورئيس عام للدولة بحمد له ، كما أن موقف
أبي موسى وصاحبه موقف لا يذم .

وقد كان لكل من هذين الولدين الصالحين
موقف من أيه عند ما طالهما بالمال وربحه
فأما عبد الله فسكت وأمسك عن مراجعة
أيه برأيه واتباعا لمراحه ،
وقد جرى في ذلك على طبيعته وخلقه المعروف
عنه من عدم المشاحة ، ومن إثارة التي هي
أقرب إلى المودة والسلام ، وأما عبيد الله
فراجع أباه طلبا لحقه ، واحتج عليه بأن قال :
هذا مال قد ضمتناه ولو دخله نقص لجبرناه .

وكلاهما موقف مقبول من صاحبه ،
لعبد الله بمدح لأدبه وبره ، وعبيد الله لا يذم
هل استسما كما يحقه ، ودفاعا بالحجة عما
استباحه لنفسه ، بل لعله أولى بالمدح
من أخيه ؛ لأنه جمع الشجاعة والأدب
والاستمسك بالحق .

ويتصل بهذا مسألة تعرف عند الفقهاء ،
بمسألة « السفاح » لها شبه بمعاملات تقع
في عصرنا :

والسفاح جمع « سفحة » وهي أن تعطى
مالاً لرجل فيعطيك سكا يمكنك من استرداد
ذلك المال من عميل له ، أو منه هو ، في
مكان آخر ، وهي تشبه ما تدفعه تاجر في
القاهرة لتأخذه منه أو من عميل له في سوريا
أو في لندن مثلاً .

وقد نظر المالكية في هذا اللون من
التعامل فقالوا : إن كان قد أسلفه المال مقصداً
الاتناع من ذلك لنفسه بإحراز المال في
دمة المتسلف إلى بلد القضاء ، فالشهود من
المذهب أن ذلك غير جائز ، وروى
أبو الفرج جواز السفاح ، قال الباجي في
شرح الموطأ : ولعله أراد ما لم يقصد المسلف
منفعة نفسه ، والأظهر منها إذا قصد ذلك .

والذي أراه أن مجرد قصد المسلف أن
يجرد ماله إلى بلد القضاء ليس هو السر في
تحريم هذه المعاملة ؛ لأن مجرد هذا القصد
ليس منافياً لأصل في الشريعة ، بل هو موافق
لما تقرره فيها من أن للإنسان أن يعمل على
الحفاظ على ماله ، فإذا كنت في بلد ما ،
ومعى مال ، وقد خشيت أن يضيع مني هذا
المال إذا سافرت به ، فلي أن أعطيه لشخص

إنما السر في هذا التحريم هو ما يصحب
هذه المعاملة من خصم شيء من هذا المال في
ظهير الضمان ، فهو من باب الضمان بأجر
ويسميه الفقهاء « الضمان بجعل » ، والشريعة
لا تأذن به ؛ لأنه من باب أكل أموال الناس
بالباطل ، وهو يؤدي إلى قيام فريق من
الناس لا كسب له إلا عن طريق جله
أو قوته أو حيلته أو قدرته على التهريب
أو نحو ذلك .

ولهذا ينبغي أن يكون التعليل لما رواه
أبو الفرج من جواز السفاح ، عكس ما قاله
الباجي ، فيقال : لعله أراد ما لم يقصد المتسلف
منفعة نفسه بإسقاط بعض ما تسلفه عند القضاء
لأنه حينئذ غير متسلف في الحقيقة ، بل هو
ضامن بجعل .

وبعض الفقهاء يكتف صنيع أبي موسى على
وجه آخر فيقول : إن أبا موسى إما أن يعتبر
في هذا الصنيع أميراً رأى أن ينفع بشيء من
مال الدولة بعض أبناء الدولة أو أبناء الشعب ،
وحينئذ يكون متمسكاً في هذا المال بحكم
الولاية عليه ، فلو فقد المال ولم يكن عند
عبد الله وعبيد الله ما يوفى به لما حمله أبو
موسى ، وإما أن يكون أبو موسى قد تصرف

الربح كله له ولا غيره، ولكنه قبل الرأى الذى أشار به أحد جلسائه لجمعه « قراضا » وهو نوع من الشراكة يكون المال فيه لأحد الشريكين والعمل من الثاني .

وبذلك توسط عمر ، كأنما استقر نظره على أن ابنه عملا في هذا المال بوجه مشروع ، وعلى وجه يعتقدان فيه الصحة دون أن يطلعا بذلك مقصودا لمن يملكه ، فلم يكن أن يطل عليهما علمهما ، فردهما إلى قراض المثل بالنصف وهو أن يكون الربح بين صاحب المال ، وصاحب العمل نصفين .

ومن المعروف عن عمر أنه كان يقضى بمشاطرة عماله في أموالهم ، ونظرته في ذلك قريبة من نظره هنا ، ولذلك كان الحكم واحدا ، فإن أمرهم دائر بين أن يكونوا قد تمحروا أموالهم بجهودهم الشخصية ، فكانت لهم إبل أو غنم أو أفراس نتجت مثلا ، أو يكونوا قد تمحروا هذه الأموال معتمدين على جلعهم في العمل والولاية ، فلم يحكم بتجريدكم من جميع المال ، ولم يتركه كله لهم ، ولكن توسط قرك لم نصفه ، وأخذ للدولة نصفه .

وينبى أن يفهم أن هذا إنجاز لرئيس الدولة ، فإتاما يجوز له إثارة للصلحة العامة عند الإشتباه ، ولو أن عمر كان شخصا عاديا

هذا التصرف باعتباره الشخصى ففسلف المال ثم أسلفهما لإياه ، وحيث يكون متضامنا معهما فيما لو حلك .

ونظرة عمر تدل على أنه خرج صنيع أبى موسى عن التكليف الأول ، لا على الثاني ، لأنه تعقب فعله على أساس أن هذا المال بقيت له صفة أنه مال للدولة ، فطالب به وربحه ، فكأنه قال لابنيه : إن هذا المال على وصفه الأول : « مال الله » ، فلم يتغير عنه هذا الوصف ، وإن فرجه لا حق به كالشجرة تلحق بها ثمرتها ، أو كالشاة يلحق بها صولها ، وإن فليكما أن ترداه إلى مع ربحه .

أما نظرة ابنه عبيد الله فليس فيها إقرار لنظرة عمر ، ولذلك يقول له : ما ينبى لك يا أمير المؤمنين هذا ، لو قصص المال أو حلك لضنائه ، وهو يقصد لضنت أنا وأخى ولكان أبو موسى متضامنا لنا ، فليس للدولة إذن إلا أصل المال ، وليس لها حق في ربحه ، وإنما الربح تابع للمخاطرة ، والمضمون لا مخاطرة فيه ، أو كما يقول الفقهاء « الخراج بالضمان » .

ويتبين من هذا كله أن المسألة كانت ذات وجهين ، أو تحتمل احتمالين .

ولذلك لم يشتمك عمر برأيه في أخذ المال كله ، ولم يرض بما طالبه به ابنه من ترك

الأوطار : (١) :

« هذه الآثار تدل على أن المضاربة كان الصحابة يتعاملون بها من غير نكير ، فكان ذلك إجماعاً منهم على الجواز ، وليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما أخرجه ابن ماجة من حديث صحيح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث فيمن البركة : البيع إلى أجل ، والمقارعة ، وإخلاط البر بالتمير لبيت لا للبيع » . لكن في إسناده فخر بن القاسم عن عبد الرحيم بن داود ، وهما مجهولان » ، « وقال ابن حزم في مراتب الإجماع ، كل أبواب الفقه كلها أصل من الكتاب والسنة حاشا القراض ، فما وجدناه أصلاً فيهما البتة ، ولكنه إجماع صحيح محرم . وهذا مثل لما قلناه في بحث سابق من أن المعاملة يكنى في جوازها عدم ورود النص بالتحريم لها »

محمد محمد المدني

عميد كلية الشريعة

ليس له صلة بالدولة لما كان له أن يشاطر أو يقاسم ، أو يحكم له بذلك ؛ لأنه حيث لا يكون إثباتاً له بحال لم يقيم دليل على استحقاقه إياه ، وإنما قامت شبهة على ذلك فقط ، والأموال لا تفرع من أيدي أصحابها وتمطى لغهرهم بمجرد الاشتباه .

• • •

وقد بقي بعد ذلك جانب من الجوانب للفقهاء التي تثيرها هذه القضية :

ذلك أنها تضمنت إباحة القراض ، وهو تلك المعاملة التي تقوم على أساس المشاركة بين رأس المال والعمل ، وأهل العراق يسمونها المضاربة أما تسميتها بالقراض فهو لغة أهل الحجاز ، وسر التسمية بهذا وذلك مذكورة في كتب الفقه .

والذي يهمنا ذكره هنا هو أن العلماء يجمعون على أن تلك المعاملة لا تستند إلى نص مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما أجازت ؛ لأنها كانت معاملة معروفة فتعامل بها الصحابة فكان ذلك إجماعاً منهم على صحة التعامل بها .

وفي ذلك يقول الشوكاني في كتابه : نيل

[١] ص ٢٦٧ ج ٥ طبعة المطبعة الثمانية المصرية سنة ١٣٥٧ هـ .

ذو القرنين في القرآن والتاريخ

للاستاذ نورالحق تنوير

- دار نقاش على صفحات جريدة الأخبار
القراء بين الأستاذين المقاد والفزالي . فنفى
الأستاذ المقاد الرأي الذي ذهب إليه عامة
المفسرين من أن يكون الإسكندر المقدوني
هو المقصود بذى القرنين الذي ورد ذكره
في سورة الكهف . وتابع الأستاذ الفزالي
رأي المفسرين . (أخبار اليوم الصادر
في ٢٠ فبراير و ٢ مارس سنة ١٩٥٩ م) .
- لقد استهل القرآن المجيد الحديث عن
ذى القرنين بقوله : (ويسألونك عن ذى القرنين
قل سأتلو عليكم منه ذكراً ...) ويتضح
من ذلك أن السؤال كان موجهاً إلى محمد صلى
الله عليه وسلم . وأجمعت المصادر المختلفة
أن أصحاب السؤال كانوا من اليهود ، ومن
البدهي ألا يكون سؤالهم إلا عن رجل له أثر
عظيم في تاريخهم .
- ولكن يمكن القطع برأي في شخصية ذى
القرنين بمجردنا أن نذكر أولاً الأوصاف
التي نمت بها القرآن الكريم ، ومدى إعطائها
على أي من الشخصيات التاريخية التي يهتم
اليهود أمرها .
- وصف القرآن المجيد ذا القرنين بالصفات
التالية :
١ — كان ملهماً من الله تعالى ويحظى
بالرؤيا الصادقة .
٢ — كان فاتحاً عظيماً إذ خرج من وطنه
وغزا الأراضى غرباً حتى وصل إلى عين حمة
حيث كانت الشمس تغرب من وراءها .
٣ — اتجه شرقاً وفتح بعض البلدان .
٤ — ثم ركز سيره إلى المنطقة التي كانت
معرضة لهجمات وأقام سداً تلبية لطلب الأهالي
ليصد عنهم هجمات المغيرين ، يأجوج ومأجوج ،
فهل هذه الصفات كلها تنطبق على الإسكندر
المقدوني وبخاصة صفة الإلهام من الله تعالى
أو الرؤيا الصادقة ، والقبولية عند الله ،
طبعاً لا ، كما قرر ذلك الأستاذ عباس المقاد .
فن هو إذن ذو القرنين ١١٩ ثم إذا أنعمنا
النظر في التاريخ نجد أن هذه الأوصاف تنطبق
على أحد ملوك فارس — واسمه بالفارسية :
«خوردس» ، وبالعربية «قورش» ، أو «كورش»
(Cyrus) .

وأحقاء ملوك وأهل ، لافتح أمامه المعمرين
والأبواب لا تغلق ، أنا أسير قدامك
والهضاب أمهد ، أكرم مصرامى النحاس
ومغاليق الحديد أقصف ، وأصطيك ذخائر
الظلة وكنوز الخافي لكي تعرف أنى أنا
الرب الذى يدعوك باسمك إله إسرائيل لأجل
عبدى يعقوب . وإسرائيل عتارى ، دهوتك
باسمك ، لقبتك وأنت لست تعرفنى ،
(إصحاح ٥ : الفقرة من ١ إلى ٥) .

ومن هذا يتجلى بوضوح أن قورش كان قد
بورك من الله تعالى ولذا سمي بالمسيح ثم نجد
أن ما أوتى من الملك والسطان كان من فضل
الله لحسب . وهذا الوصف ينطبق على ما جاء
بالقرآن الكريم فى حق ذى القرنين . ولما
مكناله فى الأرض وأتينا من كل شيء .
سبيا . كذلك ورد فى سفر أشعيا : أنا
أسير قدامك والهضاب أمهد ، مما يشير إلى
أسفاره الطويلة ، وهو ما يؤكد القرآن
الكريم ، ثم نقرأ فى الإلهام أشعيا ، أنى أنا
الرب الذى يدعوك ، باسمك إله إسرائيل
وهذا يطابق عبارة القرآن الكريم : قلنا
يا ذا القرنين ، ثم جاء فى هذا الإلهام : لقبتك
وأنت لست تعرفنى ، وفى ذلك إشارة إلى
أن ذا القرنين ، ما كان يعبد الله حسب أسمائه
وصفائه التى وردت فى التوراة ، بل كان يعبد
بأسماء أخرى وهذا ثابت من التاريخ إذ أن

هذا ويساعدنا سفر دانيال من التوراة فى
تعيين هذه الشخصية إلى حد كبير . إذ جاء
فى الإصحاح الثامن الفقرة ٣ - ٥ . ورايت
فى الرؤيا وأنا عند نهر أولاي فرفعت عيني
ورأيت ، وإذا بكبش واقف عند النهر وله
قرنان ، والقرنان طاليان ، والواحد أعلى من
الآخر . وللأعلى طالع أعجمي . رأيت
الكبش ينطح غربا وشمالا وجنوبا فلم يقف
حيوان قدامه ، ولا منقذ من يده ، وفعل
كمرضاته وعظم ، ثم يفسر دانيال هذه الرؤيا
فى الفقرة العشرين من نفس الإصحاح حيث
يقول : أما الكبش الذى رأيت ذا القرنين
فهو ملك مادي وفارس .

ومن هذا نفهم أن المراد من ذى القرنين
أحد ملوك مادي ، أى : مبديا ، و : فارس ،
حسبما ذكر فى رؤيا دانيال .

وبقى علينا أن نبحث عن ينطبق عليه
الوصف القرآنى من بين هؤلاء الملوك ١١ .

أولا : نجد أن أول وصف فى القرآن
ينطبق على قورش ، (٥٥٣ - ٥٢٨ قبل
الميلاد) إذ أنه كان يحظى بالإلهام ويتمتع
بسمة طيبة وكان متمسكا بالورع والتقوى
كما روى عن بعض الأنبياء فقد جاء فى سفر
أشعيا : هكذا يقول الرب لمسيحه ، لكورش
الذى أمسكت يمينه لأدوم أمامه أما ،

حديثة ، بل منهم من كان يعد عنه عدة شهور ومن هؤلاء الناس من لم يروه . بل ومنهم من كانوا على يقين من أنهم لن يروه ، ومع ذلك فقد كانوا يسارعون إلى الخضوع لسلطانه وذلك لأنه يز جميع الملوك الآخرين ، كما يز أولئك الذين ورثوا السلطان عن آبائهم ، أو نالوه بمجهودهم .

وبعد ما عدد أجزونوفون البلاد التي سيطر عليها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا قال : « لقد كان بمقدوره أن ييث في الآخرين شدة الرغبة في إرضائه ، حتى أنهم ليسفون أن يظفلسوا بحكومين بأفكاره ... » (صفحة ٥٩٦-٥٩٧ ، من المجلد الثاني من كتابه المذكور) .

هذا وقد ساق نفس المرجع الآراء الحديثة عن قورش . والتي نعملها فيما يلي : « إذا عد قورش عظيما فذلك لأنه أحرز انتصارات لم يسمع بها من قبل بواسطة وسائل لا يؤبه لها ، ولقد كان عظيما أيضا إذا ما قدرنا أن الحرب في سبيل العدالة تعد من العظمة حتى لو أدت إلى الهزيمة فضلا عن ذلك فقد علا إلى أوج مدارج الإنسانية إذ لم يطلع درعه بقطرة دماء سفكت بوحشية أو أريققت لدافع الانتقام الخفيف أو القسوة كشأن قتال ابن أويجب - الإسكندر - المشينة كما عفا عر أعدائه المهزومين ووهب لهم

قورش كالف من متبعي ذرائعت ، ومن المعلوم أن الديانة الزرادشتية أقرب إلى الإسلام من الديانات الأخرى فيما يتعلق بالإيمان بالبعث ويوم القيامة .

ومن الناحية التاريخية نجد ذكر قورش مدفوعا بالحبير والمعرفة ، وأنه كان محبوبا من رعاياه وأعدائه على السواء ، وكان عندما يغزو أى بلد من البلاد فإن أهل ذلك البلد كانوا يفتحون له الأبواب لسمعه الطيبة وتمسكه بالعدل ، فإلى جانب ما سبق من بيان مقامه في التوراة فلنخص ما رأى التاريخ فيه وما ذكره عن أخلاقه الحسنة وسيرته الطيبة نقلا عن كتاب :

(Historians history of the world)
قال أجزونوفون : « لقد فكرت ذات مرة . وخطر لي أن من السهل السيطرة على أى نوع من المخلوقات عدا الإنسان ، ولكن عند ما تدبرت أمر قورش الذى حصل كثيرا من الناس والمدائن والشعوب يدينون له بالطاعة اضطرت عندئذ إلى أن أعدل عن وجهة نظرى ، وأن أرى أن حكم الناس ليس من الأمور المستحيلة بل وليس من الأمور الصعبة إذا ما مارس الإنسان الحكم بفهم ومهارة فأنا أعلم أن من الناس من أطاعوا قورش عن طيب خاطر مع أنه يعد عنهم مسيرة أيام

أيضا قائلا ، هكذا قال كورش ملك فارس جميع ممالك الأرض - دفنها إلى الرب إله السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا ، - راجع الإصحاح الأول ، (الفقرة من ١ إلى ٣) .

ويتجلى من هذا بوضوح أن الله تعالى يبره وكرمه وأعطاه كثيرا من البلدان ومكنه منها وأخبره عن طريق الإلهام أن يطلق سراح اليهود الذين أسروا زمن نبوخذ نصر وييسح لهم بالعودة إلى أورشليم ، وقد نفذ كورش ذلك فعلا .

الثاني - والوصف الثاني الذي نعرفه من القرآن الكريم في شأن ذى القرنين هو امتداد فتوحاته نحو العرب إذ قال الله تعالى : (فأتبع سبيا ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمة) ... أى أنه اتجه غربا إلى أن بلغ منطقة مياه ذات لون أسود ، أى ماء مختزج بالطين وهذا الوصف ينطبق على البحر الأسود Black Sea .

وبالفعل حدث ذلك لكورش ، حينما تولى بفضل الله تعالى وبسط سلطانه على بلاد ميديا وازداد نفوذه حتى أثار حقد الأعداء ثم هاجمه بعض البلاد الغربية فاضطر كورش للنزاع عن وطنه ومعاينة المعتدين وهكذا خرج فاتحا واستولى على بابل وبنينا وبعض

حياتهم - وبذل لهم من هطاياء ... أنه لم يقتل بضعة أهل بلده كما فعل الإسكندر - الإله للجنون ... وفوق هذا كله فقد حيت جماعة اليهود الصغيرة ورحبت به عند مياه بابل بما لم يفعلوه لأى مخلوق آخر من قبل ومن بعد ولقبوه بالمتنصر والمنقذ والمحرر والمخلص وحبيب الله وسيد الأرضين ... (راجع الصفحات من ٥٩٧ إلى ٦٠٠ من المرجع المشار إليه آنفا) .

أما أن كورش كان يتلقى الإلهام فقد ورد بصفحة (٥٩٤ - ٥٩٥) من نفس المرجع أنه رأى في الرؤيا أن أكبر أبناء هيتايس - ابن أخيه - قد امتدله جناحان على كتفيه أحدهما يظل آسيا والآخر أوروبا . وقد أول كورش هذه الرؤيا على أنها تشير إلى أن ذلك الولد - أى داريوس - يدبر مؤامرة ضده . ومع أن هذا التأويل كان خاطئا إلا أن تعبير الرؤيا الصحيح ظهر فيما بعد عندما تسم داريوس الملك وشملت فتوحاته آسيا وأوروبا .

هذا وتشير التوراة أيضا إلى أن كورش كان ملهما إذ جاء في سفر عزرا : وفى السنة الأولى لكورش ملك فارس عند تمام كلام الرب بنم أرميا به الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداه في كل مملكته وبالكتاب

واصل فتوحاته غربا وشرقا اتجه اتجاها آخر حيث أقام سدا متيعا حسب طلب أهالي تلك المنطقة للدفاع عن مجبات يأجوج ومأجوج (ثم أتبع سيأ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما ٠٠٠)

وفي هذا العدد يشير التاريخ والعهد القديم إلى الأمور التالية .

١ - أن قورش حارب يأجوج ومأجوج ودافع عن بعض مناطق مملكته من غاراتهم . ويحذر بنا بادي ذي بدء أن نعين أولا القبائل أو الأقوام التي سميت بأجوج ومأجوج ، وتساعدنا التوراة في تعيين يأجوج ومأجوج إلى حد ما حيث جاء في سفر حزقيال : يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض مأجوج رئيس دوش ماشك وتوبال وتوبا عليه . (الإصحاح ٣٨ الفقرة الثانية) .

ويفهم من هذا أن يأجوج ومأجوج كانوا من سكان المناطق الشمالية وأن موطنهم روس وما شك وتوبال . كذلك يفهم من التوراة أن أحد ملوك الفرس يحاربهم كأورد في حزقيال (الإصحاح ٣٨ الفقرة الخامسة) ويستنتج من ذلك أيضا أن في وقت هذا النبأ كانت منطقة من مناطق أرض فارس تحت سيطرة يأجوج .

أما من الناحية التاريخية فنجد أن يوسفوس

المستعمرات اليونانية التي كانت في آسيا الصغرى . الممتدة إلى بحر مرمرة . إلى أن وصل إلى البحر الأسود (عين حمة) وهذه الفتوحات كلها ثابتة من التاريخ . (راجع المرجع السابق ذكره . وصحة ٤٠٣ من المجلد الرابع من دائرة المعارف اليهودية) .

الثالث : أما الوصف الثالث الذي جاء في القرآن الكريم . . . فهو أنه حينما استولى ذو القرنين على البلاد القريبة اتجه نحو الشرق كما قال الله : (ثم أتبع سبيا ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) . والتاريخ يؤكد ذلك أيضا إذ أن قورش بعد أن أنهى فتوحاته في الغرب واصل غزوه في الشرق حتى استولى على بخارى وسمرقند وأفغانستان وبلوخستان وضمها إلى مملكته ، وجدير بالإشارة أن هذه الجهات وعلى الأخص بلوخستان الصحراوية تمتد من المناطق التي تلحفها الشمس ويترى أهلها لقسوة طبيعتها دون حجاب من مزروعات أو غابات . وهو ما يشير إليه القرآن (لم نجعل لهم من دونها سترا) .

(راجع كتاب Historians History of the world)

صفحة ٥٩٣ من المجلد الثاني . الرابع : - والصفة الرابعة التي وصف بها ذو القرنين في القرآن الكريم هي أنه بعد أن

« كما وأنا يتنا قبل ذلك أن فارس وقعت في أيدي السبيين أو بعبارة أخرى استولى عليها ملك ميديا (والميديه كانت تحت سيطرة السبيين) وعاصمة ذلك الملك كانت اكباتانا (Ecbatana) ثم حررها قورش الأعظم من أيدي السبيين .

ويتجلى من هذا بوضوح أن جزءى فارس وقها تحت أيدي يأجوج ومأجوج ويثبت أيضا أن قورش هزم يأجوج ومأجوج وحرر ماكن في أيديهم من أرض فارس ، وثابت من التاريخ أيضا أن هجمات هذه القبائل تكررت على الأقوام الجنوبية لاذيقول هيرودوت أن قبائل السبيين كانت تهاجم البلاد الجنوبية من الشمال بعد اختراق المنطقة ما بين جبال القوقاز وبحر قزوين .

٢ - بى بعد ذلك ما جاء فى القرآن الكريم من أن ذا القرنين أقم سدا منيعا لصد هجمات يأجوج ومأجوج وهنا يجدر بنا أن نبحث أولا عما إذا كان هذه المنطقة سد أم لا ؟ فنجد أن التاريخ يؤيد وجود سد فى المنطقة التى عنها هيرودوت كطريق لهجمات يأجوج ومأجوج (أى السبيين) وهو ما عرف لدى المؤرخين باسم (دديند) كما أن هناك مدينة بهذا الاسم فى داغستان على ساحل بحر قزوين ومعنى هذا الاسم بالفارسية يشير إلى ما اشتهرت به من الأسوار التى كانت تسد

وهو من المؤرخين القدماء يقول بأن يأجوج ومأجوج من قبائل سيثين (Siythien) كما أن التوراة أيضا تؤيد هذا القول إذ جاء فى الإصحاح العاشر من سفر التكوين فى الفقرة الثانية : بنو يافث جومر ويأجوج وما داي وباران وتوبال وماشك وتيراس ، ولفظ جومر يعبر عن أنسومريين (Cimmericians) والذين كانوا يقطعون شرق آسيا الصغرى ، وما داي يقصد به الميديون والمنطقة بين جومر وميديا تسمى بالسومريين Cimmericians

هذا ويقول جيروم المؤرخ العظيم أن قبائل مأجوج تسكن فوق جبال قوقاز وبحيرة قزوين وهذه المنطقة الشمالية التى كان يقطنها السبيثيون (Siythiens) . راجع صفحة ١٩ من المجلد السادس من دائرة المعارف اليهودية .

وبعد تعيين يأجوج ومأجوج يجدر بنا أن نبحث عما إذا كانت هذه القبائل قد غلبت الفرس فى عصر من العصور كما ذكرت التوراة أم لا ؟

إن التاريخ أيضا يؤيد احتلال السبيين لمنطقة الميديين . فقد جاء فى صفحة ٥٨٠ من المجلد الثانى من كتاب

History of the world .

دون أى توقف ولكن ما أن تقدم في تلك المناطق حتى بدأت بعض الاضطرابات في بعض الجهات المقهورة . فاضطر إلى العودة لإنقاذها .

ولما تم له قبح هذه الحركات تقدم نحو « كابل » لإنقاذ الاضطرابات التي حدثت في جيوشه هناك . ثم واصل سيره في شتاء عام ٣٢٩ قبل الميلاد نحو الهند حسبما يقوله المؤرخون (راجع صفحة ٥٩٦ من المجلد الأول من دائرة المعارف البريطانية) .

على كل فهو قد قطع هذه المسافات كلها بفاية السرعة . حتى إن بعض المؤرخين ليتشككون من ذلك ، ومهما يكن من أمر فإن الإسكندر لم يمكن في أية منطقة أثناء غزواته ، بل واصل سيره إلى أن بلغ الهند ثم رجع عن طريق البحر ووصل إلى إيران عام ٣٢٤ قبل الميلاد ومكث هناك فترة قصيرة كما أنه اضطر إلى إخماد الثورة التي حدثت في جيوشه ثم واصل عودته إلى بلاده غير أن الأجل وافاه في الطريق في ١٣ يونيو من سنة ٣٢٣ قبل الميلاد .

ومن هذا نفهم أنه ما كان بوسع الإسكندر أن يبنى مثل هذا السد العظيم وربما اختلط هذا الأمر على بعض المؤرخين الغربيين فنسبوا هذا السد إليه ، متأثرين بما ذهب إليه المفسرون المسلمون من أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني .

الممر بين الجبل وبحر قزوين . ولعل تسمية هذه المنطقة « بربند » يرجع إلى وجود الحاجز أو السد الذي كان يمنع السيثيين عن الهجمات .

هذا وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية تحت كلمة « دربند » لقد كان هناك سد علوه تسعة وعشرين قدما وعرضه عشرة أقدام وطوله خمسين ميلا وكانت تتخلله بعض الأبواب الحديدية كما كانت توجد فيه أبراج للراقبة على مسافات قصيرة ؛ للإشراف منها على المنطقة وكان هذا السد يمتد (بين جبال قوقاز وبحر قزوين) . . واشتهر هذا الجدار باسم سد الإسكندر ثم إن « قياد » أحد ملوك الساسان أجرى فيه بعض الإصلاحات .

من هذه التفاصيل كلها يتضح أنه كان هناك سد بين بحر قزوين وجبل القوقاز الذي أقيم لمنع السيثيين (قبائل بأجوج ومأجوج) من الإغارة على الأقوام الجنوبية إلا أننا لا نعرف بالضبط من الذي أقام هذا السد بيد أن القول بأنه بنى في عصر الإسكندر المقدوني يعد بعيدا عن المعقول إذ أننا نعرف من التاريخ أن الإسكندر هزم دارا - ملك الفرس وقته في صيف عام ٣٣٠ قبل الميلاد ومع ذلك لم يستول على إيران كلها ، بل كانت هناك بعض المقاطعات الأخرى التي ظلمت جيوشها وقد واصل الإسكندر تقدمه

الطويل بعد أن تحمل كثيرا من الصعوبات والعوائق في هذا السيل لكي يهاجم السيثيين من ناحية ويحصرهم خلف السد من ناحية أخرى .

الثاني : - والأسر الثاني الذي يمكن استنباطه في هذا الصدد هو أنه إذا كان السد غير قائم في عصر داريوس الأول فإننا لا نتوقع من ملك عظيم مثله اشتهر بالعقل والحكمة أن يترك الطريق السهل بين الجبل وبحر قزوين مفتوحا للأعداء ويختار الطريق الطويل الذي يبلغ حوالى ألف ميل لمعاكبة هذه القبائل . ويعرض بلاده لغارة هؤلاء الناس .

فن الواضح إذن أنه لابد وأن السد كان قائما وإلا لهاجم السيثيون بلاد الفرس أثناء مسير داريوس في ذلك الطريق الطويل . . . ثم حيثئذ ما كان بمقدوره أن يحافظ على دولته لبعده عنها كما أن الدولة ما كانت تقدر أن ترسل بعض النجدة إليه ، فاختيار داريوس الأول هذا الطريق الطويل من جهة أوروبا بكل اطمئنان يدل على أنه ما كان يخاف من منطقة « دويتد » (أى ما بين جبل قوقاز وبحر قزوين) لأنه كان يعرف أن قبائل السيثيين لا تقدر أن تهاجم بلاده ؛ لوجود السد في طريقهم .

إن الأوصاف الأربعة التي ذكرها القرآن

وبالطبع لا يكفينا ما ثبت من أن الإسكندر لم يقم هذا السد ، بل إننا نحتاج أيضا إلى بعض الأدلة الأخرى التي وإن كانت لا تثبت بصورة قاطعة قيام هذا السد في عصر قورش إلا أنها تدل على أنه هو الذى أقام هذا البناء وترجع ذلك بما يقرب من اليقين . أولا - نعرف من التاريخ أن داريوس الأول تولى زمام ملك فارس بعد ابن قورش الذى كان قد رآه قورش في الرؤيا مسيطرا على الغرب والشرق على السواء ، كما نعرف أيضا أن الامبراطورية الإيرانية قويت فعلا في عصر داريوس الأول ، وأنه حدث مرة أن هاجم داريوس قبائل السيثيين لإضعافهم وإخماد ثورتهم واختار طريق الهجوم من الناحية الأوروبية . أى أنه اخترق منطقة اليونان ، ثم أغار عليهم ولا نجد هناك أى مبرر معقول لاختيار هذا الطريق الطويل لتأديب السيثيين مع أنهم كانوا يقطنون بالقرب من بلاده نحو الشمال . ومن الممكن أن نستنتج من هذا الحدث بسهولة أنه لما أقام قورش سدا بين الجبل وبحر قزوين ، كان من الصعب على داريوس الهجوم عن طريق بعض الأبواب الصغيرة في السد ، وبخاصة حينما كانت ترافقه جيوش كبيرة إذ أن مثل هذا الهجوم ما كان ليخلو عن الخطر كما وأن تحطيم السد كان أخطر ، ولذا سلك داريوس ذلك الطريق

الكريم في شأن ذي القرنين تطبق بجلاء على قورش الملك العظيم ، وإذا كان التاريخ لم يتضمن نصاً صريحاً على أن قورش هو الذي بنى سد ، دربند ، إلا أن نسبة بناء السد إلى هذا الملك تبلغ حد البقين عن طريق الاستنباط ، وعلى الرغم من قلة الأنباء التي وصلت إلينا عن ذلك المصير فقد ثبت من التاريخ قطعاً أن السيثيين احتلوا بلاد قورش قبل توليه زمام الملك ، وأن هجراتهم كانت متوالية ومتعاقبة على الفرس والبلاد الجنوبية من تلك المنطقة ، ثم يدلنا التاريخ بالأدلة القاطعة على أن هجرات السيثيين عن طريق « دربند » (الطريق ما بين جبل قوقاز وبحر قزوين) انقطعت تماماً بعد عصر قورش .

والنتيجة التي نصل إليها من هذا البحث الطويل هي أن المراد من ذي القرنين الذي ذكر في القرآن الكريم هو قورش (٥٥٣ - ٥٢٨ قبل الميلاد) مؤسس الامبراطورية الفارسية والذي استولى على بلاد ميديا وآسيا الصغرى وبابل والذي امتدت رقعة ملكه شرقاً وغرباً على السواء .

وما يميز هذا الرأي أننا لا نجد في التاريخ من تطبق على سيرة حياته تلك الأوصاف التي ذكرت في القرآن الكريم بمثل ما تطبق على قورش .

نور الحق شوبر

هذا ظلم . . . !

أعلنت محاكمة الزعيم ناظم الطبقجي عن براءة الجمهورية العربية المتحدة من اقتراف المهادوى ، بقدر ما أبانت عن شجاعة زعيم حر من أبطال ثورة ١٤ تموز العراقية العربية .

فأمام سفاح لا يرحم ، وعكسة لا تعمل ؛ نفي الزعيم ناظم الطبقجي كل ما قيل عن تدخل الجمهورية العربية المتحدة في ثورة الموصل - وأضاف في حصة واقفال :

إن اتهام الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل ظلم صارخ واقراء محض . . . ثم شرح الأسباب الحقيقية لثورة .

أَحْصَادُ الْقَرَامِطَةِ

لِلأَسْتَاذِ عَلَى الْعَمَّارِ

ليست هذه أول مرة ينزل فيها الوهاب الشيوعي أرض الرافدين ؛ فقد اكنوى العراق في فترة من فترات التاريخ بنار الإباحية ، وأوشكت هذه النار أن تفتشر لولا أن صدتها مصر ، وحالت دونها ودون الوصول إلى معقل الإسلام ، ولولا أن شعلت الخلافة العباسية وتبعت للأخطار المحدقة بها وبالإسلام فقضت على القائمين بها بعد أن بذلت كثيراً من الرجال والأموال .

بل الحقيقة الكبرى التي تؤيدها طبائع النفوس ، وتؤكدها أحداث التاريخ أن هذه العقائد تظل عميقة الجذور في بعض النفوس ، تراودها من حين إلى حين ، وتدفعها أحيانا إلى الثورة على الدين الجديد - إن استطاعت - فإذا خافت تلبست الوسائل للإعلان عن هذه العقائد ، وإبرازها بصورة أو بأخرى على مسرح الحياة .

وقد يخضع باحث أو مؤلف فيدافع عن أعمال واضحة صدرت عن أصحاب العقائد المدخولة بخضع بمواقف محدودة ظهرت منهم في تأييد الدين الجديد ، ولكن الذي لاشك فيه أن من يدخل دينا واهبا من سلطان أهله أو طامعا فيا عندهم لايبالي أن يقوم بأعمال تخدم هذا الدين ، وهو يقوم بها كلرها ، ولكنها المجاراة ، والمبالغة في البعد عن الشبهات .

وإذا كانت الأمم والأفراد ، تأخذ العبر من الماضي ، وتهتدى في حاضرهما بما جرى في تاريخها القديم فإن علينا أن نتمعن في الأحداث والمخاطر التي حاولت أن تقضى على كل جميل في تاريخ ديننا وأمتنا .

وقد يعيبك أن تقنع صاحبك بخطورة مبدأ من المبادئ إذا اعتمدت في حاجته على النظريات والجدل ، ومهما بلغت من ذلك فلن تصل في إقناعه - إن كان على استعداد لأن يقتنع - إلى ما نصل إليه حين نضع يده على حادثة واحدة يتأملها ، ويرى فيها التطبيق العملي لهذا المبدأ .

جلزت على بعض المفسرين فأدخلوها في كتب التفسير، وكانت قن بين المسلمين أو قد نازها وحضاًها أصداء للإسلام من دخل فيه بنية سيئة، وعقيدة فاسدة، وحيناً كان يتخذ التدريس، أو التشيع لأهل البيت وسيلة سهلة للفرض من الإسلام، بل للقضاء عليه، ومن أبرز العقائد التي عملت على هدم الإسلام وتدمير معالمه، وأرادت أن تحل محل المجوسية، ولهذا العقيدة أصول حاولت أن تسيطر على العالم الإسلامي في فترة من فترات التاريخ.

وكان سدة هذه العقيدة، والصادقون عنها طائفة اتخذوا من الإسلام شعاراً، وعرفوا في التاريخ باسم (القرامطة) وكان من أبرز أعمالهم (لاحقيقة في هذا الوجود وكل أمر مباح). وقول أحدهم: «لأنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها اقتربها».

وقد كانت فكرة التساوي في الأموال راودت بعض الكتاب المرحيين في عهد قديم ولكن الكاتب ما لبث أن طردها من خياله وأعلن طردها فقد ورد أن أرسطوفاش كتب منذ ٢٣٠٠ سنة مسرحية جاء على لسان بطلتها: «أريد أن يكون للجميع نصيب في كل شيء. فلا يكون غنى يملك الأراضى الواسعة، وفقير لا يملك شبرا من الأرض يدفن فيه، ولا بد أن يستظل جميع الناس بمحالة واحدة في الحياة لا يعترجها التفاوت».

وأخص بالذكر أو تلك الفارسيين الذين دخلوا في الإسلام، فلا أشك في أن جهرتهم تقبلت الدين الجديد، وأحب، وبذلت أعز ما تملك في سبيل نصرته، ولكن بعضاً منهم - كثروا أو قلوا - ظلوا خاضعين لعقيدتهم الأولى واقعين تحت سيطرتها حتى لتظهر على فئات ألسنتهم أو تبدو في أعمالهم، وإتنا لنجد كثيراً من الشواهد حين قلب صفحات التاريخ أو فطالع تراجم الرجال.

ولقد روى أن بعضاً من دخل في الإسلام منهم احتال على إمادة عبادة النار فقالوا للمسلمين ينبغي أن تجمد المساجد كلها، وأن يكون في كل مسجد بحرة يوضع عليها السند والعود أبداً، وكانت البرامكة قد زينوا للرشد أن يتخذ في جوف الكعبة بحرة عليها للعود قلم الرشد أنهم يقصدون من ذلك أن تكون الكعبة بيت نار، فكان هذا أحد الأسباب التي أدت إلى القبض عليهم وقتلهم (١).

وما لا ينكره مطلع على التاريخ أن جماعة من الفرس - ومن غيرهم - حاولوا في أزمنة متطاولة أن يكدوا للإسلام، وهم في الظاهر مسلمون، وأن طرقات شتى سلكوها لهذا الغرض، فكان وضع أحاديث لم ترد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت أساطير

(١) كتاب الفرق بين الفرق لمبدأ القاهر
القيمي ص ٢٧٠.

الإسلامية ، فأعلنها بإبائك الحرمي في أول القرن الثالث في عهد المأمون العباسي ، وكانت تحلة الخزمية نسخة من المزدكية ، يتناولون اللذات ، ويمكفون على الشهوات ، ولم يشاركوا في الحرم والأهل لا يمتنع واحد منهم الآخر من شيء ، وإذا استضاف أحدهم صديق لم يمنعه من شيء يريد حتى زوجته ، وكان للبابكية في جبلهم (جبل بدين بناحية أذربيجان) ليلة عيد لهم يجتمعون فيها على الخمر والزمر ، ويختلط فيها رجلهم ونساءهم فإذا أطفئت سرجهم وفيرانهم أخذ كل من يقدر عليه .

وهم يتكفون المحارم ، ثم قضى عليهم الخليفة المعتصم بعد جهادهم عشرين سنة ، ولكن الكارثة الكبرى التي حلت بالإسلام والمسلمين هي الكارثة التي جاءت على يد القرامطة .

وينسب القرامطة إلى حمدان بن الأشعث المنقب بقرمط (٢) ، وكان في ابتداء أمره أكادرا من أكرة سواد الكوفة ، والقرامطة طائفة من الباطنية ظهرت دعوتهم في خلافة المأمون ، وامتشرت في خلافة المعتصم ، وأول من أسس الباطنية ميمون بن ديصان

غير أن شخصية أخرى في المسرحية تسأل البطلة قائلة : « ولكن من سوف يؤدي الأعمال الخفية في الدولة ؟ » فتجيب البطلة : « أوه . ينبغي أن يكون لنا عبيد » .

ثم جاء (مزدك) ، فتأثر بمذهب (ماني) أحد أنبياء الفرس ، ولكنه خالفه في الناحية الاجتماعية ، كان ماني يرى أن التخلص من الشر مستحيل ، وأن استمرار العالم في الحياة معناه استمرار الشر ، وأن الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذا الشر هي تدمير هذا العالم ، فلما جاء مزدك حوالي نهاية القرن الخامس بعد المسيح ، رأى أن القضاء على الشر ممكن ، وأن الوسيلة لذلك هي (الشيوعية) قال : إن الحقد الذي يأكل قلوب بني الإنسان ، والحرب التي تمزق أشلاء أحد الأخوين يد الآخر لا مصدر لها إلا الأموال والنساء ، فإذا ألغيت الملكية ، وأبيح الزواج وأصبح المال والمرأة مباحين لجميع الأفراد بلا قيد ولا شرط طهرت القلوب من الحقد إلى الأبد ، ووضعت الحرب أوزارها إلى نهاية الوجود (١) .

وقضى أنوشروان على مزدك ، ولكن تعاليمه بقيت حتى ظهرت في إيران قوة الدولة

(٢) لأنه كان قصيرا ، يغارب بين خطواته ، وقيل لأنه كان أحمر البشرة فلقب بقرمط ، وكرمت في لغة الروم الأكبر عرب إلى قرمط ثم إلى قرمط .

[١] انظر كتاب الفلسفة المرفقة لدى كتور

غلاب ج ١ ديانا الفرس

نصرع حوله في المسجد الحرام يوم التروية
الذي هو من أشرق الأيام وهو يقول :
أنا لله ، وبالله أنا

يخلق الخلق وأنهم أنا
ودخل رجل من القرامطة إلى حاشية
الطواف وهو راكب سكران فبال فرسه
عند البيت ثم ضرب الحجر الأسود بدبوس
فكسره ثم اقتلعه ، وكانت إقامة القرمطي
بمكة أحد عشر يوما ، فلما عاد القرمطي إلى
بلاده رماه الله تعالى في جسده حتى طال
عذابه وتقطعت أوصاله وأطرافه وهو
ينظر إليها ، وتناثر الدود من لحمه ، قلت
هذا ما عذب به في الدنيا ، وأما الأخرى
فأشد إن شاء الله - وأدوم عليه | ١١ | .

ثم قال هذا المؤرخ في وصف أبي طاهر
هذا : وكان زنديقا ملحدا لا يصل ولا يصوم
شهر رمضان ، مع أنه كان يظهر الإسلام ،
ويزعم أنه داعية المهدي عبد الله .

وبعض المؤرخين يذكر أن الذي قلع الحجر
الأسود أبو سعيد الجنابي ويسبون إليه شعرا
قاله في هذه المناسبة وهو :

ولو كان هذا البيت لله ربنا

لصب علينا النار من فوقنا صبا

المعروف بالقداح ، وكان مولى لجعفر بن
محمد الصادق ، انتقل من أصبهان إلى الأهواز
ثم إلى البصرة ، وأظهر دعوته فتبعه جماعة
من أكراد الجبل ، ثم رحل إلى المغرب ،
واتقرب أولا إلى حنبل بن أبي طالب ،
ثم ادعى أنه من وفد محمد بن اسماعيل بن جعفر
الصادق ، مع أن ثقات النساين يجمعون على
أن محمد بن اسماعيل مات ولم يعقب .

ومن مشهودي القرامطة أبو سعيد
الجنابي ، ملك البحرين والعمامة والأحساء ،
ومنهم ابنه أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد ،
وهو الذي اقتلع الحجر الأسود من الكعبة
في سنة ٣١٧ هـ فقد حدث في تلك السنة -
على ما جاء في النجوم الزاهرة - أن سير
المقتدر ركب الحاج مع منصور الدبلي
فوصلوا إلى مكة سالمين ، فوافاهم يوم التروية
حدو الله أبو طاهر القرمطي ، فقتل الحجاج
قتلا ذريعا في لحاج مكة وفي داخل البيت
الحرام - لعنه الله - وقتل ابن محارب
أمير مكة وهرى البيت ، وقلع بابه ،
واقطلع الحجر الأسود وأخذته ، وطرح
القتلى في بئر زمزم وفصل أفضالا لا يفعلها
النصارى ولا اليهود بمكة ، ثم عاد إلى هجر
ومعه الحجر الأسود فدام الحجر الأسود
عندهم إلى أن رد إلى مكانه في خلافة المطيع ،
وجلس أبو طاهر على باب الكعبة والرجل

وينكحها من أجنبي ، ولو عقل الجاهل لعلم
أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي ، وفي ذلك
يقول شاعرهم :

خذى الدف ياهذه والعبي
وغنى هزاديك ثم اطربي
تولى نبي بنى هاشم

ومنا بنى بنى يعرب
أحل البنات مع الأمهات
ت ، ومن فضله زاد حل الصبي
وقد حط عنا فروض الصلا

ة وحط الصيام ولم يصب
إذا الناس حلوا فلا تهضي
وإن صوموا فكلوا واشربوا

ولا تطلي السعي عند الصفا
ولا ذورة القبر في يثرب
ولا تمنع نفك المهرمين

من الأقربين أو الأجنبي
فكيف حلت لهذا الغريب
وصرت محرمة للأب

أليس الفراش لمن ربه
ورواه في الزمن المجذب
وما الخمر إلا كماء السماء

حللا فقدست من مذهب
ولا غرابة في هذه التعاليم ، ولا داعي
لتكذيب هذه الروايات بحجة أنها أمور
شنيعة لا تتفق وطبائع البشر ، والمسكرون

لأننا حببنا حجة جاهلية
بجملته لم نبق شرقا ولا غربا
وأما تركنا بين زمرم والصفاء

جناز لا تبغى سوى ربها ربا
وكان عدد الذين قتلوا في هذه الحادثة ثلاثة
عشر ألفا .

ومنهم علي بن فضل الجندى ، بنى مسجدا
وأخذ بالنفك والعبادة فكان نهاره صائما
وليله قائما فأحبه الناس واقتنوا به وقلدوه

أمرهم فلما قويت شوكة وأجابته مالا يحصى
صدده من قبائل اليمن ، وظفر على أعدائه
الذين نهضوا لقتاله ، لما بلغ ذلك ادعى النبوة ،

بل زاد عليها ، فكان عنوان كتبه إلى أتباعه
كما رواه البهاء الجندى ، « من باسط الأرض
وداحيا ، ومزلول الجبال ومرسها على بن

فضل إلى عبده فلان » ثم إنه أحل البنات
والأخوات ، وهي نحلة عامة عندهم ، وأقوى
حجة في ذلك ما جاء في رسالة (١) عبيد الله

بن الحسن القيروانى إلى سليمان بن الحسن سعيد
الجناانى القرمطى ، فكان من قوله : « وما
العجب من شيء كالسج من رجل يدعى

العقل ثم تكون له أخت أو بنت حسنة
وليست له زوجة في حسننها فيحرمها على نفسه ،

(١) هذه الرسالة من الوثائق المطبوعة فيها
جاء نحلة القرامطة ، وقد أوردتها
صاحب الفرق بين الفرق وناميك به .

الوكيل في الوقت ، فقالوا : لا بد أن تنظر المرأة ، وهي مسفرة لتصح معرفتها فتتحقق الشهادة ، فقال الزوج : ولا بد ؟ فقالوا : ولا بد ، فقال الزوج : أيها القاضي ، حدى الخسائة دينار . ولا ينظر هؤلاء . إلى امرأتى ، فأخبرت المرأة بما كان من زوجها ، فقالت إني أشهد القاضي أنني قد وهبت له ذلك وأبرأته منه في الدنيا والآخرة ، فقال القاضي تكتب هذه الواقعة في مكارم الأخلاق .

قلت : وهذا هو الفرق الكبير بين تعاليم الإسلام الفنى كرم بنى آدم ، وبين تعاليم الذين يدوسون الكرامة الإنسانية تحت أقدامهم .

وقد اتفق الكاتبون في هذا الموضوع على أن النحلة القرمطية تمت بصلة قوية إلى المجوسية ومن أوثق الصلات بين النحلتين هذا الأمر من تزوج البنات ، وهو إحدى العظام في المجوسية ، ولا غرو ، فبدأ الكون على ما ترويه دياتهم كان عن هذه الطريق ، ذكروا أن البرهمية الأولى زعمت أن الإله (براجاباتى) أحس يوما بشغف شديد نحو ابنته (أوشاس) آلهة الفجر الجميلة ، فأبدى لها هذه الرغبة فارتاعت منها ارتياحا شديدا وفرت من وجهه مذعورة ، فتمتعها وأخذ يرقب حركاتها ، فكلمها تشككت بأشئ كائن من

لهذه ونحوها إنما أنوار من قلة الخبرة بأحوال المجتمعات الإنسانية ، وربما كانت رحلة قصيرة إلى بعض الأقطار المتخلفة أخلافا كافية لردم عن أفكارهم ، وإني لأعلم أن في بعض أقطارنا الإسلامية ما لا يقل شناعة عن أقبح ما ورد في هذا الشعر ، ولا حاجة بي إلى ضرب المثل .

ودعوة هؤلاء تترقى في درجات ، وفي الدرجة الخامسة يصل المنصو إلى هذه النحلة ، إلى أن يباح له أن يبيت مع زوجة الداعى في بيته ، فإذا كان الصباح جاء الداعى إلى الضيف وأنبأه أن هذا من فضل مولاهم أمير المؤمنين ، وعليهم أن يشكروه ولا يكفروه على ما أطلق من وثاقهم ووضع عنهم من أوزارهم ، وأحل لهم بعض الذى حرمه عليهم جهالهم ، ثم قال : وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم . ولقد ذكرتى قبل هؤلاء الفتاة بزواجهم بهذه القصة التى تدل على مدى فعل الإسلام بالنفوس ، ومدى إحسان هذه النفوس بحرمه الزوجة ، وحرصها على كرامتها .

حضر مجلس القاضي موسى بن إسحاق قاضى الرى - فى سنة ٢٨٦ هـ - وكيل امرأة ادعى على زوجها صداقتها بخسائة دينار فأنكر الزوج ، فقال القاضي : البينة . فأحضرها

والأنبياء - عندهم - أصحاب غرائب ومناقضات ، وأنهم قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة والإمامة ، ومحمد بن عبد الله - عندهم - هو صاحب الأمة المتكوسة ، وأنه حين سئل عن الروح قال الروح من أمر ربى لما لم يحضره جوابه المسألة .

وكان التحمس لهذه المبادئ يختلف من فضل إلى آخر ، فيبالغ بعضهم ، ويكتفى آخر بمجرد إبطال المحرمات ، فمثلاً أبو ذكريا القرمطى الذى غلب على البحرين والأحساء بعد سليمان بن الحسين كان يوجب قتل القلام الذى يمتنع على من يريد الفجور به ، فى حين اكتفى على بن فضل المار ذكره بمجرد الإحلال وقد أمر هذا القرمطى أبو ذكريا بقطع يد من أطفأ ناراً يسهه ؛ وبقطع لسان من أطفأها بنفخه .

والجنة - عندهم - هى هذه الدنيا ونعيمها ، أما النار وعذابها فليس إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب فى الصلاة والصيام والجihad والحج .

أما ناحيتهم السياسية فقد ذكرت طرقاً منها عند الكلام على الجنائى الذى فعل ما فعل بالمسلمين يوم التروية ، وكتب التاريخ حافلة بما ارتكبه من جرائم ، وما كان على أيديهم من تضييع الرجال والأطفال والنساء ، وهم

الكائنات تشكّل هو بصورة ذكر هذا الكائن ، وظل على هذه الحال حتى استولى عليها ، ونال منها بغية حملت لساعتها بأول أفراد هذا العالم الموجود .

ونلح إلى بعض تعاليم القرامطة الأخرى ترى مدى خطرهم - كان - على الإسلام والمسلمين ، وهم دعاة أول شيوعية فى بلاد الإسلام ، فن تعاليمهم تشكيك الناس فى القرآن والتوراة والإنجيل والزبور ليصلوا من ذلك إلى إبطال الشرائع كلها ، وهم يسخرون من أهل الشرائع من أمثال قولهم : إن أهل الشرائع يعبدون إلها لا يعرفونه ، ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم ، وأن الأنبياء يحرمون عليهم الطيبات ويخوفونهم بغائب لا يعقل ، وهم - أى الأنبياء - فى زعمهم - يستعبدون أتباعهم ، ويستبيحون أموالهم ، ويبيعونهم الجنة ، وهى أمل لا يكون بأرواحهم وأموالهم ، فكان أمرهم معهم نقداً فى حين أن ما يوعدون به نسيته .

ومن أصولهم التأويل ، وهو باب واسع عندهم ، أولوا كل الآيات ، وكل الفرائض ، فالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلى ، فن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة ، والطهارة طهارة القلب ، والجنابة الجبل ، وعلى هذا فعنى قوله تعالى : « وإن كنتم جنبا فاطهروا » فإن كنتم جملة بالعلم الباطن فتعلموا . وهكذا .

من حرم الله وجيرانه بالأماكن التي لم تزل الجاهلية تحرم إراقة الدماء فيها وإهانة أهلها ، ثم تعدت ذلك وقلعت الحجر الذي هو بين الله في الأرض يصافح بها عباده ، وحملت إلى أرضك ، ورجوت أن تشركك ، فلعلك الله ثم لعنك ، والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده .

(وبعد) : فهذه أول تجربة شيوعية اكتوى بنارها المسلمون ، واليوم يعيد التاريخ نفسه ويدنس أرض العراق أحفاد هؤلاء القرامطة ، وعلى المسلمين أن يأخذوا العبرة من التاريخ ، ولقد صنت مصر القرامطة حين هاجموا وبلغ عسكرهم إلى عين شمس ، وهي القاضية على أحفادهم ، إن شاء الله ٩

على العمري

المساجد وتحريقها ، وتبريرهم هذه الأعمال الوحشية ، ولم مع حجاج بيت الله طائع تقشعر منها الأبدان ، حتى لقد امتنع الناس عن الحج ما بين سنتي ٣١٧ هـ و ٣٢٦ هـ خوفاً منهم .

وجماع القول فيهم ما قاله ابن خلكان : وعلى الجبله فالذي فعلوه في الإسلام لم يفعله أحد قبلهم ولا بعدهم من المسلمين .

وربما توهم من لا بصيرة له أن دعوة القرامطة لآل البيت ، وتشجيعهم لهم جعل آل البيت يفضون العين على غنازيمهم ، ولكن الحقيقة أن آل البيت كانوا من أشد المسلمين تيمناً بأفعالهم ، وقد كتب الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله ، وهو ثاني خليفة فاطمي إلى داعية القرامطة يقول له : « والعجب من كتبك إلينا تمتاعنا بما ارتكبه واجترأته باسمنا

المشاركة على الدرس

كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه فعزم على تركه ، فربما ينحدر من رأس جبل على صخرة قد أثر فيها . فقال : الماء على لطافته قد أثر في صخرة على كشافتها ، والله لأطلبن . فطلب فأدرك .

معارك دُمياط والنصرة في العصر الصليبي وأثرهما في الأدب للمستاذ الدكتور امرأته هدى

الأرض ؛ فما إن قوى الصليبيون بأسطول
وأمداد جديدة ، حتى وجدوا في أنفسهم
الشجاعة للنزول على دُمياط في صفر سنة ٥٩١٥
وهم في جيش لجب .

كانت مدينة دُمياط محصنة تحصيناً قوياً ؛
ففضلاً عن المزايا التي منحها إياها الطبيعة ،
لجعلتها شبه جزيرة يحيط بها الماء من الشرق
والغرب والشمال ، حتى حكام مصر بتحصينها ،
ووضع حامية قوية فيها تدفع عنها غارات الفرنج
الذين هاجموا مراراً عدة في عهد صلاح الدين
فردم على أعقابهم ، وعنى بأمر تقويتها ،
وزارها ليتفقد أمورها مع ولديه سنة ٥٥٧٢
وكانت إحدى موانئ الأسطول المصري في
عهده ، وبني ابنه الملك العزيز لها سوراً ، وكان
لها برج صمم على النيل بالقرب من شاطئ
البحر في غاية القوة والامتاع ، فيه سلاسل من
حديد عظام القدر والغلظ ، تمتد في النيل ؛
تتمنع المراكب الواصلة في البحر المالح من عبور
أرض مصر ، وتمتد هذه السلاسل إلى برج

قلم صلاح الدين أظافر الصليبيين ، ولم يدع لهم
قبل موته إلا شريطاً ضيقاً على الساحل ، كان
بوده أن يجهلهم عنه ، وأن يطهر البلاد منهم ،
ولكن كثرة المعارك أنعبت جنده ، فأثر
أن يرجعهم إلى حين ، ثم يعود إلى نزال العدو
ليلقي به إلى البحر ، لولا أن المنية عاجلته ،
فلم تبلغه مأربه .

واتخذ الصليبيون هذا الجزء الضيق موطناً
قدم لهم ، وأقبلوا يريدون أن يستعينوا
ما فقدوه من أرض الشام ، وأن يستخلصوا
بيت المقدس ، وكان الملك العادل قد حل
العبء بعد صلاح الدين ، فجنب لقاءهم في
معركة حاسمة ، حتى يجمع جيشه المتفرق في
أجزاء إمبراطوريتهم ، ورأى الصليبيون أنهم
لم يظفروا من حربهم معه بشيء ذي قيمة ،
ورأوا أن أفضل طريق للتغلب عليه هو أن
يضر به في مكان حيوى ، وكانت مصر هي
ذلك المكان الحيوى ، فقد طمعوا في امتلاكها
حتى يأمنوا جانبها ، ويستطيعوا الاستيلاء
على الشام ، من غير أن تمتد مصر يداً إلى معونة
أهلها : فيصفو لهم الجو ، وتثبت أقدامهم في

جنوب دمياط في مكان لا يزال يعرف بأسم
« العادلية » ، وهاجوا الكامل غير مرة ، ولم
يظفروا منه بشيء ، واجتمع عنده من الجنود
مالا يكاد ينحصر عدده .

غير أن أمراً حدث غير اتجاه الحرب ،
ذلك أن مؤامرة دبرت للملك الكامل ، كان
يراد بها خلعُه عن العرش ، فاضطر الكامل
إلى ترك ميدان الحرب ليلاً ، وأصبح الجنود
لم يجدوا سلطانهم ، فضوا لا يلبون على شيء .
ولم يقدروا على أخذ شيء من خيامهم وذخائرهم
وأموالهم وأسلحتهم إلا اليسير الذي يخفف حمله ،
وتركوا الباقي بحاله من مسيرة وسلاح ودواب
وغير ذلك ، ولما لم ير الفرنج أحداً عبروا
النيل إلى بر دمياط آمين في ٢٠ ذى القعدة
سنة ٥٦٢٥ هـ ، وغنموا ما في عسكر الكامل ،
فكان عظيمًا يهجز العادين ، ومضوا إلى دمياط
وأحرقوا بها ، وحاصروها برأ وبحرا ،
وأقاموا عليهم خندقاً ، وبنوا عليه سوراً
يمنعهم من يريد من المسلمين ، وألحوا على
أهل دمياط بالقتال ، ومنعوا عنهم الأقوات
فقلت ، واشتد غلاء الأسعار ، وأنهكت
الأمراض أهل المدينة ، وامتلات الطرقات
من الأموات ، وصدت الأقوات ، وصار
السكر في عزة الياقوت ، وفقدت اللحوم ،
فلم يقدر عليها بوجه ، وآلت بالناس الحال
إلى أن لم يبق عندهم غير شيء يسير من القمح

آخر حصين مقام في وسط النيل ، وكان
مستحونين بالمقاتلة والعدد .

نزل الصليبيون بالبر الغربي للنيل ، وجعلوا
هدفهم الأول الاستيلاء على البرج المقام
في وسط النيل ، فأقاموا لذلك أبراجاً على
سفنهم ، ولكن فترات الحامية معززة
بجيش الكامل بن العادل على الشاطئ الشرقي
ودت مجباتهم الأولى ، ولم يستطع الصليبيون
امتلاك هذا البرج ، وظلوا كذلك أربعة أشهر
جمع فيها الفرنج مراكب بعضها إلى بعض ،
وأقاموا عليها قلعة كبيرة أسندوها إلى البرج
وقاتلوا من فيه ، حتى اضطروهم إلى التسليم .
وكانت الحصرة على سقوط هذا البرج شيئاً
كافياً لموت العادل كذا .

لم يئس الملك الكامل ، بل نصب عوض
السلاسل جسراً عظيماً امتنع به الفرنج من
سلوك النيل ، وقاتلوا عليه قتالاً شديداً متابعاً
حتى قطعوه ، فأخذ الكامل عدة مراكب
كبار ، وملاها وغرقها في النيل ، فنمت
المراكب من سلوكه ، فلما رأى الفرنج ذلك
تصدوا خليجاً كان النيل يجري فيه قديماً ،
لحفرها ذلك الخليج وعمقوه ، وأجروا
الماء فيه إلى البحر المالح ، وأصعدوا مراكبهم
فيه إلى مكان يقابل المنزلة التي فيها الملك
الكامل ، وكان قد جمع جيوشه ، ونزل إلى

ونحن له دمي يسير ، يرتجى
أن يشتني لما دعاك عليه
فاحرس حماه بعزمة تشق بها
داه بمثلك يرتجى تعليله
فأفقه أعطاك الكثير بفضله

ورضاء من هذا الكثير قليله
فالسند في نصر الإله ودينه
ما ساغ عند المسلمين قبوله
والنصر ناظره إليك محقق
ما إن يمل من الدموع هوله
لئن قصدت عن القيام بنصره
جفت نصارته ، وبان ذبوله
ووهت قوى القرآن فيه ورفعت
صلبانه ، وتلى به إنجيله
هذا وحقق وصف صورة حاله
حقاً ، وجلته ، وذا تفصيله

وكان لهذه الرسالة من الشعر أثرها في نفس
الكامل ، فتأدى بالجهاد العام في مصر
والقاهرة ، وأرسل إلى إخوته بالشام أن
يقبلوا للدفاع عن دمياط ، ولعل تأثره
بالشعر قد أوحى إليه ، وهو يكتب إلى أخيه
الملك الأشرف ، يستنجد به ، ويحثه على
الحضور - أن يصدر رسالته إليه بهذه
الآيات :

يا مسعدى ، إن كنت حقا مسعيا
فانهض بغير ثلبك وتوقف

والشعير ، ومع هذا صبروا صبراً لم يسمع
بمثله . وكان في دمياط من أهلها الأمير
جمال الدين الكنانى فكتب هذه الآيات
ليرسلها إلى الملك الكامل ، وهي :

يا مالكي ، دمياط ثغر هدمت
شرفاته ، كادت تجث أصوله
يفريك من أركى السلام تحية
كلملك : طاب دقيقه وجليله
ويقول عن بعد ، وإليك سامع
حتى كأنك جاره وزيله :
يا أيها الملك الذى ما إن يرى
بين الملوك شبيهه وعديله
هذا كتاب موضح من حائق
ما ليس يمكننى لديك أقوله
وبعضى الكتاب في وصف الحالة السيئة
لدمياط ، فيقول :

أشكو إليك عدو سوء أحدثت
بجميعه فرسانه وخيوله
فالبر قد منعت إليه طريقه
والبحر عز لنصره أسطوله
لخصوه باد على أبراجه
وحنبته ، وبكاؤه ، وهويله
فقد انتهت أدواؤه ، وتحكمت
علامته ، ونحنا عليك فحول

برغم كل هذه الجهود ظل الحصار مضروباً على المدينة ، وبدأ الجوع يفعل فعله في أهلها فلم يبق من حاميتها التي كان يقدر عددها بخمسين ألف رجل سوى أربعة آلاف ، بينما كانت الإمدادات تتوالى بكثرة على الصليبيين .

لم يستطع أهل دمياط الجياع للثبوت القوي ، ولا حاسيتهم الضعيفة قتالا ، فسلم البلد إلى الفرنج في ٢٧ شعبان سنة ٦١٦ هـ ، ودخل الفرنج دمياط بروح كهذه الروح التي دخل بها أجدادهم بيت المقدس ، فوضعوا السيف بدون رحمة في بقية الحامية الباقية ، وفي الناس ؛ حتى إنه لم يعرف عدد من قتل لكثرتهم ؛ ومضى الصليبيون يحصنون أنفسهم بدمياط ، ويحسبونها معقلاً منيعاً ، وأقبل الفرنج يهرعون إليها من كل فج حريق وأصبحت دار هجرتهم .

كأن لسقوط دمياط أثر بالغ في نفس المسلمين ، ولا سيما أن الإسلام يومئذ كان يمر بفترة حرجية ضاق لها صدور أهلها ، ذلك أن التاركانوا قد قاموا في ذلك الحين بمحوصهم الجارية يقوضون بلاد الإسلام في المشرق ، حتى وصلوا إلى نواحي العراق وأذربيجان ، وهام أولاء الفرنج من الغرب يملكون دمياط ، ويمتلكون المنعة لا مثلاً لها في مصر والشام .

واحثت قلوبك مرقلأ أو موجفا
بتجشم في سيرها ، وتصف (١)
واطول المنازل ما استطعت ولا تنح
إلا على باب الملك الأشرف
واقرا السلام عليه من عبده
متوقع لقدمه مثشوف (٢)

وإذا وصلت إلى حاه فقل له
صني بحسن توصل وتطلف ؛
إن تأت هبذك عن قليل تلقه
ما بين كل مهند ومثقف
أو تبط عن إنجاده فلماؤه
بك في القيامة في عراض الموقف
وأثر الخطاب أثره ، إذ أقبل الأشرف موسى على عجل ، وقوى بقدمه أمر الملك الكامل ، كما قدم الملك المعظم من دمشق أيضا ، واشتد به ساعد أخيه الكامل ؛ ويقال : إن بني أيوب لم يلتزم شملهم منذ صلاح الدين ، ولم تعد كلمتهم مثلاً كانوا في معركة دمياط .

وأخذ الكامل يهاجم الصليبيين ، ويحرق جسورهم ، ويتلف آلات حصارهم ، ولكن

(١) القلوس من الإبل : الطويلة القوائم .
والمرقل : الممرع . ووجف القرس : عدا مصرها
وتجعم الأمر : تكلفه على مشقة ، ونسف الأعلى :
ركبه بلا روية .

(٢) مثشوف إلى القى : تطلع إليه .

رأى الفرنج ذلك سقط في أيديهم ، وروا أنهم قد ضلوا ، وحاولوا الزحف والقتال فلم يستطيعوا ، فأرسلوا إلى الملك الكامل وإخوته يسألون الأمان لأنفسهم ، وأنهم يسلمون دمياط ، ورأى الكامل إجابتهم ، ورأى غيره من إخوته مناهضتهم واجتثاث أصلهم البتة ؛ تخاف الملك الكامل - وهو رجل سياسى كآبىه - أن فعل ذلك ، أن يمنع من يقى منهم بدمياط أن يسلبها ، ويحتاج الأمر إلى تنازلاتها مدة ، فإنها كانت ذات أسوار منيعة ، وزاد الفرنج عندما استولوا عليها في تحصينها ، ولا يؤمن في طول محاصرتها أن يفد ملوك الفرنج نجدة لمن فيها ، وطلبوا ثأر من قتل من أكابرهم ؛ هذا ، وقد ضجرت حساكر المسلمين ، وملكت من طول الحرب ، فإنها مقيمة في محاربة الفرنج ثلاث سنين وأشهرأ .

تم الصلح ، وتسلم المسلمون دمياط في يوم الأربعاء ١٩ رجب سنة ٦١٨ هـ ، فكانت مدة استيلاء الفرنج على دمياط ستة واحدة وعشرة أشهر وعشرين يوما . وفي أسبوع كانت الحملة الصليبية التي حركت منذ أربعين شهرا يملؤها الأمل في النجاح قد غادرت الشواطئ المصرية يحملها الخزي والعار ، ودخل الملك الكامل إلى دمياط بجنده وأهله .

أعلن الكامل في مصر الجهاد العام ، وعسكر على البر الشرقي أمام طلائع في المرة التي عرفت بالمتصورة ، وشرع في بناء القصور والقنادق ، والحمامات والأسواق ، واجتمع بها من المسلمين عالم لا يتبع تحت حصر .

ظل الفرنج عاما ونصف عام في دمياط يتنازعون أمرهم بينهم ، ولم يحاربوا المسلمين إلا في معركة البرلس ، التي انتهت فيها بالكامل في شهر رجب سنة ٦١٧ هـ ، وانهمزوا فيها هزيمة منكرة ، حتى ليقال : لأنه قتل منهم عشرة آلاف ، وغنم المصريون غنيولم وسلاحهم ، وطاردوا إلى دمياط مهزومين ، فلما قدمت عليهم الإمدادات خرجوا للحرب ، وظلوا يتقدمون حتى وقفوا أمام عقبة المتصورة ، وحدثت بعض مناوشات انتصر فيها المسلمون ، فاستبشروا ونفادوا ، وقويت روحهم المعنوية ، وانتشرت فرق الجيش المصرى خلف العدو وحوله ، وقطعوا سداً قليل ، فانهجر الماء وأصبح معسكر العدو كأنه بحيرة ، ووجد الصليبيون أنفسهم في شبه جزيرة يحيط بهم الماء والأعداء ، لا يستطيعون التقدم ولا التقهقر . وفي ليلة حللوا الحرب إلى دمياط فحال المسلمون دون ذلك ، وملكوا الطريق الوحيد الذي يمكن أن يسلكه للفرنج إن أرادوا العودة إلى دمياط ، فذا

كلن الاستيلاء على دمياط يهدد العالم
الإسلامي كله ، فلا غرابة إن احتفل الأدب
احتفالاً قروباً بعودتها إلى الإسلام . ولعل
من خير الشعر الذي يمثل شعور المسلمين
في هذه الرقعة خير تمثيل قصيدة البهاء زمير
التي أهداها إلى الملك الكامل ، وقد بدأها
مشيداً بفضلته في حفظ الدين ، ورد المعتدين
عن الفرنج ، إذ يقول :

بل اهز عطف الدين في حلل النصر

وردت على أعقابها ملة الكفر

فقد أصبحت ، والحمد لله ، نعمة

يقصر عنها قدرة الخلد والشكر

يقول لها يذن النفوس بشاره

ويصنع فيها كل شيء من التندر

وهذان البيتان يدلان على مقدار ما كان

يشعر به المسلمون من نعمة في جلاء الفرنج
عن المدينة .

ويعنى البهاء في مدح الكامل ، ثم يتحدث

عن الموقعة ، فيذكر أن النصر الذي ظفر به

المصريون لم يخص مصر وحدها ، بل سعد

به العالم الإسلامي كله ، ولولا هذا الفوز

لسرى الآخر في أرجائه ونواحيه ، وفي ذلك

يقول البهاء :

وما فرحت مصر بذلك وحدها

لقد فرحت بغداد أكثر من مصر

فلو لم تم لله حق قيامه

لماسلت دار السلام من النصر

وأقسم لو لا حمة كاملة

لخافت رجال بالمقام وبالحجر

فمن مبلغ هذا الهناء بمكة

ويثرب ، ينهيه إلى صاحب القبر

فقل لرسول الله : إن سميه

حتى يرضى الإسلام من نوب النصر

ونلن في هذه الآيات الوحدة العاطفية

التي كانت تربط العالم العربي والإسلامي ،

وتجاوب الشعور في أرجاء هذا العالم

بما كان يحدث في جزء من أجزائه .

ويصف الشاعر طول المعركة ، وما أجراه

الكامل فيها من لثبات والصبر ، وكيف

اتهى ذلك بحصار العدو في البر والبحر

حصاراً دفعه إلى الاستسلام ، وإن كنت

أخذ على الشاعر إغفاله لمن أعانوا الكامل

في هذا الجهاد ونسبه الفضل كله للكامل ؛

وإذا كان من الحق أن لقائه أثره الكبير

في نفوس الجند وفي بك الروح المعنوية

في صدور جيشه ، فمن الحق كذلك ألا ينفل

أشاعر ما كان لمساعدى الكامل من أثر كبير

في هذا النصر ؛ بل إن الشاعر ، إذا كان قد

أشاد بذلك ، لأظهر التضامن الإسلامي بمظهر

رائع إزاء ما كان هناك من تضامن بين ملوك

مصر والشام في رد الخطر عن جزء من الوطن

فرويت منهم ظامى البيض والقنا
وأشبت منهم طاوى الذئب والنسر
وجاءت ملوك الأرض نحوك خضعا

تجرجر أذيال المهانة والصغر
فن عليهم بالأمان تسكروا
على الرغم من بعض العوارم والسم
ويتحدث البهاء عن تقدير المسلمين لدمياط ،
فيدعو لها ألا تحبس بسوء ، ويعمل لعذوبة
النيل تعليلاً رقيقاً ، إذ يقول :

كفى الله دمياط المسكاره ؛ إنها
لمن قبلة الإسلام في موضع النحر
وما طاب ماء النيل إلا لأنه

يحل محل الرين من ذلك الثغر
وأما اليوم الذى دخل فيه الكامل والجيش
المصرى دمياط بعد خروج الفرنج منها ،
فيصفه الشاعر بقوله :

فله يوم الفتح ، يوم دخولها
وقد صارت الأعلام منها على وكر
لقد فاق أيام الزمان بأسرها

وأنسى حديثاً عن حنين وعن بدو
ويا سعد قوم أدركوا فيه حظهم

لقد جمعوا بين التسمية والأجر
ويعنى بعدئذ يحدتنا عن شوقه إلى سماع
أحاديث هذا الفتح ، وفرحه بهذه الأحاديث ،
وهو بذلك يعبر عن شعور المسلمين في أرجاء
الدالم العربى ، وشوقهم إلى سماع أنباء هذا
النصر المبين إذ يقول :

العربى الكبير . ولذلك لا أجد البيت الأول
مصوراً للحقيقة إذ يقول :

ثلاثة أعوام أقت وأشهرها
تجاهد فيهم ، لا يزيد ولا عمرو
صبرت إلى أن أنزل الله نصره

لذلك قد استحققت عاقبة الصبر
وليلة هزرو العدو كأنها
بكثرة من أوديته ليلة النحر
فيا ليلة قد شرف الله قدرها

لا غرو إن سميتها ليلة القدر
ثم يصور الشاعر المعركة التى دارت ،
وكيف حوصر العدو من البر والبحر ،
فلم يستطع الإفلات ، وكيف هاجمه جيش
المصريين في قوة وعنف ، حتى طلب الفرنج
الآمان أذلاء صاغرين ، وذلك في قوله :

صدت سيل البر والبحر عنهم
بسابعة دم ، وسابعة غمر

أساطيل ليست في أساطير من مضى
بكل غراب (١) راح أفلك من صفر
وجيش كمثل الليل : هو لا ، وهيبة

وإن زانه ما فيه : من أنجم زهر
وبانت جنود الله فوق ضواير
بأوضاعها تغنى السراء عن الفجر
فلا زلت حتى أيد الله حربه
وأشرق وجه الأرض جلدان بالنصر

(١) الغراب : اسم نوع من السنن في ذلك العصر .

قد اتفقوا رأياً ، وعزماً ، وحمّة
 وديناً ، وإن كانوا قد اختلفوا لنا
 تداعوا بأضمار الصليب ، فأقبلت
 بهجوم كأن الموج كان لم سفنا
 وأطمعهم فينا غرور ، فأقبلوا
 إلينا سراطاً بالجياد ، وأرقتنا
 فما برحت سمر الرماح تتوشم
 بألمرافها ، حتى استجاروا بنا منا
 سقيناكم كأساً قتت عنهم الكرى
 وكيف بنام الليل من عدم الأمانا
 لقد صبروا صبراً جليلاً ، ودافعوا
 طويلاً ، فما أجدى دفاع ، ولا أهنى
 لقوا الموت من ذرق الأتة أحمرأ
 فألقوا بأيديهم إلينا ، فأحسنأ
 وما برح الإحسان منا بحجة
 نوارثها من صيد آياتنا الابنا
 منحنا بقاياهم حياة جديدة
 فعاشوا بأعناق مفصلة منا
 ولو ملكوا لم يأتلوا في حماتنا
 ولوذا ، ولكننا ملكنا فأجمعنا (١)
 فكم من مليك قد شدتنا إسماره
 وكم من أسير من شقا الأسر أطلقنا
 أسود وعى لولا قدح سيقنا
 لما ركبوا قيداً ، ولا سكنوا بجنا

وإني لمرتاح إلى كل قادم
 إذا كان من تلك الفتوح على ذكر
 فيطربني ذلك الحديث وطيبه
 ويفعل بي ما ليس في قدرة الخمر
 وأصنى إليه مستعيداً حديثه
 كأنني ذو ورق ، ولست بذى ورق
 يقوم مقام البارد العنب في الظما
 ويفنى عن الأنواء في البلد القفر
 ثم يعود مثنيا حل الكامل ، متغيلاً المصير
 المشتم لهذا البلد الأمين ، إذا كان قد قدر
 للفرنج أن يتصروا ، فيقول غناطيا الكامل :
 لك الله . من أتى عليك فإنما
 من القتل قد أنجيت : ومن الأسر
 ونحدث ابن حنين شاعر الشام عن معركة
 دمياط أيضاً ، وعنى في قصائده بالحديث عن
 جيش الفرنج ، وكيف أقبل كثيفاً كثير
 العدد والعدة ، ولكنه لم يلبث أن اتهاز تحت
 ضربات جيش المسلمين ، وقبّه ابن حنين إلى
 الموازنة بين ما يفعله المسلمون عند ما يتصرون
 من الرفق في المعاملة ، والصفح ، والعفو ،
 وبين ما كان الفرنج المنغولون يأتون : من
 سفك الدماء ، والإسراف في القتل .

وهذه إحدى قصائد ابن حنين ، بدأها
 بفخر قوى يقول فيه :
 سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا
 إذا جهل آياتنا ، والقنأ الدنا
 غداة لقينا دون دمياط جهنملا
 من الروم ، لا يحصى يقينا ، ولا ظنا

(١) أسجج : أحسن الفرو .

الكامل) والملك في خدمته ، وقام الملك
الشاعر ، فأشد :

هنيئا ، فإن السعد راح غلنا
وقد أنجز الرحمن بالنصر موهبا
حبانا إله الخلق فتعا بدا لنا

مينا ، وإنعاما ، وعزا مؤيدا
تهلل وجه البحر بمد قطره
وأصبح وجه الشر بانظم أسودا
ولما طنى البحر الحضم بأمله الطند

ساة وأضحى بالمسراكب مزيدا
أقام لهذا الدين من سل سيفه

صقيلا ، كما سل الحسام مجردا
فلم ينج إلا كل شلو (١) مجدل

ثوى منهم ، أو من تراء مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض دافعا

عقيرته في الحافقين ، ومنشدا :

أعباد عيسى ، إن عيسى وحربه
وموسى جميعا يخدمون عمدا

وفي البيت الأخير تورية في المعظم عيسى ،
والأشرف موسى لما وقفا في خدمة الكامل محمد

وكان المعظم عيسى والأشرف موسى
حريصين من ناحيتهما كذلك على أن يسجلا

دورهما في هذه المعركة ، فلما رحل الفرنج
إلى ديارهم ، حبس الكامل بقصره في المنصورة

وبين يديه أخواه : المعظم عيسى ، والأشرف
(١) الشار : الضو .

وقد تحدث في هذه القصيدة عن أحد قواد
هذه المعركة ، وهو المعظم عيسى ، وعن أثر
فتح دمياط في قلوب المسلمين ، وقد امتلأت
بهجة ، ثم ختمها مهددا بقوله :

وقد عرفت أسيافا ورقابهم
مواقعا فيها ، فإن عاودوا عدنا

أما ابن النية فبعد تغنيه بيوم دمياط يراه
مقدمة تدفع إلى اقتلاع بقايا الفرنج من الشام ،

فيقول مخاطبا الأشرف موسى :

صكا ، وصور إلى رؤياك عاطفة
فانهض ، فقد أمكنت منهن خلوات

واستعبر الريح عنها ، إذ تسيره
إليك ، فهو سلام أو تحيات

الله أكبر أن تمسى حزامهم
تلى ، وتغنى من القرآن آيات

وأن يخشع على القرآن مجلهم
جبرا ، ويخفى أذان أو تلات

ما كل من طلب العليا أدركها
ووافقت سميه فيها سعادات

وقد كان الملك الكامل حريصا على تسجيل
هذه المعركة في النصر ، حتى تضم إلى هذه

المعارك الخالدة في تاريخ هذه الحروب الطويلة .
روى صاحب النجوم الزاهرة : أن الملك الكامل

جلس مجلسا عظيما ، في خيمة كبيرة عالية ،
وقد مد سماطا عظيما ، وأحضر ملوك الفرنج

والخيالة ، ووقف المعظم والأشرف (أحو

حل دمياط ما جرى في أيام أبيه الكامل ، وأمر أن يجهز الأسطول بالرجال والسلاح ، استعدادا للحركة المقبلة ، وأرسل إلى دمياط جيشاً ضخماً نزل في مقابل دمياط في البر الغربي وصار النيل بينه وبينها .

وفي يوم الجمعة ٢٢ صفر سنة ٦٤٧ هـ وردت سفن الصليبيين تحمل جوعهم الضخمة وقد انضم إليهم فرنج الساحل ، وأرسلوا بإزاء المسلمين ، وأرسل إليهم إلى السلطان كتاباً جاء فيه : أما بعد فإنه لم يخف عليك أني أمين الأمة المسيحية ، كما أنه لا يخفى على أنك أمين الأمة الحموية ، وغير خاف عليك أن عندنا أهل جزائر الأندلس ، وما يحصلونه إلينا من الأموال والمدايا ، ونحن نؤتمهم سوق البقر ، وتقتل الرجال ، ونستأثر بالبنات والصبيان ، ونخل منهم الديار ، وأنا قد أبديت لك الكفاية ، وبذلك لك النصيحة إلى الغاية والنهاية ، فلو حفظت بكل الإيمان ، وأدخلت على القسس والرهبان ، وحملت قدامى السمع طاعة للصليان ، لكننت واصلاً إليك ، وقا لك في أمر البقاع عليك ، فلما أن تكون البلاد لي ، فيأمدية حصلت في يدي ، وإما أن تكون البلاد لك والغلبة على ، فيدك التي تمتد إلى ، وقد عرفتك وصرفت ما قلت لك ، وحذرتك من صاكر حضرت في طاعتي ، تملأ السبل والجبل ، وصدم كمد الحصى ، وهم مرسلون إليك بأسياق القضاء .

موسى ، وغيرهما من أمته وخواصه ، فأمر الملك الأشرف جلريته ، ففتت على حودها : ولما طغى فرعون هكا وقومه وجاء إلى مصر ، ليفسد في الأرض

أنى يحوم موسى ، وفي يده العصا فأغرقهم في اليم بعضا على بعض فطرب الأشرف باسم الكامل جلريته ، فأخفت العود ، وغنت :

أيا أهل دين الكفر ، قوموا ، لتنظروا لما قد جرى في وقتنا ، وتجدوا أعباد عيسى ، إن عيسى وحده موسى جيمنا يتصران محمداً فأعجب ذلك الملك الكامل ، وأمر لكل من الجارينين بمخمصة دينار .

ولا بد أن يكون كلا الملكين قد أعد جلريته لتخني بما يرفع من شأنه وبما يسجل بلاءه في هذه المعركة ، وقد نهض شعراؤهم بهذه المهمة ، وأشبعوا رغبتهم فيها . وهو جئت دمياط من جديد .

وكان الصالح أيوب بالشام مريضاً عندما جاءه أنباء حركة الفرنج قاصدين دمياط ، في حجة يقودها لويس التاسع ملك فرنسا ، فقدم الصالح أيوب من دمشق وهو مريض ، في حجة ، في المحرم سنة ٦٤٧ هـ ، وجمع في مدينة دمياط من الأقوات والأزواد والأسلحة وآلات القتال شيئاً كثيراً ، خوفاً أن يجرى

وهو أصدق القائلين : « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » وقول الحكماء : (إن الباغي له مصرع) ، وبغيتك يصرك ، وإلى البلاء يسلك والسلام .

وهو كتاب يدل على أن الصالح كان كبير الأمل في النصر ، ومع ضخامة أمته كان ينبرج قوته اعتماده على ربه الذي يهزم الفئة الكثيرة بالطائفة القليلة . وكما وضع كتاب ملك فرنسا أمام الصالح صورة مسلي الأندلس ، وضع الصالح أمام ملك فرنسا صورة المعارك التي هزم فيها الفرنج بالنمام ، ودمرت حصونهم ، وقطعت بلادهم ، ويستشهد له بآي القرآن ، ليؤكد له صلابة إيمانه ، وقوة يقينه ، وليوحى إليه بأن الكتاب الذي يعتقد صحته يكفل له النصر ، ويضمن له النجاح ، وهو لذلك يتقدم إلى المعركة ثابت الجنان مطمئن القلب ، كله ثقة وبقين .

ولما نزل الفرنج وحلوا خيامهم فاوشمهم المسلمون القتال ، ولكن لم يكد الليل برغى سدوله حتى رحل أمير جيش الصالح أيوب وسار إلى حيث يقبع سيده ، فلما رأى أهل دمياط رحيل الجند خرجوا بأطفالهم ونسائهم ، وعد هذا العمل من القائد من أقبح الأعمال ؛ فقد كانت دمياط في أيام الملك الكامل عندما هاجمها الفرنج أقل ذخائر وعددا منها في هذه المرة ، ومع ذلك لم يأخذها

وكانت هذه الرسالة ترمي إلى تحطيم القوة المعنوية في نفوس المسلمين وبث الرعب والخوف في قلوبهم ، بوضع صورة شوهاه مسلي الأندلس أمام أعين المصريين ، تحملو هؤلاء مصيرا مشوشا كصير أولئك ، وبوصف ضخامة الجيش النازي الذي يملأ السهل والجبل ؛ فلما قرئ الكتاب على السلطان ، وقد اشتد به المرض ، بكى واسترجع ، ولكنه رد تهديدا بتهديد ، وكتب إليه البهاء زهير جواب هذه الرسالة قائلا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين . أما بعد ، فإنه وصل كتابك ، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك ، وعدد أبطالك ، ونحن أرباب السيوف ، وما قتل منا فرد إلا جددناه ، ولا بنى علينا باغ إلا دمرناه ، فلورأت عينك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا ، وقتلنا منكم الحصون والسواحل ، وتخربينا ديار الأواخر منكم والأوائل ، لكان لك أن تعض على أناملك بالنسدم ، ولا بد أن تزل بك القدم ، في يوم أوله لنا وآخره عليك ، فهناك تنوء الظنون ، وسيعلم الذين ظللوا أي منقلب يتقلبون ؛ فإذا قرأت كتابنا هذا فتكون منه على أول سورة النحل : « أتى أمر الله ، فلا تستعجلوه » ، وتكون أيضا على آخر سورة ص : « ولتعلن نبأه بعد حين » ، وفمود إلى قوله تعالى ،

النار، على الجهاد ، وكان كتابا بليغا فيه مواظبة ، فقرأه فوق منبر جامع القاهرة وحصل عند قراءته من البكاء والتعجب وارتفاع الأصوات بالضحج ما لا يوصف وخرج من البلاد والنواحي لجهاد الفرنج عالم عظيم ، والتقى المصريون بالفرنج وأظهروا من ضروب البطولة في اشتباكهم مع الأعداء برا وبحرا طوال شهرين كاملين .

ومن أشد ما استنظمه المصريون الفتك بأعدائهم في هذه المعركة النارية اليونانية ، وقد كتب عنها الأستاذ عبد الله صنان في كتابه : « مواقف حاسمة » حديثا طويلا عن فتاتها وتطورها ، ونقل قول مؤرخ شاهد حيان في تلك المعركة من الفرنج هو : « دى جوانفيل » الذى وصف هذه النار بأنها شب مستقيمة كأنها أسطوانة كبيرة ، ولها ذيل من القرب قدر الحربة الطويلة ، ودويها يشبه الرعد ، وكأنها جرح يثقب الهواء ، ولها نور ساطع جدا من جراء عظم انتشار اللهب الذى يحدث الضوء ، حتى إنك ترى كل ما فى المعسكر كما ترى فى ضوء النهار ، ويصف هذا المؤرخ ما أحدثته هذه النار من تدمير فى معسكرهم ، ورعب فى قلوبهم ، ولم يستطع الصليبيون فى ذلك الحين معرفة سر تركيب هذه التيران . ولكن حدث أن هرب الفرنج عاثرة فى بحر أشموم ، فلما كان يوم الثلاثاء خامس

الفرنج إلا بعد أن كاد أهلها يفنيهم الوباء والجوع .

ولما أصبح الفرنج ساروا إلى مدينة دمياط ، قرأوا أبوابها مفتوحة ، غشوا أن يكون ثمة مكيدة ، فريشوا حتى تينوا ، فعبروا على الجسر الذى حال الإسراع فى الحرب بين المسلمين وبين تدميره ، ودخلوا مدينة دمياط بلا مشقة ، واستولوا على جميع ما بها من آلات حربية وأسلحة عظيمة ، وعدد كثيرة ، وأقوات وأزواد وذخائر وأموال وأمتعة ، وسرى الخبر فى أرجاء المملكة ، فم الفرع النفوس ، ولا سيما أن المرض كان يشتد بالسلطان ، الذى رحل إلى المنصورة ، وشرع الجند فى تجديد الأبنية للسكنى بها ، ونصبت فيها الأسواق ، وأصلح سورها ، وقدم الأسطول المصرى ، وجاء المتطوعون للجهاد من كل الأنحاء .

أما الفرنج فقد حصنوا أسوار دمياط ، وشحنوها بالمقاتلة ، وظلوا بدمياط ستة أشهر ينتظرون قدوم إمدادات ، فلما تلقوها فر رايهم على المسير إلى القاهرة ، ومات الصالح أيوب والصليبيون لا يزالون بدمياط .

ومن الممكن أن الصليبيين هلوا موت السلطان فخرجوا من دمياط ، وزلوا جارسكور ، وأسطولهم فى نهر النيل يهاذيمهم ، وورد إلى القاهرة من المعسكر كتاب يحض

أن يثق طريقه إلى القاهرة ، كما كان مقطوعاً من جميع الإمدادات ، فبدأ الجيش ينسحب بتهمة الخيانة . يضاف إلى هذا ما انتشر في المعسكر من الخوف .

بدأت المفاوضات بين الطرفين ، وهرض الصليبيون أن يسلبوا دمياط على أن يأخذوا بدلها ملكة بيت المقدس ، فلم يقبل المصريون ذلك ، ورأى الفرنج أن لا مناص من التفتقر إلى دمياط ، ففي ليلة الأربعاء ثالث المحرم سنة ٦٤٨ هـ رحل الفرنج بأسرهم من منزلتهم ، يريدون مدينة دمياط ، ففضى المصريون خلفهم ، واتبعهم ، فما أصبح الصباح ، حتى أحاطوا بالفرنج ، وأعملوا فيهم السيوف ، واستولوا عليهم قتلاً وأسراً ، وكان معظم الحرب في « فارسكور » ، وبالنسبة إلى الأورخون في حصد القتل والأسرى وما غنمه المسلمون من أدوات القتال والأموال ، وجمعاً ملك فرنسا وهدية من أكابر قومه إلى قرية « منية عبد الله » القريبة من « شرماح » ، وطلبوا الأمان ، فبذل لهم ، وأخذوا إلى « المنصورة » ، وقيد الملك بقيد من حديد واحتفل في دار القاضي « ابن لقمان » كاتب الإنشاء التي كان يزل بها في المنصورة ، وركل بحفظه الطواشي : « صبيح » ، وأمر الملك المعظم بقتل الأسرى ، فضربت أعناقهم ، وأرسل إلى دمشق رسالة يبشر نائبه بها بهذا

ذي القعدة خاض الفرنج هذه الخفاضة ، فلم يشعر الناس إلا والفرنج معهم في المعسكر ، وقتلوا قائد جيش المصريين ، وانتشر الفرنج في الفرق المبعثرة للجيش الإسلامي ، واندهشوا لا يصرون ما وراء انقاصهم ، وعاطروا حتى ذهبوا في الاستيلاء على قصر السلطان ، على شاطئ النيل بالمنصورة .

غير أن الجيش المصري لم يكن من السهل هزيمته بمثل هذه السرعة ، فجمع الجند حول القصر ، وثبتوا ، وهجموا على الفرنج ، فانهزم هؤلاء إلى شوارع المنصورة ، وكانت مليئة بالسدود . فاستقبلهم بها رماة السهام ، وكانوا يملئون النوافذ وأسقف المنازل ، وتناثر الجيش الفرنسي قطعاً ، ولم ينج منه إلا القليل ، وكان انتصار المسلمين مثاراً للإعجاب ، لأنه لم يكن على رأسهم ملك يقودهم ، وإنما كانت إمرة الترتظيم الشئون باسم السلطان ، حتى إذا حضر المعظم توران شاه أدار المعركة في مهارة ، وكان أول ما عمله قتل أجزاء سفن على ظهور الجبال ، حتى وصل بها إلى فرع دمياط بنهر النيل الأسطول الفرنسي ، ثم ضم بعضها إلى بعض هناك . وكانت نتيجة هذه المسكدة أن أسرت ثقتان وثلاثون سفينة فرنسية ، وأن حرم جيش الصليبيين كل متونة وذخيرة ، وأصبح موقعا لويس موقفاً حرجياً لا أمل فيه ، فلم تكن لديه قوة يستطيع بها

ونحطم جيش الصليبيين تحطيا كاملا ، وأسر ملكه وأمرأته ، وحبسهم في بيت ابن لقمان - خضعت شوكة هؤلاء الفرنج ، وأقل نجمهم ، وأصبح المسلمون ينظرون إليهم نظرتهم إلى عدو ضعيف المنة من المستطاع التغلب عليه في يسر وسهولة ، فانتقل المسلمون إلى التهديد والوعيد ويمتاز هذا التهديد بالسخرة والتهمك ، يبدو ذلك في شعره ابن مطروح ، ، وقد قيل إن ملك فرنسا يتبأ لغزو مصر ، فقال الشاعر :

قل للفرنسيس إذا جئت

مقال صدق من قول فصيح :

أجرك الله على ما مضى

من قتل عباد يسوع المسيح

قد جئت مصرا تبغى أخذها

تحسب أن الزمر يا طبل ديج

فما لك الحين إلى آدم

ضاق به من ناظر يك الفسح (١)

رحمت ، وأصحابك أودعهم

بجح أنمالك بطن الضريح

نحسون ألفا لا يرى منهم

إلا قليل أو أسير جريح

فدك الله إلى مثله

لعل عيسى منهم يستريح

الفتح المبين ، ودخل من المنصورة ، ونزل بخارسكور ، ولكنه لم يمش حتى يستريح بشرة هذا النصر ، وصعدت على العرش شجرة الدر . وفي ههنا تم الاتفاق على أن يسلم الفرنج دمياط ، وأن يحل من الملك الفرنسي لينهب إلى بلاده بعد أن يؤدي نصف ما عليه من المال الذي قرر عليه ، وأفرج عنه بعد أن قدى قسه بأربعمائة ألف دينار ، وأفرج كذلك عن أخيه وذويته ومن يقى من أصحابه ، وسلت دمياط في يوم الجمعة ٣ صفر سنة ٦٤٨ هـ فكانت مدة استيلاء الفرنج عليها أحد عشر شهرا وتسعة أيام . وركب الملك البحر في اليوم التالي يجر أذيال العار والمزينة .

وإذا كانت المعركة الأولى قد تركت صدى كبيرا في الشعر كما رأينا ، فإن هذه المعركة الثانية لم تجد من عناية الشعر ما لقيه المعركة الأولى ، وربما كان مرجع ذلك إلى ما حدث في المعركة وبعدها : من اضطرابات ، فقد مات الصالح في أثنائها ، ولم يمش ابنه المعظم « توران شاه » ، وجلس على العرش شجرة الدر من غير سابقة عهد بأن تجلس امرأة على العرش فكانت هذه الأحداث ، سببا في الانصراف إليها دون العناية بالتغنى بالمعركة وتمجيد أبطالها .

ولكن يظهر أنه بعد هذه المعركة الثانية ،

(١) الحين : الهلاك ، ويريد بالآدم : القيد .

وقال لهم ، إن أضربوا هوة
 لاخذ ثأر أو لقصد صحيح :
 دار ابن لقمان على حالها
 والقيد باقى ، والطواشى صحيح
 وهى قطعة مليئة بالتهكم والسخرية والتهديد
 معا ، فهو يدعو الله له أن يجره خير جزاء
 مما أسدى من قتل جنده ، ويتهكم بسوء
 ما تعرض له من تضيعة ما كان ينتظرها حين
 قدم إلى مصر ، ظانا أنها قرية المال سهلة
 الاخذ ، ولم يكن يدرك أن خاتمة ذلك قيد
 من حديد يمسكه ، فلا يستطيع الانطلاق .
 قضيق الدنيا في عينه ، ولم يكن يعلم أنه سيعود
 منهزما وحيدا ، قد خلف أصحابه في القبور
 تحت توى مصر . أما جيشه الضخم اللجب
 ذو الحنين ألفا لم يفلت منه أحد ، ومضى
 بين قتيل وأسير أثنى بالجراح . والشاعر
 يدعو أن يعود الملك إلى حرب أخرى ،
 حتى أن يصيبه ما أصابه في الأولى ، والبيتان
 الأخيران فيهما تهديد الواثق المطمئن الذى
 لا يخاف .
 وقد ألم بهذا المعنى شاعر آخر إذ قال :
 قل للفرنسيس : إن كلا
 له من المسلمين شاكرا

لانه عن إلينا
 بقوده نحونا الماسكر
 ساق إلى مصر ما اقتنه
 أمة عيسى من الدعائر
 وأورد الجلع بحر حرب
 مصدره بالمتون آخر
 أوردم أدها خضا
 وراج الشر فهو خاسر
 وأدخل القوم هول حرب
 تشخص من خوفة التواخر
 لم تم أبادم ، ولكن
 قد سميت منهم البصائر
 فإن يمد طالبا لشار
 من أرض دمياط فليبادر
 فذلك البحر تعرفوه
 والسيف ماض والجيش حاضر
 أعاده الله عن قريب
 لثلبا ، إنه لقاسد
 وهى قطعة لا تقلل في السخرية والتهكم
 والتهديد من سابقتها ، وتكاد تنجح نهجها ،
 مما ترجح معه أن واحدة منهما قد أخذت
 من صاحبها .

أحمد أحمد بدوي
 وكيل كلية دار العلوم

المطالع والممتطاع

في شعر شوقي

للأستاذ علي الجندى

- ٢ -

وكثيراً ما يرتبط المطالع بحملة آيات ، خير السيوف مضي الزما
فيؤلف معها صورة جميلة فاتنة متكاملة كأنما ن عليه في خير المضمون
هي منظر مرقى ، أو قطعة موسيقية منسجمة ، في منزل كمحب الغيب
كقوله في لبنان : استر من الظنون
البحر من سود العيون لقيه حتى أتى العلم الجسور
والبابلى بلحظن سقيه قفص غامق المصون
الفاترات وما فترت رماية والشم بدرى أحمل
يمسند بين الضلوع ميتة لأمله ما يضمنون
التاعسات الموقظات الهوى هناك الحجاب على الحضارة
المغريات به وكنت سليته والتصور على الفنون
القائنات بعبث في جفنه واندس كلصباح في
ثمل القرار مرعب أصليه خمر من الأجداث جهون
الشارحات الهند أمثال القنا حجر مودة المما
بحسب الطين بنظرة ويمية قل في الثرى شم الحصون
الناجحات على سواء سطوره لا تهدي الريح الجوى
سقى على منوالن كسبه ب لها والا فيك المنون
وكقوله في توت ضح آمون : غانت أمانة جرها
مدجت على العكز القرون والقب كالدنيا يحنون
وأنت على الفن السنون وقد تمت الصورة إلى أكثر من ذلك كما

في قصيدته النيل فقد ارتبط مطلعها بخمسة عشر بيتاً سادتها الوحدة والانسجام ، حتى كأنها صورة شمسية لا قطعة منظومة .

٦ - سار في أكثر مطالعه على النهج السوي الذي يجب أن يسلك في هذا الشأن ، وهو أن يكون المطلع دالا في جملة على الغرض المقصود من القصيدة ، مشيراً إلى مغزاها السكلى ، كأنه عنوان مختصر لها ، كما يلح منه الجو الذي أحاط بالناشر حيناً أخذ في نظمها وهو ما يسمى عند البنغاه في معناه الضيق : براعة الاستهلال .

يقول في بدء قصيدته د كبار الحوادث ، التي ألفت في المؤتمر الشرقى بحيف عام ١٨٩٤ .

حمت الفلك وأخواتها الماء
وحداها بمن تقل الرجل
فعلم منه أن السفينة كانت أكبر وسيلة
إلى المؤتمر ، ونستطيع أن نلح من هذا الذي يبدو من تله إشتاق الشاعر من ركوب البحر الذي لم يكن موطاً إلا كثاف ، لبنات البحار في هذه الأيام .

هذا إلى ما عرف عن شوق من حب الحياة ، وكرامية الموت ، حتى لقد ملا أشعاره بالسؤال عن حقيقته وما يمكن وراءه ، سؤال الخائف المترب ، لا المطمئن المستسلم .
ويقول في ذكرى كذنا رفون :

في الموت ما أميا وفي أسبابه
كل امرئ ومن بطل كتابه
وفي هذا يشير إلى ما أشيع من أن لعنة الفراعنة حلت عليه لكشفه قبر توت عنخ آمون ، فدفنته بموتة سامة وثبت إليه من القبر ، ثم يقرر أن الموت وأسبابه مما يدق فهمه على العقول ويلطف عن تناول الأفكار ، وكل ما نعرفه أن لكل نفس أجلا ، وأن لكل أجل كتابا ١١

ويقول في حفة مبايعة وكانت في أوائل فصل الربيع :

مرحبا بالربيع في دمهائه
وبأنواره وطيب زمانه

وليس هناك مطلع أنسب من هذا المطلع في هذا الموقف ، فربيع للفصول يقابله ربيع الشعر . والشعر ربيع ، والشعر بلاية ، والقصاصد ألحانه وأزماره وأنواره ، فشوق حين قال : مرحبا بربيع الطيبة كان يقول أيضا : مرحبا بربيع الفن ١١ ويقول في وصف مرقص :

حقة كأسها الحبيب فهي فضة ذهب
وهل تفتح قصيدة في مرقص بأليق من هذا المطلع الخرى لقنواسى الرافض المرقص
مما ، وهل يتصور رقص بدون شراب يكمله
جواب ١١

ويقول في وصف النفس :

خبي قناتك يا سعاد أو ارضي

تلك المحاسن ما خلقن لبرقع

والبيت يمثل لنا الهبة الإنسانية الحارة

المتوبة إلى معرفة هذه الطليقة العلوية النخبوة

في تجاليدنا ، تلك هي الروح التي أعيا كشفها

العلاسة والملاء من قديم الزمان ، وفيها

يقول الله تعالى : وبسألوئك عن الروح

قل الروح من أمر ربي .

ويقول في زلزال اليابان :

قبح بطوكيو وطفح على يوكهامه

واسأل القرين كيف القيامة

ولو أنك اكتفيت بهذا البيت عن سائر

القصيدة ، لوجدت فيه التصوير الشامل لما نزل

بالبدين من الفواجع والمواجع ، كيف

القيامة ، ليست القيامة إلا أن تزلزل الأرض

زلزالها ، وتخرج أبقالها ، وتبرد الجسيم -

ويحيط سرادقها بالناس ، ويفر المرء من

أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبه وبنه ، وهذه

الصورة المفزعة ، نستجليها من هذا البيت

الذي زاد في قسوته ، جمه بين أربع أدوات

طلبية اقف - طف - أسأل - كيف .

فإذا وصلنا إلى مرآيته ، ظهرت المناسبة أدق

وأعمق ، وبراعة الاستهلال أدل وأوضح ،

يقول في رثاء المنفلوطي :

اخترت يوم المحول يوم وداع

وفناك في صف الرياح الناهي

تتعرف أن حادثاً جلاً وقع يوم وفاته ،

أذهل الناس عن المصاب به . وصغر لحيتمهم

فيه ، وشغلهم عن تشييعه إلى مقبره الأخير ،

وقد كان ذلك ، فقد لحق المنفلوطي بالرفيق

الأجل في اليوم الذي حاول شاب مفتون أن

يقتال الزعيم سعد زغلول بإطلاق الرصاص

عليه ، وهو في طريقه إلى انجلترا للمفاوضة ،

وقد فصل ذلك شوق بقوله :

هتف النعاة عني فأوصد دونهم

جرح الرئيس منافذ الأسماع

من مات في فزع القيامة لم يجد

قلما تسبح أو حجارة ساع

ثم يقب هذه الآيات التي تشكل ذلك

الإطار الإنساني البديع ، الذي يجمع بين

الأسى والتأسى :

ما ضر لو وقفت دكا بك ساعة

كيف الوقوف إذا أهاب الداعي

خل الجنائز عنك لا تحفل بها

ليس الغرور ليست بمناع

واصد سماء الذكر من أسبابها

واظهر بفضل حكايات مذاع

ويقول في رثاء ثروت :

يموت في القاب أو في غيره الأسد

كل البقاع وساد حين تقصد

فما الذي نفهم منه ؟ نفهم أن ثروت مات

مفترباً ، وهذا ما حدث ، فقد وافته الأجل

المختوم في باريس بعيداً عن وطنه . وهناك

خففت لعزة الموت البرما
وجسد بجلال منطقته وراعا
وقد كان عاطف رجلا صارما جلدأ مر
الحفاظ ، قوى الشكيمة ، شديد المراس ،
كثير الاعتداد بنفسه والحرص على كرامته ،
فكان من المناسب وصف الموت بهذه العزة
والجلال والزوعة ، لينتشل في النفوس أن
الذى قهر عاطفأ هو قاهر كل حى ، وغالب
كل غلاب ا .

ويقول في رثاء عبده الخولى :

طوى البساط وجفت الأقداح

وغدت هواطل بعدك الأفراح

فلولم يعرف أن الميت عبده الخولى المغنى

لعرف على كل حال أنه مغنى مرموق المكانة ،

سنى المتزلة ، وإلا فهل يطوى بساط الراح ،

ونجف الأقداح وتعتل الأفراح . لغير

بلبل صداح ا ا .

شئ آخر أهم من هذا يجب أن نفهمه ، فقد
كان ثروت من زعماء الساسة وله أصدقاء
في القصر ، وفي الأحزاب المختلفة ، فأراد
شوق بهذا المطلع الرائع المتطوى على حكيتين
أن يصوره في أروع صورة ، صورة الأسد
الذى لا يزرى به أن يقضى في غيله أو في غيره ،
بل ربما كان موته في غيره أشرف وأكرم ،
وأنه لا تفاضل بين بقعة أمام الموت ، فالأرض
جميعاً لا بناتها مهاد ووساد ، ومنها خلقناكم
وفها نعيدكم ، فجد الميت من جهة ، وكبت
خصومه من جهة أخرى ، وقد أفصح عن
ذلك بقوله بعد ذلك :

لم يبق الضاحكين الموت ما وجدوا

ولم يرد على الباكسين ما فقدوا

وراء ويب اليبالى أو لجسادتها

دمع لكل شمات ضاحك رصد

ويقول في رثاء عاطف بركات :

على الجندى

اعتذار

تعتذر إدارة المجلة إلى السادة القراء من تأخير هذا العدد ، فإن الورق الصالح للطبع
قد فقد من السوق فلم نستطع الحصول على هذا النوع الوسط إلا بعد وقت ومشقة .
والرجاء في الله أن تزول أماننا المعبات فتصدر المجلة دائماً في موضعها المقرر .

مناقشة

الدين

هل أدى دوره وانحسر مده ؟

للأستاذ محمد فتحى عثمان

ثم . . . تحكم الإنسان في الطبيعة ، وأصبح
يق نفسه بعله وفكره ، وأصبح يستلهم نفسه
في أدبه وقته . . . ومعنى هذا الأسلوب الرقيق
المهذب . المهاد المنصف ، أن الدين قد أدى
دوره المشكور ، ومكانه الآن أن يمرض في
المتاحف أو يؤرخ في السطور !!

. . .

ومناقشة هذه الدعوى العريضة تقتضى أن
نعرف على حضارتنا العصرية : هل مدى
كلها ، ومدى استغنائها بذاتها عن الدين
وعن غير الدين . .

ثم نعرف على (الدين) : هل مهمته
الإنسانية ، لتبين : هل تراء حقا قد أدى
رسالة واستنفذ أغراضه ؟ ؟ .

ومن نلّه أولا إلى خطر النبوءات المطلقة
والأحكام العامة المأملة في حق الدراسات
الإنسانية والدينية . . . إن الذين يتنادون
بالمتهج العلمى ، ويريدون تطبيقه على هذا

قالوا . . . : وهم يتظاهرون بالحياة
والإنصاف : الدين شيء جليل حقا ، من
ينكر أثره في التطور التاريخي ؟ من يتجاهل
فضله على التقدم الإنساني ؟ ؟ .

ما أبلغ آثار المسيحية في تاريخ أوروبا ؟
ما أروع فضل الإسلام على تاريخ العرب ؟
هل يتسنى لمخلاق أن يدبر ظهره لدور الدين
التاريخي ، إلا أن يغمض عينه عن الدلالات
القاطعة لعم الاجتماع وتاريخ الفن ، تلك
الدلالات التي تشهد للدين بأنه كان الوقاية
الأولى للجمع بما يؤله وما يرمض : Tabou ،
وما يحمل وما يحرم : Tabou ، وبأنه كان
الدافع والحافز لكثير من الآثار الفنية
الأولى من نقوش ورسوم ، ثم من تماثيل
ومعابد ومقابر .

ثم . . . ماذا ؟ ؟ .

ومن هنا تظهر الغاية من الحياة ومن
الإنصاف .

فقدت أسلاكها ، والأجسام الصلبة كانت لا تزال صلبة والأجسام المعتمة كانت لا تزال معتمة ، ونيوتن وجاليليو يمكن في سلام ، وعلم الفيزياء هاتين وقواعده مطلقة ، والزمان يجري بأيامه العادية ، والسطوح كلها كانت سواسية أمام الكون ، وتمنع المكان باللاتناهية والتجانس لا يتأثر أبداً بشيء مما يجري في داخل أحضانه العظيمة . والمادة تحكمها قوانين حكيمة عادلة ، ولم يحط بها أبداً أنها ستعدل منها شيئاً مهما يكن ضئيلاً حتى فقدت في هذه الهوة من التجزؤ فكرة القانون نفسها .

ولكن هذا كله لم يحد اليوم إلا حلاً ودعائنا ، لقد تغير هذا كله كما تغيرت خريطة أوروبا وكما تغير مظهر الشوارع . . .

إن أعلم العلماء وأعمق الفلاسفة وأرفع السياسيين سنة ١٨٨٧ ، هل كان في وسعه أن يحلم - مجرد حلم - بما نراه اليوم ؟ إنه ليس من الممكن مجرد تصور ما هي العمليات العقلية التي يحدثها في كل المادة التاريخية المتجمعة من سنة ١٨٨٧ ، كان يمكنها أن تستنتج من معرفة الماضي - أيا كان رسوخ هذه المعرفة وإحاطتها - فكرة ولو تفريرية جداً عما عليه الآن . . . ١١١

ولهذا فإنني أتخشى التنبؤ . . . إن التاريخ هو العلم بالأشياء التي لا تتكرر أبداً . فالأشياء التي يمكن تكرارها ، والتجارب

النوع من الدراسات ، ينبغي ألا يندفعوا في إصدار الأحكام واصطناع النظريات بغير روية ، طائنين أن شيئاً من الحدس والتخمين ، بجانب بعض الملاحظات الجزئية القاصرة ، مع كثير من التحمس والتعصب لرأى - كل أولئك كفلاء . يحمل معضلات السلوك الإنساني . . أمثال هؤلاء الجهابذة يرغبون في الدين معنى الإيمان بالغيب ، بينما هم يعرضون قضايا خطيرة من مفاهيم المستقبل كل سندهم فيها مجرد إيمانهم الشخصي . . . وشتان بين الإيمان بالله واليوم الآخر في سلامته وعمقه ، وبين إيمانهم الذي يريدون أن يعملوه العوض والبديل ، باسم العلم والبحث الرصين . ١

يقول بول فالري (١٨٧١ : ١٩٤٥ م) :
 إلى لاتساءل الآن ماذا كان يمكن التنبؤ به سنة ١٨٨٧ مما وقع فعلاً منذ ذلك العام ؟

لاحظوا أننا في خير الظروف للتجربة التاريخية ، فلدينا كمية هائلة ، لعلها أكثر مما يجب ، من المعلومات : كتب ، صحف ، صور شخصية ، ذكريات شخصية ، شهود لا يزالون كثيرين ، والتاريخ لا يبنى عادة بهذا القدر الوفير من المواد .

إذن ماذا كان يمكن توقعه . . .
 في سنة ١٨٨٧ هذه كان الجو مخصصاً للطبوع وحدها دون سواها ، ولم تكن الكهرباء قد

ونهاية هي قيام الساعة . . . حاول فلاسفة القرن الثامن عشر أن يحذفوا الخلق والساعة وأوجدوا لتاريخ المسام صورة أخرى . صورة حركة تجري في خط مستقيم نحو كمال تبلغه فرنسا أو أسبانيا أو إنجلترا أو الأمة التي ينسب إليها الكاتب . . . وهي صورة لا يستطيع أن يدبر أصحابها مكانا لهند أو لصين ، أو حتى روسيا أو أمريكا . . . والواقع أننا لا نستطيع أن نقبل حركة تاريخية تجري في خط واحد . . . إننا لا يمكن أن تصور التاريخ إلا شجرة كثرة الفروع في التاريخ تتعاصر الحضارات إما قبلها وإما فلسفيا في تفكير المؤرخ ، هذا والعلوم الإنسانية تتبادل المعلومات وتستخدمها في عرض الظواهر الاجتماعية عرضا معقولا . ومع هذا فالسير بالمنهج العلمي حدود ، فإننا أومن مثلا بأن اصطداما يقع بين شخصيتين إنسانيتين لا يمكن أبدا التنبؤ بما يسفر عنه من نتائج فهو لا يخضع لقانون معروف . كذلك ما تنفجر عنه النفس الإنسانية شعرا أو إلهام أنبياء لا يخضع أيضا لأي قانون فهي ظواهر تنبع عن قدرات الخلق وتعود بنا إلى الصورة التي رسمها الكتب السبوية لتاريخ الإنسان . . . لقد أصبح (للدين) المكانة الأولى في تصويري لتاريخ العالمى ، وليس هذا الدين هو الدين المسيحى

التي يمكن إعادتها ، والملاحظات التي يملو بعضها بعضا . كل أولئك من شأن علم الفيزياء وإلى حد ما علم الأحياء . لكن لا نحاول أن تأمل الماضى بما فيه من غابر لن يعود أمر لا غناء فيه . إنه يبعث لنا خصوصا إخفاقات التنبؤات البالغة الدقة إخفاقات متواصلا ، وعلى العكس يكشف عن الفوائد الكبرى للإعداد العام المستمر الذي يسمح للإنسان بالعمل في وقت مبكر عند المتوقع . دون أن يدعى خلق الأحداث أو تحديها لأنها دائما مفاجآت ، أو تتلوى على نتائج تثير الدهشة والذهول (المجلة التاريخية ١٩٥٦) .

ويقول المؤرخ الفيلسوف الكبير أرنولد توينبي :

« إن الحقبة التي نعيش فيها تحتم عهدا من التاريخ الحديث يصح أن نطلق عليه اسم (العصر الحديث المتأخر) ومدته قرنان ، ونصف ، مبدؤه حوالى سنة ١٧٠٠ وهو عصر السيطرة الأوربية على العالم ، وعصر سيطرة الطبقة الوسطى على أوروبا ، ومن ثم على شعوب العالم . ومن هذا العصر الحديث المتأخر عدل المفكرون . . . وبصفة خاصة مفكرو القرن الثامن عشر . النظرية العامة لتاريخ العام ، وهي نظرية الأديان السبوية وقوامها حصر ذلك التاريخ بين بداية هي خلق الله العالم

الدينية التي كانت مقياساً دائماً للسلوك ،
ويبدو أن الكنائس أصبحت وسيلة للقيام
بطقوس شكلية بدلا من التأثير على معتقدات
الناس .

إن رغباتنا تنقسم كلها بطابع السعادة المحمومة
وطابع النور والافتقار إلى الطمأنينة . لقد
انصرفت روح الإنكار على روح اليقين . .
إننا صدمنا في كل مكان - تلك السكينة أو الثقة
بالنفس التي تجعل الأفراد يختارون حلا من
الحلول ليصلوه موضع عبادة .

إن منهج الغرب في الحياة قد وضع في بوتقة
الانفصار ، وتحولت العلوم - سواء علوم
الطبيعة أو علوم الأحياء - إلى معلومات
ميتافيزيقية ، وإذا ما كانت قد صارت في يد
إدنجتون وجينز مثلا جزءا من رد الفعل
شبه التلقائي ، إلا أنها تفتقر إلى الهدف . فهي
لا تقدم لنا شيئا غير تلك القيم التي تشيع
الموضى في كل جزء من أجزائها . وفي مقدور
هذا العلم أن يتيح الرفاهية المادية ، ولكن
يبدو أنه عاجز عن اكتشاف مبادئ الرضا
الروحي ، وعلى الشرق العريق في الوقت الحالي
أنه يتحدى هؤلاء الذين يسمون إلى الاحتفاظ
بظروف الوصاية . . لقد كان من الممكن أن
تعلم اليابان كيف تكون قنطرة بين الشرق
والغرب ولكن يبدو أنها ! - تفقد سوى
درس الاستعمار ! لقد اكتشفت سر المهارة

التي نشئت عليه بل أصبحت أرى أن ديانات
الهند سوف يكون لها أثرها في المكانة التي
أتصورها للدين في المستقبل ، على أني أعتقد
أن أيسر سبيل لفهم العالم هو ما يبيته لكل
إنسان دين آباءه وأجداده ، (المجلة التاريخية
سنة ١٩٥٧) .

هذا تنبيه أساسي لا بد منه . . . لمن
يريد أن يسير خطوات في دراسة الدين
ودوره وتاريخه ، وفي كل دراسة إنسانية
ودينية على وجه العموم .

• • •

هل الحضارة الغربية حقاً قد اهتمت
إلى تحقيق طمأنينة النفس واستقرار المجتمع
بغير دين ؟ ؟ ؟

ما أكثر ما كتب الغربيون في نقد
حضارتهم . . . وهذا هارولد لاسكي المفكر
البريطاني الاشتراكي المعروف يقول :

« إن عالم اليوم يعاني من الشعور العميق
بجيبه الأمل ، وقد انتشر هذا الشعور في
أماكن كثيرة ، ويبدو أن جيلنا فقد قيمته
لقد حل الشك السافر محل اليقين ، وحل
اليأس محل الأمل ، ويبدو أن الاتجاهات
الحديثة في الفن والأدب والموسيقى لا تعترف
بالتراث الذي أبدع روائع الماضي . . .
والحرب قد سدلت حجبها القاضية للمعتقدات

الدين الذي أشبع القلوب والعقول من قرون وقرون !!

وعالجت الحضارة الغربية بعض أزماتها في ميدان علم النفس .. تحاول أن تسد الثغرة الروحية في بناء الحضارة المادية بصلم يسير على مناهج العلوم التجريبية المادية ، ونجح علم النفس حين تواضع ، وأخفق حين جمع ينشد (فلسفة نفسية كاملة) أودينا جديدا ، وأشار في نجاحه وإخفاقه إلى الضمير الغائب إلى الدين !! .

وحسبت الحضارة الغربية أنها عثرت على الصلابة المنشودة والعلاج الشافي الذي يلين بالمتحضرين ، فأقبلت تستمد غذاء الروح وشفاء النفس من إلهامات الفنون : فنون القول والتعبير والتشكيل كلها .

وانطلقت الأرواح الهائجة تعربد في الواقعية والبريالية وما إليهما . ولكن هذا التجديف هنا وهناك لم يطمس حكمة تولستوى المادية حين يقول : « الأديان تقدم أسى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من فهم للحياة في أي عصر من العصور ، وفي أي مجتمع من المجتمعات ؛ ولذلك كانت الأديان على الدوام أساس تقدير العواطف الإنسانية ، فإذا كانت المظاهر التي يثيرها الفن تقترب من المثل الأعلى الذي يشير إليه الدين وتجاوبه ولا تناقضه فهي مشاعر صالحة ، وإذا كانت تنأى عنه وتعارضه

في لندن وبرلين ، في باريس ونيويورك ، ولكن يبدو أنها تفتقر إلى الهدف الكبير الذي تهب له هذه المهارة !! » .

(Democracy in Crisis)

هذه كلمات دقيقة في وصف سيكلوجية المجتمع الغربي ...

وصاحب هذا الوصف ليس من دعاة الدين - ومن أجل هذا أوردنا تقريره - إنه يقول « ومنذ قرن مضى كان في مقدور الدين أن يتيح للكثيرين الأمل في تعويض ما نالهم من الحياة وذلك في الحياة الأخرى ، أما الآن فقد أطفأ العلم أنوار السماء ولا طريق للتخلص إلا في ظل الحاضر العاجل !! ومنذ قرن مضى رأى الناس يارقة أمل في الطاقة الصناعية الجديدة ، والآن وبالرغم من مزاياها الهائلة ينضج أن الطاقة المادية التي تستطيع أن تشكل الطبيعة لخدمة أغراضنا - دون أن يساندنا مبدأ ما - لن يصبح لها أي معنى ، إلا إذا كان لهذه الطاقة هدف معروف » . وأخذت الحضارة الغربية تحاول أن تسد الثغرات في بنيانها الشاخ .

وانتمست في بعض المذاهب الشاملة الكاملة totalisme شيئا يكون ديناً أو كالدين ... ولم تستطع القومية أو الديمقراطية أو العاشية أو الماركسية أن تسد في قرن أو قرنين مسد

وحضارة الغرب ليست كما يتصورها أهل الشرق المتطلع للهنوز ، بناء كاملاً ليس به ثغرات ، جنة خالدة على الأرض لا يمس المرء فيها نصب ولا لغوب !! والإنسان في هذه الحضارة المصرية لم يعد ذلك (الإله) الذي توهمه عصر النهضة : يقوم وحده ، ويستغنى عن غيره ، ويسخر الطبيعة بعقله ، وينعمر بناييع الحكمة من نفسه وفكره .

لقد انكشف القناع ، فإذا به إنسان الأمراض والعقد النفسية والاضطرابات العصبية والضعف البشري بكل صوره الروحية والجسدية الفردية والجماعية !! .

والحضارة الغربية مع ذلك قد أفادت الإنسانية فوائد جليلة ، والذين ينقدون اليوم هذه الحضارة إنما ينقدونها بما أخوه عنها من علم وما تطووه من نهج وما اكتسبوه من منطلقات .

والحضارة الغربية هي التي أحسنت إطلاق قوى الإنسان كما أحسنت الكشف عن تقطع الضعف فيه !! ونحن نريد - في هذه الفتوة الحقيقة من تاريخنا - أن نتعرف على الحضارة الغربية تعريفاً صحيحاً ، وأن نتبين خيرها وشرها قفزاتها ومازقها ، وأن نجتهد كي تنفرد رد الفعل الذي وقع فيه القوم يوم شذبتهم النهضة والكشوف والتجارب والآلات .

ولدينا من دروع الوقاية وأسباب التوازن

فهي مشاعر رديئة . . . لقد اتجه الفن إلى طلب المتعة في أوروبا بضعف العقيدة الدينية الذي غلب على الأوروبيين وبدأ منذ عهد إحياء العلوم ، وهذا الاتجاه حرم الفن الموضوعات الدينية العميقة وجعله ينزع إلى العمل على إرضاء فئة قليلة من الناس وهم الطبقة الارستقراطية . وقد فقد الفن من جراء ذلك جمال الصور وغلب عليه الغموض والتكلف وصار فناً متكلفاً غير طبيعي وإعراض الفن عن تصوير العواطف المباشرة من الإدراك الحسى الدينى جعله يتجه إلى طلب المتعة ، والمتع الإنسانية لها حدودها التي أقامتها الطبيعة في حين أن تقدم الإنسانية الذي يصحبه ويردده الإدراك الحسى الدينى ليس له حدود . . . والإدراك الدينى يتجدد كلما تجددت علاقاتنا بالعالم من حولنا ، وهو لذلك يقدم للفن مشاعر طريفة

ترجع المشاعر المتباعدة عن حب المتعة المحدودة القديمة . وقد لحظ تولستوى أن أكثر الروايات والقصص من عهد بوكاتشو حتى عهد مارسل برينو تدور حول مشاعر الكبرياء والشموخ والأحاسيس الجنسية ومشاعر الملل من الحياة والتبرم بها ، (على آدم - مقال بالمجلة ديسمبر سنة ١٩٥٨) .

حضارة الغرب إذن ليست راضية عن نفسها وليس أعلامها راضين عنها . . .

دين يختلف تاريخه معنا عن تاريخ الدين مع الغرب .
 ثم لدينا تجربة كاملة قدمها الغرب بين أيدينا حيث أسعنا أول الأمر تسيحات التقديس للحضارة الإنسانية المادية الجديدة حيث لا مكان لإله أو لعالم آخر مغيب ، وما لبث أن أطلق بعد ذلك صرخات البلبلة والشكابة من الحضارة القائمة . . . ثم في آخر الأمر باح الغرب بأشواقه المسكوبة وهنا إلى الإيمان من جديد .

براجع عنها تقارير اشبنجر وتويني ، ورسل ولاسكي ، وبرجسون ولوبون . . . وغيرهم فإنما أقوم وأوثق لبيان الحقيقة في هذا الباب .

فإذا استقام لنا الطريق . . . وعرفنا أن الحضارة الغربية تشكو الثغرات والشفوق . فهل ما زال الدين صالحا لممارسة مصيرة أخرى تبرى الفرد والجماعة ؟؟ . هذا ما تناقشه في العدد القادم ؟

فنعى عثمان

وعلى الجيل الراعي قبل أن يسلم نفسه تماما إلى معابد الحضارة الغربية في شرقنا ، أن

العلم

في (نهج البلاغة) : الناس ثلاثة : عالم ، ومتعلم ، ومهمل راع أنباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال . المال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق .

العلم دين يذنب به ، به يكسب الإنسان الخير في حياته ، وجميل الأحدث بعد وفاته .

التابغة الشيباني : ميسر لانصراني للأستاذ محمد وجب البيومي

وتصوغها التؤدة والاعتبار ، كما رزق خبرة
دقيقة - تكاد تكون عجبية من مثله - بطوايا
النفوس ، وخبايا الصدور ، فهو يعلم لمن
القول من كل كاشح ، ويقرأ ما وراء البسات
من شجون وأحزان ، ويستشف الكذب
المقنع خلف الصدق المصطنع ، والسذاجة
المزعومة ، وهو فوق ذلك ناقد أدبي يفصل
محاسن الشعر في قصائده فيتحدث عن مزاي
الشعر الجيد وتأثيره ويشن الحملة على الشتامين
والهجائين من النظامين ، ويوازن بين الحرون
الذي لا بمعنى في حومة ، أو بكر في ميدان ، وبين
السابق المحلى تحت العجاج ، كما يستطيع أن يعطيل
وبطيل في غير إسفاف حتى لتجاوز القصيدة
الواحدة مائة بيت ١١ وشاعر هذه بعض
سماته لابد أن يجد من يقدره قدره الرفيع ١١
ولكن الحظ العاثر قد رماه بكوارث دامية ،
فمع ما ناله من الخنول في الأجيال السالفة
قبل طبع الديوان ، نجد أن أكثر شعره
ينسب زورا وهتاناً إلى غيره ، ويزيد القدر
في مداعبته فيوجه النسبة إلى أناس لا يعقل
أن تصدر عنهم هذه الأبيات ، لبعدها عما

لا أدري لماذا نخل ذكر التابغة الشيباني
ونبّه سواه : مع أن شعره يشير إلى موهبة
طالية ، وقرينة صافية ، وطبع أصيل ، فقد
كان الرجل فناً بين الشعراء في اتجاهاه الأدبي
والاجتماعي معا ، فقد نشأ في عصر التناقض
والمهاجرة حيث دارت رحى المراك والهجاج
فلم يشأ أن يخوض معركة تعود على سمته
الطيبة بالظنة والإرجاف ، وما كان ذلك عن
عجز في القول ، أو قصور في الإنصاح ،
فقصائده المتوية في مختلف الأغراض الشعرية
تشهد بمهارة حسيمة ، وقدرة ممتازة ،
ولعل نكوله عن هذا الميدان الصاخب
قد ساعد على ركود شعره ، وقلة روايته ،
حتى جاءت دار الكتب المصرية منذ ربع
قرن فقدمت ديوانه الشعرى للقراء ، فعرفوا
مكاته ، وأنزلوه بين معاصريه أطيب منزل
وأرضاء ، واستطاع أساتذة النقد أن يزوا
الرجل بميزان منصف أمين ، والحق أن
المتبع لقصائده الرائعة يرى فيه مثالا كريما
لحكم الجاهلية زهير بن أبي سلمى ، فقد أولع
الحكمة الفطرية التي تنضجها التجربة

وآخر هؤلاء هو الأب لويس شنو اليسوعي صاحب شعراء النصرانية ١ ومع اعترافنا بأن نصرانية الشاعر أو إسلامه لا يغيران شيئاً من مكانته الأدبية ، فإننا نجد من الإنصاف للرجل أن نضعه في مكانه الصحيح ، فلا يعرف عنه غير الواقع الأكيد ١١

وأبادر فأقول : إن اكتشاف هذا الخطأ كان مصادفة محضة ، فقد قرأت قديماً قول أبي الفرج في ترجمته للناطقة بالأغاني - وقد نقلت في مقدمة الديوان - « وكان فيها أرى نصرانياً ؛ لأن وجدته في شعره يحلف بالإنجيل والربان وبالآيما التي يحلف بها النصاري ، ثم بدا لي بعد عشر سنوات أن أقرأ ترجمة الناطقة في الجزء الثالث من مذهب الأغاني فوجدت أستاذنا الحضري - رحمه الله - يقول تعقياً على قول أبي الفرج المتقدم ؛ وقد وضعه في الأصل بين قوسين : « يقول محمد الحضري : قرأت على ديوانه بخط أستاذنا الشنيطي - رحمه الله - هذا ديوان الناطقة الصلياني عبد الله بن المخارق بن سليم رحمه الله تعالى ورضي عنه ، اهـ فقلت في نفسي كأن الشيخ الحضري يتشكك في نصرانية الشاعر مستنداً إلى عبارة العلامة الشنيطي إذ خص الناطقة بالرحمة والرضوان ١١ فلا بد إذن من فحص هذه المسألة لنصم الشك باليقين . ولم أشأ أن أتعب مؤرخي الأدب من

اشتهر عنهم من صفات ١ فانت مثلاً نجد رواة الأدب ينسبون إلى الخطيئة قول الناطقة الصلياني :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التي هو السيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً
وعند الله للأنبياء مزيد
وما لا بد منه سوف يأتي

ولكن التي يحض بعيد
فإذا قلت لبعض هؤلاء : إن روحاً خبيثاً كروح الخطيئة الشره الشحيح لا يمكن أن يرشح بهذا الخير المستطاب ، ووجدت من يشكف الرد فيفرق بين القول والعمل تارة . ويتمحل التمليل النفسي تارة أخرى . فيزعم أن النفس البشرية في ساعة ندمها المفرط تطمح إلى سلوك مضاد ، ينأى بها عما ارتطمت فيه ، ولذلك جاء الزهد من أبي نواس الخليل ١١ ونحن بهذه المناسبة نقول لهؤلاء : خففوا من الفروض العقلية والتأويلات النفسية بعض الشيء ١١ فبين الفرض العقل والواقع العملي آماد ، وآماد ١١ .

وأضف كلثة نزلت بالرجل فوق ما تقدم هي بدون شك نسبت إلى غير دينه فقد تضافر كثير من الكتاب على هذه نصرانياً لا مسلماً ، وأول من أوجب بهذا الحديث المائل أبو الفرج الصلياني في أعانيه ،

يليه تضمين بليغ لبعض آيات القرآن ، فهو دليل أول بلا جدال .

ثم وجدت الشاعر يهني الوليد بن عبد الملك بفتح مدينة طرندة ، وتضييق كنيستها ، وبناء مسجد بها ، إذ يقول ص ٥٢ :

أخزي طرندة منه وابل برد
وصحكر لم تقده العزل الجوف

حتى طورا سورها من كل ناحية
وحان من كان فيها فهو ملهوف

تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحية
والله يعلم ما تخفى الشرايف

فلست يبعثهم عن جوف مسجدنا
فصرها عن حديد الأرض منسوف

كانت إذا قام أهل الدين وابتلوا
بانت تجاوزنا فيها الأساقيف

فاليوم فيه صلاة الحق ظاهرة
وصادق من كتاب الله معروف

فيه المثاني وآيات مفصلة
فبين من دنا وعد ونحويف

قلت : إن الشاعر الذي يهني بتضييق
الكنيسة ، ثم يقول : تدعو النصارى لنا ،

ويبيع ذلك بقوله عن جوف مسجدنا ،
ثم يصف صلاة المسلمين بصلاة الحق ، ويشيد

بالمثاني والآيات القرآنية . إن شاعر يقول :
ذلك هو مسلم لا مرأه فهذا دليل ثان .

ثم وجدت الشاعر يقول ص ٢٢ :

ترجوا التابعة فلنك عناء مديد يزيد الشك
ولا يحسمه ١١ فقصت إلى الديوان أقرؤه

قراءة التأمل الفاحص ، لأجد ما قد يزيل
الطلسة من شعره الصريح ، وكانت دهشني

عجبة حين وجدت نصوحا متعددة تنطق
بإسلامه لفظا لا يحتمل أدنى خلاف أو تشكك .

فذهبت جدال من قام في دار الكتب بشرح
الديوان وتفسيره ١ كيف ترك عبارة أبي

الفرج في المقدمة المنقولة دون تعقيب ١
مع أنه شرح من أبيات الشاعر ما يقبلها

وأسا على عقب ١١ ولعل الشاعر الكبير الأستاذ
أحمد نسيم - رحمه الله - مع دقته الممتازة

في الشرح وجهوده المفضية في الإيضاح ، قد
كلف بذلك فقط دون كتابة دراسة تاريخية

محفقة ١١ فلم يعمد إلى أبي الفرج بنى ١١
ولكن السكوت عن الباطل منزلة نكراه .

لقد وجدت الشاعر مثلاً يقول في ص ١٧ :
ونعجنى الذات ثم يعرجني

ويسترني عنها من الله سائر
ويزجرني الإسلام والشيب والتقى

وفي الشيب والإسلام للبره داجر
الا أيها الإنسان هل أنت حامل

فإنك بعد الموت لا شك ناشر
ألم تر أن الخير والشر فتنة

ذخائر يحزى بهن ذخائر
فقلت هذا اعتراف صريح بالإسلام ، ثم

يحلف بها النصارى ١١ وهذا الحلف وحده لا يخرج الشاعر عن إسلامه ؛ لأن النصارى أهل كتاب يؤمنون بالله ، وفيهم من ترهب خشية وتقوى ، فإذا حلف بما يحلفون به شاعر مسلم يؤمن بالله كما يؤمنون فلا يخرجهم حلفه هذا عن الإسلام ١١ ونحن في هذا العصر نرى شوقيا المسلم يكثر من مدح عيسى ، ومطران المسيحي يحيى مولده بمجد ومجده فهل سيحيى بعد عشرات السنين أبو فرج آخر فيزعم أن شوقيا مسيحي ومطران مسلم ١١ لو كان ذلك لا حجاج الأمر إلى تصحيح ١١ وأظن أن النابتة قد اتجه هذا الاتجاه بتأثير عدى بن زيد ، فقد قرأ شعره وعارض بعض قصائده ، فأثر في كلامه تأثيراً ظهر في بعض الصور والمعاني والقوافي . . . والحلف أيضا ١١ . . . وذلك مما يجوز .

هذا ويجب أن أشير إلى حادثة رواها أبو الفرج ، وقد تكون دليلاً على ترجيح نصرانيته في رأيه ١١ فقد حدث أن النابتة دخلت على عبد الملك بن مروان فقصته بقصيدة صرح فيها بتفضيل نجله الوليد في ولاية العهد على شقيقه عبد العزيز بن مروان ، فلما علم بذلك عبد العزيز غضب غضباً شديداً ، وقال : ولقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلا ضيقا فأوردنا مودداً خطراً ، واهلث ظفرت به لأخضبن قدمه بدمه . .

ولولا الله ليس له شريك
إله الناس ذو ملك وعرش
لباكرني من الخرطوم كأس
تكاد ستور نفحتها تنشى
قلت : لو كان الشاعر نصرانياً كالأخطل مثلاً ما حرم على نفسه الخمر وقد أباحتها النصرانية فهذا دليل ثالث .

ثم وجدت الشاعر يقول في مدح الخليفة الأموي ص ٢٨ :
دانت له عرب الآفاق خشيته
والروم دانت له جماء والفرس
م الذين سمعت الله أوعدهم

المشركون ومن لم يهوك نفس
قلت في نفسي : إن الروم نصارى ، والشاعر النصراني لا يرضى أن يمسلمهم نصراً كل المشركين ١١ فالشاعر مسلم إذن ، كما أنه يستدل بنصر صريح من القرآن لا يستفده غير مسلم فهذا دليل رابع .

ولفوق ما تقدم من الآيات فقد قرأت للرجل حكماً قرآنية فطمت في ثانيا شعره ، مما يشير إلى ثقافة إسلامية عريقة لا تنح لغير متصق دأرس فضلاً عن شاعر عالم ، ولولا أن المقام لا يسمح بالاستشهاد لضربت الأمثال . . .

بقى أن تناقش دليل أبي الفرج على نصرانية النابتة فقد زعم أنه فيما يرى نصراني لأنه يحلف بالربان والإنجيل ، والإيمان التي

لامه . . . وإني لأحفظ بعض أبيات بقولها
 شاعر في أم خالد : ومنها :
 يقولون نصرانية أم خالد
 فقلت دعوها كل نفس ودينها
 فإن تلك نصرانية أم خالد
 فقد صورت في صورة لا تشبها
 أحبك أن قالوا بعينك ذرة
 كذاك عناق الطير ذرق هيونها
 ولعل من سماحة الإسلام أن تبقى كنيسة
 شاهقة في مدينة عامرة ، لامرأة واحدة !
 دون اعتراض ، ولكنتنا لنجد من الساحة
 لدى أبي الفرج ومن لف لقه أن يستنبطوا
 أوهاما عاطفة تنقل بالشاعر من دين إلى دين
 دون دواصة فاحصة أو نظر بصير .

محمد رجب البيومي
 (المدرس بالمتوسطة الثانوية)

ونحن نقول إن قول عبد العزيز : « لقد
 أدخل ابن النصرانية ، لا يؤخذ منه أن الرجل
 نصراني ؛ لأنه في هذه القصيدة قد حلف
 براهب يظل يقرأ الإنجيل ١١ مع أن
 المحلوف عليه هو تفضيل الوليد على عبد العزيز
 في البيعة ، فكان طبيعياً أن يتضابق
 عبد العزيز من القسم والمقسم به معا ، ثم
 يتكلم بما يريد .

على أننا نخير - من باب الفرض الجدلي
 فقط - أن تكون أم الشاعر نصرانية ،
 عربية أو أعجمية ، حرة أو مولاة ، فلن
 يصير ذلك لإسلام النابغة في شيء ، فقد كانت
 أم الأمير خالد بن عبد الله القسري حاكم
 العراق والمدينة في العصر الأموي نصرانية
 صليبية ، وقد بنى لها كنيسة خاصة بها ،
 ولم يقل أحد : إن نجلها خالد نصراني نبأ

السجن الشريف | مهدة لأحرار العراق |

حبس وأي مهنة لا يهتد
 كبرا ، وأوباش السباع تردد
 أيامه وكأنه متجدد
 شتاء ، فعم المنزل المتوحد
 وزارفه ، ولا يزور ، ويحمد

قالوا: حبست . فقلت: ليس بضائري
 أو ما رأيت اليتيم يألف غيله
 والبدر يدركه السحر فتجلى
 والحبس عالم تغشه لذنبة
 بيت يحدد الكرم كرامة

هل تعلم شيئا عما؟

للأستاذ محمد بن سالم البيجاني

رئيس الجمعية الهندسية للتربية والتعليم بـ

أن يدور بالهوى المادى والأدب ليستطيع أن يجعل الدين واللغة مكانا في بلد كاد المستعمر يسلبه من قوميته وبفته عن دينه ، وهو خليق بأن يسمع له (المؤتمر الإسلامى) وأن يصينه على أداء رسالته .
المحور .

يزور القاهرة في هذه الأيام الأستاذ الشيخ محمد سالم البيهاني مؤسس المعهد العلمى بـ عدن ، وهو رجل مثقف الفكر واللسان ، غلص القلب للإسلام والعروبة ، جاء يظهر بين قومه في الجمهورية العربية المتحدة ، على ما يكابد إخوتهم في عدن من سوء الحال وطنيان الاحتلال بحسبى

والاحلاف مع جماعة من رؤساء القبائل وأمراء الجنوب ، ويدفعون لهم مرتبات شهرية يزعمون أنها لحفظ الطرقات ، ولصد غارات البدو المجاورين لـ عدن ، وأكثر أولئك المتعاقدين مع المستعمر كانوا فقراء جهالا ، لا يدرون ولا يعرفون ماذا يراد بهم ، يملثون بطونهم بتلك المنح المالية ، ويأخذون السلاح ليقتل بعضهم بعضا ، ولكي يتنكب تخفيف المستسلم على القوى المتمنع .

وكن معظم أصدقاء الانجليز غير محبين إلى شعوبهم ، وليست لهم شوكة قوية ، ولا يهابهم رؤساء العشائر المعترف لهم بالرياسة والإمارة . وأنا لا أتحدث في الناحية السياسية بأكثر من هذا ، فالتاريخ كفيلا بكل شئ .

يا سيدى القارى الكريم : نحن إخوانك في العروبة والإسلام ، إخوانك في الدم واللغة والعادة والتقاليد ، نحن فى جنوب الجزيرة العربية ، فى عدن المحتلة التى دخلها الاستعمار الانجليزى فى سنة ١٨٣٩ ، وانخذلها قاعدة حرية ، ومركزاً تموين البواخر الآتية من الهند والذاهبة إليها ، وذلك قبل أن تكون قناة السويس ، وكان يرى فيها المركز الحرفى والسوق التجارية لملتقى طرق البحر الأحمر والمحيط الهندى ، ويستمد منها لغزو اليمن ، ويفكر أن يجعل منها الهند الثانية ، وحالت الأقدار بين الانجليز وبين ما يشتهون ، وبقى الاحتلال تأسراً على منطقة لا تزيد على ثمانية ضرميل ، ولكنهم أخذوا يعتقدون الصداقة

الشيخ عثمان ، والبريقة . ودينهم الإسلام ، ولغتهم العربية . والأجانب لا يزيدون عن ثلاثين ألفاً ، والمساجد في هذه المدن ما بين ستين وسبعين ، وقسام الجمعة في المساجد الكبيرة ، ويؤم الناس فيها جماعة من علماء حضرموت واليمن ، أما المدارس الأهلية والحكومية للبنين والبنات فأظنها نحواً وعشرين ، وهي : ابتدائية وثانوية متوسطة ، وعند نهاية التعليم فيها يتف معظم الطلاب ويخرجون لطلب العيش ، وتوضع الأشواك في طريق الوصول إلى الأقسام العالية ولا شيء منها إلا كلية عدن ولا يزيد طلابها في جميع أقسامها على أربعمائة وخمسين شخصاً ، مع ملاحظة أن عدد التلاميذ في جميع المدارس يقاربون تسعة عشر ألفاً .

والمعهد العلى الإسلامى الذى فتح أبوابه في آخر سبتمبر سنة ١٩٥٧ يتسع بمحمداته لألف وخمسمائة طالب ، وفيه الآن نحو خمسمائة ، وفي السنة الدراسية القادمة سيكونون أكثر من سبعمائة ، وقد اجتمع لبناء المعهد وتأنيته وشراء عمارتين موقوفتين عليه من تبرعات المحسنين مائة وخمسة وعشرون ألف جنيه استرلينى ، وذلك من أهالى عدن ، وإمام اليمن ، والمملكة العربية السعودية ، والكويت ، والبحرين ، وقطر ، والحبشة ، وأريتريا والصومال الفرنسى ، وهو يحتاج إلى المعلمين

والأحداث كل يوم تملا العيون والآذان ، والمختصون لا يحتاجون إلى زيادة بيان ، والعامه لا يهتمون بهذا الشأن ، ولكنه على فرض لازم أن أذكر لقريب والبعيد ، والصدى والعدو ، ما نحن عليه من سوء الحال في اليمن المحتلة : من الجهل والفقر والمرض ، والظلم واختلال الأمن ، ومزاحمة الجاليات الأجنبية في جميع مرافق الحياة ، ووسائل العيش ، فهم الذين يديرون الحركة الاقتصادية ، ويتقلدون المناصب العالية ، وتوظفهم الجهات المختصة في دوائر الحكومة ، ومكاتب الشركات التجارية .

ولحواليد عدن ولرعية المملكة المتحدة من أبناء « الكومنولث » حق التصويت والانتخاب ، وترشيح أنفسهم لعضوية المجالس البلدية والتشريعية ، وليس ليعنى شيء من ذلك ؛ لأنه أجنبي في نظر المستعمر ، والفارسي ، والهندي الوثني ، واليهودي الصهيوني أحق بالخيرات ومصالح البلاد من أبنائها الشرعيين المرتبطين بالحكومة المتوكلية باليمن ، يا لله ! ، وفي المدارس لاحق لهم ، ولا توجد لهم مقاعد إلا ما فضل وبقى بعد أبناء « الكومنولث » .

ثم لأحدثك ياسيدى عن السكان وأحوالهم العامة فهناك نحو ثلاثمائة ألف في مدينة عدن والمدن التابعة لها : المصلا ، التواهي ،

والإساقفة الأكفاء. من حملة الشهادات
لتدريس فيه باللغتين العربية والانجليزية ،
ولكى معلمين متخرجين من المعاهد الدينية .
والحكومة الانجليزية لا تسمح بدخول
واحد من أبناء الجمهورية العربية المتحدة ،
لانها تخاف منهم وتحسب أنهم يأتون غزاة
فاحمين ، وفي هذه الجولة التي أقوم بها في
الاقطار العربية أرجو مساعدة المؤتمر
الإسلامي والوزارات المختلفة للتربية والتعليم ،
والأوقاف حتى يتم هذا المشروع ويؤتى
رسالة العلية في جميع مراحل التعليم ؛ وذلك
بالمال والكتب والأدوات المدرسية وتدريب
المعلمين اللازمين .

ولابد قريباً من تحسن العلاقات بين
الانجليز والجمهورية العربية المتحدة فتأتي
البحوث لمعرفة الأوضاع ولدراسة الأحوال
هنا ، وعلى رجال الأزهر الشريف وعلمائه
الفاضل أن يولوا قضيتنا مزيد اهتمامهم ،
فإنهم بأضعف حتى ولا بأنفس حظ من
البلاد الأخرى ، حيث يصل إليها الأزهريون
ويقومون فيها بواجب العلم والعلماء .

وهودة إلى الموضوع أقول : إنها توجد
في عدن خمسة مستشفيات وليس لها طبيب
عربي واحد إلا الممرضون ، وإلا شاب
تخرج في لندن منذ أربعة أشهر .

والمحامون والمهندسون والصناعيون
والفنيون لا يوجد منهم إلا الأجانب من
الطليان والمناذكة ، والحمد لله الذي لا يحمده
على المكروه سواء ، ولا شك أن الناس
قد استيقظوا من نومهم ودبت فيهم الحياة ،
وأخذوا يفكرون في الأمر ويرون أنه
لا سبيل إلى الخلاص إلا بالملم وقوة الربط
بينهم وبين إخوانهم العرب في كل مكان .

وهم الآن بمثابة الفريق المستجعد أو المالك
المستغيث يمدون أيديهم ويقولون . كما قال
يونس عليه السلام : « فنادى في الظلمات
أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من
الظالمين ، فاستجبنا له ونجيئه من الغم وكذلك
ننجي المؤمنين » .

محمد بن سالم البستاني

إمام وخطيب جامع الصقلاني ومؤسس
المعهد العلي الإسلامي بطن - بلاد العرب

ما يقال عن الإسلام

الإسلام والعرب

للاستاذ عباس محمود العقاد

والمعلقون من المحدثين الذين نلج في مصنفاتهم نزوعاً إلى الإحصاف وإعراضاً عن التفتيش ، فإنهم يحاسبون أنفسهم ويشعرون بحاسبة قرائهم الذين نشئوا بعد الحرب العالمية متشككين في كل تقليد قديم ، ومنه تقليد الطعن في الأمم الأخرى ، وبخاصة أبناء الأمم الشرقية والغرباء عن أوربة على التعميم . ويمرّ هذا التحول إلى أسباب متنوعة كما ذكرنا في مقال سابق : منها نشوء تلك الطبقة الحديثة من القراء المنحدرين من سلطان زعمائهم الأقدمين ، والمتشككين في كل عرف موروث يحلّيه أولئك الزعماء .

ومن أسباب التحول غلبة الأسلوب العلمي وما يلازمه من مناهج التقرير والتحقيق في صقول الكتاب والقراء على السواء . فإن هذه المناهج بطبيعتها تفضح من يصطنعها ولا يتحرى الأمانة في اتباعها ، وقد يحرص الناشرون كما يحرص الكتاب على سمعة

كتاب الإسلام والعرب ، Islam and The Arabs ، تأليف الأستاذ روم لاندو Rom Landau واحد من هذه الكتب التي تصدر في اللغات الأوربية بالعشرات عن الإسلام والعرب منذ الحرب العالمية الثانية ، ويسلك مؤلفوها في الوصف والتعليق مسلكاً يخالف المسلك الذي درج عليه سياسة التبشير والمطامع السياسية منذ أوائل القرن التاسع عشر ، ولن تزال له بقية تردد من خير إلى خير في بعض الكتب الرسمية ، والشبهية بالرسمية .

فكتب التبشير والسياسة وغيرها تعتمد التشهير والبحث عن المساوئ في روايتها عن أحوال الأمم الإسلامية والعربية ، وقرأؤها يطلبون منها هذا التشهير ويستريحون إليه على سنة التقليد التي توارثوها من القرون الوسطى .

وعلى غير هذا النمط يكتب الرحانون

يقبلون عليه ، ولا يعدم من الساسة وذوى الآراء من يشجعونه ويميلون إليه .
إلا أن هذا التحول يوشك أن يخذلنا من الحقيقة كلها إن لم نعرف دلائله بغير مبالغة في قيمته وأثره .

فليس قراء الغرب جميعاً منصفين ، وليس كل المنصفين منهم مشغولين بأمور الشرق والإسلام ، وقد يكون في عالم النشر والتأليف عديم من ينصفهم لإنصاف المسلمين والعرب على التخصيص دور أبناء الأمم الشرقية الأخرى ، الذين يدينون بغير الإسلام ويتكلمون بغير العربية ، وقد يعد هؤلاء المخرضون إلى الإنكار الصامت إذا أنشأ بين القراء نقوراً من الإنكار الصريح والافتراء المكشوف .

وينبغي أن تذكر جيداً أن الصهيونية بالمرصاد ، وأنها في ميادين النشر والإعلان أخطبوط لا تسلم من أيديه الظاهرة والخفية شعبة من شعب الثقافة ، أو الدعوة في القارات الأوروبية والآسيوية والإفريقية ، ولا نحال أن هذا العدو اللثيم يرى خيراً واحداً مرضياً عن العرب والإسلام ثم يتركه للنشر والإذاعة إذا تمكن من طمسه وإخفاء معالنه ، وهذا هو الإنكار الصامت الذي نعنيه ونحسبه ميراً للصهيونية العالمية وأذنانها في دور النشر والإعلان ، إذ هو ولا ريب أيسر عليها

بضاعتهم بين جبهة القراء العصريين ، وهم يطلبون غير ما يطلبه قراء التبشير وسماسرة الاستعمار .

ومن أهم أسباب التحول سهولة الانتقال بين الأنظار والاختلاط بين الأمم ، وصعوبة الإصرار على الأكاذيب في عالم تتردد عليه أخبار الإذاعة والمصاحفة من كل طرف وعلى كل صيغة ، ويوجد فيه المروجون والمفندون لكل دعوة يتنازعها الأعداء المخلصون وغير المخلصين ، ومثل هذا العالم يفرض على رواة ومؤرخيه أسلوباً لم يكن بالمقروض على الرواة والمؤرخين في العصور الغابرة ، إذ كان الراوية يلتقي الخبر وتمضى عليه الشهور والأعوام قبل أن يتبعه من يؤيده أو ينفيه ، وربما قيل يومئذ عند تكذيب الخبر أن الأمور خليقة أن تقبل في مدى الشهور والأعوام فلا يشهد المؤرخ في هذه السنة ما كان يشهده سابقوه قبل بضع سنوات .

وأم أسباب التحول في أسلوب الرواة والمعلقين على أبناء الشرق والإسلام أن الأمم الشرقية والإسلامية قد أصبحت في عداد القوى العالمية التي يحسب لها حسابها ويتخرج المسئولون وأصحاب الآراء من إغضاها والإساءة إليها . وقد يكون الإنصاف تمحيصاً عليها ومصلحة سياسية في وقت واحد ، فلا يعدم من الناشرين والقراء من

ويشعر القارئ بمثل هذا الانقباض ، كلما وصل البحث إلى أثر الفلسفة أو الفقه أو مقتبسات الحضارة وقنونها ، مع إقحام أسماء اليهود لغير مناسبة هنا وهناك كما تقحم الرقعة المستعارة ، وربما كان منهم تلاميذ معترفون بتلذثهم لأسانذتهم الأندلسيين المسلمين .

وإذا احتاجت هذه العداوة المنسوسة وأمثالها من العداوات الصامتة إلى كشف ونبيه فلا حاجة بالملحات الصريحة إلى من يكشفها وينبه إليها ، وكل ما يصح أن يقال عنها في هذا الصدد : إنها اليوم أقل وأهون من نظائرها قبل الجيل الحاضر ، وإنها عرضة للاهتمام والرية بين خيرة القراء .

• • •

ولا يخفى أن معرفتنا بالعالم لا تنفينا عن معرفة العالم بنا ، وأتينا كلما أحسنا بأعبائنا في مشبك العلاقات العالمية وجب علينا أن تثبت من مكاننا بين الأمم على أساس الفهم والإنصاف ، وبخاصة في تلك المسائل التي يرتبط بها كيان الأمة كسائل العقيدة والثقافة ، ومسائل التراث السلفي والغاية التي تقساق إليها على هدايته في سعيها إلى المصير المنظور .

فإذا نظرنا إلى كتابات الأقوام الغريبة عنا فقصارى ما نفهمه من نزعة الإنصاف

من الحملة الصريحة التي لا تكتسر في جميع الأوقات حيث تقضى السياسة أحياناً بمجاملة العرب وأصدقائهم في المعاملات الدولية . وبين أيدينا مراجع شتى تلس فيها أصابع هذا العدو المتيهمينة واضحة تم على أصحابها ، ولا يعقل أن تحدث صفواً ولا أن تنسب إلى مصدر غير المصادر الصهيونية .

فن المراجع التي ظهرت حديثاً موسوعة شاملة لأصول الأدب والبلاغة في اللغة الفرنسية ، توسع في الكلام عن حركات الثقافة ومدارس الشعر بين القرن الخامس لليلاد ومتصف هذا القرن العشرين ، ولكنها تفتنّب القول لجأه كلما انتهى بها البحث إلى فضل الأدب الأندلسي على مدارس الشعر والغناء في أقاليم فرنسا الجنوبية ، فتسكت عن كل إشارة إلى هذا الفضل ولوم من قبيل الإلزام بمختلف الأقاويل ، وتذكر كل أثر مظنون أو مفهوم إلا ما كان فيه اعتراف بوجود العرب الأندلسيين ، أو المشابهة بين منظوماتهم وأغانيجهم وبين منظومات الفرنسيين الجنوبيين ، وقد انفقت الآراء مع هذا على تأثير الأدب العربي في الأوزان والموضوعات ، بل في الأزياء والشارات التي شاعت بين طائفة التروبادور المشهورين ، ولم تكن لهم شهرة قبل ظهور الآداب الأندلسية ، وشيوع طرائقها في الغزل والتشبيب .

بلادنا ويعيشون فيها وكأنهم يطيلون الإقامة فيها ليبحثوا عن شيء واحد : وهو أسباب التشهير والانتقام وخبايا العيوب والمثالب ، يبالغون فيها بحذونه منها ويحتلقون ما لم يخلقه ، ومهما تكن من حسنة لهذه البلاد فهي مستورة عنهم أو هم يسترونها بأيديهم ، ولا يذكرونها - إن ذكروها - إلا ليحملوها سيلا للذمة وحجة موهبة ، لدعوى الإنصاف والاستقلال .

والاستاذ لاندو ، جولة رحالة يطوف حول جوانب الأرض ويحمل الله قبلة له في مطاله ، كما قال في كتابه الذي أودعه خلاصة رحلاته وزياراته وسماءه : الله وجهة مطالق ، *God is my Adventure* ولم يدع فيه معتقدا من معتقدات الأمم يوصل إلى الله إلا اتبعه ومضى معه ليلخ به غاية مداه .

وهذا الكتاب عن الإسلام والمغرب ثمرة السنوات التي قضاها زائرا أو مقبلا في البلاد الإفريقية الإسلامية وأخصها بلاد المغرب الأقصى حيث أطال المقام وكافاه ملكها بوسام العلويين تنويها بموقفه من التاريخ الإسلامي والقضايا الإسلامية ، وأوجز ما يقال عن هذا الموقف : إنه شمل الماضي والحاضر في عرض القضايا والمشكلات ، وإنه يعرض منها وجهة النظر الإسلامية على أوقاها فإن لم تكن وجهة نظره بتفصيلاتها

عند بعضهم أن هنالك استعدادا لقبول صورة صحيحة عن الإسلام تؤيدها نحن ولا يملك أحد غيرنا أن يحسن أدائها ، وأنتا لا تزال مطالبين بالعمل الحثيث لتدفع مكاند الصامتين والناطفين من أعدائنا ، وقد صنعوا كثيرا ولم نكد نحن نصنع شيئا يحبط مكاندكم ، كأنما نلقى العبد كله على أولئك الكتاب الغرباء الذين تزعموا منزع الإنصاف .

ونعود إلى الكتاب موضوع هذا المقال ، فتوفيه كل حقه من التقريظ من وجهة النظر الإسلامية إذ يقول : إنه على مثال الكتب التي يؤلفها الغرباء عن الإسلام وتوب عن كتابة أهل في إبراز محاسنه وتصفيه تاريخه من شوائب المسخ والتشويه ، لوجلا للسليين أن يقتنعوا بالإجابة دون الأصابة في هذا المقصد على التخصيص ، وهو بما لا يجوز ولا ترتضيه لنفسها أمة تأنف أن تكون عالة على الغرباء في أمر من الأمور ، وتدع منها أمر الحق عن العقيدة والتاريخ .

فالاستاذ روم لاندو ، مثل صالح للمستشرقين الذين يقيمون في البلاد الإسلامية ويذكرون لها عهد الوفاء بحقوق الصحة والضيافة ، وهو في هذه الحصلة على تقيض أولئك الطراق المستعربين للاستعمار والتبشير الذين يزودون

كل أثر الوثنية التي فشت في الأمة العربية ، وقد كانت رسالة محمد مهمة هائلة جسيمة لا يقدم عليها إنسان يصدر في أعماله عن بواعث المنفعة والآنانية ويرجو أن يحققها بمجهوداته أو بمساعيه الذاتية ، ولا شك البتة في بطلان تلك الأكاذيب التي تزعم أن الآيات الموحاة إليه وليدة نوبات من الصرع كانت نتاجه بين آونة وأخرى . إذ ليس في وسع اللصاب تلك النوبات أن يتلقى فيها نسقا من الكلام له ما للقرآن من العمق وانتظام التركيب . وإن الإخلاص الذي أدى به رسالته ، واليقين الراسخ في نفوس أتباعه بصدقه ، والامتحان الذي اختبرت به رسالته مدى السنين والأجيال ، لم ي من الدلائل على أن محمدا - عليه السلام - براء من شبهة الخداع والادعاء ، فاحدث قط أن عاديا مدعيًا - ولو كان من أصحاب العبقريّة - بقيت له رسالة بعد دعائه ، وهذا هو الإسلام باق بعد ثلاثة عشر قرنا بمنح به إليه المؤمنين طامعا مدعيا ، وقد خلا التاريخ من مثل واحد على دعوى من دعاوى الخداع أفلحت في إقامة دولة شائعة وحضارة من أنبل الحضارات الإنسانية . .

...

وقال المؤلف يملل القراء الغربيين حورثهم في فهم بلاغة القرآن وسر ذلك السلطان

فهو يسدى تلك التفصيلات ولا يخفى شيئا منها . ولقد ألم في هذا الكتاب بمجالة حسنة عن نشأة الإسلام وسيرة النبي وبلاغة القرآن ووسائل نشر الإسلام ومشكلات العلم الإسلامي السياسية والفكرية ، ومنها مشكلة الفلسفة اليونانية والفرق الدينية وحروب الدول ، ثم حروب الصليبيين وغزوات الاستعمار والصليونية ، وقد نل على منبج الكتاب بنقل طائفة من آرائه نكتفي بترجيحها عن التعليق عليها ؛ لأنها تكاد أن تكون تردادا لآراء المسلمين في مناقشة خصوم الإسلام وقل فيها ما يليق . الفارئ المسلم إلى تصحيح أو استدراك .

...

قال عن إخلاص النبي عليه السلام في دعوته : « كل من محمد مفلورا على الدين مستعدا بطيعة لرسالة الإصلاح التي تلقاها في رؤاه ومشاهداته الخفية ، وكان مع هذه الفطرة الروحانية رجلا عمليا يظن يديه لها انطوى عليه المزاج العربي من قوة وضعف ، ويدرك أن الأناة واجبة في تلقينهم آداب الإصلاح سواء أهل المدر والوبر من الحضارة والبادية ، وقد تأصل في روحه إيمان بالتوحيد لا يتقبل المصوادة ولا المصانة ، وعزيمة صادقة على استئصال

في معيشتهم . وعادوا إلى بلادهم بشرات شتى من الحضارة المادية كالسكر والخمر والعطور والأبازير والأصباغ ، كما أخذوا من الشرق تأسيس نظام العملة الذهبية ، ومعاملات المصارف ، واستفاد الغرب والشرق معا من تبادل الخطط في المسائل الحربية .

على أن العرب لم يستفيدوا كثيراً من اتصالهم بالصليبيين ، وكل ما عرفوه من معاملتهم أنهم جشعون متعصبون متوسون يحنون القتال والتدمير .

• • •

وقال عن فضل المسلمين في إحياء الفلسفة :
« إن قصة كشف المسلمين عن الفلسفة اليونانية ونقلها إلى الغرب لم ي فصل من أجل فصول التقدم الإنساني من الجهالة إلى المعرفة ، وما كانت المخطوطات اليونانية بالشيء النادر في أرجاء القسرة الأوربية قبل ذلك ، ولكن تلك المخطوطات كانت - أو معظمها - مدفونة منسية يحفظها الغبار في الأديرة ، ويقول لنا دوجر باكون : إن حفاظ تلك الودائع بلغ بهم الجهل وقلة الاكتراث ألا يلتفتوا إليها ولم تكن لها ترجحات لائنية ، وقد امتازت القسطنطينية على رومة بوفرة هذه المخطوطات ومنها - ومن بلاد فارس - عرف العرب ما عرفوه عن الإغريق . »

• • •

العجيب الذي يملك به قلوب المسلمين ، فكانت خلاصة تعليقه : « أن الغربيين يجهلون مناسبات النزول ، وأن ترتيب الآيات على حسب مواقعها سبب من أسباب حيرة القارىء الغربي عند تلاوة القرآن . . . وأن السور المخلولة نزلت في أخريات أيام النبي وفيها بيان الأصول الشرعية وقواعد الحكم وتدير الشئون العامة ، مما يتبعه القارىء الغريب فلا ينشط إقراءته وإنما يدرك هذا القارىء بلاغة الكتاب في قصار السور التي نزلت بمكة واحتوت من حماسة الروح ما هو جدير بالانتباه والتوقير . »

• • •

وقال عن الحروب الصليبية : « إن أوربة كانت بحاجة إلى منفس لما أصابها من الفقر والمرض ، وجاهتها الدفعة إلى الهجرة من المغرب إلى المشرق من قبل شعوب النورمان والفرنجة ، ويبدو أن الوحدة الأوربية إنما كانت حركة من حركات الاستعمار تفضي فيها البواصع الاقتصادية إلى جانب البواصع الدينية ، وإذا قيل : إن الحروب الصليبية كان لها أثرها في ترويح التجارة بين المشرق والمغرب فالتجارة قد كانت خليفة أن تروج بغير هذه الوسيلة . »

إن الصليبيين وجدوا في الشرق حضارة مادية وثقافية أرفع جداً مما كانوا يجهلون

وقال عن مسألة العرب واليهود : « إن العرب - وهم ساميون - قد عاشوا في سلام مع اليهود الساميين عطفوا عليهم لما ابتلوا به من مظالم النازية ، ولكنهم لا يفهمون لماذا يقتضى عليهم وهم شعب فقير أن يحملوا وحدهم أعباء الغيرة الإنسانية التى بصطنعها الغرب لرعاية اليهود » .

هذه أمثلة من نظرة الكاتب إلى العالم الإسلامى فى مسائل متعددة تجسّد من تاريخه منذ صدر الإسلام إلى تاريخه الحاضر عند

من الغرباء .

عباسى محمود العقاد

سل التاريخ . . . !

سل التاريخ عن رحمة العرب وعظمتهم ، وروح التسامح التى كانت تسودهم . . . !
سله ينبئك أن العرب لم يستغلوا شعوب العالم لإبان قوتهم وبأسهم ، ولكنهم نشروا رسالة المحبة والتعاون والإخاء ، وقضوا على التفرقة العنصرية ، والاستبداد الطبقي ، وحققوا الديمقراطية الصحيحة .

فالعرب - بحق - هم الذين ضربوا للعالم المثل فى كيفية سياسة الشعوب والأمم ، عن طريق المساواة ، وكفالة الحريات ، وسيادة العدل ، وتأكيده الطمأنينة والأمن ، وتحكيم الاشتراكية العادلة .

مَحْنَةُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

زكريا ناصيم القناة

مَحْنُ الْعَرَبِ !

للأستاذ إبراهيم محمد نجما

المخرج في كلية اللغة العربية

وَحَدَّةٌ تَحْمُ شَمْلَ الْعَرَبِ	أَيُّهَا السَّائِلُ قَنَا ، إِنَّا
تَحْمِلُ الْجَمَّ قَرِيبَ الْمَطْلَبِ	كُنَّا فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ يَدُ
سَوْفَ يَمُضِي ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّهْبِ	وَالَّذِي يَطْلُعُ أَنْ يُرْمِنَا
وَنَبْتَنَا فِي وَجْهِهِ التَّوْبِ	كَمْ تَحْدِيثًا لِفَهَامَاتِ الرَّدَى
تَحْمُجُ الدُّنْيَا لِسِرِّ الْمَوَكِبِ	فِي طَرِيقِ الْمَجْدِ نَمُضِي مَوَكِبًا
لَا تَلْدُودُ النَّارُ بَأْسَ الْهَبِ	نَطَأَ السَّارَةَ لِهَيْأَتِنَا
حِينَ نَمُشِي كَالرَّيْعِ الْخَصْبِ	وَنَحْمِلُ الْجَدْبَ رَوْضًا مَزْهَرًا
وَأَزْدَهَتْ رَايَاتُنَا فِي الْغَرْبِ	فَلَكُنَا الْأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِهَا
سَاطِعًا يَمْحُو ظِلَامَ الرَّيْبِ	وَجَعَلْنَا الدِّينَ نُورًا لَمْ يَزَلْ
سَافِعَ الْوَرْدِ ، عَنَبَ الشَّرْبِ	وَجَعَلْنَا السِّلْمَ نَهْرًا صَافِيَا
بَشْبِهِ كُلُّ قَلْبٍ مَجْدِبِ	وَجَعَلْنَا الْحُبَّ زَهْرًا نَاضِرًا
وَإِخَاءَ كِبَاخٍ السَّيِّ	وَجَعَلْنَا الْحُكْمَ عَدْلًا شَامِلًا
عَيْشَةَ الْأَنْبَاءِ فِي ظِلِّ الْأَبِ	عَاشَ فِيهِ كُلُّ شَعْبٍ كَاهِنًا
قَبْلَهُ قَدْ تَوَجَّتْ بِالشَّهْبِ	هَكَذَا كُنَّا ، وَهَذَا مَجْدُنَا
عَجِبًا يَأْسِرُ قَلْبَ الْعَجَبِ	سَطَرَ التَّارِيخُ مِنْ أَمَامِهِ

ثم مرت ليلة مظلة
وغضنا الكركى عن غفلة
فإذا الأغلال في أعناقنا
وإذا الفرقة تثنى بيننا
فاطمأن القدر إذ لاح له
نحسب الباطل حقاً خالماً
وزى الأغلال أهي حليلة
ثم جاء الصبح خفاق السنا
بعث القوة في أرواحنا
فالتفتننا مرة واحدة
ومضينا موكباً ، في خطوه
نطرد الغاصب عن أرض الحى
هذه الليلة كانت عظة
علتنا أن في وحدتنا

عصبت أظفارنا بالحجب
وسعى القدر سحى المأرب
سمة العار على الحر الأبي
رأس أفى ، وذنان عقرب
أتنا عن جدنا في لعب
حين يبدو في إطار الكنب
حينما نطلى بماء الذهب
مثلاً نتحقق رايات النبي
فمرت مرسى السنا في الفهب
وهفتنا : يا لمجد العرب
عزة النصر ، ومجد الغلب
كيف تنور أرضنا للأجنبي ؟
وعظمتنا يلبغ الخطب
قوة الجيش الكثيف اللجج

. . .

يارباه الله يوماً عالداً
يوم نادينا على سمع الدنى
نحن أئنا قناة شقها
بنلوا أرواحهم في حفها
أرعد الأحلاف لما راعهم
زعموا أنا اغتصبنا حقهم
وتنادوا وأعدوا جميعهم
حبوا أنا سنخشى بأسهم

لم "طلائع" مثله في الحقب
أيها التاريخ سجل واكتب :
عزم أجداد كرام "نحجب"
بعد ماجلوا لها بالشجب
منطق الحق القوى الأغلب
ليس بأن الدار بالمغصب
وبدا أسطولهم عن كسب
كيف تخشى النار بأس الخطب ؟

فأروا تصميننا لا يَتَثَقِّقِ دون أن يحظى بنيل الأرب
ورأونا أمة واحدة وقفت في يقظة المرتقب
تعمل الفصن لمن سألها وتضافيه بقلب طيب
وثيرُ الحرب في وجه العدى وتوافيهم بيأس منضب
مكنا نحن ، وهذا مجدنا قة قد توجت بالشهب
أيها السائل عنا ، إنا وحدة تجمع شمل العرب

ابراهيم محمد نجما

وَحْدَةٌ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ

لشاعر عتد الأستاذ عبد المجيد محمد الزمانج

وحدة المخلصين في الإنشاء هزت النجم في الربا والسماء
وحدة شد ذو الجلال صراها بحليلين من بني العسراء
وحدة قلم صرحها شاخ الأركان فيه دنيا النقي والساء
وحدة كان نبها من ضمير العرب لا من وساوس الدخلاء
وحدة تخلق السلام سلما طاهراً من جرائم الأدواء
وحدة ظلها المديد يضم العرب شعباً موحد الأهواء
وحدة لا ضمان للعرب إلا في حماها ذى العزة الشما
وحدة تطيع الزمان على الإيمان بالمخلصين في الزعماء
وحدة شأنها القضاء على البنى على عصبة الوحوش الضراء

في حماها دنيا العروبة تشوى
 وحلت صف أمة الضاد من بعد
 ولدت في دمشق في مصر غراء
 وحلة رن في البهاء وفي الأرض
 يلفت النهر نحوها باسم الثغر
 فهي بالحق بنية الوحي والإلهام
 وهي شمس منيرة تمال
 طاق النيل في ضحاها أعاء
 وحدة في جبينها كتب التا
 تنشر الفضل والعدالة دستو
 فسلام من كل لب عليها
 وسلام على الذين بنوها
 فهي أنفودة البواسل والأبطال
 وهي طود الحيد قام على
 وحدة كبرياؤها في سبيل الحق
 في ينسها القويتين أضاءت
 فهي تلى في الناهين كتاباً
 وهي سيل من شاهق المجد يجرى
 فهدوا نجمد الوحدة الكبرى
 وهلوا ندد الصعدة السراء
 وهلوا نجمد فيها جنوداً

بِحُمَيَّا الجهاد لا الصبأ
 عناء وعنة وبلاء
 كما شاء صر غزو الفضاء
 صدامها في عزة وإباء
 غوراً في فتوة وولاء
 م والأنبياء والحكماء
 عن ماس التواظر العمياء
 بردى صادق الوفا والإخاء
 ريخ — عدلا — برامة الرؤساء
 رأ على دفتيه رسم الوفا
 في سلام الخلود والعلواء
 عزة للأحفاد والأبناء
 قد حرمت على الجبناء
 الإيجاب رغم العواصف الموجاء
 فصل في أكيد السفهاء
 شعلة الحق منهج الأصفاء
 نوره في صحائف الشهداء
 جريان الحياة في البلاء
 بآى الإخلاص للأولياء
 في قلب ناشر الفحشاء
 بنفوس ممددة للفداء

عبد المجيد محمد الأصنج

الكتاب

كارثة فلسطين

للكولونيل عبد الله التل قائد معركة القدس

تقد وتعرف الأستاذ محمد عبد الله السمان

أم عسكرية ، بل سبأ كد لديه . أنه هدف إلى
إزاحة الستار ، وإمالة اللثام عن جانب من
الحياة في كارثة فلسطين ، هذه الحياة التي
لم يشهد التاريخ منذ بدء الخليقة أحسن
ولا أدنأ منها ، فالمؤلف في مقدمة كتابه يقول:
... وحين انتهت الممارك في فلسطين
صفت لوظيفة مدنية هي حاكم منطقة القدس ،
فأتيج لي - بحكم عمل السابق في الجيش وعمل
اللاحق في الحكومة - أن أطلع على خفايا
السياسة التي سبغت الحرب الفلسطينية . وكنت
منذ ابتداء الحرب متمرداً على قائدى جلوب
في ظروف قاسية مريرة ، يرفها من له علم
بأحوال شرق الأردن والجيش العربي في ذلك
الحين . وحين أمسكت بطرف الحياة ،
أخذت أجمع الأدلة ، وأسجل الجوانب
العربية من تاريخ الكارثة . . .
فأنت ترى أن الدافع إلى تسجيل المذكرات

هذا كتاب ضخم هو أشبه ما يكون بالسجل ،
أودع الكولونيل عبد الله التل بين دفتيه
الجزء الأكبر من مذكراته عن كارثة فلسطين .
والمؤلف من خيرة الشباب المؤمن الغيور
على دينه ووطنه ، وقد لعب خلال معركة
فلسطين دوراً مهماً خطيراً ، وهو ضابط
في صفوف الجيوش العربية ، ثم وهو قائم
لمعركة القدس حيث أبلى بلاء حسناً للاحتفاظ
بالشرف العربي ، وبالمقدسات الإسلامية
والمسيحية . ثم بعد ذلك وهو حاكم عام
لمنطقة القدس ، حيث شهدت هذه المنطقة
حكماً ديمقراطياً صحيحاً تمثلت فيه قيم العدالة
والمساواة وحرية الرأي .

ولا يخيل إلى القارئ وهو يقرأ هذه
الصفحات المديدة ، أن المؤلف قد سجل
مذكراته ليتحدث عن نفسه ، شأنه شأن كل
من لعب دوراً في معارك سياسية كانت

وفي هذه الفصول وغيرها رسم المؤلف صورة واضحة المعالم لكارثة فلسطين ، وسرد قصتها سرداً يجعلها أشبه ما تكون بالمرحية ، وأبرز أبطالها بطلان : أحدهما « جلوب » ، مثل الانجليز في الكارثة ، و « الملك عبد الله » ، مثل المطامع والتخاذل أمام الممثل الانجليزي « جلوب » ، والمؤلف سلط معظم الأضواء على هذين البطلين ، وبقي الأضواء سلطها على بطانة الملك ، التي دفعها حرصها على مناصبها إلى تنفيذ الرغبات الملكية بكل دفعة وإخلاص ، على رغم عليها أنها إنما تسهم في الخيانة وطعن الشرف العربي في الصميم ؛ لأن مناصبها كانت أعز لديها من العروبة والإسلام وفلسطين والشرف العربي نفسه ، هذه البطانة الهزيلة كانت تنفذ الرغبات الملكية لأنها كانت تعلم ، أن الملك « المجهل » كان أميناً على تنفيذ الرغبات الانجليزية ، متوهماً أنه إنما يعمل من أجل مطامعه ، ولم يكن يدور بخلفه أن الانجليز إذا تصدقت عليه بلقمة من فلسطين فإنها ستمنح اليهود ألف لقمة منها .

واستوعبت المذكرات جانباً من الخلق اليهودي ، وجانباً من الخلق العربي ، فالخلق العربي ، لا يتخلى عن قيم العدل والشهامة والمروءة ، فحين يستلم اليهود في القدس القديمة ، يؤخذ المحاربون منهم أسرى حرب ،

هو فضع هذه الخيانة ، وما أضاع فلسطين وسفك دماءها المعاصيات الصهيونية وما تدفق عليها من عتاد وسلاح ورجال ، وإنما الخيانة المتعمدة من بعض حكام العرب أنفسهم ، أولئك الذين اعتمد المطامع فأسلوا جزءاً من أنفسهم لأعدى أعدائهم ، بل أعداء الإنسانية بأسرها .

لقد قسم المؤلف مذكراته إلى تسعة عشر فصلاً . فبدأ بالأحداث العسكرية والسياسية التي وقعت بعد قرار التقسيم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وقبل نهاية الانتداب ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وكشف عن المؤامرات التي دبرها الانجليز ، وكان حكام الأردن مطالباً ، ثم عقد فصلاً عن دخول الجيوش العربية فلسطين تحوطها القنصائ والمهازل ، ثم فصلاً عن معركة القدس والهزيمة التي حاقّت باليهود لجرحت كبرياءهم ، ثم فصلاً عن الهدنة الأولى وكيف كانت عاملاً مهماً في الكارثة ، ثم فصلاً عن الحرب الثانية بعد الهدنة ، وكيف غدر بعض الجيوش العربية بالجيوش المصرية ، ثم فصلاً واسعاً عن الاتصالات السرية بين الملك عبد الله واليهود لتعاونهما في نسج خيوط المؤامرة على فلسطين ، ثم فصلاً أخيراً عن التفكير في التخلص من الملك عبد الله ، وهجرة المؤلف إلى مصر للإقامة بها .

ولو بعد انتصاره في معركة القدس ، لتغير وجه التاريخ في فلسطين ، ولكنه ظل في خدمة حكومة الأردن إلى ما بعد انتهاء المعركة ، وقد رأى بعينه وشهد بنفسه قارة اجتماعات الملك عبد الله مع اليهود .

ويظهر أن القائد العربي كان يبيت أمرا لينتقم لفلسطين الشبيدة ، وقد ذكر في نهاية مذكراته إشرافه على تدبير انقلاب عسكري في شرق الأردن ، ولكن الرياح أتت بما لم تشق السفن كما يقول الشاعر العربي .

وقد يلس قارى آخر أن المذكرات - وإن كانت قد جاءت تسجيلا لكارثة فلسطين إلا أن بها بعض الفجوات التي تتمثل في أحداث تركت وهي أضخم من أن تترك ، ولن يغفر هذا القارى لصاحب المذكرات أن كل ما في الجمعية لم تسمع الظروف بإخراجها ، إذ أن الأمانة التاريخية تقتضي

تسجيل التاريخ بدون لحوات ، وفي الظروف التي يتوفر فيه كل الإمكانيات لنشره كاملا . والكولونيل عبد الله التل يعترف في مذكراته أنه إنما عني بالحوادث التي أحاطت بمنصبه كضابط في الجيش الأردني ، وكقائد للمعركة ، ثم كحاكم لمنطقة القدس ، وإن كان الواجب التاريخي كان يحتم عليه الإلمام بكل ظروف الكارثة حتى يأتي تصويره لها كاملا ، فالحيانة لم يرقم بها الملك عبد الله وحده ،

حيث يلقون ما تقتضيه قوانين الحروب النظامية ، ويسلم الباقون دون أن يسهم ذرة من الأذى ، ونحن تقع معركة اللد والرملة ، ومعركة ديرياسين ، لا يستطيع القلم أن يصف ما لقيه العرب من صنوف الوحشية ، مذابح لا تفرق بين الأطفال والنساء والرجال ، ومهجة تنزه عنها الوحوش الضارية .

والقارى للذكرات ربما سامل نفسه : أما وقد تكشف الكولونيل عبد الله التل خيوط المؤامرة على فلسطين ، وأحد طرفيها الانجليز ، والطرف الآخر الهاشميون في الأردن والعراق ، فلم لم يرقم بأى عمل إيجابي للقضاء عليها ، أو الانسحاب من مهمتها ، ليتولى فضح المؤامرة في المحيط العربي ، ولم قبل أن يشهد الاجتماعات السرية بين الملك عبد الله ، واليهود ، ويمهد لها بنفسه ويعين عليها ؟؟ .

ويجب صاحب المذكرات : « وفي تلك الأيام العصية التي تكشمت لي فيها الحياة ، لم أغدر بالملك أو بحكومته ، بل كن دأبى إبداء النصيح والمعارضة الصريحة الشريفة وتبصيرهم بمواقب السياسة التي كانوا يسرون عليها »

ولعل القارى لا يقنعه مثل هذا القول ، فلو أن الكولونيل عبد الله التل ، انسحب مملنا فضح المؤامرة الدنيئة لاغتصاب فلسطين ،

مذكراته ليصف معارك ، وإنما دونها
ليسجل تاريخاً للجيش المعاصر والأجيال
القادمة ، ليرى الجميع ، أن كارثة فلسطين
لم يكن في استطاعة أمريكا وإنجلترا أن تخلقها
لو لم تشتا رائحة الغدر والخيانة من بعض
الحكام العرب وفي مقدمتهم : المنقبون
إلى سلالة الرسول .
وبعد مرة أخرى :

فإن أبرز مواضع العبرة من الكارثة
انتقام الله من الخونة حيث أصبحوا - كما
يقول - صاحب المذكرات : « في عالم آخر
تلفهم صفحات سود من تاريخ الكارثة ،
فلك الأردن قضى صريعاً وصاصة على عتبات
المسجد الأقصى ، ورئيس حكومته أبو الهدى ،
شنق نفسه ، وملك مصر ومن ورائه
أكدا من الأوزار والآثام قد اندثرت
معه بعد ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ،
وطغاة العراق الذين ساعدوا على خلق
الكارثة قد مرقهم ثورة ١٤ يوليو عام
١٩٥٨
وإن ربك بالمرصاد - وحسبنا الله وحده .

محمد عبد الله السمان

ولا الانجليز ممثلين في « جلوب » ، وإنما
أسهم فيها كثير من حكام العرب ، وبعض
من الجيوش العربية وقيادتها .
والجيوش العربية لم تهم بالمعركة وحدها ،
وإنما سبقها إلى فلسطين آلاف من الشباب
العربي المؤمن متطوعاً ، لا يبنى من الحرب
إلا إحدى الحسينين : الشهادة في سبيل الله .
أو النصر .

وبعد :

فإن كارثة فلسطين تمس كل إحساساتنا
ومشاعرنا نحن العرب والمسلمين ، ونحن
أهدى إلى الصديق الوفي كتابه « كارثة
فلسطين » ورأيت لزما على أن أقرأه قراءة
تدبر وإيمان ، كنت أحسب لقراءته ألف
حساب ، لقد كنت واثقاً من أني سأقضي
أياماً ثلاثة على الأقل في خضم الكارثة ،
أعيش معها بقلبي وبدون أعصابي ، وأشهد
أنني لم أستطع قراءة فصلين معاً ، فلخيانة
التي صنعت الكارثة من خيوطها كان شبحها
يتراقص أمام عيني فيعتريهما الجسود ، ولم
أكد أتهى من قراءة المذكرات حتى
تنفست الصعداء ، وأخذت أمر بمرحلة
حصية أسرد خلالها أعصابي .

فالقائد العربي : عبد الله التل لم يدون

آراء وأحاديث

بين السنة والشيعة:

التقريب بين المذاهب ، والمباشرة بتدريس
الفقه الشيعي في كلية الشريعة ضمن برامجها
الجديدة .

وقد حان الآن وقت إعداد البرامج الجديدة
في كليات الأزهر ، ولهذا المناسبة أدلأس
فضيلته إلى السيد محمود سليمه مندوب جريدة
(الشعب) بمحدث قال فيه : لقد أدخلنا على
كلية الشريعة منهجاً جديداً قوامه دراسة الفقه
المقارن بين المذاهب الإسلامية على الأسس
الآتية :

أولاً : تكون الدراسة على مختلف المذاهب
لا فرق بين سنة وشيعة ، ويعنى بوجه خاص
بيان وجهة النظر الفقهي حكماً ودليلاً لكل
من مذاهب السنة وهي الأربعة المعروفة
والإمامية الاثنا عشرية والزيدية .

ثانياً : يستخلص الحكم الذي يرشد إليه
الدليل دون التفات إلى كونه موافقاً أو مخالفاً
لمذهب الأستاذ أو الطالب ، حتى يتحقق
الفائدة من المقارنة ، وهي وضوح الرأي
الراجح من بين الآراء المتعددة وتبطل
العصيات المنهجية المذمومة .

وفي أصول الفقه - يعنى بوجه خاص بيان

كانت الخطوة التي خطاها الأزهر نحو
التقريب بين المذاهب الإسلامية ذات أثر
بعيد المدى . لقد صححت أخطاء قديمة
ومهدت لمستقبل طيب ، ومحت ما يذره
الشیطان من شرور الفرقة ، وسدت على
أعداء الإسلام منافذ طالماتسربوا منها
لتفريق أمته وتفريق كلمته .

والحقيقة أن الأستاذ الأكبر الشيخ
محمود شلتوت ، بتوصياته الأخيرة في دراسة
فقه الشيعة ، والاعتراف بأن أتباع أهل
البيت جزء له حرمة من الأمة الإسلامية
الواحدة ، قد أصبح من بناء التاريخ الإسلامي
ومن رجاله المرموقين .

ونحن نقدر فيما يلي تصريحات الأستاذ
الأكبر في هذا الموضوع الخطير مقرونة بما
حفظها من استقبال نبيل هنا وهناك .
قالت جريدة الحياة تحت عنوان « الدين واحد »
كلن فضيلة شيخ الأزهر محمود شلتوت قد
أدل منذ بضعة أشهر بمحدث عن عزمه على

قلد مذهباً ، فليس له أن يقتل إلى غيره .
وفي ذلك يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام
« لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من
غير تقييد بمذهب ولا إنكار على أحد من
السائلين ، إلى أن ظهرت هذه المذاهب
ومتعصبوها من المتلدين ، فإن أحدهم يتبع
إمامه مع بعد مذهب عن الأدلة مقلداً له فيما
قال كأنه نبي أوصل ، وهذا نأى عن الحق ،
وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد
من ذوى الألباب .

ثانياً : أن لفظ الشيعة الذي اشتهر به
أتباع (علي) وآل بيته عامة ، هو في
الأصل مأخوذ من المشايعة بمعنى المتابعة ،
فشيعة الرجل أصحابه وأتباعه ، وقد أطلق
هذا الاسم على طوائف كثيرة تخالف الإسلام
في كثير من العقائد الأساسية والأحكام ،
وهذه لا يساح تقليدها لخروجها عن دائرة
الإسلام .

ثالثاً : أن هناك فرقا أخرى تنسب إلى
(علي) وهم شيعة المهتسون الذين يرون
من هذه الفرق الضالة ويحكمون بكفرهم
ويلعنونهم . ومن هؤلاء الشيعة الصالحين
الطائفة المعروفة (بالجعفرية) أو (الإمامية
الاثنا عشرية) .

رابعاً : أن لهذه الطائفة المعروفة أصولها
المستندة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله

المواضع الأصولية التي وقع الاختلاف فيها
بين المذاهب الستة السابقة الذكر مع بيان
أسباب الخلاف .

وفي علم مصطلح الحديث ودرجته تشمل
الدراسة ما اصطلح عليه السنة وما اصطلح
عليه الإمامية والزيدية ، كما تشمل دراسة
الرجال المشهورين وأصحاب المسانيد ومسانيدهم
في كل من الفريقين .

هذا بالإضافة إلى التوسع في هذه الدراسة
تفصيلاً في الدراسات العليا بكلية الشريعة
وهناك قلت لفضيلته :

إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم
لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح
أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة ،
وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية
ولا الشيعة الزيدية ، فهل توافقون فضيتكم
على هذا الرأي على إطلاقه ، فتمنعون تقليد
مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مثلاً ؟

فأجلب فضيلته : أولاً : يجوز لمن ليس من
أهل الاجتهاد والنظر أن يقلد أي مذهب
من مذاهب العلماء الموثوق بعلمهم وصلاحهم ،
يشترط أن يصل إليه ذلك المذهب من طريق
منضبط يطمئن إليه سماحاً أو نقلاً .

ولاحظة بما يكتب في بعض الكتب
من انحصار المذاهب التي يجوز تقليدها في
الأربعة المشهورة ، ولا بما يقال من أن من

ينخلصوا من العصبية لغير الحق لمذاهب معينة، فكل من دين الله ، ولا كانت شريعته تابعين للمذهب ، أو مقصودين على مذهب . فالكل مجتهدون مأجورون مقبولون عند الله تعالى ، يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدكم والعمل بما يقرؤنه في فقههم لا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات .

وقد رحب الكثيرون من علماء ومشايخ السنة في لبنان بقرار الأستاذ الأكبر حول تخصيص كرسي في الجامعة الأزهرية لتدريس الفقه الشيعي وعدم الاعتراف بالفوارق بين المذهبين السني والشيعي .

ووصف الشيخ محمد جواد شري رئيس المراكز الدينية بأمرىكا هذا القرار بأنه يعيد إلى المسلمين وحدتهم ، ويبدد مخاوف الشيعة ويجهلهم يشعرون بأنهم انصفوا .

وصرح الشيخ محمد عليا مفتي السنة في لبنان أن المتعمق في دراسة الشريعة الإسلامية لا يرى من الفوارق بين السنة والشيعة إلا كإبرى الفرق بين مذاهب السنة الأربعة .

وقال الشيخ محمد الصادق المرجع الديني للشيعة في لبنان : إن الإسلام وحدة متكاملة لا مكان لتجزئتها ، والمذاهب ما هي إلا اجتهادات عليية للوصول إلى الحقيقة .

ثم أضاف قائلا : إن قرار علامة مصر شيخ الأزهر استمد قوته وجوهره ومضاه من قائد

المروية عن أئمتهم ، في العقيدة والشريعة وليس الخلاف بينهم وبين مذاهب السنة إلا كالخلاف بين مذاهب السنة بعضها وبعض فهم يدينون بأصول الدين ، كما وردت في القرآن الكريم ، والسنة المتواترة ، كما يؤمنون بكل ما يجب الإيمان به ويظل الإسلام بالخروج عنه ، من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة .

خاصا : أن مذهبهم الفقهي مدون محرر له كتبه وأسانيده وأدلة ، وأن موطنه هذه الكتب ومن استمدوا منهم معروفون محفوظة سيرتهم العلية ومكاتبتهم الفقهية بين العلماء ومن هذا البيان يتضح جليا :

١ - أن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين ، بل يقرر أن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادي ذي يده أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ، ولن يقلد مذهباً من هذه المذاهب أن يقتل إلى غيره . أي مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك .

٢ - أن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثناعشرية مذهب يجوز التمسك به شرعا ، كسائر مذاهب أهل السنة .

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك ، وأن

رأى الأستاذ محمد المدني :

أهل الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة
بالجامعة الأزهرية يتحدث لوكالة أنباء الشرق
الأوسط بمناسبة احتفال الجمهورية العربية
المتحدة بالذكرى استشهد الإمام الحسين قال
فيه : إن العلاقة بين السنة والشيعة هي علاقة
الأخوة وأن الشيعة والسنة مذهبان من
مذاهب الإسلام التي تستند من كتاب الله
وسنة رسوله الصحيحة، والخلاف بينهما ليس
خلافاً في الأصول التي يجب الإيمان بها، وإنما
هو خلاف في بعض المعارف الكلامية
والفلسفية .

ولا يوجد من بين أهل السنة من ينكر
فضل آل البيت عليهم السلام ، ولا يمتزج
بما لم من أثر جليل في خدمة الإسلام ، بل
إن أهل مصر خاصة وهي بلاد الأزهر
ومصدر إشعاعه للعالم كله مشهورة بحب
آل البيت والتردد على مزاراتهم . واستطرد
فضيلة الشيخ يقول : إن الحاذقين من أهل
التاريخ والسياسة العارفين بأساليب الاستعمار
يحمون على أن أسباب القطيعة بين السنة
والشيعة ليست دينية وإنما هي تطبيق بارع
لسياسة فرق تسد . فهم يقولون للشيعة : إن
السنة تنكر استحقاق علي الخلافة قبل أبي بكر

العروبة وحامل لوائها الرئيس جمال عبدالناصر .
وأكد الشيخ شفيق محمود رئيس المحكمة
السنية العليا ببيروت أن قرار شيخ الأزهر
قضى على التحصب المذهبي وأزال الفوارق
بين السنة والشيعة التي لا تستند حقيقتها
إلا على خلافات سياسية قديمة زالت أسبابها .
وقال الشيخ مصطفى الرافعي رئيس محكمة
بيروت الشرعية السنية : إن القرار أزال
الجفاء القائم بين مذهبي السنة والشيعة .

وقال الشيخ حسين الخطيب رئيس المحكمة
الشرعية الجعفرية : إن القرار استحق شكر
للعواصم الإسلامية جميعها لأنه دعوة إلى وحدة
الصفوف وإزالة الفوارق التي خلفتها لنا
الصور القديمة .

أما الشيخ عبد الله نعمه رئيس محكمة
بيروت الشرعية الجعفرية فقد وصف القرار
بأنه سيؤدي إلى إشاعة روح الثقة بين
العواصم الإسلامية ، وسيكون له صدى
كريم في التجف الأشرف بالعراق ،
كما سيؤثر في الاستثمار والمستعمرين ، الذين
يعيشون على حساب الطائفية ، وبث الكراهية
والبغضاء بين المسلمين .

وقد علم العلامة اللبناني للشيخ عبد الله
الملاي على القرار قائلاً : « إن القرار جاء
ونحن في حاجة إليه » .

ظل الرئيس العظيم جمال عبد الناصر، وبالتعاون مع العواصم العربية المتحررة الأخرى .

وعن القاهرة صدر قرار التأميم فأصبحت القناة عربية مائة بالمائة . . . أليس هذا حدثاً من أعظم أحداث القرن العشرين ؟ .

وعن القاهرة صدرت الدعوة العارمة إلى القومية العربية بشكل غير مسبوق من حيث القوة والحاسة والتركيز المتين .

وعن القاهرة ودمشق انبثقت الجمهورية العربية المتحدة فكتب عبد الناصر أعظم صفحة من تاريخ الوثبة العربية الكبرى حين بدأ بقطرين تفصل بينهما إسرائيل ووحدهما غير مكترث بالمصاعب الجغرافية .

ومن القاهرة صدرت أعظم خطوة دينية لتوحيد الصف الإسلامي حين أعلن شيخ الأزهر وعبد كلية الشريعة أن لا فرق بين الشيعة والسنة ، فأصبح المذهب الجعفري يندوس وسمياً في الأزهر ويحق لكل مسلم أن يعتنقه .

قال شيخ الأزهر : إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل يقرر أن لكل مسلم الحق في أن يقلد أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ، ولمن قلده من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره أي - مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك .

ويقولون السنة : إن الشيعة تفضل علياً على أبي بكر وعمر ، ثم يقولون الشيعة : إن أبا بكر منع ميراث السيدة فاطمة من أبيها ويؤلفون في ذلك كتباً كالكتاب الذي ألفه أحمد المستشرقين وكان عضواً بجمع اللغة العربية بعنوان - فذلك - وهو اسم الضيعة التي كانت تطالب بها فاطمة ومنعها أبو بكر منها كأنهم ينادون على فاطمة أكثر من المؤمنين . وما يريدون إلا استغلال العاطفة وإحياء عوامل البغضاء ؛ ولكن إخواننا المحققين من الشيعة لا يعبتون بذلك . وإذا كان أبو بكر وفاطمة قد وقع بينهما خلاف فهو خلاف طبيعي في كل عهد وليس له حرر على المبادئ الرئيسية والأصول المشتركة التي يؤمن بها الجميع .

وختم فضيلة الحديث بقوله : إن الأزهر قد مد يده وما زال يرحب بالأخوة الخالصة من العصية المذهبية . وإن إخواننا الشيعة الإمامية والزيدية أيضاً قد مدوا أيديهم وما زالوا يرحبون بهذه الأخوة وبهذا التعاون .

ثم خلق مندوب الوكالة على هذا الحديث بقوله :

عن القاهرة تصدر القرارات الحاسمة في تاريخ العرب والإسلام ؛ فالقاهرة هي قلب القومية العربية اليوم - وهي التي تصنع التاريخ في

كما تلقى فضيلته البرقية الآتية من السيد
محمد جواد شري :

فضيلة الشيخ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .
صلوات الله وسلامه عليكم ، إن الفتوى
التاريخية التي أعلنتم فيها للعالم صحة المذهب
الجعفرى ومساواته للذاهب الأربعة ،
قد أدخلت العالم الإسلامى فى تاريخ جديد ،
ودفعت ألف سنة إلى الأمام ، وسبق أثر هذه
الفتوى إلى الأبد ، لقد سجلتم بهذه الفتوى
وجودكم وبرزتم شاعنين فى سجل الخالدين .

• • •

ذلك . وقد عقب الأستاذ الأكبر على
استقبال علماء المسلمين لسعيه فى التريب بين
المذاهب بهذه الكلمة :

محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر يحى
جميع إخوانه علماء لبنان على اختلاف
مذاهبهم ، ويشكر لهم تلك الروح الطيبة التي
استقبلوا بها دعوة الوحدة التي يحققون بها
قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ
كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحت
بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من
النار فأنقذكم منها » .

وجه أيضاً من بيروت :

كل حديث شيخ الأزهر من الشيعة
موضوع خطبة الجمعة فى جميع مساجد لبنان
وقد أذيع من مجلة إذاعة لبنان . وكان قد
نشر حديث شيخ الأزهر فى معظم الصحف
البنانية منها الكفاح وبيروت المساء
والسياسة والحياة والصحافة والحوادث .

كل الحديث أثر طيب فى أوساط الشيعة
حتى وصفه البعض بأنه أعظم حدث فى تاريخ
الإسلام بعد الخلفاء الراشدين :

وتلقى مكتب الأستاذ الأكبر البرقية التالية
من رئيس مجلس نواب بيروت :

فضيلة الشيخ محموت شلتوت المحترم شيخ
الجامع الأزهر - القاهرة .

الحق الذى جلعتم به حول جواز التمييز
شرطاً بالمذهب الجعفرى كسائر مذاهب أهل
السنّة ، والفتوى الحكيمة التي أصدرتموها
مؤيدة بالرأى السديد والمنطق الرشيد ، والقرار
الحصيف الذى اتخذتموه بتجديد مناهج
تدريس الشريعة والفقه المقارن ، كلها أحداث
اغتبطت بها قلوب المسلمين لأنها تؤذن بحسم
الفوارق ومحو العصبية المذهبية وتبشر بقيام
وحدة نفسية وروحية شاملة واسعة بمحمد
العرب منها الخير والمنفعة ، إننا لنكبر موقفكم
الحديد ، وندهو لكم بدوام العزة والتوفيق .
رئيس مجلس النواب - عادل عسيران .

بريد المجلة

يُلقى إلينا البريد كل يوم طائفة من الرسائل الكريمة يجي بها كاتبوها هذه المجلة ويثنون على القائمين بها والعاملين فيها وسنقتصر في النشر منها على ما يشتمل على اقتراح أو توجيه .

هذه المجلد ...

الجميل على أساس من علم وأدب وخلق ...
إني أفكر كفارياً ، كيف تصل هذه المجلة
إلى الأسماع ، في مصر ، وفي الشرق ، بل في
العالم أجمع ؟ ..

وليسمح لي ونيس التحرير أن أتقدم
بما أرى :

الغلاف بألوان براقة ، أو بصورة من
قنان ، لا وبسجدة القاري في الانتظار .
وهذا القاري ، نريد أن نلقى عليه شبكة ،
فإذا قفل ؟ .. وأرى أن تكون الشبكة

على هيئة مسابقة بين القراء في أدب وعلم !
ولن نخل على الفائزين ببعض المال ،
أو بشكرهم ...

وباب أسئلة القراء ...

وباب قرينة ، من أجل الأمهات والآباء
والأبناء ...

وباب للراءة ، وهي نصف المجتمع ..

وباب من الخارج .. نعرض فيه أدب

الغرب ، وعلم الغرب ، وأخلاق الغرب ! ..

لم أقرأها منذ أمد طويل ... ثم وقع بين
يدي العدد الأخير ! .. أخذت أعدد صفحاته
بنظرة رئيسة على موضوعاته ... وكان أن
قرأتها ومجلة الأزهر ، في جلسة واحدة ! ..
هذه المجلة ... ! يجب أن تدخل إلى كل
بيت ، وإلى كل مدرسة ، وإلى كل مكان ! ..
هذه المجلة ... ! يجب أن تكون بين يدي
كل إنسان ! ..

نريد جيلاً جديداً على علم ، وعلى أدب ،
وعلى خلق .. وهذه المجلة هي الوسيلة ، وهي
الكتاب الذي تقرأ صفحاته ، فتجد العلم
والأدب والأخلاق ! ..

لا يوجد سواها ، وليس غيرها من يحمل
الرسالة ، ويؤدي الأمانة نحو جيل جديد ،
نريد أن ينشأ قوياً في علم ، وفي أدب ،
وفي خلق ! ..

سلوها الإمام ، وسترون كيف يكون بناء

أن مثل هذه الندوات إنما يغلب عليها الطابع الخطابي والأساليب الإنشائية ، مع احترام بعض من العلماء لم أقدم بمحزون هذه الندوات ويبدون بأراء لها قدرها ، إلا أنها آراء تكاد تختفي وسط خضم من آراء الكثرة الساحقة التي هي أشبه ما تكون بالخطب المنبرية ، ولا سيما أن جل الموضوعات التي تناقشها هذه الندوات مكررة معضاد ، ولا يتجاوب كثيرا مع حاجات العصر الذي نعيش فيه .

ولا ريب أن الأزهر نفسه يشغل هذه الندوات بعدد وغير من علمائه ، ولكن لم لا تعقد ندوات شهرية في إحدى قاعاته ، تناقش المعاني الجديدة والأفكار الحديثة وصلة الإسلام على مستوى أعلى ، وينصي العلماء من الجامعات على اختلافها مع مراعاة التخصص في المعاني التي تناقش ، ثم تم العودة حين تنشر المناقشة على صفحات مجلة الأزهر التي هي المرجع الوحيد المعتمد لدى المسلمين في الآفاق الإسلامية الدانية والقاصية . إن هناك عشرات من المعاني الجديدة نحن في حاجة إلى دراستها على ضوء الإسلام ، لنقطع الطريق على كثير من الآلسة التي تناولها على المنابر ، وكثير من الأقلام التي تعرضها على صفحات المجلات الإسلامية المتواضعة ، وهذه الآلسة والأقلام تمخبط

والغريب لديه صوره خالدة من أدب وعلم وخلق . . .

هذه أفكار عرضت بها ، ومرت بالمخاطر ، وأجملها على القرطاس ، لأنني أحببت المجلة ، وأود أن تكون المجلة الأولى في التداول بين الناس ، وفي الذبوع والانتشار ، في كل بلد ، وفي كل قطر وعلى كل لسان . . .

والآن . . . تحية تقدير إلى السادة المحررين الأعلام ، وإلى السيد رئيس التحرير الأديب الفنان ، وإلى العقل المفكر الأستاذ العقاد .

محمد فريد طاهر

٢٧ شارع منصور باشا بحرم بك بإسكندرية (المجلة) نشكر السيد الفاضل تقديره وتوجيهه ونعده أن تنفذ من اقتراحاته ما يلائم روح المجلة .

نحو ندوات على مستوى أعلى :

عشرات الندوات السياسية والاجتماعية والأدبية تعقد في القاهرة بين ليلة وأخرى ، وأتلفت يمينا وشمالا فلا أجد ندوة إسلامية على مستوى أهل تناقش المعاني الإسلامية التي تشغل الأذهان .

وأقول : ندوة إسلامية على مستوى أهل ؛ لأن هناك ندوات إسلامية تقام فعلا : في مجلة نواء الإسلام ، وفي الشبان المسلمين ، وفي مجلة الإسلام والتصوف ، ولكن يخيّل إلى

ونحن نعرف أن مريم البتول أم عيسى وهي من آل عمران وتعتبر أختا لموسى في النسبة إلى عمران فقط ، لا أختا شقيقة لموسى كما هو الظاهر من كلام الدكتور ، وبين مريم وموسى أختاب .

٤ - وكذلك عبارة ثالثة في صدر المقال صفحة ٣٠ خاصة بإسماعيل عليه السلام تفيد أن إسماعيل كانت تدعيه لنفسها سارة زوجة إبراهيم ، وهو ولده من الجارية هاجر ، حيث كان نظام البيئة كذلك ، والذي نعرفه أن إسماعيل كان مع أمه هاجر ، ولم ينسب إلى سارة ، وأنه لم يفارق أمه حتى بعد أن ضاقت به وبأمه الزوجة الأصلية سارة ، فاقترحت إبعاده مع أمه وقد استجاب إبراهيم تنفيذاً لرغبتها ظاهراً ، وطاوعة لوصي الله وأقربا ، فإذا كان الأستاذ الدكتور يتكرم بإزالة الشبهة أكون شاكراً له فضله .

عبد الطيف السبي

بيانه من الشؤون العامة لعز زهر :

نشرت بعض الصحف أن لجان تعديل المناهج في الأزهر اقترحت تدريس الحقوق والطب والهندسة والكيمياء والعلوم السياسية ، وعقب على ذلك أحد السادة المحررين بأنه يرجو من الأزهر أن يتدبر مثل هذه التيارات ، لأن دراسة هذه العلوم تقتضى ثقافة خاصة .

ذات العين وذات الشمال دون أن نعى بدراستها لأن كلهما أن تسد فراغا . وكفى . إنه مجرد اقتراح . . أرجو أن يكون موضع دراسة وعناية أستاذنا الدكتور محمد البهى مدير الثقافة بالأزهر . . .

محمد عبد الله السيلان

الى الدكتور على عبد الواحد :

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد . .

١ - قرأت في مقالكم - موقف اليهودية والمسيحية والإسلام من العزوبة - عبارتين يحتاج الأمر فيها إلى إيضاح يزيل ما شعرت به من لبس قد يشعر به غيرى ، فأرجو التكرم بالإفادة على صفحة المجلة حيث إنى بالريف بعيدا عن القمامة ولا أستطيع القيام بهذا نيابة عنكم .

٢ - العبارة الأولى قولكم في صفحة ٣٢ :

والقدس يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) ونحن لا نقر أن يحيى بن زكريا هو يوحنا المعمدان ، بل نعرفه رسولا ابن رسول وقد قال الله فيه : يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ، وقال الله ليحيى نفسه : يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا .

٣ - العبارة الثانية قول الأستاذ : وقد استطاعت مريم البتول أخت موسى الخ .

وإدارة الشؤون العامة تعلن أن هذا الخبر نشأ في دار الصحيفة لافي إدارة الأزهر ، وأن هذا الاتجاه العجيب لم يخطر لأحد من رجال اللجان على بال .

موقوف بعض الصحف من الأزهر وجمع اللغة:

السيد الأستاذ مدير مجلة الأزهر :

واقراء الأحاديث على الناس أصبح أمراً مألوفاً في جميع الصحف له أبواب وله محررون ، لأنهم علوا بحكم اتصالهم بالجمهور أنه يستريح للثالثات ويطلب الشكك ، فهي تمنع في هذا الباب اجتذاباً له واستفادة منه ، وهي بذلك تسيء إلى نفسها لأنها تحمل القارئ على أن يعتقد أن ما تنشره من الأخبار هو من هذا النوع . والصحافة مادة التاريخ ومنبر الهداية ومعلم الشعب فهي جديرة بأن ترفع الجمهور لأن تنزل إليه ، وأن تفاعله بالحقائق لا أن تزورها عليه . وفق الله العاملين إلى خدمة الأمة العربية من طريق الحق والخير والصدق .

عبد الحفيظ محمد السيد

دأبت صحف معينة وكتاب معينون على اختراع الأخبار المأزلة حول المجمع القوي معقل اللغة ، والجامع الأزهر حصن الدين فتقول مثلاً : إن المجمع القوي قضى أسبوعاً يبحث ويناقش في اسم يضعه للطلقات الهابطة ثم انتهى بصد المجادلة العنيفة إلى أن يسميها (القفف) ثم نشرت منذ أيام أن المجمع سمي البواب أمين العمارة ، والشياخ مساعد مسافر ، وبائع البليلة تاجر قح مبلول (وهي نكتة قديمة للرحوم الربحاني) ، مع أن المجمع في عطلة السنوية منذ ثلاثة أشهر . وكلنا البواب والحال من الكلمات الأصلية في العربية فلا داعي لتغييرها .

نصويب في الجزء السابق

في الصفحة رقم ٩٦ السطر ١٤ من العمود الثاني - لإصلاح تلف صوابها : لإصلاح تلك .
 . . . ٩٧ . ٢٤ . الأول - من الفكر . : منها الفكر .
 . . . ١٠٠ . ٧ . - خارجان في : خارجان من .

وفد رجال الأزهر على الرئيس الأكبر

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المسلم
للمسلم كالدين تغسل إحداهما الأخرى ،
وأفضل الدرجات عند الله خشية وتقواه » .
والله يقول : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .
والإسلام لا يعرف لوناً ولا جنساً ولا دولة
ولا قطراً فإنه بمبادئه يتخطى كل هذه
الاعتبارات ، ومن بيان الرسول صلى الله
عليه وسلم في خطبة الوداع : لا فضل لعربي
على عجمي إلا بالتقوى » .

وواجب المسلمين جميعاً في أنحاء الأرض
أن يلتفتوا حول كتاب الله الذي حمل لهم
مبادئ الخير والسعادة ، ولذا فإنني أسارع
فأهدي إليكم كتاب الله ، أقدم إليكم هداية
ومثله العليا وقيمة التي تحيا بها الإنسانية :

وقد قال السيد الدكتور : هذه القوة في
سيلان تتبع أخبار الأزهر فإنها تعتبره العماد
الأول الآن في الإسلام وتعتبره المنارة التي
تحمل الهداية للناس ، وقد استمعنا في كلمة
لكم أنكم قلتم أن رسالة الأزهر هي رسالة
محمد بن عبد الله ، فالأزهر حينئذ حصن هذه
الرسالة ولذا فإننا نرجو أن يساوتنا الأزهر
في تقويتنا :

وجئنا إلى وزارة التربية والتعليم نطلب

يفد إلى إدارة الجامع الأزهر وفود غفيرة
من أنحاء العالم الإسلامي لتحية الأستاذ
الأكبر والتحدث إليه في شئون المسلمين
وتلقى ما يسديه فضيلته من نصائح وتوجيهات.

وفد سيلان :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد
الدكتور الحاج جوياء عضو مجلس النواب
في سيلان وزعيم المسلمين بها .

فقال لفضيلة الأستاذ الأكبر : إن تعداد
المسلمين في سيلان نصف مليون مسلم وصدد
السكان ثمانية ملايين ومع ذلك فهم ذوو قوة
وإيمان وإخلاص لأنهم لا يمتزجون إلا بالله
ولا يثقون إلا في الله .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر
ليخرج كثيراً بزيارة زعماء المسلمين له ؛
لأن هذا التزاوج مودة وتعاهد
في الله وكل ذلك أقوى رباط في الإنسانية ؛
فالرابط بين الناس لها أسباب فقد يكون
سببه القوة أو الصناعة أو أي لون من ألوان
الاختراعات ، ولكن أقوىها إنما هو الإيمان
بالله ، وإذا يوجد الإيمان توجد المحبة والتعاون

إليهم من حيث التعليم والنصح وحسن التوجيه والتربية الدينية .

قال فضيلة الأستاذ الأكبر وهو يشد على بدنيته ، هذه هي تحية الإسلام ، التحية التي تجمع وتوحد وقواف وتجمل من الناس قوة واحدة لا يعتريها ضعف ، وليس فيها نفرة يصل منها الفساد ، ولا تدخل منها يد الإثم وتغلتيان . إني أحييكم أيها المسلمون جميعا في السنغال وفي سائر أنحاء الأرض ، وأتمنى أن يجمعنا الله على محبة دينه وعلى الاتجاه إليه والسير في طريقه المستقيم ، وأن نكون أمة واحدة ونحن جديرون بها إذ نعيد ربا واحدا ونصل إلى قبة واحدة ونقف في صف واحد متراسين ، وتلك كلها أسس الوحدة وطاقم القوة ، فلتوجه جميعا إلى الله أن ينصرنا ويشد أزرنا ويعمل كفته وينعز دينه . ولأن الرجل القوي الذي يمد يده إلى العالم أجمع فيأخذ بيده إلى الحرية والأمان السيد الرئيس جمال عبد الناصر يفتح للأمة الإسلامية هذا الباب واسعا ؛ ليدخل منه الجميع وقد أهدى إليه فضيلة الأستاذ الأكبر مصحفا ليكون العهد بينه وبين المسلمين جميعا .

ومع البحرية :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ علماء البحرين السيد عبد الطيف بن محمد

منها بعض المدرسين ونحن حريصون أن نأخذ المدرسين من الأزهر فإنا نطمئن إليهم ديننا وخلقا وحلا .

فقال لهم الأستاذ الأكبر : إني حريص على أن ألبى جميع طلبات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؛ لذلك عقدنا اختبارا في اللغة الإنجليزية لنتخار أوائل التاجعين فمرسلهم إليكم وإلى غيركم في البلاد التي لا تسلك اللغة العربية وها أنتم أولاء ترون أننا نفكر في المسلمين جميعا .

مع زعيم مسلمي السنغال :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر اليوم السيد الشريف مكي زعيم المسلمين في السنغال ، وقد قال لفضيلته : إنا جميعا في السنغال نحب عليك ونحب فيك القوة والصراحة والإخلاص ؛ ونحن نعتقد أن هذه من أسس الإيمان الصحيح والعقيدة الحقة والإيمان القوي ؛ لذلك جئت لأروي نفسي وأشبع نهي بالالتقاء بكم والاستماع إليكم حتى أحقق بيني وبينكم الصلة الوثيقة ، وإني إذ جئت إليكم الآن فإنني أتهز فرصة أقدم فيها شكر السنغاليين الذين يدرسون في الجامعة الأزهرية ، فقد حدثني أن فضيلتكم ترعاه رعاية خاصة وتعني بهم رعاية الأب بأبنائه ، وقد قالوا لي : إن الوحشة قد زالت عنهم في الأزهر منذ وليت أمره ، وإني أطلب التكرم بالالتفات

الذي يتعرف من منبع لا ينضب معينه ولا يظلم وأرده ، فلتنتشر الألفة بيننا والوحدة بين أمتنا ، فإني كما قلنا وأقول غير مرة : إننا نتجه إلى رب واحد ونعبد ربنا متجهين إلى قبة واحدة في صف واحد ، غير أن بعض العوائق إلى التفاهم الحقيقي قد أوجدتها الاستعمار الذي أراد أن يفهم عرى الألفة والمحبة بين الأمة الإسلامية فدخل عن طريق تفكيك اللغات وطني على اللغة العربية لغة القرآن لغة الدعوة الإسلامية فلم يعد التفاهم موجودا بين بعض المسلمين وبعض .

أذكر أنني عندما أدت فریضة الحج كلن یجتمع بی كثير من إخواننا الإيرانيین والأفغانیین والأندونيسیین وغيرهم وما كلن یتفاهم بیننا إلا عن طریق الوسطاء من الدین یجیدون لغتین اثنتین ، وذلك كله لون من ألوان الضعف ، ولذا فإني أعود دعوة المؤمن إلى إزالة هذه العوائق بأن تقبل الدول الإسلامية على نشر اللغة العربية بین أبنائها ، وأنا من طریق قد عملت فعلا على إزالة هذه العوائق بإدخال لغات ست تدرس فی الأزهر على مستوى عال من الدراسات هی اللغة الأندونيسیة ، والأردیة ، والسواحلیة والانجلیزیة ، والألمانیة ، والفرنسیة ، حتی لا یجد رجل الأزهر فی دعوته أی عائق یعوقه بل یدک دعوة الإسلام فی کل مکان ، وهاهو المعهد یمخرج

السیدی وقال لفضیک ، إن للسلین آمالا کبارا فیکم ، وإن الأنظار لطاعة إلیکم وإننا نرجو أن یكون شکرک هو العمل الإیمانی لخير الإسلام والمسلمین ، رزقنا الله وإیمانکم الشکر على هذه النعم . فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إني أصدق الله سبحانه أن یجمع كلمة المسلمین ، وأن یحمل من الأزهر المصباح النیر لهذه الأمم الإسلامیة ، والضوء الذی لا یخبو شعاعه ، والحسن الذی یحیی للامة الإسلامیة مبادئها وقيمها وجوانب السلم منها ، وأرجو کل عالم من علماء المسلمین أن یعمل على ذلك وأن یصر الناس بمواطن القوة فی الدین حتی لا یجد المستعمر ولا صاحب المبدأ الهدام ثغرة ینفذ منها إلینا .

مع سفير إيران :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد سفير إيران فقال فضیک : إن الإسلام لا یعرف أمکنة ولا یفصل بین دولة ودولة ، إنما المعصودة كلها رفعت ومکان دعوته فی وحدة شاملة وقوة متبنة وأمة واحدة وهو لا یعرف الفرقة ولا یدعو إلیها ولا یحبها ؛ لأن المبادئ القویمة لا تحملها الشیع والأحزاب إنما تحملها الید القویة . لقد ظن الجاهلون أن المذاهب الإسلامیة لون من ألوان الفرقة ، کبرت كلمة یمخرج من أفواههم ، إنه الاجتهاد

ولا الانحدار في معناه إلى الرذيلة . ذلك واجب على كل مسلم فإن الرسول يقول : «المسلم أخو المسلم، والأخوة تقتضي حسن الرعاية وسلامة التوجيه وإن الصلة بين المؤمنين بعضهم وبعض لا أقوى جانباً من صلة الأنساب .

وقال السيد السفير : « أنا معتر وغفور بمقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، كما إنني غفور بما سمعت من كلمات تجمع القلوب وتدعو إلى الاتحاد وتمنع الفرقة وقد عرفت ذلك في آرائكم وعلكم وفي مقالاتكم ، ولقد استنار قلبي بهذه المقابلة - والحمد لله - فرايت أن أهرع مسرعاً إلى شكركم إن سروري يزداد حين أجدكم دائماً تتجهون إلى الطريق الإيجابي الفعلي ، والمسلون اليوم أخرج إلى رجل فعال منهم إلى رجل قوال .

وهكذا انتهت المقابلة وودع السيد السفير بمثل ما استقبل به من حفاوة وترحيب .

مع أمير الكويت والشارقة

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر سمو الأمير عبد الله الجابر الصباح وبصحبه سمو الأمير صقر بن سلطان أمير الشارقة والشيخ عبد العزيز حمادة شيخ علماء الكويت . وقد قال سمو الأمير لفضيلة الأستاذ الأكبر

دفعته الأولى في أول الشهر ، وأنا أدعو الله أن يوفقنا . وبهذا الطريق الذي يريه السيد الرئيس جمال عبدالناصر ويحيطه بعنايته فعمل على إزالة الفوارق فأنا أقول دائماً كما قال الرسول : (لا عصبية في الإسلام) ولا جنسية ولا إقليمية ؛ فإن خصوم الإسلام والمسلمين قد استغلوا جهل المسلمين في فترة الضعف وراحوا يفرقون بين بعضهم وبعض في كل قطر إسلامي ؛ فلم نتحد وتعلم لغة واحدة فيظل المسلمون فرقاً يضرب بعضهم رقاب بعض ، واعتصموا بمجمل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ونحن في طريقنا إلى جمع كلمة المسلمين في أنحاء العالم بإزالة الشوائب وتقريب وجهات النظر ، وعلى العلماء جميعاً أن يقبلوا على هذا الاتجاه لتحيا حياة سعيدة ، وتصارفوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، وأنا يا أخي : أريد أن توجه بالامة الإسلامية إلى الخلق القويم وأريد أن أجعل من الصحف والإذاعة أداة لذلك ، ولا يستقيم هذا الأمر ولا يصلح إلا بما صلح به أول هذه الامة من اتجاه إلى الخلق القويم والعقيدة الصحيحة والإيمان السليم ، إنني أطالب الصحف والإذاعة بأن يتجها إلى الخير والفضيلة وأن تكون وجهتهما معنا قربة جيل صحيح نظيف لا يعرف ضعف الخلق ولا الاستماتة بالمثل

واعتبروا أنني واحد منكم أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني .
فرد سمو الأمير قائلا : لا ، أنت إمامنا ونحن جند نعمل معك .

وقد أهدى فضيلة الأستاذ الأكبر سمو الأمير والمرافقين له المصحف ليكون هداه بين الجميع يهتدون بهديه وينهجون منهاجه ويسيروا على طريقه .

مع لبناني :

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الأستاذ أسعد المقدم سكرتير تحرير جريدة السياسة اللبنانية ، وقد حل إلى فضيلته بحجة السيد عبد الله اليافى رئيس الوزارة اللبنانية الأسبق وبحجة جميع اللبنانيين وقال : يا فضيلة الأستاذ الأكبر لقد جمعت الناس على كلمة واحدة وقد فرحوا جميعاً لأن فضيلتكم تعمل لتوحيد الكلمة بين المسلمين ، فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إننا نعمل على ألا يكون للعصية أثر في المسلمين فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا عصية في الإسلام » ، كما نحرص على ألا يكون للهوى ولا الشهوة ولا للغرض أى أثر في نفوسنا ، وإنما نكون أمة واحدة تستمد كيانها ومبادئها وعقائدها من كتاب الله ومن سنة رسول الله ، وأن نطرح الخلافات وراءنا ظاهرياً فنصبح أمة

إتنا نحبيكم لأن صوتكم الذى يحمل إلينا العلم والهدى والنور ، يجمع بين قلوبنا ويؤلف بيننا .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إنكم عرب ، وإنكم لبنات قوية في الوحدة العربية ، وإن الإسلام إنما انتشر عن طريق العروبة ، فالقرآن عربي والرسول محمد صلى الله عليه وسلم عربي ، فالعروبة والإسلام كل منهما يتصل ببعض اتصالاً وثيقاً ويشد بعضه أزر بعض ، والإسلام اليوم يطلب من الناس جميعاً أن يكونوا أمة واحدة متراصة البناء قوية العمود الأطراف ، ومن أولى هذا منكم ؟ قواكم الله وجعلكم في خدمة الإسلام والمسلمين ، وإن الأزهر اليوم لا يرضى على أحد من المسلمين في أنحاء المعمورة بعون ولا مساعدة ، وإنما يقدم للعرب والمسلمين جميعاً كل ما يحتاجون إليه من مدد علمي وثقافي سواء أكلن عن طريق رجله أم عن طريق كتبه ، وإنه لمن حسن الحظ أن يكون مع صموكم مدير المعارف عندكم وهو أحد الأزهريين الأستاذ عبد العزيز حسين . إتنا إخوة في الله فلننظم دين الله فقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده الذين ينصرون دينه بالنصر والقوة « ولينصرن الله من ينصره » ، إن الله لقوى عزيز ، « إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وقد اجتمعت الشجستان اليوم في الجيش وفي الأزهر.

وإن أمة تجتمع فيها هذه القوة لتعلو قيمة وتمزجانياً، والأزهر والجيش هما القوتان اللتان تسعد بهما الجمهورية العربية المتحدة، بارك لنا الله في جمال القائد والرائد ورئيس الجمهورية، وفي جمال قائد الجيش الأول قواكم الله وشدد عضدكم وبارك فيكم، وأرجو أن تبلغوا ذلك إلى إخوانكم وأبنائكم من جند هذه الأمة.

قال السيد الفريق جمال فيصل : إننا نتمتع برؤية الأزهر وفصل الأزهر وقوته في التوجيه وأنا سعيد جداً بزيارته ولأنني أحس حين أسعى إلى الأزهر بكل المعنوية التي أحس بها عند ما أسعى إلى الحرم المقدس، فإننا نعرف جميعاً أن الأزهر هو حصن هذه الشريعة، وعماد هذه اللغة وهو التبراس الذي تهدي بهديه ونسير على ضوئه، ويمجدنا بقبسه، وجزاكم الله خيراً حيناً تصلون جلعدين على إيقاظ هذه المعاني حتى يعود إليه مجده، وإن إهداءكم كتاب الله للجيش لهدى قطعته على أنفسنا بأن نرضى أمانة الله وأن نصون حدود جمهوريتنا، ونحفظ المثل العليا وذلك عن طريق الإيمان، القويم، لأن الإيمان هو كل شيء. وإن زيارته للأزهر

واحدة متناسقة قوية لا ثغرة في بناتنا ولا فرقة بيننا، أقول هذا ولست أقرأ قوله تعالى : يا أهل الكتاب قفوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون، قلت هذا ونادينا به فاستجاب لها من استجاب وقد ضما من قد ونرجو أن يتدبر الذين لم يستجيبوا إلى آثار هذه الدعوة وتأنجها من وحدة شاملة وقوة ترتب عليها، ليفيخوا إلى أمر الله.

مع قائد الجيش الأول :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد الفريق جمال فيصل قائد الجيش الأول بالجمهورية العربية المتحدة.

وقد قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الحق والقوة حيناً يجتمعان يحقق الله بهما الخير ويؤكد بهما النصر ويعمل بهما الشأن وما أنذا أرى معنى القوة ما نلا فيكم مجتمعاً لكم، وقد لمست ذلك في ضباطكم ورجالكم وهذه القوة العتيدة هي التي تدفع دائماً الحق إلى الأمام، وأنا أعتبر أن الأمة لابد لها من شمتين قويتين، شمة معنوية تمثل في الهدى والحق والإيمان، وأخرى مادية وكلناهما مذكورة في قوله تعالى : واعدوا لهم

منح الحق والفضيلة هدية للتحف الحربي
للجيش الأول بالجمهورية العربية المتحدة ؛
ليكون بمثابة عهد بين القوة والحق - ضارعين
إلى الله أن يوفق رجال الجيش إلى قيادته
والسير به على مقتضى ما رسم الله في كتابه
العزيز - وفق لفة الجميع إلى رفع شأن العروبة
وإعلاء راية الإسلام ، وأدام توفيق قائدة
الامة المصلحين بإرشاد قائدها الأول ناصر
الإسلام والعروبة ، الشاب المؤمن القوي
جمال عبد الناصر - إنه سميع مجيب الدعاء .

ثم أهدى فضيلته السيد الميريق جمال فيصل
مصحفا خاصا به كتب له إهداء هذا نصه .

بسم الله الرحمن الرحيم

لى عظيم الشرف أن أقدم كتاب الله لقائد
الجيش الأول للجمهورية العربية المتحدة
الميريق جمال فيصل - وهو بمثابة عهد يتضمن
على تنفيذ ما فيه من أحكام - الأزر منيح
الدين والهداية ، - والجيش منيح القوة والجلاد -
وقتنا الله وإياكم للعمل بما يرضيه والسلام
عليكم ورحمة الله .

وفرغنا :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر وفدا من
مسلى غانة ، وقد تحدث إليهم فقال : إن
خير ما يقوى المسلمين هو الاعتماد بكتاب
الله وسنة رسوله والالتفاف حول مبادئ
الدين الإسلامى والوقوف على قيمه ، وبذلك

أحضرها شرقا سجدت به فى حياتى ؛ لأنه
الجامعة التى حافظت على العروبة والإسلام
ولقد أصبحت يا فضيلة الأستاذ الأكبر فى
كل قلب من قلوب المسلمين ؛ بما تعلمونهم من
علم ، وتبصرونهم فى شئون دينهم ولذا فأكون
سعيدا حين أقدم إليكم مكررا دهوقى لكم
ولمن تختارونه من السادة العلماء لتكونوا
ضيؤا على الجيش الأول ، ويعدنى أن أقول
لكم : إننى تلمنت فى الأزر بصورة غير
مباشرة فلقد درست القرآن والشريعة
وأصول الفقه العربية على شيخى
وأستاذى الشيخ ناجى أديب من كبار علماء
الإقليم الشمالى ، وإتى منها جلست مع فضيلتكم
فلن أروى الظمأ ولن أشقى الفلة ولذا فإننى
أستأذن منكم راجيا لكم دوام التوفيق للنهوض
بالأزر الذى نحب ونخلص له .

وقد قدم لسيادته فضيلة الأستاذ الأكبر
مصحفا أهداه إلى المتحف الحربي وكتب له
إهداء خاصا نصه .

بسم الله الرحمن الرحيم

لأبد لقوة من حق يوجهها ويرسم لها
طريق حياتها وعزتها - ولأبد الحق من قوة
ترفعه وتعمل على نشره واستقراره . وقوة
الشعب فى جيشه وجنوده ، ولا شئ يهذى إلى
الحق الذى تعتمد عليه القوة بعد كتاب الله .
و إن هذا القرآن يهذى لى هو أقوم ، ، وقد
دفننا هذا وذلك إلى أن نتقدم بكتاب الله

يكون المسلمون كتلة واحدة متراسة فلا تعمل فيهم معاول الاستعمار ولا مبادته الفاسدة ولا تجد المذاهب الهدامة مكانا تنبت فيه فإن أراضى الإسلام أراض تلفظ السموم ولا تبقى عليها .

وقد قرأ أعضاء الوفد كثيرا من آيات القرآن الكريم قراءة صحيحة أمام فضيلته فقال لهم :

« إنكم وأنتم لا تعرفون اللغة العربية ولا تتكلمون بها ، فإن حفظكم للقرآن إنما هو جندب الدين لكم بمبادته وقيمه ومثله العليا .

وحين قال لفضيلته بعض أعضاء الوفد :
 « إننا نرجو أن يعاون الأزهر المسلمين في غائته .
 قال لهم : إن الأزهر لن يألو جهدا في سبيل معوتكم ومعونة كل مسلم ، وخاصة في عهد نهضتنا الحديثة التي يراها ويرفع لواها ويدفعها قدما إلى الإمام السيد الرئيس .

وقد قدم إليهم فضيلته المصحف هدية وقال لهم : ليست هذه هدية فردية ، إنما هو عهد الله بيني وبينكم ، وبين المسلمين جميعا نسأل الله تعالى أن يؤلف بيننا وأن يوحّد بين قلوبنا وأن يجعلنا على كلمة الحق وأن يسلك بنا الطريق المستقيم .

بقية المنشور على صفحة ٢٤٤

وكنتم على (شفا حفرة) باختلافكم ونفرتكم وتمصّبكم ونظرتكم الشخصية الانانية ، فأقذكم منها) بالاستجابة إلى دعوة التوحيد وإلى الرجوع إلى أصل رسالتكم الإلهية : كتاب الله وسنة رسوله .

ويجمل السيد الأستاذ أسعد المقدم سكرتير تحرير جريدة السياسة تحياته إليكم جميعا ، وذلك عندما زارنا في القاهرة وتلكم تحييتنا لكم جميعا ولكل من ينتمى إلى الإسلام ويؤمن بالله ورسوله .

وهذه يدى أبسطها إليكم أبايكم بها على تلك الدعوة .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . »

ولفنا الله إلى الخير والسير على الطريق المستقيم ، قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . »

Immigrants especially and to two only of the Supporters of Medina (al - Madinah). His purpose was to establish a kind of approximate equality between the properties of the Immigrants and those of the Supporters, and achieve a sort of equilibrium in the ownership of property among those two groups of which was formed the first Islamic society. To this effect God, may He be exalted, says: "That which God gives as spoil to His Messenger from the people of the townships, it is for God and His Messenger, i.e., for the State, and for the near of kin and the orphans and the needy and the wayfarer, that it become not a commodity between the rich among you" (59, V. 7).

This means that the aim was to avoid the accumulation of properties in the hands of the rich only to exchange them among themselves, and the rich in this reference means the Supporters. Right after this verse the Qur'an goes on to say: "And whatsoever the Messenger gives you, take it. And whatsoever he forbids you, abstain (from it). And keep your dups to God. Surely God is stern in reprisal. And (The spoil is) for the poor fugitives who have been driven out from their homes and their belongings, who seek bounty from God and help God and His Messenger. They are the loyal" (Ibid, Vs. 7-8).

8 — The Eighth Means is represented in the exhortation of Islam which made it desirable for the rich to give alms to the poor and considered this giving one of the best and most rewarding deeds that bring man close to God. On the other hand, it considers the hoarding up of wealth and not spending it in the way of God one of the worst sins. It warns such hoarders of the severest punishment on the Day of Judgement.

The Qur'anic verses concerning this matter are countless and found almost in every chapter of the Qur'an. Read, for example, the verse which says: "And they who hoard up gold and silver and spend it not in the way of God, to them give tidings (O Muhammad) of painful doom. On the day when it will (all) be heated in the fire of hell, and their foreheads and their flanks and their backs will be branded therewith (and it will be said to them): Here is that which you hoarded for yourselves. Now taste of what you used to hoard" (S, 9, Vs. 34-35).

Moreover, Islam has made this kind of spending a right due to the poor. In His description of the true believers God says: "And those in whose wealth there is a right acknowledged. For the beggar and the destitute" (S. 70, Vs. 24 — 25).

(To be Continued)

the contented helps the needy to satisfy his needs. Islam has gone in this direction to such an extent that Ibn Hazm, the great jurist, and his followers held the opinion that if a dweller of any city or town dies of hunger, the whole people of that city or town are responsible for his death, and have to pay jointly his blood-money (diyyah) as if they were party in the cause of his death. In this connection, the Messenger, may the mercy and peace of God be upon him, says: "Whenever the people of any district pass a night with a hungry person among them, they will have no claim to the mercy and honour of God and His Messenger".

In many verses of the Qur'an and many traditions of the Messenger the Muslim is emphatically recommended to be kind to his neighbours, relatives and non relatives. Islam tasks the Treasury with the expenses of people who are unable to earn their living or very advanced in age and of women who have no relatives to take care of them. In this kind treatment Islam makes no distinction between Muslims and non-Muslims. It is reported that Umar, the Second Calif may God be pleased with him, was passing one day by a door of some people. He saw a begger who was a blind old man, and who seemed a non-Muslim. Umar came to him, held his upper arm and asked him

to what people of the Scripture he belonged. The man said that he was a Jew. Then Umar tenderly took him to his home and gave him of what he found there. Soon afterwards Umar sent to the Treasurer and said to him: "Look after this and the like people. By God, said Umar, we have not been fair to him. We took tribute from him when he was young and left him pauper when he got old. The alms, continued Umar, are only for the poor and the needy, and this is one of the needy belonging to the people of the Scripture". Then Umar ordered a regular salary for him from the Treasury.

7 — The Seventh Means is represented in the authorization granted by Islam to the Head of State to distribute the common wealth in such a manner as to establish economical equilibrium among the various classes of society even though it may result in giving properties to some classes and depriving some other ones. This wise rule was introduced and put into practice by the Messenger of God, peace be upon him, after it had been revealed to him from God in the Glorious Qur'an. As a practical application of this wise principle, the Messenger of God, peace be upon him, gave all the spoils gained from the antagonistic tribe of al-Nadir to the

the magistrate of Bahrayn and Amr Ibn al-As the magistrate of Egypt.

3 — The third means: Is represented in the various kinds of taxes and alms ordained by Islam. It demands that these kinds of taxes and alms are to be taken from the different sorts of properties and from the revenue of the economic enterprise in order to guarantee the realization of social justice, and satisfy the needs of paupers and prevent the immense accumulation of wealth.

Alms is distinguished in that it is not only imposed on the products of capitals but imposed on mobile capitals as well. So if the movable capital becomes unproductive it will be gradually consumed as alms within a course of forty years; and this is true of properties whose alms is estimated at one-fortieth per year, and such properties include gold, silver and merchandise. Even if the capital remains productive, the successive taking of the decided alms will make it shrink and prevent it from developing to a big wealth in the hand of its owner.

4 — The fourth means: Is represented in seasonal charity ordained by Islam which demands the rich Muslims to distribute, out of their properties, alms to the paupers on certain occasions every year such as the Small Feast "Eid al-Fitr",

the offerings slaughtered on the occasion of the Corban Bairam "Eid El Adha" and the offerings which the pilgrimes offer and from which they are to eat and feed their people, and most of which is to be distributed among the poor and needy.

5 — The fifth means: is represented in retaliations imposed by Islam on the doers of sins and transgressions. Islam stipulated that sins and transgressions frequently happen should be amended by gifts to be given to the poor and the needy. Such gifts retaliate perjury, the most cases of breaking fast during the month of Ramadan, the divorce of "Zihar" i. e., when a man says to his wife "You are sexually forbidden for me like my mother", which means separation between him and his wife. Also they retaliate some violations of the rituals of pilgrimage as explained in detail in the books of jurisprudence.

6 — The sixth means is represented in what Islam has ordained as regards social solidarity. It has enjoined upon the rich to undertake the expenses of their poor and unable relatives according to the detailed explanation in the juristic books. It has also ordered the residents of every district to live with one another in a manner of social solidarity where the rich treats the poor kindly and

prohibited all ways that lead to the accumulation of capitals by usurbing people, or deceiving them, or monopolizing the necessities of their lives, or exploiting their poverty and needs or by the abuse of influence and authority. Islam has taken this attitude because these ways are the major causes that create wide differences among properties of individuals, and by forbidding these ways the economical equilibrium can be realized in the best form.

Islam has forbidden unequivocally all operations of usury and made them amongst the most heinous sins, and threatened their committers by war from God and His Messenger. It has also forbidden all dealings which imply deception, or bribe, or taking unjustly the properties of others or cheating men when taking the measures.

Similarly, it has taken the same attitude towards the monopolization of the necessities of people; in this connection the Prophet, peace be upon him, says: "Whoever monopolizes food for forty days he will break off association with God and God will break off association with him". Islam has forbidden the misuse of authority and influence for gaining wealth, and allowed the confiscation of properties acquired through such ways, and authorised the Treasury to take this wealth to be utilised for

the common interest of Muslims and their needy. The Prophet himself has laid down this perfect principle. It is said that a man of Al-Azd Tribe, who was employed to administer alms, some day came to the Prophet with alms and divided the alms into two parts and said to him: "This is for Muslims and this was presented to me". The gestures of anger appeared on the Prophet's face and being disappointed he stood up and made a speech in which he said: "I employ men from among you to run some affairs with which God has tasked me, then some one of you comes to say this is yours and this was presented to me; would he confine himself to his father's or mother's house and see whether he would be presented to or not?". The man, then left untouched what was, allegedly presented to him and the Prophet, peace be upon him, added it to the Treasury of Muslims.

This principle was applied on a larger scale by Umar Ibn al Khattab during his caliphate. He Confiscated what the magistrates had gained through improper means for them such as commerce and the like, and also what they had attained in the form of presents or properties resulting from the exploitation of their influence and their offices. Umar did so with his magistrate of Basra as well as with Abu Hurayrah

Prophet, peace be upon him, "Special will is unlawful", nor did it allow him to exell one-thurd of his property when making "will" to none of his heirs. By doing so Islamic law aims at safeguarding the principles of the perfect socialism which it has introduced for inheritance, and at protecting them from the abuse and caprices of bequeathers.

How wide is the gap between this wise social institution of inheritance laid down and fortified by Islam with strong protection, and the modern systems of the West some of which make all the property of the deceased a primogeniture while others authorise the owner with complete freedom to bequeath all his property to whom he pleases!!.

As a result of this system, large properties were gathered in the hands of a limited group of persons, such a result aroused the hatred of the poor and implanted in their hearts the spite against the Community and its institutions. Thus destructive and extremist doctrines as well as corrupt and Communist trends developed from these systems and disturbed chaotically the economic life, and led to the most violent revolutions and rebellions which Europe has been facing in modern times.

Islam has differentiated between

male and female in inheritance; it often gives the male a share equal to that of two females who stand with him on the same level of kinship. This distinction is based on classification of life responsibilities shouldered on both male and female. From the Islamic point of view, man's financial responsibilities in this life are so much heavier than those of the woman.

Man, sooner or later, married or unmarried, is the guardian responsible and sustainer of his family. He is tasked with satisfying all needs of all his relatives. Unlike that, woman is released from all financial responsibilities even her own expenses.

Therefore, it was only fair that man should take a share larger than that of the woman to enable him to bear these heavy burdens enjoined by Islam upon his shoulders, whereas woman is exempt by Islam from these burdens to show its mercy and care for her, and to secure the happiness of family. Nay, Islam is too generous and kind to woman as it gives her one half of man's share in inheritance when exempting her from the burdens of life and putting all these burdens on man's shoulders.

2 — The second means: Islam forbade the aquirement of wealth thorough illegal means. It has absolutely

disobeys God and His Messenger and goes beyond His limits, He will make him enter fire to abide in it and for him is an abasing chastisement" (Surah 4, Verses 13 - 14).

Hence many of the muslim jurists hold the opinion of forbidding " the personal mortmain " which means that the owner confines the outcome of his property to a certain group of his relatives or non-relatives according to conditions and shares made by him just the way he pleases. Such kind of mortmain is forbidden because it constitutes the detention of property from being used and utilised normally, and also because it infringes the rules of inheritance. Ibn Abbas was one of those jurists who forbade this kind of mortmain. He said that when the Surah (chapter) of Women was revealed regulating the legal shares of heirs, the Prophet, peace be upon him, said "There should be no detention from the injunctions of God", i.e., the prevention of the property of the deceased from being distributed among due heirs is forbidden. Likewise, Justice Shurayh of Kufa adopted the same opinion of Ibn Abbas. (Justice Shurayh was one of the great Followers, of the most well known amongst Muslim jurists and the judge appointed by Umar to Kufa for a long period). He forbade that Kind of mortmain

and stated that the Islamic law eradicated this system. The text of his statement reads: "Surely Muhammad has permitted the sale of mortmain". This is a narration ascribed to the traditions of the prophet, peace be upon him, permitting the sale of mortmain. There is also Ismail Idn El Kendi the Judge of Egypt on behalf of Caliph Al Mahdi, who adopted the same opinion of Ibn Shurayh.

There is also Abu Hanifah al-Numan the great jurist who forbade the personal mortmain in all its familiar forms. He decided that when the testator conditions the mortmain on his death (as by saying: when I die my house, for instance, goes to such and such), then it will become a "will" not a mortmain, and should be taken from one-third of his property. Conversely, when the testator does not condition mortmain on his death, it should be distributed among heirs after his death according to every one's share. The Egyptian law number 180 of 1952 has depended on all these bases when it repealed all sorts of personal mortmain and forbade its proceedings, and stipulated that any personal mortmain would be considered invalid.

For all this, Islam did not allow the owner to give by will any one of his heirs more than his legal share in conformity with the saying of the

Islamic Socialism, The Best

Safeguard Against Communism

By

Dr. Aly Abdul Wahid Wafi

Islamic law restricted the rights of owner in his property by many restrictions, and in return for his ownership it tasked the owner with many obligations in order to preserve, by these restrictions and obligations, the rights of the Community and to mitigate the influence of capitalism. Through this, Islamic law means to obstruct the growth of any influence or despotism of capitalism, to realize the equality of chances among people, to lighten the differences between social classes and bring them near each other, to prevent the accumulation and centralization of properties in the hands of the few and, finally, to constitute a kind of moderate socialism in the best form possible.

The most important means which Islam has adopted to achieve these noble aims read as follows :

1 — The first mean : Islam has codified wise rules regarding inheritance and its connections. It has introduced a wonderful social system of inheritance by which it secures the fair distribution of properties among individuals, prevents the accumulation

of properties in the hands of the few and break big capitals into small properties. This is done by dividing the legacy of the deceased among a large number of his relatives in order to enlarge the sphere of use of this property on the one hand, and to prevent the accumulation of big properties in the hands of a limited group of people, on the other hand.

By virtue of this wise system, the big properties which happen to be in the hands of some individuals will be divided within a few generations among many individuals and will be transferred into small ones. This is the best method for reducing social differences between classes and realizing the fair socialism in a most harmonious form. And because Islam is so earnest to achieve these purposes it prohibits all actions that lead to the violation of those rules of inheritance. After having laid down these rules God Says "These are God's limits. And whoever obeys God and His Messenger, He will admit him to gardens wherein flow rivers, to abide in them. And this is the great achievement. And whoever

Easterners nor Westerners; we are just muslims. We are advocates of belief in God alone and of virtuous human values. We are mobilized at the instance of our religion to resist tyranny and replace it with justice and peace

Islam does not recognize social classes with its structure. It is alien to the society which is based on the aristocracy of wealth and nobility as it is alien to the society which is based only on bodily labour. It recognizes distinction among its followers only in their adherence to its guidance. "Surely the noblest of you with God are the most dutiful of you." (Surah. 49. V. 13). So it does not tolerate the subjugation of a certain class to another as it allows no social classes.

Islam trusts the conscience of man; it does not resort to terror in stimulating its followers. It relies on man's thoughtfulness of God, and therefore no tyranny of a group over another is feared of. The imported ideologies from the East and the West have sparkling appearances. But Islam is the religion of genuinely brilliant ideology, which needs only to be purified from accretions and innovations.

When it is so purified, it will satisfy our needs and make us independent and self-sufficient. Then, it will be easy to popularize it among

outsiders and even export its principles which will find warm reception. When we rightly deserve the description of us by God in His Book, "The believers are those only who believe in God and His Messenger, then they doubt not, and struggle hard with their wealth and their lives in the way of God. Such are the truthful ones" (Surah 49, V. 15), then we really become self-sufficient,

With Islam, we are the best nation raised up for men. Our allies are God, His Messenger and those who believe: "Only God is your friend and His Messenger and those who believe, those who keep up prayer and pay the poor-rate, and they bow down. And whoever takes God and His Messenger and those who believe for friend—surely the party of God, they shall triumph" (Surah. 5, Vs. 55-56). "You will not find a people who believe in God and the Latter Day loving those who oppose God and His Messenger, even though they be their fathers, or their sons, or their brothers, or their kinsfolk. These are they into whose hearts He has impressed faith and strengthened with a spirit from Himself, and He will cause them to enter Gardens wherein flow rivers, abiding therein. God is well-pleased with them and they are well-pleased with Him. These are God's party, Now surely it is God's party who are the successful!" (Surah. 58, V. 22).

the earth. So, it is suitable and good for all people.

Islam is not mere knowledge but is faith and piety. It is faith in God, observance of duty and thoughtfulness of Him. And this faith is the source of self-security in man, of his awareness of society and of his contribution to the stability and survival of that society.

Islam is a Divine grant. "That is the grace of God; He grants it to whom He pleases. And God is the Lord of mighty grace" (Surah 62, V. 4).

This is Islam as a system of life. It is a system of virtuous, stable and humane life for the individual and society alike. Its foundation is based on the fact that man has a desiring nature but endowed with leadership. It realizes that this nature responds to egoistic motives, though it inclines to association and sociability.

The guidance of Islam is meant to develop the will of the individual to give him the power of mastership in order that he may not behave like the machine or the animal. It is also meant to awaken the social conscience in order that society may survive protected from disintegration, deterioration and weakness, to remain a virtuous and strong society.

Having laid down these principles, Islam is not responsible for the weakness of the Muslim and for his

submission to passions. Nor is it responsible for the weakness of the bonds of the Muslim society or for the dissolution of that society. What is responsible for that, however, is the misunderstanding of Islam and misapplication of its principles. Thus the Scripture of God is not to blame for the ideas from the east and west imported supposedly for guidance.

The responsibility for misunderstanding and misapplying the principles of Islam is not to be shouldered on certain Muslims. But as long as the Muslim embraces Islam, he has first to believe whole-heartedly in God to know the right path to Him. "And keep your duty to God. And God teaches you. And God is Knower of all things" (Surah 2, V. 282).

The imported ideologies of the East advocate atheism and disbelief in humanity and its values. Similarly the ideologies imported from the West call for the tyranny of matter over human values, the tyranny of war and material power over the rights of peoples in liberty and survival.

The principles of Islam are distinguished from the ideologies of the East and the West. This is so because Islam is based on belief in God, honouring human values and on the resistance of tyranny in all its forms. Consequently we are neither

Here we find that the message of Islam is the framework of the active man and the strong society. It is the framework of the resolute individual and of the befriended, kind and fraternized society which does not accept humiliation and subjugation.

The Muslim has a mission in this life which mission is to be of will. Likewise, the Islamic society has a mission which is to establish Justice and peace, and to prevent harm and aggression. This mission of the individual Muslim is a prerequisite to the mission of the Islamic society. This is because no justice and peace can be achieved, and no harm and aggression can be prevented in any given society unless its individuals have strong wills, experience in struggling and belief in ideals.

The mission of the Muslim, from the Islamic point of view, is not to live for food and reproduction only, but to make these a means of power and sovereignty. "I am afraid," the Prophet said, "that nations will exhort one another to encroach upon you just like the eaters call one another to food. Is it because we shall be small in number O Messenger of God," the Prophet was asked? He said: nay, you will be enormous, but your enormity will be effectless".

Similarly, the Islamic mission of society is not just for fun or amusement but to struggle for values, establish justice and prevent injury and aggression.

It is to struggle for association and brotherhood; because the kinship of Islam is superior to that of tribalism, and its brotherhood is above that of blood relationship. The kinship of Islam, first of all, is that of principles, of joint aims and common ends.

Surely the message of Islam is not a social planning laid down by man nor is it an educational method drawn by any human being. If it were as such, it would not have been so suitable for all people, but it might have been good only for a certain environment in which that particular social planner or educationalist lived. This is so because man is what we know, affected by inherited qualities and environmental circumstances. Thus man's thinking reflects his limitedness, and his goodness, if he be good, is for his environment and those who live with him.

Islam is the revelation of God, the Aware of everything. It is the teachings of God, the Creator of every being and the Supreme above all. "And He is the Supreme, above His servants" (Surah 6, V. 18). It is coming from Him whose knowledge extends over the heavens and

O mankind, surely I am the messenger of God to you all" (Surah, 7, V, 158). Likewise, its worship was meant to provide the individuals first with security and then with peace in their relations to one another.

After Islam had awakened the social spirit in individuals through worship and formed of them the Islamic society, it strengthened it with formidable protection to make it survive. Islam consolidated its society by firmly prohibiting it from aggression, "And help you one another in righteousness and piety, and help not one another in sin and aggression" (Surah 5, V. 2).

To prevent contemplation of, not to mention aggression itself, Islam enjoins justice and the doing of good to others and the giving to the kindred, and forbids indecency, evil and rebellion. It enjoins justice in every way : in bearing witness and giving narration, in judgement and decision. It enjoins the doing of good to others in all its forms : through wealth and health, through knowledge and authority. It forbids oppression in its forms which can be defined by whatever hurts the soul or the body, ownership or personal consecration. It forbids indecency and evil in all their forms which are disliked by good selves and spited according to the standards of society and usage.

The Glorious Qur'an emphasizes these principles by saying "Surely God enjoins justice and the doing of good (to others) and the giving to the kindred, and He forbids indecency and evil and rebellion" (Surah 16 V. 90).

The Islamic society, therefore, is one of peace, justice and kindness. It is a society which distastes indecencies, vices and aggression. It is a virtuous and moral society. Yet it is not an aggressive society nor is it a passive one which tolerates humiliation. On the contrary, it is an active society which meets aggression with a like retaliation. "Whoever then acts aggressively against you inflict injury on him according to the injury he has inflicted on you" (Surah 2, V. 194).

The Islamic society is not of the aggressive type which is tempted by victory to encroach on the human principles. "God forbids you not respecting those who fight you not for religion, nor drive you forth from your homes, that you show them kindness and deal with them justly. Surely God loves the doers of justice" (Surah 60, V. 8). "O you who believe, be upright for God, bearers of witness with justice and let not hatred of a people incite you not to act equitably. Be just; that is nearer to observance of duty." (Surah, 5, V. 8.)

annual Feasts of Islam. Both these two forms of alms and pilgrimage include this social spirit and increase its force and certainty by means of endeavour and work.

Thus, the forms of worship laid down by Islam and enjoined upon Muslims in the periods and places aforementioned are meant to train the human self to attain what it is naturally prepared for of the power of will and the means of choice, on the one hand, and of what it has of the sociable spirit, on the other. By this, the self can master the passions of the stomach and sex and protect itself from the dangers of indulgence in and subjugation to these passions. The self will also be able to recognize the existence of others, observe their rights and fraternize them instead of being in conflict and antagonism with them.

Worship, as defined by Islam, is to elevate the standard of humanity in man and protect him from his own evils. It is to prevent aggression either from him against others or from others against him. It is to moralize the individual, establish society and guarantee its survival.

It may not seem clear that society is established as a second stage preceded by the existence of individuals, and that the very establishment of society depends upon

the awakening of the social spirit and consolidating the inclination in individuals to sociability. As long as social spirit is not awakened in individuals, they will remain as an unorganized group of people to whom the term society is inapplicable. And for this reason the existence of society is a proof of the civilization of its individuals, and demonstration of the awakening of their social conscience. Moreover, it means that the joint feeling of common aims and mutual interests has manifested itself in the practical life. The ultimate end of pure humanity is to found a society not on tribalism and cosmopolitanism, but on the true qualities of humanity represented in peace, in the course of common relations, and in tranquility and stability in the private life.

Islam, as we have observed, endeavours through its guidance to build the human society, to remove aggression from common relations, and to ascertain stability in the private life. This is why it treats all people in an equitable manner. "O mankind, surely we have created you from a male and a female, and made you tribes and families that you may know each other. Surely the noblest of you with God is the most dutiful of you" (Surah. 49, V. 13). And for the same its message has been sent to all people. "Say :

in greatening God and extolling Him, in bowing and prostration, he will undoubtedly restrain his desires and passions. And when he commands his desires and passions, he will be in a position to choose his diet and sexual intercourse in the most upright manner. Then, he becomes a man of choice and limit, a man who knows the beneficial and the harmful. And this is the result of prayer which "keeps (one) away from indecency and evil".

As for fasting, which occupies a full month of the year starting from dawn upto sun-set and which absolutely deprives the stomach and sex of having their satisfaction, it is the direct means of worship to develop the faculty of choice and will, the power of struggle and resistance. Fasting is a struggle between the pressing passions of the stomach and sex, on the one hand, and the endeavour of man to overcome these passions, on the other hand. So, if man fasts the whole month of Ramadan every year, he will emerge from his struggle triumphant, and his will will also triumph over the passions of his stomach and sex. Similarly, his resolution and determination will overcome hesitation, weakness and dependence. Here we can appreciate the meaning of the Divine Revelation in the Messenger's words: "All man's deeds are his except fasting which

is Mine. It is purely for me, and I only reward him for it".

Having examined these two forms of worship in Islam, we find that they are meant to improve the personality of the individual and to strengthen his will and ability of resistance and struggling.

Concerning alms, it is the extraction of a certain percentage of the alms-giver's wealth out of his conviction to be distributed to the needy. Pilgrimage, on the other hand, is the gathering of tens of thousands of muslims in one place and one time on the Mount of Arafat, at the sun-set of the ninth day of the month of Dhi Al-Hijjah. At this annual convention all pilgrims stand in uniform thoughtless of their distinguishing appearances of wealth, ranks and positions. They ask One God in one petition with one heart and one faith. When they descend from Arafat and go round the Kaabah they face their *Qiblah* (prayer-niche) - wherein differences of east and west, north and south, disappear in place and direction.

If we reflect on the worships of alms and pilgrimage in the manner we have described, we shall find them a practical application of the social spirit, already awakened by congregation prayers performed five times every day and especially urged for on Fridays, and more especially demanded on the two

because the existence of theirs with him is an undeniable fact. consequently, there will be a violation of mutual rights. He will violate the rights of others and they will in turn violate his own.

The result of leaving man unguided and of leaving his private and social life undisciplined is the loss of will and human personality, resistance and the spirit of strife, the ability to make distinction and choice. Besides all this, animosity, conflict and constant transgression will prevail.

Because man is prepared by nature to be of personality and will, on the one hand, and of sociable inclinations, on the other hand, the message of Islam has come with the purpose of helping this nature and improving its will and social inclination. The message of Islam has come to lay down the solid foundations of the right way which elevates man to be of will, power, ability to resist and struggle, and social reciprocity. It has come to awaken the conscience of one's own personality and of his society as well; because all harms inflicted upon humanity originate from the absence of the individual will and social conscience.

Islam, then, has come to prevent these human harms whose prevention, as we have already mentioned, is in the improvement of the individual

will and in the ascertainment of the social bonds among individuals. Thus it is a guiding message of two sides: one is for the individual and one for the society. And here we may ask: How does Islam drive man through guidance? And how does it make the individual of will and effective participation in the social course of his society?

To answer these questions, let us examine the forms of worship in Islam. Let us examine fasting, prayer, alms and pilgrimage.

In prayer, the Muslim faces God five times a day during which he confers in private with God. Prayer, in fact, delivers the heart from the temptations and adornments of life, because the presence of the true worshipper before God is such a happiness that is incomparable to any other pleasure of this world in which there is only the passion of stomach and sex. Here we can appreciate the wisdom of God's words: "Surely prayer keeps (one) away from indecency and evil" (Surah. 29, V. 45),

And there are no indecency and evil except that which the stomach and sex desire. When the worshipper sacrifices the enjoyment of this life for the sake of his presence before God in petition and prayers,

that the guidance of Islam is a necessity to man agreeable to his human nature.

Man is Passionate, yet he is prepared to have control over himself and creatures other than himself. Man is a nature with egoistic motives, although he is inclined to sociability. He has passions to satisfy the needs of his stomach and his sexual desires. He is capable of leadership the centre of which is his mind which is the essence and cause of his distinction. So, if man were left free to seek his Pleasures, his endeavours would have been restricted to the demands of his stomach and sexual Passions, and the quality of leadership in him would have been subjugated to the aforementioned demands. Then, man would be of Passions only trying to sate his stomach and satisfy his sexual desires with whatever he finds.

And the impulsive man who has no power of choice destroys himself not because he has lost the quality of choice between the useful and the harmful, but because he cannot control his passion. He impulsively wanders on every path straight or otherwise, and compulsorily uses every means beneficial or malicious. Such a man knows no destination to his wandering, and does not care whether his diet is nourishing or not, and is interested only in having his

sexual intercourse with any body he meets. He may see his destruction in what he does, though he cannot resist his inclinations. He may be sure, out of his own experience, that a certain diet is harmful to him, yet he cannot refrain from it. Likewise, he may be certain that a particular sexual intercourse is disastrous, nevertheless he cannot restrict his indulgence. He humblingly yields to his passions, and submits to his stomach and sexual desires. As a result, his will weakens, and his command over passions gets loose, and instead of being, as he should be, the master of his passions, he becomes in thinking as well as in doing enslaved to these passions. He is a dead person even though he may appear in a disguise of an alive man, and morbid in the form of a wholesome person, and weak in the shape of a strong man.

On the other hand, man has a nature motivated by egoism though it is inclined to sociability which is the prerogative of man excepted from among other beings that are instigated by instincts alone, namely, the animals. And if man surrenders his behaviour to the egoistic motives only, he is a man who does not recognize the existence of beings other than himself. Then, he will not only lose his rights upon those others but also will be in conflict with them. This is

things ; therefore serve Him, and He has charge of all things. Vision comprehends Him not, and He comprehends [all] visions ; and He is the Subtle, the Aware " (Surah 6, Vs. 103 - 104). "And certainly We raised in every nation a messenger, saying : serve God and shun the devil " (Surah 16, V. 36).

VL Finally, Islam extends its guidance to elevate man to the most supreme standard of humanity ; it is the standard at which man is not enslaved by his Passion for wealth or sex. And he who is not enslaved to wealth and sex is the man who observes his duty to God, believes in His reckoning, worships Him incessantly, gives the poor without being asked, honours the consecrations of others in Public as well as in secret, keeps his covenant when he has made a covenant, maintains trusts to which he is intrusted, and above all bears witness honestly. " Surely man is created impatient — fretful when evil afflicts him, niggardly when good befalls him — Except those who pray, Who are constant at their prayer, And in

those wealth there is a known right for the beggar and the destitute, And those who accept the truth of the Day of Judgement ; And those who are fearful of the chastisement of their Lord — Surely the chastisement of their Lord is (a thing) not to be felt secure from — And those who

restrain their sexual Passions, Except in the presence of their mates or those whom their right hands Possess — for such surely are not to be blame, But he who seeks to go beyond this, these are the transgressors. And those who are upright in their testimonies, And those who keep a guard on their Prayer, These are in Gardens, honoured " (Surah 70, Vs. 19 - 35).

It is clear from what we have mentioned that Islam is concerned with the life of man in its individual aspects as well as its social ones. It prohibits him from doing certain things. It deals with his cleanliness, his dressing, his diet, his enjoyment, his dealings with others and his service to God.

The life of man wherever and whenever he happens to be is that life of enormous aspects. Why then does Islam pay attention to man to such a great extent ? Would it have been dangerous for man if Islam had entirely deserted him or left him guideless ? Why did Islam not let him do, for example, what he pleases as regards his cleanliness, his diet, his dressing and his amusements ? Would there be any harm to him or to him along with others if Islam left him without guidance in his private life ? All these questions are answerable when it is made clear

Likewise, if the man has relatives Islam calls upon him to offer his help to his kinsmen even though this help may be against his will; "But righteous is the one who believes in God and gives away wealth in spite of its love to the near of kin..." (Ibid. 177).

To the neighbour Islam pays a great attention. It urges man to assure his neighbour's happiness and distress, or at least, to assure him his security from his side. It is reported, on the authority of Ibn Ali Shuragh, that the Prophet, peace be upon him said: "By God he is a disbeliever! by God he is a disbeliever! by God he is a disbeliever! Then it was asked: whom do you mean? O messenger of God! He replied: The one whose neighbour is not safe from his injuries and evils". It is also narrated that the Prophet, Peace be upon him, said: the angel Gabreil recommended the neighbour to such an extent that I thought he would give him a share in heritage".

If man is a ruler or in charge, Islam takes him with the responsibilities of leadership. The prophet said: "Everyone of you is a guardian responsible and will be questioned for his dependents".

When man makes a covenant or takes a pledge, Islam orders him

to keep his covenant and be faithful to his pledge. "And fulfill the covenant of God, when you have made a covenant, and break not the oaths after making them fast, and you have indeed made God your surety" (Surah. 16, V. 91).

Concerning the merchant, Islam commands him to be just and fair in dealing. "And, O my people, give full a measure and weight justly and defraud not men of their things" (Surah. 11, V. 85). Similarly, if man acts as a witness or a judge Islam orders him to establish justice with whatever motives he has and in whatever circumstances he may be "And when you speak, be just, though it be [against] a relative" (Surah. 6, V. 153). "O you who believe, be upright for God, bearers of witness with justice; and let not hatred of a people incite you not to act equitably. Be just; that is nearer to abseruants of duty. And keep your duty to God. Surely God is Aware of what you do" (Surah. 5, V. 8).

V. Islam interefers to guide man and correct his worship. It guides him to worship One God Who has no associate him with "Say: God I serve, being sincere to Him in my obedience" [Surah 39, V. 14].

"That is God, your Lord. There is no God but He; Creator of all

and to display of their adornment only that which is apparent, and to draw their veils over their bosoms, and not to reveal their adornment save to their own husbands or fathers or husbands' fathers, or their sons or their husbands' sons, or their brothers or their brother's sons or their sisters' sons, or their women, or their slaves, or male attendants who lack vigour, or children who know not of women nakedness. And let them not stamp their feet so as to reveal what they hide of their adornment" (Surah 24, V. 31).

IV. Even the amusements and funs of man are dealt with by Islam. It prohibits all that which aggravates his nerves or inactivates them like gambling in all its forms. (See above, Surah 5, V. 90). Yet it exhorts man to refresh his mind and body, and remove his aversion and dullness by good sports like running and the shooting of arrows. Once the Prophet, Peace be upon him, was passing by a group of people shooting arrows for sports. He said to them: "Shoot O sons of Ismail (Ishmael)! Your father was a good shooter. On another occasion he said that all funs and amusements of man are no good except playing with his family and sublimating his horse. The Prophet himself competed in running with his wife Aishah. Sometimes he surpassed her and sometimes she did him.

V Regarding the treatment of man

to his fellow man Islam has a lot to do and say. It teaches the Parents not to be wrongly tempted by the love of their children, and teaches the children to be good and grateful to their Parents and to refrain from whatever action or thing likely to hurt their feelings in any way. "Your wealth and children are only a temptation, whereas God! with Him an immense reward" (Surah 64, V. 15). "And Serve God. Ascribe nothing as partner to Him, (Show) kindness to Parents, (Surah 4, V. 36). "Say not 'Fie' to them (Parents) nor repulse them, but speak to them a gracious word. And lower to them the wing of submission through mercy, and say: My Lord! Have mercy on them both as they did care for me when I was little" (Surah 17, V. 23-24).

If the man is a husband Islam ordains him to treat his wife gently and kindly whether they maintain their marriage life or disperse by divorce "Divorce may be (Pronounced) twice; then keep (them) in good fellowship or let (them) go with kindness" (Surah 2, V. 229).

As for the wife it commands her to carry out her responsibilities and duties in return for the rights she enjoys. "And women have rights equal to the duties burdened upon them in a just manner" (Ibid. 224).

Islam in its guidance of man, then, is by necessity harmonious with the very qualities of the human nature. It accepts it as a human nature and endeavours to maintain it as such without making any attempt to change it to an angelic nature. It takes all measures to prevent the human nature from turning to an animalist one. From the viewpoint of Islam man is a human being and by Islam he can reach the highest standard of humanity.

This is why Islam is a sound system of life for man who should not degrade himself from his natural position, by which he is distinguished from other beings, and who cannot attain the degree of Divinity even if he be a Divinely chosen messenger. "Say (O Muhammad): I am only a mortal like you. My Lord inspires me that your God is only One God" (Surah 18, V. 110). "Say (O Muhammad): My Lord be glorified. Am I aught save a mortal messenger" (Surah 17, V. 94).

Here we find that Islam embraces with its guidance all aspects of human life and includes rules to organize man's life.

I. It deals with cleanliness and enjoins upon man the ablution of some parts of his body a few times a day and the washing of all his body in certain circumstances. It

urges him to keep clean his dress, his body and mouth especially in gatherings like that of the Friday congregations.

II. In regard to food and drinks Islam forbids man from having certain kinds of food and drink. "Forbidden unto you (for food) are carrion and blood and swineflesh, and that which has been dedicated unto any other than God" (Surah 5, V. 3). "O you who believe! Strong drink and games of chance and idols and divining arrows are only an infamy of Satan's handiwork. Leave it aside in order that you may succeed" (Ibid., V. 90). Moreover, Islam exhorts man not to eat or drink unless he really feels a need for food or drink, and advises him to be moderate as to satisfy his needs with the minimum quantities of food and drinks. "Eat and drink, but be not prodigal. Surely He loves not the prodigals" (Surah 7, V. 31). Furthermore, the Prophet says: "We are people who do not eat unless we feel hungry, and when we eat do not sate."

III. In view of man's dressing Islam prohibits him from wearing clothes made of gold. Similarly, it forbids woman from instigating man's sexual temptation by her dresses and adornments and make up. "And tell the believing women to lower their gaze and be modest,

Islam as a System of Life

by

Dr. Mohammad El-Bahay

Director General of the Islamic Culture Administration

al-Azhar University

Islam is the message of God to all mankind as He says in the Glorious Qur'an: "He it is who has sent among the unlettered ones a messenger of them, to recite to them His revelations and to purify them and to teach them the Scripture and wisdom, though heretofore they were indeed in error manifest" (Surah 62, V. 2). "Now has come to you light from God and a plain Scripture. Whereby God guides him who seeks His good pleasure to paths of peace. He brings them out of darkness to light by His decree, and guides them to a straight path" (Surah 5, V. 15-16).

Islam is the message of God to Arabs and non-Arabs alike whether they were contemporaries of the Messenger of God, peace be upon him, or came or will come in subsequent generations until the Day of Judgement. "And along with others of them (the unlettered ones) who have not yet joined them. He is the Mighty, the Wise" (Surah 62, V. 3. See above, Surah 62, V. 2).

It is the message of God which He sent to guide man whom He created as a nature of certain characters and made him superior to His other creatures. "Verily we have honoured the children of Adam. We carry them on the land and the sea, and have made provision of good things for them, and have preferred them above many of those whom we created with a marked preferment" (Surah 17, V. 70). It is just the right message for human nature be that nature in the desert or on the tops of mountains, on the banks of rivers or in coastal regions, in the east or in the west, in the north or in the south. This message is the message of human nature whenever and wherever it happens to be. It was sent to guide that nature to the straight path and protect it from illusions and superstitions in what it intends to do. "He it is who has sent His Messenger with the guidance and the Religion of Truth, that He may cause it to prevail over all religion..." (Surah 9, V. 33).

The Speech of the Reverend Robert Avery Lee

HEAD OF THE DELEGATION OF AMERICAN CLERGY WHO CALLED
ON HIS EMINENCE SHEIKH MAHMOUD SHALTUT RECTOR
OF AL-AZHAR UNIVERSITY,
ON SATURDAY JULY 4, 1959.

Your Eminence, Gentlemen.

May we express to you our pleasure and gratitude for the welcome and hospitality you have extended to us in this great University, which is unique in its history, in the position it holds in the world and the influence it has on Muslims and the Muslim Faith.

We agree with you in our belief in the unity of God, and, as Christians, we stand by your side, in preaching God's message. We believe in Jesus Christ and we strive to carry out His teachings, as we possibly can. If we see tyranny or oppression our conscience inspires us to act according to our creed and faith. Our civic traditions are founded on individual freedom. We claim freedom of conscience and of opinion

for all men. We pledge ourselves to spare no effort and to do everything we can to establish the principles of religion and of human freedom wherever we are.

If you are to come to America we shall endeavour to show you how grateful we are for your hospitality. We promise to offer you as good coffee as yours and we shall express to you our pleasure with equal oratory and fluency.

we extend our hands to you and vow to you we shall work together in the name of friendship and faith in God for the good of humanity and of world peace.

The speech of his Eminence the Rector

OF AL-AZHAR UNIVERSITY TO THE GROUP OF AMERICAN CLERGY

WHO VISITED HIM ON SATURDAY JULY 4, 1959.

The University of Al-Azhar, which is more than ten centuries old, welcomes you in its precincts and prays the Almighty Lord to make this visit of yours the beginning of a new era, in which men of religion all over the world cooperate, each on his part seeking to plant the tree of faith and of God's unity deep in the hearts of all men so that humanity may be purified of paganism, of the false conception that God is not one, of tyranny and oppression and so that it may achieve inward peace and outward happiness.

Al-Azhar fully appreciates your visit as men of religion meeting with Azharites in one place, aiming at the same objectives and working to save the weak from the tentacles of the strong, to relieve those who have been expelled from their mother-country and restore them to

their homeland, where they grew whose water they drank and whose crops they ate.

The Holy Kor'an has esteemed men of the church for their kindness of heart and their tenderness of feeling. This is expressed in the following words addressed by the Lord to his prophet.

"Thou wilt find that those who are closest to the faithful as friends are those that proclaim they are Christians. Of these are priests and monks for they are not haughty and when they listen to what has been revealed to the Messenger their eyes overflow with tears as they realise the truth thereof. They say: "Our God; We now believe in Thee and may You include us among those who have given testimony".

happiness of the individual and of the society in this life and in the Hereafter. All elements of good and success, elements of decent life and everlasting happiness are demanded, propagated and urged for by Islam. Similarly, all elements of evil and corruption, elements of indignant life and constant unhappiness are forbidden and warned against by Islam.

To this general principle God refers by these verses: "Surely this Qur'an guides to that which is straightest, and gives good tidings to the believers who do good works that theirs will be a great reward. And that those who disbelieve in the Hereafter for them we have prepared a painful doom" (Surah 17, Vs. 9-10). "O you who believe! Obey God, and the messenger when He calls you to that which quickens you..." (Surah 8, V. 24). "And if they had observed the Torah and the Gospel and that which was revealed to them from their Lord, they would surely have been nourished from above and from beneath their feet" (Surah 5, V. 66). "Whosoever does right, whether male or female, and is a believer, him verily we shall quicken with good life, and we shall pay them a recompense in proportion to the best of what they used to do" (Surah 16, V. 97). "We verily sent Our messengers with clear proofs, and revealed with them the Scripture and the Balance, that mankind may

observe right measure..." (Surah 58, V. 25).

The Bases of Islam for the Reform of Humanity:

This is being so because Islam has established its order of the world on actual considerations. It is aware of the fact that man is composed of soul and body each of which is entitled to a certain share of enjoyment, and that he has a dual personality of two aspects: one is individual by which he is independent of his people, and one is social on the basis of which he is a solid brick in the structure of his community and of the human society at large. This dual personality or, in other words, each of these two aspects endows man with certain rights and tasks him with certain duties,

And the happiness of man cannot be fully realized unless both his body and soul enjoy their moderate share of enjoyment without going to extremes, and unless he adjusts his rights and duties in the light of his relation to God, his compatriots and mankind in a balanced manner without going to extremes.

Should we go through all that which Islam has brought of beliefs and morals, worships and laws, we shall find that they all lay within this sphere, the sphere of care for the body and the soul of man as an individual and as a member of society.

wise, the Knower, the Aware of what is in the hearts of men, the Master of the selves and the Designer of good and happiness, would reveal contradictory and conflicting religions which no mind can possibly harmonize or reconcile neither as regards their truth nor as regards the behaviour of people under their rules. In connection with the story of Creation and Formation God has told us that whatever comes from Him to His bondmen is guidance and mercy. And there can be no mercy in contradictory and conflicting revelations. Mercy generates from propagating the truth and giving its right picture. But truth does not oppose or contradict truth. What contradicts truth and opposes it, however, is falsehood. In this respect and after giving the account of Adam and his repentance, God said: "Go down hence, both of you and the devil hostile one to the other. But when there comes to you from me a guidance, then whoso follows My guidance, he will not go astray nor come to grief. But he who turns away from remembrance of Me, his will be a difficult life, and I shall bring him blind to the assembly on the Day of Resurrection" (Surah 20. Vrs. 123 - 124).

The Immortality of Islam

So far it has been established that Islam is the religion of God and His guidance to His creatures designed for their sake from the very

beginning of the creation and sent to them with His messengers to call the people to it and warn them against opposing it or turning away from it. It is also established that God is *the* Alive and *the* Eternal, and that eternity and intrinsic mercy belong to Him. So Islam, regarding its source and ordainer, namely, God, Who sent His messengers with it when it was first revealed and when it was finally perfected, is as everlasting as the mercy of God upon His people. And since the mercy of God upon His people is everlasting and incessant, it is only natural that Islam which is the manifestation of God's mercy cannot be but everlasting and incessant. This is the first conceivable thing in search for the element of immortality in Islam.

Islam Guarantees Personal and Social happiness :

So if we believe in this conclusion and are convinced of it as an element in the immortality of Islam, as emanating from God, *the* Merciful, *the* Eternal and Everlasting, we are to reflect upon the teachings of Islam and find out the extent of their relation to the happiness of man. Thus if we take this view and examine the teachings of Islam in general or in detail, we shall see that Islam is the best system to guarantee the

It is appropriate for us to consider these verses in the light of the other ones in which God says: "O you who believe! Observe your duty to God with right observance, and die not save us those who have chosen to be muslims" (Surah 3, V. 102). This contrast is to show us that the word of the early messengers of God is the same as that of the later of them and that their way is the same, and the religion is Islam. "say: O people of the Scripture (Jews and christians)! come to an agreement between us and you: that we shall worship none but God, and that we shall ascribe no partner to Him, and that none of us shall take others for lords besides God. And if they turn away, then say: Bear witness that we are they who have chosen Islam" (Surah 3, V. 64).

In addition to these verses we may mention others by which God makes reference as to how Judaism and Christianity were invented and how the religious bond of unity between them was dissolved. He says: "Abraham was not a Jew, nor was he a Christian; but he was an upright man, a Muslim, who had surrendered (to God), and he was not of the idolaters" (Surah V. 67). "And they say: Be Jews or Christians, then you will be rightly guided. Say (to them O Muhammad): Nay, but (we follow) the religion of

Abraham, the upright, and he was not of the idolaters. Say (O Muslims): We believe in God and that which was revealed to us and that which was revealed to Abraham, and Ishmael, and Isaac, and Jacob, and the tribes, and that which Moses and Jesus received, and that which the prophets received from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we have surrendered (become Muslims). And if they believe in the like of that which you believe, then they are rightly guided. But if they turn away, then they are in Schism, and God will suffice you (for defence) against them. He is the Hearer, the Knower. (We follow) the way of God, and who is better than God at guiding to the right way? We are His worshippers" (Surah 2, Vrs. 135 - 138).

These verses and many like in the Glorious Qur'an unequivocally explain to us that the religion with God is Islam which was advocated by the first messenger of God and the last one alike. In the beginning it was voiced by the first messenger and later was perfected by the last one "This day have I perfected your religion for you and completed my favour unto you, and have chosen for you as religion Islam" (Surah 5, Vrs. 3).

It is inconceivable that God, the

wondered saying: had it not been for the place of that particular brick, (the house would have been perfect). I am the missing brick, and I am the last prophet".

In the Qur'an there are many arguments to prove the sameness of religion. God made a covenant with every prophet to support his successors as well as his predecessors by virtue of confirming their messages as true and the same as his own message, so that every prophet could do his share in the advocacy of the same call. The Qur'an says: When God made (His) covenant with the Prophets, (He Said): Behold that which I have given you of the Scripture and knowledge. And afterward there will come to you a messenger, confirming that you possess. You shall believe in him and you shall help him, He Said: Do you agree, and will you take up My burden (which I lay upon you) in this (matter)? They answered: We agree. He Said: Then bear you witness and I will be a witness with you. Then whosoever after this shall return away they will be miscreants. How do they seek other than the religion of God, when to Him submits whosoever is in the heavens and the earth, willingly or unwillingly, and to Him they will be returned. Say (O Muhammad): We believe in God and that which is revealed

to us and that which was revealed to Abraham and Ishamel and Isaac and Jacob and the tribes, and that which was vouchsafed to Moses and Jesus and the prophets from their Lord. We make no distinction between any of them, and to Him we have submitted. And whoso seeks as religion other than Islam it will not be accepted from him, and he will be a loser in the Hereafter (Surah 3 Verses 81 - 85).

It is clear from this very verse that the religion of God is one and the same, and that the religion of God is Islam. "Surely the religion with God is Islam. And those who formerly received the Scripture differed only after knowledge came to them through transgression among themselves. (Surah 3, V. 19).

" And who forsakes the religion of Abraham save him who befools himself? Verily We chose him in the world, and surely in the Hereafter he is among the righteous. When his Lord said to him: Surrender (be a Muslim)! he said: I have surrendered to the Lord of the Worlds. The same did Abraham enjoin upon his sons, and also Jacob, (saying): O my sons! Surely God has chosen for you the (true) religion; therefore die not save as men who have surrendered (to Him ", viz., been Muslims. Surah 2, Vrs. 130 - 132).

understood and how its course is to be conducted has made the people lose their personality and miss their prestige. Likewise, the difference of opinions concerning the understanding of religion as regards its truth, its purpose and its source has dissociated the people. Nay, it has created antagonism and caused war as well as spite among all mankind. Hence they have broken off the human, common kinship and turned the one guidance of God, which He revealed to rightly guide His creatures, into different trends and conflicting religions. To create these different trends and conflicting religions they arbitrarily subjugated the one guidance of God to traditions which they fabricated or nationalities to which they fanatically adhered or to policies which they adopted. The inescapable product of this was the emergence in the minds of people of Judaism, Christianity and Islam which God revealed to Moses, Jesus and Muhammad respectively. Each of these three faiths have certain teachings adhered to by zealous followers who have fought for it and antagonized others for its sake.

As a result there have existed various religions on earth and the one guidance of God has been given by man disharmonious forms, in spite of the fact that the Divine religion of God is one with no specific Judaism or particular Christianity in it.

It is one religion and one guidance with one system derived from one source which is God, the Master of the heavens and the earth and the Lord of all mankind.

Islam is the Religion
in the Sight of God

Contrary to what many people think, Islam is not a new religion. According to the Glorious Qur'an it is the religion of God which He successively revealed to all His messengers from the very first to the very last to awaken the people of different mentalities and organize their communities in the light of their various circumstances.

When humanity was mentally and intelligently prepared, God sent Muhammad to renew the call of his previous brother-messengers, to confirm its truth and perfect it with what human adulthood and mental maturity required. Thus the messengers of God were, as Muhammad attested, like masons of one house, seekers of the same kind of happiness and advocates of the same call. Muhammad said: "My position compared to that of the prophets before me is like the position of a man who built a house; completed it and gave it the final touch except a place of one brick which was left untouched. Then people came in and

The Source of Immortality in Islam

by

His Eminence Shaykh Mahmud Shaltout

Rector of al-Azhar University

It is indispensable for the nation to have a moral personality to maintain its moral entity just as it is to have a tangible personality to preserve its tangible existence. The latter personality derives from the fact that the natives of the nation settle on its territories, utilize its land and air and bear its name; whereas the former personality goes back to the feeling of the natives concerning their position and rule in life and to their attitude toward this rule.

There is no doubt that when the moral personality of the nation weakens or ceases to exist the very moral entity of that nation also weakens or ceases to exist. Consequently the nation falls down to humiliation even in its own territories, suffers from poverty even if the *manna* and *quails* be sent down on it, and gives a little impression even if its inhabitants be enormous. Such a nation, as the Messenger of God rightly said, will be too weak to stand any encroachment and will be an easy temptation to other nations of moral personality.

How to maintain the Personality of the Nation:

The danger of disunity of opinions and dissociation of hearts, when inflicted upon nations, make the people lose their personality and lead them to utter destruction, even though they may be going and coming, moving and standing. And there can be no protection against such a danger unless the wise leaders and intelligentsia of the nation hasten to harmonize the opinions of the people and endeavour to make them unanimous in such a manner as to feel genuine participants in one kinship which they jointly admit its rights and willingly undertake its duties. As a result of this the feelings and opinions of the people will become united and their hearts will be closely associated. Also their goal, which is the dignity and strength of the nation and maintenance of its personality and for which they all endeavour, will become concrete and clear.

In our present age the difference of opinions as to how life should be

the form of the Islamic principles which stand opposite to the heinous actions and prevailing traditions of the Pre-Islamic era. It is the parallel of war justifiably ordained after the declaration of Islam. It is equivalent to greating God as most Magnificent at the opening of prayers. The combination by Islam of greating God, which is the symbol of power, and saying peace, which is the symbol of mercy, is good evidence that this kind of power which Islam demands is the power of wisdom and justice, not of insanity and injustice. It is a dual power or a power inclusive of two implicit sub-powers of which one combats tyranny and aggression while the other resists egoism and injustice.

Thus the Muslim opens his prayers with greating God which means devotion and submission to Him, and ends them with a declaration of peace which means security and mercy. After all, "peace be upon you", is the greeting of the Muslim to his Prophet in prayers and to his co-religionists whenever he meets them. He utters this greeting to assure them of security from his side and make them, through his affection, have confidence in him.

So you see that the sane and useful power, which produces dignity

and manliness as well as liberty and justice, is the nature and course of Islam. The concept of Islam in Muhammad and his successors Abu Bakr and Umar was based on this principle, and the concept of Arabism in Khalid, Saad and Amr (all were Muslim commanders) was consistent with this rule. Arabs and Muslims of that time bore the Qur'an for the sake of truth and carried the sword for the sake of right. Their califs were leaders of prayers as well as commanders in battle-fields. In the sphere of power they reached a high degree that made them respectable and counted for and made the Letter of Haroun al-Rashid to Nechfour more effective than a formidable army. Conversely, in the sphere of manliness they reached such a standard that obliged al-Mutasim, the Abbasid Calif, to send an army especially for the rescue of a frightened woman in a remote place.

So whoever is not strong in his will and his self, not well-prepared to meet the enemy not, a firm believer in unity, and not careful about his society and nationalism, is a nominal Muslim without Islam and an artificial Arab without Arabism.

bodily cleanliness by ablution, a spiritual purification through the remembrance of God and a physical exercise by motion. Likewise, alms-giving strengthens the weak through charity, increases the wealth by its purification and consolidates the community by virtue of co-operation. Moreover, pilgrimage is a social force originating from getting acquainted and being friendly with other pilgrims. It is a political force based on making consultations and alliances. It is also an economical force built on purchasing and marketing. Had Islam not been empowered with spiritual force in prayers, with economical force in alms-giving, with social force in pilgrimage and with material force in war, Muslims would not have been able to conquer most parts of the Antient World and become sovereign in the major areas of Africa and Asia, and in the frontiers of West and East Europe.

The second slogan, "There is no deity but God", is the expression of monotheism which is a substantial principle in Islam and one of its major beliefs. It is originally meant to declare the unity of God and then, by necessity, establish the unity of Muslims and their *Qiblah* (prayer niche), their aims and their language, their government and their constitution, and finally to combine life and religion. It is one of the most comprehensive expressions which maintain the

substance of reform and the secret of success of societies and nations; because the most effective means of power and conformity is unity and association which are the essence of the Islamic call.

Unity is the foundation on which solid societies are built. So the policy of Islam was drawn in such a way as to preserve power through unity and be keen on keeping the survival of society. Hence the individual who disbelieves in the unity of faith and of the nation is to be killed, and the group which transgresses against the Muslim society is to be fought, and the ruler who misleads his people is to be deposed. And because of this conception of unity and association, prayer is best and most rewarding when performed in groups which are summoned five times every day, and which grow larger on the Friday's congregations and become still much larger on the occasion of the two annual feasts of Islam. These groups devotedly gather in services throughout the year on the mentioned occasions and reach the utmost possible enormity in the season of pilgrimage which takes place once a year and which every able Muslim should make one time, at least, in his life.

Let us now consider the third slogan, "peace be upon you". It is

These scattered forms of power gather and centralize in three formulas with three slogans: The power of the individual through faith the slogan of which is "God is Most Great", the power of community by means of solidarity the slogan of which is "there is no deity but God" and the power of the world through affection the slogan of which is "peace be upon you". The utterance for glorifying God as Most Great and of extending peace is the appeal of the Muslim in his prayers as well as in his calls for prayers (al-adhan). It is his principle in actions and dealings. And one does not find a short representation of the meanings and aims of Islam better than these three slogans.

The sentence "God is Most Great" implies the secrets of belief, of holy and justifiable war (al-jihad), of sacrifice and of victory. And because it implies all these secrets it has been a fundamental pillar of prayers with which the Muslim opens his worship and which he repeats in his bowing (ruku') and prostration (sujud), in his standing and sitting. It is also a cry of enthusiasm which the warrior in the way of God utters when he launches an attack to make him aspire to victory and disdain danger. The cry has often been as follows: "God is Most Great! He helped in conquest and gave victory". But when

victory is attained and conquest is achieved, this cry turns to be a national anthem uttered by warriors in every mosque and recited by worshippers on every feast as they chant: "God is Most Great. Much praise be to Him. There is no deity but God only. He has fulfilled His promise and given victory to His bondmen, and only He has defeated the clans".

The Power in this statement is derived from the Muslim's belief that God is most great, most powerful and most sublime. So, in custody of this belief the Muslim attacks formidable armies and undertakes dangerous tasks without fear,—and how can he be afraid of harm or perplexed by danger while God, who has utmost power and authority, defends him from behind and guards him from before?

The declaration that God is Most Great is in reality an expression of what is in the mind of glorifying the highest ideal and admiring the most perfect action. Thus we glorify God when our hearts are filled with His greatness and when we are deeply impressed by His creation we glorify God everyday when we call for prayers and when we pray; because Islam with its five pillars is based on power or on what produces power. Hence prayer is a means of

THE THREE POWERS OF ISLAM

by

AHMED HASSAN EL ZAYAT

Editor - in - Chief

Islam is the religion of "power". It cannot be otherwise; because its promulgator is the Almighty God, and its conveyer is Muhammad, the determined and faithful patient messenger, and its Scripture is the inimitable Qur'an which stands as an undefeatable challenge to everybody, and its tongue is the Arabic tongue which eloquently silences every other tongue, and its courageous commanders, who took after Khalid Ibn al-Walid the ever triumphant commander, defeated with their sword the Roman and Persian emperors, and its caliphs, who followed the example of Umar Ibn al-Khattab, built their thrones on the summits of the East and the West.

Islam is power in the mind, power in the tongue, power in the hand and, finally, power in the spirit. It is power in the mind because it enjoins upon it to hold monotheism by proof, to correct the law with evidence, to broaden textual meanings with sound judgement and to deepen faith through meditation.

It is power in the tongue because eloquence is its miracle as well as its instrument, and eloquence itself gives power to ideas, sentiments and expressions.

It is power in the hand because its Revealer is the Wise and the Aware, who knows that the mind with its intrinsic power and the tongue with its spontaneous eloquence cannot substitute for truth, if the perception be vague and the self be arbitrary and the sight be blind. So He has rendered material power a safeguard to His word, a summoner to His truth, a realization of His verdict and a supporter to His law. He commands Muslims to fight in the way of His and their religion, to prepare force and frighten His and their enemy, and to meet aggression with a like action.

Besides all that, Islam is power in the spirit because it purifies its essence by virtue of fasting, prayers, training in self-denial and solitude for worship and meditation.

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المفتون
إدارة اجتماع الأزهر
بالقاهرة

ت : ٤٦٤١

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعية

بقيادة الشيخ محمد الأزهري في أول كل شهر جمادى الأولى

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
هذا الاشتراك
في المجلة المجانية
خارج الجمهورية
ولم تكن أطلافاً على غير ذلك

الجزء الثالث - ربيع الأول سنة ١٣٧٩ هـ - سبتمبر سنة ١٩٥٩ م - المجلد الحادي والثلاثون

المفهرس

حسين

مطبعة

٣٥٧ نسويان : وصف الجبل والجزيرة

٣٥٨ من المجهود الخلة أشرف نور الله

٣٥٠ نصيلة الأستاذ محمد علي النجار

للاستاذ أحمد حسن الزيات

٣٥٠ ما يقال من الإسلام : العالم الإسلامي

٣٦١ تحدى الإله ومناه . ١

والجزيرة الدينية

للاستاذ عباس محمود العقاد

للاستاذ عباس محمود العقاد

٣٦٥ الدين في حياة الإنسان

٣٥٦ الشعر : مولد رسول وأمة ... !

للاستاذ الدكتور محمد البهي

للاستاذ محمود خنيم

٣٦٠ نظرات في فقه عمر - ٣ -

٣٥٩ آراء وأحداث

نصيلة الأستاذ محمد محمد للدني

لصاحب النصيلة الأستاذ الأكبر

٣٦٥ ذكرى ميلاد الرسول ١٠٠

٣٦٩ الكتب : القوائد في أصول البحر والقوائد

نصيلة الأستاذ عبد الحفيظ السبك

لأحمد بن ماجه الناني - اشتراكية الإسلام

٣٠٠ محاولات شيوعية فاشلة في العصر القديم

للككتور مصطفى السباعي

للاستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي

٣٧٤ برهانها : من الأستاذ الدكتور عبد الواحد وافي

٣٠٦ كنورتنا في طريق الضياع

إلى ضفة الأستاذ السبك - خطابه مفتوح -

للاستاذ سيد الأنطاني

تفيع جنازة أهل الكتاب - الذكر على

٣٦٤ ١ - وجود الله يحمي الشيوعيين

أصوات الموسيقى والفناء

٢ - إلى الصحافة المصرية

٣٧٨ أبناء الأزهر : هذه العام الدراسي بالأزهر -

للاستاذ الدكتور سليمان دنيا

كلية الشريعة تمتنكر - مؤتمر الرواد -

٣٢٩ مظاهر إسلامية كرمية في أنغوليسيا

تعديل السامح بالأزهر - الدراسات العليا

للاستاذ محمد محمود وصوان

بالأزهر

٣٢٨ التوارن بين الملل والقلب

٣٨٣ مقتطفات من الصحف والمجلات : شيخ الأزهر

لنصيلة الأستاذ أحمد عبد الجواد الدوي

والتجهر العلمي - الإيمان بالله

٣٣٣ مع الشيوعيين في سجونهم

للقسم الإنجليزي

٣٣٩ صوتية الأدب

للاستاذ الدكتور تمام حسان

ذكرى مولد الرسول

من المهود المظلمة أشرق نور الله

بقلم: أحمد حسن الزيات

التواضعة ، ولجده وسلطانه أن يظهر في هذه النفوس الوداعة ، لتكون آيته أبهر للعيون ، ودعوته أبرع في العقول ، وكلته أعلى بالافتة ، ولو اتخذ رسله من الملوك العواهل لانهت المعجزة ، والتبس على الناس فعل القدرة .

من المهود المعيرة الناية اختار الله - وهو أعلم حيث يجعل رسالته - أنبياءه ورسله ، ثم أيدهم بالمعجزات إيجاباً للحق ، وأمدهم بالآيات إيجاباً للباطل ، فجاهدوا الشرك ، وحاربوا الفساد ، وهبوا الأرض لغراس الخير ووجهوا الإنسان إلى طريق الكمال ، وأهدوا الأذهان لتقبل الرسالة الأخيرة والدعوة العامة : رسالة الحقائق والبراهين ، لا رسالة الخوازيق والقرابين . ودعوة العالم المعمور والزمان المؤبد ، لا دعوة المكان المحصور والزمان المحدد .

والمعجزات إنما كانت الدليل على الحق والسبيل إلى الله أمام كان الحس أقوى من العقل ، والسذاجة أغلب على الفكر ، فلما

ولد الحكيم موسى بن عمران في مهد قلق يساوره الخوف والترقب ، ثم أخفته أمه عن عيون فرعون في تور ، ثم ألقته في الماء وتركته للأقدار في صندوق ، ثم نجاه الله من الحرق والغرق والتهيب ؛ ليتلق الألواح منه على جبل الطور .

وولد المسيح عيسى بن مريم في العراء تحت جناح النخلة على الثرى المرمل ، ثم وضعت أمه الماربة في مهد حشن من مذود بهيم ، ثم آناه الله الكتاب والنبوة والبركة ففشرها في المشرقين من فوق جبل الزيتون .

وولد المصطفى محمد بن عبد الله في مهد اليتيم والمدم لا يجد الهدف . كن له أم ، ولا العطف كن له أب ، ولا اللبن كن له مال ، ثم دعى على بعض أهله ، وسعى بحال زوجه ، ودعا إلى سبيل ربه ، ثم نزل عليه الروح الأمين بالرسالة الخالدة في غار حراء من جبل النور .

تبارك الله ما أجل شأنه وأعز حكه ! شاء لنوره وبرهانه أن يشرق من هذه المهود

في دعوته ، فما قابل ذلك العدوان الباغي إلا بعزيمة الإنسان الأعلى ، لجاهد بالصدق ، وجادل بالصبر ، وجلل بالمنطق ، وصاول بالرأى ، وأثر باللسان ، وقهر باليد ؛ وكل هذه الأمور إنما تصدر عن براعة الذهن وإعجاز البطولة . وتلك مزية الظاهرة على أصحاب الرسالات ؛ إذ كل نبي وكل رسول إنما يبين شأوه على قومه في بعض المزايا إلا الرسول العربي فقد تم فيه ما نقص في غيره من كمال المبقرية ، فكان رسولا في الدين ، وعلما في البلاغة ، ودمورا في السياسة ، وإماما في التشريع ، وقائدا في الحرب .

ثم كلن في غار حراء ، وفي دار الأرقم ، وفي جبل ثور ، وفي دار أبي أيوب ، وفي المسجد الجامع ، مظهرا مصيحا لروح الله ، وإعلانا صريحا لمر الدين ، ومثالا عاليًا لصدق الجهاد ، واحتمالا ساميا لمكاره الدعوة ، وأسوة حسنة لجميع الناس .

• • •

إن حياة الرسول قانون إلهي خالد لصاحب الدين وصاحب الدنيا ، وإن وسائل الجهاد التي جدد عليها أسلوب العيش ، وأقام بهاميزان المجتمع ، لا تزال عناوين ضخمة في صفحات العلم والسياسة والخلق .

كأنت حياته صلوات الله عليه قائمة على الزهد والمجد ، وزعامته دائرة على التضامن والتعاون . ملك الحجاز ونجد واليمن ، ووجهي

انجابت عن البصائر أفضية الجهل من طول ما وعظ الأنبياء وعلم الحكاء ومحضت العبر ، أصبح الرحي علما والإلهام حكا والبيئات فهما والدعوة منطقا والرسالة شريعة ، وأصبح محمد اليتيم السديم الأمل مثلا للإنسانية الصاعدة في طورها المفكر المعبر ، يذهب إلى سبيل الحق بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة والمجادلة اللينة ، ولا يرهان إلا كتاب ربه ، ولا سلطان إلا إيمان قلبه : « وقالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب تفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي باله واللائكة قبيل . أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترق في السماء ، ولن يؤمن لربك حتى نزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي أهل كنت إلا بشرا رسولا ؟ » .

والواقع المأسور أنك تقرأ سجد الأنبياء وتواريخ الرسل فلا يروك فيها إلا سلسلة من المعجزات والآيات عر يد التي أو تصدق الرسول في مواقف إقناعه أو دفاعه أو شدته ؛ إلا عمدا صلوات الله عليه فقد آتاه الله مواهب الكمال الإنساني فبزه بالخلق العظيم والرجولة الكاملة والشخصية المهيمنة ، فكان في ذاته معجزة وفي صفاته آية . تألبت عليه عناصر الشرك فأصيب في بدنه ، وأتم في عقله ، وأودى في أهله ، وعذب في صحبه ، وحارب

خضعت لها الرءوس الطاغية والنفوس العاتية والقلوب الغلاط من صناديد العرب ، فكانوا يستنون ستمته في الخلال ، وينهجون نهجه في العيش ، ويأخذون إخذه في المعاملة ، ويجمعون على حبه وطاعته وتقديته إجماعاً لا يخرفه إلا الكفر بالله ، فأقواله سنن تتبع ، وأعماله عهود تحفظ ، وآرؤه أوامر تطاع ، وأحكامه أفضية تنفذ .

لذلك نذكره في كل أذان وفي كل صلاة من كل يوم . نذكر اسمه مع اسم الله لا تعبداً به ، فإن الشرك معاذ الله لا يكون غير هذا . إنما نذكر الله ونذكر عبده محمداً كما نذكر القاعدة وممها المثل ، أو النظرية وبعدها العمل . لأن الله يوحى والرسول يبلغ ، وبأمر وهو ينفذ ، وبشرع وهو يطبق . فذكر الله استحضار لأوامره ونواهيه وتلك هي القدرة . وذكر الرسول استحضار لأقواله وأفعاله وتلك هي القدوة .

إن ذكرى مولد الرسول ذكرى اضلال الإنسانية من أسر الآوهام وطفانيان الحكام وسلطان الجهالة . فإجدد القلوب الواعية الحرة على اختلاف منازعها ومشارعها أن تخشع لإجلالا لذكرى رسول التوحيد والوحدة ، ونبى الحرية والديمقراطية ، وداعية السلام والوئام والمحبة .

أحمد حسن الزيات

الجزيرة كلها وما داناها من العراق والشام ، وظل ينام على فراش من آدم حشوه ليف ، ويبيت هو وأهله الليالى طاورين لا يجهلون العشاء ، ويمكثون الشمر لا يستوقدون ناراً ، إن هو إلا القرو والماء ، ويلبس الكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم في الناس أقبية الديباج المخصوص بالذهب ، وإذا أقبل على أصحابه فقاموا له إجلالاً قال لهم : لا تقوموا كما تقوم الأتاجم يحظم بعضهم بعضاً ؛ إنما أنا عبد ، أكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

وكان ذات مرة في سفر ، فأمر أصحابه بإصلاح شاة . فقال رجل : على ذبحها ، وقال ثان : على سلخها ، وقال ثالث : على طبخها . فقال الرسول عليه صلاة ربه وسلامه : وعلى جمع المطلب . فقالوا : يا رسول الله ، إنا نكفيك العمل . فقال : علبت أنكم تكفوني إياه ، ولكنى أكره أن أتميز عليكم . ولما استعزدين الله بقاسم النى . وزعيم الجزيرة وسيد الملوك كانت دعوته مروهة عند يهودى في نفقة عياله .

ثم كانت سياسته كنوره لا تعرف الحدود ولا الخصوص ولا الزمن إنما هي سر الخالق العظيم . استعلن في سكون الصحراء على لسان الرسول العظيم ، ثم دوى في غياهب الآفاق ومجامل الأبد ؛ ليكون الشجاع الهادى لكل ضال ، والنداء الموقظ لكل غافل .

أما شخصيته فكانت أبلى ما فى وجوهه .

تَحْدِي إِلَهٍ وَمَعْنَاهُ

لِلأستاذ عباس محمود العقاد

هذا الفهم الوحيد الذي يفهمه لمعنى الإلهية من يفوه بذلك التحدى على مسمع من الصالح ، وهو يحسب أنه قد ألهم به من يؤمنون بالله .

ولإ فكيف يفوه بذلك التحدى عاقل يفهم أن الإلهية = سلطة ، لها نظام ولها حكمة ولها مشيئة تتبعها ولا تحرف عنها لاستشارة أو استرخاء ؟ .

من كان يؤمن بأن الإلهية سلطة لها نظامها وحكمتها فمن البسير عليه أن يعلم أنه لا يهزمها بتحديه فيخرجها من ذلك النظام ويذهلها عن تلك الحكمة .

وقد يسمع الطفل الصغير أن يكف عن مثل هذا التحدى لأبيه إذا عرف له صفة من صفات العقل والحكمة ، فليس بالطفل الذكي من يقول لأبيه : إن كان لك قدرة فاضرب فلاناً حتى يهلك أو انهض بهذا الحمل حتى آذن لك بإلقائه .

فمن البسير على الطفل الذكي أن يدرك أن أباه خالق ألا يجيب هذا التحدى على هواه ، ولا يتنى ذلك عنه أنه ذو قدرة وأنه يستطيع أن يهلك بها فلاناً وأن ينهض بالحمل المقصود إذا أراد .

من أنباء الملاحدة الماركسيين أن أحدهم وقف في إحدى محطات الإذاعة فنادى دافق ، إنه ليتحداه إن كان موجوداً لينسفن هذا البلد وليمحون تلك الدولة ، أو قليب الناس جميعاً أنه خرافة ليس لها وجود .

إن هذا الملحد المتحدى لا يفهم ما يفهمه الناس من كلامه بغير حاجة إلى التأويل الطويل . إنهم يفهمون منه مبلغ ما يدركه الملحد الماركسي من معنى الربوبية ومعنى القدرة ومعنى السلطة ، على التعميم .

فهو لا يفهم من تحديه الإله على هذا الوجه إلا أن الإلهية سلطة غاشمة يثيرها التحدى فلا يسمعها إلا أن تظهر قدرتها أو تنزل عن كل حق في إثبات وجودها .

فهذا الملحد الماركسي لا يعقل أن يوجد الإله ويقدّر على كل شيء ثم يترك من يتحداه سليماً بعد ذلك طرقة عين ، دون أن ينكل به ويجعل برد تحديه إليه .

وما التنى بمنع السلطة الغاشمة أن تبطل بمن ينكرها ؟ .

لا يمنعها عنده إلا مانع واحد ، وهو أنها كما قال ذلك الملحد الماركسي خرافة ، ليس لها وجود .

التحدى الأحق الذي يثبت حماة صاحبه
ولا ينفي حكمة الإله .

ولكنها أسئلة لا تحتل الحاجة فيها بعد
قليل من التبصر والروية ، بل بعد قليل من
التصور إذا استطاع السائلون أن يصوروا
كيف يكون هذا الإيمان ، وكيف تكون
الضائرتي التي تهدي إليه .

إنها لا تكون إلا كما تكون الآلات أو كما
تكون المعجرات .

إن العلم بوجود الله كأنه بوجود المنظورات
بالمعين ينفي الضائرتي والعقول ، ويطل جهود
النفس الإنسانية في امتحان الخير والشر
والهداية والضلال .

والمرقة بحاسة البصر معرفة يتساوى فيها
الإدراك كما يتساوى إدراك الآلة وإدراك
الحيوان ، فهل هذه هي المعرفة التي تليق
بالإنسان المشغول عن ضميره ، الباحث عن
مدايته المترقى بسعيه واجتهاده ؟ وهل يطلبون
أن يتساوى الناس في مدركات الضمير وحدها
أو يطلبون أن يتساووا في مدركات الحواس
وملكات الأجسام والأفهام ومقادير الأعمار
والأيام ؟ وهل هذا العالم الإنساني الذي
يتألف من نسخة واحدة متكررة هو عندهم
عالم المثال المنشود ، وهو العالم الذي ثبت به
حكمة الله ووجوده ويستقيم عليه أمر الوجود ؟
إن أهون ذرة من التراب لا تعطينا حقيقتها

فاللحد الماركسي أسخف من الطفل حين يحظر
له أن يتحدى إلهها حكيمياً بضخ الأشياء
في مواضعها كما يتدبرها فيزعم أنه « غير
موجود » ، لأنه لو كان موجوداً لأبطل تلك
الحكمة وأوقع الخلل في ملكه ؛ خوفاً من
الريب في وجوده ، وفراراً من الملحدين
أو المؤمنين أن يظنوا به الظنون .

ومن كان يفهم الإلهية على أنها سلطة
رشيدة قلن يتعداها أن تفعل غير ما أرادت
أن تفعله منذ الأزل ، وغير ما تريد أن تفعله
إلى آخر الزمان ؛ لأنه إذا استطاع بكلمة من
كلمات التحدى والاستشارة أن يغير ما تأمر
تغييره فذلك هو البرهان الذي ينفي وجودها
أو ينفي حكمتها على أقرب الفروض .

فلو شاء الله أن ينكشف وجوده للفكر
والضمير كما تنكشف الأشياء لجميع الأبصار
لفعل ذلك بإرادته منذ وجدت الأفكار والضائرتي
والأبصار ولم يتطرق حتى يفعله منقاداً للحواف
من الاتهام أو طمعاً في التخليق والثناء .

ولقد يحق للحد الماركسي أن يسأل في
هذا المقام : ولم لا يشاء ؟ ولم يترك الناس
ينكرون ويثبتون أو يمحون ويرتابون ؟
ولم لا يكشف لنا جميعاً حقيقة وجوده على
نحو يطل فيه الخلاف وتزول الفوارق
ويمتنع الشك والضلال ؟ .

إن هذه الأسئلة أقرب إلى العقل من ذلك

ظاهرها أو يرتد من ظاهرها إلى جوفها ، ولا يستغربون من نظام الكون أن تكون شمس الساطعة بهذا الخفاء وأن تحار فيها العقول هذه الحيرة ، وهي أم الضياء .

فما بالهم يريدون من الحقيقة الإلاهية أن تكون أقرب منا لا من حقائق هذه الكائنات التي لا يدعون لها عظمة الربوبية ولا جلالة الأبدية !

وما بالهم يتظنون من حقيقة الحقائق أن تحيط بها لمحة عين ، ويستكثرون السعى إلى غاية الحقائق ولا يستكثرون السعى إلى أقرب الحقائق من تناول الأسماع والأبصار !

إن العلم بوجود الله مطلوب ، ولكنه علم لا قيمة له إذا كان يلغى العقول ويعطل الضمائر ويذل المخلوق لا فضل له في إدراك أقرب الحقائق وأبعد ما على الآلة والحیوان .

وقبل أن ينتقد الناقد ما ينتقد من هذه المظاهر الجلي عليه أن يتعلم كيف يقترح وكيف يصحح ما ينتقده ولا يرتضيه .

إن بحث العقول والضمائر عن الله مستعد عندهم وغير مفهوم .

فلنقل ما يقولون هنية لتسألهم : وما هو المفهوم المذموم عن الانتقاد ؟ أهو إدراك الله بغير بحث ؟ أهو الاستغناء عن البحث في أمر الله وحده أو في جميع الأمور ؟ وهل عندهم أن الإله الموجود الحكيم هو الإله الذي تقاد

الكاملة في لمحة عين ، ولا نستغنى في عرفاتها والانتفاع بها عن جهود العمل والتفكير والتحليل لتدرك منها بعض ما يدرك ولا تقول كل ما يدرك ، لا تقا نجهل كنه الغدرة الترابية وغير الترابية حتى الآن ، ولعلنا سنجهل هذا الكنه في قراره ومداه إلى أن يشاء الله .

ويحدث هذا ولا يرى فيه الملحدون الماركسيون عجباً منكراً ولا شذوذاً عن الوضع الصحيح والرأى السديد ، بل يقيسون التقدم الذي يدعونه بمقدار ما حصلوه ويحصلونه من هذه الحقائق ولو كانت معلقة بأهون الأشياء .

وإن الشمس على جلالها تخفى عليهم الآن بعد أن خفيت على الأقدمين دهورا بعد دهور ، ولقد كانوا يحسبونها كقرص الفربال فأصبحوا يعرفون اليوم أنها أكبر من الأرض والقمر والسيارات ، وكانوا يحسبونها تدور فأصبحوا يعلمون أن الأرض هي التي تدور ، وكانوا يجهلون سرعتها ومسافتها فأصبحوا يعلمون الآن كم هي بالبناتق وكما هي بالأميال .

إلا أنهم لا يزالون يجهلون منها أضعاف ما عرفوه ، ولا يزالون يحشون عن مصدر حرارتها فيخلطون بين التقيضين ويرجعون مرة أنه من تكوين العناصر ومرة أخرى أنه من تفتت العناصر وانشقاقها ، ولا يدرون على التحقيق هل يندفع اللمب من باطنها إلى

خلوقاته إلى الحقائق الكبرى أو الصغرى بحبال الغريزة على غير فهم ، ولا محاولة ولا تمييز بين ما يظهر وما يخفى ، وبين ما يكبر وما يصغر ، وبين ما تنصرف فيه المدارك وما يسلبها التصرف والاختيار ؟
 أهذا عندهم هو الإله الموجود الحكيم ؟
 تعالى الله عما يصفون ١ .

فما من شيء هو أثبت لوجود الله من تنزيه خلوقاته عن هذا الممثل في العقول

عباسي محمد المظفر

العرب قبل مبعث الرسول

ظهر رسول الله والعرب أشبات من غير جامع ، وعمل من غير رابط ، وأحياء من غير معرض . فأعلنت في نفوسهم الحياة ، وزخرت في صدورهم القوة ، فصرفوا هذا النشاط العجيب إلى نزاع لا ينقطع وصراع لا يفتت . لحمل إلههم وحده رسالة الله لا يسنده سلطان ، ولا يؤيده جيش ، ولا يمهده مال ، فتمروا منها تقور الوحش المروع ؛ ثم رأوا فيها سيادة لأسرة ، وخضوعاً لقانون ، وخروجاً على عرب ، فقابلوها بالعداء ، وعارضوها بالحجاج ، ودافعوها بالسكيد ، آذوا الرسول في أهله وفي صحبه وفي نفسه فما وهن عزمه ولا لانت قناته ، وإنما قابل الأذى بالصبر ، والسعة بالحلم ، والمظاظاة باللين ، وهذا هو الخلق . ثم قارع الجدال بالتحدي ، والمكابرة بالسيف ، وهذه هي الرجولة .

وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر محمد وحده على العرب . وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر العرب بعده على العالم .

الدين في حياة الإنسان

للأستاذ الدكتور محمد البهي

الإنسان . أصبح الدين ، والفلسفة ، والقانون ثلاثتهم جميعاً هي المصادر التي يحارب بعضها بعضاً من أجل البقاء والسيادة . والفرق بينها يتركز : في أن الدين ينسب إلى الله المعبود ، بينما الفلسفة والقانون كلاهما يمد من صنعة الإنسان .

أما غاية كل واحد من الثلاثة فلا تكاد تختلف عن غاية الآخر : فالدين يهدف إلى توضيح الطريق الذي يرى فيه سلامة البشرية في التمايش معاً . والفلسفة تحاول ذلك ، والقانون بدوره يقوم على حفظ الحال التي تراها الجماعة الخاصة ، أو المجموعة الدولية ، كغاية بصيانة التمايش المشترك ، والتعاون المستمر .

ولكل مصدر من هذه المصادر التوجيهية نقر خصص وقته وحياته لتوضيح القيمة الدائمة للمصدر الذي ينسب إليه ، على اعتبار أنه وحده كفيل بالتوجيه السليم ، وتحقيق الغاية المرجوة في حياة الجماعة الإنسانية : للدين طائفة تبين مزاياه ، والفلسفة طائفة توضح مزاياها ، والقانون

١ — تطور الإنسان من حياة الغابة والغاب ، إلى حياة القانون أو حياة المدنية ؛ تطور من حياة القوة المادية ، وتحكيمها في فض الخصومات واستقرار الأوضاع ، إلى الاتجاه إلى القانون في الفصل في النزاع وتحديد العلاقات .

فالنقطة الأولى التي منها بداية الحياة الإنسانية كانت الغلبة عن طريق المصيبة في الأسرة والقبيلة والكثرة العددية في الجماعة . والنقطة التي تسود حياة اليوم هي موازين العدل الإنساني التي تمثلها فكرة القانون البشري وبين هاتين النقطتين في تطور الحياة الإنسانية كان الدين ، وكانت الفلسفة ، كل منهما مثل النور الأول في فترة معينة في تاريخ الإنسانية ، ولم يزل يمثل دوراً ما للآن .

انتهت مرحلة الغاب بسيطرة الدين ، ثم تلازمت الفلسفة سيادة الدين ، ثم قيص للقانون أن يشترك في الصراع بين الدين والفلسفة في توجيه الإنسان ، وأصبحت في حياة الإنسان المعاصر ثلاثة اتجاهات ، تتنازع أولاً البقاء بينها ، ثم يحاول بالتالي كل واحد منها أن يسود في تقرير مصير

إليه رجال النقه والقانون . ومع أنه يمكن أن يصبح فلسفة ، فإنه لا يتحول إلى فلسفة كذلك التي أنشأها الإنسان بصنعة العقلية يادى* ذى بدء . ومع أنه أيضاً يمكن أن يصبح قانوناً فإنه لا يتحول إلى قانون كهذا الذى شرعه الإنسان ووضعه بتقديره الخاص منذ البداية . بل تبقى لفلسفة الدين ، وقانون الدين ، خصائص الدين أو طابعه العام . وخصائص الدين أو طابعه العام أنه موحى به من الله ، وأن على الإنسان أن يؤمن به ، وأن بطبيعته فى غير تردد ، وفى غير شك . عليه أن يرضى به رضاء نفسياً ، وإن لم يدرك كل أسرارهِ وصلهِ ؛ لأنه من الله الذى يختلف عن الإنسان ، وفوق الإنسان ، هو من صاحب الأمر ، وصاحب الرعاية العامة ، والذى لا يستطيع الإنسان أن يحدده ويدرك حقيقة ذاته عند ما يتصوره .

والفلسفة قد تصبح عقيدة ، وقد يصبح القانون عقيدة أيضاً ، ولكن إذا أصبحت الفلسفة أو القانون عقيدة ، فإنه لا يصير إلى طبيعة الدين السابقة ، وإنما يصير إلى طبيعة التقليد أو العرف ، فى الجماعة ، لا يصير أحدهما إلى طبيعة الدين لأنه صنعة الإنسان وسبق كونه من فعل البشر مصاحباً له فى صيرورته . وإنما يصير فقط إلى طبيعة

طائفة تفرص على بيان مزاياه فى التوجيه العام .

الدين قد يصبح فلسفة ، وقد يصبح قانوناً ونشريعاً :

الدين قد يصبح فلسفة إذا حاول العقل الإنسانى أن يبرر ويعمل مبادئه من الوجهة النظرية العقلية . فليست الفلسفة إلا التعليل العقلى للوجود . فإذا علل الموجود من مبادئ الدين ، فقد دخلت هذه المبادئ فى نطاق العمل الفلسفى .

وقد يصبح الدين أيضاً قانوناً إذا أخذ فى تطبيق مبادئه على أحداث الحياة ، وسلوك الإنسان . ووصفت الأحداث ، أو وصف السلوك الإنسانى بأنه يطابق تلك المبادئ . وعندما يؤخذ فى تطبيق مبادئ الدين على أحداث الحياة وسلوك الإنسان ، لا يكتفى فى التطبيق بحكم مجرد من التحليل . بل لابد من التفقه ، وشرح المبادئ نفسها ، ثم شرح النوع الملائم وغير الملائم لها من أحداث الحياة وسلوك الإنسان . فهذا التفقه أو هذا الشرح هو القانون الذى ينتزع من الدين . أو صار الدين إليه .

والدين إذا أصبح فلسفة أوضى رجال العقل والفلسفة ، وإذا أصبح قانوناً جذب

التقليد ، أو طبيعة العرف في الجماعة من حيث إنه واجب الاتباع . فقد أصبح عندئذ من المتوارث والمألوف في الجماعة .

وليس لله غرض ، وليست له حاجة قريبة أو بعيدة في تحديد الخير الذي ينصح باتباعه . وكذلك لم يتأثر بأى مؤثر في هذا التحديد . ولأنه يعلم طبيعة البشر حق العلم ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . يكون فيما يرسمه لطريق الخير ، متفقا تمام الاتفاق مع إمكانيات هذه الطبيعة ، كما يكون تحديده الجزاء ملائما كل الملائمة لتقع هذه الطبيعة من فعل الخير ، وتقمها أيضا من تجنب الضرر الذي نهى عنه .

أما الإنسان في فلسفته وتقنيته فهو محدود بالبيئة ، ومحدود بالوراثة ، وبنوع الثقافة ونوع المعرفة ، وإنسان القرية غير إنسان المدينة في إدراكه للحياة وتعبيره عنها . وإنسان الأسرة الصالحة غير إنسان الأسرة التي طاشت في الانحراف أو الإجرام في تصور القيم الأخلاقية والروابط الاجتماعية . والإنسان الجاهل في تصوره واعتقاده غير المستنير في إدراكه وفي إيمانه . وإنسان المعرفة من نوع خاص غير إنسان المعرفة من

وإذن هناك فرق جوهري بين الدين من جانب ، والفلسفة والقانون من جانب آخر . هناك في جانب الدين كونه من الله ، وهنا في جانب الفلسفة أو القانون كون كل واحد منهما من الإنسان . وإذا طلب الدين من الإنسان أن يفعل الخير ، وناشدت الفلسفة ، أو هدف القانون في تطبيقه إلى الخير في فعل الإنسان ، فالفرق مع ذلك باق بين الدين من جانب ، وبين الفلسفة والقانون من جانب آخر ، إذ مطلوب الدين - وهو فعل الخير - قائم على أنه من هداية الله ، بينما مطلوب الفلسفة أو القانون يرجع إلى أنه من تأمل الإنسان .

وهنا تنحصر الموازنة بين الله والإنسان في تحديد الخير ، ورسم طريقه ، وتحديد الجزاء الذي يناط بفعله أو تركه : والله باعتبار أنه رب الجميع ، ومستغن عن الجميع ، ومستعمل على الجميع - يحدد الخير بما فيه مصلحة الجميع ، ويرسم طريقه ، بما يكون ميسرا للجميع ، ويحدد الجزاء على فعله وتركه ، بما يناسب أثر هذا الخير

وذلك الإنسان الآخر يرى أن الخير في عزلة الناس والبعد عنهم ، وفي عزلة هذه الحياة عامة ، والاعتكاف عن ملذاتها وعمها يتنافس فيه الناس من متعها .

فبمقدار ما يندفع الأول إلى تحصيل متع هذه الحياة ، التي راها متعا من زاوية وجوده الشخصى ، بمقدار ما يقف الثانى موقفاسليا من هذه المتع ، والإنسان الأول هو الإنسان الشخصى أو الوجودى ، والثانى هو الزاهد البرهمى (أو الصوفى) .

وبينا نجد بين الفلاسفة أيضاً من يحدد الخير ، بأنه ما أصابت منفعة أكبر عدد ممكن من الناس ، وهو الفيلسوف المثالى ، إذا بتا نجد فيلسوفاً آخر يحدد الخير ، بأنه : ما أصابت منفعة الجماعة الخاصة به أو بأمته وهو الفيلسوف الواقعى .

نجد من بين الفلاسفة من يرى أن الغاية تبرر الوسيلة ، فإن توقفت تحصيل المنفعة على الوشاية والمؤامرة ، أو على القتل جزافاً وجلة ، أو انتهاك العرض ، فالوسيلة مشروعة : لحرب الإبادة فى الجزائر مثلاً مشروع فى نظر المستعمر الفرنسى لأنه سيوصل إلى تمكين استعمار

نوع آخر : فالطبيب غير المهندس ، وكلاهما غير صاحب الثقافة الزراعية ، وجميعهم غير رجل المحاسبة . وهلم جرا . . .

وإذا كان محدوداً بهذه المصادر فهو متفعل بها ، وتتكسر هى بالتالى فى سلوكه ، وفى تفكيره ، وفى تحديدده للحياة وأهدافها . هو وليد هذه العوامل الثلاثة . فما يصدر عنه فى أى جانب ، فى التصرف والسلوك ، أو التفكير والحكم ، يكون تبلوراً لهذه العوامل الثلاثة . وعليه : فالإنسان صاحب الفكر الفلسفى فى تحديد الخير : ما هو ؟ يتأثر بحياته الخاصة والعامة . وكذلك الشأن فى رسم الطريق لتحصيل الخير ، ومن هنا نجد بين الفلاسفة تحديدات متنوعة للخير ، وكثير منها يناقض بعضه بعضاً ، كما نجد وسهم لطريق تحصيل الخير ، لا يقل اختلافاً فى التحديد ، عن تحديدهم الخير نفسه .

نجد من بين الفلاسفة من يفهم الخير على أنه ما لأم المصلحة الشخصية . وتبعاً لذلك : الإنسان نفسه مقياس الخير . هذا الإنسان يرى الخير فى تحصيل المتعة البدنية ، وإن صاحبها اغتصاب لما يملكه غيره ، أو ترتب على تحصيلها انتهاك حرمة عرض غيره .

الأول يعرف بالمذهب الاجتماعي أو الاشتراكي ،
والثاني يعرف بمذهب الحرية الفردية .
هذه أمثلة لاختلاف الفكر الفلسفي ،
واختلاف المذاهب الفلسفية . ويرجع هذا
الاختلاف إلى كون المفكر محدودا ، بحياته
الخاصة والعامة .

وفي القانون لا يختلف الأمر عنه في الفلسفة .
لأن الثقلين يقوم على أسس وفكر فلسفية .
يقوم على نظرة المشرع (والمشرع هو الدولة
في العصر الحديث) إلى الحياة . ونظرة الدولة
إلى الحياة تختلف باختلاف نظام الدولة نفسها :

هذه دولة شيوعية لها قانون يحفظ الوضع
الشيوعي بين أفراد الأمة . وهذه دولة
رأسمالية لها قانون يصون الحرية الفردية
إلى أبعد حد في استخدام رأس المال . وهذه
دولة اشتراكية اجتماعية لها قانون ودستور
يحدد علاقة الأفراد بالدولة والدولة بالأفراد ،
على أساس من الفكرة الاشتراكية
الاجتماعية ، وهي رعاية العدالة الاجتماعية
بين الطبقات . وهذه دولة ملكية ، يقوم
قانونها على صيانة العرش وتقديسه . وهذه
دولة جمهورية يقوم قانونها على تأكيد حقوق
الأفراد في الوصول إلى رئاسة الجمهورية .

هذه الجماعة يهودية يقوم قانونها على رعاية

هناك من استغلال ثروة البلاد الجزائرية
الاقتصادية والبشرية . فتمكن الاستثمار غاية ،
وهو غاية مشروعة لمصالح الاستثمار الفرنسي
فالوسيلة لهذا التمكن الاستثماري مشروعة
كذلك بالتالي . وتأخذ مشروعاتها من النفع
المترقب . إذ نجد مثل هذا الميكيا فيلبي ، نجد
فيلسوف آخر ينصح بعمل الواجب لذات
الواجب ، بعمل ما يجب على الإنسان لمصالح
نفسه ومصالح جماعته ومصالح الإنسانية ، دون
ترقب جزاء عليه ، ودون ترقب ثناء أدبي
أو مكافأة مادية ، وهذا هو الفيلسوف
الواجبي .

تري من الفلاسفة من ينصح بإقتناء الفرد
في الجماعة فتكتبت حرية الفرد ، ويصادر
ملكه ، ويجبر على تصرفه لمصالح الجماعة التي
هي الأمة . فالحياة إذا للجماعة لا للأفراد .
ثم ترى في مقابل هذا فيلسوف آخر يرى أن
الجماعة يجب أن تكون في خدمة الفرد ، وأن
تعمل في سبيل سعادة الفرد . فالفرد حريته
في التجارة ، وفي الاقتناء ، وفي إبداء الرأي وفي
العقيدة وفي المذهب بالمذهب الذي يراه في حياته .
له أن يعيش في ظل عرف المجتمع وعاداته
وله أن يخرج عن هذا العرف ، وهذه العادات ،
وسيان ، بعد ذلك فقر غيره ، أو شقوته ،
أو جرح عواطفه ، وإحساساته . والرأي

الأمم كانت وسيلة مشروعة من الوجهة القانونية لتحقيق استعمار الدول الضعيفة أو الصغيرة عن طريق الأمم الكبرى . وما جلد به قانونها مما عرف به «الاتداب» أو «الوصاية» على بلد ما لدولة كبرى هو نموذج عمل على تحقيق غايات الدول العظمى باسم القانون العام ، وهذه الغايات هي استغلال واستغلال الدول الصغرى لحساب الدول الكبرى ؛ هي انتقاص حياة الشعوب الضعيفة لرفع مستوى حياة الشعوب القوية .

وهيئة الأمم المتحدة القائمة ليست إلا صورة مكررة لعصبة الأمم السابقة في قانونها ، وفي أهدافها ، ولذلك يوم أن رأيت بعض الدول الكبرى في الماضي القريب ، أن مصالحها الاستعمارية لم تتحقق - لأن أغلبية الدول الأعضاء في هذه الهيئة عارضت هذا الجشع الاستعماري - أعلنت أنها لم تعد صالحة للفصل في القضايا الدولية ، والمشا كل بين الشعوب ، ويتجلى هذا في مشكلة قناة السويس في نوفمبر سنة ١٩٥٦ .

ولأن الفلسفة نشأت عن محدودية الإنسان ، ولأن القانون نشأ على هذا النحو أيضا - كانت الخصومة المذهبية طابعا

التقاليد والعادات والمعتقدات اليهودية في الأحوال الشخصية وتحديد العطلات السنوية وأنواع المأكول والمشروب ، والطريقة التي يتناول بها الأكل والشرب ، إلى غير ذلك في الحياة العملية .

وهذه الجماعة مسيحية ، أو بوذية ، أو وثنية ، أو إسلامية ، لا بد أن يتضمن قانون كل منها تقاليدنا الخاصة وعاداتنا ، ومعتقداتنا ، التي لها وحدها .

وإذن سبب هذا الاختلاف في المبادئ والقوانين هو كون الإنسان محدوداً ، كذلك . ومن هنا نشأ في القانون ما يسمى بالقانون الخاص ، وما يسمى بالقانون الدولي العام . والقانون الدولي مع ذلك ينطب عليه طابع التحيز للدولة القوية وعاداتها وغاياتها ، وأهدافها في الحياة .

وكذلك المؤسسات الدولية ، كعصبة الأمم سابقا ، والأمم المتحدة في حاضرتنا ، فإن قوانينها وإن اتسمت بالطابع الدولي العام ، فإنها تقوم وتهدف إلى تحقيق غايات الدول الكبرى ، وهي الدولة القوية . فعصبة

١ — فحدودية الإنسان إذن عيب في الفلسفة والقانون .

٢ — وصنعة الإنسان في الفلسفة والقانون أيضا سبيل إلى عدم العصمة . وعدم العصمة سبيل إلى التراخي في التبعية والطاعة .

والنتيجة أن قوة الفلسفة ليست في ذاتها ، بل في تكرار الدعوة إليها .

وقوة القانون ليست في ذاته ، وإنما في السلطة القائمة على تنفيذه .

• • •

أما الدين فقد خلا من هذين العيبين ، فانه بعيد عن المحدودية ، وبعيد عن الخطأ ، فقيمة الدين إذن ، بالنسبة إلى الفلسفة والقانون ، قيمة ذاتية .

ويوم يستحيل الدين إلى فلسفة أو قانون ، فهناك إمكان لعودته إلى دين مجرد عن الفلسفة والقانون ، طالما مصدره الاصيل مصون عن التحريف والتبديل . وعندئذ تبقى له قيمة الذاتية ، كدين ، ومعنى ذلك أن الخطر الذي يلحق الدين بصنعة الإنسان ، يمكن أن يحد منه ، بإبعاد تلك الصنعة عن أن تأخذ قداسه ، وعصمة أصوله .

لفلسفة ، وكانت المفارقات الواضحة في القوانين الخاصة ، والتفسيرات المتباينة للقانون الدولي العام ، ظاهرة مصاحبة لقانون الوضعي .

يضم إلى هذه النتيجة — وهي أن الله غير محدود وغير محدود فيما يوحى به لصالح البشرية وأن الإنسان على عكس ذلك — شيء رئيسي آخر يلحق الفلسفة ، ويلحق القانون . وهو أن من يتبع المذهب الفلسفي ، أو من يجب عليه أن يطيع القانون ، يسير في اتباعه ، وفي طاعته ، على أساس أن ما يتبع وما يطاع هنا ليس إلا صنعة البشر . ومعنى ذلك ليس فيها عصمة . وليس فيها تأكيد للحق أو للعدل . إن هو إلا ظن إنسان ، قد أخلص فيما أتى به من صنعة فلسفية ، أو قانونية ، وهذا الشعور لدى التابع أو المطيع يؤدي إلى عدم التمسك في التزام التبعية ووجوب الطاعة ، أو يؤدي إلى توقيف التبعية ، وتوقيف الطاعة ، ومن شأن هذا التوقيف التراخي في السير نحو هدف المذهب الفلسفي ، ونحو غاية القانون . وبما أن هدف الفلسفة ، وغاية القانون ، هي الحرص على فعل الخير ، ففعل الخير سيصير حتما إلى التوقف ، كلما كثر التراخي في التبعية والطاعة ، إما للمذهب الفلسفي أو القانون :

يتبين أن الدين له مكانته الأولى في حياة الإنسان ، وفي توجيهه . لأنه مصدر توجيه لا يخضع لنقص ، التحديد ، ولا لاحتمال الخطأ ، ولا إلى وجود السلطة التنفيذية .

ورتابتها المباشرة ، ولذلك يقول الشيخ محمد عبده : « فالتاس متفقون على أن من الأعمال ما هو نافع ، ومنها ما هو ضار ، وبعبارة أخرى منها ما هو حسن ، ومنها ما هو قبيح ومن عقلاهم ، وأهل النظر الصحيح والمزاج المعتدل فيهم ، من يمكنه إصابة وجه الحق في معرفة ذلك ، ومتفقون كذلك على أن الحسن ما كان أდوم فائدة ، وإن كان مؤلماً في الحال ، وأن القبيح ما جبر إلى فساد في النظام الخاص بالشخص ، أو الشامل له ولأن ينصل به ، وإن عظمت لذته الحاضرة ، ولكنهم يختلفون في النظر إلى كل عمل بعينه اختلافهم في أمرجتهم ، وبجيتهم ومناشئهم ، وجميع ما يكتنف بهم . فلتلك ضروباً إلى الشر في كل وجه ، وكل يظن أنه : إنما يطلبه نافعاً ، فالعقل البشري وحده . ليس في استطاعته أن يبلغ صاحبه ما فيه سعادته في هذه الحياة (١) » .

ويقول أيضاً :

وهناك شيء آخر ، وراء عصمة الوحي في الدين ، ووراء عدم محدودية الله في رسالته للبشر ، مما يتميز به الدين عن الفلسفة والقانون .

هناك في الدين أيضاً ضمير الإنسان الذي ينشأ عن الخشية من الله ، وهو بمثابة السلطة التنفيذية للقانون ولكنها سلطة تنفيذية ذاتية ، وليست عارضة عن ذات الإنسان صاحب الضمير الديني .

أما المتبع للقانون فإنه يتبعه لسلطان الدولة المشرفة على تنفيذه . وعندئذ إذا خفت رقابة الدولة زال أثر القانون ، وانكشف وجوده بالنال . وهنا في دائرة القانون يحتاج الأمر إلى شيتين معاً : إلى نص القانون ، والسلطة التنفيذية ، بينما في دائرة الدين يتوقف الأمر كله على الإنسان المعتمد وحده .

أما الفلسفة ، فلأنها لا تصحب برقابة خارجية ، ولا تكون ضميراً أو رقابة داخلية ف شأنها في الحياة العملية أهون من القانون وأخف . ومن ثم تكون أشد هواناً في مواجهة الدين .

هذا حديث عن الدين ، والفلسفة ، والقانون في حياة الإنسان بوجه عام ، ومنه

إذ الإسلام - كما يعرف من القرآن والسنة الصحيحة - يتضمن العقيدة والإيمان ، كما يتضمن التشريع ، التهذيب والمعاملات .

وكل هذه الأنواع ليس بعضها متولدا من بعض ، بصنعة الإنسان ، وإنما كلها وحى منزل ، وكلها مجتمعة تهدف إلى غاية واحدة : إلى « التوازن » : إلى الاستقامة : إلى الاعتدال .

في العقيدة :

١ - عقيدة التوحيد هي المثل التوازن ، والاستقامة ، والاعتدال : إذ كون المعبود واحداً ، كعقيدة ، يوحى بأن الوحدة مطلوبة ، وهي الغاية الأخيرة في الإسلام ، وفي هذا يقول النبي محمد عليه : « أما اعتقاد الجميع بآله واحد فهو توحيد لتنازع النفوس إلى سلطان واحد ، يخضع الجميع لحكمه . وفي ذلك نظام أخوتهم ، وقاعدة سعادتهم ، وإلهام ما لهم فيما اعتقدوا وإن طال الزمن (١) » .

(١) وهي بدورها توحى بالوحدة في ذات الإنسان .

ولهذا كله كان العقل البشري محتاجاً في قيادة القوى الإدراكية ، والبدنية ، إلى ما هو خير له في الحياتين : إلى معين . . وذلك المعين هو النبي (١) .

ويقول كذلك في شأن الأمم :

« العقل وحده - في القانون - لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة الأمم ، بدون مرشد إلهي . كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لابد معها من السمع لإدراك المسموعات مثلاً . كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتهى على العقل من وسائل السعادات . والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة ، وتصريفها فيما منحت لأجله ، والإيمان لما تكشف له من معتقدات ، وحدث أعمال (٢) » .

فضل الإسلام كمدين :

فإذا انتقل الحديث بعد ذلك من الدين عامة إلى الإسلام ، فضرورة الدين في حياة الإنسان ستكون أشد وأقوى .

[١] رسالة التوحيد ص ٥١ .

[٢] رسالة التوحيد ص ٨٢ .

[١] رسالة التوحيد ص ٥١ .

الوحدة ، وعليه أن يسلك طبقاً لهذه الوحدة التي تحققت بسببه . فإن لم يسع نحو هذه الوحدة ، لم يدرك في عبادته وحدة الله جل شأته . وإن سلك سلوكاً متضارباً في حياته ، كان تضاربه في سلوكه أمانة على أن يحقق الوحدة في نفسه .

وكذلك الشأن في علاقته بغيره . عليه أن يسعى لتقريب الاثنينية بين نفسه و غيره ، إلى وحدة ، أو إلى ما يقرب إلى الوحدة على سبيل الحقيقة . وكذلك سلوكه مع غيره يجب أن ينبثق عن هذا التقريب بين الاثنينية نفسه مع غيره .

فإن لم يسع في دائرة العلاقات مع غيره ، نحو تقريب هذه العلاقات نحو الوحدة ، لم يدرك في سعيه في هذه الدائرة وحدة الله تعالى . وإن سلك سلوكاً متضارباً فيها ، كان تضاربه في هذا السلوك أمانة على أنه لم يصل إلى ما يقرب من الوحدة في علاقته بغيره .

وإن هدف المبادات في الإسلام تحصيل الوحدة في ذات الإنسان ، وجعل السلوك طبقاً لها . وهدف المعاملات في الإسلام محاولة تقريب العلاقات بين الاثنين ، إلى وحدة ، وتكوين السلوك وفقاً لهذا التقريب .

(ب) وبالوحدة في علاقة الإنسان بالإنسان : في الأسرة ، والمجتمع ، وفي مجتمع إسلامي مع مجتمع آخر .

والوحدة في ذات الإنسان منهج مرسوم . وتشريع التهذيب أو المبادات هو سبيل وحدة الإنسان . والوحدة في العلاقات بين الأفراد والمجتمعات منهج مرسوم كذلك . وتشريع المعاملات هو سبيل وحدة العلاقات :

يقول الله لرسوله الكريم : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » . ومعنى ذلك : الله المعبود واحد ، وهو الرب والسيد ، ووحدة وحدة خالصة ، فلم يأت من طريق غيره (فلم يولد) ولم يكن غيره مثله يشبهه ، (فلم يلد) ولذا فليس هناك معادل له في الوجود (فلم يكن له كفواً أحد) .

وهذه السورة القصيرة تحدثت وحدانية الله ، بالواحدانية الخالصة عن المثل والشبه ، ثم لأن المعبود هو من يتجه إليه الإنسان في حياته . كانت هذه الوحدة الخالصة هي غاية الإنسان في سعيه في الحياة وفي سلوكه فيها .

على الإنسان إذن أن يحصل نفسه على

٢- في العبادات :

والإنسان بحكم تكوينه موزع بين أمرين متقابلين . وهو لذلك له اتجاهان في الحياة : أحد هذين الاتجاهين يصدر عن النفس الأمارة بالسوء ، والاتجاه الثاني يصدر عن النفس الممثلة . أما النفس الأمارة بالسوء فهي التي تميل بالإنسان إلى أن يكون صاحب غرض وهوى ، وصاحب شهوة خاصة . وأما النفس الأخرى الممثلة فهي التي تميل بالإنسان إلى أن يكون صاحب عقل ، وتوازن ، واستقامة . وجاء الإسلام بالعبادات : جاء بالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، كي يكون الإنسان صاحب اتجاه واحد ؛ كي يكون صاحب نفس مطمئنة راضية ؛ كي يكون صاحب توازن ، وعقل ، واستقامة .

• • •

جاء الإسلام بالصلاة - وهي أن يشع الإنسان في خشوع نحو الله ونحو جلاله ، وأن يتأجج هذا الجلال بقوله : الله أكبر - ليحصل في الإنسان قيمة الوجود كله . وقيمه عندئذ : أن شيئاً واحداً فيه كله له العظمة والجلال ، وأن ما عداه تضاعف قيمته وتضائل ، فإذا ثبتت هذه القيمة في نفس المصل كان قد حصل نفساً مطمئنة ؛ لأنه يستبعد من المصل ، بعد أن يدرك هذه القيمة ، أن تميل نفسه وتعرضه

على تحصيل شيء في الوجود دون الله ، وليست النفس الأمارة بالسوء إلا تلك النفس التي تخضع للإنسان إلى غمسه الله في الوجود ، وهي لا تفرق عندئذ عن الشيطان في الخدع والغاية .

ولئن الصلاة عبادة قصد بها أن تكون نفس المصل نفساً مطمئنة ، قصد بها أن يكون الإنسان صاحب اتجاه واحد ، وعندئذ تحقق وحدة الإنسان ، ويرتفع فوق التردد بين النفسين .

• • •

وجاء الإسلام بالزكاة ليسى المزك من طريق زكاته ، كعبادة فيها قربى إلى الله ، نحو اتجاه واحد في سلوكه ، وهو اتجاه المصل للمائع ، وبذلك يكبت الاتجاه الآخر في الإنسان وهو اتجاه الاستيلاء ، والطمع ، والجشع . وهنا أيضاً تكون الزكاة عبادة لتحصيل وحدة الإنسان . بدلاً من توزيعه وتردده ، أو بدلاً من أن يتردى في ذلك الاتجاه الآخر ، الذي يحده عن السمو والتشبه بالله فيمنحه وعطائه وهو اتجاه التردى في الطمع والجشع .

وجاء الإسلام بالصوم . والصوم ليس فقط تقرير الجلال لله وقيمه في الوجود وليس فقط متضمناً أيضاً عدم الحرص على

سلوكه سلوكا متزنا مستقيما ، معتدلا لأنه لا يتأرجح عندئذ بين شيئين متقابلين . لا يلبس اليوم وجها ، وغدا وجها آخر ، فهو مستقيم إذن . ولا يفعل اليوم هذا ، ويفعل نقيضه غدا ، فهو متزن إذن ؛ ولا يخفض الآن يمينه ثم في آونة أخرى يخفض يسره ، فهو معتدل إذن ؛ واعتداله واتزانه واستقامته ، تدل على أنه أصبح واحدا ، وبذلك تأثر في حياته بعبادته لله الواحد . وأمانة الاعتدال ، والاتزان ، والاستقامة في السلوك والتصرف أن يكون مصداقا لقوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين . »

• • •

فإذا سار الإنسان في سلوكه وفق وصايا هذه الآية القرآنية - فإنه لا شك يكون معتدلا ، ومتزنا ، ومستقيما .

• • •

فإذا سعى الإنسان في حياته لأخذ نصيبه من الدنيا - لا لأخذ الدنيا كلها - وفي الوقت نفسه قصد وجه الله فيها حصله من الدنيا ، فأحسن إلى غيره كما أحسن الله إليه ، ولم يقصد إلى العيب والفساد فيما تفضل الله به عليه ، كان معتدلا ، ومتزنا ، ومستقيما ؛ لم

الاستيلاء والأخذ ؛ لأنه يقوم على الإمساك والترك - هو ليس فقط هذا وذاك ، وإنما هو كبت لذات الإنسان ، وحرمان لهذه الذات ، طواعية لامثال أمراهه ، والحرمان فيه أكثر من المنع والعطاء . كما في الزكاة ؛ لأن المانع والمعطي لا يستلزم أن يحرم ذاته ، ولكن إذا حصرم ذاته تجاوز عندئذ حده المانع المعطي .

• • •

وإذن عبادة الصوم فيها امثال لله ، وذلك إقرار بوجوده وبقيمته في الوجود ، وفيها أكثر من المنع والإعطاء ؛ فيها المقابل للاستيلاء وهو الحرمان . والاستيلاء أخذ ، والحرمان ترك . والصوم لذلك خطوة أخرى في طريق توجيه الإنسان وسعيه نحو وحدة ذاته ؛ نحو تحصيل النفس المظلمة ، التي لا تخضع لما عدا السمو ، والتشب به الله .

• • •

وجه الإسلام بالحج ، وفي الحج هود بالإنسان إلى حالته الطبيعية ، فيه ترك ، ومنع معا ، فيه ترك للظواهر الزائدة على الطبيعة الإنسانية . وفيه منع عن طريق الانضحية . وبذلك تصب عبادة الحج في نفس الغاية التي تهدف إليها عبادات : الصلاة والزكاة والصوم .

• • •

فإذا تحقق للإنسان اتجاه واحد ، كان

الكثرة العديدة من الناس ، وهي الجماعة ، نفس الغاية ، ونفس السبيل ؛ أراد لها أن تكون أمة واحدة ، وأن يكون سعيها لذات الهدف أو الغاية ، وهي أن تكون أمة واحدة ، وما شرع باسم المعاملات هو السبيل لتحقيق هذا الهدف

• • •

إن وحدة الجماعة والأمة لا تتوقف - بحسب - على الأسباب التي تحيط بأفرادها - بحكم البيت ، أو الموطن - أو إمكانيات العيش ، بل لابد في تحقق وجود أية جماعة ، وجوداً قوياً ظاهراً ، من وحدة الغاية والهدف . لأن وحدة الغاية والهدف هي المركز الذي يتجمع الأفراد حوله ، ويتكثرون من أجله ، وتشد الروابط بينهم بسببه ، وتسير هذه الروابط إلى أخوة في النفس والروح ، بعد التقاء على الفكرة والمبدأ .

والقرآن الكريم ، فيما أوصى به من أخلاق الجماعة ، لم يوص إلا بعد أن حدد الغاية للجماعة التي يريد بها ، والتي عمل على تكوينها ، ووصاياه هنا بعد ذلك هي وصايا لحفظ توازن هذه الجماعة ، وبالتالي لحفظ علاقات الأفراد فيها من التفكك والتلاشي .

والغاية التي حددها القرآن لجماعته هي عبادة

بتواكل ؛ لحصل حظه من نعم الحياة ، ولم يفتقر ويفرح بما حصله من هذه النعم ؛ فلم يتخذ هذه النعم وسيلة للعبث في حياته الخاصة وحياته جماعته العامة ؛ لم يرتكب إثمًا ولا محرماً ، لم يتهك عرضاً ولا حرمة لغيره من طريق هذه النعم ، ثم مع ذلك لم يحرم من هذه النعم مستحقاً آخر فيها ؛ لم يحرم ذا قرابة ، وذا جوار ، وذا مقربة ، وصاحب حاجة - إنه عندئذ متزن في تصرفه ، ومعتدل في سلوكه ، ومستقيم في اتباعه طريق الله ووصاياه .

٣ - في المعاصرة :

والإنسان مع إنسان آخر ، بمثابة الإنسان الفرد المردد بين اتجاهين متقابلين : اتجاه النفس المطمئنة واتجاه النفس الأمارة بالسوء . فكذلك الإنسان مع الإنسان . هذا له اتجاه ، وذاك له اتجاه آخر . هذا له عادات وآمال ، وذاك له عادات وآمال . هذا نشأ نشأة عامية ، وذاك نشأ نشأة مفايرة . فإذا كثر عدد أفراد الناس تعددت وجوه المفارقة بينها ، وكثرت ضروب المفارقة والمقابلة .

الجماعة العامة :

وعلى نحو ما أراد الإسلام للإنسان الفرد من وحدة اتجاه في سعيه وسلوكه - أراد

توجيه ويقتله . وهم ، لهذا وذلك ، لا بد أن ينصحووا إذا كانوا ، ولا بد أن ينتصروا إذا خاضوا .

• • •

ولكى لا يدخل عامل يعصف علاقات هذه الأفراد في الجماعة ، فتتجه نظرتهم إلى هذه العلاقات ، بعد أن ارتفعت نظرتهم جميعا إلى الله وحده سبحانه ، وكذلك يتجه كفاحهم إلى صلات بعضهم ببعض ، بعد أن تركزت فيما وراء أشخاص وذواتهم — لأجل هذا أوصى القرآن الكريم بما يحفظ قوة هذه العلاقات ، وبما يديم نظرة الأفراد إلى الله وبما يوجه كفاحهم لصالح أنفسهم ، بجماعة تريد السيادة لأجبالها المتتابعة جيلا بعد جيل

١ — أولا : أوصى القرآن بالحفاظ الجماعة بسيادتها . وذلك بأن لا يكون لأفرادها ولاء لغير بعضهم بعضا ، أى لا يكون الدخيل بينهم طاعة عليهم ، ولا يرق هذا الدخيل في نفوسهم درجة أن تكون له وصاية ، أو إلى أن يعد مرجعا في إبرام شئونهم . يقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرهم » . إن الله عزيز حكيم .

الله وحده ، يقول الله جل شأنه في كتابه الكريم : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » . ويقول : « قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين » . ويقول : « ذلكم الله ربكم ، لا إله إلا هو ، خالق كل شيء » . فاعبدوه . وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو العزيز الحكيم . ويقول : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

والإسلام إذ يحدد غاية الجماعة بعبادة الله وحده ، يدفع أفرادها إلى الشعور بالكرامة والسير في الحياة دون طائق من أوامير الوثنية في أية صورة من صورها ، والشعور بالكرامة والانطلاق في الحياة من قيود الحرقاة والشعوذة ، واقتحام الصعاب فيها ، دون انتظار لوضع خاص لكوكب من الكواكب كما كانت عادة العرب قبل الإسلام ، ودون إذن وصى أو سيد ، كما هي عادة العبيد والأرقاء ، كل هذا مظهر لعبادة الله وحده .

وأصحاب هذا الشعور ، أولئك الذين انطلقت نفوسهم من قيود الحرقاة والشعوذة والوثنية في صورها المختلفة — من عبادة الأحمجار إلى عبادة الأشخاص — يضيفون إلى قوتهم ، كأصحاب سعى وحركة ، قوة

يوصي القرآن بالعدل في القضاء والفصل بين الناس ، لأن أساس الاطمئنان بين الأفراد على أنهم سواء في ظل الجماعة . وأن الجماعة لذلك ليست حزبا تفصل بين فريقين موال وفريق عظام ؛ بل هي رعاية عامة . وهذا الاطمئنان بالمساواة في العدل يوصي بدوره إلى تمسك الأفراد بجماعتهم ، والله الكفاح في سبيل بقائها ، وإلى مزاودتها ضد عدوها الخارجي .

• • •

٣ - ثانيا : أوصى القرآن بالتقرب في قبول الأخبار المفرخة ، ولخص شائعات السوء . يقول الله تعالى : « يا الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيروا قوما بجهالة تصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

أوصى القرآن بذلك للإبقاء على العلاقات سليمة صافية . فإن سرعة التصديق للأخبار والشائعات المفرخة ، سواء فيما يتصل بفرد وفرد ، أو بأسرة وأسرة ، أو فيما يتصل بالأفراد والحكومة ، لا تقف عند حد تمزيق وحدة الجماعة ، بل من شأن هذه السرعة أن تشرقنة قد تنتهي بخصومة عنيفة بين أبناء الجماعة . وبذلك تحول الجماعة إلى طوائف متباينة القصد والسمي ، وعندئذ تصير إلى فئاتها ، كجماعة .

فصل الله سبحانه وتعالى تفضيل ولاية المؤمنين بعضهم على بعض وبالتالي إبعاد ولاية الأجنبي عليهم . بالاشتراك في خصائص وصفات ؛ هي مقومات الجماعة الإسلامية : بالاشتراك في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله . وولاية أجنبي عليهم ستذهب بهذه الخصائص ، وبالتالي ستذهب بشخصية الجماعة الإسلامية ، فيمشتد لا يكون لها وجود ، كجماعة إسلامية . لأن هذا الأجنبي الذي يتولى أمرها لا يشاركهم في هذه الخصائص ، ولذا لا يقررها ، وربما يعادها ويعمل على إفنائها .

• • •

يوصي القرآن بذلك لأنه إن قبلت ولاية الأجنبي ووصايته ، انتهكت الجماعة من الهدف والغاية التي اجتمعت حولها مع قبل ، وأصبحت أفراداً فقط تخلف النعمة والفرص ، لا لجمع يجمعهم ولا رابط يؤكد الصلات بينهم .

٢ - ثانيا : أوصى القرآن كذلك . بعد إحاطة الجماعة الإسلامية بهذا السور الخارجي ، وهو إبعاد ولاية الأجنبي عليهم . باتباع سبيل العدل ، في الحكم بين الناس ، فيقول : « إن الله يأمركم أن تردوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

ولست رعاية عامة لحقوق كل فرد منها . وإنما وجدت الجماعة للترابط في وحدة واحدة ، والتعلق بهدف واحد ، والاحتكام إلى ميزان واحد ؛ هو العدل والتوازن .

• — خامساً : أوصى الإسلام بتقريب الفروق بين الأفراد ، حتى لا يشعر الفقير بحرمانه ولا المريض بمجزه ، ولا الجاهل بحمقه وسوء تصرفه ، ولا الصغير بضعفه وحدائه عنده ، ولا الشيخ بوهن شيخوخته .

• • •

فأوصى صاحب الثروة بالإتفاق ، وصاحب الصحة بالمعاونة ، وصاحب المعرفة بالتوجيه ، والكبير برحة الصغير ، والصغير بتوقير الكبير . أوصى بذلك وبمثله . ولكنه شدد كثيراً في طلب بذل المال والإحسان لصاحب الحاجة من ذوي اليسار . وذلك لأن المال ، من جانب ، من شأنه أن يفرى صاحبه على عدم الإتفاق ، كما أن الحرمان من المال ، من جانب آخر ، من شأنه أن يثير القلق النفسي ، والحسد والبغضاء في نفوس الغرومين ضد غيرهم من الميسرين . يقول الله تعالى : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويدعون بالحسنة السبئة أولئك لهم عقبى الدار » ، ويقول : أولئك يؤتون أجرهم

٤ — رابعاً : أوصى بعدم استغلال الضعيف : أوصى بعدم استغلال اليتيم ، ومن على شاكلته ، كالأجير ، والمخادم من عليه رياسة بوجه ما . يقول الله تعالى « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تبديلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حرباً كبيراً » .

• • •

ولفظ الآية وإن كان نصاً في طلب تسليم أموال اليتامى — وهم القصر — إليهم بعد بلوغ الرشد ، فهو عاملة . . لكنه يتجاوز ذلك إلى طلب تسليم الحقوق إلى أصحابها ، الذين لم وضع يشبه وضع اليتيم من الوصي عليه . فصاحب الرياسة مطالب بتسليم حقوق محاله إليهم ، ورب الأسرة مطالب بتسليم حقوق زوجته وأولاده إليهم . وهكذا . ثم يصف سبحانه وتعالى إمساك تسليم الحقوق إلى أصحابها الضعاف باستبدال الخبيث بالطيب أى بترك الطيب وأخذ الخبيث بدلا منه ، ثم يصفه كذلك بأنه أكل ، ثم بأنه ظلم ، ثم بأنه ظلم غير عادى ، بل هو ظلم كبير .

• • •

أوصى القرآن بذلك ؛ لأن استغلال القوى للضعيف يدل على أن الجماعة التي جمعتهما ، جمعت القوى والضعيف على هذا الوضع ، ليس إلا وسيلة لتحقيق الأغراض الخاصة

هذه أمور تؤدي إلى اختلال في توازن الجماعة . لا محالة . فرسالة القرآن للجماعة العامة هي رسالة توازن وتماثل ، كرسالة للفرد نفسه التي هي توازن وتماثل بين القوتين اللتين من شأنهما السيطرة عليه .

الأسرة :

تلك هي وصايا القرآن الكريم للجماعة العامة . فإذا انتقلنا في نطاق هذه الجماعة إلى الأسرة الصغيرة - وجدنا وصايا القرآن نفسه إلى هذه الأسرة لا تخرج عن الهدف والغاية التي حددتها للجماعة العامة ، كما حددتها من قبل للفرد الواحد ، وهي رسالة العدل ، والتوازن ، والاستقامة .

بين الزوجين :

فأخلاق القرآن للزوجين في الأسرة هي مجموع :

- (أ) أخلاق القرآن للفرد نحو نفسه .
- (ب) وأخلاقه للفرد نحو مجتمعه .
- (ج) وأخلاقه للفرد ، كزوج أو كزوجة ، بالنسبة للطرف الآخر .

مرتين بمصبروا ، ويدبرون بالحسنة السيئة ، وما رزقناهم ينفقون .

والإنفاق هنا ليس الزكاة . وإنما هو إعطاء ، وراء فريضة الزكاة ، سرا أو علانية . وقد ربط الله سبحانه هنا بين الصفات التي تدعو إلى التخلص من صاحبها ، في سبيل استقامة الأمور ، وعلاج المشكلات فالصبر في المحنة والازمات . وإقامة الصلاة التي من شأنها أن تمسك المصل عن الفحشاء والمنكر ، والإنفاق في سبيل الخير وسبيل الله ، وإبعاد السيئة عن طريق الحسنة . كلها خصائص تبعد الازمات وتسد طريق الشر ، ولكنها تتطلب الاحتمال وضبط النفس .

أوصى القرآن بهذا كله ، وبغيره مما يتصل بشأن الجماعة العامة ، هي الأمة ، قاصداً أن يبنى على التمسك والتجمع ، وأن يحول دون العوامل المخربة . والعوامل المخربة ترجع جميعها إلى اختلال العدل ، أو اختلال التماثل والتوازن في الجماعة .

فالولاء للأجنبي ، والتحيز في الفصل بين الناس ، والمصارعة في قبول الوشائيات ، واستغلال القوى للضعيف ، وعدم تقرب الغنى لصاحب الحاجة : صاحب المال من الفقير ، وصاحب المعرفة من الجاهل ، والسليم من المريض . إلى غير ذلك - كل

من قول الله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه خفيئاً مرثياً » . وتوكيداً لأن هذه المنحة أثرها في معنوية المرأة ، وفي وضعها به ذلك من الزوج ، جعل القرآن الكريم هذه النحلة — وهذه المنحة — حثاً للمرأة لا يسترد الرجل شيئاً منه إلا عن طيب نفس من المرأة ورضا عاين منها .

هذه المنحة ، وهي التي تعرف بالمهر — مهما قلنا في قيمتها ، تشر الزوجية في حياتها مع الزوج بأن الزوج هو الذي سمي إليها . ولذلك تشر بالتالي بأنها موقورة الكرامة ، وليس لأزواجها صندق دخل في النقص من قيمتها كإنسان ، كما كان الحال قبل الإسلام . وهي تمس الآن في وضع متساو مع زوجها في الإنسانية .

وإذا استقر شعور المساواة في الإنسانية بين الزوجين سارت حياتهما إلى الانسجام ، وأثمرت الزيجة المحبة وعدم الفرة ، ونج عنها خلف صالح ترعا محبة الاتين ، ويمش هذا الخلف في ظل وثاقهما ووثاقهما .

الأمر الثاني في الاحتفاظ بالانسجام بين الزوجين : أن الحقوق والواجبات الزوجية متكافئة ومتعادلة بحسب طبيعة كل منهما : الزوج حقوقه وواجباته ، والزوجية حقوق وواجبات . وكل واحد من النوعين ،

إذ الزواج اجتماع بين فردين ؛ هو تواج يجب أن يكون هذه الانسجام ، حتى يبدو أن تصرف كل واحد من الزوجين نحو الآخر تصرف ناشئ عن فرد واحد ، ولتأية واحدة ، وفي طريق واحدة .

وهذه الحال درجة في السلوك والمعاملة ، فوق درجة سلوك الفرد نحو مجتمعه على العموم يقول الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ، لتسكنوا إليها ؛ وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون » . ويقول : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها لهسكن إليها » .

جعلت هاتان الآيتان غاية الزواج : أن يسكن كل من الزوجين إلى الآخر ويطنن إليه ، ويستريح لوجوده معه . ولا تكون حالة السكن هذه ، وحالة الاطمئنان والراحة في اجتماع فرد بآخر ، إلا إذا كان هناك انسجام بينهما ، واقرب كل منهما نحو الآخر بسلوكه وطريقته في الحياة .

والطريق إلى هذا الانسجام أمران : الأول : أن يحفظ الرجل على المرأة حياتها وخبرها . وبالتالي يحفظ عليها كرامتها كأشي ويتجلى ذلك في أن يمس الرجل عن تقهيره للمرأة بمنحة يتقدم بها إليها حين الرغبة في إتمام الزواج بها . وذلك هو ما يؤخذ

الحياة وانسجامها . وهي لذلك ضرورة إنسانية لصالح الزوجية ، وليس مظهراً عارضا على حسابها ، وفي سبيل تبرئها . إذ لم يقصد القرآن مطلقاً ، فيما أوصى به في علاقة الزوجين ببعضهما بعض ، إلى عدم السكن والأطمئنان ، الذي جعل غاية الزواج والإكثار غير منطقي مع مبادئه ، وكان غير مستقيم بعد ذلك أن يبحث على عدم الإضرار ، وعلى الصبر والثبوت إذا ما تعرضت الحياة الزوجية لأزمة طارئة ، على نحو ما يوصى به في قوله تعالى : « وعاشروهم بالمعروف ، فإن كرهتموهن فسي أن تتركوهن شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » . فطالبة الإسلام الرجال بعدم الإضرار في العشرة ، وبالصبر عند الضيق بالزوجات بنبي* عن حرصه على بقاء السكن بين الزوجين .

والقرآن الكريم بعد ذلك ، فيما يتصل بالزواج وإن هدف إلى الانسجام ، لكنه لم يقصد إلى إلغاء أحد الطرفين في صلة الزوجية ، بل أبقى على فردية الاثنين ، ونظم الحياة بينهما ، بحيث تكون حياة مشرفة لصالحهما وصالح الإنسانية . ومن أجل إحقاقه على فردية الاثنين لا يسلب من أحدهما كفرد حقوقه الشخصية بعد الزواج . ولهذا كانت لفرد حقوق شخصية وحقوق أخرى زوجية بعد الزواج ، وعليه واجبات متنوعة

من هذه الحقوق والواجبات ، متكافئة ومتبادل مع الآخر . ومعنى التكافؤ والتبادل هنا أن الحياة الزوجية - كي تصل إلى غايتها - وهي السكن والأطمئنان ، والانسجام - لابد من إسهام الرجل والمرأة فيها سواء . ولابد من إقادة كل منهما معا هذه العلاقة : لا يضار الرجل بالعلاقة الزوجية فيؤدي ما عليه دون مساهمة من المرأة في هذه العلاقة ، ولا تضار المرأة فتؤدي ما عليها دون مساهمة من الرجل فيها .

وهذا التكافؤ في الحقوق والواجبات هو الذي تشير إليه الآيات الكريمتان : « الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله بعضهم على بعض . وبما أقتوا من أموالهم » . « ولهن مثل الذي طهين بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » .

والمراد بالمقابل في الحقوق والواجبات هو التكافؤ والتبادل بينهما . وليس بلام أن تكون كل حقوق الرجل وواجباته هي ذات حقوق المرأة وواجباتها بالشخص . فالرجل عليه الإنفاق مثلاً ، بينما دور المرأة في مقابل هذا في رعاية ولها . وهكذا .

أما درجة الرجال على النساء في الآية الثانية وهي القوام والقيادة في الآية الأولى - فتنبها إلى الرجل لا تخرج دوره في الحياة الزوجية عن أن يكون بها مسهما لتبادل هذه

علاقة الوالدين بأولادها أشد وأقوى من علاقة الأولاد بالديهم . فالوالدان ، حسب المعطرة السليمة ، يتفوقان في ميلهما ومحبتهما لأولادها أكثر من هؤلاء في ميلهم ومحبتهم لوالديهم .

والصلة بين الأولاد والوالدين في دائرة الميل والمحبة إذن صلة غير متكافئة ، وتعلق أحد الجانبين بالآخر تعلق غير متعادل .

ويشير إلى عدم التكافؤ والتعادل هذا أن القرآن في مخاطبة الآباء لم يذكر أولادهم - في آية من الآيات التي ذكرهم فيها - إلا على أنهم زينة وممتعة في حياة والديهم .

ومن أجل أنهم زينة ، أي زينة ، وممتعة أي ممتعة جعلهم بالنسبة لوالديهم فتنه وموضع إغراء . ثم مع ذلك فيها ذكرهم لم يذكرهم إلا مقترنين بالمال ، الذي هو أيضاً زينة وممتعة ، وموضع فتنه وإغراء . بل في بعض الآيات كاد يقصر القرآن الكريم الدنيا وزينتها على الأولاد والمال : يقول الله تعالى في سورة الكهف :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، ويقول في سورة التين : « إنما أموالكم وأولادكم فتنه » . ويقول في سورة الحديد : « اطلوا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم ، وتمكث في الأموال والأولاد » .

كذلك . فالزوجة مع يسارها تفقتها في مال زوجها . ومع ارتباطها في عقد الزوجية بزوجها فلها وحدها حق استثمار مالها الخاص بالطريقة التي تراها ، ولها حق ممارسة عقيدتها الخاصة ، واتجاهها السياسي الخاص ، وحق التعبير عما ترى .

ولكن كغالب هذه الحرية ، لها أول زوجها ، في حدود عدم الإضرار بأحد الطرفين في الزوجية . وإذن رسالة القرآن في علاقة الزوجين ، ببعضهما ببعض ، هي التوازن ، والتعادل ، والانسجام ، حل نحو وساطة في سلوك الفرد مع نفسه ، ونحو مجتمعه .

أما الإضرار في المباشرة فانهى عنه ليس وفقاً على العلاقة الزوجية ، بل هو منهي عنه في أية علاقة أخرى بين إنسان وإنسان . ولكنه هنا أشد وألزم ، لأنه يتنافى تماماً مع الزواج وحده .

صدور الدعوة بالوالدين :

والقرآن الكريم في صلة الأولاد بالوالدين هدف أيضاً إلى التعادل ، والتوازن ، والانسجام . فنظر إلى هذه الصلة في صورتها الواقعية : فنظر إليها على أنها صلة مرجوحة من جانب وراجحة من جانب آخر . فنظر إليها على أن الطرفين في علاقة أحدهما بالآخر ليسا في درجة متساوية ، ولا في وضع واحد :

إنن إلى أن تغير مجرى سيرها العادى حتى تصل إلى نقطة التقاء بين الاثنين ، بحيث لا يمل أحدهما الآخر ولا يزهد في لقائه .

وبما أن الدافع إلى هذا الالتقاء الوسط متوفر لدى الوالدين بحكم الطبيعة والفطرة أو بحكم الإلف والعادة ، أكثر من توفره عند الأولاد - كانت وصايا القرآن في الصلة بين الطرفين تكاد تكون موجهة إلى الأولاد وخدمهم ، وفي صورة تجعل طلب ذلك من الأمور التي لا يفتر التخليق فيها بحال .

ومظهر ذلك في تعبير القرآن الكريم ، أنه يقرن طلب الإحسان من الأولاد إلى الوالدين بطلب عدم الشرك في العبادة ؛ يقول الله تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا » . . . ويقول في سورة الإسراء : « ونهى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » . ويقول في سورة الأنعام : « قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا ؛ وبالوالدين إحسانا » .

ثم إن القرآن بينما لم يحدد تفصيل السلوك والتصرف الذي يتصرفه الوالدان نحو أولادهم اعتادا على الدافع الطبيعي الفطرى القوى هندم - يعنى بتحديد المطلوب من الأولاد نحو والديهم : يقول تعالى في تكملة آية الإسراء السابقة ، وفي آية أخرى بعدها : « ونهى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » .

وهذا الفرق في تعبير القرآن الكريم عن الأولاد والوالدين يدل على أن الصلة في سيرها العادى بين الطرفين ليست متباعدة ، وأنها في جانب الوالدين أقوى منها في جانب الأولاد .

ورسالة القرآن في هذه الصلة تهدف إلى أن تبلغ الطرفين إلى مستوى التكافؤ والتبادل في سلوك كل واحد منهما نحو الآخر : تهدف

ومنطلق التعبير عن الأولاد بأنهم ذينة الحياة ، أو فئة الدنيا ، أو موضع التضامن فيها - أن تعلق الوالدين بأولادهم تعلقا شديدا ، بحيث يجعلهما لا يريان في الحياة الدنيا - سواء في مظهرها أو غيرها - إلا الأولاد إما بجانب المال أو في منزلة بعده .

بينما القرآن نفسه - في ذكره للوالدين لم يعب عنهما بأنهما في حياة الأولاد ذينة ؛ أو موضع ثقة وتضامن لهم ، بل في ذكره لهما ذكرهما على أنه يجب أن يكونا موضع رعاية من أولادهم : فقال في سورة النساء : « وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة البقرة يسألونك ماذا ينفقون ، قل ما أنفقتم من خير فلوالدين . . . وفي سورة لقمان : « ووصينا الإنسان بوالديه . . . وفي سورة العنكبوت : « ووصينا الإنسان بوالديه حسنا » . وفي سورة الأحقاف : « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا » .

وهذا الفرق في تعبير القرآن الكريم عن الأولاد والوالدين يدل على أن الصلة في سيرها العادى بين الطرفين ليست متباعدة ، وأنها في جانب الوالدين أقوى منها في جانب الأولاد .

ورسالة القرآن في هذه الصلة تهدف إلى أن تبلغ الطرفين إلى مستوى التكافؤ والتبادل في سلوك كل واحد منهما نحو الآخر : تهدف

ومنطلق التعبير عن الأولاد بأنهم ذينة الحياة ، أو فئة الدنيا ، أو موضع التضامن فيها - أن تعلق الوالدين بأولادهم تعلقا شديدا ، بحيث يجعلهما لا يريان في الحياة الدنيا - سواء في مظهرها أو غيرها - إلا الأولاد إما بجانب المال أو في منزلة بعده .

بينما القرآن نفسه - في ذكره للوالدين لم يعب عنهما بأنهما في حياة الأولاد ذينة ؛ أو موضع ثقة وتضامن لهم ، بل في ذكره لهما ذكرهما على أنه يجب أن يكونا موضع رعاية من أولادهم : فقال في سورة النساء : « وبالوالدين إحسانا » . وفي سورة البقرة يسألونك ماذا ينفقون ، قل ما أنفقتم من خير فلوالدين . . . وفي سورة لقمان : « ووصينا الإنسان بوالديه . . . وفي سورة العنكبوت : « ووصينا الإنسان بوالديه حسنا » . وفي سورة الأحقاف : « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا » .

وهذا الفرق في تعبير القرآن الكريم عن الأولاد والوالدين يدل على أن الصلة في سيرها العادى بين الطرفين ليست متباعدة ، وأنها في جانب الوالدين أقوى منها في جانب الأولاد .

ورسالة القرآن في هذه الصلة تهدف إلى أن تبلغ الطرفين إلى مستوى التكافؤ والتبادل في سلوك كل واحد منهما نحو الآخر : تهدف

ومنطلق التعبير عن الأولاد بأنهم ذينة الحياة ، أو فئة الدنيا ، أو موضع التضامن فيها - أن تعلق الوالدين بأولادهم تعلقا شديدا ، بحيث يجعلهما لا يريان في الحياة الدنيا - سواء في مظهرها أو غيرها - إلا الأولاد إما بجانب المال أو في منزلة بعده .

أموالكم ، ولا أولادكم من ذكراؤه ، وإذا
نظمى الوالدان بالأولاد عن ذكراؤه سواء
تقديرهما للحياة ، وطاقة ذلك الانحراف
في توجيه الأولاد ، وبالتالي الانحراف
في الاستمتاع بهم . فتكون حياة الطرفين
حياة عالية من الاستقرار النفسي ، مليئة
بالأحداث المفاجئة المزعجة .

هذا ما يطلبه القرآن في صلة الوالدين
بالأولاد ، سواء من جهة الوالدين أو من
جهة الأولاد أنفسهم . وما يطلبه هنا وهناك
نظم على اعتبار الفطرة الإنسانية ، التي لم
يلحقها شذوذ ولا تغلف في نموها وتطورها
ونظف هي حال الإنسان السائمة ، وهذه
الحال هي دائما الأساس في فهم توجيه القرآن
لصلة الوالدين بالأولاد ، والأولاد بالوالدين .

أما نهي القرآن الآباء عن قتل أولادهم
خشية الفقر ؛ كما في قوله تعالى : « ولا تقتلوا
أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم
إن قتلهم كان خطئا كبيرا » وقوله : « ولا تقتلوا
أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم » .
وكذلك حديث القرآن عن عداوة بعض
الأولاد لوالديهم . أما هذا والكفاية لا يقوم
على الطبيعة الإنسانية السائمة ، ولا يرسم
منهجها لطريقها العادي ، إنما هو علاج لحالة

إما يلحق عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ،
فلا تفل لها أف ، ولا تهترما ، وقل لها
قولا صكريما ، وانخفض لها جناح الذل
من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما كما
ربياني صغيرا .

وهو إذ يطلب من الأولاد هذه المعاملة
الرفيعة المهيبة في صلاتهم برالديه ، فطلبه
منهم رعايتهما بالإنفاق والسكنى أوجب
وأشد ضرورة .

وقد يضيف القرآن إلى اقتران طلب الإحسان
إلى الوالدين بطلب عدم الشرك في العبادة ،
الأسباب والدوافع التي من شأنها أن تدفع
الأولاد أصحاب الفطرة السليمة إلى السبر
بالوالدين والإحسان إليهما ؛ لأن هذه
الأسباب منزعجة من تطور الأولاد أنفسهم ؛
يقول الله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه
حمله أمه وهنا على وهن » . ويقول :
« ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ، حملته
أمه كرها ، ووضعته كرها » . ويقول :
« وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » .

بينما لم يطلب القرآن من الوالدين في صلاتهما
بأولادهما إلا عدم الاقتان بهم ، إذ الاقتان
بالأولاد من شأنه أن يلهمي الوالدين عن
ذكر الله ، وتنفيذ تعاليمه في حياة الإنسان ؛
يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم

الذي كانوا له قوة ؛ هو بعينه السبب الذي يكونون من أجله مصدر ضعف له .

تلك هي سنة الإنسان مع أقربائه : إيمان يقوى بهم ؛ أو يهضع بسببهم ؛ والقرآن الكريم أفصح عن هذين الجانبين في صلة الإنسان بأقربيه في الدم والنسب : يقول الله تعالى في بيان الجانب الأول : على لسان موسى عليه السلام مناجيأه : « وأخى هرون هو أفصح مني لسانا ، فأرسله معي ردأً يصدقني ، إني أخاف أن يكذبون . قال : ساعد عضدك بأخيك ، ونجعل لك سلطانا فلا يصلون إليكا بآياتنا ، أتيا ومن اتبعكما الثالوثون . » فطلب موسى أعاء هارون عليهما السلام ؛ من مولاها جل شأنه ليكون في محبة وليعنه ويحميه في رسالته .

وقد أجاهه المولى سبحانه وتعالى إلى ما طلبه وشهد عضده بأخيه وقوى به سلطانه وأمره ، ووحدهما بعد ذلك بالنفلة والنصرهما ومن يستجيب لمعروتهما . فالقراءة هنا كانت قوة ؛ لأنها بقيت في صون من الانحراف : لازمها الإخلاص ، وبقاء السريرة ، ووحدة الاتجاه . أما الجانب الآخر فتشبه قصة يوسف عليه السلام مع إخوته . انحرفت علاقة القرابة بينه وبينهم ، لحقدوا عليه ، وحاولوا أن يكيدوا له في أشجع صور الكيد ، وهي العمل على قتله ، والتخلص منه لتحلو لهم الحياة

طارئة ، علاج لانحراف غير شائع في طبيعة الآباء أو طبيعة الأولاد ، هو علاج لانحراف تحلقه البيئة المنحرفة إذا طال انحرافها . فالإحسان من جانب الأولاد إلى الآباء ، وعدم افتتان الآباء بالأولاد هو الطريق الأمثل إلى التكافؤ والتبادل في العلاقات بين الطرفين . وهذه سنة القرآن في كل جانب من جوانب الحياة الإنسانية .

صلة الأقارب بعضهم ببعض :

وعلى نحو ما سبق في صلة الفرد بنفسه ، وصلة بمجتمعه العام ، وصلة بأحد طرفي الزوجية ، وصلة بأحد طرفي الأبوة والبنوة يعالج القرآن الكريم صلة الأقارب بعضهم ببعض ، وما ابتغاه هناك يقصده هنا . والذي ابتغاه هناك : التبادل ، والتكافؤ ، والانجذاب وذلك هو الهدف هنا أيضا .

فأقارب الإنسان مصدر قوة للإنسان إن لم أخطئوا له . لأنهم عندئذ بالنسبة له أكثر من الإنسان العادي ، هم شركاء له في الدم ، وفي الطبائع الموروثة ، وفي العادات المألوفة ، وفي الميول والاتجاهات ، هم عضدته عندئذ ، وعدده ، وقومه بالمعنى الخاص .

ولكنهم أنفسهم قد يكونون مصدر ضعف وقلق له ؛ إن لم يحقدوا عليه ؛ لأن السبب

يعنى بهذه الصلة من الجهة النفسية والزوجية ،
ثم من الجهة المادية :

يقول الله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم

أولى ببعض في كتاب الله ، إن الله بكل شيء

عليم » . ويقول : « ذلك الذى يشر الله

عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل :

لا أسألكم عليه أجرا ، إلا المودة فى القربى » .

ففى هاتين الآيتين الكريمتين أبرز القرآن :

مدى حرصه على أن يعنى الأقارب بعضهم

ببعض فى صلاتهم . ففى الآية الأولى بأن

كون الأرحام والأقارب بعضهم أولى ببعض

فى رعاية العلاقات والترابط - أمر مسطور فى

كتاب الله ، ولم تخل منه رسالة من رسالات

السياء ، حتى القرآن الكريم . ودلالة هذا

التسجيل زيادة الحرص من قبل الله تعالى

على أن يعنى الناس بعلاقة القربى عناية شاملة ،

لا تقل فيها الساية بترضية النفوس والإبقاء

على صفاتها ، العناية بمساعدة المعوزين ، عند

القدرة ، من الأقوياء مساعدة مادية ، تقيم

شر الحقد على الأغنياء فيهم ؛ وشر الغل

الحاجة نفسها .

ثم بجانب هاتين الآيتين التين دلان على

طلب الرعاية فى صورها المتنوعة لملاقة

القرباة - نجد آيات أخرى تطلب إلى

المؤمنين أن يعنوا بأقربائهم ويسهموا

مع أبيهم . وينفردوا بصحبته ، يقول الله

تعالى : « لقد كان فى يوسف وإخوته آيات

للسائلين . إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى

أيننا منا ونحن مُصيبة ، إن أبانا لى ضلال

مبين . اقلوا يوسف أو اطرحوه أرضا ،

يخل لكم وجهه أيكم ، وتكونوا من بعده

قوما صالحين » . نعم لم قد نعموا بعد ذلك على

ما عقدوا عليه العزم وحاولوا تنفيذه ،

كما يدل عليه قوله تعالى : « فإله لقد آثر الله

علينا ، وإن كنا لخطائين » . وقوله : « قالوا

يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ، إنا كنا خاطئين » .

ولكن مع ذلك موقفهم كإخوة من أخ لم

أول الأمر قبل ذلك ، يعطى أن الأقارب

قد يدفعهم الحقد والانحراف فى علاقة بعضهم

ببعض إلى أن يكونوا مصدر ضعف وإزجاج

وقلق ، بدلا من أن يكونوا ، مصدر قوة ،

وعون ، وجه .

إذا كانت هذه سنة الإنسان فى علاقته

مع أقاربه ، وكانت قوته بهم أو ضعفه عن

طريقهم ، أمراً غير حادى - كان من السلامة

فى توجيه الإنسان نحو أقاربه أن تزداد علاقته

بهم ، كما تقضى طبيعة صلتهم به . وأن يكون

هناك تعادل وتكافؤ بين أساس هذه الصلة

ورعاية شأنها ، وهذا التوجيه هو ما يوحى به

القرآن الكريم فى هذا الجانب . فالقرآن

وبهم حاجة ، على غيرهم بمنهم خارج الأسرة :
 « فأت ذا القربى حقه ، والمساكين ، . . وآتى
 المال على حبه ذوى القربى ، واليتامى ، .
 « قل ما أنعمتم من خير فلو الذين والأقربى ،
 واليتامى ، . . وسئل الرسول عليه الصلاة
 والسلام عن الصدقة على القريب فقال :
 « له أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة ، .
 ولفظ الحديث في رواية النسائي والترمذي :
 « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم
 نكتان : صدقة وصلة ، .

هذا هو الدين في حياة الإنسان ، إن
 قورن بالقانون والفلسفة .

وهذا هو الإسلام على الخصوص في حياة
 الإنسانية بعد ذلك : وحدة في المعبود .
 وانسجام في سلوك الإنسان .

وتعادل في الأسرة بين الزوجين ، وتكافؤ
 في علاقة الأبناء بالآباء ، وتوازن في علاقة
 الأقارب بعضهم بعض ، إنه رسالة الله ،
 لتوجيه الإنسان . وطريقه هو الطريق
 المستقيم . اللهم اهدنا الصراط المستقيم ،
 صراط الذين أنعمت عليهم ،

المدير العام محمد البرهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

في سد حاجتهم ، لا بعنوان أنهم
 فقراء أو مساكين ؛ بل بعنوان أنهم
 أمراء ، يقول الله تعالى : « فأت ذا القربى
 حقه ، والمساكين ، وابن السبيل ، ذلك خير
 للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم
 المفلحون ، . . ويقول : « يسألونك ماذا
 ينفقون ؟ قل : ما أنعمتم من خير فلو الذين ،
 والأقربى ، واليتامى ، والمساكين ،
 وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فإن الله
 به عليم ، . . ويقول : « ليس البر أن تولوا
 وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر
 من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة ،
 والكتاب والنبين ، وآتى المال على حبه :
 ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ،
 وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب ، . .
 ويدل على زيادة اهتمام القرآن بطلب العناية
 بعلاقة الأقارب بعضهم بعض ، حتى تكافؤ
 مع منزلة هذه العلاقة في أصل وضعها ،
 وفي آثارها الطيبة إذا استقام أمرها -
 تفديده الأقارب في استحقاق الحصول على
 أموال البذل والعطاء - الذين ليس لهم يسار

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

- ٣ -

ما يقول : أقطعت رحمتك ؟ فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً ، فقال أناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال أناس : يأخذ برأى عمر ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الله يلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله يشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة » .

مَثَلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « فَن تَبْعِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ صَافَى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وَمَثَلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَثَلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَالَ « إِنْ تَعْنَبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وَمَثَلُكَ يَا عَمْرُوكَ ثَلِ نُوْحٌ إِذْ قَالَ : « رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا » . وَمَثَلُكَ يَا عَمْرُوكَ ثَلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ قَالَ : « رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَسْمَائِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » . أَتَمَّ عَالَةً فَلَا يَنْفُلْنَ أَحَدُكُمْ إِلَّا بِخَدَاءٍ أَوْ ضَرْبٍ عَنِّي » .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ : « مَا كُنْ لَنِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ ، تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » . لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسْكُمْ فِيهَا أَخْتَمٌ عَذَابٌ عَظِيمٌ . فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَانْفُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وَالْفُتُوحُ حَتَّى رَوَايَاتٍ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَكُلُّهَا ذَاتُ صِلَةٍ بِمَوْقِفٍ وَقَفَهُ عَمْرُودِيٌّ عَنْهُ ، فَمَا تَرَوَى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ . فَنَ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو أَبِي شَيْبَةَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ ، وَالتَّطَبُّرِيُّ ، وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمْ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ جَاءَ بِالْأَسَارِيِّ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ قَوْمِكَ وَأَمْلِكْ ، اسْتَبْقِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ عَمْرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ وَقَاتَلُوكَ أَقْدَمَهُمْ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : انْظُرُوا دِيَارَ كَثِيرِ الْخَطْبِ فَاضْرِبْهُمْ عَلَيْهِمْ نَارًا ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ وَهُوَ يَسْمَعُ

فقال عبد الله : يا رسول الله : إلا سهيل
ابن يضاه ، فأني سمعته يذكر الإسلام ،
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فـ
رأيتني في يوم أخوف من أن تقع عليّ
الحجارة مني في ذلك اليوم : حتى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إلا سهيل بن يضاه » ،
فأنزل الله تعالى : « ما كان لني أن يكون له أسرى
حتى يشخن في الأرض » ، إلى آخر الآيتين .
وروى أحمد ومسلم من حديث ابن عباس

هذه هي القصة التي ذكرتها الروايات في سبب
نزل هذه الآية والتي تأثروا بها في شرح
معناها ، وقد اتصلت بها بحوث كثيرة
ومشكلات عويصة ، وصار المفسرون يجتهدون
في تتبع هذه البحوث ، وحل هذه المشكلات .
فن هذه البحوث : الموازنة بين ما أشار به
أبو بكر من سياسة الترفق واللين ، وما أشار به
عمر من سياسة العنف والشدّة : أيهما خير
وأجدي على المسلمين ؟ فن الناس من رأى
موقف أبي بكر أصلح وأرشد بدليل أن النبي
صلى الله عليه وسلم مال إليه وارتضاه وعمل به ،
وأن القرآن مع نقده له قد أقره بعد وقوفه
ولم يأمر بنقضه ، ومن الناس من رأى موقف
عمر أصلح ، وقال : لو أن المسلمين أخلوا به
يومئذ لكسروا شوكة الشرك نهائياً ولما
قامت للشركين قائمة بعد ذلك اليوم ، ولكنهم
لم يأخذوا برأى عمر فلم يحض علم واحد حتى
قام المشركون بحربهم في يوم أحد وهزمهم

رضي الله عنه . والتفصيل لأحمد . قال : لما
أسروا الأسارى - يعني يوم بدر - قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر
ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر
يا رسول الله هم بنو المم والعشيرة ، أرى
أن تأخذ منهم فدية فتكون قوة لنا على
الكفار ، وصلى الله أن يهديهم للإسلام ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى
يا ابن الخطاب ؟ فقال : لا والله لا أرى الذي
رأى أبو بكر ، ولكنني أرى أن تمكثنا
فتضرب أصابعهم ، فتمكن عليا من حقيل
- أي أخيه - فيضرب عنقه ، وتمكثني
من فلان - نسيباً لعمري - فأضرب عنقه ،
ويمكن فلاناً من فلان - قرابته - فإن هؤلاء
أئمة الكفر وصناديدها ، قال عمر : فهوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر
ولم يهو ما قلت ، فلما كان الغد جئت فإذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

وحتى يجلس الرسول وأبو بكر - من أجل ذلك - مجلس اليافكين التاديين على النحو الذي تذكره الروايات .

وتفرعت على ذلك بحوث في جواز الخطأ على الرسول أو عدم جوازه ، وفي إقرار الله لهذا الخطأ أو عدم إقراره .. إلى غير ذلك .

وقد عدّ ذلك في موافقات عمر وهي المواضع التي نزل القرآن فيها مؤيدا لرأيه .

وعما يلاحظ أن البخاري لم يورد في صحيحه شيئا من هذه الروايات وإن كانت قد وردت من طرق أخرى من رجال السنة والشيعة .

ولبعض العلماء المعاصرين من إخواننا الإمامية - وهو المعصوم له البعثة العلامة الشيخ شرف الدين الموسوي من علماء لبنان - رأى في معنى هذه الآيات يخالف ما رواه الشيعة والسنة من سبب نزولها ، وهو رأى يستحق النظر ، ذكره في كتابه : النص والاجتهاد ، ص ١٨٢ .

وخلصه أن المسلمين كانوا حينئذ يولون لغزوة بدر متريدين ، وكان كثير منهم قد أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع بعد أن قاتبهم غير أبي سفيان ، فقد صح فيها رواه أصحاب السير ، أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه فقال لهم : إن القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول فما تقولون ؟ العير أحب إليكم أم النفير ؟ قالوا :

يومئذ شر هزيمة ، ويؤيدون ذلك بأن القرآن فقد موقف المسلمين في قبول الفداء ، ولوح لهم بأن القتل كان أولى حيث ذكر الإغثان في الأرض ، وقرر أنه لو لا قضاء من الله سبق بالرحمة لهم فيما أخذوا من الفداء عذاب عظيم .

ومن المشكلات التي أثيرت في هذا المقام : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مال إلى رأى أبي بكر وأصحابه وكانوا هم الكثرة . فكيف يميل الرسول إلى رأى خاطئ وهو المعصوم المؤيد من ربه ؟ لكن كان قد تصرف في ذلك بدون وحى من الله وكان عليه انتظار الوحي فإنه يكون مذنباً - وحاشاه - ولئن كان قد اجتهد بعد المشاورة والتدبر فاختر جانباً رأى فيه المصلحة بحسب رأيه ؛ فهو لا يخطئ أن يكون مجتهداً خطأ ، وقواعد الإسلام المتسلسلة عند جميع العلماء تقضى بأن المجتهد المخطئ غير ملوم ، فكيف يلوم الله تعالى رسوله والمؤمنين هذا اللوم الشديد حتى يقول لهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » - أى ما كان ينبغي ذلك وما يليق ، وحتى يقول لهم وفيهم رسول الله - : « تريدون عراض الدنيا والله يريد الآخرة » وحتى يقول لهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

الكافرين . . . هناك شبه واضح بين قوله تعالى : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، وقوله تعالى : « تريدون عرض الدنيا » ، كما أن هناك شبهة واضحة بين قوله جل شأنه : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » ، وقوله جل ذكره : « والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » ، ثم قال الله تعالى تنديداً هؤلاء : « ولو لا كتاب من الله سبق ، في عليه الأذى بأن يمنعكم من أخذ العير وأسر أصحابه » ، لأسرتم القوم وأخذتم عيرهم يومئذ ، ولو أنكم فعلتم ذلك « لمسكم فيها أخذتم » قبل أن تشعخوا في الأرض « عذاب عظيم » . ويصح أن يكون المراد بهذا العذاب العظيم : هو ما يصير إليه حالهم من الضعف والتخاذل والذل والخنوع والعار بعد أن يصبحوا في المدينة ولا هم لهم إلا سلب أعدائهم ما يعمرون به عليهم من تجارة وأموال ، فإن ذلك سيجمعهم يركنون إلى الاستمسك بالأموال والمكاسب من طريق الأسر والغنيمة ، بدون حرب وإثخان في الأرض فيكون لهم وضع أشبه بوضع قطاع الطرق ، وسيدفع ذلك أعدامهم إلى أن يفتقدوا فهم أنهم أصحاب أغراض وأعراض دينوية لا أصحاب مبادئ ورسالة إصلاحية ، ومن ثم يقوون عليهم وتضيق هيبتهم من صدورهم . هذا هو معنى قوله تعالى : « ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يشن في الأرض » الخ .

بل العير أحب إلينا من لقاء العدو ! وقال بعضهم حين رآه صلى الله عليه وسلم مصراً على القتال : « لا ذكرت لنا القتال لتأهب له ؟ » إنا خرجنا العير لا لقتال أو تغيير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون » . يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون . . . وحيث أراد الله عز وجل أن يقتلهم بمعدة النبي صلى الله عليه وسلم في إصراره على القتال وعدم مبالاة بالعير وأصحابه قال عز من قائل : « ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يشن في الأرض » . . . أي تلك سنة الأنبياء والمرسلين قبل نبيكم محمد ، فهو على سنة إخوانه ولذلك لم يبال إذ فاته أسر أبي سفيان وأصحابه حين هربوا بعيرهم إلى مكة ، لكنكم أتم تريدون - إذ تودون أخذ العير وأسر أصحابه - عرض الدنيا والله يريد الآخرة باستئصال ذات الشوكة من أعدائه ، والله عزيز حكيم ، والمزعة والحكمة تقتضيان يومئذ اجثاث عن العدو ، وإطفاء جمرته . وهذا هو المعنى الذي يتفق مع قوله تعالى قبل هذه الآيات : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين » - أي طائفتي العير أو النفير - « أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » - والمراد بها العير وأصحابها ، « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر

أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ ثقتهم قبل أن يشن في الأرض ؟ وأى إثنان بعد هذا الإثنان ؟ وكيف يتناولوه هذا اللوم الإلهي بعد إثنائه إلى هذا الحد ؟ تنزه رسول الله ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا يتبين أن قوله تعالى : « ما كان لني » الخ... مرتبط بما كان من المؤمنين قبل الغزوة ، من رغبته في المير دون التغير ، لا بما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من التشاور في الأسرى بعد انتهاء الغزوة بنصر المؤمنين ، وإذن فلا يشمل الكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شريكه عليه ، إذ لا خطأ منه . وإذا صحح واقعة التشاور في أمر الأسرى هذه فلا ضير من محنتها في هذا الإطار ، ولا ضير من اعتبارها اجتهداً من الرسول والمسلمين ، أخذ الرسول فيه بما هو أشبه بخلفه من الصفع والترفق والرحمة ، وانجبه عمر فيه إلى ما رآه مصلحة أصدر فيها عن طبيعته الرغبة في حسم الفساد ودرجه بالقوة ؛ احتياطاً من أن يستفحل الخطر على المسلمين ، ولم يتصل بهذا الشأن الشورى المصلحي قرآن بالخطئة والتصويب . والله أعلم .

محمد محمد المرندي

عبد كلية الشريعة

ولا يصح حمل الكلام على غير ذلك ، وأحسب من رجم أن رسول الله اتخذ الأسرى وأخذ منهم الفداء قبل أن يشن في الأرض ، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما فعل ذلك بعد أن قتل صناديد فريش وطراغيها كآب جهل ابن هشام ، وهبة ، وشيبة بن أبي ربيعة ، والوليد بن هبة ، والعامر بن سعيد ، والأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وأميرة ابن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وعقيل ابن الأسود ، ونفيع ، ومنبه ، وأبي البختري ، وحنظلة بن أبي سفيان ، وطعيمة بن عدي ابن نوفل ، ونوفل بن خويلد ، والحارث ابن زمعة ، والنضر بن الحارث بن عبد الدار ، وعمر بن عثمان التيمي ، وعثمان ومالك أخوي طلحة ، ومسمود بن أمية بن المغيرة ، وقيس ابن الفاكه بن المغيرة ، وحذيفة بن أبي حذيفة ابن المغيرة ، وأبي قيس بن الوليد بن المغيرة وعمر بن مخزوم ، وأبي المنذر بن أبي رفاع ، وحاجب بن السائب بن هويم ، وأوس ابن المغيرة بن لوزان ، وزيد بن مويهب ، وحاصم بن أبي عوف ، وسعيد بن وهب حليف بني عامر ، ومعاوية بن عبد القيس ، وعبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث ابن أسد ، والسائب بن مالك ، وأبي الحكم ابن الأخنس ، وهشام بن أمية بن المغيرة . إلى سبعة من رموس الكفرة وزعماء الشرك كما هو معلوم ، فكيف يمكن بعد هذا

فتح آية القرآن

ذكرى ميلاد الرسول

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) إن الله وملائكته يصلون على النبي .

(ب) يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

والملائكة فقد يمر بالخاطر أنه لم يعد بحاجة إلى صلاة أو تسليم من جانب الناس . . . ولكن درجات السجالات تصاعد عند الله إلى حد لا يحله غيره سبحانه .

وعند يستحق عند ربه أن يصعد في السجالات

أقصى مما تقدره عقولنا ، فانه - تعالى -

يمنحه ذلك الفضل ، ويفرض علينا أن نشهد

له بكثرة الصلاة والتسليم تحقيق ما هيأه له ؛

لتكون - نحن - مأجورين على ذلك ، ولتكون

ذكريات الرسول عامرة لقلوبنا ، وجارية على

ألسنتنا ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في

حديثه - ما من كامل إلا وعند آكل منه - .

وإذا كان تكريم الله لحمد يأخذ صفة

التشريع بالنسبة لنا ، فنالحق علينا أن

نستجيب لأمر الله ما استطعنا .

(١) بلغ من تكريم الله لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يحفه بالصلاة عليه من جانبه تعالى ومن جانب الملائكة ، وأن يأمر عباده المؤمنين أمر تكليف بالصلاة وبالتسليم عليه كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

ومعنى الصلاة من الله على رسوله :

رضوان يزداد ، ورحمات تتجدد ، ومعناها من

الملائكة استغفار له ، وطلب المزيد من

الرفقة ، وكذلك من المؤمنين : معناها الضراعة

إلى الله أن يضاعف تكريمه لمحمد ، وأن

يزيده طمأنينة ، وسلاماً عليه معناه : التحية

له ، وطلب الأمان له من جانب ربه ليظل مقامه

في صعود ، وليظل آمناً على أمته أن تكون

غير أمة ، وأن تكون شفاعته مستجابة لها .

ومق بلغ السجالات بمحمد أن يصل عليه ربه

الآخرين ، بذلك شأنا مع أبنائنا في ذكريات الميلاد ، وما يحف بها ، أو يعقبها من خواطر وآمال ، ونتائج .

فأين من هذا كله ما لقيه محمد من حفاوة قومه بمولده — أولا — ومن تقديرهم له — أخيرا — ٩٩ .

كان مؤسفا لقريش ولعبد المطلب خاصة ، أن يفقده ولده عبد الله في سفره إلى المدينة ، إذ لم يكن هذا الشاب أميرا على إخوته عند والده فقط ، بل كان شابا مرجو الخير بين شباب مكة ، وكان مرموقا أكثر من سواه . ولكن عوجل بالموت مأسوفا عليه . . . وترك زوجته — آمنة بنت وهب — حاملا في أول أيامها . . . فتعلق أمل الجد وأمل بيته أن يحمي " الحبل غلاما ، ليكون عوضا عن أبيه ، وسلوة لأهله .

وما كانت البشرى — بعد — تطرق مسامع عبد المطلب بمولد الغلام ، حتى حاجه الفرح وانتش فيه الأمل ، واقترح أن يكون اسم المولود — محمدا — .

وكانت هذه تسمية مفاجئة غريبة عند قريش ؛ لأنه اسم جديد عليهم ، لم يمهده فيها مرهم ، فاعترضوا على عبد المطلب لأختياره اسما يخالف ما تمارقوه عن أسلافهم فأجلهم عبد المطلب : سميت محمدا ، واجيا أن يكون على صفات يحمدها الناس له .

فألهم صل وسلم على رسولك محمد ما دام فضلك محمدا ، ونصبتك سائفة ، واجعل حبه في كل قلب ، وذكره على كل لسان ، حتى نبأ من عهدة التكليف ، ونكون أهلا لشعاعته يوم لقاءك .

وبعد :-

ففي ذكريات الميلاد للأبناء إحياء وتمجيد لتاريخ استجلائهم فيه ، وتجديد لفرحة غمرتنا بمولدهم واستجابة لصاطفة مشجوبة دائما بحب الوالدان وبالحبب عليهم ، واتماس الخير لهم ، وارتقاب الأمل فيهم . فإذا شب الوليد ، وبلغ مبلغ الرجولة لم يصد حسابنا معه حسابا عاطفيا ، فقد تخطينا به صمد الترفق ، وتجاوزنا معه زمن التذليل .

بل أصبح موقفنا منه موقف المقاصفة . فإذا صدق أملنا فيه ، وكان لأهله وقومه ، أصطياء من تقديرنا له كفاء ماله من فضل في أهله وبين قومه . وحتى علينا تكريمه ، والإشادة بما أثره ليكون قدوة متبوعة ، ولتكون ذكراه منار الاعتداء ، ومشار الاستلham فيظل نفعه موصولا ، وحياته خالدة حتى يصد بمائة — والذكر للإنسان عمرتان . . .

وقد كانت الذكري قديما أمنية إبراهيم عليه السلام . واجعل لي لسان صدق في

عن إرادة باهرة ، ولا يستسيع عقل أن يكون لهذا الإبداع إله معبود غير خالقه الذي أحكم تدبيره ، وسيره .

فما هذه الأصنام التي تحتفى بها قريش وهي أحجار منحوتة ، وما هذا الضلال الجاهل على عقول خلقت للتمييز وحسن الإدراك ، ولكن ما السبيل إلى التخلص من هذه الورطة وترك هذه الأباطيل ، والاتجاه إلى الحق من طريقه المأمونة ، هذه سورة هادئة تشرح في نفس محمد ، وتسبب بخواطره في صبحه ومساءه وفي غمومه ورواحه ، وفي وحدته واجتماعه وهو يود لو تكشفته تلك الأسرار ليعرف ما لا يعرفه ، وليشفي نفسه من هذا القلق اللاعج ، وفي ليل ساج أو ظلة موحشة ، وغلوة رهبة في رأس الجبل ، وبينما محمد تغمره خواطره تلك ، ويستغزه الألم ، ويغمره الأمل بين جدران القار - ظارحراء - إذ يهبط عليه الملك أمين الوحي - جبريل عليه السلام ويلفه أمر به أن يقرأ .

وماذا يقرأ محمد ، وكيف ، وهو لم يجلس إلى معلم ، ولم يتعود أن يمسك قلم ، ولا يستطيع أن يقرأ كلمة ؟ .

ولكنه بمعونة الله - الذي اختاره أميا - يتابع جبريل ، فيردد ما أوحى إليه ، اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .

وكان عبد المطلب كان ملهما في اختياره ، أو كأنه كان مقتضا بصدق منام بأنه آمنة أنها ستلد مولودا يكون محمدا .

وقد صدقت الأيام لإلهام عبد المطلب ، أو منام آمنة ، أوهما جميعا : إذ أن محمدا أخذ يتدرج في طفولته وشبابه على نمط من سمو الخلق لم يألفوه ، ولم يمهده في غيره . وأخذت حياته تتبلور في إلهاب من الكمال يشير العجب من وقت إلى وقت عند شيوخ مكة وشبابها ، إذ كانوا يجتمعون للسمر أو يشربون ، ويمرحون ، وبأخفون من اللهو بضروب غير محدودة ، ومحمد وحده بنجوة من هذا كله .

وكنا مررت به الأيام يمينوا من محمد في كلامه وتفكيره ونزاهته ، ومعاملته : ما يشعرون أن لهذا القى شأنا فوق ما يظنون ويقدررون . حتى كان من جنوحه إلى العزلة أن ينهب حينما بعد حين إلى الجبل لينخلو بنفسه ، ويفكر فيما حوله أو فيما يشهد من مظاهر الكون : فهذا نهار وليل يتعاقبان ، وشمس وقمر مختلفان ، وهذه نجوم تبدو ثم تغيب ، ورياح تهب وتسكن وأمطار تهمر وتسكف ، وكل هاتيك المشاهد ونحوها آيات مسطورة ، وعجائب مشورة : ومحمد يتابعها بنظره ، وتأمله ويدرك من أمرها أن هذا الوجود صادر عن قدرة جبارة قاهرة ، وأن تصرف هذا الكون

إصلاح بيته ، وإيقاظ البشرية من ضلالتها .
 « إذ كانت - ثانياً - مع محمد ﷺ ذاتياً له بش
 وللمروبة كلها أهمل تلفت قومه إلى ما ينبغي
 من تقديرهم له : كما يقتضى الوفاء ، وكما هو
 المظنون في وفاء العرب خاصة ؟ كان محمد باراً
 بقومه ، وبالناس جميعاً ، ولكن فتوة الدنيا
 بأسرها في هداه وإصلاحه .

فلماذا انصرف عنه أكثر أهله ، وطرخوا
 عصيتهم له ، ووفاءهم نحوه ، ولم يحفلوا
 بذكرى ميلاده بعد - كما نخفل نحن بذكرى
 الميلاد لأننا تأملنا على ما بين المقامات من بعد
 صديق ؟؟ .

تحكمت فيهم الضلالة ، واستبد بهم الحقد ،
 وتغلغت الأنانية وحسب السيادة ، فكانت
 جفوتهم لمحمد فوق كل جفوة ، وكان إسرارهم
 في الشكاليه ، حتى اصترموا قتله ليطفئوا
 نور الله الذي انبثق في دنياهم برسالة محمد ،
 ولكن الله أحبط كيدهم ، وأخزى وجوههم ،
 وأبدله منهم قوماً آخرين طاعوه على النصرة ،
 وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ، والله متم
 نوره ولو كره المشركون .

نعم ! لم تكن من قرين حفاوة بمولد محمد
 - لا : أولاً - ولا : أخيراً - .

ولكن الله تكفل لمحمد بأبلغ حفاوة

وإن تكن الأمية مانعاً من القراءة فقدرة
 الله تغلب كل مانع ... وإن تكن الأمية
 تقبض أديبة فهي بالنسبة لمحمد وحده كال ،
 وتزكية ... إذ هي سياج له من تشكيك
 المكذبين - بعد - فيما يوحى به إليه .

وهي الحجة البامقة على أن عليه كله من
 عند ربه ، لا من علم الناس ، ولا من طريق
 الناس « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى
 نوح والنبيين من بعده » .

ومنذ ليلة الوحي بالقرآن خرج محمد عن
 عزلته ، وجاهر بدعوته ، وثابر على جهاده
 واستعان بكل ما لقي من عناء وصعاب حتى
 نهض في الدنيا دين حق تقوم عليه الحياة ،
 وتوافر فيها علم يمتدى بنوره الأحياء ،
 وارتسم للعالم نهج خلق صحيح يسو بالناس
 إلى مشارف الإنسانية الكريمة .

وإنه لعجب : أن تكون القراءة والكتابة
 والإشارة بالقلم ، وبالعلم هي التوجيهات
 الأولى في رسالة هذا النبي الأمي ! وأن تكون
 دعوته قائمة على امتداح العلم والترغيب فيه ،
 وتمجيد أهله حتى كانت مكاتهم فوق مستوى
 الناس من غير أهل العلم ولو كانوا ملوكاً
 « قل : هل يستوي الذين يعنون ، والذين
 لا يعنون ؟ » .

ثم إذ كانت رسالة محمد بهذه المثابة في

فقصده عليهم ، وجعل قدره فوق الأقدار على هداه ، ومعاملتنا وحياتنا كلها مستمدة وكرمه على الناس جميعاً . وأوجب علينا من توجهاته . وحينئذ لنكون كرمنا نبيينا الحفاوة به في مداومة الصلاة عليه والتسليم ، نكريماً عملياً مشكوراً عنده وعند الله . قل وأن خير ما يرضى محمداً من تكريمنا له إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر أن تكون أخلاقنا من أخلاقه ، وسيرتنا لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم .

هذا - وقد أوجزنا القول في حدوده المقبولة .. ولكننا نلحظ في ملاح الأحداث التي لها بروز في حياة الرسول أن أكثرها وقع في يوم الاثنين ، ولابد لهذا من حكمة ونحن نذكرها ، ولعل في اتجاه القراء إليها ما يحفز بعضهم على بيان ما لم نعرفه من حكمة هذا التوافق :

- ١ - ولد - صلى الله عليه وسلم - ليلة الاثنين ١٢ من ربيع الأول عام الفيل سنة ٥٧١ م .
- ٢ - أول منام رآه من منامات النبوة ليلة الاثنين من ربيع الأول سنة ٦١١ م .
- ٣ - نزل عليه القرآن ليلة الاثنين من رمضان سنة ٦١١ م .
- ٤ - خرج من غار حراء يوم الاثنين من ربيع الأول سنة ٦٢٤ م سنة ١٣ من الرسالة .
- ٥ - وصل إلى قباء يوم الاثنين من ربيع الأول سنة ٦٢٤ م سنة ١٣ من الرسالة .
- ٦ - خرج لغزوة بدر يوم الاثنين ثامن رمضان سنة ٦٢٤ وكانت الموقعة في ١٧ .
- ٧ - كان الإسراء والمعراج ليلة الاثنين - صلى الأرحم - قبل الهجرة بستة .
- ٨ - كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين طائر ربيع الأول سنة ١٠ من الهجرة هذا وفوق كل ذي علم عليم ٩ .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

وأستاذ في كلية الشريعة

محاولات شيوعية فاشلة

في العصر القديم

للاستاذ الدكتور علي عبدالوحداني

لم يحل العصر القديم من محاولات لتطبيق النظام الشيوعي ومن مذاهب فلسفية اجتماعية تقوم على أساس هذا النظام . ولكن هذه المحاولات جميعاً قد كتب عليها الإخفاق ، سواء في ذلك العمل منها والنظري ، وذلك لما ينطوي عليه النظام نفسه في جوهره من فساد ذاتي ، وتعارضه مع اتجاهات النزعات الفردية . ومع السنن التي يقوم عليها العمران الإنساني ، وتعتمد عليها العلاقات التي تربط الناس بعضهم ببعض . وكانت المواقف لهذه المحاولات ترجع دائماً إلى اضطراب الحياة الاقتصادية ، واختلال توازنها ، وسوء توزيع الثروة ، واتساع الفروق بين الطبقات ، واستعلاء بعضها على بعض ، وشدة الفقر والعوز في الطبقات الدنيا ، وهي التي تتألف منها في العادة الأغلبية الساحقة من الشعب . ومن أشهر هذه المحاولات محاولة والحسين في بني إسرائيل ، ومحاولة دليكورغوس ، و أفلاطون ، عند قدامي اليونان .

أما فيما يتعلق ببني إسرائيل ، فقد أتت

لم في العصر القديم فرص كثيرة للإثراء واستئثار الأموال . وقد أفاد من هذه الفرص أكبر لفائدة بعض طبقات وبعض أفراد من بني إسرائيل ، فملكوا الضياع والقصور ، وغرقوا م و نساؤهم وأولادهم في الترف والنعم ، وظهرت الفروق واسعة صارخة بينهم وبين سائر أفراد الشعب في مآكلهم ومشاربهم وزيتهم ومساكنهم وسائر شئون حياتهم ، واستملوا على غورهم استعلاءً كبيراً [١] . وكان لابد لهم ، لكي يبقوا على مستواهم المعيشي والاقتصادي ، أن يمتنوا في ابتزاز الطبقات الدنيا وتجريدتها من كل شيء . ولم يكونوا لينخشوا من جراء ذلك جزاء ولا حساباً . فقد كانوا هم الصفوة المختارة ، الذين يراقبون الناس ولا يراقبون ، ويحاسبونهم ولا يحاسبون ، وكانوا قادة الشعب وحكامه ، يبدم الحل والعقد ، وعن طريقهم تسام الأمور . وكانوا لا يتورعون في سبيل الإثراء

(١) انظر أوصاف طبقة المرحون في مظهر أسرار « الأنبياء » من العهد القديم ، وخاصة في الإصحاح الثالث من « أشعياء » Isaie ، Isaie حيث يصف الترف في ساء هذه الطبقة في فترات ١٦-٢١ .

والشقاء وقد وصف ذلك النبي أشعياء في أبلغ عبارة إذ يقول : « ألا أنسأ لأولئك الذين يمدون ملكياتهم من منزل إلى منزل ، ومن حقل إلى حقل ، حتى لا يكون ثمة موضع قدم لغيرهم ، وحتى يستأثروا وخدم بسكنى هذه البلاد » (١) .

وقد أدت هذه الأوضاع الاقتصادية الفاسدة إلى ظهور اتجاهات شيوعية حمل لواء ثلاثتها في القرن الثاني ق م جماعة الإيسينيين أو الآزين أو الحسدنيين Esseniens (٢) . فقد نددت هذه الجماعة بنظام الملكية الفردية وما يجره هذا النظام على المجتمع من نتائج وخيمة ، ونادت بالملكية الجماعية ، ووجوب المساواة بين الناس ، وأن يعيش العالم في سلام دائم ، وحاربت البذخ والترف والحياة الناعمة التي كان يحياها الأغنياء ، ودعت إلى الزهد والتقتشف ، وطبقت مبادئها على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلي ، وطاشوا جماعات حول شواطئ " البحر الميت " . فقد ألغوا فيها بينهم نظام الملكية الفردية ،

عن الالتجاء إلى أخس الوسائل . فكانوا يأكلون السمك ، ويمدون أيديهم للرشوة ، ويسلبون أموال الضعفاء واليتامى والأرامل ، ويقرضون المعوزين من بني إسرائيل وغيرهم بربا قاحش (١) ثم يستولون على أراضيهم سداً لأديونهم أو يبيعونهم ويبيعون أولادهم وزوجاتهم بيع الرقيق .

فاستعالت من جراء ذلك معظم الأراضي إلى إقطاعيات كبيرة يملكها عدد محدود من الأفراد والطبقات ، وتكدست كذلك معظم الثروات الأخرى في أيدي هؤلاء ، حتى لقد ضاقت بها بيوتهم ، ولم يقسو البشر على حراسها ، فلبثوا إلى بيت الله ، إلى المسجد الأقصى ، واتخذوا فيه ألقافاً ومقارنات وخزانات يحفظون فيها ثقودهم وتحفهم وأحجارهم الكريمة والتمين من أموالهم ، حتى تكون في حراسة الإله نفسه وروايته . فاستحال بذلك المعبد إلى بنك ، يهودى لحفظ ودائع بني إسرائيل ، وكان من نتائج ذلك أن اختفت الملكيات الصغيرة أو كانت وأن هوت دعماً الشعب إلى أسط منزلة في البؤس

(١) أشعياء Essaié الإصحاح الخامس ،

فترات ٨ - ١٠ .

(٢) انظر التعليق الأول بمصحة ٣١ من عدد المحرم سنة ١٣٧٩ من مجلة الأزهر في مقالنا عن " موقف اليهودية والمسيحية والإسلام من العزوبة " . فقد ذكرنا في هذا التعليق ترجمة موجزة لهذه الجماعة .

(١) مع إن الربا كان بحسب شريعتهم محرماً التعامل به بين الإسرائيليين بعضهم مع بعض : « فكأن تحصل على قايمة من الأجنبي ؛ ولكن لا يحمل لك أن تفعل ذلك مع أخيك » (التثنية ، الإصحاح ٢٣ ، فقرة ٢٠ وإصحاح ١٥ ، فقرة ٣) .

بهما . وبالف معظمتهم في تطبيق هذه المبادئ
لحرموا على أنفسهم الزواج .

ولم يكن لهذه النظم الإسيينية المتطرفة أثر ما
في حياة بني إسرائيل . فلم تطبق إلا في نطاق
جماعة الإسيينيين أنفسهم ، وفي مواطن منعزلة
عن الناس . وهكذا يكون مصدر كل نظام
يحاول علاج أمر فاسد بما هو أشد
منه فسادا .

• • •

وأما فيما يتعلق بقضايا اليونان فقد حدث
لهم في هذا الصدد ما حدث لدى بني إسرائيل
سواء بسواء . فقد أتيت لهم كذلك فرص
كثيرة للإثراء واستثمار الأموال ، وأفاد من
هذه الفرص أكبر إفادة بعض طبقات وبعض
أفراد ، حتى ظهرت الفروق واسعة صارخة
بينهم وبين بقية طبقات الشعب وأفرادها .
وكان لا بد لهم . لكي يحافظوا على مستواهم
أن يعمدوا في إجزاء الطبقات الدنيا وتهميدها
من كل شيء . وكانوا لا يتورعون في سبيل
الإثراء عن الاتجاء إلى أخس الوسائل .
فكانوا يأكلون السمك ، وينهبون أموال
الضعفاء ، ويقرضون المعوزين بربا فاحش ،
ثم يستولون على أراضيهم سدادا لديونهم
أو يبيعونهم ويبيعون أولادهم وذرياتهم
بيع الرقيق . وبالجملة أصبحوا كما وصفهم

وجعلوا جميع ما تحت أيديهم من أرض
ومنتول وملابس وأطعمة ومناج ملكا
جماعيا شأنها يحفظ ما يزيد منه على الحاجة
المعجلة في مخازن عامة ، ويشرف على شئون
إدارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم
بطريق الانتخاب العام المباشر ، وبضرغون
كل التفرغ لأعمال وظيفتهم هذه . وحتى
المتازل نفسها اعتبروها ملكا جماعيا ،
وتركوها في كل قرية من قرى مفتحة
الأبواب لكل « رفيق » من جماعتهم ، سواء
أكان من أهل القرية أم قادم من خارجها .

وكما ألغوا نظام الملكية الفردية فيما بينهم
ألغوا كذلك نظام الرق . لجميع أفراد
جماعاتهم كانوا أحرارا متساوين . وقد
حرموا على أنفسهم الاشتغال بالتجارة ،
لما تبعث في النفوس من جشع ، وحرص على
جمع المال ، وجنوح لا يتردد الناس ؛ كما
حرموا الاشتغال بصناعة الأسلحة والذخيرة
وسائر آلات الحرب ، لتنافر الغاية التي تقصد
من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم ، وهي أن
يعيش العالم في سلام دائم . ولذلك اقتضت
أعمالهم على الزراعة والصيد وما يحتاجون إليه
ويتصل بهما من الصناعات . واقتضت مبادئهم
في الكشف والزهدي أن يحرموا على أنفسهم
استخدام الذهب والفضة واقتناءهما والتعامل

الفردية للأرض وأعاد تقسيم أرض لاكونيا إلى ثلاثين ألف قطعة متساوية القيمة بعدد الأسرات الإسبرمية حيثئذ ، وأعطى كل أسرة قطعة منها . فأصبحت ملكية الأرض جماعية وأصبح جميع الأسرات سواسية كأسنان المشط . وجعل الدولة نفسها ، أى للجمع العام ، نصيبا كبيرا من غلة الأرض ودخل الناس في مختلف مظاهر الإنتاج . وفى مقابل ذلك تنفق الدولة على جميع الشئون العامة وأعمال الحرب وتأخذ على عاتقها تربية جميع الأطفال الذكور وتنشئهم تنشئة عسكرية على تفقها وفى دورها الخاصة . وكان كل وليد من الذكور يخبر بولته وقواه الجسمية على يد أمه أولا وعلى يد رؤساء عشيرته ثانيا ، ولا يسمح ببقائه إلا إذا ثبتت من هذين الاختبارين خلوه من جميع مظاهر المرض والضعف والعمات . فلكى تؤكد الأمن صلاحية ولدا للحياة فى نظر مجتمعه كانت تغمره عقب ولادته فى دن من النئيد وتركه مغموسا وقاما : فإن عاش بعد ذلك دل هذا على قوة بنيته واستحقاقه التربية ؛ وإن مات أدت الأم واجها نحو المجتمع بأن خلطته من كائن ضعيف لا يستحق الحياة فى نظره . وكان الولد الذى تبقى عليه أمه يعرض على جمع شيوخ القبيلة ودموسيا : فإن وجدوا أنه سليم معافى أقروا بقاءه نهائيا ؛ وإلا حكموا

أوسطو ، يحرصون على جمع المال أكثر من حرصهم على الشرف . فاستحالت من جراء ذلك معظم الأراضى إلى إقطاعيات كبيرة يملكها عدد محدود من الأفراد والطبقات ، وتكدست كذلك معظم الثروات الأخرى المتقولة فى أيدي هؤلاء ، حتى إن أراضى لاكونيا Laconie التى كانت عاصمتها إسبرطة كانت فى عهد الملك أجيس الثالث Agis III ملكا لنحو مائة شخص لحسب ، وبجانهم عشرات الألوف لا يحدون الكفاف من العيش . وفى أثينا ، كما يقول أوسطو نفسه ، تكدست الثروات فى يد عدد محدود من الأفراد ، بينما كان السواد الأعظم من الشعب يتجرح كشمس البؤس والشقاء ، ويعيش أحراره فى منزلة لا تزيد كثيرا على منزلة الرقيق ، بل لقد كان كثير منهم يحدد جماعة الرقيق على مام فيه .

وقد أدت هذه الأوضاع الاقتصادية الفاسدة إلى ظهور اتجاهات شيوعية يرجع أهمها إلى اتجاهين : أحدهما نظام عملى حاول المشرع الشهير ليكوردغوس تطبيقه فى إسبرطة ؛ والآخر مذهب فلسفى نادى به فى أثينا كبير فلاسفتهم أفلاطون فى كتابه «الجمهورية» .

أما ليكوردغوس (القرن التاسع ق - م) فقد حقق فى إسبرطة نظاما شيوعيا مبتكرا لم يسبق إليه . وذلك أنه ألغى نظام الملكية

وعلى الرغم من أن إسبرطة لم تكن مجتمعا طيبيا مستقرا ، بل كانت أشبه شيء بمعسكر في حالة حرب بالفعل أو في حالة تأهب للحرب ، ومع أن هذا النوع من المجتمعات غير المستقرة يمكن أن يحكم وقتاً ما نظم تختلف عن قوانين الاجتماع المستقر العادي ، على الرغم من هذا كله فإن نظم ليكورغوس الشيوعية قد أخفقت إخفاقاً مبدئياً ، حتى لقد اضطر هو نفسه إلى تعديلها وإعادة توزيع الأرض أكثر من مرة . وقد اختلف التوازن كذلك من بعده عدة مرات ، وكان كلما اختلف التوازن يفكر في ولاء الأمور في إعادة تقسيم الأرض أو يشرعها فعلا في إعادة تقسيمها على النحو الذي فعله ليكورغوس .

• • •

وأما أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٨ ق م) فقد ود لو أصبحت أثينا مدينة فاضلة ، تدير على نظام شيوعي قريب من النظام الذي طبقه ليكورغوس في إسبرطة . وقد رسم في كتابه « الجمهورية » ما ينبغي أن تكون عليه الحياة ونظم الحكم وشئون التربية وسائر فروع الاجتماع في هذه المدينة الفاضلة . فذهب إلى أن المجتمع ينقسم ثلاث طبقات : طبقة الزراع والصناع ، وهؤلاء قد خلقهم الله للعمل الجسدي لحسب فلا يصلحون لأي عمل آخر ؛ وطبقة الحاربين وهؤلاء

بقضه في عارج الحدود . والوليد الذي يجتاز بنجاح هذين الاختبارين كان يعهد بمحاضته إلى أمه تحت إشراف الدولة نفسها حتى إذا تجاوز سن المحضنة تسلمته الدولة وقامت بتربيته تربية عسكرية وإعدادة لشئون الحرب في معسكرات عامة وعن طريق مربين ومعلمين ومدرسين من الجيش . فإذا بلغ سنه الجندي التحق بالجيش العامل ، وظل به حتى بلغ السن التي لا يقوى فيها على مباشرة أعمال الحروب . وهكذا كانت دولة إسبرطة كلها أشبه شيء بمعسكر محارب أو متأهب للحرب . ومن ثم خضعت جميع نظمها الاجتماعية ومختلف شئون حياتها لمقتضيات الحروب . فكان نظامها الاقتصادي أدنى إلى ما نسميه الآن بالنظام الشيوعي : تملك الدولة بمقتضاها قسما كبيرا من ثروات البلد ومنتجاته ودخله ؛ وتقوم هي نفسها بتربية قسم كبير من أهله وتسخيرهم في شئونها العامة . وأنشأ ليكورغوس بجانب ذلك نظام « الموائد الجماعية » . ويقوم هذا النظام على تناول الرجال الأطلعة في جماعات صغيرة تتألف كل جماعة منها من خمسة عشر شخصا على نظام العشائر ، ولكل جماعة ردة خاصة تتناول فيها طعامها . وكان يجب على كل إسبرطي الاشتراك في هذه الموائد وحضورها . فما كان يسمح لأحد ، كما يقول بلوطارخوس Plutarque ، أن يسمن وحده خفية وفي الظلام كأنه يعمل البهائم المشقة .

الملكية ؛ فلكية كل واحد منهم ثول إلى الدولة بعد وفاته .

ولم تحاول أثينا تطبيق نظام أفلاطون ولا الأخذ بأية ناحية منه ؛ بل كان موضوع محمية مفكرها وشعراتها . ففي قطعة تمثيلية لشاعر الملهاة (الكوميديا) الشهير أريستوفان Aristophane (قصص كوميدي في القرن الخامس ق - م) عنوانها « جماعة النساء » L'assemblée des Femmes بصور الشاعر ما يكون عليه الحال في هذا المجتمع الشيوعي الغريب ، فيظهر مواطننا يونانيا يخنى جميع أمواله ولا يقدم اشتراكه في الموائد الجمعية ، ولكنه يتسلل إلى هذه الموائد يأكل منها حتى يئثم ثم يذلف إلى منزله ساخرا من حق بعض المواطنين وسفهم إد يقدمون أموالهم وكدح أيادهم إلى ما يسمونه « عخان الموائد العامة » .

وقد تبين لأفلاطون نفسه في أواخر حياته أن نظام جمهوريته هذه متعذر التطبيق في بلاده بل في أي بلد آخر كذلك ، نظرا لما ركب في طبيعة الناس من نوازع وشهوات . فصل في كتابه « القوانين » عن معظم آرائه هذه ، وأقر الملكية الفردية في حدود أوسع من الحدود التي أقرها في كتابه الأول « الجمهورية » ورأى أن ينال أفراد الشعب جميعا - بما في ذلك طبقة الزراع والصناع - قدرا مشتركا من التعليم العام .

علي عبد الوارث وافي

يعطلون بثئون الدفاع عن الأوطان ؛ وطبقة الفلاسفة ، وهؤلاء يتولون شئون الحكم ويديرون سياسة البلاد .

وتقسم الناس إلى هذه الطبقات بحسب استعداد كل منهم ووفق نظام معقد فصله في كتاب « الجمهورية » ، ولا يتسع المقام لبيانها الآن ، والقيام بترتيبهم وإعدادهم لوظائفهم المستقبلية ، كل هذا تقوم به الدولة نفسها على نهقتها ، وبدون تفرقة بين الذكور والإناث . فالنساء كل واحدة منهن حسب استعدادها - بشاركن الذكور في جميع شئون الحياة - فتكون منهن الصانعات ، ومنهن المحاربات ، ومنهن المتخرجات في مدارس الفلسفة العالية اللائي يعطلن بثئون الحكم .

وضى عن البيان أن نظاما كهذا يقتضى أن تكون الدولة نفسها هي المالكة لمعظم الثروات ومصادر الإنتاج في البلاد ، وأن تجرى الحياة على نظام شيوعي تسمى فيه الملكية الفردية أو لا يكون لها فيه شأن ذو بال . وقد رأى أفلاطون أن يطبق هذا النظام الشيوعي في أدق معانيه على طبقة المحاربين . وأما طبقة المزارعين والصناع فيبدأنه يسمح لهم بشيء من الملكية الفردية وبشيء من حرية التصرف في ثروتهم ، على أن يدفعوا للدولة ضرائب تستعين بها في شئونهم وشئون الطبقات الأخرى . ولكنه لم يعطهم حق توارث

خواطر من الحجاز

كنوزنا في طريق الضياع

للأستاذ سعيد الأفغاني

الأستاذ بجامعة دمشق

هذه القضايا وأمثالها وبسط شكوى مئات الألوف وعرض الحل . . . فإن الناس في المسؤولين هنالك آمالاً عرضاً في حسن الاستماع وسلوك الجادة متى وصحت لهم . ولقد بلغني أن مهرجانات دولية تقام في المدن الأوروبية فيبلغ زوارها في بعض الأحيان الملايين لا يضام منهم أحد في إقامة ولا تنقل ولا حصول على ما يجب له من غذاء ورعاية صحية ومسكن صالح وما إلى ذلك . . . ولولا أمل باستعداد العربية السعودية للخير لما تمت ظريفاً : مذهب ألا يحج حتى يدخل الألمان في الإسلام فينسقوا لناشئون الحج بما عرفوا به من عقلية منظمة لا يستعصى عليها شيء . وقد - والله - بالغ هذا الطريف في تشاومه ونفى أن النظام والنظافة والرفق بالناس معان إسلامية تحققت في المجمع الإسلامي يوم كان الإسلام يحكم ، يعرف هذا كل منصف ألم بالتاريخ الإسلام الواعي .

ونعد : فليس حديثي اليوم متعلقاً بشيء من هذا ، لكنها كلمة على الهامش كما يقولون ،

بلغت دمشق بعد غياب أربعين يوماً في الحجاز ، وحطت عن كامل من مشاق الحياة هناك وتكاليف الإيجارات وعنتها في الإدارات والشركات ما كان أشد على النفس من حر الهواجر ولهب الصحور المتوجهة ، وعانى غيري من الحجاج أكثر مما عانيت بكثير .

وواجب على كل عائد أن يلفت النظر إلى بواحد الشكوى وما ينبغي بذله لإزالتها ، فإن الداء لا يذهب بالسكوت عليه ، بل برفع العقيرة وهو المسؤولين حتى يقوموا ببعض ما عليهم من الإصلاح - وهم عليه جد قادرين - فيعالجوا قضايا الحل والترحال وإقامة الحجاج بمكة ومنى وعرفات ، ببعض الرفق بالإنسان الذي تشد حاجته هناك إلى ظل وماء غير مقل وهو غير ملوث كما يحسن أن نشره أحياناً - ولو قليلة - بأنه شيء آخر غير كونه مستغلاً للطوفين والموظفين والباعة والشركات .

وودت لو تفرغ بعض القادرين لعلاج

فيه المياه العذبة ، ثم حبست الأوقاف الدارة على هذه المؤسسات الخيرية والعلمية ، وأن أمنية المتنق أن يجاور في مكة أو المدينة فيختم حياته بالخير والصلاح في ديار مقدسة ، الحسنة فيها تفوق مثلها في غيرها أضعافاً مضاعفة فإن حظي بالدفن في البقيع فقد استوفى أمانه كلها .

ثمّة أمر آخر هام ، ذلك أن اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية الأولى يكاد يكون ميدانها هذه البقاع التي كانت مجال الخطباء والشعراء والحكام في الجاهلية ، ثم شهدت حياة الرسول وأصحابه ودولة الراشدين والأمويين والعباسيين . منها صدر القواد والعلماء والعلماء والقضاة والقراء والمحدثون والأمراء ، ثم حرص كل ذي سلطان فيما بعد أن يكون الحجاز في حوزته ليرضى طموحه ويستحق التجميل في قلوب الناس ، والتاريخ يشهد أن سلاطين بني عثمان على سعة إمبراطوريتهم لم يرض طموحهم أن ينعثوا ؛ (ملك البرين والبحرين) حتى يضيّعوا (وعادم الحرمين الشريفين) ١١ وليس في الحجاز بقعة إلا خلد بها شاعر أو أديب أو خطيب أو إخباري ، أو شهدت حدثاً من أحداث التاريخ المشهورة ؛ فكان كل مسلم بل كل مثقف حريصاً على زيارتها ليستكمل استيعابه وفهمه لما قرأ .

هذه العملية الموزعة في القدم المنفردة

ولعل لي إليه رجعة ؛ فلاخذ الآن فيما أنا بسيله ؟ .

...

في الحجاز كنوز نادرة من تراثنا المجهول ، عليك لسكى تتصوره أن تطرح عنك فكرة عاطفة تحمل الحجاز قطرا كهذه الأنظار التي تعرف : إقليها عليا يضطلع بالبحث فيه مسئولون علميون .

إنك اليوم تدرك أن عصبة الأمم لما كانت في (جنيف) جعلت من هذا البلد عاصمة للعالم كله وخرجت به عن يد إقليمي من سويسرا إلى محط للأنظار من كل الأنظار ، إليه يتجه زعماء العالم لحل مشاكلهم وحوله تحوم أمانى الشعوب قاطبة ؛ وذهبت عصبة الأمم ، وخلفتها هيئة الأمم المتحدة فنقلت هذا الاعتبار مضخماً مفتخماً إلى نيويورك ، وأنت تذكر أفراداً ومؤسسات قدمت لهذه الهيئة وتلك القديمة تبرعات سخية جداً .

تصور الآن أن الحجاز لبث أربعة عشر قرناً مهوى أفئدة العالم الإسلامي كله من الصين إلى المحيط الأطلسي ، وأن قسمته في النفوس فوق ما لعصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة بكثير ، وأن هبات الأمراء والسلاطين والملوك والأثرياء تدفقت عليه من كل صوب لتشي فيه المدارس والمساجد والربط والزوايا والمكتبات العامة ، وتصلح الطرق وتسيل

المدرسة المحمودية في مشروع توسيع الحرم وتفرغ ما حوله وكانت في الساحة الغربية منه ، لما نقلت إلى الحرم كانت دون (١٥) ألف كتاب .

ومكتبة الشيخ أحمد عارف حكمة ، فيها اليوم نحو (١١) ألف كتاب ، وكان فيها عشرون ألفا ، ومكتبة عادل (العرفانية) فيها اليوم نحو (٨٠٠) كتاب وكان فيها (١٢٠٠) ، ومكتبة الحرم ليس فيها اليوم أكثر من (١٠) آلاف ، ومكتبة مظهر في رباط مظهر ، كان فيها أكثر من (٢٠) ألفا أكثر مما مخطوط وزعت على ثلاث غرف كبيرة والموجود منها اليوم لا يملأ الغرفة الواحدة وهلم جرا . . . هذا في مكتبات الوقف العام ، فأما مكتبات الوقف الخاص والمكتبات التي هي ملك خاص لأصحابها فلا تسلم عما تسرب منها إلى خارج البلاد فذلك شيء يستصعب على الحصر .

قد يكون في تقدير الشيخ المحدث شيء من المبالغة ومهما حذف فإن ما بقي كاف لأن يكون نذير الخطر على ثروة هي مغفرة تاريخنا وحضارتنا .

ولقد زرت بعض هذه المكتبات ولبثت فيها أياما وأندت منها :

فمكتبة شيخ الإسلام : أحمد عارف حكمة ، رحمه الله ، هي خيرها وأحفظها بالتفانيس وألفها ، ولقيتها اليوم عناية بها مشكورة ،

بالاستمرار تشرك دول العالم الإسلامي كله في التبعة ولا تجعل العربية السعودية وحدها المسئولة عما حصل مما أفحص عليك :

• • •

حرص المحسنون في أقطار العالم الإسلامي على أن يهدوا أثمن ما يقدرون عليه من تحف إلى المدينة وحرمها ، وكان من ذلك قنائس الكتب : مخطوطها ومطبوعها . وقديسة المدينة وسكانها عليه الصلاة والسلام في نفوس الأمراء والعلماء والأثرياء حدثهم على أن يؤسسوا فيها دور العلم والعبادة ، وينشئوا المكتبات الفخمة ويؤدونها بالتفانيس من كتب العلم والمصاحف ، وبقيت المدينة عاصمة من عواصم العلم قرونا متطاولة ، رحل إليها المتخصصون ليزيدوا عليهم ويتلقوا عن علمائها والعلماء الجاهزين فيها وهم كثيرون من جميع الأقطار .

وحدثني خبير من أهل العلم بالمدينة أنه كان فيها نحو (١٢٤) مكتبة موقوفة على القراء ، وأن الظاهر منها اليوم نحو (٨٠) فقط ، وفيها من التوارد ما لا يعرف غيره أحد لضعف أصحابها أو أمانيها بها على أنظار الناس ، بل لضعف أحيانا بأخبارها على الأسماح .

فالمكتبة المحمودية كان فيها - على ما قال - نحو (٢٢) ألف مخطوط ؛ فلما نقلت قبل هم

وهو شيخ إسلام - نحري أن يجعل فيها من كل كتاب أعلى نسخة صلباً وأناقاً وأصاله ، وبذل في ذلك ما قدر عليه ، لجاءت مكتبة متقاة تشبه في ندرة نسخها المتاحف . وقد رفق - رحمه الله - بالمطالعين فبنى المكتبة في رباط قبالة دار أبي أيوب الأنصاري ، ليس بينها وبين قبلة الحرم المدني غير الشارع ، جعلها في قاعة فسيحة تعلوها قبة جميلة على الطراز التركي البديع .

ورباط مظهر الذي قال محدثي (كان فيه أكثر من عشرين ألف كتاب أغلبها مخطوط) يقع في ناحية شارع حديث أوله شرقي الحرم وآخره قرب البقيع حيث بنى الرباط واسعاً جميلاً يشرح الصدر ويقر العين ، تدخل إليه من دهليز يؤديك إلى صحن كبير توسطه حديقة فيها مجلس وقد حُفَّتْ غرف المجاورين بالصحن من جهاته الأربع ، وفوقها طابقان يطل على كل منهما على الصحن والحديقة ، والغرف تحف المشي من خلفه . وفي الرباط نحو ستين غرفة ، أما المكتبة لحوتها غرفة كبيرة والمكتب مكسوة في الخزائن يعلوها الفبار وتعميت فيها الإرضة لفة من يطلب كتاباً في العام كله ولذا قل أن تفتح المكتبة . ولها فهرس على الفنون ، وفهرس للإمارة الخارجية التي أرادها الواقف رحمه الله ثمراً للعلم وإعانة لطلابه .

ولها فهرس منظمة على الفنون ، ولقد جلب لها واقفها - عليه رضوان الله - أجود ما قدر عليه من النسخ ، وأذكر أني طبعت للعام الماضي (توجيه إعراب أبيات ملفزة الإعراب^(١)) عن نسخة - زعموا - فريدة في باريس ممزورة للرماني ، ولم أعثر في فهرس المخطوطات المطبوعة على نسخة له ثانية ، ثم أخبرت بوجود نسخة في دار الكتب المصرية أجود من الباريسية ذلك على أن اسم الكتاب (شرح الآيات المشككة الإعراب للحسن ابن أسد الفارقي) قبادرت بالخاق بيان بنسخ للكتاب يصحح اسمه ونسبه ؛ فلما عرضت فهرس هذه المكتبة : مكتبة شيخ الإسلام وجدت له نسخة أصيلة جيدة مشكولة كتبت سنة (٨٦٠٢) ، فلو كان لها ذكر في فهرس من الفهارس المطبوعة لو فرت عنا كثيراً وصانت من الخطأ وأغنت عن التصحيح . لهذا مثال واحد مما يضيع على الباحثين من إبقاء هذه المكتبات في عالم المجهول .

ومررت بمخطوطات معدنية (أحمد طارف حكمة) على أمثالها مما رأيت في مكتبات إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وتونس أن النسخة التي بها تفوق أمثالها في غيرها من المكتبات في الجودة والنفاسة والصحة غالباً . والظاهر أن صاحبها -

(١) طبعة الجامعة السورية في مطبعتها سنة

١٧٢	النحو والصرف
١٩٣٥	المجموع

جلت انتباهي بقوة ودعشة في فهرسها هذه الجلة (تاريخ ابن شبة بخط مؤلفه - رقم ٤٥٤ ميرة) - فصحت أمله بلهفة عجبت من رفيق الشيخ الوقور صلاح الدين الزعيم ، إذ كانت وفاة ابن شبة في المائة الثالثة (٥٢٦٦هـ) . فأى كنز هذا إذا كان جميعه بخط مؤلفه ٩١ . فتش حفيد القيم وقتشت معه فوجدنا الأرقام التي قبله والتي بعده وأعجزنا هذا الرقم أن نجد له أثراً ، فلا تسئل عن حسرتنا وأسفنا ، ثم رجوت الشاب الثابه حفيد القيم أن يعيد التحري ويوسع دائرته ولو نبش المكتبة ورقة ورقة فوجدنا وكان لطيفاً أريجاً ولاعجب ، فهو حفيد من طابت نفسه للأمة بهذا الرباط المعجب وتلك المكتبة الحافظة الثمينة .

وحدثت عشية اليوم نفسه صاحبي الحبيب بما وقع لي فقال : « أرسلوا إلى القيم لا يتعب نفسه بالبحث فلن يجد الكتاب ، لقد أتلف عدداً » . فأنسانا والله بكلمة هذه ألم المسرة وغصة الأسف وقلنا ، ما الخبر ؟ ، فقال : « اطلع على هذه النسخة فلان قاضى القضاء (وسماء) وقد ذهب إلى ربه بحاسبه ، فرأى في أخبار الكتاب ما ظن أنه يخالف مذهبه الخاص في العقيدة ، فاستعار النسخة فأتلفها ،

أسس هذا الرباط أحمد مظهر المجددى من أسرة المجددى المعروفة في الأفغان (١) والهند ونسبها يتصل بممر بن الخطاب (ويعرف أهل القاهرة منها الأستاذ محمد صادق المجددى سفير الأفغان في مصر سابقاً وهو اليوم مجاور في المدينة المنورة حاكف على العلم وعمل الخير) . وقد رتب الواقف رحمه الله للرباط والمكتبة أوقافاً واسعة وحال الرباط اليوم صالحة في الجلة .

دخلت المكتبة أتصفح فهرسها المرقم وقد أعجبتني أن الكتب مرتبة على هذه الأرقام بحيث كان استخراج المطلوب سهلاً على كل أحد ، وقد أحصيت ما في فهرسها فإذا هو لا يبلغ الألفين ، ولعلك لم تقس أن يحدث جاوز بمضمونها العشرين ألفاً وهناك بيان ما أحصيته :

٩٦	المصاحف .
٧٢٩	التفاسير .
٤٥٣	الحديث .
١٥	الفقه .
٤١٢	أصول الفقه .
٣٣٣	التصوف .
٢٢٥	السيرة .

(١) عرفت بالعلم والصلاح منها العلامة المجهور شاه ولي الله الدهلوى صاحب التصانيف المعهورة والتي أحبا الله به وبأولاده السنة بالهند .

العلية البساطية لآل البساطي ، فذكر لي فيها أن فيها ثمانية آلاف كتاب . ٩٠٪ منها مخطوط . ولعله ظن بادى الرأي أننا من شراء النفائس فذكر لنا أن عنده نوادر ثمينة جدا منها تذكرة الصلاح الصفدى بخطه ، فلما دعشنا مقناطين : « بخطه ١٤ » قال : « فم » ثم أرانا بعض النفائس الشكية وتبادلنا حديثاً عرف منه أننا طلاب علم هواة لا شراء ، فلما طلبنا رؤية تذكرة الصلاح الصفدى تحمل بصحوبة الوصول إليه الآن ولم نظفر برؤيته . والحال فيما لم نطلع عليه من المكتبات العامة والخاصة كحال ما اطلعنا عليه .

أعود الآن بعد هذا السرد إلى حيث بدأت ، فإذا كن في المدينة (١٢٤) مكتبة لا يظهر منها اليوم إلا نحو (٨٠) حل ما قال محدق ، ولكن ما تحويه أخذاً في التسرب والضياع فما الواجب علينا نحو تراثنا وحضارتنا وثقافتنا ؟ ولا أقول نحو ديننا .

إن ما رأيته بعينى في المكتبات التي أتيح لي زيارتها في مكة والمدينة بصر العين ويملأ القلب أسى وحسرة ، فاللود والإرضة من من تحت التراب المتراكم تعيث في هذه الكنوز ، وما كان منها بمنجاة من ذلك ككتبة أحمد طarf حكمة فالى حد ، والكثرة الكاثرة من المخطوطات تتآكل ونيل ،

ولما أبطأت العارية على القيم ذهب بطالبه المرة ثور المرة وهو يملل ثم ادعى ضياعها وكان القيم رجلا كل الرجل - وهو اليوم جليس قرائته في المائة والعشرين من سنه - طافه الله - فشكله إلى الملك الراحل عبد العزيز بن سعود رحمه الله فأرسل إلى القاضي لخصر فعاتبه على المثل وسأله عن الكتاب فأقر بإتلافه وأنه تقرب بذلك إلى الله .

ثم تمس صاحبي قصصاً عن مخطوطات نفيسة تسربت إلى الهند ولندن وغيرها على يد سماسرة أو أجناب يدهون الإسلام ، وآخر ما عرف خبره (مسند عمر بن عبد العزيز) كان في إحدى مكتبات المدينة وكان يتردد عليها هندي عليه سبيل الصالحين يطالع فيها ويستعير منها ويرد ما استعار حتى ألفوا ذلك منه ثم غنى عن الأنظار ، وبعد مدة عرف أن المسند مفقود . قال الشيخ : « وقبل أشهر كنت أستمع إلى برنامج إذاعة لندن فكان إحدى مواده : حديث لفلان : كيف وصلت مخطوطة مسند عمر بن عبد العزيز إلى المتحف البريطاني بطريقة عجيبه ١١ »

هذا في المكتبات العامة الموقرة وقضا حراً فأما ما اشترط فيه أن يكون القيم من ذرية الواقف وما كان ملكاً خالصاً بخبره أعجب والأمر فيه أدهى وأمر . وقد ذكرت إحدى هذه المكتبات الخاصة وهي المكتبة

الآن قبل الحرم المدني ، قالوا : إن النية أن يكون بعضه مكتبة وبعضه محكمة وبعضه دارا وهذا تضييع للصالح الثلاث ، فالبني كله بطوابقه لا يكاد يتبع للكتبة العامة كما أنصروها إذ تحتاج إلى بقعة أبسط (١) تدور بها الفوارج وتخصص فيها قاعات فراح للفرائد ، وقاعة للفهارس المختلفة ، ثم قاعات تختلف طبقات المطالعين ، وقاعة للإدارة ، وأخرى لأجهزة التصوير ، وقاعة للنسخ ، وأخرى للمعرض . . . الخ .

وأمرهم لا يفتن إليه إلا الأقول وهو أن محتويات هذه الدار - متى نشرت في فهرس واف على دور العلم والجامعات والعلماء - ستكون فريدة في العالم ، وستكاثر عليها طلبات النسخ والتصوير ، وزيارات البعثات من الدراسات والبحوث بحيث تصبح كعبة علمية للقصاد من كل لغة ولغة ، وتكون مركزاً من مراكز الإشعاع العلمي في العالم كله .

أما ثانيهما فالحرم يقضى بالإسراع فيه منذ هذه اللحظة بأن تقوم الحكومة بإحصاء

ولينظر من شاء على سبيل المثال في مستودعات المكتبة في الحرم المسكى وفي رباط منظر .
أعتقد أن الداء الآن وضع للعيان ، فرائتنا في الحجاز حرمه لندوين لندوين لا بألوان فيه فتكا بالليل والنهار على مرالنين ومما الندود والتهريب .

أما العلاج فهل يسير ينحصر في أمرين أيضاً :

أولها : ضم هذه المكتبات كلها في دار واحدة ، والحكومة العربية السعودية التي لها بكل ريع آية ، لا تعجز عن إقامة مبنى مستقل لا تقى يتسع لضم هذه المكتبات الثمانين الباقية والتمويض على أصحاب المكتبات الخاصة منها ، ثم العهد بإدارة هذه المصلحة إلى عالم حازم بصير غيور ، وعندها منهم عدد غير قليل بحمد الله وتستطيع أن تستعين ببعض ذوي الخبرة على تدريب شباب الحجاز المثقفين وإرسال نفر منهم إلى حيث يتلقون فن المكتبات في الغرب أو للشرق (١) . وقد دلت على مبنى يقام

الشان من الناحية المالية على الأقل ، ونحن في دمشق أنفقنا أموالاً طائلة فأرسلنا موفدين لذلك إلى فرنسا ولم يحصل إلا على شهاداتهم وذهبت الأموال بدداً ، ولو كانت أعمدة العربية لن قانوناً بمبادرة الدمين لاقرحت عليها أن تصدر السيد هتان الكنايسة في كل قطر عربي وعفوسين في الحجاز . (١) لا تهل عن مساحة قصر من القصور للسلطنة بحمد الله ونوابه .

(١) لم أجد فيما دخلت من مكتبات عامة في أوروبا وشمالي إفريقيا مكتبة اتفق مديرها بتنظيم فهارسها أمانين كمدار الكتب العامة في تونس فإن اجتمعوا واحداً بصيرها الأستاذ الجليل الصائم السيد عثمان الككاك وجولة معه في دار الكتب يصرح لك تنظيماتها تملك في هذا الفن - إن كان لديك اعتماد - كأحسن ما يخرج عليه متفرج من معاهد هذا -

سلفنا ، فإنه أيضا لا يعرف خلفا فرط بمقدساته
وحبها تفریطنا وعبثنا .

ومع التناقض البين والمفارقة الصارخة أن
تكون قصور المسؤولين المبعثرة في كل بقعة ،
في اتساعها ونظامه بنيانها ونفصرة خدائنها
الضيق وأناة أئامها ورباشها وما ينفق عليها ،
أن يكون كل ذلك على ما تعجز عن النفقة على
مثل حكومات أوروبا وأمريكا اليوم بل
بعد عشرات السنين ، ثم يعشش تراثنا العلمي في
عائلات متخلفة من مئات السنين تحت الغبار
يميت فيها الدود وينهبها جياح النفوس . إنه
ظلم طاعنه ظلم أن يحيا المسؤولون (في القرن
الحادي والعشرين (العشرين) تكاد تنقلاتهم
لأفقه الأسباب تكون بالصواريخ سرعة
يذبحهم ونعاني المكتبات الموت الحثيث في
قصور الظلمات ، فإن فكك في بصيص من
الإصلاح كان أبطأ من سير السلاحف في
صحر لا ينم بخيره متوان .

إن هذه الكنوز المشرقة على البوار أبقى
لكم - إن عنيت بها العناية الكافية - من ثروات
البتروول ومناجم الذهب التي لم تفد البلاد شيئا
مع سوء التصرف ، وربما على كل حال إلى نضاد .
أما ربح تلك غير دد على كثرة الإنفاق بالطراد
فيا أيها المسؤولون هذه نفقة نذير وإن قد
بلت . اللهم اشهد .

سعيد الوفائي

ما في المكتبات الخاصة والعامة دون استثناء
مع وصف وإلى لكل نسخة ، ومتى استغفرت
معلمي المدينة مثلا فوزعتهم على المكتبات
الخاصة أولا فأحصوا ما فيها من كل مخطوط
ذا كرين اسم الكتاب وقته ومؤلفه وحدد
أوراقه وتاريخ نسخه ثم صنفه بالمجلد عامة ،
وجونا أن ينتهي الإحصاء في شهرين ثم
يطلع القهرس طبعة موقته إلى أن ينتهي ضم
لمكتبات في دار عامة فيشرع حيثنذ في تنظيم
فهرس مفصل وإف مصورها .

والإسراع بالإحصاء والطبع الموقت يصع
حدا للتريب على الأقل ، فإن فقدت نسخة من
كتاب فيما بعد كان القيم أو المالك مسئولاً
عنها لأن إثباتها في فهرس مطبوع منشور على
لناس داع إلى طلبها ومعرفة موطنها . ولو
أن هذا أخذ قبل مائة عام ما تسرب من الحجاز
ما تسرب ولبقى هذا الذخر المبعثر اليوم في المخاف
والمكاتب الأوروبية والأمريكية والهندية
مصونا في موطنه مغفر الأجيال ومثلا من
تراث حضارة مارأي الناس مثلها .

هذه كلمة عجلى أرسلها على صفحات مجلة
(الأزهر) ذات الصيغة العالمية ليضع المسؤولون
حدا لجرائم شنيعة مثلت على أقلمس حرم
سنين طوالا وهي مستمرة حتى الآن في الخفاء .
ومع أن التاريخ لا يعرف حضارة أبجد من
حضارة الإسلام ولا سلفا أنبل لنانية من

١- وجود الله يتحدى الشيوعيين

٢- إلى الصحافة المصرية

للأستاذ الدكتور سليمان دنيا

- ١ -

يؤمنون بوجود الإله) وبين الملاحدة (المنكرين لوجود الإله) هي تفسير طريقة وجود هذا الكون ، فقد ثبت لدى المؤلّفين عدم إمكان أن تكون المادة هي المصدر الحقيقي الأول والأخير لجميع أصناف الموجودات : أحيائها وغير أحيائها ، عاقلها وغير عاقلها ، وحيث صح ذلك كان من الضروري الاعتراف بوجود قوة وراء المادة ، يعزى إليها وجود ما لم يمكن عزوه إلى المادة الجامدة .

ومن البديهي أن منكري وجود الإله لا مناص لهم من أن يفسروا كل كائن في هذا الوجود تفسيراً مادياً بحتاً ، فإذا تم لهم إمكان أن تكون المادة هي مصدر إيجاد الكائنات بجميع أنواعها ، لم يكن ذلك كافياً في أن يرفع الهدامون عقيرتهم معتلين انتصارهم . ففي مثل هذه الحال يقول العقلاء : إن الأدلة متعارضة : أدلة المؤلّفين ، وأدلة غير المؤلّفين . . . وحين تعارض الأدلة

فثرت الأهرام الصادرة في ١٦ من يولية سنة ١٩٥٩ تحت عنوان بالخط العريض في واجبتها الأولى ، الخبر التالي :

« تحدى راديو موسكو الله أن يأتي بمعجزة تثبت بها وجوده » . قال الراديو - في إذاعة محلية التقطتها أجهزة الاستماع في لندن ليلة أمس - : « أي إله هذا الذي يعبد الناس ويصلون له إذا لم يستطع حتى إثبات وجوده ؟ إذا كان هذا الإله موجوداً حقاً فلماذا لا يأتي بمعجزة حقيقية واحدة على الأقل ، حتى لا يشك أحد في حقيقة وجوده ؟ » .

والشيوعيون إذ يقولون هذا القول إنما يضحكون على أنفسهم ، ويظنون أنه لو شاركهم الناس في هذيانهم لا تقلب هزلهم جداً وباطلهم حقاً . ولكن أنى للعقلاء من الناس أن يتورطوا فيما يتورط فيه الغمورون . إن النقطة الفاصلة بين المؤلّفين (الذين

ومطالبة الشيوعيين للزولين بأدلة على وجود الله - مع قيام الحياة والمعرفة ، ونكراد حدوث أحياء جدد ومعارف جديدة في اليوم الواحد بما يبلغ ألوف المرات ، وكل حدث من هذه الأحداث هو وحده دليل على وجود الإله . ما دام تفسير ذلك تفسيراً مادياً لم يزل غير ممكن حتى الآن - تعتبر لونا من هديان المغلوب الذي يمز عليه أن يستغنى ويستسلم أمام خصمه الغالب .

وما دامت أدلة الحياة والمعرفة أدلة قوية تفيد - على الأقل إلى أن يتم تفسيرهما تفسيراً مادياً - وجود قوة غير مادية ، ومع ذلك ينكر الشيوعيون معها الاعتراف بوجود الإله ، فليس هناك ما يذهب إلى أن يزل الله تعالى وتقدس ، عند إرادة هؤلاء المهائرين ويخرق لهم سنن الوجود ويحتصم بإحداث أدلة خاصة مع أن الأدلة القائمة قد هدت من أخلص في طلب الحق .

ثم إن الله سبحانه وتعالى أجل وأعظم من أن يزل عند إرادة مكابرين معاندين ، فبدلهم يفنون من الأدلة يعلم جل شأنه أنهم سوف يلتمسون الوسائل لردّها بمثل ما ردوه به غيرها ؛ فإن المكابر المعاند لا يسره أن يلتمس قولاً يصيح به في وجه الحق ، حكوا أن اثنين اختفا في عدشرة من الأوز فقال أحدهما : إنها عشرة ، وقال الآخر :

يكون الأمر متوقفاً على جولة أخرى وأخيرة تفحص فيها الأدلة ، ليتبين الجيد من الرديء . وعند ذلك يقال : إن هذا الرأي قد اتصر على ذاك ، وإن هذا الرأي حق وذلك باطل .

والشيء الذي ينبغي النظر إليه بحمد واهتمام هو أن الشيوعيين لم يعلنوا أنهم اعتدوا إلى تفسير وجود جميع الكائنات تفسيراً مادياً لأنهم لم يهتدوا إلى ذلك التفسير . ومن بين الأمور التي أعجزهم تفسيرها تفسيراً مادياً ؛ الحياة ، والمعرفة . وما دامت الحياة والمعرفة أموراً يعترف الشيوعيون بوجودها ، وما داموا لم يستطيعوا أن يفسروها تفسيراً مادياً ، فلا بد لهم - على الأقل إلى أن يهتدوا إلى تفسيرهما تفسيراً مادياً - أن يعترفوا بالتفسير غير المادى لهما وهذا التفسير يقتضيهما إثبات وجود الإله . فما دام الشيوعيون لم يهتدوا حتى الآن إلى تفسير مادى للحياة والمعرفة ، يلزمهم أن يعترفوا بمصدر آخر غير المادة يفسرون به الحياة والمعرفة . فإنكار الشيوعيين لوجود كائن غير مادى ، في نفس الوقت الذي يعلنون فيه عجزهم عن تفسير الحياة والمعرفة تفسيراً مادياً ، هو مكابرة محضة وعناد يسلكهم في عداد المتعرفين الذين لا ينشدون الحق ولكن يريدون إحداث جلبة وضوضاء فقط .

قائلا : « لعلك بائع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ، وقائلا : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ثم شرح لأحبائه وأصفيائه سبب تيتسهم من التعلق بهؤلاء المصريين على ضرورة إزال أدلة جديدة قائلا : « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا : إنما سكرت ، أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون ، فالذين يبلغ بهم الإصرار على العناد إلى هذا الحد ، يكون من العبث مطاوتهم وملاطفتهم وملايتهم .

وحسبهم ما كفى غيرهم من الأدلة إن أرادوا الهداية لأنفسهم ، وعصام يظنون أن الأدلة أمور تنزل من السماء كما تنزل الصواعق فتأخذ الناس كرها إلى حيث تريد ، إن كانوا يظنون ذلك فهم معذورون في إصرارهم عما أقام الله على وجوده من أدلة في الأنفس والآفاق ؛ فإن واحدا من هذه الأدلة لم يبلغ مبلغ الصاعقة التي تهلك وتدمر من يقف في طريق سيرها . إن حكمة الله جل جلاله قد اقتضت أن تكون الأدلة مرشداً وموجهات لمن وجد عنده أصل الاتجاه إلى الحق .

إن مثلاً مثل الصوى التي تنصبها البلدية في الطرقات ترشد بها السائقين فتكتب عليها مثلاً هذا هو الطريق إلى القناطر الخيرية ، وذاك إلى قلوب ، فمن حرص على أن يصل اجتهد وسأل وسار ، ومن تحجر تفكيره ،

بل هي تسعة ، ولما طال خلافهما احتكم أحدهما إلى طريقة وافقه عليها خصمه . تلك الطريقة أن يستحضرا عشرة رجال ، ويأمرهم بأن يأخذ كل واحد منهم أوزة . فإن وفقت الأوز بالرجال العشرة ، وأخذ كل واحد واحدة ، كانت الأوز عشرة كاملة . وإن أخذ تسعة من الرجال أوزا ، وفقدت الأوز قبل أن يأخذ العاشر ، كانت تسعة فقط . فكان أن أخذ تسعة رجال فقط ، ولم يبق للعاشر شيء يأخذه ، فقال الحق للبطل ما هي ذي تسعة لأن العاشر لم يجد ما يأخذه ، فقال المبطل للحق ، ما منته أن يأخذ وقد كان أمامه ما يستطيع أخذه ؟ .

فاقه سبحانه وتعالى الذي يعلم طبائع البشر ويعلم ما عايناه أنبيأوه ورسله من سلف وأولئك الشيوعيين الذين لم يكفهم ما أقام الله لرسله وأنبيائه من أدلة تثبت صدق ادعائهم أنهم رسل من قبل الله ، بل طالبوا بسواها عنادا ومكابرة ، قد وضع حدا لهذه المهازل التي يريد نجاتها كسب الوقت وإطالة مدة الجدل والمكابرة وتفكيك من آمنوا واطمأنوا ، وأخفوا يعضون أسس حياتهم الجديدة ، في الإصلاح والهداية والإرشاد ، فقطع جل شأنه الرجاء فيهم وحرف أحباء وأصفياءه عن التعلق بهم وعن المضي معهم إلى نهاية الطريق ، وعن الرغبة في الاستجابة لخطابهم أملا في أن يؤمنوا

يئة خارجية ليس من الضروري أن نستوفد منها عقائدها .

ولقد تساءل الكثيرون منا عن مبررات إقدام جريدة الأهرام على نشر خبر كهذا بين العرب ، وهي العرب نشر ومن أجلمهم تصدر . وكل ما استطعنا أن تدافع به عنها هو اللجوء إلى حرية الرأي ؛ مع التوسع في فهم هذه الحرية ؛ فإن الشأن في الحرية التي تمنح للفرد أو الجماعة أن لا تسمى إلى الآخرين .

وأيا ما كان الحال ؛ وسواء وجد لجريدة الأهرام العربية مبرر لنشر خبر يسيء إلى العرب جميعا أم لم يوجد ؛ فإن حق العرب في الرد على ما نشرته جريدة الأهرام في نفس جريدة الأهرام أمر تقره حرية الرأي التي تذهب بها الأهرام لنشر ما يضر ولا يفيد ؛ مع أن من شأن حرية الرأي أن لا تسمى إلى الغير ؛ ويقره أيضا حق الدفاع المشروع ضد العدوان الواقع على المراء أو على ما يتصل به من معتقدات وممتلكات .

وفي حاس مزيج من التبرم بالرأى المتصور الذي لم يكن من الضروري أن تعمل له الأهرام « برواجندا » على نطاق واسع ؛ ومن الشعوب بالحق الواضح في الرد الذي هو دفاع مشروع ، تقدمت إلى المسئولين في جريدة الأهرام بكلمة موجزة ؛ ناقشت فيها هذا الرأى الذي لا يحوج لكثير من المجهود لتهيئته وتزييفه

وقال لن أنقل حتى يحضر إلى وزير البلدية نفسه ويقتضى بأن هذا الاتجاه هو الطريق إلى قلوب ، وذاك هو الطريق إلى القضاة ، بقی في مكانه ، وتختلف عن القافة . إن إرادة الله اقتضت أن تكون الأدلة ترجيحاً وإرشاداً ، لا إلهاء وإكراهاً ، لينتقى معنى الاختيار ، ويتحقق الحكمة في المسئولية والجزاء . فانه موجود رغم أقف كل مكابر . وأحداث الكون كلها شواهد على وجوده ، ولكن لا إلهاء ولا إكراه ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

— ٢ —

نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٦ من يولية سنة ١٩٥٩ في واجهتها الأولى وبالخط العريض الكلمة التي عزتها أجهزة الالتقاط في لندن ، إلى إذاعة « موسكو » ، ومنذ قرأتها وقر في نفس إحساس قوى بضرورة أن يتعرض لها باحث بنقد . ولم أشك في أن حقنا في الرد ثابت بطرق عنق جريدة الأهرام التي فزت بنشر هذه الكلمة أم مقدسات العرب جميعا بين مسلمين ومسيحيين ، وأنت شعورهم فأولى عقائد المسلمين والمسيحيين على السواء وجود الإله الواحد الكامل ، فأى طعن في هذه العقيدة هو أقيات على مقدساتنا خصوصا إذا كان هذا الطعن غير نابع من يثقتنا ولا نابع من ظروفنا المحلية ، ولكنه واقع علينا من

كانت مفاجأة أليمة - بعد طول انتظار وتكرار ووعود - أن يعاد المقال إلى بحجة أن الرقابة، منعت نشره، مع أنه ليس في المقال ما يمكن أن يكون سبياً في منع نشره.

فبربك يا أخى فى الوطن قل لى : الحساب من تعمل صحافة مصر بخافة وصحافة العرب بعامة هذا العمل الذى من شأنه أن يقوض دعائم الروح المعنوية العربية من أساسها ؟ .

إن سياسة زعيم العروبة الرئيس جمال عبد الناصر، سياسة واضحة كل الوضوح، ظاهرة كل الظهور لا لبس فيها ولا خفاء ولا غموض وهى تقوم فى أساسها على بناء الفرد والجماعة بناء قويا سليما، ماديا ومعنويا . وسيادته يعلم كل العلم أن النفوس المتهاذلة المتخاذلة المترددة المتشككة هى نفوس لا عناء فيها ولا جدوى معها، فالروح والجسد جزءان فى الإنسان متكاملان، يؤدى ضعف أحدهما إلى ضعف الآخر، وقوته إلى قوته والتاريخ شاهد عدل على أن قوة الإيمان ورسوخ العقيدة الدينية من أهم عوامل النصر، ولولا أن عصرنا الحاضر قد مكن لبعض الأمم من أن تسبق غيرها بالعدد والآلات، لظل الحال فى الحاضر كما كان فى الماضى، واحد صادق الإيمان أقوى من عشرة مزعزى الإيمان فاقدى الثقة بأنفسهم وبربهم . ويوم تقساوى الأمم فى العدد والآلات، يصبح

فلقيت منهم استعدادا ظاهريا للنشر؛ وضربوا لذلك موعدا أقصاه يوم الجمعة التالى؛ فكان أن طلعت علينا أهرام الجمعة خلوا من الرد؛ وفيها فضلا عن ذلك كلمة تقارى غيور وجهها إلى العلماء عابيا عليهم أن يغضوا عن طعن على عقيدتنا كهذا؛ ولا يثثروا على الملا من قراء الأهرام التى نشرت الطعن ردا قويا يكشف عن زيفه وطلانه .

فكان لهذا التصرف الغريب من الأهرام وقع أليم فى نفسى، وشعور بأن أداة هامة من أدوات النهوض والتقدم - أعنى الصحافة - تتصرف عن غايتها، وتسير فى طريق ملتوية لا يستبين الشعب معالمها ولا أهدافها . خصوصا أن محرراً من محررى أخبار اليوم، زارنى على غير معرفة وتناول معى بالحديث الطعن الذى نشرته الأهرام على عقيدة الألوهية، وأظهر تجربه من أن تحف الأهرام هذا الموقف العدائى من العرب جميعا، وأبدى استعداد صحيفة أخبار اليوم، لنشر رد على هذا الطعن، وبالمصادقة البحث كان معنى صورة من الكلمة التى أعطيتها للمستولين فى جريدة الأهرام - وهلك نفسى بأنه إذا قامت الأهرام لنشر الرد، ففى نشر أخبار اليوم له تدارك لما فات وتصحيح للوضع - رغم أن لكل جريدة قراءها - ولكن من الضرورى فى نظرى أن من قرأ الطعن ينبغى أن يقرأ الرد، ولقد

جلدا وصبرا وقوة احتمال . والصبر نصف الإيمان .

والإيمان بالجزاء على الفداية التي تريق الدم وتزهق الروح دفعا عن الوطن ، ومن أقدر على توصيل الجراء للستة عشر بعد استشهادهم من خلق الإنسان من العدم ، وأبقاه إلى أجله المقدر له ، وخلق له ما لا بد لحياته منه ، من الأجهزة الكثيرة التنفسية والبصرية وغيرها ، التي لو اجتمع العلماء من أولهم إلى آخرهم ما استطاعوا أن يخلقوا واحدا منها ، أو أن يصلحوه إذا فسد ، ثم يحياه بعد موته ويوقيه الجزاء الآوفي : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون ، وعدا عليه حقا » .

فمن لا يؤمن بالله قادر على كل هذه الأمور ، لا يؤمن بوقوع هذه الأمور ، ومن ثم يشعر أن بذل دمه وروحه دفعا عن غيره ، هو بذل من غير عوض ، فتتفاهس همته ، وتتضاءل عزيمته ، أما المؤمن بالله وبكل هذه الأمور فهو صلب الإرادة قوى العزيمة كبير الأمل في الله وفي لقاءه وجزائه .

فالإيمان الصحيح بالله هو الذي يعلم حب الوطن ، وهو الذي يعلم الصبر وقوة الاحتمال وهو الذي يشجع على الفداية والتضحية والاستشهاد .

النصر للمؤمنين على الكافرين ، وإن جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا .

وصدق الله إذ يقول : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » . فالله جل شأنه يجعل الواحد المؤمن في مقابل عشرة من استبد بهم الفلق ، وطوحت بهم الشكوك في مهاوى الخيرة والضلال . وإنه حين يستكمل المؤمنون عدتهم ويصبح لهم من القنابل وسواها مثل ما لغيرهم يعود لم تفوقهم وتظهر ثمره إيمانهم واضحة جليلة إن شاء الله .

وما أظن إلا أن سيادة القائد العام المظهر عبد الحكيم عامر حين قال - وهو يتفقد وحدات الجيش بالقيادة الشرقية - : « إتسنا واتقون من أنفسنا وإتسنا لقد الجندى العربى ليكون الجندى بشرة جنود » - الشعب ١١ / ٨ / ١٩٥٩ - قد عنى هذا الذى هناء الله سبحانه حين قال : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، فالعدد والآلات حين تتساوى بين الطرفين المتقابلين ، لا يبقى للتماضل مجال إلا فى القوى الروحية والمعنوية ، وتلك هى الإيمان بالمثل العليا : الإيمان بالوطن ، وحب الوطن من الإيمان . والإيمان بالفضية التى تنكسب النفوس

الكتاب لن يذهبوا إلى الرقابة يسألونها عن كتابهم هل عرضت عليها أم لا ، يسمحون عارم فيها ، وهي من وجعهم وعارم براء . ثم يافت من هذا العمل الذي تورطت فيه جريدة الأهرام :

فهي أولا : نشرت خبراً كان أولى بها أن لا تنشره - لأنه هجوم لا مبرر له عند أحد مقدسات العرب - ثم نشرته بصورة توسى بأن لها في نشره غرضاً ، فهو في واجهة الجريمة وهو على حودين ، رغم أنه يضع كلمات . فهل إذا تقدم واحد منا إلى أوسع جرائد الاتحاد السوفيتي شيوا ، وأكثرها نفوذاً ، بنشرهاهم فيه المذهب الشيوعي ، ينشر له ؟ الجواب معروف لنا جميعاً هو التي القاطع ، فلماذا - إذن - نهجم في عقر دارنا بأيدينا ؟ ونسخر أنفسنا لمون خصومنا - في الرأي - علينا ؟ هل معنى ذلك أننا مفككون لا يابيه بعضنا بمصلحة بعض ؟ أم أننا مأجورون نخون وطننا نظير مقيم مالي ؟ إن كل واحد من هذين الأمرين جد خطير ، ينبغي أن يحسب له ألف حساب وحساب .

وهي ثانياً : تسلمت في الوقت المناسب رداً على هذا الخبر فأهمته ، وفي هذا الإهمال اقتيات على حرية الرأي التي - إن أحسنا الظن بجريدة الأهرام - لا نجد لها عنداً

فالمصحافة التي تدأب على توهين شأن الإيمان في نفوس الشعب ، إنما توهين من حب الوطن ، الذي هو من الإيمان ، وتوهين من شأن الصبر وقوة الاحتمال ، وهما من الإيمان ، وتوهين من شأن بذل الأرواح والجهاد والاستشهاد التي يشجع عليها الإيمان .

والذي يوهين من شأن حب الوطن بيننا ، ومن شأن الصبر وقوة الاحتمال فينا ، ومن شأن الجهاد والاستشهاد دفاعاً عنا ، هو صدور لبود لنا ولوطننا ، وعدود لبود لسياسة رسمها لنا زعيمنا ؛ لأن سيادة الرئيس جمال عبد الناصر يحرص كل الحرص على سلامة البناء الروحي للفرد والجماعة ، بنفس الددجة التي يحرص بها على سلامة أجسادهم .

وحكومت حكومة رشيدة تقوم على تنفيذ سياسته بعناية ودقة وحزم ، فلا يعقل أن يبلغ بالرقابة المصرية على الصحف - وهي جزء من حكومة الرئيس جمال - احترام حرية الرأي حداً يبيح لها أن تنشر رأياً يتحدى العرب في أهم معتقداتهم ثم يبلغ بها - في نفس الوقت - الاستبداد حداً يمنع من نشر رد عليه ، إن هذه لإفريه ضالة كاذبة ، وستار يقتربه المعرضون الذين تأبى عليهم طلباتهم المنحرفة أن يوافوا الشعب بحاجته في الوقت المناسب . فلو ثوقهم من أن

مظاهر إسلامية كريمة في إندونيسيا

للأستاذ محمد محمود وضوان

الإسلامية ؟ كيف تصل أحكام العقيدة وتعاليمها إلى المواطنين في أطراف الجمر الثانية ؟ العقيدة الدينية راسخة في قلوب مسلمي هذه البلاد أم أنهم مسلمون بالاسم فقط كما هو الحال في بلاد أخرى هل استطاع الاستعمار الطويل يجرؤ به وسطوته أن ينال من عقيدتهم على مر القرون أو أنهم صمدوا له ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي تدور في ذهن كل مسلم تجاه إخوانه المسلمين في مشارق الأرض أو في مغاربها ؟

وأحد اقه ... لقد أسعدني الحظ بلجئت إلى أندونيسيا بنفسى ، ومع أنى لم أقض

كنت أعرف - قبل أن يصدق الحظ زيارة أندونيسيا - أنها أكبر بلد إسلامي في عالمنا الحاضر مساحة وسكانا ، وكنت قد لقيت في مستهل حياتى بعضا من إخواننا الأندونيسيين المسلمين ؛ منهم من سعدت بالتمرف عليه زميلا في كلية دار العلوم بالقاهرة ، ومنهم من قابلت في مكة والمدينة في خلال زيارتي للحج في سنة ١٩٤٢ م .

و كنت دائما تواتا إلى معرفة المزيد من حال المسلمين في أندونيسيا ، كيف يعيشون ؟ كيف يؤدون شعائر الدين وأغلبهم لا يعرف العربية ؟ كيف يتفقهون في الدين والثقافة

هذا الخبر - يظهر المقتصر في أداء واجبه ، وهو تزوير على العلماء وتدليس على الشعب

أبتا الصحافة : وقتا بالشعب ااكونى لا ولا تكونى عليه اااا لك رائد وشيد ، لا طاقية مستبد ؟

سواء في نشر الخبر . وليس في هذا العمل من الأهرام اقتيات على حرية الرأي فقط ، بل فيه حرمان الشعب من حاجته الضرورية . وقد اعترفت الأهرام نفسها بأن نشر رد على هذا الخبر هو حاجة من حاجات الشعب بما نشرت من كتاب بعض القراء على العلماء أن يدعوا خبرا كهذا يفلت دون أن يعقبوا عليه بنقد .

وهي ثالثا : بمنحها نشر رد العلماء على هذا الخبر قد أظهرتهم أمام الشعب - الذى بحث لها به تنجدها في حث العلماء على نشر رد على

البركتور سليمان دنيا

أستاذ الفلسفة المساعد

في كلية أصول الدين

لا يكون مستغربا أن تلمس هذه الظاهرة
فيمن تتفهموا بالثقافة الدينية فذلك أمر
متوقع مألوف . وإنما المستغرب الذي يجعلك
تهتز طربا أنك تقابل الشاب الأندونيسي الذي
تعلم في المدارس المدنية أو الفنية ، ثم تراه
قوى العقيدة ، صادق الإيمان ، يرى الله في كل
عمل يؤديه ، ويذكره أينما حل ، ويحرص
على أداء الفريضة أينما كان . .

كان أول من صادفته في طريقى إلى أندونيسيا
شاب يعمل مصيفا في الطائرة التي أغتنى من
(ميدان) إلى (جاكرتا) ، ولما هرب أتى
هربي مسلم تهلك أساريه ، وأخذ يحدثنى
باللغة الانجليزية - عن الإسلام وتعاليمه حديث
العارف المتيقن ، ثم أخرج من حقيبته مصحفا
صغيرا وأخذ يتلو من سورة (ياسين) تلاوة
جيدة ، وناقشته في بعض المعاني فأجلب
لإجابات صحيحة ، ثم ذهب وحاد بعد قليل وفي
يده قطعة فاش صغيرة أخبرنى أنها من كساء
الكعبة الشريفة ، وأنه اقتناها حينما كان
في الحج ، وأنه يحملها - مع المصحف - وهو
في الطائرة تبركا واستبشارا . ولقد بقيت فيما
بعد مئات ومئات من أمثال هذا الشاب . .
مهندسين وأطباء ومعلمين وتجارا ، وكلهم
من تتفهموا بالثقافة المدنية ، ومع هذا فإن
المسالم بدتهم كبير ، مع صعوبة الوسيلة ،
ووهرة الطريق . .

والظاهرة الثانية التي تسترعى انتباه المسلم

بها إلا شهورا قلائل ، ومع أتى لم أشهد
إلا مناطق معدودة منها ، ومع أتى لا أزال
أدرس وأستطلع وأرى في كل يوم جديدا -
مع كل أولئك أستطيع أن أقرر الجواب عن
معظم ما كان يحبك في صدرى من الأسئلة ،
وأستطيع أن أقول في عبارة قصيرة : إن
الإسلام بخير في أندونيسيا . .

نعم . . إن الإسلام بخير في أندونيسيا . .
بل أتى أستطيع أن أقول متبنا : إن أندونيسيا -
بقليل من العبر والجهد - ستحمل لواء
الإسلام يوما ما ، وستكون مصدر إشعاع
له في هذا الجزء من العالم - أعني الشرق الأقصى -
كما أن القاهرة كانت ولا تزال - مصدر الإشعاع
في الشرق الأوسط ، ومنها سينبثق نور
الإسلام ليضئ بتعاليمه السمحة التي تدهو
إلى سلام العالم أجمع إن شاء الله .

ولست أستطيع في هذه السجالة الموجزة
أن أعدد المظاهر التي جعلتني أتهى إلى هذه
النتيجة ، ولكننى سأكتفى ببعض ما شاهدت
في أندونيسيا في هذه الفترة القصيرة من مظاهر
إسلامية أنجبت قلبي ، وجعلتني أعتف مرارا
بالآية الكريمة : « يريدون أن يطفئوا نور الله
بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون ، .

وأول هذه المظاهر ما تلقاه واضحا كل
الوضوح من رسوم العقيدة الدينية وناسلها
في قلوب المتفهمين من أهل أندونيسيا ، وربما

الألموا، هذا وقد استمعنا ليلتذ لي نحو أربعين قرناً وقارة ، (ومنهم أطفال في السادسة والسابعة) يتلون القرآن كأحسن ما تكون التلاوة ، والحق أنه كان مظهراً اعترت له نفس طرباً ووددت الآية الكريمة « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » يسبح له فيها بالندو والأصال . رجال لا ظلمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

هذا وقد حدثني أحد الناشئين أن الناس يتخطفون المصاحف تخطفاً ، وأنه كلما طبع مليون نسخة منها وأخرجها إلى السوق تفتت في أيام قلائل ، وتشتاق المطبعة للعمل فلا تستطيع أن تمد حاجة الناس إلى كتاب الله .

وذا مرة كنت الدكتور على فهمي الصروسي سفيراً في أندونيسيا بوزر منطقة من المناطق ، ونزل ضيفاً عند أسرة مسلمة ولما حانت ساعة الرحيل سأل أطفال الأسرة ماذا تودون أن أحضر لكم على سبيل الهدية حينما أعودكم في المرة القادمة ؟ فكان جواب الأطفال : نريد مصاحف القرآن الكريم .

ومن المظاهر الإسلامية الرائعة في أندونيسيا حرص المسلم العارف على أداء الصلاة ، وصحح أن المساجد قليلة ، ومن أجل هذا يحمل أغلبية الناس في بيوتهم ، ومن التقاليد الجميلة فيها تعجيب الأطفال في فريضة الصلاة وهم في سن مبكرة فأبازهم

الزائر لأندونيسيا هي احتفال إخواتنا الأندونيسيين بالقرآن الكريم - وخاصة بتلاوته وتجويده - احتمالاً قل أن تجد مثله في بلد إسلامي آخر ، هذا بالرغم من صعوبة اللغة العربية عليهم ، وتعقد الأساليب المستخدمة في دراستها . وقل أن تجد مسلماً في أندونيسيا إلا ويحفظ آيات من القرآن الكريم يستعين بها في أداء صلواته ، أما إذا قرئ القرآن فثمت الهمزة والرقعة والخشوع وحسن الإنصات ولا يزال الناس يتحدثون هنا عن الحفاوة التي قوبل بها المقرآن المهربان اللذان زارا أندونيسيا في العام الماضي ، وكيف كانت الجماهير تتسابق آلافاً مؤلفة إلى المكان الذي يتلون فيه - ثم يقبلونها من حي إلى حي ومن بلد إلى بلد .

ومنذ شهور دعي مع السيد السفير لحضور مسابقة في قراءة القرآن الكريم ، أقامتها رابطة القراء في جاكرتا ، وذهبنا إلى مكان المسابقة فإذا نحو ثلاثة آلاف مستمع ومستمنة - شباباً وشيوخاً وأطفالاً - قد حضروا لهذه المناسبة ، ولم يقنع المكان للجلسة جميعاً فوقف عند كبير منهم ، وظل الجميع الجالسون منهم والواقفون في أماكنهم لا يرحونها ، من الساعة الثامنة مساءً إلى الثانية صباحاً ، يستمعون بالقرآن الكريم أكثر مما يستمع شباب اليوم بأغاني المغنيين والمنشآت ، ولو قد امتد الحفل إلى الصباح

منها أفراد الشعب ، ترى تنهف كل مسلم ومسلمة على أداء فريضة الحج ، وتقدم ألوف مؤلفة كل عام لأداء الفريضة ، ومن تحقق منهم أمنيته فهو أسعد السعداء ، وقد زرت مرة مع القائم بأعمال المفوضية السعودية سفينة تحمل قوما من حجاج الجزر قبل إبحارها من ميناء جاكرتا ، فرأيت نحو ألف وخمسةائة أغلبهم من الفقراء السعداء ، انشروا على ظهر السفينة والتقوى تملأ قلوبهم ، والهفة إلى بيت الله تفيض في وجوههم ، وعلت أن كلا منهم دفع نحو ثمانية وعشرين ألف روية رسوما للحج ، وهو مبلغ ضخم لا ريب أنهم قضوا سنوات طولا لا يدخرونه من قوتهم ، حتى حقق الله أخيرا أمل الحياة كلها في زيارة بيته الكريم ، واشهد لقد وقفت على سطح السفينة أتمتع بناظري عبر البحر الطويل ، وأصبح في فكري حقيق . . . أى سر يكن في هذا النداء الرباني فيسارع إلى تلبية هؤلاء المسجلون من جزرم الثانية ، حل فقرهم وإملاقهم ، وبعد الشقة ووحشة الطريق ؟ .

ومن المظاهر الإسلامية في أندونيسيا اتجاه الناس إلى الله في أمور معاشهم ، والالتجاء إليه فيما يعزمون من أمر ، أو ينوون من سفر ، وحينما ذهبت إلى المطار لتوديع الوفد الأندونيسي الذي زار الجمهورية العربية المتحدة وعلى رأسه السيد آدم خالد نائب رئيس الوزراء . . . كان هناك آلاف من المودعين ارتفعت عقائرهم بالتسبيح والتكبير ، ولما

يصلحونهم إلى المساجد وخاصة في يوم الجمعة ، وحينما يصل الإمام في قراءته إلى كلمة « ولا الضالين » ترتفع أصوات الأطفال فوق أصوات المصلين جميعا ها تفين (آمين) ؛ كأنما يجدون في ترددها لفة لا تعاد لها لفة ، ومن عادات الأندونيسيين المألوفة أن يحمل كل مصل سجاده معه إلى المسجد . ولو كان مفروشا - ليصل عليها ، بل إنه يحملها معه في حقيقته إذا سافر من بلد إلى بلد باعتبار أنها لازمة من لوازم السفر كالتسفة أو الفرجون مثلا ، وقد سافرت مرة لحضور مؤتمر في بلد آخر ونزلت مع رفقاء من أعضاء المؤتمر في حجرة واحدة ، فكان كل منهم يخرج سجاده من حقيقته ليؤدي الصلاة أينما كان .

على أن هذا الفرام لا يقف عند الصلاة وحدها ، وإنما هو فرام بشعائر الدين جميعا تلقاء واحدا في مناسبات عدة ، فالتقوم هنا يختلفون بالحج احتمالا ، وكلمة (حاج) تقرن بأسماء الناس كأنها جزء من الاسم يعتز به المسلم ويزيده تشريفا ، ويمت الناس على احترامه وتقديره ، ويذكر القلب في الأوراق الرسمية كما تذكر كلمة (الدكتور) مثلا . . . ولقد كنت أرى اسم (محمد الياس) وزير الشؤون الدينية مقرونا بلقب (حاج) في قرارات مجلس الوزراء .

وعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية الحاققة التي تعانيها أندونيسيا في الوقت الحاضر ويقاسي

ويلبس البياض كأنهم الملائكة الأطهار ؛ أو كأنما يلبس الإحرام في عرفات .. ولكن المنظر رائعاً دمت له عيناى رهبة وخشوعاً . ومنذ أيام كنت أجلس في شرفة منزلى مساء ، فإذا بي أسمع صوت ترنيل ينبعث من المطبخ ، فستلت لأجد الخادمة تمسك المصحف وتقرأ في سورة (المزمل) فه صوت غنائى جميل ، ومع أنها لم تدرس العربية فهي تستطيع قراءة الآيات بالنظر أو بصورتها الكلية العامة . وقد أسفت حينما عرفت أنها تقرأ لمجرد التبرك . وأنها لا تدرك من المعاني إلا قليلاً . وبديهي أنها حضرت سنوات في إحدى المدارس الدينية التي تشرف عليها الجمعيات ، وثمت أكثر من ثلاث عشرة ألف مدرسة من هذا القبيل في ربوع أندونيسيا تقوم بخدمات جليلة للإسلام وإن كان ينقصها المدرسون الأكفاء ، والكشب المتأخبة .

ومع أن الجمهورية الأندونيسية قد نالت من المدنية الحديثة قسطاً كبيراً ، ومع أن الحياة الاجتماعية فيها قد تأثرت إلى حد كبير بمظاهر هذه المدنية - إلا أن الأندونيسيين يمتزجون بنفاليدهم الأصلية الاعتزاز كله ، ويحاربون كل دخيل عجوج ، ويثرون ثورة عنيفة على كل تقليد زائف . ولست أنسى ثورة الصحابة والجمعيات المختلفة على رقصة (هولاهوب) و (روك أندول)

حانت ساعة قيام الطائرة إذا بصوت يرتفع بالأذان ثم يقرأ الجميع الفاتحة .. وقد تكرر هذا المظهر في مناسبات أخرى شهدت عند توديع بعض كبار المسافرين .

وعند عقد القران ينقلب الحفل إلى حلقة دينية رائعة ؛ يذكر فيها اسم الله كثيراً ويوجه الماذنون بالوعظ والإرشاد والتفقيه والتفسير ويقدم المصحف الشريف مع المهر تزكياً .

ولست هذه الظواهر قاصرة على الرجال وحدهم ، فإن النساء يشاركن فيها مشاركة كاملة وفي مسابقة القرآن الكريم التي ذكرتها آنفاً كان نحو نصف الحاضرين من النساء ، وقد يتوقع المرء أن يكن من المعجرات ؛ ولكن الأمر لم يكن كذلك فقد كانت أغليتهن من الفتيات والبنات الصغيرات ؛ وحضرت الحفل طائفة من سيدات المجتمع على رأسهن السيدة فاطمة واثى حرم الرئيس سوكارنو .

وكان بين المتسابقين كثير من الفتيات .. بل إن الجوائز الثلاث الأولى كانت من نصيب ثلاث فتيات ؛ ولست أنسى الطفلة (فتحية) - وعمرها ست سنوات - وقد وقفت تتلو في صوت جميل التجويد آيات من سورة (لقمان) لم تلحن فيها لحناً واحداً .

وفي يوم عيد الأضحى كان عشرات الألوف من المصلين قد اصطفوا لصلاة العيد في أحد ميادين جاكرتا الفسيحة ؛ وكان ثمت بضعة آلاف من السيدات يحتلن الصفوف الخلفية

أقلية نصرانية ويميش هؤلاء. وأولئك إخوانا متحابين ، إذا احتفل النصراني بعيد لم يكن المسلمون أول المهتين ، والعكس صحيح . وإذا تزاورت الطائفتان امتنع المضيف عن تقديم الطعام المخطور في ملة الضيف احتراماً لمشاعره وعقيدته ، وإذا بنى المسلمون مسجداً في قرية هب أهل الأديان الأخرى بماونون في البناء بأموالهم وبأيديهم ، وهكذا يفعل المسلمون حينما تبنى الأقلية المسيحية كنيسة أو معبداً . وفي شهر أبريل الماضي قررت جمعية الشباب المسيحي في جاكارتا أن يتطوع أعضاؤها في أوقات فراغهم للمعاونة في بناء مسجد الاستقلال الذي سيُشيد في مكان قلعة هولندية قديمة ، وبلغ عدد المتطوعين أكثر من ستائة مسيحي ، يحملون ألقاب القلعة القديمة ، ويمهدون الأرض لبناء الجديد .

وبعد : فهذه بعض المظاهر الكريمة التي اجتذبت انتباهي واستحوذت على إعجابي كسلم يطلأ أرض أندونيسيا لأول مرة ، سقتها على سبيل المثال لا الحصر ولا الاستقصاء .

يبد أن أندونيسيا بلاد فسيحة ، تشمل على بضعة آلاف من الجزر المتباعدة ، ولها تاريخ طويل زحفت إليه كثير من الثقافات والمعادن والتقاليد المتباينة ، فلم يكن هناك

وغيرهما مما دعا السلطات في كثير من المقاطعات إلى تحريمهما . ومنذ أساميس ظهرت دعوة إلى إقامة مسابقة لاختيار ملكة للجمال في أندونيسيا فهبت الهيئات المختلفة - وعلى رأسها الهيئات الإسلامية - تحارب هذه الدعوة الغريبة وتحتج عليها بما أنها تتعارض مع دين البلاد وتقاليدها ، وكان لهذه الاحتجاجات أثرها فسانت الفكرة قبل أن تولد . ومن أمثلة ذلك أيضاً تلك التقاليد المنافية للدين والفضيلة والتي خلفها الاستعمار بين طلبة الجامعات الأندونيسية إبان الاحتفال بأول العام الدراسي ، وقد هبت الطوائف والهيئات تنعى هذه العادة الخرفاء ، وطابها وزارة التربية والثقافة ، ووزارة الشؤون الدينية ، والآباء والأمهات ، بل والطلبة أنفسهم ، وفي شهر يونيو الماضي اجتمع اتحاد الطلبة بجامعة أندونيسيا وقرر إلغاءها ، وأن تستبدل بها عادات وتقاليد قومية .

والإسلام دين التسامح ، ودين التعايش السلي مع سائر الأديان . وظاهرة التسامح الديني يضرب بها المثل في أندونيسيا ؛ فالمسلمون - وهم الأغلبية العظمى - يعيشون مع إخوانهم أصحاب الأديان الأخرى معيشة مودة وإعلاء ، وإنك لتجد القبيلة في بعض المقاطعات وأغلبها مسلمون ، وفيها

الرسائل يلح أصحابها إلحاحاً في طلب هذه المراجع حيث انقطع استيرادها من البلاد العربية لأسباب اقتصادية منذ عهد بعيد .

هذا ويقع معظم عبء الترية الدينية في الوقت الحاضر على أكتاف المواطنين الأندونيسيين الذين درسوا في الأزهر أو في الحجاز ، وعلى تلاميذهم الذين تخرجوا في المعاهد الدينية في أندونيسيا ، ولكنه عبء باهظ ثقيل نظراً لاتساع البلاد وتناثر جوارها من ناحية ، ولتيار المدنية الحديثة الجارف من ناحية أخرى . ولهذا أن يقتدى كل بلد إسلامي بالجمهورية العربية المتحدة فيوفد عدداً من الرعايا والأساتذة إلى أندونيسيا ، ويستقبل عدداً من الطلاب الأندونيسيين كل عام يدرسون في معاهده ليمتقوا قواعدهم إذا رجعوا إليهم .

أما لغة العربية في أندونيسيا ، باعتبار أنها لغة القرآن الكريم ، ولغة الثقافة الإسلامية العريقة - فإن لها حديثاً آخر أرجو أن يكون في المستقبل القريب إن شاء الله .

محمد محمود رضوي

الملحق الثقافي للجمهورية العربية

المتحدة بجاكرتا

مفر من أن تقتحم المسلمين في كثير من المناطق بعض العادات التي قد تتنافى مع العقيدة الإسلامية ؛ فقد سمعنا مثلاً - أن بعضاً من المسلمين في مناطق معينة يأكلون لحم الخنزير ، وأن بعض النساء في مناطق أخرى لا يرين في الزواج من غير المسلم غشاحنة أو حرجاً ، وأن آخرين يكثرزون دماء الذبائح ويستخدمونها في طعامهم وأغلب الظن أن الاستمرار في تبنى مثل هذه العادات يرجع إلى جهل بأحكام الدين وتعاليمه ، لا إلى استهتار به أو عدم مبالاة باتباعه .

ومن هنا كانت المسئولية الملقاة على عاتق المسلمين المثقفين - أندونيسيين كانوا أم غير أندونيسيين - مسئولية جسيمة حقاً ، ووزارة الشؤون الدينية الأندونيسية تبذل جهوداً طيبة في هذا المضمار ، ولكنني أعتقد أن على الهيئات الإسلامية الأخرى كالأزهر الشريف والمؤتمر الإسلامي والجمعيات - أن توغد المبعوثين والأساتذة لتفقيه الناس في عقيدتهم ، وتنقيتها من الشوائب الدخيلة ، وشرح دقائق الشريعة الإسلامية السمحة ، وإمداد المواطنين في أندونيسيا بالكتب والمراجع والمصحف الدينية باللغتين الأندونيسية والعربية ، وبين يدي آلاف

التوازن بين العقل والقلب

للأستاذ أحمد عبد الجواد الذوي

رحمة أبي بكر وشده ، وكانت عقلية عمر
وكراماته ، وكان فقه علي وتصوفه ، وكان
غني عثمان ومخازنه ، وكلُّ محمد في القرآن
مبتغاه معناه ، وبلغ في النبي شخصية متكاملة
أبرز ما فيها اعتدال جميع العناصر البشرية
سواء كانت نباتية أو حيوانية أو عقلية
أو روحية ١١ .

فهو يبكي في المحراب ، ويخوض المعركة
ويشربها ، ويأكل ويشرب ، ويرسم السياسة
العامة والخاصة ، بأعظم كياسة ، ويعطي
البيت حقه أعظم عطاء ١١ وإلى ذلك كله
اجتمعت فيه القوة الإلهامية والذكائية
والروحانية على أتم ما يكون وأصفاء ، حتى
كان صلوات الله وتسليماته عليه في كل هذا
سماء ما طاولتها سماء ١١ .

ونهج المسلون الأولون هذا النهج القويم ،
فكانت الفروسية وكان الفتح بالنهار ، وكان
الحشوع والبهائم ، والضراعة إلى الله ، إذا
جن الليل . وكانت سوق المعاملات في هدوئها
وصخبها ، خالية من الاستغلال والاحتكار

التصوف الأصيل فلسفة ووحية تجمع إلى
إلهام القلب ، نور العقل ، وحركة اليد .
وهذا كانت فلسفة مشرقة ، وصالحة ، وقوية ١١ .
قالت السيدة عائشة : كان عمر خير
الراشدين ، ولكنه كان إذا مشى أسرع ،
وإذا قال أسرع ، وإذا ضرب أوجع ١ .

وليس معنى هذا أن هذه العناصر الثلاثة
تسير جنباً إلى جنب بقوة واحدة ، شبرا
بشبر ، وذراعاً بذراع . فلكل طاقة لا يستطيعها
إلا المصطفون الأخيار ١ .

إنما الذي نريد أن لا يقوى العقل جداً
ويضعف القلب جداً ، أو يقوى القلب كثيراً
ويضعف العقل كثيراً .

فإن هناك أزمة حادة بين علماء الكلام ،
والصوفية منذ القرن الثالث الهجري ،
والتاسع الميلادي ، لا زلنا نعاث منها الآثار
السبئية ، والفجوة الكبيرة .

لقد سار العقل والقلب في صدر الإسلام ،
صديقين حميمين ، يتعانقان وجهه النهار
وآخره ١ فكان زهد بلال وجهاده ، وكانت

مطعمة بالروحانية التي تذهب بمضافها في كثير من الأحيان... ولما كان هذا التوازن بين القوى المادية والروحية ، دقيقا وصعبا ، لم يكن من السهل أن يفهمه المستشرق العالم جولد تسيهر... فإنه يرى أن فكرة الفتح الإسلامي دعا إليها أول مادعا ، التحول من الزهد والرغبة الجامحة في الدنيا ، وفي هذا يقول عندما نكلم من الزهد والتصوف في كتابه « العقيدة والشرعية » : بل قبل أن يقتضئ النبي صليبه ، وعلى الأخص بعد وفاته مباشرة ، تحول المبدأ السائد إذن إلى مبدأ آخر ، ففكرة الزهد في العالم ، حلت محلها فكرة فتح العالم... ولم يكن هذا الفتح موجها نحو المثل الأعلى وحده ، لأن كنوز المدائن ودمشق والإسكندرية لم نسمع طبيعتها بإيجاد ميول للزهد والتقصف... وكانت البواصت الغالبة التي دلفت بالعرب إلى القيام بالفتوحات هي الحاجة المادية والطمع كافي ذلك في دقة عظيمة ، ليوني كابتاني في عدة فقرات من كتابه عن الإسلام وقد هنس العرب للدين الجديد ورحبوا به على اعتبار أنه ذريعة لحركة الفتح هذه التي كانت تدعو إليها الضرورات الاقتصادية الخ... .

ولست هنا في مجال مناقشة مستشرقنا أو الرد عليه... فتشأنه في حضارة مادية منحرفة

ويئة متعصبة حاكمة ، جعلته كالرجل الذي نشأ في ملكة عميان وكان بصيرا... لحدثهم عن السماء وجعلها فكذبوه ، وحدثهم عن النجوم وضباطها فاستثقلوه ، وحدثهم عن القمر وبهجة فاسترذلوه وهددوه ، فلما أن يقيم معهم في ملكتهم التي تحدها الجبال الأربع ولا سماء ولا نجوم ولا قر ، وإما أن يظلموا من وجهه هاتين المينين اللتين تجلبان عليه الجنون والخيال... أقول : صعب على المستشرق العالم أن يدرك التوازن الذي كانت تدير عليه الدعوة الإسلامية أول أمرها ، فذهب إلى ما ذهب إليه . ومن الذي قال : إن الإسلام زهد في الدنيا أو في العالم زهادة كلية.. وقرأته يأمر : « وابغ فيها آناك الله الدار الآخرة ، ولا نفس فصيلك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

ورسول الله يستجوب صبد الله بن عمرو ابن العاص استجوابا صريحا قاسيا ، حينما اتهمه أهله بالمزوف عن الدنيا... يا صبد الله ابن عمرو : بلفني عنك أنك لا تمام ! قال : أردت بذلك الأمن من الفرع الأكبر ، قال : وبلفني أنك لا تقطر ، قال : أردت بذلك ما هو خير منه في الجنة ، قال : وبلفني أنك لا تؤدي إلى أهلك حقهم . قال : أردت بذلك نساء خيرا منهم... فقال النبي صلى الله عليه

شرون أم ثلاثة عشر .. وهكذا .. لانتهى من جدل إلا إلى جدل ، ولا من كلام إلا إلى كلام .. المستزلة لم رأى ، والأشاهرة لم رأى ، وأهل الحديث لم رأى والمتأولون لم رأى .. والآراء تنبع من العقل ، ولذلك نهى وإن كانت عليه ، إلا أن فيها جفالا ملحوظا بوقودا كثيرا .

وهنا انفصل عن الدعوة الإسلامية منصر القلب . فأصبحت فلسفة كلامية بحجة لا روح فيها ولا حياة . ولعل الذى أفتد العقليّة الإسلامية أو الروح الإسلامية توازنها ، ما قابها من عوامل أجنبية متنوعة ، كخضارة النصراني واليهود والفرس ، وكالفلسفة اليونانية والأفلاطونية والهندية . فتكونت فلسفة أخرى ، هى فلسفة القلب ، وهى فلسفة التصوف . وأصبح للفلسفة الكلامية أنصار ، والفلسفة الصوفية أنصار . والدين الإسلامى بسع الفلسفتين فى بساطة واتزان . فهو يقرأن هناك عالما للغيب فيه نبوة ورسالة وولاية وملائكة ، ووحى وإلهام وكشف ، وبهت وحساب وشور ، وجنة ونار . وإذا كانت هناك مجموعة ضوئية على رأسها الشمس ويلها القمر فالسكواكب ، ضالم الغيب على رأسه النبوة ثم إلهام الأولياء ، وكشف الصالحين ، وهناك عالم الشهادة ، ويشمل المادة بجميع أجزائها ، من حبة

وسلم : يا عبد الله : إن لك فى رسول الله أسوة حسنة ، فرسول الله يصوم ويفطر ويأكل اللحم ، ويؤدى إلى أهله حقوقهم ، يا عبد الله : إن لله عليك حقا ، وإن لبدنك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا .

إن الإسلام دين الإنسان ، والإنسان مادة وروح ، وعقل وقلب ، وفكر وعاطفة ؛ وذلك وإلهام ؛ فكيف يستغنى الإسلام عن الدنيا ...

انطلقت الدعوة الإسلامية قوية ؛ حين ساندتها العقل والقلب والذراع أو الإسلام والإيمان والإحسان .

فلما كان القرن الثالث الهجرى ساد الجدل بين العقل والقلب ؛ بين علماء الكلام والفقهاء من ناحية ؛ والصوفية من ناحية أخرى . ويكون الجدل العقيم دائما عندما تفرغ العقول من الأفكار الجلية ؛ وعندما تخلو القلوب من المواطن والمشارع الراقية .

ولقد تمعدت العقليّة الفقهية والمفسفة الكلامية فى هذا القرن ، فأركان الصلاة تدرس تدريساً جلفا ، والأمور الفقهية تمل إملاء ميتا ، والبحوث الكلامية تنحصر فى زيادة الإيمان ونقصه ، ورؤية الله وعدم رؤيته . والجنة والنار ، هل وجدت أم لا ، وهل هما فى السماء أم فى الأرض أم فى الفضاء ، وهل فى العالم الأعلى دواب أم لا .. وهل صفات الله

النفس ورغباتها جميعا ، أو إفناء العقل عن المدركات والأفكار والأفعال والأحاسيس ، أو إبطال جميع قوى الفكر الواعى . فلن المستشرق الفاضل نيكلسون قد أرجع هذه النظرية إما إلى الزرقانا البوذية ، أو المسيحية أو التنويم الذاتى . . . وأنا لا أسوق هذا الكلام لإيماني به أنه صادق كل الصدق ، فيكلسون عندي في قصر الاتهام ، بالنسبة لما نسبته إلى الإسلام . وإنما لأنى أرى أن ذلك فعلا دخيل على الإسلام والاعتقاد بأن جميع الأديان من بوذية ووثنية وكتائية طرق موصلة إلى الله . دعوة دخيلة على الإسلام... وهكذا .

فلو كان عمق الفكر مطما بروحانية القلب ، لوصل إلينا ثجاج أضخم وعلم أجسم ، وشطحات أعقل ، وأدب أجمل .

إن العلم اليوم تقدم ووصل إلى قانون الذبذبة والمجازية ووصل إلى أحدث الاختراعات والاستكشافات ، وكذلك عندنا في مصر وفي غيرها عقول عليية جبارة . ولكننا نفكرو مع ذلك فراقا روحيا كبيرا . وما قيمة العالم إذا كان قلبه أقرغ من نواد أم موسى .

وقد قرأت قصة هندية تقول : إن الإيمان والرجاء والحب تشكلوا بشكل حمامات ثلاث ، فلما نزلت إلى الأرض لم يسجبا أهلها ،

المرل إلى خلية المنع ، ومن تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وغير ذلك .

ولذلك كم كلن غريبا على الإسلام انفصال الفلسفة الكلامية عن الفلسفة القلبية . . ومناسبة هذه المذاهب لتلك . لقد كان الخلاف بينهم في كل شيء ، الكلاميون تكلموا عن الإلهيات من زاوية عليية بحتة ، والصوفيون تكلموا عنها من زاوية عاطفية بحتة ، وأطلقوا على نتاج العقل ، علما . وعلى نتاج القلب ، معرفة . .

وفي الحق أننا كسبنا من وراء هذا الخلاف عقليات ناضجة في العلم ، وبحوثا عنافية فيه ، واستنتاجات واستنباطات وقياسات كنا في أشد الحاجة إليها كما اكتسبنا أدبا عاطفيا رقيقا ، وإلهامات صوفية صادقة ، وفيوضات ربانية قيمة ، وإشارات ومزية عالية .

ولكن انفصال العقل عن القلب أوجد لنا جدلا فقها ، وصورا كلامية حشيت بها الكتب أضرت العقلية المسئلة ضررا بالغا ، وانفصال القلب عن العقل أوجد لنا شطحات وهيامات صوفية ، أخرت المسلمين قرونا من الزمان . فالدعوة إلى البتولة والعزوف عن الزواج دعوة دخيلة على الإسلام ، والدعوة إلى الفناء أو الحلول أو الاتحاد دعوة دخيلة على الإسلام . وسواء كان الفناء إفناء ميول

ولا بالصين ولا سفسين
ولا بيلغار مولدى
ولا بالعراق ولا خراسان
ولا الهند ذات الجنة أنهار منقى
ولا بهذا الكون ولا ذاك
ولا فى الجنة والنار موطنى
ولا طردى من عدن ولا يزدان
ولا من آدم أخنت نسقى
بل من مقام ما أبعد من مقام
وطريق غنى العالم
نجمت عن بدنى وروحى
فن جديد أحيانى روح محبوبى...
ولقد قرى العلم الحديث من الشطحات
الصوفية أول أمره ، ولكنه فى الأيام
الآخيرة أخذ يصطلىح مع علم التصوف ،
خصوصاً بعد أن آمن « بالتلياق » ،
والتلياق كلمة يونانية تقابل تقريباً ما يسمى
بالكشف عند الصوفية ، ومعناها الحرقى :
اقضال من بعيد ... ولا دلنا ننظر من العلم
الحديث نلاقيا أوسع مع الصوفية ، كما لازلنا
نرجو وجود غزالى القرن الرابع عشر الهجرى
يقوم مقام غزالى القرن الخامس فى التوفيق
بين الصوفية وعلماء الفقه والكلام .
اللهم املأ عقولنا علماً ، وقلوبنا حياً ،
وأيدنا حركة ، إنك على كل شىء قدير .
أحمد عبد الجواد الرومى

خطبت من رهبان الرجوع إلى السماء ، فقال
المولى : للإيمان والرجاء : لا مكان لكما
فى السماء ، أما أنت يا حامة الحب . فاشتت
تغلى بين الأرض والسماء . وأنا أمل الآن
أن تغفل حمامة الحب بين عقولنا وقلوبنا ،
أى بين قهاتنا وفلاستنا ، وعلماء الصوفية
أى بين الشريعة والحقيقة ١١ .
إن الحب إذا عشت فى القلوب أذاب
الأحقاد بناره ، وصهر الحزازات بلهبه .
ما أحوج أمنا ودعوتنا الآن إلى أن
يتعاون القلب والعقل والبس على العمل
والفكر والكشف .
ولقد ذكروا أن ابن سينا العالم تقابل مع
أبي سعيد الصوفى . . وتناقشا فقتل ابن سينا
فقال : ما أعلمه يراه ... وسئل أبو سعيد
فقال : ما أراه يعلمه .
ويسرى أن أختم المقال بفيض من الأدب
الصوفى ، قال جلال الدين الرومى :
جهول أنا عند نفسى
بربك خبرنى ما المصمى ؟
لا الهلال ولا الصليب معبودى
ولا أنا كافر أو يهودى
ولانى الشرق ولانى الغرب موطنى
ولا لى قريب من ملك ولا جن
ولا طيقتى من تراب ولا طل
ولا صورتنى من ماء ولا زبد

مع الشيوعيين في مسجونهم

للأستاذ أحمد الشرباصي

الفردية ، وتزعم الحرية الشخصية ، وتتخذ من الشعب هروما ضحيا تربيع على قته الدولة في استبداد مقنع واستعباد مستور ، وقد يكون لها من البريق الظاهر ، أو الزخرفه الخارجي ، ما يخدع القابليين للتداع عن حقائق في الداخل تذهل وتروح .

ومن هنا التركيز المضغوط لمبادئ الشيوعية نستطيع أن ندرك بسهولة مساقاة الخلف ومدى البعد بينها وبين دين يؤمن به ، وبين قومية مصطبغ بها ، ولا أحب أن أستشهد هنا بكلام لرجل دين ، بل بمباراة صريحة واضحة قالها الرئيس جمال عبد الناصر في سنة ١٩٥٤ ، وصدر بها كتاب « حقيقة الشيوعية ، وفيها يقول عن الشيوعيين :

« قد كفروا بالدين ؛ لأن الدين في حرفة للشيوعية خرافة . وكفروا بالفرد ؛ لأن الفرد في دين الشيوعية لا كيان له ولا حقيقة لوجوده ، وإنما السكبان للدولة . وكفروا بالحرية ؛ لأن الحرية نوع من إيمان الفرد بذاته ، وليس للفرد في النظام الشيوعي ذاته ولا إرادة . وكفروا بالمساواة في نظام الدولة ؛ لأن الدولة في دستور الشيوعية طبقات تنظم في هرم يترجع على قته فرد ،

يتعرض المجتمع العربي في هذه الآونة الفاصلة الحاسمة من تاريخه المعاصر لمحنة شديدة قاسية ، تتطلب من الأسياسة الطب والعلاج ، وهي محنة اندلاع لمب الشيوعية الحمراء في رجا من أرجائه ، وناحية من نواحيه ، وما يحسب عاقل أن تقنع الشيوعية بما نالت أو تنال ، فإن لها من أطماعها الأشعبية وأحلامها الثورية ما يقض المضاجع ويقتل الخواطر ؛ ولعل الشيوعية هي أكبر خطر يهدد عمائدنا الدينية ، ومواردنا الروحية ، وقوميتنا العربية ، ونزعتنا التحررية ، وجهادنا لجمع الكلمة ووحدة الصف ، وتطلعا إلى إقامة مجتمع فاضل على أساس الاشتراكية التعاونية الديمقراطية في ظل العقيدة للسمحة والمروبة الأصيلة . . .

وإنما كانت الشيوعية أكبر الاخطار على هذه الموارد والمقدسات ؛ لأنها ترى أن الكون والحياة والإنسان مادة ، وأن القيم الروحية والأخلاقية خيال أو اتصال ، وأن الدين خرافة ، وهو أفيون للشعوب ومخدر للجماهير ، وأن الله لا وجود له ؛ وهي تثير حرب الطبقات وتبثم الأحقاد والضغائن في صدور الأفراد والجماعات ، وتلقى الملكية

قام بهذا المجهود ليحذو به أمه ، ، وخاصة هذه النية الزكية من رجالات البلد العاملين المجاهدين الذين نذروا أنفسهم لخدمة هذا الكيان القائم ودعوه والذب عن حياته ، والنجاح عن المبادئ والعقائد السبوية التي تعتقها هذه الأمة وتقدسها ، وتبذل حياتها ودمائها وأموالها في سبيلها ، كما يسعون في دأب واستمرار إلى الارتفاع بها إلى المكانة التي تليق بها وتاريخها وبشرها بين الأمم الحرة العزيزة المستنيرة

ولقد كان هذا الضابط مختصاً بسجون الشيوعيين ومراقبتهم داخل سجونهم وحل مشكلاتهم ، ولذلك تكونت عنده خبرة بأساليبهم ووسائلهم لنشر مبادئهم وتحقيق مآربهم ، فهم يعمدون إلى التخفي والاحتيال المستور في بث آرائهم فهذا مثلاً رجل يسمى « بطرس » يزل بغداد على أنه خياط ماهر ويعلم الناس من حوله فنون الخياطة والتطريز وفي طيات ذلك يتحدث بلباقة وتليق مع من يجتمعون به حول أساليب الحكم والإقطاع وجهل الفلاح وانتشار الأمراض بين الطبقات الفقيرة ويشير في حذر وبراعة إلى ما قامت به روسيا من تحقيق المساواة والرعاية ، وهو يصطنع أصدقاءه عادة من العمال والطبقات الفقيرة ، ويتفنن في الحديث فلهذه معلومات كثيرة وعنده ثقافة واسعة ، ونجوم الشبهات بعد حين طويل حول « بطرس » وبعد أن قضت الكثير من سمره

ومعتشد ملايين الشعب في القاعدة . . . ألا ما أبد واقع الشيوعية عن دعوة دعائها . . . ونحن المصريين . . . نحن العرب . . . نحن المسلمين والمسيحيين في هذه المنطقة من العالم ، تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بأن لكل عامل جزاء عمله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وتؤمن بأن لكل فرد في كل جماعة كياناً في ذاته ، وكياناً في أهله ، وكياناً في قوميته العامة وفي بلده . . . ١ .

والأحداث الدامية الموجعة التي شهدتها أرض العراق على يد الشيوعية فيها صبرة للخبيرين وحظة للدارسين ، ومن العجب أن كتاباً كبيراً صدر في العراق منذ عام ، وقيل ثورة ١٤ يوليو بقليل ، يسجل جوانب من مآسي الشيوعية ومكانتها في بلاد الرافدين ، وهذا الكتاب بعنوان « مع الشيوعيين في سجونهم » ، كتبه ضابط عراقي كبير ، هو الأستاذ عبد الجبار أيوب الذي كان مديراً لسجون بغداد والموصل ونقرة السائب « بلدة في البادية الجنوبية من العراق ، والحلة وكركوك . . . وظل يقوم بهذه المهمة صهداً طويلاً حتى اعتزل الخدمة ، وأصدر هذا الكتاب بعد اعتزاله الخدمة ، فليس هناك مؤثر فيه أو مطعم برتجي ، ولذلك يلوح من كتابته الصدق والاعتدال ، وقد نشره قبيل قيام ثورة العراق ، فكأنه كان النذير الريان بما سيقع في هذا الجزء العزيز من أرض العروبة المؤمنة ، ولذلك بنص على أنه

الحريات البربرية والفوضوية المخسية الخفية التي شاع أمرها عنهم في السجون ، يريدون حرية المظاهرات لصرف الطلاب عن دروسهم ، والمحال عن مكاسبهم وعيبتهم يريدون حرية الإضراب عن العمل لخلق البطالة والتذمر وشل الحياة الاقتصادية العامة ، يريدون حرية الفوضى للقضاء على نظام الحكم القائم ، إنهم يريدون تحقيق قيادة شيوعية في هذه البلاد ، تقود الشعب وتسيره إلى تحقيق أغراض سادة موسكو ، في حين أن قيام مبدأ شيوعي في هذا البلد الإسلامي يعد من أحلام العاشلين في الحياة ، والشيوعية في هذا البلد معناها التصيد بالماء العكر للوصول إلى كرسي الحكم والقبض على مقاليد الأمور ، ١١ .

هذا الكلام قد كتبه كاتبه وشره على الناس منذ عام ، فأمل فيه ثم تطلع إلى الأحداث الجارية الآن ١١ .

• • •

وعلى الرغم من أن نظام الحكم العراقي قبل ثورة ١٤ تموز كان يرى في الشيوعية المرحب الأكبر له ، نجد أن الشيوعيين في مجونهم كانوا يتمتعون بيزات كثيرة لا يتمتع بها ضيخم في بلادهم وسوى بلادهم ، فالسوء متوافر عندهم ، والموظف الصحي يزورهم يومياً ، والأطباء المختصون يترددون عليهم ، كما يزورهم كل أسبوعين لجنة طبية للصحة العام ، والمصابيح متوافرة ، والاطعمة ملائمة وتوزع برسالة لجنة من المسجونين أقسمهم ،

وتكشف القوم حقيقة أمره فإذا هو رجل عسكري برتبة رئيس في الجيش الروسي ، أجاد التفكير والاحتيال والاستغلال ١١ .

ويمتدح لنا من ماضي الشيوعية المبكرة في العراق أن طائفاً السريين كانوا يستغلون في محاولاتهم الآتية طائفة العمال والفلاحين الأيمن ، والطلاب المبشرين ، كما كانوا يستغلون مآثم الاستعمار التركي والعربي في هذه البلاد فيحدثون البلب من هؤلاء من النعم الخيالي العجيب إذا صار للشيوعية دولة وكيان . . .

ويقول الكاتب الذي صاحب الشيوعيين في مجونهم : « إن الحزب الشيوعي العراقي السري الذي يدعي أنه يبنى نظرياته على الواقع المادي كرس كثيراً من نشاطه لتخذية ولماش الروح الطائفية في العراق ، فقام بطبع ونشر الكثير من الكرايس والكتب والنشرات لتحقيق هذا الغرض الوضع وبصورة خاصة بين الطوائف الإسلامية كما عمد إلى تجسيم العداء بين السكان في جنوب العراق وشماله ، فبنى نظريته استقلال كردستان لعزل الأكراد عن إخوانهم العرب والأدهي من هذا أنه ببنى نظرية تقسيم فلسطين ليجرد أن موسكو هي التي قالت بالتقسيم وأيدته .

ويضيف : « أما الشيوعيون فهم يدعون بمطالبهم أن يحرروا مزاوله النشاط الشيوعي في العراق ، وتنفيذ الأوامر والخطط التي ترسمها وتحددتها لم موسكو ، وهم يريدون

دجلة لكي يتسرب منها الماء ويزداد الخطر وتفرق بغداد بمن فيها وما فيها : وقد قبضت الدولة على هؤلاء وأنالتهم جزاء خيانتهم وغدرهم بوطنهم ومواطنيهم .

والصلة وثيقة بين الشيوعية والصهيونية ، وكل طرف وكل مسلم يدرك ما صنعت الصهيونية بأبناء العرب والإسلام ، والكاتب الذي يحدثنا عن الشيوعيين في سجونهم يذكرنا بأن كارل ماركس ، مؤسس الشيوعية وفيلسوفها من أصل يهودي .

ثم يحدثنا عن كثير من اليهود والصهاينة الذين اندسوا في صفوف الشيوعيين السريين بالعراق ، ويحلل نشاط اليهود في حقل الشيوعية الخطير بقوله : « في الحق إن اليهود كان لهم القدر المثل في هذا الميدان ، لأنهم كانوا يريدون من وراء نشر هذا المبدأ الخطر صرف الأقطار عن إنشاء الوطن القوي الذي كانت تعمل له إسرائيل ، وتسمى لإقامة هذه الدولة التي يريدون أن تكون لهم ملجأ يستظلون بظلالها ، ويعيشون في حدودها التي يتخيلونها لها من أنها ستحتد فيما بين الفرات والنيل ، وبناء على هذا فقد نشطوا نشاطاً عظيماً في الترويج لهذا المبدأ الذي يخدم قضيتهم التي لا تتعدى إنشاء وطن قومي لإسرائيل . لذلك وجدناهم يقبضون الفكرة الشيوعية في العراق ، ويقدمون لها الأموال لتغذيتها ، وينزلون في سبيلها دماء وأولادهم

والصنف تأنيهم ، ومكتبة السجن مفتوحة لهم ، ومع ذلك لا يقتنعون ولا يرتدعون ، حتى يمثل في شأنهم بقول القاصر : إصلاحهم أعياء العقول لأنهم

خلقت مفاسدهم لغير صلاح من كل مرتكب الشنيع ولم يكذب ينبيه عنه إذا لحاه اللأسي أهدى بطرق الخزيات من القضا

وأضل عن آمنوا بسجاح ا فهم يتجهزون الفرص لتنظيم الإضراب داخل السجن ، وهم يجمعون ويقومون بالتخريب والتخلم واستعمال قتال مولوتوف وغيرها من وسائل العدوان والحدم ، وفي سنة ١٩٥٣ قاموا بحركة تمردية عنيفة في سجن بغداد ، واعتدوا على الشرطة والضباط ، وكان من جراء ذلك أن صدرت الأوامر باستعمال القوة ضدهم فسالت دماء وأزهقت أرواح ١١ .

وبينا كان الشيوعيون داخل السجن يحاولون بهذه الحركات التمردية أن يشغلوا الدولة في بغداد ، حدثت كرامة الفيضان سنة ١٩٥٤ ، وتمرضب بغداد دار السلام للفرق وهم أهلها بمخازنها لولا حزم وزير الداخلية الذي قد المواقب الوخيمة للجلاء عن بغداد وبينما الدولة مشغولة بكل أجهزتها لإنقاذ العراق من الكارثة ، كان الشيوعيون يدمسون السفلة الأوغاد ليحدثوا فترات في ضفاف

الحركة سلاح الإغراء الذي أغوى الكثيرين من شباب هذا الوطن ففضوا يشدون أزر الشيوعية في جميع آرائها ومقاصدها ، مندفعين لا يلوون على شيء ، فقد تذاثروا على الجهاد في سبيلها والذب عن حياضها ، ولم تمنعهم مطاردات الشرطة وتنكيلاتها ولا الحبوس وغلظ العيش فيها ، وكانوا كذا دب إليهم بعض القصور برزت لهم غوايا امرائيل وغاداتهم الغائيات فدفعهم في السبيل المرسوم ، وأعدن إليهم نشاطهم ، وأحيين فيهم بالكلام الممسول ميت الآمال .

وأما الشنوذ الجنسي في حقول الشيوعية فله حديث أليم ، فالشيوعية لا تقيم ميزانا للمرض والعفة والفضيلة ، وهي ترى أن الاتصال الجنسي عملية جسدية يراد بها الترفيه والتنفيس ولا عيب فيها إذا أتاها أهلوها بأية صورة وبلا قيد من القيود ، ومؤلف « مع الشيوعيين في مجونهم » يقص عغازي فظيعة في هذا الباب ، فالشيوعيون يأتون من صور الشنوذ الجنسي ما لا يقره دين أو عقل أو إنسانية ، وهم لا ينجحون من التصريح بهذا الشنوذ والمعالجة به ، ويعتبر الحياء من الحديث عن هذه الشؤون بقية من بقايا الرجعية والتأخر ، وهم يصعدون أوامرهم الحزبية الشيوعية في كثير من الأحيان إلى بعض الشبان الذين لم وسامة

ونساهم وكل ما يستطيعون أو يملكون من قوى . .

وهذه أسماء يهودية كثيرة تنضم إلى الحزب الشيوعي المراقى السرى ، وتتفنن في محاربة العربوية والإسلام ، وفي خدمة الصهيونية وإسرائيل ، وفي تحطيم المقومات الروحية والأدبية والوطنية في قلوب الشباب والعمال . ولقد أقام الشيوعيون في مجونهم ذات ليلة حفلة رقص وضياء ... أتدري أية ليسة كانت ؟ إنها ليلة الذكرى لتأسيس دولة إسرائيل ،

ومن أخطر الأسلحة الفتاكة التي تستخدمها الشيوعية بالتعاون مع حليفتها الصهيونية سلاح « المرأة » فهاتان امرأتان حسناوان على غاية من الفتنة والمجازية ، تحاولان بإغرائهما ووسائلهما التأثير في المشرف على السجن حتى لا يمانع في نقل بعض الشيوعيين المسجونين من مكان إلى مكان ، ثم يصور الكاتب خطورة سلاح المرأة في هذا المجال فيقول عن هؤلاء الشيوعيين : « وقد ضحوا في سبيل هذه الحركة تضحيات كثيرة ولم يتركوا سلاحا إلا استخدموه في سبيل إنجاحها ، وقد كان أمضى سلاح استخدموه هو المرأة ، فقد لعبت المرأة في هذه الحركة دورا من أروع الأدوار وأشدها فتكا وأكثرها تنوعا ، فقد استعملت المرأة في هذه

في السجن، وأخرى باسم القيادة الخارجية .
ويعنى الشيوعى النائب فى تفاصيله فيذكر
كيف كان هؤلاء الشيوعيون يشتمون الأنبياء
والرسل ويسخرون من الدين ، ويظاولون
على مقام الرسول محمد والصحابه الكرام ،
ويعنمون المتدينين من القيام بالصلاة ،
ويطلقون أجهزة الإذاعة إذا بدأت تلاوة
القرآن ، ويأتون الفواحش جهاراً
بلا استحياء . . . ١١ .

ولو أردت أن أعرض ولو بالتلخيص ،
والتركيز كل المآسى التى يأتيا الشيوعيون
في محوهم وخارجها لامتد سبب الحديث وطال
ولكن حسبنا ما تقدم ليعطينا فكرة عن
أهداف الشيوعية ووسائلها ، وليفطنا على
الخطر الأكبر الذى تعرض له الآن بسبب
الاستعمار الشيوعى الذى يتلاقى فى أكثر من
ميدان مع الاستعمار الغربى والاستعمار
الصينى ، ونحن نرى قد كفرنا بكل استعمار ؛
لأننا نؤمن بالله واهب الحياة والحرية ،
فإذا كنا نبذل مجهوداً ضئيلاً لكيلا تقع
فرصة للاستعمار الغربى والاستعمار الصينى
فيجب أن تكون جهودنا أضخم لكيلا تقع
فرصة للاستعمار الشيوعى ؛ لأنه احتلال
والخداد ، وبلاد العربيه المؤمنة قد آلت على
نفسها وعاهدت ربها أن تحيا حياة كريمة
متوائمة مع هدى الإسلام لائقة بموارث
العربية . . . ١١ .

أحمد الترابعى

وقسامة كى يقوموا بالترفيه ، من زملائهم
ويعتبرون هذا قياماً بالواجب . . . ١١ . وقد
ذكر المؤلف طائفة من الوقائع المخزية المضحكة
ذكرها بأما كتبها وتوارى عنها وأشخاصها ،
ونائبها . . .

والشيوعيون فى محوهم يطالبون أن
يكون الرجال والنساء فى مكان واحد ؛ لأن
الرجل لا يستغنى عن المرأة ، والمرأة
لا تستغنى عن الرجل ، وحديث الأفاضل
فى هذا الباب طويل المدى . . . ١١ .

ولقد فرح العالم الإسلامى أخيراً لما تردد
فى الأنباء من أن الشيوعيين فى العراق
قد أمانوا القرآن وأحرقوا المصحف ، وهذه
المأساة قد حدثت على أيدي الشيوعيين من
قبل ، فهذا شيوعى نائب ، يبل بشهادة له
عن مآسى زملائه الشيوعيين (سابقاً) ،
فيقول ضمن شهادته فى سنة ١٩٥٤ بغداد .

إن هذا القرآن الكريم الذى حلفت به قد
أهين أبلغ الإهانة من هؤلاء الشيوعيين ،
قد استعملوا أوراثة (لتسحق بها) أثناء
قتل حاجتهم بالمراحيض ، وكثيراً ما كانوا
يدوسونه بأرجلهم تحقيراً وازدراء ، وأنا
ياسيدى رجل عتيدى خدعتى للدخول فى
زمرتهم وزيئوا لى وجهه ظم ، فلم أشعر
إلا وأنا معهم أقعد اغراض الحزب وأنا فى
السجن ، وقد منعت يا سيدى ذمهم
وبأوامرهم التى لا يفتأون يصدرونها باسم القيادة

صَوْتِيَّةُ الْأَدَبِ

الَّذِي كَوَّرَ تَمَامَ حِصَانِ

بالحواس ، ومن هنا يمكن القول : إن الحواس عماد القياس أيضا .
ولكل حاسة من هذه الحواس لغتها ،
فلفظة السمع الكلام ، وتقرات التلغراف
وأوراق الجيش وصفارات الإنذار ، وطبول
القبائل البدائية في الغابات والأحراج وما
يشبه ذلك .

...

ولغة البصر الكتابة والإشارات للرؤية
كأضواء المرور والتلويح بالرايات في سلاح
الإشارة ، وإشارات المليون والألوان المختلفة
على الخرائط وألوان الفرح والحداد وأعلام
المدن وحلم جرا . . . وأشهر مثال لصفة
اللس كتابة بريل للكفوفين . فهم يقرأونها
باللس ، وكثيراً ما يصطلح الناس على مذاق
خاص أو رائحة خاصة ، فيكون ذلك لغة
للنوق أو الشم . على أن استخدام كلمة لغة
هنا فيه شيء من التوسع من وجهة نظر
الدراسات اللغوية ؛ لأن هذه الدراسات
لا تطلق تلك الكلمة إلا على اللغة بالمعنى
الأخص أي بمعنى الكلام والكتابة .

الحواس أبواب المعرفة ما في ذلك منك .
فنحن نتصل بالعالم الخارجي بواسطتها ، ونعلم
عن طريقها ، بل نحيا حياتنا كلها بفضل
هذه الحواس .

ولو تصورنا إنساناً لا يسمع له ولا بصر ،
ولا قدرة له على الشم والنوق واللمس ،
تصورنا مستحاً أقرب ما يكون إلى الجثة
لا إلى الإنسان الحي ، وإن مجرد الحركة لا يمكن
أن يقوم دليلاً على الحياة ؛ لأن الحركة صفة
الآلة ، وصفة الأجرام السماوية ، ولا يمكن
أن ندعى الحياة للآلة ولا للأجرام .

وكل حاسة من هذه الحواس تصلح طريقاً
للمعرفة ، فنحن نكتسب المعرفة برؤية الأشياء
وسماعها وشمها وذوقها ولمسها . وقد يقول
قائل : إنما نعلم كذلك عن طريق التفكير
المنطقي المجرد ؛ وذلك قول صحيح لا غبار عليه
ولكنه لا يصلح للعلن في صحة دعوى العلم
عن طريق الحواس ؛ لأن التفكير المنطقي
إن كان استقرائياً ، فالحواس عماد الاستقراء ؛
وإن كان قياسياً فتأناه أن يقبس المقبول
على المحسوس ، والمحسوس بحال الإدراك

يعتبران أهم الحواس الإنسانية من حيث اكتساب المعارف .

وحتى اللغة الإنسانية لم تخل من إعطاء عناية خاصة للسمع والبصر ، فوجدناها تنقسم بحسب هاتين الحاستين إلى قسمين : أولهما الكلام ويتجه إلى السمع ، والثاني الكتابة وتجه إلى البصر .

وإن كل لغة من لغات العالم منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا ، إما أن تكون قد قصرت اهتمامها على السمع فظلت لغة الكلام غسب ، وإما أن تكون قد دخلت في مسالك المدنية فشملت باهتمامها البصر وأصبحت لغة كتابة كذلك .

والذى نلاحظه الآن أن اللغات المكتوبة ، فى العالم هى فى مجموعها لغات مشتركة قومية . فأما اللهجات المحلية الداخلة تحت كل لغة من هذه اللغات فلم يتج لها من الانتشار والتقدم ما يحتم أن تصبح مكتوبة برغم ضخامة عددها ؛ إذا قيس إلى اللغات المكتوبة .

ولاشك أن التاريخ البشرى يكشف دون مرأى عن أن لغة السمع وهى الكلام قد سبقت لغة البصر وهى الكتابة . بل إن عمر لغة الكتابة إذا قيس إلى عمر لغة الكلام لا يمكن أن يبدو شيئاً منكوراً ، فصر الكتابة عمر التاريخ ، ولكن عمر الكلام عمر البشر

وأم هذه الحواس فى التعلم والسمع والبصر : أما الأول فلأنه طريق إدراك الكلام ، وأما الثانى فلأنه طريق إدراك الكتابة والموضوعات المعلومة . ولقد فطن العلماء من قديم إلى أهمية هاتين الحاستين بالنسبة لتقدم الإنسان وقدرته على معرفة الظواهر والموضوعات فصرخوا كل منهم إلى العناية بهما . فهم وجدوا أن السمع مدى لا يصل الصوت من ورائه إلى الأذن ، وأن البصر مدى لا تصل المراتب من ورائه إلى العين ، فحاولوا أن يطيلوا مدى السمع ومدى البصر بالطرق العلمية وانصرف منهم إلى هذه المحاولة منذ زمن طويل .

فأما إطالة مدى السمع فقد اخترعوا لها التليفون ومكبر الصوت والأسطوانة المسجلة والشريط المسجل ، وهذه الوسائل جميعاً لا تعترف بمحدود المكان وبعضها لا يعترف حتى بمحدود الزمان . وإما إطالة مدى البصر فقد وجد العلماء أن الأشياء التى تعذر رؤيتها بعضها لا يرى لأنه بعيد وإن كان ضيقاً فاخترعوا له التلسكوب ، وبعضها لا يرى لأنه دقيق وإن كان قريباً فاخترعوا له الميكروسكوب

وهكذا وجدنا السمع والبصر يحتلان المكان الأول فى عناية العلماء ؛ لأنهما

قلنا : إن الأدب العربي أتم بسات النص المنطوق ولم يقم بسات النص المكتوب . ومرجع ذلك إلى أن هذا الأدب كن أدب إلقاء ورواية ومشافة . وهذا الإلقاء وتلك الرواية يظهران في خطب العرب وأشعارهم وأرجلهم وحكمهم وبصمهم ووصاياهم فكان الإلقاء في هذه النواحي نتيجة الارتجال حيناً ونتيجة العمل أحياناً ، ومن أشهر التعبيرات العربية قولهم : إن فلانا يقول الشعر ، وقال الشاعر ، والأقوال عندهم الحكم والأمثال ، ولأحد شعرائهم :

وقصيدة تأتي الملوك وصية

قد قلتها ليقال من ذا أقالها

فالأدب عندهم في عومه أدب قول لا كتابة . ومن مظاهر التأثير هذه القولية في الأدب أننا نقضل عند الاقتباس من نصوص القرآن أن نقول : « قال الله تعالى » لا أن نقول : « أوحى الله تعالى » ، رغم ما يحمل التعبير بالقول من دلالات لا تمشي كثيراً مع الاعتبارات الإلهية .

ولقد استجبت هذه الظاهرة وجود نظام الرواية وشخصية الراوية ؛ فأما نظام الرواية فلم يكن يكتفي بالاطمئنان إلى أن رغبة الناس في الأدب واحتفالهم به ستدفعهم إلى تناقله بالمشافة ، بل كان يتعدى ذلك إلى أن يكون لكل شاعر راوية ولكل ناحية

وعمر التاريخ قد يبلغ حوالى خمسة آلاف عام ، فأما عمر البشر فلا يعرف مبدؤه على وجه التحديد . وإن كل لغة في العالم نعرفها أولاً نعرفها ، لا بد أن تكون قد مرت بمرحلة الكلام قبل أن تصبح لغة كتابة . وهذا صادق على كل اللغات المعاصرة والمتقرنة . وليست اللغة العربية بدما بين هذه اللغات . فعمر الكتابة العربية لا يكاد يذكر إلى جانب عمر اللغة العربية . وإن الرواة ليختلفون في تحديد أصول هذه الكتابة العربية ولكنهم يكادون جميعاً يتفقون على أن هذه الأصول لا تضرب جذورها في القدم إلى ما يزيد على حوالى قرنين من الزمان قبل ظهور الإسلام .

على أن الكتابة العربية لم يكن مجالها تقييد الثقافة العربية ، وإنما انصرفت إلى تقييد التجارة العربية والمعاهدات والوثائق ، فأما الأدب فلم يكن حتى وقت متأخر موضوعاً من موضوعات التدوين ، حتى إن رواية كتابة التعليقات وتعليقها على أسنار الكعبة لتلقى معارضة شديدة من بعض الباحثين . وكان لا بد والحالة هذه أن يتم الأدب العربي بسات النص المنطوق ، أكثر مما يتم بسات النص المكتوب . وقد اصطلاحنا في عنوان هذا المقال على أن نسمى سمات النص المنطوق « صوتية الأدب » .

بنظامها بدرجة لم تمكنهم من تجاهلها فيما كانوا يدونون ، ومن ثم كان التشكيل الأصلي للكتاب في نظرم أن يكون كل شيء فيه مشفوعاً بسند صحيح يذهب به موغلاً في القدم إلى مصدره الأصيل .

فعود فنسكرر أن الأدب العربي كان يقسم بـ (النص المنطوق ، ونصيف منها أنه لا يزال كذلك يرمى إلى أن يلفظ اللسان حين النطق ، ويهدف إلى أن يلفظ الأذن حين الاستماع ؛ لأنه ورد ذلك من تاريخه الحافل الطويل .

ومن مظاهر صوتية الأدب هذه انتفاء الألفاظ بحيث تتوافر لها شروط معينة تهيئ لها القبول في النطق والخفة على اللسان . فمن ذلك أن الكلمة يجب أن تكون سلسلة . ومعنى سلاستها ألا يكون فيها صوتان متجاوران من مخرج واحد ، أو مخرجين شديدي القرب كالحاء والقاف وكل منهما مع العين ، وكالصاد والسين وكل منهما مع الشين ؛ لأن انحداد مخرج الصوتين المتجاورين أو قرب مخرجيهما قرباً شديداً يجعل الكلمة ثقيلة على النطق .

فالسلسلة إذا اصطلاح فلفظ يتصل بحلاوة النطق لا بلذاتة السماع ، أي أن السلسلة صفة الصوت حين نطقه ، وقبل أن يصل إلى الأذن . فلم يكن الواضع العربي يجب أن

من النواحي الثقافية رداً على كالأساطير والأخبار المتصلة بالغابرين وكأناساب العرب وأيامهم ، وكالحكم والأمثال وغير ذلك من التراث الثقافي المتواتر .

ولقد جاء الإسلام فانتفع بهذا النظام أكبر انتفاع وأشمله ، فجعل القرآن حفاظاً والحديث رداً ، وزاد في توسيع نظام الرواية وأصوله حتى نشأ (رواية الحديث علم خاص يتناول السند والرجال ، فجعل الإسلام صدور الرجال مستودع أمانة الله ولم يأنف النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول : « خفوا نصف دينكم عن هذه الخبراء » .

وإذا كان رواية القرآن حفاظاً ورواية الحديث محدثاً فإن الرواية التي استعمل هذا اللقب هو رواية الأدب حتى إن بعض رواة الأدب قد جعل هذا اللقب في اسمه الذي يدعى به كحماد الرواية .

فلما جاء عصر التدوين قضى على نظام الرواية فلم يعد الناس يتناقلون الأدب ولا الحديث ولا غيرهما بالمشافهة ، ولكن كل كتاب يدون خيراً أو حديثاً كان يأتي بسند هذا الخبر أو الحديث إلى الوقت الذي تم فيه التدوين ، وكان معنى ذلك أن التدوين إن كان قد ألغى الرواية في المستقبل ، فقد احتفظ بها في الماضي ، وكان معناه أيضاً أن رجال عصر التدوين كانوا من الثقة بالرواية والارتباط

الشعرية قد تكون سلسلة ولكنها لا تفضلها الأذن على غيرها في الشعر .
وستجرنا الإشارة إلى هذه كلمات الشعرية إلى الكلام في منصب الرمزية في نهاية هذا المقال .

ولا شك أن كون الكلمة شعرية أو غير شعرية متروك في كثير من الأحيان لاختيار الشاعر نفسه ، وما أكثر ما يبنى هذا الاختيار على اعتبارات ذاتية بحته تتصل بتقدير الشاعر لها في الكلمة من جمال وحلاوة .

ولكن النقاد إلى جانب ذلك حاولوا أن يحددوا حدود الكلمة الشعرية بمعايير موضوعية كوجوب توفر السلسلة لها ، وقد أشرنا إلى ذلك منذ قليل ، ثم قالوا : إن هذه الكلمة يجب ألا تكون غريبة على الاستعمال العام ، وألا تكون سوقية مسفة ، فإن الكلمة السوقية ترتبط دلالتها بشئون الحياة اليومية فتفقد طاقها على تحمل الدلالات الشعرية الطاغية غير المحدودة ، التي تستعين بالمعاطفة في التحليق بعيداً عن قيود الزمان والمكان . وإلى جانب الاعتبارات الصوتية التي في اللفظ يحرص الأدب العربي على اعتبارات صوتية في الجملة كالفقرات القصيرة ، وكالجمع والمزاوجة ، وما يسمونه تصاقب الألفاظ وطمح جراً . . .

يضعي بسهولة الكلمة على اللسان عند وضعها ومن ثم لم يجعل الأصوات في الكلمة الواحدة بعيدة عن السلسلة ، فأما حين تلحق بهذه الكلمة ملحقات صرفية كأداة التعريف والضمائر المتصلة ونحوها ، فلانطق العربي في ذلك مسالك جميلة حقاً .

وذلك كأن يلجأ النطق العربي عند تقارب مخرج لام التعريف مع ما يليها من الأصوات أن يجعل اللام شمسية تتحد مع ما بعدها في صورة التقشيد ، ويتفادى العربي بذلك انعدام السلسلة . ولمانطق العربي في الضمائر المتصلة الملحقة بالكلمة بل وفي بداية كل كلمة لاحقة حين تقارب نهاية الكلمة السابقة وسيلة لضمان السلسلة هي المماثلة بين النطقتين كنطق الدال في صورة التاء في قولنا : عانت ، أو : اجتهد تنجح . .

فسلسلة الكلمة عدم استصاها على النطق كما أن الرجل يكون سلس القياد إذا كان طيعاً سهلاً .

ومن ذلك أيضاً أنهم يقسمون هذه الكلمة السلسلة إلى كلمات شعرية وأخرى غير شعرية ، وهذا التقسيم الأخير قد يقتضى وجود السلسلة ، أى سهولة النطق باعتبارها شرطاً أساسياً له إلا أنه يبنى دون شك على اعتبارات سمعية تنوخي لذة الكلمة في السمع ، فالكلمة الشعرية سلسلة لذينة في الأذن ، والكلمة غير

الجناس لهما معا يلحق الغموض بالنص كما
في الالتغاز نحو :

أى شيء تركبه من ثلاث

وهو ذو أربع تعالى الإله

فإذا ما قبلته وأخذت الثلا

ث منه يكون لى ثلثاء

فليس المقصود بلفظ «لى» هنا أن تكون

اللام حرف جر وبعدما ياء المتكلم ، وإنما

المقصود أن اللام والياء يمثلان ثلثي حروف

كلمة « لىف » التى هى مقولوب كلمة « فىل » ،

وهو الحل المطلوب للنز . ونحن نرى أن

الجناس هنا للعين والأذن معاً ، ومن هنا

يلحق الغموض بالنص فيصير لغزاً . ومثل ذلك

نلاحظه فى كلمة « القلب » فى البيتين الآتيين :

يأبى العطار أعرب لنا

عن اسم شيء قل فى سومك

تراه بالعينين فى يقظلة

كما يرى بالقلب فى نومك

فليس المقصود بالقلب هنا ما يتبادر إلى

ذهن القارئ وهو قلب الإنسان الذى فى

صدره وإنما المراد أن تقلب كلمة « نومك »

فتصير « كون » ، وإنما نبيح لأنفسنا هنا أن

نسمى ذلك جناساً لوجود عاطر مخطئ وحل

مصيب ، فالجناس هنا بينهما لا بين كلمتين

فى النص .

وإذا صبح أن تكون الجملة المكتوبة طويلة

الفقرات ؛ لأن القارئ يستطيع أن يعود

إليها من أولها إذا فاته أن يثنى العلاقة

الصحيحة بين هذه الفقرات فى الذهن ، فإن

الجملة المنطوقة يلزم فيها أن تكون قصيرة

الفقرات ؛ ليفهمها السامع بمجرد النطق ،

ويلزم بالعلاقة الصحيحة بين فقرات هذه الجملة .

وظاهرة قصر الفقرات هذه ظاهرة جداً

فى الأدب الجاهلى وأدب ما قبل التنوين .

انظر مثلاً إلى سجع الكهان وخطب الجاهليين

فى عكاظ وغديرها ، ثم إلى سور القرآن

وخصوصاً ما نزل منها بمكة .

وإن محسناً بديعياً كالسجع لينحه أولاً

وآخرأ إلى مخاطبة الأذن ، وهذه الناحية

الصوتية واضحة فى الأدب العربى فى عصوره

المختلفة وفى أشهر نصوص هذا الأدب ؛ بل إن

المحسنات البديعية كلها تنبج هذا الاتجاه ،

وإن واحداً منها كالجناس لا يمكن أن يتصور

الإنسان اتجاهاه إلى العين ؛ لأن الكلمتين

تتجانسان فى الأذن وتبانيان فى الكتابة ،

كما يبدو مثلاً فى قول الفاتل :

كلكم قد أخذ الـ جام ولا جام لنا

ما الذى حرم مدير الـ جام لوجا ملنا

فلا جناس العين فى هذا النص ، وإنما

الجناس هنا للأذن ، ويظهر أنه حين يوجد

انفعال وإعجاب صادقين، وهم بذلك يروحون عن النفس ويستمتعون بمنبع من منابع الجمال تلك خاصة من خواص العرب وميزة من ميزات أدب العرب لا يكاد يشاركه فيها أدب من الآداب .

قلنا : إن ذكر الكلمات الشعرية يقودنا إلى الكلام عن الأدب الرمزي الذي هو أدب صوتي أيضا ، ولكن على طريقتيه الخاصة. ولقد كان الإغريق القدماء يتناولون بالدراسة ظاهرة مسموها ، Onomatopoeia ويقصدون بها دلالة الكلمة بصوتها على معناها العرفي الذي في المعجم ، وتبهم العرب في الكلام عن هذه الظاهرة وكانوا يمثلون لها بكلمات مثل الخفيف وخفيف وخفيف وزفير ، تدل بمثلها من جرس في الأذن على معناها المشروح في المعجم .

وكانت دراسة اليونان لهذه الظاهرة أول التفات إلى الرابطة الطبيعية بين صوت الكلمة وبين مدلولها في مقابل الرابطة العرفية بينها وبينه .

فالكلمة حين تدل بصوتها على المعنى تلعب نفس الدور الذي تلعبه النغمة الموسيقية حين يفسرها سامعها بمعنى خاص ، ولكن الظاهرة المذكورة عثرت على عدد من الكلمات رأت أن دلالتها الطبيعية تنطبق انطباقا تاما على دلالتها العرفية ، فاعتبرت ذلك شيئا يلتفت النظر ؛ ولكن اللغويين لم يستطيعوا أن

وإن الناظر فيما كان العرب يطلقون عليه « عمود الشعر » ليجده أيضا يتجه إلى الأذن ، فالوزن والقافية وهما أشهر عنصرين من عناصر مفهوم هذا الاصطلاح أمران صوتيان .

أما الوزن فهو إيقاع والإيقاع جوهر الموسيقى والموسيقى السماع لا القراءة ، وأما القافية فهي وحدة صوتية بين أجزاء القصيدة لولاها ما ارتبطت أجزاءها بهذا الارتباط الذي لها في النفس حتى إن الشاعر لو جعل الشكر في القافية بين كل بيتين منها على حدة لخرج العمل الشعري ، وكل بيتين منه وحدة بعينها من الناحية النفسية ؛ ولهذا أثر على إدراك الناحية الجمالية في القصيدة باعتبارها نصا مسموعا .

نخرج من هذا جميعه بأن الأدب العربي أدب بمعنى أشد العناية بالناحية الصوتية المسموعة وأن ذلك يرجع إلى تاريخه وتاريخ الأمة العربية نفسها ، فلم تكن الأمة العربية أمة قارئة ولا كاتبة ، وإنما كانت أمة ناطقة فصيححة ولا يزال العرب يسمون بهذه السمة إلى يومنا الحاضر فلا يكاد الناس في أية أمة من أمم الأرض إلا العرب مجتمعون في قاعة وقيمون بها ثلاث ساعات أو أربع بقصد الاستماع إلى عدد من القصائد ، ثم إنهم حين يستمعون إليها يتحمسون للجيد منها ، فيصفقون عن

وصوتية الأدب الرمزي الإحساس الغامض ولا تؤثر صوتية الأدب العربي على وضوح الفكرة . أما صوتية الرمزية فهدفها الغموض وعدم التحديد في الفكرة أي أن هدفها خلق إحساس غامض عند سماع الكلمة شبيه بما تحدثه النغمة الموسيقية .

وبعد : فإن الأدب العربي يمر الآن بما فيه من جرس محبب ، وبما فيه من إضمار وقافية واختيارات كلمات ، وتوافق مخارج ، وهو أدب يمر بالنفس بما فيه من تعاريف وجدانية إنسانية لا تقصر دون الاستحواذ على النفس . ثم هو أدب يمر بالعقل بما فيه من جمال الفكرة وسرعة البديهة النادرة ، وهو بكونه متعة للنفس والعقل أدب يقرأ ، وبكونه متعة للآذن أدب يسمع ؟

دكتور نعام حسام

أستاذ مساعد في كلية دارالعلوم - جامعة القاهرة

يقيموا منه حجة على أي شيء بعينه ، وبقيت جمهرة كلمات اللغة بعد ذلك لا تتفق دلالتها الطبيعية التي با لصوت على دلالتها العرفية التي بالوضع ، إلى أن جاء الرمزيون فقالوا : إن خير ما تعامل به الكلمات الشعرية أن تدل دلالة طبيعية بصوتها لا دلالة حرفية بوضعها . وعاملوا الكلمة معاملة النغمة الموسيقية حتى إن معناها والقاموس قد يكون قوة ومعناها في النغمة قد يكون ضعفا ، والأهم عندهم معنى النغمة .

وهذه الصوتية في الأدب الرمزي تختلف عن صوتية الأدب العربي التي شرحناها من قبل من نواح هامة :

أولها : أن صوتية الأدب العربي تقليدية ؛ أما صوتية الرمزية فتتجذر على التقاليد الأدبية ، ثم إن صوتية الأدب العربي هدفها الجمال ،

صونوا أخلاقكم

وفد أهل العراق على معاوية وفيهم زياد والأحنف فقال لهم .

مرحبا بكم (معشر العرب) إن الله اختاركم من الناس ، وصفناكم من الأمم كما نصفني الفضة البيضاء من خبثها ؛ فصونوا أخلاقكم ، ولا تدسوا أعراضكم ؛ فإن الحسن منكم أحسن لقربكم منه ، والقيح منكم أقبح لبعدهم عنه .

لغويات

الأستاذ محمد علي النجار
وصف الجمع والخبر عنه

الوجه . وهو يقول في الكتاب ١٧/٢ :
« وأما أفعال فقد يقع لواحد . من العرب
من يقول : هو الأنعام . وقال الله - عز
وجل - : « نسقيكم مما في بطونه » . وقال
أبو الخطاب : سمعت العرب يقولون : هذا
ثوب أكياش . ، والثوب الأكياش : الذي
أعيد غزله ، أو هو الردي ، كافي القاموس .
وقد عرض الكلام في الآية الكريمة الفراء
في كتابه معاني القرآن ١/١٣٠ . وقد ذهب
في الجواب مذاهب غير ما ذهب إليه سيويه .
فهو يذكر أنه ذهب بالأنعام مذهب النعم ،
والنعم مذكر ، فلذا ذكر الضمير في « بطونه »
فكأنه قيل : وإن لكم في النعم لمبة نسقيكم
مما في بطونه ، واستدل على تذكير النعم بقوله .

في كل عام نسيم تحمونه

يلقحه قوم وتنجونه
وقد بحث في هذا بأن النعم غير الأنعام .
فالنعم عند العرب الإبل فقط . والأنعام

المعروف في وصف الجمع أو الخبر عنه
أن يكون جماعاً أو مفرداً مؤنثاً . تقول :
عندي كتب نافعات ونافعة . وفي الكتاب
العزيم : « رسول من الله يطلع مصفاً مطهرة » . فيها
كتب قيمة . ، ويتبع هذا الحكم في ضمير الجمع .
تقول : الكتب اشتريتها ، واشتريتها .
وقد جاء في العريية ما خرج عن هذا
الحكم . وهو عماد هذا الحديث .

١ - جاء قوله تعالى في سورة النحل :
« وإن لكم في الأنعام لمبة نسقيكم مما في
بطونه من بين قرط ودم لبناً عالصاً سائفاً
للشاربين » . وترى فيه ضمير الأنعام مذكراً
في (بطونه) ، وكلف المكان لبطونها
أو لبطونهن .

وقد يكون أول من قبله إلى هذا سيويه ،
وقد رأى في الجواب أن ما وازن أفعالا من
الجموع يجوز أن يعامل في العريية معاملة
المفرد ، فجاء تذكير ضمير الأنعام على هذا

ألا إن جيران العشية راح
دعهم دواع من هوى ومنازع
فقال : راح ، ولم يقل راحون ؛ لأن
الجيران قد أخرج مخرج الواحد من الجمع إذ
لم يكن جمعه على واحدة . فلو قلت : الصالحون
فإن ذلك لم يحز ؛ لأن الجمع منه قد بني على
صورة واحدة ، وكذلك الصالحات تقول ،
ذلك غير جائز ؛ لأن صورة الواحد في الجمع
قد ذهب منه قوم الواحدة .

٢ — وجاء قوله تعالى في سورة يس :
« وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى
العظام وهي رميم » فأخبر عن ضمير العظام
برميم وهو معدم مذكر ، والمكان لأن يقال :
رميمة أو رميات . والعلماء آراء مختلفة في
تخرج الآية . فيرى بعضهم أن الرميم بمعنى
مفعول من رمت الإبل الكلا : أكلته ، وإذا
أكلته فقد أبلته وأحاله عما هو عليه ، فالرمم
الحال والمغير عن أصله ، وذلك في العظام
بلاؤها ، وفيل في معنى مفعول يستوى فيه
المذكر والمؤنث ، كما هو معروف . وينهب
الأزهرى اللغوى مذهبا آخر ، وهو أن الجمع
إذا كان على بناء الواحد ساغ معاملته معاملة
الواحد ، ويذكر من شواهد هذا قوله :

يا عمر جيرانكم باكر

فالقلب لا لاه ولا صابر
فلما كان جيران بمنزلة حرمان ونسيان أخبر
عنه بياكر المفرد ، وكذلك العظام لما كان
في زنة كتاب أخبر عنه برميم المفرد المذكر .
وهذا الرأي كأنه أخذه من رأى الفراء

الإبل والبقر والغنم ، فهما غنمان ، فأتى
يذهب بأحدهما إلى الآخر ؛ وقد أجيب عن
هذا بأن تخصيص النعم بالإبل غير راجع إلى
الوضع بل إلى الاستعمال ، وخير من هذا أن
يقال : إن أكثر ما يشرب العرب وتقوم
عليه حياتهم هو ألبان الإبل لغزرها ، فكانت
الإبل من هذه الناحية موطن المنة الكثيرة ،
فروى في الأنعام عند الحديث عن اللبن
النعم وهي الإبل تنبها على هذه النسبة ،
ويشبه هذا الاستخدام عند البديعيين ، كما في
قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم

وعيناه وإن كانوا غضابا

ذكر السماء يريد المطر ، وأعاد الضمير عليها
في معنى ما ينبت عن المطر فيرضى ، وهو الكلا .
وذكر الفراء وجهاً آخر في الجواب ، وهو
أن جمع التكسير يصح أن يعامل معاملة
المفرد المذكر ، وهو يعبر عن جمع التكسير
بالجمع الذي لم يكن على واحدة ، أي لم يبق فيه
بنية واحدة ، وهو يقابل بمعنى الصحيح ،
ومما ذكره في الاحتجاج لهذا قوله : « مثل
الفراخ تفتت حواصله » (١) وهو يقول :
« ولم يقل : حواصلها ، وإنما ذكر لأن
الفراخ جمع لم يكن على واحدة ، فجاء أن يذهب
بالجمع إلى الواحد . قال الفراء : أنشدني
المفضل .

وقيده ، فقد سلف أن الفراء يسوغ أن يعامل جمع التكسير معاملة الواحد ، وأطلق في جمع التكسير ، والأزهرى يقيده بما كان على زنة الواحد ليخرج ما كان على صيغة أقصى الجمع كساجد ومصابيح . ويقول الشهاب الحنفاجي في كتابه حل البيضاوي ٢٥٤/٧ : وقال الأزهرى : « إن (عظاما) لكونه بوذن المفرد ككتاب وقراب عومل معاملة ، وذكره شواهد . وهو غريب ، وإذا عرفت أن الفراء قال بأكثر من قول الأزهرى لم يكن رأيه غريبا ، لاسيما وقد ساق شواهد .

٣ - وجاء وصف الجمع بالمفرد في كثير من شعر العرب ، فمن ذلك قول زهير :

فأصبح يحدى فيهم من تلامذكم
مقام شئ من إقال مزمن

الإقال : جمع أقيل وهو الفصيل ، والمزمن الموسوم بعلامة خاصة عندهم ، وتروى فيه وصف الإقال به وهو مفرد مذكر . ويقول الزوزنى في شرحه للعلاقات : ولم يقل :

المزمنة وإن كان صفة لإقال حملا على اللفظ ؛ لأن فعلا من الأبنية التي يشترك فيها الآحاد والجمع ، وكل بناء انخرط في هذا السلك ساغ تذكره حملا على اللفظ ، وتراه في هذا يتفق أثر الأزهرى ، وقد نحا ابن سيده - كما في اللسان - هذا النحو ، هذا وقد روى :

من إقال المزمن ، وهذه الرواية هي التي جاءت في الديوان بشرح ثعلب المطبوع في دار الكتب

وفي الشرح ١٧ : « وقال أبو عبيدة : المزمن : خل معروف نسبها إليه . »

وقال الفرزدق ١٥ :
إذا القنبضات السود طوأتني بالضعي
زقندن طين الحجال المسجف
القنبضات : القصار من النساء . وتروى فيه وصف الحجال بالمسجف ، والحجال جمع حجلة وقد ذكر الوصف لأن الموصوف على زنة المفرد ؛ كما سبق .

وجاء قول المتنخل (٢) الهزلي .
ذلك ما دينك إذ جنبك

أحمالها كالبعكر المبتل
دينك أي دأبك ومادتك . بقول : إن

عاده البكاء عند فراق الأحبة واستعدادهم للسفر وتهيئة الأحوال والأمتعة وتجهيزها ووضعها على الإبل ، وهي في هذه الحالة تشبه النخيل وهي البعكر ، والبعكر جمع بكور وهي التي تدرك أول النخل والمبتلة من النخيل : النخلة تثلق منها فسيطة فستبقى عنها ، قرى فيه وصف البعكر بالمبتل ، والوجه : المبتلة وإنما مجاز هذا أن البعكر على زنة المعنى المفرد لجاء الوصف مفردا على هذا .

والقاربي يفرج من هذا البحث بمواز وصف الجمع بالمفرد المذكور في الاختيار من الكلام ، ويدرك بحق سعة العربية وثماعتها وكثرة مذاهب القول فيها في حكمة ونظام ؟

نظم على النجار
الاستاذ بكلية اللغة العربية

(١) انظر ديوانه ٥٥٢ .

(٢) انظر ديوان الهزليين ٢ - ٣ .

مايقال عن الإسلام

العالم الإسلامي والجغرافيا الدينية

للأستاذ عباس محمود العقاد

موضوعه المفصل منذ زمن بعيد ، ويتظنون منه ما هو من بابهِ بغير التباس بين أبواب المباحث المتعددة ، وكل ما يتظره الناس من مباحث الجغرافية السياسية أن تزودهم بالمعلومات عن بِناع الأرض من جانب أحوال الدولة ونظم الحكم وعلاقات البلد بما حوله وبسائر بلدان العالم المعمور .

أما السياسة الجغرافية فالذين يدرسونها يهتمون قبل كل شيء بموقع البلد وما يفرض هذا الموقع على سكانه من خطط الدفاع والهجوم ومن أساليب الإدارة والحكومة ، ويريدون أن يثبتوا بدراسة هذا الموقع الجغرافي أنه هو الذي يمل على الدولة سياستها في جميع أطوارها . فلا تستطيع ألمانيا - مثلاً - أن تثير قراهد سياستها ما دامت في موقعها من أوربة الوسطى وما دامت محدودة في البر والبحر بمحدودها المعروفة ، ولا تستطيع روسيا من عهد الخانات إلى عهد بطرس الأكبر إلى عهد الثورة الشيوعية أن تسلك

تتفرع من العلوم العصرية مباحث مستقلة ، يطلق عليها بعضهم اسم العلوم لاستقلالها بموضوعاتها الخاصة ، ولكنها أخرى أن تسمى بالمباحث كما سميناها ، أو تسمى بالدراسات العلمية ؛ لأنها أقرب إلى التطبيقات التي تبني على العلوم المتفرقة منها إلى العلم المفرد بقواعده وتقاربه وأصوله .

وعلى سبيل المثال نذكر في هذه الدراسات ما يسمونه بعلم السياسة الجغرافية وهو غير الجغرافية السياسية ، وقد شاع شيوعاً كبيراً بعد الحرب العالمية الأولى لأن هذه الحرب قد أظهرت بالأمثلة الجلية فعل الموقع الجغرافي في توجيه السياسة الدولية وتوحيد خططها وإن تبدلت حكوماتها بين امبراطورية وجمهورية أو بين حكومة مطلقة وحكومة دستورية .

ولا يكتسب موضوع الجغرافية السياسية وموضوع السياسة الجغرافية geopolitics فإن الجغرافية السياسية مبحث قديم يعلم الناس

و درجالت الزيادة والنقص في عدد المتدينين بالدين الواحد مع تقلب الأدوار والأطوار. ولم يكن علم ذلك كله ميسورا قبل هذا القرن العشرين ، وإن كان بعض هذا العلم قد عرف في اليهود الماضية ، وقيل على أساسه ما قيل من أن أديان التوحيد تناسب البلاد التي يقل فيها اختلاط العناصر الطبيعية ، وأن قوى الطبيعة إذا تعددت في بعض الأقاليم كان لها أثرها في اعتقاد أهلها أن القوى الإلهية متعددة من ورائها .

بل على أساس البحث في الجغرافية الدينية جرى الحوار - بين السيد جمال الدين وأرنست رينان - في أثر الإسلام وأثر المسيحية بين الصحراء وبلاد الخصب والعمران .

إلا أن المعروف من هذا البحث قبل القرن العشرين لم يكن ليزيد على المعروف يومئذ من تفاصيل الجغرافية والتاريخ وإحصاءات الحوادث والسكان ، فلم يكن على أوسع وأعمه كافياً لاستقلال البحث بموضوعه ذلك الاستقلال الذي سوخ لبعضهم أن يحسبه علما بين سائر العلوم .

ولا نرى أن المعارف والإحصاءات التي تعتمد عليها دراسات الجغرافية الدينية قد ختمت اليوم أو أذنت بالختام ، ولكنها قد وصلت - ولا ريب - إلى الحد الذي يقنعنا بقيام موضوع البحث وارثاب النتائج

في علاقاتها بالشرق والغرب مسلكا بخلاف مسلكتها المرسوم في جوهره ، وإن اختلفت الفرائع والأسماء .

وفياضا على هذا المبحث الذي نسوقه على سهيل المثال نشأ في العهد الأخير مبحث لطيف خطير يسمونه بالجغرافية الدينية أو جغرافية الدين geography of religion ويدل اسمه على موضوعه بغير حاجة إلى الإسهاب في شرحه . فإن هذا الاسم يوحى بالعلاقة بين الدين ومواقع البلاد ويدل على اعتقاد الباحثين في هذا الموضوع أن للوقع شأنًا في انتشار دين من الأديان أو في إعراض السكان عنه ، أو حاجتهم إلى وسائل الإقناع أو وسائل الإكراه في قبوله ، وأن للوقع شأنًا في تقديم بعض هذه الوسائل على بعضها وتطبيق الإقناع أحيانا على الإكراه أو تغليب الإكراه أحيانا أخرى على الإقناع .

وقد تأخر ظهور هذا المبحث إلى الفترة الأخيرة من القرن العشرين ولم يكن من المستطاع أن يتقدم بالظهور قبل ذلك ولو بزمان قصير ؛ إذ كان من اللازم قبل ظهوره أن تستوفى المعلومات الجغرافية عن بقاع الأرض وعن سكانها وعن عقائدهم من قديم عصورهم إلى حديثها ، وكان من اللازم أن تتعقد المقارنات المفصلة على حسب الإحصاءات الدقيقة بين أدوار التاريخ وأطوار العقائد

عن التجمع وأحوال المعيشة المستمدة من الدين في الأقطار الإسلامية ، والآخر عن العوامل الجغرافية التي ساعدت على انتشار الإسلام .

• • •

ونحن لا نكتب هذا المقال عن هذا الكتاب لنبسط القول في آرائه وتقديراته فإنها (أولا) أكثر من أن يشملها مقال واحد مع ارتباطها بقواعد البحث في جغرافية الدين كما وردت في الكتب الأخرى وهي (ثانيا) لا تحسب من العلوم المقررة التي بلغت نضجها وسرت بين الباحثين سريان المبادئ الخفق عليها ، ومعظمها لا يزال في الواقع أقرب إلى التحيينات المحتملة التي قد يعدل عنها أصحابها ويميدون تخمينها على وجه آخر في مناسبات أخرى .

وإنما نذكر الكتاب لنورد مثلا من آرائه أو نظرياته ، ومثلا من أخطائه ومغالطاته ، ومثلا من عيوب هذه الدراسة الجديدة كيفما كان تطبيقها على الإسلام أو على غيره من الأديان .

فمن أمثلة آرائه التي تستند إلى أصل صحيح في أحكام الإسلام : أن الإسلام يناسب الأمصار ويطلبها ويبحث عنها لأنه يقيم فيها الأحكام ويشتم فيها فريضة الصلاة الجامعة ومراسم الدين التي يتولاها الآئمة ، فهو أدنى

الصحيحة من طيفه ، ولولم تثبت هذه النتائج حتى الآن كل الثبوت .

وقد توسع الباحثون في تطبيق هذه الدراسة على الديانات الكبرى وفي مقدمتها الديانة الإسلامية ، فكتب علماء الفرنسيين والألمان والأسبان والانجليز وغيرهم كتباً متنوعة عن الإسلام والحياة المدنية ، وعن خصائص الإسلام وطبائع البلدان ، وعن الإدارة الإسلامية في القارات المختلفة ، وعن أثر الإسلام في الثروة والحكومة ، وعن الإسلام وتشيير البيت والحاضرة ، وعن الإسلام وتشير التربة والزراعة وعن علاقة المواقع الجغرافية بكثرة الحجاج وقتلهم وأثر هذه الفريضة في الشعوب التي يتسبون إليها ... إلى أشباه ذلك من مطارج البحث وزواياها المتنوعة ، ومن أسمائها في ذيل كل كتاب يلجأ تبين أنها مكتبة ضافية ، لم يصل إلينا في لغتنا العربية غير القليل منها .

• • •

وآخر ما اطلعنا عليه من هذه الدراسة كتاب ألفه الأستاذ إكسافيه بلانحول xavier de planhol بالفرنسية منذ ستين وترجم إلى الانجليزية في هذه السنة فظهر فيها باسم عالم الإسلام : The world islam ودار البحث فيه على موضوعين من أهم موضوعات هذه الدراسة الحديثة : أحدهما

إلى طبيعة المدن وإن كان منته في الصحراء .
ومن أمثلة آرائه عن الدين الإسلامي
خاصة بين الأديان أنه ينتشر حيث توازن
العوامل السياسية والعوامل الطبيعية
ولا يحتاج الأمر إلى جهود صناعي لتخليب
إحداها على الأخرى ، وقد ينتشر بالوسائل
السلبية في الأقاليم التي تصل فيها المدن والمزارع
والغابات كما حدث في الجزر الأندلسية .

ولنا أن نقبل هذه الآراء على أنها
ملاحظات تاريخية نصف الواقع فيما مضى
ولا تعرض للأسباب والتعليلات ، ولكن
مؤلف هذا الكتاب ومن يجارونه من
الباحثين في هذه الدراسة الجديدة يخطئون
كثيراً كلما انقلوا من وصف الواقع إلى تحليله
وتفسيره ، ثم يتقادون لخطأ طواعة على
الزعم من قدرتهم على كشفه وتصحيحه
لوكلفوا أنفسهم بعض الجهد في المقارنة ،
والمقابلة بين نظائر هذه الأحوال في ظل
الديانات الأخرى .

يقولون مثلاً : إن الإسلام قد احتل في مصر
من المصور شواطئ البحر الأبيض حول
البحر كله من الشرق إلى الغرب ومن الشمال
إلى الجنوب ، ولكنه تراجع عن الشواطئ
الأوربية لسبب يتعلق بطبيعة الدين الإسلامي
ولا ينحصر في أسباب السياسة ولا في المقاومة
من جانب الأمم الأوربية .

وهذا السبب الذي يتعلق في رأيهم بطبيعة
الدين الإسلامي هو أن الإسلام ينظر إلى
الزراعة نظرة الترفع والإعمال وينكر حق
الزارع في بعض مذهب إلى جانب حق المالك
أو حق الدولة ، وأن النبي عليه السلام لها
في بيئة تجارية بين عليّة قومه من التجار
وروي عنه أحاديث ينذر فيها بالذل من
يشتغلون بالسكة والمحرث .

قالوا : وهذا هو سبب الفشل الذي منى
به المسلمون في الشواطئ الأوربية لأنها
لا تستغنى عن الزراعة ، ونحوها منه في
الشواطئ الإفريقية لأن الزراعة فيها لا تحتاج
إلى جهود ولا تزال الصحراء من ورائها
تعتمد على المطر والمري .
والعجيب في هذا الرأي أن يتفق عليه جملة
من الباحثين في الجغرافية الدينية مع سهولة
الاعتناء إلى وجه الصواب فيه لو أنهم
يغامون أن يلتفتوا إليه .

فالإسلام قد بقى في وادي النيل وهو أرض
زراعية يعمل فيها الفلاحون عملاً جهداً يشق
على الفلاحين في غيرها ، ولهذا عرف عن
زارعها أنهم أقرباء الجاهل لطول تعرضهم
لأشعة الشمس التي لا يقوى غيرهم على إطالة
المكث تحنها ، وروي هيرودوت فيها رواه
أنه زار ميدان المعركة بين الفرس والمصريين
فوجد بقية الجاهل الفارسية تفتت من اللبس

المتنعة وهم لا يعرفون لذلك حلة غير قيام المدن الإسلامية برعاية الوالى دون غيره وقلة الشعور فى نفوس السكان بالرابطة المدنية ، التى تربط أبناء المسكن الواحد كما يرتبط الأعضاء فى « شخصية حية » مشتركة .

والعجب فى هذا الخطأ أيضا أنه من الأخطاء التى يسهل تصحيحها لولا اتجاه الرغبة إلى الاتهام وانصرافها عن الإنصاف . فالمدينة الأوربية وجدت فيها الإدارة البلدية ، إلى جانب السلطة الدينية التى كانت تتولاها الكنيسة وتعرض بها مشيتها على المجتمع فى شئون الأعراس والمآتم والرقابة على المدارس والحفلات وشعائره للتطويب ، عند عقد الزواج وعند الإذن بالدفن وعند الاعتراف وسماع المواعظ وإحطاء البركة وما إليها من مراسم السلطة الدينية التى لا وجود لها فى الإسلام .

وقبلا هذا الإشراف من السلطة الدينية لم يحل البلد الإسلامى قط من التنظيم الذى يدل على الشعور بالرابطة المدنية فى أضيق نطاق وأوسع على السواء ، ومن العجب أن يتحدث الجغرافيون الدينيون عن زوال الرابطة المدنية فى حواضر الإسلام وهم يذكرون من خصائص هذه الحواضر أنها تقيم لكل صناعة حيا مستقلا تأوى إليه ،

اليسير ، ولا يفتت شيئا من الجناح المصرية وإن اشتد الضغط عليها .

وقد اختلفت الزراعة فى الشواطىء الأوربية بعد جلاء المسلمين عنها ، وكانت فى عهد أصلح حلا عما صارت إليه بعد ذلك فى عهد أمراء الإقطاع ، ثم اقتضى هذا العهد كله لاختلال أمور الزراعة وقلة المحاصيل الزراعية فى أيامه ، ثم صلحت شئون الفلاحين بعد ظهور الآلات الحديثة وتقدم الفنون الزراعية وانتظام الثروة على أسس الصناعة وتبادل الواردات والصادرات إلى البلاد الشرقية والغربية ، وقد زال أمراء الإقطاع وزالت دولة الإقطاع كله بعد مقاومة من أبناء وطنهم تهون جسداً إلى جانب المقاومة التى لقيها المسلمون لأسبابها الدينية والوطنية والسياسية . وشبه هذا الخطأ عن الإسلام والزراعة خطأ آخر من أخطاء هؤلاء الباحثين عن الإسلام والمضادة أو الإسلام وتنظيم المدينة . فنسبهم أن المدينة الإسلامية فى العصور الماضية ، قبل اتصال المسلمين بالمضادة الأوربية ، قد دخلت من الإدارة البلدية ، municipal وكان خلوها هذا دليلا على الخلو من الشعور بالبنية الواحدة والتركيب الاجتماعى ، ولم تحل المدن الأوربية قط من المجالس البلدية وما يقوم بوظيفتها من الهيئات المعنية بأمر الحكومة أو الهيئات

فلم يمض زمن بعيد على اقتران كل علم من
أعلام الناس بعلم من أعلام المدن ، ولا تزال
بقية من تلك الأعلام تذكر ثم تذكر بعدها
نسبتها إلى الإسكندرية أو طنطا أو المنصورة
أو أسيوط أو جرجا أو قنا أو أسوان ،
وغيرها وغيرها من القرى والبلدان ، ولم
يفس الناس عندنا هذه النسبة إلا في العصر
الذي اتصلوا فيه بالأوربيين والغربيين خلافا
لما يدرجه الجغرافيون الدينيون .

• • •

والخطأ الذي نختم به هذا المقال خطأ عام
يعرض له الباحثون في هذه الدراسة حيثما
كان موضع البحث وكيفما كان تصويره لعلل
العامة التي لا يختصون بها الإسلام والمسلمين .
وذلك الخطأ العام أنهم يبالغون في الرجوع
بالخصائص الروحية إلى أصول مرهومة من
الخصائص الجغرافية وخصائص المدينة
والبادية فكثيرا ما تكون الظاهرة الروحية
مناسبة للإقليمين النقيضين في جميع
الأوضاع وفي الأوضاع الجغرافية والسياسية
على الخصوص .

إن اعتقاد التوحيد ، مثلا يناسب أبناء
البادية لأنهم يطمثون إلى الإله الواحد الذي
يعتصمون به في كل مكان وحوا إليه ،
ولا يلغون كل اعتمادهم على إله محدود في بقعة

(البقية على صفحة ٢٥٨)

إن أحياء الحاضرة تعتمد على حسب الروابط
الدينية والعنصرية كما تعتمد على حسب
الصناعات والتقنيات ، وما كان لثوم يفقدون
شعورهم بروابط المسكن أن يشعروا بروابط
الحرفة أو يشعروا بروابط الخى ، الواحد
حيث يقيمون .

وقد حفلت كتب الأدب العربي بمفاخر
المدن وحيويتها حتى بين الفلاسفة والحكام .
فضلا عن المجائين من الشعراء والأدباء ،
وحق بين أبناء المدن الأندلسية التي يحسبها
الجغرافيون الدينيون حجة من حجج الفشل
في حضارة الإسلام وازدانة الإسلام ، وقد
تفاخر ابن رشد وابن زهرى بما يمدنيتيهما
في حضرة المنصور بن عبد المؤمن من خلفاء
الموحدين فقال ابن رشد لوميله الميسوف :
« ما أدرى ما تقول . غير أنه إذا مات طلم
بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة
حتى تباع فيها ، وإذا مات مطرب بقرطبة
فأريد بيع تركته حملت إلى أشبيلية » .

ولا يقع هذا الفخر بالمدن بين فيلسوفين
طليعيين ثم يقال : إن الشعراء بالشخصية
المحلية ، مفقود في تلك المدن بين عامة الناس
الذين تشغلهم هذه المصليات .

بل نحن لا نحتاج إلى أكثر من نظرة سريعة
في الأسماء المشهورة لنعلم أن النسبة إلى البلدة
مابقة لكل نسبة محلية في ديارنا الإسلامية ،

مَحَنَاتُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

مَوْلِدُ رَسُولٍ وَأَمِيَّة

للأستاذ الشاعر محمود غنيم

سائلُ الكونِ هل عرفتَ الوليدا
الوليدَ الذي استهلَّ قامسَى
أى بشرى إلى السمواتُ زُلْفَتُ
غرَّدى في الجنانِ باحورَ كشوى
بالواءِ التوحيدِ في الأرضِ زُفْرِفُ
وُلِدَ المصطفى سلامَ عليه
هفتَ باسمه و حليمة ، طفلاً
لم يلد أُمُّهُ غلاماً سواء
هل دُرَّتْ يومَ وضعه بنتٌ وهبِ
هل دوتْ أى دوتة وسريرِ
هل دوت أنها على هامة التاريخِ
صاحَ في مهدِ الوليدِ فهل كا
صيبةٌ ذلول الضلالةَ صداما

هزْ في مهدِ الصغيرِ الوجودا !
يومُهُ في السماء والأرضِ حيدا
ردَّدَتْها أملاكها ترديدا
واجهرِ يا نهم في السماء سُعودا
لَعَنَى الشُّرَكَ يَوْمَهُ الموعودا
ما حبا أومنى ، أو اشتدَّ عُودا
كفداً في فمِ الإيمانِ نشيدا
قيمةُ النورِ أن يكونَ فريدا
أنا أطلعت صباحاً جديداً ؟
آذا يومَ وضعه أن يميذا ؟
شامتِ العربُ مَلَسْكَ وطيدا ؟
نَ هزيجاً صياحه أم رعودا ؟
ووعتها أذنُ الهدى ثغريداً

• • •

وُلِدَ الصادقُ الأمينُ فيا شمس
واقترن في جبينه سُورةُ النحلِ
وخذى عنه كيف مُعَيِّن في الأر
س أطلسى وباركى المولودا
مد إذا كنتِ قبتينِ النخلودا
من مراناً وتوظفين رعوداً

واسلكي إن ضللت في الأفق يوما
واقبى النور والهداية منه
نور طه من وجه رب البرايا

• • •
الوليد الذي ترقى يتيا
شاحداً همهم وكل كهاماً
لاباً للأذى من الصبر مدعا
ساحراً لا بحبلة وصاء
ويان من ذاق طر جناه
النبى الأيم جلد بآي
أخرست كل ناطق تركت كل
حرك القم إذ تلاها عليهم
والآن القلوب وهى غلاظ
فاذا طيدو التماثيل
النبى الأيم لم يدرك العبد
كم تحدث عقلا تعاليت السم
شرحة ظلك بأدواحيها من
كل مررت اليهود عليها
الحضارات منذ قمن على الأرض
كلن في الشرق روضها يانع الزهر
سائل الغرب عن كنوز من الفكة
قدمتها غرناطة وهى تبكى
شرعة تكفل الحياتين فى كل (م)
باسمها صار قائداً كل من يح

حلم المرب كلها أن نسودا
جلماً شلم وكلن بديداً
ومن الصبر ما يضل الحديدا
بل بخلق تمنح برؤوس الأسودا
عاف بفت المنقود والمنقودا
تركت سادة البيان جودا
لسان من عيه مقودا
وتعالى فرك الجلودا
بديه الصخر طبعها والبديدا
ه يخرؤون روكماً وبحودا
سم قراراً لبره أو حدودا
سحة فارقة حاراً مكبودا
حل يبدأ أو حل قصرأ مشيدا
أثبت أنها تجارى العهدا
من تفتيات ظلتها الممدودا
مر ، وفى الغرب حوضها كمورودا
مر جعيد الزمان كانت عقودا
بدل الفهم للحريق وقودا
زمان جديدة لن تليدا
لحب شاة وصار كثرى مقودا

باسمها تلك العروش « قريش » ، وغدا أهلها ملوكا صيدا
قسم العالم « الرشيد » ، فتصف في يديه ، والنصف يخشى الرشيدا

• • •

دين « طه » كانت مبادئ السم
إن من يفتح القلوب ابتداء
لن ترى في الحروب كالمثل العد
فتلك إن رمت في الحرب نصرا :
أيها الشرق قد ركبت طويلا
لك عند النجوم إرث مضاع
لك ماض زاه فاحترق لورث
لك في سيرة النبي عظمت
قل لأبناء العرب وشعوا السم
إن أولي الودعي بتوحيد كمثل

حجة في الحرب شكة وجنودا
لم يصادف حواجزا وسدودا
يأبى جيوشا وعدة وبندوا
مبدأ ساميا ورأيا سديدا
يأسن الماء إن أطال الركودا
لا تقل كيف أستطيع الصمودا ؟
سأطربا من الملا وتليدا ؟
بالغات ؟ هل تريد مزيدا ؟
سل كما وحده النبي الجهدا
أمة كن دينها التوحيدا

محمد فني

(بقية المنشور على ص ٢٥٥)

من البقاع ينقلونه معهم إذا استطاعوا ، وهم لا يستطيعون .
ولسولة الامبراطورية أبعد شيء عن بادية الصحراء ؛ لأنها مجموعة من مدن طامة وأقطار متداخلة وشعوب متعددة ، ولكنها تنتهي آخر الأمر إلى الإيمان بآله واحد كما تدين بسلطان واحد يحيط بشعاب الحكم في جميع الشعوب .

وإذا تساوى الموقع وتقيضه في قبول العقيدة فليس المرجع كله إذن إلى الخصائص الجغرافية ولا إلى هذا المكان وذاك المكان وإنما المرجع وراء المراجع جميعا إلى مكان مكنون لا تراه العيون .
المرجع إلى أعماق الصدور ؟

عباسي محمد العقاد

آراء وإجاءات

حكم الله في حكم قاسم

أصدر الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بياناً للناس بحكم الله فيما صدر عن حكام العراق من المظالم والمآثم هذا نصه :

يمشون في الأرض فساداً أن يشربوا إلى رشدهم وأن يمدوا يد السلم والتعاون والتعارف وأن ينضوا تحت لواء واحد هو لواء الله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وإني مرة أخرى أعود اليوم فأكرر ذلك النداء نفسه راجياً أن تكون هناك بقية من إيمان فادفعوا أحكام العراق إلى أن يعودوا إلى عقل ينمهم من ارتكاب هذه الجرائم ، وإلى إنسانية تحفظ إخوانهم من أيديهم وبطشهم ، وليذكروا قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » .

وقضى الله وإياكم وجميع المسلمين إلى ما يرضى الله وإلى ما يكف عنا أعداءنا وإلى ما يصلح شأننا في الدنيا والآخرة « يا قومنا أجيئوا داعي الله ، ٩ .

من المعلوم أن حكم الشرع الشريف في مثل تلك المذابح التي يقوم بها حكام العراق أنها قتل للنفس بغير حق ، واعتداء صارخ بغير ما يجرم ، وأن هذه الأعمال تعرض الثقة بين الناس بعضهم وبعض ، وأنا لا أشك أن هؤلاء الذين يقومون بهذه المذابح هم في مقدمة الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، ولو كانت هناك سلطة شرعية عليا تطبق حكم الله عليهم لطبقت عليهم ونفذت فيهم ذلك العقاب الذي تضمنته آية : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينقوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » . وقد سبق لنا أن نادينا باسم الإسلام وباسم الأخوة الدينية والعربية أولئك الذين

شيخ الأزهر يقول :

- الزكاة فريضة الإسلام ولا بأس من جبايتها بقوة القانون .
- سنطبق مذهب الشيعة فيما لا يخالف الكتاب والسنة .
- لقد بدأنا ثورة في برامج الأزهر وستظهر نتائجها قريباً .
- انتشار الوعى الدينى يحل مشكلة الزواج .

نشرت مجلة المجتمع العربى فى عددهما الثانى والثلاثين هذا الحديث المستفيض للأستاذ الأكبر ، بعد أن قدمت له بهذه الكلمات ...

التحول الحائل الذى طرأ على حياتنا حمل معه قضايا جديدة لم تكن معروفة من قبل .. وآثار قضايا قديمة لم يكن يبنى بها أحد .

تطوير برامج الأزهر :

قلت للأستاذ الأكبر :

- إن برامج الأزهر معروفة بالفرازة والتركيز ، وقد نشرت بعض الصحف أن النية متجهة إلى تطوير هذه البرامج . فما هو الهدف من هذا التطوير ؟ وهل سيقرب عليه دخول دراسات جديدة إلى الأزهر .. وما نوع هذه الدراسات ؟

وبدأ شيخ الأزهر يجيب فى صوت هادئ :
مبزن وعبارات عديدة مستقيمة قال :

إن رسالة الأزهر رسالة ضخمة ، هى ليست رسالة محلية وليست وقفا على تنشيط الدراسة فى بعض نواحي المعرفة الإنسانية العامة ، التى يتناولها الناس جميعا والى لا تكون شخصية معينة ، وإنما هى رسالة تتجاوز ظاهرا الحياة

وبين القديم والجديد يندفع روحنا المقدس نحو غاياتنا العليا وأهدافنا الاجتماعية فأين نحن الآن من الطريق ؟

ما هو موقفنا من مشاكلنا القديمة التى خططنا الاستثمار ليفتت بجمعنا ويهدر طاقتنا ؟ وما هو موقفنا من مشاكلنا الجديدة التى خلقتها الحركة ومحاولة الوصول إلى الكمال .

كيف نجند كل إمكانياتنا الاجتماعية لخلق مجتمع سليم أساسه الدين والأخلاق والأسرة الفاضلة ؟

أسئلة كثيرة تتردد هذه الأيام وتحتاج الإجابة عليها إلى عقل كبير وعلم غزير ، وإلى صاحب العقل الكبير والعلم الغزير نعت أحل الأسئلة الكبيرة : إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

ما يمكن أن يجيء به الزمن ويحدث الناس من أفضية وحاجات ١.

وهذا هو النصد من تطوير الدراسة في الأزهر تطويراً ينمق فيه الأستاذ في بحثه ، والطالب في فهمه ، فيخرج الأزهرى صالحاً لأن يلتقى مع الأفكار السليمة ، محققاً لآمال الناس فيه ، وسواء في بلاد عربية تنطق بالعربية أو بينهما ؛ وتحققاً لتلك أذخنا اللغات الأجنبية وجعلناها إجبارية ، وتلك خطوة جديدة على الأزهر نوجو من ورائها الخير للإسلام والمسلمين ، وهي رباط قوى بين علماء الأزهر الذين يحملون دعوة الحق إلى جميع بقاع الأرض ، ولم تقتصر على ذلك بل فتصا مهذا للإعداد والتوجيه على مستوى عال يدرس فيه المتخرجون من أبناء الأزهر - المجيدون للغات والتأجرون في مسابقات تصدق لهم - دراسات خاصة تزيد في ثقافتهم الففوية وصنعتهم بالعالم الإسلامى أجمع على اختلاف دوله ؛ لينفردوا قومهم إذا رجعوا إليهم ، كما ألفت لجان المناهج التى انتهى بعضها من إعداد المناهج التى تناسب هذا التقدم أو التطوير ، وتسميه ما شئت ، فإننا إنما نفنى دائماً بالتأريج ، والبعض الآخر ما زال يبحث ويبحث فى البحث ليحقق الغاية التى نوجوها وبرجوها المسلمون ويأملها المصلحون . وقد يلزم لهذا التطوير إدخال بعض العلوم التى تفيد ؛ فذلك لا مانع منه

إلى باطنها ، وتتجاوز مجرد توصيل المعرفة إلى الفرد والجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب العربية والأمم الإسلامية عن طريق القلب والإيمان ، وعن طريق اللغة العربية وتاريخها المفترك .

فإذا كانت هذه رسالة الأزهر في منطامتها وسومها ، فإن من الواجب أن يعمل الأزهر ويماونه المخلصون على تخرج العالم الكف الذى يستطيع حل هذه الرسالة ، وليست العبرة فى كثرة ما يدرس ولا فى مقدار ما يحصل ، ولا فى الارتباط بكتب معينة ، ولكن العبرة بالطريقة التى تمكن من تخرج أئمة فى الفقه وأصوله واللغة وفروعها ؛ فقد وطدت العزم إن شاء الله على أن يكون التخرج فى الأزهر أساسه النظر العميق والاجتهاد العلى ، الذى يكون الشخصية المقيمة الممتازة والشخصية الدينية التى تزدان بالعقيدة السليمة الخالية من شوائب البدع وآفات المجتمع ، وكذا الشخصية الففوية العربية الرصينة الممتازة .

إلى لست مؤمناً بالتخرج الذى نلتزم فيه عظلمات الماضى من آراء ومذاهب ، بل أؤمن بضرورة الاجتهاد فإن حاجة الناس اليوم فى الفقه واللغة غيرها بالأمس ، كما أن فضل الله الذى أنعم به على سلفنا لم يكن وقفا عليهم ، وليس صحيحاً ما يقال : إن السابقين حللوا المصادر وقصدوا القواعد وطبقوها على كل

الأزهر ومذهب الشيعة :

وعلى ذكر التطور في برامج الأزهر سألت فضيلة الأستاذ شلتوت :

- هل يعني تدريس مذهب الشيعة في الأزهر أنه جائز التطبيق أم أنه يدرس لمجرد العلم والتحصيل وزيادة معارف رجل الدين ؟

وأجبنى العالم الكبير والأستاذ المحقق :

- لسنا حريصين على أن تكون دراستنا في الأزهر لمجرد العلم والتحصيل إنما نحن ندرس للاستيعاب والفهم ثم للتطبيق والعمل بكل ما يمكن العمل به ، وفقه الشيعة مأخوذ ببعض أحكامه في كثير من القانون عندنا ، وكثير من علمائنا عمل ببعض أحكام العبادات عندهم ، ونحن إنما نرجع إلى القرآن والسنة ، فقل لم يخالف الرأي أصلا من الأصول الإسلامية الصحيحة ولم يتعارض مع نص شرعي فلا بأس من تطبيقه والأخذ به ، وذلك هو التقريب المنشود والتيسير المرجو ، والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والصالح والسداد في ديننا ودنيانا ، وهذا هو رأينا في كل مذهب من المذاهب الإسلامية ، ومتى خالف المذهب هذه الأصول في مسألة ما ، فلا نبالي به ، وكل الائمة أئمتهم ، إذا صح الحديث فهو مذهبي . . وليس في كتاب الله ولا سنة الرسول ما يوجب على المسلم التزام مذهب

ما دام القصد الإصلاح وتحقيق الأهداف .
إنها ثورة في المناهج تريد منها الإبقاء على الماضي العظيم ، والتطلع إلى مستقبل باسم يصل لأمة الإسلامية بعضها ببعض من طريق حسن الدين والفضة ، الأزهر ذى المجد والرسوخ العلمي . أريدنا ثورة توحد الروابط العقلية واللسانية وال عاطفية فيما بين الشعوب العربية ، ويتحقق بذلك امتثالهم لقوله تعالى :
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »
وقوله تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ كُلُّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنُ لِمَذْهَبٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ »
وأريدنا ثورة تصل بالعقلية الأزهرية إلى الفكر الإسلامي الأميل يوم أن تكن خالصة في موقفه من القرآن ، وفي تعبيره عن تعاليم القرآن وهو في الوقت نفسه يربط العقلية الأزهرية أو الفكرة الإسلامية السليمة بالحياة الواقعية التي يعيش فيها العالم اليوم ، ويتطور في مراحلها والتي تتحرك بسرعة قوية ، والتي تتجاذبها تيارات فكرية متعارضة يجب أن يقف العقل الأزهرى أمامها ليقب الجماعة الإسلامية شرها ، وليحفظها من الانحلال والذوبان في غيرها . . هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وأن هذا صراطي مستقيما قاتموا ، ، يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحْيِيكُمْ ، والله السميع العليم .

مركز التوجيه السياسي والدين الإسلامي في وقتنا الحاضر ، ثم نرجو أن تصل باتجاهها الصناعات إلى مركز الزعامة الاقتصادية ، وهي ذات ماضٍ عظيم في الزعامة الثقافية الإسلامية والعربية . والسبيل إلى حفظ هذه الزعامة إنما هو الإعداد القوي لمعالجة كل فكرة وافدة إلينا عن طريق الاستشراق والإلهاد التي من شأنها أن تززع القيم الإسلامية في النفوس ، وتبسط بمستوى الأمة وتفكك أواصر الصلة بين أفرادها وجماعاتها ، ثم هي معول هادم لكيان الأسرة في شق نواحيها ، وما الحل الذي تراه من مجون كامل وتغوير بين الزوج وزوجه والوالد وولده والآخر وأخيه ، إلا الآن مجتمعنا يأخذ بكل ما يفد إليه من نواح لا تتفق معنا ولا تناسب مبادئنا ، وقد تكفل كتابنا : « منهج القرآن في بناء المجتمع » ببيان كثير من أصول هذا البناء من المصادر الأولى فتشريع الإسلام : كتاب الله وسنة رسوله . فإن أردنا الإصلاح وصدقنا فيه وأخلصنا النية من أجله ، فإن أنجع دواء وأمدى سبيل إليه هو أن نعود بآبائنا وبناتنا ، شبابنا وشبابنا إلى قواعد ديننا الحنيف ، نفوسها في النفوس ونحمل بها العقول فيعرف كل مكانه في مجتمعه فيقف عنده لا يظن ولا يستبد ولا يستبدى ولا يظلم ، فتنشأ أمور الأسرة وتبدأ وتطمن إليها ، لقد عاهدنا الله في عهد

معين ، وقد تكلم على المسألة وحققها علماء الأصول في الكتب المتداولة بين الطلاب والأساتذة فليرجع إليها من شاء وليرجع من شاء كذلك إلى مقدمة كتاب المقارنة ، في كتابنا الذي بأيدي طلاب كلية الشريعة الإسلامية ؛ فقد أفضنا في الكلام في هذا الموضوع عند الكلام عن فائدة دراسة المقارنة .

أدبنا والأمة والمجتمع الجديد :

وعدت أسأل الأستاذ الأكبر الذي يحمل أمانة الأزهر الحديث :

« لقد تليذت على الأزهر القديم ورأيت رجله وهم يفقدون معارك الحرية . وحملت أمانة الأزهر الحديث بعد أن حصلنا على حريتنا الكاملة ، والآن ونحن تنبه إلى بناء مجتمع قوى سداه الدين وخطه الأخلاق وأساسه الأسرة الفاضلة هل لدى الأزهر خطة ، الساعمة في تحقيق الأمل الجديد ؟ وما هي ؟ »

وصبت الأستاذ الأكبر بصبح لحظات ولحمت نظراؤه القوية وهي تنبه إلى بعيد كأنما تستمرض مبادئ الكفاح التي اشترك فيها ضد جماعلة الظلم والاستعباد ، ولم يلبث أن أقبل على ليتمول في صوت شاب وعبارات واثقة :

إن الجمهورية العربية أصبحت بفضل الله

علم ومعرفة: علم بأحوال الناس وأمراض المجتمع والدواء الذي يقدم إليه ليكون شافياً لأمرائه، أخذاً بيده ولذا فإننا نرى - أنه مع تطوير برامج الأزهر وإنشاء معه الدعوة التي أحرص على إنشائه بإذن الله - أن يكون متخرج الأزهر محققاً لكل ذلك، وتحقيقاً لهذه الناحية في هذا العام المنصرم أقيمت محاضرات مربية حل السادة الوعاظ والائمة. ألقاها عدد من خيرة الأساتذة الذين جمع بعضهم بين الثنائين الفرية والعربية، ولذا فقد تطور الوصف في المسجد وهذا توجهها في الدين والدنيا، وسنعمل على الزيادة من هذه المحاضرات بإذن الله ليظل التوجيه لم يستمر وأطلاعهم على كل تطور حديث موجود.

وأما نوع التنسيق بين الأزهر ووزارة الأوقاف فهو موجود والحمد لله، وقائم فعلا بين الأزهر ووزارة الأوقاف في جوهر خلاص وحسن نية وصدق هزيمة، وتلك مقومات الإصلاح والنهضة. وطريق الخير والحمد لله.

عموم: المرأة بالرجل:

وانتقل الحديث من المسجد إلى المصنع، فقد للامتاز الكبير علما ومقاما: لقد ترتب على التطور الصناعي وازدياد كفاية المرأة يوما بعد يوم أن أصبحت تزاو الرجل على قدم المساواة في أعمال كثيرة، والمعروف أن علاقه الرجل بزميله الرجل

هذه النهضة الإصلاحية على أن نأخذ بيد مجتمعنا إلى الطريق السوي. وعاهدنا أخى في الله السيد وزير التربية والتعليم المركزي كمال الدين حسين على ذلك، وأسأل الله أن يهيئ لنا السبل، وأن نأخذ كل سبيل للإصلاح من كتاب الله العزيز الحيد. إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم.

مهمة إمام المسجد:

وتطرق حديث المجتمع إلى إمام المسجد ودوره الخطير الذي ينبغي أن يقوم به، فقلت لرائد المسلمين:

- هناك إحساس علم بضرورة التوسع في واجبات إمام المسجد بحيث يقوم بدور الرائد الاجتماعي ولا يقتصر على الأمور التمهيدية فإما في رأي فضيلتكم الوسيلة لتحقيق ذلك؟ وهل تقترحون نوعا من التنسيق في العمل بين الأزهر ووزارة الأوقاف؟

أجاب فضيلته:

- تحدثت كثيرا عن وجوب توحيد منبع الإرشاد والتوجيه، فإمام المسجد والواعظ والرائد الاجتماعي يجب أن يتقاربوا في المنهج وخطط العمل الذي يقومون به في القرية والمدينة والمجتمع بجميع أوانه واستعداداته. ثم من قال: إن إمام المسجد مهمته تمهيدية فقط إن مهمته هي مهمة القائد والرائد والموجه والداعي والمرشد وهذه المهام كلها تحتاج إلى

ولنعمل على أن يكون طريقنا ووسيلتنا إلى كل هدف وغاية .

الزكاة بوصفها روح المجتمع .

وتداعت الخواطر حول المرأة فقلت للأستاذ الذي يحمل لواء الإسلام ويعرفه مشاكل المجتمع :

— لفصيلتكم رأى سابق في مشكلة انبيار الأمرة خلاصته أن الطلاق ليس هو السبب الرئيس لها ، وأنه يجب تأليف لجنة لدراسة الأمر دراسة مستفيضة صريحة ومعرفة السبب الحقيقي لهذا الانبيار .

وقد ألفت بالفعل لجان في الهيئة العليا لمعونة الشتاء ، وانهت إلى أن السبب الأول لانبيار الأسرة يمكن في عتين : هما الفقر والبطالة . فما هو رأى فصيلتكم العلاج الناجم لهاتين العتين ؟ وهل ترون تنفيذ فريضته الزكاة إجباريا لمحاربة الفقر والإسراع ببرامج التصنيع ؟

قال الإمام العلامة :

— إن الفقر والبطالة داء أذمن كثيرا وطال أمره واشتدت في كثير من الأمم الإسلامية حاليه ، فأما الفقر فقد جعل الله له دواء ناجعا وبلينا شافيا إذ جعل الفقير حقا في مال الغني فهو شريك في ماله : وغنيا يكسب وأوجب العمل على القادريين في الزراعة والتجارة والصناعة فمن تأخر في سداده هذا

تطور من زمالة إلى صداقة ثم إلى حب أحيانا ، فما هو المدى الذي ينبغي أن تسير إليه علاقة المرأة بزميلها الرجل ؟ وما هي في رأى فصيلتكم الضمانات التي تكفل لهذه العلاقة أن تنفد عند حد معين ؟

وجاءني الجواب راشدا حكما ..

قال الأستاذ شلتوت :

— الدين يعمل على تقوية أو أصر المحبة والصداقة بين جميع أفراد المؤمنين ، ويرى أن كل هذه المعاني وسيلة فورية للتعاون الصادق والبناء الخلق الكريم وهو لذلك يحرص الحرص كله على غرس المبادئ الأخلاقية العاضدة في قوس أبنائه بنين وبنات ، شباب وشيوخ ، ومق تركو الخلق الفاضل في أبنائه الثمب كنا في مأمن من شر الاختلاط وفئة الفوضى فصيلكم بالأخلاق حصنها بالمثل العليا والقيم العاضدة والدين الصحيح ، وكونوا صادقين في هذا التحصين أقوىاء في المراقبة ، فالمراقبة تستمر الأخلاق وتقوى في النفوس وتثمر ثمرتها العلية في الفرد والجماعة وتؤتي خيرها في الاختلاط والاقتراد . وإن المنهل العذب الذي تنهل منه هذه المبادئ والقيم إنما هو في الرجوع إلى ديننا وإلى كتاب الله وسنة رسوله ، فلعلها الأبناء والبنات فتقوى قوسهم وتنق سدا منيعا ضد النوازل الخلقية التي تناب مجتمعنا وتقتل المثل فينا . لنعد إلى الدين

أزمة لقاء :

ونقلت إلى شيخ الأزهر حديثاً يتردد على ألسنة الشباب ، قلت لفضيلته :

هناك شكوى من أزمة الزواج ويقول بعض الباحثين إنها في الحقيقة « أزمة لقاء » : إن الحاطبة لم تعد موضع ثقة ، كما أن الشباب من جانبه لا يثق بالفتاة التي يعرفها عن طريق الحدائق والسيارات ، فها هي رأى فضيلتكم الوسيلة « المحترمة » لإيجاد أرض لقاء بين الزوج المحتمل وفتاته المفضلة ؟ .

الطريق ما تحدتاه في التكوين الخلقي ، فبالخلق يطعن الفتي إلى الفتاة كما تطعن إليه ويأمن كل منهما صاحبه ، ولا يرى الفتي ما ينفره من الزواج بالفتاة كما لا ترى الفتاة ما ينفرها من الزواج بالفتي .

مسئرى الكلمة المذاعة :

واتجه الحديث إلى الكلمة المذاعة . سألت المحدث الإذاعي الفياض :

إن أغانينا المذاعة حائرة بين رأيين .

رأى يقول : إنها « تجربة شعورية » مرت بمؤلفها ومن حقه أن يصورها كما أحسها . ورأى يقول : إن التجربة الشعورية متى أذيعت فقد وجب أن تتحول عواطف الشباب وتحسى قيم المجتمع .

وقد غلب الرأي الأول حتى أصبح أكثر أغانينا صورا مكررة من المشاعر الفردية

الحق فهو آكله ومضيعه وظالمه ، ومن ثم وجب تنظيم هذه الفريضة تنظيماً يكفل للجمتمع الصيانة والأمان . والآيات كلها متضافرة على إثبات حق الفقير « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . « الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون » . ويقول بعدها : « أولئك هم المؤمنون حقا » . وبدأ التعاون يقضى أن يقسم أهل القرية أو المدينة أنفسهم أقساماً ، ويمملوا على التعرف للفقراء من أهل الحى ، ثم تجمع الزكاة من الأغنياء وتوزع على الفقراء . لو أتيح للناس ذلك لجمعوا من الأغنياء وأعطوا الفقراء لحققوا اشتراكية الإسلام التي تنادى بهم بحق إخوانهم في العيش والعمل ، فإن لم يقبل الناس على ذلك فلا بأس من أن يعمل أولو الأمر على جباية الزكاة وتوزيعها فيما يعود على الفقراء وعلى الأمة بالنفع العظيم ، وبذلك يقضى على الفقر وعلى البطالة بما تقيم من مصانع وآلات ، هذا توجهى إلى الأمة جماء وإلى كل فرد على حدة : الحاكم والمحكوم ، والرئيس والمرعوس ، كل في دائرة اختصاصه ، كل في حقله الذى يعمل فيه ، أعاطب فيه شعوره ووجدانه وعاطفة الأخوة الإسلامية فيه . ولو أنهم فعلوا ما يوعدون به لكان خيراً لهم وأشد ثباتاً . وإذن لا يتنام من لدنا أهدراً عظيماً . ولهديتهم صراطاً مستقيماً .

وطالما قلت : إنه متى أحسن توجيهها حققت الأهداف التي نريدها لمجتمعنا . ويوم نريد الإصلاح الصحيح والتوجيه السليم يجب علينا أن نتخلع من هذه الأغاني الخبيثة الهابطة بالمستوى إلى أعان تجمد ما لنا من ماض ، وتوجه آمالنا إلى مستقبل باسم وتذكرنا بأيام المسلمين الأولى ، أو تدفعنا إلى نهضة آباءنا الأولين . ولقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم للجواري أن يفتنن يوم العيد أغنية يوم من أيام العرب الأولى ، واستمعت إليهن عائشة رضي الله عنها ، ذلك اليوم هو يوم بعث . ولنا في حاضرنا الآن أيام يجب أن تنق بها ، وأن نذكر أجدادنا هي أيام ثورتنا وأيام عدم هروش الطغاة الذين فسروا بيننا الفوضى والفساد ، لنا أيام العيد المجيدة إلى غير ذلك من هذه الأيام ، وذلكم كله خير وأجدي مما يسمع الناس ويظربون له طربا عابرا ثم تكون نتيجة السوء والفساد .

مؤيد ومحمد بناء :

قلت : سؤال أخير ولكنه جوهري بالنسبة للخطاب وللأسرة .
قال تفضل ...

قلت : إن بعض الكتاب ومؤلفي الإذاعات والصحفيين يؤمنون جدا بحق الآباء في الاضطلاع والتحرر ، ولا يؤمنون كثيرا بحق الآباء في القيادة والتوجيه . فما هو

بطريقة هابطة . فإما الوسيلة لترتفع بأغانينا إلى مستوى أحداثنا وقيم منها حراسة على حدود أعلامنا الاجتماعية في إطار من المثمة الرفيعة والفن الجميل ؟

وعالج الأستاذ الأكبر الموضوع في شمول وإحاطة قال : إن كل ما ينشئ العاطفة ويهذب الوجدان ويرقى بالشعور أمره نتيجة الشريعة الإسلامية ولا تمنعه ، ومن ذلك الأغاني الرفيعة ذات المستوى العالي التي تدفع بالمجتمع إلى رقى خلق وإلى تهذيب طائفي أو إلى قسوة حرية أو فكرة وطنية أو ناحية من النواحي الدينية . فكل ذلك جائز ومباح ، أما الأغاني التي تهبط بالمستوى وتحرك الشهوة وتقتل معنى الرجولة وتفضي على الغيرة في شبابنا وتدفعهم إلى التحدث الممجوج أو تلهب المواطن فيما بينهم ، بما يرد المجتمع إلى مستوى هابط ذليل ، فذلك كله أمر لا يقبله العقل ولا يرضاه ، وبذا يجانب مبادئ الشريعة فلا نقره ولا نرضاه . ومن ذلك مثلاً هذه الأغاني التي تداولتها الإذاعة اليوم التي أصبحت على لسان كل قى وفئة يتجاوبون بها وينادي كل منهم بما عليه هذه الأغاني - والنظريات التربوية تجعل الإنسان دائماً حريصاً على تطبيق ما يسمع أو يقول - فالشاب والفتاة يحرص كل منهما على تطبيق ذلك وهذا هو الانحلال الذي يسود المجتمع فيجعله هزلاً غير منتج . والإذاعة وسيلة قوية من وسائل التوجيه

والحبة والرحمة بين أعضاء الأسرة ثم تمتد إلى سائر الأقارب والأرحام، وتمتد إلى الجيران وسائر المواطنين : « وبلى القريب واليتامى والمساكين والجاذى القريب والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل » . وبهذا الترابط المام تسمو معنى الأمة وتقوى أو أصرها : فتشعر بالوحدة التي لا تعدد فيها، وبالقوة التي لا يلحقها ضعف، وهكذا نريد أن تكون الأمة. وأنا لست ضد تمكين الأولاد من حرية تمكن من إيجاد شخصية قوية لأنفسهم، أما الحرية التي تجعل الولد يخرج على أبيه حتى لتندم الصلة بينهما، فأنا ضدها لا أيسها فإن ترابط الأسرة أساس كل نجاح للأمة. وإن الولد الذي ترك له الحرية فيسهل استغلالها لإنسان لا يرجي منه الخير لأحد في أمته، ومثله ينبغي ألا يكون عضواً في أسرة المجتمع الإنساني. فليأخذ الكتاب والمفكرون المسائل بهوادة ولين ورفق لنصلح من شأن أمتنا وفق ما جاء به الدين الحنيف، بفرق الأمة أيماء رفق وتحلق في سماء الحب بأبنائها وأسرهم وأفرادها وجاراتها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . وبعد -

فهذه هي كلة الدين والعقل والتجربة . نهديها إلى القلوب المؤمنة التي تحاول في صبر وأمل أن تتجه بخطواتنا إلى الطريق الصحيح .

مفرد عكر

رأى الدين في علاقة الآباء بالأبناء وما هو المدى الذي يحق للابن عنده أن يفصل عقليا عن والديه . وأجلب الأستاذ الجليل :

نحن نؤمن بكل دعوة إصلاحية تبني المجتمع وتشد من أزره وتحرص على بقاءه، وترابط الأسرة من أهم ما ينبغي أن نحرص عليه لبناء المجتمع سليماً، ومن الدرجات القوية في بقاء الأسرة علاقة الولد بأبيه، والوالد بأبنته . وهذه العلاقة قد دعمها القرآن وبينها في آيات كثيرة : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً، إما ينخلن عندك الكبير : أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما . وقل لهما قولا كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » . « قل تصالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » ، والإحسان إلى الوالدين شرعة لله عامة أزلاًها في كل الكتب وبمك بها جميع الرسل وأخذ بها العهد علينا وعلى من تقدمنا من الأمم : « وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً » . ثم إن الإحسان إليهما عنوان النفس الفاضلة التي تقدر النعمة قدرها، وتعرف الفضل لصاحبه وهو أساس الخلق الكريم الذي يحفظ البيوت ويصون كرامة الأسر، ومنه تلبت ظواهر الألفة

الكتاب

المعرفة العربية في القرون الوسطى

كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد

لأحمد بن ماجد الهادي

- يجرى العمل حالياً ، في معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ، لنشر دائرة المعارف البحرية العربية التي ألفها سق ١٤٧٥ - ١٤٩٠ الزبان العربي أحمد بن ماجد الهادي وقد سماها بكتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد . وهو كتاب يتضمن تعاليم مفيدة تتعلق بمبادئ وقواعد العلوم البحرية ويعرف باسمه المختصر بكتاب الفوائد . ويتألف من ١٢ باباً :
- ١ - أصل الملاحة والإبرة المغناطيسية .
 - ٢ - الصفات المهنية والأخلاقية للربان .
 - ٣ - منازل القمر .
 - ٤ - دائرة الرياح والحواز (١) .
- ٥ - علماء الجغرافية والفلك القدماء .
- ٦ - الطرق البحرية .
- ٧ - رصد النجوم .
- ٨ - قيادة السفن .
- ٩ - السواحل المختلفة ، ثلاثة أصناف من الربانة .
- ١٠ - عشر جزر كبرى في العالم ، شبه جزيرة العرب ، مدغشكر ، سومطرة ، جلوة وتايوان ، سيلان ، وزنجبار ، والبحرين ، وسقطرة ، وابن جفان ، في الخليج الفارسي .
- ١١ - الرياح الموسمية ، والأسفار .
- ١٢ - دليل طرق البحر الأحمر .

إن مثل هذه الدراسة المفصلة لتعنايا الملاحة تشهد بالمستوى الرفيع عند العرب في العصور الوسطى . وهذه النظرية هي ثمرة ممارسة الملاحة المتعددة الأشكال التي قام بها العرب الذين كانوا في ذلك العهد ، يمارسون علاقات

(١) جمع حازومي للكلمة التي أطلقها العرب على السكبية الزاوية المنحنية بين قسيتين من الأقسام ٣٢ للرياح ويساوي الحاز ١١ درجة و ١٥ دقيقة .

البحرى العربى ، يستند لنشر الأقسام الجغرافية من دائرة المعارف هذه . وكان يعتقد أن دراسة الفصول الأكثر صعوبة والمتعلقة بالملاحة والفلك ، فى كتاب الفوايد ، لا يمكن القيام بها إلا فى مستقبل بعيد .

إن وفاة العالم ، التى حدثت فى عام ١٩٣٥ قد حالت دون تحقيقه مشروعه . والواقع هو أن لغة المؤلف الذى وضعه بحار لرجال البحر هى باللغة الصعوبة ، وذلك بصورة رئيسية لأنها تزخر بمصطلحات خاصة بالملاحة لم يحفظ المعنى الحقيقى لها ، فى جميع الأحوال ولا يمكن تفسيرها إلا إثر دراسة متأنية لمواد هائلة الضخامة .

إن العديد من الأسماء الجغرافية من الملايو والهند وإفريقيا قد طرأ عليها تغيرات كبيرة عند ترجمتها إلى العربية ، وبعضها قد بطل استعماله ، وهكذا فقد توجب القيام بعمل كبير لتفسير هذا الشر من مفردات كتاب الفوايد . إن الفن العربى للقياسات الفلكية لتحديد سير السفن ، وكذلك خارطة السماء ، كما كان يفهمها الربانة العرب ، كان موضوع دراسة طويلة . وفى الوقت الحاضر تم التغلب على الصعوبات ، بصورة أساسية وقد أعدت فعلا ، فى معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفياتى ، الترجمة

وثيقة مع الشعوب الأخرى . وهكذا فإن كتاب الفوايد ، يمثل تمهيدا للتجربة والملاحظات لدى شعوب المحيط الهندى ، وإفريقيا الشرقية ، حتى الصين الجنوبية .

إن مخطوطين فقط لهذا المؤلف قد وصلا إلى العلم المعاصر وأحدهما محفوظ فى باريس ، فى المكتبة الوطنية . وقد قام العالم الفرنسى غريال فران فى عام ١٩٢١ - ١٩٢٣ بطبع عدة نسخ فوتوغرافية عن هذه الموسوعة . وإحدى هذه النسخ موجودة لدى المكتبة العامة التابعة للدولة ، بليتنفرد . وقد نسخ الأصل فى عام ١٥٧٦ . والمخطوطة الثانية ، التى يعود تاريخها إلى عام ١٥٩٢ ، توجد فى مكتبة المجمع العلمى العربى فى دمشق . وقد عرف بوجودها فى سنة ١٩٢١ ، من نبذة صغيرة نشرت فى نشرة هذا المجمع .

ويملك معهد الدراسات الشرقية فى ليننغراد نسخا عن المخطوطين تستخدم كأساس لنشر كتاب الفوايد .

ويقول المستشرق الفرنسى البارز دى سيلين ، ومن القرن الماضى ، عن لغة موسوعة أحمد ابن ماجد أنها لا يمكن أن يفهمها إلا بحارة المحيط الهندى ، معتبرا إياها على هذا النحو بمثابة عقبة كثود تحول دون دراسة كتاب الفوايد ، وكان مواطنه د فران ، الذى أرسى القواعد العلمية لدراسة مؤلفات الأدب

وحق الوقت الحاضر كان يعتقد ، في العلم الأوربي ، بأن هذا الملاح قام بهذا العمل بمهارة وثناء ، نظراً لحبه للملاحين الأجانب . إلا أن المعطيات الأخيرة تحصل على الاعتقاد بأنه لم يكن رجلاً حراً كما كان يعتقد ، بل هو عبد رقيق معتوق ، كان يعمل لحساب سيده ، أحمد بن الجبال . وهذا يرد بعض تصرفاته وبعضاً من أقواله التي تتخذ معنى أوضح ولا سيما العبارة الشهيرة : « آه لو علمت من قبل ماذا يقدرّون أن يفعلوا : (الأوربيون) » ، هذه الجملة الواردة في أحد مؤلفاته التي كتبها في أواخر أيامه . إن دراسة عمل أحمد بن ماجد تبرز الوجه الكبير لهذا الملاح المرموق ، الممثل المشرف للأمة العربية الموهوبة التي أسهمت كثيراً في تطوير الحضارة العالمية . وليس سراً أن الفضل يعود إلى الملاحين العرب لمعرفة الرياح الموسمية وإمكانية سير السفينة الشراعية ضد مجرى الريح . ومن المفيد التذكير بأن عدداً كبيراً من المصطلحات والمفردات البحرية والفلكية في اللغات الأوربية هي من أصل عربي .

إن دراسة وتحضير نشر الموسوعة البحرية العربية ، في معهد الدراسات الشرقية ، يقوم بالإشراف عليها نيكودور شوموفسكي ، المرشح في العلوم ، وتلميذ المستعرب السوفياتي الشهير أغناطيوس كراتشكوفسكي . ونحن

للروسية الكاملة لدائرة المعارف البحرية العربية . وكتبت حواشي لها ووضعت الجداول : ويتولى المعهد أن ينشر في عام ١٩٩٠ ، طبعة مستفدة من هذا المؤلف العلمي النفيس .

أحمد بن ماجد :

وكما هو معروف ، فإن مؤلف « كتاب الفوائد » أحمد بن ماجد كان ملاحاً عربياً كبيراً . وقد ولد في عام ١٢٤٠ في أسرة من البحارة ، وبدأ وهو بعد صبي ، في العمل على متن إحدى السفن . وأصبح بمرور الزمن خبيراً بالمحيط الهندي وعرض معارفه وملاحظاته في العديد من أدلة الطرق . لقد وصلت إلينا خمسة وعشرون من مؤلفاته وهناك ثلاثة عشر مؤلفاً أخرى ورد ذكرها في ما وصل إلينا ، وكلها تقريباً منظومة شعراً . إن موسوعة « كتاب الفوائد » هي أبرز وأضجع عمل من أعمال أحمد بن ماجد . ويمكن مفزاه العلمي ليس فقط في غنى المواد من الناحية العملية ، بل أيضاً في واقع أن المعطيات الواردة في هذه الموسوعة هي نتيجة تجارب المؤلف الخاصة . وفي عام ١٤٩٨ ، قاد أحمد بن ماجد ، بوصفه رباناً ، مراكب بعثة فاسكو دي غاما البرتغالية ، من الساحل الشرقي لإفريقيا حتى الساحل الغربي للهند .

الأسس والأهداف التي يقوم عليها كل مذهب وتصطبغ بها كل فلسفة .

وكان طبعيا أن يتقدم الفاتحون للإسلام بمناهج الحياة التي اختطها لهم دينهم ، وأن يبرزوا وصاياهم في المال والحكم وعلاقة الفرد بمن حوله ، وموقفه من الدولة والمجتمع وموقف الدولة والمجتمع منه .

ولا غرو ، فالإسلام دين شامل لحقائق الحياتين ، منظم للعالم والمعاد جميعا ، كافل لأسباب السعادة في الأولى والآخرة ..

وكتاب « اشتراكية الإسلام » الذي ألفه الدكتور مصطفى السباعي يعد في طليعة البحوث الفنية بما احتواه الإسلام من تعاليم في هذا المضمار .. بل يتنازل بانتظام مقدماته ونتاجه ، والطرائد الفكرة فيه على نسق دقيق متكامل ، يلح القارئ فيه دقة الروح التشريعية ووفرة الثروة الفقهية ، والبعد عن المجازفات والفضول .

في مقدمة الكتاب حديث صادق عن ضاية الأديان والكتب السابرة بحل مشكلة الفقه ، وأحاديث مع المستشرقين وكبار المؤلفين السوفيات عن الإسلام والشيوعية . ثم رأى المؤلف في الحضارة الغربية بنوعها : الرأسمالي والشيوعي ، وفي مقدمة الكتاب كذلك أن الاشتراكية الإسلامية تطبق على المسلمين والمسيحيين جميعا .

أنهى ثيوفسكي في عام ١٩٤٦ دراسة في جامعة ليننغراد ، قام تحت إشراف أستاذه ، بإعداد أطروحة دافع عنها في عام ١٩٤٨ . وهذه الأطروحة مكرسة لدراسة أدلة الطرق الثلاثة المجهولة لأحمد بن ماجه . إن النسخة الوحيدة لهذه الأدلة تملكها مجموعة مخطوطات ليننغراد . وهذا البحث ، الذي يسجل بداية نشر مؤلفات الملاح العربي الشهير ، قد طبع عام ١٩٥٧ من قبل أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي . إن نشر الموسوعة البحرية العربية ستتيح التعرف بصورة أفضل على تاريخ الشعب العربي .

...

اشتراكية الإسلام

للدكتور مصطفى السباعي

أصبحت الأحوال الاجتماعية في العالم كله وثيقة الروابط بالأوضاع الاقتصادية السائدة . وأصبح لزوما على المصلحين أن يواجهوا حاجات الأفراد والأمم بما يقر السكينة والرضا في شئونهم العامة ، وما يلي طبيعة التطور الإنساني في هذا العصر الموار بالحركة والطموح ..

وقد تعددت البرامج التي تقدمت بها شتى المذاهب السياسية والاجتماعية ، من رأسمالية إلى شيوعية إلى اشتراكية ، واختلفت كذلك

يرجع بها هذا النظام الإلهي الذي ارتضاه الله لنا ووفق به البلاد الإسلامية شروفاً كثيرة . أجل ، فإن العالم وصل إلى بعض المناهج الاشتراكية الحالية على أنقاض من الثورات المهدمة وأشلاء من الضحايا الكثيرة . أما الإسلام فكما يقول عنه الأستاذ

السباعي :

إن تفكير الدول الغربية في التكافل الاجتماعي ثم تفكير الشيوعية بعد ذلك في حل المشكلة من أساسها إنما كان تحت ضغط التطور الصناعي ، وانتشار موجات السخط في أوساط العمال وأفراد الشعب ، بينما أعلن الإسلام نظامه الكامل للتكافل الاجتماعي قبل ثلاثة عشر قرناً ودون أن تكون هنالك في البيئة العربية عوامل اقتصادية تضطر الإسلام لإعلان هذا النظام ، ودون أن يصدر ذلك عن حقد من فئة نحو فئة . بل هي نزعة إنسانية صميمة قبل أن يتنبه لها ضمير العالم ، وتنظيم دقيق شامل قبل أن يهتدى المباشرة إلى قريب منه بعد ثلاثة عشر قرناً .

وسرنا أن تمتلئ المكتبة العربية ، بل الإسلامية بهذا اللون من الكتابة التي يحتاج إليها العصر ، والتي يغتفر إلى التزود منها أبناء الإسلام .

والحق أن ما نسمعه يتردد الآن على ألسنة الزعماء من شروح للديمقراطية الاجتماعية والتعاونية والاشتراكية ، ليس إلا مردأ لعناوين مبتكرة سبق الإسلام من قديم إلى تفصيل موضوعها ، وبناء المجتمعات المؤمنة على ضوئها .

حسبنا أن نفهم ديتنا كما نزل به الوحي وأن نرجع البصر إلى التطبيقات الأولى كما عرفت أيام الخلفاء الراشدين لنذكر أننا في حق بموارثنا عن اجتلاب أى نظام لإنساني آخر .

والدكتور مصطفى السباعي في كتابه اشتراكية الإسلام يفيض الكلام حول المنهاج الإسلامي المتضمن لأعدل اشتراكية عرفها التاريخ فيذكر في تسعة أبواب مفصلة .

معنى هذه الاشتراكية الإسلامية ، فيبدأ بالكلام عن الحقوق الطبيعية ، حق الحياة والحرية والعلم والكرامة والتملك .

ثم يقدم فصلاً عاماً بمبادئ التملك . ثم يردفه بإحصاء قوانين التكافل الاجتماعي مستقاة من كتاب الله وسنة رسوله في استيعاب حسن .

ويتلوه ذلك بالمؤيدات الاعتقادية والأخلاقية والمادية والتشريعية ، ويستطرد بعد هذا البحث الفقهي إلى مقارنات تاريخية وعصرية

بريد المجتلة

يوحنا المعمدان هو يحيى بن زكريا :

إلى صاحب النصيلة الشيخ عبد الطيف السبكي
وعليكم السلام ورحمة الله وبعد : فنياً إلى
بيان الأمور الثلاثة التي استوقفت نظركم
في مقال من « موقف اليهودية والمسيحية
والإسلام من العذوبة » :

١ - إن « يوحنا المعمدان » و « يحيى
ابن زكريا » عليهما السلام اسم واحد لمسمى
واحد . فاسم يحيى هو مجرد تعريب لاسم
يوحنا Yehonah (أصل الاسم بالعبرية
« يوحانن » مأخوذ من « يوحانن » بمعنى الله
رحيم أو شفيق) . وقد أوردت الأناجيل
قصة يوحنا المعمدان في الصورة نفسها التي
وردت بها في القرآن الكريم في سورتي مريم
وآل عمران (انظر الإصحاحات الثلاثة الأولى
من إنجيل لوقا ووازن بينها في هذا العدد
وبين الآيات الثلاثة والثلاثين الأولى من
سورة مريم والآيات ٣٣ - ٩٠ من سورة
آل عمران) .

وقد استوقف نظري الدليل الذي اعتمد
عليه فضيلة الأستاذ في أن يوحنا المعمدان

غير يحيى بن زكريا وهو « أنه يعرف أن يحيى
ابن زكريا رسول ابن رسول » ، وأن الله قد
قال فيه « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » ؛
مع أنه لو عرف قصة يوحنا المعمدان في
الأناجيل لتبين له أن ما ذكره دليل عليه
لا اله « ومع أنه لم يرد في مقال ولا في كلمة
ترتوليان التي خلقت عليها ما يفهم منه أن
يوحنا المعمدان لم يكن رسولا ابن رسول .

والمسألة بعد ذلك يا سيدي من أوليات
المسائل المعروفة للطلعين على تاريخ الأديان ،
وما كان ينبغي أن تكون موضع مناقشة .

٢ - إن مريم البتول التي يتحدث عنها
ترتوليان والتي شقت للنساء الإسرائيليات
طريقاً يلبساً في البحر في أثنا خروج بني
إسرائيل من مصر هي أخت موسى عليه
السلام . وهي التي ورد ذكرها في القرآن في
آتي ١١ ، ١٢ من سورة القصص ، وفي آية
٤٠ من سورة طه . وقد ذكرت أنا ذلك
بصرامة في تعليق على كلمة ترتوليان (انظر
التعليق الخامس بصفحة ٣٢ من العدد الذي
نحن بصده) .

ولو أن فضيلته رجع بصره في التعليق

من سفر التكوين ، ، وقد ورد فيها حل لسان سارة مخاطبة إبراهيم : « لقد جعلني الله عاقرا ، فأرجوك أن تقرب جاري هاجر ، فسي أن يكون لي أولاد عن طريقها » .

وقد استوقف نظري الدليل الذي اعتمد عليه فضيلة السائل في أن إسماعيل لم ينسب إلى سارة ، وهو أن إسماعيل قد ظل مع هاجر ولم يفارقها ... ؛ كأنه يظن أنه يلزم من بقاء طفل مع امرأة وعدم مفارقتها له أن ينسب إليها . ولو كان الأمر كذلك لنسب الطفل إلى مرضعه أو إلى مريته . ولو أن فضيكت كلف نفسه الرجوع إلى أسفار العهد القديم ، وإلى بحوث علم الاجتماع في الأسرة وخاصة كتابنا « الأسرة والمجتمع » ، لم حجة ما قلناه بصدد إسماعيل وهاجر وسارة ، وتبين له أن النظم الاجتماعية في الأسرة كثيرا ما تتعارض مع الأوضاع الطبيعية ومع صلات الدم . هذا ، وربما عدنا إلى تفاصيل هذه المسائل وما يتصل بها في مقال تال إن شاء الله ٩

دكتور علي عبد الواحد وافي

خطاب مفتوح إلى الأستاذ الأكبر :

السيد المصلح الكبير فضيلة الشيخ الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

أحييكم بتحية من عتاده مباركة طيبة وبعد

المشار إليه ، أو وقت قليلا عند قول في وصف مريم هذه أنه انشق لها ولبن مكن يسن خلفها من النساء الإسرائيليات « طريق يس في البحر » ورجع إلى الآية التي اقتبست منها هذا التعبير (آية ٧٧ من سورة طه) ، لو أنه فعل ذلك لوفر علينا عناء المناقشة في أمر بدهي .

وقد استوقف نظري الدليل الذي اعتمد عليه فضيكت في أن مريم هذه لا يمكن أن تكون أخت موسى ، وهو أنه يعرف أن مريم البتول هي أم عيسى عليه السلام ، وأن بين مريم وموسى أحقاب ؛ كأنه يظن أن ليس ثمة من سمى باسم مريم من المتبيلات ، إلا أم عيسى ، أو أن ثمة من يجهل أن بين موسى وعيسى عدة قرون ١١ .

٣ - لم يعرض القرآن الكريم لموضوع نسبة إسماعيل إلى سارة أو عدم فسبته إليها . ومن المقرر أنه لا مرجع لنا فيها لم يرد له ذكر في القرآن ولا في النفوش الأثرية الثابتة من قصص العبريين السابقة لتاريخ إلا أسفار العهد القديم وشروحها ، وأسفار العهد القديم صريحة في أن إسماعيل كان ينسب لسارة ويمتد أبنا لها ، وأنه ظل كذلك إلى أن قضيت سارة حل هاجر وطلبت إلى إبراهيم إيمانها مع إسماعيل أفقر الفقرتين الأولى والثانية من الإصحاح السادس عشر

تسبب حنافة أهل الكتاب :

السيد الأستاذ مدير مجلة الأزهر :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
فإن هناك شيئا وقوراً وقف في حشد من
الناس يردد في ثورة وغضب أن السهر وراء
جنازة الكافر حرام وأن الإسلام منع ذلك
وحرمة تحريماً أبدياً .

وقد قال الشيخ هذا الكلام بعد أن رأى
جماعة من المسلمين يسرون خاشعين وراء
جنازة امرأة يونانية ملشت بيتنا منذ زمن
بعيد :

فرأينا أن نكتب إلى الأزهر الشريف
كيفيتنا في هذه القضية .

رمضان الفيتوري

دوة : ميدان النصر ليبيا

(المجلة)

إن الإسلام دين يقوم على السماحة في معاملة
الآخرين ، وعلى احترام أوامر الإنسانية
التي تجمع بين بني آدم قاطبة .
وقد امتاز الإسلام بهذا المسلك النبيل في
أيام كان التعصب الديني الأعمى يسود أهل
الأرض .

فلما بعث نبى الرحمة سن للسلين مكارم
الأخلاق ومسالك البر والفضل فمن طريق

فقد وضع أن فضيلتكم تعملون جليدين
من أجل إصلاح الأزهر علماً وعملًا وإنه
لعمل مشكور وجهد محمود أجزل الله لكم
والساعين فيه موفور الأجر وحسن الجزاء .
ثم لى رأى أمره على مسامح فضيلتكم وهو :
وقف تدريس المذاهب كلها ونهاياً
في القسمين الابتدائي والثانوى بالأزهر
وتدريس الفقه ، من كتاب الله وستة رسوله
في هاتين المرحلتين .

وبعد ذلك يمكن التخصص في دراسة جميع
المذاهب أو المذهب الذى يختاره الدارس .
ومن هنا ينشأ جيل مسلم بعيد عن التفرقة
المذهبية والطائفية والتعصب البغيض وبذلك
يثبت في نفس كل دارس أن المذهبية إنما
هى بحث على فقط وليست أساساً فى الدين
وبهذا العمل وحده تتجه الوحدة الإسلامية
لحوراً تتعد فيه عن التفرقة المذهبية والمصية
المجدلية وعدوانها .

أستاذنا الجليل : أعتقد أن هذا هو
الإصلاح الدينى الشامل الذى سيخلطه لفضيلتكم
الأزهر والتاريخ ويدخلكم فى زمرة المجددين
لهذه الأمة دينها ، وفقم الله لصالح
العلم والعمل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
محمد أحمد الشامى

الذكر على أصوات الموسيقى والغناء :

وجاءنا من محمد حسين عبد الله القماطي بقصر خيبر بطرابلس الغرب يسأل عن :

(١) اشتغال حلقات الذكر على آلات الموسيقى وأصوات الغناء .

(٢) اختلاط الرجال والنساء حول أضرحة الأولياء .

(١) أما اشتغال حلقات الذكر على آلات الطرب فهذا ضرب من اتخاذ الدين لهواً ولعباً ولا يجوز لمن يعبد الله راجياً ثوابه وخائفاً عقابه أن ينجح إلى هذه البدع المنكرة فإن الإسلام شرح طرق الطاعات المقبولة : وبين أن التزبد عليها مردود على أصحابه .

(٢) وأما عن التقاء النساء والرجال حول الأضرحة القائمة على بعض قبور الموتى فذاك ما لا يسوغ . وأغلب هذه الزيارات لا ينبعث عن طلب العظة والاعتبار بل ينطوي على مفساد ينبغي سد ذرائعها .

البخاري عن جابر قال : « مرت بنا جنازة فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم وقفاً فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودي ؟ قال إذا رأيتم الجنازة فقوموا . وفي رواية أخرى : البست نقسا ؟ » .

وروى سفيان سمعت عن حماد بن أبي سليمان يحدث عن الشعبي أن أم الحارث بن أبي ذريرة ماتت وهي نصرانية فشيّعها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :

وعن سعيد بن جبير قلت لابن عباس رجل فينا مات نصرانياً وترك ابنة قال : ينبغي أن يمشى معه ويدفنه .

والأثران الآخران أثبتهما ابن حزم في كتابه المحلى « باب الجنائز » .

ونحن نحب أن نبين علاقتنا بالآخرين على هذه السباحة ، معتقدين أن ديننا هو الذي يأمرنا بهذا البر لم نهابنا مسألها ولم يعتد علينا أو يظهر المعتدين .

المجلة وقراؤها

ترحب المجلة بما يرد إليها من السادة القراء من أسئلة وردود .

أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

الأستاذ الكبير الشيخ إبراهيم جلب الله شيخ
معهد القاهرة الديني كلية صافية ، هذا وقد
اتخذ الطلاب القراءات الآتية :

١ - الاحتجاج الصارخ على حكام
العراق وزعيمهم الأحمر الأحمر .

٢ - الوقوف جميعا ونحن نمثل الأمة
الإسلامية جميعا صفا واحدا وراء موقف
الوعي العربي الإسلامي وعرك المثل العليا
والقيم الدائمة في شعب العروبة والإسلام
الرئيس جمال عبد الناصر .

٣ - مشاركة شعب العراق وأبنائه
الأحرار والقيادات الصحيحة فيه شعورهم
ووجدانهم وليلعلوا جميعا أن نصر الله
قريب وليتجهوا إلى الله متمسكين بدينه
، ولينصروا الله من يضره . .

كلية الشريعة تمسك :

اجتمعت هيئة التدريس بكلية الشريعة
في حضور عبيدها ووكيلها بمناسبة ابتداء
العام الدراسي الجديد وقررت :

استنكار ما يقوم به الطاغون في العراق
من سفك الدماء البريئة وتسلط سيف

العام الدراسي الجديد بالاذلة ؛
انتظمت الدراسة منذ الصباح الباكر في
الجامعة الأزهرية والمعاهد الدينية ، وما إن
انتهى الدرس الأول حتى تجمع الطلاب في
ساحات كليتي اللغة العربية والشريعة وفي فناء
معهد القاهرة ، وأخذ خطبائهم يلقون
الكلمات والقصائد الشعرية في تحية العام
الدراسي الجديد وفي تهنئة فضيلة الأستاذ
الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع
الأزهر متبجعين بالأنظمة والمناهج الجديدة .
ثم تكلموا في موقف حكام العراق وشعبه
الحر الأبي ، ثم قرروا القيام بمظاهرة صامتة
متجهين إلى ميدان الجمهورية ، وقد حيا
الطلاب أمتاء مرورهم بالإدارة الأستاذ
الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع
الأزهر بمناسبة العام الدراسي الجديد ،
وهناك صلوا جميعا صلاة الغائب وكان فضيلة
الأستاذ الأكبر قد أوفد مدير مكتبه فضيلة
الأستاذ الشيخ عبد الحكيم سرور فالتقى في
الطلاب كلمة ، وقد أم الصلاة فضيلة الشيخ
سيد الشال وكيل معهد القاهرة وتكلم فضيلة

إلى الحادي والعشرين منه يوصى المؤتمرين بما يأتي :

١ - التوجه بالشكر والتأييد إلى السيد الرائد الأول وزعيم الأمة العربية وقائد العالم الإسلامي شكراً له على إيقاظه الوعي العربي والإسلامي إيقاظاً أدى إلى الحركة والنشاط في كل ألوان الحياة عندنا ؛ مما جعل أمتنا في طليعة الأمم الناهضة والدول العاملة. والتأييد لسياسة الرشيدة في الحياد الإيجابي والتعاضد السلي الذي جعل الجمهورية العربية صاحبة سياسة موجبة ونهضة كبرى فتحت بها أقطار العالم إليها وحقت آمال العرب والمسلمين فيما يرجون ويؤمنون في أن يعود إليهم مجد وعظمتهم ، وإن الرواد الأزهريين الذين لم من دينهم الخفيف قواعد الريادة الثابتة الموجهة ليرون في سيادة الرئيس الرائد الأهم الذي يؤمن بهذه القواعد ويطبقها تطبيقاً صحيحاً ؛ ليحصل من هذا الجيل جيلاً ذا قوة في إيمانه وعقيدته وثقته في الله ثم في نفسه ووطنه فلا تلين له قساة ولا ين له عزم ولا يستكين .

٢ - ولما كانت جهودنا عربية إسلامية ولا تزال مقومات الدولة الإسلامية هي اللغة العربية والدين واللغة يقوى بها اللسان المعبر ويطوبها الأسلوب ، تذكرة الحاجات ويرفع ظلم الظالمين واستغلال المستغلين في حجة دامت

الإرهاب والتعذيب على رموس الأحرار .
و إن الله لا يرضى عن البغي والإفساد في الأرض وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

ثم بحثوا بهذه البرقية إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر ونصها :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر :
باسم كلية الشريعة : عميدها ووكيلها وأساتذتها وموظفيها وطلابها ، نرفع إلى السيد الرئيس الموفق بمناسبة العام الدراسي الجديد أسمى التحيات وأخلص الدعوات ونناشده على أن نكون مثلاً طيباً في القيام بالواجب ورعاية حق الله والوطن والعمل على تحقيق الأهداف القومية التي تقتشف بقيادته الحكيمة الموقفة ، طاشت الجمهورية العربية المتحدة وطاش قائد العروبة ورمز الإصلاح والتقدم .

محمد محمد المديني

عميد كلية الشريعة

بالجامعة الأزهرية

مؤتمر الرواد :

لأساتذة الكليات والمعاهد الدينية
بمناسبة انتهاء انعقاد جلسات المؤتمر الأول للرواد من الأساتذة الأزهريين المنعقد في الإسكندرية من أول أغسطس سنة ١٩٥٩

نجاحا ورسوباً؛ لنستطيع بذلك أن نجعل من الجيل الجديد جيلاً مؤمناً بربه محباً لوطنه محيطاً بالأسباب التي تكفل النجاح له ولأمته كما يجب العناية بالتوجيه الإسلامي للطلاب داخل المدرسة .

٤ - توجيه الطلاب في جميع نواحي التعليم بصفة خاصة إلى النواحي التي تدفعهم دفعا إلى التضحية والبذل والفداء وإلى التعاون على البر والتقوى لنجعل منهم مجتمعا تعاونيا مناهجا اشتراكية الإسلام القوية ومبادة الموجة ومثله العليا .

٥ - مناشدة المسئولين في أن يقفوا حائلا دون نشر الأفلام المأجنة التي لا تعود على شبابنا إلا بالميوعة والخنوة وعدم وزن الأمور وتقديرها بما يحق صالح وطننا الأكبر . وكذلك الكتابات المتحيزة والصور الخلية والمجلات والأغاني المبثثة الرخيصة ، فإن هذه كلها لو أحسن استعمالها وخلصت النيات في توجيهها لكانت أدوات فعالة في بناء مجتمعنا وجيلنا بناء قويا مؤمنا .

ومرة أخرى يناشد المؤتمر أصحاب الصحف والمجلات أن يسهروا في بناء هذا الجيل بأقلامهم وأفكارهم بناء سليما بعيداً عن كل فكرة هادمة أو مقوضة فإن الجمهورية العربية زعامة روحية وثقافية واجتماعية بين العالم العربي والإسلامي يجب المحافظة عليها ودعمها .

٦ - ويوصي المؤتمر بالتوسع في الرحلات

ومعان جولة تؤثر في النفوس وتخط معانيها في القلوب ، والدين والشريعة تقوى القلوب وإن أمة قوى البيان فيها وتفتحت القلوب عند بنها أمة جديرة بالتهنؤن ، وأن تنبأ مقعد العزة والكرامة التي تليق بها وبأبنائها ، لذا ولما كانت القومية العربية هي التي نعمل من أجلها الآن ونحرص عليها ؛ فتحقيقاً للهدف الأول يوصي المؤتمر بتكرير دراستها والعناية بها ويرجو أن لا يكون للعامة مكان بين دول للقومية العربية ، وأن نعمل كذلك على ألا تسرى إلى إذاعتنا ولا إلى صفوفنا ولا إلى مؤلفاتنا لنجعل من أبنائنا جيلاً تغلقت فيه العربية فأمن بها وعمل من أجلها .

٣ - وتحقيقاً للهدف الثاني يوصي المؤتمر بضرورة العناية بدراسة الشخصيات الإسلامية العربية العظيمة التي كان لها الأثر في إيقاظ الوعي الإسلامي والعربي ، وكذلك دراسة مبادئ الدين الإسلامي البارزة التي تكون الشخصية المعنوية المتنازعة حتى نستطيع أن نقيد من هؤلاء في إيصال الدعوة الإسلامية ودعم الوحدة التي نرجوها ونهدف إليها ، وإن الرواد الأزهريين ليتوجهون إلى السيد المرعي الكبير كمال الدين حسين عفاطيين إيمانه القوي وعفريته النضفة راجين منه أن يعمل على تقرير الدين الإسلامي كإدانة أساسية في الشهادات والسكريات ، وأن تكون درجاته ضمن الدرجات التي يحاسب عليها الطالب

المشركة بين الأساتذة والطلاب الأزهريين
تقوى المعارف الحقيقية المكونة عن طريق
المدرست الحسية التي تشرعها وتؤتي أكلها ،
كما تقوى الروابط بين الأساتذة والطلاب
لإخوانهم في مختلف البلاد فتقوى الروابط
والصلات بين أبناء أمتنا العربية الإسلامية.

٧ - شكر فضيلة الأستاذ الأكبر إمام
المسلمين الشيخ محمود شلتوت على ما بذل
وي بذل في سبيل الدعوة الإسلامية والنهوض
بالأزهر ليحمي إليه مجده وليبني له مجدا جديدا
يحقق به مهمته ويمكنه من أداء رسالته ،
والرؤاد بمعادون الله على أن يكونوا جنوداً
مخلصين يعملون في إيمان بكل ما يحقق للأزهر
الجديد أمجاد تحت لواء فضيلة الأستاذ
الأكبر الذي يؤمن بأنه الرجل الذي يحقق
للأزهر والعرب كل خير في عهد الشاب المؤمن
القوى الرئيس جمال عبد الناصر .

٨ - يوصى المؤتمر بتكوين نقابة عامة
لأساتذة الكليات والمعاهد تجمع كلتهم
وتوحد شملهم وتحقق مصالحهم ومصالح أسرهم .
كما يوصى المؤتمر بأن يتخذ من الشريعة
الإسلامية ومبادئها موجهاً ومقوماً للجميع ؛
العامل في عمله والتاجر في متجره والزارع في حقله
والتلميذ في مدرسته حتى يكون الجيل متضامناً
قوياً متراساً مؤمناً بآفته ثم بوطنه فلا يكون
من ورائه إلا الخير يحقق به الأجداد لأمت
ودينها وافتقار المستعان .

تعديل المناهج :

بكلية أصول الدين

انعقدت لجنة تعديل مناهج كلية أصول
الدين يوم الاثنين ١٩ من صفر سنة ١٣٧٩ هـ
الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٥٩ م برئاسة فضيلة
الأستاذ الكبير الشيخ محمد نور الحسن وكيل
الجامع الأزهر وعضوية السادة :

- ١ - الأستاذ الشيخ محمد فرج السنهوري
وزير الأوقاف الأسبق
- ٢ - الأستاذ محمد شفيق غربال
وكيل وزارة التربية والتعليم الأسبق
- ٣ - الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضي
المدير العام للمعاهد الدينية
- ٤ - الدكتور محمد محمد البهي
المدير العام للثقافة الإسلامية
- ٥ - الشيخ محمد محمود الديب
وكيل كلية أصول الدين
- ٦ - أحمد أحمد علي
الأستاذ بكلية أصول الدين
- ٧ - الشيخ السنوسي أحمد يوسف
الأستاذ بكلية أصول الدين

امتحان الدراسات العليا لكتليات الأزهر ويرأس هذا الامتحان فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

وقد ناقش فضيلة الأستاذ الأكبر أول الطلاب المستحقين نقاشاً دار حول أصول الدين وحول أصول الشريعة والمصدر الذي يؤخذ منه هذه الأصول ، كما تناول فضيلته مناقشة الطالب في عموم الأدلة وخصوصها وتطبيق هذه المسائل على الأوضاع الموجودة في مجتمعنا في هذه الفترة .

هذا والامتحان يعقد لطلاب المرحلة الثانية . والدراسات العليا مكونة من ثلاث مراحل إذا رسب الطالب في مرحلة منها فصل نهائياً . وتتكون المرحلة الأخيرة من امتحان شفهي ومحاضرة عامة ورسالة في موضوع يتصل بدراسة الطالب .

والمتخرجون في هذا القسم أهل للتدريس في الجامعات .

لجنة الامتحان مكونة من فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر رئيساً لها وعضوية الأساتذة :

١ - الدكتور محمد المحام عميد كلية اللغة العربية .

٢ - الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة . وعضوية اثنين يمثلان الكلية التي يتسبب إليها الطالب .

وبعد أن نظرت اللجنة في الموضوع قررت تأليف لجان فرعية من أساتذة المواد والسادة أعضاء مجلس إدارة الكلية لتتفر في المناهج واقتراح ما تراه بشأن تعديلها أو إقرارها . هذا وقد نظمت اللجان الفرعية على النحو الآتي :

١ - لجنة التوحيد والمنطق القديم والحديث وتاريخ الفرق .

٢ - لجنة التفسير والحديث وأصول الفقه .

٣ - لجنة الفلسفة وعلم النفس والأخلاق .

٤ - لجنة التاريخ واللغات الأجنبية .

٥ - لجنة العلوم الدينية .

٦ - لجنة الوعظ والإرشاد .

وسيراعى في تعديل لجان الوعظ والإرشاد علاقة المواد بالرسالة التي يقوم بها الواعظ والمبوعوث حتى تؤدي على أكمل وجه ، كما ستنظر اللجنة حسن اختيار طالب الوعظ من حيث الخلق وقوة الشخصية ، ومدى استعداده لقيام بهذه الرسالة كما يرجى ، والنية متجهة أن تبدأ الدراسة بقسم الوعظ والإرشاد من أول فرقة بكلية أصول الدين حتى يستطيع طالب الوعظ أن يتخصص في هذا الشأن .

وتمت الدراسة العليا لكتليات الأزهر :

عقد صباح السبت ١٦ من ربيع الأول سنة ١٣٧٩ هـ (١٩ من سبتمبر سنة ١٩٥٩ م)

مَقْطَعَاتُ مِنَ الْكِتَابِ الْجَلِيلِ

شيخ الأزهر والمنهج العلمي :

أدلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت إلى جريدة «اطلاعات» كبرى الصحف الإيرانية بمحدث جامع أداره على منهجه السيد لمحاربة الرجعية في الدراسات الإسلامية ، ونحرير تفكيرها من العصبية الموروثة التي كانت تشكل أخطر عناصر الجحود وهوائل التأخر ، وقد أقام منهجه على أساسين يمد بهما ركنين من أركان الإسلام كانت قد أخلت بهما الأوضاع السابقة : الأول إعادة الوحدة وسبكها مشاعر المسلمين السبك الحى الملائم لبداى الإسلام .

الثانى : إعادة التفكير الإسلامى إلى موضوعيته وحرية الأساسيتين في تركيبه الأصيل ، ومن ثم دفعه موحد الصفوف نحو أهدافه الإنسانية في طريق الحضارة يدعمه العلم .

وقد أجاب على سؤال وجه إليه مندوب الجريدة حول الخلافات المنهجية بين الشيعة والسنة فقال : الخلاف في رأى ظاهرة اجتماعية لا تدخ عنها ، وهو في حد الاجتهاد ضرورى لا غناء عنه في إغناء الشريعة

وتطويع قواينها للحياة ، وهو بين السنة والشيعة مثله بين عالم وعالم من مذهب واحد . وتجدر الإشارة إلى أن سماحة من أخطاب « جماعه التقريب » التي أسسها قبل سنوات عشر أو تزيد العلامة الكبير الشيخ محمد تقى القمى الشيعى الإيرانى ولفضيلة شيخ الأزهر من قبل آراء جمه خالف بها المذاهب السنية ، ووافق بها المذهب الشيعى منطلقا من الأدلة في موافقته ومخالفته جميعا ، وقبله كان المغفور لها الشيخ المراغى والشيخ عبد المجيد سليم لا يمتنعان عن الأخذ بمذهب جعفر الصادق في المسائل الخلافية كلما أدى اجتهادهما إلى الأخذ بمذهب وللايمانين عبده والبشرى سابقة إصلاحية حرة كانت النواة رضى الله عن الجميع وأرضاهم .

إن الخطوة العظيمة المتوقعة الآن هي إقرار منهج واحد للدراسة الإسلامية متفاعل وتحدد فيه الشيعة والسنة . إتسا بمجرد من النقطة والفرح نستقبل هذا التحول المبجع ونذكره بأعظم التقدير للإمام الجليل « شلتوت » أخذ الله بيده .

«الطهرحات»

البرهان بالله :

امتاز الإسلام بأنه جعل الإيمان بالله مبنياً ؛ على أساس من التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض وليس على المعجزات والعجائب كما تعمل الديانات الأخرى . وقد طاد المعكرون الحديثون إلى هذا الأسلوب القرآنى الحق ، فن ذلك ما نشره الدكتور كروفين في مجلة المختار (يناير ١٩٥٦) تحت عنوان (لهذا آمنت بالله) وهو طبيب وروائى كبير بدأ حياته محدداً إلى أن وضع أصابعه على ينابيع الإيمان فأصبح مؤمناً بالله قال : « ولكن إذا تأملنا الكون وأسراره وعجائبه وظلمه ودقته وخصامته وروحه فلا بد أن ن فكر في إله خالق . من الذى يتطلع إلى السماء في ليلة صافية ويرى النجوم اللانهائية وهي تتألق بعيداً ؛ ثم لا يؤمن بأن هذا الكون كله لا يمكن أن يكون وليد الصدفة العمياء .

اطرح عن رأسك ، إن شئت ، كل ما قاله الكتب المقدسة عن الله وعن العالم ، وأن الله قد سوى العالم بيديه في ستة أيام ، واقبل إن شئت نظرية التطور كاملة ، وتبع الخليفة منقوشة على الحضريات ، وتبع سير الأنواع وترقيها حتى بلغت صورة الإنسان واقبل كل النظريات العلمية التي قامت عليها ، فانك ستواجه لغزاً غامضاً وسراً عميقاً لا يمكن أن تقول : إن هذا كله قد صدر من العدم ،

فلا شيء يخرج من لا شيء .

ومنذ بضع سنوات ، عندما كنت في لندن ، نظمت نادياً للشبان ، ودعوت إليه أحد المشتغلين بعلم الحياة ليلقي محاضرة للأعضاء . وقد اختار هذا الباحث الممتاز موضوع محاضره من (بداية عالمنا) وتحدث بأسلوب العالم الملحد ، وجعل يصف مصور (الايون) السابقة على التاريخ وكيف تحولت الأرض على مر هذه العصور من الغازية إلى السيولة إلى الصلابة وكيف أن الأرض كانت مطمورة في مياه المحيطات ، وكيف أن الأمواج تعلو وتهبط على القشرة الأرضية ، وكيف أن القشرة الأرضية تكونت نتيجة تفاعلات كيميائية طبيعية ، وكيف أن هذا التفاعل مع الزبد قد أدى إلى تكوين سطح الأرض التي نعيش عليها ، ومن هذه الأرض ظهرت الحياة الأولى على هيئة بروتو بلازم . وعندما فرغ المتحدث من محاضره صفق له الحاضرون تصفيقاً مهذباً . ولكن تليذاً وقف في صورة عصية وسأله : لا تؤاخذنى يا سيدى ، لقد حدثتنا عن الأمواج الهائلة التي كانت تضرب الشواطئ ، ولكن كيف وجهت هذه المياه كلها أول الأمر؟ وساد صمت كله حرج ، واهم وجه الأستاذ المحاضر ، وقبل أن يجيب بكلمة واحدة أغرق الموجودون في الضحك . لقد انهار منطقته الحديدي بسؤال من تليذ صغير .

« المختار »

Contents

1 From the Dark Cradles the Light of God Dawned.

By

Ahmed Hassan El Zayat, Editor-in-chief.

2 — The Source of Immortality in Islam. (Part Two)

By

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University.

3 — Communism and Religion.

By

**Dr. Muhammad El-Bahay, Director General of the Islamic
Culture Administration.**

**4 — Islamic Socialism, the Best Safeguard Against Communism
(Continued)**

By

Dr. AE Abd El Wahid Wali.

what is certain to benefit the society. The financial systems ordained by the Islamic Law are indeed wise socialist systems. They encourage enterprise and give to every earnest person a fairly rewarding return of the products of his endeavour. They widen the scope of honest competition and distinction as well as aspiration, and pave the way for all such good principles. But they, on the other hand, give equal chances to all people and aim at establishing economical equilibrium and mitigating the differences among the social classes to bring them

close to one another and prevent the accumulation of wealth in the hands of the few. They found the economical relations among people on solid bases of co-operation and solidarity and of exhortation to righteousness, goodness, justice and kindness. They lay down the best systems of social solidarity, assure every individual of a decent and dignified life, and protect the world from the evils of the Communist trends and their subversive doctrines.

“that is the perfect Religion, but the majority of people know not”

This call of Abu Dharr was extreme only in one sense : it almost enjoined upon the rich to spend all their surpluses in the way of God to satisfy the needs of the destitutes ; whereas Islam has recommended this conduct as previously mentioned, and has not made it necessary. On the contrary, Islam considers the Muslim dutiful, so far as financial duties are concerned, as long as he does not fall short of what is enjoined upon him by the Islamic Law as regards alms, taxes and the financial rights of his relatives. Nevertheless, this is the least that a Muslim can do, and beyond it are in Islam high steps that are graded in their highness and nearness to God until the Muslim approaches the most supreme ideal for which Abu Dharr appealed and which is inspired by the sound idealism of Islam.

Some studios are mistaken when they consider the teachings of Abu Dharr and its like as Communist trends. The truth is that these teachings are in absolute contradiction with Communism. When these teachings urge the landlords to pay the religious taxes (the alms) of

their properties and be kind to the poor and the needy, they aim to affirm the right of individual ownership and protect it against all threats of revolt and violation from the side of the deprived and the poor. They also aim to prevent the class struggling between the rich and the poor.

Different from that is Communism, which endeavours to abolish the very principle of individual ownership, and advocates the transfer of all holdings into communal units governed by the State, and achieves its aim by means of provoking class-stuggling. And for this reason the call of Abu Dharr and the similarly generous teachings are considered among the bitterest enemies of Communism and the most irremovable obstacles in the way of its expansion.

Now we come to the conclusion. It has been established, from all that which is already mentioned, that Islam with its injunctions in this respect means to make ownership a social employment, not a personal enjoyment for the owner, and to render the scale of its obligations overweigh that of its rights. It also means to make the owner of properties a mere trustee to spend them in the common interest and

Islamic Socialism, The Best

Safeguard Against Communism

by

Dr. Aly Abdul Wahid Wafi

(Continued from P. 64)

" So give to the kinsman his due, and to the needy, and to the way-larer. This is best for those who seek God's "countenance, And such they who are successful " (Surah, 30 V. 38).

Furthermore, many verses of the Qur'an show that Islam considers the ownership as a merely social employment to which the appointed person spends the wealth on those who deserve it. It also looks upon the owner just as a trustee appointed by God to administer the wealth and spend it in the way of His. In this connection God says : " Believe in God and His Messenger, and spend of that whereof He has made you trustees : and such of you as believe and spend (aright), theirs will be a great reward " (Surah. 57, V. 7).

9— The ninth Means is represented in the exhortation by Islam to spend in the way of God whatever surplus is there. Islam has recommended people to give away whatever wealth, which they do not need for pressing purposes, and spend it

all in the way of God. It is reported that Abu Dharr al-Ghaffari said : " The Messenger of God, peace be upon him, went towards the mountain of Ohud and I was with him. He said : O Aba Dharr. I said : yes, I ransom you with my father and my mother, O messenger of God He said : If I had as much gold as this mountain to spend in the way of God and died with only two carats left, I would not be happy, I said you mean two cantars, O messenger of God ? He said : no, I mean two carats." The Messenger meant that he would not be happy if he died before he could spend in the way of God the whole sum even the two carats.

And for this reason, Abu Dharr urged the rich, during the Caliphate of Uthman Ibn Affan, to spend in the way of God and give to the poor, the destitute and the needy all the surplus of their Properties. He also warned the rich to shun luxury, prodigality, the hoarding of Property and disabling the feeble and poor of people.

one. Religion is consistent with the nature of man as well as with the nature of the whole universe. It is ardently desirous for the realization of intimacy and brotherhood in man's life in conformity with what is seen of affection and brotherhood among the non-humans.

Communism, on the other hand, is a call for "revolution," chaos, disturbance and fear. Its peace means war, its liberty means slavery, its equality means plunder, and its security means agitation and anxiety.

It is founded on the principle of antithesis. So contradiction plays

the dominant role in its society, and its adherent is wavering between the two contradictory extremes. He is neither alive nor is he dead. He is fluctuating between restriction in humanity and libertinism in animality, between manhood and non-manhood.

Religion reconciles the soul and body in individuals. But Communism makes the body dominant the soul and imposes on mind the mastery of the stomach. It is suitable only for animals and absolutely inconvenient for man.

and to realize justice, brotherhood and co-operation among individuals.

The achievement of man, therefore, the knowledge he attains, the society and state he establishes, all of them should be for the service and mastery of human values. If this system is upset and the human values as well as the whole of mankind are made subservient to knowledge, society and state, then there will be no peace, no justice, no brotherhood and no co-operation. In such a condition the devil, caprices, chaos and anxiety prevail. The prevalence of these evils is not the mistake of humanity; but it is the shortcoming of nature which fails to express itself and show its real values.

The value of nature is manifested in its submission to man whose value is shown by his attaining a high virtuous human standard. Likewise, the value of the whole universe lies in the assertion of its Creator whose Entity is proved by perfection and harmony that are regulated by normal rules, the oddness of which lies in man's disability to understand them. All the aforementioned values

are the aim of the religious message.

Decline of Communism :

Communism converts the worship of man to an idol that is exploited, yet does not have the power to exploit or direct others. It also converts the nature of man from acting mastery into an enslaved one; from a free self-determined and honoured nature into another one dominated by that which has no independent will or freedom. It equalizes between good and evil in guidance and turns the human values into empty moulds to fill with whatever it pleases and not what is good for humanity.

The god of Communism which is science is a changeable one that changes from day to day. So its holiness is but a mere illusion and false imagination, and its worship is but a superstition.

The Difference Between Religion and Communism

The difference between religion and Communism is the difference between a normal call and an abnormal

and eat of His sustenance " (Surah 67, V. 15).

" And he has made subservient to you the sun and the moon, pursuing their courses; and He has made subservient to you the night and the day, and He gives you of all you ask of Him " (Surah 14, Vs. 33-34).

According to the message of religion man endeavours to attain " Knowledge " : " Say : Are those who know and those who know not alike ? " (S. 39, V. 9). The purpose of this attainment is to make man master the nature, not to deify and worship " knowledge ", to make him try hard to establish the material and industrial civilization : " And We sent down iron wherein is great force and advantages " (Surah. 57, V. 25). But This material and industrial civilization are meant to expand the sphere of human and spiritual values.

The message of religion accordingly urges man to partake in the formation of society not to be absorbed in it : " And the believers, men and women, are friends one of another " (Surah. 9, V. 71). According to the message of religion, man is to work for the foundation of the state: to establish justice, to maintain the rights of its individuals, to live and

protect their most valued things: life, wealth and honour; yet it is not to be unquestionably obeyed and surrendered to, if it is tyrannic or violating the personal rights.

Religion does not ask man to overturn the system of life and thus worship what is man-made of "science," "society" and "state". Religion requires of man to remain normal and behave within the framework of natural laws. So long as he gives to beings other than himself life growth and development, is proper then for these other beings to be in his service and follow him.

3 — The supremacy of Human values:

The mastery of man for which religion calls is not, in fact, that of his physical constitution and his animal growth. It is rather that of the human values, namely, justice, liberty, brotherhood, equality and the maintenance of personal rights. This is because religion evaluates man only on the basis of his humanity and his human qualities which are represented in the human values.

Through this mastery of man and human values religion aims at the settlement of peace among people,

O mankind, surely I am the messenger of God to you all " (Surah. 7. V. 158). It is this message of religion only which defines good and evil; " Surely this Qur'an guides to that which is most upright " (Surah. 17, V. 9). It is this messenger who calls for good only; " And (know) that this is my path, the right one, so follow it, and follow not other ways, for they will lead you away from His way " (Surah 6, V. 154).

The good for which religion calls is co-operation for the attainment of a better life; " And help one another in righteousness and Piety, and help not one another in sin and aggression " (Surah. 5, V. 2). It is brotherhood in humanity: " O mankind, surely We have created you from a male and female, and made you tribes and families that you may know each other. Surely the noblest of you with God is the most dutiful " (Surah 49, V. 13). It is the non-deviation from the right way and non-inclination to evil: " And follow not the footsteps of the devil, Surely he is your open enemy " (Surah, 6, V, 143).

God the Lord of religion, then, knows good and evil as well as the overt and the concealed, and He wishes good only because good Secures security, co-operation and brotherhood to humanity. In brotherhood and co-operation lies the ele-

ments of prosperity and progress of humanity.

2 — *The Supremacy of Man*

God the Lord of religion knows all about the earth and the whole nature, and from among its creatures He honours the human nature as it submits to and worships Him only. This human nature worships Him alone and doing so it surrenders to good and acts upon its principles. It also knows evil and shuns it. It accepts the harmony and peace and aims at them, it knows animosity and disorder and tries to evade them.

As God values the human nature for warshipping Him alone, He endows it with mastery over all creatures other than man; " And Surely We have honoured the children of Adam, and We carry them in the land and the sea, and we provide them with good things, and We have made them to excel highly most of those whom We have created " (Surah 17, V. 70). " And He it is who has made the sea subservient that you may eat fresh flesh from it and bring forth from it ornaments which you wear. And you see the ships cleaving through it, so that you seek of His bounty and that you may give thanks " (Surah 16, V. 14). " He it is who made the earth subservient to you, so go about in the spacious sides thereof,

existence of man. This trinity therefore is man-made, not self-made. When man abandons this trinity it will cease to exist, then it will shrink until it dies away.

So this deity is incapable of creation even though it may appear a giant creator. It is not self-sustained even though it may be seen to give life to others. By actual need disability cannot guide humanity to its welfare. It is not only that it lacks the power to distinguish between good and evil but also the initiative power to direct either to good or to evil.

Science, which is a pillar in the sanctified trinity, is pushed by man toward either good or evil but not by itself. Likewise, the state and society are directed in the same manner by man, who is the leader and guide.

Thus man who was to be deified has become in this case the worshipper. By this attitude Marxism does not only encourage the "relapse" of humanity and the enslavement of man to an "idol," incapable to live or to continue to exist independent of others, not to guide and lead others. But when it renders the Communist's heart void of faith in God, the Creator, and so depriving him of dread, it tries to make it up for him with another religion and faith that lead him to good and evil alike. The

deity of that faith, i.e., science, as defined by Marxism, has no intrinsic or natural relationship to good or evil because its nature is "neutral".

The religion or faith which equalizes good and evil does not give assurance to humanity against the prevalence of evil among its followers. Such followers may offer to their neutral god evil more than good as an oblation. But it is Marxism which agitates people to revolt in the name of the principle of anti-thesis. It cannot face the inevitable "revolution" in the Communist society if circumstances lead to it. It uses the principle of "evolution" to instigate people to reject the human values and deny the virtuous standard of humanity, and at the same time gives aspirations, through its philosophy, to a better life and a happier society. It also encourages people to deny God and religion, and place them before a man-made god and religion, a god who is himself ignorant of the destiny of humanity in spite of the fact that he is called "science".

1 — The Religious Call:

In contrast to Marxism, religion calls for faith in God the Creator, the Independent of others, the Ever-Lasting, the Changeless and the Most Supreme. He is for all people and His message is sent to the whole of mankind; "Say"

and the industrial civilization, therefore, is the real one on the basis of which man should continue his efforts to establish a better life.

In order to bestow on science a halo of sacredness and ascribe to it the qualities of the adored, to whom believers offer their sacrifice, which, in this respect, is their contribution to the advancement of industrial civilization, Marxism demanded "faith" anew and enjoined upon its followers to believe in different "trinity": science, "society" and "state". Thus Marxism has become a "religion" and a "faith".

It is realized here, however that Marxism, by its assertion of the principle of "reality" in order to destroy religion and faith, ended through this very principle, in a religion and it is not that of God but of nature, and a faith in man-made objects not in God.

The sanctification of science and its deification make it man's master rather than his subservient. Likewise, this sanctification and deification of society calls for sacrifice and devotion from individuals without their expecting any reward. This implies that there is no other deity but this new trinity which, Marxism claims, is from the actual nature which is seen and perceived, though the deity is neither seen nor perceived. We do not see sci-

ence as such but conceive it; nor do we see society as such but conceive it as a combination of mutual relations among its individuals. We do not see the state but trace its marks in the achievements; we only see experiments. These experiments are not science. What we see are individuals leading a life in which they have firmly believed, and following a certain course in that life whether willingly or unwillingly. Individuals, therefore, are not society; they are mere bricks in its structure. Of these individuals some are legislators and law makers, while others are only guardians and executives. Both legislators and executives are in the service of the state and not the state itself.

Thus the new deity of the new Marxist religion is not found in the tangible reality, although Marxism, as we have seen, denies the existence of God because He is not a tangible: thus it denies His existence on a certain basis and then believes again in what is built on this same basis.

In the new religion of Marxism there is no dread of any deity except the deity of science, the society and the state which are the production of man: for the primitive man lives without science and without state and thus the existence of the Marxist trinity (science, the society and the state) is after accurrence to the

of metaphysics, as represented in revelation, and the influence of mind on nature itself to be a means of knowledge, of planning the human behaviour and of defining the proper aim of the human society. This is because it considers the revelation of God and the mission of religion as a mere superstition. It also considers conceptional ideas by which the mind tries to describe nature as an illusion.

Thus it is "reality" only, not religion or mind, which must be dictated upon man and prompted to him, and from which man has first to learn and then obey what he learns. The reality in which we live is the nature which we feel, see, touch and on which we tread.

So we have, accordingly, to let this nature speak and give us guidance instead of God's guidance and the light of the mind. From this point of view, God absolutely has no existence, and the mind has no light except that which it receives from the logic of the tangible nature. God is not existent, because there is no existence beyond the material existence; and if He had a material existence we should have seen Him but actually we do not see Him. So He is not existent. The mind also has no existence independent of the material body, and its existence therefore is bound to the material existence. It has no such independence to

possess any light or radiation apart from that of the material nature. It has no logic distinct from the logic of nature, but nature empowers it with its own logic and urges it to think in a certain way and it thinks.

It is held that the material nature is the existence and its logic is the only expressive logic, then the knowledge acquired through the logic of nature is sound and authentic knowledge. Consequently, knowledge is not metaphysics, religious revelation or rational conceptions. But knowledge is reality and the tangible nature. Such knowledge, then, is worthy of worship not God, as the religious authorities believe, nor man as a conceptive power, as the rationalists claim. The altar of the worshipper is not the church nor the theoretical research but it is the "laboratory" where experiments are held on the properties of the material nature.

Human civilization is not in the least constituted by the intellectual and spiritual heritage of the past but only by that which comes out from these natural experiments. It is rather formed by science with its material effect on human life. It is the machine, then, which is the most conspicuous of these results. Industry, in all its aspects, is one of the many virtues of machine on man,

It is clear from the development of man and his move from stage to stage in humanity till he reaches the stage of human maturity that values are the highest standards in the human behaviour. This is because the infant human is like the animal in his behaviour when acting according to his instincts. In this behaviour the human mind, which is the distinguishing character of man, has little influence. But gradually the mind takes its place besides the instincts in man's behaviour and his development.

At a certain stage of his development the mind commands man's behaviour through the making of good customs and the sound understanding of the nature of life which includes the nature of society. When the mind dominates the instincts, man becomes in possession of the quality of humanity and differs clearly from animals.

The most important character of the instinctive behaviour is "egoism," and the most distinctive quality of humanity is "aggregation" or the recognition of society in a manner manifest in practical application corresponding with the inner feeling of the aggregate. Egoism denies the rights of others in life, whereas aggregation consolidates these rights by virtue of co-operation on what brings about a better life for all and what protects all from injuries and aggression.

The human values are nothing but practical "samples" of aggregation and the various forms of co-operation on achieving a better human life. And if it be granted that values are the standard of the human behaviour, the expressions of the human quality of man, which he gradually attains, and the proof of the human mind's maturity and mastery over the animalist instinct in man, it should therefore be granted that these values are unchangable. This is because man either develops into a humane standard or remains in the sphere of animality. And values, as already mentioned, are the only means by which it can be seen whether man has ascended to the standard of humanity or still remains in the circle of animality.

It is man himself who changes and develops in his march towards humanity. But values, which are the expression of humanity, are unchangable and ever-lasting

The Principle of Reality :

Marxism ascertained the Principle of "reality" which had been used by August Comte, Feuerbach and Steinthal, to resist by it, first of all and Particularly, the opposing and "reactionary" forces especially religion and the idealist moral philosophy. This principle denies the effect

When Marxism uses the Principle of "antithesis," it means to convince people of the necessity of the change of societies, however long it may take, into the proletarian form which is the inavoidable destiny of humanity. It means, further, by the use of the principle of "evolution" to convince people that this proletarian society is better than any other one. So the aspiration of people to the establishment of this society, if it is not already established, and their endeavour to make it a reality, will not be because it is the inavoidable destiny of humanity at large but because it is better than and incomparable to any other preceding society.

Marxism, furthermore, means by the phenomenon of change to falsify the religious and idealist values, and to accuse both religion and the idealist philosophy of stupidity and misunderstanding of the universal laws and consequently of disharmoniousness with the nature of life. Religious authorities and idealist philosophers are considered by Marxism reactionaries who confine life to a limited line. They, Marxism thinks, look backward unconscious of the marching progress of life; while others, so Marxism claims, look forward in conformity with the laws of nature. On these said arguments Marxism evaluates the Communist society in as much

as it destroys the forces which hinder people from following its ways and at the forefront of which are religion and rational idealism. When it evaluates in one side and destroys in the other, it does not resort only to such an allegation but also uses terminology which tempts people to side with it and makes them depart from what is against it. It applies "progressive", an attractive term, to what it advocates while it applies "reactionism" to what it tries to destroy represented in religion and the idealist ethical philosophy.

The application of the phenomenon of "change" to the human values proves that Marxism, in fact, tries to be deceptive and cunning, just as it did before when it applied the principle of antithesis to society. There, Marxism terminated the application of this principle at the Communist society and so arbitrarily ended the logical process of the principle, and limited its function as a universal law having an incessant application.

The human values are the highest standards in the human behaviour and the ultimate ends of the human improvement. So these values, after reaching the end of their development, do not permit increase or change, but become then a plain phenomenon which distinguishes man from animals.

that Marxism fights theoretical or "conceptional thinking" and concentrates on "reality".

If the Communist society, i. e., the proletariat, does not expect its absorption by and transformation to another absolutely opposite society, it will then have either to be inconsistent with the logic of Marxism on which it was established and which it used to justify its existence and the transformation of any other society to it, or return, after its new form approved by the Buichivc Revolutionists of 1917, to the "belief" which cannot be interpreted by philosophy and Logic. So it will become a society of indisputable belief. Then, it will not be the aspired to society which Marxism desired, and which replaces belief with "science," demands its individuals to fight "reactionarism" represented in faith and belief as such, and urges them to emancipate themselves from faith and belief.

The principle of Evolution

As to the principle of *evolution* Marxism borrowed it from Darwin and used it to prove that the present condition of the being is better than the former state of that being, and that it is more valuable and more cherished. Society as an entity will go through a process of change from a certain condition to another, and then its new condition is to be preferred to

the previous one, more valuable and worthy of maintaining. The logical conclusion of this argument is that the proletarian society, i. e., the Communist society, is better than the preceding society of capitalism, and this latter is better than that of feudalism which is also better than that of the royal society. The principles of "antithesis" and "evolution" produced an attached result as a universal phenomenon which is the "change", of every being from its position to another opposite one. By the production of this phenomenon and by the claim that it is applicable to every thing, Marxism tries to pretend that the unchangability of the moral "values" in the human life is contradictory to the nature of things and nature of being. It tries to conclude that values, therefore, change just like anything does. Thus the human virtues differ from time to time and what is considered virtuous at a certain time is not to remain such forever. On the contrary, it may be the opposite of virtue. The Marxist allegation based on the phenomenon of change means that whatever religion and the moral idealist philosophy have established like "justice," personal "liberty" and the maintenance of the consecration of soul, property and honour - all may change into vices and become opposite to virtue according to the circumstantial changes of life.

with the industrialists and the majority of the labourers. The Process of strife between these two extremes will continue to produce the Proletarian society which is the ultimate aim of Marxism.

The transformation of the capitalist society to a proletarian one, according to the logic of the principle of "antithesis," means that the ownership of properties represented in factories will go to the labourers, who will become in turn industrialists.

The Marxist philosophy, when using the principle of "antithesis" in the social sphere, did not limit it to the logical conclusion which stipulates that it is inevitably going to its extreme opposite, and that the present form of society is going to be absorbed by a new form. Marxism, instead, went further to add that the transformation of society from one shape to another opposite one is achieved step by step until it reaches a certain point at which *revolution* is indispensable to complete this transformation. This change is like water in its becoming vapour after a process of change affected by heat till the water abruptly transforms completely to vapour.

The Marxist doctrine, therefore, does not wait for the intrinsic forthcoming transformation of society, especially that of the capitalist, to the proletarian shape. But it advocates the tactics of *revolution* and

the intervention of the Communist adherents to hasten the happening of the desired *revolution* in the society.

The question that may be raised now by any examiner of the use by Marxism of the principle of "antithesis" to justify the transformation of society to a proletariat is as follows: Is it true that the proletariat has become the owners of industries and the landlords in the Communist society as Marxism had happily advocated while employing the philosophy of "antithesis"? Is the transformation of society, according to the principle of "antithesis," is confined to its becoming a proletariat? Or do determinism and necessity conceived by Marxism in the principle of "antithesis" as a general character, instigate the observers of the conditions of society to expect the emergence of another society from the proletariat which will be quite opposite to it, and out of which comes forth another society and so on?

So if the ownership of factories is plundered from the proletariat in the Communist society leaving them mere paid labourers or the like, then what Marxism gladly advocated, through the application of the principle of "antithesis" to the transformation of societies, will remain in the *theoretical* and *conceptual* realm, not in the realm of reality. This is an unavoidable result in spite of the fact

by necessity apply to the society as it is necessarily applicable in "conception" and "idea". This is so because if we examine the different forms of the human society we shall find that the "Royal" form of society was the first of them followed by the "feudalist" and then by the "capitalist" one.

By analysing the structure of the "Royal" society as an entity it will be seen that it was formed of two opposite sides: the King on the one side, and the executive officials of his government and his subjects or slaves on the other side. Through the conflict between the two opposite sides, one of them represented in the king transformed to the other side represented in the government officials and subjects. By such diversion the second form of society manifested in feudalism took shape. That is because the land, which belonged to the king only — and to which ownership was confined; since industries were personal crafts undeveloped by the technical evolution as known later in the second half of the nineteenth century in Germany — went to the officials' hands, and the ex-subjects of the king as well as his serfs became farmers and tenants of this land.

But this feudalist society did not remain just the way it was, and

It is impossible for it, according to the necessity of the principle of antithesis, to continue just the way it is; so it transformed into the capitalist society. By analysing the structure of feudalism it was found that its society consisted of two opposite sides: the big landlords and the tenants of the land. Through the conflict between these two sides, one of them represented in the feudalists was diverted into the other opposite side represented in the tenants. This was brought about by the flight of the feudalists with their properties and by the investment of these properties in industries while leaving behind the land for the tenants. As a result of this change the capitalist society emerged from the feudalist one. This new form of society was made of the capitalists who invested their capitals in big industries.

If the feudalist society, up to this stage, transformed from a certain position to another opposite one, the capitalist society will be changed into another form of society; and this new form is in accordance with the principle of "antithesis" which is a universal principle. The new position to which the capitalist society will come is that of the proletariat. This is because the industrial or the capitalist society consists of two extremes: the minority of the capitalists together

already converted the former society into a one - class society.

Communism as a doctrine :

Communism in this respect advocated Marxism as a philosophical doctrine depending on a number of principles already used in the idealism of the eighteenth century, the naturalism and the positivism of the first half of the nineteenth century. These principles embody the antithesis of the German idealism, the evolution and the reality of positivism. Each one of these three principles has been employed by Marxism to prove, on the one hand, the ultimate value of Communism and the triviality of the "reactionary" values, especially those of religion, in the pre - Communist society, on the other hand. So it took a hostile and incompacent attitude towards the Christian Church as an authority in particular and towards religion at large.

The Principle of Antithesis :

The German philosopher Fichte had used this principle to prove the originality of the human mind and its precedence in existence, and consequently its ability of creation together with its absolute freedom which cannot be limited by "sense" or "revelation" or any other "unseen power". He also used this principle to prove that the human

mind is to dictate not to be dictated upon ; and that the human society, the law, the State and the morality are among its under ; and that the lives of all people, in their brotherly ties and achievements in the patronage of a universal state, are an ultimate aim of its creativeness.

The other German philosopher Hegel used the same principle to elucidate the value of the human mind and the value of God, and to show that the place of God in the universe is that of the Absolute out of which comes forth the limited, viz., the visible nature, and towards which move the somewhat unlimited such as the "State," the "law," and the "morals." Therefore God reveals and it is incumbent upon man to obey what He reveals.

Hegel concluded, through the use of this principle, that the authority of the "revelation" is above that of the "mind," and that both are above nature, above what is called the real or the tangible.

This very principle was also used by Karl Marx, the philosopher of Communism and the German thinker of Jewish faith, to prove that society would inevitably change into a proletarian society, i.e., the Communist society. He employed history to illustrate that this principle would

another one. A society as such can not be achieved except by the ultimate prevalence of the working class because this class does not rely, in its livelihood, on anything other than its own human activity and the exercise of that activity in a direct way.

To make the society a purely proletarian one the Communist Revolution hurried to adopt the *revolutionary* tactics in the conversion of the Russian society and annihilated the other two classes: the class of business men, or the capitalists, and the class of the owners of fiefs or the feudalists. It also terminated the government system, viz., the Caeserian system, which had prevailed in Russia on the basis of the existence of those two classes. Moreover, the Communist Revolution, eradicated all sources of support to the Caeserian regime, particularly the Orthodox Church or the Eastern Church. And because it adopted the revolutionary tactics in enhancing the transformation of the Russian society from a multiple class society to a one of proletariat, it perpetrated violence, despotism and bloodshed against tens of thousands of the society. Therefore it was a Red Revolution and made *blood* its emblem; because it was against its principles to give up the *revolutionary* tactics and what this demands of bloodshed.

Communism combated feudalism, capitalism, Caeserianism and Church; and abrogated both feudalism and capitalism. It transformed the ownership of land and factories to what it called the *State*. Thus the Russian society in the economical aspect became a Communist one. It abolished the Caeserian system of government and made it a people or a proletariat rule; so this society in the political aspect became a democratic or a proletarian one. It abolished the Church authority and declared secularism as the State character. Thus it separated the Church from the State and made the latter sovereign over the former.

After these radical changes the Communist Russian society has become in its policy and directives entirely contradictory to the former society, and the 1917 Revolution realized its existence as a historical fact. But in order to maintain this society and keep it away from agitations which may be incited by the social remainders of the past resulting from the elements of Caeserianism, capitalism feudalism and church authority, which remainders are called "reactionary" forces - Communism paid its utmost attention to the Marxist philosophy from which it emanated, propagated its call and tried hard to convert it to a "religion" or a "faith" as it had

COMMUNISM AND RELIGION

by

Dr, Muhammad El - Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration.

Communism as Revolution :

The Communist Revolution started before the end of the First World War in 1917 to destroy the social system of the Caesarian Russia and establish another social system more balanced and more harmonious, from this revolution's point of view, or a society in which the causes of friction and conflict between the classes and the individuals disappear.

The society at which the Communist Revolution was aiming was the proletarian society which consists of one class. And if the causes of friction and conflict vanish wherein, there is no longer any need for the maintenance of the police force which is usually appointed to preserve the internal security of the society.

The Communist Revolution does not only aim at the establishment of a one-class society in which the factors of friction and strife disappear, but also aims at the creation of a society of high morality and sublime

value. In such society the special guarding force to protect individuals, which force has superior authority over their existence, is no longer needed. This high morality results only from the transformation of the society into one class. This class should be neither the capitalist class nor the feudalist one; because both of them live and depend on the use of capitalism and feudalism respectively, not on the private human activity of the individuals belonging to both classes.

The employment of capitals and lifts necessitates, in turn, the exploitation of the human energy which is exercised by the labouring class, which is obliged to continue working to earn its bread and butter.

Thus we see that to depend in forming the hoped society on either of these classes will inevitably lead to the rising of another class, that is the proletarian class. Hence the formation of a one-class society must depend upon a class whose existence does not necessitate the presense of

which he tastes nothing but fear and hunger, tyranny and oppression, evil and corruption.

It is hoped that in the light of the aforesaid proofs, we could easily realise the immortal traits of the instructions of Islam. Such teachings are irreplaceable by man-made laws and constitutions which make him vain and arrogant, and which are built on capricious intentions and overwhelming passions, and on the basis of love for domination and suppression.

In its injunctions Islam shuns excessiveness and carelessness. And it is worth mentioning here to refer to the fact that Islam demands its people to be moderate in all aspects of life and in deciding their common interest, and to stand in the middle without swinging to either extreme. This perhaps is a third angle through which we may conceive a third element in the immortality of Islam. Such element is referred to in the holy Qur'an in the following verses: "Thus We have appointed you a middle nation, that you may be witnesses against mankind..." (Surah 2, V. 134). "And (He commands you, saying): This is My straight path, so follow it. Follow not other ways, lest you be parted from His way" (S. 6, V. 153).

In fine, this is Islam, and that is its *idealism* which bears the elements of its immortality. It is the religion of God which He has chosen for His bondmen to organize thereby their lives and make happy themselves and their society. He sent down its principles, as we said, with His honourable messengers, explained them in His Scriptures and then perfected them, with that which was needed for the progress of man, in His last Scripture, viz., the Qur'an, and on the tongue of the last of the prophets and messengers, Muhammad, may the peace and blessings of God be upon him.

It is incumbent upon the intellectuals and people of knowledge and opinion, who are interested in the affairs of their nations, to continue their search for and presentation of these Islamic principles, so that the demarcation lines between the truth which is revealed by God and the deviation into which the world has fallen and by which Muslims have disintegrated may become clear.

May God guide to the right path those who are striving to attain the blessings of God and to achieve the happiness of the people.

Moreover, on the treatment of non-Muslims who are in peace and on good terms with Muslims, the Qur'an says: "God forbids you not those who warred not against you on account of religion and drove you not from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Surely, God loves just dealers" (Surah 60, V. 8).

The Basis of Government and Sources of Legislation :

We have already mentioned the general principles which Islam has laid down and which are the common Divine guidance to the decent life and the true happiness. Let us now know that Islam maintains these principles by means of justice and consultation which Islam takes as a basis of government and legislation, and authorizes the specialized people of sound opinions to decide upon details and particulars branching from these general principles. This is to be done in the common interest of the nation and when there is no definite text to decide upon the matter in question. Through this Islam secures for the human mind its dignity and, at the same time, saves it from uncertainty and disorder resulting from caprices and personal inclinations. Islam, furthermore, by so doing guarantees the ever-lasting and cotinuanance of its

principles. It makes no restriction upon the specialized thinkers, who are authorized to give decisions on unsolved problems, except the maintenance of the general framework of these general principles which ensure the security of people's life and the safety of their society from dissolution and deterioration.

From this brief presentation it is plain that the principles by which Islam has organized the life of mankind are the most sublime principles that life can ever seek for the progress and advancement of the world and for the achievement of the common good. It is also plain that by laying down these principles Islam, as we have already said, has included therein all conceivable elements of good and urged for their attainment. On the other hand, it has warned of and cautioned against all conceivable elements of evil.

It is inconceivable that these values can be neglected or replaced with others made by man and dictated by his passions and personal inclinations which are incapable of realizing the sequence of the human nature. The world will remain in uncertainty and fluctuation, without any material and spiritual comfort and without breathing the air of salvation, as long as it cherishes man-made systems on which his life is based and from

And by this fascinating Principle Islam has established a system of exchange of rights and duties between the individual and society, and has made the happiness of life dependent on co-operation and balance between the two sides without either of them overweighing the other. So if society refrains from carrying out its duties, things will turn bad, and life will change into unbearable hell and will confront danger and humiliation.

Ethical Morals .

Islam has extended its support to the moral Principles, which are indispensable for life, by a combination of individual and ethnic morals which confer on man in himself as well as in his society a form of human magnificence and psychological beauty. And for this aim Islam has dealt with the virtue of humbleness, manners of walking, man's interest in that which does not concern him, and his pursuit of unfounded thoughts and vicious ideas. In this respect the Qur'an says: "Turn not your cheek toward People, nor walk with Pertness in the land. Surely, God loves not each baggart boaster" (Surah. 31, Verse. 18). " (O man), follow not that where-of you have no knowledge. Surely, the hearing and the sight and the heart - of each of these it will be

asked " (Surah. 17, V. 36). " O you who believe ! Shun much suspicion ; for surely some suspicion is a crime. And spy not, neither backbite one another " (Surah. 49, V. 12).

As regards visits to somebody else's home the Qur'an says : " O you who believe ! Enter not houses other than your own without first announcing your Presence and invoking peace upon the folk thereof " (Surah. 24, V. 27). The Qur'an also shuts the doors of sexual disorder by taking precautionary measures described in the verses which read : " Tell the believing men to lower their gaze and be modest And tell the believing women to lower their gaze and be modest, and to display of their adornment only that which is apparent " (Ibid, Vs. 30 - 31).

Regulating the manner in which man should receive news, the Qur'an says: " O you who believe ! If an evil-liver bring you tidings, verify it . . (Surah 49, V, 6). Likewise, one of the important social virtues is stated in the Qur'an as follows: " O you who believe ! Let not a folk deride a folk who may be better than they (are), nor let women (deride) women who may be better than they are ; neither defame one another, nor insult one another by nicknames " (Ibid, V. 11).

good and evil in this life. Islam has unequivocally forbidden all things that may spoil it or cause its weakness.

Power in Islam :

To consolidate society and protect it from aggression Islam stipulates that power should be acquired and force must be prepared. Power in Islam is not desired as a means of humiliation and destruction, or of driving people out of their homes and property and hardening their lives. But it is desired as an instrument of reform and peace when used to frighten mischief-makers. The Qur'an says : " And make ready for them whatever force you can and horses tied at the frontier, to frighten thereby the enemy of God and your enemy and others besides them, whom you know not - God knows them " (Surah 8, V. 60).

Needs of Life :

In Islam man is entitled to bodily enjoyments and good provisions of life without falling into vicious extremes of excessiveness or carelessness. He is also entitled to spiritual enjoyments by virtue of knowledge attained through self-purification and training, meditation and reflection on the marvels of glory and beauty of the Creator and the Wonderful Originator of the universe.

Islam gives man, as an individual, an independent personality and makes him, at the same time, a brick in the structure of society. As an individual entity, Islam assures man of the right of ownership of his wealth and his blood, and enterprise for his own interest without violating the rights of others. And as a social unit, Islam enjoins upon him a duty by which he is obliged to give guidance, to share in fight, and to make utmost contributions in all aspects of life. Similarly, Islam enjoins upon him a fiscal duty to be spent on the common interest and be taken from his surplus after satisfying his needs and those of his dependents. Moreover, it encourages him to establish a sound married life on solid bases to reproduce a healthy generation which can participate in the foundation of society.

In return for these duties enjoined upon the individual for the interest of society, Islam tasks the society with obligations and rights towards the individual. The society represented in rulers and people of authority is demanded to preserve the blood, honour and property of the individual. And to secure these rights and insure the observance of these duties Islam has ordained punishments decided upon by accredited people or defined by textual instructions.

obtained, Islam ordains that it should be maintained and not wasted or spent lavishly or used as a means of exploiting the conditions of the needy. It gives the disable poor as well as the common weal a right to such wealth. Besides that, Islam has stipulated that prodigality is the source of all evils and destruction of everything in this life.

For all this Islam does not tolerate extravagance, except when aiming at the common welfare and prosperity of the nation. Hence, it fights prodigality, ruling or ruled, owners or trustees. It authorizes the Muslim rulers to be watchful to prevent prodigality in order to preserve the wealth of God to which people are mere trustees. This is meant to purify the hearts of the destitute from spite and envy originating from the sight of tokens of lavishness surrounding them while they are deprived of their necessities and enjoyment of a comfortable and peaceful life.

By virtue of this general principle which Islam has introduced, the fiscal problem caused by miserliness which threatens the peace and security of the world is solved and put an end to. This principle of Islam eradicates fiscal tyranny, protects the society from destructive Communism and other subversive movements,

reserves the rights of the individuals and the fruits of their endeavours, and, finally, opens widely the door of fair competition in the quickening and progress of life.

Honour in Islam :

Islam demands the maintenance of honour as a manifestation of dignity and honesty and, for the extirpation of sexual libertinism which destroys the family system and dissipates the unity of society.

Health in Islam :

Reservation of good health is emphatically demanded by Islam which fights diseases by means of remedy and immunity. Islam founds its policy on reality, and reality ascertains that no knowledge is obtainable without good health, and that no noble struggle can be carried out without maintaining this health. This is because health is man's capital and the source of his happiness. And this maxim is so popular that it is often said : "Maintenance of health is preferable to performance of rituals".

Mind in Islam :

Mind, from the Islamic point of view, should be kept revived and lively, because it is the measure of

bondmen. In this connection God, may He be exalted and glorified, says: "It is not righteousness that you turn your faces towards the East and the West, but righteous is the one who believes in God, and the Last Day and the angels and the Books and the prophets" (Surah. 2, V. 177).

Worship :

Islam has drawn the lines of worship to foster this belief and maintain observance of the orders of God. It has ordained some forms of worship varying between fiscal and physical duties. Thus, fasting and prayer, alms and pilgrimage were ordained. Islam has introduced these forms of worship and explained every detail concerning their performance, quantities and times, through the voice of its Messenger. By this Islam has equated its followers in order that their inclinations and opinions may not differ, and their hearts, their souls and their aims may be harmonized.

Necessities of Life :

Islam has also urged the acquisition of science and knowledge and emancipated the human mind from the fetters of blind imitation and immutability, encouraging it to penetrate into the unknown aspects of the universe to unveil the secrets of God in the earth and the skies, sea and air, simple or compound.

All this is meant to strengthen faith in God and make people rejoice at the employment of their discoveries of the universe, which God has made subservient to man. To this we read a reference in the Qur'an, which says: "In the creation of the heavens and the earth, and the alternation of night and day, and the ships that run in the sea with that which profits men, and the water that God sends down from the sky, then gives life therewith to the earth after its death and spreads in it all (kinds of) animals, and the changing of the winds and the clouds made subservient between heaven and earth, there are surely signs for a people who understand" (Surah 2, V. 166).

It is sufficient for the believer to read the chapter of the Bee in the Qur'an to appreciate the instructions of God to His bondmen to look in and search through the various aspects of this universe and what it contains of marvels and wisdom, blessings and signs. It is due to this attitude that Islam has elevated the rank of the learned people, and for this purpose it combats illiteracy, demands the learning of writing and places high the value of the pen.

Islam and Property :

Islam commands the earning of wealth and considers it to be the substance of life. When wealth is rightly

The Source of Immortality in Islam

PART II

BY

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

In the previous part of this article under the same heading we discussed some aspects of Islam, from our point of view, concerning its injunctions and its source which make logical the immortality of Islam and its validity without being confined to any particular limit. We then said that Islam is the ever-lasting message which is not linked to any certain epoch of history, and that it is the religion of God.

We declared, furthermore, that Islam was not an entirely new religion but a religion whose beliefs and aims were voiced by all messengers from the first one to the very last of them, viz., Muhammad, son of Abd Allah, may the blessings and peace of God be upon him.

In this respect we cited some Qur'anic verses as indisputable evidence of these general principles. It may be useful in the Friday sermon to summarize in simple words the creed of Islam, its worships and its

attitude towards the necessities as well as the needs of life.

Creed :

Islam enjoins the belief in the Origin of being and good, and devotion of worship and glorification to Him alone. So that man may not submit to another in order to enjoy his dignity and may not stray by taking mediators and interceders between him and God, and may not fall in perplexity and wavering between them while neglecting God the source of existence and good. Moreover, Islam demands the belief in the Day of Judgement and in the knowledge of the right path which He chose for His bondmen and conditioned their happiness on it in this life and the Hereafter. This right path is the belief in the angels of God who receive from Him laws and injunctions to deliver to His messengers who, in turn, convey to their people, and the belief in the Scriptures which are God's message to His

you could do it, but I resent to be distinguished in this respect".

In spite of the fact that he was the distributor of spoil, the leader of the Arabian Peninsula and the master of kings, he died with his shield mortgaged to a Jew for a loan which he had needed for the expenses of his family. In this phenomenon there is no surprise because the policy of God in giving His treasures does not recognize peculiarity or limits of space and time. But it is the secret of the Supreme Creator, which emerged from the stillness of the desert on the tongue of the great Messenger, and resounded in the far-reaching horizons, to be forever the light guiding every wanderer and the call awakening every inadvertent person.

As to his personality, it was the most fascinating quality of his manhood to which surrendered the despotic heads, the aggressive souls and the pitiless amongst the hearts of the valiants of the Arabs. After elevating them through his teachings they changed their characters and followed his example in conduct and behaviour and unanimously agreed on his love, obedience and protection. To them his sayings were traditions to follow, his deeds were treaties to keep, his opinions were orders to obey, and his decisions were verdicts to observe.

That is why we Muslims mention his name in every call for prayer and in every prayer throughout the day. We mention his name with the name of God not because we worship him, God forbid that, for this would mean associating others with Him the One. We mention the name of God followed by that of Muhammad just like the mention of a rule followed by an example or of a theory succeeded by an application, because God reveals and the Messenger conveys the revelation, God gives orders and he executes them, God legislates and he applies the Divine legislation. So the mention of God is a remembrance of His orders and interdictions, and this is the demonstration of His power, and the mention of the Messenger is a remembrance of his sayings and deeds - and that stimulates the following of his example.

The anniversary of the Messenger's birthday is the anniversary of the emancipation of humanity from the bondage of illusions, the tyranny of rulers and the domination of ignorance.

It is very proper, then, for the free and conscious hearts of various inclinations and tendencies to venerate the anniversary of the Messenger of monotheism and unity, the Prophet of freedom and the advocate of peace and love.

with the resolution of a superman. He struggled armed with truth, persisted with patience, argued with logic, confuted with sound opinion, impressed with eloquence and defeated by hand. such qualities emanate only from the shrewdness of mind and inimitable heroism, which were his clear distinction from all other messengers; because every prophet and each messenger showed superiority to his people only in some characters except the Arab Messenger who was *unique* in his ingeniousness. He was a messenger in religion, an authority in eloquence, a constitution in politics, a leader in legislation, and a commander in war.

Muhammad, throughout the difficult circumstances which he faced, was a sound manifestation of the spirit of God, an explicit declaration of the essence of religion, a supreme ideal of the truthfulness of struggle, a superior endurance of the hardships of the *call*, and a good example to all people.

The life of this Messenger is an ever-lasting Divine law for men of both religious and mundane concern. The means of struggle through which he reconstructed the scale of living and by which he set up the balance of society are still headlines in the records of knowledge, politics and morals. His life, may the blessings

of God be upon him, was based on self-denial and spiritual training. His leadership was founded on solidarity and co-operation. He was the ruler of Hejaz, Nejd, and Yeman, and to him came the tributes of the whole Arabian Peninsula and of the neighbouring countries of Iraq and Syria. Yet his bed continued to be made of palm-fibre, and he with his family passed countless nights starving or satisfying themselves with little diet of dried dates and water. He wore rough and uncomfortable clothes while he distributed among people silky clothes decorated with gold.

It was the habit of his companions to stand up when they saw him approaching to show their respect for him. But he told them not to do so because that was the habit of the Persians, and that he was only an ordinary human being who eats and sits just like others do. Once he was travelling with his companions. He invited them to prepare an ewe for dinner. Immediately one of the companions said that he was to slaughter it; another said that he was to skin it, and the third said that he was to cook it. Then the Prophet said that he was to gather the shrubs. They all said: "We could do that on your behalf, O Messenger of God". He replied: "I knew that

for the implantation of good. They guided man unto the path of perfection and sharpened his wit to receive the last Message and the Universal Call ; a message of truth and proof, not established by miracles and oblations ; a call directed to the whole populations of the universe at all times and not to a limited group and at a certain time.

Miracles were only the proof of truth and the way to God when the sense of perception was stronger than the intellect and simplicity more dominant than deep reflection.

When sights were cleared and covers of ignorance were unveiled through the long and uniting preaching of prophets, the widespread of the knowledge of the sages and the scrutinizing study of the annals, the revelation was developped into a science, the inspiration into wise judgement, the signs into conceptions, the call into logic and the message into law. Muhammad, the illiterate orphan and the have - not, became an example of the advancing humanity in its thoughtful and expressive stage. With utmost wisdom, good exhortation, peaceful arguing, and with no proof except the Book of his Lord and no power but his firm faith he advocated truth. " They (the disbelievers) say : We will not put faith in thee till thou cause a spring to gush forth from the earth for us ; Or thou have a garden of date - palms and grapes, and

cause rivers to gush forth therein abundantly ; Or thou cause the heaven to fall upon us piecemeal, as thou hast pretended, or bring God and the angels as a warrant ; Or thou have a house of gold ; Or thou ascend up into heaven, and even then we will put no faith in thine ascension till thou bring down for us a book that we can read. Say (O Muhammad) : My Lord be glorified ! Am I aught save a mortal messenger ? (Surah 17, Vs. 90 - 93).

It is a well attested fact that whenever you read the biographies of prophets and messengers you will be struck to see that the miracles and signs of God are given to back such a prophet or a messenger in a critical position wherein his argument or his pleading fails to convince and needs a heavenly support. Such was the case with all the prophets with the exception of Muhammad, may peace be upon him. Unlike other prophets God bestowed upon him the gifts of human perfection and distinguished him by sublime morals with complete manliness and overwhelming personality, and made him a miracle in himself and a sign in his characters. All elements of evil were mobilized against him ; he was physically attacked and mentally accused, his people were harmed, his companions were tortured, and his call was fought against. Nevertheless, he met these aggressive assaults

FROM THE DARK CRADLES THE LIGHT OF GOD DAWNED

by

AHMED HASSAN EL ZAYAT

Editor - in - Chief

The *Speaker* Moses, son of Imran, was born in an unstable cradle. He had feelings of fear and perplexing expectations. His mother hid him in an oven from the eyes of Pharaoh and threw him into sea. She put him in a box and left him to Destiny. Then God saved him from burning and drowning to receive the *tables* from Him on the Mount Sinai.

Jesus, son of Mary, was born in the open air under the trunk of the palm - tree on the sandy earth. His fugitive mother delivered him in a rough cradle, and God gave to him the Scripture and the prophethood and the blessing which he propagated from the Mount of Olive in the East and the West.

The Chosen Muhammad, son of Abd Allah, was also born in a cradle of orphanhood and poverty. He did not find the warmth which the children who have mothers enjoy, nor the care which the children who have fathers find, nor the milk which the children of rich people get. He was brought up by some of his kinsmen,

invested his wife's wealth and called to the way of his Lord. Then the Truthful Spirit Gabriel came down to him in the cave of Hira of the Mount of Light to reveal the everlasting message.

Blessed be God ! How great He is ! And how mighty His will ! He wanted His light and evidence to dawn from these humble cradles, and His glory and sovereignty to emanate from these tranquil souls in order that His sign might be more glaring to the sight, His call more appealing to the mind and His word more attached to the heart. Had He chosen His messengers from among sovereign kings, the miracle would have been suspected and the omnipotence of God would have been confused.

From these poor cradles God, Who knows best where to put His message, chose His prophets and messengers, and supported them with miracles to affirm truth and provided them with signs to terrify falsehood. So they fought polytheism, combated corruption and prepared the ground

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

بصدور عن شيخنا الأزهرى فى كل شهر عبرى

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المستشار

إدارة أستاذ سامح الأزهر
بالقاهرة

ت ١ ٤٦٢١٤

يشترك في التحرير

عبد الرحمن محمد والقرن

بذل الاشفاق

٤٠ في المحرور العربي المتحدة
٥٠ خارج المحرور

والدكتورين والملايين بنفيس

الجزء الرابع والخامس - جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ هـ - نوفمبر سنة ١٩٥٩ م - المجلد الحادى والثلاثون

الفهرس

١٤ ٢٢٢٢٦

د حصة

ملحة

ملحة

٤٦٩ الانحلال شر من الشيعة

٣٨٦ يا حصرنا على العراق ١

٤٧٢ لقوات : وصف جمع المذكور غير العاقل مجمع للمؤت

لأستاذ أحمد حسن الزيات

٤٧٥ أثر الروح الإسلامية في النفس البشرية

لأستاذ عباس محمود العقاد

٤٨٠ ما يقال عن المسلمين والعرب : الإسلام في

لأستاذ الدكتور محمد الهبى

٤٨٦ وجهة نظر الشيوعية عن الإسلام

لأستاذ أ. ح الزيات

٤٨٨ الشعر : صلوات روح ١٠٠

لأستاذ عبد المحسن البيل

٤٩١ ثورة بيضاء من نور الإله ١

لأستاذ عبد المحسن البيل

٤٩٣ أبناء الأزهر : من السيد الرئيس إلى الأستاذ

لأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

٤٩٤ طه حبيب - وكيل وزارة خارجية بورما

لأستاذ عبد الوهاب جوده

٤٩٥ يزور الأزهر - بدء الموسم الثقافي للأزهر -

لأستاذ محمد على شريب

٤٩٦ الأزهر يشترك في يوم الحبس

لأستاذ محمد على شريب

٤٩٧ الكتب : مع الله : لأستاذ عبد الله الهان

لأستاذ محمد على شريب

٥٠٤ برمد الحجة : إيت بنى الفن أم - التصه

لأستاذ محمد على شريب

٥٠٥ والمجاهدة - الرماح الحرم - الإسلام

لأستاذ محمد على شريب

٥٠٦ والمستشرقون - إلى الأستاذ الدكتور على

لأستاذ محمد على شريب

٥٠٧ عبد الواحد واق - نحو آفاق واسعة

لأستاذ محمد على شريب

٥٠٨ مقتضات من الكتب والمجلات : التوعية

لأستاذ محمد على شريب

٥٠٩ والإنسانية - القرآن ومحمد والإسلام - غاندى

لأستاذ محمد على شريب

٥١٠ يحث من مثله العليا

لأستاذ محمد على شريب

٥١١ القسم الانجليزى

لأستاذ محمد على شريب

٥١٢ ...

لأستاذ محمد على شريب

٥١٣

لأستاذ محمد على شريب

٥١٤

لأستاذ محمد على شريب

٥١٥

لأستاذ محمد على شريب

٥١٦

لأستاذ محمد على شريب

٥١٧

لأستاذ محمد على شريب

٥١٨

لأستاذ محمد على شريب

٥١٩

لأستاذ محمد على شريب

٥٢٠

لأستاذ محمد على شريب

يا جَسْرَ تاعلى العراق !

بقلم : أحمد حسن الزيات

الحسنان البصرى وابن سيرين . فلما غربت الشمس وجزر المد ووهن السلطان واستعجم اللسان وجفت مشارع الرافدين فتفت فرقها الصفادع وسعت حولها الأفاعى ، آل الحكم فيه إلى عبد الإله ونورى ، ثم استوخم الأمر واستفحل الشر فآل بعدهما إلى قاسم والمهداوى ، ومنذ يومئذ قامت سماء العراق بركم من السحاب الجون ، لا تحمل الماء ولكن تحمل الدم ، ولا ترسل الغيث ولكن ترسل السم . ونحمت وعودها القاصفة وبروقها الخاطفة تنساب فى الظلام الداخلى زمر من شياطين الإنس ، يمحون الكفر ، ويشيمون الفحش ، وينشرون الإرهاب ، ويلحون على المؤمنين الآمنين بالقتل والسحل والعذيب ، ليخرجوهم من الإسلامية إلى الشيوعية ، ومن العربية إلى الشيوعية ، ومن شعب له كون بارز فى الوطن العربى الأكبر ، إلى مجتمع من أخطاط كردية وتركمانية وعربية لا يجمع بينها لسان ولا عهد ولا تاريخ .

وارحمنا للعراق الحبيب ! بلغ به ذل الحال وسوء المآل أن يستبد بأمره وجلان من الطراز الأدنى أحدهما يحكمه بالنار والدمار والتفريق والفوضى ويرغم أن المجزؤ حكومة ، والآخر يحاكمه بالخطيش والغيش

كان العراق يوم كان حكامه ناسا كالناس ، وعربا كالعرب مظهرا للقومية العربية ، ومصدرا للقوة الإسلامية ، وبمعا للقيادة الروحية والثقافية والحضارية للشرق والغرب . ففى وجوده العارم الخصب كل جنس فلم يبق متميزا غير العرب ، وكل دين فلم يبق ظاهرا غير الإسلام ، وكل لسان فلم يبق حيا غير العربية ، وكل سلطان فلم يبق قاهرا غير الخلافة ، ثم كان الفلك حينئذ يدور عربيا على ملكوت محمد من شرق آسيا إلى غربي أوروبا ، فتشرق شمس الحياة والمعرفة من أفق الرشيد وابنه المأمون فى بغداد ، لتلقى أضواءها الهادية على ملك العزيز بالله وابنه الحاكم فى القاهرة ، ثم ترسل من هناك أشعتها المحيية على سماء الناصر وابنه الحكم فى قرطبة ، ومن هذه الخلاقات الثلاث التى انبثقت من العراق فى القادرات الثلاث ظهرت كلمة الله ، وبهرت حقيقة العلم ، وازدهرت مدنية الإنسان ، واتسعت دنيا العرب .

كذلك كان العراق أيام كان من خلفائه هرون والمأمون ، ومن وزداته الفضل وجعفر ، ومن فقهاءه أبو حنيفة وأبو يوسف ، ومن أدبائه الأصمعى وأبو عبيدة ، ومن شعرائه بشار وابن الرومى ، ومن متصوفيه

هذه القوى حق الابن أباه ، وقتل الأخ
أخاه ، وكفر المسلم بربه ، وبغى العربي على
قومه . وبفضل هذه القوى قسم القاسم
العراق على نفسه ، وزعزع بالعتة الحمراء
(والكراسة الرمادية) الإيمان والاطمئنان
في نفوس أهله ، وقتل الناس بعضهم ببعض حتى
ذهقت في سبيل روح خمسة آلاف روح .
وأصبحت القتل تيج دماءها

بدجلة حتى ماء دجلة أشكل
ذلك قاسم ، أما المهداوى ، أو هامان
فرعون ، فعل النقيض من زعيمه : زعيمه قادر
بغيره وهو قادر بنفسه . وزعيمه جهاز تسجيل
يستقبل ، وهو محطة إذاعة ترسل ، وزعيمه
رأس حكومة والثورة سنة وبعض السنة فهم
ولم ين ، وانفعل ولم يفعل ، ورأس هو محكمة
والشعب ، دون هذه المدة ، فأنى يحالم يأت
به أحد في تاريخ الإنسان : اخترع محكمة
لم يخطر مثالا على بال طافل ولا مجنون : صرح
في ملهى رخيص ، في صدر منصة جلس عليها
المداء والخصوم وقالوا إنهم القضاة ، وعن
اليمن منصة جلس إليها الأفاكون السفاكون
وقالوا إنهم المدعون ، وعن الشمال قفص
حشر فيه الشرفاء الأبرياء وقالوا إنهم
المتهمون ، وفي الساحة مقاعد اقتعدها
المجرمون الحقيقيون وقالوا إنهم المنفرجون !
فاذا بدت المحاكمة اقتسمها الرئيس الصخاب
الباب بخبطة حمقاء يسب فيها الخلفاء من
ضباط الجيش ، والعلماء من رجال الدين ، والزعماء
من قادة العرب ثم يفرح للبرىء المتهم فيفرغ

والتهريج والسفه ويزعم أن الملبس محكمة !
ولولا الظلام لما أبصر اليوم ودرفت
الخفافيش ، ولولا الانقسام لما تسلط
(الزمر) وحكمت (الحرافيش) .

خلت الرقاع من الرخاخ
فقرزنت فيها اليبادق !
لقد ابتلى العراق من قبل بالحجاج
والقرامطة والزنج والتار والترك والانجليز
فما صنعوا به جميعا ما صنع به قاسم وحده !
لم يستطيعوا بما أوتوا من ملكوت وجبروت
أن يطفئوا نور الإسلام ولا أن يخفئوا
صوت العروبة ، ولكنه استطاع في أقل
من عام أن يحمل بعض المسلمين العرب على
أن يصيحوا هاتفين في شارع (الرشيد)
وفي ساحة (المأمون) : لا إسلام ولا عروبة !
وقوة هذا الرجل إنما آتته من ضعفه ،
فلو لم يكن ضميما لما احتلت فراغه قوى
غيره ، فهو كالصنم شيء حقير في ذاته ،
ولكن الصنم - كما كانوا يتوهمون - تحمل فيه
الشياطين فينظرون بعينه وينطقون بلسانه
ويطشون بيده ، ولذلك كان يعبد ، وقاسم
صورة من الإنس الآتيس ركب كل جارية
فيه صفريت . وللعفاريات أهواء متباينة
تظهر آثارها في قوله وفعله ؛ فهو كافر
ومؤمن ، وشيعي ورأسمالي ، وروسي
وانجليزي ، وصهيوني وعربي ؛ وهو أهل
لأن يكون أى شيء إلا أن يكون عراقيا ،
لأن هذه القوى المتضاربة التي تجتمعت فيه
إنما كانت إلها على العراق وحده ! فيفضل

أزمة وتنفرج ، وغمرة وتحتل ، وأمة يصورها الفساد في بوقه الخطوب ، وستكشف إما عن حديد خبث وإما عن ذهب خالص . وخلوص الجوهر هو المعبود في طبع العراق والمعروف من تاريخه . لم يغمض أبداً على قذى ، ولم يصبر طويلاً على حليم ، إنما يصبر بمقدار ما يتحضر للوثوب ، فإذا وثب كسر القيود وحطم الأغلال وأدب الطغاة .

إن العراق يعوق ولكنه لا يضل ويستذل ولكنه لا يذل . فالحوف عليه من خطر الانحلال السياسي الذي يفقده الإراقة ويسلبه الاختيار ويحرمه الأمن ليس له محقق من ماضيه ؛ إنما الحوف المحقق عليه هو من عقى هذه الظاهرة المخيفة التي بدت فيه بعد أن قتل الثوار وزيفت الثورة . هذه الظاهرة هي ارتداد فريق منه من عقيدته وعرويته استجابة إلى دعوة هدامة . ومثل هذه الهمة التي تصيب الشعب في دينه أو ضميره لا يكشف ضررها غير الله ، وفيه في العراق جنود وأولياء يتولاهم علماء السنة وفقهاء الشيعة ، وقد أهاب بهم الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يعلنوا الجهاد الروحي في سبيل الله والوطن ليردوا الضوال الشوارد إلى القطيع ، ويرجعوا الآراء المتفرقة إلى الرأي الجامع . والله رب العالمين وولي المؤمنين قد تكفل بالحفظ لحير دين أنزل بالحق ، وبالنصر لحير أمة أخرجت للناس .

أحمد حسن الزيات

عليه كل ما في فيه من بذاء وكل ما في صدره من حقد ، ثم يقتصب حق الادعاء فيفند الحق ، ويؤيد الباطل ، ويفعل الوقائع لتتساقب الأسباب إلى تبرير الحكم الذي أعده من قبل أن يفتح الجلسة ويسمع القضية . ثم تنقلب المحكمة سوقاً للدح والهجاء على نحو ما كان المرادة في البصرة ، فينهض الشعراء الحمر فينشدون في الزعيم «الأوحد» والقاضي الفرد ما تشده الصراخير القذرة في المستنقع العمن ، وفي الحتام يقوم المهداوى في هوسة من الزمر والرخص والتصفيق والتهافت فيشتق العدل والقانون والحلق في ساحة المحكمة شتقا حتى الموت !

والهفتاء على أبطال العراق وشبابه ! ثاروا على البنى والفساد والاستبداد في الرابع عشر من تموز فظفروا الأرض وحرروا الناس ، حتى إذا أخذوا يعرضون ما فقد ، ويصلحون ما فسد ، ويجمعون ما شت ، قامت قيامة الشيوعية المحلية فانبعث عبد الإله في عهد الكريم ، وحلت روح «نوري» في جسد «فاضل» ، وآزرتما عناصر الشر جماء ، فأطفأوا الثورة بدماء من شيوخها من الضباط الأحرار ، ولجعوا الوطن العربي كله في صموة من بنية الأبرار ، وأغلقوا بيوت الموصل وكركوك وبغداد على أيام ويتامى وعجزة ، قتلوا عائلتهم أو اعتقلوا أهاليهم ، وتركوا للدموع والجوع والفلق والحوف كالأغصان الأمايلد والأزهار النواضر اجثت أصولها من فوق الأرض فالحاها من قرار .

المذاهب الهدامة تهدم نفسها

للأستاذ عباس محمود العقاد

والرموز ما يلام كل زمن ويرافق كل طود
من أطوار التفكير والمرقة .

إن وضوح هذه الفضائل لا يتكشف على
جلاته بغير شرح وبرهان ، ولكن وضوح
السخف المطبق في أقوال الماديين الذين يتفقدون
الآديان ويبسطون أسباب ظهورها أمر لا
يترد فيه الذهن بعد نظرة طاهرة ، ولا يعاد فيه
النظر مرة بعد مرة إلا ازداد وهنا على وهن
وتهاقنا على تهافت ، وأصبح حجة الدين على
ناقديه ، ولم تبق منه حجة للناقدين على الدين .

ولقد جاوز الماديون حد التوفيق كراستهم
« الرمادية » التي نشروها بالعراق وجمعوا فيها
أقوال القدماء منهم والمحدثين عن نشأة الدين
الإسلامي وبواعث الدعوة المحمدية ، فقام من
مقدار من الأخطاء المتلاحقة يجتمع في صفحات
كراسة واحدة كهذه الكراسة الرمادية إلا
بتوفيق كتوفيق الإلهام ... لولا أنه إلهام
معكوس ينتهي فيه الصواب لتقيضه من الخطأ
والزيف والكذب الصراح .

لقد كانت هزيمة كبرى مثلاً في وقعة ذي
قار سبباً ثروة العرب على فارس ، ولكنك
تقرأ بعد سطور أن قريشاً كانت تمتزج بسلطان
كبرى في رفضها لدعوة النبي العربي وأنه

يكتب الماركسيون كثيراً عن الآديان
وعلة نشوئها وتطورها ، ويخصون الإسلام
بقسط وافر من هذه الكتابة ، ويبنونها
كلها على فكرة واحدة يكررونها على نسق
واحد في كل دين ، فلا يدري القارى ما هو
الفارق بين دين ودين سواء وفيهما من التناقض
ما لا يصدر عن علة واحدة ، أو علة متشابهة .
بل كثيراً ما يكون أحدهما هادماً لغيره في
عقائده وفرائضه وآدابه ، قاضياً بطلانه
وتكفير القائلين به وإخراجهم من عداد
المؤمنين بالإله الحق والرسول الأبرار ، وليس
من المفهوم أن تكون أسباب التقيض على
التفارق .

ولم أفرغ من قراءة فصل من فصولهم هذه
عن الآديان عامة ، وعن الدين الإسلامي
خاصة ، إلا ورد على خاطري هذا السؤال :
أي المريقين أولى بنشر هذا الكلام ؟ أم
أنصار المذهب الماركسي أم أنصار الدين الذي
يتفقونه ويشرحون علة نشوئه ويريدون أن
ينقصوه بشرحهم لهذه العلة ؟

إن فضائل الدين قد تحتاج إلى جهود لشرحها
وتوضيح أسرارها أو توضيح الأسباب المميقة
لتي تبعث منها العقائد وتتخذ لها من الأشكال

ولا نريد أن نسأل : لماذا دخل الفرس المنهزمون في الإسلام وأقبلوا على الدخول فيه مختارين ؟ ولماذا تبعهم في القارة الآسيوية أضعاف أضعافهم من البوذيين والمجوس والوثنيين الذين لم يشتبكوا في حرب قط مع العرب الفاتحين ؟ .

لا نريد أن نسأل هذا السؤال بل نريد أن نأخذ على اللجاجة طريقها الطويل فنسأل : ولماذا استطاع العرب المسلمون أن يهزموا المشركين من العرب وقد بلغوا عشرة أمثالهم في بعض الحروب ؟ .

إن المحاربين من الفريقين كانوا يتألفون من طبقات متشابهة في الغنى والفقير وفي الحرية والعبودية ، وفي الرئاسة والاتضاع .

ففي جيش المسلمين سادة وعبيد ، وفي جيش المشركين سادة وعبيد .

وليس المشركون جميعاً من أصحاب الإقطاع ولا المسلمون جميعاً من الفقراء المهقون بالديون .

وقد كان أبو بكر وعثمان وعلاء بن الوليد من ذوى اليسار ، وكان في جيش المشركين ألوف من الأرقاء والمحرومين ، فها هي القوة التي غلب بها الأفلون الأكثرين غير حامية الدين ؟ . ويقودنا ذلك إلى سؤال آخر يستلزمه إكثار الماركسيين من ذكر الاستغلال تارة وذكر الصعاليك تارة أخرى فنسألهم : هل

كان من أسباب إضعاف الفرس وفاة كبرى ملك الفرس في سنة ٦٢٨ ميلادية - إذ كان هذا الشاء معروفاً بحمايته لعباد الأوثان ، ففقدوا بوفاته كل أمل للحصول على مساعدة من الخارج

وخلال ذلك تقرأ أن سيباً من أقوى أسباب ظهور الإسلام أن إله قريش - أحرز التفوق على سائر الآلهة . أما أرباب العشائر الضعيفة ... فقد دعوا أولاد الله . .

ولا نقول لنا الكرامة الرمادية : لماذا يا ترى كانت قريش تنقم على التبشير باسم الله وتعااند الداعي إليه ذلك العناد الذي لم ينكسر ولم يتراجع إلى التسليم إلا بعد اليأس من حماية الشاء المشهور بعبادة الأوثان ؟ ... ولا نقول لنا الكرامة لماذا هاجر النبي من موطن قريش صباد الإله الأكبر ليستعين عليهم بأصداء ذلك الإله من أبناء يثرب الذين يعبدون غير الله ؟ .

وتقرأ في الكرامة أن انتصارات العرب لم تكن نتيجة حماسهم الديني بل كان سببها انحلال الوثنيين العظيمتين بيزطية وإيران بعد حرب طويلة أنهكت قواهما ، وكان دهايا هاتين الوثنتين قد عانوا كثيراً من الضرائب المزايده والاضطهادات الدينية فلم يبدوا الرغبة في الكفاح ضد الفاتحين ، وهذا ذلك لم يكن لديهم قوة للكفاح . .

تلك الجريمة ، وآخر من يحق له أن يدعى هذا الزعم جماعة الماركسيين الذين يعلنون أن تطبيق الماركسية لم يمنع اتهام الألوف من زعماء المذهب وخدامه بجرائم استغلال النفوذ وخيانة الشعب والخروج على المبادئ المقررة فيه ، ولم يمنع ثورة العمال والأجراء في المجر لأنهم يطالبون الخبز والكساء ، ولم يمنع سلب الحرية في الكتابة والتفكير لإكراه الناس على اعتقاد لا يستقده ، ورأى لا يصبرون عليه بغير ذلك الإكراه .

وإذا كان مؤلف الكراسة الرمادية جاهلاً بالإسلام وتاريخ الجزيرة العربية ، فالعربي الشيوعي الذي نشرها أجهل منه بتاريخ بلاده بل بتاريخ ما حصل في بغداد وعلى مقربة منها قبل الإسلام وبعد الإسلام ، فهو يجهل تاريخ النعميين وبسمهم الحمددين متابعاً للكلمة الأجنبية على غير علم بمعناها ، وهو يذكر ثورة الزنج فيسميها الزنجية ويتكلم عن قبيلة ثقيف ومنها الحجاج الذي حكم العراق زمناً واشتهرت أفعاله وأقواله هناك ، فيسمى تلك القبيلة بقبيلة السقيف ، بل هو لم يقرأ القرآن الكريم ولم يقرأ سورة الفتح خاصة وهي مدار التشهير بالجهاد في سبيل الله وبما زعموه من قروح المسلمين لغير حاسة في الدين ، فالترجم العربي يترجم الصراط المستقيم في أول السورة وفي بعض آياتها فيقول : إن الحرب قد سميت في القرآن بالطريق الأعلى .

قام الإسلام لأن المستغلين أقاموه أو هو قد قام لأن الصعاليك أقاموه تاترين على أولئك المستغلين ؟

والنبي عليه السلام مامصلته والاقتصادية في تأييد الإقطاعيين ؟ وماذا استفاد لنفسه أو لأهله من تأييدهم إن صح أنه كان يختصمهم بالتأييد ؟ ولماذا بشير عليهم المستضعفين ليعيش هو نفسه بعد ذلك عيشة المستضعفين ؟ إن كان الاقتصاد يفعل كل ذلك فهذا الاقتصاد مخلوق عجيب من عجائب الجان يتشكل على جميع الأشكال ويتلون بجميع الألوان ، بل هو مخلوق متناقض يعدو مع الذئب ويهرب مع الأرنب ، ولا يحمد الفئيمة في الحالتين !

والجهل وحده لا يكفي للاعتداء المظلم إلى هذا التوفيق المعكوس من الأخطاء والأكاذيب في خلق الأغراض والعلل ، فلا بد مع الجهل من سوء النية لهذا الانحراف المتعمد عن محاسن الأديان ، لإصراراً على حب التشويه والتشهير بغير دليل غير هوى النفس الخبيث .

فلا بد من سوء النية لإنكار تحريم الربا في الإسلام استناداً إلى تعاطي الربا أحياناً في البلاد الإسلامية واعتبار هذا العمل دليلاً على أن الإسلام ديانة إقطاعية ، تصدم الإقطاعيين ، فما من عاقل يزعم أن القانون لم يحرم جريمة من الجرائم لأن الناس يقرءون

« تحليلة » ، « وهم لا يزيدون فيها على أسبابهم » ، الاقتصادية ، التي يثبتونها على أسلوبهم بكلمات يعثرونها هنا وهناك تغلظها ألقاظ محضوطة عن الاستغلال والجشع والأجور والكسح والكادحين والأموال التي تحسب بالملايين ، ويكنى مجرد الإيحاء إليها لإثارة الحسد والعنفية في نفوس السامعين أو الفارين ، وكل من قبلها منهم فهو قبل الكفر الذي يعلله بأسبابه « البغائية » ، كافر متطوع بلا سبب معقول غير طوية المحمقة والقوم وشهوة الاقتراء على عباد الله وعلى « الله » الذي يقولون عنه إنه « غير موجود » وكل ما قالوه شاهد فالحق بأنهم حاقدون عليه ، حقدهم على الموجود الذي يصرف القضاء ويده المنع والمطاء .

إن أبعد الناس عن الدين هو ذلك القارىء الذى تذهب بدينه حجة كحجة هؤلاء المنكرين في كراستهم الرمادية ، وإن أضعف الناس إيماناً لتعيده إلى التفكير في الإيمان تلك الكراصة التي تهدم الباطل بيديه وتنقض البهتان بلسانه ، فما لم يكن متطوعاً للكفر برهان من الضعيفة والعناد ، فكل ما في الكراصة الرمادية من برهان فهو هباء يطير مع الريح ، أو هو برهان لدين على المنكرين ، ولولا أنه برهان معكوس لوجب على المسلمين أن ينشروه ويتركوه لمصيره فما هو بقادر على تشكيك أحد يطلع عليه وفي له ذرة من يقين .

عباس محمود العقاد

ومثل هذا النقل قد تكرر في كل كلمة مفردة نقلت من القرآن الكريم كالحنفين وهي لم تذكر في الكتاب ، وإنما ذكر فيه الحنيف والحنفاء ، ومثله تسمية الأشهر الحرام بالأشهر المقدسة ، ومثله تسمية قريش بالقرشيين خلافاً لقاعدة واللفظ المسموح . ومثله ذكر العرب الرجل في مكان الأعراب ، كلها وردت الإشارة إليهم في الكراصة . ومثله أن النبي عليه السلام كان « يحول » وجهه في السماء ترجمة لقوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك » إلى كثير من أمثال ذلك فيما هذا الآيات التي ذكرت في اللغة الأجنبية بأرقامها فصرف المارجم مكانها من المصحف ونقلها بحروفها على غير علم بمعناها .

وأول ما يفهم من ذلك أن أدعياء العربية والإسلام الذين نشروا تلك الكراصة بين أبناء قومهم كانوا كفاراً متطوعين للكفر قبل أن يقرأوا كتابهم ، ويطلعوا على تاريخ دينهم ، وينظروا في نقده وتبريمه نظر العارف بما يقوله الناقصون ويقولوه المخالفون لهم في الأجواب عليهم ، وإنما طبعت قلوبهم على الضعيفة والفرد حسداً للناس وذهاباً مع الشر والنقمة فكفروا وهم لا يعلمون ما الإيمان ، وما وجه الإنكار على الإسلام أو على غيره من الأديان .

وتلك شئنة مألوفة في هؤلاء الماركسيين على اختلاف نصيبهم من العلم بما يكتبون فيه ذاعين غفارين بأنه كتابة عليه أو كتابة

الدَّيْنُ الْعَامِلَةُ

ولم يجد الشيخ كذلك بدا من أن يتشم ويرفع السبحة في وجه المحصل ويقول :
- إن في ذلك تذكرة ، لأولى الأبواب .
فانفجر الركاب بالضحك وقالوا والله ظريف !
ولم يشاركهم المحصل في استنراف الشيخ ،
بل قال له في حدة وحزم :

- التذكرة عندنا يا مولانا ورقة بعشرة مليات لا تجد في القرآن الكريم كله آية تعفيك من أدائها إلى المصلحة ، قال هذا وهو يقطع ورقة من دفتر ويقدمها إليه ، ولكن الشيخ بك وبالعراق له في برودو شرود : سأعوضك خيراً منها : فاتحة الكتاب في خريج أم هاشم ! ولا أطيل عليك فقد أوقف المحصل المركبة وأصر على إزال الشخ ، وهز الشيخ لحية وسبحة وأصر على تحدى المحصل ، وتهور المحصل بالظن على الورع الكاذب والتسليم الخاطيع والإيمان المغشوش والدجل باسم الدين . واحتج الشيخ على تهجم الجهلاء على أهل (العلم) ، واحتقار السفهاء لرجال (الطريق) ، وسب إلى ذلك لغش الغلاء في السوق ورفع البركة من الأرض .

وهنا تدخل الركاب وانصروا للمحصل ، لأن الشيخ بفتح عناده قد عطل التزام ، ولأنه بسوء سلوكه قد فضح التصوف وأهان الإسلام .

١٠٠ ح . الزينات

وضع رجله على سلم التزام الدأصب إلى ميدان السيدة فربط له السائق حتى ركب ، وفسح له الواقفون حتى دخل ، وقام له الجالسون فاختار مجلسه في آخر الصف من جهة الشمال . وكان منظر الشيخ في الواقع يبعث المهابة في الأعين والجلالة في الأنفس : حمامة خضراء ضخمة ، ولحية شهباء مرسة ، وسبحة سوداء طويلة ، وجسم سمين رخو يترجرج في جلباب رقيق مغلق . وعليه كاكولة غليظة مفتوحة ثم أخذ يسبح الله ويستغرق في ذكره ، وكلما مر عليه المحصل خض من بصره ورفع من صوته وساقط الحب سريعا من سبحة . فإذا ابتعد عنه شيعه بمؤخر عينه ثم اطمأن في مقعده .

وعاد المحصل فتلكأ عند أول الصف الذي هو فيه . فأنشاح الشيخ بوجهه إلى اليسار وتشاعل بالحوفة على صبي نط على سلم التزام المقابل : فرفع حامل الزمارة صوته ينبه من غفل عن شراء تذكرته من الركاب ويكرر التنبيه ، فأصم حامل السبحة أذنيه عن المحصل وسبح لله وأنهمك في التسليم .

وأخيراً لم يجد المحصل بدا من أن يوجه الخطاب إلى الشيخ ويقول :

- تذكرة يا سيدنا الشيخ !

المبشرون والمستشرقون

في موقفهم من الإسلام

للاستاذ الدكتور محمد الهادي

- ١ -

مقدمة :

دعوة إلى توهين القيم الإسلامية ، والغرض من اللغة العربية الفصحى ، وقطع أواصر القربى بين الشعوب العربية ، وكذا بين الشعوب الإسلامية ، والتشديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضرة ، والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية .

١ - فهناك الدعوة إلى أن القرآن :

(أ) كتاب مسيحي يهودي نسخة محمد .

(ب) وأن الإسلام دين مادي لا روحية فيه ، يدعو إلى الدنيا وليس إلى صفاء النفوس والمحبة .
(ج) وأنه أي الإسلام يميل إلى الاعتداء والاعتيال ويحرض أتباعه على القوة على غير المسلمين عامة .

(د) كما أنه يدعو إلى الحيوانية والاستغراق في المذات الدنيا .

٢ - وهناك الدعوة إلى :

(أ) أن الفلسفة العربية فكر يوناني ، كتب بأحرف عربية .

إذا كان من دواعي استقرار الحكم الوطني في مصر الحديثة الثائرة عزل عملاء السياسة وإبعادهم عن مجال الحياة السياسية - فإن من صالح قيادة الأمة كشعب موحد الاتجاه ، قوى في أحاسيسه المشتركة ، أن ينحى عملاء التبشير والاستشراق من جوانب التوجيه العام ، سواء في التدبير ، أو النشر ، أو الصحافة ، أو الإذاعة .

إن عملاء التبشير والاستشراق - وهم عملاء الاستعمار في مصر والشرق الإسلامي - هم الذين دوتهم دعوة التبشير على إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة . وعلى التشديد والاستخفاف بها ، وهم الذين وجههم كتاب الاستشراق إلى أن يصوغوا هذا الإنكار والتشديد والاستخفاف في صورة البحث ، وعلى أساس من أسلوب الجدول والنقاش في الكتابة أو الإلقاء عن طريق المحاضرة أو الإذاعة .

إن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار في مصر والشرق الإسلامي ، فكلاهما

والتبشير والاستشراق في ذلك سواء ، والفرق بينهما هو أن الاستشراق أخذ صورة « البحث » وادعى لبحثه « الطابع العلمي الأكاديمي » بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر « العقلية العامة » وهي العقلية الشعبية .

استخدم الاستشراق : الكتاب ، والمقال في المجالات العلمية ، وكرسى التدريس في الجامعة ، والمناقشة في المؤتمرات « العلمية » العامة .

أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضارة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء . كما سلك سبيل العمل « الخيري » الظاهري في المستشفيات ، ودور الضيافة ، والملاجئ « لكبار » ، ودور البنائى واللقطاء ، ولم يقصر التبشير في استخدام « النشر والطباعة » وحمل « الصحافة » في الوصول إلى غايته .

إن البلاد العربية والإسلامية في يقطتها الحالية تتعثر في خطاها نحو التماسك الداخلى ، ونحو تقوية العلاقات بينها ، بسبب الرواسب التي تخلفت عن التبشير والاستشراق ، وبسبب آخر له وزنه وأثره في هذا التثمر وهو « ضعف المواجهة » التي يلقاها في البلاد الإسلامية هذان العاملان القويان في تركيز الاستثمار ، وبمثرة القوى الوطنية في كل بلد عربي وإسلامي .

والمؤسسات الإسلامية - على تعددها

(ب) وأن اللغة العربية الفصحى لم تعد صالحة اليوم ، وبدلاً منها يجب أن تستخدم العامية واللهجات الدارجة ، كما يجب أن تستخدم الحروف اللاتينية عوضاً عن الأحرف العربية .

٣ - وهناك الدعوة إلى :

(أ) إحياء العرونية في مصر .

(ب) والآشورية في العراق .

(ج) والبربرية في شمال إفريقية .

(د) والفينيقية على ساحل فلسطين ولبنان .

(هـ) وإلى تفصيل الفارسية - كلغة آرية -

على العربية كلغة سامية .

(و) وإلى أن الذى حمل أمارات الحياة

الأدبية الجديدة في الشرق العربى

في نهاية القرن التاسع عشر ، وكذا

في الشرق الإسلامى ، وحمل مظاهر

الحضارة عامة - هم نصارى لبنان

الذين تعلبوا واستوحوا من جهود

المبشرين الأمريكيين في سوريا .

(ز) وإلى أن البربر وحدهم هم أصحاب

المدنية في شمال إفريقية والأندلس .

٤ - وهناك الدعوة إلى :

(أ) التنفير من حياة المسلمين الحاضرة ؛

لأنها حياة بدائية ذليلة .

(ب) وإلى أن السبب في ذلك هو تعاليم

الإسلام والتمسك بها .

أو نشر أبحاثها في بلاد العالم ، كما هو المفهوم من اسمها وصفاتها .

٤ - ومعهد الدراسات الإسلامية (بالروحة بالقاهرة) معهد حديث النشأة لم يتميز اتجاهه بعد ، هل هو علماني على نحو أسلوب الدراسة العلمانية في التراث الإسلامي التي أدخلها علماء التبشير والاستشراق في الجامعات المصرية ، أم هو تقليدي على نحو ما يفعل الأزهر في طريقته .

إن دواشب التبشير والاستشراق التي أشرنا إليها فيما مضى لا تمثل فقط في المؤسسات التبشيرية المختلفة الظاهرة في مصر والبلاد العربية والإسلامية . بل هناك أيضاً مؤسسات أخرى في مصر لا يرى منها التبشير وإن كانت لا تحقق هدف الاستشراق . ونذكر - على سبيل المثال لا الحصر - المؤسسات الآتية :

١ - المعهد الشرقي بدير الدومنيكان ، بشارع مصنع الطرايش .

٢ - ندوة الكتاب ، بشارع سليمان باشا .

٣ - دار السلام ، بكنيسة دار السلام بمصر القديمة .

٤ - المعهد الفرنسي بالمنيرة .

فكل هذه المؤسسات تخضع للاتجاه الكاثوليكي في بحث الإسلام وتراثه وتخضع كذلك للنفوذ الفرنسي . والذين يعاونونها من المصريين هم أصحاب الثقافة الفرنسية

وتنوعها - لم تعرف تماماً حتى الآن موضعية التبشير والاستشراق في توجيه الشعوب العربية والإسلامية ، حتى نحاول أن نلقاها ، فضلاً عن أن يكون لقاءها إياها قريباً أو ضعيفاً .

١ - فالأزهر - وهو أكبر المؤسسات الإسلامية في الشرق العربي والإسلامي - لم يخرج برسالة عن أن يكون ترديداً لتفكير القرون الوسطى في مواجهة بعضهم بعضاً كأحزاب وأصحاب مذاهب فقهية وكلامية أو شعوية (سنة وشيعة) أو ترديداً لتفكير المتأخرين الذين سلبوا الإنسان أخص مقوماته في الدنيا وهي ميزة الحياة .

٢ - وجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، هي تقليد لجمعية الشبان المسيحيين في جانب ، وابتعاد عنها في أم جانب من جوانب رسالتها ، تقلدها في ممارسة الرياضة ولكنها لا تقلدها في جعل الرياضة وسيلة من وسائل التربية والإيمان ، كما تفعل جمعية الشبان المسيحيين أما ما يلقى فيها من محاضرات ، أو يعقد فيها من ندوات ، فينقص هذه وتلك عنصر الإيمان ...

٣ - وجمعية التعريف العلوي بالإسلام (التي تعقد اجتماعاتها بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة) هي جمعية طابعها شخصي ، أكثر من أن يكون حلاً لرسالة وبشائها ،

إنه من غير شك أن هناك من له نفوذ في هذا المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وهو من عملاء التبشير والاستشراق ، ويروج رسالة التبشير والاستشراق . وهي رسالة الاستعمار . دون أن يكون في نفسه أى أثر وطني يعوقه عن هذا الترويج . فنحن سنرى في الكلام عن الاستشراق ، في هذا البحث ، ما يؤكد أن هدف المستشرقين في كتبهم عامة وقاطبة هو التوهين للقيم الإسلامية ، وتعتيت الشعوب العربية والإسلامية في علاقاتها وصلات بعضها ببعض .

ما نغرمه على المؤتمر الإسلامى :

إن المؤتمر الإسلامى - كؤسسة إسلامية ناشئة - عليه إزاء التبشير والاستشراق . أولاً : أن يثق الحياة المصرية والعربية والإسلامية من رواسب هذين العاملين فيبعد عملاءهما من حياة التوجيه في مصر في جوانبها المتعددة ، ويكون ذا صلة وثيقة بوزارة التربية والتعليم في الإشراف على حياة مصرية إسلامية أفضل في مدارس المبشرين - وهي المدارس الدينية التابعة للفاينكان في طوابعها المختلفة ، من فرنسية وإيطالية وألمانية وهلم جرا . . . ، وعلى صلة وثيقة بالصحافة ووزارة الإرشاد القوي في توجيه القلم والكتاب .

من درسوا في فرنسا الآداب الشرقية والثقافة الإسلامية ، ويراعها ، كآب روجي ، المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومستشار وزادة المستعمرات الفرنسية في شتون شمال إفريقيا .

والذين يعاونون هذه المؤسسات من المصريين المثقفين في فرنسا والدارسين للآداب الشرقية العربية أو للتراث الإسلامى الثقافى - يزداد خطرهم كلما اتصل شأنهم واتصلت مشورتهم بتوجيه الأدب ، أو الثقافة في مصر . ولذا كان من السهل أن نفهم الغاية من عملهم إذا قرأنا هذا الخبر التالى في جريدة يومية ، صادراً عن مصلحة حكومية ، يسيطر عليها بعض هؤلاء من وصفنا . وضوان الخبر : « إصدار سلسلة كتب عن تاريخ الدين الإسلامى ، وتحت هذا العنوان كتبت جريدة الاخبار بتاريخ ١٥ أكتوبر من عام ١٩٥٧ ما يلى : « وضع المجلس الأعلى للفنون والآداب مشروعاً لإصدار سلسلة من الكتب : بعضها مترجم عن كتب المستشرقين والبعض الآخر يؤلفه كتاب مصريون عن تاريخ الدين الإسلامى والأطوار التى مر بها في صهود الاستعمار . وسيبحث المجلس الأعلى للفنون والآداب في جلسته يوم السبت القادم هذا المشروع البدء في تنفيذه . »

سريعة ، علمية منظمة بالفقه الإسلامى .
والمسلم المعاصر وبالأخص فى البلاد التى
تعرف اللغة العربية ، فى حاجة ماسة إلى مثل
هذا القاموس .

(٤) وأن يصدر « مجلة » تتبع بحوث
الاستشراق التى يوردها الغرب العلمى للشرق
الإسلامى فى الوقت الحاضر ، سواء فى كتبه
عن التراث الإسلامى أو فى بحوث مجلاته
العديدة التى تعنى بهذا التراث ، وبوضعية المسلمين
وتوجيههم . وحركة الغرب فى توريده لهذه
البحوث حركة ضخمة وسريعة ، كما يرى من
الدوريات التى تنشرها الجمعيات الاستشرافية
فى مختلف بقاع العالم بلغات مختلفة ، ومن
الكتب التى تصدرها دور الطباعة الكبيرة
فى عواصم أمريكا الشمالية وإنجلترا وفرنسا .
والكشف المرفق بالعصل الثانى فى هذا البحث
يعطى صورة تقريبية ولكنها صورة مزججة
للوجهين فى العالم الإسلامى .

وإذا ابتدأ المؤتمر الإسلامى بالقاهرة فى
مواجهة الاستشراق ، مواجهة مسافرة - وليس
هناك حتى اليوم أية مؤسسة إسلامية فى العالم
الإسلامى تقوم بهذا الدور - فستظهر له سبل
أخرى يرى لزما عليه أن يسلكها كي يصل
إلى هدفه وهو :

إعادة تقييم القيم الإسلامية فى نفوس
المسلمين ، وفى نفوس الرأى العام العربى .

ثم عليه ثانيا : أن يصوغ من المؤسسات
التعليمية الإسلامية - كالأزهر - جهازاً قويا
يلقى به كتب المستشرقين ، وبحوثهم فى مجلاتهم
ومؤتمراتهم ، فى الرد عليهم وشرح القيم
الإسلامية ، وتقوية أوأصر القربى بين
الشعوب العربية والإسلامية .

ثم عليه ثالثا : أن يخرج للسليين عاجلا
فى مشارق الأرض ومغاربها :

(١) « دائرة معارف إسلامية » يكتبها
علماء مسلمون متمكنون فى فهم التراث
الإسلامى من جميع بلاد العالم الإسلامى ،
وتكون مرجعا للجوانب الثقافية العديدة .
(٢) وأن يقر « ترجمة » فى كل لغة من
اللغات التى ترجم إليها القرآن فعلا . بعد
مراجعتها مراجعة دقيقة ، من علماء لهم سعة
اطلاع فى التفسير والعلوم الإسلامية .

(٣) وأن يخرج « قاموسا » لفقه الإسلامى ،
على نمط القواميس العلمية الحديثة فى الاجتماع
والعسفة وعلم النفس والاقتصاد . . . يكون
مرجعا سريعا لمعرفة المصطلحات الفقهية
ومدلولاتها فى المذاهب الفقهية المختلفة .

والفرق بينه وبين « دائرة المعارف
الإسلامية » أن هذه لا تقصر موضوعاتها
على الفقه ، بل تعالج جوانب التراث
الإسلامى كلها كوسوعة علمية عصرية .
أما القاموس فهمة التعريف فى صورة مجملة

التبشير

(١) هدف التبشير :

سنرى فيما بعد أن الاستشراق لون من ألوان التبشير لأم نفسه مع ظروف الحياة . وإذا كان الاستشراق نوعاً من أنواع التبشير فتعرف هدف التبشير نفسه يعطينا بالتالي صورة عن هدف الاستشراق . ولن نحاول هنا أن نذكر شيئاً مستتباً من قراءة أو دراسة لهذا الموضوع . وإنما سندع النصوص الثابتة لوعاء المبشرين تعبر عن هذا الهدف :

١ - يقول لورانس براون :
Lawrance brown « إذا اتخذ المسلمون في امبراطورية هرية أمكن أن يصبحوا لمة على العالم وخطراً ، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً . أما إذا بقوا مفرقين فإنهم يظلون حيثند بلا قوة ولا تأثير » (١) .

ويفصح القس « كالمون سيمون » عن رغبة التبشير القوية في تفريق المسلمين التي جبر عنها « براون » فيما قبل ، بقوله : « إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السود ، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية .

ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات . ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوربيين في نور جديد جذاب ، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها ، (٢) .

فوحدة المسلمين إذن في نظر التبشير يجب أن تفتت وأن توهم ، ويجب أن يكون هدف التبشير هو التفرقة في توجيه المسلمين واتجاهاتهم . والتبشير ، إذ يرى هدفه المباشر تفكيك المسلمين ، يرى بالتالي دمه خطر وحدتهم على استعمار الشعوب الأوربية وعلى استغلالها واستنزافها ثروات المسلمين . وفي هذا المعنى يقول لورانس براون : « الخطر الحقيقي : Lawrance brown كامن في نظام الإسلام ، وفي قوته على التوسع والإخضاع وفي حيويته . إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي » (٣) . وتقول مجلة العالم الإسلامي الانجليزية The Muslim world : « إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي . ولهذا الخوف أسباب منها : أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً ، بل دائماً في ازدياد واتساع . ثم إن الإسلام

(١) كتاب « التبشير والاستعمار » ص ٣٢ .

(٢) في كتاب أصدره في عام ١٩٤٤ .

(١) في كتابه « الإسلام والإرساليات

Islam and missions ص ٤٤ - ٤٨ .

المسيحي من البلاد الإسلامية . والأسباب التي ذكرها هؤلاء المبشرون هنا توصل جميعها إلى هذا الهدف . فسواء أكان التنفيس عن هزيمة الصليبية ، أم الرغبة في الانتقام من الإسلام لأنه قام في القرون الوسطى في وجه المسيحية . أم توهين المسلمين وتمزيقهم في التوجيه والاتجاه - هو السبب المباشر في التبشير فإن نتيجته حتماً وعلى أي وضع هي ما ذكرنا من تمكين الأوروبي المسيحي من المسلم الشرق ومن وطنه .

وهنا يبدو واضحاً أن التبشير مقدمة أساسية للاستعمار الأوروبي ، كما أنه سبب مباشر لتوهين قوة المسلمين . ولقد كانت الدول الأجنبية تبسط الحماية على مبشريها في بلاد الشرق لأنها تعدم حملة لتجاريتها وآرائها وثقافتها إلى تلك البلاد . بل لقد كان ثمت ما هو أعظم من هذا عندها : لقد كان المبشرون يعملون بطرق مختلفة كالتعليم مثلاً على تهيئة شخصيات شرقية لا تقاوم التبسط الأجنبي .^(١)

(ب) تصوير المبشرين ليوهم المسلمون :

وطريق التبشير لتوهين المسلمين لم يكن الدعوة إلى المسيحية والعمل على ارتداد المسلمين إلى النصرانية مباشرة ، وإنما كان طريقه تشويه الإسلام ، ومحاولة إضعاف

ليس ديننا لحسب ، بل إن من أركانه الجهاد . ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً ،^(٢) .

٢ - وهناك بجانب تفتيت وحدة المسلمين - كهدف للبشرين - هدف آخر هو التنفيس عن الصليبية وعن الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان أتفقوا في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وإنزاعه من أيدي المسلمين الممحين ١١ . يقول اليسوعيون : « ألم نكن نحن وورثة الصليبيين ؟ أ ولم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التهرب التبشيري والتمدين المسيحي ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة ملكة المسيح ؟ »^(٣) .

٣ - وبجانب هذا وذاك يرى المستشرق الألماني بيكر Becker : « أن هناك عداء من النصرانية للإسلام بسبب أن الإسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها »^(٤) .

وإذن هدف التبشير هو تمكين الأوروبي

(١) عدد يونية سنة ١٩٣٠ تحت عنوان « الجغرافيا السياسية لعالم الإسلام » .

The political geography of the Mohammadadan world

(٢) « التبشير والاستعمار » ص ١١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

وهكذا تفهقت قوة الحلال أمام راية الصليب ، واتصم الإنجيل على القرآن ، وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة .^(١)

ويقول و . س . نلسون W.S. Nelson : « وأخضع سيف الإسلام شعوب إفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب » .^(٢)

هذا في وصف الإسلام ووصف مبادئه أما محمده - وله فيقول عنه أديسون Addison : « محمد لم يستطع فهم النصرانية ، ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به العرب » .^(٣)

وفي وصف المسلمين يقول هنري جيسب Henry Jessup المبشر الأمريكي : « المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها ... إنهم لصومس ، وقلة ، ومتأخرون ، وإن التبشير سيعمل على تمدنهم » .^(٤) كما يقول في وصفهم جويلين H. Guillemin : « إن محمداً ، مؤسس دين المسلمين ، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو .

قيمة ، ثم تصوير المسلمين في وضعهم الحالي بصورة مزوية بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر .

فالويسيور كولي في كتابه « البحث عن الدين الحق » ، يصور الإسلام على هذا النحو : « الإسلام : في القرن السابع لليلاد ، برز في الشرق عدو جديد ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة ، وقام على أشد أنواع التعصب . لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقسى قوانين الأخلاق . ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب .

ووعده الذين يهلكون (يستشهدون في سبيل الله) في القتال بالاستمتاع الدائم بالم لذات (الجنة) .

وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا وأسبانيا فريسة له ، حتى إيطاليا هددتها الخطر ، وتناول الاجتياح نصف فرنسا . لقد أصبحت المدينة .

ولكن هياج هؤلاء الأشياء (المسلمين) تناول في الأكثر كلاب النصارى ...

ولكن انظروا هاهي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سدا في وجه سير الإسلام المنتصر عند جوانيه (٧٥٢ م) . ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً (١٠٩٩ - ١٢٥٤ م) في صليل الدين ، فتدجج أوروبا بالسلاح ، وتنجي النصرانية ،

(١) ص ٢٢٠ طبع ١٩٢٨ . ولد نال هذا الكتاب رضا البابا ليون الثالث عشر في سنة ١٨٨٧ وعلق في المدارس المسيحية في الشرق والغرب إلى اليوم .
(٢) « التبشير والاستعمار » ص ٣٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(٤) المصدر السابق في نفس الصفحة .

التصوير المشوه للإسلام ورسوله والمسلمين ،
إلى أجيال المسلمين جيلا بعد جيل منذ أن
استقر في الشرق العربي والإسلامي . فكانت :

١ - المدرسة - الكلية - الجامعة .

٢ - البدوة - الرياضة .

٣ - المنزل .

٤ - الكتاب .

٥ - الصحافة .

٦ - النجم .

٧ - المستشفى .

٨ - دار النشر والطباعة .

وإن من أشهر المؤسسات التعليمية في الشرق
العربي جامعة القديس يوسف في لبنان ، وهي
جامعة بابوية كاثوليكية ، وتعرف الآن
بالجامعة اليسوعية .

والجامعة الأمريكية بيروت التي كانت
من قبل تسمى الكلية السورية الإنجيلية ،
ثم كلية بيروت . وقد أنشئت في عام ١٨٦٥ ،
وهي جامعة بروتستانتية .

والكلية الأمريكية بالقاهرة التي أصبحت
فيها بعد الجامعة الأمريكية ، وقد كان القصد
من إنشائها أن تكون قريضة من المركز
الإسلامي الكبير وهو الجامع الأزهر .

وكلية روبرت في استنبول التي أصبحت
تسمى بالجامعة الأمريكية ، هناك .

والكلية الفرنسية في لاهور ، وأسست

ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (المسلمين)
وبين النصارى ! إن هؤلاء العرب قد فرضوا
دينهم بالقوة وقالوا للناس : أسلبوا أو موتوا ،
بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم
ولحسنهم .

ماذا كانت حال العالم لو أن العرب
اتصروا علينا ؟ إذن لكننا مسلمين
كالجزائريين والمراكشيين ، (١) .

وهكذا : المسلمون متأخرون ، ولصوص
وقلة .

وهكذا : رسولهم سارق ومحرف فيما سرق .
وهكذا : الإسلام دين السيف ، وليس دين
الإيمان . هو دين مادي وليس ديناً روحياً
لأنه يسمح لاتباعه بالمعجور والسلب والقتل .
هذا ما يصور به التبشير الإسلام والمؤمنين
به والتابعين لرسوله . على أنه لم يفت المبشرين
كذلك — بجانب تشويه الإسلام والمسلمين
بغية توهينهم وإضعاف وحنثهم — أن يثيروا
لغاية نفسها النزعات العشوية ، مثل الفرعونية
في مصر ، والفينيقية على ساحل فلسطين
ولبنان ، والآشورية في العراق ، والبربرية
في شمال إفريقيا وهكذا ...

(ح) سبل المبشرين إلى باورغ غابا نهم :

وتنوعت أساليب التبشير في توصيل هذا

وكما يستخدم المبشرون دور التعليم — بعد أن يموهوا بأسمائها على الرأي العام — للتبشير ، يستخدمون كذلك الوسائل الأخرى التي أشرنا إليها هنا سابقاً ، للغاية نفسها ، وبالأخص الصحافة . فكشاب التبشير والاستثمار ، يذكر قسلاً عن مصادر التبشير ما يلي :

« يعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتبشير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر . لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، إما مأجورة في أكثر الأحيان أو بلا أجر في أحوال نادرة »^(١) . والمبشرون يسهرون في تحقيق هدفهم وفق خطط معينة مدروسة يجتمعون من أجلها بين الحين والحين . ولذلك ترى أنهم عقدوا عدة مؤتمرات لهذه الغاية . فمقدوا مثلاً :

- (١) مؤتمر القاهرة في عام ١٩٠٦ .
- (٢) ومؤتمر بيروت في عام ١٩١١ .
- (٣) ومؤتمر القدس في عام ١٩٢٤ .
- (٤) ومؤتمر القدس في عام ١٩٣٥ .

وفي كل مؤتمر من هذه المؤتمرات تدرس المشروعات وتوضع الخطط ثم يجرى تنفيذها في سرية تامة وبهمة دائمة .

المركز محمد المهدي

المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

في لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكون البلد الإسلامي في تكوينه في شبه القارة الهندية . ومن المنشور الذي أصدرته الجامعة الأمريكية في بيروت في عام ١٩٠٩ ، رداً على احتجاج الطلاب المسلمين لإجبارهم على التحول يومياً إلى الكنيسة — يتضح من المادة الرابعة منه طابع هذه المؤسسة وأهدافها . ونص هذه المادة ما يلي :

« إن هذه كلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي . ثم اشترى الأرض ومأتموا الأبنية . وهم أنشئوا المستشفى وجهزوه . ولا يمكن للتؤسسة أن تستمر إذا لم يسند لها هؤلاء . وكل هذا قد فعله هؤلاء ؛ ليجدوا تطبيقاً يكون الإنجيل من مواده . فتعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلبذ ... وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف سائفاً ماذا يطلب منه »^(٢) .

كما أعلن مجلس أمناء الكلية في هذه المناسبة : « أن الكلية لم تؤسس للتعليم اللاتيني ، ولا لبث الأخلاق الحميدة ، ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة ، وأن تكون مركزاً للنور المسيحي ، ولتأثير المسيحي ، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به »^(٣) .

« يتبع »

(١) « التبشير والاستثمار » ، ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

- ٤ -

وساورت المطامع فيها كثيرا من الأعراب ،
وراموا أن يهجموا عليها ، وجعلوا يثيرون
الفرصة لذلك ، بل جعلوا يصلون على خلقها .
فإذا كان موقف الصديق رضى الله عنه
من ذلك ؟ إنه استيقظ لهذه الفتنة ، وشمر لها
عن ساعد الجند ، فلم يتم عنها ولم يعنف .
وكان أول ما فعله أنه جعل على مداخل
المدينة حراسا يبيتون بالسلاح حولها ،
وجعل على كل حرس منهم أميرا ، وكان
من هؤلاء الأمراء على بن أبي طالب ، والزيبر
ابن العوام ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد
ابن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وعبد الله بن مسعود .

ثم أوم أبو بكر أهل المدينة بمحور
المسجد ، والمرابطة فيه ، حتى يكونوا مستعدين
للدفاع عن المدينة في كل وقت ، ولا يحتاجوا
إلى قضاء زمن طويل في التجمع وبما ضاعت
معه الفرصة ، وهذا أشبه بما نسميه اليوم
« بالتمتة العامة » التي يعلنها رئيس الدولة
عند الإحساس بقرب الخطر .

من القضايا الهامة التي اختلف فيها الفاروق ،
مع « الصديق » رضى الله عنهما ، قضية قتال
ما نعى الزكاة ، وهى قضية مشهورة ، ذكرها
أصحاب السير كما ذكرها أصحاب المسانيد في
كتبهم ، والظروف التي وقعت فيها هذه القضية
كانت ظروفًا عصيبة ، إذ كان الخطر يهدد فيها
كيان الدولة الإسلامية ، وكانت بمثابة أول
تجربة يمر بها الإسلام بعد وفاة الرسول وتولى
أبي بكر الخلافة من بعده :

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى
ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب ، وتحركت
رموس النفاق بالمدينة ، وظن حزب الشيطان
الذين كانوا يترصون بالمسلمين دوائر السوء ،
أن الفرصة قد واتتهم ، ويحدثنا التاريخ بأن
بنى حنيفة وخلقًا كثيرًا بالجماعة قد انحازوا إلى
مسيلة الكذاب ، وأن بنى أسد ، وطياً ،
وكثيراً من الناس التفوا على طلحة الأسدي ..
إلخ . فعظم الخطب ، واشتد على المسلمين الأمر ،
وصادف ذلك أن الصديق رضى الله عنه كان
قد أقعد جيش أسامة ، فقلَّ الجند في المدينة

لم يوجب علينا أداء الزكاة إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ يقول : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ، وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، فالحطاب بهذه الآية هو رسول الله ، والذي صلاته سكن لنا هو رسول الله ، فمن لا ندفع زكاتها إلا إلى من صلاته سكن لنا .

دخلت المدينة هذه الوفود ، وأذاخت فيها هذه القالة الماكرة ، لجمع أبو بكر الناس - وكان من حادثة التي اقتبسها عمر عنه من بعده ، أن يجمع الناس ويشاورهم - فوجد القوم متأثرين بروح هو مزيج من الإشفاق على الإسلام في هذه الظروف العصيبة ، ومن التقبل لهذا التخرج على وجه ما ، ومن إثبات الصبر على هؤلاء المتمردين حتى يشتت أمر الدولة ، وثبت قدم الخلافة ثم يأتي الوقت المناسب لتأديبهم وردم إلى الطاعة .

هكذا كان رأي الكثرة ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وطبعاً لم يكن هناك تسجيل لما قيل في هذا الاجتماع ، حتى نعرف منه عدد الموافقين لآبي بكر والمخالفين له ، والوجهة التي كانت لكل من الفريقين ، غير أن العبارات التي جاءت بها الرواية المشهورة التي رواها الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه تثبت أن عمر بن الخطاب قال موجهاً الكلام لآبي بكر : علام تقاقل الناس وقد قال رسول

وقد صرح ظن أبي بكر ، وصدق إحساسه . إذ قدمت وفود العرب إلى المدينة ، كأنها تريد أن تستكشف أحوالها . وتعرف مدى تأهبها ، وتحاول أن تعمل على خلق الفتنة فيها ، ليجعلوا يقرون بالصلاة ، ويمتنعون من أداء الزكاة ، وإنما يريدون بإقرارهم بالصلاة التوفيق على جمهور المسلمين بالظهور بمظهر المؤمنين المصلين ، وأن يخرج المسلمون من قلوبهم وقتالهم ، إذ كان معروفاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأبى أن يقتل المصلين (١) . كما كانوا - إمعاناً في التوفيق - يُنْخَرُجُونَ امتناعهم عن أداء الزكاة لآبي بكر ، لأن الله

(١) أخرج البخاري في باب بحث على وعظ أهل اليمن من صحبته : أن رجلاً قام فقال : يا رسول الله انزل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك : أأنت أحق أهل الأرض أن ينزل الله ؟ فقال خالد : يا رسول الله . ألا أضرب عنقه ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لا ، له أن يكون يعل . وقتل المعتقل في ترجمة سرحون النافع في الإصافة أنه أتى به ليقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يعل ؟ قالوا : إذا رآه الناس ! قال : إني نهيته عن قتل المسلمين .

وأخرج الذهبي في ترجمة طاهر بن عبد الله بن سيار من مزياته عن أنس رضي الله عنه قال : ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقيل : ذلك كفيف للمناقضين ! فلما أكتروا فيه وخس لهم في قتله ، ثم قال : هل يعل ؟ قالوا : نعم ، صلاة لا خير فيها ، فقال صلى الله عليه وسلم : إني نهيته عن قتل المسلمين .

هل يلتزم موقف كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في هذه القضية مع شخصيهما ؟ . وبأسلوب آخر : كيف وقف أبو بكر في هذه القضية موقفاً شديداً فيه صف وقوة ، وهو ذلك الرجل الحليم الوديع اللين القلب ؟ وكيف وقف عمر في القضية نفسها موقف المشير باللين مع هؤلاء المانعين للزكاة ، والرضا منهم بذلك ، وهو الرجل القوي في الحق ، الذي لا يخاف في الله لومة لائم ؟ .

وبأسلوب ثالث : إن عمر لم يكن في يوم من الأيام أسيراً لحرفية النصوص ، بل المعروف عنه أنه يفرس في أحكامها ، ويستكشف روحها وسرما ثم يقضى قضائه ، فكيف ظاب عنه ما عرفه أبو بكر من أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، إلخ . لا يتعارض مع قال قوم منحوا الزكاة التي هم ركن من أركان الإسلام ، وكيف غفل عما فطن له أبو بكر من المعنى الذي ينطوي عليه قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « إلا يحقها » وهو يدل على استثناء مثل هؤلاء الذين منحوا الحق المال من عصمة النفس والمال المذكورتين نصاً في الحديث ؟ . والجواب الذي يمكن أن يتخذ أساساً في الرد على هذا كله هو أن يقال :

الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ؟ .

فهذا الأسلوب من عمر رضي الله عنه في الاصرار على أبي بكر لا بد أن يكون ذروة وصل إليها النقاش والجدال في الأمر ويطلب على الظن ، أنه سبق بمحاولات كثيرة لإقناع أبي بكر .

وبما يدل على ذلك ترجيحاً ، ما رده أبو بكر رضي الله عنه إذ قال : « والله لو منعوني عناقاً ، — وفي رواية : عقالاً ، كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، — فهذا القسم الصارم ، وهذا القول الحاسم ، لا بد أن يكون في مقابلة رأى بدا له أن الكثرة تميل إليه ، وأن أمر هذا الرأي سيظم ويقوى بوجود مثل عمر في جانبه ، وهذا هو مادما أبا بكر إلى أن يحسم الخلاف بإصدار قراره الحظير الذي كان له أعظم الأثر والبركة في حفظ دين الله ، وتوطيد دولة الإسلام ، ولولاه لتغير وجه التاريخ .

• • •

ولنا بعد هذا العرض أن نلقى على الموضوع النظرة التي عقدنا لها هذا الفصل ، فنقول :

على الملكية : « والحديث فيه التعبير بلفظ
« تؤخذ ، و « ترد ، الذي يدل على أن هذه
وظيفة على المال يتقاضاها ولي الأمر من قوم ،
ويردها إلى آخرين ، وذلك شأن الحقوق .

فصير بن الخطاب فطر إلى شبهها الواضح
بالعبادة ، ورأى أن العبادات موكولة إلى
الأفراد ، كل منهم مسئول عنها أمام الله ،
ويسر له هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله
إلا الله ، .. إلخ . فنهاية لقتال مصرح بها ،
ثم أكدت باستئناف كلام آخر هو قوله صلى
الله عليه وسلم : « فإذا قالوها عصموا من دماءهم
وأموالهم إلا بجهتها ، فهو تصريح آخر بعصمة
الدماء والأموال لمن يشهد بكلمة الإسلام ،
ثم جاء بعد ذلك تأكيد ثان لهذا المعنى بقوله
صلى الله عليه وسلم « وحسابهم على الله » فهذه
الجملة الأخيرة دالة على أن من قال كلمة الإسلام
فقد عصم بها دمه وماله ويترك حسابها على
الله ، أي أن حسابها على صدقه في هذه الكلمة
أو كذبه إنما يكون على الله ، لا على الدولة
ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« أمرت أن أحكم بالفاقر ، والله يتولى
السرائر ، .

وقد يسأل سائل فيقول مثل ما قال أبو بكر
رضي الله عنه : أليس رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « إلا بجهتها » ؟ .

إن نظرة هذين الإمامين الجليلين في هذه
القضية قد اختلفت بسبب اختلافهما في
تكيف المقصود من الزكاة ، وتكيف
الصنيع الذي ارتكبه المانعون لها :

فن الجهة الأولى ترى أن الزكاة فريضة
مالية لها شبه بالعبادة من وجه واضح ،
وهو كونها ركناً من أركان الدين ، يقصد
وجه الله بها ، ويتقرب إليه بأدائها كما يتقرب
إليه بالصلاة والصيام والحج والإقرار
بالوحدانية له ، والرسالة لنبه ، ولها شبه
من وجه آخر بالحقوق التي تجب على الأفراد
والتي تلزمهم بها الدولة إن لم يؤدوها .

ويدل على المعنى الأول قوله تعالى : « خذ
من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ، وصل
عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، فقد ذكر الله
تعالى التطهير والزكاة جواباً للأمر في قوله
« خذ » والتطهير والزكاة هما المقصودان
بالعبادة ، ولذلك قال بعض الفقهاء إن الزكاة
لا تصح صحيحة إلا إذا أخرجها المزكي بنية ،
لأنها عبادة والعبادات يشترط فيها النية .

ويدل على المعنى الثاني مثل قوله تعالى :
« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها » .. الآية وقوله صلى الله عليه وسلم
لمصاد حينما بعثه إلى اليمن : « وأعلمهم أن الله
أقرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد
في فقرائهم » فالآية فيها التعبير باللام التي تدل

لا تأخذوا حورات المسلمين ، جمع حورة ،
وهي من كل شيء خياره .

وهذا يتلاق أيضا مع ما جاء عن الرسول
صلى الله عليه وسلم في وصيته لمعاذ : « وإياك
وكرائم أموالهم ، ومع قول عمر لمن بعثه :
« ولا تأخذ الأكلة ، ولا الرقة ، ولا الماخن
ولا غل الغنم » قال مالك : « الربى هي التي
وضعت وترى ولدها ، والماخن هي الحامل ،
والأكولة هي شاة اللحم التي تسمى لتؤكل » .

كل هذا يدل على نظرة همر إلى الزكاة وأنها
عبادة تعتمد السباحة ، وليست محض وظيفة
على المال يتقاضى بعنف وتقسيم .

أما أبو بكر رضي الله عنه فمع عرفانه بصفته
العبادية نظر إلى أمرين : أولهما : شبهها
مع ذلك بالحقوق التي يجب في الأموال وكونها
حقا في مال الغني للفقير فلا بد أن يؤخذ ،
وثانيهما : كونها شعيرة من الشعائر الإسلامية
التي يقاتل الناس على تركها كالآذان مثلا فإن
الآذان مع كونه سنة ، هو شعيرة من شعائر
الإسلام ، ولذلك يقرر المالكية أنه إذا اتفق
أهل عملة على ترك الآذان قوتلوا ، وهذا شيء
بما هو معروف في عصرنا الحاضر من أن
للدول شعارات لا تقرب في أمرها ، فقد تقع
الحرب مثلا لأن علم دولة من الدول قد أهين .
وفي بعض ما يروى عن أبي بكر نفسه :

فيجاب بأن الضمير في قوله : « إلا يحقها »
راجع إلى كل من السماء والأموال ما في ذلك
شك ، ولكن على المعنى الذي يلائم كلا
منهما ، فالسما معصومة إلا بحقها ، أي أنها
لا تهر إلا بما شرعه الله لإهدارها كالتقصاص
أو البني مثلا ، وكون منع الزكاة موجبا
لإهدار الدم كان محل النزاع يومئذ بين أبي بكر
ومن خالفه ، وما ذلك محل النزاع في الفقه
حين يكون المنع مع الإقرار بالوجوب ،
لا جهدا ، وكذلك الأموال معصومة إلا
بحقها ، أي أنها لا تستباح إلا بما أباحه
الله ، كتقاضى الديون قهرا ، أو أرض
الجنانيات ، أو عوض المثلقات . إلخ . وليس
منها في رأى هؤلاء : الزكاة التي هي عبادة
موكولة إلى العبد بينه وبين ربه ، وحسابه
فيها على الله .

هذه هي وجهة الرأى الذي كان يقول به
عمر ومن وافقه ، ولذلك نجد عمر متمشيا
مع هذا الروح فيما رواه مالك في الموطأ
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم من
أنها قالت : « مر على عمر بن الخطاب بغنم
من الصدقة قرأى فيها شاة حامل ذات ضرع
عظيم ، فقال عمر : ما هذه الشاة ؟ فقالوا :
شاة من الصدقة ، فقال عمر : ما أعطى هذه
أهلها وهم طائفون ، لا تقتلوا الناس !

ولهذا أدرج أن رجوع عمر إلى رأى أبي بكر كان بعد أن أقنع بذلك ، وهو ما جاءت به الرواية الصحيحة في آخرها كمرحلة أخيرة للنقاش بينهما ، إذ تقول : قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال عرفت أنه الحق .

ونستطيع أن نقول بعد ذلك : إن عمر كان على طبيعته وأسلوبه وشخصيته ، حين خالف أبا بكر وهو الخليفة ؛ لأنه كان مؤمنا بمعنى غير المعنى الذي في نفس أبي بكر ، فلما تجلى له المعنى الذي رى إليه صاحبه ؛ لم يمنعه من قبوله كبر ولا شعور بحرج ، لأنه قوى ، والقوى لا تولد فيه عقدة الضعف التي من شأنها أن تنبئ عن قبول الحق إذا نبين ؛ خوفا من أن يقول الناس عنه : لقد كان عظمتا .

ثم نقول أيضا : إن أبا بكر كان على طبيعته وأسلوب شخصيته ، إذ أنه كان قوى الإيمان حين يؤمن ، وكان في تمهله وتربته كثيرا ما يقف من عمر موقف المثبت له ، المطنى للجنوة حاسه حين تدعو المصلحة إلى هذا الإطفاء والتثيت ، كما كان يفعل معه أستاذهما الأعظم وأستاذ الإنسانية كلها ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه .

أن مما أوصى به مبعوثيه في حروب الردة قوله : « والهداية الأذان ، فإذا أذن المسلمون فكفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا فسلوهم ما عليهم فإن أجروا فمأجلوهم » (١) .

ثم إن أبا بكر رضى الله عنه نظر إلى الأمر من ناحية أخرى بعين رئيس الدولة اليقظ ، وبحاسة رجل الحكم الذي يشعر بما حوله من مؤامرات وتدبير ، وقد قدمنا الظروف التي كانت تحيط بالمدينة في ذلك العهد ، وأن المناقذين والطامعين نشطوا للعبث ، واتخذوا لإثارة الفتنة عدتهم فكان منها أنهم يثيرون مثل هذا التشكيك في وجوب الزكاة عليهم لأن أبي بكر كوجوبها لرسول الذي صلواته سكن لهم ، وهم أدرى الناس بأن هذا كلام ساقط لا يمل به إلا الرغبة في الجدل ، وصرف الأذهان عما يتفنون من الفتنة ، لحصاة أبي بكر كما هم مجرب فطن ، وفراسته كؤوم ، وحرصه على سحق عناصر هذه الفتنة التي بكرت على المسلمين بعد وفاة الرسول ، كل ذلك جعله يقرر قتال المنافقين للزكاة ، فإن ذلك إذا لم يكن حقا عليه قطعا عن فريضة دينية ، فإنه حق لاستقرار الدولة ، وللاستقرار شعار الإسلام فيها :

(١) مر ٣١٦ ج ٦ من البداية والنهاية لابن الأثير .

نفاية القرآن

في وصايا القرآن دعم لنظام المجتمع

للاستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) وأوفوا السكبل والميزان بالسط - لا تكفب قسا إلا وسما .
(ب) وإذا قلم فاهموا - ولو كان ذا قربى .
(ج) وبهداه أوفوا - داكم وصاكم به لاكم تذكرون .

كذلك عن الضن بالمال ، والإمساك عليه ،
ولو كان حقا عندنا للغير .

وقد استبقت هذه النزعات بأمر سابقة
حتى أوردتها موارد الهلاك ، وأصبحت مثلاً
سينا في الأولين والآخرين ، وهذه - مدين -
أمة شعيب عليه السلام - طاوحت نزعتها ،
وأمنت في بحس الكيل والميزان ،
وفي تظنيفهما ؛ لتبشيع من الأموال رغبها ،
وعصوا رسول الله - شعبيا - فيما بلنهم
عن ربه ، وفيما نصحهم به من العدل في الإيفاء ،
والاستيفاء ، وصهروا من شعيب ، حتى
عاجلهم الله في دنياهم بصيحة سماوية ، غشيتهم
بصواعقها ، فركت أجسادهم كأكوام
من تراب عترق ، بل تركتهم أكواما حقا ،
وتركت ديارهم ألقاضا غلوية على عروشها ،

هذه أوامر ثلاثة ، وردت في سياق الوصايا
العشر - من سورة الأنعام - لتربية الناس
تربية قيمة ، فيها صلاح الدين والدنيا ، وفيها
توجيه للإنسانية أن تهض إلى مستواها
المثالي : لو أن الناس حرصوا على هذه
التوجيهات وأخذوا بها .

(١) الأمر الأول - يتعلق بنظام الكيل ،
والميزان ، فهما في التعامل الشائع وسيلة
الإيفاء والاستيفاء في الحقوق المتبادلة
كيلا ، أو وزنا .

وتعلق الناس بالأموال ، وتحفظهم عليها ،
ورغبتهم في التكثر منها ، خصائص طبعنا
عليها ، فهي نزعات تلازمنا في كل حال ،
ولا نكاد نطيعتنا تتخلي عن حب المزيد
من المال ، ولو كان في ملك الغير ، ولا تتخلي

لا يقبل المودة .

إذ تكون النتيجة الحتمية لهذه المودة أن تعدم الثقة ، أو تضعف بين كل متعاملين . فتعثر الحياة الاقتصادية عن نشاطها المرغوب فيه ، وتكون المعاملة مقرونة دائماً ، أو غالباً بالتشكك ، وبالحذر ، أكثر مما ينبغي .. وهذا بعيد عن مقاصد الإسلام فيما يريده لأمة من نهوض .

لذلك التحليل الذي قد يغيب عن كثيرين لم ينظر الإسلام إلى مسألة الكيل والميزان على أنها مجرد مسألة روحية ، بل نظر إليها على أنها دعامة ركيزة في نظام الاقتصاد ومبادئه ، وأنها ركن أصيل في بناء المجتمع . وما دام الإسلام في تشريعه لنظم الحياة يحض على العمل المنتج ، ويحث على الأخذ بأسباب القوة : من علم وابتكار ، وكسب واستثمار فهو يعتبر للتلاعب في الكيل والميزان مساساً بمقياس العدالة ، وتطويعاً بالثقة التي يجب توافرها ، وهذا الناس عما يتطلع إليه الدين الإسلامي في أمته من نشاط في دنياه ، وأن يقنوا بما يصر الله لهم من حلاله عن حرامه .

فلا غرو - أن يخط الله على من تعدى حدوده ، وأن يمنع البركة عما كثر عنده ولو تراكم المال عنده ، حتى ينهى الحرلم على كثرة إلى ضالة ، ثم إلى بوار .

كأن لم تكن بالأمس آمة بسكانها ، ولم تكن معانيهم حافظة بهم يطربون ويمرحون .

والقرآن يحيد بنا عن متابعة مدين في نهيمها وجشعها ، والافتان بالمال ، ونهبه من الغير ينص الكيل والميزان إذا أطيننا ، أو نطفينهما إذا أخذنا .

ولا يحسن امرؤ أن للتلاعب في الكيل والميزان أمرين يمكن التسامح فيه ، أو أنه أمر يمكن دائماً درؤه بسلطة القانون ، وفرض العقوبات ؛ فإن القوانين لا تغلق في الناس ضمائر تراقبهم ، ولا تترفع من نفوسهم غرائز تتحكم فيهم ، فإن لم يكن من جانب الله ردع زاجر في الدنيا كما صنع بمدين ، وكما يقتل غيرهم بالفقر والحرمان ، ريثما يقتص منهم بأمور أخرى في دنياه ، وبطذاب أشد في أخراهم ؛ قول : إن لم يكن من جانب الله ردع ، لظلت الأموال في تيسار جلاف من شهوات الجاهلين ... ولا ريب في أن مدار التعامل بين الناس على الكيل والميزان في أكثر ما يقابلون .

فيقتدر ما يهتز أحدهما عن مستواه الوسط العدل ، يكون الجور في التعامل ، ويقع الظلم على أحد الجانبين ، ويهتز تبعاً لذلك نظام المجتمع من ناحية خطيرة ، هي ناحية التعامل ، أو هي : الجانب الاقتصادي ، وهو الجانب الحساس في تكافل الجماعة ، وهو جانب

لنا عما لا يمكن ، وعما يشق التحرز منه :
زيادة أو نقصا .

(ب) الأمر الثاني فيما نحن بصدده - قوله تعالى :- « وإذا قلتم فاعدلوا .. ولو كان ذا قربى - لم يكن العدل منشوداً في المبادلة المالية وحدها ، بل في كل شأن آخر .

وقد جاءت في هذا التعميم آيات أخرى ، مثل قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » ، يعنى في كل شيء .

غير أن الكتاب الكريم أمرنا في هذا المقام بالعدل في القول ؛ لأن القول أكثر ما يجري بين الناس ، فجاء أفسح ، والألسن دائماً في مخاطب ، وفي أخذ ورد ، وفي مغالبة ، وحوار .

فأمر الله بالعدل في القول على وجه الإطلاق ، حتى لا تكون أقوالنا متأثرة بالغرض ، ولا يكون للعصيات أو الخصومات سيطرة على الضمير ، فلا يطغى باطل على حق ، وحيث قد يكون الأدب الإسلامى هو الطابع الواضح ، ويكون الإخاء الإنسانى سائداً بين الناس وتكون هذه الظاهرة كفيلاً ببقاء المحبة أو أحفظ لروح التماطف بين الجماعة من كل محاولة أخرى تراد للجمالة .

ورعاية العدل في القول دون تأثر بقرابة ، أو عداوة تدلنا على أن الإسلام يحرص على جانب العدل العام أكثر من حرصه على

ونحن نشهد بأبصارنا في واقع الحياة بين الناس ما يزيد هذا في غير شبهة ، فكم من متاجر أغلقت ، وكم من مصانع تعطلت ، وكم من ثروات ذهبت ، وذلك بسبب ما تسرب إلى جميعها من بخر ، أو تطفيف في الكيل أو الميزان .

ولو أنك تفحصت آيات الكتاب في شأن الكيل والميزان لوجدتها في كثرة كاثرة ، ووجدتها مبثوثة في عدة سور ، حتى إنك لمجد ذكر الميزان أربع مرات في آية واحدة من سورة الرحمن « والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » .

ومع هذه العناية بشأن الكيل والميزان ، والحض على القسطاس فيهما - وهو تمام العدل - فقد خفف الله عنا ما لا نستطيعه من الضغط حين العجز عن التحكم فيها ، عند التناوى بالدقة ، فقال تعالى عقب ذلك : « لا تكلف نفساً إلا وسعها » .

ويان هذا - أن في صفقات المبيع ما يثقل أو يخفف عن المساواة نوعاً فتهز الكيل أو الميزان صعوداً ، أو هبوطاً ، دون قدرة على تمام التحرى - وهنا يكون الحرج بين الأخذ بالقسطاس ، وبين التسامح فيما زاد أو نقص ، وهو في ذاته يسير .

فكان من فضل الله على عباده أن تجاوز

الصحيح أو لا ينجل من القدر به لا يكون
أمراً كريماً الزعة ، ولا مستجيباً لضيم ،
ولا مأموناً على شرف .

وأضرار هذه النقائص ليست فردية
وإنما هي ماسة بصالح المجتمع ، وحسبه
ما ورد في شأنه من تشنيع وتهديد .

ونحن نرى نقض العهد عذراء فاشية كلن
يجب أن يتزده عنها المسلمون .

ولكن الجهل وسوء البيئة أوقعا كثيراً
من الناس فيما لا يتفق مع أخلاق دينهم حتى
خيل لغير الفاهمين أن هذه النقيصة من ناحية
القرية الإسلامية .

والإسلام يرى من هذا ونحوه ، وإنما
الذنب ذنب من تسبوا بالمسلمين ، ولم يتعرفوا
روح دينهم ولا آدابه .

هذا وقد اعتبرت الأوامر الثلاثة التي
تحدثنا عنها - وصايا - وحينما تحدث عنها
القرآن قال : (ذلك وصاكم به) وحكمة هذا
أن الأمر قد يكون في المندوب غير المحتم .

وأما الوصية فإنها تكون فيما يكون أمراً
عتمداً لا تسامح فيه كهذه الأمور التي تحدثنا
عنها والله المسئول أن يذكرنا ما أوصانا به
وأن يعلمنا ما جهلنا ؟

البر بالقرابة ، مع ما بلغ من وصيته بنو
القرى ، فهو لا يبيح أن يكون العطف على
القرابة عادشا للنظام العام ، بل تطرح
المصديات جانباً ما دام العدل في غير جانبها ،
وكم كان لهذا التوجيه من أثر طيب في حياة
الجماعة يوم كون المسلمون يستمعون
ويستجيون . فإين نحن الآن من هذا المسلك
الذي جذب إلى الإسلام قلوباً متحيرة ؟

- الأمر الثالث - وبعهد الله أو فوا -
والعهد معناه : اتفاق بين طرفين على عمل
جائز ، فإذا اقتصرن بفسخ ، أو إشهاد
فهو عهد الله .

ومعنى العهد كذلك : ما شرع الله للناس
من دين يتبعون به .

وكل ما يلتزمه المرءة من طاعة كنذر
صدقة أو نحوها فهو عهد الله .

وليس من العهد مطلقاً ما يكون فساداً
أو إضراراً بالغير دون سبب مشروع وفي
الوفاء بالعهود منافع للناس وتوثيق للروابط
بينهم ، ولذلك شدد القرآن كثيراً في تكليفنا
بالمحافظة على العهود ، حتى اعتبر الإسلام الوفاء
بالعهد أمانة الإيمان الصحيح ، واعتبر القدر
بالعهد ثقافاً وغروجا عن الإيمان .

ومن البداعة أن أمراً لا يلتزم عهده

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

وأستاذ في كلية الشريعة

التشريع الإسلامي بين التشريعات الحديثة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

تمهيد :

يعرف الباحثون من تاريخ الأمم والشعوب أنه كان لكل مجتمع ، مهما كانت درجته من الفكر والحضارة ، حظه من قواعد قانونية يجرى عليها في معاملاته وتصرفاته المالية ، وفي الأحوال الشخصية التي تقوم عليها الأسرة من الزواج وما يتصل به ، وفي علاج جرائم المجتمع بوضع العقوبات الزاجرة الرادعة ، وفي غير هذا كله من الشئون ومساائل الحياة ومشاكلها .

نعم . إن هذه المعاملات التي تقوم بين الناس في أي مجتمع ، وعلاقات بعضهم ببعض ، لا يمكن أن تترك فوضى ينظمها كل فرد وفق رغبته ومشيته ، وإلا حقت قوله الفيلسوف الفرنسي (بوسويه) : « حيث يملك الكل فعل ما يشاءون ، لا يملك أحد فعل ما يشاء ، وحيث لا سيد ، فالكل سيد ، وحيث الكل سيد ، فالكل عبيد ، وتلك حال لا يتصور أن تكون ، وإن كانت فهي لا تقوم ، إذ ينتهي الأمر إلى أن يكون الحكم للقوة تقضي في الضعفاء بما تشاء » .

والمجتمع العربي ، في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ، لم يشذ طبعاً عن هذا الأصل الذي يقوم عليه بقاء الشخص والنسوع والاجتماع وال عمران . من أجل ذلك ، نعرف من التاريخ أن العرب عرفوا في جملتهم قواعد قانونية كثيرة قام عليها مجتمعهم ، وكان ذلك في نواح شتى من النواحي التي طالعها الإسلام فيما بعد ، فالتقى منها ما لا يتفق والعدل والصالح العام ، وأبقى ما وجدته خيراً ، فما كان الإسلام ليغير كل ما كانت عليه الأمة العربية ، حتى ما كان صالحاً لبناء مجتمع صالح للحياة الطيبة .

على أنه مهما كان حظ العرب قبل الإسلام من القواعد والمبادئ القانونية في هذه الناحية أو تلك من نواحي الحياة العملية ، فإننا لا نستطيع أن نزعم أنهم وصلوا من ذلك إلى ما يكفي لتقوم عليه أمة صالحة للحياة ، ومن أجل هذا وغيره كانت الحاجة ماسة للإسلام وشريعته .

أجل ! ظهر الإسلام والعرب - بل العالم كله - في أشد الحاجة إليه فأتاهم العقيدة الحقّة ،

على اختلاف ظروفها ، وبعبارة أخرى ، نجد فى التشريع الإسلامى - فضلا عن أحكام العبادات التى تنظم صلة العبد بربه وعالقه - كل ما يشتمله القانون بقسمة الكبيرين : القانون الخاص ، والقانون العام .

ففيه القانون المدنى الذى يعتبر أصل القانون الخاص بجميع فروعه الأخرى ، وفيه القانون التجارى ، وقانون المرافعات ، والدولى الخاص ، ثم فيه القانون الدولى العام ، والقانون الدستورى ، والقانون الإدارى والقانون المالى الذى يلحق به ، ثم القانون الجنائى^{١٥} .

ومن هذا نرى بوضوح أن التشريع الإسلامى قد عرض لكل مسائل القانون بأقسامه وفروعه العديدة المختلفة ، وهذا أمر يدهى لا يحتاج إلى إيضاح أو تعليل ؛ مادام أنه كان تشريعا كاملا للأمة الإسلامية فى كل أحوالها الداخلية والخارجية ، وكذلك لكل أمة أخرى تريد الخير لنفسها .

على هذا التشريع الشامل لكل أبواب وفروع التشريعات الحديثة ، والغنى بأصوله القوية وأحكامه الصالحة لكل زمان ومكان ،

والتشريعة الصحيحة ، والنظم التى يقوم عليها المجتمع والأمة ؛ لقسمهم فى بعث العالم وإخراجه من الظلمات إلى النور ، وكان هذا ما نسيه اليوم بالفقه أو التشريع الإسلامى .

شروطه وغاؤه :

والتشريع الإسلامى نظام شامل بلا ريب ، فهو يحكم الإنسان وتصرفاته فى كل حالاته ، فى خاصة نفسه ، وفى صلاته بالله تعالى ، وفى علاقاته بالمجتمع الذى يعيش فيه ، وفى علاقة الأمة أو الدولة الإسلامية بالدول الأخرى . إنه ينظم كل هذه العلاقات ، وذلك ببيان القواعد التى تهيمن عليها وتحكمها على اختلاف أنواعها .

وذلك يرجع إلى أن الإسلام - على خلاف غيره من الأديان التى سبقت - ليس عقيدة دينية لحسب ، بل هو دين وأخلاق ودولة بكل ما تنسج له هذه الكلمة من معنى ومدلول . والواقع يؤيد هذا الذى نقول . فكان لابد إذن من أن يكون فى التشريع الذى جاء به جميع النظم والأحكام التى تقوم عليها كل هذه العلاقات ، من عامة وخاصة ، وسواء فى ذلك ما يتصل بالفرد أو المجتمع أو الدولة .

ولذلك ، نجد فى هذا التشريع العبادات وأحكامها ، وهذا ما لا يوجد فى أى تشريع آخر قديم أو حديث ، والمعاملات وأحكامها

١٥ من الخير الرجوع فى هذا كله إلى كتابنا «الفقه الإسلامى - مدخل لدراسة ونظام المباحثات فيه» ص ١٠٣ - ١١٥ من الطبعة الثانية ، فقد نكلمنا عن ذلك بضميل .

هذا القانون الذي هو الأصل الأول لقوانيننا
الوضعية الحديثة (١).

ولكن بعد أن ترحح المسلمون في الأزمان
الماضية عن قيادتهم للعالم ، وأخذ علماء الفقه
الإسلامي بالتقليد في الأحكام الشرعية ، وقف
الاجتهاد في التشريع ، وانزوى الفقهاء عن
الحياة العامة قليلا أو كثيرا حسب الأزمان
المختلفة ، ولولا ذلك ما كنا بحاجة أبدا
لاصطناع قوانين لا تتفق وديتنا وتعاليدنا ،
قوانين يبين من المقارنة أن التشريع الإسلامي
يفضلها في كثير من النواحي .

مقارنات :

يطول بنا الحديث إذا دخلنا في المقارنات
الكثيرة بين التشريع الإسلامي وبين التشريعات
الوضعية القديمة والحديثة ؛ ولأن جد هذا
المقال ضيق محدود نكتفي ببعض منها ،
وبذلك يتبين لنا سمو التشريع الإسلامي على
غيره من القوانين الوضعية في نواح كثيرة
ليس من اليسر عددا وإحصاؤها .

قامت الأمة الإسلامية قروناً طويلة ، وأفاد
منه الغربيون أنفسهم في قوانينهم الوضعية
أيام كانوا يعتبرون المسلمين عباقرة ومثلا عليا
في كل شيء ، وبخاصة فرنسا ، فقد استمد
القانون المدني الفرنسي الذي وضع عام
١٨٠٥م الكثير جدا من أحكامه من التشريع
الإسلامي على مذهب الإمام مالك بن أنس
رضي الله عنه .

وذلك ، بأنه لم تأت سنة مائتين من الهجرة
حتى كان مذهب مالك قد ساد في الأندلس في
الحكم والقضاء ، وهو لا يزال سائدا في
المغرب والإفريقي حتى اليوم ، وكانت بلاد
الأندلس مثابة يقد إليها علماء أوروبا فيفترون
من العلم الإسلامي ويستنبثون بنوره ، وهي
مع هذا قطعة من أوروبا ، وبذلك يكون
التشريع الإسلامي قد حكمت به أقاليم من
أسبانيا وفرنسا وإيطاليا .

وكان من هذا أن انتشر مذهب مالك في
تلك الأصقاع ، وأن استمرت قواعده وأحكامه
معروفة في تلك البلاد بعد خروج المسلمين
منها ، فأفاد منه واضعو القانون المدني الفرنسي
حين آن لفرنسا أن تضع لها قانونا مستقلا ،
وليس على من يريد التأكد من ذلك الذي
قول إلا أن يقوم بشيء من المقارنات بين
التشريع الإسلامي وبين القانون المدني الفرنسي ،

(١) هذا رأى بدأ يأخذ قوة في أوساط علماء
تاريخ القوانين والفرائع المنصفين ، ومع هذا راجع
المقارنات التعريفية بين القوانين الوضعية المدنية
والتشريع الإسلامي ، للأستاذ سيد عبد الله حين ،
ج ١ ص ١٧ وما بعدها .

المشاقدين) (١).

ومبدأ النيابة التعاقدية ، كما يقول وهو بصدد بحث نظرية النيابة في العقد بطريق الوكالة أو الفصالة ، ومبدأ النيابة هذا لم يصل إليه التشريع الروماني إلا بعد جهاد ضيف وهو قد بقي مجهولاً عن التشريع الفرنسي القديم ، أما الفقه الإسلامي فقد قال بالنيابة التامة ، وبالنيابة التامة إلى حدود بعيدة جداً (٢) .

ج - الأستاذان الدكتور عبد الرزاق السنهوري والدكتور أحمد حشمت أبو ستيت يقولان في المقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني ، ما يحسن أن نقله حرفياً أيضاً : « لم تسلك الشريعة الإسلامية في نموها الطريق الذي سلكه الفقه الروماني ، فإن هذا القانون بدأ طادات كما قدمنا ، ونما وازدهر من طريق الدعوى والإجراءات الشكلية . أما الشريعة الإسلامية ، فقد بدأت كتاباً منزلاً ووحياً من عند الله ، ونمت وازدهرت من طريق القياس المنطقي والأحكام الموضوعية... إلا أن الفقهاء المسلمين امتازوا على فقهاء

(١) يرى الأستاذ الدكتور علي بدوي ، وهو أحد المصريين الأعلام في القانون - بحق - أن التشريع الإسلامي له استقلاله عن غيره من التشريعات القديمة ، وأنه يفوق كثير من النواحي غيره من التشريعات الحديثة ، ومن ذلك نظام « الجسبة » وهي وظيفة اجتماعية قانونية إسلامية تقابل وظيفة النيابة العمومية اليوم ، ونظام العقاب بالعزير وهو ترك تحديد العقوبة نوماً ومقداراً للقاضي فيحكم بما يراه تبعاً لما يراه من ظروف الجريمة وحالة المجرم ونقصته ، وهو نظام ، يمتاز به الفقه الإسلامي وينادي به كبار العلماء الجنائيين في العصر الحديث (١) .

(ب) والدكتور شفيق شحاته الأستاذ بكلية الحقوق يقول في بعض ما كتبه ، وإذا أردنا المقارنة من حيث قيمة النظم القانونية ، وجدنا التشريع الإسلامي قد سبق التشريع الروماني في تقدير بعض المبادئ العظيمة ، ومنها مبدأ انتقال الملكية بمجرد الاتفاق (أي بلا حاجة لإجراءات رسمية وأموال شكلية) ومبدأ سلطان الإرادة (أي إرادة كل من

(١) النظرية العامة للالتزامات في الفريعة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .
(٢) النظرية العامة للالتزامات في الفريعة الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(١) راجع مجلة القانون والاقتصاد ، العدد الخامس من السنة الأولى الصادر في نوفمبر ١٩٣٩ م ص ٢٢٣ وما بعدها

أوجب الله تعالى في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للسائل والمحروم ، وهذا ما نسميه بالزكاة التي تؤخذ من الأغنياء لتعطي للفقراء ، ثم جعل في أموال الأغنياء حقاً آخرى غير الزكاة ، ولهذا نرى الله تعالى يقول : « سورة البقرة آية ١٧٧ » : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة » وإذن ، ففي المال حقوق أخرى غير الزكاة وهذه الحقوق تعطي لذوى القربى واليتامى والمساكين ونحوهم .

ومثال ثان . وهو من المعروف ، كما رواه الإمام أبو يوسف ^(١) ، أنه لما فتح الله العراق والشام على المسلمين أيام عمر بن الخطاب أراد فريق كبير من المسلمين قسمة الأرض وما عليها بين أصحاب الحق الفاتحين ، لكن الإمام عمر رأى أن يترك الأرض بيد ملاكها على أن يدفعوا الخراج والجزية لصالح المسلمين جميعاً . وكان هذا توفيقاً من الله لعمر بن الخطاب كما عوده في كثير من الحالات .

وأوجب التشريع الإسلامى من ناحية أخرى ، النفقة اللازمة في بيت المال لكل

الرومان ، بل امتازوا على فقهاء العالم باستخلاصهم أصولاً ومبادئ عامة من نوع آخر ، هي أصول الأحكام من مصادرها ، وهذا ما سموه بعلم أصول الفقه ^(٢) .

د — هذا ونكتفي في ناحية المقادير ببيان أن التشريع الإسلامى تسوده النزعة الجماعية ، التي تهدف إلى صالح الفرد والمجتمع معاً ، وهذه النزعة تجدها واضحة في تشريعات العبادات والمعاملات معاً فكل التشريعات في هاتين الناحيتين تهدف إلى تهذيب الفرد وتحقيق ما فيه خيره وخير المجتمع بأسره . والمثل لذلك واضحة تدركها بسهولة وبسر وتكفيها الإشارة .

نشير مثلاً ، إلى حكمة تشريع الصلاة والصوم والزكاة والحج ؛ وحل البيع وتحريم الربا ، والأمر برعاية الجار والوفاء بالعقود وتحريم الزنا ، وإقامة الحدود حياة للمجتمع ، إلى آخر ما نعرف من الأحكام التي جاءت بالأمر والنهي والحل والحرم ، ففيها كلها تهذيب للفرد وخير له وللجمع معاً .

وبعد هذا التعميم لابد من التخصيص ، وذلك بالإتيان ببعض المثل المحدودة الواضحة الدلالة على ما نقول ، أى على أن الطابع العام السائد في التشريع الإسلامى من أول أمره هو الطابع الجماعى ، وذلك بعكس التشريعات الوضعية .

(١) كتاب الخراج ، ص ١٤ - ١٥ .

(٢) أصول الفانون ، ص ١٣٢ .

فيها الكفاية لإثبات الزعة الجماعية، للتشريع الإسلامى ، هذه الزعة التى نجد مصدرها الأصل فى القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم وأحكام وآراء كبار الصحابة والتابعين ؛ وذلك - كما قلنا - لأن الشريعة الإسلامية لم تأت لصالح الفرد وحده ، بل لصالح المجتمع كل فى أوسع حدوده .

أما التشريعات التى هى من صنع البشر ، فلم تلاحظ فى أول أمرها بخاصة هذه النظرة الجماعية أو الاجتماعية السامية ، بل كانت تسودها الروح الفردية العنيفة ، ولناخذ مثلاً لذلك القانون الفرنسى الذى صدر فى مطلع القرن التاسع عشر .

لقد ساد هذا القانون روح فردية قوية تثم مع الروح التى أملت حقوق الإنسان ، وهى تدعيم حقوق الأفراد وحمايتهم ، وتتنظر إلى الفرد باعتباره العنصر الأهم فى الحياة لا باعتباره جزءاً من كل هو الجماعة ، وقد كان من نتائج ذلك ، أن أتت وقت احتفوت فيه الحقوق مطلقة المدى ، وأن صاحب الحق فى استعماله سيد لا يسأل عما يترتب على هذا الاستعمال من الأضرار التى تتحقق بغيره (١) .

(١) راجع «مدى استعمال حقوق الزوجية وما يتقيد به فى العرية الإسلامية» ، والقانون المدنى الحديث ، للأستاذ الدكتور السيد مصطفى السيد ، ص ٥٠ .

فتغير طابع العمل وليس له قريب يجب عليه نفقة ، لا فرق فى ذلك بين المسلم وغير المسلم الذى يعيش تحت ظل الإسلام ، وفى هذا يروى التاريخ أن عمر بن الخطاب أمر برفع الجزية عن كل ذمى لا يقدر على أدائها وبأن يفرض له فى بيت المال ما يكفيه هو وعياله ما أقام بدار الإسلام .

ومثال آخر ، بل مثل أخرى نأخذها من تطبيقات القاعدة الإسلامية المعروفة ، وهى : « لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » ، هذه القاعدة التى عرفها التشريع الإسلامى منذ وجوده ، والتى مرقتها التشريعات الحديثة بمد ذلك بقرون وقرون تحت عناوين نظرية سوء استعمال الحقوق .

فطبقاً لهذا الأصل العظيم يجب ألا يسهل المرء استعمال حقه لدرجة أن يكون فى ذلك ضرر كبير لآخر ، ولهذا ، يكون للزوجة أن تطلب طليقها من زوجها إذا نالها بضرر غير مشروع ، وللبجار أو الشريك أن يطالب بالشفعة فيما باعه شريكه أو جله الآخر لأجنبي ، مع أن من خصائص الملكية حرية المالك فى التصرف فيما يملك ، وللإنسان أن يحفر فى أرض غيره مجرى ماء ليروى أرضه البعيدة عن مجرى الماء ، ويجهز صاحب الأرض الأخرى المجاورة للماء على ذلك .

فكذلك المثل ، ولو شئنا لأننا بأخرى كثيرة ،

المحاجة وأما لهذا التشريع :

يتبين من هذا الذي قلناه ، أن حاجتنا للتشريع الإسلامى ، وذلك مبلغ علوه على التشريعات الوضعية وغناه فى كل ناحية من نواحي القانون ، لا تزال اليوم أمراً ضرورياً كما كانت فيما مضى ، إنه تشريع صلحت به أمة عظيمة سادت البشرية قروناً طويلة ، ولن تصلح فى هذا العصر وفى كل عصر إلا إذا أخذت به وأقامت حياتها على أسسه ومبادئه وأحكامه .

وإذاً ، لنا الحق فى أن نريد أن يكون هذا التشريع الأساس الأول والمصدر الرسمى لقوانيننا الحديثة ، ولا بأس علينا مع هذا فى أن نفيد من كل خير نجده فى التفكير القانونى لآى أمة من الأمم الأخرى ، بل لعل هذا يكون واجباً ، فما كانت أمة لتستغنى عن غيرها فى كل شئونها .

ونحمد الله تعالى على أنه وجد وصى قومى فى مصر والبلاد العربية والإسلامية ، أخذ يطالب بتخليص قوانيننا من الاحتلال الأجنبى ، وهو احتلال فرنسى فى الأكثر من نواحي القانون ، كما أخذ كثير من رجال القانون وأعلامه ينادون بما فطالب به ، وكان من هذا أن دخل فى القانون المدنى الجديد كثير من الأحكام والنظريات المستمدة من الفقه

ومن الحق أن التشريعات الوضعية فى هذا العصر الحديث أخذت فى الحد من استعمال المرة لحقوقه ، فنشأت نظرية سوء استعمال الحقوق التى أشرنا إليها آنفاً ، ولكن بقى من الثابت الذى لا ريب فيه أن نظر التشريع الإسلامى إلى حقوق الأفراد وتقييدها بما يحقق مصلحة الجماعة ولا يضر صاحب الحق ، أوسع مدى وأبعد أثراً من نظر التشريعات الحديثة إلى اليوم فى هذه الناحية .

ونفتقد أن هذه الفقرة الواضحة ، بين طابع التشريع الإسلامى الإلهى وبين طابع التشريعات الوضعية ، ترجع إلى تفرقة أساسية فى أصل حقوق الفرد فى الشريعة الإسلامية والقوانين البشرية .

إن القوانين الوضعية تعتبر حقوق الفرد حقوقاً طبيعية له ، فهو يملكها ويتصرف فيها كما يرى ، فلا حرج عليه ولا تزيب إن أساء استعمالها ، أما الشريعة السابرة الإسلامية ترى أن الفرد نفسه وكل ما يعتبر له عادة من حقوق ملك لله وحده ، والله لا يمنح ما يمنح لعبيده من حقوق إلا لفرض حكم هو تحقيق الخير للفرد والمجتمع معاً ، ولذلك نجد تقييد استعمال الحقوق فى نواح مختلفة وكثيرة جداً ، ومن ثم ، وجب أن يكون الإنسان فى عمله واستعماله لحقوقه متفقاً مع قصد الله من التشريع ، وإلا كان عمله باطلاً لمناقضته للشريعة ومقاصدها .

ليدعم وحدتها ، وقد تكون فى طريقها إلى التوحيد ، فبأنى القانون عاملاً من عوامل توحيدها ، ويبقى على كل رمزاً لهذه الوحدة^(١) .

أما كيف فصل لهذا الذى نريد ، من سيادة الشريعة الإسلامية فى مصر وسائر البلاد العربية والإسلامية ، وما هى الوسائل التى تؤدى بنا إلى ما نرجو فى المستقبل القريب . هذا ، وذلك ، لا يتسع له نطاق هذا المقال ، ولعلنا نكلم عن ذلك فى مقال آخر ، وانه المستعان ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

(١) راجع العالم العربى مقالات وبحوث ، الكتاب الثانى ، بحث القانون المدنى العربى ص ٢٨ و ٢٩ ، لمر الإدارة العامة بجامعة الدول العربية مطبعة مصر سنة ١٩٥٣ م .

الإسلامى وذلك أمر معروف . على أن هذه بداية طيبة نرجو أن نصل بنا إلى ما نريد ، ويسرنا أن ننقل عن الأستاذ الدكتور السنهورى هذه الكلمة القيمة على وجلزتها :

والهدف الذى نرمى إليه هو تطوير الفقه الإسلامى ، وفقاً لصناعته ، حتى نشق منه قانوناً حديثاً يصلح للعصر الذى نعيش فيه ، وليس القانون المصرى الجديد أو القانون العراقى الجديد ، إلا قانوناً مناسباً فى الوقت الحاضر لمصر أو العراق ، والقانون النافع الدائم لكل من مصر والعراق ، بل وجميع البلاد العربية ، إنما هو القانون المدنى ، الذى نشقته من الشريعة الإسلامية بعد أن يتم تطورها . وقد تكون البلاد العربية عند ظهور هذا القانون قد توحدت ، فبأنى القانون

الصدق المذهب

أخى ، عنده أدب ، مودة مثله نسب
وعلى لى فوق ما يُرعى وأوجب فوق ما يجب
فلو سبكت خلاقته لُبهرج عندها الذهب

في دعوة الإسلام قضاء على الإلحاد

للأستاذ عبد الوهاب حمودة

فاللحد لا يحافظ على عرض أحد ولا على ماله ولا على حرمة وإنما هو خاضع لسلطان الهوى على النفوس ، وحب إرضاء الفرائز الدنيا والرغبة في الزول على حكم الشهوات ، والتمرد من كل القيود والمسئوليات . هذه الفوضى الخلقية لا توجد على أوسع نطاق إلا في جو من الإلحاد ينكر القوانين السالوية ، ويسخر من كل الأدیان ويرفع من القلب شعور الاستحياء من الله ؛ لأن الذي يريد أن يعطي لنفسه هذه الحرية الخلقية المطلقة ، لا يمكنه أن يتجنب وخز صميره ما دام هذا الصمير يقظا واعيا ، وما دامت فكرة الرقيب الأعلى تحمل مكانة القدسية في هذا الصمير ؛ فلا بد إذن أن يبدأ بمحاولة تخريب هذا الجهاز المقدس لإخفاء هذه الصورة المرسومة في لوحة ضميره ، ولا يتم له ذلك إلا إذا أغلق النوافذ التي يرى منها نور الله ، والتي يسمع منها دأى الله .

لذلك حرص دعاة الإلحاد - وهم الشيوعيون - على إلقاء التصريحات التي تقلل من شأن الدين ، وتصفه بأنه خرافة ورجعية ؛ جاء في خطبة لوزير المعارف ، في حكومة السوفيت :

نحن نكره الأدیان لأنها تبشر بحب الجيران

إن دعاة الهدم والتخريب يحرسون الحرس كله على هدم الدين ونشر الإلحاد ؛ لطيب لهم الجو في إذاعة مذاهبهم المضللة ، وآرائهم المنحرفة ؛ ذلك لأن دعاة الإلحاد يرفعون عن ضمير الفرد شعوره بالمسئولية في أخطائه ، ويلقونها على المجتمع . فهم يهدمون الأساس الذي لا قوام للأخلاق بغيره ، ويقولون للذنبين والمفسرين : إنكم جميعاً أبرياء من التهمة منزهون من الوصمة ؛ لأن اللوم كله على المجتمع في عجز العاجز وفساد العاسد وإجرام المجرم وتقصير المقصر .

أما الدين فهو يلقى التبعة على الفرد ويشرك معه المجتمع إذا لم ينه عن فعل المنكرات ، ويمنح الحرية الفردية في أجمل صورها واستغلال الشخصية في أدق معانيها ، ولكنه لا يتركها فوضى ، فلمجتمع حساب وللإنسانية اعتبارها ، وللأهداف العليا للدين قيمتها . فناية الملحد أن يطمح في الدين ويصد عن سبيله بقله ولسانه . فيبالغ في الدعوة إلى حرية الرأي ، والتخلص من القيود والأكوام والنوامي ؛ ليصير الإنسان مطلق العنان لا تقيدته حدود ولا تحده واجبات بل يسلم نفسه للشهوات والاطلاق في الإباحية للذات .

« كل نفس بما كسبت رهينة » ، ولها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فقطرة الإلحاديين إلى الإسلام نظرتهم إلى مزاحم خطير يخشون منه أن ينازحهم السلطان على عقول الأمم وضياعهم في مسائل الأخلاق والمعاملات .

فالإسلام يأبى للسلطان أن ينسب نصيبه من الدنيا ، ويأمره أن يأخذ من طيباتها ، ويهيد هذا الأمر في آيات متعددة من القرآن الكريم قال تعالى : « وابتغ فيها أنالكافه الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، « يأبى الذين آمنوا لا ينحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، « يأبى الناس آمنوا كلوا مما في الأرض حلالا طيبا » .

ولا يستطيع الإلحاديون أن يتخذوا من الإسلام في تشريعاته حجة لتسخير المجتمع في خدمة أصحاب الأموال ، كما يقول المفسرون الماديون للأديان . فقد ظهر الإسلام في مكة ، وكان سكانها مصدر ثروتهم وقوتهم هي التجارة ، فالحال إذن كان في مكة له شأن أي شأن ، وأعظم دليل على ذلك هو وجود فئة كبيرة من المراءين ، وشيوخ تعاطى الربا فيما بين تجار مكة ، حتى صار مصدراً ثانياً من مصادر ثروتهم . ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا .

فكان الربا في مكة فاحشاً جداً يتراوح بين ١٠ و ١٠٠ في المائة كما ذكر (بندلي جوزي)

والعطف والرحمة ، وهذا يخالف مبادئنا فليست حيننا لجيراتنا . فإن ما نريده هو الكراهية والمداوة ، وحينذاك نستطيع غزو العالم . ويقول الماديون الملحدون :

إن الدين نفثة المخلوق المضطهد وشعوره بالدنيا التي لا قلب لها ، إنه أفيون الشعوب الذي يضرها لتسهل سرقها ، والدين - جملة هو الغداع الخادع للضعفاء لأنه يدعوهم إلى احتمال المظالم ولا يزيلها . وجاء في الخطاب الذي ألقاه (لينين) في اتحاد الشبان الشيوعيين سنة ١٩٢٠ : أنه ينكر صراحة وجود الله عز وجل فيقول :

« إننا ننكر ما يدعيه المتدينون من أن مبادئ الأخلاق هي أوامر من عند الله ، فنحن بالطبع لا نؤمن بالله ونعلم تمام العلم أن رجال الأديان نسبوا إلى هذا الاسم (الله) هذه الأمور لتحقيق مآربهم الاستغلالية . إلى أن قال :

ولكن ينبغي لنا بلوغ الأهداف الشيوعية لا بد لنا من الاتحاد وأن توجد هذا الاتحاد بأيدينا فإن الله لن يخلفه .

أما الإسلام فيقرر وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير ، في الحميا والمات ، في الحقوق والواجبات ، أمام الشرع ، وأمام الله ، في الدنيا والآخرة ، لا فضل إلا للعمل الصالح ولا كرامة إلا للآتقي . قال تعالى : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى » ،

وإذا مسه الخير منوعاً . إلا المسلمين الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم للسائل . والمحروم .

ثم أخذ الإسلام يتبع الأغنياء والموسرين في كل مناسبة يطالبهم بالإتفاق ومد يد المساعدة للمسررين ، لجعل لإطعام الفقراء والتصدق على المساكين كفارة لكثير من الحفوات : ففي حث العيى وفي إفطار رمضان عمداً أو بعذر ، وفي محظوات الحج وفي يوم عيد العطر والأضحى ، وفي كل المواسم الدينية .

ومن عجيب ما جاء في الإسلام بصدد معالجة الفقر ومعاونة البائسين مما يقطع حجب الملحدين ويلقهم حجراً ، ولا يستطيعون أن يدعوا أنهم خير من الإسلام في معالجة هذه الظاهرة في المجتمع . وذلك بما توجه به القرآن إلى الوارثين الذين يحسبون لتقسيم الميراث والأموال الطائلة ، ويحضرهم أقاربهم واليتامى والمساكين من ليس لهم نصيب في ذلك الميراث فقد حثهم الإسلام على أن يعملوا على سل سخائم النفوس ، وتفريج حقد الصدور بأن يمنحهم شيئاً مما ورثوه فما المال الذي ورثوه إلا رزق ساقه الله إليهم عفواً من غير كسب ، فلا ينبغي أن يخلوا به على المحتاجين . بل يجب أن يزاحوا عليهم بجزء يسير مع تطيب خاطرهم ، والتأنف إلى قلوبهم بالكلام الجميل قال تعالى : : وإذا حضر القسمة

في بئس عن الإسلام . قال تعالى : : يأيتها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة .

وكان عدد المرابين في مكة كبيراً جداً في عصر النبوة ، ولذا كان ضررهم على المجتمع ، وأضرارهم بالفقراء والبائسين لا حد لها مما نراه مصوراً تصويراً واضحاً في موقف القرآن من الربا ، وحملته القاسية على المرابين ؛ لأن هذه الطبقة من الناس لم يكن يهملها من الدنيا إلا جمع المال ، فحمل القرآن على هذه الطائفة ، حملة شعواء ، فقال تعالى : : يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله .

وفي صحيح مسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اجتنبوا السبع الموبقات ... وفيها وأكل الربا) .

ثم أخذ الإسلام يتدرج مع الأغنياء لحثهم على التصديق وأعلمهم أن للسائل والمحروم حقوقاً في أموالهم ، وجعل ذلك شرطاً من شروط التحقين الصادقين ، فقال تعالى : : إن المتقين في جنات وعيون ، إلى أن قال : : وفي أموالهم حق للسائل والمحروم .

بل جعل ذلك وسيلة من وسائل النجاة يوم القيامة فقال تعالى : : كلا إنها لظى نزاعة للشوى . تدعو من أدبر وتولى . وجمع فأوعى . إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعاً .

أولو القربى واليتامى والمساكين فاردقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً .

هذا وإن القرآن في علاجه للفقر لم يكتف بأن توجه إلى الأغنياء بالإتفاق والمساعدة إلى البر ، بل توجه أيضاً إلى الفقراء بزيادتهم ويحثهم على الصبر وقوة العزيمة والسعي في الرزق وتطهير قلوبهم من الحقد على الأغنياء والاضطغان عليهم .

فتوجه إلى الفقراء يخبرهم أن الله هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، وهو الذي يقضى ويفقر بيده الخير وعنده مفاتيح الرزق ولا يزل إلا بقدر معلوم ، وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بمبادءه خبيراً بصيراً .

فالمجتمع الإسلامى يقوم على المساواة بين الناس بغير تفرقة بين الأنساب والألوان والأجناس ، ولا تمنحه المساواة أن يعطى المزايا الخاصة حقها من الإنصاف لمصلحة المتفهمين تلك المزايا في جميع الطبقات ، ولا يفاضل في الحقوق بالمال أو بالوراثة فإنما يكون التفاضل بينهم بالعلم والعمل ولا يستوى القاصدون من المؤمنين غير أولى الضرر ؛ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة .

روى البخارى (أن رجلاً مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا : حرى إن خطب أن يزوج ، وإن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يستمع لقوله ، فسكت صلى الله عليه وسلم ، ثم مر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا : حرى إن خطب أن لا يزوج ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع لقوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من ملء الأرض مثل هذا) .

والإسلام ضد الاحتكار والكنز ، قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والزبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فأنفقوا ما كنتم تكنزون .

أما الاحتكار فقد ضرب الإسلام بيد من حديد على أيدي المحتكرين المتحكمين في الأسواق ، وذلك ليجب المجتمع شروء الرأسمالية التي يخوف الناس بها دعاة الإلحاد فقد روى مقل بن يسار رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من

أن يعترف بأن من قوته إلهامه قدرة عليا ،
توجه الكائنات وتسخرها حسب قواها
منظمة نافعة ونعصه من اليأس في ساطات
الحرج والشدّة ، وتمنحه المزيعة والقوة على
اقتحام المصائب وتمنحه من الاستسلام
لفزع الشّر والسوء . قال فن ربك يا موسى .
قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .
يريد أنه أعطى مخلوقاته سبحانه كل شيء
يحتاجون إليه ويرتقون به ، ثم هدى إلى
طريق الانتفاع والارتفاق بما أعطاه ، وهرفه
كيف يتوصل إلى بقائه ، وقال تعالى : « ونفس
وماسواها فأنمها لجورها وفتواها » . « وما من
دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا آم
أمثالكم » .

فالإسلام هو العقيدة المثلى للإنسان منفرداً
ومجتمعاته ، وعامل لروح وجسده ، وناظرا إلى
دنياه وآخرته ، مسلماً أو محارباً ، معطياً حق
نفسه أو معطياً حق حاكم ولا يكون مسلماً
وهو يطلب الآخرة دون الدنيا ، ولا يكون
مسلماً وهو يطلب الدنيا دون الآخرة .

وبعد : فالخلال بين والحرام بين فن شاء
فليكن ملحداً ومن شاء فليكن مسلماً . من
كان يريد العاجلة فجعلنا له فيها ما يشاء لمن يريد
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومة مدحوراً .

عبد الوهاب محمود

دخل في شيء من أسرار المسلمين ليغلبه عليهم
كان حقاً على الله أن يعمده بعظم من النار
يوم القيامة) يريد بمكان عظيم من النار .
وروى عن عمر قال سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول :

(من احتكر على المسلمين طعامهم طر به الله
بالجدام والإفلاس) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما (من احتكر
الطعام أربعون ليلة فقد برى من الله وبرى
الله منه) .

فأنت ترى أن الإسلام لم يترك لحظة
الإلحاد وهم الشيوعيون باباً يدخلون منه إلى
نشر مذهبهم بحجة رافعية المجتمع وإقامة دعائم
المساواة والحد من شره الرأسمالية فقد تكفل
الإسلام في تشريعاته بما هو أوفى من ذلك
وأقوى وأكثر صلاحية وأجلب للإنسانية
سعادة .

والدائمة النعماء في هذه الدعوى للثكرة
أن دعائها لا يؤمنون إلا بالمادة ويكفرون
بما وراءها ، فهم يرجعون كل ما يقع في التاريخ
من حركات إلى أسباب اقتصادية ولا مرجع
لها غيرها وما دامت الأسباب الاقتصادية
- دون غيرها - هي التي تمل على التاريخ
حركته وسيره حيث تشاء فلا مجال لإن
للاعتراف بإله خالق مدبر للكون بقدرته
وإرادته ، أما الإسلام فهو يطلب من الإنسان

الأزهر منذ أربعين سنة

للأستاذ محمد علي غريب

هو العلم، وهو أقمى على أستاذهم من الحزب الجاف. ولم يكن أهل الدين في حلة عن الحياة؛ رغم كل ما هم فيه من زهد وقناعة... كانوا هم الطبقة المثقفة، وشيخ الأزهر الذي قد لا يخرج إلى الدرس في يومه؛ لأنهم يفسلون له فيسه، وهو لا يملك سواءاً.

إذا ما وقفت بين يديه امرأة من السوق، تسمح دعوى عيضا بطرف رداها، وتنفك إليه من أن الوالي استلب منها بضعة قروش. شيخ الأزهر هذا الجائع المحروم، الذي يعتبر نفسه متقياً؛ من يطر على بضعة ينقلب إلى عملاق، قسما في الأرض، ورأسه في السماء يمشي إلى الوالي، وهو يقود أعظم جيش من إيمان وقهواء، فينهز ويحفظ له في القول، وقد يملك به من تلايبيه، ويهزه مرأ عنيماً؛ حتى يستخلص منه حق المرأة الشاكية.

كذلك كان الأزهر، وهذه حال شيوخه وطلابه، وما من دعوة إلى الجهاد في سبيل الوطن إلا ارتفع الصوت بها من الأزهر؛ فالجياة عند هؤلاء الذين يصرون بيت الله؛ هي الكرامة الإنسانية، ولا شيء يوازها،

حفظ الأزهر طوال ألف عام الدين واللغة والمعرفة، وهذه الأبنية التي أنشئت على غرارها، كانت بمثابة البيت الذي بناه «أبرهة»؛ ليحصد به الناس عن الحج إلى بيت الله الحرام. ولئن صح ما رواه المؤرخون من أن «المعز لدين الله» أقام الأزهر الشريف؛ ليذبح رسالة «الفاطمية»، فهذا العهد الجليل الخالد، نفص يديه من عبك المعصية الدينية، وأذاع رسالة الله.

ومن شق بقاع الأرض، كان الشباب المسلم يند على الأزهر، مزوداً بالقليل من المال، والكثير من الإيمان؛ من الهند، والصين، والملايو، وجلوه، والفركتان... من عشرات الشعوب الإسلامية التي يكتب كل شعب منها اسمه على خريطة الدنيا بالدم والجهد والتضحية. كانوا يحضرون إلى القاهرة؛ ليحيطوا على أرض الأزهر، وليستموا إلى شيوخه وهم يصاولون الكلمات والحروف؛ ابتغاء أن يستخرجوا منها، من الأسرار ما يملأ بقاع الأرض، ولم يكن الشيوخ أوفر نعمة من طلابهم؛ فإنهم جميعاً سواء في خشونة العيش، وربط الأحجار على البطون، وطعامهم الحقيقي:

يطر به أن يقرأ في كتاب . بداية المجتهد
ونهاية المقتصد ، قول مؤلفه المفكر الإسلامى
العظيم ابن رشد :

« خطأ أبو حنيفة في هذا رأى » ،
« جانب مالك التوفيق لهذه المسألة » ،
« ضد الثاوى عن الجاعة في هذا الأمر » .
والجيب أن أخى الأكبر كان يغضب أشد
الغضب ، حين يضى إلى ما ينهم به ابن رشد
على الإمام مالك ، فقد كان مالكى يقال
في تعصبه للإمام مالك ، أما أن يتعرض ابن رشد
لبقية الأئمة المجتهدين فذلك ما لا يعنيه .

وكرأت على والدى كذلك ، رسالة التوحيد ،
للإمام محمد عبده ، وثلاثة أجزاء من تفسير
الضمر الرازى ، ولم أكن أفهم الكثير
مما أحسه ، رغم أن والدى يحاول جليداً
أن يدخل هذه الفلسفات المويصة فى رأسى !

ولجأة راح يقرأ علينا حديث عيسى ابن
هشام ، للويلى . وقد أعجبت كثيراً بهذه
الحكايات الحديثة ، التى تناول حياتنا
فى مصر ، وبطلها أحداً بالاشوات ، شاء المؤلف
أن يبعث من مرقده ؛ ليرى عالم يكن يراه
من قبل من تغير وتبدل وانحلال .

وكان أخى الأكبر قد أمضى طاماً فى الأزهر ،
وطاد اليأس هو بما دوسه ، كما لو أن القمر
يطلع من كه . وجهه أهل القرية جميعاً
يرحبون بقدومه ، ويلثمون يده ، ثم هم

ورغائب الجسد فسوق ، والتحرر من الخوف
فضيلة ، والموت فى سبيل الحق ، هو وحده
الشهادة العليا

هذه الصور الجميلة الرائعة ، كانت تتوارد
فى مخيلات القرويين ومن إليهم من أهل
الحضر ، فيبحثون بأبناهم إلى ذلك المعهد ؛
ليصبحوا خليفين بالانتماء إلى الفصيلة
الإنسانية . . . وما من شئ . يمكن أن يصرفهم
عن هذا الغرض السامى النبيل ، فهم يقصدون
إلى الأزهر على الدواب ، وفى السفن التى
تجوب البحار والأنهار .

وكان والدى قروياً مستورا الحال فى أقصى
بلاد الصعيد ، وينفق على أسرة أبناؤه فيها
عشرة ، وكان فى صباه قد تعلم القراءة والكتابة
ولكنه لم يفتح بهذا القدر من المعرفة ؛ ففى
أوقات فراغه ، يحضر الدرس على المرحوم
الشيخ الدردر صالح ، وهو رجل يعتبر أهل
العلماء ؛ لأنه أمضى بضع سنوات فى معهد دينى
أهل بمرجا .

ثم راح والدى يعلم نفسه بنفسه ؛ اشترى
الكتب الدينية وقرأها ، ثم قرأها ، وأخيراً
جلس ليلقى دوسه على أخى الأكبر وعلى ،
ثم أذن للناس بعد ذلك بأن يتلفوا عليه الدروس
فى المضيعة ، أو فى المسجد .

وكان والدى حر الفكر إلى حد ، ولم أظن
لهذه الحقيقة إلا بعد سنوات طويلة ، فكان

ما يؤكد به عليه الفياض ، إلا أن يفق بأن
الرخص خلال في حلال ١ .

والمسألة أن المبشرين ومن إليهم من أشباه
المثقفين ، شنوا حرباً ظالمة على الأزهر ،
واتهموه بالرجعية وبالتأخر وبالجور . ولم
تضع هذه الحرب أوزارها أبداً ، حتى العامة
تأثروا بهذه الحرب وغاضوها ، وهذه
المحاولات التي بذلت لما وصفوه بالإصلاح ،
كانت بمثابة رد على هذه التهم البشعة ١ .

وغالى الأزهريون في دفع تهمة الجور عنهم ،
حتى إنهم تقبلوا المرح إلى مصدهم ، وقد
بنفر الكثيرون من رأي هذا ، ولكنني
أومن به .

فالأزهر القديم الذي قدم لنا فلانات من
البطولة والعفوية كن في نظري أجمل ؛ وإنني
لا تمثل الشيخ حسن العدوي واقعاً أمام محكمة
صكرية انجليزية ، في مؤتلف عهد الاحتلال
بمصر ، ورميها الذي صدعته الخرفى أسه ،
يسأل الشيخ بلسان المترجم ، عما إذا كن قد
أمضى ، منشوراً ، بنادى فيه بخلع الخديو
توفيق ؛ لأنه كان وطنه ؟

وأجاب الشيخ :

.. أنا لم أوقع على هذا المنشور ، ولكن
هاتوه لي الآن ، فأوقع عليه ؛ لأن الخديو
توفيق خان وطني ودينه ١ .

وأعود إلى ما كنت فيه ...

كان حظي لتصف القرآن مستجيلاً

يسألونه عن أبناء الدنيا ، وأحاديث
السياسة . ولكنه لم يكن يدرى عن ذلك
شيئاً ، فهو يخضع كلمات ويدمدم ، فيخيل
إلى هؤلاء القرويين السذج أن هناك أحداً ما
خطيرة ومشيرة ، يحاول أن يخفيها عنهم هذا
الشيخ الأزهرى للصغير ١ .

وقال لي والدي : ستهب إلى الأزهر
الشريف في العام القادم ، ولم أكن فكرت
في شيء من أمر مستقبلي ، ففي هذه البيئة
الربعية الفقيرة ، يصعب على أمثالي أن يفكروا
في أمر المستقبل ، وإنهم ليدعون ذلك للأقدار ،
تقرر فيه ما نشاء ١ .

وكان على أن أحفظ نصف القرآن الكريم
فإن ذلك هو الحمد الأدنى لقبولي طالباً
في الأزهر ، فقد دخل النظام ، إلى هذا
المعهد ، ونسقت الدراسات فيه ، وإنني لأشك
في أن هذا كان إصلاحاً ؛ بل هو الإفساد
الحقيق ، إذ أن الدراسة في الأزهر القديم
كانت أقرب إلى الدين ، وإلى المعرفة ، وأدعى
إلى الجد في سبيل تحصيل العلوم ١ .

وكان هؤلاء الشيوخ الفقراء ، يولفون
الكتب ويواصلون البحث . ومهما قيل عن
هذه الكتب « الصغراء » فإن فيها مظهراً
واضحاً للدراسة العميقة ، ولسلامة الإدراك ،
ولجودة الفهم . ومنذ « وجد » النظام ،
في الأزهر لم يعد ثمة وجود لهؤلاء المؤلفين
المعظم ، وإن كنا سمعنا عالماً من الأزهر لم يجد

كالطريق إلى الجنة ؛ محضوف بالمكافء وإنك
تتسلك اليوم وهو معبد ميسور ، وفي الغد
لا تقوى على السير فيه ؛ فإن القروى الذى
يملك قيراطين من الأرض إذا جاء يرويهما
ملاً الطريق بالماء ، فاستحال عبوره ، وأية
كلمة يقال نقداً لهذا التصرف ، قد تؤدي إلى
نفسوب معركة يزعم فيها كثير من الأرواح !.

هذا القروى الذى يملك القيراطين ، لم يكن
قد رويها بالماء والحمد لله ؛ فشيئاً نذرعه
ونحن نثرثر ونضحك وحل شاطئ المصرف
كل نبات الحلفاء يتأيل مع الريح ، والهوام
والحشرات والفيران - وربما كانت الثعابين
تتحنى في هذا النبات وتجرى إلى غاياتها .
والطيور في الجو ترتقبنا ثم تضحك من سخافتنا
بأقاربها المشجبة ، فليس أسمع في مجال
الطبيعة في الريف من هؤلاء الريفيين أنفسهم !.

وجاء أكثر أهل القرية يودعونا على
المحطة ، وفيهم الزاكب والراجل ، وكنا
نحس ما يصنعون من صنوف التوقير
والاحترام ، كالوأتنا أصبحنا عضوين
في هيئة كبار العلماء ، فهذه الروح العجيبة
الواضحة ، روح التقدير والإجلال للأزهر
تجسدهم يعاملون كل من يتسب إليه بقبول
من التقدير والإكبار .

وركبنا الدرجة الثالثة لأنه ، كما قال غاندى :
لا توجد درجة رابعة ! .

فكان علينا أن نضئ في القطار إحدى
عشرة ساعة . ولست مستليماً أن أقف إلى

واليك السبب ، لست أدري إلى اليوم ،
كيف أمكن نسخة من كتاب « تاريخ الصحافة
العربية » مؤلفه الدكتور فيليب دى طرازي ،
أن تعطل من القاهرة عام ١٩١٧ إلى بيت
ريفي في قرية اسمها : « المسيرات » من قرى تجمع
حمادى ؟ .

لم أسأل والدى عن كيفية حصوله على هذا
الكتاب ، ولماذا اشتراه ؟ وقد وجدته
في إحدى الغرف فقرأته . . . لا بل كدت
أكله ، وشغلت نفسي به إلى درجة أتى ما دوت
قراءته عشرات المرات ؛ ولعل هذا يفسر
إتباتي بعد ذلك إلى مهنة الصحافة المشجبة . . .
على أنه كان قد قرر سفرى إلى القاهرة ؛
لأنسب إلى الأزهر . وسألنى والدى ، عما
إذا كنت أحفظ نصف القرآن ، فكذبى
وأكدت له أتى أحفظه ولست أدري لماذا
لم يجتربنى ؟ على أنه لم يفعل ، وإتباتي المهم
والفرح من أن أرسب في الامتحان ، وأفضيت
بما يخافونى إلى أخى قطما تى .

وشغل منزلنا أسبوعاً كاملاً بإعداد الزاد لنا ،
كل شيء أعدوه : اللحم ، والخبز ، والادام ،
والفاكهة ، حتى الملح لم تنس جدتى - يرحمها
الله - أن تحبس في متاعنا كمية كبيرة منه ؛
بسبب سوء رأيها في ذوق القاهريين ؛
إذا كانت تعتقد أنهم من الرفاهية والترف بحيث
لا يضعون في الطعام ملحاً ! .

وركبنا الدواب إلى محطة السكة الحديد في
« بنهر فرشوط » ، والطريق إلى « البندر »

والفسوة جالسات على الأرض ، أمام أبواب المنازل ، يتقاذفن الشئام أو يثرثن بلهجة لم أوفق إلى فهمها ، وثمة شيخ عني الظهر واهن الصوت يدعو للمحسنين بالمعروف والتأييد .

قال لي أخى الأكبر والبهجة تملأ صدره :
- كيف رأيت القاهرة ؟

ومائت الكلمات على شفتي ، ولم أجد لها باباً أصنع لها منه كفناً ، ولم تكن سلكتنا الطرقات التي يقيم فيها كبار الموسرين من الأجانب والمصريين ، بل رحنا نضرب في الأحياء الفقيرة التي لا بد أن تنتهى بنا إلى « الباطنية » حيث يقطن أخى وذعلت أكثر عند ما وجدت هؤلاء النساء يصحكون ويقهقهون غيور مبالين بما هم فيه من بؤس وشقاء .

ونصمت - بعد وقت طويل جداً - أن الفكاهة والتنادر والضحك ، اغتذها المصريون وسيلة من أقوى وسائل الدفاع ، وأنهم يحاربون الظلم بالنكتة . ويقاومون العدوان بالسخرية وما من حاكم نجما من هذه الآلسن التي تطول وتطول ، حتى تلف حول عنقه وتجذبه إليها ، وليس القصد من هذا إتاحة الفرصة للأقواء أن تضحك على الطاغية المستبد ، بل القصد أن تنزله من سمائه إلى الأرض ، ويجعله في مستوى الخلق التي يربها ويمسها فلا تعود تتعاه

القارىء صوراً لما يجري في الدرجة الثالثة من قطار الصعيد . فقد اختفيت تحت أكوام الخنازير ورجعت أنسلي بالمعيت مع خواطري وأحلامي . كانت لدى فكرة غير واضحة المعالم عن القاهرة ، المدينة التي لا يأكل أهلها الطعام بأيديهم ، بل بأدوات معدنية ، ولا يركبون الخيل ولا البغال ، بل إن مطيهم الكهرباء

وكنيت مقتنعا - لفرط سذاجتي - أنه لا يوجد فيها فقير واحد فن أين يحميها الفقر على ما فيها من غنى ورفاهية وترف ، وهي تسبح في الأضواء ، ويرتاض أبناءها في حدائق يملأ عبيرها الجور ، ولا بد أنهم يأكلون اللحم مرتين في الأسبوع ، وربما أكلوه ثلاث مرات ، فإننا نحن القرويين نشقى ونبصق الدم لشغل بالذهب جيوب أهل هذه المدينة العامرة ؟

وعندما دخلتها تحطمت فكرتي التهمة عنها بين يدي ، وذعلت ؛ فما كان ينبغي أن أرى ما رأيت : الزحام على أشده كأن الناس يساقون إلى الحشر ، الاكتاف تلامس الاكتاف ، والأيدي تتدافع ، والزعرور تتواكب على سطح هذا المسجود المتلاطم ، والصرخات تنبعث من كل فم

ورأيت الفقر مثلاً في صبية حفاة عراة ، يسبحون على الأرض بين لطفة وأخرى ، يلتفتون شيئاً لا أعرفه ، والأحوال تملأ هذه الهروب التي سلكتها في طريقنا إلى المنزل

قلت : إنني همت بدخول المنزل ، وإذا
أجد نفسي أمام سيدة نصف عارية ، فتحت
باب غرفتها الأرضية ، وراحت تنظر إلينا
وكانت جميلة ، أو على الأصح لم تقع عيناي
على أجل منها ، وكانت تبسم وتحاول أن
تخفي وجهها بطرف ثوبها ، ويبدو أنها كانت
تتوقع أن ترانا على ما رأينا فيه ، وإن كانت
رغم ذلك أصرت على أن تستعرض موكبنا
في فنون . . . ١ .

أما أخى الأكبر فقد اغض عينيه وراح
بضرب الأرض بجذاته ، كالو أنه أراد أن
يؤدب بجذاته إبليس ، وبعضنا تظاهر
بأنه لم ير شيئا ، وإن كان قد راح يتابعها
بعينه . أما أنا فلم أجد من الكياسة أن
أتجاهل هذه الإنسانية ، فلففت أحملق
فيها كالو أنها هبطت من السماء . . . ١ .

وعاقبني أخى بعد ذلك عقابا شديدا . . . ١ .
وبعد العشاء اقترح بعضهم أن نذهب إلى
الأزهر الشريف ، فوافقت على الفرجة عليه ،
واستطلاع أمره . وخرجنا نحب في كساوانا ،
وقد ألفت نفسي هذه المشاهد المتأخرة
وإني لأحفظ إلى اليوم الصورة المطبوعة على
قلبي لهذا المعهد الجليل ، فقد أحسست له
رهبة ، وسرت في بدني قشيرة ، وأنا
أخطو إلى داخله . وثمة شبان مثلنا يخرجون
منه ويدخلون إليه في غير احتفال ولا مبالاة ،

وقبل أن نقرب من المنزل تفقدنا متاعنا
فإذا جانب منه مفقود ، ووقف سائق العرب
يكاد يمزق ثيابه وهو يقسم بأغلظ الأيمان
على أنه ما رأى شيئا ، وكان يرفع يديه إلى
أعلى ويدور حول العرب باحثا متعبا ، وهو
يعدم ويظهر الغضب ؛ ليؤكد براءته من السرقة .
على أن واحدا من الأزهريين القضاة
كان معنا ، فتقدم إلى سائق العرب ونظر
في وجهه ، ولجأه رأبنا يمسك بتلابيبه ويهم
بضربه ، فصرخ الرجل وكان قبيحا نحيلا ،
والأزهرى القديم علق ، وسمعناه يقول له :
- أنا أمر فك . . . ١ . عد بنا إلى القهوة
الصغيرة وأرجع ما سرقته . . . ١ .

وعاد الرجل بنا طائعا ذليلا إلى القهوة
الصغيرة المزوية في دوبر ضيق ، ولم يكن
يجلس عليها أحد ، ورد إلينا متاعنا ، وفهمنا
أن الرجل لم يصيد الأزهريين ، وبسطوا
على ما يجلبونه من قراهم من زاد ، على أنه
لم يجعل بعد أن أفرغ حله ، أن يستجدي
الحزب منا وكنا كراما فأصليناه .

وهمت بالدخول إلى المنزل الذي كان
يجاور منزل « أسرة طوم » ، وهي التي اشتهر
بعض أفرادها بالعلم ، وواحد منها ألف
كتابا ندوسه في الأزهر ، وقد أنساه الشيطان ،
والعجيب أن مدرس الخط لنا في السنة الأولى
كان من هذه الأسرة ، وهو إنسان رقيق
مذهب .

وكان فرحي أشد لائق ساركب - لأول مرة -
الترام ... ١ .

وأعاذك الله من أزهريين في عام ١٩١٨
اتفقوا على أن يرتاحوا في حديقة الحيوان ؛
فإنهم قرروا أن نمنى إلى هناك على أقدامنا ،
وقالوا : إنها رياضة . وقالوا : إنها « فرقة
كعب » ، وهكذا سرنا من الأزهر إلى الجيزة
راجلين ... ١٠٠٠ .

بلغت الحديقة وأنا ألث ، فارتميت على
مقعد هناك ورفضت الفرجة ، ورأيتهم
يتكلمون حول هذه الأسوار التي تحجب
الحيوانات ، وعادوا إلي وكنت قد استرحمت
قليلا ، فشيت معهم وأنا أعاني من التعب
والإرهاق ... ١٠٠ .

ولما اقترب موعد الخروج همتنا
بالانصراف ، وكان معنا طالب بمزاج خفيف
الروح ، فنظر إلى ورأى ما أنا فيه من جهد
وتعب ، وكان منظرى كشيئا مغرقا في البشاعة
لما أصبت به من نكدوم . وعندئذ رأيت
بوصى زملاءنا بأن يتجمعوا حولي ، ويخفوني
عن الأنظار ، ولما سألوه عن السبب قال
صاحبا :

- أخشى ما أخشاه أن لا يسمحوا بخروجه
من حديقة الحيوان ... ١٠ .

وعدنا إلى الأزهر سيرا على الأقدام . ٢

« الحديث بقية ، محمد علي غريب »

غير أن عدوام لم تصبني . فشيت على أرضه
وكأنما أمشي على جمرات من نار ... ١٠٠ .

لقد بدا لي شيئا هائلا مروعا ، لاحد
لهيبه . ورحت أطلع إلى مشارفه ، ونحن
في الفناء فتمرت في أولئك الذين يجلسون
هناك ، ويأكلون ويسمرون ويضحكون ... ١٠٠ .

وجلسنا على « الحصير » والاضواء القليلة
المتناثرة تمايل . وفي ذلك الوقت كان يضاء
بد (غاز الاستمباح) ولا أدري هل استبدلوا
به الكهرباء ... ٢ .

ونسيتا الوقت فلم نعد نتم له ، وجاء طلاب
كثيرون يسلمون على معارفهم من جماعتنا .
وفي قناء المسجد رأيت أحدهم يدخن ،
فأنكرت ذلك إنكاراً شديداً . وهؤلاء
المقيمون في الأزهر لكل واحد منهم خزانة
من الخشب يودعها ثيابه وطعامه وحذائه
ودعيت أسأل عن كل ما أراه ... كنت
مشوقا إلى أن أستوعب كل شيء من
الأزهر الذي أتاح لي الظروف فرصة
الانتساب إليه .

وفي الصباح جاء يوم الجمعة ، فتشاور كبار
الجماعة في الذهاب إلى حديقة الحيوان ،
ولا تسل عما غامرني من فرح وغبطة ، فأتى
كنت سمعت من هذا المكان الذي استطاع
الآدميون أن يجلسوا فيه الحيوانات المفترسة ،

النحو الجديد

للأستاذ على المصاوي

الفارسين ، ولا سيما المبتدئون منهم ، وفريق يرى - وهم أصحاب النيات المدخولة - أن نلغى النحو العربي جملة وتفصيلاً ، ونبدأ في وضع قواعد للعلماء ندرسها الطلاب ونعممها في جميع الأقطار العربية ، أما الفريق الثالث - وهم الرافضون مع أصحاب الكهف - فرأيهم الذي لا يجحدون عنه أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان .

وأصحاب الرأي الأول ليسوا على درجة واحدة ، بل منهم المعتدل الذي يكتفي بالتيسير دون أن يمس القواعد والأصول الثابتة في النحو القديم ، ومنهم المتطرف الذي يرى أن نهدم بعض الأصول ونقيم أصولاً أخرى مكانها ، وبين هذين الفريقين طوائف على دوجلت في هذا الأمر .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان من الواجب أن تقوم هذه المعارك ، وما نملك أن العربية استفادت منها كثيراً ، حتى الآراء المتطرفة كشفت لنا عن نواح استفدنا من إلقاء الأضواء عليها ، والحركة - دائماً - من أقوى

تهذيب النحو أو تيسيره أو تحريره أو تجديدده - على حسب اختلاف المهتمين بالدراسات النحوية في التعبير - فكري يبدو أننا سنظل زمناً طويلاً ندور حولها قبل أن نقف أقدامنا على أرض صلبة نبدأ منها الطريق .

والحديث في النحو - على هذا النحو - ليس وليد يومنا هذا وإنما تمتد جذوره إلى أوائل هذا القرن .

وقد فوجئت لهذا الحديث بيوت كثيرة ، وتساءلت فيه أفلام كتاب كبار ، وصغار أيضاً . وكانت الصحف والمجلات - في أول الأمر - هي الميدان ، ثم ألفت الرسائل والكتب ، وألقيت المحاضرات ، وقامت المناظرات .

وكانت الآراء تشجر وتعتك ، ويحتمد بينها الخصام والنضال ، ثم يتفرج غبار المعركة عن وجهات نظر ثلاث :-

فريق يرى - وهم الأكثرون - أن نلتزم طريقاً - أي طريق - لتيسر النحو على

هذه واحدة . أما الثانية ، فنحن لا ننكر أنه من حق كل إنسان أن ينقد ، وأن يقول ما حلّاه من القول ، على أن يكون قوله موضع نظر العلماء ، ولكن الذي لا يقره منصف أن يجعل الإنسان - مهما كانت مكانته - من نفسه ناقدا وحكما ، وأن يعطى لنفسه الحق في أن يفرض آراءه على الآخرين . فقد كانت الآراء الجديدة في النحو أو في البلاغة ، أو في أي علم آخر تطلعتنا في المجلات أو في الكتب فلا نرى بأسا ، بل نحمد لأصحابها غيرتهم ونأمل أن تكون لهذه الأبحاث نتائجها الطيبة ، ولكن الذي حدث في الأعوام الأخيرة أن وزارة التربية والتعليم فرضت على التلاميذ دروسا في النحو هي مجرد آراء فردية ، ولكن الواجب ألا تبسح الوزارة هذا حتى ترجع إلى الجامعات القوية وإلى الهيئات العلمية التي تعنى بدراسة النحو العربي ، وأنا لا أعتقد أن هيئة ما تستطيع أن تغير في علم من العلوم دون أن ترجع إلى ذوي الاختصاص في هذا العلم ، فهل يمكن في نظر وزارة التربية والتعليم أن يقوم جماعة من الأساتذة بوضع آراء جديدة في التاريخ أو الجغرافيا أو الطبيعة أو الكيمياء حتى تبيع لنفسها فرض هذه الآراء في مدارسها ؟ وإذا كان ذلك لا يمكن في نظر الوزارة بالنسبة لهذه المواد - وهو ما نعتقده - فكيف كان كافيا في النحو العربي ؟ .

أمارات الحياة . ولا خير على النحو من استمرار هذه الخصومات ، أو على وجه الدقة هذه المصاومات التي يكون الوصول إلى الحق رائدتها في أغلب الأحيان .

وقد رأيت أن أعيّد فتح هذا الباب في مجلة الأزهر بسبب ما ظهر من كتب في السنوات الأخيرة تعالج هذا الموضوع ، منها كتاب النحو المنهجي ، وكتاب تحرير النحو ، وقد كان لذين الكتابين شأن على ، وشأن آخر تربوي ، ولذلك سنناقشهما - أولا - ثم نلقى نظرة على الكتب الأخرى .

وقبل أن أعرض لمناقشة ما في الكتابين من مادة علمية أحب أن أقدم بعض المسائل العامة .

القواعد والأصول المقررة في العلم - أي علم كان - أمانة يجب المحافظة عليها ، وليس معنى ذلك أن نقدها فلا نبسح لأحد أن يناها بنقد أو تخرج ، ولكن معناه أن نزن كل نقد بوجه إليها بميزان منصف عادل ، وأن ندافع عنها وقاضل دونها إذا رأينا أن الناقدين يبعدون عن المحجة حامدين ظالمين . وربما كان من الحفاظ على هذه الأمانة وحسن الرعاية لها أن نعين من ينقدها بحق وأن نشد أروءه ؛ لأن الذين تركوا لنا هذه الأمانة قضوا أعمارهم في خدمتها وتهذيبها ، ولم يحطروا علينا أن ننظر فيها وأن نقوم ما قد نراه من أحوال لم يروه في بنائها .

القراء ، وقلبا يفلح في إقناع أحد .
وقد وقفت على أمرين في كتاب النحو
المنهجي لم أحدهما للذؤف ، وأخشى أن يكونا
سبياً في الغرض من قيمة الكتاب ، وفي رمى
صاحبه بما أظن أنه منه براء .

أول الأمرين : أنه غاب على النحاة المتقدمين
إهمالهم صيغ التعجب السباعية . فقال في صفحة
(٣١) : « وأسلوب التعجب لا يعرف
النحويون منه إلا الباب التقليدي المتوارث
الذي هو باب ما أفعله وأفعل به ، وينحدثون
عنه ، ويضيضون فيه ، ويضمون له الشروط
الكثيرة التي تبيح للتكلم أن يتمجب أو تحرم
عليه ألا يتمجب ، ونحدد الصور التي يتمجب
بها تمجبا مباشرا أو بالواسطة ، ولعله
يكون أجدى من هذا كله على أبنائنا أن
تقدم إليهم أساليب التعجب الأدبية التي تفيدهم
فيما يقرءون أو يكتبون ، ولست أريد أن
أهدر صيغة (ما أفعله وأفعل به) ولكني
أريد أن أقدم للتعلمين إلى جانبها قول الله
تعالى : وكيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا
فأحياكم ، وقول عنتره :

له در بنى حبس لقد نسلوا

من الأكارم ما لا تنسل العرب

وقول المتنبي في سيف الدولة :

وكيف تعلقك الدنيا بشيء

وأنت لملكة الدنيا طيب

إن الآراء الجديدة التي تضمنتها كتب
الوزارة في حاجة شديدة إلى البحث من جديد
وبعضها عورض من علماء لم مكاتهم في العلم ،
وكلني على الوزارة أن تأخذ عبرة من كتاب
(إحياء النحو) فإن هذا الكتاب أحدث
دوباً في الأوساط العلمية ولكن أحداً
لم يأخذ بالنظريات التي جاءت فيه ، ولم تستطع
هذه النظريات أن تأخذ طريقها إلى أي هيئة
علمية فتدرس فيها دراسة رسمية . على أننا لو
أبحنا لكل أستاذ أن يتناول مادته على الطريقة
التي تتوول بها النحو لأشعنا الفوضى في العلم ،
ولشككنا الدارسين فيما يدرسون ١ .

لا بأس أن يناقش الأستاذ مع طلابه
المقدمين في الدراسة بعض ما يمن له من آراء
ولا بأس أن ينشر هذه الآراء على الناس
ليروا فيها رأيهم ، أما أن أستاذاً أو مجموعة
من الأساتيد يفرضون آراءهم على آلاف
مؤلفة من المعلمين الناشئين ليقولوا لهم : إن
هذا هو العلم ولا علم سواه ، فذلك أمر
خطير ، جد خطير .

والمسألة الثالثة تتعلق بكتاب النحو المنهجي ،
ذلك أنه يجب على كل من يحاول أن يهدم
قديمًا ، ويقيم مكانه جديداً - ضرورة إشاعة
الثقة به في نفوس القراء - ألا يلجأ إلى
المغالطات ، ولا إلى التجاهل ، فإذا أخطأ
التوفيق في هذه المسألة كان موضع تهمة من

وثانيا : هل صحيح إن دراسة هذه الصيغ السماعية أجدى على التلاميذ من دراسة ما سماه بالباب التقليدى ؟ وهل صحيح - كذلك - أنها أولى بالدراسة ؟ لقد وصف المؤلف الباب التقليدى فقال : إن النحويين أفاضوا فيه وأصافوا إليه الشروط الكثيرة التى تبيح للتكلم أن يتعجب أو تحرم عليه ألا يتعجب ، وتحدد الصور التى يتعجب بها مباشرة أو بالواسطة ... فأيهما أجدى على الطالب الناشئ أن تضع فى يده قاعدة وتحرره حل استخدامها ، وهذه القاعدة يستطيع بها أن يستخرج من المادة الخام مادة صالحة للاستعمال كلها أراد ، أم أن تحفظه عددا من الصيغ ١٩ .

أظن الجواب واضحا ، بل أعتقد أن هذا المنطق لا يسعفنا فى النحو وحده بل فى كل علم وفى كل فن ، بل وفى شئون الحياة نفسها . القياس ، والسماع ، أيهما أكثر فائدة ؟ وأيهما أصون على القراءة الصحيحة ، والكتابة القويمة ؟ .

وثالث الأمرين أن المؤلف أراد أن يثبت أن أكثر النحو غير محتاج إليه ، ولو قال هو هذا الكلام لكان قولا ، ولكنه أراد أن ينسب للتقدمين ، وبالضرورة لا تكون له الأهمية البالغة إلا إذا كان رأى المتقدمين كلهم ، وعلى ذلك ساق كلامه موهما أنه رأى

وقولم : (واما لك ، واه حرة فارسا) ... وهكذا نجد كثيرا من الأمثلة فى الأساليب الأدبية تفيد التعجب ، ولم تعرض لها النحاة ، ودراسنها للبادئين أولى .

فأولا : متى أهمل النحويون الأساليب التعجبية ؟ وكيف يحكم عليهم عالم أطال النظر فى كتبهم بأنهم لم يعرفوا من التعجب إلا الباب التقليدى ١٩ .

بين بنى الآن - وأنا أكتب هذا المقال - كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لمؤلفه جمال الدين بن هشام ، وهو من أكثر الكتب تداولاً ، ومن الكتب المقررة دراساتها فى المعاهد الدينية التابعة للأزهر ، وفى كثير من دور التعليم خارج مصر ، وهو من عليه شرح كبير ، يقول مؤلفه (باب التعجب) هذا هو عنوان الباب ، وفى أول سطر يقول : « وله عبارات كثيرة نحو كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ؟ سبحان الله ، إن المؤمن لا ينجس . » وه حرة فارسا . والمجوب له منها فى النحو اثنتان ، فكيف يسوغ بعد ذلك أن يقول رجل هو من دارسى النحو والمؤلفين فيه أن النحويين لا يعرفون منه إلا الباب التقليدى ، وأن النحاة لم تعرضوا للصيغ السماعية ١٩ . على أن المطولات فى النحو ، وكتب البلاغة ، تعرضت للأساليب التى تفيد التعجب ، وكلها مما يدرس فى دور العلم .

هم المتقدمون ؟ ومن هم النحاة ؟ أم المتقدمون أم غيرهم ؟

وإذا تجاوزنا عما هو واضح من قصد الإيهام في كلامه وأنه لم يحدد من المتقدمين أحدا ينسب الرأي إليه غير ابن الأثير ، وقد كان يمكنه أن يقول : ورأى ابن الأثير من المتقدمين إلخ . إذا تجاوزنا هذا نجد أن المتقدمين أو أكثرهم - على الأقل - يرون أن النحو كله ضروري ولا يقيم أمثوا أعمارهم ؟ . وقد نقل الجاحظ في كتاب الحيوان عن الخليل بن أحمد أنه قال : « لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه . قال أبو شمر : إذا كان لا يتوصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه فقد صار ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه . »

وابن الأثير يتكلم - فقط - في إلهام المعنى . وليس الغرض من النحو منحصر في هذا المقصد ، بل للنحو أغراض كثيرة لا يجهلها أحد من المهتمين بدراسه ، ونلفت النظر هنا بصفة خاصة إلى ما كتبه إمام البلاغة والنحو الشيخ عبد القاهر الجرجاني في مقدمة كتابه (دلائل الإعجاز) عن النحو .

هذا . وموعدا بمناقشة هذا الكتاب ، وصنوه «تحرير النحو» مناقشة علمية المقال الآتي (إن شاء الله) ؟

على الصمري

المتقدمين وهو في الحقيقة رأى واحد من متأخريهم ، قال في صفحة (٥٠) : « وقد اعترف المتقدمون بأن النحاة أدخلوا في النحو ما لا يحتاج إليه ، بل قرروا أن أكثره غير محتاج إليه ، قال ابن الأثير في النحو : « وهو أول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن معرفة اللحن ، ومع هذا فإنه وإن احتج إليه في بعض الكلام دون بعض بضرورة الإلهام فإن الواضع لم يخص شيئا منه بالوضع ، بل جعل الوضع عاما ، وإلا فإذا نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج إليه في إلهام المعنى . »

فأنت ترى أن الرأي رأى ابن الأثير وحده ، ولكن المؤلف نسب إلى المتقدمين جملة (وقد اعترف المتقدمون) لا أحدهم (بل قرروا) وهم المتقدمون أنفسهم وأصينهم بجملة وتفصيلهم ، وإلا فما هذا الإصرار على نسبة القول إليهم ، فقد عاد في صفحة (٥٢) - وقد كان هذا الرأي لابن الأثير فيما صرح به - فقال : « وقد فكر المتقدمون في مسائل النحو ، ورأوا أن لا يدرس منه إلا الضروري ورأوا أن أكثره غير محتاج إليه ، وقد تقدم رأى ابن الأثير في هذا . » على أن في العبارة اضطرابا (وقد اعترف المتقدمون بأن النحاة أدخلوا) . فمن

هل ينفع الميت بعمل الحى ؟

للأستاذ عمر عبد الوهاب الجندى

والتم والزبيب . والثواب ليس من الأعيان الموجودة بل معنى من المعاني فهو عدم ، ويتضمن ثانياً أن يكون المهدى له أو الموهوب له موجوداً وهو هنا الميت معدوم فلا يتم التسليم والقبض بين الطرفين ؛ لذا لم يثبت أن النبي عليه الصلاة والسلام فعل قربة من القرب ، وأهدى أو وهب ثوابها إلى الأموات تشريعاً لأنه لا شيء الذى كان له وفاء رحيم بها حريصاً عليها ولو فعل ذلك ولو مرة لتوفرت الدواعى على نقله ، والعمل به من الصحابة لأنه من الشعائر الدينية التى يشهد بها الجمل الغفير منهم وكانوا أحرص الناس على الاقتداء به فى فعل ما لم يكن من اختصاصه فى العبادات والمباحات التى أتى فيها بما يدل على مشروعيتها ، كواظبته على الإتيان بها بكيفية مخصوصة كالأكل والشرب واللبس والنوم . والمتفق عليه أنه لم يرد عن أحد من السلف أنه فعل قربة من القرب كتلاوة القرآن وأهدى أو وهب ثوابها إلى الأموات . وهم القدوة للأمة فى نقل التشريع إليها من النبي عليه الصلاة والسلام والعمل به فى العبادات ، فليس لغيرهم التعبد

إن القرب سواء كانت عبادة بدنية محنة كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن . أو مالية كالصدقة أو مركبة منهما كالجهاد لا تحقق ويعتد بها ويجازى عليها إلا بالنية ، وإنما الأعمال بالنية ، ولكل امرئ ما نوى ، وتمرتها تقوية للإيمان ، وإيقاظ القلوب ، وتطهير النفوس من الأمراض كالخسد والحقد ، وإعدادها لائقاء سلطان الله وغضبه بإتباع سبيل الحق مع الخالق والخلق ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر . ، كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، ، وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون . . فصل القرب وينتج من الحى لا من الميت ثمرتها وثوابها يكونان له ولا يتقبل ثوابها منه إلى الميت بالإهداء أو الهبة ؛ لأن الإهداء بعك المهدى به إلى المهدى له تكريماً له ، والهبة تمليك الموهوب للموهوب له بلا عوض ، ولا يتم كلاهما إلا بالتسليم والقبض وهذا يقتضى أولاً أن يكون المهدى به ، والموهوب من الموجودات كالذهب والفضة

ولا يقاس على الصدقة من الأولاد عن والديهم صلاحهم لها وصيامهم لها وحجهم وجهادهم عنهما ؛ لأنها أعمال بدنية محضة صادرة من الأولاد بنية منهم ولا دخل للوالدين فيها بعمل ونية ، بخلاف الصدقة فإنها ليست عملاً بل هي تنازل عن مال للوالدين حق فيه ، أنت ومالك لأبيك .

وأما عمل القرب لليت من غير الأولاد من صدقة وغيرها فلم يرد بهواز فعلها نص من كتاب أو سنة ففعلها لليت عمل بال رأى وتشريع بالم يأذن به الله وعدم انتفاع المرء حياً أو ميتاً بعمل الخير قريبة له هو ما ترشد إليه الآيات القرآنية ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . . . ثم توفي كل نفس ما كسبت . . . اليوم نجزى كل نفس بما كسبت . . . هل تجزون إلا ما كنتم تعملون . . . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . . . وهذا التشريع هو ما تقتضيه العدالة الإلهية وتستقيسه العقول السليمة وتقبله الطباع المستقيمة ، لأن به تنقطع طماعية العاتين في الأرض فساداً في حياتهم الدنيوية ، اعتماداً على شناعة الشافعين لهم من الصالحين ، وما سيفعل لهم من القرب بعد وفاتهم غير تائبين كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن لهم وما يسمونه العتاقة وهي قراءة عدد مخصوص من سورة الإخلاص لتعق رقبة المذنب من النار ، وما يسمونه

بما لم يصعدوه ، ففي سنن أبو داود عن حذيفة ابن اليمان : كل عبادة لم يتبعها أصحاب رسول الله فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً ، فاتقوا الله يا معشر القراء ، وخذلوا طريق من كان قبلكم . . . ولم يشرع الله من القرب لليت إلا أمرين : أحدهما الدعاء له في صلاة الجنائز وزيارة القبور وغيرها كما شرعه للأحياء بعضهم لبعض كما ورد في الكتاب والسنة ، لا ليكون ثوابه للمدعوله حياً أو ميتاً بل ثوابه للداعي لأنه عبادة بدنية محضة له وإنما شرعه الله رجاء تفضله على المدعوله برحمته وتجاوزه عن سيئاته ، فهو من قبيل الشفاعة التي يأذن الله بها لمن يشاء ويرضى من عباده وهو المختار في قبوله ، وعدم قبوله ، وثانيهما الصدقة من الأولاد عن الوالدين بالاتفاق .

وقد تصدق سعد بن عبادة بمخرف وبتان ، له عن أمه ، وحضر بئرا بالمدينة المنورة لسقي الماء صدقة أيضاً عن أمه ، ويسمى إلى الآن بئر أم سعد ، وذلك بإرشاد النبي عليه الصلاة والسلام له بأن صدقته عن أمه نافعة لها ، فالصدقة من الأولاد عن والديهم في الحقيقة من سعى الوالدين ؛ لأن أولادهما من عملهما وسميها وكسبها كما ورد في الأحاديث الصحيحة فهي داخلة في عموم الآية « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » .

السبعة ، وهى ذكر عدد مخصوص من التسيحات والتهليلات له وغير ذلك من البدع التى لم يرد بها شرع وتجبها العقول الواعية ؛ لأن المريض لا يشقى بشرب غيره الدواء عنه ، ولا يشبع الجائع بأكل غيره الطعام عنه ، ولا يستريح الجسم المتعب بنوم غيره عنه بل نجاة المرء وفلاحه لا تكون إلا بتزكيت نفسه بالإيمان الصحيح والعمل الصالح الخالص لله كما أن شفاؤه لا يكون إلا بانحرافه عن الطريق القويم الذى هدانا الله إليه لا بانحراف غيره عنه .

قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال : « قد أفلح من زكاهما » ، وقد غلب من حساسهما . إن الذى عليه الصلاة والسلام وهو أذكى الخلق نفساً وأعظمهم خلقاً وأتقاهم وأخلصهم لله عملاً لم يجرم بقبول عمله ولا يندى مائة أمره . كما ورد فى الكتاب والسنن قال تعالى : « قل ما كنت بدعاً من الرسل ، وما أدرى ما يعمل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى ، وما أنا إلا نذير مبين » . وعنه عليه الصلاة والسلام : « لا أدرى - وأنا رسول الله - ماذا يفعل بى ، وعنه عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل أحد الجنة بعمله » ، قالوا : « ولا أنت يا رسول الله » ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » . فكيف نركن إلى رأى من يقول : إن عمل القرب من الحى

للميت نافع له عند الله ، وهو ليس عملاً له ولم ينوه ولا تمقل النيابة فيه لأنه عبادة لفاعله . إن هذا التشريع أقرب إلى الهزل منه إلى الجد لأنه يسوى فى القبول عند الله بين من زكى نفسه ونهاها عن الهوى بمن اتبع نفسه هواها فضل وغوى ، وهذا تأباه العدالة الإلهية . قال تعالى : « أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » . ثم درجت عند الله والله بصير بما يعملون . « قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » . « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون » . « إلى غير ذلك من الآيات التى تحقق العدالة الإلهية بين الباد والفاجر . إن تشريع انتفاع الميت بعمل القرب له من الحى كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن والصدقة من غير الأولاد لم يرد به كتاب ولا سنة ، بل تشريع بارأى كتشريع الأحبار والرهبان غفران خطيئات المخطئين من أهل ملتهم ؛ بصلاتهم لم وصيامهم وتزويل المزامير من النوداة والإنجيل لم والتصدق بالقرايين عنهم وما ورد من الأحاديث الظنية الثبوت التى تنفذ انتفاع الميت بعمل القرب له من الحى كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن ، مخالفة لظاهر القرآن القطعى الرواية المحكم الآيات فإنه صريح فى أن المرء لا ينتفع إلا بعمله وكسبه ، لا بعمل

ذو القرنين في القرآن والتاريخ للأستاذ عمر الطيبي

الغريين، وقد سبقه إلى هذا الاستنتاج مولانا أبو الكلام آزاد وزير المعارف السابق في الهند بمقالات طويلة نشرتها مجلة «ثقافة الهند» الغراء في أعدادها الصادرة عام ١٩٥٠ وقد زاد على ما قاله الأستاذ نور الحق بنشر صورة تمثال لقورش على رأسه صورة حية تمتد من الوجه حتى مؤخرة الرأس كأنها تمثل قرنين ١. وعرف مكان السد تعريفا يخالف ما ذهب إليه الأستاذ نور الحق ، كما تحدث عن «دوبند» أو «باب الأبواب» ليؤكد أنه مكان آخر غير السد .

فالأستاذان أبو الكلام ونور الحق ، اتفقا على القول بأن قورش هو ذو القرنين ، واستنجا هذا القول من بعض أسفار التوراة ومن أقوال بعض المؤرخين غير المسلمين . واختلما في تعيين مكان السد ، وأسما الأستاذ نور الحق بعض أصحاب الأسفار أنبياء مع أنهم ما ذكروا بين الأنبياء لاق القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ، وفي حين أن الذين يعترفون بنبوتهم ، ويحرصون على أن يقيموا دولة إسرائيل من بين الأموات بداعي أن هذا ما وعد الله به ، ينكرون نسبة تلك

نشرت مجلة الأزهر الغراء في عددها الصادر في شهر صفر ١٣٧٩ مقالا مطولا بتوقيع الأستاذ نور الحق تنوير عنوانه «ذو القرنين في القرآن والتاريخ» ذهب فيه إلى القول بأن قورش الفارسي هو المقصود بذى القرنين ، وقد جاء المقال كما قال في أوله ، تعليقا على نقاش دار على صفحات جريدة «الأخبار» الغراء التي تصدر بالقاهرة بين الأستاذين العقاد والعرالي نفي فيه الأستاذ العقاد الرأي الذي ذهب إليه عامة المفسرين «كذا» من أن يكون الإسكندر المقدوني هو ذو القرنين الذي ورد ذكره في سورة الكهف ، وتابع الأستاذ الغزالي رأى المفسرين لجاء الأستاذ نور الحق ليقول إن ذا القرنين هو قورش الفارسي .

لنت فظري في مقال الأستاذ نور الحق أمور رأيت أن أتحدث عنها رجاء أن يواصل أهل الفكر والاختصاص البحث حتى تقين الحقيقة .

الأستاذ نور الحق استنتج ما قاله عن قورش مما جاء في بعض أسفار التوراة المتداولة اليوم ، ومن أقوال بعض المؤرخين

وجنوباً فلم يقف حيوان قدامه ولا منقذ من يده .

ثم يقول الأستاذ : إن دانيال فرمذه الرؤيا في البقرة ٢٠ من نفس الإصحاح بقوله : « أما الكبش الذى رأيته ذا القرنين فهو ملوك مady وفارس » .

يرى القارىء أن كاتب السفر لم يقل : « إن الكبش من ملوك مady وفارس بل قال ملوك مady وفارس ، فهل كل ملوك مady وفارس يحملون لقب « ذو القرنين » ؟ ١٤ . وقصة الكبش والاستدلال بها ، والاستنتاج منها ، معروفة قبل أن يستتج منها الأستاذ فقد جاء في مقال البرنس عمر طوسن نشر في عام ١٩٣٠ م ما نصه :

« ولفظ ذى القرنين كنى به مؤلفو العرب الإسكندر المقدوني ، وقد أثبت الأستاذ برنشيا مدير المتحف الرومانى بالإسكندرية في محاضرة ألقاها أخيراً أن هذه الكنية صحيحة ، وأن الإسكندر لما فتح مصر وزار معبد الإله آمون بواحة سيوة ، وكان هذا الإله يرمز إليه بكبش ذى قرنين جعلته كهنته ابناً له فاتخذ هذا الشعار . وأيد الأستاذ برنشيا ذلك بما عثر عليه من قطع النقود التى عليها صورة الإسكندر بشعاره هذا ، (مجلة السيدات والرجال ص ١٥٨ السنة ١١ فى مارس ١٩٣٠ شوال ١٣٤٨) .

وإن فأسطورة الكبش معروفة قبل دانيال ،

الأسفار التى نقل عنها . لأصحابها ، ولا يقولون بما جاء فيها . ويطلبون الحديث عن خلاف بين نسخ الأسفار التى يعترفون بها ، ويمزونه لأسباب يطول شرحها ، تحدث عنها الذين فروا التوراة أو ألفوا تواريخ لتأييد ما جاء فيها من حوادث وأحداث .

ويزيد بعضهم بالاستنكار فيؤكد أن كاتب سفر دانيال . وقد استشهد الأستاذ أبو الكلام ونور الحق ببعض ما جاء فيه . يهودى مجهول اسمه ، كتبه فى آخر مدة الجلاء البابلي أو بعد صدور أمر قورش بعود بنى إسرائيل (المطران يوسف الدبس فى تاريخ سورية ص ٢٥٦٠ ج ١ وص ٥٨٧ وقد تحدث فى تاريخه عن الخلاف بين النسخة السبينية وغيرها وعن الخلاف فى سفر القضاة ومن كتبه ومضى كتب وعن القول بأن أسفار الملوك متعددة الأقلام وعن أخطاء النساخ) .

الكبش ذو القرنين :

نقل الأستاذ نور الحق الفقرات ٣ - ٥ من الإصحاح ٨ من سفر دانيال وفيها : « ورأيت فى الرؤيا وأنا أصبر نهر أولاي فرفت صيني ورأيت ، وإذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان ، والقرنان عالبان والواحد أعلى من الآخر . وللأعلى طالع أخيراً . رأيت الكبش ينطع غرباً وشمالاً

قرناه يختلفان عن قرني شمال قورش الذي
استشهد به مولانا أبو الكلام :

سفر عزرا أيضا :

أراد الأستاذ نور الحق أن يثبت أن
قورش كان ملهما فنقل فقرات من الإصحاح
الأول لسفر عزرا، وسفر عزرا من الأسفار
التي استنكرتها طوائف مسيحية تلعب
حكوماتها بالعالم ، فقد روى المطران ديس
« ص ٦١١ ج ٢ م ١ من تاريخه استنكار
من أسماهم أهل الانتقاد لهذا السفر ثم دافع
عن صحته لأن طائفته تعترف به . »

وذهب الأستاذ نور الحق إلى أن قورش
من معتنق الديانة الزردشتية وأنها أقرب إلى
الإسلام من الديانات الأخرى . وقد أسهب
أبو الكلام في الحديث عن الزردشتية حتى
كاذ أن يقول بأنها من الأديان السايوية !
وهذا ما نسمعه وما نقرؤه لأول مرة .

من هم يأجوج ومأجوج ؟

وليحين الأستاذ نور الحق القبائل والأقوام
التي سميت يأجوج ومأجوج ، يرجع إلى سفر
حزقيال فينقل عنه الفقرة ٢ من الإصحاح
٣٨ ونصها : « يا ابن آدم اجعل وجهك على
جوج أرض مأجوج رئيس روش ماشك
وتوبال وتنبأ عليه . »

وقد رجعنا إلى سفر حزقيال (طبعه

لمنفعة الكنائس الشرقية ولیم واطسن في لندن
سنة ١٨٦٠ م على النسخة المطبوعة في روسيا
سنة ١٦٧١ م باسم « كتاب المقدس المشتمل
على كتب العهد العتيق الموجودة في الأصل
العبراني وأيضا كتاب العهد الجديد » ، فإذا
بنص الفقرتين الأولى والثانية من الإصحاح
٣٨ هكذا : « وكان إلى قول الرب قائلا .
يا ابن البشر اجعل وجهك على أجوج أرض
ماجوج رئيس راس ماساخ وتوبال . »

ثم نقل الأستاذ نور الحق الفقرة الثانية
من الإصحاح العاشر من سفر التكوين وهي :
« بنو يافث جوير ومأجوج وماداي وباران
وتوبال وماشك وتيراس . »

وقد رجعنا إلى كتاب المقدس الذي نقلنا
عنه ما جاء في سفر حزقيال فإذا بالفقرة الثانية
من الإصحاح العاشر هذا نصها بالحرف :
« فبنو يافث غامر ومأجوج وماداي وباران
بالواو لا بالراء . وتوبال وموشوخ وتيرس .
فإذا لجأنا إلى التأويل ونقلنا أن « جومر »

ترجمها بعضهم « غامر » و « مادى » وسمها
بالآلف بعد الدال ، و « ماشك » تعنى
« موشوخ » أو « ماساخ » وتيراس تحريف
روس أو روش أو راس فاقول في يأجوج
كما نقل الأستاذ ، ومأجوج كما نقلنا عن
« كتاب المقدس » في حين أن حزقيال دعى
كما جاء في النصين أن الرب قال له : اجعل وجهك

المباني سلاماً للرجحان ليخبره عن السد وهل فتح كما رأى في الرؤيا أم لا . وقرأوا كتاب جنكيزخان قبل أن يغزو بلادهم إلى سلطان خوارزم لما هدده بالغزو وقد ذكر فيه بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله اتركوا الترك ما تركوكم وبما روى من فتح السد . وقد نشر الأستاذ (طنطاوى جوهرى) وعنه أخذنا ما تقدم عن كتاب جنكيز خان ، صورة خريطة لبلاد يأجوج ومأجوج والسد ، قال : إن صديقه الشيخ محمد غفر الدين المدرس بمدرسة دار العلوم رسمها ، كما أن الأستاذ الجوهرى قال : إن عالماً مسلماً روسيا من أوقاف يدعى الشيخ عبد الله زاره وتعرف إليه ، وغاطبه باللغة العربية الفصحى ، وقال له : إنا نحن المغول يأجوج ومأجوج والنتر فريق من تلك الأمم د من ص ٢٠٠ إلى ٢٠٦ /٩ تفسير طنطاوى جوهرى وحديث الشيخ عبد الله في ص ٢٠٥ ، .

والعرب اليوم في حاجة ماسة لمعرفة يأجوج ومأجوج وللاستعداد للطوارئ لا سيما إذا صح ما كانت كتبه بعض الهيئات العربية السياسية من أن الكثرة من اليهود الذين نزلوا فلسطين من الخزر الذين اعتنقوا اليهودية ، وبعد أن قرب وقت خروج يأجوج ومأجوج وبلت النذر ومنها ما يقع اليوم في العراق من الشيوعيين الذين

« على جوج » أرض مأجوج لجعل جوج اسم أرض لا اسم قبيلة ، ولا اسم أمة ولم يذكر لفظة يأجوج البتة ! .

على أن أبا الكلام نقل نص نبوة حرقياى كما يلي :

وصلنى كلام الرب قائلا : يا ابن آدم ول وجهك شطر جوج وتنبأ منده ، نعم شطر جوج الذى هو رئيس أرض مأجوج ، ومسك ، وتوبال فقل له إلخ .

ثم فسر بقوله : « وصف جوج بأنترئيس مسك » و « توبال » فكان النبوة صورت موقع « سبي تين » الجغرافى بهذا الوصف فليس « مسك » إلا ما نسميه الآن بموسكو أما توبال فهى بلاد البحر الأسود المرتفعة . (ص ٣٠ - ٣١ العدد الثالث من ثقافة الهند الصادر في سبتمبر عام ١٩٥٠) .

العرب عرفوا بأجوج ومأجوج :

والعرب عرفوا بأجوج ومأجوج دون توسط أسفار من التوراة لما حدثهم الله سبحانه وتعالى عنهم في سورة الكهف وحدثهم في السورة نفسها عن ذى القرنين ولما أنذرهم الله بخروجهم بقوله في سورة الأنبياء :

« حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل جنب ينسلون » - الآية ٩٦ - وسمعوا ورووا الأحاديث النبوية التى تمحدث عن أمى يأجوج ومأجوج ، وأرسل الواقع باقه

وقال : وقد جاء في حديث أنه كان من حمير وأمه رومية ص ١٠٤ : ٢ تاريخ ابن كثير « الطبعة الأولى » .

والزحشرى قال : إسكندر ولم يزد ، والمؤرخون : يقولون إن هناك ملكين اسم كل واحد منهما إسكندر ، وفي الجلائن قال : إن اسمه إسكندر وبذا يتفق الإجماع ، وقد ألف الشيخ راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي في الإقليم السوري المتوفى من بضعة سنوات رحمه الله ، رسالة أبد فيها أن ذا القرنين من العرب ، ومعلوم أن العرب في جاهليتهم كانوا أبرع منا اليوم في معرفة جغرافية العالم فضلاً عن أنهم جلسوا خلال الديار الروسية .

والمفسرون المعاصرون أيضاً :

والمفسرون المعاصرون قالوا بأنه إسكندر المقدوني فطنطاري جوهري قال : إن كثيراً من العلماء يقول : إنه إسكندر الرومي بن فيلنش وهناك رأى آخر أنه من حمير واسمه أبو كرب بن إفريقش وإفريقش هو الذي رحل بجيوشه إلى ساحل البحر الأبيض فأتى تونس فسميت القارة كلها باسم إفريقيا . والأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق قال : هو عبد صالح ملكه الله الأرض وأعطاه السلم والحكمة

يتذكرون الدين الإسلامي والقومية العربية أيضاً ، ومعرفة بأجوج وماجوج والوصول إلى السد واكتشافه من جديد سهل ميسور في عهد الجمهورية العربية المتحدة .

المفسرون لم يجمعوا :

والغريب أن الأستاذ نور الحق بعد أن نفى أن يكون بوسع الإسكندر أن يبنى مثل هذا السد العظيم قال « وربما اختلط هذا الأمر على بعض المؤرخين الغربيين فنسبوا هذا السد إليه متأثرين بما ذهب إليه المفسرون المسلمون من أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني (آخر الصحيفة ١٧٩ من مجلة الأزهر) . وإذا رجعنا إلى ما قاله مفسرو القرآن الكريم لا نجد أنهم أجمعوا على أن ذا القرنين هو الإسكندر . فالتبري على الرغم من أنه روى حديثاً أن يهوداً جاءوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين فأخبر عما جاءوا يسألون وأجابهم أنه روى بنى الإسكندرية إلى آخر ما في تلك الرواية فالحديث في سنده شيخان لم يسميا ، وقد استنكره ابن كثير وزاد أن ذا القرنين كان في عهد إبراهيم الخليل عليه السلام وروى ما قيل من أنه عربي وتوسع في هذه الرواية في تاريخه ونقل أبحاثاً لأحد المحققين مطالعها : قد كان ذو القرنين جدى مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتمجد

الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٩٣ ميلادية وقد قال المطران : إنها صورة ملك الفرس وجدت في سهل مرغب ، يعني مرغاب ، حيث كانت عاصمة الفرس وعلى رأسه تاج في أسفله حية وعلى كتفيه أربعة أجنحة جناحان مرتفعان إلى ما فوق وآخران متدليان إلى أسفل إشارة إلى السلطة الملكية بحسب اصطلاح الآشوريين ويده الواحدة مرقعة لنبأ أو إصدار أمر . هـ .

والناظر إلى الصورة يرى خطوطاً في أعلاها تظهر فيها آثار حروف معدودة بينا الصورة التي نشرها أبو الكلام أشد وضوحاً والأحرف ظاهرة والأسطر ستة ولكنها ما ترجم الكتابة أولم يطلع على ترجمتها .

فأبو الكلام لم يكن أول من نشر صورة التمثال في مجلة عربية ، وقد يكون أول من قال بأنها تدل على أن قورش هو ذو القرنين والقرنان في الصورة أقرب إلى الوم وهما يختلفان عن قرني الكبش في الاتجاه وفي أنهما صورة حية فوقها بعض الصور .

سورة السد :

أما مكان سد يأجوج ومأجوج فقد قال الأستاذ نور الحق تنوير أنه سد « دربند » التي يسميها العرب « باب الأبواب » في حين أن أبا الكلام آراد في أن يكون سد « دربند » هو السد الذي بناه ذو القرنين

والسلطان وقيل في كما يشهد له ظاهر قوله تعالى (ياذا القرنين) وسمى ذا القرنين لبلوغه المشرق والمغرب فكأنه حاز قرني الدنيا وليس هو الإسكندر المقدوني تليد أرسطو بل كان قبله بقرون .

والسيد قطب قال في كتابه « في ظلال القرآن » : لقد سأل سائلون عن ذي القرنين سألو الرسول صلى الله عليه وسلم فأوحى إليه الله بما هو واردهما من سيرته وليس أماننا مصدر آخر غير القرآن في هذه السيرة فنحن لا نملك التوسع فيها بغير علم . وقد وردت في التفاسير أقوال كثيرة ولكنها لا تعتمد على يقين وينبغي أن نتوخد بحذر لما فيها من إسرائيليات وأساطير .

وصورة التمثال ليست بمريل :

وصورة تمثال قورش التي نشرها أبو الكلام آراد في ثقافة الهند والتي قال : إنه عثر عليها في المرغاب على الحدود الإيرانية الفارسية لا تنهض حجة ولا تعد دليلاً على أن قورش هو ذو القرنين وقد رأيت هذه الصورة قبل نصف قرن قبل أن أسمع أن أحداً يقول : إن قورش هو ذو القرنين ومن نشرها المطران يوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت الماروني في تاريخ سوريا مقابل الصحيفة ٣٢٨ من الجزء الأول المجلد الأول وهذا التاريخ طبع في المطبعة العمومية

الآزمان . ولا ريب أن هذا الجدار الذى بناه قورش . إذ تطبق عليه الأوصاف التى وصف بها القرآن سد ذى القرنين قائلا إنه استخدمت فى بنيانه ذبج الحديد وأفرغ عليه النحاس بمسد أن أذابره لتصل مفاصله ، فلا يبقى به خلل ، وقال إنه بقى بين جدارى جبيلين . وهذا ما نراه فى مضيق داربال : جدارين جبيلين شاهقين أقيم بينهما هذا السد الحديدى الذى أقبل باتصال الجدارين الطريق الذى كان مفتوحا بينهما .

وقال إن هناك كتابات أرمنية لها أهميتها لأنها بمنزلة الشهادة المحلية ، وهناك شهادة أخرى هى لغة بلاد جورجيا . وبعد نحو صفحتين نرى أبو الكلام أن يكون (دربند) هو السد .

دربند معروفه حتى اليوم :

وبعد : فالعرب عرفوا « باب الأبواب » وعرفوا أن القرس كانوا يسمونه « دربند » وتحدث ياقوت الخوى عن باب الأبواب وقال هو الدربند دربند شروان ، وعن فتحها ونسب إليها جماعة من المسلمين ونقل شعراً عربياً ذكرت فيه .

وتحدث عنها جغرافيو العثمانيين فقال شمس الدين سائى فى قاموس الأعلام مادة « دربند » أن العرب يسمونها (باب الأبواب) ، و (الباب) وهى معروفة عند الأتراك بـ « دمير قيو » يعنى الباب الحديدى وقد

ليحول دون إفساد يأجوج ومأجوج . ومهد لتعيين مكان السد يبحث عن يأجوج ومأجوج وعن أدوار سبعة أغلروا فيها على الأمم المجاورة لهم وقد أسمى هذه الأدوار « خرجك » وقال : إن الخرجة الخامسة كانت فى القرن الثالث قبل الميلاد حيث تدفق سيل للقبائل المنغولية على الصين أسماهم مؤرخو الصين (هيوئنج نوه) وحرف الاسم فأصبح « هن » وفى هذا العصر بنى امبراطور الصين « شين هوانغ تى » ذلك الجدار العظيم الذى اشتهر بجدار الصين لصدهجمات هؤلاء المغيرين . وقال : إن الخرجة الأخيرة كانت فى القرن الثانى عشر الميلادى فاحتشدت جموع عظيمة من القبائل فى بلاد منغوليا وخرجت بزعامة جنكيز خان فقضت على الحضارة العربية وخربت بغداد مدينة السلام وختم بقوله : توجد فى البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الأسود سلسلة جبال توقاز كأنها جدار طبيعى ، وقد سد هذا الجدار الجبل ، الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب إلا طريقاً واحداً بقى مفتوحاً وهو مضيق فى وسط سلسلة الجبال يوصل بين الشمال والجنوب ، ويسمى هذا المضيق فى أيامنا هذه بمضيق داربال ، ويشار إلى موضعه فى الأطلال الحاضرة بين وادى كيوكر vadi kaukas وطفيس « تمليس كما كان يسميها العثمانيون ، حيث يوجد إلى الآن جدار حديدى من قديم

نحو مائة سنة وصرفت بالدولة « الدربندية »
وقد أسى حكامها وأرخ لهم .
هذا وقد أذيع من نحو ستين أنه اكتشف
في روسيا المكان الجبلي الذي كان يجلس فيه
جنگيز خان ويشرب الهاء وفي أهل الجبل
صورة كأس فن اكتشف الكأس يحمل
عليه أن يكتشف السد وفي هذا بلاغ . .

دمشق ، هـمير الطيبي

فتحها العثمانيون . واستولوا عليها في غاراتهم
مع الصفويين أكثر من مرة واستردها
الصفويون . وطام ١٧٢٢ م ضبطها بطرس
الأكبر الصاهل الروسي وبعد ٦ سنوات
استردها نادر شاه وطام ١٨١٢ تركت لروسيا
ونسب إليها أبو الوليد حسن بن محمد
من علماء الحديث توفي طام ١٤٥٣ هـ (مادة
دربندی) ثم نحدث عن دولة صغيرة قامت
فيها في القرن العاشر للهجرة النبوية استحكمتها

(بقية مقال : هل يتنفع الميت بعمل الحي ؟)

أولدها لم يدعو له ، وعنه عليه الصلاة والسلام ،
« الولد من كسب أبيه » فن أخطأ الصواب
وحسنت فيه ووثق بصحة هذه الأحاديث
مع مخالفتها لظاهر القرآن فليبه أن يجعلها
من قبيل المتشابه الذي استأثر الله بعله :
كلروح ، ووقت الساعة . ويتمسك اعتقاداً
وعملاً بظاهر القرآن ، وصريحه دون غيره ،
ولا كلن مبسوطاً ومشروطاً بما لم يأذن به الله ،
فيكون عليه وزره ووزر من أتبعه ولا تقبل
توبته ما دامت هذه البدعة . أسأل الله أن
يجعلنا من يهتدون بصريح القرآن وصحيح
السنة وما عليه الجماعة .

هـمير عبد الوهاب الجندري

شيخ معهد دمشق الأسبق

غيره له « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » .
الآية ، وقد قرر أئمة الحديث بأن من
علامات وضع الحديث مخالفته لظاهر القرآن
مع عدم إمكان التوفيق بينهما بتأويل تميزه
القواعد الشرعية والأوضاع اللغوية ، لذا لم
يعمل عليها إماما السنة رواية ودرواية : مالك
والشافعي رضي الله عنهما ، وذهبوا إلى ما صرح
به القرآن من أن المرء لا يتنفع إلا بعمله
وكسبه المتقطع بموته أو الباقي بعد وفاته ،
ومنه ولده الصالح الذي يدعو له ويتصدق
عنه فإنه من عمله وكسبه . كما وردت بذلك
الأحاديث الصحيحة فمنه عليه الصلاة والسلام :
« إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من
ثلاث : صدقة جلوية ، أو علم ينتفع به ،

طريق السعادة

للأستاذ علي الطنطاوي

المنشأة بمكة المكرمة

« ورد علي في بريد هذا الأسبوع كتاب من أخ من أوساط الموظفين كتب إلي تائراً قائراً ، يذم الدهر ، ويشكو الزمان لأن مرتبه وهو الذي العالم المستقيم (كما يقول عن نفسه) لا يبلغ ربع ما يناله زميل له ، ليس له ربع ذكائه ولا علمه ، وكلما طالب بممونه ما هو حق له ، وحرموه منه ؟ فكان يحكم بهر مثله في درره أشد عليه من صيق الرزق - إلى آخر ما قال . »

بينات الناس فهو يحارب كل داع إلى صيانة أوسر، ونال مني الحاككون في منسوبي وفي رزقي. وقضت عشية منفيّاً محققاً ، لأمن الجرائد وسبابها ، فما باليتها ولا قرأت ما فيها ، ولا بقصص المرتب وضياع المنصب، بل غضباً للحريق وكرامتي وأن يتحكم فيّ إنسان مثل ، ويعلمك التصرف في عملي وفي رزقي ، وأظلم على الليل وأنا مستغرق ذاهل أداري من نفسي غصبة أخشى أن تنفجر تفجر القنبلة ، وكان في غرق شعبة من الراد (١) فسمعت الفارسي يقرأ حتى بلغ قوله تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، فنهنبت

ولقد مرّ بي ، أنا ، مثل هذه المحنة ، حين خطبت أيام الحكم العسكري في الشام من نحو عشر سنوات (تلك) الخطبة التي حملها المذيع من منبر مسجد جامعة دمشق (١) إلى آفاق الأرض فأغضبت عليّ الحكومة ، وأثارت عليّ الجرائد ، وقسمت الناس إلى فريقين : فريق معي ينكر ما أنكرت من وقصص البنات في (الدوحة) واختلاطهن بالشباب في الجامعة وتكشفيهن في الملعب وفي السينات والشوارع بحكم التقليد الفردي لأوربة ، الذي يسمى بلسان المصرد التقديمية ، وفريق علي ، يخشى أن تفوت هذه المنحة

(١) الراد كلمة وضعتها من قدم للراديو الذي يرد الصوت . أما عملة الإذاعة فهي المذيع .

(١) في جامعة دمشق مسجد تمام فيه الجمعة .

مهما كنت قوياً وكان ضعيفاً ؟ ولو اجتمع أهل الأرض على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف .

فإذا لم يكن لك كل ما تريد ، فلماذا لا تريد كل ما يكون ، فتستريح وترجع ؟

وهذه هي نعمة الإيمان بالقدر . وليس معنى الإيمان أن تستلقي على ظهرك وتنتظر أن ينزل عليك رزقك من السقف فإن السماء (كما قال عمر) لا تطرح ذهباً ولا فضة ، بل أن تعمل للدنيا عمل من يمشي فيها أبداً ، وأن تجمع المال من كل وجه حلال ، وأن تضرب في آفاق الأرض ، وتأخذ بأسباب الرزق ، ولا تدخر جهداً هو في طاقة البشر لا نبذه لغنى ، فإن لم تصل بعد ذلك كله إلى ما طلبت ، فلا يدفعك اليأس إلى الانتحار ولا يسلك الغم إلى المرض ، بل تعز وادرس وقل : لقد عملت ما على ولكن الله لم يكتب لي النجاح ، وأنا راض بقضاء الله .

هذه حقيقة الإيمان في دين الإسلام ليست تسيباً وكسلاً كما يظنها العوام وأشبه العوام . وأنت تعرف قصة الرجل الذي ترك ناقته على باب المسجد ودخل على الرسول فلما خرج لم يجدها ، فرجع ، فقال : يا رسول الله ، ناقتي ، تركتها وتوكلت على الله ففعلت !

إليها كأتى ما سمعتها قط ، وكأنا نزل بها جبريل الساعة على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وأحسست أنها جاءت برداً على كبدي وسلاماً ، فسكت عنى الغضب ، وامسحت عن عيني الغشاوة ، ورأيت حقيقة القدر وأرى العين وقلت : يا رب إن كنت أنت الذي قدر وقسم ، وأنت الذي أعطى ومنع ، فأنا راض بما قسمت لي .

نعم يا أخى الذى كتب إلى ...

... هو الذى قسم المعاش ، وهو الذى قدر الأرزاق ، وما يملك هؤلاء الناس عطاء ولا منعا ، ما الناس إلا وسائط . فهل تغضب على محاسب الدائرة ، في أول الشهر إذا أعطاك مائة وأعطى الرئيس مائتين ؟ وما ذنبه حتى تغضب عليه ؟ أهو الذى وضع الملائكة (١) وحدد الرواتب أم هو منفذ لما قرر من قبل وأمضى ؟

هذا هو مثلك ومثل من تظن أنهم أعطوك أو منعوك ، وأنهم قدموا غيرك وأخروك . إن هم إلا (محاسبون) أما الذى قرر جداول الأرزاق من الأزل ، وحدد مقاديرها فهو الله رب العالمين ، فما كل لك فسوف يأتيك ، على ضعفك ، وما كان لغيرك لن تناله بقوتك أنتستطيع أن تنال (ليرة) من راتب زميلك

(١) الملاك في الشام هو (الكادر) لا يعرف إلا بهذا الاسم .

وليس في الدنيا أحد لا يجد من هو أفضل منه في شيء ، ومن هو أقل منه في أشياء ، إن كنت فقيراً ففي الناس من هو أفقر منك وإن كنت مريضاً أو معذباً ففهم من هو أشد منك مرضاً وأكثر تعذيباً فلماذا ترفع رأسك لتنظر من هو فوقك ، ولا تخفضه لتبصر من هو تحتك ؟ إن كنت تعرف من نال من المال والجواهر ما لم تسله أنت وهو دونك ذكاء ومعرفة وخلقا ، فإن فيمن لا تعرف من أنت دونه أو مثله في ذلك كله وهو لم ينل بعض ما نلت ، وفلسفة الرزق أدق من أن تدرك وانظر إلى الناس ثم منهم الغواصين الذين جعل الله خبرهم وخبر صياهم فه قرارات البحار فلا يصلون إليهم حتى يزلوا إلى أعماق الماء ، والطيارين الذين وضع خبرهم فوق السحاب فلا يبلغونه حتى يصعدوا إلى أعلى السماء ، ومن كان خبره مخبواً في الصخر الأصم فلا يناله إلا بتكسير الصخر ، ومن رزقه في مجارى المياه الوسخة أو المناجم العميقة التي لا ترى وجه الشمس ولا يياض النهار ، ومن يأخذه يده ، أو يوجهه ، أو يلسانه ، أو بعقله ، ومن لا يصل إلى الخبر إلا ينزل روحه وتعرض مهجته للهلاك كلاعب (السميك) الذي يتعرض الموت من كل مكان فإن لم يدركه ساقطاً على رأسه ، أدركه وهو بين أنياب الأسد أو تحت أرجل الفيل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيهما وتوكل على الله ، هذا هو الإيمان ، إن الله قد جعل الكسب منوطاً بالعمل والنياب مقروناً بالحرث والزرع ، والشفاء موقوف على الطب والعلاج ، فمن فقد وطلب الرزق لم يربح ، ومن أراد الحصاد ولم يزرع لم يحصد ، ومن طلب الشفاء ولم يتداوى لم يشف . والله لا يبدل قوانين الكون ، وسنن الوجود ، إرضاء لكسول أو بحول . فاعمل وادأب ، وخذ وطالب ولا تسكت عن حقك ولا تقصر في ابتغائه ، ولكن لا تدع اليأس يدخل عليك ، والمقد الأسود يأكل قلبك . ولا تقل ما لفلان وفلان ! فلقد كنت أنا يوماً مثلك أجيد من هم دوتى ، ومن كانوا فلا يميزى قد حازوا الجواهر والمال ، وبلغوا أهل المناصب ، فأنا لم . ثم قلت لنفسى : يا نفس ويحك ، لم الحسد ؟ ومن أعطاك العهد على أن تكوني أبداً فوق الناس ؟ أو ليس خيراً لك يا نفس أن أدخل على وزير أو كبير فيجلى ويراني مثله ، من أن أدخل على من يستصغرنى ويراني دونه ؟ أولست في خير ؟ أولاً أقلب في النعم ؟ وبرئت من مرض الحسد فاسترحمت وصرت أنظر إلى نعم الله على فأراني لا أستحق بعضها ، وما أنذا اليوم لا أشكوشياً وأعب السعادة . والله - حياً .

الثانية أن يعيد كل شيء كما كان لأنه أدرك أن الرغبة للجائع ، والكأس العطشان ، والبنت للاب ، خير من ملء الأرض ذهباً .

وأنت تستطيع بمرتبك القليل ، إن أحسنت التصرف فيه ، واشتدحت الرضا به ، أن تكون أسعد من له الآلاف المؤلفة من الليرات ، وأنا أعرف رجلاً يدخل على الواحد منهم في يومه ، مالا يدخل على في السنة أو الستين من المال ، وأنا أعيش عيشاً أرفه وأرغد مما يعيشون ، لا أكل أطيب مما يأكلون ، ولا ألبس أفضل مما يلبسون ، ولا أمتع نفسي أكثر مما يستمتعون ، ولكني أرضى أكثر مما يرضون . ولما بعد ذلك لذائذ ، هم محرومون منها : لذنة المطالعة أمام المدفأة في ليالي الشتاء ، ولذنة التفكير الحالم في الفراش قبل النوم ، ولذنة المناظرة في مجالس العلم والأدب ، ولذنة المحاضرة في النوادي والإذاعات ، وهم يحتاجون إلى ، يسألوني فأعلمهم ، ويحيثون إلى فأحكم بينهم وأنا لا أحتاج إلى واحد منهم ، لأنهم إنما يفضلوني بالمال وأنا لا أطمع في أموالهم ولا أرضى أن آخذ منهم ، وأنا إن أردت القناعة والرضا ، وجدت من المال ما يكفيني وإن لم أقتح ولم أرض لم تكفني أموال الدنيا .

فأحمد الله أن جعل رزقك على مكتبك فصل إليه وأنت قاعد على كرسيك لم يجمعه في رموس الجبال ولا في أعماق البحار ولا في مواجهة الأسد والفهر .

وهذه المزايا التي تقول أن الله أعطاكها ، منزلة الفهم والعلم والجد والدأب والاستقامة والأمانة أليست نعماً نستحق أن نحمد الله عليها ؟ أو ترضى أن تزداد مالا ، وأن تكون عيباً غيباً أو جاهلاً أو عاملاً أو لهماً أو مجرمًا ؟ فلا تأسف إذا أعطيت هذه النعم كلها وحرمت المال الوفير ، بل افسد إن حرمتها وأعطيت أموال قرون .

وهل السعادة يا أخى بالمال ؟ ما المال إن لم تكشف به متعة عيش أو لذنة نفس ، أو مكرومة بين ذكركها ، أو مصلحة ينفع أجركها ؟ المال وسيلة . فإن لم يتوصل به إلى نعيم دنيا أو سعادة آخرة ، كان ورقاً مصوراً أو معدناً براقاً . كالذي زعموا أنه كان له دعوتان مجابتان ، فخطا ربه أن يجعل كل شيء تحسه يده ذهباً فأعطيا فكاد يطير عقله من الفرح ، وانطلق يلبس كل ما يجد فيحوله ذهباً ، حتى جلع فأخذ الصحن ليأكل فصار ما فيه من الطعام ذهباً ، وعطش ، فحمل الكأس لبشرب فصار ما فيها من الماء ذهباً ، فقعده جوعان عطشان . فأقبلت ابنته تواسيه فعاتبها فصارت تمثالاً من الذهب ، فخطا ربه الدعوة

قسك إن قل مرتبك ، وارض فإن الرضا هو السعادة التي يفتش عنها الناس ويبحث عنها الفلاسفة ويقيم بها الأدباء ، وهي تحت أيديهم كالذي يفتش عن نظاراته في كل مكان ، ويسأل عنها في الدار كل إنسان والنظارات على عينيه .

السعادة بالرضا والوفاء به :

واعلم بعد : أن كل حال إلى ذوال ، فلا يفرح غنى حتى يطفى ويطر ، ولا يياس فقر حتى يعض ويكفر ، فإنه لا فقر يدوم ولا يدم غنى ، وكمن رجل نفثوا على فرش الحرير ، وشربوا بكثوس الذهب ، وودثوا كنود المال ، وأذلوا أعتاق الرجال ، وتعبدوا الأحرار ، فماتوا حتى اشتبوا فراشا من صوف بقى الجنب على الأرض ، ورغيفا من خبز يحمى البطن من قرص الجوع ، وآخرون قلسوا المحن والبلايا وذاقوا الألم والحرمان ، وطووا الليالي بلا طعام فماتوا حتى ازدحم عليهم النعم ، وتكاثر الخيرات ، وصاروا من سرة الناس ، وهمل في الدنيا غنى لم يكن يوما أولم يكن أبوه أوجده فقيرا ، وكمن في الدنيا من فقير صار أو صار ولده أو حفيده رب الملايين .

وما يصنع بالمال من يدخل عليه في شهره العشرة آلاف والعشرون والخمسون من كبار التجار والموسرين ؟ أم يمكن أن يلبس الرجل عشر بذلات معا ؟ أو أن يأكل عشرين وغيفاني غذاء ؟ أو ينام على خمسة أسرة في وقت واحد ؟ إلا أن يكون الإتفاق في السرف والترف والفسوق والعصيان ، وهذا شيء ليس له حدود ، ويمكن أن يتفق المرء في ليلة واحدة ، على الخمر والمهر ، ما جمعه في عشر سنين ويمكن أن يشعل دخيته (سيكارته) بورقة مائة الليرة ، ولكن هذه كلها أفعال السفهاء المجانين ونحن نتكلم عن العقلاء من الناس ! .

ولقد بقيت مرة وحدى في دار المحكمة القديمة في دمشق فقمعت أمام البركة وأردت أن تمتلئ حتى يفيض الماء من جوانبها ففتحت (الأسباع^(١)) كلها فتدفق الماء ولكنها لم تمتلئ فصببت وقعة أفقت فوجدت (المهارب) الكبير مفتوحا فسدته ففاض الماء ...

فقلت : إنه ليس العبرة بفتح (السبع) ولكن بسد (المهارب) العبرة بتقليل المصروف لا بتكثير الوارد ، فلا تأس على

(١) السبع في حامية الشام مصب الماء إلى البركة وكان يكون على صورة سبع ... والمهارب مخرج الماء منها .

بالطين، تحت أقدام الساترين، وقبرا ثالثاً قد مات كمات من فيه فساد القبر ترا باقى الأرض؟. تفاوتت المظاهر ولكن اتحدت البواطن، فسا فيها كلها إلا روم بالية، وعظام مخرقة، لا تختلف رمة عن رمة، ولا عظام عن عظام ولا تميز جمجمة الملك من جمجمة الصلوك، ولا ساق القاضى الذى حكم من ساق المجرم الذى حكم، وما رد قبر الحياة على ميت، ولو كان قبر الامبراطورة شاهجان (تاج محل) أجل بناء شيد على ظهر هذه الأرض. ما يبقى للبيت إلا الذكر فى الدنيا والعمل للأخرة، وما الذكر - إن حققت - وما الشهرة إلا خدعة كبرى ليس وراءها شئ. والعمل الصالح هو وحده الباقي؟

على المنطوق

مستشار محكمة النقض

فى الجمهورية العربية المتحدة

فلا يأس أحد، قربما صار ابن آذن (١) المحكة رئيسها، وصار ابن الرئيس آذنها، وغدا ولد الفلاح صاحب الأرض، وولد صاحب الأرض فلاحا يشغل بطعام يومه. وإنما هى الأيام يداولها الله بين الناس ككرة الملعب، ما نكون يسدك إلا ربنا تنقل إلى غيرك والمركله ماض فهل يبقى لك المال إن ذهبت الحياة؟.

وسيسوى الموت بين الأحياء جميعا. الفقير والفقير، فى نظر السود سواء، والعامل والأجير والصلوك والأمير والكبير والصغير كلهم يصير إلى البلى والانحلال ثم يلقى السعادة الدائمة أو الشقاء الخالد.

قم فى المقبرة تلق قبراً يشمخ بأفقه كبرا على القبور، يزهى بالزعم الممزج المنقوش، ويضحك بالزهر والورد وآخر يكبر متمثرا

(١) الآذن فى المنام الفرائس.

الإمام الزمخشري والشعوية

قال الإمام الزمخشري :

أحمد الله على أن جعلنى من علماء العربية، وجعلنى على الغضب للعرب والمعصية، وأبى لى أن أقفرد عن صميمهم وأمتاز، وأنضوى إلى لعيف الشعوية وأنماز، وعصنى من منهمم الذى لم يجد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين، والمشق بألسنة الطاعنين.

تطور النحو العربي

للدكتور عبد الله درويش

روايات متعددة كل يختار الزاوية التي يستطيع بها أن يصل إلى هدفه .

كذلك نفرق بين شيتين آخرين .

بين النحو من حيث إنه تحليل للنحو العربي المأثور وبينه من حيث إنه وسيلة لتعلم اللغة . فالأول هو الذي يعنينا ، أما الثاني فيعنى رجال التربية .

كيف دود النحو :

إذا استعرضنا الأدلة المادية التي ترشدنا إلى وضع النحو العربي لم نجد أسبق من « الكتاب » لسيبويه و « معجم العين » ، للخليل بن أحمد : فالأخير رغم أنه كتاب لغة إلا أنه يشتمل أحيانا على بعض قضايا النحو والصرف . وفي الكثير الغالب يستعمل اصطلاحات كتلك التي استعملها كتاب سيبويه . ولكن هل كانت هناك كتب أخرى تتكلم في النحو قبل ذلك ؟

لا نستطيع أن نجزم بهذا ، رغم أن بعض الروايات تقول بوجود الإكمال ، و « الجامع » لعيسى بن عمر .

لقد خلق الدين الإسلامي على اللغة العربية ظلا من الإجلال والتقدير ، والعناية ، قاربت في بعض الأحيان درجة القداسة وكانت العناية بها إبان نشأة الامبراطورية الإسلامية ضاية تقوم على أنها جزء من مقومات الإسلام : ولذا رأيناها تغزو اللغات المحلية وتصرعها ، حتى أصبحت اللسان في أرجاء الدولة من المحيط إلى الخليج .

وقبل أن نفوس في أحصاق موضوع البحث يحسن أن ننبه على فرق كبير بين شيتين .

أحدهما اللغة : والثاني قواعدهم اللغة أو نحوها grammar فنصوص اللغة كما حفظت لنا مثله في القرآن الكريم وفي الحديث وفي أدب العرب من شعر ونثر ، لا نملك نحن أن نغير فيها شيئا ، بل ليس من حقنا هذا ، ذلك هو الشأن بالنسبة للأمر الأول .

أما الأمر الثاني وهو النحو ، فنحن حيث إنه تحليل للتراكيب اللغوية ووسيلة لفهم الأساليب المختلفة : يمكن أن ينظر إليه من

ما وقع في آية : « أن الله يرى » من المشركين ورسوله ، في سورة التوبة .

ويظهر أن سورة التوبة كانت فيها من المشكلات النحوية ما يجعل كثيرين يزلّف لسانهم فيقعون في اللحن .

فقد روى ابن عساكر وتاريخ دمشق ٤/٦٥ روضة الشام ، أن الحجاج سأل يحيى بن يعمر : « أسمعني ألحن على المنبر ؟ » فقال يحيى : « الأمير أفصح الناس إلا أنه لم يكن يروى الشعر » قال : « أسمعني ألحن حرطاً ؟ » قال : « نعم . في آي القرآن » قال : « فذاك أشنع » وما هو ؟ قال في قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله » . تقرؤها أحب . بالضم .

فأنف الحجاج أن يكتشف بعض رجاله أنه يلحن فأمر به فبعث إلى خراسان . كما نقلوا أن الوليد بن عبد الملك كان يلحن أيضاً . وهذا اللحن أدى إلى التفكير . في عمل شيء ما لحفظ القرآن وحسنه من أن يتطرق إليه اللحن .

فأول محاولة لذلك هي محاولة أبي الأسود الدؤلي « وكانت بالنقط » أي الدلالة على الضمة والفتحة والكسرة بنقط تكتب في

ولكن الذي لاشك فيه أن هناك محاولات كثيرة سبقت كتاب سيويه . والدليل على ذلك ورود أسماء علماء لغويين نقل عنهم سيويه في كتابه .

فإلى أي مدى كان مجهود هؤلاء الرواد في النحو العربي ؟

لقد كان من البواصد القوية على النظر في وضع قواعد لغة العربية ظهور اللحن ، وبالتالي للحاجة على نص القرآن الكريم من أن يعثره تصحيف أو تحريف .

فقد بدأ اللحن خفياً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . واهتم بتدوين هذه الظاهرة اللغوية والنحوية .

فقد ذكر ابن جني في الخصائص (١٣/٤٠٨) أن قد لحن رجل بحضرة رسول الله فقال : « أرشدوا أحاكم فقد ضل » .

والظاهر أن الخطأ القسوى كان معروفا بهذا الاسم أيضاً « اللحن » فقد روى السيوطي « المزهر ٢/٣٩٧ » عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « أنا من قريش . ونشأت في بني سعد فأني لى اللحن » .

وقد روت كتب الطبقات طرفاً من لحن العامة والأمراء على السواء . . . وكان أشد أنواع اللحن ما وقع منه في القرآن الكريم مما يتغير معه المعنى . . أو يؤدي اعتقاده إلى الكفر ، كما يقول أهل العقيدة . مثل

أخذوا من الموالي وأعطوهم قاتروا بالثقافة الإغريقية . . . خصوصا بنظرية أفلاطون في مشكلة الوجود والعدم فقد رأى أن الموجودات نوعان: ذوات وأحداث فالذوات أمور مادية أو معنوية مثل الباب والمصباح والصبر والحكمة والأحداث أفعال تقع في زمن خاص مثل الضرب أو الكلام الذي يدل عليه بكلمات ضرب يضرب اضرب ... إلخ . وهذا يسوقنا إلى التساؤل . هل كان النحو عربى النشأة ؟ ومن الذى وضعه ؟ .

أما السؤال الأول : لجوابه أن النحو نشأ عربيا غالبا وبجهود العلماء العرب أو المستعربين من الموالي . ونشأ في مدينتين عربيتين هما البصرة والكوفة وبواضع ديني ، اشترك فيه كثير من القراء ، إذ كان أغلب القراء نحويين أيضا .

ولكنه نأثر بما كان معروفا لديهم من فلسفة اليونان إلى حد ما ولا يمكن أن ننكر تأثير الفلسفة اليونانية في مصطلحات العلوم العربية (راجع كتاب أوليري : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب . ترجمة الدكتور تمام) .

أما السؤال الثانى : فقبل أن نجيب عليه ينبغي أن تأخذ في الاعتبار أن بين أبى الأسود الدؤلى وبين سيبويه سلسلة من الرواة بين كوفيين وبصريين منهم :

المصحف . فالفتحة نقطة فوق الحرف والضممة نقطة بين يديه والكسرة نقطة تحته : وكانت الحروف نفسها غير معجمة أى غير منقوطة فأمر الحجاج بنقط الحروف : فكان في المصحف قطتان أحدهما للحروف ، والآخر لعلامات الإعراب . ثم كتبوا أحدهما بالمداد الأحمر حتى جاء الخليل بن أحمد فهداه تصكيده الثاقب إلى وضع الضمة كرواس الواو والفتحة كألف مائلة على الحرف والكسرة مبدأ الياء تحت الحرف .

فكانت محاولات . أبى الأسود هي الأساس لوضع قواعد يعرف بها المضموم والمفتوح والمكسور من الكلمات . أو بعبارة أخرى يعرف بها شيء مما نسميه الآن بقواعد النحو . .

ورغم أن الباحث ديني إلا أن المسألة لم تقف عند هذا الحد بل أخذ أتباع أبى الأسود يضيفون إلى ما ابتداء مسائل أخرى : حتى انتهت إلينا في كتاب سيبويه .

وفي تلك الحقبة من الزمن كان العرب وخصوصا في البصرة اختلاط كبير بالجاليات الأجنبية في تلك المدينة خصوصا من الفرس والروم ، وقد كان عدد كبير من الباحثين اللغويين من الموالي أى غير عربى النشأة فسيبويه نفسه كانت أمه فارسية . . ولم يكن العرب - خصوصا يثاثرهم العلية - منعزلين بل

ولا يصير في ذلك نقله عن العلماء السابقين، حتى ولو كثرت هذا النقل عن عالم بالذات إذ قد أكثر سيويه النقل عن أستاذه الخليل بن أحمد . واعتمد عليه في ذلك اعتماداً كبيراً .

وإذا طبقنا مدلول التأليف على كتاب المفصل مثلاً نجد أن المسائل النحوية منقولة عن الكتب التي سبقت ولكن شخصية الزمخشري واضحة فيه في التبويب وعرض المسائل ومناقشتها ، والإدلاء فيها ببعض الآراء . وما ينطبق على المفصل ينطبق على غيره من الكتب النحوية وغير النحوية ، بل على الأبحاث التي يقوم بها المختصون ، للحصول على درجات عليا كالمجستير والدكتوراه . وهذه لا ينازحهم في نسبتها إليهم منازع . هذا بالنسبة للكتاب . ولنعُد إلى السؤال من الذي وضع النحو ؟ .

إن قواعد النحو أشبه بيت كبير اشترك في صنع مواده الأولية طائفة كبيرة من المختصين .

فليست نسبة وضعه إلى أبي الأسود وحده . ولا إلى الخليل وحده ولا إلى شخص واحد في وسط سلسلة الرواية التي بينهما .

وهذا يجعلنا نأخذ بشيء من التحفظ وأى من ينسب إلى أبي الأسود أو ابن أبي إسحق أو نصر بن عاصم أو الخليل .

حنسة الفيل ، ميمون الأقرن ، نصر ابن عاصم ، يحيى بن يعمر ، أبو عمرو بن العلاء ابن أبي إسحاق ، عيسى بن عمرو ، أبو جعفر الزواجر ، أبو زيد يونس الأخرس ، الخليل بن أحمد ، الكسائي ، سيويه ، الفراء ، الكسائي .

وقد وردت أسماء هؤلاء العلماء في كتاب سيويه ، فهذا يدل على أن النحو بدأ قبل سيويه ، ثم اكتمل على يديه ، حتى أصبح يستحق أن يكون علماً ذا منهج ، وله أبواب وفصول ومسائل ، تدون في مؤلف خاص . وهذا يجرنا إلى التساؤل من جديد هل الكتاب من وضع سيويه وحده ؟ لقد حاول بعضهم التشكك في ذلك كما تشككوا في نسبة كتاب العين للخليل وقد تصدى كثير من المؤلفين لبحث هذه القضية . وآخر بحث واف في هذا الموضوع هو كتاب « سيويه إمام النحاة » لأستاذنا الكبير على النجدي . وقد انتهى إلى أن الكتاب لسيويه ، بمعنى أنه مؤلفه . وإذا أخذنا في الاعتبار أن التأليف يعني جمع المواد والمسائل وتبويبها ، وذكر آراء العلماء السابقين ، ومناقشتها وإضافة جديد في المادة واتجاه منهج خاص في التأليف . فإذا أخذنا ذلك في الاعتبار فإن سيويه بهذا المعنى هو مؤلف الكتاب .

يغلبون جانب النص على جانب القياس .
وقد غالى في ذلك الأستاذ أحمد أمين في
خصي الإسلام به ٢٨٤/٢ وبجانب هذا ترى
أحد المستشرقين جوتولد فايل الألماني - الآن
يهودي في إسرائيل - يقول بعلم وجود
مدرستين بالمعنى العلمى المميز للدراسة
النكرية ٤ .

فقد ذكر - في مقدمة طبعته لكتاب
الإنصاف أن الاتجاه الكوفي الذى وجد
مخالفاً لاتجاه الخليل وسيبويه يرجع إلى تأثير
الكوفيين ، وعلى الأخص الكسائى والفراء
يونس بن حبيب البصرى الذى كان له مذهب
خاص وأقصة تفرد بها ، خالف فيها الخليل
وسيبويه .

ويستطرد فايل فيقول :

يغلب على الظن أن يونس بن حبيب كان
صاحب التأثير الموجه في الكسائى والفراء
الكوفيين . فقد كان يونس هو الوحيد من
القدماء الذى يمثل آراء الكوفيين فقد ذكره
كذلك ابن الأنبارى . كما ذكره صاحب شرح
المفصل ابن يعرب خمس مرات من سبع
في جانب الكوفيين . ثم ذكره السيرافى في
أخبار النحويين البصريين - كما روى . ذلك
عنه السيوطى في بغية الوعاة (٦٢٤) حيث
قال : وله قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها .
سمع منه الكسائى والفراء . .

وطبعاً لا ينبغي . حيث رفضنا أن يكون
شخص بمفرده قد وضع النحو - لا ينبغي أن
نحكم بأن الإمام علياً كرم الله وجهه هو
واضع النحو - وإن كان أبو الأسود قد قام
بالنقطة بإحياء منه وتحت رعايته .

فكما لا يصح في عصرنا الحديث أن تقول
إن الوزير الفلانى أو الحاكم الفلانى قد جدد
الأدب أو الشعر الحى . أو حتى النحو
الوصفى ، إذا ما تبنى الفكرة ودعاها وشمع
الباحثين فيها فكذلك لا ينبغي من الناحية
العلمية أن تنساق وراء الأهواء الشيعة التى
تحاول نسبة النحو للإمام على كرم الله وجهه .

مدرستا الكوفة والبصرة :

لقد أفاضت كتب الطبقات في ذكر
المدرستين ورجالها وأوجه الخلاف بينهما
وأوجه التشابه .

وكما نعلم - فدرسة البصرة أسبق في الوجود ،
فقد وجدت الطبقة الأولى من الكوفيين
مع الطبقة الثالثة من البصريين .

وقد جمع ابن الأنبارى من مسائل الخلاف
إحدى وعشرين ومائة مسألة في كتاب
« الإنصاف » .

ويذكر العلماء أن البصريين قياسيون .
أما الكوفيون فيذكرون أنهم سماعيون .

وكثرة القبائل العربية فيها التي نزحت مع الجيوش الإسلامية التي رابطت هناك . وكثرة عنايتهم بالقراءات . ووفرة روايتهم لأشعار العرب وحفظها كل ذلك قد أثر في نظرهم للنحو إلى حد كبير .

ولكن الفريقان ، البصريون والكوفيون : يعتمدون على منهج واحد هو منهج التأثر بالفلسفة والتعليل التي أدت إلى نظرية العامل والحذف والتعليل وعقدت كثيرا من مسائل النحو التي هي في حد ذاتها بسيطة . وسببنا هذا في مقالنا القادم إن شاء الله ؟

• للبحث بقية •

عبد الله درويش

مدرس النحو بكلية دار العلوم

فجرتولد فإيل يرى أنه لم يكن هناك مدرستان متميزتان من ناحية التفكير اللغوي . ولكن كان هناك أفراد نشئوا في البصرة وأفراد نشئوا في الكوفة . وتلذذ أفراد كل جهة على أفراد الفريق الآخر .

والحق أن أوجه الشبه بين المدرستين أكثر من أوجه الاختلاف ففي كتاب الإنصاف مسائل اعتمد فيها البصريون على السماع مع شهرتهم بالاعتداد على القياس . كما أن فيه بعض مسائل اعتمد فيها الكوفيون على القياس مع شهرتهم بالاعتداد على السماع .

ولكن هذا لا يمنع أن الأولوية لدى البصريين كانت للقياس فحكوا بشذوذ كثير من الشواهد التي أوردها الكوفيون . كما أن الكوفيين بحكم موقع مدينتهم وسط العراق .

الوطن

ول وطن آليتُ ألا أيممه
وحبب أوطان الرجال إليهم
إذاذكروا أوطانهم ذكروا
وآلاء أرى يخبرني له الدهر مالكا
مأرب قضاها الشباب هناك
عهود الصبا فيها لحقوا لذلك

مناقشة

الأتزال للدين رسالة؟

للأستاذ فتحي عثمان

إيضاح منهج :

الدين وساماته ، وهكذا وجد الفرد نصيباً أكبر من الحرية ، وعندما قررت المسيحية عقائدها ساعدت على التمجيل بمصر الحرية ، لأن ريناخ يرى أن المسيحي متى سلّم بالعقائد استطاع أن يتجه بنشاطه بعد ذلك نحو الأعمال الدينية ١١١ .

وحدد أوجست كونت (قانون الأحوال أو الأطوار الثلاثة) ، « في بدء الإنسانية كانت الأفكار الدينية (في عبادة الأصنام) متحدة اتحاداً تاماً ومباشراً بالإحساسات نفسها ... وكان مذهب تعدد الآلهة أول هبوط عام في التفكير الديني ... وكان التوحيد سبباً في ازدياد هذا الهبوط ، ففي الحياة الحقيقية سواء أكانت فردية أم اجتماعية يظل المذهب الكاثوليكي منصرفاً على الدوام إلى زيادة نصيب الحكمة الإنسانية بالتدرج على حساب الإلهام الإلهي ، وأدى المذهب

« في أول الأمر ، يتد (الدين) إلى كل شيء ... »

فكل ظاهرة اجتماعية ظاهرة دينية ، وهذان اللفظان مترادفان . ثم تحررت الوظائف الاقتصادية والسياسية والمالية من الوظيفة الدينية شيئاً فشيئاً ...

والتفكير المظهرة لا بداية لها في كل مكان ، ولكنها تنمو دائماً في جميع عصور التاريخ ، . هكذا يقول دوركايم في كتابه : (تقسيم العمل الاجتماعي) . وهو يعرف تطور الدين بأنه (تقهر) . ويذكر ريناخ - من أتباعه - أن البدائي كان يشعر على الدوام بقوة رهيبة ، وأنه يعيش في رعب مستمر . ولما حدد رجال الدين عدداً للأمور المحرمة ، وأعلنوا أنهم وسطاء بين الإنسان وبين القوى الإلهية ، صنفوا ضروب الفروع ، واختصروا عددها ، وقد شهدت الشعوب القديمة تحديد أيام النشاط

غير الحبر الأعظم للذهب الكاثوليكي ١١١. .
وينبغي بعد ذلك أن تعرف الظروف
التاريخية والنفسية التي صدرت عنها بعض
الأحكام المعتسمة والتعميمات الساذجة
والقريرات الفطيرة . . . إن القوم كانوا
(يدينون) بمحاربة الدين ، و(يتبدلون)
ببناء صرح علم مادي لا يدع أى فراغ لشيء
غيبى ، ولا يسمح بمقدار ذمة من سلطان
للإلهيات والروحيات بعد أن ذاقوا من كهنتها
الأميرين ، وبعد أن هزتهم أضواء الكشوف
والمخترعات . . . فلما هدأت الأعصاب ،
ونشأت أجيال فى ظل مدنية الآلات فلم تعد
شيثاً جديداً فتانا ، وحقت هذه الآلات
راحة ووفرت جهداً ووقفاً للتفكير ،
وطحنت الناس الحروب العالمية ، والأزمات
الاقتصادية والمتاعب النفسية للحصارة الآلية ،
تغيرت النظرة تغير المنظور ، وهذا الناس
إلى حديث الروح . . . وقد اضطرت
أوجست كونت نفسه إلى الاعتراف ،
فى النصف الثانى من حياته بأن العاطفة تحتل
المقام الأول وبأنه يجب إشباعها ، ومن ثم
انتهى إلى ابتكار (دين تحقيقى ١) ليشتمل به
عن الديانات الموحى بها ، وهو عبادة عظام
الرجال أو عبادة الإنسانية ، ١١ (باستيد :
مبادئ علم الاجتماع الدينى ترجمة دكتور
قاسم) ١١ . .

البروتستنتى إلى انحلال التصورات الصوفية
نهائياً . وهكذا فقانون التطور هو فى نهاية
الأمر قانون القضاء على الأفكار الدينية فى
العالم ، ١١١ .

• • •

هذه الفكرة يتناقها أناس بغير وعى
وبصيرة ، وعلى غير إلمام بالدراسة التاريخية
والاجتماعية . فينبغى أن يراعى أولاً ، ما ينبغى
مراعاته فى كل دراسة إنسانية ، من التحفظ
فى إطلاق التعميمات ، وعدم مسابرة أهواء
الحس فى اصطلاح القوانين ، وقد أشرنا ،
إلى ذلك فى مقالنا السابق . وما أدق إشارة
جوستاف لوبون فى كتابه (روح الثورات) :
« إن ما ألفه كتاب النصف الأول من القرن
التاسع عشر ، يثبت ما للبادئ الدينية
والأدوية المحترمة الآن (١) من الشأن فى ذلك
الزمن . فالمصلحون فى كل زمن سعوا إلى إقامة
المجتمعات الجديدة على مالا تقوم بغيره من
المعتقدات الدينية والأخلاقية ١ وإلى ماذا
يستند المصلحون فى إيجاب تلك المعتقدات ؟؟
إلى العقل ١١ فإدام العقل هو الذى يصنع
الآلات المعقدة فلم لا يستعينون به على إيجاد
معتقدات دينية أو خلقية ١١ . إن أوجست
كونت قد أسس (ديناً) وضعياً لم يتحله
سوى بضعة أشخاص حتى الآن ، وبأمر هذا
الدين بتعيين كهنة ، يدير أمورهم حبر جديد

للإنسانية أن تفصل الحرافة دون جدال .

ولذلك يدرس علم الاجتماع ظاهرة السحر ، ويحلل العلاقة بينها وبين الدين ، ويرى فريزر أن السحر كان سابقا على الدين ، وأن الإنسان حاول إخضاع الطبيعة لرغباته بمجرد تأثير صنوف سحره قبل أن يحاول تدليل (١) إلهه من حفظ متقلب الهوى سريع الغضب بما تحتوي عليه الصلاة والقربان من حلوة التليح ، !! ويرى باستيد أنه : من المحتمل أنه كانت هناك مرحلة لم يفصل الدين فيها عن السحر ، ولكن أخذت تلوح فيها ضروب النزاع بينهما . ثم جاءت مرحلة ثانية كانت مفترقا لطريقين : يقود أحدهما نحو الجود الذي ينتهي إلى السبات والركود ، وينتهي الآخر نحو الجانب الروحي ، ... ولعل في هذه النماذج البسيطة من ألوان الدراسات الاجتماعية ما يدعو إلى تفهم مناهجها في التاريخ فتطور الديني .

وليس معنى ذلك أن الدراسات الاجتماعية التاريخية لا تسد حاجة هند الدارس المنصف لقضية الدين ... إنك إن طرحت منها أهواء الحسد والتعصب وشهوات المجازة بالتفنن تقدم أبحاثا ذات قيمة كبيرة ، لو فهمت على وجهها ، وأحسنست الاستفادة منها ؛ لتستمع إلى باستيد يقول : « تظهر البيانات وتطور داخل الحضارات التي لا يمكن أن تسبقها

ثم ينبغي أن تعرف المناهج الاجتماعية والتاريخية على وجهها ، حتى يتحدد مدلول الألفاظ دون لبس أو خلط . إن اصطلاح الدين في نظر علم الاجتماع أوسع من أن يقصد به الديانات السماوية ، وهذا فريزر يرى أن الدين بدأ بظهور فكرة الآلهة ، أو على أكثر تقدير بظهور أرواح الأفراد أو أرواح الطبيعة التي يتخيلها المرء على غرار أرواح البشر ، ويقول دوركايم : إن العنصر المشترك حقيقة بين جميع الديانات هو معنى الأمور المقدسة ، فتقوم على تصنيف الأشياء في نوعين متضادين : قدسي وديني ، والأشياء المقدسة ليست مجرد الكائنات الشخصية من آلهة أو أرواح ، بل قد تكون صخرة أو شجرة أو نبع أو نهرا أو قطعة خشب ، وقد يوجد هذا الطابع في طقوس أو ألفاظ .

وعلم الاجتماع لا يتم (بالتقويم) ، وليس هو من العلوم المعيارية ، فالمعينة الصحيحة والمحاظنة ، والعبادة السليمة والمنحرفة ، والوثنية والعنصرية والحيوانية ، والتعدد والوحدانية ، والآلهة المشخصة والقوى المطلقة في موازينه سواء . ومن هناك لاغربة أن يرى علم الاجتماع الروحانية الغيبية (تفصل) ، ويرى داعية الدين أن هذا التفصل المقصود هو تفصل الحرافة ، وأن من الخير

الطابع المقدس لهذه الأعياد . . وفي الثورات يؤدي انتصار السوق في نهاية الأمر إلى عودة الأفكار القديمة . ثم تفضى التجارة ، ونمو الزراعة إلى اختلاط الشعوب وتعتبر محاولة التوفيق بين المذاهب الدينية عن محاولة التوفيق بين الشعوب من الوجهة الاجتماعية . وإذا كان كل تعديل بطراً على بنية المجتمع مؤدياً إلى انقلاب مماثل في الحياة الدينية ، فكذلك يؤدي بقاء حالة اجتماعية معينة إلى بقاء نموذج ديني بعينه ، على الرغم من التغير الطارىء على العقائد ، إن المسيحية احتلت محل الوثنية في أيرلندا ومقاطعة الغال ، ولكن كان نظام الهيئة الدينية الجديدة مجرد نسخة مأخوذة عن نظام المجتمع القديم ، وأثبتت الأديرة أولاً قبل تشكيل الأسقفيات والأبرشيات . .

قد يقرأ المتدين هذا الكلام فينفر ؛ لأن الدين يبدو وفق هذا المنطق نتيجة التطور الاجتماعي لا إلهام الوحي الإلهي ، ولكن الباحث الدرسى يستطيع أن يقيم موازين الحق ويخرج بالثبات النافذة من كل جهد . فينبغي أن يستوثق من صحة الوقائع التاريخية التي استخلصت منها النتائج ، ومن أطراف هذه الوقائع ، كيلا تكون الأحكام مبسرة ترضى أهواء خفية . وينبغي أن ينظر إلى محاولات الاستنتاج والاستيطان في دراسة

أو تأخر عنها دون أن تتعرض للوث ، ومعنى هذا أن هناك صلات بين التمازج الدينية وبين مختلف التراكيب الاجتماعية . ولنخص تأثير المجتمع على الدين : إن كل تحول بطراً على المجتمع يصحبه انقلاب مماثل في النظم الدينية ، مثال ذلك الانتقال من نظام البدو إلى الحضرة ، فالعرب الرحل الذين يوجد بينهم صراعهم المرير ضد الصحراء يقنسون أسلاف العشيرة ، أما لدى الزراع الذين استقروا في بقعة من الأرض فإنهم قدس الأولياء يحتل مكان قدس الأسلاف ، وهو أقل اطراداً وأكثر تعلقاً منه ، وقد أدى استقرار الإسرائيليين في يهوذا إلى أن يصح (يهوه) إلهها للزراعة على غرار (بعل) بعد أن كان إله الرعاة . وقد انعكس الانتقال من جنى الثمار إلى الزراعة في الانتقال من ديانة ساذجة تقول بحياة المائدة إلى عبادة أقل ساذجة وهي عبادة الطبيعة ، ويؤدي تحول النظام الأسرى إلى مثل هذه التغيرات ويتجلى ذلك بمتابعة تاريخ الآلهة الإناث والذكور عند الإغريق . وبظهور المدن ينعكس التركيب الاجتماعي الجديد على التصورات الدينية والنظام الديني ، وكانت أقدم ديانه في الصين ديانة زراعية مصحوبة بأعياد الربيع ومواكبها ومبارزاتها وأغانها ، وورث الشريف في المدن الإقطاعية

زمام التوجيه في الأسرة والمجتمع والدولة والعالم عن طريق التشريع ، وعدم الاكتفاء بالقرار النظري العقلي البحت للعقيدة ومن هنا لا يترك الدين للناس كمنظرة حسائية يثبتها الإحصاء والتجريب . إن التكوين النفسي والاجتماعي ينبغي أن يصاغ بحيث يعين الفرد على الحياة العقلية ، ويرفع عنه الضغوط والمؤثرات التي تجعل (النظرية) التي تقررها العقيدة الدينية في راد ، وإحباط التزنية والثقافة والتقاليد والسلطة في راد آخر .

لكن الدين في الوقت نفسه يجعل نظمه وشرائعه من المرونة بحيث لا تنحصر ولا تنغلق ولا تتجمد ، فالدين - أخيراً - مجموعة من العقائد والعواطف أكثر من أن يكون مجموعة من النظم ؛ لأن النظم لما كانت تهدف إلى تنسيق العلاقات المادية بين الناس كانت تتوقف إلى حد كبير على الشروط العمرانية والخاصة بالتركيب المادي للجماعات ، وتنحصر الميئات الدينية لنفس هذه الشروط بالقدر الذي تكون فيه نظماً اجتماعية ، ولكنها تفسح المجال للقلوب الطموحة وللحاجات العقلية ، وحيثما نجد نصيب الأعمال الإلهية فيها أقل منه في أي مجال آخر ، كما يقول باستيد .

• وتعين هذه الدراسات كذلك على

الوقائع التاريخية على أنها مجرد (محاولات) لا غير .

• فإذا تم ذلك فإن مثل هذه الدراسات الاجتماعية قد تنفيد في توضيح بعض الأمور ، مثل تفسير ظهور بعض الديانات غير السماوية وتطورها ، وإبراز الأشواق والرغبات الإنسانية التي يسمي البشر تحقيقها عن طريق الديانات المصنوعة . . . ومن هذا وذاك يمكن التوصل إلى ما ينتظر الإنسان أن يحققه الذين المشغولون من إرضاء ونهوض في الوقت نفسه .

• ثم إن هذه الدراسات تعين على تدبر مجاري التفكير البشري في تلقى الدين السماوي فالبر يتصورون الدين وفق ظروفهم النفسية والعقلية والمادية ، وقد ينصرفون بأهوائهم عن سلوك الطريق الذي خطه الوحي مستقيماً لا عوج فيه . . . ولما كان الفكر الديني شيئاً غير (الدين) نفسه في نصوصه المتناهية المحدودة المحركة ، فإن الاستئثار بالدراسة الاجتماعية قد يعين على تحليل عوامل تكوين الفكر الديني في عصر أو بيئة أو عند شخص وما طرأ من تغيرات في فهم الدين وتنفيذ أحكامه .

• كذلك تعين الدراسات الاجتماعية على تقدير أهمية (البيئة) في الفكر والنفس . . . ومن هنا يبدو راءياً حرص الدين على تسلم

وكن من الشاكرين . وكتبناه في الألواح
من كل شيء موصطة وتفصيلا لكل شيء . فخذوها
بقوة ، وأمر قومك يأخذوها بأحسنها ،
سأريكم دار الفاسقين ، . . . واتخذ قوم موسى
من بعده من حلبيهم عجلا جسدا له خوار ، ألم
يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ،
اتخذوه وكانوا ظالمين .

« وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها
حيث شئتم . . . وأسألمهم عن القرية التي كانت
حاضرة البحر إذ يعدون في السبت ، إذ تأتيهم
حيتانهم يوم سبتهم شرطا ، ويوم لا يسجدون
لأتانيهم ، كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون . .
« فيها نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم
قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا
حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خاتنة
إلا قليلا منهم ، فاعف عنهم واصفح إن الله
يحب المحسنين . ومن الذين قالوا إنا نصارى
أخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظا مما ذكروا به ،
فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم
القيامة ، وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون .
« وإذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم
ملوكا وآتاكم ما لم يوت أحدا من العالمين .
يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب
الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا
خاسرين ، . . . « وائل حلبيم نبأ ابني آدم

استبصاح تعلو الديانات السايوية نفسها ،
وتعليل اقترافها في التفاصيل عن بعضها . . .
فأله تعالى قد أرسل كل رسول بلسان قومه ،
يترجم عن مطالبهم وآمالهم ، ويشرح لهم ما
يرافق احتياجانهم . والقرآن لم يورد تفصيل
الرسالات السابقة على الإسلام ، ولكنه
أبرز أهم معالمها ، فإذا هذه المعالم المميزة تختلف
ما بين رسول ورسول واختلاف الأقوام
الذين جاءهم المرسلون : « ولو طأ إذ قال لقومه ،
أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من
العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون
النساء ، بل أنتم قوم مسرفون . . « وإلى مدين
أعياهم شعبيا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من إله غيره ، قد جاءكم آية من ربكم فأوفوا
الكيل والميزان ولا تبغضوا الناس أشياءهم
ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ،
ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين . . « وقال
موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين .
حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق ،
قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني
إسرائيل ، .

« وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على
قوم يكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى
اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم
تجهلون . . . « قال يا موسى إني اصطفتك على
الناس برسالاتي وبكلامي ، فخذ ما آتيتك

شعب ، وهي تكشف أسلوب تقديم القرايين
الذى جرى عليه أبنا آدم في بحر البشرية ، وكيف
استوحى القاتل أسلوب الدفن من نبت
الغراب .. وتبرز طابع القبيلة في بني إسرائيل
ويبينهم في القرية وبحوار البحر والحظر
المفروض عليهم يوم السبت ، والأمر بدخول
(أرض مقدسة) ، ونزوعهم إلى التجسيم
والتشبيه الخ هذه الإشارات الموحية في
دراسة تطور المجتمعات والأديان ... ١ .

هذا هو الدين في ماضيه ... فما يقوله
ما يؤديه في حاضره ؟؟ سوف نعرض لذلك
في الجزء القادم إن شاء الله

فنى عثمان

بالحق إذ قريبا قربانا تقبل من أحدهما ولم
يقبل من الآخر ، قال لأقننك ، قال إنما
يقبل الله من المتقين ... فبعث الله غراباً
يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة
أخيه ، ... ولكل جمعنا منكم شرعة ومنهاجا ،
ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ، ولكن
ليلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات إلى الله
مرجعكم جميعاً .

تلك آيات نرى فيها جليا تباين الآوامر
الإلهية التي ابلفها المرسلون لأقوامهم ، نتيجة
اختلاف ظروف هؤلاء الأقوام المادية
واحتياجاتهم التسمية والاجتماعية ما يبرهن عن
العاشقة وأمر بوفاء الكيل ، وصيحة بتحرير

من نعم الله

قال فيض بن إسحاق :

كنت عند الفضيل بن عياض يوما ، إذ دخل رجل وسأله حاجه ، وأخ في السؤال .
فقلت للرجل : لا تؤذ الشيخ ! .

فقال لي الفضيل : اسكت يا نبيص . . . أما علمت أن حوائج الناس إليا نعمة من الله
علينا ؟ . فحذار أن نمل النعم ، فتحوون نقما ، ألا نحمد الله ؛ أن جعلنا موضع من يُسأل ،
لا موضع من يُسأل ؟ .

الانحلال شر من الشيوعية

للاستاذ محمد كامل الفنى

وبات الناس بين صبح واعظ ، وحشية
منذرة ...

أما أنا فقد كان أمرى من هذه المحنة عجبا ،
لقد قلت علام هذه الصيحات وفيهم ذلكم
الضجيج ؟ إن القلوب المؤمنة . والنفوس
التي عمرها اليقين ، وجرى حب الإسلام فيها
بجرى الهم هازئة بتلك الشيوعية ، ساخرة
من الدعوة لما صمما برق أسلوبها ، وأحكم
ديفها ، فهما دقت طبول الشيوعية ، ومهما
دعيت للناس بأن فيها المساواة والمزوالسوى
ينزلان على الناس فهي كذب وزور وخداع
وتضليل في رأى المؤمنين الذين عرفوا
الإسلام وحده قانونا سماويا لا ينازع في
إسعاد البشر في حياتهم الدنيا وفي الآخرة ،
فالشيوعية في أسماع هؤلاء المؤمنين طنين ذباب
وطنين الذباب لا يضير .

والمائعون المنحلون من هذه الأمة المتفكرون
من زمام الدين ، التاكسون على أعقابهم
الذين خرجوا من حدود الله ، فاستباحوا
كل حرام ، واطلقوا سائدين في ضميرهم ،
لا يستحون من كبيرة ، ولا ينفرون

ليس من شك في أن شرمة الشيوعية قد
انفطأت وأن حدتها قد أنكرت ، وأن
خطرها على العرب عامة وعلى مصر خاصة
قد زال إلى غير رجعة إن شاء الله ، ومصر
كنانة الله في أرضه من أرادها بسوء قصمه
الله .

وغيرتنا على هذه الأمة الإسلامية ، وعلى
أجنادها ، تدفنا دفعا إلى التناصح والتعبير
عن كل ما نرى الخوض فيه سيلا إلى تصون
المسلمين ، وبقاء رايهم مرفوعة ، وكلتهم
عليها ، والمؤمن حكيم كليس لا يحكم على
الأشياء من لمحات لبعض جوانبها فهو متفطن
يبتدى بنور قلبه إلى ما فيه خير لنفسه ولأمة
والبصيرة عين لا تنام .

لم تكن دعوة الشيوعية منذ حين وهي
في طغيانها لتثير في نفس خوفا وقلقا ، وقد
فزع لها الناس وظنوها معاول تهدم قلاع
الإسلام ، وتغزو ديار المسلمين ، وسحرت
قوى الدولة جميعا لتبصر بخطر الشيوعية ،
وتفتح الأعين على قبحها وشرها المستطير ،
وجردت من علماء الأزهر سيوف مشرقية ،

وهم خلايا شيوعية أو شر منها بغير لقب ،
والشر المستور أدهى وأمر من الظاهر المستعلن ،
وهو يقتضى من الحذر والحيلة أضعاف
ما يقتضيه المكاشف المجاهر ، فما هو
إلا سوس ينخر في العظام دون أن يحس
أثره إلا بعد أن يستعمل خطره .

لذلك لم تكن لفورة الشيوعية منذ حين
لنقض مضجعى ، ولم يكن انقطاع شعلتها
ليربح صدرى ويلهب موجدى ، فالنظر
القصير هو الذى يندفع بهذه الظواهر التى
لا تروج إلا عند السذج الأغراو .

هلوا إذن لتلك الستار عن أعداء الملبين
هؤلاء ، هلوا إذن لتكشف القناع عن هذا
الاستعمار المفتح الذى يدخل على وطننا
بأيدى إخواننا من هذه الأمة ، وهو يتسلل
إلى أبنائها وإلى الأجيال المقبلة - لا قدر الله -
هينا رفيقا مستخفيا ، لا تلتقاه حذرين ،
ولا تستقبله خائفين ، وكيف نخافه أو نخشاه
وهو يغشى الصالح من أخيه وتسرى عدواه
من الرقيق إلى رفيقه ، ومن الجار إلى جاره ،
ومن القرين إلى قريبه دون أن تنبه إلى
خطره ، أو تنفر من شره ، أو نبصر له
سلاحا ، أو نسمع له قعقة [١] .

تعالوا إلى هذه الفتن التى هى شر من جميع
المبادئ لئرى كيف تغزو القلوب ، وتدخل
إلى النفوس « منجمة » على دفعات تفعل

من فاحشة ، هؤلاء وحدهم خلايا الشيوعية
المستعدة لتلقى هذه المبادئ الفاجرة ، المرجحة
بأهدافها ، الراغبة فى التمسك بما تهدف له ،
وما تسمى إليه .

فإذا كانت الشيوعية تدعو إلى التخلص
من الدين الإسلامى وتزعمه رجعية تتنافى
مع ما يسمونه تقدما وحضارة ، فهؤلاء
المنحلون المنتميون أسبق إلى الفرار من الدين
من هؤلاء الشيوعيين ، وأكثر إلحادا منهم .
وإذا كانت الشيوعية تجاهد القرآن الحكيم
وتتال من نفسه ، وتبذل الجهد البالغ للخروج
من حدوده ، فالمنتميون المنحلون لا يحبون
القرآن ولا يحبون أهله والمتصين به ،
وينفرون من وارف ظلاله ، وفسيح جناحه .
وإذا كانت الشيوعية تحطم الحدود التى
تحمى العروبة والوطن العربى من أعدائه
الذين يقرعون بابه بكل يد ، لتنازع الأمة
العربية ، وتغوص فى الرمال أقدم العرب
ولا تبقى لهم مقومات تعينهم ، ولا شخصيات
تميزهم ، ولا استقلال يضمن لهم الكرامة
والعزة والأمن ، فالمنتميون المنحلون من هذه
الأمة أعدى أعداء هذه المعاني الكريمة التى
تقيم بها العروبة ، ويميز بها العربى فى سمته ،
وصفته ، ووجهته .

إذن فالمنتميون المنحلون من هذه الأمة
شيوعيون بغير عنوان أو شر من الشيوعيين

ومهما نثرت رائحة المسك على حور التعليم
فن خلالها نثم ريح الفاحشة ما ظهر منها
وما بطن .

فالقريب بالأمس مألوف اليوم معتاد
غداً ، وهو بعد غد عرف وظاهرة طبيعية
ومازلنا حرق شهدنا من أبنائنا
من يفعلون الفاحشة ويقولون « وجدنا
عليها آباءنا » . ومن يمثل عندئذ بقول الله :
« سواء علينا أوعظت أم لم تكن من
الواظنين . إن هذا إلا خلق الأولين » .

لعلك إذن أيها القارئ أدركت معنى مهيا
أوجزت لك القول أن الشيوعيين ما تناولوا
شرم ، وما استفحل جرمهم ، ليسوا شيئاً
مذكوراً بجانب هذه « الخلايا » التي تقوم
في أمتنا على سمعنا وبصرنا . وعلى رضائنا
حيناً ، وعلى سخطنا حيناً . وهي ماضية
في طريقها لا تولى على شيء .

وسنبين لك إن شاء الله في مقال لاحق
فصائل هؤلاء المنطلين وجرائمهم ،
وواجب الوطن نحو هؤلاء المنحلين وقتنا
بالمجد العظيم للأمة إن هي كلفتهم
وكانت جادة في أخذهم بما لا يدع لفتنة
دولة ولا جالها إن شاء الله ؟

محمد طاهر العنقي

المدرس في كلية اللغة العربية

فعل الخمر احتساباً الفمور كأساً فكأساً
حتى غر صرباً .

ذلك الانحلال لو كشف الناس وقاجام
دفعه ذات حنجر وصياح لارتد عاستا مدحوراً ،
ولبه صوته الصاخب أمتنا الإسلامية إلى
دعائه والناغين في بوقه لخطوم وحطموها
أبواقهم ، ولكنه كان كالمحى لا تعرف
برادرها حتى تظهر عواقبها .

المرأة المنحلة لم تبدأ سفورها بلبس
« الشوال » ، إنما كشفت عن وجهها أولاً
ووجدت منكربين مستغفرين من ذنبا العظيم ،
وظلت تجمع أنصاراً ومؤيدين حتى وجدت
عشاقاً ومعجبين ، فإذا السفور تهتك ولجور ،
وإذا كشف عن الساق وغير الساق ، وإذا
كل ما في المرأة ملك نفسها تعرضه أو تخفيه
والملايين ترى ولا تتكر ، وتنتظر وتستمع ،
والغيرة تموت وتموت حتى كأن عشرات
الآلاف أو مئاتها لم تخلق لها رجولة ولم
تولد فيها غيرة .

وكان عجباً أي عجب أن يصحب الفتاة
في الطريق ، وكان الفاجر الذي ينحدر إلى هذه
المخالطة المعاللة يكابد من سخط الناس
وألستهم الحداد ما يكابد ، حتى انتهى الأمر
إلى مشاهدة الجريمة لا الاختلاط ، ومعاينة
العشق وآثاره ، والفسق ومغباته ، في العامل
والتليذ والموظف وفي المدارس والجامعات .

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

وصف جمع المذكر غير العاقل بجمع المؤنث

« واذكروا الله في أيام معدودات » ، وقوله تعالى : « الحج أشهر معلومات » . فعندوات في الآية الأولى جمع معدود الذي هو صفة ليوم ، ومعلومات في الآية الثانية جمع معلوم الذي هو صفة لشهر . ومنه قول الأجرود اليربوعي من شعراء الحماسة في رثاء أخيه .

وسامى جسيات الأمور فتالها
على المسرح حتى أدرك العُمرَ اليُسْرُ
وذلك أن جسيات الأمور هي الأمور الجسيات .

وقد فعل العرب هذا في أسماء مالا يعقل المبدوءة بابن كابن عرس وابن آوى فقالوا في جمعها : بنات عرس وبنات آوى ، وهذا لأنه لا يتسنى لهم أن يقولوا : بنو عرس وبنو آوى إذ كان البنون لا يقال إلا لذوى العلم . ومن هذا بنات نعلش لعدة كواكب ، الواحد ابن نعلش ؛ لأن الكواكب مذكور . وقد قال النابغة الجعدي في الخمر :

١ - يقال في العربية : عندي كتب قيم وآثار نفيسات ، فإذا بحثنا عن مفرد قيمات ونفيسات هنا وجدناهما قيا ونفيسا ، إذ كانا وصفين للمذكرين : كتاب وأثر ؛ يقال كتاب قيم وأثر نفيس . وهذا موطن بعض الغرابة ، فإن المعروف في الجمع بالآلف والهاء أن يكون للمفرد المؤنث ، ومن ثم سمي جمع المؤنث السالم . والذي دعا إلى ارتكاب هذا مع غرابته أن القيم من الكتب لا يجمع جمع المذكر السالم لاختصاصه بالعقلاء وذوى السلم ، فلا يقال : كتب قيمون ، فذهبت الحاجة إلى جمعه بالآلف والهاء ، وهو الجمع الذي يتأخر جمع المذكر السالم ، وقد صار هذا منهجا مألوفا في العربية ، ونقله إليه النحاة ، فجمعوا بما يجمع بالآلف والهاء وصف المذكر غير العاقل ؛ ويمثل له الشيخ خالد في التصريح بقولهم : جبال راسيات .

ومما جاء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى :

وصباء لا يخفى القذى وهي دونه

تصفق في راووقها ثم تقطب^(١)

تمزتها والديك يدعو صباح

إذا ما بنو نضن دنوا فتصوبوا

فصامها معاملة العتلاء لما أسند إليها الدنو

والتصوب ، وقد خرجها سيويه^(٢) على هذا ،

وجعلها من قبيل قوله تعالى : « يا أيها النمل

ادخلوا مساكنكم » .

٢ - ويقال : حندي ثياب رقائق ،

فيكون فيه أيضاً بعض الغرابة ، كالذى قبله .

وذلك أن « رقائق » مفردة المعهود من أمره

رفيقة لا رفيق ، فكيف ساخ أن يجمع

رفيق الذى هو صفة ثوب ، مفرد ثياب ، على

رقائق وقد رأينا في الوجه السابق في « جبال

راسيات » أن الذى أوقعهم في الغرابة تصر

جمع المذكر السالم عليهم ، وقرابة ما بين جمى

المذكر السالم والمؤنث السالم ، وكأنهم هنا

حملوا جمع التكسير على جمع التصحيح بالآلاف

والتاء ، فلما كان وصف المذكر غير العاقل

إذا أريد جمعه جمع تصحيح جمع بالآلاف

والتاء ، فكذلك إذا أريد جمعه جمع تكسير

(١) في اللسان عقب إيراد البيت : « الصباء :

الحر . وقوله : لا يخفى القذى وهي دونه أى لا نستره

إذا وقع فيها لكونها صافية ، فالقذى يرى ليها إذا

وقع ، وقوله : وهي دونه ، يريد أن القذى إذا حصل

في أسفل الإماء وآه الرأى في اللوسع الذى فوقه

الحر ، والحر أقرب إلى الرأى من القذى : ونصف

تعار من إماء إلى إماء وقوله : تمزتها أى شربتها

فيلأ قليلا وتقطب : تخرج بالماء » .

(٢) الكتاب ١/٢٤٠ .

ساخ أن يكسر تكسير المؤنث .

وبما جاء من هذا قول أعرابية^(٣)

في رثاء ولما :

لئن كنت لهما العيون وقره

لقد صرت سقيا للقلوب الصحاح

فالصحاح جمع الصحيح الذى هو صفة القلب ،

وإنما الصحاح في قياسها جمع الصحيحة ،

ولكن الصحيح لما كان وصفا لما لا يعقل

جمع على الصحاح . وقد تبع الأعرابية

أبو العلاء المعرى إذ يقول في لزومياته :

غدوت مريضاً للعقل والدين فالقنى

لتسمع أنباء الأمور الصحاح

وجاء من هذا قوله تعالى : « فعدة من أيام

آخر » . فأخر هنا جمع آخر الذى هو صفة

يوم مفرد أيام ، وإنما يجمع آخر على

آخرين ، فأما آخر فواحدة أخرى ، ولكن

لما كان آخر صفة ما لا يعقل جمع جمع أخرى .

وقد ذكر أبو حيان^(٤) قاعدة لخص بها

ما قلناه في جمى التصحيح والتكسير فقال :

« وآخر صفة لأيام . وصفة الجمع الذى

لا يعقل تارة تعامل معاملة الواحدة المؤنثة ،

وتارة تعامل معاملة جمع الواحدة المؤنثة .

فن الأول ، إلا « أياما معدودة » ، ومن الثانى

أيام « معدودات » ، فمعدودات جمع لمعدودة ،

وأنت لا تقول : يوم معدودة ، إنما تقول :

معدود لأنه مذكر ، لكن جاز ذلك في جمعه » .

(١) من القند القريد في التمازى وللرأى .

(٢) البحر المحيط ٢/٣٣ .

مسائل الأصول المشهورة : لا تكليف إلا بفعل . ويقول البيضاوي في تفسيره في أواخر سورة البقرة عند قوله تعالى : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » : « وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق » .

وقد حاب النقاد المحدثون ما وقع فيه طامة المصنفين وسرى إلى سائر الناس من تعدية التكليف ومتصرفاته إلى المفعول الثاني بالباء ويقول اليازجي في لغة الجرائد ٩٧ : « ويقولون : كلفته بالأمري فعدون هذا الفعل إلى المفعول الثاني بالباء ، والصواب تعديته إليه بنفسه ، تقول : كلفته الأمر » .

على أن هذا الذي اشتهر يخرج على وجه سائغ صحيح . ذلك أن ضمن التكليف بالأمر معنى الإغراء به ؛ فإن من كلفك أمراً فقد أغراك به وأولئك به . والتضمن سائغ منقاس إذا روي به غرض براد . والغرض هنا إقادة الإغراء بالفعل والهييج له ، والتزيين ؛ ليكون المكلف أسرع إلى الامثال . والعلماء غرض آخر ، وهو التفريق بين وصفي الإنسان الذي يطلب منه الفعل والفعل نفسه ، وهذا لا يفي به الاستعمال الأصلي إذ كلاهما عليه مكلف ، وفي هذا ما يتأى عن غرضهم من الإيضاح والتمييز ، فأما على الاستعمال الآخر ، فالإنسان مكلف ، والفعل مكلف به ، وهذا أقرب إلى الإفهام ، وأناى عن التعويض والإيهام .

محمد علي النجار

الأستاذ في كلية اللغة العربية
وعضو الجمع النحوي

ويمكن تلخيصه على وجه آخر فيقال : إن وصف المذكور غير العاقل يعامل في جمعه معاملة وصف الموث .

كلفته الأمر ، كلفته بالأمري :

الوارد في المأثور من كلام العرب : كلفته الأمر . وفي الكتاب العزيز في أواخر سورة البقرة : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » . ويقول حلقة المحل في قصيدة له في المنفضيات في الحديث عن قلبه .

طحا بك قلب في الحسان طروب
بمئيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفني ليلي وقد شط ولها
وحانت عواد يبتأ وخطوب
(شط ولها : بعد عهدا) .

وقد دون هذا الاستعمال صاحب الأساس والمصباح . ففي الأساس : « وكلفه الأمر فتكلفه » . وفي المصباح : « وكلف الأمر من باب تعب : حمله على مشقة . ويتعدى إلى مفعول ثان بالتضمين فيقال : كلفته الأمر فتكلفه ، مثل حملته وزنا ومعنى ، على مشقة أيضا » .

وقد اشتهر من قديم بين الأصوليين والفقهاء أن يقال : كلفه بالأمر ، وهو مكلف بالأمر ، والتكليف بالأمر . وفي المستصفي للزالي ١/٨٦ : « ذهب قوم إلى أن كون المكلف به يمكن الحدوث ليس بشرط » . وفي مسلم التبتوت ١/٨٤ : « وثانيا : كلف أبا جهل بالإيمان » ، ومن

أثر الروح الإسلامية في النفس البشرية

للشيخ عباس طه

المقررات الأربعون :

اليوم بصدد المقررات الاجتماعية فاتنا نبسط القول فيها تحت ضوء مقرراتها الرسمية فنقول : كانت الروابط الاجتماعية قبل الإسلام لا تعدو دائرة القوميات ، فكان لكل قوم دينهم الضرورة للحياة ، حياة مشتركة أساسها نعمة جنسية قائمة على المصلحة المادية دون سواها . فأفراد هؤلاء القوم كانوا يقبلون الاشتراك في الحياة دفعا لعادات جماعات أخرى ، وتعارفنا على مبدأ تقسيم الأعمال ، والإفادة من الميول المختلفة في المحاولات المعيشية .

على هذا الأساس ، قامت جميع الروابط الاجتماعية السابقة ، لم تشذ واحدة منها فتطلب غرضاً أسمى من المصلحة المادية ، وهو إلى اليوم مدار الدعوة الرئيسية إلى الالتفاف حول راية واحدة أو التوجه لغاية معينة . ولكن هل هذه النعمة القومية هي المثل الأعلى للدعوة إلى الاجتماع وإلى التضامن في الحياة والتساند في تذليل ما يعترضها من عقبات ؟ اللهم لا وإليك البيان :

الأمم تتطلب اليوم إبطال الحروب لما ثبت أنها تعصب الغالب والمغلوب على السواء

الإسلام آخر الأديان السماوية نزولا ، وكتابه عاتم الوحي الإلهي للإنسانية ، وقد نص فيه على ذلك في غير موطن منه ، وأثبت الزمان ذلك بعدم قيام دين بعده إلى يومنا هذا ، اللهم إلا مذاهب لبعض الأفراد ادعى أصحابها أنهم رسل الله ، وبعضهم غلا فاعتبروا زعيمهم الخالق نفسه متجسدا . ولكن هذه المزاعم لم تصدقها الحوادث ؛ فلم تبق تلك الأديان المزعومة قائمة ، ولو كانت من الله لبزت جميع الأديان في الانبعاث ، ولكانت لها دولة وصولة في العالم ، ولم تكن على ما هي عليه الآن . وقد مضى على بعضها أكثر من قرن ولا تزال مجهولة لا يكاد يعرفها إلا عدد قليل في كل ناحية .

هذا الاعتبار جاء الإسلام حائراً لمميزات الخواص ، وهي النهايات التي ليس وراءها منعب ، سواء كان ذلك في المعتقدات والعبادات والمعاملات ، أم في الأخلاق والآداب وروابط الاجتماع . وبما أننا

من هنا نشأت فكرة توزيع المواد الأولية العالمية توزيعاً عادلاً بين الأمم حيث يعدم تطلها للاستثمار والعنوان على غيرها من الأمم ، ولكن وصولها إلى هذه النتيجة من الصر بمكان ؛ فإن شراة المحرومين وشح المستأثرين تمنع من الوصول إلى حل وسط . ولكن الوصول إلى هذا الحل أمر لا يحصر منه ، فإن الترابط بين الأمم تشتت عراه يوماً بعد يوم ، وقد اخل المصالح العالمية يزاد شيوعاً على نسبة تقدم المدنية ، والمدنية تيار جلوب يطنى في طريقه على كل عقة .

ولنا تقى أنه إلى جانب هذه العوامل الماعية إلى التعامل والتفاهم بين الشعوب ، توجد عوامل أدبية أشد منها تأثيراً ، منها ذبوع مبادئ الفلسفة بين الناس ، وهى تصور الحروب البشرية تصويراً لا قبل للضمير البشرى بقبوله ، وتلطف الشعوب الإنسانى إلى حد النفور من كل عمل وحش ، وتبطل الأوهام التى كانت تبنى عليها أمجاد الأمم من الانتصار فى الحروب ، واستئصال شاة الأعداء ، أو تمزيقهم كل مرق ، وتضعف الحمص للأديان إلى درجة أنه أصبح يعتبر من مفسدات الشخصية البشرية . وفوق هذه العوامل كلها عامل ذبوع العلم بين الأفراد وقضائه على كل عقيدة باطلة بأدلة لا تحتمل

بسبب دخول الحياة العالمية فى ترابط اقتصادى تام ، فابفسد هذا الترابط أو يخل به تمنع تبعته على جميع الأمم بلا استثناء . فقد انتصرت الأمم الأوروبية على الألمان فى الميدان ولكنها تحملت وإياها تبعات تلك الحرب الشعواء فاما من أمة منها إلا وقد اضطربت حياتها واختل توازنها ورجعت فى بعض شئونها القهقرى عشرات من السنين ، وإذا تلتها حرب أخرى فسكون نتائجها أحدى على كيانها من الحرب السابقة وأشد إخلالاً لتوازنها ، ولذلك نهد الأمم تتجنب وقوع الحرب جهدها طاقها .

ولكن تجنب الحرب لا يكون بالتقى ، فهو يقتضى تحديد التسليح ، وتكافل الأمم على حل مشاكلها بالتجاءم إلى العدل لا إلى السب ، وانفاقها على كل من يخالف ذلك بالتألب عليه وإزاهه حده بالقوة .

كل هذا لا يكفى ، فإن الجوع كما قيل كافر ، والأمم التى تنمو تحتاج لمادة جديدة لتفت بها الزيادة فيها ، وإلا طاشت الأحلام تحت تأثير الحاجات الملحة ، وأحدث ما لا محمد عقباه من الاضطراب ، والضمير البشرى أصبح لا يطبق أن يفظ على أمة ويضيق على خناقها لتتوت تحت تأثير حاجة طبيعية لبعضهم منها أوفى نصيب ، ومقدار يزيد من حاجتها زيادة عظيمة .

النقض ، وتجليه للناس العقائد الفطرية من وجود الخالق والروح والخلود والعالم الروحاني بجميع حية تلج الصدور ، وبشرك في الخضوع لها الناس كافة .
من هنا يدرك كل من يتأمل في أحوال الإنسانية أنه لابد تحت تأثير جملة هذه العوامل المتضاربة ، من توحيد الإنسانية في المعتقدات الأولية . وفي الآداب النفسية ، وفي روابط الاجتماع أيضا .
فهم ، إن بلوغ هذا الشأ يحتاج لوقت طويل ، ولكن الإنسانية متجهة إليه ولا يتخيل شيء يصدعها عنه ، إذا عرف أن ناموس الارتقاء طبيعي ، وأنه لا يحصى من تأثيره . فالروابط الاجتماعية ستقلب من المادية البحتة ، التي تقضى إلى الزايم والتنازع على العيش ، إلى مادية وروحية في آن واحد ، تفرض على الكافة حقوقا تناسب وترابط مصالحهم وتداخل مراقبهم ، ووصولهم إلى درجة من السمو الأدبي بحيث يستعظمون أن يعيش بعضهم بامتصاص دماء البعض .
فالإسلام الذي جاء بالمثل العليا في جميع الشؤون الإنسانية جاء بالمثل الأعلى في هذه الناحية أيضا فلم يدع إلى اجتماع أساسه القومية ولا الجنسية ، ولم يعبا بالأواصر العرقية ولا التاريخية ، ولكنه تخطى تلك الاعتبار الخاصة كلها ، ودعا إلى المثل

العليا للاجتماع التي مستقي إليها الإنسانية : وهي الوحدة النوعية والاصول الأدبية والمبادئ الخلقية ، لجاء مجتمعه ذا صفة عالمية عامة ، لا قومية خاصة ، وأول أساس وضعه في هذا الصرح الاجتماعي العالي قوله تعالى : « يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » .
فأنت ترى أنه يدعو الناس كافة ولا يدعو قبيلة واحدة ، ولا أمة بعينها ، وقد جاءت جميع آياته داعية إلى هذا المبدأ السامي : مبدأ الوحدة الإنسانية . بصرف النظر عن جميع الفوارق من جنس ولغة ولون . وهو لأجل أن يوجد أركان هذه الوحدة ويجعلها حقيقة واقعة ، لا خيالا شعريا ، دعا إلى الدين الجديد بأن يكون دينا عاما للإنسانية ، وهو دين الفطرة الذي يتجه إليه الإنسان محفوزا بمقتضيات فطرته لا بتعليم معلم ولا بتورث مورث قال تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .
والفطرة تدعو إلى الاعتقاد بخالق الكون وبالروح وبقائها في عالم وراء هذا العالم ، وبترتب أحوالها هنالك على سيرتها في هذا العالم وعلى حب الحق ، وكراهة الباطل ، وإثبات

العدل ومكارم الأخلاق وإقامة دولة الفضيلة
في الأرض .
« إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف
الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم » .

فالإسلام كما ترى لا يتوجه للأمم بوصف
أنه دين جديد ، ولكن بوصف أنه دين
الإنسانية كلها ، وإنما أعيد الوحي به نقيبا
عالميا ؛ ليرفع الخلاف الذي أوجده قادة
الاديان بغيا بينهم ، ففرقوا الناس أحزابا
وشيعة ، كل حزب بما لديهم فرحون .
قال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شيء » .

فالإسلام يدعو لتوحيد دين الإنسانية ،
وهو الدين الذي فطر عليه الناس جميعا ، وهو
إنما تعددت صورته بفعل الرؤساء الذين
اقتضت أهواؤهم أن يستغلوا الخلاف بين
الناس ؛ مواناة لمطامعهم ومسايرة لمزاعمهم ،
فالدين في نظر الإسلام كل لا يقبل التجزؤ
ويشمل ما أوحاه الله إلى الناس كافة واعتبار
كل من أرسلهم إليهم في جميع العصور والأجيال
وحدة قال الله تعالى : « إن الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ،
ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن
أنت يتخفوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين
عذابا مهينا » .

يقول قائل : كل دين يدعو إلى هذا ، فأية
مزية للإسلام عليها ؟ نقول نعم ، والإسلام
يقرر أنه ليس بدين جديد ، ولكنه الدين
الأول الذي أوحاه الله إلى أول أنبيائه ،
لحرفه الناس وأخرجوه عن أصوله ، وتفرقوا
فيه ، وذعب كل فريق بما تخيله منه ، ينادى
به سواء ويستحل دمه . لحاء الإسلام لتنبية
الناس إلى هذا الخطأ البين والضلال البعيد .
قال الله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به
إبراهيم وموسى وهنرى أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوم
إليه ، الله يحبب إليه من يشاء ، ويهدي إليه من
يئيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل
مسمى لفضى بينهم ، وإن الذين أورثوا
الكتاب من بعدهم لنرى شك منه مرعب .
فلذلك قادم واستقم كما أمرت ولا تتبع
أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب
وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم ،
لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا
وبينكم . (أى لا حاجة ولا خصومة) الله
يجمع بيننا وإليه المصير . . . وقال سبحانه :

هذه الغاية سيتهى إليها العقل البشرى حتماً ، وإذ ذاك لا تجمد الإنسانية في طريق وحدتها حائلاً يمنحها منها ، وعند ذاك تكون الأحوال الاقتصادية العالمية قد استقرت على قرار معين ، وتكون العلوم قد بلغت شأنها تصلح معه أن تطهر النفوس من دنس الميول الساقطة ، وتخلص المدنية من آفاتنا الموبقة فتقوم على سياسة رشيدة في حكوماتها ، وأخوة صادقة بين جميع وحداتها ، وإذ ذاك يتحقق ما وعد الله به في قوله : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

فالإسلام بما شرعه من جعل أصول الاجتماع قائمة على الأصول الأدبية والمبادئ الخلقية والعقائد الفطرية ، قد وضع أساس يجتمع على طامى عام ستقوم عليه البشرية حين تبلغ رشدها وتعرف حدها . وقد جرى في ذلك على سنته من النصرة إلى النهايات من كل الأمور والإجابة إلى الخبايا في جميع الشؤون .

عباس طه
المحامى

والإسلام لأجل أن يمد جميع المسارب على التضليلات التي يتذرع بها رؤساء الأديان لخداع الشعوب وتفريقهم وحمل بعضهم على معاداة بعض ، أقلم العقل حكماً يرجع إليه في التفرقة بين الحق والباطل ، وجعل الدليل وسيلة من وسائل الوصول إلى لباب المسائل المتنازع عليها . وزاد الإسلام على هذا ، القضاء على الاعتداد بالموروثات من العقائد والتقاليد وجعل كل إنسان مسئولاً عن نفسه ، وغلى ما بينه وبين ربه بإسقاط الوسطاء الذين اتحلوا لأنفسهم هذا الحق في غفلة الحق ، وفي دور طفولة الإنسانية . فالأديان كما يقول المعارض تدعو كلها إلى عقائد واحدة ، ولكنها ملتزمة بشوائب الآراء البشرية ، بما لا مناص من التنازع عليه ، ولكن الإسلام يدعو إلى تلك العقائد خالصة من شوائب الآراء ، فلا تجمد الشعوب المختلفة مانعاً يمنعها من الأخذ بها باعتبار أنها دين الإنسانية جمعاء ، لا دين طائفة من الطوائف ولا أمة من الأمم ؛ فدين الإنسانية لا يجوز أن يكون حاملاً طابعاً من قومية ، ولا أثر من عقلية ولا شائبة من حالة نفسية . بل أصولاً أولية ، ومبادئ كلية وآداباً عالمية .

ما يقال عنه المسلمين والعرب

الإسلام في إفريقية الغربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

على النظرة الناقدة لمحّة واحدة حتى يقين
بطلانها على الأثر في لمحّة نالية .

أما الانتشار بالسيف فالحكم فيه حكم
الوقائع والأرقام .

إن حروب الإسلام في الهند والمجرو الهندية
أقل الحروب في تاريخه وفي تاريخ كل عقيدة
دينية أو عقيدة من عقائد الإصلاح كائنة
ما كانت ، ولا يقل عدد المسلمين في الهند
وجزرها عن مائتي مليون .

أما تعدد الزوجات فقد ظهر من دراسة
أحوال الزواج بين القبائل الإفريقية أنه ليس
من الميسور لكل من يطلبه ، وليس من
الكثرة بحيث يتخيلون من أحوال المعيشة
الإفريقية ، وقد حرم الإسلام شرب الخمر
وهي أيسر لمن أرادها من الوثنيين وأحب
إليهم وأدنى إلى التناول في كل يوم وكل ساعة
ولم تحرمها الأديان الأخرى تحريم البتات
كما حرمها الإسلام ، فلم يكن ذلك حائلا دون

كلما استراح دعاة التبشير والمطامع السياسية
إلى سبب يعللون به انتشار الإسلام في إفريقية
وآسيا وجعوا عن هذا السبب بعد حين ،
وأحسوا أن انتشار هذا الدين له سبب آخر
لم يبتدوا إليه ، ثم هم يرجعون عن هذا
السبب الآخر كما رجعوا عن السبب الذي
استراحوا إليه من قبله ، ولا يزالون كذلك
ولن يزالوا على هذا التردد بين الأسباب وهذه
الحيرة بين الأخطاء . ما داموا يعتمدون في
بهم أن ينكروا فضل الإسلام وأن يتمسكوا
لانتشاره كله علة غير العلة التي يستحق بها الدين
أن ينتشر بين الناس ، وهي صلاحه للاعتقاد
والعمل والتصديق .

إن علة انتشاره السيف ١ .

إن علة انتشاره السماح بتعدد الزوجات ٢ .

إن علة انتشاره السناجحة في أصوله

وأحكامه ٣ إلى آخر هذه العلل المتشابهات ٤ .

وكلها علل باطلة ظاهرة البطلان لا تثبت

المؤاتية أو المعارضة لنفوذ الأوروبيين فيها ، ومن أهمها عوامل الترحيب أو عوامل النفور من الإسلام بين الإفريقيين الأصلاء والإفريقيين الواردين على القارة من غيرها . ومن هؤلاء المؤلفين المشغولين بجد الاشتغال بالتبشير في القارة الإفريقية سبنسر ترمينجهام صاحب كتاب « الإسلام والحلقة » ، وكتاب « الاتصال المسيحي بالإسلام في السودان » ، وكتاب « الإسلام في إفريقيا الغربية » . وهو الذي نعينه بالنظر في هذا المقال (١) .

يكاد هذا الكاتب أن ينسى خصائص الدين الإسلامي ليقبل بنياته كلها على الظروف المحلية من جغرافية واقتصادية وطائفة عارضة من الظروف النفسية ، وعلى هذا الأسلوب يفسر أسباب المقاومة وأسباب القبول كما فعل في التبعة التي كتبها بهذا العنوان إذ يقول ما لحواه :

« إن انتشار الإسلام وما ترتب عليه من توزيع السكان المسلمين في هذه البقاع كان نتيجة لموامل متعددة ، بين تاريخية وجغرافية ونفسانية وأهمها في خطوطها العريضة عاملان تاريخيان : أحدهما سر بانه المتشمل منذ القرن الحادى عشر إلى القرن السابع عشر على أيدي

لإقبال الإفريقيين عليه بغير جهد وبغير تبشير وبغير ترغيب بمختلف الوسائل التي يتوسل بها المبشرون وأصحاب المطامع السياسية . أما سذاجة العقيدة فلا فرق فيه بين الإسلام وبين دين من الأديان عند النظر إلى المبادئ الأولى التي يبرحها الدعاة أول مرة على المستمعين إليهم ، وربما كانت تكاليف الفرائض اليومية في الإسلام أكثر وأظهر من أمثالها في الأديان الأخرى ، ومنها ما تخفى تكاليفه أياما قبل أن يدعى إليها الداخلون في الدين .

كل هذه الأسباب لم نصلح لتعليل انتشار الإسلام في القارة الإفريقية على التخصيص وقد ناقضها الواقع في أرجاء القارة حتى أوشك الباحثون من المبشرين وأصحاب المطامع السياسية أن يقتنعوا بالتسليم لواقع ويكتفوا بتسجيل المشاهدات كما بلسونها في كل موطن من المواطن التي دخلها الدين الإسلامى ، فلا يزيدوا على إحصاء الدواهي أو الموانع المحلية حيث كانه ، مع الإشارة الخفية إلى وسائل تؤكد هذه الموانع والاستفادة منها في إقامة العقبات وتفسير أسباب التيسير والترغيب .

ويجرى على هذه الوتيرة كثير من المؤلفين المحدثين الذين يقصرون مباحثهم على أحوال القارة الإفريقية وما تشتمل عليه من العوامل

(1) Islam in west Africa by P. Spencer Trimingham.

تماثل تلك العواض الجغرافية في قوتها... فالإسلام خليق أن ينتشر بين أبناء المدن لأنه حضارة لا بد لها أن تتوطد في مركز المراكز المدنية يتلاقى فيه طلاب التجارة والمرافق والتعليم ويكون لهم أثرهم في القدوة الاجتماعية والتدين، فهؤلاء المدنيون بما عهد فيهم من النزعة الفردية ومن التطلع ومن الانحصار في شئون السوق والمصنع يقبلون على العقيدة الإسلامية، ومثلهم الرعاة المتنقلون في الإقبال على هذا الدين لخلوه من المراتب الكهنوتية وقلة ما يتطلبه من التغيير في المعيشة أو من تكاليف العبادة على بساطتها وسهولتها... إلا أنه قليلا ما يستوى أصحاب المعيشة الريفية الذين تربط أعمارهم بالزراعة والعناية بتربية الأطفال والماشية. وقد يقبل عليه الرجل من أبناء القبيلة الواحدة ويعرض عنه إخوانهم المشتغلون بالزراعة، فلا يمد في هؤلاء الريفيين أن يقبلوا عليه إلا بعد فترة فراغ من العقيدة... .

وخلاصة الموانع الريفية، التي تصد أصحاب المعيشة الزراعية عن الإسلام في رأي المؤلف أنهم يرتبطون كل يوم بشعائر التقاليد والقرايين والدعوات والتعاويذ التي تعترض الإسلام كما يعترضها، فلا يسهل التغلب عليها بحكم العادة أو القدوة قبل استئصالها وتثبيت أركان العقيدة الجديدة مما يشق القيام به في نطاق محدود.

التجار ورجال الدين من العبر المرابطين... وقد أدى إلى قيام طبقة حاكمة في بيوت الإمارة وبيوت التجارة والوجافة، أما الآخر فهو الحركة التي اشترك فيها السود والفلاحيون - رحالة بلاد النيجر - وأنشأوا بها نخلة ذات حكومات دينية أخذت في التجمع خلال القرن التاسع عشر بعد وفود الأوربيين على البلاد. ولا يخفى أن الإسلام قد دخل إلى البلاد من الشمال حيث يقيم هؤلاء وهؤلاء فكان من جراء ذلك أن سكان الإقليم اصطبغوا شيئاً قشياً بالصبغة الإسلامية، وحالت عوائق الموقع دون وصول العقيدة إلى الجنوب كما حالت بقايا الوثنية دون تعميمها حيث وصلت من شمال الإقليم. وقد كان تضرير المناخ من أسباب تعويقها، إذ حدث غير مرة أنه وقف في الطريق سداً دون المغيرين، وهناك تحذر المواصلات ويتفرق السكان فرقا صفاراً على مسافات متباعدة فيتوقف الزحف إلى الجنوب، وقد كانت غابات غانة حائلاً دون تقدم الوافدين الذين تمودوا المعيشة في السهول، وضاعف الصعوبة عواض الحى الصفراء والملاريا ومرض النوم والقحط والجحافة، وراح الوثنيون يلوذون بما اعترض الوافدين من المضارب والمستنقعات وبحيرات نهر النيجر. إلا أن أسباباً أخرى نفسية تحسب من العواض التي

حيث تزعم واضطرب في موطنه ، بل ساعدته على الانتشار بين أرجاء إفريقية الغربية كلها ، ووجب على كل دارس للتغيرات الدينية أن يعلم أننا نواجه في أقاليم شتى إسلاما ينشر دعوته ويستميل أبناء تلك الأقاليم إليه .

إلى أن يقول ما ترجمه بنصه بعد الإشارة إلى الثقافة الغربية : «إنها على ما أحدثته من أثر في الجماعات الوثنية الكثيرة زرع الأسس المتينة وجنح بهم إلى البحث عن مستقر جديد قد لقيت بين الجماعات التي توطد فيها الإسلام ساجزاً لم يزعزع إلا في الوقت الحاضر بعد استدراج الشباب إلى اتخاذ الأطوار الغربية ، وليس إسلام إفريقيا الغربية كإسلام القرن العشرين في الشرق الأدنى حيث تسرى تيارات الحضارة الغربية في نواح شتى وتؤثر أثرها في أهله فيستجيبون لمطالب العالم الحديث ، بل هو إسلام القرون الوسطى ، وعزلة شيوخ الدين فيه عزلة جمد حقيقية فليس لاتصالهم بالعالم الإسلامي في شمال إفريقيا والشرق الأدنى غير أثر هزيل .

وصلق المؤلف على ذلك في هامش الصفحة قائلاً : «إن فقهاء الدين العارفين باللغة العربية كما يطلعون عليها في كتب الفقه لا يفهمون العربية العصرية إذا قرأوها في صحيفة أو مجلة

على أن المؤلف يذكر أمثلة من القبائل الوثنية طواها الإسلام في عقيدته الكبرى - عقيدة الشهادتين والفرائض - وتركها بعد ذلك وما ورثته من تقاليد أسلافها التي دوجت عليها في معيشتها اليومية ، فأصبحت في عداد المسلمين الذين يقاومون سياسة الغرب . بدافع من العقيدة ومن الوطنية أو عصية القبيلة معاً ، وابتلى منها الغرب بعدو مزدوج العداوة صلب المراس على دعاة الفتح والتبشير .

• • •

ويتهى المؤلف من شروحه المطولة على هذه الطريقة الواقعية العملية ، إلى الخاتمة التي يقرر بها زبنة الكتاب ويصف الحالة في العصر الحاضر ، فيوجزها في نبذة خلاصتها : أن الديانات الباطنية التي تشبه في العصر الحاضر الديانات العامة أو العالمية المشتركة لا تنفي ما عداها ولا تصف بما انصفت به المسيحية والإسلام من الشمول أو الإحاطة التي لا بد أن تصطبغ بما تقدمها ، ولكن الإسلام قد سوى ما بينه وبين الشعائر المتقدمة من الخلافات التي تدفع إلى الصدام العنيف فاستطاع الإفريقي ، وهو مشتمل بربال الدين الإسلامي أن يوفق بين الطرفين في نطاق عقيدته الجديدة ، وجدت السيطرة الأوروبية فلم يقتصر أثرها على تثبيت الإسلام

الطريقة العملية الواقعية ، في التنبيه إلى أسباب انتشار الإسلام وأسباب مقاومته بين قبائل إفريقيا الغربية ، ولولا أنه بحث يتصدى له أساطين التبشير المتفرغون له في القارة الإفريقية لجأزلنا أن نقول : إنه بحث على برى يتجشم الباحثون أعباء ومقارمه طلباً للمعرفة الخالصة دون غيرها ، ولكن أساطين التبشير لا يشغلون أنفسهم بأسباب نشر الإسلام لينشروه أو ليقفوا حياله متفرجين منتبطين ، وأقرب ما يحظر على البال بداهة تغير حاجة إلى الفطنة الثابتة أنهم يعرفون هذه الأسباب ليعرفوا منها الأسباب العملية الواقعية ، لوقفه وحسده وتحويل القبائل الإفريقية عنه والاستماعة بالعوائق القائمة لزيادة العضبات في طريقه ، ومن هذه الوسائل أن تستعين السلطة بالجامعين من المسلمين المتأخرين على محاربة طلاب الإصلاح والتقدم ، قبل ما تريد من التعويق والتعطيل وهي تغتم الشكر من أولئك الجامعين .

• • •

على أن الكتب السياسية أدنى إلى كشف السائر عن الخطط المبيتة من كتب التبشير ، وبخاصة كتب السياسة التي ينشرها أناس تابعون لدولة غير الدولة المسيطرة على الإقليم الإفريقي المحكوم ، فإن مؤلفي هذه الكتب قد يكشفون أسرار السلطة المزاحة لهم حبا

مصرية ولا يهتمون بالتعلم على نمط جديد . ولم تصادف المحاولات التي أريد بها إصلاح التعليم الديني غير قليل من النجاح ، ولاحظ مثلا - مصير الكلية القرآنية العليا التي أسسها في باماكو - سنة ١٩٥٠ - أربعة من غلاة الحريجين الأذمريين . فإنهم اهتموا بتوكيد فهم القرآن على أسلوب غير أسلوب الاكتفاء بالحفظ والاستظهار وتساولوا في دروسهم بعض الموضوعات الحديثة . فارتفع عدد الطلاب إلى أربعمائة . بعد فترة وجيزة ، ولكن دراساتهم تعرضت للإلحاح عليها من جانب الفقهاء وجانب العصريين . فأمرت السلطة بإغلاق المدرسة في شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ لأن السلطة في إفريقيا الفرنسية ومثلها إفريقيا الانجليزية تميل إلى مناصرة المحافظين على المجددين ، وقد عرقلت تجربة أهون من هذه التجربة في السودان الفرنسي على أيدي جماعة تسمى جمعية المرشدين أنشأت عدداً من المدارس توسع في استخدام اللغة الدارجة وكذلك أنشئت في (زرعة) Zaria مدرسة نصر على تعليم اللغة العربية ولكنها تلتقي الإرشادات الدينية بلغة القبيلة .

• • •

في هذا القسط من الكتاب كفاية للتعريف بالغرض الذي تحوم حوالبه هذه

واحدة أو تكلف الدولة من الغرم غير القليل من المال (صفحة ١٦٢) .
ويشبه ذلك في الصراحة أن المستعمرين يقطعوا بعد فترة من الغفلة لخطر الإسلام في دحضه على القبائل الوثنية : « وقليلًا ما فجر النزاع بين الوثنيين - والمسلمين لأن الأولين متفرون منقسمون نحلًا وفتات لا تقوى على أكثر من المقاومة السلبية لمسالك الإسلام في تقدمه . ولم يتنبه الفرنسيون عند قدومهم للمعنى السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي الذي يدل عليه تقدم الإسلام وغلبته على القبائل الوثنية . فإنهم كانوا في إبان المعارضة بسلطة الكهنوت يلتزمون الحيدة في المسائل الدينية ولا يدركون أنهم بذلك يمهّدون لنجاح المسلمين في اكتساب الوثنيين الذين تأتي السلطة الحكومية على القس أن يعملوا على تبشيرهم... ولم يدركوا الحقيقة إلا بعد ضوب الفتنة في كايس وستادوجو (سنة ١٩١١) وثبوت اتصالها بالنداية الإسلامية من قبل صنّاعة . فعلوا يومئذ متأخرين أنهم يمهّدون بسياسة الحيدة في المسائل الدينية تمكين الإسلام من إقامة سلطة سياسية إلى جانب السلطة الدينية » .
وشبه بهذا في الصراحة أن السلطة أذنت بتعليم المسلمين في المدارس العصرية وحظرت على تلك المدارس أن تتعرض للدعوة الدينية

لغلبة عليهم في ميدانهم ، والتشهير بهم بين رعاياهم ، إن لم يكشفوا حبال الحقيقة وإنصافًا للحكومين .
ومن الكتب التي ينبغي أن تقرأ في هذه الأيام لبيان الأغراض التي يتوخاها المبشرون والمستعمرون من تلك البحوث و العملية الواقعية ، من أحوال الإسلام والمسلمين في القارة الإفريقية كتاب ضخّم عن « إفريقيا الغربية الفرنسية » ألفه الإنجليزي والإنجليزية ضليعان . في هذه المباحث خبيران بأسرار السياسة التي يطلقون عليها في الغرب اسم توريب إفريقيا Eurafica ، أي إدخال إفريقيا في الحضارة الأوروبية ، وهما ريشارد أدولف Richard Adolph ، و فرجينيا تومسون Virginia Thomson . وتزيد صفحات الكتاب على ستائة صفحة من القطع الكبير . وأصرح ما في الكتاب كلام المؤلفين في الفاتح السلي زافير Xavier Coppolani الذي كان « أول من فطن لإمكان استغلال النفوذ الذي يشره البربر المربطون في علاقهم بالعرب » وأنه يستغل المنافسة بين زعماء البربر ، كما يستغل النفوذ بين العرب والبربر المربطين ، ويدفع بعضهم بهذه الوسيلة إلى وضع أنفسهم تحت الحماية الفرنسية « لقمهر خصومهم ومناقضهم على الزعامة ، دون أن تطلق في الإقليم رسامة

المناقشات اللاهوتية ، حول خصائص الإسلام لأنها أضع للبشر والمستعمر في العمل الواقعي ؛ لتجريده من وسائل الانتشار وإحاطته بالصوائق والعقبات وتعزيز ما يوجد منها في طريقه من أثر الظروف الجغرافية أو الاجتماعية .

• • •

ولما نحن أن تأخذ من دراساتهم هذه ما ينمنا ويهدينا إلى العمل اللازم في الواقع ، وخلاصته في سطور قليلة : أن الإسلام لا تزال له في القارة الإفريقية قدرته الطبيعية على التقدم والثبات ، وأن الحوائل في سبيله إنما هي حوائل مصطنعة من فعل السياسة أو من فعل الظروف الجغرافية ، على الأكثر ، وفي وسع دعاة الإسلام أن يقاها تلك الحوائل بما تستدعيه من حيلة واجتهاد . ٢

عباس محمود العقاد

لذلك مقصدها من هذه السياسة أن ترشح أبناء الزعماء والشيخ نوظائف الحكومة قتلهم بها عن دهوة الوثنيين إلى الدخول في الإسلام (صفحہ ١٤٩) .

وقد يعتمد المسلمون على أنفسهم في إدارة مدارسهم فلا تتاح لهم الفرصة لاستخدام المدرسين الأكفاء إليها ، ولا تتجس المدارس في تخريج الشبان الصالحين لولاية الوظائف وإدارة الأعمال المستقلة مع اكتفائها بالبرنامج العتيق المعهود في معاهد التعليم على أساليب القرون الوسطى .

• • •

وتمام هذه الخطط إنما هو تفصيلات هذه الخطوط العريضة كما يقولون في المصطلحات الأوربية ، ولباها جميعا أن الطريقة الحديثة التي يتوخاها المبشرون والمستعمرون لتقرير أحوال المسلمين الواقعية العملية ، إنما تفضل في هذا المصير على

تصويب في الجزء الماضي

- في العمود الثاني من صفحة ٢٥٩ السطر ٢٥ : التضامن ، صوابها : التضامن .
 • الأول • ٢٥٤ • ١٩ : المدنية ، • : المدينة .
 • • • ٢٥٥ • ٢١ : طبيعيين ، • : طبييين .

وجهة نظر الشيوعية في الاسلام عن مجلة « صحيفة الميزان »

والمقصود من هذه التعاليد والفلسفات هو الإسلام بالذات .

وجهة نظر الشيوعية عن الإسلام :

وجهة نظر الشيوعية عن الإسلام تظهر في دائرة المعارف الروسية الكبرى في المجلد ١٨ لسنة ١٩٥٣ كما يلي :

« الإسلام - كغيره من الديانات - قد لعب دائماً دوراً دمجياً وذلك بوضعه في أيدي الطبقة المستغلة سلاح الظلم الروحي الذي يهاني من سطوة المال . وقد استغل بواسطة المستعمرين الأجانب لاستعباد شعوب الشرق » .

وعلى أي حال فإن المقالة في حديثها عن طوائف الإسلام ، تقول : إن هذه الطوائف كانت في بعض الحالات تمييزاً عن احتجاج لا حول له ولا قوة ، صادراً عن الطبقات الكادحة ضد ظلم الطبقات وظلم الإقطاع .

ويقول « ييلاييف » عن « الطائفة الإسلامية » سنة ١٩٥٧ : إن الحركات الشعبية التي ظهرت في صورة نحل وطوائف إسلامية لا يمكن أن تكون ناجحة بطبيعة الحال : - « إن الشكل الذي لهذه الحركات يجب أن

« صحيفة الميزان » ، صحيفة دورية تتبع ما يكتبه الروس عن الشرق عامة . وهي تصدر عن المركز الآسيوي الرئيسي للأبحاث بالاشتراك مع جماعة دارس الشؤون السوفيتية بكلية القديس أنطوني التابعة للجامعة أكسفورد بانجلترا .

وفيما يتعلق بوجهة نظر الروس عن الإسلام في هذا العدد نجددنا ونمنا في المقالات التي ظهرت تحت عنوان « المادية والتفكير » ، وهذه المقالات قد انتشرت انتشاراً واسعاً في محيط الفلسفة السوفيتية وصحف الحزب الشيوعي الروسي . وعلى أي حال فإن النغمة المغرضة لهذه المقالات وإشاراتها المتكررة إلى « تخلف » الدراسات السوفيتية وإخفاؤها فيما يتعلق بالدراسات الشرقية كل هذا يدعو إلى رسم برنامج يهدف إلى تحليل المذاهب الشرقية وإعادة تقديرها وتقييمها ، وهذا يستدعي بالضرورة اختباراً مباشراً للمذاهب التي قامت عليها الحركات القومية في الشرق الأوسط من جهة ، ومن جهة أخرى فإن ذلك البرنامج سوف يفضح ويختبر التعاليد الدينية والفلسفية لهذه المنطقة . . .

الموقف محدود - على سبيل المثال - في مقالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التي ظهرت في «برافدا» في ١١ نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، وقد أوضحت هذه المقالة أن الحزب الشيوعي الروسي « يعتبر أنه من الضروري توجيه دعاية عليية إلحادية منظمة وعميقة ، وفي نفس الوقت صدم محاولة إيذاء المشاعر الدينية للؤمنين بدين معين أو المتبعين لنحلة من النحل بأي حال ، » .

والكاتب الروسي « لينان » كغيره من الكتاب الروس يوافق على المظاهر السياسية لبعض الحركات الدينية ، ولكنه على خلاف غيره من الكتاب الروس لا يوافق على الهجوم التقليدي الروسي على الأديان كما هي ، وبدلاً من ذلك فإنه يقترح أن التصحيح الطبيعي للتأليه الدينية الشرقية إنما يوجد في الشرق نفسه وفي التقاليد المادية الشرقية التي يجب على العلماء السوفيت عرضها وشرحها . ودراسة المادية الشرقية في الظاهر يمثل خطوة جديدة بالنسبة للعلماء السوفيت ، وسوف لا يكون مفاجئاً إذا صححت هذه الدراسة بموقف جديد بالنسبة للديانات الشرقية نفسها .

عبد المحسن البيلي

إدارة الثقافة الإسلامية

يعتبر كواحد من الأسباب الرئيسية للفشل النهائي للحركات الطائفية التي حاول المشتركون فيها من الطبقات العليا أن يؤسسوا مملكة من الحق والعدل على ظهر هذه البسيطة . والواقع أنه لا يمكن لذين من الأديان أن يقوم بدور المحرر للشعب من الظلم والاستغلال . وعلى الرغم من هذا فإن الدين يعتبر من جهة أخرى - من وجهة نظر السوفيت - المعبر الذي يوصل إلى التغيير الناجح .

وفي مقالها عن « الدين » تقول دائرة المعارف السوفيتية :-

« يدلنا تاريخ المجتمعات أنه في حالة استبدال عقائد دينية معينة بأخرى يمكن - طبقاً للشروط المحددة لهيكل الاجتماعي - أن يعتبر هذا الاستبدال متصلاً بالمظاهر الناجحة في حياة الشعوب كما هو الحال - مثلاً - بالنسبة للسيحية في عصورها الأولى ، وفي اعتناق الروس للذهب الشيوعي إلخ . ولكن هذا لا يغير من أسباب انبثاق الأفكار الدينية وانبعاثها أو يغير من جوهرها . »

إن هذه الثنائية فيما يتعلق بالموقف العلمي الروسي تجاه الدين هو مظهر للموقف الثنائي فيما يختص بموضوع الدعاية اللادينية ، وهذا

مَحْنًا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

صَلَاةٌ رُوحٌ ١٠٠^(١)

لِلأستاذ إبراهيم محمد نجس

سحوت بالروح إلى عالق
ذابت بها الظلة حتى ضدت
ورق فيها النور مسترسلا
ما زلت أسمر، والمنى في يدي
وفي شعوري نشوة حلوة
وملء نفسي قننة ترقى
حتى انتهت روحي بأشواقها
فانفضت فيها ضراطها
يا منهل الغيب اسقني قطرة
تجعل حياتي نفا شاديا
أحس صوتا عميق الصدى
وصورة طال عليها المدى
يا منهل الغيب .. وبى حيرة
كطائر أبعد من حبه
وبى حنين يتحدى الترى
ولى قيود تمنى صدى

في ليلة نشوى بجمر الضياء
أسطورة طال عليها الغفاء
كهمس ناي عاتم في الفضاء
رفافة مثل النجوم الرضاء
تسكب في نفسي أرق الغناء
من دوعة الليل، وسحر المساء
لمنهل الغيب الذى في السماء
وأطلقت في الصمت هذا النداء :
من ذلك للنور، وهذا الصفاء
في ظلم يهفو إليه الرجاء
يهو أحماقي بسحر اللطاف
وما خبا فيها رفيف الرواء
قد صيرتني أستحق الرثاء
فهام في إحدى ليالى الشتاء
ويرتقى بي طائرا حيث شاء
لو أتى أنسى سبيل العلاء

(١) من ديوان « حياتي ظلال » المدخل طبع .

لبستها ثوبا إله الورى
حق يحين الأجل المرتجى
يا منهل الغيب .. وبى غربة
لا الأرض دارى ، لا ، ولا أهلها
غربة بالحب فى عالم
نسجته ظلا به يُحنى
وطفت فى دنياى مسحورة
أبحث عن روح أرى طيفه
فلم أجده ، فألفت المنى
غربة بالصمت .. من نابه
أراه ظلا سابحا فى السنا
وأحتسبه خمرة 'مُحْتَق' ^١
والصمت بحر هائم فى الدجى
صاغت حياتى منه أسرارها
والصمت سر همت فى جوه
والصمت ببحر موجه قائم
صبرته وحدى على زورق
وعدت منه بشئى الرؤى
فأصمت عندى بالرؤى حافل
غربة بالحزن ... نيرانه
وسره فى داخل كامن
يدرى أساه من رماني به
إليه أشكو وحده غربى
ولفنى الكبرى إلى موطنى
أُبعدتُ عنه ، فعرفت الآسى
خطية الجنة من آدم

قد صاغه لى من تراب وماء
فأنزع القيد ، وألقى الرداء
تثبت فى عمرى هموم البقاء
أهل ، فكيف الصبر؟ كيف العزاء؟
الحب فيه خدعة أو رياء
وصفته نورا به يُستضاء
تغمرنى إشراقة وانتشاء
بفنى أياى بحلم الفناء
حق جفتى ، فألفت البكاء
يشير إلهاى أرق الحذاء
كطيف صطر ساج فى الهواء
فى الغيب .. يدري سرها الأنبياء
يفهو إلى الغيب ، ويبغى الخفاء
فاستغرقت فى عزلة وانطواء
على جناحى لطف واشتاء
بحلم بالعودة من حيث جاء
يود لو يسرى لغير انتهاء
وفى الرؤى رى ^٢ ، وفيها غذاء
وعند غيرى حافل بالهباء
تلقى على ضوئى ظلال الفناء
عجب بالصمت والكبرياء
ومن تولانى بطول الغناء
وحيرنى فى الأرض . أرض الشقاء
فى عالم يفهو إليه الرجاء
ولست أدري سر هذا الجزاء
علام تكوى نارها الأبرياء؟

وأطرفت روحي بأشجانها
فاهتز في أحشائها هاتف
وقال في صوت حقيق الصدى
يا هذه الروح التي تشكي
من يحمل الآلام يقعد بها
فتحمل الآلام في قوة
ولا تضيق بحياة الورى
وجلعدى الليل بهذا السنا
فالبدر لا تظهر أنواره
والخير ما جدواه إن لم يكن
ورق في نورك من نبعه
فالدر في الأصداق مثل الحصا
والبقلة الخضراء في أرضها
حتى إذا ناداك رب الورى
دخلت دنيا الغيب مزهوة
هذا قضاء الله في خلقه

• • •

وخيم الصمت سوى نباءة
فأذهنت روحي ، وعادت إلى
ولم تزل تعجب مما رأيت
أكن وعما شاعري الرؤى ؟
من الصدى قد آذنت باختفاء
دنيا الشقاء البكر ، والأشقياء
في ليلة نشوى بخمر الضياء
أم كان حلما ساحري البهاء ؟

ابراهيم محمد نجار

ثورة بيضاء من نور الإله .. ١

للأستاذ محمد هارون المحلو

بأذان الفجر طيرُ الخلدِ كَبُرَ ... وبصرِ الله قدْ هتَّى وبشرُ
كيف لا يهتف بالنصرِ المؤجَّرُ شيتُ الثورةُ ، والشعبُ تحرُّرُ

• • •

ثورةُ بيضاءُ من نورِ الإله تملأُ القلبَ بِأمالِ الحياة
وتُشعُّ الحبَّ لحناً في الشِّفاء سكرِ القلبِ ، وقد لَدَّ هواه

• • •

ظهرتْ مصرُ من العادي القديمِ فالتقى الأحرارُ بِالْحُرِّ الأصيلِ
تحتَ ظِلِّ من رُبِّ الخلدِ ظليلِ وَصمَّعَا الشعبُ على الخُطْبِ الجليلِ

• • •

مُفْتَحُ الخيرِ بها باباً فباباً فاطلقنا للأمانِ هُدًى
كزُرْعِ الخيرِ ونجيهِ ثواباً كيف لا تُفْرِحُ للجنِّ طلاباً ؟

• • •

كثورةُ كُبرى على الشرقِ مُطاماً تصرَّحُ الباغى ، وتسفيهُ لُطاماً
دايةُ الحقِّ أذلتْ من عصاةٍ واستضاءَ الكونُ من نورِ هُدًى

• • •

موكبُ العزةِ منها ، والطَّيَّاحُ بارقٌ كالنَّجمِ ، مرهوبُ الجَنَاحِ

ما نغدا إلا على نصر متّاح بمضاء ، وبمزم ، وحكفاح

• • •

بمئت في الشرق شعباً أجمداً وثلاقت واحدة المرب يدا
أمة ترقب ذلك الموصداً بارك الله بها مجند الفدا

• • •

ثورة تذكو لحياء ، وحراما كلما رام بها باغ أمانا
ووضياها يملأ الدنيا سلاما ويشيع الحب صفوا ، ووثاما

• • •

وتحدثت شعباً أيقاً عريثاً عاش في الشرق رسولاً ونبيا
صيحة الحق بها دوت دويما لم تذر في الأرض جبارا عصيا

• • •

ومضى يدعو بنور الله داع ينقذ العالم من هول الصراع
وسرى النور إلى خمير البقاع يحمل الراية بالامر الطاع

• • •

جاء نصر الله والفتح المبين ومعنى الشط ربان السفين
موكب يصدوه جبريل الأمين فتعال الله رب العالمين

محمد هارون الماوي



أَنْبَاءُ الْأَزْهَرِ

والدكتور تقي نصر مثل مقيم في مصر لمجلس
المعونة الفنية للأمم المتحدة .

قال الدكتور طه حسين الأستاذ الأكبر :
- إنني أحب زيادة الأحرار والارتباط
بهم وأقصد من الحرية ، حرية الفكر وحرية
المعرفة ، الحرية الموصلة إلى السمو في الهدف
والتبلي في الغاية والتي تحقق آمال الناس جميعا
فيما يهدفون إليه أملا يبنى ولا يهدم ويعمل
ويرفع ولا يخفض ، وقد جمعت في صحة
المستردادوف سالات ليقيم إليكم تحية
هيئة اليونسكو جميعا مقدرين لكم جهودكم
في إثارة الوعي الديني المنظم الذي يجمع ولا
يفرق ، وإنه ليقدر هو والهيئة أن الأزهر
أقدم جامعات العالم ، وهو مصدر من مصادر
الإشعاع العالمي فهو جدير بالتقدير ولذا رأى
أنه من الواجب عليه أن يزور الأزهر جميعا
مثلا في شخصكم .

قال الأستاذ الأكبر للدكتور طه حسين :
- إننا نضع يدينا في يدك وفي يد كل محب
لإعلاء شأن العقل الإنساني حتى نتكلم جميعا
بيد واحدة وببأسك واحد أن نخوض خطر

من السيد الرئيس إلى الأستاذ الأكبر :

أرسل السيد الرئيس جمال عبد الناصر
برقية إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الجامع الأزهر هذا نصها :
تلقيت بالقبلة برقيتكم المتضمنة أكرم
المعاني وأصدق المشاعر بمناسبة المولد النبوي
الشريف ، وفي هذه الذكرى المجيدة يطيب لي
أن أدعوا الله غلما أن يحقق للسلمين مجدهم
السالف ، وأن يجمع قلوبهم على الخير والتآلف ،
حتى يعز الإسلام وتعلو راية العرب والله
الموفق إلى ما فيه سواء السبيل ، كما إنني أبعث
إليكم بأخلص الشكر متمنيا لكم الصحة
والسعادة .

جمال عبد الناصر

الدكتور طه حسين عند الأستاذ الأكبر :
استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ
محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه
السيد الدكتور طه حسين والمستردادوف
سالات مدير الشؤون الثقافية باليونسكو

أساس الحرية الصحيحة والعلم والمعرفة وهو ما تهدفون إليه، وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر : لعلمكم تذكرون يا أخى الدكتور أن الأهر خطأ خطوة واسعة في سبيل التقريب بين المذاهب جميعا ، لخطأ هذه الخطوة حتى في التقريب بين أهل السنة والشيعة . وكلية الشريعة الآن تدرس الفقه المقارن بين المذاهب الأربعة ، وبين غيرها من المذاهب الأخرى ، وأنا حريص على أن يعرف الطلاب ، ويدرك العلماء الأصول ويقدرها المراجع . وأنا شخصيا - أرى أنه ليس في الدين ما يلزم بمذهب معين . فكل الأئمة صح عنهم إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وأنا حريص على أن يكون مرجعنا الكتاب والسنة ، نستقي منهما ، ونأخذ عنهما ، ونهمل من منهلها العذب .

على أن كل ما يخالف هذا الأصل ، ويخالف الكتاب والسنة . فنحن نرده ولا نقبله ، وأبو حنيفة يادكتور يقول : من لم يعرف من أين أتينا برأينا لا يصح أن يقلدنا ، ولقد سمعنا في أوقات كثيرة أن ابن تيمية ضال مضل ، ونقرأ المرجفون الناس من مذهبه ولكنهم تكشف لهم الأمر فعرفوا أنه هاد ومهدى . ثم سأل الأستاذ الأكبر الدكتور طه حسين : أذكرك يادكتور الموضوع الذى أسقطوك فيه في الشهادة العالمية ؟ قال : نعم ،

الحياة الحرة الرتيبة ، وأنا أعتقد أن أول من يقدر الأهر ويقدر جهاده ، إنما هي هيئة اليونسكو .

وفعتقد أيضا أن توجيه العالم إلى الخير إنما هو إلى الأهر وإلى كل هيئة تنشئ العلم ، وتسمى إلى المعرفة . ومن بينها هيئة اليونسكو وذلك بما يركز الأمن والاستمرار في ربوع العالم ويمنع من وقوع مثل هذه المذابح الدامية التى تنفع دائما صراعاً بين الحق والباطل وبين الحرية والاستعباد . وأنا أرى أنه لا يصح أن تقف الهيئات العالمية على حد البحث العلمى الجامد ، وإنما يجب عليها أن تعمل دائما لتوطيد أركان الأمن وتركيز السلام ؛ فإنه لا يجوز أن تستخدم النعم التى أنعم الله بها علينا من عقول مفكرة ، وآراء سديدة ، وقوة في الإدراك ، لا يجوز أن تستغل هذه أو نوجهها إلى الشر وإلى إثارة الخواطر وتحطيم القوى ، وذلك كله إنما يكون من طريق التعارف الذى يبعث على الحب والتآلف ، فإن الروح والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، وهنا قال الدكتور طه حسين : إن هيئة اليونسكو مشغولة في هذه الحقبة من الزمن بمشروع هو في غاية الخطورة وهذا المشروع يهدف إلى التعارف الحر وليس تعارف على أساس السياسة ، وإنما هو على

الدكتور طه حسين : وقد كتبت أنا أيضا في قسم التاريخ كتابا باسم «مرآة الإسلام» ومازلنا في انتظار ما يكتبه الأستاذ على عبد الرازق ، ثم قال السيد المستر رادولف : إنني لأستحي أن أذكر النسبة بين عمر اليونسكو وعمر الأزهر المديد وبين عملها وعمل الأزهر المجيد .

واليونسكو ، وإن كانت مؤلفة من جموع دول العالم فإنني أعتقد أن قدرتها على نشر السلام في الأرض أقل بكثير من الأزهر ، ولكننا نطمح في الكثير من الأزهر وخاصة في عهدكم الذي يؤمن المصنفون برسالتكم فيه . فقال فضيلة الأسعاذ الأكبر : لا تقسوا أن ضعف الملوك والأمراء واضطراب موقفهم من الأزهر وقف عائقا في كثير من الأوقات أمام رسالة الأزهر وأمام أداء مهمته ، حتى لقد وصل الأمر أن الضغط في بعض الأحيان قد كبت حرية الفكر وحرية الرأي وحرية التعبير ، فقضى الضغط بأن يفصل سبعون عالما من علماء الأزهر وكنت من بينهم ، ومع ذلك فقد ظلت رسالة الكفاح إلى أن هيا الله للأزهر هذه النهضة المباركة في هذا العصر الحديث .

فقال الدكتور : إن الوقت الذي فصلتم فيه أبعدت كذلك أنا عن الجامعة ، فكان الضغط على كل النواحي العلمية ومصادر النور والعرفان . ثم قال الأستاذ الأكبر موجها كلامه

إليه المطلق والمقيد ، فقال : «وكم سنة قضيتها في الأزهر؟ قال : أنا دخلته سنة ١٩٠٢ وتركته سنة ١٩١٢ م وبقيت فيه عشر سنوات ، أنا أحب الأزهر وأؤمن بأنه المشعل القوي - والقوى جدا - الذي ينير العالم الطريق المستقيم ، وأحب فيه العلم والمعرفة وأكره التزم ، أنا أذكر يا فضيلة الشيخ يوم أن كنت طالبا وكان معي اثنان من الزملاء وكنت أحضر النحو على الشيخ أبو النجا وكنت سرى على النقاش العلوى ولكن الشيخ لم يعبه ذلك وكأني قد أفرطت في النقاش فطر دنا من الدرس وأقسم ألا يدرس ونحن في الفصل فامثلنا وتركناه .

ورحنا نعرض على الشيخ عهد المعطى الشرشبي في زاوية العميان ، وكان ما كان ثم قال الدكتور طه حسين ، أتذكر فضيلتكم يوم أن جلسنا سويا أنا وفضيلتكم والأستاذ على عبد الرازق وأخذنا نبحث فيما يجب علينا أن تقدمه لخدمة الشريعة الإسلامية وللعقل البشري ، فاتفقنا يوم ذاك على أن يكتب الأستاذ على عبد الرازق في العقيدة ، وتكتبون في الشريعة ، وأكتب أنا في تاريخ التشريع .

فرد فضيلة الأستاذ الأكبر فقال : «إنه لمن حسن الحظ أن تمجثوا اليوم وقد انتهت المطبعة من طبع كتابي في العقيدة والشريعة تحت عنوان «الإسلام عقيدة وشريعة» فقال

وتعلمه في سبيل الله ، ثم في سبيل الربط الحر
التي بين دول الأرض بما ينشر السلام
وبحقه ، ومشيشة الأزهر تدعوكم لزيارة
هذه المدينة المعدة على أحدث النظم
في العالم ، وقد استجابا للدعوة على أن
يحدد موعد الزيارة .

هذا وقد طلب الدكتور طه حسين من
الأستاذ الأكبر بناء على اقتراح مندوب
اليونسكو ترجمة كتبه إلى اللغات الأخرى
فوجد فضلك بأنه سيتم ذلك قريباً . فقال السيد
الدكتور : وأتمنى لو ترجمت إلى الأسبانية ،
وأذكر بهنـه المناسبة أنني عندما كنت
وزيراً للعارف أرسلت بعثة إلى أسبانيا
فاشرك الأزهر بواحد وكنت أود أن لو
انضم به الأزهر وهو الآن أستاذ في كلية دار
العلوم ، وهنا سأل أحد الصحفيين الدكتور
طه حسين : ما هي آخر مرة زدت فيها إدارة
الأزهر ؟ فقال سنة ١٩٥٢ زدت فضيلة
الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم واليوم
أنور فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود
شلتوت وحما العالمان اللذان دوت أفكارهما
في الشرق وفي الغرب : ثم استأذن في الانصراف
فودعه الأستاذ الأكبر شاكرًا له هذه
الزيارة .

وكيل وزارة خارجية بورما يزور الأزهر :
زار اليوم وكيل وزارة خارجية بورما

الدكتور طه حسين : إن عليك واجباً للأزهر
وهذا الواجب كذلك على كل من تنبذ
في الأزهر وأخذ من الأزهرين وإن
لخدمة الأزهر واجب عليك فقد ذكر الأزهر
فراحيك العلية ، وأنا شخصياً أعتقد أن الأزهر
إن شاء الله سيعمل بمعونة الله ومعونة إخواني
المصلحين إلى جمع كلـة المسلمين ورجال
الإنسانية على كلية واحدة وهدف واحد .
قال الدكتور طه حسين : وما شأن
البعوث عنكم ؟ .

قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الجمهورية
معنية كل العناية بأمر هذه البعثات ، ومظهر
ذلك إقامة هذه المدينة التي تكون من إحدى
وأربعين عمارة ضمت خمسين جنسية من
مختلف الجنسيات الإسلامية ، ليتفقهوا في دينهم
ويتعرفوا إلى نواحي الاجتماع والتعاون
والديمقراطية الصحيحة في إسلامهم ، وليندروا
قومهم إذا رجعوا إليهم ، وليكونوا رسائل
حية لجمهوريتنا . يربطون بيننا وبين إخواننا
في جميع الدول . وهؤلاء يعد لهم الآن مناهج
دراسي يتفق وطبيعتهم ، ويحقق الغلة بيننا
وبين دولهم ، ويساعدنا ويساعدكم على تحقيق
رسالة الإسلام . ولقد وفد إلى الأزهر في هذه
الآونة أحد المسلمين الأمريكيان ليدرس
في الأزهر ، وقد أمرت له بمنحة شهرية ،
أدعو الله لهذا ونفيره أن يكون جهاده

حقوق الإنسان تنفيذا لما أمرت به جميع الأديان . ويوم ذلك لا نسمع بالمذابح التي تقض المضاجع في جميع جهات الأرض ، ولا نسمع يومئذ عن استغلال الاختراعات في إيلاام الإنسان وعدم استقراره . والدين يدعو دائما إلى الوحدة الشاملة كما أنه يدعو إلى السلم والأمان والاستقرار ، والإسلام يربط بين القلوب ، ويجمع الناس إلى هدف واحد يتجلى ذلك في قوله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ويقول تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، .

لهذه الاعتبارات أنا أشكركم على تلك الزيارة الطيبة وأعتبرها أثرا من آثار الربط الإنساني الفاضل ، وقال السيد وكيل خارجية بورما : أنا سعيد لهذه الزيارة وأشكر هذه الفرصة التي أتاحت لي التعرف بالأزهر وشيخ الإسلام ، وإنني لجدفور بهذه الزيارة ، وأنهى لفصليكم : أن المسلمين في بورما ، يتمتعون بحرية دينية كاملة ؛ ولذا فإنني أؤف إليكم هذه البشرى ؛ لتدل على ما بيننا من صادق التعاون . وإن المسلمين عندنا أسهموا بنصيب كبير في بناء مجتمع بورما ؛ فلذلك أسوا المدارس والمستشفيات وغيرها .

إننى ياسيدى لأقدر تماما ، المجهود الذى

والسكرتير العام لمجلس الوزراء فيها دار كلية الشريعة بالأزهر واستقبلهم فضيلة المميد الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى ، وقد استمع هو ومرافقوه إلى محاضرة في المقارنة بين المذاهب في الأدلة القطعية والظنية ، وأثر ذلك في الخلاف في المسائل الفقهية . ثم استمعوا إلى محاضرة أخرى في القانون الإدارى ألقاها بالمرية ثم ترجمها إلى الانجليزية الأستاذ مصطفى درويش المستشار في مجلس الدولة . وبعد أن انتهوا من هذه الزيارة ، زاروا مكتبة الأزهر ، ثم زاروا فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في مكتبه ، وبعد أن حيوا فضيلته

قال لهم : إن الأزهر ليس كثيرا بزيارة عقلاء الإنسانية ، والإسلام دائما يقدر حقوق الإنسان ويضع الأسس السليمة له ، تلك الحقوق التي منها الحرية والاستقلال والنشاط في العلم والاختراع . وأنا أعتقد أن مثلكم يعتبر من الصف الأول لرجال الإنسانية . والإسلام لا يرى العصبية ويعتد التعصب في أى وجه من وجوهه ، بل يعتبر أن الداهين السلم والاستقرار من رجال الدعوة للإسلام ، والأزهر يقوم بنصيب كبير في خدمة الإنسانية ، وكما كنت أتمنى أن أجد اليوم الذى تجرد فيه هيئة الإنسانية العليا من جميع ألعامها وزواتها للدفاع عن

الكتيب

نقد وتعريف

مع الله

للأستاذ محمد الغزالي

فيجئ إلى التفريط ، والبعض يمنح إلى مجرد العرض ، وفي اعتقادي أن الهدف الأساسي من الكتابة عن الكتب يجب أن يكون النقد ؛ لأن مجرد التفريط ومجرد العرض لا يؤديان إلا إلى الإعلان ، وربما كان هناك من أساليب الإعلان الصريح ما هو أكبر أثراً .

وإذا كانت الأمانة العلمية تقتضي المؤلف الأستاذ عيسى عبده المحاضرة الثانية عن وضع الربا في بناء الاقتصاد القومي ، وستظل القاعة مفتوحة طيلة الموسم الثقافي تستقبل زوارها وتقدم إليهم رجال الفكر الإسلامي ، في شتى الموضوعات .

العرض العسكري المحبوب الأزهر :

اشترك الأزهر في يوم الجيش بنخبة من أبنائه المدربين ، شكلوا عدة طواير عسكرية بدأت عرضها من ميدان صلاح الدين واختارت أهم شوارع القاهرة ثم حادت إلى ميدان الأزهر حيث أعلل عنها الأستاذ الأكبر مشجعا هذا الروح الحربي ، ومنوها بقيمة المعنوية .

تقد وتعريف للأستاذ : محمد عبد الله السمان

إن التمرض للولفات مشكلة لدى الكاتب الذي يسعى في كتابه إلى إنصاف الحقيقة . لأن معظم الكتاب لا يكلف نفسه مشقة

يقوم به الأزهر في بناء حضارة علمية استمرت مدة من الزمن بلغت قرونا ، وإتنا لنقسم دائما أخلص التعاون وأصدق المودة .

الموسم الثقافي للجامع الأزهر :

استأنفت قاعة المحاضرات الأزهرية نشاطها السنوي المعتاد ، وقد قصد إليها الرواد من شتى الطبقات لاستماع المحاضرات التي وجهت مشيخة الأزهر الدعوة إلى سماعها .

وبدأ الموسم بمحاضرة عن واجب العلماء ، ألقاها الأستاذ الدكتور محمد البهي ، ثم ألقى

لأن المعاني التي طرقها تحتاج إلى أعصاب من فولاذ .

جمل الأستاذ الغزالي كتابه « مع الله » دراسات في الدعوة والدعاة ، وكتبه للدعاة وليس العامة لأن تكوين الدعاة - كما يقول - يعني تكوين الأمة .

فالأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لتفر من الرجال الموهوبين ، وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات ، وأثر الشعاع في المكان المظلم ، وكمن شعوب رسفت دهرًا في قيود الهوان . حتى قبض الله لها القائد الذي تفتح فيها من روحه ريح الحرية فتحوّلت - بعد ركود - إلى إحصار يحتاج الطغاة ويدك معاقلمهم .

•••

ولقد ربط الأستاذ الغزالي بين الدعوة والدعاة ربطاً متيناً ، فالدعوة رصيد ضخم من المعاني ، والدعاة هم المصارف التي يتفاعل بين جدرانها هذا الرصيد الضخم ، وإذا كان لابد أن يكون الرصيد عملة نظيفة . فأوجب أن تكون المصارف من النبوغ والعبقرية بمكان ، والإسلام بطبعه دعوة سليمة ، ولكن الدعاة هم الذين يكيفون هذه الدعوة بحسب إمكانياتهم ، فهم يستطيعون أن يرفعوا بها ليستروا فوق القمة ، كما يستطيعون أن يهبطوا بها ليستروا فوق الحضيض .

حين يؤلف ، فإنها تقتضي أيضاً الناقد حين ينقد ، وألا تكون للعواطف والعواطف مكان لديه وهو ينقد ، كانت هذه المعاني تمر بذاكرتي حين بدأت القراءة في الكتاب الجديد « مع الله » لأخي فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالي ، ووجدتني متحمساً - لا لجرد القراءة والاستيعاب لحسب - ولكن للثور على مواطن الضعف إن كانت هناك مواطن للضعف ، وعلى معالم الفجوات إن كانت هناك معالم للفجوات ، وقد طرحت جانباً الجملة لأنها في رأي أشبه بفرشاة طلاء تبعث بصفحات الكتاب فلا تمنحه إلا تشويهاً .

ولقد قرأت كتاب « مع الله » من أوله إلى آخره ، كما قرأت أعاليه من قبل « كفاح دين » فليست من هذين الكتابين الشقيقتين أن الأستاذ الغزالي يمر بتجربة نفسية ، سداها الغيرة المتدفقة على الإسلام ، ولحنها الإشفاق بما يحبه المستقبل لهذا الدين من أحداث ، فأنت تحسب أن الأستاذ الغزالي لم يكن يمسك قلماً ليكتب لحسب ، وإنما كان يحمل سيفاً مصلاً يبعث القوة في القلم ، ليغوص في أعماق المعاني فيخرجها ، ويبحث عن أمثال القوالب ليصوغها فيه ، وهو مع ذلك حريص على أن يمسك بأمتدة القراء ليهتزوا مع اهتزازات سيفه وقلبه ، وكنت أحد القراء الذين لم تحتمل أعصابهم قراءة الكتاب جملة واحدة ؛

الناس يملك في الأرض ، وحمل الأستاذ الغزالي حملة قاسية على المستشرقين ففتد مذهبهم في الكتابة عن الإسلام ، وكشف عن غشائهم أهوائهم في النيل من دعوة الإسلام ، ووقف طويلاً عند اتهام الإسلام بأنه انتشر بالسيف ، وأكد أن الإسلام لم يخرج عن دائرة الحق والإنصاف في حروبه ، وأن التنصب الآحق في غيره مما سبقه من الأديان لا زالت طلائمه إلى اليوم واضحة للعيان .

وفي بحث « الدعوة وحملتها » ناقش الأستاذ الغزالي قضية « الكهنة » ، وأن الدعوة في الإسلام لا تقتضى وجود طبقة من الكهان ، فالإسلام فريضة شائعة وواجب على كل كائن الفرائض والواجبات التي ينطقت بعنى الفرد ، وكل من انضمام طبقة « الكهان والقساوسة » من المجتمع الإسلامى وإحساس كل تابع للإسلام بأنه رجل له محاسب أمام الله وحده عنه ، جعل انطلاق الإسلام في المشارق والمغارب أثراً لهذا الشعور القوى ، وهذا لا يمنع من أن تولف الوفود من العلماء لغزو ثقافى واسع النطاق يقرب حقائق الإسلام من الشعوب المحرومة ، ويضد سمات الشبه التي روجها المغترون ضده ، وما أصاب دولة الإسلام ما أصابها من احتياجها في السابق واللاحق ، إلا بسبب

والمشكلة تنحصر في الدعاة وحدهم ، فإذا أصدروا إصداراً سليماً ، وتوافرت لهم شق الإمكانيات ، ساروا بالدعوة إلى المكان اللائق بها .

قدم بحثاً مسجلاً لتعريف بالدعوة والحاجة إليها ، وأشعل معركة حامية الوطيس ضد من يحاولون العبث باللغة العربية ، أولئك الذين يهدفون إلى تهديد الإسلام ومحاولة التخلص منه ، وناقش مسألة كانت جديدة بالمناقشة هي قضية التبليغ عن الدعوة ، فكل مسلم مطالب بالإيمان وبمحارسه ضد العدوان ، وبترغيب الناس فيه بالعمل وبالسان ، وهذا محور الركن الزكى في الإسلام . . . ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحقيقة المرة - كما يقول الأستاذ الغزالي - أن أمة الدعوة إلى الله قرطت في جنب الله ، ولم تخلف رسولها العظيم في طليعة الإشعاع والإسماع التي اقترنت ببعثه .

وقدم الأستاذ الغزالي بحثاً مسجلاً أيضاً عن السنن العامة في دعوة الرسل إلى الدين ، وهي أنهم في نظرهم إلى جلال الله تتضاءل في أعينهم شغوص المخلوقين ، ويذوب ما ينسب إليهم من بأس وإرهاب ، وما داموا هم دعاة حق ، فلا بد أن يوجد الصراع بين الباطل والحق ، والسنن العامة في هذا الكفاح ، هو أن الريد يذهب جفاء ، وأن ما ينفع

عن الهدم الروحي ، والهدم التاريخي ، والهدم العسكري ، ونبه الداعية إلى الله إلى هذه الأنواع الثلاثة التي تعمل جنباً إلى جنب ، وغايتها أن تصلاقى فوق أقطابنا ، وذلك ليتذوق الحقيقة المرة ، ويقف عليها ، ويستمد لمجابتها .

وفي الباب الأخير من الكتاب ، قدم الأستاذ الغزالي نماذج حية من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن أقوال الصحابة والتابعين والسلف الصالح ، والكتاب المعاصرين ، لتكون هذه النماذج الحية زادا للداعية إلى الله في المهمة الملقاة على عاتقه .

هذا هو الكتاب العشرون للأستاذ الغزالي مع الله ، مررنا به مروراً ، إذ من العسير أن يستعرض الكاتب استعراضاً كاملاً لكتاب بلغت صفحاته نصف الألف ، وإذا غمضت الطرف عن جانب التفدير والكتاب ، فليس إلا لأجد في هذه الصفحات القليلة مساحة لما لا حظته عليه ، كنت أود أن يلتزم الأستاذ الغزالي طريقة العناصر في بحوثه جميعها ، فالتوان مثلاً يوحى بأن له عناصر ، ليتنا رصدت في أول البحث ليتزم مناقشتها ، ولكنه تركها — دون أن يجعلها — تمحرج وتسرح في خضم شرحه المسهب الثائر ، وكنت أود ألا يكتر من طريقة النقل المتكامل لمقال أو رأى لكاتب ، فقد قل

هذه الفجوة التي لم يهتم بها في ما مضى ، ولا نعتي بها الآن وبعد أن عدد الأستاذ الغزالي صفات الدعاة ، وهي الصلة بالله ، وإصلاح النفس ، ودية الفهم للدين والدنيا ، والإخلاص الذي هو أساس أى داع إلى الله ، والشجاعة التي هي خلق أصيل في الداعية إلى الله ، وغير ذلك من الخلال الجامعة ، أفرد بحثاً عن « الدين والعلم » فالإسلام ملتقى العقول السليمة والفطر القويمة ، والعلم جزء لا ينفصل عن الدين ، ونحن حين نكتفى بدعاة ليسوا عزودين إلا بالعلوم الشرعية ، فإنما نحاول عبور المحيط فوق لوح من الخشب ، والواجب أن تسير العلوم الشرعية إلى جانب العلوم المدنية جنباً إلى جنب ، فإن الملاحدة والمارقين لا يستمعون إلى آيات تتلى من القرآن إلا إذا فارقتها منطق على ، كما أفرد الأستاذ الغزالي بحثاً آخر عن أساس الوحدة العظمى ، وهو الإسلام الذي يتضمن هذا المستور الخالد « إنما المؤمنون إخوة » ، والأسر الإلهي الصريح « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

وفي الحديث عن وسائل الدعوة تحدث الأستاذ الغزالي عن : القدوة الحسنة ، والتعليم . . والتذكير ، والخطابة ، والترغيب والترهيب ، والقصص الدينية ، والكتابة ، وفي الحديث عن مقاومة الهدامين تحدث

له الدكتور عبد الحليم محمود ، ومحمد رسول الله ،
والمسيو دينيه ، الشيخ عبد الواحد ، الذي
كتب عنه الدكتور أيضا ، وقد شهد الأستاذ
الغزالي نفسه للمستشرق سيردوماس أرنولد
بأنه « من أعدل إخوانه رأيا وأقدمهم بصرا »
وأميلهم إلى أدب القبط وإثبات الحق ،
والواقع أن القلة النادرة من المستشرقين
المدول ، لم ينحرفوا عن قصد ، وإنما لأن
الكتب الإسلامية التي وصلتهم لم تكن
كاملة النضج .

وأنا لست مع الأستاذ الغزالي في أن
الحكومات تكون مقصرة إذا لم توفر الدعاة
للغزو الثقافي ، فالتحجوب الإسلامية وحدها
هي المسئولة ، فهناك آلاف الأثرياء وقفوا
أموالهم وأراضهم على المساجد ، ونحن
بحاجة إلى جامعات أهلية تتخذ مركزا دائما
في بلد إسلامي للدعاة ، له فروعه في سائر بلاد
العالم ، والمسلمون من هرقهم وكدهم ينفقون
على مؤسسة الدعاة .. هذه المؤسسة التي يكون
لها استقلالها الكلي ، والدعاة امتيازات
الدبلوماسيين حتى يؤدوا مهمتهم في أمان ...
وبعد ... فالكتاب سفر ضخم ولست
أتمجاوز الحق إذا قلت : إنني بحاجة دائما إلى
قراءته كلما سنحت الفرصة لأصحابي
بقسط من الهدوء ..

محمد عبد الله السمان

رأى الإمام محمد عبده ، والشيخ رشيد
في تفسير آية « إن الذين آمنوا والذين هادوا
والنصارى والصابئين ... » إلخ . في أكثر
من سبع صفحات ، وقل رأيا للأستاذ فريد
وجدي في مجال : « الدين والعلم » إلخ . في أربع
صفحات ، وأثبت مقالا - في أزمة الدين -
للأستاذ الفقي جاء في ست صفحات ، ومقالا
للأستاذ محب الدين الخطيب في أربع صفحات
ونصف ، وكان الأجدر أن يكتبني بالإشارة
الموجزة لإصطاء فكرة عن آرائهم ، لكن
يظهر أن الأستاذ الغزالي كان يشفق على
أصحاب القراء ، فهو في كتابه نادر يفتش
الحسام ، والقضايا التي تنصل بالإسلام جعل
منها معام ، فأراد أن يجعل مطبات بالمقالات
التي نقلها بكاملها لتهديئة الأصباب ، وقد
نقل آراء للمستشرقين جلت مسية ، وليس
في هذا ما يؤخذ عليه ، لأنها مزاعم أراد
تفنيدها ، ولا بد من إثباتها ليستقيم تفنيدها .
ويظهر أن ثورة الأستاذ الغزالي جعلته
يعتبر المستشرقين جميعا « نفرا من الناس
جندهم الاستعمار ليكونوا في ميدان العلم أداة
للطعن في الإسلام وتشويه حقائقه وإصطناع
الفتوق فيه ، وأسلوبهم الأثيم أن يلبسوا
الحق بالباطل ... » والواقع أن المستشرقين
لبسوا كذلك كلهم ، فمنهم من أسلم وحن
إسلامه ، كالسيو ، إيتيه دينيه ، الذي ترجم

بريد الحجة

وهو بمضمون الظن إثم

من النظريات ، وهذا الظن مرتبة من البحث
قد يتبعها اليقين . . .

وهناك أيضاً الظن العلى المعمول به في
أحكام الشريعة إذا كان الدليل عاماً ،
أو مستنداً إلى حجة غير قطعية . . .
فليس كل ظن محرماً والآية تفيد ذلك .

الفصل والحجامة

ويقول السيد محمود أحمد السمان بمحمد
الإسكندرية :

نشرت صحيفة أسبوعية ، أن الفصد والحجامة
والاستفراغ كلها وسائل بدائية ووحشية
في العلاج وليس لها مبررات ولا دواع
في دستور الطب الحديث ، .

كيف يستقيم هذا الكلام مع ما ثبت
أن الرسول صلى الله عليه وسلم احتجم ولم
ير بأساً بهذا العمل ؟

والجهر نقول :

لا شك أن قلم الكاتب قد اشتط وهو
يتناول الموضوع ، فقد يكون الطب الحديث
استغنى عن الحجامة لوجود عوض يقوم
مقامها كتوسيع الشرايين ببعض العقاقير أو

يقول السيد محمد فريد طاهر من
الإسكندرية في رسالة له :

(١) قال تعالى الله اجتنبوا كثيراً من
الظن ، إن بعض الظن إثم ، هل تفيد الآية
أن هناك من الظن ما لا يجنب ، لأنه ليس
إثمًا ؟

والجهر نقول :

نعم هناك ظنون لا حرج فيها . إن الظن
المحظور هو اتهام الناس بالشر لحاظ بهجس
في النفس ، وبناء أحكام شتى على مثل تلك
الخواطر الشاردة وذلك ما عنته الآية ، وقال
فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : إياكم والظن ، فإن
الظن أكذب الحديث ، أما إسداء المعروف
لامرئى تظن به الخير ، فلا شيء فيه ، وكذلك
استخدام الذكاء في كشف بعض الخفاء كما قال
الشاعر :

والألمى الذى يظن بك الظن

كان قد رأى وقد سمع . . .

ثم هناك الظن العلى الذى يقوم عليه كثير

ونحن لا نرى حرجاً من اتباع أى مذهب إسلامى فى هذا الشأن .

الاسلام والمستشرقون :

كتب الدكتور سليمان دنيا فى العدد الماضى من مجلة الأزهر الفراء مقالا عن الإسلام والمستشرقين ، ناقش فيه مناقشة هادئة منطقية إقراءات ذلك المستشرق الذى ادعى بأن الدين الإسلامى آلى جلد ، وكأه يريد أن يقول ، إن تشبث المسلمين بدينهم هو علة تأخرهم وأنهم إن تقنعوا أيديهم منه ، فلا بد أن يحققوا لبلاطم القوة والحضارة والسيادة ، وهذا المستشرق ليس إلا فرداً من جيش لجب قد أعد لإعداداً كاملاً للنيل من الإسلام وتاريخه والثقافة العربية وعلباتها ، وما يؤسف له أن كثيراً من المثقفين عندنا قد آمنوا إيماناً عجيباً بأراء المستشرقين حول ديننا وحضارتنا دون تمحيص أو درس لها ، لأنها فى نظرم فوق مستوى النقد والمناقشة ، فيجب أن تؤخذ قضية مسلمة ، وهذا لعمري أشد بلاء من أعاليط المستشرقين وإقراءاتهم والمستشرقون بوجه عام يكادون يجمعون على أن تعاليم الإسلام لا تصلح للعصر الحديث ولا تلائم طبيعة التطورات البشرية الراهنة وأن القوانين الإسلامية إن كانت قد لازمت الزمن الماضى واستجابت لمطالبه ، فإنها

امتصاص الدم الزائد فى حالات الضغط العالى بطريق « العلق » الذى يمتص هذا الدم . . . أو بطريق اكتشاف أدوية أخرى تسكن الدم ، وتنظم سيره ، واهتمام العالم حديثاً إلى هذه الوسائل لا يعنى أن الوسائل الأولى موضع الطعن والزواية . لقد أدت مهمتها يوم كن العلم قاصراً عليها ، فإذا وجدت وسيلة أكفل الصحة وأرواح البدن فلاخير من ترك الأولى - دون تكبر - والاختذاب الأخرى ، والدين لا يمنع من هذا . . .

الرضاع المحرم :

ويقول السيد سيف الدين خطيب من دمشق : امرأة أرضعت طفلة عدة رضعات متفرقة ، مع تغذيتها بما تيسر من الأطعمة الأخرى . هل تعتبر أمها لها ويحرم على بنينا الزواج منها ؟ والمجهر يقول :

إن الأئمة مختلفون فى قدر الرضاع المحرم ، فمنهم من يرى قليله وكثيره سواء فى وجوب التحريم : ومنهم من ذهب إلى غير ذلك كالشافعية والإمامية . فالشافعية يشترطون للتحريم خمس رضعات مشبعات .

والإمامية يقولون بعشر رضعات مشبعات متصلات ، فلو رضع نساً ثم طعم شيئاً آخر ، وأرضعته امرأة أخرى لم يعد ذلك محرماً .

المستشرقين أنفسهم ، فقد آن لنا — بعد طول محول وكسل وإهمال — أن نوقف هذا الزيف الذي أفسد العقول وحلل الأفكار وساعد على الإلحاد ، وفي أستاذنا الأكبر أمل كبير في أن يولى هذا الأمر رعاية بالغة وهو خير من يدرك حقيقته ويعرف آثاره .

محمد الرسوفى

ليسانس دار العلوم - جامعة القاهرة

إلى المكنور على عبد الواحد وفى :

ومرة ثانية والسلام عليكم ورحمة الله وبعد: فقد قرأت لك ما قرأت في العدد السابق من مجلة الأزهر - عدد صفر - ثم بدا لي أن أعلق بالاستفسار عما أشبه على في بعض عبارات ، وكنت أحسبك ترحب باستفهامي وتعرف منه أنني حريص على الاستفادة منك ولا سيما أنني فنيا أعتقلم أكن جافيا في كلمة واحدة مما كتبتك إليك .

لهذا أسفت كثيرا حينما وجدتك في إيضاحك بالعدد الجديد (ربيع الأول) من المجلة تلذع بكلمات لا تكون إلا عن غضب ، ولئن يكون مسيئا إليك .

فلماذا غضبت مع أنك - كما طلبت منك - حاولت أن توضح ؟؟ .

أريد أن يكون كل قرائك مسلمين بما رجعت أنت إليه من أناجيل وإصحاحات؟؟ أم تريد أن

اليوم عاجزة كل المجوز من تحقيق الحياة المستقرة للإنسان الحديث ، فالإسلام قد جاء ليئة خاصة ولفتره زمنية خاصة فمن العبث أن ينادى اليوم إنسان باسترشاد الإسلام في مرافق المجتمع في القرن العشرين ؛ لأن هذا رجوع إلى حياة الصحراء وتقهقر بالمدينة إلى الورا .

ومن ناحية أخرى فالمستشرقون إذا تحدثوا عن الإسلام فإنهم يطرقون موضوعات خاصة لمشكلة القضاء والقدر ، والفتنة من الآيات القرآنية ، وزوجات الرسول وتعدد الزوجات والحدود ، والجنة ، والنار ، وغير ذلك من الموضوعات ، التي يتسنى لهم أن ينفذوا عن طريقها باللف والدوران والكذب والاختلاق إلى النيل من الإسلام وعرضه في صورة مشوهة متغيرة ، وأنه ليس الدين المنفذ للبشرية من ضلالاتها وخرافاتنا . فالمستشرقون عامة يدرسون الإسلام والثقافة الإسلامية لغاية سياسية تبشيرية أكثر منها علمية ، ولهم أجهزتهم العلمية المختلفة التي تلذع آراءهم في كل مكان كما أن لديهم الإمكانيات المادية التي تساعدهم على مواصلة نشر مكائدهم وأباطيلهم .

والواجب علينا إزاء هذه الحملات المتابعة من قديم أن نجند لها قوة تفند مزاعمها وتدحض أباطيلها لا باللغة العربية لحسب بل بلغات

والسمين ، الفقه الذى يتمثل فيه منطق
المتبردين ، والسمين الذى يتجلى فيه منطق
الحق تبارك وتعالى .

ونحن نلن أن بعض الدول المسلمة
يحرم فى بلاده أن تقرب مجرد ألقاظ
الشيوعية والوجودية والاشتراكية والفاشية
والنازية إلى صحفها ، ولو كان الاتجاه فى هذه
الكتب يبدو فيه التضخم المجهوى على هذه
المذاهب ، وفى زعم هذا البعض من الدول ،
أن هذا الإجراء خير وسيلة وأجدى طريقة
لقضاء حل مذاهب تلك الألقاظ .

ولم تكف الصحف تنشر نبأ تدريس فقه
الشيعة فى محيط د الفقه المقارن ، بكلية
الشريعة ، حتى هاج بعض العلماء هياجاً
شديداً ، كأن الأذهر قد قرر إلغاء
الإسلام من كيانه وحياته ، وهؤلاء العلماء
لا يستطيعون أن ينكروا :

أولاً : أن فقه الشيعة فقه إسلامي ، وأن
ما خالف فيه مذهب السنة لم يكن بدون
سند من القواعد المتفق عليها فى كتب
الأصوليين .

وإذا فرض أن فقه الشيعة ليس من الإسلام
فى شيء ، فأى نكران على تدريسه مقارناً
بالمذاهب الإسلامية ، وكذلك تدريس غيره
من التشريعات الوضعية ؟

نحاشى الاستفهام وتنسب إليك الخطأ
ولا تنسب إلى أنفسنا قصوراً فى الفهم ؟؟
يا دكتور على 11 هذه ظاهرة أدبية كنت
أربأ بك عنها .

أما احتجاجك - لما شرحته - بالأنجيل
والإنجيليات فأمر له تقدير قد يكون راجعاً
عندك ومرجوحاً عند غيرك وعلى كل حال : فقد
زدتنا لبساً إذ رجعت بنا إلى أناجيلك
وإنجيلاتك ، فقلت : مثلاً إن هناك مريم بتول
سوى أم عيسى ، وتلك أخت شقيقة لموسى وهى
التي شقت الطريق ييساً فى البحر لبنى إسرائيل ،
ونحن نقرأ فى القرآن أن موسى ضرب البحر
بعضاء فارتلق فكان كل فرق كالطود العظيم ،
فهل نكذب القرآن وتبطل فى الرجوع إلى
الأنجيل ٢٢ . مرة ثالثة ، وأخيرة .

(السلام عليكم ورحمة الله)

عبد اللطيف السبكى

نحو آفاق واسعة :

لا نكران فى أن القرآن الكريم قد سجل
وجهات النظر للمتبردين على الله من وثنيين
ومتألهين ومارقين ، لا باعتبارها ذات قيمة
منطقية - ولكن لأنها تعبير عن آرائهم
وإن كانت فاسدة ، تفديساً لحرية الرأى
نفسها ، ولتبيين للناس الفرق بين الفقه

منذ بضعة عشر عاماً لم يكن الشيوعية في الشرق الإسلامي وجوداً يذكر ، والسبب في أن لها بعض الوجود اليوم فيه ، هو أننا - باسم الإسلام - أعلنا كفرها دون أن نكون لدينا أسباب ذات قيمة ، واكتفينا بالبيانات الدينية الرسمية ، واستعداء خطباء المساجد عليها دون أن يقبل علماء الدين أنفسهم على دراستها مكتفين بحفظ بعض العبارات التقليدية عنها . .

إن في العالم مذاهب فكرية قديمة ، وأخرى معاصرة ، وثالثة قد يأتيها المستقبل ما دامت العقول البشرية تؤدي وظائفها ، والأزهر لا يقوى على البقاء إذا وقف مكتوف اليدين حيال هذه المذاهب بما فيها من منحرف أو مستقيم ، وإذا حاط نفسه بستار حديدي من التزم والجود .

منذ أكثر من عام ونصف صدر لي كتاب عنوانه : « محمد الرسول البشر » تضمن آراء اعتبرت جرئة في نظر البعض ، ول سوء الحظ وقع الكتاب في يد إيطالي مستشرق يعني بالبحوث الإسلامية ، فأرسل إلى مجلة لواء الإسلام يرجو إبداء رأي محرريها في آراء الكتاب ، قبل أن يبدأ ترجمته :

« لقد كتبت إليه المجلة على لسان محرريها تقول : « نفيد سيادتك ألا تعليق لنا على هذه

إن التشريعات الوضعية التي أصبحت جزءاً من حياتنا حتى ليخيل إلينا أنه لا غنى لنا عنها ، هذه التشريعات لم يكن مقدراً لها أن تظاً بلادنا ، وتمتدحى التشريع الإسلامي لو لم تقف عقليات علماء الدين عقبة كأداء في سبيل الاتفاق على تشريع إسلامي موحد . فالمعروف أن الخديو عباس أبدى رغبة في إعداد مشروح بتشريع في المجالين : المدني والجنائي ، وتجمع شيوخ المذاهب الفقهية ليؤكدوا أن اتفاقهم في الآراء ضرب من المحال ، وكان أن استوردنا التشريعات الوضعية بأيدينا - لا يد عمرو .

إن الأزهر يحمل على عاتقه فكرة الإسلام وهو يواجه هذه الحياة بها . والعالم الإسلامي إنما ينظر إليه فطرة تقدير وإكبار لذلك ، فهل نطالبه أن يجمد على كتب الفقه والتوحيد القديمة وكفى ، ولا دخل له بعد ذلك بما يدور حوله من التيارات الفكرية الأخرى - ولا يملك التعرض لها أو مناقشتها ؟

إن الشيوعية خطر محقق بالدين والمجتمع والكرامة الإنسانية ، وتدرس في الجامعات العالمية كفلسفة أو نظرية اقتصادية ، فلم لا تدرس في الأزهر من الزاوية الإلحادية لا سيما في كلية أصول الدين ؟

٢٤ من أكتوبر ١٩٥٩ كلمة تمر ما جرى بيننا يوم زيارتكم لنا في المكتب. ونحن نقرو: أولاً - أن قوله تعالى « الرجل قوامون على النساء » مع قوله تعالى « والرجال عليهم درجة » لا يبا بلان بقول إنسان ما « لا قوامه لرجل » . فهذه كلمة إنسان قد يكون متأثراً بمظاهر وظروف خاصة .

ونقرر ثانياً - أن الآيات الحكيمه الصريحه قد جاءت بآياتا لمقتضى الشأن الذي جعله الله للرجل والمرأة بمقتضى الخلق والتكوين ، من جهة ما للرجل من المحول والقوة على العمل دون المرأة ، وبمقتضى التشريع الذي جعله الله للمرأة تكريماً لها ، وهو أن يقدم الرجل لها في مبدأ الحياة الزوجية مبالغاً من المال يعرف في لسان الشرع بالمهر ، حفاظاً لكرامتها من الابتذال ، وتقديم نفسها للرجل بمال أو بغير مال .

وقد كررت بنفسك كلمة « الشأن » التي جاءت على لسانى في هذه المناقشة مما جعلنى اعتقد أنك قد اقتضت بما سمعت ، إذ لم تعد تسأل في الموضوع ، واعتقد أن في هذا التقدير بعد هذا البيان ما يكمل لاقتناع مثل الأستاذ كامل بما قرره صريح القرآن وصار معروفاً من الدين بالضرورة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

أنهولكم محمود شلفوت

الأراء ، إلا أن ما وافق الكتاب والسنة فعل العين والرأس ، وما لم يوافقهما فضرب به عرض الحائط . . والسلام . .

وكان لمحردى هذه المجلة منطق مؤداه أن الكتابة من مثل هذه الكتب الجريئة من شأنها أن تسهم في انتشارها .

وحين قرر الأزهر تدريس الرياضة في معاهده ، ثار بعض العلماء أيضاً لأن علامة + تشبه الصليب ، وكنت أعتقد أن مثل هؤلاء قد اتهموا حين توقفت عصا الشيخ هليلش عن نشاطها في مطاردة الإمام محمد عبده ، ولكن للأسف أثبت الأيام أن عصا الشيخ لم تنفأ تزاوّل نشاطها ، لتعرض على الأزهر أن يظل بعيداً عن الحياة والاحياء .

محمد عبد الله السمان

من الأستاذ الأكبر

إلى رئيس تحرير الجمهورية :

جرى بين فضيلة الأستاذ الأكبر وبين الأستاذ كامل الشناوى حديث شفهي حول قوامه الرجل على المرأة قال عنه المحرد إنه لم يكت إلى نتيجة . فلما اطلع عليه الأستاذ الأكبر كتب إليه هذا البيان .

السيد الأستاذ كامل الشناوى :

سلام الله عليكم ورحمة وبركاته وبعد :
فقد قرأت لكم بجمريه الجمهورية بتاريخ

مقتطفات من الكتب والمجلات

القومية والإنسانية

إن النزعات القومية الصحيحة لا تعادي الإنسانية ، بل تؤمن بالصلة الوثيقة بين البحث القوي والبحث الإنساني ، بين إذكاء المثل القومية لدى المواطن وبين تفتيح حياته الإنسانية عن طريق هذا الإذكاء للقوى ، فتتيح إنسانية الفرد لا يكون إلا عن طريق تربيته القومية وبناءه القوي ، عن طريق ربط مصيره بمصير شعبه . والفرد لا يذكر إنساناً إلا إذا ذكا قبل ذلك مواطناً قومياً .

وطاقاته لا تبقى أكلها إلا إذا عملت ضمن إطار حي محدود قائم فعلاً في كيان الأفراد إطار الأمة التي ينتسب إليها .

« المرفاه »

القرآن ومحمد والرسول

في دائرة المعارف السوفيتية

دائرة المعارف هذه تقع في ٥١ مجلدا وهي المرجع الأساسي في كل الموضوعات في العالم

الشيوعي كله ، أي أنها في فصل الحقائق والآراء لثمانمائة مليون نسمة ، أما هيئة دائرة المعارف فتتبع مجلس الوزراء السوفيتي رأساً .

والوصف التالي للقرآن مقتطف من الطبعة الثانية لدائرة المعارف السوفيتية ، المجلد رقم ١٢ ، صفحة ٥٦٤ :

« القرآن ... الكتاب المقدس الأساسي للسليين ، مجموعة من المواد الدينية المنهية والأسطورية ، والقانونية ... وقد وضع القرآن وشرح خلال حكم ثالث الخلفاء العرب ، عثمان ثم أدخلت عليه فيما بعد ، حتى بداية القرن الثامن - وفق ما وصلنا من المعلومات - بعض التغييرات . ووفقاً للتقليد الإسلامي التاريخي الديني ، يعتبر محمد هو مخرج القرآن ، كما يعتبر مؤسس الإسلام ، على أنه وفقاً لتحليل الموضوعي للقرآن ، هناك نظرية تقول : إن جزءاً معيناً منه فقط يرجع إلى محمد ، أما الأجزاء الأخرى من هذه المجموعة فلا بد أنها تنتمي لعصور متقدمة عليه أو متأخرة عنه .

التاريخية ، وحتى يومنا هذا ما زالت سيرة محمد تنفي على المعلومات شبه الأسطورية الواردة في القرآن والتي يتقبلها طلبة الإسلام البرجوازيون بغير مناقشة .

وتقول إحدى الأساطير: إن محمداً ينحدر من أسرة هاشم ، إحدى أسر قبيلة قريش التي كانت تعيش في مكة . وقد طور محمد تعاليم الموحدين قبل الإسلام - الحنفاء - وراح يشر بالإسلام في مكة . وقد تمكن لظهور الإسلام ، ظهور مجتمع طبق بين العرب تكون تدريجياً . . . وقد تحول محمد في نظر الأجيال التالية من المسلمين إلى « قديس » ، و« صانع معجزات » ، و« شفيع » للؤمنين . ويحاول المدافعون عن الإسلام ، والطبقات الاستغلالية ، أن تستخدم صورة محمد لإضعاف الكفاح الطبقي .

أما عن الإسلام فتسوق هذه المقتطفات من موضوع عن الإسلام جاء في دائرة المعارف السوفيتية ، الطبعة الثانية ، المجلد ١٨ ، من صفحة ٥١٦ إلى ٥١٩ :

ولقد لعب الإسلام دائماً - شأنه شأن سائر الأديان - دوراً رجعياً ، إذ أصبح أداة في أيدي الطبقات المستغلة لكبح الطبقة العاملة . روحياً . . . وقد نشأ الإسلام نتيجة لتو مجتمع طبق بين العرب .

ومن خلق مجتمع طبق في جزيرة العرب

« ويمكن أن تبين هذا من وجود عدد من الأساليب المختلفة في القرآن ، يمكن أن تمرى لتطور اللغة العربية ، ولزمن ظهور « السور » ومكانها . وتستخدم الطبقات الاستغلالية ، القرآن ورجال الدين الإسلامي الرجعيين كسلاح لخداع الجماهير السكادحة وكبحها

أما فيما يخص بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد وردت سيرته هذه في البيانات التي تقتطفها من دائرة المعارف السوفيتية الضخمة ، الطبعة الثانية ، المجلد ٢٨ صفحة ٥٩٩ .

« محمد... مبشر ديني ، يعتبر مؤسس الإسلام ، ويصور في العقيدة الإسلامية على أنه « أعظم المرسلين وعالمهم » ، وهو عربي نشأ في مكة . وأبعد ما أمكن الوصول إليه فيما كتب عن سيرة محمد ، كتب في النصف الثاني من القرن الثامن ، كتبه جامع للأساطير نشأ في المدينة ، يدعى (ابن إسحق) وعنوان كتابه هو « حياة رسول الله » ، وقد ألف هذا الكتاب بناء على أمر من الخليفة في بغداد .

وإلى جانب الحقائق الواقعية عن حياة محمد ، يشمل الكتاب عدداً من الأساطير والخرافات . وفي كتب السيرة الأكثر حداثة طمست هذه الأساطير تماماً صور محمد

فانرى يبحث همه مشر العليا :

إني لا أبيع لنفسى أن أعود في مصاف
النسك والقديسين أو الروحانيين ، ولكن
اعتدائي بالمثل العليا في إنجاز أعمال وتصرفاتي
قد ساعدني على تنظيم شئون حياتي ، وأثار
أمامي الطريق ، فأصبحت أرى الأشياء على
حقيقتها وعلاقتها . وفي وسع كل إنسان
أن يخلو هذا الخلو ، ويتبع هذا النهج ،
فيتوصل بدوره إلى ما توصلت إليه من
النتائج . ولقد وصلت إلى هدف تدريجيا وعلى
مراحل ، وكنت كلما أم بالانتقال من مرحلة
إلى مرحلة أخرى أهي كل الأسباب
والوسائل اللازمة للوصول إلى هدف المنشود ،
وأفكر في النجاح في ذلك تفكيراً عميقاً حتى
أوفق إلى بلوغ المثل الأعلى . وإني قد نجحت
في توجيه وقيادة نفسي نحو الخير ، أما شعاري
فقد كان العفة ومعاملة الناس بالحسنى والرأفة
وعدم العنف . ولقد توصلت إلى كل ذلك
باختياراتي الشخصية وتجاري اليومية وجهودي
المتصلة ، وشعرت بأنه لا مندوحة لي من أن
أقف نفسي وأكرس حياتي لخدمة المصلحة
العامة والعناية بإصلاح المجتمع الإنساني .

« نفاذ الهند »

نشأت أزمة اقتصادية واجتماعية بين قبائل
العرب المحليين وانعكس هذا في ظهور الإسلام
ليبرر عدم المساواة اجتماعيا واقتصاديا وقيام
جهاز الاستغلال .

وقد تأثر تكوين الإسلام إلى حد كبير
بالمفاهيم الدينية البدائية لقبائل العرب ، كما
تأثر بالمسيحية واليهودية والمجوسية فقد
صورتم المبودية وعدم المساواة الاقتصادية
في السور المكية بالقرآن على أنها ظواهر من
صنع الله نفسه ، وأنها لهذا لا يمكن تبديلها ،
والرأى الذي يبديه بعض المدافعين عن
الإسلام حول « شيوعية الإسلام الأصل »
ودعهم أن محمداً - الذي يعتبر مؤسس
الإسلام - كان ثاراً ومصالحاً اجتماعياً مهما ،
يهدف إلى إخفاء حقيقة الإسلام . . .
وليس أدعى إلى وصف هذا التزييف من أن
القرآن يدافع عن المبودية في إصرار ،
ويررها في دأب ويعتبرها من صنع الله ، كما
يدافع عن عدم المساواة اقتصادياً واجتماعياً
بين الناس .

وكنتيجة لانتصار الاشتراكية وتصفية
الطبقات الاستغلالية ، فقد اقلعت جذور
الإسلام ، كما اقلعت جذور أي دين آخر من
الاتحاد السوفيتي ، ولم يعد الإسلام في الاتحاد
السوفيتي إلا مجرد أثر . . .

« الصرافة »

thers to their other brothes indicates that relations may be motivated by envy and misbehaviour in their relations to one another to be a source of weakness and disturbance instead of being a source of strength, aid and influence.

Thus it is only logical that man should be guided in such a manner as to strengthen his relations with his relatives. This guidance is understood from the Qur'an which pays a considerable attention to this kind of relationship from the psychological as well as the spiritual and material aspects. God, exalted be He, says: "... And those related by blood are nearer to one another in the Book of God ..." (Surah. 8, V. 75). He also says: "That is the good tidings God gives to His servants who believe and do righteous deeds. Say: I do not ask of you a wage for this, except love for the kinsfolk ..." (Surah 24. V. 22).

In these two glorious verses the Qur'an expresses how deeply concerned it is about the maintenance of good relations among relatives and how this course is prescribed in all the Divine messages and Scriptures. This prescription proves that God has ordained People to take serious interest in this kind of relationship to maintain the satisfaction and purity of self by means of extending aid to

the needy who will then escape the evil of envy and humiliation.

Besides these two verses, there are others which command the wealthy people to take good care of their relatives and participate in satisfying their needs not because these latter are needy or poor but because they are simply relatives. The Qur'an says: "And give the kinsman his right, and the needy, and the traveller; that is better for those who desire God's Face; those - they are the Prosperous" (Surah. 30, V. 38. See Surah. 2' V. 177,215).

The Qur'an attaches more importance to this course of relations among relatives than it does to any other course. (See above).

When the Messenger was asked about giving charity to one's kinsman, he said: "Who gives his kinsman will receive two rewards one for the charity he did and one for caring for his kinsman".

This is religion in the life of man when compared to law and philosophy. And this is the role of Islam in particular in the life of man. It means unity of the Worshipped and harmony in the behaviour of man. It is justice and balance in the relations between couples, parents and children and relatives. It is the message of God to lead men aright, and its way is the straight way.

This is because man's relatives, if they are sincere to him, are the source of his power; as they represent to him more than the non-relatives represent. They associate with in blood ties, in the inherited characters, in the familiar customs, in tendernesses and trends. They are his company, his supporters and his private community.

Conversely, they themselves may become the source of his weakness and anxiety when they are spiting him. This is the state of man with his relatives: he either becomes powerful or weak because of them. The glorious Qur'an elucidates these two opposite extremes concerning the relation of man with his relatives. As for the first side it says on the tongue of Moses appealing to his Lord "And my brother, Aaron, he is more eloquent in speech than I, so send him with me as a helper to confirm me. Surely I fear that they would reject me. He said: we will strengthen your arm with your brother, and we will give you both an authority, so that they shall not reach you. With Our signs, you two and those who follow you, will triumph." (Surah 28, V. 34-35). Moses thus demanded his brother Aaron, on both of them be peace, from their Lord exalted be He, to be in his company and to help him and protect him in conveying His message.

The Lord, exalted be He, gave him what he asked. He strengthened

his arm with his brother, consolidated his power and authority and promised them with victory, they and their followers. It is clear that kindred here was a power because it remained unspoiled. It was in a state of sincerity, purity and unity.

As for the other side it can be represented in the story of Joseph, on whom be peace, with his brothers. The relation of kinship was defiled between Joseph and his brothers; they spited him, tried to device him to the most horrid form in the sense that they wanted to kill and remove him so that their father's regard might be exclusively for them. In this connection the Qur'an says: "Verily in Joseph and his brothers there are signs for the inquirers. When they said: Certainly, Joseph and his brother are dearer to our father than we, though we are a (strong) company. Surely our father is in manifest error - Slay Joseph or banish him to some (other) land, so that your father's regard may be exclusively for you, and after that you may be a righteous people". (Surah 12, V. 7-9). Nay! they repented for this erroneous intentions, and the following verses refer to their repentance "They said: By God! God has indeed chosen you over us, and we are certainly sinners" (Ibid. V. 91). "They said: O our father, ask forgiveness of our sins for us, Surely we are sinners". (Ibid. V. 97). Yet the former attitude of those bro-

God the Almighty says : " And We have enjoined on man concerning his parents - his mother bears him with faintings upon faintings " (Surah 31, V. 14). He also says " And We have enjoined on man the doing of good to his parents. His mother bears him with trouble and she brings him forth in pain " (Surah 46, V. 15) And finally He says : " And say : My Lord, have mercy on them, as they brought me up (when) I was a little " (Surah 17, V. 24).

On the contrary the Qur'an demands only the parents in their relation with their children not to be fascinated by those children ; because this fascination may divert the parents from the remembrance of God and from the execution of His injunctions in man's life. In this respect God says : " O you who believe, let not your wealth nor your children divert you from the remembrance of God " (Surah 63, V. 6). If the parents are overwhelmed by the love of their children then they misunderstand life, mislead their children and misuse the enjoyment of their love. Consequently, they will lead an abnormal life deprived of psychological repose and full of unexpected and horrible events.

This is what the Qur'an ordains concerning the relation between parents and children according to the human nature free from abnormality in its growth and development. The

Qur'an always addresses the personality in this respect.

As for forbidding parents from killing their children, the Qur'an says : " And kill not your children for fear of poverty — We provide for them and for you. Surely the killing of them is a great wrong " (Surah. 17, V. 31), and says : " And slay not your children for (fear of) poverty — We provide for you and for them " (Surah 6, V. 152). Likewise, the Qur'an in its verses concerning the animosity of some children towards their parents does not indicate that all this is based on the uniform human nature nor does it draw a method to correct this nature, but it is only a remedy of an emergent condition ; a remedy of a rare abnormality in the human nature resulting from an abnormal environment.

Thus the doing of good to the parents and the control of their love to their children are the correct way to the equality in relations between both sides. And that is the Qur'anic method on all the aspects of human life.

Relatives :

The Qur'an treats the relations among relatives in a manner similar to that of the individual towards his society, his wife or husband and his parents or his children, and the very aim of the aforementioned relations is sought also here.

internal facts of the world except the children either side by side with wealth or in a later degree.

The attitude of the Qur'an towards parents is different from its attitude to children. It does not speak of parents as an adornment in the life of their children or as a source of temptation and boasting to them. It mentions parents in connection with the care due to them from their children. (See Ss. 2, 4, 29, 31, 46, Vs. 215, 8, 14, respectively.)

These expressive verses of the Qur'an prove that there is a difference between the relation of the parents to the children and the relation of these to the parents, and that the relation of either side is not identical with that of the other. Hence the message of the Qur'an in this respect aims at harmonizing and balancing the course of relations between the two sides. It endeavours to change the ordinary course of these relations and make a central meeting-point where neither side would averse to the other.

Because the parents naturally and instinctively or customarily have more and stronger motives to go to a meeting-point, the commandments of the Qur'an on this matter are almost addressed to the children only and presented in a formula the violation of which is unforgivable. This can be seen from the expression of the Qur'an which combines the dem-

and of doing good to the parents with the demand of associating none with God in the course of worshipping. God, exalted be He, says: "And when We made a covenant with the children of Israel: You shall serve none but God, And do good to (your) parents" (Surah 2, V. 83. See Ss. 17, 6, Vs. 23, 152).

The Qur'an, when neglecting the definition of the course of behaviour of the parents towards their children, depends on the strong, natural and instinctive motive of the parents. In contrast with this attitude it pays much attention to the duties of the sons towards their parents. God, exalted be He, says in the same chapter of the Israelites: "And your Lord has decreed that you serve none but Him, and do good to parents. If either or both of them reach old age with you, say not "Fie" to them, nor chide them, and speak to them a generous word. And lower to them the wing of humility and of mercy, and say: My Lord, have mercy on them, as they brought me up (when) I was little" (Surah 17, Vs. 23-24).

Moreover, the Qur'an may add reasons and motives to the association of doing good to the parents with serving none but God, which reasons and motives instigate the good-hearted sons to do righteousness and good to their parents; because these are taken from the development of the children themselves.

so far as marriage relations are concerned, is a message of balance, justice and harmony like what we observed in the behaviour of the individual toward himself and his society. As for the demand of the Qur'an to shun the doing of harm in treatment, it is not confined to marriage relation only but also includes the course of relation between man and his fellow man. Nevertheless, this is more emphatic and far more necessary in the former case than it is in the latter one because the doing of harm is totally incoherent with marriage and its proper purpose.

The Relation Between Children and Parents :

Concerning the relationship between children and parents, the Glorious Qur'an aims at justice, balance and harmony. The Qur'an views this relationship in its actual form and looks to the two sides of it as one overweighing the other because they in fact are not in the same position nor are they in the same degree. The relationship of parents to their children is much stronger and far deeper than that of the children to their respective parents. The parents are by normal nature more loving and more attached to their children than these are to them. So the relationship of children to parents is not equal to that of the latter to the former as far as inclination and love are concerned, and the attachment of either side to the other is not balanced or of the same degree.

The Qur'an refers to this inequality in the sense that whenever it addresses Parents with regard to their children it portrays these as an adornment and a pleasure in their parents's lives. And because the children are an adornment and an enjoyment the Qur'an has described them as a trial and a temptation to their parents. Moreover, the Qur'an mentions children accompanied by the mention of wealth which is also an adornment and an enjoyment, and which is a source of trial and temptation. Furthermore, in some verses it almost confines the adornment of life to the pleasure of having children and wealth. God exalted be He says in the Chapter of The Cave: "Wealth and children are an adornment of the life of this world. ﴿﴾" (Surah 18, V. 46). He also says in the Chapter of Mutual Disillusion: "Your wealth and your children are only a trial" (Surah 64, V. 15). Again He says in the Chapter of Iron: "Know that this world's life is only sport and play and gaiety and boasting among yourselves and a vying in the multiplication of wealth and children,..." (Surah 57, V. 20).

The logic of these expressions, which speak of children as the adornment of life or the temptation of the world or the source of boasting, means that the attachment of parents to their children is very strong so much so that parents are not conscious of any external appearances or

man are the same as these of the woman; but it may be said that man, for instance, is to maintain his family and the wife, in return for this, is to look after her children and so on.

The degree of man above woman, to which the second verse cited above refers and which is described in the first verse as making men the maintainers of women," does not change the natural role of man as a subscriber to the harmony and equality in the marriage life. Actually this degree is a human necessity ordained to render marriage a success not to destroy it or accomplish any accidental purpose at the expense of the very principle of marriage.

When the Qur'an gives its advice as how the couple should treat each other, it does not certainly want to destroy the security and quietness of mind which the Qur'an has made the goal of marriage. Otherwise, the Qur'an would be illogical and inconsistent with its own principles by which it urges patience, endurance and the avoiding of harm, - if the marriage life confronts any sudden crisis - as it says: "And treat them (women) kindly. Then if you hate them, it may be that you dislike a thing while God has Placed abundant good in it" (Surah 4, V. 19). So the demand by Islam that men should be harmless and kind in their treatment and be patient with their wives at

times of aversion indicates the solicitude of Islam to maintain Peace and comfort among couples.

Although the Holy Qur'an makes harmony and mutual understanding the purpose of marriage, it does not mean to abolish or disregard the personality of any party to marriage. On the contrary, it maintains the personality and individuality of each one of the two sides concerned, and organizes their relation in such a way as to make it fruitful for their own good as well as for the good of humanity. And for the reason of maintaining the individuality of both sides the Qur'an does not deprive either side after marriage of the personal rights due to that particular side as an individual. This is why the individual has personal rights as well as marriage rights and is tasked with various obligations in the same way. Thus the expenses of the wife, although she may be wealthy, is to be paid from her husband's property. She is tied to her husband by the marriage contract, yet she has the right to invest her own money the way she Pleases and to exercise her own faith, political doctrine and free expression of her opinions. But it should be noted that this guaranteed liberty of the wife or of the husband must be restricted to the limits which do not cause any harm to either party of marriage.

The message of the Qur'an then

did He make, that he might find comfort in her." (Surah. 7, V. 189).

In order to attain this harmony there should be two things: (a) The husband must preserve the timidity and dignity of his wife through a practical action taken by him to express his appreciation to the woman to whom he Proposes marriage. This action means that man should offer a free gift to the proposed to wife for the accomplishment of the marriage. The following verse ascertains the attitude we are viewing; "And give woman their doweries as a free gift. But if they of themselves be pleased to give you a portion thereof, consume it with enjoyment and pleasure." (Surah 4, V. 4). The Qur'an emphasizes this attitude by stating that this gift is the woman's right from which man can take no portion without her own consent to show that this gift affects deeply her morale and her position towards the husband after getting married.

This gift, viz., the dowery, however small, makes the wife feel that the husband he it is who wanted her and that the sex had no part in their marriage; because if she realized that the sex played certain role in the marriage she would have felt inferior to man as it was her situation before Islam. By virtue of the dowery the wife feels dignified and lives in a plane of equality in humanity with her husband.

When the feeling of equality in humanity between the couple is established, they will lead a harmonious and prosperous course of life which may produce good offsprings who will be brought up under the care and love of their coherent parents.

The second thing is that rights and obligations concerning the marriage life are equal according to the nature of each. Both husband and wife exchange equal rights and obligations. It is noteworthy to say that the meaning of equality here is that man and woman should contribute to the marriage life in order to reach its aim which is security, comfort and harmony. Likewise, the mutual benefit of the two partners should prevail in their relation in the sense that none of them should not be exploited by the other.

The two glorious following verses refer to the equal rights and obligations already explained: "Men are the maintainers of women, with that God has made some to excel others and with what they spend out of their wealth" (Surah 4, V. 34). "And women have rights similar to those against them in a just manner, and men are a degree above them" (Surah. 2, V. 228).

The similarity referred to in the second verse means equality in rights and obligations. It is not necessary that all the rights and obligations of

and shut the door of evil, yet they demand endurance and self-control.

The Qur'an has given all these and other instructions concerning the common society, viz., the nation, with the purpose of maintaining its solidarity and cohesion, and to take precautionary measures against the destructive factors which go back to the upsetting of justice or the disturbance of social balance.

Loyalty to foreign rulers, partiality in settling disputes, hasty yielding to slander, exploitation of the weak by the strong and indifference of the rich, of the learned, of the healthy, etc., to the needy, the ignorant and the sick respectively - all these things inevitably lead to disturbance in the social scale and upset justice. Thus the message of the Qur'an concerning the common society is one of justice and balance just like its message to the individual which is meant to establish balance between the two forces dominating him.

Family :

These are the commandments of the Qur'an in connection with the common society. And if we move from

this sphere to consider the comparatively small entity of society, namely the family, we shall find that these Qur'anic commandments are ordained for the same purpose, and that they

are meant to establish the family system, like that of society and of individual behaviour, on the basis of justice, balance and uprightness.

Husband and Wife :

The morals of the Qur'an regarding the husband and the wife are the symposium of its morals relating to (a) the individuals towards himself, (b) the individual towards his society and (c) the individual, who is a partner in marriage life towards the other partner.

This is because marriage means association of two individuals whose principal aim should be the establishment of a harmonious life; so that the behaviour of the Couple may be consistent, and look like that which emanates from a single Person, aiming at uniform end and going on the same way.

It should be born in mind that the states of this behaviour is beyond that of the individual towards his society at large. God, exalted be He, illustrates this meaning when He says " And of His signs is this, that He created mates for you from yourself that you might find quiet of mind in them, and He put between you

love and compassion. Surely there are signs in this for a people who reflect". (Surah. 30, V. 21), and He also says " He it is (Who created you from a single soul, and of the same

the fulfilment of his children and wife's rights, and so on.

The Almighty God depicts the rejection of giving the rights to its owners by substitution of good for worthless, by absorption and by great sin.

The Qur'an ascertains this attitude because the violation of the weak by the powerful indicates that the society which gathers both of them is not but a means for the achievement of the personal purposes and does not act as a common guardianship for the rights of every individual.

It is clear that the society was set up to associate in one union, to aim at one target and to one balance represented in justice and equilibrium.

In addition to all these injunctions, Islam commands the differences among individuals should be tightened so that the poor may not feel his deprivation, the sick his disability, the ignorant his laziness and misunderstanding, the young his weakness and ripeness and the oldman the effect of his oldage. To realize this aim, Islam urges the wealthy to give, the healthy to help, the educated to guide, the senior to have mercy on the junior who, in return, holds the former in a great respect and esteem. But Islam paid much attention to the

spending of money on one hand to the needy through the well off, and this because money has a certain power which induces its owner not to spend, and, on the other hand, the deprivation of money may lead to anxiety, envy and animosity of the deprived against the well off. God, Glorious be He, says " And those who are steadfast seeking the pleasure of their Lord. and Keep up prayer and spend of that which We have given them, secretly and openly, and repel evil with good; for such is the (happy) issue of the abode (Surah 13, V. 22). Again He says: " These shall be given their wage twice over for that they patiently endured, and avert evil with good, and expend of that We have provided them " (Surah. 28, V. 54).

It should be noted that expending here is not the alms - giving, which is obligatory, but the voluntary charity in secret or in public, which is far beyond the injunction of alms - giving. God, Exalted be He, has in this point associated the qualities that urge man to endure with those which help him solve his problems. Patience in times of distress and crises, performing the prayer which forbids indecency and dishonour, expending in the way of God and for noble purposes, averting evil with good - all are protective measures to prevent the happening of crises.

does not share the believers is these qualities, and therefore does not state them or he might oppose and try to abolish them.

Moreover, the Qur'an Commands the believers to be just and to adopt policy of justice among people; in this respect a Qur'anic verse says Surely God Commands you to make over trusts to those worthy of them and that when you judge between people, you judge with justice." (Surah 4, V. 58) The Qur'an thus, Commands justice between people because the source of security among individuals in the feeling that they are all equal in the domain of the society, and that the society, therefore, is not a biased party that judges between a loyal group and an antagonist one. Thus the society acts as a Common guardian. The feeling of security, justice and equality urges the individuals to affirm the survival of their society as to protect it against its extrinsic enemy.

As for the reception of news, Qur'an commands the believers to think it over and not to accept it precipitant, but they should realize the good tidings from the purposeful and defamatory rumours. In this connection the Almighty God says "O you who believe, if an unrighteous man brings you news, look carefully into it, lest you harm a people in ignorance, then be sorry for what you did" [Surah. 49. V. 6]. The

Qur'an wants, through this commandment, to keep the relations between the individuals sound and pure. This is because the harms caused by the precipitation of acceptance of bad rumours, whether they concern the individuals or the government, do not dissipate only the unity of society but rather foment dissension and agitation which may end with distasteful animosity among the individuals. So the society dissolves into conflicting groups and consequently may be annihilated.

As for the weak, the Qur'an commands the believers not to exploit them; it forbids the violation of the orphan, the labourer and the servant. God the Almighty says "And give to the orphans their property, and substitute not worthless [things] for [their] good [ones], and devour not their property [adding] to your own property. This is surely a great sin" (Surah. 4, V. 2). The verse quoted here, though it is aiming directly at the guardians to give the orphans, viz., the unripe, their own properties without delay after having become mature, but it goes beyond this particular case to demand that rights should be given to its owners whose position is like that of the orphans. Therefore the man who is in charge of an affair is demanded to give the labourers their rights, and the husband is responsible for

Islam by defining the aim of the adherents through the worshipping of God alone, endows them to appreciate their dignity and to lead the course of life without being hampered by any obstacle resulting from the idols of paganism in all its forms. The feeling of dignity, the emancipation from the fetters of superstition and the struggle against the hardships of life *without depending on any certain position of any star or planet*, as it was the custom of the Arabs before Islam, or without waiting for permission from a trustee or master, as it was the habit of slaves in the post-all this is a clear manifestation of the worshipping of God alone. And those who hold that feeling reinforce their struggle by guidance and vigilance, and they, therefore, must achieve success in their struggle and gain victory in their fight.

In order to prevent the interference of any factor which may subdue the relations among individuals or divert their attention and thinking from thinking on the Almighty God alone to struggle about those relations, the Qur'an ordains what keeps these relations strong, makes the individual constantly observe God's teachings and what directs their efforts to the realizations of their own good and the welfare of their society, which would lead to the

souvereignty of the present society and also of the successive generations. The Qur'an commands the maintenance of the sovereignty of society in the sense that the individuals should not be loyal to any other than themselves. And this loyalty means that the status of the intrusive should not be raised in their hearts to that of regent or to that who is considered authority and to whom their affairs are resorted. God affirms this attitude when He says " And the believers, men and women, are friends one of another. They enjoin good and forbid evil and keep up prayer and pay the poor-rate, and obey God and His Messenger. As for these, God will have mercy on them. Surely God is Mighty, Wise." (Surah. 9, V. 71). God in this verse gave reason to the preference of friendship among the believers, and driving away the influence of the intruder. This reason lies in the joint qualities and manners which are the basic elements of Islamic society. The joint qualities mentioned in the verse are enjoining good, forbidding evil, keeping prayer, paying the poor-rate and obeying God and His messenger. It is obvious then that the guardianship of the intrusive foreigner will eliminate these qualities and consequently will erase the personality of the Islamic society. This is because the guardian intrusive foreigner

in adherence to God's commandments.

Dealings :

As we have seen, man is wavering between two opposite directions: that of the righteous self and the other of the self which is wont to command evil. This wavering of the individual is realized on a larger scale in the course of relations between man and his fellow man. People are unlike one another in the sense that every individual has his own customs and aspirations resulting from the certain environment in which he is brought up, and inasmuch as the number of individual increases, their differences grow larger.

Society :

The same course of unity, which Islam has ordained for the individual, is also demanded with regard to society, Islam guides the society in a way as to enable its individuals to get united. The dealings set up by Islam is the means to achieve this aim.

The unity of society does not depend only on the circumstances surrounding the individuals as a result of the environment and place in which they live or of the ways by which they make their living, but it is indispensable for the society in the course of realizing a solid and

vivid unity to have one and the same goals. This is because the unity in aim is the centre around which the people gather and for which they consolidate their bonds to become brethren in feeling after having been united in aim.

The Glorious Qur'an took into consideration, before giving its moral commandments, the aim of the society which it seeks and the form in which that society should be. The role of these commandments, then, to keep balance of the society and secure the good relations among its individuals from disintegration and perishing.

The worshipping of God alone is the glorious end which the Qur'an has defined for its society. God, exalted be He, says in His Holy Book " And serve God, and associate naught with Him " (Surah 4, V. 36), Say: I am commanded to serve God, being sincere to Him in obedience". (Surah 39, V. 11), " That is God, your Lord. There is no god but He; the Creator of all things; therefore serve Him, and He has charge of all things. Visions comprehends Him not, and He comprehends (all) visions; and He is the Subtle, the Aware ". (Surah 6, V. 103—104) add " Surely this your community is a single community, and I am your Lord, so serve me". (Surah 21, V. 92).

not obliged to deprive himself of lawful things.

The worship of fasting thus signifies man's resignation to God which means admitting the existence of God and His being the Lord of the universe. It is, therefore, a further step in guiding man to realize the unity of his essence and to make his self righteous so that he may not seek any ideal in the existence except the Supremacy and likeness of God.

Moreover, Islam has ordained pilgrimage to make man conduct a course of a simple and natural life in the sense that he refrains from the non-essential things in life and gives in the form of offering oblations. Thus pilgrimage leads to the same noble aims to which lead prayers fasting and alms-giving.

When man follows one uniform direction in life, his behaviour then becomes upright; he does not fluctuate between two opposite extremes, nor does he put on one face to-day and another to-morrow, nor does he do one thing to-day and its contradictory to-morrow, nor does he incline to the right to-day and to the left to-morrow.

Such uprightness proves that he has become logical with unity of his essence, and that he has benefited from his worship of God, The One.

The proof of this uprightness in man's behaviour is established when this behaviour accords the verse which says: "And seek the abode of the Hereafter by means of what God has given you, and neglect not your portion of the world, and do good (to others) as God has done good to you, and seek not to make mischief in the land. God surely love not the mischief-makers" (Surah, 28, V. 77).

If man endeavours to take his portion of the world, not to usurp the portion of others, seeks at the same time God's contentedness in his portion by doing good to others as God has done good to him, and refrain from mischief; he then will be upright and moderate. He does not resort to passive dependence (tawakual) but follows the natural way of earnest work and thus attains his portion of life. He is neither exultant nor conceited by attaining what he has of God's favours. He appreciates these favours in the sense that he does not misuse them in any way as to harm himself or his society, to commit sin or do the forbidden, to desecrate the honour of others or deprive them of the right to those favours. He gives of them to his relatives and his neighbours, the poor and the needy. With all these qualifications he, no doubt proves himself upright and sincere

The aim of worships in Islam, therefore, is the acquisition of unity in man and the making of his behaviour in conformity with it. The aim of dealings in Islam is also the attempt to lessen the effects of dualism in relations among people, make them as uniform as possible and render man's behaviour harmonious with the results of this attempt.

Worships :

Man by the nature of his creation is subject to two opposite powers, and for this reason he has two opposite trends in life: One emanates from the self which is wont to command evil and the other from the righteous self. The former self is that which induces man to be capricious and passionate, while the latter is that which exhorts him to be moderate and upright. The worships of Islam, like prayers, alms-giving (zakah), fasting and pilgrimage are meant to make man follow one trend and render his self righteous to be moderate and upright.

Islam has ordained prayers in which man stands in God's presence with deep veneration to express His greatness and glory by saying: "God is Most Great", and to feel the real value of the whole existence in which there is only One Being to Whom belong greatness and glory. After this value is fixed in the

worshiper's heart, his self will become righteous, and it is unexpected from him then to think of approaching anything in the existence other than God. This is because the self which is wont to command evil is only that which subjects man to other than God in the existence, and it is not different, then, in the aim from the devil himself.

Conversely, Islam has ordained the worship of alms-giving to make the believer, who observes this duty as a means of attaining God's contentedness, follow one straight trend which is that of the giver. In this way the inclination of man to the other opposite trend of greeds and usurpation can be suppressed. Consequently, it is established that alms-giving is a worship to achieve the unity of man and make him follow the example of God in granting instead of falling into the sins greed and usurpation.

Fasting is also ordained by Islam not only to ascertain the glory of God or to train man as not to be fond of making collections of things. It is meant to control the self and accustom man to deprivation in response to God's instruction. Deprivation in fasting is actual and more effective, from the moral and practical point of view, than granting in alms-giving; because the giver here is

revelation, and are aiming at one end which is "the balance", the uprightness and moderation.

Faith

Faith in monotheism in the manifestation of balance, uprightness and moderation. Faith in one God means that unity is desired and is ultimate end in Islam. In this respect Shaykh Muhammad Abdub says "As for the faith of all people in one God, it is meant to unite their inclinations and concentrate them in one Lord to whose authority all people submit. And in this faith lies the system of their brotherhood and the foundation of their happiness, and to it they will come even though this may take along time" (Ibid. P. 51).

The faith in one God also means unity in the essence of man and in his relations with his fellow-man whether that man is a member of his family or his society, and in family or his own society or of another Islamic society.

The Unity in the essence of man has a designed course, and to his Unity the ordinance of sublimation and worships is the way. Likewise, the Unity in the relations among individuals and societies has a designed course, and to it the ordinance of dealings is the means. God says to His kind Messenger :

" Say : He, God, is One. God is He on Whom all depend. He begets not, nor is He begotten ; And none is like Him " (Surah. 112, Vs. 1 — 4). This means that God, the Worshipped, is One and *the* Lord, His unity is absolute and produced by none other than Himself ; " He begets not, nor is He begotten," and this is why there is in existence no equal to Him ; " And none is like Him. "

By this short chapter of the Qur'an, the unity of God was defined as pure from the equality and the likeness of others. And because the Worshipped is He to whom man heads in his life, this pure unity is the ultimate end of man in his efforts and behaviour. Man thus has to adapt himself to this unity and behave accordingly ; otherwise, he will not be able to appreciate the unity of the Exalted God. Similarly, if his behaviour is not systematically disciplined, it will be a sign of his failure to realize unity in himself. As regards his relations with others, he has to mitigate the dualism between himself and those others, and to develop it into unity or, at least, reconcile the two sides of taht dualism one to the other. The attempts at this mitigation or reconciliation should be demonstrated in his behaviour. If he fails in this course, he will be far from the appreciation of God's unity.

of "erring" nor to the existence of the executive authority and its direct supervision. In connection with this point, Shaykh Muhammad Abduh says: "People are in agreement on that some deeds are beneficial and others are harmful. In other words, some deeds are good and some are bad. Some sages and those of sound thinking from among people can find the truth about that. People are also in agreement on that the good deed is the one which lasts longer as far as its benefit is concerned, even though it may be harmful at the present time, and on that the bad deed is a one which leads to corruption or disorder in the private or social life, even though it gives great pleasure in the beginning. But people differ in their opinion about any particular deed when taken by itself and as such according to their differences in temper, nature, home-background and all surrounding circumstances. This is why they fall into all aspects of evil while every one of them thinks that he is seeking the useful thing. So the human minds alone is incapable of leading its owner to happiness in life" (Risalah el-Tawhid, p. 48).

He also says "Therefore the human mind was in need, to control the perceptive faculties and physical powers, to supporter or helper; and

this helper is the prophet himself" (Ibid. P. 51).

As regards nations he says: "The mind only is not sufficient to realize the happiness of the nations without a Divine guide. It is like the animal which cannot perceive all the tangibles by the sense of sight only; but there must be with that sense, the sense of hearing, to perceive for example, what can be heard. Similarly, religion serves as a general sense by which the means of happiness, which means the mind is uncertain about can be discovered. Mind is the only authority to know that general sense, and to use it according to the purpose for which it was granted, and to submit to the beliefs and deeds revealed by that very sense". (Ibid, P. 82).

The Merits of Islam as Religion

when the discourse moves from religion in general into Islam in particular, the need for religion in the life of man will be stronger, and more pressing.

This is Because Islam, as known from the Qur'an and the Genuine Traditions, includes faith and legislation concerning the sublimation of man's morals and his dealings.

All these contents are not man-made but all of them are Heavenly

is a defect in both philosophy and law, and the making of philosophy and law by man is a reason of their infallibility which leads to carelessness about following philosophy and obeying law. The conclusion is that the power of philosophy is not spontaneous but in the repeated appeal for it, and the power of law is not intrinsic but in the authority which executes it.

Unlike philosophy and law, religion is exempt from these two defects because God who revealed it is free from finiteness and error. So the value of religion in comparison with philosophy and law is intrinsic. And when religion changes into a philosophy or law, there is the possibility of return to its primary nature free from philosophy and law, as long as its original source is saved from interpolation and change. Then it will continue to maintain its intrinsic value. This means that the danger which may encroach upon religion through the accretion of man is removable by means of holding these accretions as human products without giving them the sacredness of religion or the infallibility of its sources.

Besides the infallibility of religious revelation and the indefiniteness of God in His message to mankind, there is another thing to distinguish

religion from both philosophy and law. There is on the side religion man's conscience which comes forth from man's fear of and dutifulness to God. This conscience is regarded as the executive authority of law, yet it is a spontaneous authority and not separate from the man of religious conscience. With law the case is different; the follower of law obeys it out of his fear of the state authority which supervises its execution. So if the state slows down its supervision, the effect of the law will disappear, and its very existence will consequently shrink. Thus two joint things are needed in the sphere of law: the text of the law and the executive authority, while in the sphere of religion the whole thing depends on the believing person only.

As regards philosophy, it is not accompanied by external supervision nor does it create a conscience or internal supervision. So it is less significant in practical life than the law and therefore much less valuable in contrast to religion.

This is a speech about religion, philosophy and law in the life of man in a general way. It is clear from this speech that religion has the first place in man's life and his guidance. It is a source of guidance which is not subject to the defect of (finiteness) nor to the probability

in the past and the United Nations Organisation at present, though marked with international characters are designated to serve the interests of big and strong Powers only. The League of Nations was a presumably legal means for the occupation of weak and small nations by the big Powers. What the charter of the League contained of authorizing the big powers to exercise Mandate and Trusteeship over the small nations was a Practical example of the achievement of the big Powers' ends under the Pretext of the international law, yet those ends were the humiliation and exploitation of the small nations by the big powers to raise the standard of living in the latter at the expense of the former.

The United Nations Organisation is only a repeated form of the League of Nations as far as its charter and ends are concerned. That is why the big powers declared in the recent Past, when they could not realize their Imperialistic ends because of the opposition from the majority of member states of the Organization, that the Organization was no longer capable of solving the international disputes and cases. This attitude finds a handsome demonstration in the dispute of the Suez Canal in November of 1956.

Because philosophy and law were produced by the limited man, doctri-

nal conflicts have been the general character of philosophy, and obvious differences between national laws and divergent interpretations of the international law have been the permanent character of the man-made law.

To the conclusion that God, unlike man, is indefinite and unlimited in what He reveals for the benefit of humanity, another essential thing is added concerning philosophy and law. This essential thing means that whoso follows philosophy or whoso must obey law is acting on the basis that what he follows or obeys is a man-made system which is not infallible and does not ascertain truth or justice. It is a mere conjecture of a sincere philosopher or legislator. The realization of this fact by the follower of philosophy or the loyal to the law leads to non-enthusiastic or temporary following and loyalty. The temporariness of following and loyalty means by nature carelessness about the accomplishment of the philosophical aim and the end of the law. And since the solicitous aim of philosophy and law is the doing of good, the realization of this aim will necessarily suspend inasmuch as there is carelessness about following the particular doctrine or obeying any given law.

The limitedness of man therefore

possession, in expressing his opinion and belief and in adopting any doctrine he pleases. The individual is also entitled to adhere to the customs and traditions prevailing in his society or to abandon those customs and traditions. He is indifferent to the poverty of other members in his society, to their misery and to the hurting of their feelings or sentiments. Such are the philosophers of individual liberty.

These are examples to show the difference of philosophical thought and doctrines, which difference is due to the fact that the thinker is influenced by his private as well as his public life.

As for law, the case is not different from that of philosophy because legislation is based on philosophical foundations and ideas. Law is based on the legislator's conception of life. The legislator in modern times is the state, and his conception of life varies according to the system of the state itself.

There is the Communist state with its own laws to maintain the Communist rule among its individuals. There is the capitalist state with its own laws to guarantee the utmost liberty of the individual in investing his capital. There is the socialist state with its own laws and constit-

ution to set up the mutual relations between the state and individuals on the basis of the socialist ideology which aims at social justice among the classes of society. There is the monarchical state whose constitution is based on the idea of protecting and exalting the throne. There is the republican state whose constitution is based on the affirmation of the individuals' rights to be appointed to the office presidency.

There is also the Jewish society whose law is founded on the idea of maintaining the Jewish traditions, customs and beliefs concerning the "personal code", and on the idea of timing the Jewish annual holidays, deciding the permissible diet and the manner of eating and drinking, etc. Besides this society, there are Christian and Buddhist, pagan and Muslim societies the laws of which must include its own traditions, customs and beliefs.

Therefore, the cause of the difference in constitutions and laws lies in man's being limited. This is why there has been what is called "national law" and what is called "international law". The international law, however, is characterized by prejudice for the strong nation as regards its customs and ends of life. Similarly, the characters of the international organizations, like the League of Nations

that which suits the personal interest, and they, accordingly, hold man as the criterion of good. Some People see good in bodily enjoyment even though it may be accompanied by usurping the possessions of others or desecrating their honours. Some other people see good in solitude and cutting themselves from the enjoyments of life and the course of society. Inasmuch as people of the first category rush to attain the enjoyments of life which they think enjoyable from their point of view, people of the second category stand passive and adopt a negative attitude. The man of the former category is the individualist or the existentialist, whereas the man of the latter is the ascetic Brahmin or the mystic.

Moreover, while we find some philosophers, viz., the Idealists, who define good by that which benefits as many people as possible, we find others, viz., the realists, who define good by that which benefits their own society. On the other hand, we find philosophers who believe that the "end" justifies the "means." So if the achievement of their end depends on slander or conspiracy or heedless and total killing or desecration of honour, the means to that end is legitimate in their opinion. Therefore, the annihilation war in Algeria, for instance, is justifiable in the eyes of the French imperialists

because it will enable them to exploit the human and economical resources of that nation. The establishment of imperialism therein is an end justifiable for the interest of the French imperialists and thus the means to that end is also justifiable and derives its justification from the prospective benefit.

Besides such instrumentalist philosophers of the Machiavellian character, there are others who exhort to the doing of duty for its own intrinsic value, to the doing of what man is obliged to do for the benefit of himself, of his society and of humanity at large without expecting any reward or praise. Such philosophers are those of "duty," who follow the Kantian example.

You see philosophers who advocate the abolishing of the individual's personality and its absorption by society. They justify the suppression of the individual's liberty and the confiscation of his property, and subject his behaviour to the interest of society which is the "state". Life, accordingly, is the right of society not of individuals. These are the philosophers of the Communist doctrine. In contrast to these, we see other philosophers who contend that society should be in the service of the individuals, and that the individual has complete liberty in commerce, in

good, it is established on the fact that this demand is guidance from God. But when philosophy and law demand the same, it is understood that this demand is the outcome of man's speculation. Therefore the difference between religion and philosophy together with law is constant.

The difference between God and man lies in the manner in which the course of good is defined. God, the Lord of all, the Most Supreme, the Self-Sufficient, draws the course of good in such a way as to make it beneficial and attainable for all people. He defines the award of the doing and shunning of good in accordance with the result of that good, in conformity with the human nature and in the light of what this good can contribute to the weal of mankind.

God, in defining and ordaining good, has no particular interest and is not influenced by any factor. Because He knows the human nature and not even the weight of an atom in the earth or in the heaven escapes His knowledge, He ordains good in a way coherent with the potentialities of this nature. Also He decides the award of good with the purpose of benefiting mankind by doing good and shunning evil.

With regard to man in his philosophy and codification, he is limited to his environment, his legacy and

cultural background. The rural person differs from the urban in understanding life and giving it an expression. The member of a pious family is distinguished, in his appreciation of the moral values and the social bonds, from that of a bad family. Similarly, the ignorant man is different from the enlightened man in understanding and belief, and the man of a certain department of knowledge is different from those who are specialized in other departments of it; the physician is not like the engineer, and both are unlike the agronomist, and all of them differ from the man of accountancy, and so on.

So if man is limited to his environment, legacy and cultural background, it is only logical that he is influenced by these factors which reflect on his behaviour, his thinking and his conception of life and of its purposes. Man is the production of these three factors: and his behaviour, his thinking and judgement are the crystalization of them. Thus the man of philosophical thought is influenced, in his definition of the quiddity of good and the way of its attainment, by both his private and common life. And this is why we find among philosophers various definitions of good and various ways of its acquisition, most of which contradict one another. We find some philosophers who conceive good as

efforts to explain the intrinsic value of the particular source to which they adhere, and to prove that it is the only guaranteed course of sound guidance and the only way to achieve the desired aims of human life.

Religion may become a philosophy or a constitution or a legislation. It may become a philosophy when the human mind attempts to justify and reason its principles from the rational point of view; because philosophy is nothing but the intellectual reasoning of the "being". So if the principles of religion are explained through reason, they become included in philosophy. It may also become a constitution when its principles are applied to the events of life and the behaviour is said to be applicable to those principles. When this application is to take place, it is not sufficient to make judgements without sound justification, but there should be comprehensive understanding of the applied principles and the applied - to events. This comprehensive understanding deducted from religion is the form of law to which religion has developed.

When religion takes the shape of philosophy, it pleases the philosophers, and when it becomes a constitution, it attracts the jurists and legislators. Religion may become a philosophy but it does not change to be like the philosophy originally

produced by man. Likewise, when it becomes a law, it does not resemble the law initiated by man. Religion, philosophized and codified, still maintains the general characters of religion; it remains religion.

The general character of religion is that it is revealed from God and that man has to believe in it and obey its ordinances without hesitation or doubt. Man has to be psychologically satisfied with religion even though he may not appreciate its wisdom, because it is from God who is different from man and Most Supreme and Whom man cannot define or conceive His essence. Philosophy and law may become a dogma but then they will not possess the character of religion as aforementioned; they will be held as traditions or customs. Neither philosophy nor law can acquire the nature of religion because both of them are the production of man and will remain so. What they can acquire, however, is the nature of traditions or customs which are to be followed as a familiar heritage.

Thus there is a fundamental difference between religion, on the one hand, and philosophy and law, on the other hand, in the sense that religion is from God whereas philosophy and law are man-made. And when religion demands man to do

RELIGION IN THE LIFE OF MAN

by

Dr. Muhammad El - Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration.

Man has developed from the life of jungle to that of law and civilization, from the life of material power, to which he resorted to settle his disputes, to that where in law prevailed and was resorted to in ending controversies and defining the course of relations among people. The first point from which the human life started was victory gained through family and tribal relationship and by the great in numbers of some communities in contrast with others. The dominant phenomenon in to-day's life is the prevalence of human justice represented in the conception of man-made law. And between the first point and the dominant phenomenon came religion and philosophy each of which played the principal role in a certain period in the history of humanity, and each of which is still exerting some influence in a certain manner.

The stage of jungle life ended with the supremacy of religion over man's life, then came philosophy to

rival religion and afterwards law interfered to take part in this competition and play its role in guiding man. So religion, philosophy and law have become the distinguishing character of the contemporary man's life, and each one of these three conflicting powers is trying hard to gain survival, on the one hand, to ordain man's destiny, on the other hand. The difference between the three lies in that religion is ascribed to the Worshiped God, whereas law and philosophy are the production of man. nevertheless, the aim of each one of the three is hardly different from the aim of the rest; religion shows the way in which mankind conceive their security in peaceful co-existence; philosophy tries the same; and law, in turn stands for the maintenance of the measures which local and international societies adopt as means of securing co-existence and fruitful co-operation.

Each one of these three sources of guidance has its own enthusiastic adherents who devote their lives and

innocent without mercy, and slaughter them to dye, with their pure and sinless blood, the earth of God which He created as a symbol of mercy upon His bondmen - that God has assimilated their hearts to rocks; nay He has made them worse in hardness than rocks: "Then your hearts hardend after that, so that they were like rocks, rather worse in hardness. And surely there are some rocks from which streams burst forth; and there are some of them which split asunder so water flows from them; and there are some of them which fall down for the fear of God. And God is not heedless of what you do," (Surah, 2: 74). It is also a sufficient alarm to the cruel that the messenger, peace be upon him, said: "mercy is not rooted out save from the heart of the unhappy". And the most unhappy is he who stains the face of the earth with the blood of the innocent for no fault except that they believe in God, in His messengers, in the last day and in their responsibility to God and to themselves for combating the evil as well as corruption. The most unhappy is he who kills the fathers to make orphans their children, the

husbands to make widows their wives, and the sons to make bereaved their mothers. The most unhappy are those upon whom God bestows His favours of dignity, authority and nobility, then they turn back upon their heels ingrate and associate others with God saying that there is no life but this life and that they shall not be raised again.

What we hear to-day about the current events in some Muslim countries is only the result of pitiless hearts.

The difference between the merciful and the cruel is the difference between the happy and the miserable, between the human and the non-human, between the believer and the disbeliever. So be merciful and exhort one another to mercy in order that your faith may become perfect, your happiness become great and humanity be proud of you and so that you may live in peace and security. Listen to what Abu Hurayray ascribed to the prophet, peace be upon him, concerning mercy which says: "He who does not pity will not be pitied"

May God guide you and me to exercise the virtue of mercy peace and mercy of God be upon you.

that, one of man's virtues motivated by noble sentiments and honest human feelings. So God calls Himself the Merciful and favours His people with the grace of mercy. He says : " Your Lord has ordained mercy on Himself, (so) that if any one of you does evil in ignorance, then turns after that and acts aright, then He is Forgiving, Merciful " (Surah 6, V. 54). He exalted in rank the faithful to Him and made them belonging to Him alone; as the Qur'an says :

" And the servants of the Beneficent are they who walk on the earth in humility, and when the ignorant address them, they say, Peace! " (Surah 25, V. 63).

Moreover, God conferred on His Messenger the favour of mercy and made it the main factor of his people's faith in him and their adherence to his Call. The Qur'an refers to this favour in the following verse : " Thus it is by God's mercy that you are gentle to them. And had you been rough, hard - hearted, they would certainly have dispersed from around you. So pardon them and ask forgiveness for them and consult them in (important) matters " (Surah 3, V. 158). Furthermore, as God made

mercy a favour from Him to the Messenger He made the mercy of the Messenger a favour to the Believers in the sense that He sent to them a compassionate, merciful messenger : " Certainly a messenger has come to you from among yourselves; grievous to him is your falling into distress, full of concern for you, to the believers (he is) compassionate, merciful " (Surah 9, V. 128).

This is mercy as described in the Book of God, and this is its place with Him ; " Surely the mercy of God is nigh to the doers of good " (Surah 7, V. 56).

Disbelief is the Source of Cruelty :

Cruelty is the character of disbelievers who have no faith in God and do not feel His glory or appreciate that His glory lies in His mercy. It is a character of ravenous and beastlike people who should not live with the virtuous of mankind whose proper attitude is to drive them away to bushes and caves.

It is a sufficient warning to the cruel - who desecrate the honours of people, shed their blood, murder the

tenfold the like thereof, while whoso brings an ill-deed will be awarded but the like thereof; and they will not be wronged" (Surah, 6, V, 160). Every blessing or gift, common and special, that God has bestowed upon His bondmen is only a fruit of His mercy. Sound health, property, the good wife, the righteous children and success in life all are signs of God's mercy. Similarly, knowledge, guidance, the comfort of conscience and the overcoming of difficulties and obstacles in the way of noble causes are made possible by the mercy of God. Moreover, inspiring the mind with what is useful and mighty in life, authority, influence and nobility are attainable through the mercy of God. So let us all reflect on the traces of His mercy and appreciate its effects which surround us and embrace all aspects of our lives. God, "The Beneficent has made known the Qur'an. He has created man. He has taught him utterance" (Surah, 55. Vs. 1 — 4).

God Likes His bondmen to Follow His Example

Mercy, after all, is one of the most magnificent attributes of God Who likes His bondmen to have such an attribute end to be, as He describes them in the Qur'an, "merciful among themselves", So that the old may show kindness to the young and the young

may have respect for the old, the rich and powerful may help the poor and weak respectively, the learned and wise may guide the ignorant and the erring.

God likes the ruled people to enjoy the mercy of their rulers, the children to feel the mercy of the fathers, the pupils to experience the mercy of the teachers, the sick to have the mercy of the physicians, and the poor, to receive the mercy of the rich. Those who are the source of mercy to the servants of God will enjoy His mercy. He will favour them, make them happy with His pleasant company and save them from the troubles of life and death, because "the merciful are pitied by God."

It should be borne in mind that mercy is not confined to man only. God has ordered man to have mercy upon, his fellow man as well as upon animals for both man and the animals need mercy. In support of this injunction, it is reported that the Messenger, may the peace and blessings of God be upon him, said: "Be dutiful to God in treating animals; ride them when they are fit for riding and eat their meat when it is good for eating".

Faith is the Source of Mercy:

Mercy is a fruit of faith. It originates in man's heart from his hope for God's mercy, and is in addition to

The Mercy of People Is the Way to the Mercy of God

BY

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

The Rector of Al-Azhar University

One of the attributes of God, Who created and perfected His creation and Who gave the best guidance, is the attribute of mercy. He has made this attribute incumbent upon Himself and said: "And My mercy embraces all things" (Surah 7, V. 156). He has chosen for Himself two glorious names derived from the root of the word mercy (rahmah); He is called the Compassionate, the Merciful. His believing bondmen are requested to seek His help in the name of these two attributes since they are commanded to start all their actings "in the Name of God, the Compassionate, the Merciful".

God, may He be exalted, opened His glorious Book (the Qur'an) with the affirmation of Praise to Him for His being Lord of the world and for taking care of His creatures. Then the assertion of His Lordship was followed by these two excellent attributes, viz., the Compassionate and the Merciful, to point to the fact that His Lordship over the world and His guidance to mankind are not

based on compulsion and tyranny but on mercy and mercifulness: "Praise be to God, Lord of the Worlds, The Beneficent, the Merciful" (Surah 1, Vs. 2 — 3).

Truly He brings us up with mercy by which He cares for us when we are foetuses and when we develop from stage to stage throughout our lives. He treats us with mercy when we are infants, during our youth and maturity, and when we become old. It is with mercy that He looks to us when we are dying and departing from our souls and even when we are standing in His presence to be judged, for what we have done, "On the day when every soul will find itself confronted with all that it has done of good, and all that it has done of evil (every soul) will long that there might be a mighty space of distance between it and that (evil)" (Surah 3, V. 30).

God judges us with mercy and shows us the good things to do and the bad things to shun. Thus He says: "Whoso brings a good deed will receive

disbelievers and heroes of Quraysh, whose number was about one thousand warriors. The Muslims won the battle and killed many of the disbelievers in the valley of Badr. They returned to Medina (al-Madinah) victorious with many prisoners and spoils in their hands. The numerous disbelievers, on the other hand, retreated to Mecca (Makkah) with defeat and injured victims. With the same Divine Spirit the Beduins of weak bodies, primitive weapons and small numbers emerged from the valleys and the desert of the Arabian Peninsula to fight against the two gigantic Persian and Roman empires which divided between themselves the domain of the world. The Muslims annihilated the power of the Persian Chosroes and destroyed the throne of the Roman Caesar.

It was with the very inflammatory spirit in the blood of the strivers that Port Said stood firm in 1956 against one hundred and sixty thousand descendants of the Crusaders, and that Algeria is now standing firm against seven hundred and fifty thousand descendants of Napoleon. It is due to this Divine Spirit, which empowers the strivers in the way of God with Patience, persistence, firmness, courage, altruism and sacrifice; and which

makes the power of the Muslim striver double that of his enemy. The Qur'an confirms this Point by the verse which says: "So if there be of you a hundred steadfast, they shall overcome two hundred; and if there be of you a thousand, they shall overcome two thousand by God's help. And God is with the steadfast" (Surah 8, V. 66).

After all, *al-jihad* is a happiness that cannot be enjoyed, except by those whom God chose to honour man, to support His truth and to establish justice and order on the earth. God calls such chosen people martyrs and places them in paradise with the truthful and the prophets. Those are whom God has bought their souls and properties — theirs in return is the Garden. They conquered the earth for Islam and paved the way for civilization which came as a result of their heavy sacrifices and the pure blood they shed on the conquered lands.

How happy are those whom God chooses to make, through their striving, the Muslim homeland powerful and to keep, with their martyrdom, the Muslim nation alive!

says: " O you who believe, when you meet those who disbelieve marching for war, turn not your backs to them, And whoso turns his back to them on that day - unless manoeuvring for battle or turning to join a company - he, indeed, incurs God's wrath and his refuge is hell. And an evil destination it is " (Surah 8, Vs. 15 — 16).

There are two kinds of jihad (striving): the valourous striving and striving as such. The former is superior to the latter because the valourous warrior gives without expecting any compensation and sacrifices without thinking of reward. When this warrior takes the last glance at the world before his final departure, he feels quite satisfied, as he has performed his duty, and is pleased because he is going to enjoy the company of God. As for the ordinary striver (mujahid) he exchanges his property and soul for the promised paradise of God. So, sacrifice in his opinion is like a commercial operation of selling and buying and means work and wage.

The source of strength in the strivers (mujahidin) is Islam alone. Before the advent of Islam the Arabs had been scattered entities on the vast and sandy desert with no unity or bonds amongst them. When God chose them to deliver His message to the world, He supported them with

His Spirit Which brought them together, united their hearts and integrated their scattered communities: " And He has united their hearts. If you had spent all that is in the earth, you could not have united their hearts, but God united them " (Ibid., V. 63). Then God strengthened this spirit in the hearts of the Muslims by the beliefs of *al - Qadaa* which means that God knows all events before they take place and *al - Qadar*, which means that events occur according to what God knew. Through these two beliefs the Muslims became certain that they are not alone, and that God is always with them to guide them and ordain their course of life. He revealed to His messenger, peace be upon him, the verse which reads as follows: " Say: Nothing will afflict us save that which God has ordained for us " (Surah 9, V. 51).

In addition to all that, God guaranteed for the striver (mujahid) one of two most excellent things: victory, which is followed by the glorification of God, the freedom of the homeland and the dignity of man; or martyrdom, which is succeeded by commemoration in the world and immortality in paradise.

With this Divine Spirit the Muslim fighters, whose number hardly reached three hundreds, went to the Battle of Badr to meet the heads of

advisors to whose sermons he turns his back. Such failure is, perhaps, due to the fact that the observance of these duties is based on the relationship between man and God, and that man's own conscience is the only motive to undertake these duties.

With regard to the faith of al-Jihad (striving), it is based on a combination of relationships between man and his God, his motherland, his offspring, his property, his heritage, his remembrances and his aspirations. So this faith is constantly vivid in the Muslim's heart in spite of the elaps of time. It is like fire in a still volcano which fire may calm down but remains unextinguished. When the religion is disdained and the motherland is attacked, the enthusiasm of all Muslims arises, and the faith of jihad shows itself active and lively in the hearts of Muslims, who hasten to defend their religion, to protect their motherland and to destroy all antagonist elements,

In this phenomenon lies the explanation of the attitude of all Muslims in their different and distant countries against the imperialist powers during the Tripartite Aggression on Egypt. That attitude condemned the aggressors and proved the readiness of all Muslims to resist, with their money and lives, that aggression. It also explains the unanimous opposition of all Arabs to what is

being inflicted upon Algeria by the brutal and barbarous imperialism. This opposition is so strong and deep that it led the Arabs to support the Algerians with money and equipments, and to back them before world forums.

The sympathy of the Arabs for Egypt and their support to the Algerians were not based on racial ties nor on the neighbourhood responsibilities, but on the faith of striving, which God revealed in His Book and the Messenger explained in his Traditions and which the jurists detailed in the sources of jurisprudence.

Like the other pillars of Islam, *al-Jihad* (striving) is authorized by the text of the Holy Qur'an some chapters of which, like those of Immunity (*Al-Tawbah*) and Spoils of war (*Al-Anfal*), deal with war, peace, spoils, prisoners, treaties and the general rules of war in Islam. One of the most significant meanings of the Glorious Qur'an is that it pays its utmost attention to the treatment of prisoners who are captured by the Muslims, while it almost neglects the Muslim prisoners who may fall in the hands of the enemy. This is because the Qur'an enjoins firmness in war and forbids retreat except for military tactics or for reinforcement. In reference to this rule the Qur'an

French language and to believe in a religion other than their own.

Look into the whole world and search through any place you please, then you will find that all eyes and ambitions are focused only on this part of the world, viz., the East, from which God's light dawned, and by which God was known and in which man was honoured.

My reply to the question raised earlier is that the sincere Muslim is still aware of the fact that his religion means Qur'an and sword, his history includes victory and civilization, his constitution is concerned with both religious and mundane affairs, his war means *striving* and martyrdom, and his government has the character of both religious caliphate and popular leadership. The Muslim thus is ever striving and never abandons this duty. When he does not strive against his enemy he fights against his caprices to discipline himself.

Upon the tremors of the First World War the conscience of the Muslims woke. They began to realize the causes of their subjugation and their being occupied by their enemies. They became aware of the fact that their evils emanated from their reliance on truth only without paying any attention to force, and on words without taking interest in deeds. These evils

led the Muslims to weakness which is inconsistent with the Arab nature as well as with the essence of the muslim character.

when the Muslims woke, a popular call prevailed among them extending beyond the artificial boundaries and inspired by faith, intuition and language, and urging them to strive in public as well as in secret to attain their independence, their unity, their mutual affliction and Power. The hardships in the way of these noble yet difficult aims cannot be overcome except through valourous striving which is enjoined by the law of God and is demanded by the very nature of the Arabs. This valourous striving means giving money and sacrificing oneself in the way of God or for honouring man or for the achievement of the freedom of the motherland. Striving is a common duty incumbent upon every able Muslim when his co-religionists face a common danger the resistance of which requires the joint efforts of all Muslims such as the danger of imperialism and Zionism. The carrying out of this duty is not limited to a certain time or place or race. It is like the five Pillars of Islam with a minute difference from them. The Muslim may fail to observe these five pillars and abstain from prayers and fasting, and may neglect the aims-giving and pilgrimage, although he may be exhorted by preachers and

AL - JIHAD AN ARAB VIRTUE and a Religious Injunction

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

You ask me : When, if not to - day, should the Muslim strive in the way of God ? There are many good reasons for him to carry out this duty. His religion is confronted by intrusive and disbelieving Communism. His motherland is surrounded with intrigues engineered by imperialism. His brethren of Palestine were driven out from their homes and properties by the Christian powers and replaced with the descendants of Judas, the makers of The Cross, and his fellow men in Algeria are dying by horrible means on the tops of mounts and in the bottoms of valleys while fighting, with their limited number and simple equipments, against three - quarters of a million of savage soldiers whose French character branded them with cruelty and stubbornness, and who are being armed with the most destructive weapons supplied by the North Atlantic Treaty Organization and used to annihilate the Algerian towns with their inhabitants of orphans, widows and the helpless. His peoples in the Arab and Muslim countries are still struggling against

the imperialist ambitions and tyranny, striving to secure their dignity and rights and appealing to world conscience for support without receiving any significant response.

There is Russia, on the one hand, trying to penetrate into the Eastern countries to abrogate their religions and philosophies in order to replace them with its own doctrines. There is America, on the other hand, trying to hamper the Russian efforts and monopolize the natural resources of these countries. There is also Britain trying - by means of killing, treachery, despotism and persecution - to vacate the southern region of the Arabian Peninsula from its people and populate it with fraudulent slaves who may guarantee the survival of the British occupation and rule over that region. Besides these three world Powers, there is France using its numerous troops and strong force in a bid to make the Algerian people French and compel them to live under the French flag, to 'speak the

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العتوان
إدارة أبحاث مجمع الأزهر
بالقاهرة
ت ١ ٤٦٢١٤

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بدر الأبيضاك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والدكتورين والمطابع بتبشير على

بقيادة من شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء السادس - جادى الآخرة سنة ١٣٧٩ هـ - ديسمبر سنة ١٩٥٩ م - المجلد الحادى والثلاثون

الفهم - رس

صفحة	مقدمة
١٤	قرآن التحرير . ! للأستاذ أحمد حسن الزيات
١٧	التفاسات . للأستاذ عباس محمود الطهاد
٢٢	المبصرون والمستمعون - ٢ - لأستاذ الدكتور محمد البهي
٢٧	رحمة البعث الجديد في كلية الشريعة لنصبة الأستاذ محمد محمد للدين
٢٧	موقف الإسلام من الوحدة والنفق لنصبة الأستاذ عبد الحليم السبكى
٤٤	مثل إسلامية عربية ! لأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
٤٩	قصص الأنبياء بين القرآن الكريم وأسماء المهديين الحديدي والقدم
	لأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي
٥٤	النحو الجديد - ٢ - لأستاذ علي الهامى
٦١	الأزهر صدأ أربعين سنة - ٢ - لأستاذ محمد علي غريب
٦٢	رسالة ١٠ لأستاذ علي الططاوى
٧١	تدقيق للنص للككتور محمد حسان
٧٩	وضع الرأى في بناء الاقتصاد القومى لأستاذ عيسى عبده إبراهيم
٩٩	تطور النحو العربى - ٢ - للككتور جماعة درويش
٩٥	كتاب على كاتب حرف معنى : إذا بليت فاستروا لأستاذ الدكتور سليمان ديا
١٠٠	القصص في تاريخ السليبي للأستاذ أحمد الشرباصى
١٠٥	اقتحام الدول في تقدير الإسلام للقيح عباس طه
١١٠	تقويمات : بحث في عمل ظلي لنصبة الأستاذ محمد علي التجار
١١٣	ما يزال عن الإسلام : رماد ولا نار ! لأستاذ عباس محمود الطهاد
١١٩	مخارات من الشعر القديم والحديث : ميهبط الوحي لأستاذ محمد علي الحوامى
١٢١	عن المسرح الدينى : أسماء بنت الصديق لأستاذ محمد ابراهيم نهما
١٢٥	آراء وأحداث : وفد أصالستان في الأزهر - صحة فيليبس يصفى إلى الأستاذ الأكبر - وربر الأشغال في حكومة الملايو يزور الأزهر
١٢٨	الكتاب : الإسلام عقيدة وشريعة : للأستاذ محمد عبد الله السيان - حول كتاب للفهم لابن الصديق : للأستاذ أحمد خيرى
١٢٩	النشاط الثقافي للأزهر : في قاعة المحاضرات الأهرمية الكبرى : واجب الطاء : للأستاذ الدكتور محمد طهسى - وضع الرأى في بناء الاقتصاد القومى : للأستاذ عيسى عبده إبراهيم - طفقة النفس العربية : للككتور حنان أمين ندوة اتحاد خريجي الأزهر : كانت الاساندة : الدكتور أحمد زكى - محمد سعيد المرمان - اللكتورة بنت العاطل - للككتور محمد البهي
١٤١	بريد المجلة : أصول الفقه الشيعى ومصادره ، هجوم على الدين في غير حوادث ، نصوب خطأ طبعى في القسم الانجيزى ، ابن سعيد البيوطى أندلس لامصرى ، من الدكتور علي عبد الواحد إلى نصبة الأستاذ السبكى ، باحسرت على العراق ، قتل النفس ، صرف الزكاة للأولاد ، هل يصح أن يدعى عن الهدى القراء بدل ذبحه ؟ ، الطلاق الثلاث ، مكتبة الأزهر ونقد التمام الإسلامية القسم الانجيزى

قرآن الفجيز

بقلم : أحمد حسن الزيات

من وراء الجدر والستور إلى أنماط شتى
من الناس تعاوتوا في المخطوط ونبأوا في
الأحوال ؛ فمن غلى ينام ملء جفنيه نوم
الطفل لا يعود طيف ولا يزجه حلم ومن
فجى يسامره ألم وبساوره القلق لم تكمل
هيناء بفض ؛ ومن مريض يتلجلج على
فراشه النابي فلا يسكن إلا لينقلب ،
ولا يسكت إلا لين . ومن حبيب يظفر إلى
حبيبه خطوة النوال بعد الرغبة ، أو الوصال
بعد الفطية ، وثالهما شيطان يجرى أو ملك
يحرى . ومن زوج يسكن إلى زوجته سكون
المودة والرحمة . وتحت جناحيهما فراخهما
الرجب بنعمون بالنوم السعيد في المش الهادى .
الذافى . ومن جرم يطوى أحناء صدره على
السوء ، فهو بيت بليل ما سيقترف غداً
من العدوان والإثم ، ولا يجد من ضميره العاقب
حساباً على ما اقترف بالأس من المنكر
والبغى . ومن مؤمن قضى موته من الليل
يتجهد بالصلاة ويتعب بالذكر ثم غفا قليلاً
لهب على نسيم السحر ودعاء المؤذن إلى بيت
الله القريب ، كل هؤلاء ضمنهم هذه البيوت

سهرت بجانب المذيع ليلة استمع إلى أم
كثوم في حفلها الإذاعية الشهرية ، وكان
صوتها ينبعث من الجهاز رخياً عذبا فيملأ
جوانب نفسى وحس كأنما كنت أسمع
بجسمى كله . فإذا انقطعت (الوصلة) أخذ
المذيع يثرثر بالفارغ وبعض الملاك فينتلنى
من شوة النغم المرفه إلى صحوة السأم الممض ،
إلى أن أقبلت هودى الليل واستأنفت
المطربة العظيمة الغناء في وصلتها الأخيرة ،
وكان الشارع قد سكن ، والبيت قد نام ،
والمذيع قد فتر ، فأحسست أن الصوت
الساحر ينسكب في مسمى تقياً كرين الفضة ،
تدباً كترجيع الببل ، تقياً كترجيع الملائكة ،
فاعتزنتى حال من الصوفية الشاعرة ، فيها
الحب والشوق ، وفيها الغناء والعبادة . حتى
إذا انتهى الغناء الأمر ، وانقض السامر
النشوان ، أويت إلى مضجى أتمس النوم
فامتنع على . ووجدت في نزوعا إلى اجتلاء
الطبيعة في مجتلاها الرحب ، فصعدت إلى سطح
البيت المنعزل وأرسلت عيني تجولان حول
البيوت المظلمة النائمة ، ومن وراءها خيال ينفذ

أو الأمريكى أن يحوس بالإنسان خلال هذه الكواكب فيرود المجهول ويعلم الغيب ويحتل السماء ، وتصبح العوالم الأخرى مدبرة بمشيتة مسخرة لأمره .

• • •

كنت مشغولاً بفكرى وحياى فى الكونين الأدنى والأعلى حين وقع فى مسمى تسميع المؤذن على منارة (قايقاى) فعدت من التمكن فى الملكوت إلى التفكير فى الملك ، وانتقلت من التوجه إلى المخلوق إلى التوجه إلى الخالق . وانبعث آتت من جانب البيت الملاصق صوت عاشر يقرأ سورة الإسراء بنجويد بين وترنيل حسن ، وكان القارى المنهج قد بلغ فى قراءته قول الله تعالى : أقم الصلاة لعلك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن الليل فجهد به ناقة لك عسى أن يمشك ربك مقاما محموداً ، فأصغيت بسمى وقلبي إلى كلمات الله وهى تصعد إليه من فم هذا الرجل فى جلوة السحر وخلة المكان وقد سما الليل ، ورق الظلام ، وعمق النوم . واخضط سنا (الزهرة) بقباشير الفجر فايض الأفق الشرق ايضاض اللؤلؤ ، وتحابوب أذان المؤذن وترنيل المثل تجابوب الوحي والدعوة ، فذكرت بالقرآن الله الذى أوحى ، وبالأذان الرسول الذى بلغ . واتخذ الصوتان

المتجاورة المتغايرة كما تضمن السرائر فوازع القلوب ونوازى الأنفس فلا يعلمها إلا الله الذى لا يهرب عن حله مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

ثم نظرت نظرة فى النجوم وهى تسبح فى أفلاكها بين متألق وغاب ، ودان وقاص ، وصاعد ومنحدر ، فتواردت على خاطرى مختلف الآراء التى استقرت فى أذهان الناس عنها فى القديم والحديث ، فقد اختلفوا فى النظر إليها كما اختلفوا فى النظر إلى حقائق المعاني الثابتة كالخلق والعدل ، كل يفهمها على حسب ما يستفيد منها أو يعلم عنها أو يتأثر بها . . . فالؤمن يراها مصابح الدجى ومعالم الهدى ورجوما للشياطين . والشاعر يراها لآلى قد رصعت رقيق السماء ، أو أزهى يضا قد طفت على وجه الماء . والبديوى يراها صوراً من الأحياء على هيئة الإنسان والحيوان والطير ، تحب وتبغض ، وتسالم وتحارب ، فهو يضع لها الأسماء ، ويرج حولها الأحاديث ، ويؤلف عنها الأساطير ، ويقول فيها الشعر . والمنجم يراها مطالع السعد والنحس ، ومفاتيح السر والغيب . والعالم يراها أجراماً هائلة تجرى فى الفضاء بتقدير العزيز العليم ، فيها الجبال والأغوار والأخاديد ، وليس فيها الجمال ولا الحياة ولا التأثير ولا الأمل . فهل آن للعلم الروسى

في نفس بصوت إيماني القوي بالموحى .
والمبلغ ، ففتى وجودى المادى في وجودى
الروحى ، فلم أعد أشعر بالملك ولا بالزمن
ولا بالعالم . واتمنى من مسمى ما كانت
يشغلها من الأمعاء الملحة لشدو أم كلثوم
ولحن السباطلى ونظم رامى وبتيا فارغين
خالصين لسبحان السحر وقرآن الفجريته بلاهما
بقوة ولغة واستيعاب قيسريان في كياني
ووجداني مسرى البرء في السقم ، أو الروح
في البدن . أو الإيمان في القلب ، لا لحسن
الصوت ولا لجمال الإيقاع ، ولكن لشعور
سماوى لا تدركه حاسة ، ولا تصفه لغة ،
ولا يعرفه إلا من وقف هذه الوقفة مستحضرا
في ذهنه جلال الله ، مستشعرا في نفسه جمال
الطبيعة ...

وقب القارىء عند قول الله تعالى اسمه :
« وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ، وما أرسلناك
إلا مبشرا ونذيرا . وقرأنا فرقناه لنقرأ
على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . حين قال
المؤذن : حى على الصلاة : حى على الفلاح :
الصلاة خير من النوم . الله أكبر ، الله أكبر
لا إله إلا الله ثم غابت غرفة القارىء ومنازة
المؤذن في السكون الشامل ؛ وأخذ الفجر ينسج
من خيوطه البيض غلالة شفة على وجه المشرق ،
وأخذ الصبح الجليل يتنفس ويبدأ بين فرهى
النيل الكبير والصغير من منيل الروضة ؛
وبدأت القاهرة الزاخرة تتأهب وتمطى
استعدادا لليقظة ؛ فسمعت من قريب سبارة
نقل تتحرك ، ومن بعيد قطار حلوان يصفر ،
فهيئت من السطح لأقيم صلاتى وأدرك قليلا
من النوم ، قبل أن أبدأ حمل اليوم !

أحمد حسن الزيات

الثقافتان

للأستاذ عباس محمود العقاد

ولم تسمع في هذا العام محاضرة كان لها من الصدى ما كان لهذه المحاضرة منذ إلقائها إلى اليوم ، أو محاضرة تلاحق التحقيب عليها كما يتلاحق من تعقيبات الصحافة والإذاعة والأندية الفكرية في موضوعها ، وهو موضوع الثقافتين .

قال الأديب جون شارب في إذاعته : إنها أخطر بحث عن التعليم تناوله الباحثون منذ صدر تقرير هاداو Hadaw قبل ثلاثين سنة . وقال ناقد الملحق الأدبي لصحيفة التيمس : إن الفراغ بين القوتين ليس من الأمور المزهود فيها ، فلولا الفراغ لما أمكن سريانه الشرارة الكهربائية ، ولولاه لما تحركت السيارة التي نركبها ، فإذا وجد فراغ بين نوعين من التعليم فليس من الحتم أن يتول ذلك إلى ضرر أو خسارة ، وإنما الواجب أن يأتي الفراغ في الموضع الملائم وبالقدر المطلوب . ثم عاد الناقد المطلع إلى مسألة الفراغ بين الثقافتين العلمية والفنية في العصر الحاضر فقال : إنها في الحق من المشكلات الجسام يخففها إلى حين أن الإنسان المهذب في زماننا - سواء كان من الملمين أو الفنيين - لا يكتفي

من مباحث اليوم في دوائر الثقافة الانجليزية مسألة الثقافة الإنسانية في العصر الحاضر ، وأصح من ذلك أنها مسألة الثقافتين التي يخشى منها على الثقافة الإنسانية ، ويريدون بهما ثقافة العلوم والصناعات من جانب وثقافة الآداب والفنون من جانب آخر . وكلتاها ناقصة إذا لم تنفرد بالفكر الإنساني كل الانفراد ، ولكنها ناقصة النفع بل وشيكة أن تضر - إذا حُجبت عن الفكر ما حداها من متعاطف التهذيب والتفويم ... آثار هذه المسألة في الأيام الأخيرة العالم الأديب (سير شارل سنو) في محاضرة من محاضراته المسبوعة القيمة ، ولخص فيها مشكلة الإنسان المتعلم في القرن العشرين ، فإن اتساع ميادين المعرفة مع شيوع التخصص في حدوده الضيقة قد شطر الإنسان كما يقول شطرين ، وجهه نصف إنسان لا يكتفي به في حسن الفهم وحسن التقدير وحسن التصرف ، وقد عزله عن المطرة التي تعتمد على العرف السليم ولم يعوضه عنها ما يغنيه ويهديه ، لأنه أعطاه النظر من ناحية واحدة ، وهو أخطر الأخطار .

والذي نراه من جملة ما طالعناه من مباحث هذه المسئلة أن العلة فيها عند الغربيين واجبة إلى سبب أصيل لم يبتدى في هذا القرن العشرين ولم تأت به الدراسة العلمية أو الحركة الصناعية في هذه السنوات منذ أربعين أو خمسين سنة . إن العلة فيما نرى واجبة إلى قسمة الثقافة عند القوم إلى ثقافة إلهية وثقافة إنسانية ، وراجعة قبل ذلك إلى قسمة الإنسان بين هذا العالم وبين العالم السامى ، وإلى المقابلة بينهما كما تقابل ملكة السماء وملكة العالم الدنيوى ، أى ملكة الشيطان .

فن قبل هذا العصر - عصر العلم والصناعة - كان الأوربيون يقسمون الثقافة إلى قسم العلوم اللاهوتية وقسم العلوم التى سموها بالإنسانية تمييزاً لها من علوم اللاهوت وما يلحق بها من دراسة تعين عليها ، وقد سرى هذا التقسيم منهم إلى الشرق مع سريان الحضارة إلينا من بلادهم ، قسمنا بيتنا من يتحدث عن العلوم الدينية والعلوم الدنيوية ، بعد أن كان العلم عندنا واحداً يطلبه المتعلم لدينه ولدنياه .

فالدین الإسلامى يأمر المسلم بالنظر فى السماوات والأرض ليعلم كل ما يؤدى إليه النظر فيهما وفيما بينهما ، ويأمره بأن ينظر فى سريرة الإنسان وفى أحوال الأمم فلا يفوته العلم بالإنسان العرد ولا بالجماعات البشرية . وأثر هذا الإحساس ، بالوحدة الذهنية ، أن تم ثقافة المتعلم ويسلم العقل من دام

بنصيه من العلم أو الفن ولا يستغنى عن شغل من شواغل الرياضة البدنية أو من شواغل الموسيقى كالعزف على آلة من آلاتها والاستماع إلى أديانها المحفوظة فى قوالها المسجلة ، أو الاستماع إلى طرائف الإذاعة فى مختلف الموضوعات .

إلا أنه يتغنى على الرغم من هذا المزاج الموقوت لو تعالج هذه المسئلة بما يجمع الفائدة من كلتا الثقافتين ويكفل اللقاء للشرطين الإنسانيين فى بنية واحدة ، لا تشتكى الزيف والانحراف فى نظرتها إلى دنياها .

وقال الفيلسوف الرياضى الكبير برتراند رسل من كلمة نشرتها مجلة المساجلة Encounter إن القطيعة بين الثقافتين لم تبلغ فى الأزمنة الماضية ما بلغت الآن ، إذ كانت الفنطرة بين العدوتين قائمة على طول أو على قصر ، ولكنها فى الحقبة الأخيرة يوشك أن تنقسم فلا تلتق إحداها بالأخرى ولا تسلم الثقافة من كلمة الإحباط والمذلة ، كما يحدث دائماً عند الشعور بالنقص والرغبة فى مداواة الجهل والسذاجة .

ويرى بعض المعقبين أن العلة ناشئة من تراكم الفضول والحشو على مواد الثقافة حرياً مع التقليد والمادة ، فلو أعيد النظر فى برنامج التعليم لم يتعد إصلاح الخطأ وتصفيه الفضول وإبقاء البقية الصالحة من ثقافة العلم وثقافة الفن التى لا يصعب تحصيلها على المتعلم ، مع إعطاء التخصص حقه فى عصره .

الفصام الثقافي الذي يفصل بين روحه وبدنه وبين دينه ودنياه .

وأثره في تاريخ التفكير أن نرى تلك الثقافة الواحدة في العالم الفقيه الفيلسوف الأديب ، مع اشتغال بالطلب أو بالوزارة أو بسياسة الأمور العامة ، ولا نرى له نظيراً في الأزمنة الحديثة ، ولم نره من قبل نظيراً في الأزمنة النافرة ، لأن الثقافة فيها بطبيعتها كانت تنحصر بين حدودها التي لا تفرق ولا تدعو إلى التخصيص ، ثقلة محمولة في مختلف العلوم .

ولم تأثر قواعد هذه الثقافة الثابتة بانتقال المسلمين إلى البلاد الغربية ، بل هي أثرت هناك في تلاميذها من الغربيين فرفضت أمامهم أمثلة نادرة من الإنسان المثقف كما ينبغي أن يكون .

من هذه الأمثلة أبو بكر بن زهر الذي يقول فيه صاحب نفع الطيب : « هو عين ذلك البيت وإن كانوا كلهم أعياناً علماء ، رؤساء حكماً وزراء » .

ويقول فيه صاحب المغرب من أشعار أهل المغرب : « كان شيخنا الوزير أبو بكر ابن زهر بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطب عذب معين ، وكان يحفظ شعر ذي الزمة وهو تلك لغة العرب ، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمرقة الملياء عند أهل المغرب ، ومع سمو النسب وكثرة الأموال والنسب » .

وصاحب هذه المعارف والرئاسات هو الذي يقول من الشعر في شوقه إلى طعمه الصغير :

ولي واحد مثل فرخ القطا
صغير تخلف قلبي لديه
فأت عنه دارى قيا وحشا
لذلك الشخبص وذاك الوجيبه
نشوقني ونشوقه

فيكي على وأبكي عليه
وهو الذي يقول وقد نظر في مشيه إلى المرأة :
إن نظرت إلى المرأة إذ جليت
فأنكرت مقلتي كل ما رأنا

رأيت فيها شيئاً لست أعرفه
وكنيت أعهد فيها قبل ذاك قى
قلبت أين الذي بالأسس كان هنا
مق ترحل من هذا المكان مق ؟
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة

إن الذي أنكرته مقلتك أنى
كانت سليبي تنادى يا أسمى وقد
صارت سليبي تنادى اليوم يا أبنا
وهو الذي يقول في إحدى موشحاته :

سلم الأمر فقضا
فهو النفس أضع
واغتم حين أقبلا
وجسه بدد تهلا
لا تقل بالمعوم لا
كل ما فات وانتضى
ليس بالحزن يرجع

ومثل هذا الشعر يسلك بقاءه في عداد

لم تفت مراجعة الصحف ومناقشة الممارسين ومتابعة الأخبار مع السؤال والاستقصاء . وليس المطلوب بالبداهة إلغاء التخصص ولا الوقوف بالمعرفة الخاصة دون الغاية من الاستقصاء . فإن الإجابة في عمل الإنسان المثقف لا تنال بغير هذا الاستقصاء إلى غاية مداه المستطاع . ولكن إتقان التخصص هو الذي يوجب على صاحب العلم والفن أن ينطلق من قيوده ولا يغلط عليه أبواب علمه وقته فلا سبيل إلى إتقان شيء من الأشياء وراء الجدران المحكمة والأبواب المغفلة ، ولا يعرف الحسن من يراه في وجه واحد ، أو يعرف سكنى الدور من لم يخرج قط من داره ، أو يعرف عقله من لم يعرف عقولا أخرى لا مشابهة بينها وبينه .

فن أجل التخصص نعرف ما حوله ، وقوام الأمر من المعرفة الصحيحة في عصره التخصص ، أن نعرف كل ما يعرف من علم واحد ، وألا نجعل الصلة بينه وبين سائر العلوم ، فلا نلتقي بأصحابها لقاء القرباء من عالم آخر ، وما هو في الحقيقة غير العالم الذي نعيش فيه .

وزينة الثقافة ، بل ضرورتها القصوى ، ألا يكون المرء عالما في باب وأما في سائر الأبواب ، فإن هذه الأمية في نقصها وسوء منبتها أجدر بالحو من أمية الجاهل بالآلاف والباء .

عباس محمود العقاد

النخبة من شعراء عصره وشعراء كل عصر ، لو أنه تخصص للشعر ولم يزد عليه فضلا من أفضال العلم أو الحكمة أو الرثاسة ، ولكنه زاد عليه من كل فضل ما يسلكه بين خاصة أهله ، ولم يفرضه عليه واجب من واجبات المنصب ولا حاجة من حاجات النفس إلى المال والمتعة ، بل ترك من المتعة بمقدار ما استفاد من حكمة وأدب : متعة لا يينزل فيها هذا الثمن من يجهل كيف يكون منافع الأرواح والألباب . ولقد كان هذا التوسع في المعرفة من نصيب البيوت والأسر ولم يكن من نصيب نابغة فيها يمدونه قلعة من القلعات النادرة بين أبنائها ، فليس بالنادر بينهم أن يتعاقب على النبوغ ثلاثة أجيال ، يميزون بينهم باسم الأب والابن والحفيد ؛ لأنهم كلهم في شهرة العلم والنبوغ سواء .

• • •

إن الثقافة التامة ، على هذه السنة مستطاعة في كل زمن ، مستطاعة في زماننا هذا على الوجه الأمثل مع وفرة علومه وتعدد ألوان الثقافة فيه ؛ لأنه كما تعددت فيه ألوان الثقافة تعددت فيه وسائل نشرها وتقريبها والوصول إليها في مصادرها ، فن لم يتسع رقبته للاطلاع على المطولات لم يضق به الوقت من الإلمام بالوسيط أو الوجيز في ضروريات المعرفة ، ومن فاته الاطلاع لم يفته التهود والاستيعاب ، ومن فاته كل ذلك

المبشرون والمستشرقون

في موقفهم من الإسلام

للأستاذ الدكتور محمد الديني

- ٢ -

(٢) أسباب الاستفراق :

والسبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الاستفراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى. فقد تركت الحرب الصليبية في قلوب الأوروبيين ما تركت من آثار مرة عميقة . وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فتشعر المسيحيون : بروتانت وكاثوليك ، بحاجة ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية ، ولحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تخضع عنها حركة الإصلاح . ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية . وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية ؛ لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى ، وخاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوي . وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانا وثقافات غير الإسلام وغير العربية (١) .

الفصل الثاني

الاستفراق والمستشرقون :

(١) نشأة الاستفراق :

يرجع تاريخ الاستفراق في بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادي . وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك ، غير أن المصادر التي بين أيدينا لا تلتقي الضوء الكافي على الموضوع وإن أشارت إلى بعض المستشرقين كأفراد ، ويؤكد المؤرخون يجمعون على أن الاستفراق انتشر في أوروبا بصفة جماعية بعد فترة « عهد الإصلاح الديني » - كما يشهد بذلك التاريخ في هولانده والدانمارك وغيرها (١) .

(١) راجع الصفحات ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ من المجلد الثالث الصادر في عام ١٩٢٣ من « مجلة المجمع العلمي العربي » ، والصفحات ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ من المجلد الرابع الصادر في عام ١٩٢٤ من المجلد نفسه .

(١) راجع المصدر السابق ، وكتاب المستشرقون لنجيب الدين ، ومجلة الإسلام بالإنجليزية al-Islam - من ١١٢ من عدد ١٥ فبراير سنة ١٩٥٥ .

الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية . أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرة لفتحهم الدينية أمام إخوانهم في الدين ، ونعطية لعجزهم الفكري ، وأخيرا بحثا عن لقمة العيش إذ أن التنافس في هذا المجال أقل منه في غيره من أبواب الرزق^(١).

ومناك ملاحظة لبعض الباحثين تتعلق بالمستشرقين اليهود خاصة . فالظاهر أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية - وهي محاولة إصناف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية على الإسلام بادعاء أن اليهودية ، في نظرهم ، هي مصدر الإسلام الأول ، ولأسباب سياسية تصل بخدمة الصهيونية : فكرة أولا ، ثم دولة ثانيا ، هذه وجهة نظر ربما لا تجسد مرجعا مكتوبا يؤيدها ، غير أن الظروف العامة ، والظواهر المترادفة في كتابات هؤلاء المستشرقين تعود وجهة النظر هذه ، وتخلع عليها بعض خصائص الاستنتاج العلمي .

وقد تركزت أهداف الاستشراق ، مع تنوعها ، أخيرا في خلق التخاذل الروحي

ومن جهة أخرى ذهب المسيحيون في التبشير بديهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليقنقوا لم تجهيز الدعوة وإدخالهم للعالم الإسلامي . والتفت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستثمار فكان لهم ، واعتمد عليهم في بسط نفوذهم في الشرق . وأقنع المبشرون زعماء الاستثمار بأن ، المسيحية ، ستكون قاعدة الاستثمار الغربي في الشرق . وبذلك سهل الاستثمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته ، وزودهم بالمال والسلطان ، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم انفصل بالاستثمار .

وبجانب هذا وذاك ، كان هناك أسباب أخرى فرعية لنشأة الاستشراق : أسباب تجارية ، وأسباب سياسية دبلوماسية ، وأسباب شخصية مزاجية عند بعض الناس الذين تنهأ لهم الفراغ والمال واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغبتهم الخاصة في السفر أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم ، ويبدو أن فريقا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية ، أو دخلوه هاربين عندما قصدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى ، أو دخلوه تخلصا من مسؤولياتهم

(١) . راجع الصفحات ١٩ وما بعدها ، ٢٨ وما بعدها ، ٤٠ وما بعدها من كتاب « المستشرقون » وراجع المجلدين الثالث والرابع من مجلة المجمع العلمي للقرن لماي ١٩٢٣ - ١٩٢٤ وراجع مجلة الإسلام بالإنجليزية Al - Islam في أعدادها الصادرة في فبراير وأبريل ومايو من عام ١٩٥٨ .

المصحف ، وسلكوا كل مسلك ظنوه محققاً لأهدافهم .

وهذه نماذج من صور نشاطهم المتعدد الجوانب .

(١) في عام ١٧٨٧ أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين ألحقوها بأخرى في عام ١٨٢٠ ، وإصدار « المجلة الآسيوية » .

(ب) وفي لندن تأسست جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣ ، وقبل الملك أن يكون ولي أمرها ، وأصدرت « مجلة الجمعية الآسيوية الملكية » .

(ج) وفي عام ١٨٤٢ أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم « الجمعية الشرقية الأمريكية » ، وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم ، وكذلك فصل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا .

(د) ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » ، وكانت تصدر في مدينة جامبير Gambier بولاية أهايو Ohio ولها فروع في لندن وباريس ولييزج ، وتودونتو في كندا ، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن ،

وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وحلهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع لتوجيهات الغربية .

ومن المبشرين نقر يشتغلون بالآداب العربية والعلوم الإسلامية ، أو يستخدمون غيرهم في سبيل ذلك ، ثم يرمون كلهم بما يكتبون إلى أن يوازنوا بين الآداب العربية والآداب الأجنبية ، أو بين العلوم الإسلامية والعلوم الغربية (التي يمدونها نصراية ؛ لأن أم الغرب تدين بالنصراية) لينخرجوا دائما بما تفضيل الآداب الغربية على الآداب العربية والإسلامية ، وبالتالي إلى إبراز نواحي النشاط الثقافي في الغرب وتفضيلها على أمثالها في تاريخ العرب والإسلام . وما غاب عنهم من ذلك إلا خلق تمخاذهل روى وشعور بالنقص في نفوس الشرقيين وحلهم من هذا الطريق على الرضا بالخضوع للدنية المادية الغربية^(١) .

٣ - من مظاهر نشاط المستشرقين :

حاول المستشرقون أن يحققوا أهدافهم بكل الوسائل : ألغوا الكتب ، وألقوا المحاضرات والدروس ، ودبشروا بالمسيحية بين المسلمين ، جمعوا الأموال وأنشأوا الجمعيات ، وعقدوا المؤتمرات ، وأصدروا

(١) التبشير والاستعمار ص ١٧ .

التي صدرت بها الدائرة ، وقد بدوا في الوقت الحاضر في إصدار طبعة جديدة تظهر في أجزاء ، ومصدر الخطوة في هذا العمل هو أن المستشرقين هبتوا كل قوام وأقلامهم لإصدار هذه الدائرة وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم ، على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين ،

(ط) واستطاع المستشرقون أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي في مصر ، والمجمع العلمي العربي في دمشق والمجمع العلمي في بغداد .

(ك) ويعتمد المستشرقون - فيما يعتمدون - على عقد المؤتمرات العامة من وقت لآخر لتنظيم نشاطهم ، وأول مؤتمر عقدوه كان في سنة ١٧٨٣ ، وما زالت مؤتمراتهم تتكرر حتى اليوم .

(ل) وفي العصر الحديث تقوم المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك والأمراء في الماضي من الإغداق على المستشرقين وحبس الأوقاف والمنح على من يعملون في حقل الاستشراق .

(م) واتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار إلى مجال التربية ، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس

وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية ، وخاصة في باب الكتب .

(هـ) ويصدر المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر ، مجلة شتون الشرق الأوسط ، وكذلك ، مجلة الشرق الأوسط ، وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك .

(و) وأخطر المجالات التي يصدرها المستشرقون الأمريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة " العالم الإسلامي " ،

The Muslim World أنشأها صمويل زويمر S. Zweimer في سنة ١٩١١ ، وتصدر الآن من هارتفورد Hartford بأمريكا ورئيس تحريرها كنيث كراج K. Cragg وطابع هذه المجلة تبشيري سافر .

(ز) وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة " العالم الإسلامي " في روحها واتجاهها المزداني التبشيري واسمها أيضاً :
Le Monde Musulman

(ح) ولعل أخطر ما قام به المستشرقون حتى الآن هو إصدار " دائرة المعارف الإسلامية " بعدة لغات ، وكذلك إصدار موجز لها بنفس اللغات الحية

وعن أهله ، وكذلك يجاهدون بكل الوسائل ليتقصوا من الدور الذي لعبه الإسلام في تاريخ الثقافة الإنسانية . إن المستشرقين جميعا فيهم قدر مشترك في هذا الجانب والتفاوت - إن وجد بينهم - إنما هو في الدرجة فقط ؛ فبعضهم أكثر تعصبا ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخر ولكن يصدق عليهم جميعا أنهم أعداؤه (١) .

وإذا كان الاستشراق قد قام على أكتاف الرهبان والمبشرين في أول الأمر ثم انفصل من بعد ذلك بالمستعمرين - فإنه ما زال حتى اليوم يعتمد على هؤلاء وأولئك ولو أن أكثرهم يكرهون أن تتكشف حقيقتهم ويؤثرون أن يختفوا وراء مختلف العناوين والأسماء .

الدكتور محمد البرهسي

المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر

المسلمين حتى يشبوا « مستغربين » في حياتهم وتفكيرهم ، وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية (انظر ص ١١٤ من مجلة « الإسلام » ، Al Islam الصادرة في ١٦ مارس سنة ١٩٥٨) . (س) وليس نشاط المستشرقين موجها فقط إلى المسلمين ، إنهم يفتحون عيونهم لكل الاتجاهات وهم يظلون لكل حركة قد تعوق سيرهم أو تفسد خططهم ، فإن حاول أحدهم أن يبدع ما يدا أو يتخفف من أقال التعصب نجد بقية المستشرقين يهجون في وجهه يطالبونه بأن يكون « موضوعيا » وأن يستخدم الطريقة العلمية ويلجأ إلى النقد ذي المستوى العالي وهكذا . ومثال ذلك ما كتبه ألفرد جيوم Alfred Guillaume تطبيقا على كتاب « محمد في مكة » من تأليف مونجمري وات M. Watt ما جيم جيوم وات ؛ لأن وات خرج عن الخط التقليدي للمستشرقين في بعض الاتجاهات (انظر ص ١٣٨ من مجلة « الإسلام » ، Al-Islam الصادر في ١٥ أبريل سنة ١٩٥٨) .

(ج) ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامي ، وتشويه لمبادئ الإسلام وثقافته ، وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه

(١) انظر المجلات والكتب التي ورد ذكرها في هذه النقطه ، وخاصة العالم الإسلامي « بالانجليزية » The Muslim World ، « والإسلام » التي تصدر بالانجليزية في كراتشي - باكستان في أعداد فبراير ومارس وأبريل ومايو لسنة ١٩٥٨ و « موجز دائرة المعارف الإسلامية » .

رجة البعث الجديد في كلية الشريعة

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المنفى

— ١ —

أن يفكروا دائماً فيما يجمعه متطوراً متجاوباً مع الأمن في حدود رسالته التي يحمل لواءها ، فإن التطور والتجاوب هما أبرز علامات الحياة ، كما أن الجمود والركود ؛ هما أظهر علامات الموت ، وأول مقدمات الانحلال الذي يعقبه الفناء .

— ٢ —

وكلية الشريعة هي أم وكن من الأركان الأساسية العملية ، التي يقوم عليها صرح الجامعة الأزهرية . وفيها معنى الانفراد برسالة معينة لا يشاركها في القيام عليها كلية أخرى في أية جامعة من جامعات العالم .

لأنها الكلية التي تحتضن الشريعة الإسلامية أصولها وفروعها ، والتي تدرسها دراسة عميقة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله والأصول العلمية والعقلية المستندة إلى هذين المصدرين الساميين ، وهي في سبيل ذلك تدرس الفقه في مدارسه المختلفة ، التي اصطلاح الناس هي تسميتها بالمذاهب ، وتدرس

إن الأزهر هو الجامعة الإسلامية الكبرى الفريدة بتاريخها وأهدافها ورسالتها في العالم . فهي التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي في عقائده ومبادئه العليا ، وفي شريعته الفراء أصولها وفروعها ، وفي لغته وتاريخه وآدابه وسائر ثمراته الفكرية التي انتجتها القرون المتوالية ، والعقول المثابرة المتصافرة في ظلال كثير من المذنبات والحضارات والشعوب . وهو بذلك جامعة غير متكررة ، ومن حقه على الأمة ، أن يبقى أبداً ؛ لأنه يحمل رسالة يجب أن تبقى أبداً ومن حقه أيضاً أن يكون بقاءه بقاء مشمراً نافعاً ، لا أن يكون مجرد بقاء رسمي ظلي .

وليس الخطاب بهذا الحق ولاية الأمر من الحاكمين وأصحاب التصريف فقط ، ولكن أهله أيضاً مخاطبون بذلك ، بل لعل الخطاب إليهم أكثر توجهاً ، وأشد إيجاباً .

وأم ما يجب عليهم في سبيل الاحتفاظ بمعهدهم الأكبر ، وكفاءة الحياة المثمرة النافعة له

وجعل بعضا لكان الزكن الأكبر في الفقه
منهنا عدة ؛ لأن احتمالا قويا يبقى قائما
أمامه كأنه يتأديه ويلج عليه ويقول له :
لعل الذي أعرضت عنه هو الحق والصواب ،
ولعلك إذا قارنته بما عرفتة تحول نظرك ،
وتغير حكمك .

ثم إن الفقه في واقع أمره إنما هو قانون
تنظيم الحياة للفرد في نفسه ومع غيره فردا
أو مجتمعا ، وما سنت القوانين الوضعية
إلا لذلك ، فكيف يمشي الفقيه الإسلامي
في دائرة فقه وحده وهو يرى أوضاع
الناس وقوانين حياتهم مصطبغة اصطباغا
تامنا بغير هذا الفقه ؟ أيا ظل مرضنا من هذا
الواقع العملي جاعلا ، أو منفضيا عن مبادئه ،
وأصوله ، وقواعده ، وإذن يعتزل الناس
كما اعتزلوه ، ويسخر منهم كما سخروا منه ؟
أم يقف موقفا عمليا ، فيعرف ، ويدرس ،
ويحيط بما حوله ، ويوازن بينه وبين
ما عنده ، وإذن يكون متسلحا بالعلم والمعرفة ،
قادرا على أن يقنع الناس بأسلوبهم ، وأن
يخطو بالفقه الإسلامي خطوات تقربه من
الناس ونحبيه إليهم ؟ .

إن المدارس الفقهية المعروفة بالمذاهب
الإسلامية ، إنما قامت على أساس دواصة
أحوال الناس وأعراضهم وظروف مجتمعاتهم ،
ثم استنبطت لذلك كله من الأحكام العملية

أصول الفقه التي هي قوانين الفهم والاستنباط
لهي أصحاب تلك المدارس ، وتدرس وفقه
القرآن والسنة ، الذي اصطلح الناس على
تسميته بتفسير آيات الأحكام ، وأحاديث
الأحكام وتدرس كل ما يعين على تسديد
الخطوات المهيبة في ذلك كله من ، منطق ،
ورواية ، ومصطلح ، وتاريخ للذاهب أو
للرجال .

وكان ينقصها أمران أساسيان ، فلم ير المهد
الجديد ، عهد الإصلاح في الأزهر ، بدا من
استكمالها . وهذان الأمران هما :

١ — استيفاء أركان المقارنة في الفقه
المقارن بين المذاهب الإسلامية .

٢ — والتزود من الدراسات القانونية
بما يفتح الناظر في الشريعة آفاقا جديدة
تعيه على ما هو بصده ، وتجمله ملأ بما
حول التفكير الفقهي الذي يزاوله من تيارات
ملائمة أو معارضة .

إن الباحث في الشريعة الإسلامية لا يسه
أن يغض النظر عن هذين الجانبين ، ولو أنه
غض النظر عنهما لكان نظره ناقصا
ومتحيزا ؛ لأن الفقه ليس هو مجرد تحصيل
الفروع ومعرفة الأحكام المستفاد من المذاهب ،
ولأنما هو مجموع النظر والمقارنة والترجيح ،
فلو عرف الناظر بعض الانجازات الفقهية

كيف تدخلون فقه الشيعة في الأزهر ، مع أن هذا المذهب هو مذهب الذين يمتدنون أن جبريل إنما بعث بالرسالة إلى علي فأخطأه ونزل بها على محمد ، وأن عليا قد حل فيه جزء من الإله ؟ .

وهؤلاء يقول لهم :

إن كلمة : « الشيعة » تطلق على عشرات المذاهب التي تنسب إلى الإسلام حقا أو باطلا ، وبعض هذه المذاهب ضال منحرف عن الأصول الإسلامية ، وبعضها مهتم بمسئلتك بما يجب الإيمان به ، مثله في ذلك كمثل مذاهب السنة ، وإن خالفهم في بعض الفروع الفقهية أو النظريات والمسائل التي هي من قبيل المعارف الكلامية .

والفريق الأول من المستبين باسم الشيعة وهم الضالون المنحرفون ، لا يمدون من أهل الإسلام وإن ادعوه ؛ لأن العبرة في ثبوت الإسلام إنما هي بالإيمان بأصول العقائد الإسلامية ، وعدم إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وهؤلاء ليسوا كذلك ، وليسوا منا ولستنا منهم ، وقد انقضوا ولم يعد لهم أثر في العالم الإسلامي ، وهم كفار خارجون على ملة الإسلام ، ملعونون من أهل السنة ومن الشيعة .

أما الشيعة الذين تقرر إدخال فقههم في :
١ - الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، وقد

ما هو متمش مع الصالح العام الذي هو أساس شريعة الله ، فمن ظن أن الفقهاء قد انقطعوا في نظرم عن فقه الحياة ، أو عن المجتمع ، أو عن الظروف والملازمات التي توضع لها القوانين - من ظن ذلك فإنه لم يصب بكبد الحقيقة .

ولذلك لم يكن بد من أن تستكمل كلية الشريعة هاتين التاحتين .

- ٣ -

ولم يغيب عنا أن اتجاه عهد الإصلاح في الأزهر إلى استكمال هاتين التاحتين ؛ سوف لا يمرراً خفيفاً بفريق من الناس لم من ظروفهم الاجتماعية أو الفكرية ، ما يجعلهم يسارعون إلى المعارضة في كل ما لم يألفوه ، مع أنهم لو تدبروا الأمر منصفين لما وجدوا إلا الخير والصالح .

ولذلك لم نغيب حين سمعنا أن من الناس من لا يرحب بإدخال فقه الشيعة في كلية الشريعة ، وأن منهم من يقاوم إدخال الدراسات القانونية فيها .

يبد أننا نحب أن نكون صرحاء مع هؤلاء جميعاً ، فنذكر وجوه اعتراضاتهم ، وما يدور في أذهانهم ونفصح عنه أسقطهم ، ثم نبين رأينا فيه :

١ - فثلاً ترى بعض الناس يقول :

٢ - الشيعة الزيدية ، وهم يسكنون اليمن غالبا ، ومذهبهم منسوب إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين ، وهو أقرب مذاهب الشيعة إلى مذاهب السنة .

ولا ينازع أحد في شأنهم مع كونهم أيضا ملقبين بلقب « الشيعة » .

وإذن ، فلا يستقيم القول بأن الشيعة كلها تقول برسالة علي أو ألوهيته ، أو تغالي في شأنه ، فإن هذا القول على إطلاقه خطأ ، ويجب التفريق بين الشيعة المهتدين ، والشيعة الضالين أو المخرفين ، كما يجب الحذر عند سماع أى نقل عن الشيعة ، والتحري عن القائل منهم بذلك حتى لا يحمل قول ضال على فرقة ، هتدية لم تقله .

٢ - ونرى بعض الناس يقول : إذا درس الأزهر المذهب الشيعي ليرد عليه ، وبين ذيفه وأخطائه ، كان ذلك داعياً إلى الفتن وإيقاظ المداوات ، وإن درسه على أنه حق لا زيف فيه كان ذلك دعاية له وإلقاء للتعلين بين برائه ، وهذا ما تؤيده الفتوى بجواز التبذ به .

ونحن نقول لهؤلاء :

ينبغي أن يفهم هنا الفرق بين دراسة مذهبي الإمامية والزيدية على سبيل الاستقلال ، ودراستهما ضمن الفقه المقارن ، فليس الفنى قرره الأزهر هو دراسة هذين المذهبين

لقبوا « بالإمامية » ، لأنهم يقولون بأن إمامة علي ثابتة بالنص ، ولقبوا « بالاثنا عشرية » ، لأنهم يسوقون الإمامة إلى اثني عشر إماماً أولهم علي بن أبي طالب ، وآخرهم محمد ابن الحسن العسكري الملقب بالحجة .

وهم يسكنون إيران والعراق وسوريا ولبنان والباكستان والهند ، وغيرها من البلاد العربية والإسلامية ويؤمنون بأصول الإسلام كلها ، ولا يستطيع أحد من أهل القبلة أن يحكم بكفرهم ، وكل ما بينهم وبين السنة من اختلاف ، إنما هو فيما وراء الأصول التي يجب الإيمان بها لتحقيق مفهوم الإسلام ، وينب فقههم إلى أنهم من أهل البيت النبوي ، واشتهر باسم الفقه الجعفري نسبة إلى أحد هؤلاء الأئمة ، وهو جعفر الصادق بن محمد الملقب بالباقر .

وهؤلاء الشيعة الإمامية يلصقون أهل المذاهب المنسوبة إلى الشيعة من الغلاة في شأن علي ، ويبرءون منهم . ويحكون بكفرهم ونجاستهم . ولهم كتبهم في العقائد والفقه والأصول وأسرار الشريعة والأخلاق والتصوف ، وعلوم اللغة العربية وغيرها ، وقد نبغ منهم كثير من الفقهاء وأهل الحديث والرواية ، والأدباء والأصوليين والمتكلمين وغيرهم ، ولهم أثر واضح في العلوم الإسلامية في مختلف العصور .

وقبل أن تترك الحديث في هذه النقطة نحب أن نقول: إن ما قرره الأزهر من الاكتفاء بدراسة مذهبي الإمامية والزيدية ضمن مناهج الفقه المقارن ؛ لم يكن مرسوماً في نظره أنه يستنكر دراسة هذين المذهبين على سبيل الاستقلال ، كلا ، ولكن لأن الدراسة الجامعية الحقة هي الدراسة المقارنة ، وليس بما يهيم الأزهر أن يزيد مذهباً على مذهب الأربعة كي يدرس مثلها على سبيل الاستقلال ، بل لعله يرى إلى مستقبل تكون فيه جميع الدراسات الفقهية في كلية الشريعة وأقسام التخصص دراسات مقارنة .

ولعل قائل يقول : ولماذا تحفلون بما تسمونه « الفقه المقارن » ، إلى هذا الحد ، وتعدون دراسته هي الدراسة الجامعية الحقة ، وترتكبون في سبيله ما لم يرتكبه أحد من قبلكم ؟ فنقول له :

إن « الفقه المقارن » هو الفقه على الحقيقة ، وهو صناعة الفقيه على الحقيقة ، أما الحفاظ للفروع الذي لا يعرف إلا سرد الأحكام ؛ فما ذاك بالعقبة .

وهذا الذي نقرره هو ما تقرره كتبكم المعتمدة التي تدرسونها ، وتتقطعون لخدمتها ، ألا ترون أنهم يقولون : « الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية » ويقولون : « من لم توجد عنده ملكة العلم

استقلالاً على معنى أن تكون المذاهب التي تدرس في كلية الشريعة ستة ، هي الأربعة السنية المعروفة ، والاثنتان الشيعيان : الإمامية والزيدية ، لا ، ولكن الذي تقرره من أول يوم ، والذي كان موضع البحث من أول يوم هو إدخال هذين المذهبين في مناهج « الفقه المقارن » ، ودراسة الفقه المقارن تقوم على أساس ضروري ، هو أن يدخل الباحثون فيها غير متأثرين بحكم سابق ضد هذا المذهب أو ذاك ، ولكل يجب أن يخلع الباحث العلى ثوبه المذهبي قبل أن يدخل قاعة الدرس ، وإلا كان الزعم بأن ما يفعله مقارنة بين المذاهب دعماً غير صحيح ، بل كان أشبه بالظهور بالمظاهر التثيلية .

ولذلك لا نفهم السر في التشقيق الذي أتى به المعارض في قوله : « هل يدرس لبيان زيفه أو على أنه حق » ، ونقول له : كيف فأنك أن الدرس يجب أن يكون على أساس من الإنصاف والمصلحة وخلق الفهم من حكم سابق ، وإلا لم يكن درساً ، ولم يكن منهجاً علمياً محترماً . إن البحث والدليل والبرهان هي الأساس في الحكم ، وليس هناك من يزعم أن مذهباً ما من المذاهب الإسلامية حق كله ، وأن مذهباً آخر باطل كله ، ولكن كل مجتهد متعرض لأن يخطئ ويصيب ، ويؤخذ منه ويرد عليه .

هذا الدليل سليماً ، ولو أن قتيها باحثاً ارتضى لنفسه أن ينقض النظر عن قول غيره ودليل غيره ؛ لكان من الذين قال الله فيهم : « ألا إنهم يستغشون ثيابهم ليستغفوا منه » . ولا شك أن منهجه حينئذ لا يكون إلا منهجاً فاسداً غير معتمد به من العلماء .

وأما استقامة هذا المنهج من الناحية الإسلامية ؛ فلأن المسلمين أمة واحدة لا ينبغي التفريق بينهم ، بل ينبغي أن ينظر كل فريق منهم إلى الفريق الآخر على أنهم جميعاً إخوة متعاونون على معرفة الحق ، والعمل به ، ولا يستقيم ذلك إلا إذا كان أهل القبلية جميعاً ، وأهل الدين الواحد ، والأصول المشتركة ؛ أحراراً في الإدلاء بأرائهم مادامت في الدائرة الإسلامية ، وقد قلنا من قبل : إنه لا فرق بين السنة والإمامية والزيدية في أصل جوهرى من أصول الإيمان .

٣ - ونرى بعض الناس يقول : يا ليتكم وقفتُم عند تدريس العقيدة المقارن بين المذاهب ومن بينها الشيعة ، ولكن فضيلة الأستاذ الأكبر صرح في حديث له بأن مذهب الإمامية يجوز التبع به ، مع أن هؤلاء الإمامية يعتقدون أن القرآن قد دسّه النقصان ، ويروون عن فاطمة أن الذى بقى منه نصف الذى نزل ، أو ما فى معنى ذلك . فكيف يجوزون تقليد غير الأربعة وكيف

بالأحكام على هذا الوجه فلا يعد قتيها ولو حفظ جميع أحكام الفروع ، ومن وجدت عنده الملكة ولو فى بعض المسائل فهو الفقيه . وقد سئل مالك عن أربعين مسألة فأجاب عن أربع منها ، وقال فى ست وثلاثين : لا أدري ولم يمنعه ذلك من أن يكون قتيها ؛ لأن ملكة العقيدة وجدت عنده .

ثم إن هذه الدراسة قائمة جارية على أيدي العلماء فى كل عصر ، وكتب المذاهب عامرة بها ، وكتب الحديث والتفسير والأصول الأمهات ، لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحاتها ، وكل رجوع المالكى قولاً للشافعى ، ورجوع الحنفى قولاً للغير أبى حنيفة ، وأصحاب أبى حنيفة وتلاميذه ومن ينتسبون إليه كثيراً ما يقررون غير ما قرره الإمام ، لمضغف مأخذه عندهم ، أو لانكشاف دليل لم لم ينكشف له . وكذلك كل أصحاب الأئمة وأتباع المذاهب .

ولا شك أن هذا منهج مستقيم من الناحية العلمية الفقهية ، ومن الناحية الإسلامية : فأما استقامته من الناحية الفقهية فلأن الفقيه المتصف الذى لا هدف له إلا البحث عن الحق ؛ لا يسهه أن يغض الطرف عن قول قاله مجتهد ما فى المسألة التى يبحثها ، ما دام لا يصادم نصاً قطعياً من كتاب أو سنة ، ولا يسهه أن يعرض عن دليله ، فقد يكون

إذ أجزم ذلك — تجيزون تقليد هؤلاء الإمامية بالدات ؟

ونحن نقول لهم :

١ — أما تقليد غير الأربعة بجائز شرعا ، وفضيلة الأستاذ الأكبر قد أشار في فتواه إلى ذلك ويحسن بنا أن نسجل هنا كلاما جاء في كتابه « مقارنة المذاهب » الذي يدرس منذ سنة ١٠٣٦ في كلية الشريعة ، فإنه فصل الخطاب في هذا الشأن ، قال : « إن المتأخرين حينما تحسنت فيهم روح الخلاف وملكهم المصينة المذهبية ، راحوا يضمنون من القوانين ما يمنع الناس من الخروج عن مذاهبهم وانتقلت المذاهب بهذا الوضع عن أن تكون أخصاما يصح أن تناقش فترد أو تقبل ، إلى التوامات الدينية لا يجوز لمن نشأ فيها أن يخالفها ، أو يعتق غيرها ، وحرّموا بذلك النظر في كتاب الله وسنة رسوله ، أو حرّموا العمل بشجرة النظر فيهما ونشأ من ذلك أن قرت المم ، ووقف الفقه الإسلامي واشتغل علماء المذاهب بالاتصارات المذهبية ، واختصار المطولات ، وشرح المختصرات ، وهكذا حرم الناس الفقه ، وحرّموا ملكة الفقه ، وقد وصف الشيخ عز الدين بن عبد السلام موقف هؤلاء المتأخرين فقال : « ومن العجب العجيب أن

الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه ، بحيث لا يجد لضعفه مدفعا وهو مع ذلك يقلده فيه ، ويترك من شهد الكتاب والسنة له ، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة فضلا عن مقلده » ثم قال : « لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقييد بمذهب ، ولا إنكار على أحد من السائلين ، إلى أن ظهرت هذه المذاهب وتمتعوها من المقلدين ، فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهب عن الأدلة مقلدا له فيما قال ، كأنه نبي أرسل ، وهذا نأى عن الحق ، وبعد عن الصواب ، لا يرضى به أحد من ذوي الألباب » .

وقال الإمام أبو شامة : « ينبغي لمن اشتغل بالفقه ألا يقتصر على مذهب إمام ، ويعتقد في كل مسألة صحة ما كان أقرب إلى دلالة الكتاب والسنة المحكمة ، وذلك سهل عليه إذا حصل العلوم المتقدمة (وسائل الاجتهاد) وليجنب التعصب والنظر في طرائق الخلاف المتأخرة ، فإنها للزمن مضية ، ولصفوه مكسرة ، فقد صح عن الشافعي أنه نهى عن تقليده وتقليد غيره ، قال صاحب الميزان في أول مختصره : « اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى قوله لأقر به على من أراد ، مع إعلامية نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ، ويحتاط لنفسه » .

ناقلها عن الكتب المصادرة عند أهل السنة ، وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بين بالدليل والبحث العلمي أوجه البطلان والفساد فيه ، فاستجابت الحكومة لهذا الطلب وصادرت الكتاب ، فرجع صاحبه دهوى يطلب فيها تعويضاً ، لحكم القضاء الإداري في مجلس الدولة برفضها .

أقوال : إن أهل السنة يشكرون قداسة القرآن ، أو يعتقدون نقص القرآن ، لقول قاله فلان ، أو لكتاب ألفه فلان ١٩ .

فكذلك الشيعة الإمامية ، إنما هي روايات في بعض كتبهم كروايات التي في بعض كتبنا ، وفي ذلك يقول الإمام العلامة السعيد أبو الفضل ابن الحسن الطبرسي ، من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري ، في كتابه « مجمع البيان لعلوم القرآن » ، وهو بصدد الكلام عن الروايات الضعيفة التي تزعم أن نقصاً ما دخل القرآن - يقول هذا الإمام ما نصه : « روى جماعة من أصحابنا ، وقوم من حشوية العامة ، أن في القرآن تغييراً ونقصاً ، والمصحيح من مناهج أصحابنا خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه ، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات ، وذكر في مواضع : أن العلم بصحة نقل

إن واجب المسلم إذا تمرد عليه أن يسأل الأحكام من أدلتها أن يسأل أهل الذكر ، وليس عليه أن يلتزم مذهباً معيناً ، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتنزه بمذهب بمذهب رجل من الأمة ، قال شارح مسلم الثبوت : « فأجابه تشريع شرح جديد » ، ثم قال : « ذلك أن تستدل عليه بأن اختلاف العلماء رحمة بالنص ، وترفيه في حق الخلق ، فلو أُلزم العمل بمذهب معين كان هذا نقمة وشدة » اهـ .

٢ - وأما أن الإمامية يعتقدون نقص القرآن فعاد الله ، وإنما هي روايات رويت في كتبهم كما روى مثلها في كتبنا ، وأهل التحقيق من الفريقين قد ريفوها وبيّنوا بطلانها ، وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك ، كما أنه ليس في السنة من يعتقد .

ويستطيع من شاء أن يرجع إلى مثل كتاب « الإقناع » للسيوطي السني^(١) ليرى فيه أمثال هذه الروايات .

وقد ألف أحد المصريين في سنة ١٩٤٨ كتاباً اسمه « الفرقان » حشاه بكثير من أمثال هذه الروايات السقيمة المدخولة المرفوضة ،

(١) انظر ص ٣٠ من الجزء الثاني من كتاب الإقناع .

والقرآن ، كالعلم بالبلدان ، والحوادث الكبار والوقائع العظام ، والكتب المشهورة ، وأشعار العرب المسطورة فإن العناية اشتدت ، والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه ؛ لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية ، والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته العناية ، حتى عرفوا كل شيء ، اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مفسراً ، أو منقوصاً مع العناية الصادقة ، والنضبط الشديد ؟

وقال أيضاً - قدس الله روحه - : إن العلم بتفسير القرآن وأبعاضه ، في صحة نقله ، كالعلم بحملته وجري ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ، ككتاب سيويه والمزني ، فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلون من تفصيلهما ما يعلونه من حملتهما ، حتى لو أن مدخلا أدخل في كتاب سيويه باباً في النحو ليس من الكتاب ؛ لعرف وميز وعلم أنه ملحق وليس من أصل الكتاب ، وكذلك القول في كتاب المزني ، ومعلوم أن العناية بنقل القرآن ونضبطه أصدق من العناية بنضبط كتاب سيويه ودواوين الشعراء .

وذكر أيضاً - وحسب الله عنه - : أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن ، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان ، حتى عين جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويثنى عليه ، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة ختمات ، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث ، وذكر أن من خالف ذلك من الإمامية والخشوية لا يعتمد بخلافهم ، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها ، لا يرجع بمثلاً عن المعلوم المقطوع على صحته ، (١) .

فهذا كلام صريح واضح في الدلالة على أن الإمامية كغيرهم في اعتقاد أن القرآن لم يضع منه حرف واحد ، وأن من قال بذلك فإنما يستند إلى روايات ظنها صحيحة وهي باطلة .

وقد كتب فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حداد مغنية وهو من كبار رجال الشيعة الإمامية في لبنان ، وقد ولي مناصب القضاء حتى وصل إلى رئاسة المحكمة الشرعية العليا ، كتب فضيلته يقول :

(١) ص ١٨ من الجزء الأول من كتاب [مجمع البيان] طبع دار التريب في ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م بالقاهرة .

فقه الإمامية والزيدية بين مناهج الفقه المقارن في كلية الشريعة . ويتبين مما ذكرناه من الرد عليها أن الأمر يحتاج إلى تأمل من المعترضين ، ودرس للمسائل قبل الإقدام على النقد ، وما هذه المسائل إلا أمثلة يمكننا أن نسوق كثيراً منها ، وأن نبين وجه الحق فيه ، ولولا خوف التلويل لأننا على كل ما عسى أن يراد الخائفين .

• • •

أما الذين يحاولون أن يشككوا في جدوى الدراسات القانونية في كلية الشريعة ، فنن المجيب أنهم ليسوا من الأزهرين ، ولا من علماء الدين ، وإنما هم أفراد من الذين يتخيلون أن إدخال هذه الدراسات في الأزهر سيكون سبباً في مزاحة خريجي كليات الحقوق بالجامعات الأخرى .

وقد كنا نعرف أن الأزهرين قد أتى عليهم عهد طلب إليهم فيه أن يصوغوا من الشريعة بعض القوانين فرفضوا ذلك احتجاجاً بأن صياغة أحكام الإسلام على أسلوب القوانين الوضعية يجر إلى الاستهانة بها ، وتشبيها بما هو غير مقدس من الأحكام .

كنا نعرف ذلك ونعرف أن الناس قد اتجهوا إلى قوانين أخرى غير مستمدة من الشريعة لما يتسوا من علماء الشريعة ، فكان ذلك هو السبب في أن فقهاء القانون كان وضعياً ولم يكن شرعياً .

• ألفت نظر من يحتج على الشيعة ببعض الأحاديث الموجودة في كتب بعض علمائهم . ألفت نظره إلى أن الشيعة تعتقد أن كتب الحديث الموجودة في مكتباتهم ، ومنها الكافي ، والاستبصار ، والتهذيب ، ومن لا يحضره الفقيه ، فيها الصحيح والضعيف ، وأن كتب الفقه التي ألها عليها علماءهم ، فيها الخطأ والصواب ، فليس عند الشيعة كتاب يؤمنون بأن كل ما فيه حق وصواب من أوله إلى آخره غير القرآن الكريم ، فالأحاديث الموجودة في كتب الشيعة لا تكون حجة على منذهبهم ، ولا على أي شيعي بصفته المذهبية الشيعية ، وإنما يكون الحديث حجة على الشيعي المذبي ثبت عنده الحديث بصفته الشخصية ، وهذه نتيجة طبيعية لفتح باب الاجتهاد لكل من له الأهلية ، فإن الاجتهاد يكون في صحة السند وضعفه ، كما يكون في استخراج الحكم من آية أو رواية ، ولا أغالي إذا قلت : أن الاعتقاد بوجود الكذب والنس بين الأحاديث ضرورة من ضرورات دين الإسلام ، من غير فرق بين مذهب ومذهب ، حيث انفقت على ذلك كلمة جميع المذاهب الإسلامية ^(١) . انتهى كلام الشيخ مغنیه .

• • •

هذه أمثلة مما يقال اعتراضاً على إدخال

(١) ص ٣٨٩ من المجلد الثاني من مجلة (رسالة الإسلام) .

التوجيه القانوني في الدولة ويومئذ لا يقال
لهم إنكم غير أهل لها .
إن أبناء الأزهر قد عرفوا ذلك فرحبوا
بهذه الدراسات ، وأصبحت كلية الشريعة
تستقبل أساطين القانون في كل فرع من فروعها
وتستمع إليهم في شغف وإقبال ، وتطلب
كتبهم ومذكراتهم ومراجعهم ، كما تطلب
مراجع الفقه وأصول الأحكام !
• فياله من بحث جديد ! .

محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

والآن لا نجد في الأزهر - والحمد لله - من
يعترض على إدخال الدراسات القانونية ،
لأنهم قد أدركوا أن هذا النوع من الدراسات
يخدم الفقه الإسلامي ، ويعين على المقارنة
بينه وبين غيره ، ويبرز مزاياه ، وأن من
شأنه أيضا أنه يعرف الأزهرين بأسلوب
جديد يستمينون بمعرفته على عرض ما عديم
عرضا جديدا ، وتنظيمه تنظيمًا يفيد في تقريب
الاتصاف به ، كما أن هذه الدراسات ستكون
إلى جانب الدراسات الشرعية ، سلاحا لهم
في حياتهم المادية . حيث يستطيعون أن
يتقدموا إلى مناصب القضاء ، ومراكز

الصبر والشكر

وأنتما ذخران في العصر والعصر
وصبرا إذا نابك نائبة الدهر
ولا ناصرا عند الشدائد كالصبر
شكور لما أسدت إليه يد القطر
صبور إذا ما مسه وهج الجمر

ألم تر أن الصبر والشكر نوم
فشكرا إذا أوتيت خيرا ونعمة
فلم أر مثل الشكر حارس نعمة
فما طاب نشر الروض إلا لأنه
ولا فضل الإبريز إلا لأنه

نفاية القرآن

موقف الإسلام من الوحدة والفرق

قربة الله لرسوله من المفرقين

لفضيلة الأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) إن الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا ، لست منهم في شيء .
(ب) إنما أمرهم إلى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون .

بل ناجاهم ، وشرع لهم ، وودهم الثواب
وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلا .

فكان طبيعيا في ميزان الحكمة أن يكون
الدين في وضعه : حقيقة وشرعة ، وأن
تكون العقيدة أصلا ، لا يختلف باختلاف
العصور ، ولا يجه تمديل في عهد نبى بعد نبى
من أرسل الله إلى الناس .

ويكون طبيعيا كذلك في ميزان الحكمة
أن يكون الجانب الثانى : وهو التشريع العملى
مسيرا للمقول في تدرجها ونضجها ، وملائما
للحياة في واقعها ، وملابساتها .

فالعقيدة إيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ،
ورسله ، وبالقضاء والقدر : غيره وشره ،
وباليوم الآخر ، وهذا دين للآدم جميعا ،
وعليه تطابقت رسالات الرسل ، وتوافقت
كتب السلا .

نصير :

لم يكن تشريع الدين من جانب الله ليتشعب
الناس فيه ، ويختلفوا حوله ، وإنما ليجمعهم
تحت راية الإخاء فى الإنسانية ، وليكون
هذا الإخاء دائما موقفا بمجل من الله سبحانه
فيكون الناس على صلة بالله ، وعلى تضامن
وتعاطف فيما بينهم ، حتى يتبأ لهم أن يؤدوا
رسالتهم فى دنياهم على أتم وجه من السكال
المنشود .

ومن هذه الإلحامة يكون واضحاً أن التشريع
الساوى من مظاهر تكريم الله لعباده ، حيث
لم يتركهم سدى ، ولم يجعل مهمهم فى الحياة
أن يملثوا بطونهم من بطاح الأرض ونجاساتها
ثم يمردوا آخر النهار كما تعود الأطيوار إلى
وكنايتها ، أو الأنعام إلى مراعيها .

الدين في أى عصر من عصوره بالقبول التام والاطمئنان ، بل كانت للأهواء الجماعية ، وللجبهات الفاشية ، والممليات المنحكة : كانت لهذه العوامل وسواها مشادة في الدين ، ومناوآت للرسول ، وللأنبياء .

فأناس نبذوا التدبر جملة ، وكذبوا رسل الله وأنبياءه ، وقالوا ما قالوا من الكفريات وآخرون تدبوا ، ولكن غيروا ، وبدلوا بالحلف ، والإضافة فيما شرح الله لهم ، بل وفي العقيدة نفسها ، واقترأوا من بشائع الأكاذيب على الله ، وعلى رسوله ما يظاهر أهواءهم الباطلة .

وقريق ثالث أخير : نفثوا على دين حق ، ثم طغت عليهم نزعات الإباحية ، والتفاليد الجريئة فأخذوا يتدخلون في تشريع الله ، ويترضون لكتابه الكريم بالمناقشات المنجعة ، وينكرون بعض أحكامه ، ويتجاهلون الكثير من آياته ، ظانين أنها حرية رأى ، وأن القرآن نفسه يرضى لهم بتلك الحرية الطائفة التي هي الكفر الصراح بيمينه . وذلك سفه ووجود لا غير . وهذه النزغات على اختلافها تبين الوحدة في العقيدة ، إذ فيها تكذيب للرسول ، أو لبعضهم ، وفيها تكذيب لكتب السماء أو بعضها ، وبالتالي فيها تكذيب للدعوة الموجهة إلينا من عند الله .

والتشريع العمل هو النظام الذي يحدد رسوم العبادات وأشكالها ، في الصلاة أو الصوم ونحوهما .

ويرسم طريق التعامل بين الناس في الأموال وفي النظم الاجتماعية : كالمراث ، والزواج ، والقضاء ، ونحو هذا مما يتصل بالعلاقات ، ويوجه بالناس نحو الصلح فيما بينهم دائماً إلى زمن ما ، أو إلى الأبد .

ولا يضير العقيدة المتحدة أن يتطور في ظلها التشريع بتطور الزمن وتجدد الرسالات آنفا . فالدنيا كما أراد الله في تجدد ، وحاجات الناس في توسع ، وعقولهم في تكامل ، فشرائعهم لا تقف بهم عند وضع واحد ، وإلا كانت حياة جامدة ، لا تقمع للتجديد ، وكان حرجاً على المواهب أن تشرق ، والله - سبحانه - أمر عباده أن يفسحوا خطاهم بالسير في منابها ، وأن يتخذوا من حاجها مصانع وحضولا يستثمرونها بمواهبهم ، ويتمتعون بما يتاح لهم من ممراتها ، وإنتاجها . وأزاء هذا - وهو سياق يطول - يكون الدين في أصله - من ناحية العقيدة - واحداً . ولا يقال : إنه متعدد بتعدد شرائعه العملية ، فإن الشرائع بالنسبة للعقيدة كالأمر الإضافي ، واختلاف الأمر الإضافي لا يعتبر تمعداً في الأصل القائم مقام المحور في وسط الدائرة . وقد جرت سنة الله في خلقه ألا يواجهوا

عن جانب الله ، وعمد ليس ذاصلة بـ ما هم عليه ، ولا هو متبوع لهم وإن زعموا ، ولا شافع فيهم ، وإن تعلقوا بالرجاء في ذلك (لست منهم في شيء) .

(ب) ثم يأتي ما بقي من الآية فيصرح بأن أمرهم إلى الله ، وأنه - تعالى - سينبئهم بما كانوا يفعلون .

وهذه الإحالة إلى الله ليست مظنة الرفق بهم ، وإنما هي لإعلانهم بالهول المرتقب لهم ، فإنهم فرقوا ما جمع الله ، وكذبوا وجمعوا ، وكفى بهذا خروجاً على الله ، وانحيازاً إلى غير جانبه .

فالأول بهم أن يعمروا من رعاية الله ، وأن يتركوا في قطيعة عن ربهم ، كمن يخرج من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان محقق .

قد يقال : إن ذلك حديث معاد ، وليس فيه من توجيه جديد .

ولكن هذا شأن بالغ الخطورة ، والعود إليه من قبيل الجديد ، فإننا نلاقى في عصرنا هذا شيئاً من التفريق لا يهون خطره بجانب ما كان ، فإن كان للأولين عذر : من جهالة ، أو استسلام للناس فما عندنا اليوم ؟ .

ونحن إذا رجعنا إلى الماضي فإننا نرى في ضوئه من المخاوف لنا ما يثير عندنا رهبة من التمسكة في تلك الضلالات .

وكان المفروض أن نستقبل الدين المبلغ إلينا في كل عصر من عصوره بالقبول ، وأن نقول - آمناً به ، كل من صد ربنا - لا نفرق بين أحد من رسله .

(١) ولكن شامت حكمة الله كما سلف ، أن يوجد مفرقون ، وأن يحاسب هؤلاء المفرقون على ما اجتروحوا بميولهم ، واختيارهم .

وكان النبي - صلوات الله وسلامه عليه - يود أن لو آمن الناس جميعاً ، ويحمد نفسه كثيراً في إقناع من يجاوره ، غير عالم بما سبق به القضاء في شأن أولئك المتمردين ، حتى يخبره الله بما كان خافياً عليه ، ويصرفه عن مناقشتهم ويمر به عن تخلفهم ، حتى لا يكون في نفسه شيء من أسف على هؤلاء .

ومن هذا قوله في الآية التي سقناها : « إن الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعاً ، لست منهم في شيء » .

يريد الله - وهو الأعلم - تبرئة رسوله من تبعات المفرقين للدين على اختلاف منازلهم ، وأنه بنجوة من شأنهم كلهم ، فالتشبهون بدين قديم ، وهم يجافون الدعوة الجديدة ، والمشككون في الدعوة الجديدة ، أو معرقوها وجعلوها أبعاضاً يأخذون ببعضها ويتركون بعضها ، والمتظاهرون بالقبول ، وهم يشقون لأنفسهم طريقاً غير طريق الجماعة كل أولئك في حيز غير حيز القرآن ، وهم في قطيعة

من جديد كما يفاد من الآيات السابقة ونحوها في غير إسماعيل من جانبنا ، فإن ذلك مجال فسيح .

ونحن نعلم أن العرب وأهل الكتاب جميعا يدينون لإبراهيم ، ويصدقون برسالاته ، وأنهم يتسابقون في الانتساب إليه ، فإذا كان في الانتساب إليه غار واعتزاز — وهو بحق غار واعتزاز — فقد كان إبراهيم على دين هو — عند الله — الإسلام وليس الإسلام باسم جديد خاص بشريعة محمد صلوات الله عليه وإنما هو الدين السماوي الذي نعت به إبراهيم والأنبياء جميعاً ، إلى خاتمهم محمد بن عبد الله رغم المخالفين — وإبراهيم لم يحمل لدينه عنواناً غير الإسلام ، فلم يكن مبتدعاً لاسم طائفي من الأسماء التي اخترعت بعد .

ولكن تعاقب الأزمان ، أفسح للأباطيل أن تمتد إلى دين إبراهيم ، جثمت عليه في بلاد العرب . جاهلية وجثمت عليه في غير بلاد العرب عصبية ومن خلال هذه الفجوات التي أحدثتها الجاهلية والعصبية تسربت إلى دين إبراهيم تحريفات أو تسميات ، وشقاق ، ومنازعات ، ولم تعد للوحدة الدينية صيغتها . ولا وقعت المنازعات عند حدودها ، بل كانت وثنية ، وطائفية ولم تكن حقاً إلا عند من عصمهم الله ، وكان الأولى — لو أراد الله ، ولم يغلب على الجماعات

يحكي لنا القرآن : أن الناس كانوا أمة واحدة : على البداوة والجمالة .

« فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه إيلخ » .

وترى من خلال هذه الآية ، وأمثالها أن انقسام الناس حول دينهم ، وتفرقهم فيه ، ما وقع إلا من أهل الكتاب السماوي أنفسهم ، وقد ظل التفرق مسترسلاً في طوائفهم ، حتى رأيناهم بعد : لا يرصون إلا باحتكارهم الدين وتسميته باسم طائفتهم وما هو إلا دين واحد سماه الله بتسمية من عنده « إن الدين عند الله الإسلام » .

ونحن نعلم أن إبراهيم عليه السلام كان — بعد رسل سبقوه — الوحدة التي تفرعت

منها النبوات ، حيث جعل الله في ذريته النبوة والكتاب كله ، ولم يكن لإبراهيم كتاب ، وكانت رسالته الدعوة إلى التوحيد ، ثم كانت تراثاً للأنبياء والرسل من بعده ، حتى كانت التوراة في عهد موسى وفي بني إسرائيل .

ومن عهد التوراة وما يليها ، تزلزلت الوحدة الدينية ، ونجم في بني إسرائيل ديانيون وقراءون ، وغيرهما وتعرضت التوراة لشيء يقال فيه ما يقال ، ثم جاء زمن عيسى عليه السلام فكانت دعوته ماثراً للانقسام والتفرق

الذي جاء من عند الله . وكان عليه إبراهيم
والأنبياء .

ولا نلبأ في الاستدلال على هذا كله إلى
القرآن ، وفي القرآن غنية وغيره بالأدلة ،
حتى لا يقال : إنك تستدل على قوم بغير
ما يؤمنون به .

ولكننا نتحدث إلى القراء من ناحية
القرآن قليلا ، ومن ناحية العقل والواقع
كثيراً ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .
ولا نخص تلك الطوائف وحدها بتهمة
التشقيق أو الابتداع ، أو المساس بتشريع
الله ١١ .

لقد أصاب الإسلام شيء كثير من ذلك ،
منذ لجره الأول ، إلى ساعتنا هذه .

فأكد يندبئ نور الإسلام . حتى توبصت
له عصابات حاققة عليه من الفرس ، أو اليهود ،
أو العرب أنفسهم .

وكان الظاهر بالإسلام سبيل التمكن من
بك النساء ، وتزويج الوحدة ، وحشر
الباطيل بين الحق ، حتى انتهى ذلك إلى
الانقسام ، والفتائل ، والخوض في السماء
الزكية ثم نجت عن هذا الطاحن اتجاهات
مختلفة ، وتكاذب في فهم الدين ، ومزاعم
جريئة ، ومذاهب باطلة .

وليس منها - طبعاً - مذاهب الآئمة ، فإنها

تبار المعصية - أن يراهي الناس وحدتهم
في الدين كما كان إبراهيم ، وهم يحرسون على
الانتساب إليه ١٢ .

وفي هذا يقول القرآن : « ما كان إبراهيم
يهودياً ، ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً
مسلياً ، وما كان من المشركين » : - ويقول -
إن أول الناس بإبراهيم : للذين اتبعوه ،
وهذا النبي (محمد صلى الله عليه وسلم) والذين
آمنوا .

وهذا تسجيل سماوي فيمن انحاز عن دعوة
إبراهيم التي رددتها الكتب السماوية الحقة ،
والتى نهض بها الرسل من العرب - إسماعيل
ومحمد - ومن بني إسرائيل .

فلا يكون من ابتلى بهذا الانحياز متحريراً
للحق في الدين كما كانوا يتحررون في الانتساب
والأصالة فيه ١٣ .

ظلت هذه التشقيقات في الجماعات المتعددة
من أتباع الكتب السماوية ، حتى دبت في
تناياها جميعاً تشقيقات فرعية ، فصارت
الطائفة الواحدة متمنجة بمذاهب متعددة ،
يخالف بعضها البعض ، حتى في أصل العقيدة ؛
لا في الشريعة العملية لحسب .

لا تهم تلك الطوائف كذباً ، فلكل
طائفة منها أربابها ، وآباؤها ، ومما يدها
ومذاهبها وتقاليدها ، ولا يتأتى أن يكون
كل ذلك أمراً واحداً ، كما هو الشأن في الدين

المثقفين ثقافة مدنية يتفكرون على البحوث الإسلامية : لا ليفهموها ، ولكن ليثيروا فيها الشكوك ، ويهدموا قداستها عند الناس ، ويصرفوا الملمثئين إلى دين الله عن التجمع حول دين الله إلى مبادئ الشيطان ومساقط الفجور .

فهذا إنسان يقلد الشيوعية في إنكار الإله ، وفي الوقت نفسه يظهر ويقر معنى يحظر الشيوعية .

وذاك إنسان يجاهر بالدعوة إلى الأخذ بنظام الزواج المدني ، وينكر الدين في هذا ، وينكر القرآن ١١ .

وثالث يتساءل : هل صحيح أن الرجال قوامون على النساء ؟؟ والقصد من هذا عدم قاعدة القرآن ١١ .

ذلك كله ، وما يشاكله تفرق في الدين ، ومفارقة له ، والقائمون به يتسبون إلى الثقافة ، فهل من ثمرات الثقافة وما تهدي إليه الثقافة ألا يكون دين ؟؟ .

وإذن : نكون ثقافتهم هذه مرادة للجاهلية الأولى فيما تنزع إليه ، وإن اختلف اللون بينهما بالطلاء والقوية الجديد .

وإن المتهائين على زعزعة العقيدة عند الناس ، أو تفريقهم في المحيط الديني إلى مذاهب متناكرة ، والحيدة بهم عن التسليم لله لا يقف شرم عند هذا التفريق في الدين بل

لا تصدو الاجتهاد في تطبيق النصوص الصحيحة ، وتجرى المعنى المراد .

والاجتهاد أمر سائغ ما دام بعيداً عن جانب العقيدة ، والابتداع في الدين .

وما زال الأمر بعد ذلك على إنكار التفرق ، وابتداع التحل ، والتدخل في التشريع الديني بتوجيهات غير مستقيمة في ميزان العقل ، ولا سائرة على هدى البحث العلمي المتزن ، كذهب البهائية ، وما يشابهه .

وكان الظن أن يكون للثقافة المدنية شيء من تقويم الأفكار ، ومؤازرة الدين في تهذيبه للأنفس الجامعة ، وإيضاح الصواب للمقول الضالة ، فإن العلم كله : دينياً أو مدنياً أو شاح بين أهله ، ورحم متصلة ، واتجاهات تتلاقى على الحق ، إذا خلصت النيات ، وبحت العلم للعلم ١١ .

ولكن الثقافة المدنية : هي الأخرى - أصابها ما أصابها ، فأصبحت في كثير من أنواعها بوقاً مزججاً للنشر الإباحية ، ومعرضاً لأنواع الضلالات ، ووسيلة إلى المغالطة في بدائه المعلومات الدينية .

وإلى جانب هذه الثقافة الملوثة نفوس مريضة ، تحين الفرص ، وتتلصص بالمنزلة المروقة من الدين .

ومن كان يظن أن رجال الصف الأول في

وبما أصابهم بعد ، بسبب التفرق ، واشتغالهم بالحزبيات ، ووقوف بعضهم في وجه البعض

فالتاعقون اليوم بأصوات الغربان حول الدين ، وتعالجه يحنون على الوطن من حيث يقصدون ، أو لا يقصدون . وهؤلاء بحاجة إلى التسكر لم ، والاختذ على أيديهم .

وإنهم لا يؤمنون على مبدأ ، بعد أن هان عليهم الدين وتبت أيديهم ولعنوا بما قالوا . والله من وراءهم محيط . ٩

عبد المظفر السبي

عضو جماعة كبار العلماء

وأستاذ في كلية الشريعة

يتم ، ويمتد حتما إلى المبادئ الوطنية ، وإلى تمزيق الوحدة الاجتماعية .

فإن الدين أول ما يكفل تربية الضمير ، ويفرس الحشية من الله في قلوب الناس ، ويذكرهم بأن القمود عن واجب الوطن خيانة عظمى للجماعة المتواطنة ، وتمكين للأعداء من كبت الدين وأهله ، والتحكم فيهم بما يكرهون حتى لا يبقى للدين دولة ، ولا يبقى لدولة الدين كيانا ، ولا مهابة .

وقصارى الحديث : أن الدين أوثق رباط شرع من جانب الله لجمع الصفوف ، وحراسة الوطن .

والماضي الذي لا ينبغي تجاهله يذكرنا دائما بما بلغ المسلمون أولا من بأس وسلطان ،

مجلة الأزهر

في حديث مستفيض لصاحب الفضيلة مدير الشؤون العامة بالأزهر عن ثورة الأزهر الإصلاحية نكلم عن مجلة الأزهر فقال : مجلة الأزهر واضع الآن نهضتها ونشاطها ، ونعرف كيف جمعت لها كبار الشخصيات التي يحترمها العالم الإسلامي ، ويحرص على القراءة لها ، مما أدى إلى الإقبال عليها ، كما لم تمد المجلة قاصرة على قراء العربية ، وإنما أصبحت مجلة عالمية بنشرها البحوث القيمة باللغة الانجليزية .

مُثَلُّ عَلِيٍّ إِسْلَامِيَّةً عَرَبِيَّةً

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

وجاء الدين الحق لجعل من العرب أمة واحدة قوية عالة ، وضمن لها البقاء على الزمان ، وأزال بها قوى الظلم والظلماني والاستعباد ، هذه القوى التي كانت بمثابة في دولة الفرس من ناحية ودولة الرومان من ناحية أخرى ، وأثبتت من العرب قادة وهداة ومصلحين لا تزال البشرية تظلم دون أن تصل إلى بعض ما كانوا عليه .

لذلك نرى أنه مما يثبت إيماننا بديننا وقوميتنا ، وبماضينا المجيد الذي ينبغي أن يكون القتل به أساس حاضرتنا ومستقبلنا الزاهر السعيد ، أن نذكر بعض ما ضربه لنا أولئك القادة والهداة من مثل رائعة لا تزال خالدة على الزمان ، فعمل في هذا ذكرى لقوم يعلمون ويؤمنون .

صلى الله عليه وسلم وقوة البصيرة :

إن المؤمن الصادق يوقن تماما بما يؤمن به حين يشتد الأمر ، ويسلط الشك على قلوب كثير من الناس الذين حوله . وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه على رأس من ضربوا لنا في ذلك أروع الأمثال ، وذلك بعد الرسول صلى الله عليه وسلم طبعاً ؛ فإن

نحن — مشر العرب والمسلمين — نعيش هذه الأيام في إبان نهضة كاملة شاملة لكل نواحي الحياة وشؤونها ، وذلك بعد أن أحسننا حقاً بأننا خير أمة أخرجت للناس ؛ فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وتعمل لنحيا حياة المير والكرامة والمجد ؛ وبعد أن آمنا حقاً بديننا الذي رضيه الله لنا والباس كافة ، لا فرق بين جنس وجنس ، إلى آخر الزمان .

وكان من هذا وذاك ، أن آمنا بقوميتنا إيماناً تتحول الأرض عن مدارها ولا يتحول ، وصرنا أن نسير سيرة أسلافنا الأجداد من أبناء العروبة والإسلام حرماً تتراجل الجبال الروامي ولا يتزلزل ؛ وذلك بحر البعث ، وبداية النصر الذي يؤتاه الله المؤمنين الذين يعتقدون ويصلون وفق ما يعتقدون .

لقد نشأ العرب على صفات وأخلاق طبيعية أصيلة فيهم ، وهي أخلاق وخلال تؤهلهم حقاً للجد والشرف ؛ من الشجاعة والنجدة ، والوفاء ورعاية الحقوق ، والكرم والإيثار والغيرة والشهامة ، ونحو هذا وذاك كله مما سجله التاريخ الأمين لهم .

الصادق الأمين : وأنت يا أبا بكر الصديق ،
فيومئذ سماء الصديق .

ومثل رابع آخر لقوة يقين أبي بكر
رضي الله عنه ، وإيمانه حق الإيمان بكل
ما يكون منه صلى الله عليه وسلم . ذلك أن
المسلمين رأوا في شروط صلح الحديبية ،
إجعا شديدا ، وبخاصة أنهم كانوا لا يشكون
في فتح مكة في هذه السنة لرقيا رأها الرسول
صلى الله عليه وسلم .

فلما جرى الصلح بين المسلمين والمشركين
ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب
وقال لأبي بكر : أليس برسول الله ؟ قال : بلى
قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال :
أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام
نعطى الدية في ديتنا ؟ فقال أبو بكر :
يا عمر ! الزم غرزه ، فإنني أشهد أنه
رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه
رسول الله .

ثم أتى عمر الرسول وسأله مثل ما سأل
الصديق ، ولما قال له : فعلام نعطى الدية
في ديتنا ؟ قال له : أنا عبد الله ورسوله ولن
أخالف أمره ، ولن يضيعني . فكان عمر بعد
هذا يقول : ما زلت أصوم وأصدق وأصلي
وأعتق عن الذي صنعت يومئذ ، عفاة
للكلأ الذي تكلمت به ، حتى رجوت
أن يكون خيرا .

حياته وسيرته الشريفة كانت كلها مثلا رائحة
منقطعة النظير من أي النواحي فطرت إليها .

لقد أسرى بالنبي الصادق الأمين من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى بالشام كما جاء به
القرآن العظيم ، فاستنكر المشركون ذلك
وكذبوه ، وارتد بعض من لم يكن الإيمان
قد استقر في قلبه واطمأن إليه وأيقن به ،
وذهب الناس - كما يذكر ابن هشام - إلى
أبي بكر يقولون له :

هل لك يا أبا بكر في صاحبك ؟ يزعم أنه
قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه
ورجع إلى مكة ! فقال لهم أبو بكر : إنكم
تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، ها هو ذا
في المسجد يحدث به الناس . فقال أبو بكر :
لئن كان قاله لقد صدق ، فما يسحبكم من ذلك ،
فواقه إنه لينبئني أن الخبر يأتيه من السماء
إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه
فهذا أبعد مما تسجون منه !

ثم أقبل أبو بكر حتى انتهى إلى الرسول
صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله :
أحدثت هؤلاء القوم بأنك أتيت بيت
المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يا نبي
الله نصفه لي . فإنني قد جشع . فأخذ
الرسول يصفه له ، وهو يقول له كلما وصف
له شيئا منه : صدقت ، أشهد أنك رسول
الله ، حتى انتهى . وحيثما قال له الرسول

٢ - الثبات على الحزم :

ومن صفات المؤمن الزعيم والقائد الأمين . أنه إذا حزم على ما براه حقاً لم يرجع عن حزمه ، ومضى لما أراد متوكلاً على الله الذي ينصر عباده المؤمنين به . مصداقاً لقوله تعالى :
« وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » .

فقد ارتد كثير من الأعراب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان من هؤلاء جماعة لم يخاطبوا الإيمان قلوبهم حقاً ، ومنهم من منعوا الزكاة أضغاث مضطرب ، وكان رأى سيدنا عمر موادعة هؤلاء الآخرين والاستعانة بهم على قتال الأولين .

ولكن الصديق رأى غير هذا وحزم على قتال الفريقين ، وقال في ذلك قوله المشهورة : والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لجهادتهم عليه ، وكانت عقل الصدقة على أهلها مع الصدقة نفسها كما يقول الطبري في تاريخه .

وكان بين الصاحبين العظيمين في هذا معجزة يعرفها التاريخ وانتهى الأمر باقتناع الفاروق بما رأى الصديق ، وبانتصار الإسلام والمسلمين على المرتدين جميعاً ، وذلك بفضل ثبات أبي بكر على ما حزم عليه واستنصاره بالله على الذين أرادوا أن يخالفوا عن أمر الله ورسوله .

ومثل رائع آخر في هذه الناحية . فقد كان النبي قبل وفاته قد جهز جيشاً لغزو الروم بالشام ومن والاه ، وأمر عليه أسامة بن زيد وهو شاب لم يبلغ العشرين من عمره . فلما لحق الرسول بالرفيق الأعلى والجيش لم يفارق المدينة ، قال الناس لأبي بكر :

إن هؤلاء جل المسلمين ، والعرب على ما رى قد انتفضت بك ، طيس يبنى لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين .

فما كان من أبي بكر إلا أن قال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تحطفتني لأنتفضت بمكة أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنتفضته ! .

مكننا بصم خليفة رسول الله على ما عزم عليه ، إذ كان في إنفاذه تحقيق لما أمر به الرسول نفسه ، وذلك على أن الأمر كان شديداً ، وعلى أن الموقف كان رهيباً يوجب حقاً النظر فيه وفي عواقبه المخملة ، حتى إن أسامة كان الذي أرسل إلى الخليفة يستأذنه - بعد أن قبض الرسول - في أن يرجع بالناس مخافة أن يتخطب المشركون المسلمين ، ثم زاد الأمر حرجاً حين رأى الانتصار أن يكون الأمير رجلاً أسن من أسامة إن كان لا بد من إنفاذ بعثه .

مخرج عمر - وكان في الجيش - بأمر أسامة

الناحية مثلا رائحة لا تجد في تاريخ غير الإسلام والمسلمين لها مثيلا أو مقاربا .
يذكر ابن سعد في طبقاته أن أول خطبة كانت لعمر بعد استخلافه أن قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد : فقد ابتليت بكم وابتليت بي ، وخلفت فيكم بعد صاحبي ؛ فما كان يحضرتنا باشرناه بأنفسنا ، ومهما غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة . فمن يحسن نزده حسنا ، ومن يسيئ لعاقبه ويفقر الله لنا ولكم .

كما يذكر الطبري أنه خطب الناس فقال : والذي بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات ، خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب ؛ يعني بذلك نفسه .
ويروون أنه من غرط مراقبته نفسه ، وإحساسه بما عليه من نبتات جسام ، وخوفه من الله تعالى ما وليه من أمر المسلمين سمع يقول لنفسه وهو في جوف حائط ، (أي بستان) : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، يخ يخ ! والله ، "بني الخطاب" لتقين الله ، أو ليعذبك ! .

كما روى الزهري ، عن سالم بن عبد الله عن أبيه ، أن عمر كان إذا أراد أن ينهي الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال : لأعلن أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة .

وأبلغ أبا بكر رسالته والإذن له بالرجوع بحيشه ، فقال أبو بكر : لو تخطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أبلغه بعد ذلك رسالة الأنصار بأن يول على الجيش رجلا أقدم سنا من أسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالسا فأخذ بلحية عمر وقال له : ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أزعه ! .

وكان أن انتهى الأمر بإفقاد البعث ، فذهب وحاد سائلا متضرعا خائما ، وكان هذا توفيقا من الله لخليفة رسوله ، كما كان فائحة خير للمسلمين . فإنه لو عدل الخليفة الأول عن إقفاذ ما أمر به الرسول قبل وفاته ، لكان ذلك سابقة خطيرة لها عواقبها الوييلة ، وكان فائحة لآخرين يجرءون على مخالفة بعض ما أمر به الرسول من غير تكبر عليهم من أحد .

٣ - الإحساس بالمسؤولية :

وتسير الأمور على ما ينبغي بالنسبة للأمة والدولة إذ أحس كل من أبنائها بما عليه من مسؤولية ، وبخاصة الوالي الأكبر ، وفي سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه

بأنه بما تعود من الخبز والزيت ، وأخذ
يكسر الخبز بيده ويجعله في الزيت ، ثم قال :
ويحك يا يرفأ ! احمل هذه الجفنة حتى
تأتي بها أهل بيت بشمع فأني لم آتهم منذ
ثلاثة أيام ، وأحسبهم مقفرين ، فضعها
بين أيديهم .

وبعد : تلك بعض المثل العليا ، وهي
لا تخص في تاريخ العرب والإسلام ، المثل
التي ينبغي أن تقاربها ، وفي الكلمة الآتية
تأتي ببعض آخر منها والله ولي التوفيق ؟

المكثور

محمد يوسف موسى

وكان مع رقايته الشديدة لولائه وعماله ،
وأمرهم بالإحسان إلى من تحت أيديهم ورعاية
شئونهم ، يحس تمام الإحساس أنه مسئول
عما يعمل أولئك الولاة والعمال ، ولذلك
بروى ابن سعد أنه قال : أيما عامل لي ظلم
أحدا ، فبلغتني مظلته فلم أغيرها فأنا ظلمته .
كما كان يقول : إني لأخرج أن أستعمل الرجل
وأنا أجده أقوى منه .

وحرم على نفسه اللحم والسمن عام
« الرمادة » الذي لقي منه الناس بلاء شديدا ،
فكان إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت ، إلى
أن نحروا يوما جزورا فأطعمها الناس وأنى
أن يذوق شيئا منها ، وأمر غلامه يرفأ أن

من ههنا أتفقا . . . !

رأى مالك بن دينار يوما حمامة مع غراب ، فحبب من اتفاقهما رايسا من شكل
واحد . فلما مشيا إذاهما أعرجان فقال : من ههنا أتفقا ! .

الللجام لى . . . !

قال أبو عبيدة : أجريت الخيل ، فطلع منها فرس سابق ، لجمل رجل من النظارة يكبر
ويشب من الفرح . فقال له رجل إلى جانبه : يا قتي ، هذا الفرس فرسك ؟ .

قال : لا ، ولكن للجام لى . . . !

قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ

بين القرآن الكريم وأسفار العهدين الجديد والقديم

للمؤلف الدكتور علي عبد الواحد داني

وعصمة الأنبياء ، أو مع طبيعة النظام الاجتماعي العام ؛ وقسم لم يعرض له القرآن ولكنه لا يتضمن وقائع تعارض مع أمر من هذه الأمور ؛ وقسم عرض له القرآن في صورة تختلف عن الصورة التي وردت في هذه الأسفار ، ونص القرآن صراحة على ما ورد في روايتها له من تحريف ، وقسم عرض له القرآن في صورة تختلف كذلك عن صورته في هذه الأسفار بدون أن يشير القرآن إلى روايتها له ، وقسم لا تكاد تختلف روايتها له عن رواية القرآن (١) .

وسنضرب فيما يلي مثالا لكل قسم من هذه الأقسام ، مبينين ما يجب على المسلم اعتقاده بشأنه :

١ - فن أمثلة القسم الأول ، وهو الذي لم يعرض له القرآن وينطوي على وقائع تعارض مع المعقول أو مع مقام النبوة وعصمة الأنبياء أو مع طبيعة النظام الاجتماعي

(١) قول « لا تكاد » لأنها لا تكاد تنسج على قصة من قصص الأنبياء والمرسلين تنفي رواية هذه الأسفار لها كل الاتفاق مما ما ورد بشأنها في القرآن الكريم .

ذكرنا في مقال سابق أن أسفار العهدين القديم والجديد ليست هي الكتب السماوية التي يذكر لنا القرآن أن الله أنزلها على من أرسله من الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام (١) . وإنما هي أسفار من صنع اليهود والنصارى ، وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أنهم في أسفارهم هذه قد حرفوا ما أنزل عليهم وبدلوه ، وزادوا عليه ، ونسوا حظا منه ، وأخفوا بعضه ، وحذفوا ما شاءت لهم أهواؤهم أن يحذفوه . ولم تقتصر أعمالهم هذه على العقائد والشرائع والعبادات ، بل تناولت كذلك القصص على العموم ، وقصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بوجه خاص .

هذا ، وبالموازنة بين ما ورد في أسفارهم من قصص الأنبياء والمرسلين ، وما ورد من هذه القصص في القرآن الكريم ، يتبين أن ما ورد منها في أسفارهم ينقسم خمسة أقسام : قسم لم يعرض له القرآن ، ويتضمن وقائع تعارض مع المعقول أو مع مقام النبوة

الأنبياء ، وما ورد في العهد القديم بصدد إسماعيل ونسبه إلى سارة في مبدأ أمره . فقد ورد في العهد القديم ما يفيد أنه قد جرت العادة عند قدامى المصريين حينما لا تزق الزوجة الشرعية ابناً أن تتنازل لجارية زوجها أو لجارياتها عن فراشها ابتغاء أن يأتي منها زوجها بابن يخلد ذكرى الأسرة . وأن من كانت تأتي به الجارية من ثمراته هذا الفراش كان يعد ولداً للزوجة الشرعية لا للجارية التي ولدها ، فكانت الزوجة هي أمه في نظر القانون على حين أن الجارية كانت تعتبر مجرد أداة استخدمت للإتيان به ، وأن هذا النظام قد طبق على إسماعيل الذي جاء به إبراهيم من جاريته هاجر قبل أن تزق زوجته الأصبى سارة بابنها إسحق وطبق على دان وقتالي الذين جاء بهما يعقوب من جاريته بيلها قبل أن تزق زوجته الأصبى راحيل بيوسف وبنيامين (١) .

وفيما يل نص ما ورد في سفر التكوين ، بصدد إسماعيل عليه السلام : « لم تعجب سارة زوجة إبراهيم أولاداً له . وكانت لها جارية مصرية تدعى هاجر . فقالت سارة لإبراهيم لقد جعلني الله عاقراً ، فأرجوك أن تحببني »

(١) سفر التكوين ١٦ : ١ وقرات ١ - ١٤ من ١٨ : ٣٠ .

العام ، ما ورد في العهد القديم عن قصة لوط من أن بنيه قد تأمرتا عليه فأسكرناه وتمكننا بذلك من إغرائه وهو في نشوة الخمر بالاتصال بهما ، وأنهما كانتا قصدان بذلك ألا تقطع ذريته بعد أن أهلك الله امرأته وأهل قريته جميعاً ، وأنه قد تم لها ما أرادته ، فحملت كلتاها من أبيها ، وولدت كيراهما ابناً سمته مؤاب وكان من نسله المؤابيون Moabites وولدت الصغرى ابناً سمته ابن همون وكان من نسله العمونيون Ammonites (١) .

وغنى عن البيان أن هذا القسم من القصص يجب على المسلم اعتقاد بطلانه واختلافه ؛ بل إن العقل نفسه وطبائع العمران الإنساني ومناهج النظم الاجتماعية لتحكم بريف كثير من أمثله (٢) .

٢ - ومن أمثلة القسم الثاني ، وهو الذي لم يعرض له القرآن ولكنه لا يتضمن وقائع تعارض مع المعقول أو مع طبيعة النظام الاجتماعي العام أو مع مقام النبوة وعصمة

(١) قرأت ٣٠ - ٣٩ : ١٦ ، سفر التكوين

(٢) قول « كثير من أمثله » ؛ لأن بعضها لا يتعارض مع العقل ولا مع طبائع العمران الإنساني ولكنه يتعارض مع مقام النبوة وعصمة الأنبياء . وهذا يجب على المسلم اعتقاد بطلانه لما فيه مع ما يحرره الإسلام من صفات الأنبياء والمرسلين .

فهذا القسم من القصص لا يمكن القطع باختلافه ولا ترجيح اختلافه ما لم يتم دليل على ذلك ولا بأس بقبوله ، وخاصة إذا كان ثمة أدلة أخرى تمسده كما هو الشأن فيما يتعلق بنسبة إسماعيل إلى سارة قبل أن ترزق بولدها إسمحق . فمن البحوث التاريخية يتبين لنا أن نسبة ولد الجارية إلى السيدة في حالة تنازل هذه لثلك عن فراشها كان نظاما سائدا عند قدامى العبريين .

٣ - ومن أمثلة القسم الثالث ، وهو الذي رواه القرآن في صورة تختلف عن الصورة التي روى بها في أسفار العهد القديم أو الجديد ونص القرآن صراحة على كذب روايتها له ، ما ورد في أسفار العهد الجديد بصدد صلب المسيح عليه السلام . فقد أجمعت أناجيل النصارى الأربعة على هذا الصلب وبيّنت طريقة تنفيذه ^(١) . ولكن القرآن الكريم كذب روايتهم هذه إذ يقول :
«... وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه

جلوبى ، فمضى أن يكون لي أولاد من طريقها ، ^(٢) .

فالقرآن الكريم لم يمرض لموضوع نسبة إسماعيل لسارة أو عدم نسبة إليها . وكل ما ورد من قصص إسماعيل عليه السلام في القرآن ، يتعلق بإسكان أبيه له مع أمه بواء غير ذي ذرع (آية ٣٧ من سورة إبراهيم) واشتراكه مع أبيه في بناء الكعبة (آية ١٢٧ من سورة البقرة) وعزم أبيه على ذبحه تصديقا لرؤياه وفدائه بذبح عظيم (آيات ١٠٢ - ١١١ من سورة الصافات) .

غير أن ما جاء في العهد القديم بصدد نسبة إسماعيل إلى سارة لا يتعارض مع المقول ولا مع مقام النبوة وعصمة الأنبياء ولا مع طبيعة النظام الاجتماعى العام . فمن بحوث علم الاجتماع يتبين لنا أن القرابة في المجتمعات الإنسانية تعتمد أولا وبالذات على مصطلحات يرتضيها العقل الجمعى وقواعد تختارها الشعوب ، وأن هذه المصطلحات والقواعد قد تعارض مع الوثائق الطبيعية وصلات الدم . وقد بسطنا هذه الحقيقة في كتابنا « الأسرة والمجتمع » ، وذكرنا لها شواهد كثيرة من نظم الأسرة في مختلف الشرائع وشق الشعوب .

(١) متى ، إصحاح ٢٧ ، قرات ٣٢ - ٥٦ - مرقس ، إصحاح ١٥ ، قرات ٢١ - ٤١ - لوقا ، إصحاح ٢٣ ، قرات ٢٦ - ٤٩ - يوحنا ، إصحاح ١٩ ، قرات ١٧ - ٤٢ .

(٢) لقرقى ١٩ ، ٢ ، إصحاح ٢٩ من سفر التكوين .

فغضب داود من فعله هذا الفنى ، وقال لثان
إن هذا الرجل يستحق الموت . فقال له
ثان : إنك أنت تفعل هذا الرجل ، وأخذ
يؤنبه ويتوعده بما سيحق به وبأهله من
عذاب ونكال . فاعترف داود بذنبه واستغفر
ربه وقاب إليه فغفر له . إلى آخر ما ورد
في هذا السفر .

وقد أورد القرآن قصة احتكام الخصمين
إلى داود في صورة تختلف كل الاختلاف عن
هذه الصورة ، وذلك إذ يقول : « وهل
أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب .
إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لا تنف
خصمان بنى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق
ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط .
إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي
نعجة واحدة ، فقال أكملنها وعزنى
في الخطاب . قال لقد ظلك بسؤال نعجتك
إلى نعاجه ؛ وإن كثيرا من الخطاء ليسى
بمعظم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ، وقليل ما هم ؛ وظن داود أنما
فتناه ، فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب .
فغفرنا له ذلك ؛ وإن له عندنا لزلفى وحسن
مآب ^(١) . »

وهذا القسم من القصص يجب على المسلم
رفض ما جاء منه في أسفار اليهود والنصارى

يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيرا
حكما ، ^(٢) .

٤ - ومن أمثلة القسم الرابع ، وهو
الذى رواه القرآن في صورة تختلف عن
الصورة التى روى بها في أسفار العهد القديم
أو الجديد بدون أن يشير إلى روايتها له ،
ما ورد في العهد القديم خاصة بمسلك داود
مع أوريا الحثي . فقد جاء في الإصحاحين
الحادى عشر والثانى عشر من السفر الثانى
من سفرى سموئيل : أن داود أرسل إلى قائد
جيشه يؤاب Jonab أن يضع أوريا الحثي
Urie le Héthien في أخطر منطقة في جبهة
القتال وأن يتخل منه حتى يقتل . وكان هدف
داود من ذلك أن يحصل على زوجة أوريا
الجميلة التى شغف بها حباً إذ وقع بصره عليها
وهي تسكن بينا كان هو يمشى على سطح قصره
الملكى المطل على بيتها . وقد أنفذ قائد الجيش
ما أمر به ، وهلك أوريا في الميدان ، وبني
داود على زوجه ، على الرغم من أنه كانت له
زوجات وجوار كثيرات . فأرسل الله إليه
نathan Nathan وقص عليه قصة رجلين
يملك أحدهما قطعانا كبيرة العدد من الأبقار
والنماح بينا لا يملك الآخر إلا نعجة واحدة .
وفي يوم قدم حنيف على الثغى فد يده إلى
نعجة الفقير واغتصبها منه وذبحها لضيفه .

(١) آيات ٢١ - ٢٥ من سورة ص .

(٢) آتى ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة النساء .

مصدر سرور وسعادة له والشعب ، وسيكون
تقيا ذكيا مطهرا من الرجز ، فلا يشرب
النبيذ ولا أى شراب مسكر ، وسيبعد كثيرا
من الضالين من بني إسرائيل إلى الصراط
المستقيم . فقال ذكريا للملك كيف يكون
لى غلام وامرأتى عاقرة وعجوز وقد قدمت
بى السن ١٩ وما آيتك على ذلك ؟ فقال له
الملك أنا جبريل أرسلنى الله لأبشرك بهذه
البشرى ، وهذا الأمر هين على الله ،
وإن آيتك أنك ستصاب بالبعث ، فن تكلم
الناس حتى يتم هذا الأمر ... فخرج ذكريا
على قومه من محرابه وهو لا يقوى على
الكلام ، وأخذ يرمز إليهم بالإشارة ...
وفى الشهر السادس من حمل أليصابات يوحنا
أرسل الله جبريل إلى عذراء من أقربائها اسمها
مريم لبشرها كذلك بفلام ذكى هو المسيح
عيسى بن مريم ... وأن مريم قد ذهبت إلى
بيت قريبتها فكفلها ذكريا ... ومكثت فى
بيته نحو ثلاثة أشهر ثم رجعت إلى بيتها ...
ولما بلغ يوحنا لشده أوحى الله إليه
وهو فى الصحراء أن يحب جميع البلاد
الواقعة فى نواحي الأردن لينذر الناس
ويرشدهم إلى الطريق القويم ، ويحثهم على
التوبة من خطاياهم والرجوع إلى الله ويعتصم
بفضله فى مياه النهر (ومن ثم سمي المعمدان
Jean Baptiste) ؛ وقد عمده المسيح
د البقية على صفحة ٥٦٠ ،

واعتقاد بطلانه واختلافه لتعارضه مع رواية
القرآن له . هذا إلى أن بعضه تتعارض وقائمه
كذلك مع مقام النبوة وحكمة الأنبياء ، كما
هو الشأن فى القصة التى ضربناها مثالا لهذا
القسم وهى قصة داود مع أوريا الحثي . ولذلك
كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول :
« من حدث بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلده مائة وستين جلدة » . أى ضعف
حد القذف المادى ؛ لأنه قذف لنبى . وقد
ذى بعض المفسرين ذللا كبيرا إذ حاول
تفسير هذه القصة فى القرآن على نحو يتفق
مع روايتها فى الإسرائيليات ، فتصنف كل
التصنف فى تأويل الآيات ، وحمل عباراتها
العربية الواضحة ما لا تحتمله من مدلول .

٥ - ومن أمثلة القسم الأخير ، وهو
الذى لا تكاد تختلف رواية أسفار اليهود
أو النصارى له عن رواية القرآن ، ما جاء
فى أسفار العهد الجديد خاصة بيوحنا المعمدان
(يحيى بن ذكريا عليهما السلام ^(١)) . فقد
ذكرت أناجيل النصارى أن الله قد أرسل
الملك إلى ذكريا لبشره بأن الله قد استجاب
دعائه ، وأن امرأته أليصابات ستلد له غلاما
اسمه يوحنا (يحيى) ، وأن هذا الاسم لم يسم
به أحد من قبل فى أسرته ، وأنه سيكون

(١) انظر تحقيقا لغويا لاسم يوحنا ويحيى فى
عدد ربيع الأول ١٣٧٩ ص ٢٧٤ .

النحو الجديد

للاستاذ على المارنى

— ٢ —

وبعد ذلك تأتي مرحلة التطبيق على مثل هذا الأصل .

والأمر كذلك في النحو : فالنحويون ينظرون في نوح من الأسماء ورد عن العرب بصور مختلفة ، ويريدون أن يخرجوه حسب مصطلحاتهم ، فيقول فريق مثلاً في (هذا أبوك) : أبوك مرفوع وعلامة رفعه الواو ، ويقول آخرون : بل الضمة المندوفة ، ويقول فريق ثالث : بل الضمة والواو معا ، وهم بذلك يضمنون تخريجات من عند أنفسهم ، ولكن عندما يقولون : إذا اجتمع شرط وقسم وجب حذف جواب التأخر منهما ، إنما يضمنون أصلاً من الأصول التي يستندون في وضعها على استقراء كلام العرب ، والشواهد بعد ذلك هي التطبيق .

وهناك أصول عامة كتأصيلهم للطرد والناذ ، والراجع والمرجوح ، والقوى

يجب عند النظر في العلوم التي دونها القديما ومحاولة تبين ما فيها من صحة أو خطأ أن نفرق بين أمور : —

المصطلحات التي يحاول بها العلماء أن يوضحوا مسائل العلم بما تقتضيه الصناعة ، والأصول التي يضمنونها بناء على الاستقراء والتتبع ، ثم التطبيق على هذه الأصول ، فثلاً عند ما ينظر علماء البيان في التشبيه فيجعلون منه تشبيهاً خيالياً وتعبيراً وهمياً إنما يضمنون أسماء من حذم لها مناسبتها في نظرهم .
ليبروا بين الأقسام ونستطيع أن نقول : إن هذه السمكيات من أوضاعهم ، ولا دخل للاستقراء فيها ، ولكن عندما يقولون : إن الكلمة عند الاستعمال إما أن يراد بها تمام معناها الذي وضعت له ، وإما جزء هذا المعنى ، وإما لازمه ، إنما يستندون إلى تتبع كلام العرب ، ومعركة طرق استعمالهم

ثم نعود إلى القصد فنقول : إن النحويين لم يقولوا هذا مطرد وهذا شاذ ، وهذا راجح وهذا مرجوح مجرد مضغ الكلام ، وإنما بحثوا واستقروا ، فلو أردنا أن نحاسبهم لا يكفي أن نقول : إن هذا من مقرراتهم ، وإنما علينا أن نبحث الأساس الذي بنوا عليه هذا التفريق فسموا نوعاً من الكلام مطرداً ونوعاً شاذاً ، وسموا نوعاً قليلاً ونوعاً كثيراً . . . وهكذا .

ولذلك عجبنا من قول صاحب (النحو المنهجي) : « وإذا اختلف المتقدمون أخذنا من رأيهم بالأيسر غير ناظرين إلى مدرسة بذاتها أو إلى نحوى بعينه أو إلى راجح ومرجوح أو إلى قوى وضعيف أو إلى مشهور وغير مشهور أو إلى مطرد وشاذ ؛ لأن هذا كله ليس إلا من مقررات النحويين أنفسهم . »

فهل ظن أن مجرد قوله : إن هذا ليس إلا من مقررات النحويين يكفي في طرح ماسمونه شاذاً أو ضعيفاً ؟ وهل يرى أنه كلام بعيد عن النظر العلمى الصحيح ؟ لو كان الأمر كذلك - وهو إنما يحتج لما يأخذ وينقد ما يدع - كان عليه أن يناقش الأصول التى بنوا عليها . والمؤلف يعرف أن أكثر الشواهد فى نحو الكوفيين ، وهو - كما يقول - لا يتخرج من الأخذ بأى شيء منه إذا كان فيه التيسير الذى

والضعيف . فإذا أردنا أن نقضب على ممارفهم كان سيلنا فى الأمر الأول أن نقاض تخريجاتهم بتخريجات أخرى زاهما ، ونستطيع أن نقول حينئذ أن هذا من كلام النحويين أنفسهم ، ولكن عندما تعرض للأمر الثانى لا ينبغي أن نقف عند قولنا (هذا من مقررات النحويين) بل يجب أن نخطو خطوة أخرى ، فنناقش الأساس الذى بنوا عليها هذا الأصل أو ذاك ، فإذا كنا أكثر إحصافاً ، وجب علينا أن نتقرب من الحق نظرنا فى الكلام العربى الذى فطرنا فيه وأخذوا منه ، فإذا تبين لنا صدق استقراءهم وقصا عندما وقفوا . وإذا بان لنا أن استقراءهم ناقص أتممنا فى غير جملة ولا تبجح ما فاتهم ، ولعل من حق أن أبادرنا فاقول : إن كل الذين قدوا علماء النحو وعلماء البلاغة لم يستندوا فى تقديم إلى إطالة النظر فى كلام العرب ، حتى يستخرجوا منه غير ما قال هؤلاء العلماء ، وإنما اكتفى المحدثون بالشواهد التى ذكرها النحويون والبيانىون ولم يتعدوها ؛ ثم راحوا يقولون : إنهم قصروا وخطئوا ، فثلاً بعض المعقبين على النحاة يقول إن النحاة خصوا اجتماع حرف النداء وأل بالضرورة ، والنحويون غلطون . ثم لا يميثون بشاهد واحد غير الشواهد التى ذكرها النحاة ، والتى تمسك بها الكوفيون فأجزوا هذا الأسلوب

التفسيرية لكتاب تحرير النحو - بأن الذين قالوا ببعض هذا من عليهم شعر كثير منحول ، وبأنهم أخذوا عن أعراب لانحار عربيتهم وفسدت ألسنتهم ، فجاء نحوهم مترفاً وبأن القائلين بهذه الشواذ كانوا يحتجون بالشاهد غير المؤلف ، وبالشاهد الواحد ، وبالشاهد المجهول قائله .

ولو أن المؤلف أراد أن يضم لفقه ، ويسهل على المتعلمين الناشئين لقال : إنني سأخذ بالشاذ والضعيف والنادر إذا رأيت أن طريق نبوته لا شبهة في محنته ، وما كان ينبغي أن يبالغ في التسهيل على المتعلمين أن تعطى لهم القاعدة ونحن نعلم أنها لم تكن على أصل صحيح أو على الأقل لم تؤيد بدليل مقبول عندنا ولا عند العلماء الغير على العربية من قبلنا . ولا شك أن المؤلف يعرف أن الكوفة تأخرت عن البصرة في النظر النحوي ، وأنها لذلك ارتكبت السهل والوعر لتنافس البصرة فجاء نحوها كما وصفه العلماء ، ولست أريد بذلك أن ألقي نحو الكوفة ، ولكني أذهب إلى أن تقتنع أولاً بصحة ما جاءنا من قواعد قبل أن تقدم على الأخذ به ، وبالتالي حمل المتعلمين عليه .

والسير في هذا الاتجاه حل أصحاب تحرير النحو على أمور أبعد ما تكون عن القبول ، فمثلاً رأوا بعض النحاة يقول : بأن العلمية

بنشده ، ومع ذلك فقد ساق ما عاب به الأقدمون المذهب الكوفي ولم يدافع عنه بكلمة واحدة ، قال : : أما الكوفة فقد وقعت شمال العراق فهي بعيدة عن البادية ، ولذلك قل نزوح الأعراب الذين صحت لهجاتهم وغلطت لغاتهم إليها ، وهؤلاء القليلون اختلطوا كثيراً بأهل السواد والنبط فتأثرت ألسنتهم ولم يستطيعوا أن يميزوا شعر المنحول ، فدرس عليهم شعر كثير منحول .

ولأن الأعراب فيها لغة لانت عربيتهم ، وفسدت ألسنتهم فجاء نحوهم مترفاً حضرياً ، أما الكوفيون فإنهم اختلطوا بكل ما روى لهم من شعر ، ولم يكلفوا أنفسهم عناء التأويل ، واستنبطوا القواعد من ظاهر الكلام ، وأباحوا تقليد كل ما روى عن العرب مهما تعددت القواعد ، وطعن في الشعر الذي روى لم بأنه غير موثوق برواية راويه ، وبأنه منحول ، فهم احتجوا بالشاهد غير المؤلف وبالشاهد الواحد ، وبالشاهد المجهول قائله ، وقالوا كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقس عليه .

ومعنى هذا الصنيع أن المؤلف يقول بصراحة تامة : : إننا سنأخذ بالشاذ والضعيف ، والنادر والمرجوح ، مع إيماننا - ولا ننس - ما قلته لك من أن هذا الكتاب كالمذكورة

أن الحديث مكذبا - كما ورد في صحيح البخارى .
وكا رواه الزوار - : « إن فة ملائكة يتعاقبون
فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » .
وهذه اللفظة التي خرجوا عليها بعض آى
القرآن ، وذكروها في كتاب تحرير النحو ،
يقول فيها صاحب النحو المنهجى : « لفة
يتعاقبون فيكم ملائكة شائفة في العامية
المصرية ، ومع ذلك فنحن لا نحب أن يعلها
التلاميذ ، ويستعملوها في كتاباتهم . وقد
سقنا هنا لجرد الاستشهاد وتعزيز الرأى » .

ومن ذلك قولهم : إن المستد إليه إذا كان
جمع تكسير أو جمع مؤنث سالما لغير العقلاء
جلا أن تراعى فيه المطابقة وأن يكون مفردا
مؤنثا فيقال : الرجال قوامون على أولادهم
أو يقومون أو قوامه أو تقوم ، والنساء
رحيات أو يرحمن أو راحة ، فيدعون للتليذ
أن يقول : الرجال قائمة ، والنساء راحة .
وهذا وإن كان ورد في كتب النحو - ولكنه
غير الأكثر على كل حال . ونحن - باعترافهم
لا نريد أن نبيل أذهان التلاميذ في هذا
الدور المبكر .

ولو أن نيسر النحو اتجه إلى الأخذ
- دائما - بالمنصب الراجع لكان في ذلك
غناء أى غناء ، ولتخرج التليذ من المرحلة
الثانوية وهو يعرف التهج الذى يسير عليه
أفصح الكلام في لفته ، أما تتبع المذاهب

كافية وحدها في منع الصرف ، فقالوا : « ذلك
في كل علم أن تمنعه من الصرف اختيارا لا
اضطرارا » دون نظر إلى ما ورد عليه أكثر
الكلام وأفصح ، فكيف يصنع التليذ الذى
دوس هذه القاعدة حين ينظر في القرآن
الكريم ، فلا يجد فيه علما واحدا منع من
الصرف إلا الأنواع الخاصة التى نوه بها علماء
النحو ؟ وكيف يصنع إذا قرأ أكثر الجيد
من الشعر والنثر فلم يجد أكثر الأعلام
إلا مصروقة ؟ .

وحلمهم على أن يخرجوا بعض آى القرآن
على لغات ضعيفة ، فقد جعلوا قوله تعالى :
« وأسروا النجوى الذين ظلموا » من باب
قاما الرجلان ، وهى اللفظة التى يعبر عنها
التحويرين بلفظة (أكلون البراغيث) . وإن
كان صاحب النحو المنهجى سماها لفة (يتعاقبون
فيكم ملائكة) ثم ساق أصحاب تحرير النحو
هذا الحديث شاهدا على هذه اللفظة ، ومن
عجب أن بعض العلماء حين يريدون أن يؤيدوا
رأيا لا يبالون في سبيل ذلك شيئا ، ولا
يحبون أن يتقصروا بتحقيقات العلماء قبلهم
إذا كان هذا التحقيق لا يتفق مع وجهة
نظرم .

فهذا الحديث الذى جعلوه عنوانا على هذه
اللفظة ، قصته معروفة فقد ساقه ابن مالك دليلا
على هذه اللفظة ثم جاء العلماء من بعده فأنبتوا

للاخذ بالأمر منها ، فهذا إبعاد الطالب عن النهج السليم في اللغة ، وحسبنا من الضرر أن يخرج التليذ وفي ذهنه صورة للغة غير الصورة التي كان عليها الأكثر من أصحابها ، وليس من شك في أن التليذ الذي استقر في ذهنه هذا المنهج الذي يتضمن الضعيف والشاذ ، يتنكر لما يراه من أساليب جرت على القوي والمطرّد ، ولقد يكون من الصير أن تزع من نفسه أن الذي استقر فيها إنما هو أضعف الأساليب ، وبذلك تخرج جيلا من المتعلمين يتعصبون في بعض أساليب اللغة لما كان يجب أن يعرفوا مكانة الحق منها ، أما إذا عكس الأمر فلم تقدم للتعليم إلا الراجح والمطرّد فلا يضيره ولا يغير اللغة أن يجهل المرجوح والشاذ ، ولا يكون من الخطأ أن يتعصب لهذا الذي تلقاه إبان الحداثة .

ولقد كتب الأستاذ الزيات منذ ثلاثين سنة يقترح أن يوحد النحو ، أو بمعنى آخر أرى أن يقتصر في التدريس للطلاب على الرأي الراجح حتى لا يقع المبتدئون في فوضى الآراء والأقوال ، وذكر أن النحويين أغرقوا القواعد في الشواذ ، وأضدوا الأحكام بالاستثناء ، حتى ندر أن نستقيم لهم قاعدة أو يطرد لهم قياس . ثم قال : ونحن اليوم وقبل اليوم إنما نستعمل لغة واحدة ، فلماذا لا نجرد من النحو

القواعد الثابتة التي تحفظ هذه اللغة ، وتقوم تلك اللهجة ؛ ونضع ذلك العلم والرّم لمؤرسي الأدب ، وفقهاء اللغة وطلاب القديم على ألا يطبقوه على الحاضر ولا يستعملوه في النقد ، ثم وصف الذين يتعلقون بالشواذ من اللغة بقوله : « يقعد بهم تخلف الذهن ، وضعف الملكة وكمال الذوق عند هذه البقايا الأثرية ينبشون عنها قبور البلى ثم يثرونها كالشوك في طريق الأدباء الموهوبين ويتبجحون . فان هذا القوم هو اللغة ، فهل يريد أصحاب تحرير النحو أن نتمكن هذه العيوب التي طابها الأستاذ الزيات في آحاد الناس ، أن نتمكنها بطريقة رسمية في أذهان الآلاف المؤلفة من أبنائنا حتى يثروها كالشوك في طريق الأدباء . »

عجب من هذا وعجبت كذلك من تربيته في كتابه (النحو المنهجي) إن الإحزاب والبناء والنواصب والجوازم لم تكن معروفة عند العرب . قال في صفحة ٤٥ : « وأصحاب اللغة أنفسهم ، لم يفكروا في إحزاب ولا بناء ، ولكنهم نطقوا بألفاظ الضمائر كما وصلت إلينا واستعملوها استعمالا صحيحا . » وقال في صفحة ٤٦ : « وأهم النحاة بالعوامل اهتماما كبيرا ، وقسموا أبواب النحو متأثرين بهذه العوامل ، مع أن العرب كانت لا تعرف رافعا ولا ناصبا ولا جازما ، ولكنها كانت

الغة ، ومن قال بأنه يلزم في أى صلم أو فن
أن يكون الدين تدرس لغتهم أو آدابهم
طرفين بمصطلحات العلماء التي يتراحمون عليها
صند تدوين العلم ؟ وهل نحن غخطون حين
نقول إن الشعر العربي غنائى ، لأن العرب
لم يكونوا يعرفون معنى (شعر غنائى) ،
وهل نحن غخطون حين نقول : إن الاستعارة
والكناية وردتا في الشعر الإغريق القديم
وفي الشعر الجاهل لأن هؤلاء هؤلاء
لا يعرفون كلمة استعارة وكناية ، وإذا كان
العرب لم يعرفوا ناصباً ولا جازماً فهل بمنعنا
ذلك أن نقول : إن نواصب الفعل المضارع
في لغة العرب هي كيت وكيت ؟

على أننا حين تتبع أخبار العرب نجد أنهم
كانوا يدركون في بعض الأحيان معاني بعض
المصطلحات ، قال ابن جني : سألت يوماً
أبا عبد الله محمد بن العباس العقيلي الجوزي
القيسي ، فقلت له : كيف تقول ضربت
أخوك ، فقال أقول ضربت أخاك فأدركته
على الرفع فأبى ، وقال لا أقول أخوك أبداً ،
قلت فكيف تقول ضربني أخوك ، فرفع ،
قلت أليس زعمت أنك لا تقول أخوك
أبداً ؟ فقال : إيش هذا ؟ ، اختلفت جهتا
الكلام . قال ابن جني بعد ذلك فهل هذا إلا
أدل شيء على تأملهم مواقع الكلام ،
وإعطائهم إياه في كل موضع حقه وحسنه

تتكلم بالسليقة فترفع وتنصب وتجرم وتجر
من غير أن تعرف أن عاملاً لفظياً أو معنوياً
أثر فظهر أثره في أواخر الكلمات المعربة .
وقال في ص ٧٧ : « ولكن النحاة يفرضون
لكل جار ومجرور ولكل ظرف متعلقاً من
فعل أو مفتوح فيشكلون ذلك من غير حاجة
إليه ، مع أن العرب لفظوا بمثل هذه
المبارات وفهموا المراد منها فهماً صحيحاً سليماً
من غير حاجة إلى تقدير متعلق ، وقال في
ص ٧٥ : « والعرب - كما قلنا من قبل -
لفظوا بأساليبهم معربة صحيحة جارية على
النهج الذي اعتادوا أن ينطقوه ، فلم يقندوا
أن حركة قامت مقام حركة أو أن حرفاً
ناب عن حركة ، ولكنهم تكلموا
فأفهموا . وكفى . »

ولا أريد أن أعرض هنا لحديثه عن العامل
ولا عن متعلق الجار والمجرور والظرف ،
لذلك موضعه من هذا البحث ، وإنما أريد
أن أعقب على تشبته بالنص على أن العرب
لم يكونوا يعرفون هذه المصطلحات النحوية
وكأنه يريد أن يصل من ذلك إلى أنها لا تمنينا
ولا قيمة لها ، وأن اللغة واضحة بدونها ،
وهو أمر غريب حقاً ، فهذه المصطلحات إنما
وضعها النحاة لتكون أصلاً على مظاهر
تري في اللغة ، وبهذا يمكن ضبط القواعد
والوصول إلى الطريق التي سلكها واضعو

كتابي فاحتقرها . فقلت له : أتقول جاءته كتابي ؟ قال : نعم ، أليس بصحيفة ؟
فهذا أعرابي يحتاج ثأنيك المذكر ، فهو يفرق بين التذكير والتأنيث ، ويعرف أن لكل مواضع ، بل ويعرف أن المذكر قد يؤنث إذا أريد به لفظ مؤنث ، فهل نصر بصد ذلك على أن ترد مصطلحات التحويل لأن العرب لم يعرفوها ، والنحاة إنما استخرجوها من كلامهم ، ومن أخبارهم أحيانا ؟

البقية في الجزء للتادم **علي العمارة**

من الإعراب من ميزة وعلى بصيرة ، وأنه ليس استرسالا ولا ترجيا . وبعبيرنا أليس كان هذا العربي يدرك الفرق بين الرفع والنصب وأن لكل منهما موصفا ، فإذا جاء التحوين وقالوا إن العرب ترفع وتنصب بناء على هذا الأسلوب وما أشبهه نقول إن العرب لم تكن تعرف ناصبا ولا هازما ولا جاريا ، وعلى ذلك فنحن في حل من طرح كلام التحويلين ؟

وحكى الأصمعي عن أبي عمرو قال : سمعت رجلا من اليمن يقول فلان لغوب ، جاءته

• باقى مقال قصص القرآن المنشور فى صفحة ٥٥٣ •

وفى اتفاق رواية الأسفار لهذا القسم من القصص مع رواية القرآن الكريم دليل على أن مؤلفها قد توخا كثيرا من الدقة فى نقلها عن كتبهم المنزلة أو فى قص ما شاهدوه من وقائعها . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أنهم لم يجدوا فيها استحدثوه من عقائد وشرائع وعبادات ما يدعوهم إلى تحريف هذا القسم من القصص فلم من جامع أهوائهم ونجا من ذيف التبديل .

دكتور على عبد الواسع داني

نفسه ... إلى آخر ما جاء فى هذه القصة (١) .
فبالموازنة بين هذه الرواية وما ورد فى الآيات الثلاث والثلاثين الأولى من سورة مريم والآيات ٣٣ - ٦٠ من سورة آل عمران بشأن قصة ذكريا ويحيى : يتبين أن رواية الأناجيل لهذه القصة لا تختلف عن رواية القرآن لها إلا فى أمور قليلة كتحديد المدة التى ظل ذكريا فى أثنائها عاجزا عن الكلام ، فالقرآن يحدد بثلاثة أيام على حين أن الأناجيل تذكر أنها « تمتد حتى يتم هذا الأمر » .

(١) انظر الاسماء الحات الثلاثة الأولى من إنجيل لوقا .

الأزهر منذ أربعين سنة

للأستاذ محمد علي غريب

- ٢ -

أقدما في طلاب زهات جميلة إلى الأحياء
التي توجب عليك أن ترفع رأسك وتميل به
إلى الورداء حتى تتوشك أن تسقط ، في سبيل
أن ترى رموس منازلها . وهذه الحال
الفاخرة التي تعرض ما فيها بوسائل مثيرة ،
وقد كنا نتكع حول واجهاتها دون أن
نشتري شيئا .

والناس يبيعون ويروحون ، وهم يثرون
حول مشاكل الحياة المعقدة ، وكأن مداركهم
تهبط كثيراً عن مستوى أطعامهم ،
فهم يشقون هذا التناقض المرعب ، ويذلون
غاية جهدهم في أن تصبح الرغبات المجنونة
حقائق واقعة ! .

ونحن نحن - الأزهرين - الذين نحمل حل
أجسادنا من الثياب ما يميزنا عن سوانا ...
نمضي في الطرقات بغير هدف سوى الفرجة
على كل ما هو جديد طريف ، والناس
ينظرون إلينا وفيهم من يقيم ، وفيهم
من ينكر على هذه الأسماك الضالة أن تغادر
محيطها الأزهرى لتسبح في الوديان المزدهرة ! .

اقرب اليوم المشهود ، يوم الامتحان في
نصف القرآن الكريم ... جمل يقترب مني
في تودة وتمهل ، كما لو أنه مكلف بتعذبي ،
أو لعل الأمر كان كذلك ؛ لأنني رحت
أحس في لفظة وخوف ، دقاته وساعاته .
ولم يكن أحد يدري ما أعانيه من هم وقلق ،
فقد حرصت على أن أشرب وحدي كأس
السم ، ولن يحفل التاريخ باسمي كما حفل
باسم (سقراط) فإن هناك فرقا ضئيلا بين
صاحبى الاثنين ... سقراط جرّع السم دفاعا
عن رأيه ، وأنا أجرعه دفاعا عن بلادتي
ونحول ذهني ! .

والامتحان معناه أنني واسب فيه لا محالة ،
ويقتضى ذلك أن أعود إلى القرية لأشرب
من ترابها الذي يملأ في وأني ، وهو الكحل
الأسود الذي تحشى به العينان في كل وقت ،
وسيتبدد الحلم المشرق باسم الذي عشت فيه
طوال هذه الفترة .

إن القاهرة مدغم أننا نعيش في حق فقير -
حولة ضاحكة . وفي كل يوم كنا نحرك

صاحبة ، ومد أحدهم يده إلى الأرض فالتقط
(الطربوش) ومسح التراب الذى علق به
بطرف كفه ثم أعطاه للرجل فوضه فوق
رأسه وسار بغير وقار وبغير هبة .

ومحكننا من قلوبنا حين سمعنا رواية زميلنا
الذى كان قد تخلف وراءنا . . . هل نعرف
معنى الضحك من القلب ؟ معناه الحياة كلها .
للقوة الدافعة التى لا يداخلها زيف ولا وهم ،
ومن اليوم نضحك . وتكاد قهقهاتنا تملو
على نسخة الطريق ولكننا نضحك من شغافنا
وقلوبنا راكدة ركود الرمال الميتة .

وفي مساء الخميس نعرف أننا سنذهب فى
رحلة إلى الهرم . وقد تكلموا جيباً أمر
المسافة يتناوب بين هذه الكومة من الحجارة .
وخيل إلى أن الهرم ربما كان فى جوف قمامرة
ومع ذلك فإني لم أخرج لرؤيته كثيراً . فإني
عشت قرابة عامين فى مدينة الأنصر . أحاول
فى مدرسة أولية أن أحفظ القرآن الكريم ،
وشهدت هناك أكثر الآثار التى تنطق بمرارة
غيبية هذا الشعب الذى ولد التاريخ على شاطئه .
نيله العظيم .

أيمكن أن تكون هذه الخوالد وجدت منذ
آلاف السنين ؟ لقد حدث هذا فعلاً ، فالطلاء
الذى يكسو هذا الجدار يتعرض للشمس
منذ آلاف السنين . لم يغير وجهها المحرق منه
شيئاً ، وتنتظر إليه فتوق أنه صنع منذ أيام .

وكنا لانتم بهذه النظرات التى تفهم
معانيها جيداً . إذ أن الفقر والمظهر الدينى
أورثانا كبرياء خليقة بأن تغمض عيون
هؤلاء الفضولين ، وما شأنهم بنا ؟
وما شأننا بهم ؟ إلتنا نبغى التزعة ، وهى
كما يقول مفكر فرنسى نسبت اسمه (أول
المذات الثقافة) وربما قصدنا - دون أن
نلم - إلى الدراسة والتأمل . فأكثرنا قادم
من القرية التى يستطيع وهو نائم أن يحصى
جميع مشاهدا دون أن يحصى ، وليس له
عهد بهذه المباحج التى تقدمها الحضارة .

ونعود فى النهاية إلى منازلنا مسرودين ،
كما لو أننا ابتعنا كل ما تحويه المحال التجارية
من سلع . ونكون قد تعبنا من السير على
الأقدام ، فنحس حين نجلس على الفراش
ثقوة ومثقة ، ويضحك أحدنا لمشهد رآه
وحده ، ونروح نسأله : هم يضحك ؟ .

ويحدثنا الزميل عن الرجل الوقور الذى
كان يسير فى الطريق . وهيبته تفسح له مسالك
قدميه ، وإذا بشاب أحرق ، راح يطرح
ذراعيه فى الهواء طابثاً مع رفيق له ، فيسقط
(طربوش) الرجل الوقور على الأرض ،
فلا يملك إلا أن يقف كالصنم . وقد جرى
الشاب الأحرق وطاب فى الزحام ، وتبدد
الوقار وذالت الهيبة ، وتجمع الناس وقد
دخلوا قليلاً ، ثم انفجروا بعد ذلك فى ضحكات

التفتيش ، ولو أنني كنت أحفظ القرآن الكريم في ذلك الوقت كما أنزله الله وامتنحت فيه ما فطقت بحرف ...

وأيضاً هو اللسان الذي يستطيع أن يؤلف من الحروف كلمات ... أين لسانى ؟ أترانى ولدت بدونى ؟ فقد غمرنى الخوف وهدى كيانى وراح ألقى الأذى بلسانى عن حقيقة الأمر ولا أدري حتى هذه الساعة كيف أمكننى أن أعترف له بأننى لا أحفظ شيئاً .

وقال لى أخى ، وهو يحاول أن يسرى عنى . إنه لا بأس على من ذلك ، فإن الشيخ توفيق البشتى أحد مشاهير العلماء . سيكون معى أو أنه سيخاطب أعضاء لجنة الامتحان في أن يكتبوا قرارهم بنجاحى .

ولم أكن مطمئناً كثيراً إلى جدوى هذا ولكننى أحسست كما لو أن الفيد الذى يضغط على قدمى قد تحطم وبقيت على القلب غاشية من الخوف والاضطراب .

وكان الشيخ توفيق البشتى - رحمه الله - من ذوى الأقدار الرفيعة في محيطنا الأزهرى وهو من بلدة قريبة من بلدتنا ، ووالدى يعرفه ، فهما أخوان في الطريق الخلقى . وأبائهما الروحى فضيلة السيد الجليل أبو الوفاء الشرقاوى .

وكان اسم الشيخ توفيق البشتى يحدث دويماً في الأزهر . فهو صاحب شخصية قوية عتيقة ،

وهذه روسيا التى يكاد يسجد الغافلون بين يدي علماؤها العباقرة ، وظهرت حقوق الناس جميعاً بما ابتدعه من محترقات منحلة وصلت بها إلى القمر ، ما تزال فيها جثة (لينين) يعاد تحنيطها كل عام . وأجدادنا الذين لم يفتوا الذرة . عرفوا سر التحنيط منذ آلاف السنين .

ومع ذلك فإن هذا الشعب لم يسترح سنوات . من أهوال الغزو والاستعمار ، وكلما دخلت فيه أمة طردتها أمة أخرى . فكان من المؤكد أن يفقد هذا الشعب قدرته على الإبداع في صنع الحضارة والمدنية ، ولا يبقى لنا من هذا الماضي المجيد الرائع سوى الذكريات .

وسألت في خجل واستحياء عما إذا كان الحرم بعيداً عنا أم قريباً ؟ فقالوا : إنها (فركة كعب) ولم أكن أتق كثيراً في أهوال هؤلاء الزملاء الذين فرضوا العذاب على أنفسهم ليندخروا ملهات قليلة ، ولكننى لم أكن أحسب أن (فركة الكعب) هذه تبلغ ثلاثة عشر كيلو متراً .

وفي صباح يوم السبت جاء الامتحان ، وأكاد أذكر أحداث التفاصيل عن هذه المحطات التى مرت في منذ أكثر من أربعين عاماً . فما أن تهبأت للخروج من المنزل حتى حسبتى متهاً بريئاً يقاد إلى مجلس محاكم

أن منظر هذه المأهولة شغلتني عن التفكير في
مأساق ، فجعلت أحلق فيها وفي صاحبها ،
ولم أعد أهتم بشيء آخر .

وقال أحد الشيخين ، ولا بد أنه كان يواصل
حديثاً جرى من قبل أن أحضر :

- طيب ... نسأله عما يحفظه ... ربما كان
يحفظ فاتحة الكتاب ! .

واندفعت في تلاوة الفاتحة ، فضحك الشيخوخ
الثلاثة ضحكاً عالياً متصلاً ، وأحسست الحجل
يتأني فسكت ، وقال الشيخ توفيق :

- إنه يحفظ من القرآن الكريم أكثر مما
يحفظ ! .

وضحك الشيخوخ مرة أخرى ...

ونجحت ...

ولم أحس حلاوة النجاح حينذاك ، ولست
أدرى لماذا ؟ ولست أعتقد أنها كانت مسألة
ضمير يثور على هذا الزحف ، وربما كان
لجلال الأزهر وهيبته وسموه في نفسي أثر
واضح في حيرتي أمام هذا النجاح ؛ إذ أنني
كنت في هذه الأيام أنظر إلى الحياة من
الجانب الديني وحده ، وكنت متأثراً في هذا
بوالدي الذي أدبني ذلك الأدب .

وبقيت أياماً ، يحل بعدها يوم
الدراسة ، ولم أكن قد اشتريت الكتب
المقررة ، ولم أحتج إلى شرائها فلما كانت عند
أخي ، وقد أعطانها ، وكانت كثيرة العدد

وعندما كان طالبا في الأزهر جرت بينه وبين
المرحوم الشيخ أحمد نصر الذي أصبح فيما
بعد عضو هيئة كبار العلماء خصومة شديدة
عرفها الأزهريون جميعاً وتحدثوا بها كثيراً .

ويوم امتحن الشيخ توفيق البتشي في شهادة
العالمية كان الشيخ أحمد نصر عضواً في لجنة
الامتحان ، وجعل يفتش له بهذه الروح
الأزهرية القديمة عن الممليات والطلاسم ،
وأحسن بقية أعضاء اللجنة أن زميلهم الشيخ
أحمد نصر يريد أن يفتس الطالب فتقاوموه
وكان أن فاز الشيخ توفيق البتشي بشهادة
العالمية وعندئذ قال له كلمته المشهورة .

- استوت الروس يا أبا نصر ! .

أي أن كليهما أصبح طالماً ...

وأعود إلى امتحاني أنا .

كان يقف في مبنى مشيخة القسم الأول في
شارع التبانة ، وما زلت أرى بوضوح كيف
كان المشهد ... لقد دخلت في باب واسع إلى
فناء مظلم ، ثم ارتقيت بضع درجات من سلم
يفضي إلى ردهة ، جلس فيها على مقاعد من
(القش) ثلاثة شبوخ أحدهم الشيخ البتشي
والآخران هما عضوا اللجنة ، ولست أذكر
الآن اسميهما ولا ملامح وجهيهما ، ولكنني
أذكر أنهما كانا يذخران ، وعلى كرسي بينهما
ثلاثة أقفاص من الشاي . وكان أحدهما يحمل
فوق رأسه عمامة ضخمة ، والمجيب في الأمر

عنهم أنه غاضب عليهم . فهو لا يغضب قط ،
ولكننا كنا نبغضهم من صميم قلوبنا . فهؤلاء
الخصوم كانوا من القسوة والفظافة بحيث
جردهم من ثيابه ودقوه في الثلج الذي يتوج
مشارف الجبال في اليونان ...

الثلج ! قم غير حائث إتي في ذلك الوقت
ما عرفت الثلج ولا رأيت ، ولكنني كنت
أنجيل برودته ، وأنا أدرك اليوم لماذا جن
هذا المسكين ...

والعجيب في الأمر أنه كان يضحك وهو
يقص علينا نأ هذا الفاجعة ، ثم يمسك بمود
أخضر من شجرة صغيرة على مقربة من المقعد
الحشي الذي تجلس فوقه ، فيقصه بأسنانه ،
ويخلد إلى الصمت حتى يجيل إلينا أنه لا يحس
منا وجوداً .

وهناك في الحديقة أوفاد كثيرون ...
أطفال أشقياء ، وشبان رقباء ، وكهول
مخفاه . يتجمعون من حولنا ويسبون الرجل
سبا قبيحا ، حتى إنهم ليعيدونه مجنونه ، وهو
يخلق فيهم وفي الفضاء ، ثم ينكس رأسه
وتدفع عيناه .

وكان هذا المنظر المصون الأليم يشهد
الضحك في نفوس أولئك الجهلاء ، وقد
تمتد إليه أيديهم فيروته وقد يطموته ،
وهو لا يقوى على أن يصنع شيئاً
إلا أن يبكى .

في الفقه والنحو والتوحيد والأخلاق والخط
والإملاء ، وكتب أخرى لا أذكرها .

وكنت أجلس في المنزل وأتناول كتاباً
منها وأقرأ فيه فلا أكاد أنهم منه هيناً ، فإذا
علموني من جهلي الضيق والهم . انفتحت مع
ذميل لي على أن نذهب إلى حديقة قصر النيل
وهناك كنا نجلس على مقاعد خشبية ونطلع
إلى وجوه المتزعمين والمتزهمات .

وفي هذا المتزه المشرق الضاحك ، كن
يستحيل على الواحد منا ألا يحسب نفسه
شاعراً ، وهو بطلع إلى الأغصان وإلى الزمور
وإلى الأحليار ، وفي ذلك الحين ، حاولت
جداً أن أنظم شعراً غلبت ، وربما ترجع
كراهيتي للشعر إلى هذه الحنية ، فأنا لا أطيق
أن أقرأ قصيدة بأكلها صدا بعض الشعراء
القديما ، ولا أحفظ من الشعر إلا عشرات
الآيات ...

وكنا نلتقي في هذا المتزه بفيلسوف عظيم
لعله من اليونان ... أى أنه دون ريب من
أحفاد أفلاطون ، وكان الناس يعدونه مجنوناً
لأنه يحمل ثيابه ويدع شعر رأسه يتطاير في
المهواء ، وكثيراً ما يحدث نفسه بصوت
مرتفع ، ولكننا مع ذلك كنا نأنس إليه ،
ونستطيب مجلسه .

كان يحدثنا عن خصوم له في (الآثينا)
- هكذا كان ينطقها - ولم يكن يدوم حديثه

كل المالكية يهتمون بالجلود والتأخر ،
والشافعية يرمون بالفظة والبلاهة . والحنفية
يوصفون بالتحرد والابتذال : أما الحنابلة
فكانوا فقه .

وبمودة هذا التخصيم في رأيي إلى طبيعة
المناطق التي يفد منها طلاب هذه المذاهب ،
فأكثر أبناء الصعيد من أتباع مذهب الإمام
مالك وكذلك أهل المنوفية والجزيرة والبحيرة
والغربية . والأتانف من شتى البقاع ،
ولكنهم كانوا يطعمون في تولى القضاء
الشرعي ، لذلك كانوا يهتمون بالتفريط
والابتذال والتحرد ، والشافعية من أبناء
الشرقية .

كذلك لاحظت التعصب النعم من
الناحية الإقليمية (الصعيدية) و (البحاروة) ،
وقد وصل الأمر بينهما إلى إثارة معارك
قتل فيها أبرياء .

• • •

وفي الساعة السابعة صباحاً من يوم
السبت ذهبت إلى مسجد إبراهيم آغا لأتلقى
أول درس .

محمد علي غريب

لحديث بية

ونعود إلى المنزل مثقلين بالخزى والعار ،
لأننا عجزنا عن أن نرد إساءات هؤلاء
العابثين إليهم فنحن فتية صفار مهزولون
لا نقوى على العراك والصراع .

في هذه الأيام ذرعت أكثر أحياء القاهرة
على قدمي ، ورننا أهل البيت جميعا ، سيدنا
الحسين والسيدة زينب ، والسيدة نفيسة .
والسيدة عائشة والسيدة سكينة ، ثم واصلنا
هجرة زيارة الأولياء والصالحين .

وكان أخى الأكبر مالكيًا فأدخلني في
مذهبه . واليوم نزور ضريح « الخرشى »
وغداً « سيدى أحمد الدردير » وفي الطريق
نمضى إلى ضريح « العلوى » و « الصاوى »
و ... عشرات من هذه الأضرحة جالعيننا
في سبيل الوصول إليها . هؤلاء هم « السادة
المالكية » وأخى بقدمهم جميعا .

وقبل أن أختم هذه الكلمة أود أن أشير
إلى ظاهرة عجيبة شهدتها في سماء الأزهر .
وأرجو أن تكون قد تبددت اليوم حجب
التعصب العنيف للمذاهب الفقهية . ولست
أخل من اليوم السادة العلماء في ذلك الحين
لأنهم كانوا ينفخون في نار الخصومة .

رسالة

للأستاذ علي الطنطاوي

هذه رسالة شرعت بها ؛ لإرسالها إلى صديق حبيب يدوس في بلاد الغرب ، ثم كسكت عن إرسالها ، فتركها ، فلما قدمت أكتب مقالة هذا العدد ، أخرجتها فأتممتها ، وبعثت بها لتنشر لعم مني الفائدة ، ويشمل الفصح ، وليقرأها هذا الصديق مقالة في المحلة (١) لئلا فاته أن يقرأها رسالة في البريد .

والتبديل ، وذلك أتهد من النادر ، وأقل من القليل .

وليس يظهر هذا التبديل من أول يوم ، بل يحتاج إلى الزمن الطويل ، إنه مرض في النفس شأنه شأن الأمراض كلها ، لا بد لها من زمان تفرخ فيه (جراثيمها...) وتعمو وتسيطر ، ترى الرجل تحسبه صحيحاً وهو سقيم . والمرء أبداً بين ماضيه وآتیه . يعيش بذكريات الماضي وبآمال المستقبل . فإذا انتقل من مثل دمشق إلى باريس أو برلين مثلاً ، ورأى لونا من الحياة جديداً ، وانطلاقاً ميسوراً بعد تقيد بقيود الدين والخلق ، ولحوا بممكنات بعد جد دائم ، لم يمتد لهذه الحياة الجديدة أثر فيه وهو يعيش فيها ، بل ربما تنهت في نفسه الذخيرة الدينية ، فازداد تمسكاً إنما يبدو ذلك ويظهر ، ويعمل عمله ، إذا عاد إلى بلده ، لاقتد ذلك

أتذكر مقالاً لك يوم ودهتك ؟ لقد كنت غائفاً عليك من هذه البلاد ؛ لآتي أخافها . واقع . على نفسي ، وقد شارفت حد الكهولة الأقصى ، وقد أعلت خوفي يوم سفرك ، أصادك الله بالسلامة والنجاح ، فلما وردت كتبك ، رأيت فيها لساناً فصيحاً ، وتفكيراً صحيحاً ، وكلاماً رجلاً مؤمناً . فاطمأنت عليك إلى حين . أقول إلى حين ؛ لأنني أعلم أن المرء كالتبات ، يعيش بنفسه ، وبالارض التي يمتص غذاءه منها ، والماء الذي يشربه والجو الذي يحيط به ، فإذا نقلته إلى أرض غيرها ، بدلت التربة التي انتقل إليها ، والجو الذي صار إليه ، ما لم يكن من النباتات التي أعطاها الله من القوة والتمسك ، ما يمنع عنها هذا التغيير

(١) وانظر مقالتي (إلى أي التراوح إلى أريز) نشرت في الرسالة ٦ ديسبر ١٩٣٤ وهي في كتابي (صور وخواطر)

« لا تمكن ذائع القلب من أذنيك ، فإنك لا تدري ما يملق بهما عنه . »

وقد كنت عرضت هذا المعنى ، في بعض ما كتبت ، ولكنني أعيد عليك لأن من المعاني ما لا بد فيه من الإعادة ، ولا يضر به التكرار . ولقد ذهبت إلى مصر وأنا في مثل سنك اليوم ، وأين مصر يومئذ (سنة ١٩٢٨) من باريس ؟ وكنت في مصر مثلاً مضروباً في التشدد والبعد عن كل ما يحرم أو يشين ، وهدت منها وأنا أحسب أني ازددت بسفري إليها إيماناً وتمسكاً ، وإذا المرض الذي داخلني فيها عدواً قد تمكن مني ، حتى أني لا أزال إلى اليوم أعاني أثر هذه الفترة في عواطف وفي أفكارى ، وما ذلك لفساد مصر بل لأنني غدت فيها طليقاً . ليس في الناس من يمرقني فراقبني ، أو أعرفه فأنهيه . وأنت في بلد لاسد المحرمات فيه معلنة ، والمنكرات ظاهرة ، وإن ألب رؤية الحرام ، ودوام مشاهدته ، جهون على النفس اقترافه ، ويذهب منها هيئته ، فعرف ذلك من نساتنا المسلمات ، كن عهدنا بالواحدة من نساتنا ، أنها تضطرب ونهزع ، إن لمعها الأجنبي من فتحة الباب ، أو شق النافذة ، وتشرح فتواوى ، فصارت ترى الرجل فتقابل وجهه بوجهها ، وتثبت في عينيه حينئذ . وكان الرجل إذا رأى الأجنبي ينظر إلى ذوجه ، استنكر ذلك واستنكره ، وهاج في نفسه تصون المسلم ، ونخوة العربي . فرائضى الجبل حتى صار

الانطلاق ، وحن إليه ، وضاق بهذه القيود ، وتقلت عليه .

وقد شاهدنا هذا في ناس من إخواننا طاشوا في باريس مثل عيش الزهاد والعباد ، فلما رجعوا إلى دمشق عاموا على وجوههم ، كالحبوانات ، تسوقهم شهواتهم وحدها ، لا يهابون حراماً ولا يحافظون طراً ، ولا يحفظون بشئ . ولولا أني لا أحب أن أعرض لأحد من الناس بعينه ، ولا يجوز لي أن أعرض لأحد ، لسميت لك رجالاً بأسمائهم لتعرفهم .

وأنا ما سردت عليك هذه الفلسفة المزججة ، إلا لتعلم أنك لا تزال تعيش بذخائر الماضي في نفسك ، وبقايا آداب الصبا ، وأن الذي قد خره في نفسك الآن من ذكريات هو الذي ستحيها به بعد هودتك ، فانقبه يا أخى ، بل يا ولدى ، لما ينطبع فيها ... واهم أن لكل رفيق تواقفه ، وكل مكان تحله ، وكل كتاب تقرأه ، وكل رأى تسمعه ، لكل من ذلك أثر في نفسك ، لا تعس به ولكنه موجود كالبدرة الصغيرة في الأرض ، بدرة زيتون مثلاً ، لا يراها أحد ولا يلتفت إليها ، ولكنها تصير يوماً شجرة تضطر كل من يمر بها إلى أن يراها . وتبقى مائة سنة على حين يظن من ألقاها أنه يلقاها وربما . لذلك قال ابن عطاء الله السكندري (١) .

(١) في (الحكم) وهو كتاب لا يخلو من ضلالات ولكن هذه كلمة حق فيه .

لقوانينهم ، وأخلاقنا لعاداتهم ، وفضائنا لردائهم ، وكان هذا كله تقليدا على الساج ، ونحن في بلادنا ، فكيف إذا رآه الواحد منا بالعيان ، وهو في بلادهم ، وكيف إذا كان الرأى شأبا متلهب الغريزة ، متوقد العاطفة ، يحمل بين جنبيه نفسا قد حشيت بالبارود ؟ ماذا يصنع الشاب الذي كان في بلاده ، يفكر في المرأة ليله ونهاره ، صورتها أبدا في خياله ، وحديثها أبدا على لسانه ، يثيره مرآها على بعد مائة متر ، فصار إلى بلد ، يرى فيه حيثما نفت أسراب الحسان المثيرات ، كاسيات حاريات ، مائلات ميلات ، لا يكلفه نيلهن إلا أن يشير بيده ، فيترامين عليه ، لا يحجزهن دين ، ولا يمنعهن عرف ، ولا يمكن حياء . في مشريرون من المدينة أن تستباح الأعراض ، ويتسافح للفتيان والفتيات ، قد هانت المرأة حتى صار عرضها يبدل في ملء بطنها وستر جسدها ، وصارت تنال بقاء وكساء .

فماذا يصنع الشاب في هذه المحنة ؟

وكيف يغفل الآباء عن هذا البلاء ؟

لو سمع الأب أن في هذا البلد الذي يملك إليه بابه وباء فتاكا ، وأن (احتمال) إصابة ولده به واحد في الألف لما أرسله إليه ولو كان فيه علم الأولين والآخرين ، فكيف يرسله إلى بلد (احتمال) إصابته فيه بخلفه ، وتقريطه فيه بعفاه ، وتهاوته فيه بدينه تسعة وتسع وتسعون في الألف ؟

الرجل يمشى امرأته في الشارع ، ويضاحكها في الطريق ، ويراقها إلى السينا . وصار من العرب المسلمين ، من يقدم ابنته إلى الأجنبي ليراقصها ، يذق صدره من صدرها ، ويلف ذراعاه على خصرها ، ويلامس بساقه ساقيها ، وصار الأجنبي يأخذ الزوجة في هذه الحفلات الداعرة الفاجرة من زوجها ، ليرقص معها ، فلا تستعصم المرأة ولا تأنى ، ولا يغضب الزوج ولا يغار ، ولا يعجب الناس ولا ينكرون . بل لقد سرى هذا الداء ، إلى نساء العلماء والصلحاء ، فصرن يكشفن الوجه حيث تومن الفتنة وحيث تخشى ، فإذا كشفنه لم يتحرجن من مسامرة الأجانب من الأقرباء في السهرة ، ومسامرة الأجانب من الأصدقاء في السفرة . يفعلن ذلك أولا بحضرة الزوج وإذنه ثم يععلنه في غيبة الزوج وبلاؤه ، ثم يتبع الوجه الشعر ثم النحر ، والكف الذراع ثم الصدر ثم يكون هذا الحضور وهذا الفجور . وهذا كله إنما كان تقليدا للإفرنج ففعله لأنهم يفعلونه . ولأن المستعمرين قد افتمنوا غفلتنا ومجوعنا ، في المائة سنة التي مضت ، وتأخرنا عنهم في طريق الحضارة المادية ، فلم يدخروا جهدا ، ولم يألوا وسعا ، في إشعارنا سبقهم إلى هذه الحضارة وتأخرنا ، وعلمهم بهذه العلوم وجهلتنا ، وقوتهم بهذه الأسلحة وضعفتنا ، حتى صار تعظيمنا إياهم ، وهيبتنا لهم ، حقيقة مقراحة في نفوسنا ، اعترفتنا بها أو أنكرناها . وكان من نتائجها أن تركنا شريعتنا

الشباب ، ومنهم وجل دعه امرأة ذات جمال
حتى إذا تمكن منها ، ذكر الله مقام عنها .

• • •

إن سفر الشاب وحده إلى أوردية ، خطر
مؤكد ، ولكن الآباء ، لا يتجهون إليه ،
ولا يفكرون فيه .

إنهم يربون الولد على العفاف ، ويحمونه
من فتن النساء ، حتى إذا ما ظنوا أنه استقام
وصالح ، ووطن نفسه على العفة والتقى ،
وطوى جوانحه على مثل النار الآكلة من لذع
الشهوة ، نقلوه إلى بلد كل شيء فيه مباح ،
الفتن فيه تحف به من كل جانب ، وقد زالت
الموانع ، وسقطت الحدود ، فليس دون
المعصية حد ، لاحد الدين في بلد لا يدين
بدين الإسلام ، ولا حد العار في بلد لا يرى
العار حاراً .

فهلا فكر الآباء ، في مصير أولادهم حين
يعثون بهم ليدرسوا في ديار الغرب ؟

• • •

وبعد ، فقد ذهبت - أنت يا أخى - وقضى
الامر ، فاجعل خوف الله بين حينيك ،
وتصور دائماً ذهاب لذة المعصية وبقاء عقابها ،
وذهاب ألم الصبر عنها وبقاء الثواب عليه .
واسأل الله العون ، واستمد منه القوة ،
والسلام عليك ورحمة الله ، وأستودع الله
ديك وخلقك . ؟

علي الطنطاوى

دمشق

مستشار محكمة النقض

لقد حدثني الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي
عما رآه في أوروبا لما ذهب إليها للتداوى
- عافاه الله وأتم عليه نعمة العافية - فسمعت
واقعه شيئاً أعجب من العجيب ، وأيقنت أنه
لو امتحن المعجزة العابد بما يمتحن به شبابنا
هناك لحيف عليه واقعه السقوط .

ذلك لأن النفس البشرية منطوية على ابتغاء
اللذة ، وقصد الراحة ، وترك العناء ، مبالغة
إلى الانطلاق ، ولأن الانحدار إلى المعصية
أهون من القساع إلى الطاعة ، كالماء أفقته
ينحدر إلى قرارة الوادي ، وأصعده لا يصعد
إلا بمضخة ، فلكل قل في الناس الطائعون ،
وكثير العاصون ، وكثير جرأهم ومجلائهم
وأما كنهم ووسائلهم إلى مآم فيه ، إن الرجل
العاسد يلوح لشباب الصالح باغبيلات وما يقدر
من اللذة بقرين ، والخر وما يتوهم من اللذة
بشرها ، والقمار وما يؤمل من الربح بتعاطيه
ويأخذنه إلى المراقص والمشارب وكل مكان
لذة فيفسده . فإلى أين لعمري يأخذ الرجل
الصالح ليصلحه ، وما الذي يفريه به ، إلا أن
يعده الآخرة الغائبة بدلاً من الدنيا الحاضرة ،
وذلك مطلب حال لا يصعد إليه إلا بجهد دونه
جهد السجن والضرب والقتال . لذلك جعل الله
هذه المنزلة لمن يؤمن بالغيب ، وكرر التثاء
عليه في القرآن ، ولذلك أخبر النبي صلى الله
عليه وسلم بأن سبعة يظلهم الله بظله يوم
لا ظل إلا ظله ، يوم الحشر للحساب ، منهم
الشاب الذي نشأ في طاعة الله ، وقاوم مغريات

تشقيق المعنى

للدكتور تمام حسان

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

ومضاته :

A Critique of Logical Positivism
وأما المنفيون فإنهم يعالجون سلك النفس
في الربط بين الرمز وبين ما يقصد به فيجعلون
دراسة المعنى دراسة لعملية عقلية خالصة .
وأشهر المدارس النفسية التي ارتبطت برأي
خاص في هذا هي مدرسة السلوكيين . وأما
الغويون فما زالوا يتكلمون عن المعنى في ظل
الفلسفة حيناً وفي ظل الدراسة النفسية حيناً
آخر حتى أهل لجزر الدراسات اللغوية الحديثة
ونشأت دراسة عامة للمعنى تسمى السيميائية
Semantics أو نظرية المعنى .

وإذا كان الكشف عن المعنى هو الهدف
الذي توجه إليه دراسة كل فرع من فروع
البحث اللغوي على حدة ، فإن اللغويين قد
شققوا المعنى إلى ما يسمى معنى الوظيفة
ومعنى المعجم والمعنى الاجتماعي السيميائي
وجعلوا من قبيل معنى الوظيفة معنى الصوت
في المنطوق ومعنى الحرف في الكلمة ومعنى
المقطع والنبر والنغمة التي في المنطوق ثم معنى

كل دراسة لغة لابد أن توجه إلى الكشف
عن المعنى مهما كانت طبيعة هذه الدراسة
ومهما كان المنهج الذي تستخدمه . غير أن
وجهة النظر قد اختلفت حيال المعنى باختلاف
المفكرين وباختلاف نواحي تخصصهم .
فالفلاسفة نظروا إلى المعنى ولغويين أخرى
ولغويين ثالثة وحمل جراً . . . فأما الفلاسفة
فيعالجون المعنى في كلامهم في الإيستيمولوجيا
وهي فرع من الفلسفة يدور حول نظرية
المعرفة ويدخلون إلى الكلام في مشكلة المعنى
من مدخل العلاقة بين الدوال والمدلولات .
وهذا الاتجاه واضح جداً في كتاب من تأليف
أوجدن وريتشارد اسمي : The Meaning
of Meaning أو يتخلون هذه الدراسة
فرعاً من فروع الإيمائية المنطقية Logical
Positivism فيتكلمون عن المعنى في معرض
النظر في تحديد دلالة الكلمات المستعملة
في قضايا المنطق ويضع هذا الاتجاه في كتاب
ألفه كرنايبوجمل عنوانه Logical Syntax
كما يشرحه كتاب ألفه جود العالم الإنجليزي

جهة أخرى ساستعمل اصطلاحاً جديداً هو المنطوق ليبدل على ما يشملهما معاً (أى الكلمة والجملة) وليبدل كذلك على أن المعنى الذى ندرسه هو معنى نص حتى يجرى على اللسان ولا يستخرج من كتاب ، فكل ما يملظه المتكلم بقصد الاستعمال القوي فهو منطوق بالمعنى الذى تقصده هنا . أما حين الكلام عن معنى المعجم فسأعود إلى استعمال لفظي الكلمة والجملة واستخدامهما بمعناها التقليدية وأود الآن أن أدرس المعنى بواسطة تشقيقه إلى ثلاث نواح عامة هي :

- (١) المعنى الوطني ... أو الوظيفة .
 - (٢) المعنى المعجمي ... أو الإطلاق .
 - (٣) المعنى الاجتماعي ... أو المقصود .
- وأنا أفضل بعد الآن أن أستعمل اصطلاحات « الوظيفة » ، و « الإطلاق » ، و « المقصود » ، على المعاني المقارنة لكل منها . وسأشرحها وأبين معناها الاصطلاحي حتى تضع فقارى .

فأما الوظيفة فهي معنى الصوت ومعنى الحرف ، ومعنى المقطع ومعنى الطاهرة الموقمية من ظواهر النطق ، ثم هي معنى الأدوات والملمحات والصيغ الصرفية ، ثم هي معنى الأبواب النحوية . فأما الصوت فإنه يؤدي وظيفة عامة في المنطوق ، من حيث يتميز المنطوق عما يشبه بما به من أصوات وقد يكون معنى المنطوق متوقفاً

الصيغة الصرفية ومعنى الباب النحوي وجعلوا المعنى المعجمي هو معنى الكلمة بالنسبة لمدرستها الذى تدل عليه ، أى مع صرف النظر عن صيغتها وبابها وهم جراً ... كما جعلوا المعنى الاجتماعي هو المقصود من المنطوق الذى قد يكون مركباً من كلمة واحدة ، أو من جملة طويلة تتألف من عدد كبير من الكلمات . وجعلوا الوصول إلى هذا المعنى الاجتماعي يتم بطريق التحليل الدقيق للابسات المصاحبة لتطلق والتي تسمى context of situation .

وبرى فقارى كل ذلك مفصلاً فيما بين صفحتي ١١٦ و ١٢٦ من كتابي « اللغة بين المعيارية والوصفية » فليرجع إليه إن شاء . وهدف من هذا المقال أن أضع تخطيطاً جديداً لتشقيق المعنى يبنى في أساسه على ما قال به اللغويون المحدثون ، ويفرد بمنهج خاص في تحديد بعض المصطلحات العربية والانتفاع بها في الأغراض العملية لهذا المقال . وأول شيء أتى أريد أن أتوفي استعمال لفظي للكلمة والجملة في غير الكلام عن المعجم ؛ لأن هذين اللفظين محملان بحمل ثقيل ، من تقاليد الاستعمال في النحو والبلاغة والمعجم ، فلأنتا حولناهما إلى معنى اصطلاحى جديد يخالف ما جرى عليه الاستعمال فربما وجد فقارى مشقة في ملاحقة هذا المعنى في غضون هذا المقال . ولهذا فأتى حين أنكلم عن المعنى الوطني من جهة وعن المعنى الاجتماعي من

وظيفة الصوت يفرق بينهما بتحديد معنى الحرف ، بل إن وضع اللغة في أساسه لم يتم إلا على أساس التفريق بين الحروف من حيث الوظيفة . ويتضح ذلك حين نستخرج حرفاً من الكلمة (وليسمع لي القارىء) باستعمال لفظ الكلمة هنا (أو نضيف إليها حرفاً أو نحل حرفاً فيها محل حرف منها فنجد المعنى المعجمي يتغير بهذا الإجراء . وإن المنظمة الأبجدية بكل لغة لم تكن أساس دراستها النظرية إذ تنبني من الحروف كلمات اللغة وصيغها الصرفية وموادها المعجمية وأصولها وزوائدها وملمجها... وكل ذلك تقوم دراسته على تعيين وظائف الحروف لا على وظائف الأصوات .

وللقطع وظيفة في تحديد حدود الصيغة الصرفية وفي خلق الإيقاع الخاص الذي يمتاز به النطق بلغة من النطق بلغة أخرى . فأما وظيفته في تحديد حدود الصيغة الصرفية فتتضح في التفريق بين « فعل » و « فاعل » مثلاً إذ أن الفرق بين الصيغتين فرق بين المقطع الأول في هذه وبينه في تلك إذ هو قصير في فعل متوسط في فاعل . وإذا أراد القارىء معرفة المقاطع وكيانها المختلفة في اللغة العربية معرفة مفصلة فليرجع إلى كتاب « مناهج البحث في اللغة » . وأما وظيفة المقطع في خلق إيقاع خاص باللغة تتميز به عن سواها فهي وظيفة شديدة الصلة كذلك بالنبر؛ لأن النبر يربط ارتباطاً أساسياً

على صوت واحد من أصواته ، كالفرق بين « نال » و « مال » أو على صفة من صفات أحد أصواته كالفرق بين الجهر والهمس في « زاده » و « سادة » . وإذا أمكن للصوت أو صفة أن يكون دعامة يقوم عليها معنى المنطوق ، فلا شك إذن أن الصوت ذو معنى في نفسه ، وهذا المعنى هو وظيفته التي يؤديها في المنطوق ويمكن تحديد هذا المعنى تحديداً سلبياً بذكر نواحي الخلاف بين الصوت وشبهه ، كما يمكن أن يحدد تحديداً إيجابياً بذكر مخرجه وصفاته مع ربط ذلك ربطاً تاماً بالنظام الصوتي في اللغة التي ينتمي إليها هذا الصوت .

وإذا كان الصوت عملية فطرية تدخل في تركيب المنظمة الصوتية للغة فإن الحرف وحدة فكرية دراسية أو وحدة نفسية (على خلاف بين العلماء) تدخل في تركيب المنظمة الأبجدية لهذه اللغة . وإذا قام علم الأصوات phonetics على دراسة الصوت دراسة عملية تقوم على الاستماع والتسجيل فإن علم التشكيل الصوتي phonology يقوم على دراسة الحرف دراسة نظرية تقوم على التجريد والتقسيم . وإن الحرف الواحد كالتون مثلاً ليضم تحته صدداً من الأصوات التي تختلف من حيث المخرج ، إذ يختلف فلق النون بين الإظهار والإخفاء والإقلاب والإدغام، وهذا مما يوضح لنا الفرق بين الصوت وبين الحرف بالمعنى الذي نعده منهما في هذا المقال .

وكما يفرق بين المنطوق والمنطوق بتحديد

حيث هو المقطع الأخير . أما أشهر وظيفة
لنبر فهي خلق الإيقاع الخاص باللغة والذي
تفتقده الأذن العربية في كلام الأجانب باللغة
العربية ؛ حيث لا يمكنهم أن يحددوا أطوال
الاصوات فهدبداً دقيقاً فيطيلون أصوات
الحركات ويقصرون أصوات المد ويفردون
المشدد ويشددون المفرد ومن ثم يحتل البناء
المقطعي للكلام ويقتنى في كلامهم الإيقاع
العربي المخصوص الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ
من المعنى .

والنغم رفع الصوت وتخفذه بحسب المعنى
أثناء الكلام ولكل نغمة في الكلام معناها
الخاص ، ولو أخذنا منطوقاً مثل : يا سلام ،
ثم حاولنا أن نغير به عن معنى التأثير ثم لشك
ثم التأنيب ثم السخرية ، وغير ذلك من المعاني
لوجدنا دلالتها على هذه المعاني المختلفة ترتبط
بالنغمة ارتباطاً تاماً ، بل إن للاستفهام نغمة
غير نغمة التقرير والنفي ، ولكل ذلك نغمة
تختلف عن نغمة التأكيد ، ونغمة الغضب غير
نغمة الغزل ، والأمر يختلف في النغمة عن
الرجاء والتوسل ، وهلم جرا أي أن النغمة
الخاصة المرتبطة بموقع معين من الكلام تحكم
المعنى في ورودها .

والصيغة الصرفية معنى من حيث هي صيغة
أي بقطع النظر عن الكلمة التي توضع على
مثالها ، ويجد القارئ فضلاً عما في كتب
الصرف لتحديد معاني صيغ الزيادة على حين

بترتيب المقاطع وكتاباتها في النطق وسيأتي
الكلام عن هذه الوظيفة عند ذكر وظيفة
الظواهر الموقعية .

والمقصود بالظواهر الموقعية الظواهر
النطقية التي يتوقف ورودها على الموقع الذي
تتمع فيه من المنطق ، مهمزة الوصل مثلاً تظهر
في مبدأ المنطوق وتختفي في وسطه ، فظهورها
مرتبطة بموقع خاص وهي لهذا ظاهرة موقعية .
ولقد فصلت الكلام في الظواهر الموقعية
في اللغة العربية في كتابي : مناهج البحث
في اللغة ، أيضاً . وأشهر هذه الظواهر النبر
والنغم وذلك لوجودهما في اللغات جميعها .
ويلاحظ القارئ حين يتكلم أن في المنطوق
أجزاء معينة يملأ الصوت عند نطقها علواً
خاصاً وهذا العلو نتيجة لازدياد ضغط الهواء
المتبعث من الرئتين عند نطق هذه الأجزاء
من المنطوق ضغطاً أشد مما مع نطق بقية
الأجزاء . حين تنطق لفظ الجلالة : الله ،
نلاحظ أن اللام الثانية أوضح في الأذن
من بقية أصوات هذا المنطوق وحين تنطق
: محمد ، تكون الحاء أوضح الأصوات
وكذلك الميم الثانية في : محمد ، والمهمزة
في : أحمد ، . وإن بعض اللغات ليتخذ نبر
وسيلة صرفية لتمييز بين معاني الصيغ فإذا
وقع النبر على الصوت الأول عند نطق
الكلمة الانجليزية control فهي اسم وإذا
وقع على صوت r كانت الصيغة فعلاً والمنبور

ذلك لا يمكن أن يتعزل عن السياق ويستقل عنه ولكن الإطلاق هو المعنى العرفي المعجمي الذي اعطى للكلمة بالوضع وبصلاح لأن يسجله المعجم ، كما تصلح الكلمة لأن تستقل عن السياق ، ويمكن تحليل طبيعة هذا المعنى المعجمي الذي سميناه الإطلاق إذا نظرنا في طبيعة العلاقة بين الكلمة وبين المدلول ونظرنا نظرة أعمق فيما يقصد بلفظ الدلالة هنا .

قلنا : إن العلاقة بين الكلمة وبين مدلولها علاقة عرفية اعتبارية لا سند لها من الطبيعة ولا من المنطق . وإنما لم يكن لها سند من الطبيعة لأن العلاقة الطبيعية بين الرمز ومعناه محكومة إلى حد ما بطرق التأثير الطبيعية وما يتحكم فيها من قوانين ، وذلك كعلاقة النغمة الموسيقية بأثرها في النفس ، وعلاقة تفلسف المعدة بطريقة خاصة بما يفهم منه من معنى الجوع . وإنما قلنا إنها لا سند لها من المنطق ؛ لأن العلاقة المنطقية بين الرمز ومعناه تتحكم فيها قوانين العكس ، وذلك كالعلاقة بين أثر الأقدام على الرمال وبين المعنى الذي يفهمه من ذلك خصائص الأثر إذ يصل إلى استنباط هذا المعنى بتفكير معين بسيط أو معقد ولكنه منطقي على أي حال . أما العلاقة بين الكلمة وبين مدلولها فهي علاقة عرفية اعتبارية لا يمكن تحليلها لا بعلة غائية ولا بعلة صورية ، وإنما تقبل قبول

يورد تحديد معنى الصيغ الأخرى في عرض الكلام عن كل منها ، والملاحظ أن المعاني المذكورة هي في الحقيقة الوظائف التي تؤديها هذه الصيغ وليست معاني كلمات المعجمية العرفية التي تعطى للكلمات المفردة .

أما الأبواب النحوية فليست إلا وظائف تؤديها الكلمات في السياق ونحن حين نعرب أي مثال من أمثلة النحو لا نقنع بكلمات المثال كما هي ، وإنما ننسب كل كلمة منها إلى باب نحوي خاص هو الوظيفة التي تؤديها في السياق ، فنقول ضرب فعل ماض ، أي أن الوظيفة التي يؤديها لفظ ضرب هنا أنه يقوم بدور الفعل الماضي في السياق ، ويقال نفس الكلام عند إعراب زيد ، بأنه فاعل ودمراً ، بأنه مفعول فكل هذه وظائف تؤديها الجزئيات التحليلية التي في المنطوق ، ولا مهرب من جعل هذه الوظائف جزءاً من المعنى العام ؛ لأننا لو تجاهلنا لم نستطع تحديد هذا المعنى ولساد الغموض في المنطوق تماماً ، ولكن مثلاً مثل الذي يتصدى لتفريح الجسم وهو لجعل تماماً بوظائف الأعضاء .

هنا ينتهي الكلام في « الوظيفة » ويبدأ الكلام في « الإطلاق » وهو الشق الثاني من المعنى ، ومعنى الإطلاق يختلف في أساسه عن معنى الوظيفة من حيث : إن الوظيفة معنى الجزئي التحليلي كالصوت والحرف إلخ ، وكل

تسليم لأنها جاءت نتيجة التعارف .
 دعنا إذن نسلم هذه العلاقة الاعتبارية بين
 الكلمة وبين معناها باسم الدلالة ثم نقل
 بعد ذلك : إن المعنى المستخرج بواسطة هذا
 الربط هو ما نقصده باصطلاح « الإطلاق »
 أو المعنى المعجمي . أى أن موضع
 الكلمة من المدلول والدلالة يكون على
 الوضع الآتى :

الكلمة	الدلالة	المدلول
(أى وحدة اللغة)	(أى العلاقة)	(أى المراد)
وهذا المعنى المعجمي « الإطلاق » معنى عام جداً يقوم على فرض استقلال الكلمة وإمكان دلالتها بمجرد ما . والكلمة وحدة اللغة (أما المنطوق وسيأتى ذكره فهو وحدة الكلام لا اللغة) ونقصد باللغة هنا بمجموع الأنظمة النحوية والصرفية والمعجمية والصوتية . وإن نسبة أى معنى إلى الكلمة لابد أن يكون على أساس دراسى لغوى بحث محروم من العنصر الاجتماعى الذى لابد أن يتوافر فى حياة اللغة اليومية أى أن المعانى التى ينسجها المعجم إلى الكلمات معان غير اجتماعية من جهة ، وعامة عموماً كاملاً من جهة أخرى . أما أنها غير اجتماعية فلأنها لا تستخرج من الكلمات وهى فى المنطوق وإنما تستخرج منها وهى منفصلة تماماً عن النطق ؛ لأن الكلمة فى المعجم صامتة غير	وهو المعنى الاجتماعى المراد من المنطوق ، وإذا كان « الإطلاق » مطلقاً بحكم تعدد المعانى فيه « فالمقصود » مقيد بما يصاحب تحليله من اعتبار الملائسات الخاصة التى هى « الماجريات » والعلاقة بين المنطوق وبين المقصود تختلف عن العلاقة بين الكلمة وبين المدلول من حيث إن العلاقة بين الكلمة ومدلولها علاقة اعتبارية ويسرى هذا التحديد على كل المعانى الواردة فى المعجم على حين نجد أن العلاقة بين المنطوق وبين المقصود به علاقة اجتماعية . ولو كانت العلاقة بين هذين الأخيرين اعتبارية لاعدمت دقة المعنى ولأصبح المعنى فى بطن الناصر . وهذا « المقصود » هو الشق الثالث من المعنى أى أن المعنى إما أن يكون وظيفة أو إطلاقاً أو مقصوداً . ونود الآن أن	

بنوع المناسبة ما إذا كان الموقف موقف تعاون على عمل ما أو موقف زجر أو مدح أو ذم أو تحريض أو غير ذلك . أما المقصود بالآثر فنوع الاستجابة التي أعقبت فطق المنطوق .

ولقد حلت منطوقاً معيناً في ص ١٢٢ وما بعدها من كتابي « اللغة بين المعيارية والوصفية » ، وكان نص هذا المنطوق هو « قولوا له يسكت » ، وإن نوع التنعيم في هذا المنطوق ليدل على معنى هو جزء من المعنى العام للمنطوق ولا بد أن يدخل في تحصيله .

فقد يقال هذا المنطوق بصوت خافت في مناسبة اجتماعية معينة هي الخوف من أن يستدل أحد بكلام هذا المتكلم المطلوب سكوته على مكان الجماعة التي هو منها . وإذا قيلت بصوت ساخر فقد تكون المناسبة هي المفاخرة بين شخصين ولم جرا . ثم إننا نستطيع أن نحدد من الماثيرات عدد هذه الجماعة على وجه التقريب فهي المتكلم الذي يطق المنطوق ومنها الشخص الذي نكلم عنه ومنها المخاطبون وهم ثلاثة على الأقل بدليل « او الجماعة (اثنان في العامة) كل أولئك إشارات إلى المعنى الاجتماعي المقصود وهو الذي قلنا : إنه أخص من المعنى المجمعى .

ولن يكون العنصر الاجتماعي في المعنى إلا من خصائص النص المنطوق وأما النص المكتوب فهو داخل في ماثيرات أخرى

تقوم بتحليل منطوق تحليل اجتماعياً لنستخرج منه المقصود أى المعنى الوحيد الذى قصد به ويتم هذا بتحليل « الماثيرات » أو ما يسميه علماء اللغة context of situation ، ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتى :

المنطوق .

التحليل القوي .

الماثيرات .

نوع المناسبة .

الآثر .

والذى يوضع في خانة المنطوق هو نص العبارة المنطوقة المراد تحليلها لمعرفة معناها ، وإن تحليل المنطوق تحليلاً لغوياً لينحصر في خانة واحدة على حين تتفرد الاعتبارات الاجتماعية بثلاث من خانات الجدول ، ولن نعتمد إلى المنطوق فنذكر كل شئ . يمكن ذكره عن تحليله وإنما نختار من خصائصه القوية ما يستحق الذكر ، لارتباطه بالاعتبارات الاجتماعية المتقدمة الذكر ، ولا سيما الآثر الذى ترتب على النطق . كأن يكون بالنص خطأ يثير السامعين إلى التصحيح أو بالمتكلم لغة تثيرهم إلى الضحك أو السخرية . والتصحيح والضحك يوضعان في خانة الآثر من التوضيح السابق . والمقصود بالماثيرات كل الملابسات المادية والاجتماعية المحيطة بنص المنطوق ويدخل فيها المتكلم والسامعون ، وتقصد

يسكت فعلا مخافة أن يفهمه الشخص الآخر .
هنا يقع الفرق بين « الإطلاق » وبين
المقصود « أى بين المعنى المعجمى وبين المعنى

الاجتماعى . فالمعجم يشرح معنى الكلمات
وهذا التحليل يشرح معنى العبارات وحين
يتناول المعجم الكلمات بالشرح لا يلتقطها
من موقف اجتماعى معين وإنما ينظر إليها
في موقف دراسى بحت . وإذا كان لنا أن
نفهم معنى عبارة « قولوا له يسكت » في ضوء
شرح مفرداتها شرحا معجميا لكان مجموع
معنى المفردات هو : « اطلبوا إليه أن يكف
عن الكلام » . ولكننا قد رأينا أن المعنى
الاجتماعى لهذه العبارة لا يقصر عند هذا
الحد وإنما يشمل ما لا يؤخذ من النص
أخذاً مباشراً مثل : أتمّ عملون مقدار نقصه
وتفوق ولهذا أنا أسهر من تطاوله على » .

نخرج من هذا بنتيجة هامة هي أن المعنى
هو وظيفة الجزئ . التحليل كالصوت والحرف
والمقطع والظاهرة الموقية والصيغة والباب
ويضاف إلى ذلك الإطلاق الذى يعطى كل كلمة
معناها المعجمى ولا بد لذين الشقين في المعنى
من شق ثالث هو العنصر الاجتماعى الذى
يكشف عنه بتحليل المنطوق منظورا إليه
في إطار المساجريات .

دكتور تمام صايد

قد لا يجرى النطق فيها أبدا ، وقد تكون
خطوا من العنصر الاجتماعى تماما حين يقرأ
المرء وهو صامت .

لنفرض إذن أن هذا المنطوق قد جرى
في معرض السخرية ولا بد حينئذ أن نضع
في حانة نوع المناسبة من الجدول السابق أن
الموقف كان موقفا تطاول فيه رجل على رجل
آخر بمحضر جماعة ولم يكن حقه أن يتطاول
عليه ، فأراد هذا الآخر أن يرد عليه فليجأ إلى
النطق بهذا المنطوق الساخر . الذى يوحى بأن
السامعين يملكون من تقائص هذا المتطاول
شيئا كثيراً يحسهم بموضع يمكنهم من الحكم
عليه بالنقص ، وبهذا لا يكون الشخص الآخر
بحاجة إلى الرد عليه بنفسه . وقد نضع في
حانة المساجريات أن السامعين لم يحسهم على
الوقوف موقف الحياد لم يقولوا للمتطاول
شيئا بل صمتوا صمتا فيه شيء من التمرد
بالخرج ، وتراوحت نظراتهم بين الإطراق
والتلقى والرجاء المتجه إلى المتخاصمين أن يكفوا
عن اللجاج . فإذا نضع في حانة الأمر ؟ .
قد نضع فيها منطوقا آخر يفهم به المتطاول
كأن يقول : لا يستطيع أحد أن يسكتنى
وليس عندى ما أخجل منه . وقد يقول موجها
خطابه السامعين : بل قولوا له هو يسكت حتى
لا يتدم على كشف أسرارده ومخاريبه . وقد

وضع الربا في بناء الاقتصاد القوي

للأستاذ عيسى عبده إبراهيم

الأستاذ المساعد بكلية التجارة في جامعة عين شمس

تمهيد: (١)

ومن الطبيعي أن أعرض لها بالتقدير اللازم في سياق هذا الحديث ...

وقبل أن ألتزم خطوة كهذه ، أود أن أبين رأيي في هذا الأمر ... أي في جملة الأحكام التي قررتها الشريعة الإسلامية بخصوص الربا ، وبخصوص المشكلات الاقتصادية وما يتصل بها من شئون تقع من بعيد أو من قريب في المجال الذي شغلت عشرين السنين .

وبالتالي فإن ما أقدمه في هذه المحاضرة من قول لا هو عفو الساعة ، ولا هو مجرد فرض أتسكن به ، لعله يثبت على البرهنة . بل هو رأي بلغ مرتبة اليقين .

أعظم المأسوم :

في رأي أن الأحكام التي جاء بها الدين الحنيف ، لا تقبل التطور ولا التطوير ؛ لأن التطوير أسلوب تقدمي ، يستهدف الترقى إلى مستويات فوق ما هو كائن أو مألوف ولا يصح القول بالترقى إلا منسوباً لأمر مشوب .

أما بعد ، فهذا حديث عن الربا ... الربا من حيث موضعه في بناء الاقتصاد القوي . فما هو الربا ؟ وما هو الاقتصاد ؟ وما هو البناء ؟ .

البناء في المجال الاقتصادي على وجه العموم ، وفي المجال القوي على التخصيص .

هذه هي المفاهيم التي يطالعنا بها عنوان المحاضرة ، ومن ثم فإنه يتعين عرضها بإيجاز حتى يتسنى لنا بعد ذلك أن نتلص الموضوع الذي يشغله الربا في المجال المحدد لنطاق البحث .

وفي خصوص المعاملات الربوية ، وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى ، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، طائفة من الأحكام .

(١) في المحاضرة التي ألقاها الأستاذ بجامعة

المحاضرات الأهرمية الكبرى يوم الثلاثاء

٢٥ ربيع الآخر .

أو تحقيق المصلحة ، لعلها إذا تطورت ، كانت مآيرة لمستويات من الحضارة ولأنواع من المعاملات لم تكن معروفة لهدنزلها . أما علم الإنسان فهو الذي يجوز عليه التطور والتطور .

وأما المختزن من المعرفة من مشاهدات الإنسان ونماجه ، جيلا بعد جيل ، فهو الذي يصح نسبة النقص إليه ، ومن ثم يكون التكل ، ويكون الاستيفاء .

المستندون إنما يكونون بالأسلوب العلمي :

ولنا أن نقاسل : كيف يستقيم الأسلوب العلمي في البحث من مدى الملائمة بين مجموعة معينة من الأحكام ، وبين التطور الحضري الدائب ، إذا كنا نبدأ القول برفع هذه الأحكام إلى مرتبة العقيدة ؟ .

ذلك أننا نقاسل في موضوعنا هذا بضمة أحكام خاصة بالمال ، وهو بعض المتاع في هذه الحياة الدنيا ، وجلست فيه آيات بينات ، ولا نقاسل في بحثنا هذا حجة الكتاب وقدمه .

وأحكام الأموال ، بما فيها أحكام الربا ، هي فرع على أصل .

وحين نقول بثبوت الأصل ، فإن الفرع يكون ثابتا بداهة ، ولا يجوز عليه التأويل

بمعنى أنه لا بد من ظاهرة يكتنفها النقص أو العجز ، ومن ثم يكون التكل والاستيفاء . ولا بد من أمر أو حكم متواضع حتى يجوز عليه التهذيب والترقي .

ولما كانت أحكام الإسلام مستمدة من القرآن ، أو تجد ضوابطها من آيات الله البينات ، إذا كانت مصدر الحكم بخلاف النصوص القرآنية ، كالحديث والاجتهاد ؛

ولما كان القرآن هو كلام الله القديم وأنه من عند عالم الغيب والشهادة ، فإن أحكاما كهذه ، بل هذه الأحكام على سبيل المحصر ، قد تميزت على كل حكم أو رأى من قول البشر بأنها نزلت كلمة شاملة ، ومنفردة بالثبات الأبدي الذي يجعلها وحدها المقياس الصالح الذي نفاس به الظاهرات ، وتوزن به الآراء والأحكام ، لبيان ما في اجتهاد الإنسان من توفيق أو من فساد :

أحكام الإسلام إذن بدأت منزومة من النقص والعجز ، وهي من أجل ذلك غير قابلة للتكل ولا الترفية .

وأحكام الإسلام إذن بدأت رفيعة القدر ، لتكفل للناس كافة مستوى من الحضارتين المادية والمكرية فوق كل ما يخطر على قلب بشر ، ولذلك لا يصح أن يضاف إليها دعوى التطوير بحجة الضرورة الملزمة

أو الزائد على الحاجة ، بحيث إن إنفاقه لا يوجع ، وبحيث إن أخذه في صورة زكاة أو مساهمة في تجهيز غزوة ، مثلاً ، لا يوجع أيضاً . ولهذا الفهم سند من أقوال المفسرين الأعلام وهو إن كان قد ورد مع غيره من وجوه التفسير إلا أننا نستصرف النظر عما صداه ، فنقول : الله جلّ جلالته يعلم أن المال من زينة الحياة الدنيا ، وأن إخراجها بغير عوض معجل أو حاضر هو من الأمور التي لا تنشط إليها الهمة . ولذلك حث على الإنفاق ، ووعده بالآجر المضاعف في حديث من الآيات .

إلا أن كلا من الأخذ (كأخذ الزكاة) والإنفاق (كالإنفاق في سبيل الله من صدقة ونحوها) يجب أن يخضع لمعيار ثابت تطين إليه النفس البشرية ، فلا تخرج من تقرير الفرائض المالية التي تقتضيه بحكم القزوم من المال الخاص بقية ومن غير ضابط .

فأما هذا المعيار الثابت فهو أن يكون حد المال المخرج «عفواً» بمعنى زائداً .

وفي القاموس أن العفو من المال هو أحله وأطليه ، ومن الماء ما فضل عن الشاربة . فأما قصر الأخذ على حل المال وأطليه فلا يتفق مع بقية الأحكام الواردة في القرآن ، ولا التطبيقات التي أرقاها السلف الصالح ...

كما لا يجوز عليه التعطيل بحجة المصلحة أو الضرورة .

ومع ذلك فلننظر إلى بعض أحكام الأموال فطرة موضوعية خالصة ، دون أن تتأثر بجلال مصدرها ، قال تعالى في سورة البقرة : « ويسألونك ماذا ينفقون ، قل العفو » . وقال أيضاً في سورة الأعراف « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین » .

في هاتين الآيتين الكريمتين جاء ذكر « العفو » مقروناً بالإنفاق مرة ومقروناً بالأخذ أو بالتلقي والقبول مرة أخرى .

وقد صرفها المفسرون على وجوه كثيرة تشهد لهم بحسن النظر ، وبالإحاطة بفنون الكلام ، مع الحرص على جمع الروايات ما كان منها متواتراً وما كان موقوفاً وما كان محل إجماع أو دون ذلك .

ومن بين هذه الأقوال ما يصرف الحكم إلى فائض المال أو اليسير منه ... وحده امتناع الإرهاق .

وللمفسرين أقوال أخرى معلومة ، ومنها صرف القول إلى الصّحح والمغفرة . وأن الآية الواردة في سورة الأعراف قد جمعت مكارم الأخلاق ... وكل هذا حسن .

إلا أن الرأي الباهد يصرف لفظة العفو في كل من الموضعين إلى اليسير من المال ،

قال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » .

فإذا كان صاحب المال يخرج بعضه ليظهر نفسه وليزكها - إذا شاء الله - فإنه ليس حتماً أن يكون ماله في الأصل ، هو أحل المال وأطيه ... وفي سورة التوبة قوله تعالى : « ... حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

وفيما جمعه القاضي أبو يوسف في كتابه (الخراج) قوله : « وأما قوم من أهل الشرك صالحهم الإمام على أن ينزلوا على الحسك والقسم ، وأن يؤدوا الخراج فهم أهل ذمة ، وأرضهم أرض خراج ، ويؤخذ منهم ما صلحوا عليه ، ويوفى لهم ولا يزداد عليهم . إذن أخذ المسلمون الجزية كما أخذوا الخراج ، ولا محل للقول بأن المال الذي أخذت منه هذه الفرائض قد كانت من المال أحله وأطيه » .

وقد يحتج على هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى : « خذ من أموالهم ... » وفي قوله تعالى ، « وسألوئك » ماذا ينفقون ، إنما ينصرف إلى أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . إلا أنه يلاحظ أن سيدنا عمر وهو أول من دون التواريخ ، قد اتبع مفهوم لفظة العفو بمعنى الزيادة أو البقية أو الفضل ، في فرض الجزية فأعطى المسن والمرأة والطفل والمرضى ، على أساس العجز أو امتناع

توافرها يؤخذ منه ، وهو العفو من المال كما اتبع في فرض الخراج تدريجاً يحقق من العدالة ما يتفق وأخذ الفريضة من فائض المال . ومن ثم فإن الحكم علم ، ويتعين النظر إلى فائض المال وهو « العفو » عند وضع المبادئ التي تعين الأوعية المالية ، سواء في ذلك أكانت هذه الأوعية المالية لمسلم أم لغيره .

وبما تقدم يمكن القول بإطراح أحد المعنيين الواردين في القاموس ، وهو القول بأن العفو من المال هو أحله وأطيه في خصوص ما نحن بصدده من تحديد معنى العفو في الآيتين الكريميتين .

وبقي أخيراً المعنى البديهي الذي يتفق مع سياق القول في كل من الآيتين الكريميتين ، والذي يتفق أيضاً مع بعض الوجوه التي قال بها المفسرون ، وما فهمه سيدنا عمر ، وهو أن لفظة « العفو » في الموضعين ، ترمز إلى فضلة من المال ، أو زيادة يكون أخذها أو الأخذ منها في حدود الطاقة بحيث يكون الحرمان منها محتملاً .

فلنتنظر إذن إلى لفظة واحدة وهي لفظة « العفو » نرى ما انطوت عليه من تحديد الوطاء الذي يغترف منه ولي الأمر لتحقيق المصالح العليا للجموع ، ولتحقيق المصالح العامة أيضاً ، وهذا الوطاء بذاته هو الذي

ولسكتنا نريد أن تقترب من نور علم الإنسان ، وقد ظهرت أماراته في أواخر القرن الثامن عشر ، وفي أوائل القرن التاسع عشر ، بمناسبة التكتل الأوربي والبريطاني للاتفاق نابليون ، وعندئذ عرفت الضرائب المنظمة لأول مرة في تاريخ الغرب ، ونشط علماء الاقتصاد لوضع نظريات الفرائض المالية فقالوا أولاً بنظرية المنفعة .

وتتلخص هذه النظرية في أن حق الدولة على الرعية إنما يقرره ذلك القدر من النفع الذي يعود على الفرد من مباشرة الدولة لوظيفة عامة معينة .

ولئن كانت هذه النظرية قد اتخذت وأفسحت لها هو خير منها ، إلا أن لها بقية ورثها القرن العشرون ، ولتضرب مثلاً محمد ماهيتها ... ويجدر بهذا المثل أن يكون واضحاً كل الوضوح لأنه يحمل واحداً من القيود الفسكورية التي ورثها القرن العشرون من العصور الخالية .

ففي رسوم المرور يدفع صاحب سيارة النقل سبعين جنيتها - تقريباً - في السنة ، على تفاوت يسير لا يمس الجوهر . ويدفع صاحب السيارة الصغيرة عشرة جنيتها في السنة . وهذه الرسوم تجعلها في انقضاء كل من الأول والثاني ، بالطرق وبتنظيم المرور .

يندب الإنفاق منه في سبيل الله ، ويبان ذلك : بقيت هذه الآية الكريمة بنصها وبحكمها أربعة عشر قرناً من الزمان دون إضافة أو حذف ؛ لتقرر حكماً في شئون المال ، وهذا الحكم هو المستقر في مفهوم قوله تعالى في وصف الوفاء الذي يؤخذ منه ، بلفظة مفردة هي : المفور .

ولكن ما هي الأدوار التي مر بها الفقه المالي بعيداً عن حكم القرآن .

كانت الأموال الخاصة تصادر ، وكانت الفرائض تجبي بطرق بدائية في ظل الإقطاع . وكانت الأرض ومن عليها تعهد إلى المقاتلين (ويمرغون في التاريخ بالمتزمن) لقاء عدد من أكياس الذهب أو الفضة تقدم إلى الخزائن العامة ، أو إلى جيب الوالي ، أو الأمير أو الحاكم به ... وليطلق المتزمن بعد ذلك عماله وأعوانه لتحصيل الفرائض والمكوس بالعنف وبالقسوة . ومن الصور التي حفظها التاريخ لهذا العنف ، الضرب بالسياط ومصادرة النقول من قوت أو ماشية . ولذلك كانت الإدارة المالية نوعاً من التخريب والفوضى . وسادت هذه الحال في الغرب ، ومن أسف أنها عرفت في بلاد المسلمين بعد أن مال الميزان حول القرن الرابع عشر ، وزادت لعهد المماليك في ظل الدولة العثمانية .

نكون في حل من قيود العدالة المطلقة... وكل ما تقدم من أقوال فقهاء المال ، بخصوص رسم السيارة ورسم الجرك ، لا يثبت على النقد حين يرد إلى المعيار الإلهي في قوله تعالى : « خذ العفو » ولكن مجال الحديث لا يمتثل مزيداً من الإطالة في هذا الخصوص ، وإنما نضرب الأمثال على ثبات حكم الإسلام في مستواه الرفيع من ضمان العدالة الاجتماعية ، ونعثر العلماء في اجتهدهم وفي هذا بلاغ .

لم تكن نظرية المنفعة إذن بقادرة على مواجهة النقد المؤسس على تفسير لفظة العدالة فوقف العمل بها — إلا في حالات أشرنا لبعضها — وقال الفقهاء بنظرية القدرة ، أى قدرة الفرد على إمداد الخزانة العامة ، ببعض ماله الخاص .

وفي أواخر القرن التاسع عشر كان الفقه المالى قد بدأ يتكون كما كان علم المالية العامة قد انسلخ من علم الاقتصاد ، وكان من قبل فرعا منه .

ونشطت الأفلام المقنونة لتحديد الضوابط والمعايير التى تودى إلى تحديد قدرة دافع الضريبة ، خلال القرن التاسع عشر ، إعمالاً لنظرية المقدرة .

واتجه الرأى بآدى ذى بدء إلى تقرير نسبة مئوية واحدة مثل ٥ ٪ . ثم تبين أن استقطاع خمسة جنيهات من صاحب المائة

وأساس الانتقال على سيارة النقل هو أنها تسهّل الطريق وتشغله بما يزيد أضعافاً على ما يتأتى من السيارة الصغيرة .

إذن صاحب سيارة النقل ينتفع من الطريق العام بأضعاف ما ينتفع الآخر ، وتقضى العدالة — فى نظر المؤمنين بنظرية المنفعة — بهذا التفاوت فى أوزان الرسوم .

ولا يمكن لفقهاء المال أن يكتسوا عن تقرير هذا الأسلوب المجافى للعدالة ، ولذلك تراهم يقولون بأنه لا يجوز الخلط بين الرسوم وبين الضرائب .

فالرسوم تجب لقاء خدمة أو منفعة معلومة بذاتها . على حين أن الضرائب تجب دون نظر إلى مقابل معين بذاته . ويرتبون على هذا الجدل أن تأسيس الرسوم على نظرية المنفعة لا غبار عليه . وفى هذا الدفاع شبهة من الوجاهة ، ولكننا حين ندرس رسوم الجمارك نجد أنها تثقل على الضعيف ، وتخفف عن الغنى ، وبالتالي تخرج عن مفهوم العدالة فى توزيع التكاليف فى بعض الحالات (كما فى رسوم التبغ) وإذا ستل فقهاء المال فإنهم يقولون هذا باب هام من أبواب الإيراد لا يمكن أن نلتزم فيه بتطبيق نظرية المقدرة — وهى أحدث النظريتين — ويمكن لصيغ هذه الفريضة بصيغة العدالة اللغوية أن نطلق عليها هذه التسمية « رسوم » وبعد ذلك

والاقتصاد في الربع الثالث من القرن الثامن عشر ، قد وضع أسس الضريبة العادلة ، وهو بصدد الكلام عن اقتصاديات الدولة — قبل تجنيب هذه الاقتصاديات في فرع خاص يعرف بالمالية العامة — إلا أن القرن التاسع عشر كله قد شهد التطور الرتيب في سبيل تحديد هذا المفهوم الذي تؤمله الإنسانية المتحضرة حضارة مادية عالمة ، ألا وهو العدالة في توزيع التكاليف المالية على أفراد الرعية . ولم يكن للأسرة حساب يذكر قبل السنوات الأولى من القرن العشرين ، وكان ذلك تحت ضغط الوعي الذي انتشر في صفوف الجماهير ، وظالبتهم من العمال والصناع الذين ذاقوا الأمرين في مراحل التصنيع التي تجرت بأوروبا وانجلترا والولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر على وجه الخصوص .

ومن ثم نجد البحوث المبكرة في شئون الأسرة وواجبات رب الأسرة وحقه في المزيد من الإعفاءات والمزيد من الأجر ، تطالعتنا في مستهل القرن العشرين لا قبل ذلك . في خلال قرنين من الزمان ، إذن ، وفي عصر الحضارة المادية الحديثة والحضارة الفكرية الباهرة ، تطورت النظريات المالية لتصل إلى استكمال المعايير التي تؤدي إلى فهم للنظرية المقدرة . أو نظرية القدرة على الدفع .

وجدير بالذكر هنا أن ما قال به العالم

لحسب ، هي أشد إيلاما من استقطاع خمسين من صاحب الألف ، مع وحدة النسبة المقررة للضريبة .

ومن ثم فإن النسبة الموحدة ، لتحقيق العدالة . فقيل بالتصاعد والتدرج ، لتقريب وقع الضريبة على كل من الغنى والمفقير .

... ثم تبين أن صاحب الألف قد يكسح ويشقى في سبيلها كصاحب المهنة مثلا ، على حين أن غيره من أصحاب الألف أيضا (كإيراد سنوي) يحصل عليها بغير عناء لأنها تجيء من مورد ثابت كأرض أو عقار ...

وهكذا تبين مرة أخرى أن التصاعد وحده لا يحقق العدالة على وجهها الصحيح ، فدخل التفاوت على الفئات لإثقال التكاليف على صاحب الإيراد الثابت ، وتخفيفه من صاحب الإيراد المكتسب .

ولكن الظروف الاجتماعية تزيد من دافئ الضرائب ، لا تطابق حتما ظروف غيره . فمن الممولين من لا أسرة له ، ومنهم من ينوء بالتبعات للأهل والولد ... ومن ثم قيل بالتخفيف المعين المحدود ، على أساس تقرير ما يعرف بالإعفاءات من أجل نفقة ملازمة لوالد شيخ ، مثلا ، ولنفقة الزوج والولد ، على تفصيل لا يدخل فيما نحن بصدده .

وثن كان آدم سمث ، أستاذ المنطق

بحكم الزوم ، حتى يتحدد المدلول الذي ترمز له ، وهو فائض المال الذي يكون محلاً للفرائض ... أقول بأن المرء حين يطيل النظر على هذا النحو فإنه يقترب عندئذ من فهم وجه واحد من الوجوه التي يحمل عليها قول الله تعالى ، في سورة لقمان .

« ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم » .

وقوله تعالى في سورة الكهف :

« قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى ، لنفدت البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً » .

والحق أن كلمة واحدة وهى كلمة « العفو » في موضعها من الآيتين الكريمتين ، لشديدة الإبانة عن كثير من كلمات ربى . وما على القارىء إلا أن يصنى إلى الكلمة الواحدة ، فإذا هي تعدته بكلمات تحمل من الحصر .

وعند هذا الحد من القول قد يبدو وكأن مفهوم الآية الكريمة « خذ العفو » قد تحمل على التلاوة بشئ من الإيمان . ولكن هذا الظن لا يخلو من التسرع ، فلا تزال المعاني العلية الدقيقة تحف بالنص من كل جانب ...

إذن فلنرجع للتلاوة من جديد :

الإنجليزى آدم سميث ، وما زاده من بعد كثيرون من علماء الاقتصاد والمالية من أمثال جون ستوارت مل ، وباستايل ، وسيد جوبك ، وهم جميعاً بصدد استكمال هذه المعايير ، وقد ورد بوضوح في القواعد التي وضعها الخليفة الثانى سيدنا عمر . وقد جمع أبو يوسف في القرن الثانى للهجرة ما انتهى إليه من آثار السياسة المالية لعمر فإذا بها تسبق الغرب بما يقرب من ألف عام .

ولم يكن لهذا الخليفة العظيم ، من معلم سوى القرآن ، فقد فهم ماهية « العفو » في شئون المال ، فاهتدى بنور القرآن ، وصرف الإعفاءات ، كما صرف الضريبة الصاعدة .

ولو أننا عرضنا لفقه الضريبى والنظرية المالية ، فى أرقى المستويات التى وصلت إليها إلى الآن ، لو جدهاها تكاد تقترب من المعيار الذى حددته الآية الكريمة « خذ العفو » ؛ لأن المال لا يكون فائضاً عن حاجة من يخرج عنه طوعاً أو كرهاً ، إلا إذا روعيت حاجته وحاجة عياله ، ووسائل تكسبه ، أى رخصة هينة ، أم شاقة مجعدة ، وجملة إيراده ، أى كافية لمواجهة ضروريات الحياة أم هى مقصرة عن الوفاء بها ... إلخ .

وإن المرء ، حين يتأمل قوة هذه اللفظة وثباتها وما توحى به من المعاني الصيقة بها

« والذين إذا ألقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ،
وكان بين ذلك قواماً » .

ثم نقف عند حد قوله تعالى : « قواماً »
ونجد أن هذه اللفظة في موضعها من الآية
الكريمة ، تضع المعيار الثابت لحد الاعتدال
في الإتفاق على الشئون الخاصة بالمعيشة
العادية ، وهذا الحد من الإتفاق هو الذي
يكفل المستوى الوسيط من العيش ، الذي
يستغنى من المال قدراً يكون ما فوقه
« عفواً » ، يؤخذ منه ، أو يؤخذ كله .

إذن الآية الكريمة : « خذ العفو » تحمل
في طياتها حكماً بأن لكل إنسان مستوى من
العيش الذي يحفظ عليه إنسانيته ، وهذا
المستوى مصون بأمر الله ، ولا ينبغي لولى
الأمر أن يمس ، لأنه أمر بأن يأخذ العفو
أى ما زاد (أو بما زاد) على القدر الضروري
لمواجهة تكاليف الحياة دون تقتير ودون
إسراف .

فإذا سلمنا بأن الآية الكريمة تشير إلى
المستوى المذكور ، فإن قضية هامة تهيء
بالتبعية ، أو بالقياس العكسى ، وذلك أن
ولى الأمر حين يأخذ العفو ، ويحفظ على
الفرد - الذى يؤخذ منه - مستواه الإنسانى
وذلك بالكف عن المساس بما دون العفو
إنما يفعل هذا كله فى سبيل المصلحة العامة ،
وصونا للجتمع من فساد الإسراف وتمكينه

« خذ العفو » والعفو كما اتفينا إليه فيما
تقدم ، هو الفائض الذى يكون الحرمان منه
محتملاً ...

فإن كان ولا بد من الأخذ المجمع فليكن
بأقدار متساوية عند كافة أفراد الرعية .
والتسوية فى الحرمان تعنى بتفاوت الفرائض
من زوايا كثيرة ، كما تقضى بالتفاوت فى
الإعفاءات كما قدمنا . وكل هذا حسن جميل ،
وتطمين إلى النفس ، ولكن هنالك معيار
آخر تدل عليه الآية الكريمة ، ولا يقل
أهمية عن كل ما ذكرنا ، ويسان ذلك :
أن المال لا يكون « عفواً » بمعنى : زائداً
أو فائضاً ، إلا إذا ارتفع فوق المستوى
الحدى لتكلفة المعيشة على صورة إنسانية .
ومؤدى ذلك أن حكم الآية الكريمة يوحى
بوجود مستوى من العيش لا هو بالكفاف
ولا هو بالغ حد الإنفاق ، ولكنه وسط
بين هذين الحدين .

والآية الكريمة تفسرها آية ، والقانون
يفسره قانون ، والمادة من القانون تفسرها
مادة أو مواد ، وإعمال بعض الأحكام مع
بعضها الآخر أولى من إعمال كل منها فى
معزل عن غيرها .

هذه أساليب مسئلة فى الاستدلال العقلى
على المفهوم الصحيح للأحكام . ولذلك نلوه
قول الله سبحانه وتعالى (من سورة الفرقان)

عند كل فرد ، فإنه يترتب على ذلك أنه إذا كانت بأقوام منهم مسغبة أو مترية فإن علاج أمرهم بدخول فيما يدل عليه المفهوم الاصطلاحي « المصلحة العامة » التي كان تحقيقها قصداً ، وما الأخذ إلا وسيلة .

فكيف يفعل إلى ولى الأمر بالحالات التي ترقى المستوى الحدى الذى تضمنه عنده بداية الفائض ، أو بداية العفو ؟ .

هذه هي القضية الأخرى التي لا تقل عن كل ما تقدم ، من حيث الأهمية .

وهي بدورها ، بعض ما تحدثنا به الآية الكريمة الموجزة ، «خذ العفو » حين نحسن الاستماع إلى ما فى كتاب الله من حكم بين ثابت جامع مانع ، لا يقبل التطوير ولا التطور ، بل هو وحده السكفيل بتحقيق الخير فى الأولى وفى الآخرة .

قد يبدو أن ما تقدم من قول متصل بقوله تعالى «خذ العفو » لا يمت إلى موضوع الربا بأية صلة . ومن ثم فإن القصد الذى ذكرناه يحمل على أنه تقديم مطول ١١

وأباعد إلى إزالة هذا اللبس فأقول :

إن الحكم الذى يقضى بأخذ العفو دون غيره من أثمان الضروريات ، وما يتفرع عنه من كفالة ولى الأمر للمستوى الوسيط ، إنما هو مثل الأحكام القرآنية التي تستهدف

الدولة من مواجهة نفقاتها العامة ، وكل هذا جلى وصحيح .

إلا أن هذا المستوى الذى حددته الآية الكريمة ليكون حصناً لما تحته من مال ، ما خبره عند الفقهاء الذين لا ترقى مواردكم إلى مجرد مستوى الإعفاء ، أى الذين لا عفو عندهم ، ولا ما دون العفو ؟ .

وهل يجوز لنا أن نفهم بأن حكم الآية قد نزل لتنظيم الشئون المالية للقادرين على الدفع وحدهم ، ومن أموالهم يكون الأخذ ؟ .

أم هل يجوز لنا القول بأن المستوى المصون من العيش ، هو فى نظر ولى الأمر وقف على القادرين ، فأما من عداهم فهم كم مهمل .

وهل عرف من أحكام الإسلام أنها تكييل بمكيالين ؟ .

معاذ الله . فإن عدله سبحانه وتعالى يأتى ذلك ...

إذن ما دعنا قد وصلنا إلى القول بأن ولى الأمر ينظر بنفسه وبأدواته التي يستعين بها على الحكم فى الشئون المالية للناس حتى يطمئن إلى تحديد المستوى الإنسانى ، ومن الفائض فوق تكاليف هذا المستوى يأخذ الفرائض ...

وما دعنا قد قررنا بأن ولى الأمر يلزم أيضاً بدراسة هذا المستوى ومدى توافره

فوق مقتضيات التطوير من لزوم الجود أو العجز أو النقص أو التخلف... وهذه شوائبه مألوفة في صناعات البشر، سواء أكانت هذه الصناعات حروفا ملبوسة يهوى عليها التعديل والتحسين، أم كانت من القضايا الفكرية التي تمركزها الأهمام، ومن ثم يهوى عليها النقد والتصحيح في سبيل الترقى إلى مستويات الفكر الرفيع.

ماهية النظام الاقتصادي :

النظام الاقتصادي هو الهيكل العام الذي تجتمع فيه مقومات الحياة المادية للإنسان. ومن ثم يقال بأن الاقتصاد هو العلم الذي يدرس سلوك الإنسان في معيشته المادية، أو في شئون معاشه. وقد أوردنا لمحة مادية عن قصد قننيه إلى أنه من عصر النهضة، واتجاه الفكر الغربي إلى التحرر من قيود تعاليم الكنيسة في شئون المعاش، توافرت في الغرب ظاهرات تحررية (على ما يقولون) يهمنها في مقامنا هذا المعص التام بين علم الأخلاق وعلم الاقتصاد.

ليس هذا لحسب، بل إن علم الاقتصاد قد فصل فصلا تاما عن جميع العلوم الفلسفية ومنها الاجتماع.

وكل ذلك نتيجة لثورة الفكر الغربي المتحرر من تضيق الخناق على النشاط الذي يحكم العقل بإجلزته (بل يحكم بضرورته)،

صيانة المجتمع من الميزات الاجتماعية ومن الآراء المدممة، كما أنه يستهدف كفاءة التعاون فيما بين الناس.

أي أنه حكم يحقق الاستقرار، ومن ثم التقدم والبناء في ظل وارف من الأمن والطمانية، إذا حسن تطبيق الحكم... وذلك على حين أن التنظيم الربوي يزيد من الفروق بين الأرزاق، ويزيد الضعيف ضعفا، فيكون عبئا ثقيلا على المجتمع، ومصدرا للتفكير المدمم، أو الجريمة. كما يزيد الغنى غنى، فيغريه المال على الفساد والطمع.

واقه سبحانه وتعالى يقول في سورة العلق: كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، فإذا جلاونا صورة واحدة من صور الأحكام التي تستهدف البناء الاقتصادي في ظل الأمن، فإن النقيض من ذلك يكون جليا واضحا بدوره.

والشاعر يقول: وبضدما تميز الأشياء. عند هذا الحد، إذن، سأترك الكلام عن مفهوم قوله تعالى: خذ العفو مع التنبية. بكل احترام - إلى أني لم أجد على النور اليسير، وإلى أن هذه الآية الكريمة قد وسعت من علوم المال شيئا كثيرا، مع فارق هام، أكرر الإشارة إليه، وهو أن النص القرآني واضح وثابت ومرن، ومن ثم فهو

في التداول أيضاً ، فإن ارتفاع الائتمان يكون أسرع وأشد ، بفرض بقاء الظاهرات الأخرى على حالها .

قلنا بأن علم الاقتصاد لا يبحث فيما ينبغي أن تكون عليه الحال ، وهذه قاعدة مطردة مهما بلغت صلة المشكلة التي يبحثها الاقتصادى ، بالأمور الإنسانية كشكالات العمال مثلا ، أو عقد القرض .

هذا هو علم الاقتصاد البحث أو النظرية الاقتصادية ، وهي في تطور مستمر ، وقد خضعت في هذا القرن العشرين إلى التحليل الرياضى ، وآتت من النظريات ما هو جدير بالدرس والتحليل ، إلا أن بقاء هذا الفرع الخاص من فروع المعرفة في برجه العاجى لم يمنع من قيام الثورة في نفوس بعض المشتغلين به من المزج بين فلسفة الاجتماع وبين الاقتصاد البحث ، ومن ثم نشأت فروع خاصة ، يقال لواحد منها الاقتصاد الاجتماعى .

وأود التنبيه إلى أن عزل الظاهرات الاقتصادية عزلا تاما عن فلسفة الاجتماع ، وإخصاها بالرياضة (وهي مجموعة من القوانين الثابتة) تنطوى على خطر كبير يشمل في جمود العاطفة وإهدار الأمور الإنسانية . وقد ترتب على الأخذ بهذا النظر ، أن نشأت فروع أخرى من المعرفة ما كانت الحضارة المكربة لتقرها ولولا هذه النظرة المادية الخالصة

كالتجارة مثلا ، إذ كانت محرمة تحريما باتا ولم يجرؤ أحد من علماء اللاهوت على إباحتها حتى أن تعاليم الأب توما الأكوينى الذى عاش في القرن الثالث عشر لليلاد (من سنة ١٢٢٥ إلى سنة ١٢٧٤) كانت تجمع بين الجراءة وبين التردد ، ولم يسلم من النقد ، على نحو ما سئرى بعد قليل .

أما علم الاقتصاد في يومنا هذا (بعد تطوره فخلال القرون الثلاثة الأخيرة) فقد وصل إلى القول بأنه لا يعنى إلا بدراسة الظاهرات الوثيقة الصلة بشئون الثروة ، على النحو الذى تتأتى عليه ، من غير تدخل من الباحث . بمعنى أن هذا العلم ينحصر في القول بما هو كائن وبما سيكون من نتيجة منطقية إذا توافرت مقدمة معينة ، ولا شأن له بما ينبغي أن يكون .

فقول مثلا : إذا زادت كمية النقود (وبقيت الظاهرات الأخرى على حالها) فإن الائتمان يميل إلى الارتفاع) .

ومعنى ذلك أنه ، إذا توافرت كميات جديدة من النقود ولم يحدث أن ازادت سرعة تداولها ، كما لم يحدث أن توافر قدر إضافي من السلع والعلقيات ، فإن مستوى الأسعار يميل إلى الارتفاع ، أو يرتفع حتى يبلغ المستوى الذى يتناسب مع زيادة النقود ، أما إذا زادت كمية النقود وزادت سرعتها

تطور النحو والعربى

للدكتور عبدالله درويش

- ٢ -

حتى المنهج الوصفي في النحو له فلسفة ،
وأفكاره منطقية غير مضطربة ويدعم حججه
بالأسباب .

إذن فما مشكلة النحو ومنزجه بالفلسفة
والمنطق وإسرافه في التعليل ؟

المشكلة هي أن النحاة بنوا تقسيماتهم في
القواعد على أساس من الفلسفة فاستعاروا
الاصطلاحات الفلسفية ومدلولاتها وحاولوا
تطبيق النحو عليها . . .

مثال : ذلك : الفاعل . فعناه الفلسفي من
قام بإحداث شيء ، ومعناه النحوي كذلك

الفاسف والمنطق والتعليقات :

نرجو أن يكون واضحاً في الاذعان أن كل
فكرة لابد أن تعتمد على فلسفة ما ، وأن
مسائل الموضوعات لابد أن تسير المنطق في
عرضها فلا يكون فيها تناقض . وأن الآراء
حين تختلف ويراد ترجيح أحدها لابد من
ذكر سبب أو تعليل لذلك . ولا نطلب من
النحو أن يكون بديلاً بين العلوم فيخلو
من الفلسفة والمنطق والتعليقات بالمعنى الذي
ذكرناه .

وقبل أن نعرف في الإعجاب بتطوير
النظرية الاقتصادية وما وصلت إليه من
تحقيق المادية المبررة يجعل بنا أن ننظر
إلى الأسباب التي أدت إلى العزل الذي أشرنا
إليه ، أعنى عزل الاقتصاد عن الدين . وقد
كان تحريم الربا في تعاليم الكنيّة من أهم
هذه الأسباب .

البتة في العدد المقبل

عيسى عبيد إبراهيم

في دراسة الثروة . ومن ذلك تأسيسها على
خيال سقيم يسمح بإقامة علم مستحدث في دوائر
الأعمال يقال له : الأخلاق العملية .

Business Ethics.

هذه هي بعض النتائج التي ترتبت على فصل
دراسة الثروة أو الأموال - وهي التسمية
الثانية التي أقرها فقهاء الإسلام ، وهي
الأصلح - عن دراسة الفلسفة . أو قل بعبارة
صريحة : فصل الاقتصاد عن الدين .

على ذلك فهذا أبو حاتم السجستاني في بعض حلقات الدرس في بغداد كان يتناول بالشرح الغوى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، فذكر تلاميذه أن الأمر لواحد : ق ، وللاتين قيا ، ولجميع قوا ، حين تضمها إلى بعضها تقول : ق قيا قوا .

وكان في ناحية من المسجد رجل يسمع ما يدور بين الأستاذ والتلميذ فقال لصاحبه : احتفظ بئياني حتى أرجع ، وانطلق إلى صاحب الشرطة وقال له إني ظفرت بقوم من الزنادقة يقرءون القرآن على صياح الديك ، فاشتر أبو حاتم ومن معه إلا بالشرطة يهجمون عليهم . وفي المحضر تقدم أبو حاتم يشرح الفصة لرئيس الشرطة . . . وقد اجتمع خلق كثير لينتظروا نتيجة المحاكمة . . . فإذ كان من صاحب الشرطة إلا أن عنفه وقال له : مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا ؟ وأمر بأصحابه فضربوا بالسياط وقال لا تعودوا لمثل هذا .

فترك أبو حاتم بغداد ورجل إلى البصرة . ولم يكن نصيب العرويين من السخرية بأقل من نصيب النحاة . فهذا أبو جعفر بن النحاس العالم المصري الذي انتقل على يديه علم البصرة والسكوة إلى مصر . . . كان يقطع في جزيرة الروضة على دجج المقياس يقطع آياتا من العرويين ويردد التفعيلات أثناء

فيقولون : كتب محمد ، بات على ، فما رأيهم في ما قام أحمد ؟ فاعل ويستبح ذلك ، أن تقول فلسفياً : كل فعل لا بد له من فاعل فيلزمنا أن تقول كتب وقلم محمد . . . إن في هذا الأسلوب تنازعا ؛ لأن الفعل كتب يحتاج إلى فاعل ، والفعل قلم يحتاج إلى فاعل وكذلك مسألة الاشتقاق .

ما أصل المشتقات المصدر أم الفعل الماضي ؟ أما أهل المنطق فقد بنوا قواعدهم فيه على أساس تكملة القسمة العنقية . . . فمثلا اجتمع الهمزتين في كلمة واحدة — مسألة صرفية ، إما أن يكون في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، وعلى كل إما أن تكونا ساكنتين أو محركتين أو متخالفتين ، وعند محاولتهم تطبيق هذا افترضوا كلمات لم تنطق بها العرب واضطروا أن يقولوا مثلا .

إذا بنيت على مثال جعفر من قرأ

أو على مثال برثن من قرأ .

أو على مثال ذبرج من قرأ الخ .

ولكن كما سبق نحن لا نملك أن نخترع اللغة بل نحللها كما وردت إلينا خصوصا في أصواتها وفي مفرداتها . أما التركيب فنحلل منهجه ونقيس عليه .

وكان إغراق النحويين في هذه الأشياء مدعاة ليندر الشعراء والعامة عليهم ، كما ذكر السيوطي في بغية الدعاة ٣٦٥ روايات تشهد

لست النحو جشك
لا ولا فيه أرغب
أنا مالى ولا مرى*
أبد النحر يضرب
خل زيدا لشأنه
حيثما شاء يذهب
وهذا صمار الكلابي يهجو النحاة فيقول :
ماذا لقيت من المستعربين ومن
قيامهم هذا الذى ابتدوا
إن قلت قافية بكرة يكون لها
معنى خلاف الذى قالوا ، وما ذرعوها
قالوا لحنت وهذا الحرف منخفض
وذلك نصب وهذا ليس يرتفع
وضاربوا بين عبد الله واجتهدوا
وبين زيد فطال الضرب والوجع
ما كل قول مشروحا لكم ، فخذوا
ما تعرفون وما لم تعرفوا فخذوا
وهكذا كان لغراق النحاة فى الفلسفة
والتعليقات مدعاة لغفور الناس من النحو .
وزادوا على ذلك بأن عقدوا الأسلوب
وصعبوا تراكيب الكلام فى تأليفهم حتى
استحصى فهمه على كثير من الخاصة به العامة .
ولسنا وحدنا الذين ندعى خلط النحو
بالفلسفة وتعميق أسلوب التأليف فيه .
فهذا أحد الأساتذة المعاصرين يذكره
فى مؤلف جليل له استمع إليه يقول :
« ولما أن استحصدت الفلسفة وأغرم
الناس بها دخلت النحو وأثرت فيه كما دخلت

التقطيع وكان ذلك مدة الصيف أثناء
النيضان قسمه بعض العوام فقال : هذا
يسحر النيل حتى لا يفيض .. وبالتالي ينقص
ماؤه فتقل المحاصيل فتقل الأسعار وتزيد
الرواية لقصة عاتمة يائسة فتذكر أن الرجل
دفع ابن النحاس برجله فى النيل ، ولم يعثر له
على أثر (أنباء الرواة ١ ص ١٠٢) .
وفى عصرنا الحاضر يعتبر العروض أشبه
بكتابة الطلاسم والأحجية .
هذا ما كان من شأن العامة .
أما الشعراء فكلنا يدرك مدى الخصومة
التي كانت بين الفرزدق وعبد الله بن أبى إسحق ،
فقد كان هذا العالم النحوى يتبجح سقطات
الفرزدق حتى إذا كان قوله :
ومضى زمان يا ابن مروان لم يدع
من الناس إلا مسحعا أو مجلف
فقال له ابن إسحق : علام دفعت مجلف
فقال الفرزدق : على ما يسوءك وينوءك .
ثم جهأ الفرزدق بقوله :
فلو كان عبد الله مولى مجسوته
ولكن عبد الله مولى مواليا
فغلطه ابن أبى إسحاق فى السكلمة الأخيرة
وقال إنما هى « موالى » .
ولقد وقف أعرابي (أخبار النحويين ٥٤)
على أبى زيد مستمعا فظن أبو زيد أنه جاء
يسأل مسألة فى النحو : فقال له أبو زيد هل
لك حاجة إلى أن تسأل عن مسألة فى النحو ؟
فقال الأعرابي على البديهة .

الخاصة من المنتقطعين له وأصحاب الزية فيه .
قال الجاحظ : قلت لأن الحسن الأخضر :
أنت أعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك
مفهومة كلها ، وما بالناس تفهم بعضها ولا تفهم
أكثرها وما بالك تقدم بعض العويص
وتؤخر بعض المفهوم ؟ . قال : أنا رجل لم
أضع كتبى هذه لله وليس هى من كتب
الدين . ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعون
إليه قلت حاجتهم إلى ما فيها وإنما كانت غايى
المقالة ١٥ فالمسألة احتكار ١ .

فهل نلتبس النحويين العذر فى ذلك لأن
أكثرهم كان رقيق الحال معرضة عنه الدنيا ،
حتى منزله الاجتماعية كانت أقل من منزلة
دملائه من رجال الدين . على أن بعض
القطاحل منهم كالخليل كان زاهدا فى الدنيا
رافيا عنها ودعاه سليمان بن حبيب بن المهلب
ابن على وإلى الأهواز لتأديب ولده فاعتذر
قائلا :

أبلغ سليمان أنى عنه فى دعة
وفى غنى غير أنى لست ذا مال
سما بنفسى أنى لا أرى أحدا
يموت هولا ، ولا يبقى على حال
(للبحث بقية) الركفور

عبد الله مبرور

غيره وأثرت فيه ، ولكن على تفاوت
واختلاف ، مطاوعة لطروف الحال والبيئة .
فكان أبو زكريا الفراء ، وأبو الحسن الرماني
فيمن غلبت الفلسفة على كتبهم وكان كلامهما
نحويا من أصحاب الاعتزال (يقصد الفلاسفة
المحكمين) ومحدث الفارسي عن نحو الرماني ،
فقال : إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن
الرماني فليس معنا منه شيء . وإن كان النحو
ما تقوله ، فليس معه منه شيء . وتحدث
غيره عن نحويهما ونحو السيرافي قال : كنا
نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين ، ففهم
من لا تفهم من كلامه شيئا . ومهم من تفهم
بعض كلامه دون البعض . ومنهم من تفهم
جميع كلامه . فأما من لا تفهم من كلامه
شيئا فأبو الحسن الرماني ، وأما من تفهم
بعض كلامه فأبو على الفارسي . وأما من
تفهم بعض كلامه فأبو سعيد السيرافي .

ويستمر هذا الأستاذ الجليل فيقول :
على أن هناك أسبابا أخرى خاصة كان لها فى
غموض النحو القامض عمل غير مردود ، كجمود
القريحة ، وضعف ملكة البيان ، وقلة فضول
الموضوع والرغبة فى الإبهام والتعمية ، لماذا ؟
لثلاث هون شأنه ، وتقل الحاجة إلى أهله ،
ولثلاث يفسر فهمه والإفادة منه على غير

عاب على كاتب حرف المعنى :

إذا بليتُم فاستتروا

للاستاذ الدكتور سليمان دنيّا

بطلة القصة فتاة تمردت على تقاليد حثيئة تسلب المرأة حقها في حرية التفكير وحرية العاطفة ، فليس للمرأة رأى تعبر عنه ، ليس لها أن تحب أحداً أو يحبها أحد .

وهذه التقاليد لا تغفر للمرأة أن تعرف رجلاً تحبه علناً ، وتغفر لها أن تزلزل الخفاء ، تطبيقاً للقاعدة المعروفة : إذا بليتُم فاستتروا .

ولن أقف مع الكاتب الكبير عند محرمته اللاذعة من التقاليد — وما أدراك ما يعنى بالتقاليد ؟ — التي تأتي على المرأة أن تحب أحداً أو أن يحبها أحد . والكاتب لا شك يعنى بالأحد من عدا زوجها وسائر عاالمها ، ولا شك يعنى بالحب ما هو أوسع من الحب العذري والعشق الصوفي ، إن الأنوثة الطاغية التي مدح بها الكاتبة قريبة قوية على أنه يريد من الحب الذي ينهى على التقاليد البالية أن يحرره على المرأة ، الحب الذي يعطى غلة الشوق ، ويرضى الأنوثة الطاغية .

ورغم ذلك فلن أقف مع الكاتب بجانب هذه المسألة خشية أن يرميني بالجود والتأخر والرجعية والتشديد والتعصيب والصلابة وما أغفاني عن أن أوردت نقى هذه الورطة

إن البيان نعمة كبرى فضل الله بها الإنسان على كثير من خلقه ، وفضل بها بعض أفراد الإنسان على بعض قال تعالى : « الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان عليه البيان » وقال عز من قائل على لسان بعض أنبيائه : « وأخى هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداً بصدقي إنى أخاف أن يكذبون » .

ونعم الله على الإنسان في مزايا مكنه منها لتكون عوناً له على ما يصادفه — كفرد وكجماعة — من صعوبات .

وإذا كان بعض الكتاب يفهم أن البيان ليس سوى أن يجيد المرء سبك العبارة وتزيق الأسلوب ، وليكن المعنى بعد ذلك ما يكون فهو واهم ؛ فإن البيان كالضوء الذي يكشف غوامض شيء كان يحجب عنا الظلام ؛ وإذا كان الضوء لا يغير من حقيقة ما يكشفه فإن البيان الذي يستحق اسم البيان ليس إلا كأنما عن حقيقة شيء كان يحجب عنا الإبهام .

أقول ذلك عتاباً على كاتب كبير كتب في يوميات الجمهورية الصادرة في يوم السبت ٧ من نوفمبر سنة ١٩٥٩ تحت عنوان « ساعات معي ... وأيام معي » العبارة التالية :

إغراء بالمزيد منها ، فيصبح المجتمع كله مجرماً أو يكاد . أما إذا استترت فإنها تنقلص حتى تنعدم أو تكاد . ففشو الإجرام نتيجة إعلان الجريمة هو الذى ألهم المصلحين أن يقولوا : « إذا بليت فاستروا » .

وما أظن يا سيدى أن فى القول بأن فى إعلان الجريمة إغراء بها ، وفى إخفائها إمانة لها ، قابلية لإثارة جدل بينى وبينك ، فإن فيما تكتبون أتم من أحداث فى جريدتكم التى أتم رؤساء تحريرها شواهد مادية عديدة على ذلك ، ومن أقرب ما نشر حول ذلك حادثة الطفل الذى خرج من السجنا فذهب لتوه إلى شجرة من أشجار حديقة منزله وربط بها حبلاً ، ثم علق نفسه فيه وتأرجع حتى ذهقت روحه ، قاصداً بذلك أن يمثل بعض أحداث الرواية كما تقول صيفتكم .

وأوضح من ذلك أن ما نشرته صيفتكم فى نفس اليوم الذى جاءت فيه كلمتك التى تسخر فيها من تقاليد وتهون من شأن قاعدة ، قالت صحيفة الجمهورية ص تحت عنوان : « احتضار الوجودية فى باريس وظهور القمصان السوداء » ما يأتى :

« . . . ومن جرائم عصاة القمصان السوداء سرقة العربات واستخدامها فى رحلات منحة ، ثم تركها فى عرض الطريق . وضرب الأزواج من أغرب هذه الجرائم

وإذا كنت لا أتفق معه على إباحة الحب بهذا المعنى ، فليكن ذلك سرا بينى وبين تقى وإن يك أضغف الإيمان .

وإنما الذى أعتب على القارئ من أجله هو تخريجه القاعدة القائلة : « إذا بليت فاستروا » على أنها تتيح الرذيلة لمرتكبها ما دام يخفيها ولا يعلنها .

فهل هذا - يا سيدى الكاتب - هو معنى القاعدة ؟ لليس هذا معناها . وإنى لأتهكم لا سرا ولا علنا بأنك لا تفهم معناها ، فتلك من أوتى بياناً ناصحاً مشرقاً ، وحققاً مدركاً راجعاً ، لا يخفى عليه ما تتضمنه هذه القاعدة من معنى قوى وفكر سليم ، وإنما الذى أتهكم به أنك استعملت نعمة البيان التى من حقها عليك أن تزيد بها الحق وتشكر الباطل فى تغيير معناها وحملها على غير ما يراد منها ، ففتنا فى القول ، أو تفكها بالسخرية من قول وقائله ، أو تأييداً لصاحبه « أيام معه » .

فلم ليس يخفى عليك معنى القاعدة ، ولو أدت إظهاره فى صورته الحقيقية لقلت فيه قولاً أرق من النسيم وأعذب من السلسيل كما يقولون .

إن معنى القاعدة يا سيدى أن الجريمة إذا أعلنت ، وجدت فى المجتمع من يحاول تجربتها فتشيع وتنتشر ، وفى شيوخها وانتشارها

وشاب آخر صغير - في الخامسة عشرة -
سأله عن سبب محنته فقال : إن والده سكر
بميش للكأس فقط ، لهذا السبب انتحرت
والدته ، لم يحتمل الفتي الحياة مع والد كبير ،
بحرته الشذوذ والانحراف .

ثم قالت الصحيفة :

« إن بعض علماء الاجتماع والنفس يجمعون
أسباب هذه الكارثة إلى تحلل روابط
المجتمع ، بالإضافة إلى ضيق المسكن وانتشار
الخمر والتهار وازدحام المدن ، ومتاعب
العمل ، وانشغال الأمهات في العمل ، وعدم
تفرغ الأب لمنزله ، وكثرة حوادث الطلاق.
وصور الانحلال التي تقع عليها عيون
الأطفال الغضة البريئة تنتقل بسرعة لتسكن
كثيراً من الانطباعات في نفوس الجيل الجديد
من الأطفال . وأخيراً تطفو هذه
الانطباعات على سطح هذه النفوس عندما
تبدأ في الإدراك والفهم والتمييز . ثم يبدأ
الشذوذ والانحراف في هذه السن المبكرة .
يا لله !! لقد أردت - جلت عظمتك - أن
تحمل نفس جريدة الكاتب - في نفس اليوم
الذي حمل فيه حملة مغرقة على مبدأ صحيح
يريد أن يهدمه - ما هو برهان ناصع على
صدق هذا المبدأ ؟ فإن في هذه المأساة
الأخلاقية التي تردت فيها عصاة القمصان
السوداء ، وفيها صور به الشباب بأنفسهم

يتعرض أفراد العصاة للزوجات ، ووجهون
للبين أفدع الشائم وأسفلها حتى يشور الزوج
وفي هذه اللحظة ينالون عليه ضرباً حتى يفقد
وجهه ... ثم يخطفون زوجته .

إن صحف فرنسا وإذاعتها وعلماء النفس
والترية في زعر شديد ، إنهم يحاولون علاج
هذا الشذوذ ، وهذا الانحراف ، الذي هاجم
المجتمع الفرنسي في صورة هذه العصاة .

ثم قالت الصحيفة :

« ومن أفواه أفراد العصاة تسمع الدوافع
والأسباب التي قادت هؤلاء - وهم بين
الرابعة عشرة والثامنة عشرة - إلى هذا
الانحراف والشذوذ .

سئلت فتاة عمرها ست عشرة سنة عن سبب
انضمامها لعصابة القمصان السوداء ، فقالت :
إنها رأت أمها وقد تحطت من كل المثل ،
وطاشت للشذوذ والانحراف فقط ، ولما عانتها
أبنتها هدتها بأنها ستقبلها في مدرسة داخلية .
ثم شككت الصغيرة لوالدها ، وجهه رد
الوالد - وكان كالطعنة السامة في قلب
الصغيرة - قال والدها وكأس الخمر ترمح
في يده : كل النساء كذلك .

وانهارت المثل أمام الصغيرة ، وتقدمت
بخطى ثابتة نحو الخطيئة وسرعان ما لبست
القميص الأسود ، وخرجت في جراءة إلى
دنيا الليل والشذوذ والانحراف .

الكبيرة لا تبالي أن تقوض أمثال هذه الدعائم تأييدا لكانية - لا باحة - لم تزد على أن صورت بعض أحداث وقعت لها ، كما يقول الكاتب نفسه : إن كتاب « أيام معه » ليس قصة ولكنه لوحات فنية أشبه بالاعترافات ، وقد استطاعت الكاتبة أن تعترف بصدق وحرارة وأمانة .

أقول : إذا صارت أقلام الكتاب الكبار لا تبالي أن تقوض أمثال هذه الدعائم الأصلية في تراثنا الإسلامى المجيد تأييدا لكانية لم تزد على أن صورت لنا بعض ما كلمتها أنوثتها الطاغية من مغامرات فما أيسر أن تصور أننا منجرفون بسرعة إلى الهاوية ؟ فإنه إذا أصبح الأفراد أهل طينا واعر من المبادئ ، فمن إذا أنايون لاماليون . إن الشيء الذى لست أفهمه أن يجرى الكتاب الصحفيون أقلامهم لطمع على المثل الأخلاقية والمبادئ الإنسانية التى تصدو إليها الأديان ، وأن يحس الإنسان فى كتابتهم رغبة ملحة فى أن يحتل الناس من دينهم ، فلماذا كل هذا ؟ هلو كان ما يكتبونه هو أبحاث ونظريات تؤيدها الدلائل والبراهين ، لقننا إنهم فلاسفة ومفكرون ، فلما ناظرناهم وإما صذرناهم فإن البرهان حين يتسلط على مبدعه يكون من العبث ثنيه عن نتيجة مالم يتبين فساد . ولكنها حللات تشبه الحللات

أسباب جريمتهم ، وفيما وضع به علماء النفس والاجتماع أسباب صدور ارتكالات الجريمة من الكبار إلى الصغار حين ترتكب أمامهم صلتا جهارا بغير اكتراث ولا مبالاة ، شرحا وتفسيراً وتوضيحا وتأييدا للقاعدة القائلة : « إذا بليت فاستروا » وإن ذلك لبرهان عملى وعلى على صدقها .

إن الشيء الذى نأسف له كل الأسف ، والذى لا يختلف فيه اثنان هو أن الصحافة المصرية أصبحت - بما تنشره أقلام كتابها - دعوة صريحة جريئة إلى التحلل من تراثنا الإسلامى الأصيل .

لقد أبنت فى مقال سابق لى ، فى نفس هذا المكان من مجلة الأزهر ، كيف وقعت الأهرام موقفا عدائيا صريحا من الأديان كلها ، لا من الإسلام وحده - حين نشرت اقتيانتا شيوخاً على الألوهية ، وأبى أن تنشر لنا ردا عليه .

واليوم يؤسفنى أن أقف - وقفا مماثلا - من كاتب كبير من كتاب جريدة الجمهورية يستعمل قلبه القوى ويأنه الرصين فى السخرية مما سماه تقليدا ، أو قاعدة ، وهو فى صميمه مبدأ إسلامى أصيل : فإن الإسلام يرى فى الجريمة الممثلة اقتيانتا على كرامة المجتمع كله إلى جانب ما يجر إعلاتها إلى الإغراء بها ، وشيوع عدواها ؛ فإذا صارت الأقلام

والإصلاحات المفيدة لبني البشر جميعاً .
فهبوا أن هذه العقيدة في الله ورسله واليوم
الآخر ، في ذاتها ليست صحيحة ، أو هبوا
صحيحة ، فما أثر الأخذ بها على المجتمع ؟ هل
تستطيعون أن تقولوا لنا : إن هذه العقيدة
يمكن أن تكون سبباً من أسباب تأخر المجتمع
حتى تستحق منكم حرباً لا هوادة فيها ؟ بينوا
لنا - إن كنتم تسمدون - ما عسى يكون في
هذه العقيدة من أثر سيء على المجتمع . ونحن
نلتزم لكم الملة في هذه الحملة ضدنا .

فإذا كانت العقيدة الإسلامية على العكس
من ذلك - سواء افترضتموها حقيقة صادقة
أو فرية كاذبة - إذ هي عامل من أحسن العوامل
لإصلاح المجتمع ، فلماذا إذن حربها حرباً
لا هوادة فيها ؟

ثم هل في الأمر بالصدق والوفاء بالمهد
والرفق بالضعيف وبر الوالدين ... إلى آخر
ما يقع تحت اسم الفضيلة ما يجر إلى طار
أو قبيحة ؟

أو هل في النهي عن الكذب والنفاق
والغيبه والتمية والرائنا والسرقة والغش والقتل
... إلى آخر ما يقع تحت اسم الرذيلة ، ما
يلب الناس حاجات هي لم ضرورية ؟

بأنه قولوا لنا وكونوا صرحاء فيما تقولون
فإن وجدنا ما تقولونه صواباً ، تبناكم ؟
فإن الصواب هدف كل عاقل ؛ وإلا دعوناكم
(البقية على صفحة ٦٠٤)

السياسية التي يراد بها التشويش على المنصب
المخالف بالاعتراء عليه وخلق الشبه ضده ،
وكثرة التشنيع عليه . وأمثلة ذلك أكثر من
أن تحصى . إلى لتساءل في حيرة ودعشة عن
السر في تصافر رجال الصحافة على نشر ما من
شأنه أن يزعزع العقيدة من نفوس الشعب ؟
فماذا في الدين من عيب يقتضي مع ما يراد لنا
من تقدم ورقي ؟ إن الدين يمكن تلخيصه
في كلمات :

(١) إيمان بالله ورسله واليوم الآخر .

(٢) وحش على الفضيلة في جميع صورها
ومظاهرها .

(٣) وتحذير من الرذيلة بكل ألوانها .

فهل في الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر
ما يدعو إلى تأخر أو رجعية ؟ فإذا في الإيمان
بالله الذي يجعل من البشر كلهم مجموعة ليس
من حق بعضها أن يطغى على بعض خفوا
من الإله الخالق الذي يقدر أن يستذل
الطاعة ويسلب أسباب طغيانه ؟ ماذا في الإيمان
بالله واليوم الآخر الذي من شأنه أن يحقق
العدالة بين بني البشر ويجعل كل إنسان
ينصف من نفسه حتى في الوقت الذي لا يطلع
على جرمته أحد ، خوفاً من المسئولية
الأخروية ؟

ماذا في الإيمان برسالة الله الذين يشهدون تاريخ
كل منهم بأنه يحمل حافل بالتوجيهات الرشيدة

الفنون في تاريخ المسلمين

للأستاذ أحمد الشرباصي

المقالة في الأحكام قد أصابت الكثير منهم .
وقد قيل : إن الفن الإسلامي قد أخذ من
غيره من الفنون كالفن المسيحي والساساني
وهذا القول يحتاج إلى نظر وإيضاح ، فن
المسلم به أن الفنون كانت حين ظهور الإسلام
ضعيفة ، وأخذت هذه الفنون تقوى شيئاً
فشيئاً ، ويشهد ساعدها بمرور الأيام ؛ كما أن
من المسلم به أن اقتباس فن من فن آخر سابق
أو معاصر ظاهرة عالمية شائعة ، لا تقتصر
على الفن الإسلامي ؛ لأن الفنون في الواقع
موارث إنسانية تسمى بين جموع وأديانها
سريان الماء والهواء ؛ وإذا كان الفن
الإسلامي قد اقتبس فقد كان يقتبس عن فهم ،
ويهمهم عن قدرة ، ويزيد عن شخصية متميزة ،
كما انضم إلى جانب هذا كله بالحياة والإبداع ؛
ولنضرب لذلك مثلاً عاجلاً .

لقد اقتبس الفنانون المسلمون شكل المروحة
الساسانية بلا تغيير في بعض الأوقات ولكنهم
في أحوال أخرى ابتكروا أشكالاً جديدة
بمجردة ، وأدى هذا الابتكار إلى ظهور فن
زخرفي إسلامي أصيل في هذه الناحية . ومثل
هذا يقال في نواح فنية كثيرة .

• • •

الفنون في تاريخ المسلمين مكانة جليلة ،
ملحوظة ومع ذلك نجد أن الكتب
التي وضعت عن الفنون الإسلامية وتاريخها
قليلة نادرة في المكتبتين الشرقية والغربية .
إذ نجد في الفرنسية كتاباً واحداً في هذا
الموضوع لجاستون ميغون ، وفي الألمانية
كتابين أحدهما لأرنست كوبل والثاني لجولك
ودير وفي الإنجليزية كتاباً واحداً لديماند .
والله رجعتنا في استقاء المعلومات المتعلقة
بتاريخ الفنون في الإسلام ، وقد ترجمه
الأستاذ أحمد محمد عيسى .

وفي العربية كتاباً واحداً للدكتور زكي
محمد حسن ؛ وكان يجب تأليف عشرات من
الكتب في مختلف الفنون الإسلامية .
ما دامت هذه الفنون تحتل تلك المكانة
الجليلة في تاريخ المسلمين ، وكان يجب على
المسلمين ، وعلى العرب منهم بوجه خاص ،
أن يزودوا المكتبة العربية بكتب كافية
في دراسة هذه الفنون ، حتى لا يكون البحث
فيها محكراً أو شبه محكراً للمستشرقين الذين
ظهرت بحوثهم عن الفنون الإسلامية خلال
القرن التاسع عشر بشكل ملحوظ ، واتسمت
بحوثهم بسهات الطريقة العلمية وإن كانت

المصوفين والنصائك المنود وهم يجادون
الأمراء والحكام ، أو يعظونهم ، من أحب
الموضوعات إليهم .

ومنذ القرن التاسع الميلادي اشتهر بين
المسلمين - وبخاصة في مصر - تزيين الكتب
القيمة عندهم بالرسوم والصور ، وقد أنشأ
الفاطميون بمصر مدرسة خاصة لهذا التزيين ،
وكانت مكتبات الخلفاء الفاطميين تضم عدد
كبيراً من المخطوطات المختلفة الملبئة بالصور ؛
كما كانت هناك مدرسة للتصوير بشمال العراق ،
وذلك في عهد بدر الدين لؤلؤ (١٢٣٣ -
١٢٥٩ م) .

وعرفت المكتبة الإسلامية كتباً كثيرة
مصورة ، وبخاصة في علوم الطب والطبيعة
والنبات والحيوان . ومن الكتب التي ازدادت
بالصور كتاب : « مقامات الحريري » . ويقول
« ديماندا » عن هذا الكتاب المصور ما يلي :
« وأهم نسخة من مخطوطات مقامات
الحريري موجودة في المكتبة الأهلية بباريس ،
كتبها وصورها - سنة ٩٣٤ هـ - ١٢٣٧ م -
يحيى بن محمد الواسطي ؛ وصور هذه المخطوطة
بديعة رائعة تهيئ رسوما آدمية كثيرة نذكرنا ،
بالنقوش الحائطية ، وهي تصور مناظر الحياة
الاجتماعية تصويراً واقعياً ، أقوى فيها عرب
القرن الثالث عشر هم في المسجد ، أو الحقل ،
أو الصحراء ، أو الحان ، أو المكتبة ؛ كما
نراهم يحتفلون بأعيادهم المختلفة ؛ ووجوه كثير

لقد اتسع نطاق الفن في البيئة الإسلامية
وكلما اتسعت دائرة هذه البيئة اتسع فيها
نطاق هذا الفن ، وما كاد المسلمون يفتحون
الشام والعراق ومصر حتى قصروا صدورهم
لأنواع الفنون المختلفة ، فبنى الأمويون مثلاً
بيناء القصور والمساجد والمدن ، واستعانوا
بالمهرة من الصناع المختلفي الجنسية ، كما استعانوا
بالفنيين البربري والساساني ، واقتبسوا منهما ،
وعملوا فيهما ، وزادوا عليهما .

ومنذ عهد الأمويين ظهر الرسم والتصوير
على الحوائط في كثير من البقاع الإسلامية ،
كما ظهرت الأشكال الزخرفية الرمزية ، وصور
الحيوانات والأشجار والنباتات . وفي العصر
العباسي رسموا على حوائط القصور رسوما
لنساء وحيوانات وطيور ، وكانت هذه
الرسوم ذات طابع خاص دال على ملاح
البيئة الإسلامية التي ظهرت فيها ؛ وقد استخدم
القوم فيها الألوان المختلفة كالأبيض والأحمر
والأزرق والأصفر والأسود ، وكان من بين
هذه الرسوم بعض اللوحات المتخيلة للشياطين
وجاء الرسامون الإسلاميون بعد ذلك في العصر
التركي فرسموا صوراً متخيلة للحيوانات وهذا يرى
الجنة ذوات الأجنحة .

ولم يقتصر الرسامون المسلمون على تصوير
أجزاء الإنسان أو الحيوان ، بل رسموا
الأشخاص كاملين منفردين ، كما رسموا الأشخاص
كاملين في مجموعات وطوائف ؛ وكان تصويرهم

وفي إيران استعمل المسلمون الرسامون - خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين - ألوانا كثيرة في رسوماتهم : استعملوا الوردي والزيتوني والزهري والبنفسجي والبني والذهبي والأخضر والأسود. وقد استعملوها ببراعة وإتقان فوق أرضية بيضاء أو زرقاء فيروزية، فزاد ذلك في جمال الألوان وتناسقها وروعها .

وأنشأ كثير من حكام المسلمين في بقاع مختلفة من بلاد الإسلام معاهد ودواوين للتصوير والتذهيب والخط والتجليد والزخرفة. وتوسع الرسامون الإسلاميون فرسموا العازقين والمازقات، والراقصين والراقصات، حتى رسم بعضهم ستة وثلاثين وصفا موسيقيا راقصا، وصوروا قصص الحب، ورسموا الأزهار، حتى رسم أحدهم مائة زهرة في مائة لوحة، ورسموا المئات من الطيور.

وعرف المسلمون منذ أقدم العصور فنونا من الخط، فكتبوا بالخط الكوفي والخط النسخ، والطومار، والتعليق، والنستعليق (أى الخليط من النسخ والتعليق) ، والمازني، والثك، والديواني، والطغراء. وكتبوا بالمداد الأزرق والأحمر والبنفسجي والأسود والذهبي .

وتفتنوا تفتنا رائعا في كتابة المصاحف، وزخرفوا صفحات المصحف، كما زخرفوا عناوين السور، وتفتنوا في المداد وعلامات

من أشخاص تلك التصاوير غنية بالتعبير، ويختلف بعضها عن الآخر، فبدو كأنها لأفراد بذاتهم، وهي في الوقت نفسه دراسة دقيقة لشخصيات مختلفة، ومع هذا وبالرغم من محاولة الفنان التعبير عن الواقع، فإن لهذه الصور طابعا زخرفيا واضحا، ولا سيما تلك التي تكونت من عناصر كبيرة وسارت وفق الأساليب الفنية التي أرست قواعدا مدرسة بغداد في القرن الثالث عشر؛ ونجد في هذه الصور كثيرا من الخطوات الأولى للتغلب إلى اتبعت في التصوير الإيراني، في المصيرين المغولي والتيجوري مثل : تعدد صفوف الأشخاص وتراصهم وتجمعهم، ومثل الخيول التي تظهر في مقدمة المنظر ومؤخرته، والملابس المرسومة بطريقة تخطيطية مقتضبة .

ومن الكتب القديمة المصورة أيضا كتاب « كلية ودمنة » لبيديا الفيلسوف، وكتاب « منافع الحيوان » لابن بختيشوع، وكتاب « الشاهنامة » للفردوس، ودواوين الشعراء الإسلاميين الفارسيين مثل نظامي وسعدي وجلي، وكتاب « جامع التواريخ » للتواريخ رشيد الدين، ومن لوحات هذا الكتاب الأخير لوحة تمثل قصة النبي يونس والحوت؛ وهناك نسخة من ديوان جلي الذي يذكر قصة يوسف النبي مع زليخا، وفيه أربع صور تمثل القصة .

في تلوين حفرياتهم الألوان الزاهية .
كما حفر المسلمون منذ عهد الأول على
العاج والعظم ، وزخرفوا هذا الحفر بنبات
العنب ، مع تفرعات وتقسيمات لأوراقها ،
وشاعت هذه الطريقة في العصور الإسلامية
والبيئات الإسلامية المختلفة .

كما عرفوا طريقة التعليم ، والتجميع ،
والترصيع . وهي أشكال هندسية تتكون من
جمع قطع عديدة من الخشب أو العاج أو العظم
أو الصدف . وعرف المسلمون منذ عصورهم
الأولى صناعة الأطباق المزخرفة التي تزينها
مناظر الصيد ، أو المناظر الأخرى التي تصور
قصصاً أو أساطير ، كما عرفوا صناعة الخزف
والفخار الملون ، وكان لهم ابتكارات رائعة
في هذا الباب ، ووضعوا على قطع الفخار
زخارف جميلة رائعة ، كما عرفوا في صناعة
الخزف أسلوب الفسيفساء الخزفية ، وعرفوا
صناعة الخزف ذي الزخارف المصنوعة
بالبريق المعدني .

وعرف المسلمون منذ العصر الأول صناعة
الزجاج والبلور ، فصنعوا الفوارير والزجاجات
والزهريات والأكواب وما شابهها .

وظهر للسلميين أسلوب إسلامي متميز في
النسيج ، أخذ ينمو ويتطور وينتشر في
البلاد التي فتحها المسلمون ، وأنشأ المسلمون
دور الطراز ، وهي مصانع الأنسجة
المطرزة المزخرفة ، وصنعوا من النسيج

الوقف ، وزخرفوا الأرضية التي امتدت عليها
الحروف بتوريدات وتفرعات مذهبة .

وعرفوا في الخط التنقيب بالضغط ،
واستحدثوا الزخارف المعقدة . والبريق
بالتخريم ، أو بالشف .

وفي تجليد الكتب زخرف المسلمون
الوجه الخارجي لجلدة الكتاب ، كما زخرفوا
باطنه ولسانه ، وجلدوا الكتب بالجلد
والورق المضغوط المدهون بمادة اللاك ،
وزخرفوا جلود الكتب بزخارف مضغوطة
من وريدات وخطوط مجدولة ونقط ذهبية
مضغوطة وزخارف هندسية متشابكة ، وقد
نقل الإيطاليون عن المسلمين كثيراً من
فنونهم في تجليد الكتب وزخرفتها .

وعرفت العصور الإسلامية النحت على
الحجر والجص والخشب ، نحتوا عليها
الحيوانات والطيور والأشكال آدمية وسط
تفرعات وزخارف ، ويظهر ذلك بوضوح
في قصور الخلفاء والأمراء ، وفي المساجد
وأعمدتها ومنابرها ومخاريبها ، وعرفوا طريقة
النحت المشطوف والمائل . وعرفوا الحفر
على الخشب منذ بداية العصر الإسلامي الأول ،
وقد أنشأ لهم أسلوب جديد متميز فيه ، وعرفوا
في هذا الحفر المشوات المقسمة التي تزينها
الزخارف الهندسية أو أشكال من النباتات
أو الأزهار ، وظهر لهم مهارة في إظهار
التفاصيل ، وتنوع مستويات الحفر واستعملوا

الجوانب بالناحية الدينية ، فرأينا ألوانا من
الفنون تتعلق بالمساجد والمنابر والمحاريب
والمصاحف وأبسطة الصلاة وغيرها ؛ كما
نعرف منها أن المسلمين لم يتخلفوا عن غيرهم
في ميادين الفنون ، بل سبقوا غيرهم كثيراً .

أحمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

المزخرف المطرز أثواباً رائعة فاخرة كانت
تقدم خلعا بمثابة أوسمة من الخلفاء .

وعرف المسلمون صناعة الأبسطة ذات
الوبر ، التي ترسم عليها زخارف وصور ،
أو تكتب عليها كتابات مختلفة .

وهذه لمحات خاطفة نعرف منها كيف
شغلت الفنون جوانب كبيرة في تاريخ
المسلمين ، وكيف ارتبطت في بعض هذه

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٩)

والمعرفة ...

إن المعرفة وحدها لا تكفي ، كما زعم
فلاسفة الإغريق ؛ فإن في الإمكان أن تصور
اجتياح عظيمة المعرفة وشر القلب .

هكذا يعتبر الفلاسفة الرحاء بالإنسانية -
رغم أنهم غير متدينين - أن إصلاح القلب
عنصر أساسي لإصلاح المجتمع إلى جانب إصلاح
العقل ، وليس كالذين يصلح القلب ويصقل
المشاعر ، ويظهر الأحاسيس .

هاتوا لنا تربية للقلب خيراً من تربية
الدين ، ونحن نفرقكم على مهاجمة الدين ، ونرى
لكم في المزوف عنه مندوحة ، وإلا كنتم
هادمين للمجتمع حين تهدمون الدين .

دكتور سليمان دنيا

أستاذ الفلسفة المساعد

بكلية أصول الدين

إلى أن تكونوا معنا ، حتى لا تتفرق كلتا
ولا يقع بعضنا في بعض ؛ إننا لا نجد فيما
تنتهي إليه آراء المفكرين إلا تأييداً لفكرة
الدين رغم أن بعض هؤلاء المفكرين هم
أنفسهم ليسوا بمتدينين . خذ مثلاً الفيلسوف
الإنجليزي برتراند رسل ، فقد جاء في حديث
له ترجمه له الأستاذ سعد مكاوي ونشرته له
جريدة الجمهورية الصادرة في ٦ نوفمبر
سنة ١٩٥٩ ، ما يأتي :

« إن الإنسان إذا شاء أن تكون القوى
المسائلة المتزايدة التي يكتشفها له العلم نعمة لا
ثمن ، فإن الأهداف التي يوجه إليها هذه
القوى ينبغي أن تكون حكيمة ، وأن نسمو
بنفس النسبة التي تزايد بها هذه القوى ..

فالحياة ليست ذكاء ومعرفة لحسب ، بل
تنطوي على الحكمة التي تجعل نمو الشعور
الإنساني يسير جنباً إلى جنب مع نمو الذكاء

القانون الدولي في تقدير الإسلام

للشيخ عباس طه

لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير، فالإسلام يعلن بأن الناس جميعاً أبناء أبوين معروفين وهم سواء في الحقوق، وأن الأمم والشعوب وإن اختلفت البيئات قد خلقت لتتعارف وتعاون على تذليل عقبات الحياة، لا لتتناكر وتتناحر في سبيل البقاء ولا يجوز أن تكون الفروق في الأديان والعادات واللغات والألوان بصادة للأمم الرشيدة عن أن تتعارف وتتصافى في مجال المعاملات ويكون أقربها إلى الله أخشاهاً له وأوقفها عند حدوده وهو وحده الذي يتولى الرأى.

ولما كان الدين لا يخرج عن معتقدات وعبادات ومعاملات فقد جاءت كلها في الإسلام إما راجعة إلى هذه الغاية الكريمة أو مهيئة لها ومطابقة لقواعدها العامة كل المطابقة.

أكثر ما تظهر هذه الروح الإسلامية السابقة هو فيما فرضه الكتاب على أهله في المواطن الخطيرة من الدفاع لحماية أنفسهم أو الهجوم لكسر شره عدوم فقد أمروا فيها بمراعاة أصول مشبعة بروح الاستبقاء

لو جاز لنشأة علم من العلوم أن ترتبط باسم إنسان معين لارتبطت نشأة القانون الدولي العام باسم العالم الهولاندى جروسوس فقد أخرج سنة ١٦٢٥ مؤلفه الدائع المسى وفي قانون الحرب والسلام. ولقد كان لظهور هذا المؤلف الذى تضمن تنظيمها يكاد يكون كاملاً لما يقوم بين الدول من روابط وعلاقات تأثير بالغ في النفوس لا يفوقه إلا ما أحدثه ظهور القرآن من تأثير فقد التزمت هذا الكتاب الدول دستوراً لعلاقاتها الخارجية.

فهل للإسلام سياسة دولية من هذا النوع يقوم بناؤها على أصول الحقوق الطبيعية المتفق عليها بين الأمم المدنية اليوم؟

نقول نعم للإسلام سياسة دولية وهى أرقى مما يعرف من الحقوق المتفق عليها اليوم؛ لأن هذه وضعية لا تزال بعيدة عن المثل العليا وتلك إلهية هى المثل العليا نفسها وليان ذلك الإجمال نقول:

أول أساس للسياسة الدولية في الإسلام هو قوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين .
 • ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن
 المسجد الحرام أن تعتدوا (أى لا يحملكُم
 بغضكم لهم على أن تعتدوا عليهم) وتعاونوا على
 البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
 واتقوا الله إن الله شديد العقاب .

فن العدل في الحرب في شرعة الإسلام
 ألا تصرف في القتل ، وأن لا تتجنى على المحارب
 لك ، وألا تعقب المهزومين وألا تمهر
 على الجرحى ، وألا تبين الأسرى ، وألا
 تقتل خدم المحاربين والمراقبين لهم في الخطوط
 الخلفية ، فإذا دخلت بلداً معادياً فلا تحرق
 أشجارها ، ولا تهزم دورها ، ولا تهرق روحاً
 من شيوخها ونسائها وولدها ورجال دينها .
 وقد نبأ النبي صلى الله عليه وسلم من ارتكب
 شيئاً من ذلك حتى أنه نبى أصحابه أن يسبوا
 قتل أعدائهم فقال عقب وقمة بدو وقد سب
 بعض الصحابة قتل المشركين : « لأنسب هؤلاء
 فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون
 الأحياء إلا أن البذاء لؤم » . وهذا نهاية
 ما يؤثر من السوء لشعب دعى لأن يضطلع
 بخلافة الله في الأرض وأن يعمل على إقامة
 دولة الحق في العالم كله — وإذا كانت هذه
 أصوله في المواقف التي تغل فيها الرءوس
 تحت تأثير ثورة الغضب والأسنة المدربة ،
 تهزق الأرواح وتخمد الأنفاس فما ظنك
 به في مواطن الصافية والسلام ناشر

والمطف لا بروح الاصطدام والصنف كما
 يحصل بين أمم كتب عليها أن تعيش مؤتلفة
 لا متنازعة وإنما دفعتها الضرورات لتحكيم
 السلاح فيما شجر بينها من خلاف مسايرة لسنن
 الاجتماع قال الله تعالى : « صلى الله أن يجعل
 بينكم وبين الذين عاديتم منهم مساواة
 والله قدير والله غفور رحيم » . ولما كان
 قد يتوهم أن الإسلام يقضى بمقاطعة كل من
 لا يدين به من الأمم بين الله هذا الأمر على
 وجه يرفع كل لبس فقال عز من قائل :
 « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
 ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتتسلطوا
 إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله
 عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من
 دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم
 ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

فإذا أدت العداوة بين المسلمين وبين بعض
 الجماعات إلى تحكيم السب أمرم الله أن
 يقاتلوا أعداءهم وأن يستبسلوا في القتال
 ولكن على شرط أن لا يحملهم الاستبسال
 على العدوان والتجنى ، بل أن يباشروا الحرب
 مستشعرين روح العدل المجرد عن الهوى
 فكان الإسلام أول من كشف العالم بأن
 في كل شيء عدلاً يناسبه حتى في التناحر
 المحض قال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين
 يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ،
 « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتوا إليهم
عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ، يوصى
الله بالوفاء لهم وهو يعلم أنهم لا يخرجون
من نقض عهدهم لأول بأدلة من فائدة تبين
لهم فقال تعالى : « إن شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت
منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم
لا يتقون . » ولكن لا يؤثر غدر المشركين في
قلوب المؤمنين فيحلمون على مجاراتهم في رذيلة
نقض العهد مقابلة للثل بالمثل عاد فذكر
المسلمين بأن الله يأمر بالعدل بين الناس
وبالإحسان وهو فوق العدل وبالبزى
الشرى وأنه يحرم كل عمل خيس وكل منكر
وظلم باعتبار أن هذه الصفات لذاتها من لوازم
الإيمان لا يجوز المهادنة فيها لآى اعتبار كلن
فقال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وابتأذى القريبى ويبهى عن المشاء والمنكر
والبغى يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد
الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعهد
توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله
يعلم ما تعملون » ، يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شتان
قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى
واتقوا الله إن الله خير بما تعملون ، أى
لا يحملنكم كراهتكم لقوم على ما يرتكبونه
حذركم من التعديات المنكرة على أن تنخطوا
طريقة العدل في معاملتهم .

ألوته ، والحكم تقبلى فى التكيف بمقاتل
الحامد لئيل الدرجات العلى والزلى من
الحق المطلق .

ثم إن الحاجات الاجتماعية قد تدعو لعقد
المعاهدات وإبرام الاتفاقات وتقرير المهادنات
فإزاء هذه الحاجات قرر الإسلام أن يكون
شعار أمته الوفاء المطلق بها من غير نظر إلى
فائدة تبدو في نقضها أو مصلحة تبدو إلى
تأويلها فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا
بالعقود » ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان
مستولاً ، وذكر جل علاه صفات المؤمنين
الصادقين فقال : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم
راعون » ، وزاد ذلك تأكيداً فذكر وجوب
الوفاء بالعهد وجوب الصبر فى أشد المحن
وأخرج المواقف فقال : « والموفون بعهدهم
إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء
وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك
هم المتقون » ، وأوصى سبحانه وتعالى بالعهد
حتى بالنسبة لمشركى العرب الذين كانوا ينقضون
عهدهم فى كل فرصة يظنونها مواتية لهم فى
إيذاء المسلمين فقال جل شأنه : « وأذان من
الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن
الله يرى من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو
خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير
معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم .
إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم

ليس عليهم من السلاح إلا السيوف فلما بلغ ،
قريباً ذلك حاج هانجها فأرسلت بديل
ابن ورقاء ليتعرف مقصدهم فباد إلى قومه
وأخبرهم أنهم جاءوا معتمرين فقالت : أريد
محمد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً فتسمع
العرب أنه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه
من الحرب ما بيننا ، والله لا كان هذا أبداً
ومناجين تطرف وأرسلوا إليه حليس بن علقمة

فلما عاد إليهم أيد قول بديل بن ورقاء وبصمهم
بأس يدعوه وما أراد : فلم يقبلوا نصيحته
وأرسلوا إليه عروة بن مسعود الثقفي فقال له :
يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت إلى
أسلك وعشيرتك لتفعضنا بهم ؟ إنها قریش

قد خرجت تصاهد الله لا تدخلها عليهم
أبداً ، وكان عروة يتكلم بهذا ويمس لحية
رسول الله بيده ، وكان المغيرة بن شعبة وهو
أحد الصحابة يقرع عروة كلما هم بذلك ولما
عاد إلى قریش أيد رأى صاحبيه فقالوا
لا بأس من أن يجي في العام المقبل أما هذا
الصام فلا . وأرسلوا سهيل بن عمرو ليتفق
مع النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فقبل
رسول الله هذا العرض وأخذ يعمل على كلى
ابن أبي طالب فص المقتد فأملأه : بسم الله
الرحمن الرحيم : فقال سفير الجاهليين :
لا نعرف الرحمن الرحيم .

اكتب باسمك اللهم . فقبل رسول الله

هذه غايات من السمو السياسي لا يزال العالم
بعيداً عنها وقد عمل بها المسلمون في عهد لم
يكن للوفاء بالمعهد فيه من حافر غير الخوف
من انتقام المعاهد ؛ لأن غرض الإسلام
لم يكن توفير المصالح المادية لأهله لحسب ،
ولكن تطهير قلوبهم من أقداء الصفات
الحيوانية وجعلهم أمة نموذجية تقوم على
حراسة المثل الخلقية العليا في الأرض .

وقد ثبت من استقراء الحوادث التاريخية
أن الاستقامة الخلقية في السياسة كانت دائماً
أعود على أهلها بالفوز في مجالات الحياة
الاجتماعية العامة من العوج والتلون والنزول
على حكم القوة .

ومن الأخلاق السياسية التي بثها الإسلام
في أهله قبول السفراء واحترامهم والتفاوض
معهم على قدم المساواة فقد روى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يحتفل بالواقدين
عليه ويحبهم بألطافه حتى روى أنه فرش
عباءته لوفد نصارى نجران وأجلسهم عليها .

ويروى عنه ما هو أعظم من ذلك مما يدل
على مرونة سياسية حقة يجب أن تؤثر عنه
وتنشر بين الناس ذلك أنه لما كانت السنة
السادسة من الهجرة أراد النبي صلى الله عليه
وسلم أن يعتمر أى يطوف بالبيت الحرام
في غير أوان الحج فاستنفر الناس
لذلك فاجتمع إليه ألف وخمسة عشر رجلاً

بذلك أصولاً سياسية دولية هي أحكم قواعد وأرسخ ومطاعه وأجمع لمبادئ الإنسانية من أية سياسة في الأرض من يوم أن خلق الله الخلق إلى اليوم .

فلنأمل في أقوال أقطاب العالم الحديث من أن السياسة لا قلب لها ولا ضمير وإنما يجب أن تبنى على أصول تنازع البقاء وعناية الأقوياء . ويقارنها بأصول السياسة الإسلامية يجد اليون شاسعاً بين المذهبيين ، ولا يسهه إلا أن يعترف بأن تلك سياسة جاعلية من آثارها استبقاء الإحن والأحقاد بين الأمم والشعوب وإثارة الحروب بينها مع ما تجره من خراب على العمران وهذه السياسة أساسها العدل المطلق وثمرتها التقريب بين الجماعات البشرية والقضاء على المنازعات المصلحية وردها جميعاً إلى دستور من التعاون والاتلاف جدير بكرامة الإنسانية وملىء بإيجاد زمالة عامة بين البشر كافة مصداقاً لقوله تعالى : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » .

هباس طه

الحامى الشرعى

ذلك منه ثم مضى في إملائه فقال يا على اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الرحمن فاعترض مفوض قريش على هذه العبارة وقال : لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك فأمر النبي صلى الله عليه وسلم كاتبه أن يحوم ما كتب فكره على محوه فمعه رسول الله بيده .

يتحكم الجاهل في وجوب حذف كلتي الرحمن الرحيم وهما عربيتان والقصد منهما تمجيد الخالق ويأبى إثبات عبارة (رسول الله) بحجة أن قريشاً لا يمتنع بصحة نبوته وإثبات هذه العبارة في العقد لا يقتضى إيمانهم به ولكن الجاهليين لا منطلق لهم . فاعجب من سمو منطق النبي صلى الله عليه وسلم في حذفها لأن ذلك الحذف لا يقتضى سلبها منه .

هذه حكمة نبوية لا مرونة سياسية ورسول الله قدوة لأمته وقد جرى خلتاؤه في أحفل عصور الإسلام بالمعاطم على مثل هذه الخطة من المياسرة والملاينة ونهذى المثل العليا في المعاملة والمجاملة واستشعار أسمى الصفات النفسية حتى في الخاصة والمقابلة ، فوضعوا

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

بحث في فعل "ظل"

وقد يأتي من غير دلالة على وقت معين مجازاً ؛ كما قاله في قوله — تعالى — : « فظلمتم أنفسكم » ، يريد قوله — تعالى — في سورة الواقعة : « لو نشاء لجعلناه جحاما فظلمتم أنفسكم » ، ولا يخص ذلك بوقت دون وقت . ومن هذا قوله — تعالى — في سورة طه في قصة السامري : « وانظر إلى الهلكة التي ظلت عليه ما كفا لتحرقة ثم لننفسنه في اليم نسفا » .

فأما قوله تعالى في سورة النحل : « وإدا بشر أحمدم ، بالآتي ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » ، فيجوز أن يكون (ظل) فيه بمعنى صار أو يراد أن ذلك في النهار وفي البيضاء « ظل » وجهه : صار أو دام النهار كله ؛ وكتب الشهاب عليه ، يعني أن أصل معناه : دأوم على الفعل في النهار . فإما أن يكون على أصل معناه ، كان أكثر الوضع يكون ليلا فيشر به في يوم ليته فيظل نهاره مغتماً وأنه بمعنى صار ؛ كما يستعمل أصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ، .

وفي الأشموني : « وقد استعمل كان وظل »

المشهور أن يقال : ظل محمد مثابراً على عمله أي ظل كذلك دائماً على العمل في النهار أو الليل . وقد كان جمهور اللغويين يرون تخصيص ذلك بالنهار ؛ إذ إن هذا الفعل مصوغ من الظل الذي يكون في النهار ، ويقابل ظل في هذا بات التي تختص بالليل .

وفي اللسان : « ولا تقول العرب : ظل يظل إلا لكل عمل بالنهار ؛ كما لا يقولون : بات بيت إلا بالليل » . وفيه : « وقد سمع في بعض الشعر : ظل ليله » . فترى كيف خص استعمال ظل في العمل في الليل بالشعر ، ومنعه في النثر والاختيار . ويقول الحريري في درة القوامص (ص ٧ من طبعة الجوائب) : « وقد عاينت العرب بين ألقاظ متعة المعاني لاختلاف الأزمنة ، وقصرت أسماء أشياء على وقت دون وقت » . ثم قال بعد تعداد جملة ألقاظ : « وبما ينظم في سلك هذا السمت قوله : ظل بفعل كذا وكذا إذا فعله نهاراً ، وبات بفعل كذا وكذا إذا فعله ليلاً » . وقد علق عليه الشهاب الخفاجي في شرحه (ص ٢٧) بقوله : « وهذا أصل وضعه

قال أبو حنيفة الدينورى رداً على
لكندة : أفترى أنت أن السامري الذي
ظل ما كفا كانت عبادته نهائية فقط...
بل ينبغي على ذلك في قوله جل ثناؤه :
« ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من
من بعده يكفرون، أن يكون كفرهم نهائياً
لا غير ، وفي قول الشاعر (١) :

ولإخوان صدق لست مطلع بعضهم
على سر بعض غيب أفي جماعها
يظنون شقاً في البلاد وسرهم
إلى صخرة أعيان الرجال انصداعها
أن يكون هؤلاء شقاً بالنهار ، فإذا جن
الليل اجتمعوا ، وأحدم بالنور والآخر
بنجد . وقال ذو الرمة :

ظلمت تخفق أحشائي على كبدي
كأنني من حذار البين موردود (٢)
أفترى حذاره نهائياً ، فإذا جن الليل أمن !
أكثر من كتاب :

يقول الطيب الذكر الشيخ إبراهيم اليازجي
في دفة الجرائد ، (ص ٦١) : « ويقولون
رأيت أكثر من مرة ، وجاءني أكثر من
واحد ، ومقتضاه إثبات الكثرة للبرة
والوحد ؛ لأن المفضل عليه لا بد أن يشارك
(١) هو مسكين الدارمي وهذا الشعر
في الحاشية

(٢) موردود : عوم .

وأضحى وأصبح بمعنى صار كثيراً .
وإني أورد هنا بحثاً كتبه ابن سعيد
المغربي في حاشيته على الأشعري إذ يعلق على
العبارة السابقة : « زعم لكندة (١) الأصماني
والمهابذي (٢) شارح اللع ، وقبلهما السيرافي
وغيرهم عدم كون ظل بمعنى صار ؛
لاختصاصها عندهم بفعل النهار . قال السيرافي :
هي لما يستعمل المرء نهائياً ، وليست
إلا ناقصة .

وقال ابن السراج : هي مشتقة من الظل ،
ولأنما تستعمل فيما للشمس فيه ظل من
الطلوع للغروب . وقال هشام : « لما بين
الصباح والمساء ، وعاب لكندة قول الأعشى :
يظل رجياً لرب المتنون
والسُقتم في أهله والحزن
فإنه ليس الظلول إلا النهار . قال : « أنتراء
يظل نهاره رجياً لرب المتنون ، فإذا جلد الليل
أمن ! . ومنع ظل فلان عمره سقياً ، وشهره
سائراً إلا وسيره نهائياً . ولم يرتض المحققون
منهم ذلك » .

(١) هو أبو علي الحسن بن عباد الله ويقال
لكندة ، كما ذكره صاحب القاموس في لغة وكان
معاصراً لابن حنيفة الدينورى في القرن الرابع
المجري . وله كتاب الرد على الشراء وقد تنص
عليه أبو حنيفة الدينورى . وانظر معجم الأدياء
٨ - ١٤٨ .

(٢) هو أحمد بن عباد الله أخذ من عبد القاهر
الجزائري .

فلان) : « لأن لفظة اجتمع على وزن افعال وهذا النوع من وجوه افعال - مثل اختصم واشترك - وما كان أيضا على وزن تفاعل - مثل تخاصم وتجادل - يقتضى وقوع الفعل من أكثر من واحد . »

وفى اللسان (مرا) من كلام إمامنا الشافعى فى المرايا : « والصنف الثالث من المرايا أن يعرى الرجل الرجل النخلة أو أكثر من حائطه ليأكل ثمرها ويديه ويشمره » فقوله : أو أكثر أى من النخلة .

وكان الأب أنستاس الكرملى قد رد على اليازجى فى مجلة المشرق (المجلد سنة ١٩٠٣ ص ٦٣) وذكر أن هذا التعبير ورد فى عبارة لعبد اللطيف البغدادى فى حديثه عن الأهرام إذ يقول : « وعند هذه الأهرام بأكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الأرض فى غاية العظم ، يسميه الناس أبا الهول . »

وبعد فهذا الأسلوب ورد فى قصة نعرى لرجل جلعلى ، وهو سعد بن زيد مناة بن تميم الملقب بالفز - فلقد عرض على أولاده أن يرعوا أمراءه ، فأبوا عليه ذلك ، فوافى بممراته الموسم ، فدعا الناس فلما اجتمعوا قال : اتبهوها ، ولا أهل لأحد أكثر من واحدة جلت هذه القصة فى اللسان : (نورد) فى الاشتقاق لابن دريد ص ٢٤٥ .

وترى أن اليازجى ضيق واسما من القول ٩ .

محمد على النجار

المفضل فى ذلك المعنى . فتقولك : بكر أشرف من خالد يتضمن إثبات الشرف لخالد مع زيادة بكر عليه فيه . »

والظاهر أن هذا التعبير منقول عن التركيب الإفرنجى ، والعرب يستعملون هنا لفظ (غير) يقولون : رأيت غير مرة ، وجاء فى غير واحد ؛ لأن غير الواحد لا بد أن يكون اثنين فما فوق . »

فقرأ ينكر أن يقال : عندي أكثر من كتاب ؛ لأن الكتاب الواحد لا كثرة فيه ؛ على ما هو الأصل فى أفضل التفضيل ، ويذكر أن هذا الأسلوب لم يرد عن العرب ويستظهر أنه منقول عن اللسان الإفرنجى .

وأفضل التعميل كثيراً ما يأتي على غير الأصل الذى ألف فيه ، وقد جلد فى اللسان (عشش) قول ذى الرمة :

لنا الهامة الأولى لتي كل هامة

وإن عظمت منها أدق وأصغر
فقال ابن برى : إن فيه جواز قولهم : زيد أذل من عمرو ، وليس فى عمرو ذل ؛ على حد قول حسان : فسر كما تحيركا القداء . فهو لا يريد اشتراكهما فى الخير والشر ، وإنما الشر فى أحدهما والخير فى الآخر .

على أن هذا الاستعمال الذى أنكره اليازجى يفتش فى عبارات المؤلفين من قديم . فنجد النواص فى مبحث : (اجتمع فلان مع

مَائِقَالُ عَزَالِ سِيْلَامَرَا

رماد ولا نار

للأستاذ عباس محمود العقاد

وادي النهرين ، ويذكرون قبيلة (السقيف)
وهي قتيبة قبيلة الحجاج أشهر من حكم
المراق ، ويذكرون القرشيين ولا يوجد
إنسان على شيء من الاطلاع على تاريخ مكة
وتاريخ بيت النبي فيها يجهل من هم القرشيون
أو ينسبهم تلك النسبة التي تم من جهل بالغة
كالجهل بالتاريخ .

أهؤلاء مسلمون درسوا تاريخ دينهم
فأنكروه بعد أن عرفوا خباياه ،
أم هم أذئاب فتنة مسخرون ، يعرفون بما
لا يعرفون ، ويعترفون الكفر البواح وهم
لا يبالون ما يفعلون ؟ .

لا حاجة إلى البحث عن التاريخ لعلم
بحقيقة هذا الكفر وحقيقة هذه الدعوة ،
فإن الحقيقة التي ينطق بها كل حرف من
حروف الرسالة (الرمادية) أنهم كفار
لبيح ... دوام معدودات من كل باذل
مال ، ولا بد أن يكون يما رخيصا

يقول الشيوعيون أنهم كفروا بالآديان
لأنهم درسوا التاريخ وفكروه ، ودرسوا
الآديان وعرفوا خباياها .

فإذا ثبت من كلامهم أنهم لم يدرسوا التاريخ
ولم يدرسوا الآديان فالأمر الذي لا شك فيه
إذن أنهم أناس مأجورون مسخرون ، وأنهم
من أخس طبقات الأجراء ، لأنهم لا يبالون
قداسة الدين ولا شناعة الكفر في سبيل
المال المحرام .

وقد نشر بعض الصفاة بالإسلام في
المراق رسالتهم التي سموها بالرسالة الرمادية
وترجموها أو ترجمت لهم من لغة أجنبية
ثبتت منها أنهم أجهل خلق الله بتاريخ بلادهم
وما جاورها فضلا عن تواريخ الأمم الأخرى ،
وثبتت منها إلى جانب هذا أنهم لا يعرفون
شيئا عن تاريخ مكة وتاريخ النبي عليه السلام ،
لأنهم يذكرون (التخميديين) ولا يعرفون
أنهم التخميديون أقرب العرب الأقدمين إلى

أما تعاليم « الخنفيين » كما قالوا فحق نشرها مسيلة في مكة والمدينة ؟ ومتى دان المكيون باسم الرحمان وقد اعترضوا في صلح الحديبية على ابتداء الكلام باسمه ولم يقبلوا بالبسملة في مفتاح الكلام ؟

ومن هو هذا الإله صاحب الطقوس والشعائر التي استعارها النبي عليه السلام من الوثنيين ؟ أكانت هذه الطقوس والشعائر عبادة وحدانية كالتى جاء بها الإسلام ؟ فمن هو النبي الذى جاء بها إلى أهل اليمن ، ولماذا أحجم هؤلاء عن الدعوة الإسلامية التي استعيرت منهم وجاءتهم باسم ربهم المعبود فيهم ؟

أم ترى كان (الرحمان) صفة مستعارة من الوثنيين ، فمن أين ياترى استعيرت صفات الله التي جلوزت التسعين ؟

كل ما في هذه الأسطورة أنها تخريفية من تخريفات اثنين من المستشرقين موردمان ومولر Mordtmann and Muller يفهمان الأسماء العربية كما فهم بعضهم اسم أبي بكر رضى الله عنه فقال إنه سمي بذلك لأنه كان والد الفتاة البكر التي بنى بها النبي عليه السلام ١ . أو كما فهم بعضهم اسم الصعيد فقال إنه سمي بذلك لأنه مصر « السعيدة » أى Egypt Felix ... أو كما فهم بعضهم معنى القصيدة فقال إنها سميت بذلك لأنها معنى مقصود ١ .

وصفقة غاسرة ، لأنها صفقة جهل يصطفى عليها جهلاء .

وفيا إلى أمثلة شتى تدل على أن هؤلاء والباحثين العليين التقدميين المعارفين بالتاريخ والدين ، لم يطلعوا على كتاب الإسلام ولم يكلفوا أنفسهم مداواة جهلهم بالرجوع إليه بعد وصول الرسالة الرمادية إلى أيديهم ؛ لأن المهم في الأمر أن تصل النقود إلى تلك الأيدي ، وعلى الدين والدنيا بمنعها العفاء ١ . يقول الرماديون « واحتفظ الإسلام أيضا بعبادة الأرواح والجن في حين أن أسماء الآلهة القديمة أصبحت تعوثا لله . وهكذا أصبح اسم الإله رحمانا الذى كانت تمارس طقوسه قبل أن ينشر مسيلة تعاليم الخنفيين في مكة ويثرب واليمن . »

هكذا يقال بكل تهمة الجاهل المكابر ، ولو كلف أصحاب هذا المقال أنفسهم نظرة فيما جاء من القرآن الكريم عن الجن لقرءوا فيه من سورة الأنعام « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » ... وقرءوا فيه من سورة الصافات . « وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون . سبحانه الله عما يصفون » .

ولم يقرءوا فيه كلمة واحدة عن الجن توجب لهم عبادة أو رعاية في أعناق المسلمين .

مقروءة مخفوظة في حياة النبي وبعد وفاته صلوات الله عليه ؟

إن العلامة القريب مترجم القرآن ودارس اللغات العاربة والمستعربة قد فهم كل هذا من ورود سورة واحدة هي سورة التوبة بغیر بسملة ، وسببه كما يعلم كل مطلع على الكتاب أن النبي لم يأمر بها وقال ابن عباس رضي الله عنه : « إن البسملة فيها رحمة وأمان وهذه نزلت لرفع الرحمة والأمان عن المشركين » . فلما نزلت ولم يسمع المسلمون البسملة في مستهلها تخرجوا من وضعها وحسب بعضهم أنها مكية لسورة الأنفال كما هو معلوم .

ومثل هذا التخرج البالغ في إثبات كلمات الكتاب المبين خليق أن يعلم المعتزين أنه كتاب لا يزداد فيه حرف لم يسمع في موضعه ولو سمع مثله في كل سورة ، ولكن الاقتراء أسهل شيء على هؤلاء الجهلاء المضللين ، فلا حرج عندهم بعد عليهم بهذه الأمانة الإسلامية في نقل القرآن أن يهذبوا في كراستهم الرمادية قائلين : « إن هذا الكتاب يحتوي على ١١٤ فصلا بأطوال مختلفة ألف في عهد الخلفاء ، فقد وجدت حتى في القرن التاسع أو العاشر نسخ من هذا الكتاب تختلف عن النسخة الشرعية ... ولم يستطع مؤلفو القرآن إخفاء تلك الاعتراضات بل اكتفوا بمحذف بعض الكلمات غير المقبولة . »

هذان المخرفان خلطا في قصة مخيفة من

البسملة يدعى رودويل Rodwell مترجم القرآن أنه فهمها من دراسته الكتاب وفهم من ثم ، لماذا بدئت السور بسم الله الرحمن الرحيم ثم عدل النبي عن ابتداء السور بها في أخريات أيامه ، فقال رودويل هذا في هامش الصفحة الحادية والسبعين بعد المائة من ترجمته (إن الكفار سمعوا محمدا يقول قائلًا : يا الله ، يا رحمن . فحسبوا أنه يدعو إلهين اثنين ، ولما حفظ هذا الابتداء من سور القرآن الأخيرة أصبح مفهوما أن محمدا كان يريد أن يقرن اسم الرحمن باسم الله ثم خشي أن يحسبها الناس إلهين اثنين فأمسك بعد ذلك عن ذكر الرحمن . »

ثم قال برودويل « إن المخبرين كانوا يصفون أربابهم بهذا الاسم ، ولكن جنود هذه الكلمة خير موجودة في اللغة الحبشية » . أرايت دراسة التاريخ ؟ أرايت دراسة الدين ؟ أرايت التحقيق العلى التقضى الذى يخرج المؤمن من دينه ويذهل المؤمن من يقينه ؟ إن محمدا قد ترك البسملة وأسقطها من السور الأخيرة لأنه خاف من اسم الرحمن المستعار أن يشارك اسم الله في عبادات المسلمين ، فإلى السور الأخيرة التى سطر عليها اسم الرحمن ؟ وكل سورة هي ؟ ولماذا لم يحذف هذا الاسم من بقية السور التى بدئت بالبسملة ولم تزل

فآيات القرآنية التي يعلقون عليها
تقول :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى
من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا
بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس
أموالكم لا تظلون ولا تظلول » .
فكيف تراهم يكتبون نص التحريم ليكون
النص قاطعاً فيه ؟

إنهم يقولون في كراستهم إن بعض آيات
القرآن تحرم الربا حماية للمفقر والمحتاجين
وكان ذلك جزءاً من سياسة الانقياء لطلب
رضى الفقراء . ونعتبر هذه السياسة ناقصة ،
فما الفائدة من تحريم الربا عند وجود الآية :
« وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلون
ولا تظلول » ؟ . . .

وتعجب حين تقرأ هذا التعليق فلا تدري
ماذا فهموا منه ؟ هل يفهم منه أحد أن القرآن
يبيح الربا لأنه يزجر من يأخذه ولا يبيح له
غير أخذ الدين من مدينه بغير زيادة ؟ أهذا
هو النص الذي يبطل فائدة التحريم ؟ فما هو
النص الذي يفيد فيه .

ولا يخفى تحبط القوم في الاتهام بكل وسيلة ،
بل في الاتهام بالحجة وتقيضها في وقت
واحد .

فهل جاء الإسلام من إقطاعيين يحافظون على
مصالح الاستغلال والمراعاة بالأموال ؟

ولا أدل على سهولة التهم عند هؤلاء
الناس من عليهم بهذا الحذر الشديد في جمع
آيات القرآن ثم ادعائهم أن الخلفاء يحترقون
على تأليفه وأن المسلمين ظلوا إلى القرن
العاشر للهجرة ينقصونه ويحذفون منه
ويضيفون إليه ، فلو كان لهم ذرة من التحقيق
التاريخي الذي يزعمونه لما أقدموا على هذه
الدعوى بغير سند من الواقع يثبتونه ويثبتون
حجته والبيئة عليه ، وأقل ما يفنى من السند
الصحيح في مثل هذه الدعوى أن يكونوا على
علم باسم الخليفة الذي اشترك في التأليف
المزعوم وعلى علم بنص الآية التي منها التنقيح
مع موجباته ودواعيه ، أو مع بيان الوسائل
التي استطاع بها الخليفة (المؤلف) أن يخفى
الأمر على قراء الكتاب المتداول في أيدي
الملايين والمحفوظ في صدور الآلاف ...
فأين هو هذا السند ؟ وأي سند أقل منه يكفي
للاجترار على تلك الفرية بتلك الثقة ؟

ومن سوء النية والإصرار على الاتهام
والتنجيس في التهم بين المتناقضات أن هؤلاء
الزماديين يعلنون أن القرآن الكريم غير
قاطع في تحريم الربا ولا يسألون أنفسهم ولا
يخطر لهم أن أحداً سبأ لهم : وكيف يكون
النص على تحريم أمر من الأمور إذا كانت
نصوص القرآن في أمر الربا غير قاطعة
في تحريمه ؟

ولا يوجد في أي من المراجع القديمة حتى في كتاب ابن هشام كلمة واحدة من إعطاء العبادة أو تقديمها ، ولم نذكر هنا عن المضاربات التي دارت حول هذه الذخيرة . فقد بيعت حياة الرسول عدة مرات بربيع وعرضت للجمهور بعد احتراقها في بغداد على يد المغول سنة ١٢٥٨ م في مسجد العبادة المقدسة في اسطنبول ، وليست أسطورة هذه العبادة بفريدة بين غيرها من الطلسم والتمكك في الإسلام وفي غيره من الأديان الأخرى . .

فالذين ثشروا هذه الكراسي الرمادية من الصفاء بالإسلام في العراق يحملون اسم كعب ابن زهير الشاعر المشهور وينقلونه في مصادرهم المحققة باسم (كياجو بن ذكرير) ويدلون بذلك حقاً على أنهم غربوا التاريخ وفسروه وفتنوا إلى أسرارهم ومضامينه ولم ينكروا الدين إلا لأنهم فهموه حق فهمه من هذه الدراسة التاريخية على أوطانها ...

وهؤلاء هم الذين عرفوا تاريخ النبي عليه السلام وعرّفوا كل ما روى عنه من الحقائق والأبائيل ، عرفوا من بينها شاعراً لم يخلقه الله يسمى كياجو بن ذكرير ، وعرّفوا بعلمهم الزاخر أنه اسم عربي يسمى به العرب في صدر الإسلام .

وهؤلاء هم أصحاب الإلهاد المفسرون

هل جاء الإسلام من هؤلاء أو هو قد جاء من الفقراء والمحتاجين ليرضيهم وينضب المراهبين والمستغلين ؟ .

ينبغي أن يكون قد جاء من هؤلاء ومن هؤلاء في وقت واحد ، وأن يكون الاتهام قائماً على كل حال ، ولا لزوم للدليل في أية حال ، بل لا لزوم للاتفات إلى التناقض بين الدليلين ؛ لأن الاتفات إلى تناقضهما يسقط الاتهام ، وماذا يصنع القوم بغير اتهام كيفاً كان ، برهان أو بلا برهان ؟ .

ويوشك القوم أن يلحقوا بالقرآن كل خبر من أخبار الدول الإسلامية يدخل في شعائر الدين أو ينسب إلى ذي شأن أو غير غير ذي شأن من المسلمين .

قالوا عن ثروة الخلفاء : إنها لم تقتصر على المال لحسب ، بل شملت بعض الخلفات الثمينة كالسيف والعصا والعبادة التي قيل إنها كانت تعود إلى النبي محمد . وقد أثبت تحقيق علماء البرجوازيين أن تلك الخلفات كانت مزورة . فقد ذكر (بيريت) في كتابه الإسلام في صحيفة ١٤ ، جلد ١٧ نشر في برلين سنة ١٩٢٨ بأن الأدلة تجعلنا نشك في صحة الأسطورة القائلة بإعطاء الرسول لعبادته إلى الشاعر كياجو بن ذكرير والتي كانت الأساس لاعتبار الإسلام تلك العبادة لإحدى الذخائر

على كل فرض من هذه الفروض ، ماذا فيها جميعا من النقد العلى الذى يتحراه طلاب الحقيقة عن دعوة الإسلام ؟ بل ماذا يصنع الشيوعيون اليوم فى متاحفهم التاريخية إذا عرض عليهم أثر من تلك الآثار النبوية للشراء أليس فى متاحفهم ما يشتري لقيمتة الأثرية بالمال الطائل والجهد الجهد ؟ أليس الضريح الذى شيده للزعيم لينين تراثا له تكاليفه وله حجاجه وطلاب البركة لديه ؟ أليس فى متاحف العلوم المادية حول الكرة الأرضية مخلفات وموروثات تحسب أثمانها بالآلاف والمئات وتفتح أبوابها كل يوم للزائرين والزائرات والمعجبين والمعجبات ؟ فلماذا يفضون بشرف كهذا الشرف أو بخير كهذا الخير على المسكين كياجو بن ذكرير... ؟ .

أما إنه لشاعر بليغ هذا الكياجو الذى لا هو فى الأحياء ولا فى الأموات .

إنه لشاعر يكنى اسمه المختلق تحزيق الكرامة الرمادية على رموس ناشريها ، وإظهارهم بحقيقتهم التى يكتتمونها وإن لم يجهلوا .

حقيقتهم أنهم تجار فى سوق الجهل والفضلال يبيمون جهلهم لمن هو أجهل منهم ، لأنه يشتريه بالمال ، وهو عندهم رب الأرباب وموئل الآمال ؟

عباس محمود العقاد

المساويون للتاريخ ولا شئ عندهم غير المسادة والتاريخ .

فإذا صح كل ما قالوه ونشروه عن هذا (الكياجو) العربى فما هو ذنب الإسلام ؟ وما هو ذنب النبي عليه السلام ؟ وما هو ذنب المؤرخين أو ذنب مؤرخ النبي ابن هشام ؟ . بردة قيل إن النبي خلصها على شاعر معلوم أو مجهول ، ولم يقصد بها النبي ولا جاء فى كتب دينه أنها من المقدسات أو المحفوظات للتقديس والتبريك . فلماذا فى وجود هذه البردة من مطعن فى الكتاب أو فى السنة أو فى شرائع المسلمين ؟ .

وإذا ظهر أحد - مثلا - بحطاب صحيح أو معسوس على كارل ماركس فتعالى به أتباعه وتوارثته المتاحف بأثمانه وما فوق أثمانه ، فلماذا فى ذلك من التقصيد للنادية والمساويين ومن البرهان المتين على بطلان هذا الدين ؟ . وما الذى يوجب على المؤمنين بالمادية الاقتصادية أن يدحضوا هذه الإشاعة الشيوعية أو البرجوازية ؟ .

كان للنبي عليه السلام بردة خلصها على شاعر . لم يكن للنبي عليه السلام بردة خلصها على شاعر .

كان بعض الناس يصدقون فى هذه الرواية أو يكذبون فيها ، وكانوا يستغلونها على الحاليين فيحصنون أو يسيئون استغلالها .

مَحْذَرُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

مَهبط الوحي

للأستاذ محمد علي الحوماني

وقف الشاعر أمام جبل ، حراء ، في مكة وثارت شجونه ففاضت عبراته بهذه القصيدة

مهبط الوحي ، صلاة وسلاما	هرم الدهر ولم تبرح غلاما
يا قديما لم تول جودته	قبلة الكائن بدءا وختاما
كلا ذاق أماليك ثم	عبرتي صلا الكون ابتساما

• • •

« جبل النور ، أتم حيث نرى	كل نور من أعاليك نرى
فانجلي في كل أفق قرأ	وعلى كل قم ... دوى سلاما
اتركوني أتبين في ترى	« مهبط الوحي ، أماني الجاما
أسأل الأطلال عن فرقائه	وعن الحكمة هاتيك الزاما
وأسائل نحت رهط « أبي	طالب ، كيف يربون اليتامى ؟؟
كيف ينشق عن اليتم بهم	فلق شق عن الفجر الظلاما ؟؟

• • •

أوتقوني ما هنا أطلق في	يلثم الصخر ويستشف الزفاما
أوتقوني أنسم بـدى	في ظلال الوحي ، شيما وخزما
ألقوني بثراها وامسوا	بين جنبي لياليه الوساما
أضجعوني وأميلوا رميا	فوق عيني نجمودا وتهما
دثروني ، وأحيلوا وهما	وربما في لحا وعظاما
طني أبصر في أطلالها	صزة قومتي الكون فقاما

لَبِنَاتٌ هَتَفَ الْعَرَبُ بِهَا قَسَامَتُنْ بِرُوحَا وَدَعَامَا
أَوْقَتُونِ أَدَّكَرَ عَهْدَ الْإِلَى أَوْظَلُوا الْمَوْتِ وَلَمْ نَبْرَحْ نِيَامَا

• • •

يَا جِبَالَا أَحْدَقِ الْقَفَرُ بِهَا وَاسْتَوَتْ فِيهِ شُمَارِخٌ صَمَامَا
كَيْفَ أَقْفَرْتُ مِنَ الْكَرَمِ الَّذِي يَكَلَّا الْحَيَّ وَأَنْبَتَ الْكِرَامَا ؟؟
أَيْنَ الْحَرَّةُ (١) ، أَنْ تَدَايَ وَلَمْ سَرَّ فِي آفَاقِهَا حَتَّى الْجَهَامَا ؟؟
أَنْبَتَ كُلُّ دَمٍ حَرًّا وَمَا نَبَتَ أَرْضًا وَلَا انْخَضَتْ غَمَامَا

• • •

مَنْ أُنَادَى وَأُنَاجَى فِي ثَرَى حَالٍ مِنْ بَشَى حَنِينًا وَهِيَامَا
ذِكْرِيَّاتٌ عَصَمَتْ ثَوْرَتَهَا مَلَّ جَنَى ضَرَامًا وَاضْطَرَامَا
حَكَّدْتُ مِنْ تَارِيئِهَا أَنْ لَا أَرَى وَأَحَى إِلَّا صِلِيلًا وَقَتَامَا
ذِكْرِيَّاتٌ حَطَمَ الشَّعْرُ بِهَا كُلُّ فِكْرٍ تَرَكَ الشَّعْرُ مُطَامَا

• • •

يَا بُنَاةَ الدِّينِ حَلَّتْ بِعَدَمِكُمْ نَكْبَةٌ سَامَتْ خُفَاً وَانْهَدَامَا
هَانَتْ الْإِنْفُسُ مِنْهَا قَهْوَى شَرَفَ قَامَ عَلَيْكُمْ قَاسَتَامَا
لَوْ أَفْقَتُمْ لَرَأَتْ أَعْيُنُكُمْ أَمَّةً تَزْدُودُ الْمَوْتَ الزَّوَامَا
الْأَوَّلِ اتَّقِنُوا عَلَى الشَّرْقِ كَهْوَى وَانْبَرَوْا فِي أَفْقِ الْغَرْبِ سَهَامَا
وَالْأَوَّلِ لِمَا يَلُ نَامُوسُهُمْ قَائِمًا فِي كُلِّ أَسْلُوبٍ نَظَامَا
صَفَقُوا دِغْدَادًا فِي كُلِّ حَا وَبَنُوا فِي كُلِّ تَارِيخٍ دَشَامَا ،
خَلَفْتُمْ بِعَدَمٍ طَائِفَةً تَخَفْتُ مِنْ كُلِّ طَاغُوتٍ إِمَامَا
وَالْأَنْزَفُ الشَّمُّ فِي أَعْقَابِكُمْ لَبَسْتُ مِنْ كُلِّ أَقْنُومٍ مُطَامَا
الْحَوَارِيُّونَ ضَاغَتْ بِهِمْ رَقْعَةُ الْأَرْضِ صَلَاةً وَصِيَامَا
وَالطَّوَاغِيَتِ عَلَى أَصْوَادِكُمْ يَتَبَارَوْنَ قَسُودًا وَقِيَامَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا تَتَّقِي مِنْ رِزَايَا وَمِنْ ذَا تَنْطَاهِي ؟؟؟

محمد علي الجوساني

(١) الحرة أرض وعرة مقفرة والحرار موجودة بكثرة حول المدينة المنورة .

من المشرق الدنبح:

أسماء بنت الصديق

للأستاذ محمد ابراهيم نجما

المشهد الأول

« حجرة مؤتة بالأنثاء العربي في غير ترف . . . يظهر باب من الجهة اليمنى . . . أسماء تصل ، ونحن تنتهي من الصلاة ، تاجي وبها . »

أسماء :	إلهي يا إله العالمينا	وأكرم من يجيب السائلينا
	سألتك أن تعين الخير حتى	يرد الشر محلولاً مهينا
	وترعى الحق في الدنيا ليقوى	ونمنح أهل النصر المينا
	سألتك لا تنسى . . . إن نفسي	قد انصرفت عن الدنيا سنينا
	ولا لايني ، فليست أراه إلا	ودعيتك التي استودعت فينا
	ولكنني أرى الضلال جاءوا	يريدون الردى للهدينا
	إلهي احكم بما ترضى ، فإننا	بما يقضيه حكمك قد رحبنا

« نسم طرقات الباب »

أسماء :	قدم أيها الطارق	قد جئت هل الرحب
---------	-----------------	-----------------

« يدخل عبادة ابنها »

عبادة :	سلام الله يا أبى
أسماء :	سلام الله

واكبري !

لامر هائل جلل	تركت مواطن الحرب ؟
أذاك قرار منهزم ؟	فذلك أعظم الخطب !

متهف :

عبد الله [في قوة] : معاذ الله . . . كيف يفر مثل
وكيف يخفي بأس الأعدى ؟
ولكنني خدعت ، وفر عنى
وصرت كأننى فى الحرب وحدى
لجنتك أبتنى رأيا سديدا
أسماء : أنتهى القتل عبد الله ؟

عبد الله : كلا
ولكن تملين بأن شافى
فلو أنى قتلت لمزقونى

أسماء : أنتهى حين يقتلك الأعدى
وقبلك سيد الشهداء أودى
أندرى الشاة بعد الذبح شيئا
عبد الله : هذا هو الحق الصراح ، جلوتنه
الآن أذهب للقتال ، وعزمت

أسماء : الآن حق وداعى
وضعت فيك رجائى
فكر صورا ، وقاتل
وعند بأكرم نصر

« تماشى نفس الذرع الى يلبسها ، فتقول فى إنكار »

أسماء : ما تلك عبد الله ؟

عبد الله : درع أتق
أسماء : درع تملك ضرابهم وطعانهم ؟
المؤمنون دروعهم إيمانهم
وعزيمة طماحة لا تنثى
حتى تنال قلائد الجوزاء

عبد الله : أمام قلت صوابا يا أكرم الأمهات

« يترج درعه »

الآن أنزع — زرع درعي مستهزئا به — — — — —
وما نزع — زعت مرأسي ولا خلعت ثي — — — — —
حبي يقيني وع — زمي وصارمي وقه — — — — —
إني نذرت لربي يوم التضال حي — — — — —
والآن أمضي بق — — — — — مستأسد الع — — — — —
أذهب لأك — — — — — رم غايه ورافقتك الع — — — — —
أسماء :

« يصرف عبدا لله »

• • •

المشهد الثاني

« نفس الحجرة في المشهد السابق . . . الوقت ليلا .
أسماء تسمى في إعياء . »

أسماء : أين أيام زماني الماضيه وشباب جمك العائيه
يوم أن كنت إذا الحرب دنت ثم دارت برحاما العائيه
أحل الماء لمن يشكو الصدى ثم أهني بالجراح الدائيه
ولقد يضرب سيني في العدا ضربات ساحفات قاضيه
وأنا الآن مشيب ضارب في حياة كالفصون الذاويه
لا أطيق الخطو من ضعفي ولا تحمل السيف ذراعي الواهيه
آه لو يحمل سيني ساعدي ضاربا تلك الجروح الباغيه

« تسع صوتا من الخارج »

الصوت : يا أم عبد الله
أسماء : من ا
الصوت : أنا وافد من جند عبد الله
أسماء : نعم الوافد
ادخل
الجندي : سلام الله للأمام التي أعلى أمومتها الكريم المجاهد

- أسماء : وعليك من ربى السلام ورحمة
ماذا وردك ؟
- الجندي (مترودا) : جئت بالنبي الذي
أسماء : وإذن فقد قتل الأمير ؟
- الجندي : تجلدى
- أسماء :

عجباً أنصتني من الضعفاء ؟
ودليل إيمانى ، ورمز إيمانى
والصابرون ، جزاؤهم من ربهم
خير الجزاء . فهل أضيع جزاى

« بعد لحظة »

- والآن حدثنى . . . أقاتل جهده
أفكان مثل أبيه صدق عزيمة
- الجندي : الله يشهد ما رأيت نظيره
كانت جموع القوم تخشى بأسه
فإذا تعرض فارس لئاله
عقروا الجواد ليعجزوه ، فإوفى
بل ظل يحترق الصفوف مجندلا
حتى أتاه القدر يسترق الخطا
- أسماء : نعماك عبد الله ، عشت مجاهدا
دافعت عن شرف العقيدة ، حاملا
وقضيت فى ظل السيوف ، ومن يمى
قد كنت فى دنياك مبعث عزى
عش فى جوار الله جل جلاله
وانهم مع الشهداء والأبرار

[مستطرد]

ابراهيم محمد نجما

المدرس بالمدراس الثانوية للبنات
وغريخ كلية اللغة العربية

آراء وإحاديث

وفد أفغانستان في الأزهر :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه صباح اليوم الوفد الثقافي الأفغاني ، وكان على رأس الوفد السيد شاه محمد رشاد مدير عام تنوير الأفكار بوزارة الصحافة ، والسيد محمد حيدر زوبل المدير العام للعلاقات الثقافية بوزارة الصحافة والسيد محمد بنى كوه زاد مدير جريدة أفغانستان ، وكان يرافقه الوفد السيد المقدم عبد العزيز هندی مدير العلاقات العامة بوزارة الثقافة والإرشاد والسيد إبراهيم محمد عيسى وكيل الإرشاد الثقافي .

وقد قال السيد رئيس الوفد : إنها لفرصة طيبة تلك التي نتقي فيها بشيخ الإسلام وإمامهم وأستاذ الأساتذة في العالم أجمع ، ولا نؤاخذنا إن جهر اللسان عن التعبير .

وهنا رد فضيلة الأستاذ الأكبر فقال : إنما تنطق القلوب وتضفي الأشددة ، فكم من أقوال تحدثت ولم تنتج شيئاً ، وأنا أحس بقلوبكم فإنكم إخوة لنا وأخوتكم صادقة ، فنحن جميعاً أحفاد السيد الشيخ جمال الدين الأفغاني الذي كان له من المبادئ في التشريع وفي السياسة ما ربط بها أواصر الصلة بين أفغانستان وقبا بين القاهرة ودمشق ، ومن ثم

كان هذا الجزء مبداً ناخباً ينثر فيه درره الغوالي . إن لجمال الدين الأفغاني صلة وثيقة بالأزهر إلى اليوم ، وفي الأزهر رجلاً خلداً ذكرى الإمام محمد عبده ، وهما بهذا الاعتبار حفيدان يؤمنان بالمثل والقيم العليا التي آمن بها جمال الدين ، وهما من خيرة أبناء الأزهر : الدكتوران محمد عبد الله ماضى مدير المعاهد الدينية ومحمد البهي مدير عام الثقافة الإسلامية بالأزهر . وهنا قال الدكتور محمد البهي : إن فضيلة إمامنا الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت هو أصل هذه الصلة . فقد عرفنا السيد جمال الدين عن طريقه وعرفنا الشيخ محمد عبده بمفرقه ، فإن يكن فينا من خور فهو مستمد من فضيلته . ثم قال الأستاذ الأكبر : إن هذه الصلات يجب أن نحييها على أساس من المحبة والتبادل الروحي ، وإن صلتى بأفغانستان لوثيقة ، فأنتي لا ذكر أنه في عام ١٩٤٨ طلب مني أن أسافر إلى كابل ، لأشترك في التقنين الشرعي الإسلامي ، ولكن ظروفًا حالت دون ذلك ، ولعل في المجمع العلمي الإسلامي ، المشروع الذي تقدمت به إلى سيادة الرئيس زعيم نهضتنا الحديثة الرئيس جمال عبد الناصر ما يحقق الصلة بين المسلمين جميعاً ويربط بعضهم ببعض عن طريق العلم والمعرفة والروح ولأنتي لأدع التعصيل فيه إلى حيث

علماء الدرة إلى استخدامهما من أجل صالح البشرية لا تدميرها .

كما تطرق الحديث إلى ثقافة المشرفين على الشباب الدينية فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن المشرفين على الشباب قد تربوا تربية دينية صالحة ففهم من هم من أبناء الأزهر ومنهم المحرّمون من وزارة التربية والتعليم الذين تلقوا تعليمهم الديني من أساتذة متخرجين من الأزهر أو من غيره .

وإن جهود حكومة الثورة وعلى رأسها الشاب المؤمن الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، توحى بأن الشباب العربي ينالون من عظيم العناية ما يؤهلهم لخدمة وطنهم وأداء واجبهم خير أداء .

ثم أجاب فضيلته على سؤال مستر فيليبس نحو توجيه الشاب قائلا : إن إذاعات العالم والصحف ودور الكتب والأندية العلمية والرياضية يجب أن يكون لها أعظم الأثر في توجيه الشباب توجيهاً صالحاً يقودهم نحو المثل العليا والأهداف السامية .

كما تناول الحديث نواحي مختلفة عن الجهود التي يبذلها الأزهر والجمهورية العربية المتحدة لأبناء المسلمين الذين يفدون إليه لدراسة الدين الإسلامي واللغة العربية ومدى ما يقدمه الأزهر لهؤلاء الطلاب الذين ينتمون إلى أكثر من خمسين جنسية من جميع أنحاء العالم من مختلف أسباب الراحة والاستقرار حيث أعد

داعيا المولى أن يحقق للمسلمين آمالهم في زعيمهم جمال .

ثم أمدى لم فضيلته كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة » قائلا لهم : هذا بما اشتمل عليه من مبادئ الإسلام وفيه عهد نعاهد أنفسنا عليه في أن نكون العاملين بدين الله المخلصين له . هذا وقد زاد الوفد قاعة المحاضرات الأزهرية وكلية الشريعة الإسلامية واستمعوا إلى بعض المحاضرات في القانون المدني وتاريخ الفقه الإسلامي وعلم الحديث .

وقد صحبهم إلى كلية الشريعة الشيخ محمد حجاب المدرس بالأزهر والمتخرج من معهد الإعداد والتوجيه وقام بترجمة المحاضرات التي ألقى . ثم انصرف الوفد شاكرًا حسن استقبال الأزهر لهم .

مستر فيليبس يشهد إلى الأستاذ الأكبر :

واستقبل فضيلته مستر فيليبس صاحب شركات فيليبس العالمية وكان يرافقه مستر هاير ومستر جيميان والسيد المهندس السيد عبد الرحيم . وقد تناول الحديث علاقة الدين القوية بالعلم حيث قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن لمن الواجب أن يتفق العلم والدين في توجيه الإنسانية والعمل على استقرار السلام العالمي وأن يكون دور العلم التعمير لا التخريب وأن يستخدم للنهوض بالإنسانية إلى مستوى أفضل يحقق لها الرخاء والسعادة ، وأن توجه جهود

دون أحد ، فكل المسلمين دعاة دين وخير ، فوزير الأشغال صاحب دعوة إلى الحق كوزير التربية والتعليم كوزير العدل كلهم في ذلك سواء ، إن كل من وليّ عملاً من الأعمال يجب أن يقوم بأدائه خير قيام وأن يسلك به الطريق المستقيم وأبناء الملايو هم كأبناء أصلا بنا في الجمهورية العربية المتحدة محرص على الخير لهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

وقال السيد الوزير : إتي حين جئت إلى فضيلتكم جئت مدعواً بحبي وحب أهل الملايو لكم فتمن أنباؤكم الروحانيون وقد كلفت رسمياً بأن أحمل إلى فضيلتكم تحيات السيد رئيس مجلس الوزراء وجميع إخواني الوزراء وإنهم لينظرون إلى فضيلتكم نظرة الإمام والقائد .

وهنا قال فضيلة الأستاذ الأكبر : إنه ليشرفى أن أكون خادماً للإسلام والمسلمين وقد وهبت نفسي طوال حياتي للدعوة الإسلامية بكل جهدي وما آتاني الله من قوة ، فلنكن جميعاً دعاة حق وخير ولننتهز هذه الفرصة التي ينهض فيها السيد الرئيس جمال عبد الناصر بالامة الإسلامية وبالامة العربية للتعاون على الحق والخير والله يسدد خطانا ويرفقنا .

ثم أهدى فضيلته كتابه الجديد الإسلام عقيدة وشرعية ليكون عهد الله بينه وبين إخوانه المسلمين في الملايو .

لم مدينة سكنية عظيمة بها إحدى وأربعون عمارة مقامة على الطراز الحديث وتكلفت حوالي مليونين من الجنيهات .

ثم تناول الحديث مشكلة اللاجئين الفلسطينيين فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إنه لمن الخير للإنسانية أن يتعاون العلماء من رجال الدين والسياسة في أن يعملوا على إعادة هؤلاء اللاجئين إلى أوطانهم إذ أنها مشكلة الإنسانية التي تتطلب منا أن نمد لهم يد العون والمساعدة ، والأمل معقود على الجمهورية العربية المتحدة بزعامة رئيسها الشاب المؤمن الرئيس جمال عبد الناصر .

هذا وقد شكر مستر فيليس ومرافقوه فضيلة الأستاذ الأكبر على سعة صدره وحسن ترحيبه بهم أثناء زيارتهم لفضيلته اليوم .

زيارة :

واستقبل فضيلته السيد السعدون وزير الأشغال بحكومة الملايو وبعد أن حياه قال له :

إتي آمل دائماً أن يكون الناس جميعاً متعاونين على البر والتقوى والخير وأن يعم الناس جميعاً محبة عالصة وود وصفاء ، قل إن كنتم تحبون الله فانيحى عنكم الله ، وتلك هي دعوة الإسلام تقوم على المودة والمحبة لأهل الخرسة وحب السيطرة . ولست أوجه الدعوة خاصة بأحد

الكتب

نقد وتعريف

جاءت لتنقذ آراء علماء الإسلام السابقين كما ينوّم بعض قاصري الفهم من أذعياء العلم
وهذا الكتاب ثالثا : ليس مجرد عرض للإسلام ومعانيه ، ليجد العامة وأنصاف المثقفين فيه حاجتهم ، دون أن يجهلوا أذهانهم ، أو يشقوا على عقولهم
ولكنه كتاب اعتمد على أصول ثلاثة : منهج ، ودراسة ، وتفكير حر نزيه ، وهذه الأصول الثلاثة إذا تجرد كتاب منها أو من بعضها ، أصبح شجاعا لا روح فيه ، وبجلا لألفاظ قصت نجها في إهابها قبل أن تفتح أعينها للحياة
وقد عودنا الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت في كل بحوثه ، أن يرسم لها التخطيط أولا ، وأن يضع آراءه في إطار من الدراسة الواعية العميقة ثانيا ، وهو في مرحلتى التخطيط والدراسة ، المكراحر ، والعقلىة الأصيلة ، التى لا تهتر لرضا العقليات المتجمدة ، ولا لصرير الأقلام التى أخذت على طائفتها عبء مهمة التزمّت في دنيا التفكير .

الإسلام : عقيدة وشرعية
لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
بقلم : الأستاذ محمد عبد الله السمان

هذا كتاب جديد قيم للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، جاء في زهاء خمسمائة صفحة .
قدم له الأستاذ الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر ، بمقدمة صهية جاءت بمثابة تركيز لفكرة اتجاه الثقافة العامة إلى نشر البحوث الإسلامية القوية ، كن تودى رسالتها في إيقاظ الوعى الإسلامى ، وتسجل للأزهر أنه حامل قوى في اليقظة الإسلامية المعاصرة في شتى البقاع الإسلامية .
وهذا الكتاب أولا : ليس مجرد كتاب طادى ، ضم بين دفتيه بحوثا عديدة تتصل بالإسلام من حيث هو عقيدة وشرعية ، لتكون خلاصة لما كتبه علماء الإسلام السابقون . وكفى
وهذا الكتاب ثانيا : ليس آراء جريئة

الإنسان بها نفسه في علاقه بربه ، وعلاقه بأخيه المسلم ، وأخيه الإنسان ، والكون والحياة .. ١ .

هذا وقد جبر القرآن عن العقيدة بالإيمان وعن الشريعة بالعمل الصالح ، ومن هنا لم يكن الإسلام عقيدة فقط ، كما لم تكن مهمته تنظيم العلاقة بين الإنسان وربه فقط ، وإنما كان عقيدة ، ولكن شريعة توجه الإنسان إلى نواحي الخير في الحياة ، والعقيدة في الوضع الإسلامي هي الأصل الذي نبنى عليه الشريعة ، ومن ثم فلا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجود العقيدة ، كما لا ازدهار للشريعة إلا في ظل العقيدة ، وإذا فالإسلام يحتم تعاقب الشريعة والعقيدة ، بحيث لا تفرد إحداهما عن الأخرى .

وتحدث في نهاية هذا التمهيد عن المساواة بين بني الإنسان بالنسبة للإسلام ، حيث يستوى فيه بالنظر إلى عقيدته وشريعته ، جميع بني الإنسان ، تطالب به جميع الأجناس والطوائف ، ثم عن مساواة المرأة للرجل في المسئولية الدينية ، وأن مسئولية المرأة مستقلة عن مسئولية الرجل تماماً . . .

...

والكتاب كما هو واضح من عنوانه شطران :

وفي الشطر الأول : شرح الأستاذ الأكبر للعقائد الأساسية في الإسلام :

مهد الأستاذ الأكبر لمؤلفه الضخم يبحث مركزاً عن الإسلام ، دين الله الذي أوصى بتعاليمه في أصوله وشرائعه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلفه بتبليغه للناس كافة ومعتونهم إليه .

وعن القرآن كتاب الله ، الذي أصبح ضد من آمنوا به مصدراً لعقائد الدين ولأصول أحكامه وشرائعه .

وعن الفهم الإنساني — أى الاجتهاد في الإسلام — أنه ليس ديناً يلتزم إنما هو رأى يناقش ، ومن هذا الجانب اتسع ميدان الفكر ، وتآلفت حرية التفكير والنظر ، أما العقائد الأصلية ، وأصول الشريعة ، فإن نصوصها جاءت في القرآن بيئة واضحة لا تحتمل اجتهاداً ولا أفهاماً .

وهن سباحة الإسلام ، الذي دلت طبيعته على أنه دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة ، ويسير أنوار الثقافات والحضارات الصحيحة النافعة . ١ .

ثم عن الإسلام كعقيدة وشريعة ، وهاتان شعبتان أساسيتان للإسلام ، لا توجد حقيقته ، ولا يتحقق معناه ، إلا إذا أخذتا حظهما من التحقق والوجود في عقل الإنسان وقلبه وحياته . والعقيدة هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً ، والشريعة هي الجانب العمل ، شرع الله أصول نظمها ، ليأخذ

الخالق ووحدانيته ، ومن فطرية الشعور
الدينى فى نفس الإنسان .

والإيمان بالرسول لا يعطى فكرة تجريد
من البشرية ، فهم بشر يتفكرون مع سائر البشر
فى أحسن أوصاف البشرية ، وإن كانت
قد لحقهم عصمة الله فيما يبلغون عنه ، فإنهم
فى غير ما يبلغونه عن الله من الآراء والأحكام
أو الأحكام الشخصية - كغيرهم - يصيرون
فيها ويخطئون .

وفى الفصل الثانى من الشطر الأول :
ناقش الأستاذ الأكبر موضوعاً دقيقاً ، هو
« طريق ثبوت العقيدة » :

ففضيلته يقرر : أن العلماء متفقون على
أن الدليل العقلى الذى سلت مقدماته وانتهت
فى أحكامها إلى الحس أو الضرورة ، يفيد
ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب . أما
الأدلة النقلية فقد ذهب كثير من العلماء إلى
أنها لا تفيد اليقين ، والذين يرون غير
رأيهم ، شرطوا فى الدليل النقلى أن يكون
قطعياً فى وروده ودلالته .

وعلى هذا الأساس ، لا تعتبر المسائل التى
لم ترد بطريق قطعى ، أو وردت بطريق قطعى
ولكن لا بسبب احتمال فى الدلالة ، لا تعتبر من
العقائد التى يكلفنا بها الدين ويكفر منكرها
وفى مقدمة هذه المسائل : رؤية الله بالابصار ،
وما يكون آخر الزمان من ظهور المهدي

أولاً : الإيمان بوجوده ووحدانيته ١٠٠ .

ثانياً : « برسله وأنبياؤه جميعهم ١٠٠ .

ثالثاً : « بالملائكة ١٠٠ .

رابعاً : « بالبعث والجزاء ١٠٠ .

ثم أصول الشرائع والنظم التى تضمنتها
رسالات الرسل ، والتى ارتضاها الله لعباده .

ويرى الأستاذ الأكبر ، أن كلمة الشهادة تجمع
عقائد الإسلام وأصول شرائعه : « أشهد أن
لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » وهذه

الشهادة هى المفتاح الذى يدخل به الإنسان
فى الإسلام وتجرى عليه أحكامه . « فالشهادة
بوحداية الله تضمن كمال العقيدة فى الله

من جهتي الربوبية (الخلق والتربية)
والإلهية (العبادة) ، والشهادة برسالة محمد
تضمن التصديق بكامل العقيدة فى الملائكة .

والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ،
وأصول الشريعة والأحكام . « وطريق
الإسلام إلى الإيمان ليس فيه إكراه ، لأن

طبيعة الإسلام تأبى الإكراه ، ولا يتحقق
إيمان بإكراه ، وحيث فيما يتعلق بعقيدة
الإله : وجوداً ووحدانية وكالاً ودائرة بين

النظر العقلى حيث طلب من الإنسان النظر
والتفكير فى هذا الكون : فى أحكام وجوده
ونظامه ، وبين الوجود الفطرى ، حيث

يرشدنا القرآن ويسترعى أنظارنا إلى حقيقة
نفسية واقعية تعبر عن قبح الإيمان بوجود

المتداولة ، وتعددت طرق إخراجها بعددا
تحيل العادة مع التواطؤ على الكذب ، وثبت
هذا التعدد في جميع طبقاته : أوله وآخره
ووسطه .

• • •

أما الشطر الثاني من الكتاب فقد كان
بحثا مطولا عن الشريعة .

والشريعة هي الجانب العملي في الإسلام ،
هي اسم للنظم والأحكام التي شرعها الله
أو شرع أصحابها وكلف المسلمين إياها ، وعلى
كثرتها ترجع إلى ناحيتين أساسيتين :

(أ) العبادات : وهي ناحية العمل الذي
يتقرب به المسلمون إلى ربهم ويستحضرون به
عظمتهم ويكون عنوانا على صدقهم في الإيمان به
ومراقبته والتوجه إليه .

(ب) المعاملات : وهي ناحية العمل الذي
يتخذه المسلمون سبيلا لحفظ مصالحهم ، ودفع
مضارهم فيما بينهم وبين أنفسهم ، وفيما بينهم
وبين الناس على الوجه الذي به يسود الأمن
والاطمئنان .

والعبادات : هي الصلاة والصوم والزكاة
والحج ، والمقصود منها مضمومة إلى الإيمان
بالله ؛ هو تطهير القلب وتركيز النفس وقوة
مراقبة الله ، ولذلك كانت العمدة التي يبنى
عليها الإسلام .

وبعد أن شرح الأستاذ الأكبر العبادات

والسجالات والادابة والدعان وزول عيسى ،
وما إلى ذلك مما يذكر في مثل : غريدة الدردير
وجوهرة القاني .

وعلى هذا الأساس أيضا ، يعتبر القرآن
هو الطريق الوحيد لثبوت العقائد ، فيما كان
من آياته قطعي الدلالة لا يحتمل معنيين فأكثر ،
وثبوت العقيدة بالقرآن وعدمه مبني على
قطعية الدلالة وظنيتها ، أما قطعية الورد
فهذا لا شك فيه .

هذا بالنسبة للقرآن ، أما بالنسبة للسنة ،
فثبوت العقيدة بها ، لا يكون إلا بنص قطعي
في وروده ودلالته ؛ لأن الظنية يلحقها من
هذين الجانبين ، ومتى لحقت الظنية الحديث
من جهة وروده أو من جهة دلالته أو منهما
معا ، فلا يمكن أن تثبت به عقيدة يكفر
بمسكها .

وبعد أن عرض الأستاذ الأكبر لآراء
العلماء الأقدمين ، وإجماعهم على أن الحديث
الآحاد لا يفيد إلا الظن - لا فرق في ذلك
بين أحاديث الصحيحين وغيرهما ، وعرض
أيضا لاختلافهم في وجود الحديث المتواتر ،
فذهب بعضهم إلى أنه لا يوجد حديث واحد
متواتر في الكتب المدونة ، كما ذهب البعض
الآخر إلى أن المتواتر كثير في هذه الكتب ،
رأى فضيلته أنه لا يحكم لحديث بالمتواتر إلا
إذا أخرجه جميع كتب الحديث المشهورة

معناه ، فإنه يقرر هنا أن مصدر الشريعة أوسع نطاقاً ، وقد حصرها في ثلاثة مصادر :
 ١ - القرآن نصه وعمله .

ب - السنة بشرط صحة نقلها .

ج - الراى من طريق النظر في عمل القرآن والسنة .

وبعد أن عرض فضيلته للقرآن في الوضع القوي ، وفي اصطلاح علماء الأصول ، ونهجه في بيان الأحكام ، كما عرض للسنة أيضاً : معناها في اللغة ، ومعناها في صدر الإسلام ولسان الشرح ، ومعناها في اصطلاح علماء الأصول ، ومعناها في اصطلاح الفقهاء ناقش شعبة المخالفين في أن السنة مصدر من مصادر التشريع ، وهم الذين رأوا في القرآن كفيلاً ببيان أحكام الله ، كما رأوا في أن الأحاديث لو كانت تشريهاً طاماً كالكتاب لأمر الرسول بتدوينها وحفظها .

ورد فضيلته على المخالفين شبهتهم حين ذكر أن رأيهم مخالف لإجماع الدين يتم بإجماعهم وأن المحققين من العلماء أنبتوا بالسنة قولاً وعملاً كثيراً من الأحكام التشريعية الدائمة ، وأن العمل المستمر من عهد الرسول إلى يومنا هذا في نزوح المسلمين في تعرف أحكامهم إلى السنة المروية ، يجعل شبههم أوهى من خيوط المنكبوت .

على أن فضيلة الأستاذ الأكبر اعتبر أن

تفصيلاً ، أبرز من خلاله فلسفة التشريع ، طرق جانب المعاملات ، تحدث عن نظام الأسرة ، تكوينها - تعدد الزوجات - وضع المرأة في نظر الإسلام ، والمواريث ، ثم عن الأموال والمبادلات ، ثم عن العقوبات ومسلك الشريعة وهدها في تقريرها ، ثم عن وضع الأمة في الإسلام .

ولقد أثار الأستاذ الأكبر في هذا القسم كثيراً من المعاني :

١ - حل كثير من العلماء آية : « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ... » على مجرد التنفير من تزوج البغي ...

٢ - أن الإمام الذي تمنحه الشريعة الإسلامية هذا الحق العظيم ، ليس هو من يخلع عليه طائفته أو إقليمه أو طائفته من الناس لقب « الإمام » بل هو الحاكم الذي يعرف في صدر الإسلام بلقب الخليفة .

٣ - لا بد للأمة من إمام يهي الدين ، ويقم السنة ، ويتصف بالعلوم ، ويستوفى الحقوق ، ويضمها موضعها ... ١ .

* * *

ولقد ألحق الأستاذ الأكبر بالنظرين السالفين : العقيدة والشريعة قسماً ثالثاً تحت عنوان : « مصادر الشريعة » وإذا كان فضيلته قد اعتبر القرآن وحده مصدراً للعقيدة في الإسلام بشرط أن يكون صريحاً حاسماً في

في الإسلام مصدراً من مصادر التشريع هو اتفاق أهل النظر في المصالح، ولا حجة فيه بموافقة من ليس أهلاً للنظر ولا بمخالفته. أما الإجماع الذي يصور بأنه : اتفاق الأمة جميعها : مجتديها وغير مجتديها : خاصها وعامها ، فليس هو الإجماع المعبر مصدراً من مصادر الشريعة ، وإنما هو إجماع على العلم بما أجمعت الأمة عليه .

والاستاذ الأكبر يقرر بأنه لا اختصاص لأحد بحق الفهم في الإسلام؛ لأنه من حق كل مسلم حائز لأهلية البحث ، وبأنه ليس في الإسلام من يجب الأخذ برأيه كخليفة والإمام والقاضي ؛ لأن كلامهم ليس معصوماً من الخطأ ، وبأن فتوى المفتي ليست ملزمة لمن يستفتيه ، لأنه إما مجتهد يفتي برأيه أو مقلد يفتي برأى غيره .

وختم الاستاذ الأكبر هذا البحث بأن الإسلام فتح الباب للاجتهاد الفردي والجماعي لكل من افس في نفسه أهلية النظر ، وقد كان تعدد المذاهب مرده إلى الاختلاف في طرق الاجتهاد ، كما كان في تقرير حق الاجتهاد ما فتح لأهل البحث والاستنباط من علماء الشريعة الإسلامية أوسع الأبواب لتخير القانون الذي تنظم به شئون المجتمعات الإسلامية اختلاف ظروفها ، غير مقيدين إلا بشئ واحد هو عدم المخالفة لأصل

السنة كما هي تشريع قد تكون غير تشريع ، فأورد من أحاديث مدونة من أقواله وأفعاله وتقريراته ، وكان سبيلها سبيل الحاجة البشرية : كالأكل والشرب والنوم وما إلى ذلك ، أو سبيلها سبيل التجارب والمادة الشخصية كشئون الزراعة والطب أو سبيلها سبيل التدبير الإنساني أخذاً من الظروف الخاصة كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية ، هذه الأحاديث ليست شرطا ، وإنما هي من الشئون البشرية التي ليس مسلك الرسول فيها تشريعا ولا مصدر تشريع .

وذكر فضيلة الاستاذ الأكبر عند الكلام عن الرأي — كمصدر للتشريع — أن عهد الرسول قد تركز فيه مصدران للتشريع هما القرآن والسنة وكان أصحابه من بعده يرجعون إلى القرآن ثم إلى السنة فإن لم يجدوا حاجتهم بحشواً مستلهمين روح الشريعة ، وكان أخذ الرأي بطريق الاستشارة مصدراً جديداً ظهر العمل به بعد وفاة الرسول فيها لا نص فيه من كتاب أو سنة ، أو فيها فيه نص محتمل . وتراجع حجية الرأي في التشريع إلى تقرير القرآن مبدأ الشورى ، وأمره برد المنازع فيه إلى أولى الأمر ، ثم بعد ذلك إلى ثبوت إقرار النبي لأصحابه الذين كان يعيهم إلى الأقاليم على الاجتهاد والأخذ بالرأي .

وعلى ذلك يكون « الإجماع » الذي يعتبر

مركز ، وداسة عميقة ، وبروح مشرقة ،
وعقلية متحررة . ٩١

محمد عبد الله السمان

من أصول التشريع القطعية مع تحرر وجوه
المصلحة ، وسبيل العدل ، ولكن ذلك أساساً
لدوام الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل
زمان ومكان . ١

وبعد :

حول كتاب المغير لأبي الصديق :

اطلعت على كتاب المغير للشيخ أحمد
ابن محمد بن الصديق الفارسي الطنجاي نزيل
القاهرة فوجدت مؤلفه يستعمل ألفاظاً
لا تليق بالنقد العلي الذي يراد به بيان
الحقائق فهو ينسب الفلحة إلى الحافظ نور
الدين الهيثمي كما أنه يرى الفقهاء بأنهم
(يوردون الأحاديث الموضوعة محتجين بها
في الأحكام) وأن كلامهم هذا (ليحسنوا به
بدعة التقليد والمذاهب المتبعة) وأن
المنأوى هو مصدر الأوامم والأغلاط وأن
عقله الخفيف ما أبلاه . وان (الخنفية
أصحاب هذا الرأي وأكثر المقلة وضما
للحديث حجة في نصرة مذهبهم) وأن
الحافظ السيوطي (لو كان عنده نقد للحديث
لاستحي من إيراد مثل هذه الأباطيل) —
كما أنه ذكر في ص ٥٧ عن حديث عبادة
(وهو من كذب الخنفية) وقال في ص ٦٧
(وطالب العلم اليوم شر من الشيطان الرجيم)
وقال في ص ٧٧ (فهل بلغت بك الغفلة
يا سيوطي لهذا الحد) والسيوطي المغفل في
زعم ابن الصديق هو الحافظ جلال الدين

فإن هذا عرض يعتبر سريعاً لمؤلف
الأستاذ الأكبر : الإسلام عقيدة وشريعة ،
والذي أستطيع تأكيده أن فضيلته أفاض
في عرضه للإسلام بشطريه . العقيدة والشريعة ،
بعقلية تحررية مدعمة بالدليل والمنطق ، وإن
ماضى الأستاذ الأكبر وحاضره يشهدان بأنه
في طريقة عرضه للإسلام يعني بالمنهج
والداسة والتحرر العقلي بينما نجد كثيراً ،
من العلماء يكتفون بجمع آراء غيرهم دون
أن يكون لأرائهم وجود ، وذلك إما لأن
طريقة النقل ميسرة سهلة لا إجهاد للنهن فيها ،
ولما لأنهم يؤثرون السلامة والهدوء .
وتجنب مشاغبات أشياخ الجلود والتزمت ،
ولو سار الجميع على منوالهم لعجزت الشريعة
الإسلامية عن مسايرة الحياة والتجاوب مع
تطوراتها ، وأصبحت تراثاً يجمداً من تراث
الماضي ، وكفى !

إن كتاب الأستاذ الأكبر سيسد فراغا
في المكتبة الإسلامية ، فلاول مرة على وجه
التقريب . يخرج إلى عالم الوجود كتاب
مستقل يجمع بين دفتيه الإسلام في عرض

ذكره في مقدمة فتح الباري مع تصريحه في كتاب آخر بأنه من الواهي (وهكذا نرى أن المؤلف لا يزال مصرّاً على استعمال لقب الحافظ دون أي تعريف ، ولكنه يرى هذا الحافظ بالتناقض ، وبأنه يرمي حديثاً ثم يذكره في مقدمته التي تعتبر دستوراً لعلم الحديث في رأي كثير من المحدثين . فهل التناقض شيمة الحفاظ — أرجو أن يكون الرد على هذا في مؤلف يفرد لتعقب المغير ، وتقد ما جاء فيه إن شاء الله تعالى . كما أن المؤلف ذكر في ص ٩ من المغير حديث الورع عن ذكر الفاجر ، وأنه موضوع مع أن الشيخ نور الدين أبا الحسن حل بن أحمد بن أبي بكر الجراح الشافعي . وابن الصديق أعلم الناس به . ذكر في أول كشف الاستار المسئلة هذا الحديث والجراح المذكور من المحدثين بل من الحفاظ فكيف استشهد بحديث موضوع .

أرجو أن يكون في هذه الكلمة الهادجة ما يردع الشيخ ابن الصديق عن لحوم العلماء فإنها سموم وأن يتفرغ لإقراء الحديث على طلبة أواملاً ألا يكونوا يبركته أسوأ من الشيطان الرجيم . والله ولي التوفيق والهادي لأقوم طريق .

أحمد فخرى

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الإمام الباحث الحافظ الأديب المؤرخ الذي تورع عن منفع الملوك والحكام .

ولست أريد بهذه السجالة نقد الكتاب من جهة الصناعة الحديثية وإنما أريد أن أسأل المؤلف عن الفائدة التي تعود على الإحلام من تذييل السلف الصالح وروى مذاهبهم المباركة المتبوعة على طول الزمان بالفساد والابتداع . وإذا انتهى الأمر إلى أن يسب المحدث أصحاب المذاهب ويقع الفقهاء في الصوفية ويلطم الوعاظ المصيرين . إذا انتهينا إلى هذا فهل يمكن لإذاعة إسرائيل أو لملايين الدولارات التي يتفقاها المبشرون المستعمرون أن تنال من الإسلام أكثر من هذا . وما هي الفائدة التي تعود على المسلمين من هذا التناذر والسباب ، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى وحدة الكلمة وتأييد القلوب وإعادة اليقين إلى العقول التي تسلطت عليها أمواج الإلحاد والشيوعية .

وهلا يمكن للنقد العلي أن يقوم إلا بهذه الانفاظ البذيئة . وأذكر أني سمعت المؤلف قبل خمس وعشرين سنة يقول : قال الحافظ فقلت له أي حافظ تعني ؟ فقال : إذا قلت الحافظ فهو ابن حجر ؛ لأنه بلغ شأواً سابقه وعز على من جاء بعده أن يلحق به ثم هو يقول في ص ٦ من المغير (ومن الغريب أن الحافظ

النشاط الثقافي للأزهر

افتتحت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية موسمها الثقافي الثاني بسلسلة قيمة من المحاضرات المصنوعة من كبار المفكرين أقيمت في قاعة المحاضرات الأزهرية الكبرى ابتداء من ١٨ ربيع الآخر وهاك ملخصا لكل منها :

« وضع الربا في بناء الاقتصاد القومي ،
بدأ بالكلام عن البناء في المجال الاقتصادي
على وجه العموم ، وفي المجال القومي على
التنخيص ... »

وكان من رأى الأستاذ المحاضر : أن الأحكام
التي جاء بها الدين الحنيف لا تقبل التطوير ولا
التطوير لأن التطوير ترقى إلى فوق ما هو مألوف
ولا يكون ذلك إلا في أمر به شوائب . بينما
أحكام الإسلام مفرقة عن العجز وعن النقص .
ثم شرح مفهوم « العفو » في قوله تعالى :
« ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » وقوله
تعالى : « خذ العفو » وأمر بالعرف ،
وأعرض عن الجاهلين » ثم بين قصور قانون
المنفعة ، وقانون المقسدة بالنسبة لقانون
« العفو » في القرآن الكريم . ثم عرض
لمشكلة الربا في الديانات السماوية ، وكيف
انصفت كلها على تحريم الفائدة الربوية .

وأعرض بعدئذ لتنظيم الاقتصادى كما جاء
في بعض آيات الذكر الحكيم وملاءمته لحاجة

ألقى الأستاذ الدكتور محمد البهى المدير
العام للثقافة الإسلامية محاضرة عنوانها :
« واجب العلماء »

تحدث فيها عن أصحاب المعرفة الإلهية
وأصحاب المعرفة الإنسانية ، وأبرز منهج
كل فريق في البحث . ودعا العلماء من الفريقين
أن ينظر كل منهما فيما عند الآخر حتى تلتقى
المعرفة الإلهية بمبادئها ومثلها العليا مع المعرفة
الإنسانية واختراعاتها وتقدمها المادى .

كما أبان أن صاحب المعرفة الإلهية يعتمد
في تنظيم علاقات المجتمع وإرساء قواعد
السلوك على أساس فاضل من الوحي الأعلى
أما صاحب المعرفة الإنسانية فيعتمد على
المعمل والتجربة وما تؤدي إليه من نتائج
ثم دعا في محاضرته أن يلتقى الفريقان ليتحقق
سلام البشرية وأمنها .

• • •

والقى الأستاذ عيسى عبده إبراهيم الأستاذ
بكلية التجارة - جامعة عين شمس - محاضرة عن

ذكر فيها : أن الإسلام ليس بمعزل عن الحياة والأحداث . وليس مجرد عقيدة فقط بل هو عقيدة وشرعية ، وعلم وعمل ، وعقل وخلق ، وعبادات ومعاملات ، وفي هذا الإطار تسلسلت المحاضرة عن الملوكات العقلية والأسس العلمية التي خطها القرآن لاكتمال العقل ونموه ووظيفته في الحياة . كما أضافت المحاضرة إلى القيم العلمية فيما أخرى فوق ما كتبه الفلاسفة والمفكرون .

وألقي الدكتور عثمان أمين . الأستاذ في كلية الآداب - جامعة القاهرة . محاضرة في فلسفة اللغة العربية .

بدأها بتعريف هذه اللغة وذكر الأقوال التي قيلت في فضلها وإضافتها بالفرض في مقتضيات حياتنا كلها ، ثم عرض بعدئذ لليزات والخصائص التي بها فرضت اللغة العربية نفسها وخلقت .

ومن هذه الخصائص الإعراب وأثره ، والاشتقاق وفضله في توسيمها وتحقيقها ومرونتها .

وعرض بعض صيغ الاشتقاق للتدليل على ثباتها وتوسعها وعدم تحلفها عما يساعد على سهولة تعلمها . ثم قارن المحاضر بينها وبين غيرها من اللغات الأجنبية ، وكيف أن العربية تفوقها جميعاً في التراكيب والإيجاز ، والفائدة .

وعقد نماذج لهذه المقارنة ظهر فيها فضل

الناس في كل زمان ومكان . وكيف أن فيها غناء لحياة الناس حياة سعيدة بدون أكل الربا . وعرف الربا بأنه الذي يأكله القوي دين مبرر ، وهو استغلال حاجة الضعيف ، وانتهاز الفرص وتجارة الموت ، والكسب الفاحش ، وما يكسبه صاحبه بلا جهد .

وذكر من أضراره الربا ، أنه : يمتصر الفقير فيزيده فقراً ، ويستغل حاجة المحروم والكادح مما يرتب عليه ضعف المجتمع ، ويطنى الغنى ويبطره ، ويشيع الخوف بين الطبقات ، وينبت الجريمة ، ويدهج العقيدة ، ويفسد المجتمع بالمادية المسرقة ، وذكر في ختام حديثه بالحقائق والأرقام : أن الإنسانية في مقدورها التخلص من الربا بتنظيم الائتمان المنزه عن العقد الربوي ، والدليل على ذلك أن جملة الفوائد الربوية في السنة الأخيرة للرايين تساوى ١٠ مليونا من الجنيهات . ولا قيمة لذلك القدر بالقياس إلى الدخل الذي يناهز ٩٠٠ مليون من الجنيهات .

وقد كان السيد حسين الشافعي وزير الشؤون الاجتماعية والعمل حاضراً وطلب من السيد المحاضر أن يستمر في بحثه ، وعلق بالتأييد والاستحسان على اتجاهه . وقد نشر في هذا الجزء النصف الأول من هذه المحاضرات :

وألقي الأستاذ / سيد أبو المجد - المستشار الفني للزئيم الإسلامي محاضرة عن الملوكات العقلية في القرآن الكريم .

حكيمة تقوده ، وعداة يهدونه سواء السبيل ،
ويحبونه الزلل والانحراف فننوفر له القيادة
والفناذج من التاريخ والمعلمين والأفراد
والحكام . ليثب مثلهم .

لأن المثل هو الذي يسيره في حياته .
وثورتا تضع دائما المثل العليا أمام
الشباب ليحتذيها متى اقتنع بسلامتها .

كما ذكر أن الشباب شفاف يستشف ماحوله
ولا يستطيع أحد خداعه .

والواجب أن نبني القادة لحل رسالة المثل
الخطيرة . وأن نتيح المساواة لكل الطبقات ،
ثقافيا واجتماعيا وفي كل شيء . لزول الحواجز
ويسود الإخاء .

ثم نحدث بمرء الأستاذ محمد سعيد العريانه
فذكر المجد العظيم للأزهر : ثم تحدث عن
معنى الأجداد في مفهومها الواسع الشامل ...
وكيف أن الإسلام فيما حقق من مكاسب
إنسانية كبيرة للجُمُوع ، لم يحققها التحصيل
بجد . وإنما حققها لأنها فرض إنساني ،
ولأن المكاسب التي حققها جزء من صورة
إنسانية كاملة كما أرادها للناس

وقال : إن عظماء المسلمين إنما عملوا ابتغاء
رضاء الله وفي سبيل الحق والخير والمثل
العليا وسلام البشرية ، لا يتفنون شهرة أو
سلطانا ، أو جلاها ، أو مالا في مقابل الأجداد
التي صنعوها .

العربية وسر خلودها . ثم شرح كيف أن
القوالب العربية تجيء على قدر المعنى المطلوب
ومطابقة له تمام المطابقة .

وأن من إيجاز العربية أنها تستغنى عن
الفعل أحيانا في الربط بين المسند إليه
والمسند ، بينما غيرها من اللغات لا يستغنى
عن الفعل كرائطة في الجملة لفهم المعنى . .

ندوة محمد خير مجي الأزهر :

أقام اتحاد خريجي الأزهر ندوة عامة في
قاعة المحاضرات الأزهرية للبحث في مشكلات
الشباب دعا إلى التحدث فيها الأساتذة :
الدكتور أحمد زكي وكيل وزارة التربية
والتعليم ، ومحمد سعيد العريان مدير العلاقات
الداخلية بوزارة التربية والتعليم المركزية ،
والدكتورة بنت الشاطئ الأستاذة بكلية
الآداب بجامعة عين شمس ، والدكتور محمد
البهي المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر
وشهدا جمهور ضخيم من الأساتذة والطلاب
ومجي المعرفة . فبدأ الحديث الدكتور أحمد
زكي فقال ما ملخصه :

إن الشباب هو عماد الأمة ، ونظرها
وذخرها ومناطق أملها ...

والشباب الآن تحت قيادة حكيمة شابة
برعامة السيد الرئيس جمال عبد الناصر . وإن
أيامهم الآن خير من أيام سابقهم من الشباب .
كما ذكر أن الشباب مرحلة خطيرة يجب
العناية به فلا بد له من مثل عليا يتمثلها ، وقيادة

وكيف أن المجد الذي كونه محمد وأصحابه
كون تاريخاً للإنسانية .

وتحدث أيضاً عن التفاعل بين الإسلام،
و القومية العربية ، و الإنسانية، وكيف
أن هذه المعاني الرفيعة لهذه الألفاظ يخدم
بعضها بعضاً ، وتخدم المثل الفاضلة التي
تستهدف خير المجموعة البشرية ، ولا تحاول
الإصرار بأي مبدأ أو مجتمع .

وختم حديثه بأن الإنسانية التي نعيشها
لم تكن قبل محمد وتعاليمه وأصحابه .

ثم تكلمت الدكتور بفت الساطي و:

عن دور المرأة للمسلة في تاريخ الإسلام
الملى بالأبجاء الخالدة .

وتكلمت عن حيرة الشباب ، وتعرضت
لمشكلاته التي زادها تعقيداً اضطراب القيم ،
واختلاط المثل العليا بمعاني الحضارة في هذا
العصر ، فلم يعد الشباب قادراً على التمييز بين
النافع منها والضار .

وأخيراً تحدثت عن وجب العلماء والموجهين
في حل مشكلات الشباب ، والأخذ بيده نحو
الوجهة السليمة ، والطريق القويم .

قالت : لا يحمي الشباب الحائر من يأخذ
بيده لأنه جاء بعد حريين كبيرين أنت على
الكثير من الأخضر واليابس ، وإذا راح
يلتس كنه غده وجد كبار الساسة يريدون

حرباً ضروساً لا تبق ولا تذر .

وقالت : لا يحمي الشباب من يأخذ بيده
في هذه الدوامة العلية الهائلة التي تعاصره
وتريه ما يشبه المعجزات ويقول له : إن
ما تراه إنما هو آية من آيات الله الكبرى التي
يها العقل البشري الذي فطره الله ، وكرم
الإنسان حينما أمر الملائكة بالسجود لآدم
البشري . فأنت سيد في هذه الأرض .

وقالت : إن من الخطأ أن نظن أن الإسلام
مقالة أو خطبة أو محاضرة فقال للشباب
فيكونوا صالحين ، بل لا بد من تمثل حياته
في عمره وتمثل الذي يعاونه وتقدر أخطاره
القرية والمحتملة ، ولذلك نريد قادة لهم قادرون
على حمل الرسالة الكبيرة والحظيرة بما أعدوا
لهذه المهمة الصعبة من وسائل تعين على
الإنجاح .

وختمت الحديث بقولها : إن الأزهر
مرجو منه أن يشارك وأن يضل الكثير
في سبيل القيادة باعتباره البيئة الدينية العريقة ،
وأكبر جامعة إسلامية في العالم .

ثم تحدثت الدكتور محمد البرسي أميرة فقال :

إن هناك عقبات تحول دون رؤية
الشباب للدين .

وقبل أن يذكر كيف يتصل الشباب بالدين
ذكر أن شبابنا في وقت فصل فيه بين ماضيه

في حياته وذلك راجع إلى تذبذبه بين مرحلتين من حياته : الطفولة والرشد وكيف أنه يلتزم الممنين ليتخلص من الطفولة وهنا تبرز قيمة الموجه ، وما يجب أن يتحلى به من خصائص وميزاته تكفل له إنجاح مهمته ...
كما : ذكر أن الطبيعة والدين وكلاهما ضروري للإنسان :

الطبيعة تدفعه لإدراك مظاهرها ، والدين يبصره بقيمة الإنسان نفسه . ويدفعه إلى أن يسخر الطبيعة ويسخرها بدلا من أن تسخره وتسرقه .

وإذن فضرورة الدين في حياة الإنسان أشد من ضرورة الطبيعة ؛ لأن قيمة الدين خالدة ، والضرورة آلية وواضحة .

وقرر أن الذي يحول بين الشباب والدين إما عقبات توضع في طريقه ، وإما قصور في فهم تعاليم الدين . أو وجود من حاملي الرسالة وتحلفهم عن مساهرة أساليب العرض الحديثة . أما : كيف يتصل الشباب بالدين فذلك يكون : متى تم الانسجام بين أجهزة التوجيه المتنوعة في المجتمع ، وحسن الفهم لتعاليم الدين ، وحسن العرض عن جعلوا دعونه رسالة لهم في حياتهم ، حتى يكافح الشباب في سبيل القيم والمثل العليا .

المجيد وقيمة العظيمة وبين حاضرة المفرق في مادته الآلية والطبيعية .

وذلك بما رسم الاستعمار من قبل ليظل الشباب تابعاً في توجيهه لما يرسمه الغرب من فكر يقربه من الغرب ويبعده من مجده التليد . واستشهد على ذلك الأثر الاستعماري بأقوال المستشرق ، جب ، الذي ذكر

أن سياسة التعليم في مصر جعلت في الوطن فريقين بعيدين عن بعضهما : فريق يتبع موارثه العقلية الروحية الإسلامية ، وفريق أبعد عن ذلك يتلقى نصحه وتوجيهه من الغرب ، واستخف بالقيم والأبعاد التي عند الفريق الأول وأنكر اعتبارها في حياة الإنسان .

ثم ذكر أن الصحافة المعاصرة من عوامل الإبعاد عن قيمنا وأبعادنا لأنها تعرض مشاكلنا في ضوء رأي مستورد لا عن دراسة وبحث وفهم واستشارة لمبادئ الإسلام .

فالتربية مثلاً نريد أن نطبق فيها هنا ما يطبق في إنجلترا مع اعتراف قادة التربية والفكر هناك بأنها تربية لا تصلح لهم . فضلاً عن أنها بتطبيقها هنا تحطم قيمنا ...

كما ذكر أن مشاكل الشباب لا تنحصر في الجنس . إنما تكون أيضاً في تعريفه بالوجهة التي يتجه إليها ، وأزمة القلق والاضطراب

برئ المجتلة

ومن دواوين الشيعة الأساسية في الحديث كتاب (الكافي) ... وهو بجزء (صحيح البخاري) عند أهل السنة .

وحبذا لو شكل الأزهر هيئة من علماء الحديث تقوم بطبع هذا الكتاب الهام ، مع تخرج أحاديثه وفقاً لدواوين أهل السنة إن كانت قد وردت في شيء منها ، أو تقريباً من أحاديث أخرى أو من أحكام الشرع ومقاصده السامة إن لم تكن قد وردت بصورتها في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من كتب الحديث المعتبرة عند أهل السنة ، أو إيراد تفرد ما إن لم يكن في تأويل مندوحة .

مثل هذا العمل أصيل مباح ... يرمى محاولات التقريب والمقارنات المنهجية على دعائم راسخة من العلم الصحيح والنهج القويم ، فلا يعادى الناس ما يجهلون ، ولا يهرفون بما لا يعرفون ، ولا يقفون ما ليس لهم به علم ، ومثل هذا العمل مقدمة بين يدي خطة أوسع وأشمل ، لتقديم نماذج من تفسير القرآن وتأويل السنة وأصول الاجتهاد لما يجد من أحداث عند الشيعة ، ولعرض

أصول الفقه الشيعي ومصادرها :

فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً .

فكرة أضاعها أمام الأزهر ... وأعرضها على الأستاذ الأكبر ، وقد سبق أن عرضتها من قبل على وزارة الأوقاف ، وفي الأزهر أهل الدبر ، وقد تكون الأوقاف أغنى بالمال . إن تقرير (الفقه المقارن) في منهج دراسة الشريعة الإسلامية خطوة جلية موفقة ، وإن احتار (الفقه الشيعي) من بين المذاهب التي تجري دراسة أحكامها والمقارنة بينها فيه سداد رأي وأمانة علم وسعة أفق . وأعتقد أن إنصاف (الفقه الشيعي) في عقولنا وقلوبنا ، يحتاج إلى بحث أصوله كما يحتاج إلى الإلمام بفروعه .

والقرآن الكريم أصل الأصول عند جميع المسلمين ...

وأما السنة المطهرة فلشريعة شروطهم في توثيق الرواة ، وانبنى على ذلك أن تكون لهم كتبهم الجامعة للحديث .

مقولاً - عنده - وهكذا من الجرواة التي
تثير العجب من عام دارس ، ومثقف مسلم ،
يعيش في بيئة مسلمة ، إذ هو يعلم أن القرآن
حافل بتنظيم العلاقة الزوجية ، وبما يتصل بها
من نظام العشرة والحقوق بين الزوجين ،
وبما يقوم عليها من أنساب مرتبة في درجاتها
وبما يتبع عنها من توارث ، ونفقات للأقارب
ونحو هذا بما لا يحيط به مسلم أمي نشأ في بيئة
مسلمة . . . كما فلم القرآن طريق الفرة بين
الزوجين إذا اقتضت الأسباب ، وبين ما يتصل
بذلك من أحكام . وهذا باب واسع تعرضت
له الكتب السالوية من قبل ، كما أنها
وأوصىها القرآن من بعد ، فهل يبلغ التجديد
بنا أن نترك ما بين يدينا ، وأن نقرر أنه
غير مقبول ؟

الحق أن الأستاذ يستهين بالامر الواقع ،
ثم يجد مقسماً في الصحافة لنشر هذا التهريج
الذي لا يمكن أن يبلغ مبلغ الرأي حتى نسبه
ربا يطرح على الناس في صحيفة الرأي كما
زعموها . . . وكان حقاً علينا أن نترك على
الحامى ، وأن نقنله ما اضطر فيه من خلط
وتشكيك ، غير أن حقنا في نشر الصواب
لم يرفع لنا عند صحيفة الأهرام ، كما
أضحت صدرها للذيان ، بل وعدت بالنشر ،
ثم وعدت ثانياً ، ثم أخلفت . . . فيا ترى !!
هل بدلت رسالة الصحف فأصبحت تناصر

تاريخ التشريع والفقه حسب دراساتهم ...
وهذه (المكتبة الشيعية) تجعل تبادل الفهم
وتجاوب العلم بين أهل السنة والشيعة على علم
وهدى وكتاب منير .

محمد فتحي عثمان

مجموع على الدببة في غير هوادة

إلى عهد قريب كان صاحب النزعة المنحرفة
يحسب للرأى العام حسابه ، ويستحي أن يعرف
بالمروق من دينه ، أو الجفوح إلى ضلالة .
ولكن بعض الغفوة تدرج فيها يسمونه
حرية الرأى ، حتى أصبحت المحانة ، واللادينية
من المحامد التي يتباهون بها ، ويجدون
في الصحافة مقسماً لترويجها .

وهذا - محام ... مسلم - يطالعنا بشيء جديد
في باب « الإلحاد » ، والزندقة ، وجديد
في احتقاره للرأى العام ، وما يدين به الناس في
قداسة وأطمئنان منذ شرعت الديانات السالوية
كتب المحامى في صحيفة صباحية كبرى
يوم ١٣ / ١٠ يدعو لجنة الإصلاح لقانون
الأحوال الشخصية ألا تعتبر تشريع
الزواج والطلاق من مسائل الدين .

ويدعوها كذلك في إلحاح أن تنزع
من رءوس أعضائها تلك الأفكار القديمة التي
تحميل إليهم وإلى الناس أن الدين تعرض لذلك .
بل هو يرى ويصرح بأن التعرض من الدين
لأمر الزواج والطلاق لا يمكن أن يكون

الباطل ، ونجيد من الإنصاف ، لنتمنى مع أولئك المفتونين ، ولو كان هما واحدا الاحتمك

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

خطأ مطبعي في القسم الانجليزي

تحية واحتراما وبعد :

فإني أحد قراء مجلتكم القراء مجلة الأهر ، تلك المجلة التي ولا شك أنها ستكسب كل من يسام في تحريرها أجراً كبيراً عند الله ، لما تستوعبه من مقالات قيمة تبث فيها لعالم قاطبة التعاليم التي جله بها الدين الخفيف ، وأن لساني لمأجز عن وصف هذه المجلة ولذلك باقني أكتفي بالقول بأنها كنز لا يفنى لمن يقتنيها ويعمل بمقتضى ما تضمنته من منطق جاء به من لا ينطق عن الهوى ، نينا محمد صلى الله عليه وسلم لينقذ به البشرية من الظلمات إلى النور .

إن ما أريد أن ألفت نظركم إليه الآن هو أنني أطلعت على خطأ هو في الواقع خطأ مطبعي ولا شك ، ولكنه يؤدي إلى عكس المعنى المراد به . وقد وقع هذا الخطأ في القسم الانجليزي من عدد محرم (يوليو ١٩٥٩) في مقال الدكتور محمد البهي في الفقرة قبل الأخيرة من صفحة ٢٠ ، حيث تقرأ المجلة التي وقع فيها هذا الخطأ كما يلي :

" And help one another in Sin and Aggression "

بينما الصحيح هو بإضافة كلمة Not بعد Help وقبل كلمة One لتكون الجملة ترجمة حرفية للآية الشريفة ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ، لقد جاءت الترجمة الصحيحة لهذه الآية الكريمة في أماكن أخرى من المجلة ، إلا أنني بالرغم من ذلك رأيت أن ألفت نظركم إلى الخطأ المشار إليه حتى لا يتكرر في المستقبل فيظن القراء الذين لا يدنبون بالاسلام — ولا سيما إذا أطلعوا على هذه الترجمة التي حصل فيها الخطأ ولم يطلعوا على الترجمة الصحيحة في مكان آخر من المجلة — في القرآن يأمر بالتعاون على الأثم والعدوان وفي خطاني هذا لا أقصد مطلقاً فقد المجلة — بل أني كعربي مسلم — غفور بأنها تقدم إلى جانب القسم الأكبر باللغة العربية مقالات باللغة الانكليزية على مستوى عال وتعتبر في ترجمة الآيات القرآنية بأحسن تعبير ، ولكن غرضي هو — كما ذكرت آنفاً — تفادي مثل تلك الأخطاء المطبعية وخاصة في ترجمة الآيات القرآنية وذلك خشية أن يؤوّلها القراء الأجانب تأويلاً خاطئاً .

والله أسأل التوفيق لكم لتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وترفعوا راية الحق — دين الاسلام — والعروة عالياً ... إنه صحيح عليم بحبيب القراء .

حسن صميم صري

وادي العبدروس — همدان

منذر بن سعيد البلوطي ليس مصرياً بل هو أندلسي أصله من (لخص البلوط) بالقرب من قرطبة ولد في العقد الثامن من القرن الثالث الهجري ونشأ وتفقّه بالأندلس على عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي وأضرابه ، ولم يدخل مصر إلا عندما رحل إلى المشرق يقصد الحج وبقاء العلماء كما كانت عادة علماء إخواننا المغاربة في تلك الأزمان ؛ ثم رجع إلى وطنه فقلده الخليفة عبد الرحمن الناصر الخطابة وصلاة الجماعة بالمسجد الجامع بمدينة الزهراء ، ثم توفى قاضي قرطبة فولاه الخليفة قضاءها .

والبيت الذي رواه الأخ الشيخ محمود الشرقاوي وحرفه هو من أبيات هكذا :

عذيري من قوم إذا ما سألتهم
دليلاً أجابوا : هكذا قال مالك
فإن زدت قالوا قال سمعون مثله
وقد كان لا تخفى عليه المالك
فإن قلت قال الله ضجوا وأعولوا

على وقالوا : أنت خصم بما حك
هذا ما عنى أن أكتب به إلى مجلة الأزهر
الثافة ، جعلنا الله تعالى ممن يحشون عن الحق
الحق والذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه ، والله تعالى حسبنا ونعم الوكيل .

إبراهيم مافظ البطة
خان يونس — فلسطين

ابن سعيد البلوطي أندلسي لا مصري
قرأت مقالة الأستاذ محمود الشرقاوي التي
عنوانها (الأزهر ومذاهب الفقه الإسلامي)
فرايت الأستاذ يقول : «غير أنني لا أريد أن
أخلص من هذا الحديث قبل أن أقول للذين
(قد لا ترضيهم هذه الدعوة إن ما يحرصون
عليه من رأى أو قول قد لا يكون خيراً الآراء
ولا أسلم الأقوال) الخ .. وأنا أرى أن كل
ما يكتب في مجلة الأزهر الزاهرة يجب أن
يعتبر لقاوي من الأزهر نفسه يستوى في ذلك
مسائل الدين والفن والأدب والاجتماع
وغيره ، ومن هنا نقول لأخي الكاتب إن
لفظ (قد) الحرفية لا يدخل على فعل منق
بل يدخل على الفعل المثبت ، وإن فعرية
المبارتين ربما لا يرضيهم وربما لا يكون
خيراً الآراء . ورأيت يقول : أريد أن أذكرهم
بأن هذه الدعوة المخلصة كانت مصر منتبهاً
لها ومتيراً ، وكان رجال مصريون هم دعايتها
والمبشرين لها حتى قال شاعرهم أبو الحكم
ابن سعيد البلوطي المصري هذا البيت المصارع
المستجير من الشعر :

عذيري من قوم يقولون كلما
طلبت دليلاً هكذا قال مالك

وهنا يجدر بنا بمقتضى الأمانة العلمية
أن نقول إلى الأخ الكاتب أن أبا الحكم

من الركنور على عبد الواهر

إلى صاحب المضيلة الشيخ عبد الطيف السبكي -

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته : وبعد :

١ - فقد ذكرت في كلمتك الأخيرة أن

ردى على استئذك كان رد الغاضب على من

أساء إليه ؛ مع أنه فيما اعتقد كان ردا هادئا

يضع الأمور في نصابها ، ويدعم كل حقيقة

بأدلتها ومراجعتها - وكل ما هنالك أنني

ذكرت أن بعض ما ورد في إجاباتي بعد من

أوليات المسائل المعروفة في تاريخ الأديان

كسألة يوحنا المعمدان الذي قلت إنك لا تقر

أنه يحيى بن زكريا مع أننا بصدد اسم واحد

بلثنتين مختلفتين لمسمى واحد ، وكسألة أخت

موسى التي أنكرت أن يكون اسمها مريم مع

أن مفسري القرآن أنفسهم قد ذكروا ذلك .

وليس في الإشارة إلى ثبوت حقيقة ما

واشتهارها ما يتم على غضب أو انفعال .

٢ - وذكرت ما يفهم منه أنني اعتد

كل الاعتداء بما ورد في الأناجيل

والإصحاحات ، حتى لقد نسبتها إلى قلت :

« أناجيلك وإصحاحاتك » . مع أن مؤلفاتي

وبحوثي تشهد بأنني من أشد الكتاب

الاسلاميين عداوة هذه الأناجيل والإصحاحات

وأقوام إيمانها من بيئة بزيغ كثير عما جاء

فيها وتحريمه واختلاقه ، وأحرصهم على

الكشف عما اشتملت عليه من زيف

وتحريف واختلاق ، وقد عرضت لذلك

بتفصيل في كثير مما كتبت ، وخاصة في

كتابي « حقوق الإنسان في الإسلام » الذي

طبعته وزارة الأوقاف ، وفي بحثي عن

« أسفار العهد القديم والتلويح » بمجلة المجمع

اللغوي وعن « أسفار العهد الجديد » بمجلة

الأزهر عدد شوال من السنة السابقة ، وفي

بحث آخر بعثت به إلى المجلة نفسها في منتصف

الشهر السابق ولم يتج نشره وربما نشر في

هذا العدد . ولعلك لم تفس ما نالني من جراء

موافقي هذه ونال كتابي « حقوق الإنسان

في الإسلام » من عنف وأذى . - وكل

ما هنالك أنني ذكرت في مقال السابق أن

بعض ما ورد في هذه الأسفار من قصص

لا تكاد تختلف روايته عن رواية القرآن

كقصص يوحنا المعمدان أو يحيى بن زكريا

وقابلت بين فقراتها وآياته الكريمة . - وليس

في ذلك ما يدل على نسبته إلى من اعتداء

بالأناجيل والإصحاحات .

٣ - أنكرت في مقالك الأسبق أن يكون

لموسى أخت تسمى مريم البتول ، ولأنك

تعرف ، على حدة قولك ، أن مريم البتول هي

أم عيسى عليه السلام ، وأن بين مريم وموسى

أحقابا . - وقد بينت لك في ردى أن أخت

موسى كانت تسمى كذلك مريم ، وأنها كانت

الإنسانى ، فما كان يعنى أن أنعقب جميع ما جاء فى هذه العبارة ، لأن المفهوم من سياق حديث أتنا بعدد استدلالات فاسدة على نظرية فاسدة - وكل ما فعلت حيالها أننى بينت ماورد فيها من أسماء الأعلام كيوحنا المعمدان ومريم البتول أخت موسى وما يقابلها فى اللغة العربية ومواطن ورودها فى القرآن إن كانت قد وردت فيه حتى يسهل فهم هذه العبارة . وكان هذا موقفى حيال جميع العبارات التى نقلتها عن آباء الكنيسة .

دكتور على عبد الواحد وائى

...

باحسرتنا على العراق !

السيد محرم باب بريد المجلة

قرأت فيما قرأت بالعدد الماضى من مجلة الأزهر المقال الرائع الذى كتبه أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات بعنوان " يا حسرتنا على العراق " ، فحرك هذا المقال أرائع أوتار قلبى وهاج كوامن نفسى فانسابت المنوع من عيني حزنا على شهداء العراق الأبرار الذين اغتالهم يد حكم العراق الفاشمة لا لذنب جنوه إلا لإيمانهم بدينهم الحنيف وإصرارهم على الاستمسك بعروبيتهم وحرمتهم من أجل هذا سملوا وأزهقت أرواحهم الظاهرة لأنهم آمنوا بآله وبرسوله وبعروبيتهم

بنولأى لم تزوج ، وأنها هى التى ورد ذكرها فى القرآن إذ يقول : " إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم . " وإذ يقول : " وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . " وقد ذكر مفسرو القرآن أنفسهم أن أخت موسى هذه كان اسمها مريم ، فيقول البيضاوى فى تفسيره للآية الأولى : " لجأت أخته مريم متفحصة خبره فصادقهم يطلبون مرضعة يقبل ثديها . " ويقول فى تفسيره للآية الثانية : " وقالت لأخته مريم قصيه أى اتبعى أثره . "

ولكنك بعد أن تبين لك وجه الحق فى جميع ما اعترضت عليه فى مقالك الأسبق صلت فى كلمتك الأخيرة فأوردت إشكالا جديداً فنسبت إلى أننى قلت إن أخت موسى هذه قد شقت طريقا ييسا فى البحر وذكرت أن هذا مخالف لما جاء فى القرآن ، مع أننى لم أقل هذا ، وإنما قاله " تروتوليان " الذى كنت أترجم عبارته . وقد اعتد فيها على مراجع من أسفار اليهود وذكرها فى معرض الإشادة بالمزوبة وأنها موصلة إلى صفاء النفس وإلى الإتيان بالكرامات والمعجزات . وكنت أقول أنا عبارته فى معرض التنديد بأداء رجال الكنيسة الكاثوليكية فى المزوبة وذهابهم إلى أنها الطريقة المثلى فى الحياة ، مع أنها منافية لقواعد العمران وبقاء النوع

الحق أنى أراى فى حاجة إلى أن تجعل لى هذه
المسألة ، وهى قتل الخضر للفلام ، بشرح
واسباب ، لأزداد علما ، وأزداد إيمانا .

• • •

والمجزة تقول

التفسير القريب لقصة الخضر عليه السلام
أنه نبى ملهم ، حملته العناية العليا رسالة جديدة ،
لا تزيد على إيصال حمة الله إلى بعض الفقراء
إليها ، بأسلوب يتحقق فيه قول الله جل شأنه ،
« صلى أن نكرموا شيئا وهو خير لكم ،
أو كما قال العرب » رب ضارة نافعة .

وصلتنا بقصة الخضر لا تعدو وهى هذا
الأسلوب فى تلقى قدر الله . أما أن يزعم أحد
بأنه نبى كلف بمثل ما كلف به الخضر ، فهذا
ما لم يقل به عاقل ، وكذلك توهم أن الله
يخص بعض الناس بمثل هذا العلم الذى خص
به الخضر . .

فإن النبوات والرسالات انتهت بعتة خاتم
النبين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن قال بغير
هذا فقد مرق من الإسلام .

صرف الزكاة لزوجة :

ويسأل السيد محمد حسين القباطى من
طرابلس الغرب .

(١) هل تصرف الزكاة للأبناء الراشدين
إذا كانوا فقراء ؟ أو كانت البنات متزوجات ؟

« والذين يؤخون المؤمنين والمؤمنات بغير
ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » .

وعندما تعودى الذاكرة إلى ذلك اليرم
المنحوس الذى قتل فيه أبطال ثورة الرابع
عشر من تموز نصاب الدموع من عيني
حزنا على هؤلاء الأبطال الذين أبوا أن يبيعوا
هويتهم وشرعهم للأعداء وفضلوا أن يعيشوا
عربا كرماء شرفاء أو يموتوا عرباً أحرار .
إن هؤلاء الأبطال لم يموتوا بل هم أحياء
فى قلب كل عربى ، ولا تحسبن الذين قتلوا
فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم
يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، سلام على
شهداء العراق الأحرار سلام عليهم فى جنة
الحلح والنسيم وصنع الله للعراق ولأمته
أجمعين !

سعيد توفيق صمدى

قتل النفس

يقول السيد محمد فريد طاهر من الاسكندرية :
كلما قرأت سورة الكهف وبها قصة موسى مع
الخضر ، أقف طويلا عند قتل الخضر للفلام ! .
أنا مؤمن بما ورد فى القرآن تعليلا لهذا
القتل ؛ ولكنى أريد أن أزداد إيمانا بما
أسمع من شرح عن هذه الحادثة بالذات .

الاسلامية وغيرها على اختلافها بفشر ثقافة الاسلام والمحافظة عليها ، وإحياء التراث العلمى لرجال الاسلام وقضاياه وأدبائه والعمل على نشر هذه الذخائر الحية فى أهم الارض كلها ، وأن المكتبة الأزهرية تحوى من الثنائى العلمى والذخائر الفكرية ما لا يعد ولا يحصى - وأذكر أن المستشرقين كانوا قد قدموا تقريراً عنها بأنها ثاوى مكتبة فى العالم لما تحتوى عليه من مخطوطات يندر العثور عليها ولا توجد فى غيرها أبداً .

فهل عمل الأزهر على نشر هذه المخطوطات وطبعها ليتنفع بها المسلمون فى العالم الاسلامى؟ وهل نظم هذه المكتبة القيمة بما يتناسب مع روضتها وجلالها ؟ وهل أقام لها البناء الذى يناسبها فى العصر الحديث وعلى غرار المكتبات فى العالم ؟ .

لم لا يكون فى أزهرنا المعمور لجنة لتأليف والترجمة والنشر ، وود شباهات المبشرين والمستشرقين التى يثيرونها حول الاسلام وثقافته ؟! وقد طالعنا مجلة الأزهر الغراء فى عددها السابق فى جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ هـ بمقالكم القيم من هؤلاء المبشرين والمستشرقين ومواقفهم من الاسلام وقد كشفتم لنا عن نياتهم الخبيثة وطواياهم السيئة تجاه ديننا ووحدةنا لجراكم الله عن الدين والأمة خير الجزاء ؟

من محمد محمد

(٢) هل يصح أن يدفع من الهدى للقراء بدل ذبحه ، خصوصاً أن الذبائح لا تجد من يجمعها ويتنفع بها ؟

(٣) من العلماء عندنا من يصر على إيقاع الطلاق ثلاثاً إذا صدر بلفظ الثلاث ، فبم نأخذ؟

والجملنة تجيب :

(١) الأولاد إذا كانوا فقراء تجب لهم النفقة ، ولا يحل أكلهم من الزكاة - ويمكن إعطاء زوج البنت - إذا كان فقيراً - شيئاً من الزكاة ، على ألا يكون ذلك احتيالا لصرفها إلى الأولاد .

(٢) الذبح مقصود فى الحج مع إطعام الفقراء .. ولا يجوز إيداله بالثمن ، وعلى المسئولين تفسير الانتفاع منه طول السنة ، والوسائل لذلك كثيرة .

(٣) الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر طلقة واحدة - وإيقاعه ثلاثاً تشديد لا مبرر له ، وخير لنا أن نبيع روح الشريعة ونصونها فى هذا المجال .

• • •

مكتبة الأزهر ونشر الثقافة الإسلامية :

إلى الأستاذ الدكتور محمد البهى مدير الثقافة الإسلامية . السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فأبكم تعلم ما يحيط بالثقافة الإسلامية وما يدبر لها من مكائد على أيدي المبشرين والمستشرقين . وما لا ريب فيه أن الأزهر حصن الاسلام المتبع وهو أولى الهيئات والمؤسسات

schools and, consequently, widened the gap between their followers.

When the exercise of free judgement changes into blind imitation and the faculty of deduction and induction into mere adherence to the founder of any given school, and when the imitator is not even granted freedom to choose his course of imitation - It is only expected that juristic schools will become like different religions in the sense that fanaticism and disputes will dominantly prevail among the adherents. And this actually what happened in the Muslim society and what gave rise to the so-called the science of "controversies," which was based on the arguments set by the followers of every school in favour of their

doctrines and against those of other schools.

As a result of all these developments the Muslim society weakened in its thinking, faith and in its unity so much so that foreign invaders were tempted to march on the muslim land. Thus the Tatars invaded the Muslim world from the Eastward, and the Crusaders marched on it from the Westward.

This was the situation of the Muslim society in the seventh century after Hejrah. But is it likely that out of weakness springs vigour, and out of disintegration emanates unity, and out of darkness dawns the light of guidance, and out of despair emerges aspiration? The answer to these questions is the thesis of our discussion of the advocates of unity in the Islamic thought.

the Mutazilite method and ideas. The Mutazilite school, while establishing itself - especially its doctrine of the *absolute unity* of God-fell under the influence of Aristotelian and NeoPlatonic thought. Likewise, Ibn Arabi's exegesis, as already mentioned, was influenced by the Brahman doctrine of consubstantiality and by the Christian conception of Incarnation (hulul). Besides, there were the exegeses of Avicenna (Ibn Sina), Ikhwanul - Safa and other extremists who yielded to the foreign thought.

The translation of ascetical works and Eastern mysticism into Arabic made Islamic mysticism a rival of Islamic jurisprudence which was based on the human understanding of the religious texts, whereas Islamic mysticism depended, after faith, on intuition and self-questioning. Thus man's deeds were judged by two criteria : by the injunctions of jurisprudence concerning worships, customs and dealings ; and by intuition and self - questioning. This competition between Islamic jurisprudence and Islamic mysticism intensified and began to take the formula of opposition.

*Cessation of The Principle of
Dynamism in the Genuine Islamic
Thought*

The influence of the rational

sciences, which were translated into Arabic, upon the trends of the genuine Islamic thought produced an unhappy end. And besides the unfortunate end to which came some of those trends, Islamic thought was confronted by obstacles that made it unable to continue its creative movement by which it laid its original foundations and which reached the point of culmination at the end of the third century of Hijrah.

The genuine Islamic thought then suffered stagnation and non-creativity, the exercise of free judgement to establish injunctions and understand the texts was forbidden. The overwhelming majority of Muslims, with the exception of the Prophet Family and the Seceders (Khawarij), came to conceive Islamic jurisprudence as meaning blind and unquestioning imitation. Jurisprudence itself became confined to the interpretation by the *jurist* of some minor points within the rigid framework of the very school which he followed without being capable of advancing anything new or genuine, and without going in his imitation beyond the traditional ranges of the school to which he adhered.

The prohibition of imitating the followers of these schools from inter-adoption and exchange of doctrines increased the barriers between the

basis of free judgement—was creative, dynamic and exempt from subjective denunciations and hatred. Further, we see that Muslims then were people of opinion, sound argument and knowledge in all the various fields of thought in which they were engaged. In connection with this Point Ibn Khaldoun says: "These religious and authoritative sciences were extremely popular among Muslim scholars who acquired comprehensive knowledge of these sciences, perfected their terms, and classified them in magnificent categories. Thus each science of them had its established rules and reliable authorities" (Ibid., P. 364).

The Developments of the Islamic Thought :

In the course of its development the genuine Islamic thought did not accompany the principle of "dynamism," viz., the principle of free judgement, but fell into the other direction of foreign thought which invaded the Muslim society in the time of the Abbasi Calif al-Maamoun and imposed itself on the Muslim life then and afterwards. Consequently, the interest of Muslims in free judgement grew lesser and lesser, and its range became narrow. As a result, Islam was no longer the only source of Islamic thought but there were other interfering and influential sources. Also the dynamism of Islamic

thought became slow and almost non-impressive.

At this stage of interaction between the Islamic thought and foreign culture, the intellectual trends and doctrines previously founded, and grown in the Muslim society had the stamps and traces of the invading foreign thought. Hence, to these known trends were accreted new ones hardly consistent with and often contradictory to the former.

Logic, theosophy, physics, asceticism and illuminism were introduced to the Muslim society through the translation into Arabic of the Greek thought of pagan and Philosophical foundations, and of the Eastern religious thought of illuminism and Brahmanism. Similarly, the introduction of this foreign culture to the Muslim society gave rise to mysticism, witchcraft, talesmanship and the science of the secrets of letters.

It should be noted here that the translated as well as the created sciences were not alien to the trends of the genuine thought of Muslims. In fact, all trends of the genuine Islamic thought represented in exegesis, jurisprudence, the origins of jurisprudence and theology were influenced by these translated and created sciences. The Mutazilite scholar al-Zamakhshari was influenced in his interpretation of the Qur'an, as recorded in the book al-Kashaf, by

purify these beliefs from innovations, doubts and uncertainties " (Ibid., P. 369).

So, exegesis, jurisprudence, origins of jurisprudence and theology are the representatives of the original trends of the Islamic thought. These trends were formed at the motivation of pressing needs and prevailing circumstances in which Muslims lived in different places and successive generations. They were formed to fill a void in the life of the Islamic society and to refute the accusations and doubts which were hurled in the way of Islam. In these trends lies the true picture of the healthy aspects of Islamic thought because they are derived from the original sources of Islam with the right use of the intellectual faculties of the Muslim thinker. The rise of these trends has not to this stage caused any deviation from the straight path of Islam or any conflict among Muslim thinkers however different their notions and approaches might have been.

The Principle of Dynamism in the Islamic Thought and its Result :

All Muslim thinkers were guided by one solid principle which can be expressed in the following words : Whosoever exercises free

judgement (ijtihad) and is right will receive two rewards, and whosoever exercises free judgement and is mistaken will receive one reward. Thus all of them will be rewarded because they seek the truth and take the necessary precautions in their approach to such truth. All of them want to be true Muslims in their hearts and their deeds.

Free judgement expresses the active attitude of the Muslim toward both Islam and life, and illustrates his power to adapt his present and future life to Islam in which he believes. Likewise, free judgement bears the spirit of liberty of thinking and elasticity in Muslim thinkers, though it is not absolute.

So, the principle of free judgement's upon which the original Islamic thought was established, is a principle of construction, dynamism, liberty and facilitation and, at the same time, is a principle of magnanimity and leniency : because psychological animosity and extreme intellectual controversy happen only when the self is in a state of distress and agony, when it is forced to follow certain trends and be subjugated, when it is disregarded and treated unjustly, and when it is deprived of the right of free thinking. Thus we see that the genuine Islamic thought—when it was first founded on the

Then the Muslim thinker re-interpreted the Qur'an under the influence of certain trends of doctrinal sectarianism as manifested in the al-Zamakhshari's book entitled al-Kashshaf and Ibn Arabi's book entitled al-Kabreet al Ahmar. The former book is representative of the Mutazilite school, whereas the latter represents the concepts of *manifestation*, *incarnation* and *consubstantiality* advanced by late mystics.

Moreover, the Muslim thinker was made to establish the science of jurisprudence which is the knowing of God's injunctions concerning the deeds of responsible adults, at the instigation of socio-political conditions and in response to the expansion of Muslim territories and the spread of Islam among the People of old civilization. Out of this science sprang three famous schools: (a) the school of free judgement (raay) and analogy which was founded by Abu Hanifah and his disciples and which prevailed in Iraq, (b) the school of Traditionalists which was first founded by Malik Ibn Anas and to which adhered the people of Hijaz and out of which came the trend of Muhammad Ibn Idris al-Shafii, who combined the two schools of Medina (al-Madinah) and Iraq after his shift to the latter country, and (c) the school of the Zahiris whose leaders were Daoud Ibn Ali and his

son, and who advocated rejection of analogy. They "confined all their concepts to the texts (of the Qur'an and the Traditions) and to consensus. They referred the clear analogy and the stated reason to the text only because the mention of the reason of injunction, from their point of view, means the statement of the very injunction in all its probabilities" (Ibid., P. 372).

Besides these schools of law which prevailed among the majority of Muslims, there was another peculiar school set up by the Family of the Prophet (the Shi'ah) and established on the basis of belief in the infallibility of the *imam*, literally meaning the leader. In addition to all these schools, there arise another one of the Seceders (Khawarij) who built their derivation of injunctions from the texts on the basis of their own attitude with respect to the question of Caliphate and the mutual responsibilities between the Calif and his dependents.

When other creeds clashed with the faith of Islam, Muslims felt urged to defend their faith and so established the science of Muslim theology. "The subject of this science is the dogmatic beliefs which are considered as authenticated by religion, and which can be proved by rational arguments to

These sciences in turn needed subsidiary means of comprehensive knowledge of the Arabic Language, of the rules of logic and the Principles of theology to defend the faith against innovations and disbelief. As a result, all these sciences acquired status of faculties, which demand to be taught, and became included in the category of professional works " (Ibid., Pp. 477, 479).

In the same reference we find another statement which says: "The origin of all these authoritative sciences (naqliyah) is the religious teachings of the Book and the Traditions as well as other relevant and supplementary sciences. The authoritative sciences are of many categories because the responsible adult is ordained to know the injunctions of God, Exalted be He, which are derived from the text of the Book and the Traditions or from *consensus* (ijmaa) or *analogy* (qiyas).

So there should be an understanding of the Book of God and this understanding is called the science of exegesis (tafsir). The ascription of the reporting of the Qur'an to the prophet, peace be upon him, and the various forms of reading it narrated by reciters are called the science of intonation (qiraat). And attributing the Traditions to the prophet and examining the characters of their reporters to know whether they are true

are called the sciences of Traditions (hadith). Besides that, in deducing the Divine injunctions from their source there should be a sound method on which such deduction is based. This is the science of the origins of jurisprudence. The application of this science by knowing the Divine injunctions is called the science of jurisprudence. Moreover, some duties are physical, whereas others are mental concerned with faith, eschatological and theological like the Essence and the Attributes of God, the Day of Resurrection, Paradise, Hell and Destiny. The affirmation of these eschatological matters by rational arguments is the science of theology " (Ibid., P. 3, 4).

These are the subjects of the genuine Islamic thought which were treated, and elucidated by Muslims in a rational manner. In this connection Ibn khaldoun refers in his Prologue by saying: "The Muslim individual was motivated to exegete the Qur'an and based his first interpretation on the narrations attributed to the authoritative reporters of the early Muslims (salaf). These narrations consisted of the knowledge of the abrogating and abrogated verses, the occasions of revelation and the significance of verses. This method of interpretation included the meagre and the valuable, the accepted and the rejected " (Ibid., P. 367).

in the land of Muslims. And those who take the Islamic thought for Islam look as if they are making many different kinds of Islam out of the one religion of God the One.

The Reason of the Advent of
The Islamic Thoughts.

Because the Islamic thought is the intellectual production of Muslims it came after the coming of the Qur'an and the Tradition. This thought originated from factors which were not completely based on the textual sources of Qur'an and the Traditions. Among the factors which contributed to the building of the Islamic thought were the expansion of the Muslim territories, the rule of Muslims over nations of old cultural as well as material civilization, the aspiration to mastery and leadership in the Muslim land, and other reasons which required intellectual attempts and rational dialectic.

The Islamic thought was known as such since the Arab Muslims began to have science and industry, and to exercise their power of conception and perception after depending only and thoroughly on the Qur'an and the Traditions. In connection with this point, Ibn Khaldoun says :

" The Muslim nation (millah) was first composed of simple bedouins

and so there was no science or industry. The injunctions of the Divine Law (shariah) were then kept in the hearts of men who derived them knowingly from the Qur'an and the Traditions. The people were Arabs. They had no experience in education and authorship and were not guided to this direction by any motive or need. This phenomenon prevailed during the time of the Companions and their immediate successors. It was fashionable to call men who kept the Qur'an and the Tradition in their hearts reciters (qurra,) who could read the Qur'an and were not illiterate. In this atmosphere the Qur'an and the Traditions meant everything to the Arabs as the Messenger, peace be upon him said : To you I have bequeathed two things with which you shall never go astray : The Book of God and my Tradition.

" After the time of the four wise Califs (rashidin) there was a pressing need for written exegesis and for recording the Traditions lest they might be forgotten. Then it was demanded to know the attestations of the Traditions for judging their reporters to distinguish the genuine attestations from the otherwise. With elapse of time the deduction of injunctions from the Qur'an and the Traditions increased, and the religious sciences became faculties of deduction, induction and analogy.

the faith of Islam and be true believers. The early believers taught their descendants how to depict their faith in a sound picture, how to keep Islam influential among them, and finally how to make themselves a Muslim nation

The preparation of these "hows," the definition of their course and the expression of their meanings in technical books bequeathed from generation to generation - are the substances of Islamic thought. The preparation, the definition and expression of these "hows" necessarily differ according to the different individuals, generations and surrounding circumstances. This difference may reach a point at which it appears in the shape of gap or clear contradiction.

With reference to this point and in connection with the science of jurisprudence, Ibn Khaldoun says in his Prologue: "Jurisprudence is the knowledge of God's injunctions concerning the deeds of responsible adults (*mukallafeen*) in relation to what is obligatory, forbidden, supererogatory, undesirable but not prohibited and the permissible. When those injunctions are derived from the Book (the Qur'an) and are deduced from the Traditions and other genuine sources ordained by Islam,

they are called jurisprudence (*fiqh*).

The pious forefathers deduced those injunctions from the said sources and differed in their opinions. This difference was inevitable because they established their arguments on the Arabic texts which were commonly interpreted in many ways and gave various meanings. Likewise, the Traditions (*Sunnah*) were reported through different authorities, and their instructions were interpreted in various ways. Thus the arguments which are deduced from non-textual sources are a subject of difference in opinion. The recorded texts cannot give unequivocal interpretations of all new events. What can be done in such a case, however, is to interpret these new events in the light of other similar events which find clear explanations in the texts. All these facts point to the necessity of difference of opinion, and here lies the reason of difference between the intellectuals of the forefathers (the *Salaf*) and their subsequent leading thinkers (Imams) (Prologue, P. 372).

Therefore and because of this difference in the Islamic thought, no notion of any Muslim thinker in any trend is a true representative of Islam. Islam will remain a gift from God, and the Islamic thought will continue to be man's creation

ADVOCATES OF UNITY IN THE ISLAMIC THOUGHT

by

Dr. Muhammad El - Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration.

The Islamic thought is not Islam itself. It is the intellectual products of Muslims for the sake of Islam and in accordance with its principles. Islam is the Message of the Divine revelation to the Messenger of God i. e., Muhammad; son of Abdullah, the blessing and peace of God may be upon him. The Book of this message is the holy Qur'an, and in addition to this Book there are the Traditions of the Prophet which expound many of the principles of Islam.

The Islamic thought came after the propagation of the Call of Islam. So it is subject to the law of progression and the factors of retrogression. Conversely, falsehood cannot come at the Book of Islam from before or behind because it is the revelation from the Wise, the Praised One.

The Islamic thought is not beyond mistake or weakness. But Islam has absolute infallibility against all defects. The Book of Islam, viz., the Qur'an, accordingly, is sacred

and its injunctions are to be completely obeyed by the believers. Unlike that, the Islamic thought should not be obeyed except inasmuch as it is representative of the Book of God and the Divine message. This is because the Islamic thinking, by nature, is subject to criticism and opposition.

The difference between Islam and Islamic thought is the difference between what belongs to God and what belongs to man, and the relation between these two sides is like that of two things of which one is based on and originating from the other not as a total picture of it but as an expression to it.

Thus there is Islam which was revealed from God, and there are Muslims who believed in it, translated its teachings in their behaviour and were solicitous for keeping their faith in their generation as much as they were solicitous to make their successive generations maintain the

The ugliest thing in this materialist injustice is that it does not allow the low to ascend voluntarily. It equalizes the highest and the lowest whenever possible. So if the equals look to their low standard which they call equality, they will find that they have descended to the lowest possible level. This form of "equality" therefore is the lowest point under which no body can ever go, and with it the materialists always avoid looking upwards and do not shun looking downwards.

Equality is an honour only when it elevates the low to a high standard and gives to the noble his right without allowing him to violate the right of others. Likewise, it is an honour when it means justice to the helpless, because it exhorts him to ability, and justice to the able since it prizes him for his merits and does not punish him by deprivation of the rewards of these merits. Moreover, equality is an honour when it in its profoundness means justice to the normal nature which is created on the basis of difference and variation in the space planets as well as in the atomic elements of the inanimate objects. This is the true and

good justice, and it is the justice of Islam.

It is this kind of justice which does not deprive the rational being of his spirit and conscience, nor does it abrogate in him the motives of vigour and aspiration to perfection. We can translate it into economical terms and say that it opens the field of enterprise to all earnest people and insures it against the disasters of excessive carefulness and extreme carelessness. It prevents the wealthy from holding the wealth in their hands and the needy from losing their share by virtue of giving them three percent of the wealth of the whole nation. This share is distributed in the form of alms (zakah) or aid or expiation (kaffarah) or supererogatory charity (nafilah), and is taken every year from the total capital not from the surplus profits of that year.

* * *

There are two kinds of equality for humanity to choose. And as long as humanity exists, it will not be perplexing to make the right choice.

make it the basis of dealings in the human societies, except that who is among the meanest people who have accustomed themselves to lowness, and satisfied themselves with ignorance and incapability, and who have feelings of envy and hatred towards those whose capacity raises them to a standard higher than that of the envious.

The question here is not only that of the most useful and beneficial, but of is also that of the possible, the reasonable, which no opposite has ever happened - even for a short period - and will never happen.

The equality which is claimed by those who approach history from a materialist point of view cannot be accomplished in any human society even if this society is ruled by such materialists for tens of years. On the contrary; the longer these materialists rule, the remoter from their fictitious equality they become, and the more they feel obliged to yield to the organic and universal factors which do not permit for a moment the abrogation of differences and disparities among the living beings. In all societies where they imposed their materialist principles, it did not require more than one generation for the shaping of new classes of leaders, experts and directors, who differed from one another first of all

in the economical standard of living so far as lodging and clothes, food and sports, influence and fortune, wealth and enjoyment are concerned.

All the production of the fictitious equality is that it deprives the tens of millions of their ability to advance, because it kills in them the motives of hope and precaution which motives urge the stagnant and lazy people to aspire and endeavour. That is so, for the most powerful motive to get rid of stagnation and laziness is the fear by the stagnant of the result of being low as well as their desire to advance and to employ their efficient readiness for activity in acquiring more holdings. It is beyond doubt that millions of people lose this natural motive, when they become certain about a decided destiny irrespective of their being active or otherwise.

Such materialist equality ends with a prevailing injustice the bad result of which no nations or individuals can escape. The first victims of this injustice are those who imagine themselves promised and assured of equality, justice and care. The unable person whose society deprives him of his energetic motives is the real poor and victim who is so wronged that he himself does not know about his being tyrannized, and feels pleased with those who inflict injustice upon him.

is considered a remote impossibility and an undesirable eventuality if it ever happens - and it will never happen in any case.

What is possible and desirable, however, is the prevention of the unjust classification among people and the permission of the ways of free life to play their role in varying its merits, in realizing dexterities and qualities, and in expanding the sphere of rights as well as duties.

This is what Islam has done, while all supversive doctrines have failed to achieve this aim and they will never do.

Islam makes people equal. It does not allow any distinction among them in their right of justice and transaction. In Islam no one excels others except through his good deeds and sound morals which are expressed in terms of dutifulness. This word embodies all principles concerning the carrying out of duty, observing the rules and limits, and shunning the forbidden. To this point the Qur'an refers by saying: "O mankind, surely We have created you from a male and a female, and made you tribes and families that you may know each other. Surely the noblest of you with God is the most dutiful of you" (Surah 49, V. 13). This kind of justice is the truest and most beneficial justice.

Equality in any respect beyond that means tyranny and diminution of rights: "Are those who know and those who know not alike?" (Surah 39, V. 9).

"God has made the strivers with their property and their persons to excel the holders - back a (high) degree (Surah 4, V. 95), and " Say: The bad and the good are not equal " (Surah 5, V. 100).

Such difference in qualities produces an indispensable difference in sustenance, but it does not allow the wealthy to consider his wealth a monopoly of his, nor does it permit any group of people to monopolize properties: " And God has made some of you excel others in the means of subsistence; so those who are made to excel give not away their sustenance to those whom their right hands possess, so that they may be equal therein " (Surah 16, V. 71). Further God says: " So that it (wealth) be not taken by turns by the rich among you " (Surah 59, V. 7).

This equality is the necessary truth. It means satisfaction to all People, individuals and groups, because it is not in the interest of the whole of humanity to make equal knowledge and ignorance, activity and laziness, goodness and badness, shrewdness and stupidity. There is no one who wants equality in these respects to

EQUALITY IN ISLAM AND SUBVERSIVE DOCTRINES

BY

Abbas Mahmoud El - Aqqad

Equality is good and profitable when it is meant to give everybody his right, to avoid everyone from violating the right of others and to equate all people in the sphere of dealings. But it is evil and harmful, if it is meant to oppress merits and dexterities to make all people uniform without realizing any difference amongst them in qualities, deeds and morals, and without respecting their distinctions in responsibilities and ends. Equality in the latter sense is an absolute impossibility on the one hand, and a condition which no sensible person wishes, if supposedly it becomes probable, on the other hand.

It is an absolute impossibility because the factors of difference among beings, especially the composed ones, are too profound to be comprehended by any means simple or compound, particularly those means which are by the materialists call economical. It is sufficient for an argument to give one example with reference to the planets, stars and celestial bodies. In these entities

there are no economical factors like those working in human societies, yet we do not see among the millions of millions of planets two of them equal in size, light, velocity, position, composition and range of orbit.

If more illustration be needed, let us take the example of plants which are considered organic beings. Go to a forest and choose any tree, take a branch of that tree, pick up one leaf from the branch and examine it. Then you shall not find any similar to it in length, width, shape and construction. Likewise, you shall not find two leaves similar to each other in the variation of colour in their parts

So if the reasons of variation among beings are so deep that no one can approach them, and so genuine that no means can comprehend them, it would be a deforming distortion to confine all human beings in particular to one uniform, while their difference - with their complicated structures is more reasonable than the difference in planets and leaves of trees. This is why absolute equality

no avarice, no breaching to bonds, no falsehood, no fooling and no treachery as well in their dealings with other people.

The Qur'an depicts the true believers.

Nothing shaws the verity of religiousness more vivid than the following verses of the holy Qur'an. They depict as well most vividly the traits of the true believers :

"It is not righteousness that you turn your faces to the East and the West ; but righteous is he who believth in Allah and the Last Day and the Angels and the Scripture and the Prophets and giveth away wealth in spite of his love for it to the kinsfolks and to orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set slaves free and

keeps up prayer and pays the poor-rate ; and the performers of their promise when they make a promise, and the patient in distress and affliction and in the time of conflict. These are they who are truthful ; and these are who keep their duty" (Surah 2, V. 177). " They only are believers whose hearts are full of fears when God is mentioned, and when His messages are recited to them they increase them in faith, and in their Lord do they trust " (Surah 8, V. 2).

Such is *religion* : Pure faith, magnanimous soul, sound morals, faithful hearts and the like attributes which are included in this comprehensive statement : " Religion is how to deal with people ".

are far away from the blessings of God.

It is related that once a man came to the prophet Muhammad (peace be upon him). Advancing forward before him he said unto him "O prophet of Allah will you tell me what is religion? To him the prophet said: "Religion is good behaviour. Again the man advanced to his right side and delivered the same Question to which the prophet gave the same answer. Once more the man turning to his left side asked the same question. Again the prophet gave the same answer emphasizing that religion is good behaviour: In a last effort the man moving to his back uttered the same question. The prophet may peace be upon him at once turned to face him and said "Have not you understood? Religion is how to behave with others. It is to keep calm and not get excited".

It is cited that on another occasion somebody told the prophet (Peace be upon him) that a certain woman had kept fasting all her days long and praying all her night but she had always smitten her neighbours by her tongue. On answering him the prophet said "she is no good, she will be in hell".

Ali Ibn Abu Talib (may God bless him) once said, " We have been sitting with the prophet one day when

a highlander showed in and said unto the prophet. " O, Muhammad will you instruct me as to the toughest performance in religion (meaning Islam) and as the easiest one, To such question the prophet gave the following answer " The easiest O, brother is the declaration that there is no God but Allah and that Muhammad is his messenger and the toughest O, brother is to stick to honesty. " Verily the man who no honesty has no religion at all though he keeps Ramadan and says his prayers regularly.

Such is the place of those who misunderstood religions and took it to be false appearances without any impression upon their behaviours and dealings with their fellows.

The third division.

The third division comprises the true believer whose hearts are full of fear of God and His power. They are those who believe in His righteousness and fair justice. They are those who practise tenets of Islam.

Conscious and influenced in their behaviours and dealings of the Divine revelation. Thus displaying no hatred, no jealousy, no spite, no anger, no parsimony, no renouncement, no cowardice and no selfishness in their behaviour. No forgery, no deception, no trickery no adversity,

sharing in any charitable deed and often reluctant in paying their liabilities. They almost tend to bargaining in every transaction whether worthy or unworthy of such bargaining. They invariably undervalue other people's properties and never give them their right share. Harshly they treat their kith and kin, never care of their well-being and always sever the links of relationship. They deliberately renounce the poor and abstain from helping the needy out of avarice and selfishness. They are gold diggers amassing wealth in fear of poverty. In public calamities, whether religious, social or moral, they never share the responsibility of mitigating the misfortunes of the people. They prefer to live secluded unawares of the troubles of their countrymen. They would rather lead a life without a name than take an active part in their people's struggle for establishing truth.

The Qur'an's portrayal for such people

No portrayal for such people is more vivid and more expressive of their innate mischief than that mentioned in the following chapter of the holy Qur'an. It clearly indicates how far they are away from the right path enjoined by religion "Hast thou seen him who belies religion ?

That is the one who is rough to the orphan, And urges not the feeding ones, who are unmindful of their prayer who do (good) to be seen, And of the needy. So woe to the prying refrain from acts of kindness !" (Surah. 107, Vs. 1 — 7).

Allah addresses in this chapter his prophet Muhamad "may peace be upon him" as well as every reasonable man saying : If you do not know the unbelievers herein are their signs by which you could easily recognise them. They are those whose hearts are deprived of pity and fear. They are those who do not heed to rights of others and try their best to get rid of them by illegal means. They are those who ignore that their prayers call them to [be fearful of God in all their actions, to be obedient to his orders, to be observant to the truth and to be equitable to the weak. They are those who betray people by deceptive piety and showy prayers to cover their depravity and envious hearts which never tend to good deeds or charitable actions.

All prophets have laid down in their traditions, which are the true guide and illuminating light to humanity in all ages, the real meaning of religion. They have as well indicated accordingly the status of such hypocrites in the order of religiosity. Doubtless they have nothing to do with religiousness. Consequently they

The offences of second division

The most serious offence of such people is that they show religion to be rigid, inactive and dreadful. Their portrayal of religion indicates that it neither allows free thinking nor open discussion nor debating. To such people the creed is only what so and so have said, the legislation is the compliance to what so and so have adopted, the interpretation of Qur'an is the submission to what so and so have written and the explanation of the traditions of the prophet is the following of what so and so have dealt with. According to them no body coming after our sage forefathers who have set down their ideas and conceptions in black and white is allowed to ponder upon the Qur'an to re-interpret or the traditions of the prophet to re-explain or derive from. Anyone other than those former theologians is forbidden to deal as they have dealt or to think as they have thought or even to give preponderance as they have given :

Their slogan is that " All good accrues from sticking to the views of our great ancestors and all evils come out from following the novel ideas of the predecessors. Such policy has led to division of thought amongst the believers. Not only division of thought have they produced but also break and enmity amongst the

adherents of one religion, the followers of one Prophet and the believers in one Book. They contend against each other and, exchange insults, and accusations of blasphemy and atheism.

In their discussions they have nothing to deal with but futile arguments for which Allah has revealed no warrant betraying themselves that their deeds are in close accord to religion going hand in hand with its fundamentals.

Traits of this division

The people of this division always pretend to have the guiding force to which the whole creatures must submit. It is up to them to decide who is the believer and who is the unbeliever. The blessed are those who follow their steps and stick to their ways complying with their whims. The cursed are those who refuse to be guided by their rules. Such people are incessantly trying to persuade people to believe that they are the source of illumination and guidance. Theoretically speaking the pre-mentioned traits are theirs, but practically speaking we can say that they are far from being impressed by true religiousness for they are slack to respond to any call urging to do good or to lend a hand to the needy. They are rather parsimonious, always shrinking from

and lusts, having no limit to stop at in their creeds, no bridle to their thoughts, no restraint to their vices and no curb to their whims. They behave as if there is neither God nor religion, nor prophets, no resurrection nor judgement nor punishment.

The link of such people to religion is merely a word to be said on occasions and an attribution to be mentioned before their names on the lists of Census. They will remain as such all the span of their lives far from religion and its benefits, away from its guidance and deprived of its merit. On the dooms day they will be treated as aliens to this religion with no liniment to connect them to its adherents. They will be forbidden its protection when there is nothing to keep them but its shade. God has described such people in the Qur'an by saying: "And certainly We have created for hell many of the jinn and the men—they have hearts wherewith they understand not, and they have eyes wherewith they see not, and they have ears wherewith they hear not. They are as cattle; nay, they are more astray. These are the heedless ones" (Surah 7, V. 179).

The signs of the first division.

As to the signs by which such division is to be recognised, they are

again mentioned in the holy Qur'an as follows: "And when thou seest them, their persons please thee; and if they speak, thou listenst to their speech. They are like pieces of wood, clad with garments. They think every cry to be against them. They are the enemy, so beware of them. May God destroy them! How they are turned back! And when it is said to them: Come, the Messenger of God will ask forgiveness for you, they turn away their heads and thou seest them hindering (others), and they are big with pride. It is alike to them whether thou ask forgiveness for them or ask not forgiveness for them—God will never forgive them, Surely God guides not the transgressing people" (Surah 63, Vs. 4-6).

The Second division

The second division comprises a group of people who takes religiousness to be a formal pattern of praying, fasting and utterance of certain hymns of praise and glorification in prescribed postures and chosen dresses affecting special movements and casting certain looks. Such men understand religiosity to be only the repetition of set words during certain occasions, the bewailing of lost morals, the lamentation of neglected religion and the censure to those who dare to secede from their prescribed limits of religiousness and their narrow conception of religion.

Religion is How to Deal with People

BY

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

The Rector of Al-Azhar University

Men's order in the grades of religiosity does differ in the same manner as their conceptions of religion do. In evaluating a man's religiosity an old saying flashed to my mind. It is a true statement by which our ancestors used to weigh men's attitudes towards religion. It is an expression which shows the real objectives of religion as revealed by God to His servants. Accordingly religion is simply a manner of conduct towards the Creator and a way of dealing with other people. This illuminating saying is the heading which we have chosen to our discourse to - day namely "Religion is how to deal with people".

Such a saying if well-realized, thoroughly understood and minutely sifted with reference to Koranic verses and orthodox traditions of the Prophet everyone will surely stick to it, and adopt it as his motto in life and take it as a standard to weigh upon one's deeds and as a measure to fathom one's religious depth. The more one's knowledge of its significance is deepened the more one practices it as

a way of salvation in the hereafter and as a means of securing success in this world. Most unfortunately there are still some people who are unaware of its true significance.

Attitudes of Peoples towards religiosity

To classify people according to their grades in religiousness bearing the above heading in mind. They will fall under three divisions.

The first division.

The People falling under the first division always take religion superficially. Their religiousness is an ostensible declaration of Islam's two fundamental articles: There is no God but Allah and Muhammad is His Messenger. They consider themselves by so doing to have accomplished their part as enjoined by heavenly guidance, and as called for by sound reason. Apart from such declaration they never bother themselves about good deeds and moral behaviour. They simply let loose their minds giving reins to their caprices

They inherited the legacies of Abraham, Moses and Jesus, the cultures of the Greeks, Arabs and Indians, and the civilization of the Egyptians, the Romans, and Persians. All these legacies, religions and civilizations were subjected to the influence of the Islamic genius wherein they were purified, corrected, clarified, and completed in such a way as to make them fit for Edification of intellects, encouragement of the hearts, extension of thoughts and the formation of a strong and free society directed only by right and truth, and governed only by the word of God.

It was a great merit to human kind that the light of God has emerged in a central spot between east and west to enable the easterners as well as westerners lost in the darkness of ignorance to find their way to right and truth by the guidance of its illuminating light.

Nevertheless, the light of God in no time have flooded the whole east up to China, and the west up to Gaul. Those deprived the blessing of its guidance and leadership were not forbidden the merit of enjoying its culture and civilization. The Christians of Egypt took the culture of the Arabs through Maghreb and Andoulsia during the Conquests of the Crescent. They too acquired the knowledge of Moslems through Egypt and Palestine during the crusades. Agam Islam spread all over

east Europe as a result of the Islamic Conquest of constantinople. Christian knowledge thereupon was shifted to the central part of the continent causing the renaissance movement.

The Renaissance was nothing but the intermarriage of the Latin culture which Sultan Mohamed the Conquerer liberated from the monasteries and churches, and the Greek culture which Mohamed El Mamoun revived in the mosques and the schools. Out of these two cultures and the other Islamic arts and sciences which were mixed with these legacies emerged the modern culture and the present civilization.

Thus the Islamic conquests were not for the sake of colonisation and collecting taxes, but they were means of guidance and liberation.

They were conquests for establishing freedom and construction, for calling to monotheism and true belief, for fostering truth and reason, for spreading justice and benevolence, for disseminating Arabic literature and rhetoric, for encouraging science to help reform and innovation, and for extending art to incite creation and novelty. It is in the hands of the merciful, the compassionate to give predominance to the religion of truth over all other religions, for Islamism is humanism, the Koran is the discriminator between right and wrong, and between truth and falsehood, and Islam is the peace.

all the civilised parts of the world, and completely secluded that no body ever heard of them and they never heard of anybody else.

Such was the state of affairs during these dark ages: misleading guidance and reigning ignorance full of menaces and impediments and opening the door for evil-doers to incite riots, disseminate vices and corrupt religion by all means and not the less the feminine temptation.

However, God, the merciful, the omnipotent, did not leave his servants to be led astray in the wilderness of life and to grope in darkness all their life long, and thus ordained this night to terminate and the morning to dawn. It was his will that the break of day had to emerge out of the cave of Hira.

Therein God sent his revelation unto the mount of Light and thereupon the light of guidance flooded all over the land of Hegaz. Thus the chosen messenger descended from the cave with the divine light shed around him, and the Voice of the divine spirit (Gabriel) resounding in his ears, and called the bedouins, the shepherds whom the Almighty had chosen to guide His creatures and to keep the commandments of Islam. Later on the prophet extended the call to the whole caravan of humanity lost

in wilderness, weary of long struggle in search of salvation, needful to a guide and a leader who can lead them to the right path.

As a result of his guidance the lost found his way, the renegade returned, the deserter was allured and the hopeless was given hope, and self confidence by reciting to him the words of God

Thereupon those who had given themselves to struggle to maintain the way of God, started their battles of purification and liberation. They chastised the souls and got rid of all evils. They established the freedom of thought and liberated the minds from shackles of polytheism. They dethroned both Caesars and Chosroes, and demolished their palaces wherein they built upon their debris the minaret of Bital and the pulpit of Muhammad. In these liberated and chastised countries, they applied the divine law that respects human dignity, keeps human rights, and puts an end to social prejudices and distinctions. Then they carried eastwards and westwards the torch of knowledge which they had lit by the heritage collected from remote religions and past cultures and civilisations. Thus they gave light and illumination to people who had never experienced such light before the advent of Islam.

rendered inaudible by the materialism of the Hebrews darkness beclouded the whole universe and ignorance spread all over the world. Consequently the caravan of life hit at random erroneously in the wilderness driven about eastwards by the persians and westwards by the Romans. Romans were then a disintegrated state embellished by wealth, and dipped in luxuries to the ears with Corrupted creeds and contended sects. Such corruption led to obstinate disputes about the nature of christ at Byzantine and arbitrary debates about the attributes of such nature reducing its religion to such trifle contests. Conversely their worldly affairs were materialised in hankering after Pleasures and indulging in lustful deeds and self-satisfaction to such an extent that silenced the call of reason and got rid of the guide of the spirit. As a result of the reign of a mutilated religion and a lustful way of life, the order of government in both parts of the declining Empire turned to be foolish, immoral and wasteful. People were overtaxed, the civil-servants took to bribery and the society at large became vicious and corrupted. The enslavement of the common People and their feeling of humiliation, led them to glorify the leaders, to venerate the lords, and to deify the Caesars. The world was thus plunged in the abyss of degradation, and perdition. Similarly were the Persians

at that time : they were the wreckage of a lost state and the chattered fragments of a broken generation affected by the same disintegration, immorality, the prevalance of lust, the distinction of classes, the oppression of Kings and the corruption of religion as well as the Romans.

However it added to these drawbacks the rise of crooked beliefs and the predominance of abnormal behaviour, such as the symbolism of Zorasters who paved the way for the foolish Magianism, the Nihilism of Manes who prohibited marriage to hasten extinction, existionalism of Masdians which made people partners in fortunes and women, and a rotten state of affair wherein no man can live freely and no sovereignty can maintain its power.

People beyond these two states were living in a more disintegrated state suffering privation and drudgery. Arabs and Hebrews were leading a life so plainly depicted by the holy Koran needless to dwell upon. Indians and chinese were under the ferule of Buddhism and Brahmanism in an unobstructed state of heathenism with no limit to the number of its idols, no restraint to its delusions and no panacea to its social and moral evils.

As to the nordic and western Europeans, they were utterly cut off of

The Advent of Islam USHERED In A New World

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Without trespassing upon historians we can take the advent of Islam as a line of division between an old world wherein people were suffering pangs of death, and a new world wherein people were inhaling the first breath of life. We can also call that old world reigning in both east and west the age of ignorance and call the new dawning world comprising both christians and mohamedans the age of Islam.

The fact that God has sent His messenger Muhammad to guide the whole universe to the way of Allah; Whereby it was his tradition before to send his chosen messengers particularly to the corrupted nation - and the straying community does support this demarcation.

When ignorance prevailed, falsehood wide - spread and humanity was doomed; God's will intervened to rescue his servants and lead them to the right path. Thus He send Muhammad to the whole world with a

universal message and a comprehensive call. The nature of such universal legislation is to be integral, complete ever green and fit for all peoples and all times so as to afford panacea to every evil, a solution to every problem and a way of life to every community. Such are the characteristics of the divine law after which the revelation ceased and such are the traits of its messenger who was the seal of all prophets.

The universal ignorance which preceded the universal Islamism was the reigning factor of a world groping in utter darkness and plunged in the abysmal chaos and misery.

Throughout this nocturnal nights glimpses of illumination doth appear from time to time as such caused by man's intellect in Thebes and Athens and as such inspired by God's revelation in sinai and Juraslem. But when the light of intellect was extinguished by the bestiality of the Romans and the Voice of divine inspiration was

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المسنون
إدارة المطابع الأزهر
بالقاهرة

ت ١ ٤٦٤٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

يصدّر عن شيخنا الأزهر الشريف (أون كل شهر عربي)

يشترك في الترخيص
عبد الرحمن محمد عتيق
بذل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والدخولين والطلاب بغير عطل

الجزء السابع - وجب سنة ١٣٧٩ هـ - يناير سنة ١٩٦٠ م - المجلد الحادي والثلاثون

٢٤٤٦ ١٤

المهرس

صفحة

- ٦٥٠ محمد رسول الله أول من أعلن حقوق الإنسان
للأستاذ أحمد حسن الزيات
- ٦٥٣ بناء الأستاذ الأكبر إلى العالم : بمناسبة
الذكرى العالمة لإعلان حقوق الإنسان
- ٦٥٥ الأدب العربي والتخصص
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٦٦٠ كيف يصل الشباب بالدين ؟
للأستاذ الدكتور محمد البهي
- ٦٦٨ نظرات في فقه عمر - ٥ -
لنضية الأستاذ محمد محمد للدن
- ٦٧٤ رجل الدين بين المسيرة والمكارة
للأستاذ محمود العراقي
- ٦٨٠ مثل عليا إسلامية عربية
للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
- ٦٨٦ من عمارة الإسلام بيان الجزاء قبل المحاسبة
لنضية الأستاذ عبد الحليم السبك
- ٦٩١ السيد عبد الرحمن السكواكي
للأستاذ أحمد عبد الجواد الدوي
- ٦٩٨ ابن مضاء ومحمود النحر
للأستاذ علي العماري
- ٧٠٧ ثم يتنقح الليث حمل المي
للأستاذ محمد عبد الحميد الوتشي
- ٧١١ الأزهر منذ أربعين سنة - ٣ -
للأستاذ محمد علي شريفة
- ٧١٦ وضع الريا في بناء الاقتصاد القوي
للأستاذ عيسى عبيد ابراهيم

صفحة

- ٧٢٧ هذا الرجل ماذا ورواه ؟
للأستاذ محمد عبد الله السلمان
- ٧٣١ لغويات : وصف اسم الجمع ، ملء ، العهدة ،
معموم الناس لنضية الأستاذ محمد علي النجار
- ٧٣٩ دراسات لأدب الفركان السكرم
للأستاذ محمد عبد الحافظ ضيف
- ٧٤٣ البوابة في تقدير الإنانية للبعث عباس طه
- ٧٤٥ ما يقال عن الإسلام : ماذا يقولون ؟ بل كيف
يقولون ؟ للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٧٥٢ مختارات من الشعر : السكواكي رائد العروبة
للأستاذ محمود فهم
- ٧٥٦ الكتب : الفتاوى : للأستاذ الدكتور محمد
البهي ، الإسلام وحاجة الإنسان إليه :
للأستاذ محمد التزالي
- ٧٦٣ آراء وأحاديث : مبادئ الإسلام في مبادئ
السلام - حدية شاه إيران إلى الأزهر - حول
الإصلاح الديني في الأزهر - يا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء - الثقة العربية هي لغة
للدين كلمة .
- ٧٧٠ يريد المجلة : بناء من جماعة التبليغ الإسلامي
السوداني - اقتراح من زنجبار - المياد الإيماني
في النقد الأدبي - عبيد القرآن في جماعة
القرية الإسلامية .
- ٧٧٥ أبناء الأزهر :
... القسم الإنجليزي

مَجْلَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

أول من أعلن حقوق الإنسان

هناسية الذكرى الحادية عشرة لإعلانها في الأمم المتحدة

بغضنم ، أحمد حسن الزيات

الرأسمالية وما تسيطر عليه من أذواق الناس وأسواق العالم بالاستعمار أو بالنفوذ . ولكن من الصعب على النعمن المنطق أن يدرك ما يريده الأوروبيون والأمريكيون من لفظ (الإنسان) الذي أعلنوا له هذه الحقوق ، وظاهروا عليه هذا العطف ! أغلب الظن أنهم يريدون بإنسان هذه الحقوق ذلك الإنسان الأبيض المترف الذي تحسد من أصلاب اللاتين أو السكسون أو التوتون ! أما الإنسان الآخر في أمريكا فهو في رأى أبناء الم سام ضرب مهين من الخلق عليه كل واجب وليس له أى حق ؛ وهذا الوجود المعدوم في بلاد الديمقراطيين الأحرار لا يزال في رأى المسلمين أغلظ كذبة في دستور الديمقراطية براشنتون ، وأكبر لعة على تمثال الحرية في (نيويورك) ، وأما الإنسان الأسمر والأسود في أفريقيا ، أو الأخضر والأصفر في آسيا ، فهو في نظر الفرنسيين

في اليوم التاسع من شهر ديسمبر من عام ١٩٤٩ ، وفي فورة من فورات التفاف الدول ، أعلن الساسة في هيئة الأمم المتحدة حقوق الإنسان . ثم احتفلوا واحتفل معهم الناس بالذكرى الحادية عشرة لهذا الإعلان منذ اثنين وعشرين يوما ، فبشروا بالنعم المقيم والخير المقيم والسلام الدائم ، ومن قبل هؤلاء الساسة (الإنسانيين) أعلن قادة الثورة الفرنسية هذه الحقوق عام ١٧٨٩ وصاغوها في سبع عشرة مادة جعلوها ديباجة ل دستور سنة ١٧٩١ .

ومن السهل على الأمن الاجتماعي أن يعمل صبيحة الثوار الفرنسيين بحقوق الإنسان بعد أن كابدوا ما كابدوا من استعباد النبلاء واستبداد الكهنة ، وأن يضر احتضان هيئة الأمم المتحدة لهذه الحقوق بعد أن رأت حوت الشيوعية معترضا في خضم الحياة وقد فرقاه الهائل المروع لينتقم الديمقراطية

أو لطيفة الخلقة كالنساء ، فكفّل الرزق للفقير بالزكاة ، وضمن المثل للذليل بالعدل ، ويسر الحرية للرقيق بالعتق ، وأعطى الحق للمرأة بالمساواة .

والمستضعفون الذين رحمهم الله برسالة محمد لم يكونوا من جنس معين ، ولا من وطن معين ؛ إنما كانوا أمة من أشعات الخلق وأنحاء الأرض اجتمع فيها العربي والفارسي والرومي والتركي والمندى والصيني والبربري والحبشي على شرح واحد هو شرح الإسلام ، وتحت تاج واحد هو تاج الخلافة !

والإسلام الذي يقول شاعره العظيم : ولقد كرّمنا بني آدم ، لم يخص بالكريم لونا دون لون ، ولا طبقة دون طبقة ؛ إنما ربّا بني آدم جميعاً أن يسجدوا لحجر أو حجر أو حيوان ، وأن يخضعوا لمكرهين لجهنم كاهن أو سلطان .

كان اليهود يرمون أنهم أبناء الله وأحباؤه وسائر الناس سواء والمسلم . وكان الرومان يدعون أنهم حكام الأرض ومن سواهم خدم ، وكان العرب يقولون إنهم أهل البيان ومن عداهم عجم . وكان الهنود يعتقدون أن الله خلق البراهمة من فة والرجبوت من عنده والنبوذين من رجليه ولا يستوى الأمر بين رأس وكنف وقدم ! وكان للنظام الاجتماعي العالمي قائما كله على الامتياز بالجنس

والإنجليز نوع من هجمة الأسماء ، وجنس من المواد الخام ، يولد ليسخر ، ويرومض ليستمر ، ويُنتج ليستهلك ، وهو موضوع الخصومة في السلم ، ومادة الغنيمة في الحرب ؛ وهذا الحق المهضوم بين أمم العلم والمستور لا يزال في فطر المسلمين اتهاماً لصحة الثقافة في جامعات فرنسا ، وإنكاراً لحقيقة العدل في برلمان إنجلترا ؛ ومن هذا التفسير المزور لحق الإنسان في القديم والحديث اضطرب الأساس وقصد القياس واختلف التقدير . فكل جنس وزنه ، ولكل لون قيمته ، ولكل دين حياجه . وعداد الوزن والتنويم والحساب هو على قدرة الإنسان وعجزه ، لا على إنسانيته وفضله ، فالعلم والفن والقوة سبيل السيادة ؛ والجهل والفقر والضعف سبيل العبودية . والسيادة حق ليس بإذاته واجب ، والعبودية واجب ليس بإذاته حق ، المسلمون وخدمهم الذين يفهمون الإنسان بمناه الصحيح لأنهم أتباع محمد ، ومحمد وحده هو الذي أعلن حقوق الإنسان بهذا المعنى لأنه رسول الله ، والله وحده هو الذي ألهم رسوله هذه الحقوق لأنه أرسله رحمة للعالمين كافة .

أرسله رحمة الذين استضعفوا في الأرض قسمة المال كالمساكين ، أو لفقد العشير كالأولاد ، أو لضعف التصير كالأرقاء ،

إيمان المقلد ولا حكم المستقبل، وأمر بالنظر في ملكوت السموات والأرض . ووسع صدره لأهل السياسة حتى تعددت الأحزاب، ولأهل الجدل حتى كثرت الفرق، ولرجال الفقه حتى تنوعت المذاهب . وسمع لأهل الذمة وأصحاب النحل أن يدعوا إلى أديانهم ويدفعوا عنها في المدارس والمجالس والبيح ونهانا ألا نهادهم إلا بالتي هي أحسن .

ثم أحترم الملكية وثبت لها الأصول، ونظم الموارث ورتب عليها التعامل . وهذه هي جماع الحقوق الطبيعية التي كفلها الإسلام للإنسان على اختلاف ألوانه وأديانه وألسته . أعلنها محمد بن عبد الله منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن والامر يومئذ للجهالة والرأى للضلالة والحكم للطفان ، فأنفذ الإنسانية من إفساد المادية والعصية والآثرة؛ ثم أكرمها ونعمها وهداها الطريق المستقيم إلى نظام أكمل وعالم أفضل وحياة أسعد . ولكن الإنسانية واأسفاه أضلت هذا السبيل ! أصلها أولئك المنافقون الذين يعلنون لها اليوم هذه الحقوق ، وهم يرون في أنفسهم تأكيد الامتيازات وتأيسد الفروق ؟

أحمد حسن الزيات

أو بالدين ، وعلى السيادة بالنسب أو بالمال ، حتى جاء محمد بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فأعلن المساواة بقول الله عز اسمه : إنما المؤمنون إخوة ، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وأكدها بقوله صلوات الله عليه : الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب .

ثم كان الرقيق والمرأة شبيين من الأشياء لا يملكان ولا يتصرفان ، فضيق الإسلام حدود الرق ، وجعل كفارة الذنوب بالصدقة والعق ، وسوى بين الرجال والنساء في الحق والواجب .

ثم أعلن حرية العقيدة بقول الله تعالى : لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي . ولوشاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تنكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ واحترم عقائد أهل الكتاب وضمن لهم حرية العبادة وأمان العيش وهدى القضاء ، وأمر الولاة أن يرعوم ويعطفوا عليهم ، وأوصى المسلمين أن يرعوم ويقسطوا إليهم .

ثم أعلن الإسلام حرية الفكر والرأى فلم يقبل

نبذة الكتاب الذي نذكره في العالم

بمناسبة الذكرى العالمية لإعلان حقوق الإنسان

بعضكم على بعض بالتقوى ، فقال : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

« يا أيها الناس » بهذا أمركم ربكم ، ولهذا أرسل رسله ، وهذه الآيات المحكمات ناداكم على لسان عاتم النبيين منذ تسع وسبعين وثلاثمائة وألف سنة خلت .

ومنذ أحد عشر عاماً بدت في أفق الحياة الإنسانية بادرة طيبة مبشرة إذ أصدرت أمم العالم إعلاناً لحقوق الإنسان في وثيقة تنادى بأن جميع الناس قد ولدوا أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلاً وضميراً ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء .

وثيقة تنادى « أن لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان بدون تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي أو المعتقد سواء في كل ذلك الرجل أو المرأة أو الثروة .

أيها الأخوة في الإنسانية :

ناداكم ربكم « يا أيها الناس » ومنذ شرع لكم دينكم ، جمعكم على الأخوة في الإنسانية ، ولم يناد طائفة منكم دون طائفة أو أمة دون أمة أو جنس دون جنس أو لونا دون لون ، ولم يخص بالنداء الأغنياء دون الفقراء ولا الأقوياء دون الضعفاء ، ولا الكبار دون الصغار ، وإنما وجه نداءه إلى جميع البشر ، ولقد سوى بينكم في أبوتكم لرجل واحد هو آدم حين ناداكم « يا بني آدم » ليدرككم بأنكم جميعاً من آدم وأن آدم من تراب . ثم أوصاكم ربكم بالترحم فيما بينكم . « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وأوصاكم بالتعاون والتساند بقوله : « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » ... ثم ميز بعضكم على بعض لا بظهور أو بطن أو لون أو عنصر ولكن بتقواه وطاعته ورعايته وجهه في النفس والوالدين والزوج والمال والولد وذوى الرحم والجار والأخوة في الإنسانية ، وفضل

وأخرجوا من ديارهم ضوة ، وفهر أولئك
وهؤلاء ممن يقاسون ظلم الإنسان لأخيه
الإنسان .

ألا فليعلم الناس قاطبة أن الوثيقة التي
نحتفل بذكرها اليوم إن هي إلا رجوع إلى أمر
الله قد نادى بها الإسلام ونادت بها سائر
الاديان .

يا أيها الناس ، يا أيها المؤمنون ، يا أيها
الذين يحترمون حقوق الإنسان عودوا إلى
صديقكم ، عودوا إلى دينكم ، القسوا النور
من ربكم ، واسألوه التوفيق والسداد في رأيكم
وعملكم .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى
المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والساقلين وفى الرقاب ، وأقام
الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا
عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحسن
البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم
المتقون » .

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

« لكل فرد الحق فى الحياة والحرية وسلامة
شخصه » .

ومنذ حوالى أربعة عشر قرناً وضعت شريعة
الإسلام أصول تلك الحقوق ، وبينها القرآن
فيا تلونا من آياته الحكيمه وغير ما تلونا ،
وهو كثير فى القرآن .

وإنه لعبد جدير بالاعتبار ، عيد
فكرى إعلان حقوق الإنسان — حقيق بأن
تذكر فيه تعاليم الدين ، وأن تعمل على تطبيقها
لأسعاد البشر ، وأن تكف القوة القوية
عن زعزعة الشعوب الضعيفة وأن تجعل
أمر هذه الشعوب بيدها ، وأن تعيد إليها
حشها كاملاً غير منقوص . عندئذ يكون هذا
اليوم عيداً سعيداً جديراً بأن تفخر به البشرية
وأن تحتفل كل عام بمجمله .

أيها الإخوة فى جميع بقاع العالم ،
إنى على المؤمنين أن يتذكروا دائماً
ما قطعوه على أنفسهم من عهد وما قطعته
السماء عليهم من مواعيق التعاون والتضامن
والأخذ بنصر الضعيف ، وأن يتدبروا
ما تمناه البشرية هنا وهناك جزاء الشك
بالعهد والخشك بالوعد ، دم براق فى الجزائر ،
ونساء وأطفال ورجال بين شيخ مسن ،
وطفل فى المهد قد شردوا من فلسطين

الأدب العربي والتخصيص

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذه هي المشكلة في رأى بعض الباحثين
على يريدون أن يربطوا بين اللفظ ومعناه
في اللغة العربية بمثل العلاقة التي بين الكلمة
الفرنسية أو الكلمة الانجليزية وماتدل عليه .
وقد حاول بعضهم أن يرد كلمة « الأدب »
إلى المسألة ، وحاول آخرون أن يجعلوها
مقلوبة من « الدأب » ، ويستخرجوا من السمع
معنى السمع إلى المعرفة والكمال ، فتقرب
الشقة — من ثم — بين الأدب وبين صفات
المنظوم والمنثور .

ولم نر بين الباحثين ، حل هذا الرأى ،
من هو أوفى بمخاطبه وأوفر استدلالا عليه
من الأدباء العالم باللغات السامية الآب
« مرمرجى » صاحب المؤلفات المعروفة
في مباحث اللغة ، ومنها كتابه المعجمات العربية
السامية ، الذي يقول فيه تحت مادة أدب :

« يطلق لفظ الأدب على العلوم العربية ،
وهو علم يمتاز به من جميع أنواع الخطأ
وتصرف به أساليب الكلام البليغ في كل
حال من أحواله ، ويكتسب بالدرس
والحفظ والنظر في الآثار الأدبية من منظوم
ومثنو . . . ويراد بكلمة « أدب » معنى

كلمة الأدب في اللغة العربية تشمل منظوما
ومثورا ودراسات النقد وشروحه
في هذا الموضوع ؟ »

والباحثون في الآداب الغربية لا يجدون صعوبة
في فهم معنى الأدب من اللفظ الذي يدل عليه
بلغاتهم ، وهو لفظ (لتراتور) بالفرنسية .

Littérature ولتراتر Literature
بالانجليزية ، وكلاهما مأخوذ من مادة الحرف
أو الكلمة . فكل ما يتناول فن الكلام نظما
ونثرا فهو أدب ، ولا تجسد الشقة ،
بالباحث عديم في بحثه عن العلاقة بين فن
الكلام وبين الشعر والنثر وأقوال النقاد
والشراح في هذا الموضوع بمجملته .

ولكن ما هي العلاقة بين كلمة « أدب »
وبين موضوع الشعر والبلاغة ؟ بل ما العلاقة
بينها وبين السلوك الحسن إذا اعتبرنا أن
الكلمة وضمت أصلا دلالة عليه ؟

لماذا تحمل كلمة مؤلفة من الهمزة والهمزة
والياء على السلوك الحسن ؟ ولماذا تدل ،
بعد ذلك على الشعر والنثر والبلاغة إذا
اعتدنا إلى الدلالة بينها وبين حسن السلوك ؟

الملكات . فإذا كانت هذه الملكات حسنة صدرت عنها الأخلاق الحميدة . وإذا كانت هذه الملكات مترسخة في تصرف المرء ومعاملته لأقرانه في الحياة الاجتماعية تولد منها الظرف والكياسة ، وحسن المعاشرة ، وإذا جدد المرء في اقتباس العلوم اللغوية من منظوم ومثثور في الكلام والكتابة والوقوف على آثار الكتاب والأدباء . نشأ عن ذلك علم الأدب أى بحمل المعارف والآثار العصرية التى تولدت بعد الإسلام .

• • •

وهذه أقرب مرحلة بين لفظ الأدب ومعناه فى رأى الباحثين على هذه الوجهة ، وهى الوجهة التى تهديهم إلى أن كلمة الأدب مقبولة من كلمة الدأب ، وأن المشابهة بينهما هى المشابهة بين العادة على حسنها وسوتها وبين الملكة الفنية أو اللغة .

وأبعد من هذه المرحلة مرحلة القائلين بأن الأدب من « المأدبة » ... وإنما ينبغى أن تكون المأدبة من الأدب على القياس المفهوم ، فلا تقطوى المأدبة على معنى من معانى الفن والبلاغة إلا إذا كان هذا المعنى أصيلا فى كلمة الأدب قبل أن تؤخذ منها كلمة « المأدبة » .

والذى نوجب منه هو هذا الإبعاد فى التأويل والتخريج مع قرب المورد فى هذه المادة خاصة ووفرة الدلالة عليه بحروفها ومعانيها .

صنع صنيعا ودعا الناس إليه وبرأفه أقام وليمة وصنع غذاء ودعا إليه دعوة .

لجميع هذه الفحوى مع ما يظهر فيها من التباين عائدة إلى أصل واحد : وهو العمل أو الصنع أو الجهد فى عدة أحوال ، بيد أن لفظة أدب الثلاثية بمجالاتها هذه لا تتضمن حسب الاشتقاق معنى يدل على العمل والجهد والكسب ، ولهذا تضاربت الآراء فى تأصيلها حتى قال بعضهم بأنها دخيلة من اليونانية كأنما العربية مفتقرة إلى الأجنبية حتى فى قوام العلوم اللغوية والأخلاقية والحياة الاجتماعية ، على أننا نرى هناك وسيلة لجعل هذا الاشتقاق منطبقا على تحديد الكلمة ونمرع معانيها فيصبح هذا الاشتقاق معقولا متساوفا منطقيا . ألا وهى وسيلة الرجوع إلى الأصل الثانى .. غير أنه يقتضى الفرض أولا أن كلمة أدب ليست بأصلية بل هى مقبولة عن لفظة أخرى وهى (دأب) المراد بها (جهد فى عمله مستمرا) ، والدأب العادة والشأن ، مما يتطلب المثابرة على العمل ... إلا أن (دأب) ذاته صادر عن الثنائى (دب) وملونه متى على هيئة وسرى وجرى .

« إذن من المثى والجرى توسع المعنى إلى العمل بجهد ومثابرة ، ومن ذلك تحصل العادة المتوقفة على تكرار الفعل ، مما ينجم عنه

وإذا تبين لنا من المقابلة بين لفظ الكلمة ؟
معنى الأدب أصلاً وبجازاً فالمقصود بالأدب
يقين لنا من المقابلة بين أوصاف الإنسان
المؤدب في لغات الحضارة ، ومنها اللغة
العربية .

والواضح لنا من المقابلة بين هذه
الأوصاف في جميع اللغات أن كلمة «المؤدب»
مرادفة لكلمة «المتن» في كل معرض
من معارضها المتكررة ، ويعز ذلك قول
الشاعر البدوي عندنا :

وإني على ما في من عنجية

ولوة أعرابية لأدب

فالأدب إذن هو الإنسان الذي سلم من
خشونة البداوة وتمود شمائل المعيشة
في الحاضرة ، وهو «المتن» أو المدني
بعبارة أخرى .

ويقابل ذلك في لغات الحضارة الأوروبية
قديمها وحديثها أن شمائل الظرف والكياسة
تنسب عندهم إلى المدنية في لفظها ومعناها ،
فالمؤدب عندهم مرادف لابن المدينة أو ابن
الحاضرة ، وكلمة Civilised في أصلها
مأخوذة من كلمة Civis أى مدنية وإذا قيل
عن رجل عندهم أنه ابن مجتمع .

Man of Society

فمعنى ذلك أنه معقول مهذب ، وعلى هذا
النحو يوصف الرجل في اللغة الفرنسية بأنه

فن هو الرجل المؤدب في لغتنا العربية ؟
هو الرجل «المهذب» ، ولا زيادة عليه
ولا حاجة إلى تأويل كثير أو قليل .

وهنا تمثل لنا المادة بحروفها جميعاً ودلالاتها
جميعاً في استعارتها لهذا المعنى المطرد بين كلمة
«هذب» وكلمة «هذب» وكلمة «أدب»
وهي مؤلفة من حروف يعرض لها الإبدال
في مئات من أصول الكلمات العربية .

يقال «هذب» الشجرة إذا أزال أشواكها
وفصول أوراقها وسوى فروعها وغصونها ،
ومن هنا يستعار التهذيب للإنسان الذي تزال
عيوبه وتنظم أحواله وأعماله ، وليس
لتهذيب الإنسانى أصل غير هذه الاستعارة
في هذه المادة وفيما يشبهها من مواد اللغة لفظاً
ومعنى ، وأشهرها التثيف من إزالة الزوائد
والفضول من الأعراد والأصناف .

والتهذيب كالتهديب في دلالة على إزالة
الأهداب وتسويتها وتنظيمها ، وليس أسهل
من إبدال الهمزة بالهاء أو إبدال الهمزة
بالذال .

ويؤيد هذا من جانب النظر إلى المعنى أن
صفة التأديب هي صفة التهذيب في جميع
تفصيلاتها ، فلا يمكن أن تكون المشابهة
عرضية بين كلمات التهذيب والتهذيب والتأديب
ولا بد من شبه أصيل بينها في النطق والمداول
والجواز .

• • •

في التربية العربية بإجماع الروايات أن يلقن الناشئ صفوة الأشعار والأمثال والحكم وأيام العرب وأصول الأنساب، وأن يتفقه مع ذلك في دينه وأن يقوم لسانه وفكره ويحترز من الخطأ في عباراته وإشاراتِهِ . فهو بلفظ المجاز - إذن - شجرة مثمرة بغير أشواك وبغير قشور ، وهو مذهب أو مؤدب أو مثقف بمعنى واحد في الأصل والمجاز .

ونعود إلى التخصص في التربية فنرى أن مذهب العرب فيها منذ صدر الإسلام أقرب إلى التعميم والإحاطة ، وأبعد ما يكون عن الحصر والتضييق في مجال المعرفة والتعريف ، فمن تربي على رواية الشعر والمثل والحكمة وتربي مع ذلك على حفظ الأنساب والأيام وقته الدين والفتنة فهو في عرف العصر الحديث قد تربي على العلم بالأدب والتاريخ والحكمة وجمع بين ثقافة الفكر والضمير ، وأصبح زميلاً صالحاً للعبادة وتبادل الرأي والفهم في كل مجتمع مذهب ينزه المشتركون فيه عن إزجاء الوقت بالغفو والثروة وفصول القول خوفاً في الأعراض وإسفافاً إلى صفائر الأمور .

ونود أن نجيب هنا على ملاحظة بعض القراء علينا فيما كتبناه عن التخصص في إحدى مقالاتنا الصحفية ، إذ قلنا : إن التخصص الذي يمزج المتعلم عن سائر فنون المعرفة غير فته الذي يشتغل به ولا يستعده

رجل صالون Homme de Salon ويعنون به أنه رجل مهذب صالح لمعاشرة الناس في مجالس المهذبين . وهم يقولون عن الرجل إنه مصقول Polished أو إنه مؤدب Polite بلفظ متشابه في النطق والدلالة ، ولعلهما - معاً - يرجعان إلى الكلمة اليونانية بوليتيكوس Politicos من المدنية أي « بوليس » Polis عند اليونان .

وعلى هذا نفهم علاقة الأدب بالمأدبة بل نفهم هذه العلاقة في اللغات الأوروبية بين التمدن والفنون المهذبة التي يطلقون عليها أحياناً كلمة Polite-Arts أى فنون الظرف والتهديب ، وترجع الصفة « بولايت » في اشتقاقها إلى الصقل أو إلى المدينة كما تقدم . ونستلرد إلى المعاني المجازية في هذا الباب فنرى أنها تنفق في البداة الإنسانية كما يظهر من اصطلاح الخاصة والعامة بلفتنا العربية الدارجة ، فهم يقولون عن إنسان من الناس إنه قادم من الريف « بعله » أى أنه لم يهذب بهذيب الحضارة ، أو يقولون عنه إنه « لم ينجر » من التنجير وهو علاج الخشب بما ينفي عنه القشور والروائح . ولا فرق في جوهر المجاز بين التهذيب والتهديب والتأديب وبين كلمة « التنجير » في هذا الباب ! فالمقصود من التأديب في مصطلحات اللغات كافة أن يصلح الإنسان للمعاشرة والتعام مع أهل المعرفة والسياسة ، ووسائل ذلك

الأقدمين كانوا يتوارثون الصناعات فلا تشغل الأسرة بغير صناعة واحدة ، وإن أطباءهم كانوا يقسمون بينهم أنواع العلاج فلا يعالج أمراض الرأس منهم من يعالج أمراض الجوف ولا يتعرض هذان لعلاج أمراض العين أو أمراض العظام . فليس هذا المحصر في العلم والتعلم تقديماً مصرياً لم يسبق إليه ، ولكنه ضرورة من ضرورات العادة التي تقبل من حين إلى حين ، وينبغي أن تقبل كلها وضحت المصلحة في تبديلها ، وهي واضحة على ما نرى من دواهي التفرغ الملى الذي يفرض « السعة العالمية » في التفكير كما فرضها العصر في كل مجال من مجالات الرأي والعمل ، وفي كل علاقة من علاقات ذوى الآراء والأعمال ٩ .

عباس محمود العقاد

إنما هو مسخ للفكر وبتنر للسلكات الإنسانية لا تعمد منه في حياة المجتمع ولا في الحياة الفردية .

فنقول لأصحاب الملاحظة : إننا لا ننكر التخصص ولا نوصى بإجتنابه ، بل نحذر من إعماله كما يحذر من ذلك الإعمال أشد المتخصصين ، ولكننا ننكر من التخصص ما يجعل المرء غريباً في البيئة الإنسانية عاجزاً عن التفاهم معها أو عن معاشرتها العكسية على مشاركة في الحس والماعطف .

ونضيف إلى ذلك أن « التخصص » المدعى ليس بالفتح الحديث في تاريخ الناس ، وليس بالميزة التي تركها فتعود إلى الوراء متقهقرين مئات السنين كما قال أصحاب الملاحظة التي نشير إليها ... إذ الحقيقة أن هذا التخصص عادة صتيقة جداً أشار إليها أقدم المؤرخين وقال هيروودوت كما قال غيره إن المصريين

التكافل الاجتماعي

أوجب الإسلام على الأغنياء من الأقرباء الإتيان على الفقراء والمساكين عن الكسب من أقربائهم ، وأوجب على أهل كل حي أن يعيش بعضهم مع بعض في حالة تكافل وتعاقد ؛ يرق غنيهم لفقيرهم ، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم ، حتى لقد ذهب بعض فقهاء المسلمين إلى مسئولية البلد الذي يموت أحد أفراد جوعاً ؛ فيؤدى أهله جميعاً الهدية متضامنين كأنهم شركاء في موته .

[من كتاب حقوق الإنسان في الإسلام للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي]

كيف يتصل السبيل بالدين؟

للاستاذ الدكتور محمد البهي

وعن القيم الثقافية والروحية في تاريخ الشعوب الإسلامية ، وولى وجهه نحو الغرب يسمع لتوجيهه ويتبع نصحه . وبينما الفريق الأول يحمى في مكانه في أرض الوطن ، فإن الفريق الثاني لا يستطيع أن يضع قدميه على مكان فيه .

وبهذا هنا في هذا الحديث أن نثير إلى أن الوضع الخاص بالفريق الثاني في إبعاده عن القيم والخصائص التي للتراث العربي الإسلامي - هو أثر لسياسة التعليم فيما مضى ، منذ الاحتلال البريطاني لمصر - فقد رسمت هذه السياسة خطط التعليم على أساس انقصالها وعرضت بذلك رواد المدارس في صورها العديدة للابتعاد لحسب عن تلك القيم التي بصورها تراثنا الثقافي وتلك الأجداد التي يعرضها تاريخنا - بل عرضتهم فوق ذلك إما للاستخفاف بهذه القيم والأجداد ، وإما لإنكار اعتبارها في حياة الإنسان .

ومن بين هذه القيم ، القيم الخاصة بالدين والتي تربط بتعاليمه ويطلب من الدين نفسه الحرص على تمتلأ وتطبيقها في الحياة العملية . وهنا قامت على توالي الزمن عقبات في طريق الاتصال بالدين وهي عقبات نفسية ؛ لأنها

أن هناك عقبات تحول دون أن يرى الشباب الدين كمصدر توجيه . وهناك حواجز كذلك توضع في طريق الشباب نحو الدين . فشبابنا اليوم وجد في وقت برزت فيه آثار الاستعمار في السياسة التعليمية في مصر وفي الشرق الإسلامي على العموم . هذه السياسة هي الفصل بين ماضي الشباب من جانب وبين حاضره من جانب آخر . وبالتالي العمل على أن يظل النشء في توجيهه تابعا لما يرسمه الغرب في فكره الاستعماري ، وبمبدأ كل البعد عن أن يذكر ماضيه وعن الأجداد والقيم التي تملأ صفحات تاريخ الأمة منذ أجيال .

وفي حديث للشرق الانجليزي يجب ، في سنة ١٩٣٨ في وصفه لسياسة التعليم القائمة في مصر في محاضرة عامة ألقاها في جامعة هامبورج أشار فيها إلى أن سياسة التعليم القائمة في مصر جعلت في الوطن الواحد فريقين يتعد أحدهما عن الآخر ويصارع أحدهما الآخر . فريق يسند ظهره إلى التراث العقلي والروحي للشعوب الإسلامية ، وفي الوقت نفسه لا يعيش في حاضر الحياة ولا يستطيع أن يصل حاضره بأمنه ، وفريق آخر ابتعد تماما عن الموارد

خاصة إلى بلاد الشرق الإسلامى . وموجة التشكيك التى أعقبت سيطرة هذه العقلية فى أوروبا بالنسبة إلى الدين والقيم المثالية أيضاً تسربت ونفذت إلى الشرق الإسلامى واتجهت إلى الدين فيه وإلى القيم الروحية كذلك .

ولكى نعرض القيم الدينية عرضاً قوياً وواضحاً بحيث لا تنال منها موجة التشكيك ولا موجة الاستغفاف - يجب أن يكون أسلوب العرض أسلوباً حديثاً على معنى أنه يسلك بهذا العرض المسلك الموصلى للإقناع والاقناع . والدراسات النفسية والاجتماعية لها وزنها فى هذا المسلك عند عرض الفكر المثالية أو القيم الأخلاقية والدينية . ولذا فالعرض الحديث لقيم الدين كان يجب أن يقوم على أساس سيكولوجى أو نفسى واجتماعى ، ولا يبنى فى حدود أساليب المنطق الأرسطى . وهى أساليب الجدل والحجج التى سيطرت على أساليب العرض منذ أن دخل الفكر الإغريق إلى الجماعة الإسلامية واستعان المسلمون بمنطق أرسطو من هذا الفكر على وجه خاص .

فتختلف العرض القيم الدينية عن أن يكون متمشياً مع أساليب العقلية الحديثة وعن أن يستعان فيه بالدراسات النفسية والسيكولوجية والاجتماعية - كان أيضاً من العقبات التى وقفت فى طريق الشباب إلى الدين .

تصل بتقدير هذه القيم . فمن ينكر اعتبارها أو يستخف بها لا يتصل بها على الأقل . ومن يعرضها على تلاميذه على أنها عديمة الجدوى والقيمة فى الحياة فقد حمل تلاميذه بالتالى على الوقوف منها موقفاً على الأقل هو عدم الرغبة فيها والإعراض عنها إن لم يكن الاستخفاف بها والخل عليها .

وهكذا لم يكن تدخل الاستعمار فى سياسة التعليم إلا لتحقيق هذه الانفصالية . ولم تنضج ثمار هذه السياسة إلا بعد فترة تمتد إلى جيل أو جيلين .

وهناك عقبات أخرى بجانب هذه العقبات النفسية لم تكن من رسم سياسة المستعمر وإنما كانت وليدة عوامل داخلية . وهى عرض القيم الدينية وعرض تراثنا الثقافى والروحى عرضاً يمتشى مع ما تتطلبه للعقلية الحديثة والمعاصرة . فنحن نعلم أن العقلية العلمية التى سيطرت فى القرن التاسع عشر حملت معها عوامل الحقد والكراهية أو عوامل الاستخفاف والسخرية بالدين والقيم المثالية على وجه العموم . وهذه العقلية التى سيطرت فى أوروبا منذ القرن التاسع عشر لم تبق فى نطاق الثقافة الغربية . بل باتصال الشرق بالغرب تجاوزت هذه العقلية كما تجاوزت آثارها وما حملته معها من مقاييس

كثير من الأسايين هذه المسألة لأحدث أساليب الإعلام في التقليل من شأن القيم الدينية . وأقصد إلى نوع معالجتها لمشاكل الأسرة مثلاً في الزواج والطلاق وفي دفاعها عن حرية المرأة وفي عرضها لقضية المساواة . فإنها في هذه الجوانب لا تعرض الرأي متزجاً من دراسة ولا منبثقا عن فهم أصيل لمبادئ الإسلام في الطلاق والزواج وفي صلة المرأة بالرجل في الأسرة على العموم . وإنما تميل الصحافة في عرضها إلى حرية معينة وتأييد رأي سابق على البحث والفهم لمبادئ الإسلام . ولا أصدر الصواب إذا ذكرت أن هذا الرأي الذي نميل إليه الصحافة والذي قد يكون سابقاً قبل العرض والبحث والفهم هو رأي مستورد من الخارج ودفع به دفعا إلى مجتمعنا هذا ، قصد به تحطيم هذه القيم التي تعتبر المقوم الأساسي في شخصيتنا الاجتماعية وفي هويتنا كعرب مسلمين .

كذلك إذا ما تعرضت الصحافة لمشاكل الشباب فإنها تركز هذه المشاكل على نقطة معينة هي أقرب إلى الإيجابية في صلة الرجل بالمرأة منها إلى تنظيم الوضع الاجتماعي بينهما أو تربية النوعين تربية مهيبة في صلة أحدهما بالآخر .

وفي دفاعها عن حرية المرأة مثلاً ، تقوم التقاليد والعادات ، وقد يكون لها الحق في

وهنا اجتماع نوطان من العقبات : النوع النفس والنوع المادي . أما النوع النفس فهو الميل إلى الاستخفاف بهذه القيم نتيجة لسياسة التعليم الانصالية كما ذكرنا . والنوع المادي وهو تحطيم العرض للقيم الدينية عن أن يكون داعياً إلى قبولها أو على الأقل داعياً إلى النظر فيها بدافع الرغبة في البحث والدرس .

(٢) المحاور:

ومع وجود هذين النوعين من العقبات — وإن كانت آثارهما قد خضت عن ذي قبل — نظراً لسياسة القومية العربية من جانب ، ونظراً لثغرف على أساليب العقلية المعاصرة في العرض من جانب آخر — وإن كان في نطاق ضيق — فإن هناك حواجز أخرى تقام في صور مختلفة من شأنها أن تبقى على التقدير الذي كان للقيم الدينية على نحو ما أثمرت سياسة الاستعمار في التعليم إن لم تزد في أمره . وبذلك تبقى العقبات في طريق وصول الشباب إلى الدين كما هي ، أو على الأقل يصف أثر القومية العربية وأثر الثغرف على أساليب العرض الحديث في الحد من نتائج تلك العقبات .

أولى هذه الحواجز أسلوب الصحافة . فالصحافة المصرية مع تطورها ومع مسيرتها لأحدث أساليب الإعلام — تستنجم في

وزارة الصحة البريطانية أن الفوضى الجنسية قد انتشرت بين صفار المراهقين من طلبة المدارس ذكورا وإناثا بشكل يندب بخطر جسم . في إقليم رويكفيلد حيث وكسر طومسون بحثه الذي استغرق عامين ، اتضح أن طالبات في الرابعة عشرة من عمرهن يترددن على عيادات خاصة للعلاج من الأمراض السرية ، وأن أخريات في مثل عمرهن يحملن معهن أدوات منع الحمل . ويقول طومسون أن الحال في رويكفيلد ليست أسوأ ولا أفضل منها في سائر أقاليم إنجلترا .

وإذا تحدث الكاتب من إنجلترا فإنه يتحدث من بلد أوروبي عرف بالمحافظة على التقاليد التي له ، وهي تقاليد القرون الوسطى التي وضعها ودعته الكنيسة ، وكان لتقاليد والعرف فيها دور رئيسي هو دور القانون ، ولها قيمة لاتزها الأحداث المحلية والأحداث العالمية .

وبجانب الصحافة في عرضها القيم الروحية والفكر المثالية . لا تقل الإذاعة والكتب والدوريات في تأثيرها بموقف الغرب من الإسلام ، فضلا عن أنه لا يوجد انسجام بين برامج الإذاعة المختلفة فإن بعض هذه البرامج يمرض القيم الدينية على نحو ما كان يقوم به بعض رجال الفكر في أوروبا في

أن علوم التقاليد والمعادن ، ولكنها تخطط في فهم التقاليد والمعادن - وربما عن قصد - وتدخل في مفهوم التقاليد والمعادن والقيم والمبادئ الدينية ، وإذا تعرضت لهذه المعادن والتقاليد فإنها تعرض لها في كثير من السخري والاستخفاف دون أن تحاول أن تضع عادات وتقاليد أخرى بدلا منها تصلح أن تكون رباطا ومقوما من بين حقوق مجتمعنا الشرق والغرب الإسلامي ، ومرضها لتقاليد والمعادن على النحو المشار إليه يحاول أيضا ويكون منه حاجز في طريق اتصال الشباب بالدين ، وإذا هي حاولت أن تضع عادات وتقاليد أخرى بدلها فإنها تدعو في غير احتياط إلى ما يجري في الغرب من عادات في مجتمعه ، غيره وشره ، والغرب - كما نعلم - وخصوصاً بعد قيام هاتين الحربين العالميتين في وطنه وبين أطرافه - اهتزت فيه القيم الإنسانية ، وتعرضت التقاليد والمعادن لمرات ضيقة يتن منها الغرب نفسه الآن بالشكوى ويحاول أن يجد لهذه الحال علاجاً ، ولكن الأمر يكاد يكون مستحيلاً عليه ، وفي الأهرام الصادر في ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٩ في الصفحة الثانية تحت عنوان : « فوضى الجنس بين طلبة المدارس الانجليزية ما يلي :

في تقرير وضعه الدكتور طومسون من

وتبعد في هذا التعبير عبارات السخرية من هذه القيم التي درجت على أن يقوم عليها عرضها لتلك القيم .

وتكون هذه الأجهزة مساوقة للدرسة فيما تهدف إليه من تهذيب الناشئة ومساوقة أيضا لما يهدف إليه المسجد من توجيه الرأي العام توجيها سليما . وإذا قلنا هنا المسجد فلا نقصد الأسلوب التقليدي من الترفيه في الجنة والتنفيذ من النار وإنما نقصد بالمسجد ذلك المركز الإسلامي التوجيهي الذي يجب أن تشع منه القيم والتعاليم الإسلامية في صفاتها وأصالتها ، وهي القيم والتعاليم التي تصل بحياة الإنسان فرداً ومجتمعاً ، والتي تعطيه دوماً الحلول في ملازمة نفسه مع أحداث الحياة ومستحدثاتها .

ولكن بجانب هذه السياسة التوجيهية الموحدة في عرض القيم الدينية هناك طريق آخر يجب أن يسلكه رجل الدعوة إلى الدين كي يتصل الشباب به . ويؤمن بقيمه ويحصل على تمثل هذه القيم في حياته اليومية . هناك الطريق لمعالجة مشاكل الشباب النفسية . وليس كل مشاكل الشباب هي مشاكل الجنس . نعم إن الغريزة الجنسية تلعب دوراً رئيسياً في حياة الشباب في سن المراهقة ، ولكنها ليست على درجة من الخطورة إذا ما وجد الشباب توجيهاً سليماً وتحديداً للطريق

القرن الثامن عشر . ذلك القرن الذي كان يسمى عصر التنوير ، وأهم مظاهره تمجيد الإنسان في خالقيته لئلا تون والخلق وللجمع والدولة في مقابل الاستغفاف بالدين كمصدر لتحديد هذه النظم في هذا العرض الذي تقوم به بعض برامج الإذاعة تعلق بالإنسان فوق مستوى النقد وتصل بالإنسان إلى درجة السيادة المطلقة فيما يحيطه لنفسه وللمجتمع ، وتبرر عدم الحاجة إلى شيء آخر سوى عقل الإنسان وفكره ، وفي بعض الأحيان تسخر بالمصادر الأخرى للتوجيه التي تأخذ لنفسها حق توجيه الإنسان ، والذي يأخذ لنفسه حق التوجيه هو الدين وما اشتمل عليه من قيم وتعاليم .

• • •

هذه هي العقبات وتلك هي الحواجز التي توجد في طريق الشباب إلى الدين ، وهنا تحديد الوسيلة التي يتصل الشباب عن طريقها بالدين فوق إمكانيات الفرد أو بعض الأفراد أو بعض الهيئات ، إن هذه الوسيلة يجب أن تكون جزءاً من سياسة الدولة وسياسة المجتمع التوجيهية بحيث تستخدمها الأجهزة المختلفة في التوجيه وتكون هذه الأجهزة على اختلافها في الإرسال معبرة عن فكرة واحدة وهدف واحد ، وإن كانت في صور متنوعة تعبر عن القيم الدينية وعن أثرها في التوجيه

تحت تأثير الحس أو الخلاص منه والاستقلال عنه وعدم الطواعية لكل ما يحس . هناك في حياة الشباب تذبذب ، إلى ماضي حياته وهو الطفولة يمكن وحوله يدور أم نحو حال اكتمال الإنسان ورشده يسير ويتجه ؟ هناك في حياة الشباب أزمة ، أبقى في التبعية والطواعية التي لا خيار فيها ولا حرية أم يستقل ويصبح ذا سيادة في حكمه وفي تأثيرها .

هذه هي مشكلة الشباب . هذه هي أزمة الشباب . هي أزمة الحدة والقلق والاضطراب بسبب الوقوع بين عاملين قويين متقابلين . وحل هذا المشكل - الذي يجب أن يقدمه له حاملو رسالة الدين - هو تبصير بالفصل بين المادية والروحية ، تبصيره بالفصل بين حياة الحس التي لطفوته وحياة العقل والقيم التي لرشده . والروحية ليست طلبا للابتعاد عن الحياة المادية وإنما هي لحسب تعريف بالقيم والمثل في حياة الإنسان بجانب ما تدفع إليه الحياة الحسية من مظاهر الحس التي تغري الإنسان في طفولته ويقع هو تحت تأثيرها وإغرائها فترة من الزمن وهي فترة طفولته : الطيعقوالدين كلاهما إذن ضروري في حياة الإنسان ، الطبيعة تدفعه نحو إدراك مظاهرها والدين يبصره بقيمة الإنسان نفسه . لا تستطيع الطبيعة أن تبصر الإنسان بقيمة

الذي ينجبه في حياته ، ويتغلب به على أزمة الحيرة والقلق ، ومن هنا مشاكل الشباب ليست مشاكل الجنس كما ذكرنا بل هي مشاكل تعريف الشباب بالوجهة التي يتجه إليها إعطاؤه الحل لأزمة القلق والاضطراب عنده .

وأزمة القلق والاضطراب عند الشباب ، أو أزمة الحيرة ترجع في واقع الأمر إلى تذبذبه ووقوفه بين مرحلتين متقابلتين من حياة الإنسان : مرحلة الطفولة ومرحلة الرشد الإنساني . وإذا كانت مرحلة الطفولة يتم عنها ميل الإنسان الطفل إلى الحس ووقوعه تحت تأثير الحس من الأحجام والمقادير والألوان والنفثات والأصوات والصور والأشكال - فإن مرحلة الرشد يعبر عنها ميل الإنسان للفكر والمثل والقيم . ميل الإنسان إلى المبادئ وإذا تميزت مرحلة الطفولة بأن يكون الإنسان تابعا لما يدركه في حسه وشاهده فإن مرحلة الرشد تتميز بخروج الإنسان عن هذه التبعية وباستقلاله وعدم الطواعية لها . إذا كانت مرحلة الطفولة يميزها إغراء الحس للطفل على نحو ما يرى الحس الحيوان في حركته إذا تخلصت عنه قيادة الإنسان - فإن مرحلة الرشد يميزها انجذاب الإنسان إلى المثل والقيم .

هناك في حياة الشباب فجوة ، هي الفجوة بين مظاهر الطفولة ومظاهر الرشد . هناك في حياة الشباب حيرة وتردد ، وهي البقاء

إن الشباب إذا وقف على حدود إنسانيته وعلى قيمته في الوجود ورغب من غير شك في الكفاح من أجل تحقيق مستواه الإنساني ولكي تكون له قيمة الخاصة كإنسان . وبذلك يصمم ويمزم على أن يحقق هذه الغاية في حياته ، وتضع بعزمه وتصبه حيرته ، وينهب قلقه واضطرابه . وبذا تحل مشكلة الشباب ، وحلها هو الكفاح من أجل هدف سليم .

وليس هناك عوض عن الدين في تعريف الشباب بمحدود مستواه الإنساني ، وفي الفصل بين المادية والروحية . وليس هناك من عوض في فلسفة ولا في دراسة تاريخية ونفسية ولا أي فرع من فروع العلوم الإنسانية الأخرى يستطيع أن يضع له هذا التعريف وضماً واضحاً لا حيزية ولا محدودية فيه . والفلسفة لم تسلّم من أن تؤمن بالمادة دون المثل الروحية ، كما لم تسلّم من أن تؤمن بالمثل دون المادية ، كما لم تسلّم من إنكار المادية والمثالية معاً . كما في الفلسفة الصوفية . وإذا هي لم تسلّم من ذلك فهي لا تستطيع أن تقوم المادية كما هي والروحية كما هي وبالتالي لا تستطيع أن تفصل بينهما . وهي لم تسلّم من الضعف السابق في هذا الجانب أوفى ذاك أوفى كليهما معاً ، لأن صانعها هو الإنسان الذي تخرج في بيئته وخضع لمؤثرات وضعه ومجتمعه . وهو لذلك لا يصلح أن يكون الإنسان العام

حياته وقيمة مستواه لأنها ترغب دائماً في أن يكون خاضعاً لها وواقفاً تحت تأثيرها . ولذلك كانت ضرورة الدين في حياة الإنسان واضحة لأنه سيوقفه على مستواه ، وبالتالي سيخلصه من إغراء الطبيعة وتأثيرها ويجعله سيداً على نفسه وذا سيطرة على الطبيعة . وبذلك يسخرها بدلاً من أن تستخدمه هي . وبذلك ينتفع بها بدلاً من أن تجعلها في خدمتها ورفيقاً لها .

وفي واقع الأمر ضرورة الدين في حياة الإنسان أشد من ضرورة الطبيعة نفسها لأن إنسانيته تطلب من يكشف عنها ويصره بقيمتها حتى يكون الإنسان في مكانه من الطبيعة ، وهو مكان المستقل وصاحب الشأن وليس مكان التابع المسخر .

إن تعاليم الدين هي تعريف بالمشاركة الوجدانية وتعريف بالتعاون ، وتعريف بالسلم ، وتعريف بتجنب الاعتداء ، وتعريف بالولاء والمودة ، وتعريف بالروابط والأخوة الإنسانية ، وتعريف بالتضحية في سبيل الغايات العليا للوطن والمجتمع . وما يقوم به الدين إذن هو تعريف للقيم الإنسانية لأن القيم الإنسانية ليست أكثر مما يطلب في علاقة الإنسان بالإنسان كإنسان له خصيصة إنسانية وقد باشر عمارتها في حياته العملية .

وكما كانوا في فهمهم لتعاليم الدين قريين من روح الرسالة الإلهية وجوهرها ، كانوا أقرب إلى نفوس الشباب ، كان الشباب على صلة بالدين .

إن قيمة الدين خالدة ، وإن ضرورة الدين في حياة الشباب واضحة ، وإن صلة الشباب بالدين واجبة لضمان حسن توجيهه وتبصيره بمعنى إنسانيته . ولكن الذي يحول بين الشباب والدين هو إما عقبات أو حواجز بعضها الإنسان ، أو قصور في فهم الإنسان لتعاليم الدين أو وجود من حامي رسالة الدين عن مسaire أساليب العرض التي يتطلبها العصر الحديث والعقلية الحديثة .

كيف يتصل الشباب بالدين ؟ جوابه الانسجام بين أجهزة التوجيه المتنوعة في المجتمع ، وصحة فهم لتعاليم الدين ، وحسن عرض لقيمه عن جعلوا دعوة رسالة لهم في حياتهم .

ولا بد من الأمرين معا حتى يتصل الشباب بالدين . وبعبارة أخرى يكافح الشباب في سبيل القيم والاستقلال والسيادة ؟

دكتور محمد البهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

الذي يخطط للإنسان طريق توجيهه ويضع له معالم الطريق .

وكذلك الدراسات النفسية والتاريخية والدراسات الإنسانية الأخرى بوجه عام لا تسلم من الضعف في تخريج الرأي وتفسير الحوادث ورصد الملاحظات ، وهي لذلك لا تستطيع بدورها أن توجه الإنسانية على مستوى يتجرد من المحدودية أو التأثر بالظروف الشخصية والمحيط الخاص .

• • •

إن مشكلة الشباب ليست مشكلة الغريزة الجنسية وإنما هي مشكلة الإنسانية والمستوى الإنساني . تلك المشكلة هي : كيف يكون الشباب إنسانا ولا يعود طفلا ؟ كيف يتخلص الشباب من إغراء مظاهر الحس التي سيطرت على مراحل طفولته إلى إدراك القيم التي تمثل مستواه الإنساني وتصور نضجه واكتماله ؟

هذه هي مشكلة الشباب في صميمها . وحل هذه المشكلة ومن بما يقدمه الدين له في تحديد المستوى الإنساني الفاضل . وما يقدمه الدين في ذلك مرهون بدوره بعرض علماء الدين ورجله لتعاليم الدين . وكما كانوا في عرضهم متبعين وسيلة العرض الحديث ،

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

- ٥ -

مثل هذا النص الواضح ؟ ثم إن الحكم بعدم حاجة الإسلام إلى التأليف غير مسلم لعمر . فإنا لو أمنا شر المؤلفه قلوبهم في عهد ما فإن دخولهم في الإسلام بسبب إعطائهم لا ينقطع بذلك بل ربما اشتد بقوة سلطان الإسلام ، وكفى بهذا الأمل موجعا لتألفهم بالمعطاء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤلف بعطائه هذا أصنافا متعددة : صنفاً ليسلوا ويسلم قومهم بإسلامهم ، وصنفاً كانوا قد أسلوا ولكن على ضعف في الإيمان فيريد تثبيتهم بإعطائه ، وصنفاً يعطيهم لدفع شرهم ؛ فلو فرضنا أنا أمنا شر أهل الشر منهم ؛ فليعط هذا الحق لمن يرجى إسلامه أو إسلام قومه ، ولئن بقوى إيمانه ويثبه الله عليه بسبب هذا المعطاء ، تأسيساً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحب العباد إلى الله تعالى المتأسى بنبيه ، والمقتنى أثره ، على أن قوة الإسلام تلك التي قهرت عدو المسلمين وأمتهم من شره قد تغيرت إلى الضد مما كانت عليه فاستحوذت

من المواقف المذكورة في تاريخ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه لم يقبل أن يعطى من الزكاة نصيباً للمؤلفة قلوبهم ؛ وقال لهم : لا حاجة لنا بكم فقد أعر الله الإسلام ، وأغنى عنكم ، فإن أسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم .

وقد أثار هذا الموقف كثيراً من التعليقات والبحوث والأسئلة ، واختلف الناس فيه بين نافذ لعمر رضي الله عنه ، ومؤيد له ، وعرض لفضله على وجه متفق مع أصول الفقه .

فن الذين نقدوا عمر في هذا بعض علماء الشيعة الإمامية ، وخلاصة تقدم أن سهم المؤلفه قلوبهم ثابت بنص كتاب الله تعالى في قوله : إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ... الآية

فكيف ساغ لعمر أن يحجى إلى نص محكم فيجتهد فيه اجتهاداً يصادمه ويعطل حكمه ؟ وهل يجوز الاجتهاد المبني على الاستحسان العقلي أو العلة المستنبطة بالظن في مقابل

وهناك من يؤيدون عمر ويدافعون عن تصرفه هذا ، لكنهم يختلفون في منهج هذا التأييد .

فمنهم من يبيح للجهتد أن يجتهد في كل شيء حتى في تقييد النص ووقف العمل به متى استوفى شروط الاجتهاد المبينة في كتب أصول الفقه ، وهؤلاء هم قوم من الباحثين المعاصرين ظنوا إن الانطلاق بالشريعة إلى ميادين الاجتهاد الحر المطلق من القيود من شأنه أن يحل مشاكل المسلمين ، وأن يقتنع الناس بمرونة الإسلام ومطابقتها للصلح ، وتجاوبه مع العصور والحضارات والمدنيات ، وقد كتب المرحوم الدكتور احمد أمين في ذلك ، ومن قوله « والذي يحل مشاكلنا هو فتح باب الاجتهاد بعد أن أغلقه العلماء... والاجتهاد الذي نريده هو الاجتهاد المطلق لا الاجتهاد في المذهب ، فهو يشمل كل شيء حتى تقييد النص ووقف العمل به متى استوفى المجتهد شروط الاجتهاد » ثم قال : « وإيماننا في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذكر عنه أحكاما مصدرها ذلك الاجتهاد ، منها عدم إعطاء المؤلفات قلوبهم سهمهم من الزكاة... » (١)

عليهم الأاجانب فاضطرتهم إلى تأليفها ومسانمتها بالعطاء وغيره كما هو المشاهد بالعيان في هذا الزمان وما قبله ، وبهذا يتبين أن إسقاط سهم المؤلفات قلوبهم يوم كان الإسلام قويا ؛ إنما كان من اغترار بحالتهم الحاضرة في ذلك الوقت ، لكن القرآن العظيم إنما هو من لدن عليم حكيم ، (٢) وهذا النقد يتلخص في نقطتين :

إحداهما : أنه لا يجوز الاجتهاد في موضع النص ؛ لأن ذلك يؤدي إلى مصادمة النصوص بمخالفتها أو وقفها .

والثانية : أن رأى عمر في استغناء الإسلام عن التأليف غير مسلم فالإسلام محتاج إلى التأليف حتى في عهد قوته .

ونحن مع مخالفتنا للشيعة الإمامية في هذه المسألة كما سنذكر في هذا الفصل نود أن نلفت القراء من باب الإنصاف إلى الروح التي يبدو في هذا النقد ، فإنه روح الاستمسك بالنص والغيرة عليه ، والمناضلة فونه ، وعدم قبول الخروج عنه بمجرد الاستحسان والظن ، ولاشك أن هذا الروح من شأنه أن يؤنس إخوانهم أهل السنة إلى سلامة قصدهم ، ويبطل ما يتقوله أهل الرغبة في إفساد ذات البين بين المسلمين .

(١) الاجتهاد في الإسلام — مقال مقبور بالمندم الثاني من السنة الثالثة من مجلة رسالة الإسلام ص ١٤٦ .

(٢) ص ٢٤ من كتاب « النص والاجتهاد » لمؤلفه المرحوم الشيخ شرف الدين المراسوي القسبي الإمامي

ثم قال : إن ذلك هو من قبيل تعليق النص أو إيقافه لمصلحة عارضة متى زالت عاد العمل بالنص ، وما فعله عمر بن الخطاب ومن جاء بعده من الأئمة يجرى هذا المجرى من تعليق النصوص ليس إلا ، ولا ينسخها النسخ المعروف ، (١) .

فهذا كله تأييد لمبدأ فهموه من صنيع عمر في شأن المؤلفات قلوبهم ، يدور حول ارتباط النصوص بملل وجواز وقفها إذا زالت هذه الملل ، وفتح باب الاجتهاد في ذلك حتى يمكن للتريعة أن تكون مطاوعة مرنة . وفي ذلك يقول العلامة الشيخ شرف الدين الموسوي : « الله تعالى - وهو من علماء الشيعة الإمامية كما ذكرنا - : « سبحانه أحكام الله ! إذا صح للجهدين ذلك فعلى أحكام الكتاب والسنة ونصوصهما السلام » (٢) . وقد سلك الأستاذ مصروف الدواليبي منهاجاً آخر في تأييد عمر إذ يقول في كتابه : « أصول الفقه » :

« ولعل اجتهاد عمر رضي الله عنه في قطع المطاء الذي جمعه القرآن الكريم للؤلة قلوبهم كان في مقدمة الأحكام التي قال بها عمر تبعاً لتغير المصلحة بتغير الأزمان رغم

(١) انظر رسالتنا « السلطة التشريعية في الإسلام » ص ١٥٠ ، وفيها كلام الأستاذ البايدي (٢) انظر هامش (١) في ص ١٤٨ من كتاب النص والاجتهاد .

ويقول الأستاذ خالد محمد خالد في كتابه المسمى (الديمقراطية) ص ١٥٠ .
« تؤكد عمر بن الخطاب النصوص الدينية المقدسة من القرآن والسنة عندما دعت المصلحة لذلك ، فبينما يقسم القرآن للؤلة قلوبهم حظاً من الزكاة ويؤديه الرسول وأبو بكر ؛ يأتي عمر فيقول : لا نعطى على الإسلام شيئاً .. إلخ ، (٣) .

ويقول الأستاذ محمود البايدي :
إننا نجد في كل عصر على الأقل إماماً من الأئمة أو أكثر يذهب إلى طريقة جديدة في التخرج بقصد الوصول إلى التشريع العام لرفع المخرج عن الأمية ، ومن الشواهد التاريخية على ذلك نجد أن عمر بن الخطاب أول من مشى إلى التشريع العام المباشر ، فاعتبر النصوص التشريعية مملوكة بملل مقصودة ، فإذا زالت منها هذه الملل ؛ اقتضى ذلك زوال حكمها ، وتبعاً لهذه النظرية وجدت القاعدة العامة التي تقول « الملة تدور مع معلولها وجوداً وعدماً ، وقالوا : إن عمر « نسخ » فصوصاً من القرآن وحدودها ، منها سهم المؤلفات قلوبهم الذي فرضه الله لم ينس فاطم في سورة التوبة « إنما الصدقات للفقراء .. » والمؤلفات قلوبهم .. قريضة من الله .. إلخ .. (٤) .

(١) ص ١٥٠ من كتاب الديمقراطية للشار إليه .

هذا كلام الأستاذ البوالي ، وخلاصته أن هذا الحكم معطل ، ومتى ثبت ذلك فهو بمثابة أن يقول المشرع : جعلت للزوجة قلوبهم سهما من الزكاة في حالة احتياج الإسلام إليهم أما إذا استغنى الإسلام عنهم فلا يعطون . فالإعطاء في الحالة الأولى بالنص ، والحرمان في الحالة الثانية بالنص ، فلا تعليق ولا نسخ ويرد الإمامية على هذا التخرج بما يأتي (١) :

أولا : إن ظاهر أخذ وصف في موضوع حكم ، دخالته في الحكم وعليه لا شيء . آخر ، فالتأليف علة للحكم لا الحاجة إليه ، ولا هو في ظرف الحاجة ، فال موضوع موجود بوصفه ولا معنى لرفع حكمه وقطع استمراره الزماني إلا الفسخ ، وهو من شئون المشرع لا يجوز لأحد سواه .

ثانيا . لو سلم ذلك وأن التأليف فعل مصلحي لا يلزم إلا في ظرف الحاجة ، ولكن الحاجة المتغيرة فيه إنما هي بنظر المشرع للحكم ، فإن الأحكام الشرعية - كما هو الحق عند الإمامية - تدور مدار المصالح والمقاصد الواقعية - إن في الحكم أو في الموضوع - وذلك لا يكون إلا بنظر المشرع المطالع

أن النص القرآني لا يزال ثابتاً غير منسوخ : والخبر في هذا أن الله سبحانه وتعالى فرض في أول الإسلام وعندما كان المسلمون ضعافا عطاء يعطى لبعض من يخشى شرم من أموال بيت المال الخاص بالصدقات فقال :

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل » . . . وهكذا قد جعل القرآن الكريم المؤلفة قلوبهم في جملة مصارف الصدقات ، وجعل لهم بعض الخصصات على نحو ما تفعله الدول اليوم في تخصيص بعض النفقات من ميزانياتها للحماية السياسية . . . غير أن الإسلام لما اشتد ساعده ، وتوطد سلطانه ؛ رأى عمر رضي الله عنه حرمان المؤلفة قلوبهم من هذا العطاء المفروض لهم بنصوص القرآن ، وليس معنى ذلك أن عمر قد أبطل أو عطل نصاً قرآنياً ، ولكنه نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره ، واعتبر إعطاء المؤلفة قلوبهم معطلا بطرؤف زمنية أي مؤقتة وتلك هي تألفهم وافتاء شرم عند ما كان الإسلام ضعيفا ، فلما قويت شوكة الإسلام ، وتغيرت الظروف الداعية للعطاء ؛ كان من موجبات النص ومن العمل بمكة ، أن يجمعوا من هذا العطاء (٢) .

(١) أنظر ما كتبه الأستاذ العلامة الشيخ محمد علي ناصر من علماء الإمامية بلبنان الجنوبي في مقاله المنشور بالمجلد الرابع من مجلة رسالة الإسلام، ص ١٨٤

(٢) ص ١٢٩ من كتاب أصول الفقه للأستاذ معروف البوالي .

وتعالى لما قال « والمؤلفة قلوبهم » أثبت لفريق من الناس فصيا من الزكاة بوصف معين ، هو مناط الاستحقاق ووجوب الإعطاء ، ذلك هو كونهم « مؤلفة قلوبهم » ، ولما كان التأليف ليس وصفا طبيعيا يحدث للناس كما تحدث الأعراض الطبيعية بل هو شيء يقصد إليه ولي الأمر إن وجد الأمة في حاجة إليه ، ويتركه إن وجدها غير محتاجة إليه ، فإذا اقتضت المصلحة أن يؤلف أناسا وألفهم فعلا ؛ أصبح الصنف موجودا فيستحق ؛ وإذا لم تقتض المصلحة ذلك فلم يتألف أحدا ، فإن الصنف حيثئذ يكون معدوما ، فلا يقال إنه منه لأنه ليس معنى أحد يجري عليه الضمير البارز في « منه » ، وبذلك يتبين أن النص لم يعط ولم يعلق ، وإنما المحل هو الذي انعدم ، فلو أن ظرفا من الظروف على عهد عمر أو غيره من بعده قضى بأن يتألف الإمام قوما فألفهم ؛ لأصبح الصنف موجودا فلا بد من إعطائه . وقد رد على هذا أن المؤلفة قلوبهم كانوا موجودين فعلا على عهد عمر ، وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تألفهم ، فعمد منهم مع وجودهم ، فلا يقال إذن إن عدم الإعطاء لعدم وجود الصنف ، وإنما هو لمحق مصلحي قدره عمر ، وهو أن الإسلام قد أعزه الله ولم يعد هناك سبب

على الواقع ، والخبر بعواقب الأمور ، لا ينظر غيره مهما كان شأنه .

ومن الناس من يسلط مسلطا آخر في تخرج صنيع عمر فيقول : إن عمر لم يخالف الآية حين لم يعط المؤلفة قلوبهم يومئذ ، فإن الله عز وجل إنما جعل الأصناف الثمانية في الآية مصادف للصدقات على سبيل حصر الصرف فيها خاصة دون غيرها ، لا على سبيل توزيعها على الثمانية بأجمعها ، وعلى هذا فن وضع صدقاته كلها في صنف واحد من الثمانية تبرأ ذمته كما تبرأ ذمة من وزعها على الثمانية ، وهذا مما أجمع عليه المسلمون وعليه عملهم في كل خلف منهم بعد رسول الله صلى الله عليه عليه وآله وسلم ، فأى بأس بما فعله عمر ؟

ولكن هذا منافي لأصل القضية فإن الثابت المروى أن عمر أبى أن يعطى المؤلفة قلوبهم ، واحتج بأن الإسلام قد عجز وأن الله أغنى عنهم ، فهو لم يقع اكتفاء ببعض الأصناف الثمانية ، ولكن معنا مقصودا لواحد منها .

* * *

بعد هذا نذكر رأينا في هذه المسألة فنقول : إن حقيقة الأمر في ذلك أن عمر والصحابة الذين وافقوه ، ومن جاء بعدهم من العلماء ، لم يخرجوا عن دائرة النص ولم يعلقوه ، وإنما فهموا أن الله سبحانه

أو أن الإمام يجب عليه أن يعدم كذلك إلى آخر عمرهم ، وإنما الأمر أمر تقدير المصلحة في نظر الإمام ، فإن أداء اجتهاده إلى أن يتألف فأعطى ، وإلا فلا .

وإذن فليس معنا نص وقف العمل به أو علق أو نسخ أو عدل ، ولكن معنا نص معمول به لأن معناه مقيد من أول الأمر بالقيد الطبيعي الذي لا يمثل انفكاكه عنه ، كأنه قيل : والمؤلفة قلوبهم إن وجدوا ، كما يقال مثل هذا في الفقراء والمساكين مثلا : وإنما الصدقات للفقراء إن وجد فقراء ، والمساكين إن وجد مساكين ، وفي الرقاب إن وجدت رقاب مملوكة .

فإذا كان هناك من يريد أن يجادل عمر رضي الله عنه في أن التأليف أي إيجاد صنف المؤلف قلوبهم واجب على الإمام في كل حال فهذا جدال في موضع من مواضع الاجتهاد وليس في محل النص ، والفرق بين وجوب التأليف ، ووجوب إعطاء المؤلف قلوبهم حين يكون هناك تأليف ، واضح ، فالأول أمر مصلحي يختلف فيه النظر ، والثاني حكم نصي لا يمكن التصرف فيه بالإبطال أو التمديد أو التعليق .

محمد محمد العربي

عميد كلية الشريعة

لتأليف ، وهذا يتفق ما يقرره بعض العلماء من أن إعطاء المؤلف قلوبهم حكم معلل بحاجة الإسلام إلى التأليف ، فإذا انتفت حلة اتنى لأن الحكم المعلل يدور مع حله وجودا وعلما .

قد يرد علينا هذا ، وربما كانت عبارة عمر المروية في هذا الشأن وهي قوله : إن الله قد أعز الإسلام وأغنى عنكم ، مؤيدة لهذا الإيراد .

وتقول في الرد على ذلك : إن قول عمر للمؤلفة الذين كانوا يأخذون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أعز الإسلام وأغنى عنكم ، معناه : أن رسول الله قد ألّف قلوبكم لمصلحة الإسلام فصار لكم هذا الوصف وصف المؤلف قلوبهم ، فأعطاكم ، لكن هذا الوصف لم يستمر لكم إلى الآن لأن الإسلام قد عز واستغنى فوالى الحاجة إلى التأليف فلم يبق بيننا مؤلفة قلوبهم ، بمعنى أنهم موصوفون بهذا الوصف الآن ، وإن كانوا مؤلفة قلوبهم ، باعتبار ما مضى ، وهذا الوصف مما يتغير ويتبدل كوصف الفقر ، فقد يكون المرء فيما مضى فقيراً ، فيكون له في الزكاة نصيب ، ثم يصبح غنياً فلا يكون له فيها نصيب ، ولا ينبغي أن يتوهم أن هؤلاء الناس استحقوا هذا الوصف إلى آخر عمرهم

رجل الدين بين المسيرة والكفارة

للأستاذ محمود الشترقاوي

ولكن قبل أن نبدأ الحديث عن دلالة التاريخ وعبرة الأحداث ، نجد أنه لا بد من كلمة نقولها في موقف رجل الدين حيال ما يستجد من الآراء ومن التحول في حياة الناس ومجتمعهم .

الدين ، أو على وجه الدقة مفاهيم رجال الدين عن العقيدة ، تلقى في العصر الحديث ، في الغرب والشرق على السواء ، عنة قاسية . كما تجد هذه المفاهيم نفسها أمام طوفان من المذاهب والآراء قد لا يعنى أصحابها أنفسهم بالالتقاء مع المفاهيم الدينية ، بل لعل كثيراً منهم يجد في نفسه رغبة خاصة ، أو يستمر في ضميره غاية خاصة ليكون رأيه هذا أو مذهبه مصادماً للمفاهيم الدينية كما يتفقها رجل الدين ، ولولم تصادم الدين نفسه ، كأنما بين أصحاب هذه المذاهب والآراء وبين « رجل الدين » خصومة خاصة .

فما هو موقف رجل الدين عندما في الشرق إذاً هذه الأوضاع والمذاهب

لابن الرومي يهرج الشاعر العربي المبدع مطلع القصيدة في رثاء أبي الحسين يحيى بن عمر - من آل أبي طالب - لا أجد أحداً عنه استهلالاً للحديث عن « رجل الدين بين المسيرة والكفارة » وهذا البيت هو :

أمامك فاطر : أي نهجك تنهج

طريقان شق : مستقيم وأصوح
وكذلك رجل الدين في العصر الحديث :
أمامه طريقان ، أحدهما أن يسير الحياة ويندج فيها ويتعرف ما يطرأ عليها من التحول أو يجد فيها من التطور ، وثانيهما أن يكابر هذه الظاهرة الطبيعية الضرورية من التطور والتحول ويستدبر الناس معتقداً أن ذلك كفيل بإصلاح عالم ودفع الشر عن حياتهم ومجتمعهم .

فأي السيلين هو المستقيم الذي يستطيع رجل الدين أن يؤدي عن طريقه واجبه للحياة وواجبه للدين ولنفسه أيضاً ؟

دلالة التاريخ وعبرة الأحداث هي التي نستطيع من طريقها أن نجيب :

المثل الأعلى لما يجب أن تكون عليه حياة الناس وسلوكهم وبنفسهم . والمثل الأعلى الذي نجده من فهم الدين نفسه فهما قريباً هو بلا شك على هذا الوضع ، وهذه المثابة . ولكن حياة الناس في الماضي الذي ينظرون إليه ويتطلعون لم تكن في الجلة كذلك عند من يدرسها ويتأملها من غير أن يتأثر بماطفة ما .

وإلى هؤلاء المتنفسين إلى الماضي والمتعلقين به تعلقاً عاطفياً نسوق كلمة حكيمة صادقة قالها رجل لم يكن من رجال الدين ، بل لقد نال في عصره منهم كل سوء وفكر ، ولوائه في ضميره وإحساسه ودعوته أيضاً لم يكن بعيداً عن جوهر الدين ولا عن فهمه فهما مستقيماً . هذا الرجل هو قاسم أمين ، وكلية الحكيم الصادقة عن الماضي والمستقبل هي : « أي زمن من الأزمان السابقة كان مزوها عن العيوب حتى يصح أن يقال إنه نموذج الكمال البشري » .

الكمال البشري لا يجب أن نبهت عنه في الماضي ، بل إن أراد الله أن يمن به على عباده فلا يكون إلا في مستقبل بعيد جداً .

• • •

ليس أمام رجل الدين إذن إلا أن يسيروا هم مع الحياة - مع الاحتفاظ بجوهر رسالاتهم وغاياتها - ليس لهم إلا أن يسيروا مع الحياة ،

والآراء . . . ؟ بعضهم ، أو أكثرهم وسوادهم ، يقف موقفاً سليماً ، كل جهده أن يشكلم أو يكتب أو يعظ ليقول إن العالم قد فسد ، وإنه يسير في طريق الشر والإثم ، وإنه يجب على الناس أن يعودوا ، إلى ساحة الخير والبر والسلام والحق : أي أن يعودوا - لا أقول للدين - وإنما أقول للمفاهيم خاصة قائمة في أذهان هؤلاء الخطباء والأعظمين عن الدين ، ومدركات محدودة معينة سيطرت على عقولهم وعواطفهم . فالدين نفسه ، كحقيقته وجوهره ، لا يمكن أن يتأثر بتطور الحياة وتقدمها الذي جملة الله ناموساً لها .

ولكنني أعتقد أن هذه الدعوة عاطفة من أساسها ، فليس من الممكن أن يعود العالم إلى شيء مرة به ، أو إلى طور تنظاته وتجاوزته في طريق سيره الدائب المتأثر ، وليس من الممكن أن يرجع الناس إلى هذه المفاهيم الخاصة عن الدين ، ولا إلى المدركات المعينة المحدودة القائمة في أذهان هؤلاء الدعاة وعواطفهم . ليس من طبيعة الحياة ولا من الخير لها أن تعود ، وإنما طبيعتها التي لا تتحول والتي أرادها الله لخيرها هي أن تسير وتتقدم .

بعض رجال الدين عندنا ، في الشرق ، أو أكثرهم يستدبرون الحياة ويتطلعون على الدوام إلى الماضي يرون أنه

المخلصين الواعين من المؤمنين . وعن طريقها يستلهمون أن يسهموا في تقدم الحياة وتطويرها ورعاية جانب الخير والإيمان فيها . وهم بذلك يحققون الغاية من الإبقاء على العقيدة في ضمائر الناس وقلوبهم ، وفي قوانينهم ونظمهم وممارات حياتهم أيضا ؛ وهذه الغايات هي التي تقرر وجود رجل الدين في الحياة .

وهذه المقدمة أو « الكلمة » اعتقد أنها بدئية مسلمة عند من يدرك ؛ ولكن بعض القوم ما يزال يحتاج للقدمات البدئية .

• • •

الإسلام ، بما في تشريعه من مرونة وسعة ورعاية لمصالح الناس ومطابقة لتطور الزمن والبيئة كفيل بتحقيق هذه المسيرة . ولم تكن المكابرة التي جعلت الدين ، في البلاد الإسلامية ، يعبث على هامش الحياة ويكتفى منه الناس ، المسلمون بهذه الحياة على الهامش - هو ورجله - لم تكن هذه المكابرة من الدين نفسه ولكنها كانت من رجال الدين . وهذه كلمة أخرى هي التي نريد أن نقولها في دلالة التاريخ وعبرة الأحداث ثم ننقل منها إلى « المطارعة » و « المسيرة » التي تميز بها الشريعة الإسلامية .

• • •

لا أن يحاولوا تعويقها أو التصدي لها والوقوف موقف العناد والمكابرة في طريق سيرها وتقدمها . فإنها في هذه الحالة ستختطأهم وتركهم ؛ ثم لا يجدوا أحدا معهم ولا قريبا منهم . سيجدون أن جميع الأسباب والوشائج قد قطعت بهم ، وانفصل ما بينهم وبين الناس والحياة ، وأنهم لم يبق لهم فيها أثر ، ولا يسمع لهم فيها صوت ، وليس لهم في حياة الناس مكان ، ولا يحس بوجودهم أحد ، ولا ينتم نادم على فراغ الحياة منهم ومن دعوتهم ووعظهم . ليس أمام أصحاب الديانات المدركين لحقيقة أهدافها وغاياتها إلا أن يطوعوا مسدوكاتهم عن الدين ، ومفاهيمهم عنه ، يطوعوها حتى تسير حياة الناس وتطورات زمنهم وحاجات بيئاتهم وثقافتهم . وأن يشاركوا بهم وإدراك وسماحة في تطوير مجتمعهم في الجانب الذي لا غنى عنه للبشرية ، وهو الدين . وسنجد في هذا البحث أن الإسلام وما فيه من مرونة وسعة كفيل بتحقيق ذلك .

إما المسيرة وإما المكابرة . والنهاية التي ينتهي إليها كل طريق واضحة بينة لمن يتأمل ويدرك ويخلص ويتشجع فينطق بكلمة الحق فهي وإن أعصبت المتزمتين والسذج والبسطاء والمتحجرين بالعقيدة ، إن هي أغصبت هؤلاء . وأعجزتهم ، فإنها سترضى

جاء يحض المصادقة والاتفاق . ولأن أصول هذه الشريعة فيها كل المطاوعة والمسايرة التي تتحقق بها صواب الناس على تباينها واختلافها .

وعندما أراد إسماعيل بعد ذلك أن يحصل مصر قطعة من أوروبا كما قال ، سلك المسلك نفسه حيال رجال الدين ، فنقل إلى القانون المصري مبادئ القانون الفرنسي والسويسري دون أن يتأذن أو يستشير العلماء . والسبب واحد في الحالتين موقف نابليون وموقف إسماعيل .

وكان من نتيجة الخلطة بين الأوروبيين والمسلمين في دار الخلافة العثمانية إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن اشتبكت العلاقات التجارية والمعاملات المالية والقضائية بين الفريقين فأراد جماعة من وجوه الآستانة بمجاعة العصر بالتطور التشريعي في بعض الفروع الإسلامية التي تتعلق بذلك ، واستطاع نفر من الأحرار أن يستميل بعضاً من علماء دولة الخلافة حتى قاموا بوضع قانون « التنظيمات » الذي عرف بعد ذلك « بالمحلة العدلية » ، وكان ذلك العمل أول محاولة إصلاحية في العصر الحديث لتحقيق المسايرة بين التشريع الإسلامي وضرورات الحياة المعاصرة ، وكان ذلك في سنة ١٨٣٩

عندما دخل نابليون مصر أدخل على نظمها الاجتماعية وعلى تشريعاتها قوانين ، للشريعة الإسلامية حيالها أحكام ومبادئ ؛ ولكنه لم يخطر بباله أن يعرف رأى الشريعة في نظمته تلك وتشريعاته ، ولا أن يستشير العلماء فيها مع أنه كان حريصاً على إبراز مظاهر الاحترام لهم وتعلمهم كما كان حريصاً على مجازاة الشعور الديني العام حتى إنه أعلن في منشوره الذي أذاعه بين الناس قبل دخوله الإسكندرية أنه صديق الإسلام وحليف خليفة المسلمين بل أطلق إشاعة ترضى سكان مصر وتغبط نفوسهم بأنه أسلم وسيقيم في القاهرة مسجداً ليس له نظير في جميع بلاد الإسلام .

لم يستشر نابليون رجال الدين في قوانينه تلك لأنهم — على رغم مكانتهم بين الناس وتقديرهم لهم — لم تكن عندهم الصلاحية لمسايرة ما يمكن أن يفيد الناس من هذه القوانين ولا يخرج في نفس الوقت عن حدود الشريعة وقواعدها ، أقول حدود الشريعة لا تلك الآراء الفقهاء المذهبية الضيقة التي كانوا عاكفين عليها يظنون خطأ أنها شريعة الإسلام . وقد جاء كثير من نظم نابليون وتشريعاته التي أدخلها في مصر متفقة مع أصول الشريعة الإسلامية ، ولكن ذلك

فيها — لبعث قلوبهم عن الدين — وبأسهم من مسيرة رجاله ، نحمد أصحاب الحكم في مصر في القرن الماضي يضعون سلطة الدولة وسلطانها في يد ثوبار باشا الأومني لوضع التشريعات الصالحة لحياة مصر وحياة الأجانب فيها خاصة .

وفي مصر كذلك حاول جماعة من أحرار الفكر المدني الذين استقاروا في أوروبا ولم ينسوا دينهم وقوميتهم ، حاولوا الانتفاع بالأزهر وترويض أهله في معالجة العلوم الفقهية واللغوية ودراساتها على أساليب جديدة وفهم جديد يمكنهم من تولى القضاء وتدريس اللغة في المدارس . فلبسوا كبروا واستمعوا أنشأ هؤلاء الرجال مدرسة دار العلوم ثم مدرسة القضاء الشرعي وعدلوا بهما عن الأزهر .

ولما احتاجت المحاكم المصرية إلى تقنين الفقه وصوغه في مواد تشريعية كان الذي قام بهذه الصياغة رجل مدني هو قنبري باشا .

وما لنا لا نقول إن مكابرة رجال الفكر الديني في تركيا أول هذا القرن ومقاومتهم لكل فكرة مقاومة الصد والجهالة هي التي كانت سببا في رأينا من خروج هذه الدولة لا على رجال الدين وحدهم ، بل على الدين نفسه

لقد كان موقف المكابرة هذا سببا من

(١٣٥٥ هـ) ، واستطاع هذا الفريق من الأحرار أن ينال موافقة الخليفة بعد موافقة شيخ الإسلام في الدولة .

وكانت هذه المحاولة في قانون التنظيمات ، وه المجلة ، تحتوي قسطاً صغيراً من التحرر الذمى والاجتهاد في الشريعة ، أى المسيرة ، فأدخلت في باب التعزير الحكم بالتفسيح والسجن على درجات متفاوتة لجرائم معينة ، واعتبر فيها نظام « الكيالات » المالي و « خطاب الاعتدال » .

وقد كانت هذه الخطوة الصغيرة شذوذاً في التفكير الديني يوم ذاك ، لأن الذين قاموا بها لم يكونوا من « العلماء » بل من الأحرار المدنيين الذين استطاعوا أن ينالوا موافقة العلماء ولكنهم لم ينالوا رضاهم القلبي على هذه الموافقة ، لذلك لم تأخذ هذه الخطوة سيرها الطبيعي ، وكان من نتيجة ذلك أن سارت الحياة المدنية في دار الخلافة إلى حيث تريد ، وانفردت بالتشريع والتقنين والاقتباس والنقل عن القوانين الوضعية المدنية كقانون نابليون والقانون السويسري ، وبقي رجال الفكر الديني في تركيا يضيعون جهدهم ويمسئون نفوسهم بالغضب والثورة لضياع دين الإسلام واستئصال غضب الله والملائكة على الذين هجروا شريعة الله وبدلوها .

ومثل آخر من مصر : نحمد أصحاب الحكم

القانون ، ثم اصطدم هذا القانون نفسه بالقانون الروماني ، وشرعة العادات الموروثة ، في القرون الوسطى حتى جاء القرن الثامن عشر برجله المقتحمين وثوراته فزحزح الكنيسة وتشريعاتها وقانوناتها عن مكانها وأخرجها من حياة الناس وتشريعاتهم . ولكن هذا الموقف وهذه النتيجة لا تصدق ويجب ألا تصدق بالنسبة للشرعة الإسلامية

واعتقد أننا قد بينا دالة التاريخ وعبرة الأيام ، بما فيه الكفاية ، وبقى أن نبين ما في شرعة الإسلام من المسيرة والمطالعة والسير والسعة لكل ما يشمل تطورات الحياة ويحقق للناس سعادتهم أفراداً وجماعات في كل زمن وبيئة .

محمود الشرفاوي

أقوى الأسباب لهذا الخروج ولو أنه ليس السبب الوحيد .

وليس الشريعة الإسلامية ولا رجلها هي وحدها التي تعرضت لهذا الموقف ، على إفرق ما بينها وبين الشريعتين المسيحية والموسوية في الصلاحية والمطالعة والسير ، فقد وجدت الشريعة اليهودية نفسها أمام هذا الموقف أكثر من مرة في تاريخها ، وكان من هذه المواقف اصطدامها بالشرعة الرومانية . يومئذ لم يجد أجداد اليهود لأنفسهم بداً من وضع فتاوى وتفسيرات للتوراة هي التي عرفت بعد ذلك ، بالتلويح ، وأصبحت هذه التفسيرات والفتاوى هي مرجعهم للحكم والتقاضى . وكذلك وجدت الشريعة المسيحية نفسها في مثل هذا الموقف فوضع آباء الكنيسة الرومانية قانوناً كنسياً عرف باسم « شرعة

من نوادر الأعراب

• قبل لأمراني :

أتحب أن يكون لك مائة ألف وأنت أحق ؟

قال : لا .

فيل : ولم ؟

قال : أخشى أن يبنى عليّ حق جنانية فتذهب مني ويبقى حق ... !

• وقال أبو جعفر (رجل من البادية :

أما عندكم في البادية طيب ؟

فقال : حر الوحش لا تحتاج إلى بيطار .

مُثْلٌ عَلَيَا إِسْلَامِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ

لِلأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

- ٢ -

أو الصدقة ، أو الجاه والنفوذ والسلطان ، كما لا يجوز أن يتأثر قليلا أو كثيرا بالبغض أو العداوة ، أو لأي سبب آخر غير هذا وذلك كله .

ويكفي في بيان هذا أن نذكر هذه الآية من سورة النساء : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، شُهَدَاءَ لِلَّهِ ، وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ أَوِ الْأَقْرَبِينَ ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا » .

ثم هذه الآية من سورة المائدة ، فهي مكملّة ومؤكدة لما جاء في الآية السابقة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ . وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، اٰدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

ومن هاتين الآيتين يتبين لنا أن العدل المطلق فرض على المؤمن بالله ودينه وشريعته إذا كان صادق الإيمان ؛ ولهذا بدأ الله تعالى الخطاب فيهما بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

عرضنا في الكلمة الأولى إلى بعض ما ضربه لنا القادة والمهداة من رجالات العرب والإسلام من مثل رائحة في هذه النواحي : صدق الإيمان وقوة اليقين ، الثبات على العزم والإحساس بالمسئولية ، واليوم نعرض لبعض هذه المثل الفريدة في تاريخ الإنسانية في نواح أخرى ، لعل في ذلك نبصرة لقوم يعقلون ، وما يقوى إيماننا بديننا وتعاليمه ، وبقوميتنا العربية المحيية ، وبأمتنا التي هي خير أمة أخرجت للناس .

العدل :

أقام الإسلام المجتمع على دعائم قوية ثابتة لا يستقيم أمر الأمة بدونها ، ومن هذه الدعائم العدل بين الناس جميعا على اختلاف أجناسهم وأديانهم وطبقاتهم ، وبلا فرق بين القريب منهم وغير القريب من الحاكم أو القاضي .

وهو عدل مثالي لا تراه في دين أو مجتمع آخر ؛ فإنه ما ينبغي أن يتأثر بالقرابة

عنه ، يضرب لنا بسيرة في أهله والمسلمين عامة أحسن المثل في العدل ، اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واتباعا لما أمر به الإسلام .

يروى الإمام شمس الدين الذهبي المتوفى عام ٧٤٨ هـ ، في كتابه « تاريخ الإسلام » ، أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رجع من بعض الغزوات وقد ابتاع من الغنيمة بأربعين ألف درهم ، فلما قدم على أبيه أنكر عليه ما فعل ؛ إذ لعل أمير الجيش قد باع له بأرخص مما يبيع لغيره لكونه ابن أمير المؤمنين ، ولم يجد شيئا قول ابنه له بأنه قد اتهم كما يتجر غيره .

ثم قال له : إني قاسم مسئول ، وإني معطيك أكثر ما ربح تاجر من فريش ، لك ربح الدم دم . ثم دعا التجار فاشترى ما كان معه بأضعاف ما دفع فيه ، فأعطاه ثمانين ألفا ودفع بالباقي إلى بيت المال ليقسمه بين الناس مع سائر الغنيمة .

ويروى الإمام البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب قسم ثيابا بين بعض نساء أهل المدينة ، فبقي منها ثوب جيد ، فقال له بعض من صنده : يا أمير المؤمنين أعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك ، يمتنون أم كلثوم بنت علي ، فقال عمر : أم سليط أختي به (وهي من نساء الأنصار ومن

آمنوا) ، أي إن هذا هو شأن المؤمن حقا ولهذا أيضا نجد من القرآن تحريم الظلم بكل أنواعه تحريما شديدا ، والوعيد بالعقاب الأليم للظالمين .

وبعد ذلك ، يروى الرسول الصادق الأمين عن الله تعالى أنه قال في حديث قدسي طويل « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته محرما عليكم ، فلا تظالموا » .

وهذا العدل الذي أمر به الإسلام هو العدل الشامل للناس جميعا كما قلنا آنفا ، لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، أو عربي وأعجمي ، ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهدا ، أو تنقصه حقه ، أو كلفه فوق طااقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا خصمه يوم القيامة » ، وكذلك جاء عنه أنه قال : (من ظلم ذميا كنت خصمه) .

وبعد الرسول صلى الله عليه وسلم ترى الخليفة الأول يقوم في الناس خطيباً بعد أن تمت بيعته فيقول فيها قال : (الضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضئيف عندي حتى آخذ الحق منه) ، وهكذا ينص الصديق على وجوب العدل الشامل في أول خطاب له جمعه دستوراً لحكمه ، وهكذا كان رضي الله عنه حقيقة طول مدة خلافته .

وهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله

من هذا المال ، قد أوصى الله عز وجل إليك بالآقرين . فقال لها : يا بنية حق أقربائي في مالي ، وأما هذا فقضى المسلمين ؛ غشيت أباك ، ونصحت لأقرباك ، قومي ، فقامت تجر ذيلها !

النسوة :

ومن العدل القسوية في الحقوق والواجبات بين الوالي والذين تحت ولايته ، في النواحي المالية وغيرها كالتفصيص من الخاصة والعامة من الناس . ونجد في هذا الخلق الإسلامي الرفيع مثلاً علياً رائعة سجلها التاريخ لعمر بن الخطاب وغيره من العرب والمسلمين ولتكتشف هنا بذكر القليل منها .

يروى ابن عباس رضي الله عنه أن عمر قدم حاجاً فصنع له صفوان بن أمية طعاماً ، فأخذ القوم يأكلون وقام الخدام ، فقال عمر مالي أرى خدامكم لا يأكلون معهم ، أترغبون عنهم ! ثم غضب غضباً شديداً وقال : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ! فعل الله بهم وفعل . ثم نادى الخدام وأمرهم بأن يجلسوا ويأكلوا ، ولم يأكل أمير المؤمنين !

قد يقال هنا إن هذا الذي فعله ابن الخطاب كان يناسب حال البداوة التي كانوا عليها في ذلك العصر ، ولكنه يجب أن نقول مع هذا بأن صنيع أمير المؤمنين ذلك يدل على رسوخ

بأبغ رسول الله) ؛ فإنها كانت تزفر (أى تحمل) القرب يوم أحد . فأى عدل في قسمة المال بعد هذا ! ؟

ويذكر ابن سعد في طبقاته ، وكذلك غيره من مؤرخي الإسلام ورجالته ، أن عمر لما أراد إنشاء ديوان العطاء ، استشار بمن يبدأ ، فقيل له : إبدأ بنفسك فأنت الخليفة ، ولكنه رأى البدء بأقرب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم بآل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم بجي سائر المسلمين حسب منازلهم في السبق إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله ، ثم قال بعد ذلك : ضعوا عمر حيث وضعه الله .

وفي هذا الديوان فرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم ، فقال له عبد الله ابنه : فرضت لثلاثة آلاف ، وفرضت لأسامة أربعة آلاف ، وقد شهدت ما لم يشهد أسامة ! أى من المواقف في الجهاد .

فقال له أبوه : زدته لأنه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، وكان أبوه أحب إلى رسول الله عليه السلام من أيك !

وأخيراً جلد في سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي أنه جرى إليه مال ، فبلغ ذلك ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، حق أقاربك

الصغير ، ولو كان الأول واليا على الثاني ،
والتطبيقات لهذا المبدأ كثيرة في أيام الرسول
نفسه وخلفائه من بعده .

يروى ابن الجوزي في تاريخه عن أنس
ابن مالك رضى الله عنه أنه كان عند عمر
ابن الخطاب لما جاء رجل من أهل مصر يقول
له : هذا مقام العائذ بك ، فقال له : مالك ؟
فذكر له أن عمرو بن العاص أمير مصر أجرى
الخيل فأقبلت فرس ، فلما رآها الناس قام
محمد بن عمرو فقال : فرسى ، ورب الكعبة ،
فلما دنا منى هرقته فقلت : فرسى ورب
الكعبة ، فقام إلى يضربني بالسوط ويقول :
خنعا وأنا ابن الأكرمين .

فما زاد عمر ، وقد سمع ما سمع ، حل أن
قال للمصرى : اجلس ، ثم كتب إلى عمرو
ابن العاص يقول له : إذا جاءك كتابي هذا
فأقبل وأقبل مملك بابنك محمد ، فلما وصله
الكتاب دعا بانه وقال له : أأحدث حدثا ؟
أجنت جنابة ؟ قال : لا ، قال : فلما بال عمر
يكتب فيك ؟

ولما قدم على عمر أمير المؤمنين قال :
أين المصرى ؟ فقال : هأنذا ، فأعطاه
والدة ، وقال له اضرب ابن الأكرمين !
فضربه حتى أغمى ، ثم قال : أجلسها على صلعة
عمرو ، فوالله ما ضربك (أى ابنه) إلا
بفضل سلطانه ، فقال : يا أمير المؤمنين :

خلق المساواة ووجوب التسوية بين أناس
جميعهم الإسلام بمن فوقهم في المنزلة الاجتماعية .
والإسلام قد استحدث مقاييس جديدة
للتفاضل بين الناس ، فقد جاء في القرآن :
« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقال الرسول :
« كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل
لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .

والإسلام كما نعرف جميعا يوجب إعانة
المحتاج من مال الدولة العام ، ما دام لا يفسد
المحتاج سبيلا للحياة إلا هذا ، ونجد التطبيق
العمل الرائع من كثير من رجالات الإسلام
والخلفاء والولاة ، وذلك ما نعتبره بحق سبقا
في سبيل التضامن الاجتماعي قبل أن يهره
الغرب بقرون وقرون من الزمان .

هذا عمر بن الخطاب يرى رجلا غير مسلم
يسأل الناس ، فسأله عما ألباه إلى هذا ؟
فقال : السن والحاجة يا أمير المؤمنين . فقال :
واقه ما أنصفناه ، أكلنا شيبته وضيئناه عند
الهرم ! ثم ذهب إلى بيت المال فأعطاه
ما يكفيه حاجته ، وكتب كتابا علما للولاة
يقول فيه : أيما ذى ضعف عن العمل وصار
أهل ملك يتصدقون عليه ، فمثل هو وعياله
ما أقام بدار الإسلام . فأى مثل أروع
من هذا في التسوية في الحقوق بين المسلمين
وغير المسلمين ؟

ومن التسوية الواجبة ، الاتصاف من الكبير

ذلك دائماً إلا أن يغزو صاحب الحق ، ولم يكن ينشد بذلك إلا الانتصاف من القوى للضعيف ، والتسوية بين الكبير والصغير .

أدب

ونجد في هذا الخلق الرفيع الذي لا يقوم مجتمع سليم بدونه مثلاً أخرى رائقة كثيرة ، كما في غيره من الأخلاق الإسلامية العربية التي تقوم عليها أمة العرب والإسلام ، ومن ثم كانت ولا تزال أهلاً للحياة العزيزة المجيدة .

يقول الله تعالى في سورة النساء : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الإيمان أمانة ، ولا دين لمن لا أمانة له » . وهكذا يشدد القرآن في أمر الأمانة ويأمر بأدائها ، مهما كان نوعها إلى أهلها وإن كانوا غير مسلمين : « كما يقرر الرسول أنه لا دين لمن لا أمانة له » .

وكان من المثل العليا التي ضربها لنا الرسول حتى نفقدي به في كل أعمالنا وسلوكنا ، فتؤدى الحق لصاحبه ، أنه لما فتح الله له مكة المكرمة وأخذ مفتاح الكعبة بمن كانا يقومان بسداتها ، وأنزل الله هذه الآية ، فطامها وكانا مشركين حيثئذ ورد عليهما المفتاح ، وقال لهما : « خذاها » (يريد

قد ضربت من ضربتي ، قال : أما والله لو ضربته ما أحلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه .

ثم التفت عمر إلى ابن العاص وقال له : أيا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ ثم التفت إلى المصري فقال : انصرف راشداً فإن رابك ريب فاكتب إلى .

إن هذه الكلمة الموجزة الرائقة من سيدنا عمر بن الخطاب ، وهي ترجم عن مبادئ الإسلام ونعائمه السامية في هذه الناحية ، هي التي قدرت بحق للإنسانية جمعاء ، الحرية والإخاء والمساواة . . وإنه لا ينسب ذلك إلى الثورة الفرنسية إلا جاهل بتاريخ العرب والإسلام ، أو معاند للحق مكابر فيه على علم !

وذكر عمر في خطبته يوماً من الأيام أن من ظله أميره فليرفع مظلته إلى ، فإنه لا أمير عليه دوني ، حتى أخص له منه ، فقام عمرو بن العاص فقال :

يا أمير المؤمنين ، أرايت لو أكتب أمير رجلاً من رعيته أقصه منه ؟ فقال عمر (كما يروى ابن سعد في طبقاته) : ومالي لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يُقص من نفسه !

وهكذا كان ، رضوان الله عليه ، يفعل

السدانة) خالدة تالدة ، لا يزعها منكم إلا ظالم .

وكان لأصحابه من بعده في ذلك مثل عالية لا يجد لها منيها أو مقاربا في أمة أخرى غير الأمة العربية الإسلامية .

ها هو ذا عمر بن الخطاب يجيئه صهره يطلب منه أن يعطيه شيئا من بيت المال ، فيهره ويقول له : أردت أن ألقى الله ملكا عاتيا فلما كان بعد ذلك أعطاه - كما يقول ابن سعد - عشرة آلاف درهم من صلب ماله .

وإذا تركنا أشراف العرب المسلمين وخاصتهم ، هؤلاء الذين لهم حسب أصيل يعملون دائما على أن يظل شريفا تقيا ، فإننا نجد لأوساطهم وعامتهم كثيرا أيضا من المثل الطيبة العظيمة في ناحية الأمانة ؛ وذلك لأن الدين قد أمر بها الناس جميعا .

يذكر الطبري في تاريخه أن رجلا استولى في حرب بلاد الفرس ، على بئلين وما كان

عليهما وذهب بهما إلى «صاحب الأقباض» دون أن توسوس له نفسه بمعرفة ما غنم ، فإذا سفلطان كانا على أحد البئلين في أحدهما تاج كسرى مُفَسَّخًا وكلن لا يحمله إلا اسطوانتان وفيهما الجواهر .

وإذا على الآخر سفلطان أيضا فيهما ثياب

كسرى من الدياج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر ، وغير الدياج منسوجا بالذهب ومنظوما بالجواهر أيضا .

وهنا رجل آخر يدفع إلى صاحب الأقباض «حقا» كان معه ، فقال (أى من استله) هو والذين معه : ما رأينا مثل هذا قط ، وما بعده ما عندنا ولا يقاربه . ثم قالوا له : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيكم به ، فعرفوا أن لرجل شأنا .

ثم سألوهم عما سمع فقال : لا والله لا أخبركم لتحملوني ، ولا غيركم ليقرظوني ، ولكنني أحد الله وأرضى بثوابه !

ولما عرف سيدنا عمر بن الخطاب هذا ونحوه من المثل الأخرى التي ضربها في الأمانة والعفة الجند الفاتحون ، قال : إن أقواما أدوا هذا لنور أمانة ، فقال له علي بن أبي طالب : إنك عفت فعمفت الرعية !

رضى الله عن هؤلاء الأبطال المجاهدين ، الذي جمعوا كل خلق جميل ، وضربروا الناس جميعا أدوع المثل في كل ما هو محمود ؟

(الحديث موصول إن شاء الله تعالى)

الدكتور محمد يوسف موسى

نفاية القرآن

من عبد الله الإسلام

بيان الجزاء قبل المحاسبة

للأستاذ عبد الطيف السبكي

وهذا البيان يكون الله جميل للإنسان شاماً
حرية بالتقدير والاختيار ، إذ وضع له نظام
المحاسبة فيما له وما عليه ، ولم يجعله في مستوى
غيره من دواب الأرض .

وهذا البيان أيضاً يكون التفاضل بين
الناس ميزاناً لأقدارهم ، وتحديداً لمنازلهم ،
وهذا هو العدل الذي رضى الله فيصلا بينه
وبين خلقه ، وهو القسط الذي شرعه
للعباد فيما بينهم فأسيا بسطة فيهم ، واقتباساً
من توجهاته لهم .

وكان مما حفل به القرآن في هذا قوله سبحانه :
« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن
جاء بالسئنة فلا يجزى إلا مثلاً ،
فأله يوقف حسنة من صفاته ، ويرثق له
العهد من جانبه بأن له عند ربه من كل حسنة
بأتمها في دينه ، أو في شأن من شؤون الدنيا
جزاء طيباً : عشر حسنات .

وهذا عهد سبق في جملة اسمية ، تؤذن

١ — من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
ب — ومن جاء بالسئنة فلا يجزى
إلا مثلاً ، ومن لا يظلمون .

لو أن الله بسط علينا تكليفه ولم ينصح
نسا عن جزاء نستوجبه بعد - لوجب أن
نؤمن ونرضى ، ونقول : بيده الأمر وله أن
يفعل بنا ما يشاء من عذاب أو مغفرة .
ولكن الله أحسن من أن يكون ذا سلطان
دون رحمة ، وأكرم من أن يكون آمراً لنا
دون عون من جانبه وتيسير .

وقد جعل من تكريمه للإنسان أن يتبسط
في هدايته ببيان الخير والشر ، وأن يفرض
على نفسه تعالى جزاء طيباً لعبده إذا ما أحسن
كما أنه يثأر لسلطانه من أساء .

وكان من بره بعبده أن يكشفه بأن الجزاء
الحسن لا يقف عند غاية قريبة ، كما كان من
لفظه ألا يدفع بالمسيء بعيداً عن تكريمه
ورفقه حتى مع إساءته .

وعجيب من الإنسان أن يتلق هذا ، وأن يرى بعينه في غير خفاء مصداقه في الحبة والسبع السنايل ، ثم لا ينشط إلى هذا الربح الكثير ولو بالعمل اليسير .

كان الإنسان قد بلغت به الأنانية أن يطمع في الثواب مضاعفا دون بذل من عمله ولو قليلا ، وما هكذا سنة الله في التبادل وفي الأخذ والعطاء ، وفي استحقاق ما عنده من فضل .

ولا يستقيم في تقدير العقل الذي وكلنا الله إلى الاهتداء به أن يكون حصاد بلا غرس ، أو كسب بلا مجادة .

مع أن الإنسان قد أصلى من نفسه كثيرا لدنياه ، وأخذ منها ما أخذ ، قليلا أو كثيرا ، غير أنه لم يصر حلالها من حرامها ، ولم يعدل مع نفسه في شأن أخراه ، فاضطرب سيره ، وكان دائما في غير اعتدال .

واقه تعالى لم يخل عليه بنمائه لامع عصيانه ولا مع كفره ، وهى إن لم تكن تكريما له حيث قد فهمى حبة عليه ، ونطويق له . ولقد اقترن الوعد الكريم في جانب الحسنات بإنذار رجم في جانب السيئات ، فلم يمد الله يد البطش إلى عبده حين لا يفعل الخير كما بسط له يد الرحمة من قبل ، بل قابل صفيحه السيئ بمثله من جزاء دون زيادة ، حتى ذكر الله ذلك في عبارة حاضرة : ومن جاء بالسبئية فلا يجزى إلا مثله . .

بتأكد جوابها ، إذا وقع مقدمها ، فكيف إذا كان سياق ذلك العهد من لا يختلف رعبه - سبحانه ؟ .

هذه مشاركة انصفت بين الأعلى وهو الداعي ، أو هو الموجب ، وبين الأدنى ، وهو المدعو . فإذا - وهى ما للجانب الأول - جانب الداعي - من سمو لحسبنا بهذا بل يعض هذا كفاية من الضمان والاطمئنان ، والترغيب في الإقبال على الوفاء من أهون الجانبين مع أعراس الجانبين ، وفيه المثل الأعلى .

على أن الله تعالى لم يقف بوعده عند ضرر الحسنات فقط ، بل بسط لدينا طريق الرجاء الحق ، حتى وصل بنا إلى سبعة ضعف ، وضرب لنا المثل الذي نحسه ، ولا ترتاب فيه فقال : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة » فهذه حبة أنبتت سبعا ، في مائة ، وليس ذلك مما يشكركه تقديرنا من فيض الله ، بل تجاوز فضل الله ذلك التقدير فقال : واقه بضاعته لمن يشاء ، واقه واسع عليم ، وهذه الكثرة مكررة في غير مقام من آيات الله .

وفي هذا استنهاض للعبد أن يتدارك نفسه وألا يجهل مصيره ، حتى لا ينفق حياته فيما لا يجديها إلا تقلبا في دنياه ، وتشاغلا بألوان زمانه .

والإساءة غير متجاوزة مداها ، في العقوبة
وقد نكتب حسنة إذا انصرف عنها من كان
على نية فعلها .

هذه عدالة اقترن بها لطف وكرم شملت
خلق الله ، حتى المشرفين فيهم ؛ فقد ذكر الله
في الكتاب غير مرة أنه لا يظلم الناس مثقال
ذرة ، وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت
من لذه أجرأ عظيما ...

ولكن كيف تصور الإحسان في الآخرة
إلى من كفر بالله في دنياه ؟

كيف وقد هدده القرآن بآيات العذاب
والخلود فيه ؟ وبأن ماله من عمل طيب
هنا يكون هناك هباء منثوراً ؟ ذلك إشكال ؛
ولكنه إشكال يبدده شيء مرسوم أمامنا
في القرآن ...

فالنار دركات ولها سبعة أبواب ، ولكل
باب من أهل النار جزء مقسوم . والعذاب
في النار لا يكون من درجة واحدة ،
بل هو دركات كما أن نعيم الجنة ليس سواء
بين جميع من قسمت لهم الجنة .

وهذا ما اقتضاه شأن ربك ، وشهدت له
الآيات ...

فصاحب الطيبات والمبرات من غير
المؤمنين يكون في حالة أخف من سواء ،
وعدل الله يأني أن يكون أبو لهب وأبو جهل
مثلا في جانب أبي طالب ، فهؤلاء جميعاً

فجبال الأمل في الزيادة مفتوح في باب الخير ،
والخوف الذي يشابه من زيادة العقوبة
مدفوع ومأمون بهذا النفي الحاصر . فانظر
كيف يصاغ الوعد الكريم في عبارات
مضغاضة ، وكيف يصاغ الوعيد المخيف
في عبارة محدودة ؟ وهذا لون من ألوان
الفنل بجله العقل حينما يدركه .

وإذا كانت للحسنين درجات مستحقة
بعملهم ، ودرجات تمنح لهم فضلا من ربهم
لجميعها صارت حقاً لهم في تقدير الله ،
وتفاضلهم ما بين عشر حسنات إلى ما هو
أكثر من سبعمائة إنما هو بحسب تفاوتهم
في صدق النية ونجوى موضع البر ، وأهمية
الأثر المترتب على العمل ، وما هناك من
دوافع خفية ، ومن مأرب يعلها الله وحده .

وعلى أي حال فأعلمهم حظاً صاحب العشر
حسنات ، ولا حرج على منازلهم ألا يكونوا
في وضع واحد ، ولكل درجت بما عملوا ،
وتفاوت المسيئين ليس لزيادة في العقوبة
من جانب الله ، بل لتفاوتهم أنفسهم ، في قبح
مسأوتهم وبشاعة خطاياهم ، والله تعالى
قد طمأن الجانبين على ما أوضحه من تحديد
في الجزاء فقال في نهاية الآية : وهم
لا يظلمون . .

فالإحسان إلى تساعد في الجزاء الحسن
دون حرمان .

في كتابه على نخط واحد ، ولا ليرة الواحدة ، بل صاغها في عبارات أخاذة ، ورددها في أساليب رائعة لا يعلمها لسان ناطق ، ولا تسامها أذن وأعية ، وخلدها في كتابه فبقيت على روعتها وقوتها منذ تلقاها سماعا وكلمها ترتيلا محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، وستظل على شأنها هذا إلى أن تدخل الدنيا بعوالمها في عالم سوى هذا كله .

آية الموضوع تعتبر قولا فصلا عما عاهد الله به عبادته ، وتعتبر بعد أن سبقها ما سبقها تمهيدا لما بعدها من آيات جاءت من مقاطع الكلام .

الأولى : « قل إني هادي ربي إلى صراط مستقيم : ديننا قيا ، ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، فها مجاهرة من محمد لقومه ولناس بأن الله هداه بوجهه ونشر به إلى الدين المستقيم الموصل إلى الإيمان الحق والعمل الحق والنجاح المنشود ، فهو دين إبراهيم الذي يؤمن به ولا يعلم فيه أولئك المخالفون المتهاقنون على سب إبراهيم من حرب ومن يهود ونصارى .

الثانية : « قل إن صلاتي ونفسي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

مقتضى ما تقرر من حقيقة ديني أن تكون عباداتي وأعمالي في الحياة وما يتصل منها بالمات كلها خالصة لوجه الله وحده لا شريك له

لم يؤمنوا ، وحكم الله فيهم واضح ولكن أبا طالب آذرتني وكفله ؛ وذبح عنه ، وأبو لهب وأمته آذوه وآذوه ، فهل يكون الموقف هناك سواء ؟ على أن ذلك التفاوت لا يؤذن مطلقا بهوان العذاب على الكافرين مهما يكن ، وإنما هو تفاوت نسبي فيما بينهم ليؤمنوا وقد فاتهم الآوان بأن الله حقق وعده ووعيدته ، وأنه بعلمه حكم بين العباد .

هذا هو القسطاس الذي تهدي إليه الفطرة ويشهده التزليل ، وإن كلالا ليوفينهم ربك أعمالهم ، إنه بما يعملون خبير .

وهذه كلها توجيهات من الله إلى ما يناط بنا من تكاليف ، وما يطلب إلينا من سياسة أنفسنا شعوبا وحكومات وأفرادا وجماعات ، وآخذين ومعطيين ، وأتباعا ومتبوعين ، فأبقيت لنا بعد ذلك من حاجة إلى بيان ١ ولم يبق إلا أن نرى وأن نأخذ أنفسنا بما وجه إلينا .

وما نكاد نجد تملا في الأمر ولا بعدا عما نقده من هذالة واحتمال في أمر ، وإنما هو اقتناع وإقبال على ما دعينا إليه ، والسبيل معبدة ، والمهجة واضحة ، والأهداف كريمة مضمونة .

ولأن هذه السبيل أظلت قديما في وجه أناس ، وربما بقيت على ظلالها في وجوه آخرين ، شاعت رحمة الله ألا تكون الموصلة

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة
ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر
هذا وقد عرضت الآية الأخيرة للقربات
التي يعملها مسلم ويهبها لمسلم متوفى وهل يتفق
أن يوجب عمل لغيري مع أن الآية صرح
بأن كل ما كسبه نفس فهو عليها لا يحمله
غيرها ، ولا يكون للإنسان إلا ما سعى .

وقد أقاض فيه المفسرون قديما وحديثا .
والذي لا شك فيه أن عمل الأبناء ودعاءهم
مقبول لأبويهم ، وأن الصدقات يصح أن
يوجب ثوابها لأي مسلم ولو غيب قريب ،
وكذا النساء .

وأما القراءة والتواغل وجعلها من الأجني
للأجنبي عنه ، فهي عند الباحثين ، بين نفي
وإثبات ، إذ لم يرد في هذه الأخيرة دليل
قاطع ، وربما كان الأمر بحاجة إلى الاقتصاد
في هذه التوسعات ، والله يهدينا إلى
سواء السبيل ؟

هبة اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء
وأستاذ في كلية الشريعة

كما أمرت بذلك واقتضت به ، وأنا أول
مستجيب من المسلمين .

الثالثة : « قل أغير الله أبني ربا ، وهو
رب كل شيء » .

يعنى : إذا استقر الأمر على أن ديني هو
الحق ، وأن عمل كل من غيري الحق ، فكيف أعدل
عن ربي الواحد إلى غيره فأغضبه ربا وهو باطل
مهما جعلتموه .

تدهونني يا كعاد قريش إلى متابعتكم في
أرباب باطلة ، وتزعمون أنكم تتحملون حتى
ما أرتكب ، مع أن كل نفس تحمل مسئوليتها ،
وكسبها لا يكون محسوبا على سواها ، فكله
مكتوب في صحائفها ولا يعقل أن يرتكب
الوزر إنسان ثم يحمله عنه في الآخرة إنسان
غيره ! هذه مزاعم شيطانية ، وتخريفات
جنونية ، فكيف أستجيب لها ، وأعدل
عن صراطى المستقيم ؟ كل نفس بما كسبت
رهينة ، وكلنا راجعون إلى ربنا الحق ، وسيعلم
الذين ظلموا أى منقلب يتقلبون .

هذه معالم شاخصة ، وهي بيئة الهدى لمن
اهتدى ، ومن أغضض عينه عن ضوئها فلن
يضيئ إلا نفسه ، وسيزل قدمه في ظلمة جهله
ويبقى نور الله لا يطعمه ضلال المخالفين :

السيد جمال الدين الأفغاني

للاستاذ أحمد عبد الجبار الدوي

استكثر رئيس القراء - أي كبير الأئمة - باللغة الحديثة - على السيد جمال الدين الأفغاني أن يلعب بحبات سبخته في حضرة السلطان عبد الحميد .

فلما خرج من ضده أخذ رئيس القراء يوقب جمال الدين على ما ارتكبه من جرم واقعه من إثم .

وابتم جمال الدين وقال كلمته :
« السلطان عبد الحميد يلعب بمقدرات الشعوب ويتصرف في الملايين كيف يشاء ، وجمال الدين لا يتصرف ولا يلعب بحبات سبخته » .

هذه القصة القصيرة من ورائها معان غريبة ، ومدلولات كثيرة .

وجمال الدين كن مثلاً للأحرار ، وقوة للصالحين ، وقوة في المجد ، وصوتا مدويا للحق . . . ولكنه مع هذا كله لا يساح له أن يحرك حبات سبخته في الحضرة السلطانية ،

وأمام العظمة التي يجب لها التقديس والإجلال . ١ .

وكان ابتسام جمال الدين نوعا من السخرية التي يرسلها الرجل الحر ، لتعبر عن احتقاره واشتمازه من التصرف البعيد عن السداد ، الغريب عن أودية العقل والفضيلة والرشاد . وبقدر ما في هذه البسمة من تنفيع عن صاحبها ، يكون فيها كذلك إعاطة وبأنيب خفي للذي توجه إليه ، وتصيب عليه .

وإذا كان جمال الدين يعاتب على تحريك حبات سبخته ، فكيف إذا كان يعامل الأفراد العاديين في طول هذه السلطنة وعرضها . ١١ .

كيف إذا كانت تحيا هذه الملايين العديدة في مصر وفي الشام وفي الآستانة وفي بقية هذه الولايات المتناثرة المترامية الأطراف الدانية القطوف .

لقد كانت ركابا من البشرية يتحرك بإرادة السلطان ، ويسكن بإرادة السلطان ، ومن حول

ووجد الكواكي نفسه وجها لوجه أمام هذه العاصفة الهوجاء فما طأطأ رأسه ترقى، وما سد بابه أمام الريح ليستريح .

بل جمع رجال حلب وبث فيهم روح الحقد ، الحقد المقدس على أى ظالم مهما كان قدوره ولو كان والى حلب ، والممثل لسلطان الأعظم عبد الحميد .

إنها الطبيعة الأصلية المريضة التي تغلب صاحبها لو أراد الانحراف عنها ، أو الميل عن اتجاهها .

وثار عاروف باشا وطلب محاكمة الكواكي ، ورحب الكواكي بهذه المحاكمة بشرط أن تكون بعيدة عن سلطته . . وتمت المحاكمة في بيروت ، وظهرت البراءة الناصعة ، لأنه كان يقاوم الله ، ويدفع الحق ، ويتصر للضعيف .

• • •

كل عظيم فيه نقطة ضعف أو أكثر ، فالعصمة للأنبياء والمرسلين . . وبحسب عن نقط الضعف في الكواكي فأصيانى أمره وأهزأتى البحث فيه . . ومع ذلك فبحر الأجداد الصادقة قد طنى على هذه النقاط حتى جعلها لا تنكاد تظهر ولا تنكاد تستبين . لقد كان عميق الفكرة ، فارس النظرة ، حاد العاطفة ، نادر الخلق ، قوى الإيمان ، متحركا نشيطا ، لا يهاب ولا يخاف .

السلطان حاشية فاسدة تزين له الظلم ، وتسول له الشر ، ونحول بينه وبين الرعية بكل حجاب صفيق وسدود كثاف .

في هذا الجو الخافت ، ووسط هذه السحب والغيوم نشأ السيد عبد الرحمن الكواكي من بيت عزيز كريم في حلب ، تسنده أصالة النسب ، وتزيده عراقة العز والجاه والمال . ولقد اتمتع الكواكي بهذه الأصالة وتلك العراقة في جميع مراحل حياته ، فحاش خافض الجناح ، متواضع الخلق ، سمح الوجه واليد للضعفاء والمساكين ، وفي الوقت ذاته يملؤه الشموخ والعناد ، ويدفعه الشم والإباء إلى مقاومة ملغيان السادة ، وصلف الكبراء . وهذا طبع نادر وقليل .

قلت طبع نادر وقليل ، لأن السجية الغالبة في الناس أنهم يعكفون لإرضاء السادة ، ويستذلون الأقل منهم .

فأما الكواكي فكان يعادى أصحاب البطش ، ويقاوم من يملكون البغي والظلم والصف والجبروت ، في ثبات قلب ، ورباطة جأش .

هذا هو عاروف باشا والى حلب ، يأتيه بالسلطان عبد الحميد فيظلم ، ويأتيه به فيتهك الحرمات ، ويتأسى بأفعاله فيبغى ويحجور ، والرعية عاتقة ، تغل دماؤها وعروقها ، ولكن أين اللسان الناطق ، والمخافة المعبرة ، والرجل الجرى . ؟

من هذه المقالات والأفكار تكون كتاب الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارح الاستعباد ، ، ويقول المؤلف في بقية اسم الكتاب : وهي كتابات حق وصيحة في واد ، إن ذهب اليوم مع الريح ، لقد ذهب غداً بالأوتاد ١ .

وكتاب ، طبائع الاستبداد ، ليس كتاباً كبيراً ، إن صفحاته لا تتعدى المائة والخمسين ، وإن أسلوبه ليس فريداً ، ولكنه مع ذلك كتاب يطوف بك في آفاق واسعة ، وتجارب متنوعة ، ورحلات عليية مختلفة ... وأغلب الظن أنك لا تنزع بقراءته مرة أو مرتين ١ . ولو طهرنا الظسروف التي طهرها الكواكبي ، لعرفنا الصعوبة التي قلصها ، وهو يخرج لنا هذا الكتاب ١ .

يقول الكواكبي في الصفحات الأولى من كتابه :

« الاستبداد لغة : هو اقتصار المرء على رأى نفسه فيما ينبغي المشاورة فيه ١ ويراد بالاستبداد عند إطلاعه استبداد الحكومات ١١ وفي اصطلاح السياسيين : هو تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بلا خوف تبعه ١ . » وكان استبداد السلطان عبد الحميد شديد القسوة ، عظيم الفتك ، وهذا ما جعل الكواكبي يتحقق في أوصل المستبد حتى يقول في صفحة ١٣ من كتابه :

وهذه الصفات الأصلية طادت عليه هو بالجد العريض ، والذكر الخالد ، وعادت على أمته بالآثر الحسن ، والذكرى الطيبة ١١ فقد دلت التجربة على أن الشرق غاص بالمخامات الصالحة والمتساجم الكامنة ، وكل الذي ينقصه القادة المرحكون ، والرعاة المصلحون .

فإذا وجد القائد ، وتوحد اللواء ، وصلحت الزمامة ، وجدت الأمة التي تزلزل السكيان ، ونمصف بالأحداث ، وتقاوم الطغيان .

ولذلك حين حرك الكواكبي شعب ، حلب ، صد والبها ، اهتز كرسى الوالي ، وتغلغل عرش السلطان .

ولو وجد اليوم في العراق ، كواكبي ، تتوحد حوله للقيادة ، ويرفع يده اللواء ، لدايت هذه الطغمة الطالمة ، في ساجات قليلة ، وزمان محدود .

• • •

كانت « الشهاب » ، هي جريمة الكواكبي ، الناطقة باسمه ، والمعبرة عن آرائه وأفكاره . ولكن هذه الجريمة لم تكن وحدها كافية لبث هذه الأفكار الجريئة ، والمقالات الساخنة ، فكان يكتب في غيرها من الجرائد والمجلات كتاباً تزلزل أقدام الظلام ، وتملأ قلوب المؤمنين بالبرد والسلام .

« ملكة سبأ من عرب تبع تخاطب قومها :
« يا أيها الملك أفترى في أمري ، ما كنت
قاطعة أمرا حتى تشهدون . فهذه القصة تعلم
كيف ينبغي أن يستشير الملك الملاك ، وأن
لا يقطعوا أمرا إلا برأيهم ، وأن تحفظ
القوة والبأس في الرعية ، وأن يخصص
الملك بالتنفيذ . »

واستطرد المؤلف في ذلك فذكر مواقف
مختلفة تنهى فيها الأديان الصحيحة عن أى
مظهر للاستبداد ، أو أى أثر من آثاره !
وينقل بك المؤلف في كتابه إلى فصول
هامة : الاستبداد والعلم ، الاستبداد والمجد ،
الاستبداد والمال ، الاستبداد والزينة ،
الاستبداد والترقى ، وهكذا .

وفي كل فصل يسبح بك في أفكاره ويقفز
بك إلى عالم من الصديق والحقيقة .
ونقرأ له هذه الحاضرة :

« المستبد في لحظة جلوسه على عرشه . . .
يرى نفسه كأن إنسانا فصار إلما ، ثم يرجع
النظر فيرى نفسه في نفس الأمر أعجز من كل
عاجز ، وأنه ما نال ما نال إلا بواسطة من حوله
من الأهلان . ثم يلتفت إلى جماهير الرعية
المتفرجين فيرام مسحورين مبهوتين كأنهم
أموات من حين ، وعندئذ يرجع المستبد
إلى نفسه قائلا : الأهلان . الأهلان ،
أسلمهم القيادة ، وأزودهم بجيش من الأوغاد ،

« المستبد يتحكم في شئون الناس بإرادته
لا بإرادتهم ، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم .
ويعلم من نفسه أنه الغاصب المتعدي ، فيضع
كعب رجله على أفواه الملايين من الناس ،
يسدها عن النطق بالحق والتداعي لمطالبته !
المستبد عدو الحق وعدو الحرية وقاتلها ،
والحق أبو البشر ، والحرية أهم ... المستبد
يود أن تكون رعيته كالغنم حدا وطاعة ،
وكالكلاب تذلا وتملقا . . . »

وأكبر ظنى أنه لو عاش الكواكبي إلى
اليوم ورأى ماذا يصير في العراق لآضاف
إلى قائمة هذه التعاريف ، تعاريف وحدودا
أخرى ، لم تكن تخطر له على بال ...

ثم انتقل الكواكبي إلى موضوع خطير
ودقيق ، فهل هناك علاقة بين الاستبداد
والدين كما يقول علماء الإفرنج ؟ فرجل
الدين يتحكم في عالم القلوب والأرواح ،
ورجل الحكم يتحكم في مملكة الأجسام .

وأفاض الكواكبي في بيان المشاكلة بين
الاستبداديين ، وتوضيح شبهات الغربيين .
ثم يرد هذه الشبه كلها ويدحضها في قوة حجة
وبلاغة منطق وترادف استنباط .

ولنستمع إليه وهو يقول في ص ٢٢ :
« وهذا القرآن الكريم مشحون بمآلیم
إمارة الاستبداد وإحياء العدل والتساوى ،
حتى في القصص منه ، ومن جملة قول بنقيس

ولألمة العربية فقط ، بل عاش كذلك لعقيدته المسلة ، وبمحوته الإسلامية الكبيرة ! ولقد برز لنا هذا بوضوح في كتابه الثاني « أم القرى » .

وأم ما في هذا المؤلف أنه طواف سريع بالأم الإسلامية وشعوبها الضعيفة المقهورة ، وتقديم الدواء النافع لها .

فلقد صور لنا الكواكبي اجتماع مؤتمر علم تسليين في مكة . وكل أعضاء هذا المؤتمر يمثلون البلاد الإسلامية على شتى أوطانها واختلاف لغاتها ، فاجتمع المدني مع الشامي والمكي مع التونسي ، والفارسي والمصري مع المقدسي ، والبيشي مع البصري ، والتجدي مع التركي ، والأفغاني والهندي وهكذا .

وطريقة الحوار التي صورها لنا الكواكبي طريقة غاية في الإبداع والابتكار ، فكان ينطق أشخاص روايت بما يناسب بلدهم ويشتم التي عاشوا فيها . فثلا يتكلم الشامي عن أسباب الفتور بين المسلمين فيرجعها إلى العقيدة الجبرية التي تؤدي إلى الكفاف من الرزق وإماتة المطالب النفسية وزعامة الجند والرياسة ، ويتكلم المكي أو التجدي عن أسباب ضعف المسلمين فيرجعها إلى الحرافات التي دخلت في الإسلام والبدع والأهواء التي استحوذت عليه . ويتكلم المدني عن هذه

وأحارب بهم هؤلاء الأجماد ، وبغير هذا الحزم لا يذوم استبداد ولا استبداد .

وبعد أن انتهى الكواكبي من فصوله التي صور فيها طبائع الاستبداد ، لاح له على حد تعبيرة أن يرشد قومه ويقف فيهم خطيباً ، فقال لهم :

« يا قوم : أنتم بعيدون عن مفاخر الإبداع وشرف القدوة ، مبتلون بدهاء التقليد والتبعية في كل فكر وعمل ، وبداء الحرص على كل حقيق ، فلماذا تقلدون أجدادكم في الحرافات والأموال السافلات ، ولا تقلدوهم في عبادهم ؟
 أين الدين ، أين الشريعة . أين الإحساس .
 أين الغيرة . أين الجسارة . أين الثبات .
 أين الزايلة . أين المنعة . أين الشهامة .
 أين النخوة . أين الفضيلة . أين المواساة .
 هل نسمعون أم أنتم نائمون ؟ »

يا قوم إلى متى هذا النوم ؟ وإلى متى هذا التغلب على فراش البؤس ووسادة اليأس . يا قوم : قائل الله العباوة فإنها تملأ القلوب وهما من لا شيء ، وخوفاً من كل شيء . ١ .

ولقد طالت خطبة الكواكبي وتوجيهاته ، حتى بلغت العشرين أو الثلاثين من صفحات الكتاب . وأشهد أنه كان يصور أدواء الأمة العربية تصويراً دقيقاً وبلغاً بأسلوب حكيم ، وجرأة عديمة المثال .

والكواكبي لم يش لنفسه ، ولا لأهل حلب ،

نقوله : إن هذه الكلمات وتلك الصيحة لم تذهب مع الريح وإنما ذهبت فعلا بأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثرُوا فيها الفساد . فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك ليالمصاد .

فأين السلطان عبد الحيد وأين الخديوي عباس وأين من بعدهم من خديوات وملوك ؟ وأين طرف باشا الذي حاكم الكواكي ، وأين أبو الهدى الصيادي ؟ أين السلاطين وأصحاب العروش ؟ أين الظلة والسفاكون ؟ لقد ذهبوا جميعا ونثرنا على قبورهم الرماد ، أما الكواكي فما هي ذكراه تبعث في قلوبنا الأمل ، وتقوى في نفوسنا الرجاء ، وتأخذ بأيدينا إلى العزة والسؤدد والمجد والخلود . ولئن مات الكواكي موته طبيعية أو بسبب تخريب من الأيدي الحاكمة الآثمة أو بسبب الأكله التي أكلها مع الخسديو عباس بالإسكندرية كما يذكر ذلك بعض المؤرخين فإن هذا كله لا يهتنا ولا يعنيننا .

إن الذي يعنيننا هنا هو ذلك التاريخ الشاخ والآخر الخالد الذي تركه الكواكي لمن بعده .

لقد تمكن الحكام حين ذاك من تعطيل صحيفته الثبائمي من كتب ألقاه بعض الشيء ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يمنحوا صرخته أن تلف الآفاق وتدوى في القلوب وأن تعمل عملها ولو بعد حين ١١ .

الأسباب نفسها فيرجعها إلى تدليس رجال الدين والغلاة من المتصوفين .

وللقدسى والأفغانى والمهندى والتبريزى وغيرهم من المجتمعين أسباب أخرى لفقور والضعف الذين يشملان المسلمين ، وأهم هذه الأسباب ترك المسلمين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحايل على التحرر من الواجبات وانتشار الدجل والخرافات . وكذلك كان من الأسباب التي أدت إلى ضعف الأمة الإسلامية فقدانهم الحرية والكرامة وتوالي المصائب عليهم من كل صوب وحطب ، وفساد التعليم والإخلاق إلى الخلود والراحة والجن في المطالبة بالحقوق العامة والغفلة عن تنظيم شئون الحياة . الخ . ثم قدم الكواكي أنجح دواء ، وأحسن علاج ، وإذا كنت تخرج من طبائع الاستبداد وأنت تاتر النفس قاتر الدم هائج العاطفة ، فأنت كذلك تخرج من أم القرى متحفز الهمة واسع التجربة عظيم الرجل .

ولولا ضيق المجال لوسعنا قليلا في الكتابة عن أم القرى ووفينا هذا الكتاب بعض حقه علينا .

والذي نريد أن نقوله باطمئنان : إن عبارة الكواكي التي يقول فيها : وهي كلمات حق وصيحة في واد ، إن ذهبت يوما مع الريح لقد تذهب غداً بالأوتاد . . لنرى نريد أن

الإصلاح التي كان ينادى بها جمال الدين
والشيخ محمد عبده .

وفي مساء الخميس ١٤ من يولية سنة ١٩٠٣
فارق الكواكبي الحياة ، وسافر إلى الآخرة
بعد أن سافر إلى جلة بلاد ، وطاف بعدة
شعوب ١١ .

ويذهب الناهيون اليوم إلى باب الوزير
بالقاهرة ليجدوا قبراً صغيراً قد ضم رجلاً
كبيراً وعلى هذا القبر الصغير بيتان من الشعر
كتبهما حافظ ابراهيم .

هنا رجل الدنيا هنا مهبط النفي
هنا خير مظلوم هنا خير كاتب
قفوا واقروا أم الكتاب وسلوا
عليه ، فهذا القبر قبر الكواكبي
رحم الله الكواكبي رحمة واسعة ، وألحقناه
في الصالحين .

أحمد عبد الجواد الرومي

إن الوظائف الحكومية ضاقت بالكواكبي
فلم يبق لها ، ولم يحرص على التفرغ في تراها
الميرى ، بل تركها إلى التجارة ، وبذلك
أعطى الحكومات الظالمة درساً مريراً ، فالحر
من الرجال لا تستبدد المناصب ، ولا تستنه
الطامع .

وإن والى حلب قد ضاقت ذرعاً بالكواكبي
فقال له الكواكبي : ليس للأحرار وطن
معين ، ولا أرض مضمونة . إن حلب قطعة
من الأمة العربية ، والوطن العربي كل لا يتجزأ
وتظاهر بأنه ذاهب إلى استامبول... وعندما
وصل إلى أرض الكتانة - مصر الحبيبة -
وجد فيها راحة قلبه ، وسلامة نفسه ونجوى
فؤاده ، ورحب بالبقاء فيها ، فرحب به
أحباؤه وأشقائه المصريون .

وحاش الكواكبي طامع في مصر ، يراقب
فيها أحداث الأمة ، ويتجاوب مع حركات

العرب

مُ قوسى ، وم أصل	وم نسي إذا أنسب
وم جدى ، وم شرق	وم حتى إذا أرمب
وم رعى وم تروى	وم سنى إذا أهضب

ابن مضاء و تحرير النحو

للاستاذ على العمّار

حذراً ، وأن يتجمع بما كتبه هذان العالمان الجليلان .

ولكن المؤسف حقاً أن التجربة أصبحت للرة الثالثة ، فظهرت نظريات ابن مضاء في كتابين اعتمدتهما وزارة التربية والتعليم ، ولكي نضع الدليل أمام القارئ فلنخص آراء ابن مضاء ، ونحيله بعد ذلك على الكتابين اللذين أشرت إليهما ليرى ما رأينا ، ويتعجب كما تعجبنا .

خالف ابن مضاء على التحوير في هذه المسائل :

١ — أنكر العامل ، وكثيراً من المسائل التي ترتب عليه .

٢ — رأى إلغاء متعلق الجار والمجرور .

٣ — أخذ على النحويين ما يروونه من استنار الضمائر في المشتقات التي لا ترفع الاسم الظاهر .

٤ — وأخذ عليهم كذلك قولهم باستنار الضمير في الفعل في نحو محمد كتب

وكل هذه الآراء تجددها ، ونجدد أثرها في الكتابين اللذين تناقشنا في هذه البحوث ، ولاكتف بمثل واحد ، وأترك بقية

الأمثلة لموضعها من رد العالمين الأزهرين الكبيرين .

منذ ظهر كتاب ابن مضاء القرطبي (الرد على النحاة) بل منذ أن عرف ، وبعض الأعلام ترسم خطاه ، وتهل من معينه ، وتأخذ قضاياه مسلة ، لاشبة فيها ، وكان الإخلاص للمعلم يقضى بأن ينعم الناظر بالبحث ، ويبطل النظر ، ويستعين بغيره ، لا يرى في ذلك قبيصة .

وقد ظهر ابن مضاء القرطبي مرتين قبل ظهوره في كتاب تحرير النحو ، وصنوه النحو المنهجي ، ظهر في كتاب (إحياء النحو) فتناوله أستاذ كبير من أساتذة الأزهر هو الشيخ محمد عوف بالدراسة والتحصيل ، ورد نظرياته رداً علياً دقيقاً ، في كتاب أخرجه هو (كتاب النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة) .

وظهر الكتاب نفسه (نشره أحد مدرسي كلية الآداب بجامعة القاهرة) وصدره بمقدمة طويلة ضمنها آراء ابن مضاء ، وقد تناول الكتاب والمقدمة أستاذ كبير من أساتذة الأزهر في بحوث نشرتها مجلة الأزهر منذ عشر سنوات .

وكان على كل باحث بعد ذلك يريد أن يأخذ من ابن مضاء أن يكون يقظاً

ووضعها القنوى لا يحتاج إلى هذا التقدير ، وقوله : « ولا شك أن هذا كله (زيد في الدار) كلام تام مركب من اسمين دالين على معنيين بينهما نسبة ، وتلك النسبة دلت عليها (في) ولا حاجة إلى غير ذلك ، وقوله : « وهذا كله كلام تام لا يفتقر السامع له إلى زيادة كائن ، ولا مستقر ، وإذا بطل العامل والعمل فلا شبهة تبقى لمن يدعى هذا الإضمار . » ونلاحظ أن المؤلف خلط بين أمرين ، بين صحة أن يعتبر الظرف أو الجار والمجرور خبراً ، وبين ضرورة أن يلاحظ المتعلق حتى يصح المعنى ، وزعمه أن الكلام تام دون ملاحظة المتعلق إنكار للبدعي ، ذلك :

١ - لأن الخبر حكم على المبتدأ ، وهو صفة معنوية له فبأي شيء حكمنا على زيد في قولنا زيد في الدار ؟ هل حكمنا عليه (بنى) أو حكمنا عليه (بالدار) ؟ واضح أن واحداً منهما لا يصلح حكماً . إذن لا بد أن يكون الحكم غيرهما ، ولا شيء إلا المتعلق ، إذ لا يصح أن نكون من شيئين لا يصلح واحد منهما حكماً ولا يصح أن يكون مجموعهما حكماً ؛ لأن هذا المجموع لم يخلط خطأ كيلاً بما حتى يكون صفة تصلح أن يحكم بها على المسند إليه .

٢ - وجدنا أن الجار والمجرور والظرف كثيراً ما يذكر معهما ما يصد متعلقاً لها ، تقول صليت في المسجد ومكثت عند أخي

رأت اللجنة التي ألفتها وزارة المعارف (التثنية والتعليم) أن المتعلق الصام الجار والمجرور لا يقدر ، وأن المحمول في مثل عندك أو في الدار هو الظرف ، أما المتعلق الخاص فهو كما قرر النحاة ، المتعلق هو المحمول ، والظرف تكملة ، وحين راجع المجمع القنوى هذا القرار قال ما نصه : « يجب إرشاد المبتدئين إلى أن المتعلق العام الظرف والجار والمجرور في نحو زيد في الدار وزيد عندك محذوف ، وإن كانوا لا يكلفون كل مرة تقديره عند الإعراب ، بل يقبل منهم تخفيفاً عنهم أن يقولوا في إعراب زيد في الدار : - في الدار جار ومجرور مستند . » وعلى الرغم من رأى لجنة الوزارة ، وقرار المجمع ، ومن قبل ذلك كلام جبهة النحاة ، نرى أصحاب تحرير النحو يسرون على أنه لا متعلق للجار والمجرور ولا للظرف فيقولون في (قد الأمر) الأمر محدث عنه و (الجار والمجرور) هو المتحدث به ، وفي (الجنة) تحت أقدام الأمهات (الجنة) محدث عنه ، و (تحت ...) ظرف متحدث به .

ويحتج صاحب النحو المنهجي لهذا الصنيع بأن الكلام - في الحقيقة - مستغن عن المتعلق ، وأنه بدون ملاحظته كلام تام ، فما جاء في الكتاب قوله : « وبالرجوع إلى الأساليب العربية التي من هذا النحو نجد أن فهمها بلفظها

شيئا ، فقد كان ينبغي أن يعرف ذلك ابن مضاء ويتابعهم إذا شاء ويمرض عن رأى الآخر ، والذين قدروا دفعوا إلى هذا بما ساقهم إليه النظر في الكلام العربي ، فقد وقفوا على قول كثير حزة :

فإن بك جنائى بأرض سواكم
فإن قوادى عندك الدهر أجمع
إذا قلت : هذا حين أسلو ذكركها

فقلت لها نفس تنوق وتزع
فيرى أن أجمع توكيد مرفوع ، وليس في الكلام المنطوق ما يصلح أن يكون متبوعا لهذا التوكيد فكان أن ذهب النحاة - بحق - إلى أن الأصل « كائن عندك » وفي كائن ضمير مرفوع انتقل إلى الظرف حين حذف الوصف ، وجاء توكيد هذا الضمير مرفوعا على نسقه ، وحق لم بعد هذا أن يروا أن العربى ينوى متعلقا في هذا الأسلوب ، ولولا هذا ما ساغ الإتيان بالتوكيد المرفوع ، ويرى الناظر أن هذا استدلال صحيح ونظر صائب لا يدفعه ابن مضاء أن ابتغى شرعة الإنصاف (١) .

قلت : وهذه المناقشة مقتصرة على ناحية الصناعة ، أما من ناحية المعنى ، فما أظن ابن مضاء ، ولا سلفه يرون أن الكلام تام دون ملاحظة المتعلق .

شعرا . . . وهكذا . ولا شبهة في أن (في المسجد) و (عند أخى) متعلقان بالفعل قبله وشأن اللغة الاطراد ، فملينا أن تقيس ما لم يذكر معه متعلق على ما ذكر معه .

٣ - أن الجار والمجرور في منزلة المفعول من حيث المعنى ، فإذا قلنا (مررت بزيد) كان الفعل كأنه واقع على زيد ففى قولنا زيد فى الدار يكون المعنى على أن (فى الدار) تامة الكلام ، ومرتبطة به ، ولا يرتبط بذات زيد ؛ لأن الذات لا ترتبط بها الذوات ، فلا معنى من أن يرتبط بمعنى ، وهذا المعنى هو المتعلق ، ونحن نقول زيد أسد فلا يصح الكلام إلا على تأويل أسد بشجاع ونحوها فإذا قلنا (فى الدار) فلا بد من مراعاة صفة تصلح لأن تسند إلى زيد .

أما أن النحاة ذكروا أن الجار والمجرور متعلقا ، فلهذا قصة ذكرها أستاذنا الشيخ محمد النجار فى رده على ابن مضاء القرطبي قال : « ويذكر ابن مضاء فيما يورده على النحويين تقديرهم متعلق الجار والمجرور فى نحو زيد فى الدار ، إذ يقولون : إن التقدير كائن أو استقر ؛ وليس لهذا التقدير من باعث إلا ما وضعوه من كل أثر إعرابى فلا بد له من عامل ، وأقول له : إن التقدير فى هذا الباب لا يستغنى عن جميع النحويين ؛ فمن النحويين من يحمل الخبر هو المفعول ولا يقدر

(١) مجلة الأزهر العدد السادس من ١٣٢٧ لسنة ١٣٢٧

الرأى التفاضل بمعاملتها معاملة المقصور مطلقاً ، واعتبروه رأياً جديراً بالقول ، قالوا - وهذه عبارتهم - : « لأن النحويين لم يأتوا بشاهد من كلام العرب مأثور على إعرابهما إعراب المثنى إذا أضيفتا للضمير ، فأولاً : لماذا فرقوا بين هذه المسألة ومسألة مراعاة المعنى عند الإضافة للظاهر مع أنهم لم يجدوا شاهداً من كلام العرب في الحالتين . ولذلك اضطروا أن يجهلوا بمثال من عندهم في المسألة الأولى .

وثانياً : إذا كانوا يجتهدون في النحو فلماذا لم يرجعوا إلى كلام العرب ويتدبروه حتى يثبت لديهم إذا كان هناك شاهد أولاً ، فإذا لم يجدوا شاهداً كان موقفهم من النحويين قوياً ، فيردون رأيهم الذي درجوا عليه منذ عرف النحو إلى يوم الناس هذا واشتهر عنهم .

وثالثاً : الشاهد موجود في كلام العرب رأيت في شرح درة الغواص ، ما يأتي : « وأما إدعال اللام على كل فتقل المقرئ في رسالة الغفران أن أبا علي الفارسي كان يجهله ، وينقله عن سيويه ، وليس بشائع في كلام العرب ، وأشد لسجيم شاهداً عليه قوله :

رأيت الغنى والفقر كليهما
إلى الموت ، يأتي الموت لكل معبدا ،

وأصحاب تحرير النحو لا يتبعون منهما واضحاً موحداً ، وهذا مثل على اضطرابهم في منهمجهم ، ذكروا في كلا وكلا أنه إذا أسند إليهما أو عاد عليهما ضمير جز فيهما :

(أ) اعتبار اللفظ فيجربى الحديث عن كلام مفرداً مذكراً كافياً : « وكلا أتقيهما راني ، وعن كلا مفرداً مؤنثاً كافياً قوله تعالى : (كُنتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَاهُمَا) .

(ب) - اعتبار المعنى فيجربى الحديث عن (كلا) مثنى مذكراً ، كافياً (كلاهما حين جد الحرى بينهما قد أقلما) وعن كلا مؤنثاً في مثل قولك (كُنتَا الشجرتين قد أثمرتَا) .

فتلاحظ أنهم لم يأتوا بشاهد عند التمثيل لاعتبار المعنى مع إضافة كلنا إلى الاسم الظاهر ، ويبدو أنه لا شاهد لهذا ، وقد قال الأشموني عقب ذكره جواز الأمرين ، مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى ، قال : « وخص إجراؤهما بجري المثنى بحالة الإضافة إلى المضمرة ، ومعنى هذا أنهما إذا أضيفتا إلى اسم ظاهر لم يجر إلا مراعاة اللفظ ، وما إلى هذا الحكم سقت الكلام ، وإنما سقته لأن المؤلفين في تحرير النحو لم يجدوا شاهداً ، وضربوا بنص الأشموني عرض الحائط ، في حين أنهم عند الكلام على معاملة كلا وكلا معاملة المثنى إذا أضيفتا للضمير : - وهذا هو المشهور عند النحويين - رجحوا

فلننظر في التغير الذي صنعوه في ترتيبه
القواعد . لرى هل حرروا النحو حقيقة ؟
١ - كان القدماء يسمون (المنادى)
إلى علم مفرد ونكرة مقصودة ، وإلى مضافه
وشبهه به ، ونكرة غير مقصودة ، ويعملون
الأولين مبنيين على ما يرفهان به ، ويعملون
الثلاثة الأخيرة منحوة لجاء تحرير النحو
ليهرب من هذا التقسيم فاتباع الطريق الآتية :
(١) - إذا كان المنادى مضافا نصب نحو
(ربنا لا تواخذنا) . (يا سائق السيارات
لا تسرعوا) .

(ب) - وإذا كان المنادى علما غير مضافه
رفع ومنع التنوين نحو (يا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة) . (يا نوح اهبط بسلام منا) .
(ج) - وفيما عدا ما تقدم إذا نون المنادى
نصب ، وإذا منع التنوين رفع ، فن أمثلة
المنادى المتون يا مؤمنا لا تعتمد على غير
مولاك ، يا رحيا بالعباد ، يا موقدا نار
لغيرك حوزها .

فأراك يا إما عرضت قبلن

ندامى من نجران ألا تلاقيا (١)

ومن أمثلة المنادى غير المتون (يا جبال
أوى ممة) . يا شرطى أمامك المص .
يا متسابقان قفا . وأقول لم : فى أى منطق
يسوخ أن تقول لتليذ إذا نون المنادى

(١) مثل صاحب النحو المتبحر بهذا البيت
لغنيه بالمضاف مع أن النحويين مثلا به ففكرة
غير المقصودة . وهو الصحيح .

فهذا شاهد من كلام العرب يؤيد ما ذهب
إليه النحويون ، وعلى هذا الاستعمال جاء
قول أبى تمام فى مدح عبد الله بن طاهر : -
سما للعلل من جانبها كليهما

سمو عباب الماء جاشت غواربه
وقول المتنبى :

أسد يرى حضوره فيه كليهما
متا أذل وساعدا مفتولا
وقد كان على أصحابنا إذا أرادوا أن
يؤيدوا الاستعمال الآخر أن يجيئوا بشواهد
وبشواهد كثيرة استعملت فيها كلا وكلتا
استعمال المقصور مع إضافتهما للضمير ، أو على
الأقل كان المنهج السليم يقتضيها أن يقفوا
فى كل مسألة عند الشاهد فإن وجد اعتمادوا
الرأى الذى تأيد به وإن لم يوجد قالوا
ما يحلو لهم ، أما أن يفرقوا ، بل يمددوا
إلى مخالفة النحاة ، وقطع مخالفتهم فهذا
ليس شأن من يريد أن يحمل الناس على رأى
جديد ، وإن كان تأييدا لرأى مرجوح قديم
وهذا مثل نكتنى به فى هذا الاتجاه ،
وله فى نحوم نظائر وأشباه .

ثم تبنى عنان القلم إلى صنيعهم الذى سموه
(تحرير النحو) جاء فى مقدمة الكتاب :
« كان الإصلاح من قبل متجها إلى تلخيص
القواعد ، وتخليصها من التطويل أو الجدل ،
أو إلى طريقة عرضها ووسائل توضيحها
وفى هذه المحاولة اتجه الإصلاح إلى ذات
القواعد ، ولم ينك عن تغيير فى ترتيبها »

بشرط من الشروط أكثر من أنه (اختص
بتداء المتفجع عليه أو المتوجع منه) وبدهى
أن الحكم هو : إذا كان المندوب علماً رفع
من غير تنوين ، وإذا كان مضافاً نصب ،
وفي غير هذا إذا نون نصب ، وإذا منع
التنوين رفع . ١

أما تابع المنادى لجاء تنقيده - عندهم -
بسيطاً سهلاً مهلاً ، إذا اتبعنا المنادى مضافاً
عالياً من أل وجب أن يكون التابع منصوباً
على أن كلا من التابع والمتبوع منادى مستقلاً
ذكر حرف النداء في الأول وحذف من
الثاني ، وإذا أتبع بمفرد أو بمضاف فيه أل
كان التابع مرفوعاً .

فأولاً : فرقوا بين نظيرين لجملاهما أحدهما
منادى مستقلاً ، وجعلوا الثاني تابِعاً ،
وثانياً لم يبينوا وظيفة الكلمة في الجملة ،
أهي نعت أو توكيد أو بدل ، ولعل ذلك
منزاهة وقيت في الجملة ، وثالثاً كيف قبل
أن تقول في قولهم : يا زيد نفسه ، إن
التقدير يا زيد يا نفسه ، وفي يا تميم كلهم ،
إن التقدير يا تميم يا كلهم ، وما قيمة تكرار
النداء حينئذ ؟ إن المغزى من التوكيد ينصب ،
وهو مغزى لا يصح أن نهده في سبيل
التفسير على المتعنين ؛ لأننا نفقد أسرار
لغتهم مقابل تدليلهم بعض الوقت .

نصب ، وإذا منع التنوين رفع ؟ وهل معنى
ذلك إلا أن الناطق يخبر في كل مثال بما ذكرتم
بين أن ينون وينصب ، أو يمنع التنوين ويرفع ،
فله أن يقول مثلاً : يا رحيم بالعباد ، ويا رأكب
إما عرصت ، دون أن يختلف المعنى ،
وإذا قلتم إن على المدرس أن يفهم التلاميذ
من ينون ومن يمنع المنادى من التنوين قلت
لامناس - حينئذ - أن يرجع إلى التقسيم
للقديم فيقول يمنع التنوين إذا كان نكرة
مقصودة ، وينون إذا كان شديداً بالمضاف ،
أو نكرة غير مقصودة .

ومثل هذا ما فعلوه في اسم (لا) النافية
للجنس ، فقد حرصوا على أن يتركوا التقسيم
القديم أيضاً ، ولكن لم يأت لهم ، فوضعوا
القاعدة بحيث تضطرنا اضطراباً إلى الرجوع
للتقسيم القديم .

وصنعهم في المندوب يدل على أن الدقة
في وضع القواعد لا وزن لها في حسابهم ،
وإلا فلننظر هذه القاعدة ، « وإذا استعمل
المندوب من غير زيادة ألف التثنية نحو
واصر ، فاتح مصر ، واصلاح الدين كان له
من الإعراب حكم المنادى » .

وليتأمل القارئ هذه القاعدة جيداً ،
وليتحضر في نفسه ما ذكره في حكم
المندوب ، وليعلم أنهم لم يقيّدوا المندوب

في القسم ومن ناحية أخرى هم في حاجة إلى أن يفهموا التليذ ما معنى وقوع (إن) في الابتداء ، وهي واقعة بعد (ألا) أو (كلا) أو (واو الحال) أو (حيث) أو واقعة (خبراً عن اسم الذات) ، وكيف يفهم التليذ أن (إن) في قوله تعالى والمصر إن الإنسان لني خسر ، وفي قوله هم ، والكتاب المبين إنا أنزلناه .

إذا قالوا : تقول له إذا وقعت في الابتداء أو شبهه وتعدد له المواضع ، قلت إن قاعدة النحويين أيسر وأوجز وأحكم .

٣ - جمعوا باب المبتدا والخبر وباب الفاعل ونائب الفاعل في باب واحد ، سموه باب المستند إليه والمستند ، ولعل هذا أبرز ما في صنيعهم الجديد ، وكان هذا الصنيع جيلاً لو استقام لم أن يجعلوا الأحكام كلها واحدة في هذه الأنواع الثلاثة ، ولكنهم اصطدموا بأحكام خاصة بالمبتدا وأحكام خاصة بالخبر ، لا تنسحب على الفاعل ولا على الفعل ، كحذف المبتدا والخبر وجوبا مثلاً ، وحين جاءوا إلى هذا الموضع أهملوه ، وفي هذا تنكر للحقائق العلمية ، وظلم لعلم واللغة أن يكون جوابنا عن المشاكل التي تواجهنا إهمالها .

وقد عالج هذه المسألة من قبل أستاذنا الكبير الشيخ محمد عرفة في كتابه (النحو

٢ - قالوا في فتح همزة إن وكسرها : وتكسر همزة إن إذا وقعت في ابتداء الجملة مثل (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً) . (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . (تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين) . (كلا إنها تذكرة) .

وكذا إذا حكيت بالقول مثل (قال إنى عبد الله) . (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) ، وتفتح همزة إن في غير ذلك مثل أو لم يفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) . (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) . (ذلك بأن الله هو الحق) .

وقد المتقدمون هذه المسألة ، وسنوقفها في أوضح صورها وأبسطها في نظم ابن مالك : -

وهمز إن افتح لد مصدر
مسددا وفي سوى ذاك أكرم
فاكرم في الابتداء وفي بدء الصلة
وحيث إن يمين مكنة
أو حكيت بالقول أو حكيت محل
حال ككرمه وإن ذو أمل
وكسروا من بعد فعل علقا
باللام كما علم إنه لنو تقى

إن قاعدتهم قاصرة ، فهم لم يذكروا وقوع (إن) في بدء الصلة ، ولم يذكروا وقوعها

فيها المؤلفون النحاة المتقدمين ، ولكنهم
أعرضوا عن مناقشة أدلتهم ، وكان الواجب
يقضى على من يستدرك على غيره أو يعطى
من رأيه أن يذكر أدلته ويرد عليها ، ولكنه
من غير المقبول أن يكون كل الدليل أننا
نريد التيسير أو أننا نفق تلاميذنا بما لا يروقنا
من أدلة المتقدمين وقواعدهم .

من أمثلة ذلك اعتبارهم ضمائر الرفع المتحركة
حروفا قالوا حتى لا يخلط التلاميذ بين ألني
الزبدان قلما وبين واوى الزبدون قاموا ،
وبين تاء كتبت للوثنة (الساكنة) وتا
كتبت لتكلم أو الخطاب (المتحركة) .
في الوقت الذي نهوا فيه على أن (نا) إذا
سبقت بناصب أو بحار كانت ضميرا ،
فلا مانع عندهم أن يخلط التلاميذ في هذه
الآية : ربنا إنا آتينا ، فيقولون إن (نا)
الآخيرة حرف ، وأما الأولى والثانية
فاسمان ، وكذلك لا مانع أن يخلط التلاميذ
بين كافي (ذلك كتابك) فهي حرف في
الكلمة الأولى واسم في الكلمة الثانية ،
ولكن البأس كل البأس أن تختلط على
التلاميذ التاءان في أنت كتبت وهذا كتبت .
ومن ذلك إنكارهم للضمير المستتر في الفعل
وفي المشتق ، وقد أشرت فيما سبق إلى هذه
المسألة ، ولكني أريد أن أبين سلبتهم ،
فهم لم يناقشوا دليل النحويين ، على استتار

والتحاة) بما كان يجب أن يُستثنى هؤلاء
عن معاودة الوقوع فيها ، ومن قوله متعرضا
على بعض قواعدهم التي عموها على المبتدا
والفاعل (أخ المحمدان ، أخ نكرة لا تصلح
للابتداء فتمين أن يكون خبراً مقدما والمُسند
إليه المحمدان ، وهو مؤخر ، فدخلت تحت
قاعدة المؤلف القائلة إذا تأخر المسند إليه
وكان مثنى أو جمعا وجب التزام التوحيد
في المسند ، وهو باطل بل الواجب المطابقة
فنقول أخوان المحمدان لا أخ المحمدان) .

(إن المؤلف اضطر تحت ضغط اختلاف
الأحكام أن يقول المسند إليه إذا تقدم
والمُسند إليه إذا تأخر فقسمه إلى قسمين ،
وهذا مثل قولهم مبتدا وفاعل ، بل إن قولهم
أخصر أو تسميتهم أقل حروفا) .

٤ — وجمعوا المنصوبات تحت اسم واحد
هو (التكلة) وهذه أكثر تفاعمة من سابقتها
فإنهم لم يجدوا رابطة بين هذه المنصوبات
إلا في أنها فضلة ، وأنها منصوبة ، والنحويون
قالوا بهذا ، ثم لم يتم — أعني نحائنا الجند —
فعدوا كل تكلة يباب لا يقل كثيراً عما
ذكره النحاة القدامى ، فأى تحرير في هذا
الصنيع ؟ ولا تزال القواعد هي القواعد ،
ولم يفدنا جمعها تحت عنوان واحد أية
فائدة جديدة ؟ !

٥ — وفي الكتابين مسائل وآراء خالف

الضائر في الأوصاف ، ومنه قول العرب :
 مررت بقاع عرفج كله ، ومررت بقوم عرب
 أجمعون . ألا ترى أن أجمعون تؤكد مرفوح
 ولا وجه له إلا أن يجعل تأكيد الضمير في
 عرب وهو مرفوح وكذلك كله تأكيد مرفوح
 تابع الضمير المرفوح في صرفج ، وذلك على
 تأويل الجامدين (عرب وعرفج) بالوصف ،
 فيراد بعرب المتوللون من الجنس المعروف ،
 وبالعرفج المدرج في هذا الجنس من الشجر ،
 وإذا ثبت استتار الضمير في المؤول بالمشق
 فأولى أن يثبت في المشتق النص ،
 وإذا ورد عليهم قول جرير :
 ورجا الأخطل من سفاهة رأيه
 ما لم يكن وأب له لينا
 وقيل إن جريراً عطف على الضمير المشترك
 في (يكن) . وقول ابن أبي ربيعة :

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى
 كنجاج الفسلا تعصف وملأ
 وقيل إن « زهر » ، مطوف على الضمير
 المشترك أقبلت ، إذا قيل لم هذا قالوا ،
 إن جريراً لم يعطف ، وإن عمر لم يعطف ،
 فنقول لم : فكيف تخرجون هذا الأسلوب ،
 وطبعي أن يسكنوا ، ولكنهم لا يرضون
 بالسكوت ، فيقولون : نحن نغنى تلاميذنا ،
 ونعلمهم ألا يستعملوا مثل هذا الأسلوب
 إذا صادتهم . وهو - وافه - أمر غريب .
 كأن الذي يقعد قواعد جديدة إنما يجعلها
 أثواباً يفصلها على تلاميذه .

هذه التبعيدات وأشباهاها هي كل ما زادوه
 حل النحر القديم ، مع طرحهم العلل وكثيراً
 من الخلافات ، فإذا كان هذا يعتبر تحريراً
 للنحر ، فأنا أهنئهم على هذا الفتح المبين ؟

على العماد

الثعلبان

وقع ثعلبان في شرك صائد . فلما انتصف الليل ، قال أحدهما للآخر : يا أخى أين المثلث ؟
 قال : في القراءتين (١) بعد ثلاثة أيام .

الذئب

أخذ رجل ذئبا ليجمل يظه ويقول : إياك وأخذ أغنام الناس فيعاقبك الله ، والذئب
 يقول : خفف واختصر ؛ فقد أوى قطيع من الغنم - لئلا يفوتى . . . !

(١) القراء : صام القراء أي : لئنا سنذبح وتتخذ من جلودنا القراء ،

نعم، يتنفع الميت بعمل الحى

للأستاذ محمد عبد الحميد البوشى

الأول : ما تسبب فيه الميت حال حياته ، ودليله ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وعلم ينفذ به وولد صالح يدعو له ، ...

وما رواه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علم علمه ونشره أو ولد صالح تركه أو مصحف ورثه أو مسجد بنى أو بيت لابن السبيل بنى أو نهر أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته .

الثانى : دعاء المسلمين واستغفارهم له والصدقة والحج والصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر ...

ودليل انقضاء الميت بهذا القرآن والسنة : أما القرآن فقوله تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » .

قرأت مجلة الأزهر فى عدد جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ تحت عنوان هل يتنفع الميت بعمل الحى ؟ للأستاذ عمر الجندى كلمة تحدث فيها فضيلة عن مدى انتماع الميت بعمل الحى . ولما كان فيما كتبه مجاعة عن الصواب أحببت أن أكتب كلمة أبسط فيها الموضوع من جميع وجوهه فأقول : فعامل ثواب ما عمل من الصالحات وقد أجازت الشريعة الإسلامية للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صدقة أو غيرها ، وقد استدلت العلماء على ذلك بما جاء فى الصحيحين من أنه صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته عن أقرمه بالوحدانية وشهد له بالرسالة ، وما رواه الدارقطنى : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان لى أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف لى بهرهما بعد موتهما فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن من البر بعد الموت أن تصلى لما مع صلاتك وتصوم لما مع صيامك ... » .

كما أجمع العلماء على أن الميت يتنفع من عمل الحى بأمرين :

هل يصل إلى الميت أم لا فذهب المعتزلة إلى أنه لا يصل إليه شيء، واستدلوا بعموم الآية « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » ، وقال أهل السنة : إن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة كان أو صوما أو حجا أو صدقة أو قراءة قرآن أو غير ذلك من جميع أنواع البر ، ويصل ذلك إلى الميت وينفعه .

وقال الشافعية في شرح الروضة في كتاب الإجماع : إن الذي دل عليه الخبر بالاستنباط أن القرآن إذا قصد به نفع الميت نفعه إذ قد ثبت أن القاري لما قصد بقراءته نفع المملوك نفعه وأقر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله (وما يدريك أنها رقية) وإذا نفعتم الحي بالقصد كان نفع الميت بها أولى لأنه يقع عنه من العبادات بغير إذنه ما لا يقع عن الحي .

وقال المالكية في الشرح الكبير : إن قراءة القرآن على الموتي ليست من عمل السلف الصالح لكن المتأخرين على أنه لا بأس بقراءة القرآن والذكر وجعل ثوابها للميت ويحصل له الأجر إن شاء الله وهو منزه الصالحين من أهل الكشف .

وذهب أحمد بن حنبل إلى أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى الميت .

وقال العلماء أيضا : إن قضاء الدين عن الميت يسقط من ذمته ، ولو كان من أجنبي

وأما الحديث : فمن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له العناء » .

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأقن النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : إن أمي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها أن تصدقت عنها ؟ قال نعم ، قال فإني أشهدك أن ما نعلي ، المخراش ، صدقة عنها .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » .

وروى البخاري عن ابن عباس أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن أمي نذرت أن تصوم فلم تصح حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال صلى الله عليه وسلم رأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه ؟ افوضوا الله فاقه أحق بالقضاء .

وصول ثواب قراءة القرآن للميت :

يقول ابن القيم : وأما قراءة القرآن ، وإهداءها للميت فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج .

ويقول الشوكاني في نيل الأوطار مانعه : وقد اختلف في غير الصدقة من أعمال البر

السائلين فهذا سألهم عن الحج عن ميتة ، وذاك سألهم عن الصوم ، والآخر سألهم عن الصدقة . ولم يرد أن أحداً من الصحابة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن على الموتي ، كما أنه لم يرد عن الرسول عليه السلام منع لهذه القراءة .

على أنه قد وردت أحاديث تفيد جواز قراءة القرآن على الموتي .

فقد روى الدارقطني عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ووهب أجرها للأموات كان له من الله أجر كبير .

وفي النسائي من حديث معقل بن يسار المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اقروا يس عند موتاكم ، وأخرجه أبو داود وأحمد في مسنده وابن حبان ومحمد .

وروى الشوكاني في باب المحتضر عن شرح عن أبي الدرداء وأبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هون الله عليه .

وبما استدل به كاتبنا وغيره قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » وقوله « ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون » ، وقوله « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

أو من غير تركته ، وإذا كان الميت ينتفع بالإسقاط والإبراء فكذلك ينتفع بالإهداء والهبة ، ولا فرق بينهما لأن ثواب العمل من حق المهدى الواجب فإذا جعله للميت انتقل إليه كما أن ما على الميت من الحقوق من دين وغيره هو محض حق الحى فإذا أبرأ وصل الإبراء إليه وسقط من ذمته .

كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الميت ليحب بيباء أهله عليه) بمعنى أنه يتألم كذلك فإذا كان الميت يعذب ويتألم بالبياء أفلا يزعم ويسر بقراءة القرآن ؟

الشبه التي اعتمد عليها المانعون وردتها : قالوا إن هذا لم يكن معروفاً في السلف ولم ينقل عن واحد منهم مع شدة حرصهم على الخير .

والجواب أنه قد ثبت وصول ثواب الحج والصوم والعتاء والاستغفار ، بالأحاديث الصحيحة فإما الخصوصية التي ذهبت إلى وصول ثواب هذه الأعمال ومنعت من وصول ثواب قراءة القرآن وهل هذا إلا تفريق بين المتأثرات .

فإن قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة قلنا : إن ما ورد من أحاديث الحج والصوم والصدقة كان جواباً عن أسئلة

يقول ابن القيم وكان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجعها .

أما الآية الثانية : « ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، والآية الثالثة : « ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون » ، فالرد أن سياق الآيتين يدل على نقي عقوبة العبد بعمل غيره ولا يدل على نقي انتفاع غيره فالإنسان ينتفع بعمل غيره لا على وجه الجزاء وإنما على أنه صدقة تصدق الله بها عليه وتفضل الله بها على يد بعض عباده .

وأما الاستدلال بالحديث (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . .) فاستدلال باطل أيضا ، فإن الرسول عليه السلام لم يقل انقطع انتفاعه ، وإنما أخبر عن انقطاع عمله ، وأما عمل غيره فهو لعامله ، فإن وجهه لغيره ، فقد وصل إليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو فالمنقطع شيء والواصل شيء آخر .

هذه هي أدلة المانفين وردعا ، وإذا ثبت بطلانها فقد سقط مدامم وهو أن الميت لا ينتفع بعمل الحي .

وثبت مذهب الجمهور من أهل السنة والفقهاء ، وهو ما جرى عليه عمل المسلمين فأن الله الهداية إلى فهم دينه والعمل بسنة نبيه ، وأن بعيدنا من شرور أنفسنا وسبئات أعمالنا .

محمد عبد الحميد البوشي
المدرس بمعهد سوهاج الديني

والحديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وولد صالح يدعو له وعلم ينتفع به بعد موته » .
وأقول هؤلاء جميعا إن الآيات والحديث لا تثبت مدامم .

أما الآية الأولى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » ، فيقول ابن القيم : إن رد الاستدلال بها من وجهين :

الوجه الأول : أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأحباء وأولاد الأولاد وتزوج الأزواج وأسدى الخير وتودد إلى الناس فترحموا عليه واهدوا له العبادات وذلك من أثر سعيه كما ورد في الحديث (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه) وأبنا فإن العبد بإيمانه وطاعته لله ورسوله قد سعى في انتفاع نفسه بعمل إخوانه المؤمنين مع عمله فإن المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض في الأعمال التي يشتركون فيها كالصلاة في جماعة والاشتراك في الجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نتيجة سعيه .

الوجه الثاني : أن الآية لم تنف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنما نفت ملكة لسعي غيره ، وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفى ، فالآية تقول : إن الإنسان لا يملك إلا سعيه أما سعي غيره فهو ملك له إن شاء أن يقيه لنفسه أبقاه وإن شاء أن يئذه لغيره فعل .

الأزهر منذ أربعين سنة

للأستاذ محمد علي غريب

- ٣ -

ودعنا كثيراً وغمرتنا موجات من الغضب
والخزي والاضطراب ، فمن لم تؤذ هؤلاء
الصغار ولكنهم هاجوتنا في عنف وقسوة ،
ونمة قليل من السابلة ينظرون إلينا ويضحكون .
وجعل قائدتنا يجرى وراء هؤلاء الأطفال
ويحصبهم ويصرخ في وجوههم وهم يحاورونه
ويداورونه والابتسامات على شفاههم وأيديهم
تعبث في الأرض لتلتقط الحصى ، ولم يكن
هناك مجال لأن تقسحب ونجرى هارين فإن
لنا نحن القرويين كبرياء تمنعنا من اقتراف
هذه الخطيئة .

وأصابنا من هذه المباغنة فزع ورجب
حقيقيان أرغمانا على أن نلوذ بالصمت ،
وفي نفوسنا ثورة من الحق والاسى والغم ،
ولم يكن في طوق أحدنا أن يرفع عينيه إلى
زميله كما لو أننا ضبطنا متلبسين باقتراف إحدى
الخطايات ، وقمت النواذ على وموسنا وبرد
منها الفسوة ضاحكات طابسات ، والتفت
كل واحدة منهن بجارتها التي يقع منزلها

احتاج الأمر إلى أن تقوم بطائفة من
التجارب ، لنسلك سبيلنا إلى مسجد (إبراهيم
أغا) على مقربة من القلعة ، وكنا خمسة
طلاب في السنة الأولى ، نخرج من منزل
واحد ، وكنت وأخى الأكبر نسكن في
حجرة واسعة ، أجراها في الشهر أربعون
قرشا ، والطريق من (الباطنية) إلى المسجد
عجيب ، فإن علينا أن نسير في طرقات ودروب
وأزقة متشعبة .

وفي أول يوم جاء معنا طالب كبير يرشدنا
ويوصينا بالآلئى معالم الطريق ، فكنا
ثلثت في فضول إلى هذه الأبنية القديمة
المتخربة ، وقرأ لائات الدروب والحوارى
والأزقة .

ولجأة برد من أحد المتعطفات صبية
وأطفال صغار ، راحوا يقذفوننا بالطوب
ويتقنون :

يا هياور عمتك دابت

م الطرشى والفلول التابت

من جهينه وسمى نفسه بهذا الاسم وصار يحاطط
أهل الثراء والمقدرة ، ويفيد من وراء اتصاله
بهم خيراً كثيراً لأنه كان خفيف الظل . .
حاضر البديهة ، يملأ جمبه بقدر كبير من
النكات والأحاديث .

وانتهينا أخيراً إلى مسجد (إبراهيم أفا)
الذى يدرس فيه طلاب السنة الأولى من
القيم الابتدائي بالأزهر ، وصعدنا إليه
في سلم عتيق ، وعلى الباب استقبلنا شيخ
ضخم الجثة اسمه يوسى وراح يسألنا عن
أسمائنا وينظر في أوراق مطبوعة بين يديه .
ثم أشار إلى المكان الذى سنجلس فيه على
الحصير وهو الفصل التاسع عشر .

هل قلت لك إن اسمي أصبح مطبوعاً على
الورق؟ . . . لئن لم أنا كد من ذلك ، ولكن
زملائي راحوا يؤكدونه فداخلى من السرور
بقدر ما يداخل باحثاً في منجم عندما يرى
أمامه جيلاً من الذهب .

كنت أتمنى أن أرى اسمي مطبوعاً ولو
بجنت بعدها ثلاثة عشرة عاماً ، ولعل هذه
الرغبة الصنيانية التى غامرتنى فى ذلك الحين ،
والتي أعنف نفسى عليها اليوم تعينها شديداً ،
رغبة طبع اسمي على الورق ، أقول لعل هذه
الرغبة هى من بين الأسباب التى قادتنى إلى
امتحان الصحافة والعياذ بالله 1 .

وجلسنا على الأرض حول مقعد خشبي ،

قبالتها وراحا تتخذان من ضعفنا وخزيينا
مادة لتبسط في الحديث والثثرة الممجوجة .
وأعلنت الهدنة بعد أن شبح الأطفال
من مزاوله مهنة الحرب التى هى هوايتهم
المفضلة مع الطلاب الأزهرين فى هذه البقعة
وفى البقاع المحيطة بالأزهر وفى المساجد التى
يتلقى العلم فيها طلابها .

وفى الطريق لقينا (الشيخ مصايب) وهو
من بلدة تجاور بلدتنا ولنا ببعض أهلها قرابة
وكان يهرقنا ، ومظاهرنا القروية تكشف
عن هويتنا ، فنحن نمثل خمسة من القرويين
يسلكون طريقاً بين الحقول إلى غايتهم فى
فلاحة الأرض .

وقال لنا الشيخ مصايب :

- رايحين تفسروا دة فين يا مشايخ ؟

ورد عليه أخونا قاتلاً :

فى عزبة (العظيمة) !

والشيخ مصايب هذا كان طالباً أزهرياً
وفسد ، وأضحى يفتنى مجالس الكبراء
والأثرياء والعظماء ويطرفهم بنكاته وأمازيجه
وكانوا يفتقدونه إذا غاب ، ويعثون وراءه
بالرسل ليحضروه . . . فلما ينبغى أن تغلوا هذه
المجالس الفخمة من مضحك أفواهم هؤلاء
السادة المترفين بالابتسامات والضحكات .

ولم يكن هذا هو اسمه . . . بل لأنه انحل
اسم (الشيخ مصايب) من أزهرى مثله كان

الشيخ يحيمهم في صبر وتؤدة ووقار. ولعل هذا قد أغرام بأن يرفوا في الأسئلة فنهزم الشيخ... ثم صرخ في وجوههم... ولم لا يكفون عن توجيه الأسئلة إليه كما لو أن هذه الصرخات تذهب في الهواء.

واتهى درس الفقه، وجاء درس النحو... وجلسنا في أما كننا بعد فترة يسيرة من الراحة، وجاء إلينا شيخ لا أدري كيف أصفه، فقد هممت بأن أضع يدي في جيبي وأمنحه إحسانا... حسبته مستعظيا غافلا. ملاحظ المسجد ومهم علينا يتنفي الإحسان. كان جلجابه بمزقا... وحذاءه أشبه شيء بجبل من الخوص طفت عايه الأقدار، وكانت عمامته يعطوها سواد لا أدري من أين جاء إليها... وهو بعد هضم الوجه... عذوب الطهر... وفي عينيه بريق السخط والعنجر والتحدى.

ورغم ذلك ثننا يده وجلسنا... فبدأ كلامه بالبسملة... بسم الله الرحمن الرحيم... ثم طلب إلينا أن نقرأها وأصابنا وجوم مروح، وأخفينا وجوهنا في صدورنا... فن أن الطالب الذي يشهد درس النحو لأول مرة أن يعرف إعراب البسملة وكيف يتسنى له أن يدرك شيئا من ذلك وهو لا يعرف ما هو النحو وما هو الإعراب؟. على أن الشيخ كان ماضيا في محطه واشتمزازه

ورأينا إخواننا الذين بقوا في الفصل من العام الماضي لأنهم رسبوا... قد أحضر بعضهم هذا خفيئا اسمه (المرج) واتمل به في داخل المسجد، وبعضهم فرش حل الحصير مكان جلوسه (فروة خروف) وكل ذلك لا تقواء الرطوبة التي تنبعث من الأحجار.

أما أنا فقد شربت هذه الرطوبة، واكتويت بنيرانها، وما تزال آثارها الآلمية عالقة بيدي... أحاول جاهدا أن أنخلص منها بالتردد على كثير من الأطباء وتعالى أشات من الأدوية.

وجاء الشيخ الذي سلق علينا درس الفقه، وجلس على الكرسي كما لو أنه يجلس على عرش بلقيس، ومد إلينا يده فقمنا إليه جيما وثمنا هذه اليد، وهو صامت لا ينطق بحرف.

ثم رحنا نصنى إلى درسه وقد فتحنا كتاب الفقه، ومضى الشيخ يفسر ما عسى أن يفهمنا شيئا، ولم يكن الكثيرون منا يفهمون شيئا، ولكنهم كذلك لم يستعليوا أن يوجهوا أسئلتهم إلى الشيخ، فقد عقدت هيئة أستمهم ومنعتهم من أن ييخوا بما يخامرهم من طلب الاستفهام والاستفسار.

على أن زملائنا الراسبين كانوا أوفر جرأة منا... فراحوا يسألون... وفضيلة

أن نمتد إليهم يد (السلطة العسكرية) الآتية ،
وتقودهم إلى الموت .

غير أن أكثرنا لم يكن كذلك ، ومع هذا
فإن الشيخ أصر على أننا هاربون من السلطة
العسكرية وكأنما طاب له هذا التعبير فراح
يرده بين كل كلمة وأخرى إمعانا في إساءتنا
وانتقام كرامتنا ... حتى لم يعد لدينا
ما يمكن أن نبذله في هذا الصدد سوى أن نخفي
في قلوبنا جذوة الحقد على هذا الشيخ المسكين .
وبدأنا نقرأ ما في إعراب البسلة
من وجوه .

قرأنا :

إن ينصب الرحمن أو يرتفعا

فالجسر في الرحيم قطعاً منا

وفهمنا أن هناك تسعة عشر وجهاً في إعراب
البسلة ، وحفظنا الشعر الذي حشيت فيه
هذه الوجوه ، ولستنا نعرف شيئاً منها .
وفارقنا أستاذ النحو هذا ... فتنفسنا
الصعداء ، وحدنا الله كثيراً ... وإن كان
قد ترك وراءه شتاتمه المقذعة الفاحشة تملأ
علينا جو الفصل التاسع عشر .

وفي منتصف النهار ... أذن لنا بالانفداء ،
فعاد الكثيرون منا إلى منازلهم على أن
يرجعوا إلى الدروس مرة أخرى ... وفيما
من أحضر غداءه معه وتناوله في داخل المسجد .
وعند خروجنا من باب المسجد نلتحمة عربية
يجرها جواد مطهم ، ورأيت طالبين معنا

دون أن ندرك لذلك سبباً ... فنحن بين
يديه في موقف التليذ الطبع ولم يسدر
من أحدنا يادرة إزعاج له أو مضايقة ...
حتى يمكن القول بأننا أثرنا حفيظته ، وأغضبناه
وعرقنا أخيراً أن هذا الشيخ يشبه (أى)
التي يقول النحاة منها (أى) هكذا خلقت)
فهذه هي طبيعته الغالبة عليه ولعل ذلك
من أثر حياته الشقية المعذبة التي يجيهاها ، فهو
يقبض الجنيئات الكثيرة ، حيث كان علماء
الأزهر قد رفضت مرتباتهم في ذلك الوقت ،
ولكنه يرفض أن يستأجر له مسكناً ، وهو
يقيم في الأزهر ، وينام على أرضه وله خزانة
خشبية صغيرة تضم معاشه .

وليس في استطاعة أحد أن يزعم بأنه
يعرف ما ينطقه هذا الشيخ على نفسه في الشهر ،
ومن المقطوع به أنه لا يزيد على ستين قرشاً
مع التسامح الشديد ، وما يبق من فلوته
الكثيرة يدخره ليشتري به أرضاً في قريته .
وانهالك الشائتم من فم هذا الشيخ علينا
كقذائف المدفع ... شنائم مهينة مؤذية ..
تمتد إلى الآباء والأجداد ، وكان يردد بين لحظة
وأخرى أننا (هاربون من السلطة العسكرية) ! .
كنا في ذلك الوقت في نهاية الحرب العالمية
الأولى ، وكان الانجليز يحتفظون الرجال
من قرام ليحملوا في معسكراتهم ، ويسمونهم
(متطوعين) وكان بعض هؤلاء المساكين
يهربون من قرام ليضموا في الأزهر خشية

على أننا لم نجد في هذه المرة ، وقد حدثنا الله كثيراً ، ولكننا في العودة لقيناهم وقد اشتبكوا في معركة مع اثنين من الطلاب الأزهرين الذين سبقونا في المسير فلم نجد بداً من أن نركض بكل ما وسعنا جهداً وغوتنا حتى ننجو من هذا العذاب الأليم .

إن هذه المهزلة التي كانت تكرر في طرقات العاصمة مع الطلاب الأزهرين دون سواهم كانت تحز في نفوسنا في ذلك الوقت وتحض كبرياءنا ، وتلقي بكرامتنا في الوحل . فلم يكن أمضاً على قلوبنا من أن نرى أنفسنا محاصرين بهذه الأغنية المتبذلة ، وبهذه الضحكات الوقحة ، وبهذه التوافد التي تفتح من فوق رؤوسنا لتشهد مأساتنا المخزية .

أكان في وسعنا أن نسلك طريقاً آخر إلى المسجد يمتلئ من منعطفاته هؤلاء الأطفال المجرمون ؟ لم تكن نعرف لسوء حظنا سوى هذا الطريق ، على أنه ، ما الذي يؤكد لنا أننا في الطريق الآخر لن نقابلاً بصية آخرين يحفظون عن ظهر قلب هذه الأغنية الدنسة ويروحون يعذبوننا بسعرياتهم المقيمة . ورغم هذا كله لم يكن ثمة مجال لأن نصل إلى المسجد طائرين في الجو أو سالكين دروباً تحت الأرض ، فلا بد لنا من الظهور ولا بد لنا من أن تلقى عقابنا على أننا طلبة أزهريون ؟

محمد علي غريب

يركان فيها فهي هربتهما الخاصة ، وسألت منهما ... قليل لي ... إنهما ابنا فضيلة الشيخ عبد الرحمن قراة مفتي الديار المصرية في ذلك الحين .

ولما انقضى الوقت أمامنا ... فكشفت لنا ظاهرة غريبة ، جعلتنا نسجب من أن (مفتي الديار المصرية) يرسل ولديه أو اثنين من أقاربه إلى الأزهر ، مع أن القاعدة التي كانت متبعة في ذلك الوقت هي أن أكثر علماء الأزهر كانوا يخلون بأبنائهم عليه ، ويعثون بهم إلى المدارس المدنية ...

وكانت القاعدة الثانية . أن أبناء شيوخ الأزهر الذين يدرسون فيه هم أقرب الطلاب إلى التحلل والانقطاع في مسالك اللهو والعبث . كانوا يتخذون من نفوذ آبائهم سترًا يخفون تحت حماقتهم وردائهم ، وكانوا وهم طلاب في الفصول يعرفهم أكثر الأساتذة لأنهم أبناء زملائهم . فيغضون الطرف عن مساوئهم وزلاتهم ، وكثيراً ما ترى الواحد منهم يحضر إلى الدرس ، وبعد قليل ينصرف منه بحجة أنه مريض ، وإن كان من الثابت أنه يغادر المسجد إلى المقهى أو إلى الحديقة التي تشرف على قصر النيل فيقتضى أوقاته كلها لاهياً عن الدرس ، بعيداً عن محيطه . معنياً إلى الغداء في المنزل وأشد ما يحيفنا أن نجد هؤلاء الصبية الصغار يرتبسون بنا .

وضع الربا في بناء الاقتصاد القومي

للاستاذ عيسى عبد إبراهيم

- ٣ -

وفي بعض المدن الانجليزية - على أية حال - ومنها لندن وبريستول وبلاد أخرى أقل أهمية ، ظهرت صور متواضعة ، وفي نطاق ضيق ، للرأس مالية .

وقد حفظ التاريخ نماذج لهذه الصورة المبكرة من صور الرأس مالية الباغية ، في المجتمع الانجليزي لرجال من الواحدين على الجزر البريطانية ، وبخاصة من الجهات التي كانت تبحر مع بريطانيا ، صندئذ . مثل لومبارديا وفلنچ وهانزا ...

ومع ظهور البوادر المبكرة لرأس مالية ، زادت حدة مشكلة الربا ، وهي المشكلة التي تأخذ صوراً عديدة ... منها الإقراض بفائدة محددة سلفاً ، ومنها صور أخرى أشد إقداماً للجمع ، على نحو ما ستوضح في الموضع المناسب .

• • •

وفي هذا المجال - كما في مجالات كثيرة أخرى - تدخلت سلطة الكنيسة بقصد الإرشاد ، ولكن في رأي الأستاذ كوتن - في كتابه : « تاريخ العصور الوسطى » ، كان تدخل الكنيسة أقل من حيث الأثر والشمول ، من الصورة المبالغ فيها ، التي عمد بعض المؤرخين إلى مطالعة الناس بها .

موضوع « الربا واثنين الصائل » هو من الموضوعات البارزة ، التي مستغل دائماً من معايير التميز بين نظم الحياة في القرون الوسطى وبين أنظمة العصر الذي نعبر فيه .

فلنتظر ، إذن ، إلى ما كانت عليه الحال في ذلك الوقت المبكر نسبياً ، في البلاد التي تطورت ووصلت بمحضارتها المادية إلى حد جعل غير ما ينظر إليها على أنها صاحبة القيادة في كل من مجالات النشاط الاقتصادي ، وكذا الفكري ، فتجد مثلاً أنه إلى القرن الثالث عشر تقريباً لم تكن إنجلترا قد عرفت بعد ما هي الرأس مالية . بمعنى أنها لم تمارسها ؛ لأن الثروة المجمعة - صندئذ - لم تكن من الأهمية بحيث تثير هذا المفهوم الاصطلاحي ، بصورة تلفت نظر المجتمع ... بما في ذلك الجماهير ، والممولين والمصلحين أيضاً .

إلا أنه في جهات أخرى من أوروبا - ومنها فلورنسا والبندقية ولويك - وجدت عناصر من تبحر ذلك الزمن ، الذين كانوا دائماً على استعداد للخاطرة بأموالهم الخاصة وبحياة الآخرين ... في طلب الثروة ، ومن ثم لم تكن تقف في سبيلهم أية عتبة مادية أو معنوية ، بل انحصر مهمهم في جمع المال ...

التجار والمرايين إلى المجابهة والمعارضة لما يصدر عن هذه السلطات الدينية من تعاليم ومن آراء .

وكان المجتمع الذي يضم هذه الطبقات يروح تحت السيطرة المادية والمالية للملاك الأرضي وعناصر الإقطاع من ناحية ، ويرسف من ناحية أخرى في أغلال وقيود فكرية تتمثل في سلطة روحية غامضة تسترهب العامة . ومن هذه السلطة الروحية موقف الكنيسة من التجارة ومن القروض الربوية على ما بينا .

ولقد تبلورت العقيدة التي تفشت في الجماهير عندئذ بمعظم الدولات والممالك الأوروبية في مقابلة غامضة بين فكرة التخليص أو الخلاص أي خلاص النفس من الخطيئة التي تنفخس فيها ، إن هي طارعت آراء الإكليروس ، ونفطت إلى الحرف والتجارة . هذا من ناحية وبين المجازقة بالتردى في القعة التي تحمل بالناس إذا هم جردوا على مجابهة تعاليم الآباء من رجال الدين ، واشتغلوا بالحرف والصناعات والتجارة .

ولم تكن الخطيئة بمجرد سيئة لا يجرى مقترفها إلا بقدر ما اقترف من ذنب ولكنها كانت - كما قيل آتئذ للناس - خطيئة أبدية ولعنة مقيمة في الأرض وفي السماء ، وفي الحياة الأولى وفي الحياة الآخرة ، ويقابل هذه

كان الآباء من رعاة الكنيسة ، يتعاملون التجارة على وجه العموم أو يعلنون سخطهم عليها وعلى من يمارسها ، بمقولة : إنها خطيئة وكان موقفهم هذا من التجارة شديدا بموقفهم من إدخال الفنون إلى مباني الكنائس ، لخرقتها بالصور والتمائيل .

ولكن يلاحظ أنه في هذه الآونة ، وفي الأجيال التالية لها ، كانت الكنيسة ، أو كان رجال الإكليروس يملكون بصفتهم هذه أكبر مساحات من الأرض ، وكانوا يحتلون قمة الإقطاع .

ومع ذلك كانوا يقفون من التجارة موقفا لا يكتفون فيه بمجرد الترك والإهمال أو الإنكار .

وإنما تطور موقفهم هذا إلى نوع من العدواة السافرة والاضطهاد .

هذا من الصراع بين الرأس مالية المبكرة ممثلة في التجارة وفي عقد القروض بالفوائد الربوية من ناحية ، وبين سلطة الكنيسة التي حرمت النشاط الاقتصادي في صورته السالفة الذكر ، وأباحت الإقطاع وتربعت على عرشه المادى الخالص .

أما الجماهير ... أما الشعوب ، فإنها كانت بطبيعة الحال ، تحس أو تنجهم بميوها وبرغباتها لمجابهة المصالح الخاصة الطائلة التي طالعتها من جانب الإقطاع ، ومن ثم كانت تميل مع

مصلحته الخاصة ، ولكنه (أحنى القانون الكفنى) لم يقف عند هذا الحد بل أضاف ضابطين للعاملات قائلا :

كل يرحى جله ، وكل فرد مطالب بأن يعامل الناس (أو الآخرين) بما يجب أن يعاملوه به ولكن هذه التعاليم التي جاءت بها قوانين الكنيسة لم تستمر من حيث التطبيق الشامل طويلا ...

وينسب السير وليام أشلى في بعض مؤلفاته أقوالا لكل من توربليان وجيروم والقديس أوغسطين ..

فيقول الأخير ما يلي : إن ممارسة الأعمال business هي في حقيقتها خطيئة ؛ لأنها تصرف النفس هي الحق وهو الله ، وفي الاتجاه إلى الحق وحده الراحة الحقيقية والسلام rest .

ويرى كولتون (المؤرخ العالم المشار إليه آنفا) فقرات أخرى لم يذكرها السير ويليم أشلى ، وقد تضمنتها مؤلفات أخرى ومنها ما هو منسوب إلى جون كيستوم ، ومفادها من اشترى شيئا لا ليبيعه على هيئته (التي اشتراه عليها) وإنما ليكون مادة لإعداد شيء آخر ، فانه لا يشتري تاجرا ... ولكن الشخص الذي يشتري شيئا ليعود فيبيعه على حاله وبغير تعديل يجرمه عليه ، فإن هذا الشخص الأخير يدخل في ذممة المشتريين والبائعين المبعدين عن حظيرة

الصورة الموحدة التي ترتد لها الفرائص ، سلام دائم ، وخلع للنفس البشرية يدوم أيد الأبدان .

وبين هاتين الصورتين اهتزت نفوس الجماهير بفعل العقيدة التي تولى بثها والدفاع عنها رجال الدين وهم عندئذ من كبار ملاك الإقطاعيات التي كانت تدر عليهم إيرادات وفيرة تكفل لهم التجم وهو نعيم حلال كما كانوا يقولون .

ولأنه لمن المفيد أن ننظر إلى بعض نصوص التشريع السابقة والمعاصرة ذات الصلة بهذا المجال ، ومن ذلك أن القانون الإمبراطوري لروما Roman Imperial Law كان ينظر إلى المجادلة عن الثمن (أو العصال) على أنها مسألة جراءة في المنافسة ، أو مسألة أسلوب مجرد أسلوب ، في ممارسة المنافسة الطليقة ، أو الحرية ، فكان يقول :

sell as dear and buy as cheaply as you can; all is fair, short of actual cheating.

إذا اشتريت فأبض الثمن ما استطعت ، وإذا بعت فضاغف الثمن ما وجدت سبيلا إلى المضاعفة ، ولا حرج ، فهذا وذاك عدل في المعاملة بشرط ألا تدخل الغش ... أما قانون الكنيسة (وقد تأثرت به قوانين الحكومات التي عاشت في ذلك الزمن ، أعني : القرون الوسطى) فقد جنح إلى شيء من الإنسانية حين قرر ما يلي : « كل فرد يرحى

القرون الوسطى ، المبكرة ، أى حول القرن الخامس عشر .

ويرى الأستاذ كولتون ، أنه عند هذا

الحده ينبغي القول بأنه لم يكن من المستغاب أن تفسى هذه التعاليم وأن تطرح تماما ، وبالفصل بين علم الأخلاق وعلم الاقتصاد

السياسى ؛ لأن الفصل بين الدين فضلا تاما - فى رأيه خطأ ، كالفصل بين أى دين آخرين ، ونقول بأن هذا الرأى صواب كما تقول أيضا بأنه عندما تراجعت الكنيسة عن التحريم القاطع للتجارة ، إلى القول بالثمن العدل وعندما قالت بتحريم الكسب الفاحش

وأنزله منزلة الربا ، قد وصلت بالتأمل إلى رأى صائب ؛ لأن الربا فى حقيقته هو كل اعتصار للضعيف ، سواء أكان هذا الجرم يتخذ صورة القرض النقدي ، أم صورة من صور الحيل التى تعنى على المقصد صورة البيع ، وهو فى حقيقته ربا ... أم كان الاعتصار بأساليب أخرى كاحتكار الآفات .

• • •

على أن التطور الذى أشرنا إليه ، وقلنا بأنه قضى على التحريم القاطع للتجارة (وقد قالت به الكنيسة فى أوائل العصر الوسيط ، وعلى الخصوص فى كل من القرون العاشر والحادى عشر والثانى عشر ، وأفسح المجال

المعبد ونفسه (مكننا فى الأصل) وواضح أن المقصود ، هو الإبعاد عن جانب الله ، أو الطرد من رحمة الله .

ومن ثم كان شراء السلعة لإعادة بيعها (كأى) خطيئة لا تقل عن الربا من حيث جسامه الجرم ، سوى درجة واحدة .

وهذه الأقوال ، لا تخرج عن كونها امتدادا منطقيا لتعاليم بولس الرسول ، أو القديس بولس الذى قرر بأنه : من حيث إن المسيح لا ينبغي له أن يتاجر أخاه المسيح نزاعا قضائيا فإنه يمين ألا تكون بين المسيحيين تجارة ناشطة .

• • •

ولكن تعاليم الكنيسة تراجعت فى مواجهة التنظيم الوضعى للنشاط الاقتصادى ، ومن ثم نبتت فكرة الثمن العادل The Just Price التى تبيح البيع والشراء على شريطة ألا يكون هنالك غلو فى الربح . وكل غلو يعتبر كسبا محرما . وكل تجارة تجبى لصاحبها بما يزيد على الكسب المشروع (فى نظر المجتمع) تعتبر بدورها تجارة محرمة ، كتحريم الربا وحده الكسب المشروع ، هو ما يحفظ على التاجر مركزه العادى فى الوسط الذى يعيش فيه .

إلى هذه الدرجة ، إذن ، تطورت التعاليم التى كانت تحكم التجارة فى أواخر

إن كانت تستهدف تحقيق غاية ضرورية ،
أو هدفاً خيلاً ...

وهذا بالذات نود التنبه إلى أن فلسفة
الأب توما وما يدور في فلسفها ، هي التي
حلت الكنيسة في القرون المتأخرة (أعني
الثامن عشر والتاسع عشر) على أن تسكت -
على الأقل تسكت - حين وجهت أوروبا
جهودها نحو الشرق البعيد والشرق الأوسط
وشمال إفريقيا في محاولات لتحقيق هدف
ضروري أو هدف شريف (عند المسيحيين)
وهو انتفاص الأمم الإسلامية من أطرافها ،
بكل وسيلة ، ومن هذه الوسائل ، بل من
أهمها الإقراض بالربا الفاحش المضاعف ،
وتحقيق الأرباح الخيالية ، أو قل الاغتصاب
والنهب المنظم لخيرات البلاد التي رزمت
بزول الفرنجة فيها .

و حين أهل القرن التاسع عشر ، اتخذت
هذه الظاهرة سميتها إلى القمة ، فكانت أساليب
التجارة مع الصين لنهب خيراتها تعتمد
- فيما تعتمد عليه - على تخدير الشعب بتشجيع
تعاطي الأفيون . وكانت القروض تمنح
للولاة والسلاطين بالفوائد الفاحشة ، وكانت
هقوق الامتياز للتجارة والاستغلال الخيرات
نصم على أساس السلب المنظم ، بدعوى
حق الامتياز ، ولم تحرك الكنيسة ساكناً .
لأن الأهداف - في نظر الفلسفة الإكوينية

لفكرة الثمن العدل) أنهى حالة الجلود
واركود ، ومهد التطوير من جديد ... لجاء
د الأب توماس الإكويني ، - بدوره -
بفلسفته عن الثمن العادل في القرن الثالث عشر .
وفي رأيه أن التجارة في حد ذاتها ليست
من الخطيئة في شيء ، لكنها تحمل بذور
الشر بما تنطوي عليه من فرص الإغراء
بالكسب الفاحش ، ومن ثم فرص الإغراء
بالوقوع في الخطيئة .

وكان الأب توما الإكويني على شيء من
العلم . ومن ثم فقد خشى أن يصطدم بالتماليم
التي وضعتها الكنيسة من قبل ، ولذلك حين
تكلم عن التجارة دار دورة كبيرة وحاول
أن يفرق بين المبادلة التي تستهدف مصلحة
عامة ، وتلك التي تصرف انصرافاً تاماً إلى
تحقيق الكسب ، و انتهى إلى القول بأنها
(أى التجارة) مشوبة في أساسها بقدر من
الوزر لأنها تغري بالتزيد في الكسب غير
المشروع . لأنها لا تستهدف ، على وجه
العموم ، خدمة عامة أو فعلاً خيراً ... ومع
ذلك هي لا تجعل في ثايبا تكوينها الطبيعي
- إذا جردناها من طمع الإنسان - بذور
الإثم والخطيئة ، ولا عوامل مناهضة الفضيلة .
وتأسس على ما تقدم - يقول الأب توما
الإكويني - بأنه ليس هناك ما يمنع
من القول بأن التجارة مأذون بها قانوناً ،

القواعد الضابطة لكل نوع من أنواع المعاملات والمقود.

ولا تزال لفظة القرض إلى وقتنا هذا — في دراسة التمويل — تفيد الإمداد بالمدخرات ، بصرف النظر عن الشكل القانوني الذي تصب فيه عملية التمويل . ويظل هذا النظر صحيحاً في دراسة التمويل ، عندما يكون التمويل في داخل إقليم معين ، وعندما يكون في المجال الدولي على السواء ، وهكذا يتضح أن رجال الكنيسة لم يتجنوا بقولهم بأن القرض محرم ، ولا بقولهم بأن المتاجرة والمراصة والمشاركة والمضاربة كلها حرام ؛ لأن النص الذي يتلوه يحض المسيحي ، أن يمشي في سلام ومن أجل السلام وراحة النفس ... ومن شأن النشاط الاقتصادي وحب المال ، أن يصرف النفس عن الله . والله وحده الحق .

كل من طبعياً إذن أن تبقى مشكلة الربا شائكة إلى القرون القريبة وإبان عصر النهضة . واستمرت الحال كذلك حتى ثارت المشكلات في مناسبات دينية ، كالاقرارف . إذ كان القس يسأل المعترف ، والمعترف يجيب ، أو يلجأه المخرج . ولذلك رأت روما أن تصدر تعليماتها المشددة إلى الآباء الذين يخدمون كرسى الاعتراف ، بأن لا يحسوا

وتطويرها . هي أهداف مشروعة أو شريفة أو هي على الأقل ضرورية للحد من خطر الإسلام الذي يقي على وجه الأرض نوراً للبشرية وفدى في عيون المبطلين .

وفي جو هذا التنازع بين الفضية النظرية المتخافذة المضطربة ، وبين الصعوبات العملية عند التطبيق في النشاط الاقتصادي ، مع الوقوف عند حد الثمن العادل ، بقيت مشكلة الربا كواحدة من مشكلات الاقتصاد السياسي المعروفة في القرون الوسطى ، ولكنها تميزت باعتبارها شائكة فلسفية وعمرقة لا يكاد الباحث يلبسها حتى تتنازع تيارات الفضية الشفوية من ناحية ، والاعتبارات العملية من ناحية أخرى .

ومما ساعد على بقائها بغير حل ، ادعاء أوروبا في إبان عصر النهضة أنها تتمسك بدين السيد المسيح عليه السلام ، وأنها صليبية على عهد السابق ، وأنها تؤمن بالإنجيل الذي يقول بالنص الصريح ، بتحريم الربا والقائمة في جميع صورها ، ويعرف هذه المعاملات التي يحرمها بأنها « أخذ أي قدر زائد على أصل القرض » .

ولفظة القرض في لغة التمويل ، أو في سوق رأس المال تنصرف إلى الدين والمشاركة والمساهمة . على خلاف لغة القانون التي تفصل بين المفاهيم فصلاً يقتضيه ومنع

وفي ظروف كهذه لم تكن هنالك فكرة واضحة عن العدالة الاجتماعية التي تمثلها الغرب فيما بعد في مذاهب اقتصادية دائمة التطور .

• • •

وبارتقاء قبضة وجلال الدين عن شئون المال بل عن الشئون الدنيوية ، تقدمت الرأسمالية بخطوات ثابتة وأخذت في تهذيب الوسائل العتيقة والتخفيف من قسوتها ، ومن ذلك تخفيف الربا ، إلى الفائدة ، على أنه يتعين التنبيه إلى أن فصل الدين والأخلاق عن الاقتصاد قد أفسح المجال أمام المغامرين لكي يفتشوا في مجالات التنمية بغير ضابط من الخلق أو الضمير ، ولم يتورع أحدهم عن ظلم جاره أو شريكه أو منافسه ، وإن كان هذا الظلم يؤدي إلى تحطيم الخصم .

إلا أن الوقائع المحلية كانت فردية وغير خطيرة ، وإنما تمثلت وحشية الرأس مالية في زحفها على كل من آسيا وإفريقيا من جهة وعلى أمريكا اللاتينية من ناحية أخرى . بحيث نجد في تاريخ استغلال موارد هذه القارات صفحات من التاريخ لا تدانيها وحشية الجور والتار .

ومن أقدر الأفلام التي تعرضت لوصف مصادر المدنية المادية الحديثة ، فلم الاقتصادي الأمريكي ثورستين فبلن ، الذي لم يقف عند حد دراسة أصل الحضارة المادية ، الرأس مالية

الناحية المالية في أسلحتهم . بمعنى أن بغضوا الطرف تماما عن ماهية الاستثمارات التي مارسها المسترف بخطاياهم . وصدر بهذه التعليقات منشور بابوي في سنة ١٨٣٠ .

والحصول الأخيرة لهذه الأوضاع ، تلخص في أن تعاليم الأخوة والفراسم التي انتشرت في الغرب الأوروبي ، بانتشار تعاليم السيد المسيح ومن تولى الدعوة إليها إلى أن كانت القرون الوسطى — حين بدأ نشاط التجارة يدب ديبه الأول — قبل الاهتمام إلى الصناعة بمعناها المعروف خلال مائة وخمسين عاما مضت ... أقول بأن هذه التعاليم التي تفيض سماحة ، قد تحولت عندئذ مع تقدم النشاط التجاري والمالي إلى كلام حذب ، لا شأن له بمجالات التطبيق .

وعلى الرغم من التصاميم والاحتجاج بين آن وآن ، فإن هذه الأوضاع سادت وبقيت المعاملات والأجور والأثمان وأساليب تمييز المدخرات لا تجد ضابطا فعلا إلا من العادات والتنظيمات الخاصة التي تعمل على حماية جماعة معينة أو أصحاب مهنة أو حرفة . ولم يصل التطور الاجتماعي عندئذ إلى هدفه الذي يتمثل في قيام مجتمع متساك ، وذلك بسبب ضعف المواصلات ومن ثم لم يكن هنالك رأى عام بأي قدر له وزنه ولم يكن هنالك أيضا ما يعرف بالضمير الاجتماعي ...

خفت صوت الدين إذن في الغرب ، من أربعة قرون على الأقل ، في مشكلة الربا والعائدة والربح الفاحش ، وكلما اقتربنا من القرن التاسع نجد أن الرأسمالية قد استقلت بوضع أقيستها ومعاييرها للعاملات ، وبخاصة بعد الثورة العلمانية على السلطة البابوية في شئون الدنيا ، وقد رفع رايها نابليون في حفل تتويجه على ما هو معروف ، عندما تناول التاج بيده وأقره على رأسه ، على خلاف التقليد الذي كان باقيا لإتقاد الشكل ، بعد أن ضاع الجوهر ، والذي كان يقضى بأن يكون إسناد السلطة الزمنية إلى الامبراطور أو الملك ، بيد الكنيسة ممثلة في رجل الدين . ولذلك يتعين القول ، بأن البحث في الربا والفائدة ، يعتبر عند علماء الغرب ، من القرن التاسع عشر إلى الآن ترفا تاريخيا أو بقية من التعصب الأعمى .

• • •

ووجه الخطوة في هذه الجزئية أننا هنا في الشرق ، قد فائنا إلى حد ما ، ونكاد نياس من إخضاع النظم الاقتصادية لأحكام الدين الحنيف ، ولهذا أرى لزوما أن أختتم هذا الجزء من المحاضرة بالتنبية إلى إندام الشبه بين موقف السلطة الروحية من مشكلة الرما في الغرب ، ومن ثم فجور الرأسمالية وتطورها إلى استثمار وحروب اقتصادية

الحاضرة ، بل عكف على تجريد الحضارة المعاصرة من زيفها وعرضها للقارى على حقيقتها . فإذا بهاربا فاحش وتجارة بالعرض وبحياة الآخرين ، وقد كتب إلى آخر حياته في سنة ١٩٢٩ ، وكان طبيعيا أن يعيش مضطهدا وأن يموت مغمورا في وظيفة أستاذ للاقتصاد بجامعة صغيرة ، بعد أن طارد أصحاب الصناعات وهم جبابرة المال ، وهم أيضا الممولون للجامعات الكبيرة .

إلا أنه وجد أيضا من يدافع عن الرأسمالية المؤسسة على المعاملات الربوية ، ومنهم آرثر لوك في كتابه عن التطور الرأسمالي في الولايات المتحدة من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٥٥ . ومن الاقتصاديين الأمريكيين أيضا من يرى أن الحياة الاقتصادية الحاضرة ، لا تقوم إلا على الربا ، وقد وصل بتحليل ظريف إلى أن إيجار الأرض والمغار ، فائدة ، والأجور والمرتببات ، فائدة ، وجزاء رأس المال الخاص ، فائدة ، وروح المنظم فائدة أيضا . وعنده أن الظاهرة الربوية المحففة هي علة النشاط وهي المعيار الأوحده للمدل في توزيع الثروات ، أى ناتج كل نشاط يباشره الإنسان بتسخيره لقوى الطبيعة وتوظيف رأس المال والجهد والكفاية ، ومن هؤلاء بول سامولسون الأستاذ ببعض الجامعات الأمريكية (الاقتصاد والتحليل سنة ١٩٥٣) .

في معاشهم ومن ثم فإن التعاليم التي تضعها الكنيسة هي قوانين وضعية يجوز عليها التطوير والتعديل وأخيراً الإلغاء... وقد كان :
٢ — موقف الكنيسة من التجارة :

حرمت الكنيسة على شعوبها أن تتجر وتوعدتهم باللعنة الأبدية إذا هم فعلوا .

إلا أن تاريخ القانون ، وتطوراته في القرون الوسطى المتأخرة ، إلى الثامن عشر - وقد جمعت لجان بتكليف من نابليون عندما أراد أن يضع قانونه - قد خلطت بأصناف من العقود الربوية منها عقد القنوصية البحري وفي كل عقد من هذه العقود طرف مستر هو نبيل أو واحد من رجال الدين . وطرفه ظاهر ، هو البحار الذي ينقل السلع والمحصولات فيجلب الربح ويقسم مع الشريك المستغنى . وكانت أطراف العقود إما من الأفراد أو من الجماعات ، وكان الشريك المستر دائماً أو الشركاء من تقدم ذكرهم . وكانت الجماهير تعلم ذلك ، وتناقضه ولكنها مع ذلك كانت في حيرة من أمر العقيدة الغامضة من ناحية ، ونشاط رجل الدين في مجالات يحرمها على الجماهير من ناحية أخرى ، ولكن فكرة خلاص النفس خلاصاً أبدياً وخشية الطرد من رحمة الله ، خدعت الشعوب الأوروبية طويلاً ، إلى أن كان عصر الإصلاح .

وبالتالي ، حين فقدت الكنيسة سلطتها

وبية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى موقف الأحكام القرآنية من المشكلة الاقتصادية على وجه العموم ، وجزئية الربا على التخصيص ويبان ذلك :

موقف الكنيسة :

كان موقف الكنيسة مبشوراً منه ، ما في ذلك شك ، ولهذا تراجعت ثم خسرت المعركة نهائياً بعد أن طال دفاعها . وأما الأسباب فتلخص فيما يلي :

١ — نص الإنجيل : وأبنا أن النص الصريح الوارد في الإنجيل يحرم كل زيادة على القرض ، وعلنا بأن القرض هو القبول ، ومن ثم فهت الكنيسة فهما صحيحا أن التجارة مشوبة على الأقل ، إن لم تكن محرمة قطعاً في كل صورها ، بما في ذلك القرض الربوي بحكم النص .

ولم يكن في وسعها أن تناقش صحة الرواية التي انتهت إليها الأناجيل الأربعة . ولم يكن في وسعها أن تقول بأن كل إنجيل إنما يمثل ما فهمه كاتبه من تعاليم السيد المسيح .

ولم يكن في وسعها أن تقول بأن كلام الله لا يمكن أن يمحى على العديد من الصور ، ولم يكن في وسعها — وهذا هو الأهم — أن تقول بأن المسيحية دين مساوي ، ولكنه لفترة من الزمن ، وأنه يدعو إلى المحبة ، والسلام ، ولا يتعرض لتنظيم شؤون الناس

عن آثار وعن وثائق ، كانت مادتها محل الخدس والتكهن في القرون الوسطى وكانت تسام في خلق حالات القلق والارتياب والغموض التي كانت تألف منها عقيدة ذاهلة تحمل على التسليم في ضيق وارتياح .

ويقول أيضا بأن الكشوف المذكورة ، وقد نشرت في وثائق استند إليها في مؤلفه ، قد بينت أن بعضا من الرهبان ، الذين يحرمون على أنفسهم الزواج العلني ، كان يتخذ الواحد منهم ، ثلاثا من الراهبات ، واحدة للأب ، والثانية للابن ، والثالثة للروح القدس ، وكان التأويل الذي تطعن إليه نقوس الجماعات التي تمت على هذا النحو ، من الذكور ومن الإناث ، أن امتزاج الروح والبدن في تعظيم ثلاثي الراهب الواحد ، هو امتداد لعقيدة التثليث ، وشهادة على التسليم بها .

أما عمل هذا الاتصال البدني الروحي ، فقد كانت تدفن في أقبية الأديرة ، ولم يكن من المفروض أن يظهر الوليد ، وقد وجدت هذه الهياكل الأدمية في أمكنتها حال الهدم والإزالة ... لم تكن هذه الحقائق مطروحة تماما عن الشعوب ، ولكنها لم تكن معطاة كذلك ، على نحو ما ارتأه المؤرخون في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

الزمنية ، اندفعت الشعوب الأوروبية إلى النشاط الاقتصادي بطاقة مكبوتة فاطلقت لا تلوى حل شيء ، وكان من الطبيعي ألا يستمع الفرد منهم إلى فكرة تحريم المعاملات الربوية ، بل إن علماءهم يتحدثون عنها الآن بوصفها من آثار جبروت السلطة الروحية التي كانت تجبر وتحرم التجارة في آن واحد .

أما عقد التوصية البحري ، وقد كان عقداً سرياً كما قدمنا ، فقد هذب قانون نابليون وطوره إلى عقد شركة التوصية البسيطة ، وفيها شريك مستر إلى حد ما ، وفي هذا تفصيل واف في تاريخ عقد الشركة .

٣ — سلوك بعض رجال الدين : يقول كيتشن في كتابه عن الطلاق - Divorce by tchen بأن حياة النعيم التي كان يعيشها المتوفون من رجال الإقطاع ، وكذا المعاة من المشتغلين بالتجارة في القرون الوسطى ، قد كانت مذهلة .

ويقول في معرض الكلام عن تعدد الزوجات بأن الترف الذي أغدته إرادات الإقطاع على السلطة الروحية في القرون الوسطى ، قد أدت إلى انفاس البعض من رجال هذه السلطة في ألوان من المتع الحسية تنق من الوصف ويقول أيضا بأن الغزوات والحروب وإطاعة تخليط المدن ، قد أدت جميعا إلى تهديم بعض الأديرة ، والكشف

منها الحروب وأدوات التدمير ما يدتنا على لون من ألوان الحق ، ويمكن أن نلاحظ أن الاستعداد للحرب يكلف الشعوب في البلاد الكبرى ما يزيد على ٤٠ ٪ من الدخل القومي وأن هذا المال الذي يهلكه البشر طواعية واختياراً ، أو يحرقه البشر بفعلهم ، يبلغ مائة ألف مليون جنيه ، وأنه إذا وزع على سكان الأرض لحص كل فرد أربعين جنيهاً في السنة ، وإذا كانت الأسرة تألف من خمسة أشخاص ، فإن نصيبها من هذا القدر الممحق يكون ٢٠٠ جنيه في السنة ، فما هو إذن النصيب الحقيقي من المال المهدو لكل أسرة من الأسر في البلاد التي تتحمل العبء الأكبر من تبعات الاستعداد للحرب ، خوفاً من الحرب .

وهل صح قوله تعالى : « يحق الله الربا » أم لم يصح بعد ؟ .

إن عصر المعجزات قد ولى مع الرسل ، ونحن البشر نتولى بحق دوس الأموال وقد شابهها الربا ، ففعلنا وتنظيمنا الخارج على إرادة الله سبحانه وتعالى ، ولكن لهذا القول موضع لا يجهل في هذا الحديث .

• يتبع •

عيسى هبة إبراهيم
الأستاذ المساعد بكلية التجارة
جامعة عين شمس

وما وصل منها إلى علم الجماهير الساعية في طلب البركة أو إلى كرسى الاعتراف . كان كافياً لنقض الطرف عن تضيق الخناق على المعترف ، وقد قامت بشأن المعاملات الربوية حال الاعتراف ، مشكلات كثيرة في القرن الثامن عشر وفي أوائل القرن التاسع عشر ، حتى أصدر البابا أمره الذي أشرنا إليه (في سنة ١٨٢٠) .

ومن شأن سلوك بعض رجال الدين على النحو الذي يقول به كيتشن ، ألا يبقى مجال للقول في يسر ، بقسمة تعاليم الكنيسة التي حرمت التجارة ولعنت الربا .

ومن ثم كان موقف الكنيسة من هذه المشكلة ، ميثوساً منه ، على ما قدمنا .

ولأنه لأمر بالغ العجب ، أن نقول بأنه قياساً على يأس الكنيسة من مشكلة المعاملات الربوية ، وطراح رأى الدين عند النظر في التنظيم الاقتصادي يحمل لنا نحن أن نطرح حكماً أو نقوله لكي يتفق مع التنظيم الرأسمالي الجامع الذي قاد العالم إلى حروب مدمرة ، هي بعض الآثار الملوثة ، لقوله تعالى في سورة البقرة : « يحق الله الربا ويرى الصدقات » .

وفي الجزء الأول من الآية وصف بليغ لاقتصاديات الفرون الأخيرة ، التي تستنزف

هذا الرجل... ماذا وراءه؟؟

للأستاذ محمد عبد القدوس الشمان

انني في حيرة ...
ثلاثة أيام كاملة وأنا عاكف على وسائله
التي بلغت بضع عشرة رسالة ، وكتابه عن
الصلاة الذي بلغت صحفاته أكثر من سبعمائة
صفحة ، وسألت أن أخرج منها جميعها
برناج واضح للرجل ، أو اتجاه محدد ،
فضاعت كل محاولاتي عبثاً ، ولكنني لم أشك
لحظة ، في أن الرجل كائن ما كان يكتب لنفسه
وحده ، وفي منطقة نائية عن العمران ،
وهو على ثقة من أن إنساناً لن يلقاه ، ومن
أن أحداً - كاتناً من كان - لن يقرأ حرفاً
مما كتبه ... ولم يكن شيئاً غريباً منه أن
يعتقد أنه لا وجود اليوم لأربعمائة مليون
مسلم في أنحاء العالم ، فقد سأله سائل عن سر
استعباد المسلمين ، وأسباب الفقر الذي يهدد
كيانهم ، فأجلب كما هو وارد في الرسالة
الأولى الصفحة الثالثة :

« السبب يأسى بدي بسيط للغاية ، ثم يعد
هناك مسلمون يسلمون لله حقاً ، ويخضعون
لأوامره وحدها في رسالته إليهم ، وليس
هناك من يدين بالإسلام لله ويتخذ من
الإسلام لله ديناً له ... »

إن للرجل ندوة يقيمها مساء مرتين كل
أسبوع ، أطلق عليها « ندوة أنصار القرآن »

أهو تبي يدعو إلى دين جديد ... ولكن
بدون برناج ولا رسالة ولا أتباع ؟

أم هو مجتهد ... ولكن المجتهدين إنما
يجهلون في الفروع ، ولا يمكنهم بمحاول
ليهدموا بها الأصول ، ويضربوا بعضها
ببعض ، ويخلقوا منها عجينة لاشكل
ولا طعم لها ؟

أم هو تاجر يهدف إلى الربح من مطبوعاته
العديدة الضخمة ... ولكن هذه المطبوعات
يوزعها بالجمان ؟

أم هو مجموعة من الاهتزازات العقلية ،
تميش معه منذ سنين ... ولكنه يشغل منصباً
فنياً دقيقاً في الدولة ؟

أم هو يمثل لاتجاه خطير هدام ، وموجه
إلى الإسلام ... ولكن الدلائل كلها لم تثبت
أن الرجل تابعاً واحداً تأثر به أو تشيع له ،
رغم قيامه بدعوته منذ سنوات بعيدة ؟

أم هو عميل لجهة أجنبية تمويل مشروعاته ،
ولكن الرجل يتمتع ببراء عرض ؟

أم هو أخيراً ممن أصيبوا بمركب قصص ،
يحاول عن طريق شذوذ الأفكار أن يروض
عاقلة ... ولكن الرجل يتولى منصباً
كبيراً وليس بينه وبين حكرى الوزارة
إلا بضع خطوات ؟

وصلاة الجمعة ، وصلاة التهجد ، والأخيرة نافلة .

أما صلاة الظهر فهي مضمومة على الإسلام . وسند الرجل في هذه الفرائض العشر التي اختلس المسلمون نصفها آيات من القرآن ، فقرضت صلاة التلاوة سندها : « إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري » وصلاة إدبار السجود وسندها : « ومن الليل فسبحه وأدبار السجود » .

وصلاة الفجر سندها : « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر » .

وصلاة الأصيل هي العصر في زعمه ، إلا أن أعداء الإسلام حرفوا وقتها .

وصلاة القيام سندها : « ومن آتاه الليل فسبح وأطراف النهار لعنكم ترضى » .

وصلاة التهجد سندها : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » .

وصلاة العيد هي من وضع أعداء الإسلام وهي عود إلى عبادة الشمس ، لأنها تصل وقت شروق الشمس .

وصلاة الجمعة تصل في أي وقت من نهار يوم الجمعة ، وكل الصلوات المفروضة لا يؤذن لها إلا الجمعة ، والمخطبة قبل صلاة الجمعة من وضع مروان بن الحكم .

والصلوات كلها تصل ركعتين ركعتين ، ركعتين لفريضة الصلاة ، وركعتين لفريضة

ورفعت هذا العنوان محاول أن يظهر بظهور المتحمس لتصرة القرآن . ولكن في حدود

قلب الأوضاع الإسلامية رأسا على عقب ، حتى ليتأكد للمطلع على حقيقة أفكار الرجل أنه إنما يدعو إلى دين جديد باسم القرآن ، ولا صلة له من قريب أو بعيد بالإسلام .

والدين الجديد الذي يدعو إليه الرجل يلغى شخصية الرسول - صلوات الله عليه - إلغاء تاما ، وينتق قويا باتا أن الرسول قد نطق لسانه بغير القرآن ، وأن الأحاديث النبوية المنسوبة إليه هي من وضع أعداء الإسلام ، وأن من يعتقد أن الرسول قال - ولو حديثا واحدا - يظن في أمانة الرسول نفسه ؛ لأن أمانة الرسول تقتضي ألا ينطق بغير القرآن ، الذي جاء كاملا ، وما فرط الله فيه من شيء ... وإذاه ذلك يتحتم علينا أن نترحم ألف مرة على الوضع الإسلامي منذ أن حمل رسالته محمد صلوات الله عليه إلى يومنا هذا ، وأن نترحم بجانب ذلك على فقهاء المسلمين وجهودهم في خدمة التشريع الإسلامي . العبادات كلها بوضعهم الحالي كفر وخروج عن الإسلام الصحيح .

والصلاة المفروضة عشر :

صلاة التلاوة ، أي بعد تلاوة القرآن أو سماعه وصلاة إدبار السجود . أي عقب السجود ، وصلاة الفجر ، وصلاة الصبح ، وصلاة الأصيل قبيل الغروب ، ثم صلاة المغرب ، ثم صلاة العشاء ، وصلاة القيام أثناء الليل

والرجل آراء لا يمكن لعقل مهما كان ضعيفا أن يعضها ، وهو في سبيل تأييدها يلجأ للقرآن أيضا . وهو حين يلجأ للقرآن يعلن عن تضخم في شذوذ هذه الآراء ...

مثلا ، يقول : التأميم وسيطرة الحكومة على المرافق العامة حرام ، وسنده من القرآن : « وما كان لشيء أن يفعل ... » .

وهو يقول : الوقف الخيري حرام ، لأن الواقف يتعالى على الله ، فكما ذهب لهم من ملكه ، يجب هو من ملكه به بعد وفاته ، وسنده من القرآن : « وجعلوا الله مازدا من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا : هذا لله بزعيمهم ... » .

وهناك حليط من الآراء لا طعم ولا لون لها ...

فمن معجزات الرسول : أن السماء قبل الإسلام لم تكن مزينة ، وزينت عند مجيئه ، لأن الله يقول : « إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب ... » وبناء عليه يعتبر أن الله لم يرسل موسى إلى فرعون إلا بعد مجيئه الإسلام ، لأن القرآن يقول : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملكه ... » وإذاعة القرآن نهاراً حرام . بل كفر ، والمدينون كفار ؛ لأنهم يذيعون القرآن حيث لا يتمكن المسلمون من تأدية فريضة صلاة التلاوة .

والعمل لبيلا حرام لأن ذلك تبديل

لإدبار السجود ، والصلاة التي يقرأ فيها التشهد باطلة ؛ لأن التشهد بالطبع لم يرد في القرآن . أما الزكاة ، فتحدد بما ليس من الإسلام ، فالمسلم بعد أن يحتفظ بقوة الضرورى يسلم أمواله لبيت المال .

وأما الصوم ، فالمسلم غير بين أن يصوم ، أو يطعم مسكينا ولو كان قادراً على الصوم . وأما الحج ، فهو أربعة أشهر كاملة : شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ، يقضيها الحاج دون التخلف يوماً ، وليس فرضاً إلا على القادة وأقطاب الصناعة والأعمال .

إن الرجل قدرة لا نطاق على تحميل القرآن ما لا يطيق ، وهو في سبيل إصراره على إنكار الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله - صلوات الله عليه - يحمل القرآن كل شيء ، دون ما مراعاة لقواعد اللغة والمنطق والفهم .

فهو مثلاً ليدلل على عدم الجواز للمؤمن أن يتقدم على الإمام ، يلجأ إلى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ... » .

وليدلل على ضرورة أن يكون أمير المؤمنين رجلاً ، يلجأ إلى قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم » . وليدلل على ضرورة خلط المصلح حذاء حين يبدأ الصلاة ، يستند إلى قوله تعالى : « فلما أتاهم نوحى يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى » .

أفكاره منذ زهاء عشرين عاماً ، يدونها في كتيبات موجزة أو أسفار ضخمة ، ويوزعها بالمجان . ، ويؤجر لأفكاره مكاناً في شارع عام من شوارع القاهرة ليتلقى فيها بزواره مرتين كل أسبوع ، كيف ظلت هذه الأفكار هكذا دون أن تلفت الأنظار ، أو تجتذب الأسماع ... ؟ .

لقد لقيت الرجل الذي يتولى منصب السكرتير العام لإحدى الوزارات في تدروته ، وليس فيها سوى شخصين متواضعي الحال والثقافة ، فإذا هو مهذب اللفظ كريم اللقاء ، وقد قرأت ما كتبه بتدبر وإمعان ، ولكنني فشلت في أن أحدد اتجاهه ، وأستوضح برنامجه ، وأدرك حقيقته ...

إن الرجل يعيش في قلب العاصمة الإسلامية وعلى بعد أمتار من الأزهر الشريف ، ولكن أية حصة هذه التي تجعله لا يعبأ بأوجاع الدولة ، ولا مقدسات الإسلام ، ويعتبر الأزهر إحدى المدارس الدينية الخاصة التي أنشأها أعداء الإسلام ، ووضع برامجها اليهود ...

قد أعود للكتابة مرة أخرى عن الرجل ولكنني واثق من أني سأخرج للمرة الثانية بدون نتيجة أيضاً لأقول من أعماق نفسي : هذا الرجل .. ماذا وراءه ؟ ؟ .

محمد عبد الله السمره

لكلمات الله الذي يقول : « وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً » .

والنطق بعبارة « السلام عليكم » كفر ، لأن ذلك اعتداء على قدسية القرآن ، فهذه العبارة وردت في القرآن بدون « أل » ... وأبو هريرة يهودي . وأبو حنيفة يهودي أما الأزهر فله أهمية كبرى لدى الرجل ...

فهو - كما يقول في كتاب الصلاة ص ٨٤ - من أشهر المدارس التي أنشأها أعداء الإسلام لتدريس ما وضموه للناس من خرافات على أنها إسلام .

وأول من وضع له البرامج اليهود ، وأول من ألقي الدروس فيه اليهود أيضاً ...

وقد جعل مؤسس الأزهر مواد الدراسة فيه وسيلة لعيش الخريجين ، حتى إذا هاجم أحدهم ما يدرس فيه قام من يتخذه وسيلة لكسب العيش يدافعون عنه .

ولقد استمر الأزهر يخدم هذه الغاية وينشرها ، ويدرس ما وضعه أعداء الإسلام على أنه إسلام ، حتى استقر في أذهان الناس بمرور السنين الطويلة التي بلغت ألف عام !

• • •

وبعد ...

فليست هذه الأفكار المضطربة ، الآخذ بعضها برقاب بعض والتي لا حاجة بنا إلى مناقشتها ، هي مصدر الخيرة ...

ولأنما مصدر الخيرة ... هو كيف ظلت

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

وصف اسم الجمع

تأخر جدل بين مدرّس في إحدى المدارس وبعض المعتّدين حول عبارة الشباب الحائرون ، فبرى المفتش أن هذا خطأ ، والصواب : الشباب الحائرون . وحيث في هذا أن الشباب جمع ، فلا يوصف بالمفرد - وهو يعتمد على ما جاء في القاموس : أن الشباب جمع كالشبان -

والحق أن الشباب إذ يستعمل في معنى الشبان ليس جمعاً في اصطلاح النحاة ، وإنما هو اسم جمع ، وإن دل على ما يدل عليه الجمع . وذلك أنه لم يأت على أوزان الجموع . فليس فيها فتحة ، وقد جاء في اللسان مرة أنه جمع ، ومرة أنه اسم جمع ، وهو الموافق لأصول النحاة . والفريقون في غالب أمرهم لا يفرقون بين الجمع واسم الجمع ، فنقدم أن كل ما دل على الجماعة جمع حتى اسم الجنس الجمعي كشجر وشمس .

فالشباب كالقوم والرهط والنفر مما ليس له واحد من لفظه . وهذا الضرب يجوز

مراعاة معناه فيوصف بالجمع ويعود الضمير عليه جمعاً ، ويجوز مراعاة لفظه ، فيوصف بالمفرد ، ويعود عليه ضمير المفرد في الكتاب العزيز : يا قومنا أطيعوا داعي الله ، فهذا نظيره إلى المعنى ، وفي اللسان (قوم) وحكي ثعلب أن العرب تقول : يا أيها القوم كفوا عنا وكف عنا على اللفظ وعلى المعنى ، ومن أسماء الجموع الجيش . وقد قال كعب بن مالك في جيش أبي سفيان - أراد غزو المدينة يستخف به ويغضب من شأنه :

جاءوا بجيش لو قيس معرسة

ما كنت إلا كعرس الدئل

معرسة : مكان نزوله ، والدئل : دوية تشبه ابن عرس - فرى كيف طامله معاملة المفرد ومن هذا الضرب الناس ويقول ليبيد :

ولقد شمتت من الحياة وطولها

وسؤال هذا الناس كيف ليبيد

ويقول عروة بن الورد :

الآدميين ، كالأثلة المذكورة . فأما اسم الجمع
لغير الآدميين فالأغلب عليه التأنيث كالأبل
والقنم والخيل ، فلا يقال : الإبل رعى ،
ولمعا يقال : رعت . وفي اللسان (أبل)
عن الجوهري في الإبل : « وهي مؤنثة ، لأن
أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا
كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، عل
أن هذا ليس مطرد القياس . فمن هذا الضرب
الجميل جماعة الجمل ، ويقول الخطيئة :

فإن تك ذامال كثير فإنهم

لم جعل لا يهدأ الليل سامره

- أراد بقوله : سامره الرعاء ، فهم
لا ينامون لكثرتهم . -

ويخرج الباحث من هذا إلى أنه لا نكران
في عبارة « الشباب الحائر » ، وأن لا خطأ
في قول شوقي في قصيدة المعلم :

أعلى الوادى وساسة فشه

والطابعين شبابه المأمولا

على :

يقال في هذه الأيام : هذا البلد مليء
بالعلماء ، وهذه القرية مليئة بالأغنياء ،
يريدون مملوءاً ، أو مملأت أو مملوءة
أو مملأى .

وقد أنكر هذا الاستعمال . فيقول اليازجي

في لغة الجرائد ٦٣ : « ويستعملون كلمة

ذريقى للنفى أسى فإنى
رأيت الناس شرم الفقير
وأحقرم وأهونهم عليه

وإن كانا له نسب وخير

فقوله : « عليه » أى على الناس ، وفي
حاشية الشيخ يس على التصريح في مبحث
الفاعل : « وتذكير ضمير عليه باعتبار
أن الناس اسم جمع . » ومن ذلك الجميع
والجمع ، وجاء في سورة القمر : « أم يقولون
نحن جميع منتصر » ، سيزم الجمع ويولون الدبر .

فانظر كيف عامل الجميع معاملة المفرد فوصفه
بمنتصر ، وعامل الجمع معاملة الجمع فقال :
يولون . ومن ذلك الركب يجوز أن يقال :
الركب مضى والركب مضوا ، كما قال الرضى
في شرح لكافية (١٧١/٢) : « وأشد على
ذلك قول الشنفرى في لامية يصف قطا
وردت الماء بعده :

نبت غشاشا ثم مرت مكانها

مع الصبح ركب من أحاطة مجفل (١)

- غشاشا : على جملة وأحاطة : قبيلة من

الأزد ، ومجفل : مصرع - قرى كيف وصف
الركب بالمفرد .

ومما ينبغي أن ينبه عليه أن جمواز
الوجهين في اسم الجمع إنما هو فيما يجرى على

(١) انظر في هذا البيت الخزانة ٣/ ٣٣٤ .

على أن صاحب التصريح في مبحث التعجب في الكلام على قولهم : ما أملأ القرية ذكر أنه ورد في نادر اللغات ملؤ في معنى امتلا . ولم أقف على هذا فيما لدى من المعاجم القوية ، فإن صح هذا كان استعمال ملء في معنى المتلى صحيحاً جلياً على القياس ؛ فإن الوصف من فعلٍ فعل من غير نكران .

المهدة :

أنكر اليازجي استعمال المهدة في المعاهدة تكون بين الرجلين أو بين الدولتين . فهو يقول في لغة الجرائد : : : ويقولون : بين الدولتين عهدة تجارية ، وجاء ذلك في عهدة برلين ، ولا معنى للمهدة هنا ؛ لأنها بمعنى نبة الأمر وذكره . والصواب : المعاهدة ، ونرى في القاموس : : والمهدة : كتاب الحلف ، وكتاب الشراء . وفي اللسان : : والمهدة : كتاب الحلف والشراء . واستعمله من صاحبه : اشترط عليه وكتب عليه عهدة وهو من باب المهدة والعهد ؛ لأن الشرط عهد في الحقيقة . فكتاب الحلف يسمى عهدة ، وهو الكتاب الذي يتحالف فيه قوم على النصرة والتعاون ، ويأخذ كل ما شاء لنفسه من الشروط والرغبات ، وهذا يدخل في باب المعاهدة لا محالة . وكتاب الشراء ما يكتب المتبايعان فيه الشروط التي

(ملء) بمعنى ملؤه أو ملآن ، فيقولون في وصف فتاة : وهي مليئة البدن . والملى في اللغة : المتمول . وفي الحق أن الملى في المعاجم هو المورس الغنى ، وفي الحديث : مطل الغنى ظم ، وإذا أحيل أحدكم على ملء فليتيق . ويقال فيه : ملؤ الرجل ملأمة فهو ملء ، وهي مليئة .

وقد بدا لي تصحيح الملى في معنى المملوء بحمله على المجاز ، فالإناء إذا امتلا ما كان كالغنى به لو فرته فيه ، فصار الملى يبنى بالملاءة والوفرة ، فساغ أن يقال : الاقدح ملء . أى غنى بما فيه ، والفتاة مليئة البدن أى غنية البدن بالشحم واللحم ، وهو كناية عن السمن ، وحاصل هذا التجوز بالملاءة والغنى من الامتلاء .

ووجه آخر في تخريج هذه العبارة . وهو أن يكون من باب تحويل مفعول إلى فاعل ، فملء في معنى ملؤه ، وعلى هذا لا يقال : الفتاة مليئة البدن ، وإنما يقال : ملء البدن إذ كان فاعل في معنى مفعول يستوي فيه المذكور والمؤنث ؛ إلا إذا لم يوجد في اللفظ دلالة التأنيث .

وتحويل مفعول إلى فاعل يقيسه بعض النحاة إذا لم يكن في المادة فاعل في معنى فاعل . ولا يقال : إنه ورد ملء في معنى غنى ، وهو في معنى فاعل ، لأن هذا من ملؤ وحديثنا في ملأ .

وفي اللسان : « والعم . الجماعة . وقيل :
الجماعة من الحى ؛ قال مرقش .
لا يحد الله للطلب والنفا

رات إذ قال الخيس : نعم
والمدور بين المجلسين إذا

اد العشى وتنادى العم

تادوا : تجالسوا فى التادى ، وهو المجلس

ومرقش يراد به الأكبر ، ولهم مرقش الأصغر

والبيتان من قصيدة فى المفضليات ، والتأنيب

ليس شك السلاح ، والخيس : الجيش وقوله

نعم : أى هذا نعم وهى الإبل ، يذكر غارته

مع الجيش وتبهم إبل أعدائهم ، وقوله :

آد العشى أى مال . ويريد بالمدور بين المجلسين

الجرى عند نزول الأضياف لإزراهم ، وجاء

البيت الثانى فى المفضليات هكذا :

والمدور بين المجلسين إذا

ولى العشى وقد تنادى العم

وهذه الرواية أوفى بالشعر ، فإن القصيدة

من السريع ، ولكن يغلب فيها مثل هذا

الميب ، فلا يقدح هذا فى رواية اللسان وجاء

جمع العم على العموم فى قول لبيد :

لكيلا يكون السندرى تديق

وأجمل أقواما عموما عما

أشدّه فى اللسان ، وقال : « السندرى

شاعر كان مع علقمة بن علاثة ، وكان لبيد

مع عامر بن الطفيل ، فدعى لبيد إلى مهاجته

يلتزمها كل منهما . وفى الصباح : « وتسمى
وثيقة المتتابعين قصيدة ؛ لأنه يرجع إليها
هذه الالتباس .

وقصيدة برلين لا تخرج فى معناها عن كتاب

الحلف والشراء ، فليستما لها غير منكر

فى العربية .

عموم الناس :

يشيح هذا التعبير ، فيقال : هذا الأمر

معروف عند عموم الناس . وقد انتقد

هذا اليازجى ، فهو يقول فى لغة الجرائد ٩٨

« ويقولون : هذا أمرهم ؟ عموم السكان

أى بهم السكان عامة ، أو بهمهم بالعموم .

وربما استغنوا بلفظ العموم وحده ؛ يقولون :

أجمع العموم على كذا أى الجمهور أو عامة

الناس مثلا . وكل ذلك من استعمال العامة .

وقد ورد قول الشاعر :

نصل الذى صلت قریش

ونعبده وإن جحد العموم^(١)

فهذا وفق الاستعمال الذى أنكره اليازجى

ومرد الإنكار عنده إلى أن العموم مصدر

عم الشئ ، فلا تجرى عليه أحكام الدوات

والأعيان ، والعموم فى هذا الاستعمال جمع

العم بمعنى الجماعة ، فعموم الناس : جماعاتهم ،

(١) ورد هذا البيت فى شواهد الوصول من
كتاب القطر .

من قال ينول الواوى ، وأما إدراك الشيء وإصابته فيقال فيه نال ينيل نبلا .
ويرى الأمير (١) شكيب أرسلان أن النوال في معنى الإدراك صحيح عربية . ويحتج بقول الخامس :

أرى الناس يرجون الربيع وإنما
ريعى الذى أرجو نوال وصالك
لئن ساءنى أنى نلتنى بمساءة
لقد سرنى أنى خطرت بيبالك
فنوال الوصال : إدراكه ، على أنه قد
يكون النوال فى الشعر العطاء ، على ما هو
المعروف عند القويين ، يريد أنه يرجو
عطاء منها وهو وصالها ، فإضافة نوال إلى
الوصال من إضافة للعام إلى الخاص كما فى جبة
البر وعلم النحو .

فأبى ومعنى قوله : « وأجمل أقواما عموما
عما عا ، أى أجمل أقواما مجتمعين فرقا يريد
أن الأقوام العموم : المجتمعون أو الجماعات
والعامة : الجماعات المتفرقون ، فهو يقول :
إنى لا أدخل فى المجاء وغبة عن أن يكون
هذا الشاعر ندى فيها جينى ، ورغبة عن أن
أفرق بين الجماعات بالمجاء ، وما جله فيه الم
بمعنى الجماعة قول أبى العلاء المعرى فى السقط
أنشدته صاحب المطول فى مبحث التورية :
إذا صدق الجند اقترى الم لفتى
مكارم لا تخفى وإن كذب الخال
أراد بالجند الحظ وبالم الجماعة من الناس
وبالخال الخيلة .

نوال البنية :

انقضى هذا التعبير تقاد العصر ، والصواب
أن يقال : نيل البنية أى إدراكها . وذلك
أن النوال العطاء ، يقال . نلت أى أصطبه

محمد بن النجار

(١) انظر مجلة المشرق سنة ١٨٩٩ .

الحق

ولم أر مثل الحق أنما طريقه فأمّن وأتما جلدّه فعزير
إذا ما امرؤ آوى إليه لخصه حصين ومأواه المباح حوز

دراسات لأسلوب القرآن الكريم

للأستاذ محمد عبد الحى عظيمه

تمهيد :

المن إلى القراء في بعض القراءات ورموزهم بأنهم لا يدرون ما العربية (١) ١٠٠

وكان اعتماد النحويين على الشعر فقرة ففقد منها الطاعنون عليهم؛ لأن الشعر موضع ضرورة كما أنه روايات مختلفة ، لهذا مست الحاجة إلى إنشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم وقراءاته الكثيرة .

ففي هذه القراءات ثروة لغوية ونحوية جديدة بالدرس ، وفيها دفاع عن النحو تمسك قواعدهم وقدم شواهد . بدأت هذه الدراسة منذ ثلاثة عشر عاما وبقيت عاكفا عليها مراعيًا لها إلى اليوم ، كتبت فيها عشرة مجلدات سعة المجلد ألف صفحة .

وجدت المصنفين الذين عرضوا لفهرسة ألعاط القرآن قد تناهت جهودهم عند حصر ألعاط الأفعال والأسماء وإحصاء آياتها ، وتركوا جمع حروف المعاني وإحصاء آياتها ، كما تركوا هذا الإحصاء في الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وبعض الظروف

(١) عرضت لهذا بإسهاب في رسالتي عن البرد وأثره في علوم العربية .

وجه الفقهاء عنايتهم إلى مصدر الشريعة الأعظم وهو القرآن الكريم فأحصوا آيات الأحكام وأشبعوا القول فيها والمحدث عنها؛ فالدارس لفقه يستطيع بسهولة ويسر أن يهتدى إلى الأحكام التي مصدرها القرآن ، والأحكام التي مصدرها غيره . والقرآن الكريم حجة في العربية بقراءاته المتواترة وضيق المتواترة كما هو حجة في الشريعة .

فالقراءة الشاذة (وهي ما فقدت شرط التواتر) لا تقل شأنًا عن موثوق ما نقل إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها ، وقد أجمع العلماء على أن نقل اللغة يكتب في رواية الأحاد ولو أراد دارس النحو أن يحتمل إلى أسلوب القرآن الكريم وقراءاته في كل ما يمرضه من قواعد النحو والصرف ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

ذلك لأن الشعر قد استبد بهجد النحويين فركنوا إليه وهولوا عليه في الاستشهاد ، بل جاوز كثير من النحويين حده فغلب

إلى كلام النصفاء ومشافهتهم قبل أن يدب
الحسن إلى الألسنة .

قلت : إن هذه الدراسات تتركز على
الاستقراء ، وأتمنى أن يجتبر هذه الاستقراءات
حفاظ القرآن الكريم وقراء رواياته ، فلفل
أحدم أن يستدرك عليها ، فإن هذا مما يدخل
السرور إلى قنسى إذ يكون أثرا من مظاهر
الاهتمام بها .

وعلم الله - ما واثق هذا الاستقراء صفوا
صفوا ، ولا واثق رهواسهوا ، وإنما كان
ثمرة جهود مضيئة وصبو على عنا البحث
والاستقراء .

وقد تيسر لي بمون الله أن استدرك على
بعض أئمة النحو واللغة الذين عرضوا
الأسلوب القرآن الكريم أوقاتهم أن
يحتكوا إليه .

وإنه لمن أحلى أمانينا وأسمى آمالنا : أن
يظفر علم النحو فيها بعد برعاية وزارة الثقافة
والإرشاد قمتنيفة إلى سجل العلوم والفنون
التي تستحق بحوثها التقدير والتشجيع .

وما أنذا أعرض لحات خاطفة من هذه
الدراسات .

لمحات من مواقع نوني التوكيم

في القرآن الكريم

الفعل الماضي لا يحموز توكيده بالنون

الكثيرة الذكر ، كإذ وإذا . أجل وقضت على
كتاب أحصى لنا ألماظ القرآن لم يترك منها
لفظا ، وهو كتاب مصباح الإخوان . غير أنه
لم يذكر الآيات وإنما اكتفى بذكر أرقام
صنها بنفسه للآيات الكريمة ، وهذه الأرقام
مع الأسف يشيع فيها الاضطراب ، ولا سيما
في طوال المفصل . وقد اعتد عن هذا في
مقدمة كتابه التي كتبها باللغة التركية .

أصبحت حروف المعاني والأسماء المبهمة
وجعت آياتها فكملت هذا النقص .

ثم عهدت إلى كتب القراءات السبعة منها
والعشرية والشاذة فأصبحت ما فيها .

ثم عهدت إلى أمهات كتب الإعراب
والتفسير فاستقرأت ما فيها ، ثم ثرت ذلك كله
على أبواب النحو والصرف واستودعته بطلون
هذه المجلدات .

وإنما أهدف إلى أن أيسر لدارس النحو
والصرف سبيل الاستنباط بالقرآن الكريم
وقراءاته .

فيستطيع أن يعرف متى أراد .
هل مثل هذا الأسلوب وارد في القرآن أولا؟
وإذا كان ورد فهل ورد كثيرا أو قليلا؟
وفي قراءات متواترة أو غير متواترة .

كما أنه يستطيع أن يحتكم إلى أسلوب
القرآن ويرجع إليه في الموازنة بين الآراء
المختلفة ، كما كان يفعل الصدر الأول في الاحتكام

جديرة بالتسجيل والدرس . وإني أتركه
الكشف عن أسرارها لغوى عن يأس
في نفسه القدرة على بيان أسرار التذليل
وخصائص أسلوبه .

وكل ما وصلت إليه من طريق استقراء
لقراءات القرآن : أن وجدت أربع قراءات
شاذة ، أكد فيها فعل الأمر ، وهذه القراءات
ليست من الأربعة المشهورة فيما بيننا ، وإنما
هي مما وراء ذلك .

تفرد أبو حيان برواية اثنتين منها ، وشارك
ابن خالويه في رواية اثنتين ، وفي بعضها شذوذ
نحوي .
وها هي ذى القراءات .

١ - « فأتبعوني بحسبكم الله » قرأ الإهري
فأتبعوني بتشديد النون ألحق قبل فعل الأمر
نون التوكيد وأدغمها في نون الواقية ولم يحذف
الواو تشبيهاً بأتعاجوني وهذا توجيه شذوذ
البحر المحيط لأبي حيان ٢ - ٤٣١ .

٢ - « القيا في جهنم » قرأ الحسين ألقين
بنون التوكيد الخفيفة وهي شاذة مخالفة لنقل
التواتر بالألف . البحر المحيط ٨ - ١٢٦
شواذ القرآن لابن خالويه ١٤٤ . الكشف

٤ - ٢٧ .
٣ - « فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا »
روى عن طلحة سبحن بنون مشددة من غير
وأو البحر المحيط ٦ - ١٧٦

لأن معناه البعض ؛ ومن شأن نون التوكيد
أن تخص الفعل للاستقبال ، وفعل الأمر
يحموز توكيده مطلقاً لأنه الاستقبال ، قال
سيبويه ، ١٤٩ / ٢ ، فأما الأمر والنهي فإن
شئت أدخلت فيه النون وإن شئت لم تدخل .
ومثله في المختضب (١) للبرد ٢٣١ - ٢٣٩
وسأتركب النحو وفي معنى اليب أن
التوكيد بعد الطلب كثير .

وجعل سيبويه توكيد المضارع الواقع
بعد أداة الاستفهام محمولا في التوكيد على
فعل الأمر .

كما جعل المضارع الواقع بعد أداة العرض
والتحضيض محمولا على الاستفهام ١٥١ / ٢ -
١٥٢ .

• • •

أفعال الأمر كثيرة جداً في القرآن الكريم
أحصيت مواضعها فتجاوزت ١٨٤٠ -
أربعين وثلاثمائة وألف موضع جاء فعل
الأمر في جميع هذه المواضع غير مؤكد
بنون التوكيد ، لا في رواية حفص لحسب
وإنما جاء كذلك في جميع القراءات العشرية
المتواترة .

كما جاء كذلك في الأربعة الشواذ المشهورة
فما بيننا وبذلك غلت القراءات الأربع عشرة
من توكيد فعل الأمر ، وهذه ظاهرة لغوية

[١] نسخة مكتوبة نسخها مكتبي .

ولم يقع من أدوات العرض والتخصيص
في القرآن إلا "ألا"

المضارع بعد أدائي التزمي والتنهي :
جاء المضارع المثبت بعد لعل في ١٢٤
موضع .

وجاء بعد ليت في موضعين ، وكان غالباً
من التوكيد في جميع القراءات .

• • •

المضارع بعد أدوات الاستفهام :
بعد حمزة الاستفهام :

جاء المضارع المثبت بعد ما في أكثر من
ثمانين موضعاً وجاء غالباً من التوكيد في جميع
القراءات .
بعد أني :

تجاوزت المواضع عشرين موضعاً ومن
غير توكيد أيضاً .
بعد أي :

تجاوزت المواضع أربعين موضعاً ومن
غير توكيد أيضاً .
بعد كيف :

قاربت المواضع ثلاثين وكانت من غير
توكيد أيضاً .
بعد ما الاستفهامية :

قاربت المواضع أربعين وجاء المضارع
غير مؤكد أيضاً .

٤ - هـ قدمناهم تكموا ، قرأ على والحسن
قدمناهم على الأمر
وعن علي كذلك ، إلا أنه بالنون الشديدة
شواذ ابن خالويه ١٠٥ الكشف ٣ - ٩٧
البحر المحيط ٦ - ٤٩٨ .

• • •

هذا عن فعل الأمر وبقي علينا أن نستعرض
أنواع الطلب الأخرى في المضارع :

المضارع بعد لام الأمر :

جاء المضارع بعد لام الأمر في أكثر من
٨٠ ثمانين موضعاً من القرآن الكريم .

وجاء غير مؤكد بالنون في القراءات
الأربع عشرة في جميع هذه المواضع .

وقد وقفت على قراءة واحدة أكد فيها
المضارع بعد لام الأمر ، رواها ابن خالويه
والبخاري وأبو حيان وهي :

وقإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ،
قرأ أي "لنساء" بلام الأمر والنون التي
للمعطلة ونون التوكيد الخفيفة آخرأ .

البحر المحيط ٦ - ١١ ابن خالويه ٧٥
الكشاف ٣ - ٣٥٢ .

• • •

المضارع بعد أدائي العرض والتخصيص :
ورد المضارع المثبت بعد ألا ولولا في أكثر

من ستين موضعاً ، وجاء بعد لوما في موضع
واحد ، وكان المضارع غالباً من التوكيد
في جميع القراءات .

بعد من الاستفهامية :

تجاوزت مواضع المضارع المثبت ثلاثين موضعاً وجاه غير مؤكد في جميعها .

كما جاء المضارع غير مؤكد بعد أين ، أيا الاستفهاميتين .

بعد هل :

جاء المضارع المثبت بعد هل فيها يقرب من خمسين موضعاً لم يؤكد فيها إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى : « فلينظر هل يذهب كيد ما يغيظ » .

فصل كثرة أدوات الاستفهام في القرآن ووقوع المضارع المثبت بعدها ، لم يؤكد المضارع إلا بعد هل في الآية السابقة .

ولم يقع المضارع بعد متى الاستفهامية ولا بعد كم الاستفهامية في القرآن الكريم .

المضارع بعد لا النافية :

جاء المضارع بعد لا النافية في مواضع تجاوزت ٤٠٠ أربعاً وأربعين موضعاً .

كما قرئ في السجدة بالتوكيد وبغير التوكيد في قوله تعالى : « فلا تسألني عن شيء » .

شرح الشاطبية ٢٢٢ غيث النفع ١٢٨ - ١٥٧ النشر ٢ / ٢٨٩ - ٣١٢ كما قرئ في التواذ بغير التوكيد في بعض الآيات المؤكدة وبالتوكيد في غيرها .

وجوب توكيد المضارع :

يجب توكيد المضارع إذا كان متبوعاً مستقبلاً واقعاً في جواب قسم غير مفصول من لام القسم بفواصل ، على هذا أجمع البصريون ، قال سيوطي ١٤٩ / ٢ ومن مواضع الفعل الذي لم يجب الذي دخلته لام القسم فذلك لا تفارقه الخفيفة أو الثقيلة لزمه ذلك كما لزمته اللام في القسم ، وكرر مثل ذلك في ١٥٣ / ٢ .

فصوص سيوطي صريحة لا تحتمل تأويلاً في وجوب توكيد المضارع إذا استوفى الشروط المذكورة .

ومن العجيب أن ينقل أبو علي الفارسي وابن عطية عن سيوطي غير ما سجله سيوطي في كتابه .

في ابن يعيش ٢٩ / ٩ - ٤٣ .

وذهب أبو علي إلى أن النون هنا غير لازمة وحكاها عن سيوطي ، وفي البحر المحيط لأبي حيان ٣ - ١٣٦ وقال ابن عطية : وقد لا تلزم هذه النون لام التوكيد قاله سيوطي - وما ذكره سيوطي هو ما سجل في سائر كتب النحو .

• • •

المضارع المؤكد توكيداً واجباً جاء كثيراً جداً في القرآن ، وهذه الحالة تفوق جميع الأحوال كثرة ، حتى بلغ من كثرتها أن وجد منها في آية واحدة ستة أفعال مؤكدة .

جاء المضارع بعد ما المذكورة أو مبطورة
على ما بعدها في عشرين موضعاً ، وجاء مؤكداً
في القراءات الأربع عشرة ، وجاء المضارع
غير مؤكد في قراءة رواها ابن مالك في
كتابه : شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات
الجامع الصحيح . كما رواها أيضاً أبو حيان
وفيها شذوذ نحوي .

« فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت .. »
قرأ طلبة فإما ترين قال ابن جني هو شاذة
لأنه لم يؤثر الجازم فيحذف النون البحر
المحيط ٦ / ١٨٥ شواهد التوضيح ١٩ .

توكيد المضارع المنقضي :

المضارع المنقضي الواقع في جواب القسم
لا يجوز توكيده بالإجماع كما في قوله تعالى :
« قالوا نأله تمناً تذكر يوسف ، واختلفوا
في غير ذلك .

لجمهور النحويين لا يجوز توكيد المضارع
المنقضي بلا ، وبمحمل ما ورد من ذلك على النحور
أو الضرورة ، واختار أبو حيان الجواز
لوروده في الشعر وفي قوله تعالى :

« وانتصوا فئة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة .. »

ومن منع جعل لا ناهية معمولة لقوله
مخوف هو الصفة ، البحر المحيط ٤ / ٤٨٤ -

٤٨٥ المنقضي ١ / ١٩٤ ، ٢ / ٧١ - ١٨٣ .

قال تعالى : « وقال لا تخفنا من عبادك
نصيبا مفروضا .. ولا خلتهم ولا منيهم
ولآمرهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرهم
فليخبرن خلق الله .. »

نوم المضارع التوكيد في القراءات الأربع
عشرة .

وقد وجدت قراءة واحدة تفرد بروايتها
أبو حيان جاء فيها المضارع غير مؤكد .
« وإذا أخذ الله ميتات الذين أتوا الكتاب
فصيته للناس ، قرأ عبد الله ليبيوته من غير
توكيد .

والبحريون لا يجيزون ذلك وإنما أجزه
الكوفيون وجاء مثله في الشعر . البحر المحيط
٣ / ١٣٦ وهذه القراءة ليست من الأربعة
لشواذ كما أنها ليست من شواذ ابن خالويه .

المضارع بعد إما : جعل سبويه توكيد
للمضارع بعد إن الشرطية المدعمة في ما الزائدة
جائزاً قال ٢ / ١٥٢ : وإن شئت لم تقسم النون .
وقال المبرد والزجاج توكيد المضارع بعد
إما واجب ؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مؤكداً
وقال ابن السجري في أماليه ٢ / ٣٤٥
يلزمها في أكثر الأمر نون التوكيد ، وقد
تطرح نون التوكيد في الشعر . ثم ذكر شواهد
لذلك وقال ابن هشام التوكيد بعد إما قريب
من الواجب .

وقد قرأ يعقوب أحد القراء العشرة هذه الآيات بالحفيفة :

(١) « لا يغررك قلب الدين كفروا في البلاد » .

(٢) « ولا يستخفك الدين لا يوقنون » .

(٣) « فأما نذير بك فإنا منهم منتقمون » .

(٤) « أو نرينك الذي وعدناهم » .

النشر في القراءات العشر ٢ - ٢٤٦ - ٣٦٩ - ٣٤٦

اتحاف فضلاء البشر ١٨٤ - ٣٤٩ - ٣٨٦

كما قرئ في الشواذ قوله تعالى :

وليكونا من الصاعرين - نفسعا بالناسية

بنون التوكيد الشديدة .

لا تقع نون التوكيد الحفيفة بعد الألف عند البصريين .

وقد قرأ ابن عامر أحد القراء السبعة

قوله تعالى « ولا تبعان سبيل الذين لا يعلمون » ،

بكسر النون خفيفة ، الشاطبية ٢٢١ النشر

٢٨٦ ، وأجاز ذلك يونس والكوفيون

محتجين بهذه القراءة .

والبصريون جعلوا لا في هذه القراءة نافية

والنون علامة الرفع والجملة حالية ، والتقرير

فاستقيم غير متبعين . الإيضاف في مسائل الخلاف

المسألة ٩٤ ، البحر المحيط ٥ - ٨٧ .

محمد عبد الحامد عظيم

المدرس في كلية اللغة العربية

جاء المضارع المنفي بأن مؤكداً في قراءة شاذة .

قرأ طلحة بن مصرف قوله تعالى « قل لن يصينا إلا ما كتب الله لنا » قرأ لن يصينا

بنون التوكيد .

قال أبو حيان وجه هذه القراءة تشبيه لن

بلا ويل ، وقد سمع لحاق هذه النون بلا ويل

البحر المحيط ٥ - ٥١ ، شواذ ابن خالويه ٥٣ .

كما قرئ في الشواذ قوله تعالى « ولما

ي علم الله الذين جاهدوا منكم » بفتح ميم يعلم

ف قيل الفتحة لإنباع أو على إرادة نون التوكيد

الحفيفة كما في قول الشاعر :

لا تهين الفقير عليك أن

تركع يوماً والسر قد دفعه

الكشاف ١ - ٢٢٠ ، البحر المحيط ٣ - ٦٦ .

وقرئ في الشواذ أيضاً قوله تعالى « ألم

نشرح لك صدرك » . بفتح الحاء وخرجها

ابن عطية وابن هشام على : أن الفعل مؤكد

بالتون الحفيفة ولأبي حيان توجيه آخر ،

البحر المحيط ٨ - ٤٨٧ .

نونا التوكيد الشديدة والحفيفة :

نون التوكيد الشديدة أكثر من الحفيفة

في جميع القراءات .

النبوة في تقدير الإنسان للشيخ عباس طه

وقد بلغت المجموعة الإنسانية التي تظلمها المجموعة الشمسية اليوم وهي نحو ألف وخمسة مائة مليون نسمة من المدنية شأوا لم تكن تقدره الجماعات التي سبقتها في الوجود . ومع هذا فهي لا تزال تدين بنبوة أربعة أو خمسة رجال معنى على أقربهم عهداً نحو أربعة عشر قرناً ، ولم يستطع أنبه الماديين رغماً عما كتبوا في صرف الناس عن هذه النبوات أن يحولوا عنهم غير عدد محصور من القارئین ، مع أن في تعاليم بعض هؤلاء الأنبياء ما يكره إلى النفوس الحياة الأرضية ويعد المتع الجسدية رجساً من الأرجاس ؛ فإن فيهم وليس من أقلهم أتباعاً من يقول إن جميع المطالب البدنية أقدار لا تليق بكرامة الإنسان ، وأن ليس بنجيه منها إلا الفناء في الله — وفيهم من يقول — ولا يقل عن سابقه في عدد الأشياء — من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن سرقك رداك فأعطه قبلك .

فما السر في بقاء هذه الأديان إلى اليوم سائدة على الأمم المتعدية ورغماً عما أصيب به أكثرها من التحريف والتصحيف والتأويل ؛ — السر غلبة عاطفة علوية على الفطرة البشرية

ماذا حل الأنبياء للآمن من التعاليم ، وأي شيء أفادوه المجتمعات المختلفة في خلال العصور ؟ إن بضاعة الأنبياء معروفة في كل زمان ومكان ، وهي تلطيف خشونة الطبيعة البشرية ، وقهر ميولها البهيمية ، وإدخالها في حدود الاعتدال ، وتوجيه الشخصية الإنسانية وجهة الخير ، والسمو والصلاح ، وذلك بلغت نظر الناس إلى أن الكون حانئاً حكيماً قديراً ، وأن لهم روحاً قدر لها الخلود في حياة بعد هذه الحياة ، وأن المدون الذي يرتكبه الإنسان في حياته الأرضية ضد الآداب والحقوق الخاصة والعامة يحاسب عليه في تلك الحياة ، وقد دان الناس كلهم لهذه العقائد حتى لم يصادف قديماً ولا حديثاً أمة بغير دين ، فعلام يدل هذا العموم والشمول حق والإنسانية في أحط الأدوار ؟ .

ألا تدل على أنها مطبوعة على الاسطاف إليها — وهل في الدين إلا واجبات وتكاليف وإشارات وتوضيحات — فلو كان الإنسان طيناً محضاً أو صلصالاً مجتاً لما هنا إلى هذه التعاليم ولقفلها كما يلفظ كل ما لا يشعر بميل فطري إليه .

العقائد التي حملها الأنبياء إلى قومهم وتضمنت فيها ومثلث تنذروهم إذا تدوا عنها أو سلكوا غير طريقها المستقيم .

من أجل ذلك قام الأستاذ الأكبر والعالم الأشهر والفقير الأغري شيخ الجامع الأزهر بل شيخ المسلمين في المشرقين وحامي حرم الإسلام بين المسجدين، قنّادى بضرورة إرساء قواعد الدعوة الإسلامية على قول من الحق صريح وعلى عدالة مستقيمة تضع لكل شيء حده في غير لئد ولا خصومة، وأرسل نصابه السامية المدوية على متن الأثير مرة وبين أنهر الصحافة مرة ، وإلى وكالات الأنباء وإلى المنتديات العلوية في حرم الجامع الأزهر مرة أخرى . نبه الناس في كل هذه النذر إلى أن مبادئ الإسلام التي جلت على رسل الله وأنبيائه يحملها الخلف عن السلف هي غير معوان على بقاء الإنسانية معاقة من كل درن اعتقادي ، وكل مبدأ لا يمت إلى الأديان السماوية بسبب وثيق .

نسأل الله أن يجعل رسالة الأزهر على ألسنة أبنائه الصادقين عالية وكلية شيخ الأزهر نبيلة مدوية إنه أكرم مسئول .

عباس ط

الحامي الشرعي

الأرضية ؛ فهي تدن هذه الأديان على ما فيها ، لأنها تنقسم من خلال تعاليمها عبير الوحي السماوي الذي تولاهما في طفولتها ، وقومها في شببتها وعزاهما في شيخوختها ولا يزال ينفضها في سويداء قوادها بما ينشأ ويكملها . ويشد الكتاب الماديون في ضرورة إبعاد فكرة النبوات من العقلية الإنسانية بحجة مناقتها من ناحية ، وعدم حاجة الاجتماع إليها من ناحية أخرى . وينفعلون عن أن العلم اليوم قد أثبت النبوات بأدلة لا تقبل النقض . وما حيلنا فيمن جددوا على مأم عليه ولم يبالوا بما جدد في العلم من الفتحاحات ، التي أقامت ألوفاً من العلماء وأقدمتهم في أربعة أرجاء المعمورة ، ولا تزال تفعل في النفسية الفلسفية الأفاويل .

وأما زعمهم بعدم حاجة الاجتماع إلى النبوات فيمن عن جهل عظيم بطبائع الاجتماع ؛ فإن المجتمع كالجسم الحي ينشئ بقواه الذاتية كل ما ليس به حاجة إليه — أما وهو لم ينف التعلق بالنبوات رغمًا عن جميع الصوارى التي تستخدم لصره — فذلك يدل على أنه لا يزال به حاجة إليها فيجب على كل باحث في أطوار الإنسان أن يدرك سر تمسكه بها رغمًا عن جميع الشبهات التي أثيرت حولها . وقصارى القول في هذا الموضوع أن الماديين أنصار الشيوعيين وحلفاءهم يطرحون

ما يقال عن الإسلام

ماذا يقولون ؟ بل كيف يقولون ؟

للاستاذ عمار محمد العفاري

فريقان : طلاب المعرفة وطلاب العقيدة ، وقد نجسهما فئة واحدة يقال عنهم جميعاً إنهم طلاب الحقيقة في عالم العلم وفي عالم الضمير .

إن العلماء المتجردين للبحث العلمي عندهم يتحررون جهدهم من الأهواء النفسية التي تحول بين الباحث وتقرير ما يراه كما وآه ، ومنهم من يقرر مذهباً له فلا يفرق بين المشاهدات التي تؤيد مذهبه والملاحظات التي تنقضه أو تشكك فيه أو تنزهه معلقاً بين النقص والتأييد ، فينتهي إلى ترجيح مذهبه ثم يتبع الجميع بقوله إن المذهب حق الآن ثابت لولا ما يرد عليه من هذه الملاحظة أو تلك في جملة المشاهدات ... وليس هؤلاء من خفاء فيما يكتبون لأنه يتم على مقاصد أصحابه بعد مراجعة بسيرة ، ومنهم من صرفوا بالأمانة العلمية فيما كتبوه عن سائر المطالب العلمية غير الإسلام .

مرضنا في هذا الباب لأشئنا من الكتب الحديثة التي يؤلفها الغربيون عن الإسلام والأم الإسلامية ، ورأينا فيها اختلافاً بين الصواب والخطأ أو الصدق والكذب أو حسن النية وسوءها ، يصح أن نخرج منه نتيجة عامة كالميزان لآراء القوم نفهم منه كيف يقولون قبل أن نعرض لما يقال أو لموضوع المقال ، وفيما تقدم من الملاحظات على الكتب التي مرضنا لها مادة كافية لتحرير هذا الميزان والانتفاع به في تقويم الآراء وأصحاب الآراء ، كما وقفنا على مؤلف جديد لم فيما يتحدثون به عن الدين الإسلامي أو عن الأمم الإسلامية .

وأم ما يهم في هذه الأشئنا المنفردة من المؤلفات هو عمك الإخلاص في كتابتها ، فمن هم المخلصون منهم ؟ ولماذا يخلصون ؟ . كل ما اطلعنا عليه من مؤلفاتهم المتلاحقة في العصر الحاضر يدل على أن المخلصين منهم

ف هناك المتعصبون للغرب - وطنياً أو جنسياً - كما يتعصب الرقيق الساذج لكل شيء في قريته على كل شيء في قرية سواه ، وأكثر ما يظهر هذا التعصب فيها يكتبونه عن المسلمين العرب ، لأنهم إذا كتبوا عن المسلمين الهنود أو الفرس استطاعوا أن يقولوا إنهم من السلالة الآرية التي ينسب إليها الأوربيون ، واستطاعوا أن يدعوا - مثلاً - أن الإسلام قد أخذ التصوف من الفرس وأخذ الحكمة من الهند وتلقى فلسفة الكلام من اليونان بما نقله النساطرة وسائر المترجمين ، وأن المسلمين العرب كانوا يعملون في خدمة دينهم - بل في خدمة لغتهم - على المجتهدين من سلالة الآريين ، وقد يلج الفلور بهذه الفتن حتى تذكر دينها لأنه تبشیر رسول «يهودى سامى» كما يقولون عن السيد المسيح . وبعضهم ينسب لنفسه مراسم وشعائر كل مراسم والشعائر التي يتبعها أصحاب العبادات ، ويتنصرون بما يدعوونه من المزايا الجنسية لتسويغ سيادتهم على الغربيين أنفسهم ؛ لأنهم لم يحرروا عقولهم من العبادات الشرقية أو لأنهم خالطوا الشعوب من غير السلالة الآرية الخالصة فلحقته بهم الهجنة في الأنساب وفي الأخلاق . . . هذه طائفة من ذوى النيات السيئة بين كتاب الغرب يؤلفون عن المسلمين عامة

أما طلاب العقيدة فهؤلاء هم ذمرة من الباحثين داخلهم الشك في عقائدهم التي ولدوا عليها وغلب عليهم الإيمان بأن الشرق هو مصدر الأديان وأن الباحثين عن العقائد الروحية مرجعهم إليه في الزمن الحديث كما كانوا يرجعون إليه في الزمن القديم .

وإذا كان من هؤلاء من وقت الجفوة بينه وبين رؤساء دينه فالتغالب عليه في كتابته عن الإسلام أن تصطبغ أقواله عنه وعن تاريخ الأمم الإسلامية بحماسة ينسب حماسة المؤمن بدينه وإن لم يبلغ به الأمر مبلغ التدين بالعقائد الإسلامية أو مبلغ الانتساب إلى الإسلام ، ومن هؤلاء الكاتب الأسباني « بلاسكو أبانيز » الذي قال في كتابه « تحت ظلال الكنيسة » ما لا يزيد عليه المسلم شيئاً من فضائل التاريخ الأدلى ، ويشبهه « جوزيف مكاب » باللغة الانجليزية في مقارناته بين التواريخ الأوربية والتواريخ الإسلامية ، فلا يكاد يقارن بين شيئين تشتمل عليهما هذه التواريخ إلا كان الرجحان بينهما للكفة الإسلامية ، مع الإطناب من ناحية والتشديد من الناحية الأخرى .

وقبلاً عدا طلاب العلم وطلاب العقيدة يتدبر الإخلاص في مؤلفات القوم حيثما عرضوا للمسلمين أو عرضوا لما اعتقدوه أو تعودوه ، ولكنهم في قلة الإخلاص أو سوء النية أنواع ودرجات .

والجهلاء في البلاد الأوروبية والأمريكية .
فهؤلاء أصحاب مصلحة في تشويه الدين الإسلامي
وتغليل المسلمين على الصورة التي تذكى عند
القوم جنوة التعصب وتغلي لهم في الجهالة
والغفلة . فلا يصرح أن تظهر الحقيقة لهم
ولكن يستأجرونهم ويرسلونهم للتبشير ،
ولا يندر أن يكون المبشر ملحقاً بالدين كله
ولكنه يعلم أنه يقطع موارد رزقه إذا كشف
عن إلحاده أو قال عن الإسلام كلمة حق
وإنصاف تمحو عداوة الأعداء وتضعف
غيرتهم وحاستهم للحملات التبشيرية في بلاد
المسلمين ؛ فهو كاذب متعدد متفجع بالكذب
لا يرحمه عنه طبعه بالحقيقة ولا هو يسعى
إلى حلها برضاه .

وينبغي أن نفرق بين هؤلاء « المؤرخين
المحترفين » وبين المؤمنين المصدقين برسالتهم
عند النظر إلى أقوال المبشرين .

فالمبشر المؤمن بدينه ربما انخرقت المحالفة
الدينية بعاطفته فنظر إلى الأشياء على غير
وجهها وأخطأ الحكم عليها غير متعمد أن
يخطئ أو يصر على خطئه وربما لاح له
فضيلة من فضائل الدين الذي ينكره أو من
فضائل أهله فلم ينكرها ولم يحاول أن يطمسها
ويخفيها ، ولكنه يصرها على سنة الأقدمين
من المبشرين تفسيراً يوافق رأيه في عقيدته
وعقائد المخالفين له من المستحقين لغضب الله
في زعمه . وكذلك فسر المبشرون الأقدمون

وعن المسلمين العرب على التخصيص ،
ومعظمهم ممن يدينون بالمذاهب الفاسية
أو النازية في السياسة والاجتماع .

وطائفة أخرى هي طائفة الماديين
الملحدون الذين يدعون إلى عدم المجتمعات
القائمة ويقولون بأن الأديان كافة عقبة
تعرض « الإصلاح الاجتماعي » الذي يلحق
« الروحانيات » ويستبدل بها « الماديات »
في كل مطلب من مطالب الحياة الدنيا ،
ولا حياة غيرها لإنسان .

ونصيب الإسلام عند هؤلاء الماديين
الملحدون أوفر الأنصبة وأولاً ما بالتقديم
في خطة الهدم والتشويه ، لأن المسيحية
لا تراحم مذهبهم الاجتماعي بمذهب شامل
لمسائل التشريع والنظم الاجتماعية
والحكومية ، ولكن الإسلام يقيم المجتمع
على نظامه ويقرر الحقوق والواجبات
بقسطائه ويحيط بشئون الدين والدنيا في
حياة الأفراد وحياة الجماعات ، ويتقبل البناء
الجديد على قواعد أساسه الخالدون أن
يضطر المسلم إلى إنكار قاعدة من قواعد
العبادات فيه والمعاملات .

ولا يقل عن هؤلاء الكفرة في عداوتهم
للإسلام جماعة « المؤمنين المحترفين » سمارة
التبشير الذين يتخون تشويه الإسلام صراحة
يستدرون بها الرزق ويتوسلون بها إلى جله
الرئاسة وسمعة الصلاح والتقوى بين المتحصنين

بدينه عن الإسلام والمسلمين فإتباعاً يكتب الحقيقة كما يراها وتتمثل له في هواه ، ثم يتم عليه جهله وينكشف للقارئ مصدر خطئه وبراعته انحرافه ، ويختلف أمر المبشرين المحترفين فيما يلقونه على الأديان التي ينكرونها ويهجرون - على زعمهم - لهداية أصحابها ... فإن هؤلاء المبشرين المحترفين مهرة في فنون السعاية مدبرون على تمويه الواقع وتليبس الحق بالباطل ، فلا يشق على عقولهم ولا على ضمائرهم أن يعرضوا أحوال الأمم على الصورة التي تنفر الناس منها ولا سيما المتحصبين المستعدين للنفرة والراغبين في اختلافها ، ولا نبالغ في التقدير إذا قلنا إن نسخة أحوال المبشرين المحترفين في العصر الحاضر من هذا القليل .

خاتمة أخرى يشوب كتابتها الغرض كلما تحدثت عن البلاد الإسلامية كما يشوبها الغرض كلما تحدثت عن بلد ضريب يتطلع القراء الغربيون إلى سماع أخباره ويحبون أن توافق ما تخيلوه من أطواره وأعاجيبه ، ومعظم المتحدثين على هذا الأسلوب يسوقون أحاديثهم إلى قراء ألب ليسة ورباعيات الخيام ورحلات الرواد في القرون الوسطى ، فلا يحبون أن يسمعوها خبراً يألفونه ويشبه ما تعودوه ، وهوامم كله إلى الأحاديث الشرقية التي تعرض لهم شرقاً في الواقع كالشرق الذي

لفضائل الديانات التي وجدوا عليها أبناء الأمريكتين الوسطى والجنوبية يوم ذهبوا إليها بعد كشف العالم القديم بقليل ، فقد شهدوا بفضائلهم في بعض عقائدهم وشهدوا بصحة تلك الفضائل على مذهبهم ، ولكنهم قالوا إنها دسيسة من الشيطان أدخلها على عقول أولئك الأمريكيين الأصلاء ليزين لهم ضلالتهم ويريف عليهم أباطيلهم ، ولا يخطر على أن هذا الزمن قد ولي وانقضى بتأويلاته وتغريجاته التي يأبأها العقل ويرفضها المنطق السليم ... ففي عصرنا هذا سمحت سيادة أوربية لعقلها أن يفض من فضائل رجل كالمهاتما غاندى الهندي فلم تنكر عليه تلك الفضائل ولم تجرؤ على ازدراءها عند أبناء أمتها ، ولكنها قالت إنها صفات عارضة في روح غير ناجية ولا عالية ومن هنا كما قالت لم تظهر لروح غاندى مسحة من السباحة على وجهه ... فلحقت به النعامة وحومت على عيائه . ولعل المبشر المثقف في هذا العصر لا يرجع إلى تأويلات الأقدمين ولا يرمي أن فضائل الدين الذي ينكره دسيسة من كيد الشيطان ، ولكنه يقول كما قالت تلك السيدة إنها صفات عارضة لا تتغلغل في أعماق الروح ولا تحسن سياها في الوجوه . على أن الإخلاص في الإيمان بدين من الأديان عصمة ولا ريب من التفتيق المتعمد والكذب المقصود . فإذا كتب المبشر المؤمن

قروا عنه في أساطير الخيال . وقد رأينا بعض كتاب الغرائب في هذا القرن العشرين يحول بين دموع البادية العربية فيزعم أنه نزل بضيافة شيخ في الستين له في مضارب الخيام حوله ثلاثون زوجة وله من الأبناء والبنات ما ليس يحصىه ، ورأينا غيره يزعم أنه زار في العواصم الإسلامية بيوتا لا تفتح نوافلها وأبوابها بالنهار ولا بالليل وبين جدرانها خليط من الزوجات والسراري لا يبتدين في الطريق بغير دليل من الحصيان ، ولكن هؤلاء المغربين المتحילים يشوبون شيئا فصبيا إلى الاعتدال في رواية أخبارهم وأحاديثهم بمسد شيوخ الصور المتحركة وانتشار المناظر الشرقية على حقيقتها فيما تعرضه اللوحة البيضاء أو تعرضه الصحف السيارة ، ولم تبق للنفرين المتخيلين غير زاوية واحدة يمسكونها بالأعاجيب والمدهشات عن المسلمين والشرقيين وهي زاوية التاريخ والقصور الأثرية التي يعمرونها بأبطال العصور الغابرة ويلبسونهم أحيانا أبطال العصر الحاضر فيما يؤلفونه عنهم من قصص البيوت والحدود .

وأخطر المفرضين جميعا طائفتان تملكان من وسائل الدعاية ما ليس لطائفة أخرى من طوائف المفرضين ، وهما طائفة الصهيونية وطائفة الاستعمار .

وهيون خطب الصهيونية الساخرة في دعاتها السياسية أو النصرية ، فإن النفرين يرفقون أكاذيب هؤلاء الصيونييين ولا يساعدون من يساعدون هناك جهلا بما يفترون على خصايام أجمعين ، وإنما يساعدونهم لأن خطر الإسلام عليهم أكبر من خطر الصهيونية وما يماثلها من الأخطار النصرية ، ولهم في الغرب لم يسئلوا من دعاية صهيونية تحاربهم وتفتري عليهم في مسائل الدين ومسائل السياسة كلها بدا للصهيونية العالمية مأرب عند هذا البلد أوداك ، فإذا أعلن الصيونييون حملاتهم مصرحين بأسمائهم فلا تقة بما يروجون ولا خير على المسلمين منهم ولا غير المسلمين ، لكن الدعاية المفضة أخطر ما يستعليه هؤلاء الصيونييون ، والحلات التي يشنونها في أرجاء العالم بأسماء غيرهم هي في الواقع سلاحهم الذي يعولون عليه ، لأن جمهرة القراء يصغون إليها ولا يهتمون قائلها ، بل لا يشعرون بداع إلى الاتهام في أكثر الأحيان . وقد عرف الصيونييون في عصرنا هذا مواطن القوة التي تسخرها الدعاية فاستولوا على الكثير من أدواتها وبرعوا في تسخيرها وإخفاء مراميها . فهم يملكون شركات الإعلان فتصحب الصحف الكبيرة قبل الصغيرة حسابهم ولا تتورع عن خدمتهم أو السكوت عنهم على الأقل وكتبان سيئاتهم

الجمال في هذه المعارك وما إليها بأقل من استخدامهم لوسائل المال .

والمعرضون في خدمة الاستثمار قوة تضارع النطاية الصهيونية الخفية إن لم ترد عليها في بعض الأحوال ، إذ هي قوة الدولة وقوة المال ، وسائر القوى المسخرة للسياسة والتبشير مجتمعات .

إلا أن الاستثمار في هذا العصر لم يقترب من الترياق على الرغم منه ، وأوله ترياق النزاع عليه بين المستعمرين .

فإذا جلدت القرية من جانب المستعمر العربي لم يدخل عليه المستعمر الإنجليزي بالتفنيذ والتجريح ، مزاحمة له وإحباطا لمسامه ، وإذا اختلفت برامج السياسة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية في مجال الخلاف متسع لظهور الفرض المستور إن لم يكن فيه متسع لإنصاف الأمة المفترى عليها وتصحيح الأباطيل التي يروجونها عنها .

وقيام المعارضين للاستثمار في كل دولة من دوله المشهورة ضمان لتفنيذ دطاواه أو للكشف عن خباياه ، فلا تخلو دولة من دول الاستثمار الكبرى من أحزاب تعارض الاستثمار ، إشفاقا من مغارم الضريبة ومجازر الحرب وغازات الهجوم والدفاع ، وزهدا في مغائمه التي يتأثر بها الرعاة ولا نصيبه للرعية منها غير الحسارة والشقاء .

ومآزيمهم . إذ كانت الصحف الكبيرة — خاصة — أحوج إلى الإعلانات لكثرة تكاليفها تبعا لكثرة صفحاتها ، فلا تمكاد أثمانها تفي تكاليف الورق فضلا عن تكاليف التحرير لولا موارد الإعلانات .

ويملك الصهيونيون دور النشر فيحسب المؤلفون حسابهم كما يحسب الصحفيون ، وقد تبرع المؤلف بمخزائهم ونشر دطائهم تمهيدا لقبول كتبه ، وإذاعتها بالترويج والتفريط وخلق الجور ، الصالح للاهتمام بها واللفظ حولها ، ولا تقصر وسائلهم أحيانا عن ترشيحها لأكبر الجوائز العالمية من قبيل جائزة نوبل بالسويد وجائزة بولتايرو بالولايات المتحدة ، لأن نوبل نفسه يهودي ولجان التحكيم في الولايات المتحدة لا تخلو من اليهود أو من يسيطر عليهم اليهود بوسائل الإعلان والترويج .

ويملك لصهيونيون أسهما واقرة في شركات الصور المتحركة وبنتسب إليهم عدد كبير من الممثلين والممثلات وقواد المرح والوعدة البيضاء .

وإلى جانب هذه الوسائل الفنية أو المالية ووسائلهم وراء الستار — وأمام الستار — بين الساسة والنواب والمرشحين لمراكز الزعامة والمنافسين على الأصوات في مواسم الانتخابات ، وليس استخدامهم لوسائل

من معاملة الناس كما هم في الواقع بدلا من التحويل على قهرهم وإرغامهم وقلة المبالاة بما يجهلونه من شؤونهم وأخلاقهم ، كما كانوا يفعلون يوم كان الحكم كله للنف والإذلال . إن سموم البغاية الاستعمارية باقية وستبقى إلى حين ، ولكنها اليوم سموم يقتن كل سم منها بترياقه ، ولا تفعل عقاربها ما تفعله أمصالها بين ضحاياها ، بل لا يأمن المستعمر نفسه من جرائر تلك السموم .

والنتيجة التي نستخرج منها ميزانا لما ينشره الغربيون عن الإسلام والمسلمين في عصرنا هي تمييز المخلصين منهم وغير المخلصين وحرر البواعث التي تدفع غير المخلصين إلى الجهل بالحقيقة وإخفائها إذا عرفوها . فالمخلصون منهم هم طلاب العلم وطلاب العقيدة ، وغير المخلصين هم المتعصبون للوطنية القبلية والمتعصبون للعدوة المادية والمتعصبون للدين من إيمان أو من غش واحتراف ، وطلاب الفرائب ودماء الصهيونية والاستعمار . ويموزنا نحن الشرقيين المفتري عليهم أن نحسن الوزن بهذا الميزان لفهم ما يقال كما ينبغي أن يفهم ، ولكنها نتيجة سلبية قصاراها أن تنفي ما يقال ، فألزم لنا من هذه النتيجة السلبية أن نقول نحن ما يثبت وما يدفع ما يقال ؟

وعلى قدر سموم الاستعمار يكثر الترياق لكل سم من هذه السموم .

فالرغبة في كسب مودة الضعفاء أقوى اليوم من الرغبة في احتلال بلادهم واستغلال مرافقهم ، لأن فوائد الاحتلال تنقص ، ومغامره تزداد ولأن الحروب اليوم حروب عالمية تمتد إلى كل ركن من أركان العالم المعمور فلا تؤمن العاقبة أمتاء القتال إذا هوجم المقاتلون بالمقاومة الحربية أو الاقتصادية في ركن منها ، كاتنا ما كان شأنه من الضعف والازواء .

وليس من المنتظر ولا من المعقول أن يتصدى المستعمرون لإعلان الحقائق المشرقة لضحاياهم الأولين وضحاياهم الباقين تحت غيرهم ، وهم غير قليلين . ولكن المستعمرين خلقاء أن يعلموا أن معرفة الحقيقة عن الأمم المطموع فيها أجدى عليهم في معاملاتهم معها من كتمان الحقيقة وتضليل الأنعام عنها إذ كانوا يخدعون أنفسهم ويضلون أبناء بلادهم إذا وضعوا لهم تلك الأمم المطموع فيها على غير حقيقتها ، فيخسرون لا محالة كما يخسر التجار الذي يجهل أحوال وزياته ، من الغنى والفقر والأمانة والنش والوفاء والمظالم ، وما دامت القوة الفاعلة سلاحا مغلولاً في أيدي الغاصبين فلا مناص لهم

مَحْمَدُ بْنُ الْقَسْبِ بْنِ الْحَنَنْتِ

الكلوبى راند العبروية

— يمانا سبحة ذكرناه —
للاستاذ محمود خنيم

حركت في النفس يا شهاب انجبالا
سألت نفسي أحقاً هذه حلبٌ و
يا بلدة كدت التاريخ سيرتها
وأخلفت جده الأيام قلعتها
كم عنك من خير أصغى الزمان له
حببتُ نورك من مك وغالية
هذا أديم على مرآة انعكست
في كل زاوية من أرضه خيرٌ
إن العروبة لو سُحلتُ مفاخرها
هنا بموكب سيف الدولة اتلفتُ
كم شع من أفضها علم ومعرفة
كم قبلتُ تربها من فارس شفة
يا رب جلوية من فوقه خطرت
أبناء حمدان لنا في ضياقتكم

يا وكر أحد يا غيل ابن حدانا
ورحت ألقها أرضاً وجدانا
ورقصت من رواق الشعر أجفانا
ولم نحص لها الأيام صفوانا
وأرشف الفلك الهوار آذاننا
وحلتُ حباء دوا ومرجانا
مناظرُ المجد تحكى العليف ألوانا
عن بنت عدنان أو عن مجد حدانا
سفرأ لكنت لهذا السفر عنوانا
فك البقاع وسار الركب مزدانا
وأنبئت أرضها غيلا وفرسانا
وسار فيه سراء الروم مُبدانا
نُسمي إلى هاهنا من آل ساسانا
إنا نزلنا على التاريخ ضيفانا

* * *

إنا ضيوف على ذكرى تفوح شذى بستانها الدهر نرينا وريحانها

أفودة" فيز العطف فسوانا
ولا يقدس غير الله إنسانا
على الطواغيت من أبناء عثمانا
وقدم الروح للأوطان قربانا
قد أيقظت كل طرف غير يقظانا
غنيا على الأفق الشرق قد رانا
كأن موعدا يوم الحشر قد حانا
موحدا بسوى التوحيد ما دانا
كالسيف إن لان حد السيف مالانا
وأيتها فوق ظهر الطنوس ثعبانا
صب المداد على القرطاس نيرانا
يوما أثارت على المحتل ركنا
لا تحسبوا الشر تقطيعا وأوزانا

ذكرى ابن أحد بروى الشرق سيرتها
ذكرى النبي الذي ينسوخ لخالقه
ذكرى الكرم الذي قد ثار منفردا
ذكرى الشهيد الذي ضحى براحة
جنتا نمجّد شمساً كمنها حدث
وبعدت بخيوط من أشعتها
شمس ولكنها في الشرق قد غربت
جنتا نمجّد في إيمان وحدتنا
أين اليراع الذي قد كان يشره
يراعة كما موسى إذا زففت
كم من يراع إذا نار الوغى احتدمت
وكم أديب إذا ثارت صيفته
والشعر من زكمر تلقاه أو شرر

هل بت في العالم العلوي جدلانا
قد صار روحنا وريف الظل فينا
أرسي وأرسخ من أركان ثملانا
كان الثرى لتجوم الزهر أوطانا
ومات ماظب من قصر وسجنانا
إنا بيناه كالأهرام بنيانا
من قبل أن تلاق فيه كفتانا
مثل الكواكب لا ياورين بلدانا
كانت لسبك كل الأرض ميندانا
بل كن حظك من دنياك حرمانا

أما الكواكب في ومنزلة ومزلة
إن الذي كنت في دنياك تفرسه
في مهرجانك يبدو صرح وحدتنا
أما الكواكب قم واقض ثراك فما
قم من ثراك وضرّد في محافلنا
قم من ثراك وبارك صرح وحدتنا
صرحاً تماق روحانا به شغفنا
قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها
ما كنت تعرف داراً للإقامة بل
حتى ترحلت لاجله ولا تشب

وَأَثَرَتْ قَسْكَ الْآخِرَى وَلَوْ خَضَعَتْ
 مَا حَطَّ قَدْرُكَ سَجْنُ أَزْلُوكَ بِهِ
 قَدْ يَرْفَعُ السَّجْنَ مَنْ يَنْشِأُ مَنَزَلَهُ
 صَاوَلَتْ فِي مَصْرَ لَهَا أَنْ تَزِلَتْ بِهَا
 وَاللهَ مَا نَبَيْتُ مَسْعَاكَ فِي زَمَنِ
 حَتَّى إِذَا غَبَتْ عَنْهَا وَدَّعَتْ رُجُلَا
 وَغَشَّيْتُكَ بِصَوْبٍ مِنْ مَدَامِهَا
 يَا شَارِبَ السَّمِّ مَنْ كَفَّ مَلُوثَهُ
 لَقَدْ تَحَدَّيْتُ فِي الْقَبْرِ الْفَنَاءَ قَهْلُ
 وَالْحَرُّ يُنْصَفُهُ قَارِيعُهُ وَحَكْفُ

أَبْنَاءَ يَمْرُبَ لَا كَانَتْ عُرُوبُنَا
 يَا قَوْمُ تَأَمَّتْ لَنَا فِي النِّجْمِ مَمْلَكَةُ
 مُلْكُ بَنَيْنَهُ بِحَدِّ السِّيفِ مُنْصَلَا
 نَبَى بَنُوهُ بِأَيْدِي الْمُرَبِّ دَوْلَتِهِمْ
 مَا هَجَرُوا بِمَوَالِي الرُّومِ نَسَبَهَا
 لَمْ يَرْفَعْ الصَّوْتُ يَوْمًا فِي جَوَانِبِهَا

أَبْنَاءَ يَمْرُبَ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمُكُمْ
 قِيَمُهَا دَوْلَةُ شَمَاءَ بِإِذْنِهِ
 نَبَى الْحَضَارَةِ بِنَائًا عَلَى أُسُسِ
 وَتَحْفَظُ الشَّرْقَ إِنْ شَرُّ أَرِيدَ بِهِ
 تَزُولُ الْبَرَّةُ فَرَسَانًا وَأَسْلَحُهُ
 وَتَمَلَأُ الْجَوَّ أَسْرَابًا عُلُقُهُ

يَوْمًا لَكَانَ لَهَا دُنْيَا سَلِيَانَا
 مِهَاتٍ بَلْ كُنْتَ السَّجَّانَ سَجَّانَا
 وَيَعْصَفُ السَّجْنَ بِالسَّجَّانِ أَحْيَانَا
 مِنْ عَرْشِهَا وَمِنْ الْخِطْلَةِ ذُرِّيَانَا
 مَهْرَتْ فِيهِ وَكَانَ الْكُلُّ وَسَنَانَا
 قَدْ كَانَ أَرْفَعَ مِنْ أَمْرَامِهَا شَانَا
 مَصْرُ الْبَرِيَّةِ تَرْجُو مِنْكَ غَفْرَانَا
 هَلْ تَشْرَبُ الْآنَ مِنْ إِبْرِيْقِ رِضْوَانَا ؟
 خَلَّتْ الْفَنَاءُ عَلَى الْبَسْفُورِ سُلْطَانَا ؟
 بِالذِّكْرِ مُخْطَأً وَبِالتَّارِيخِ مِيزَانَا

إِنْ لَمْ تُبَيِّرْهُ عَزَمْنَا ذِكْرِي ضَمَانَا
 قَوْمُوا فَطَالِبُ بِهَا الشَّعْرَى وَكِيَانَا
 أَيْدِي الْأَوَائِلِ مِنْ أَبْنَاءِ سُرُورَانَا
 فَاشْتَدَّ بِنَائُهَا أَسَا وَأَرْكَانَا
 أَوْ أَبْدُوها بِمُجْنَدٍ مِنْ خِرَاسَانَا
 مُسْتَعِجٌ أَوْ يَدُهُ الْكَفَّ قِرَاصَانَا

هَيَّا بِنَا نَسْتَعِيدُ الْمَاضِيَ الْآنَا
 يَمْنُو لَهَا النُّهْرُ تَسْلِيًا وَإِذْنَانَا
 وَتَزِدُّهُ السَّلْمُ فَوْقَ الْأَرْضِ بَسَانَا
 مَعْنُ يَطْنُونَ أَمْلَ الشَّرْقِ قَطْمَانَا
 وَتَزْحُمُ الْبَحْرُ بِعَدِّ الْبَرِّ حَيْثَانَا
 تَبُكُّ فِي الْأَرْضِ تَدْمِيرًا وَعِمْرَانَا

إذا صحا الجوُّ طارت في جوانبه
إني أظن وظني ليس يكذبني
اليوم ما عاد يشكو النبل من رنقه
يا طالما حجراً شهداً لمقصب
لا يعرف الضيم شعباً كل مغفره
إن الالئ غصّبوا سوراً ومصرماً
ورثنا وإن غلم طارت فيه عقباننا
أب الومان الذي ترجوه واتانا
أر يشكي بردي المسول أذناننا
وابن الحى بهما قد بات غصاننا
وسيفه في الوغى صبراً وإيماننا
زاروا القناه فكانوا بعض صرماننا

• • •

أبناءً برؤب لاكتنا إذا دلفت
بغداد كم لك في قلب العروبة من
إخواننا في ظلال الكرخ ويحكرو
يا أهل بغداد راعوا الله في رسم
ماذا تقول؟ أمن محنتنا به ملكنا
ميات قطع ما الرحمن وامله
إن العروبة قد باتت موحدة
ما عاد يهرج أذن الضناد جرحه
الله أكبر ساد الوحي وانجحت
بنا خطانا إلى العلياء ووجدانا
قدّر إذا هانت الأقدار ما هانا
لقد أصبح لنا في الكرخ إخواننا
موصولة قطعت يا أهل بغدادنا
بالأمس تدعوه هذا اليوم شيطاننا
يد المفرق لا كانت ولا كانا
حساً وماطفة أرضاً وسكانا
من ذكر لبنان أو من ذكر عماننا
تلك الحدود وصار لكل عربانا

• • •

قد سارت الفلك حين الله تكلّزها
سر يا جمال إلى شط السلام بها
فهل البحر أمواجاً وشطآننا
قد اصطفاك لها الرحمن ربنا

محمود غنيم

الكتب

فتد وتعرف

الفتاوى

دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة

لقضية الأستاذ الأكرم شيخ الجامع الأزهر

محمود شلنوت

من مطبوعات الإدارة العامة للقناة الإسلامية بالأزهر
ويتم في ٥١٥ صفحة من الطبع للتوسط

في جملة — التي يتفرد بها أنه يسف صاحب
الحاجة إسماعيل مباشرة وفي سر وأنه يتناول
ما يجري في الحياة اليومية من أحداث تجد
أو تذكر ، لا بانطوائها تحت مبادئ كلية
أو نظرية عامة ، وإنما في جزئياتها وفي
تطبيق المبادئ والنظريات العامة على هذه
الجزئيات والمبادئ .

وكتاب «قاموس» أصبح شيوه اليوم
في حياتنا المعاصرة أكثر من ذي قبل ، لأنه
الحياة في سيرها اليوم أكثر سرعة ،
والوصول إلى الهدف من أيسر السبل وأقربها
قبولا أكثر قبولاً لدى النفس ، وأشد ضرورة
لحياتها الخاصة .

وهذا كتاب آخر ظفرت به المكتبة
الإسلامية من تأليف شيخ المسلمين الأستاذ
الأكرم بعد كتابه القيم الذي قدمناه إلى قراء
المجلة في الجزء الماضي وهو (الإسلام
عقيدة وشرعة) هذا الكتاب الجديد هو
(الفتاوى) وهو مجموعة من الآراء الناضجة
تقدم بالجددة والعمق في تطبيق الفقه الإسلامي
على مشكلات المجتمع ، ولنا نكتفي اليوم
في التعريف به بما كتبه الأستاذ الدكتور محمد
قاسم في تقديمه . قال الأستاذ :

أي كتاب له لفتوى ، هو قاموس للمشاكل
يختلف عن أي نوع آخر من أنواع الكتب
صممت — بجانب التعبير كهيئة أي كتاب

الى دفع إليها تقدم العلم ، وكانت تمرثها تلك الحضارة الصناعية والمادية التي يتمتع بها الإنسان حيناً ، وتسد حاجته اليومية حيناً آخر ، وقد تشق بها حياته أحياناً فهو لم يكن في عزلة عن الحياة الإنسانية المعاصرة ، يوم حلل المشكل أى مشكل ، ووضع عناصره وآثاره على الضرر والمجتمع ، ثم استوحى القرآن والحديث الصحيح الرأى بما ألقى به . ولذا فإن ما تقدم فيها مضى من فتاوى ، وما يوجد من كتب لهذه الفتاوى في أجيال المسلمين المختلفة والمتعاقبة لا تسد بحال هذا الفراغ الذي يسده كتاب «الفتاوى» للأستاذ الأكبر الشيخ «عمود شلتوت» لسبب بسيط وهو أن ما سبق من فتاوى كان لعلماء طائفة في غير أيماننا ، ولم تمر عليهم تلك التطورات البشرية القوية الأثر . ولذلك فصلحية ما أفتوا به تكاد تكون ذات اتصال مباشر بحياة المسلمين قبل عصرنا هذا .

نعم : كثير من الفتاوى التي قام بها قادة الرأى وبأئمة الاجتهاد بين المسلمين قبل الآن ، لها اعتبارها وصلاحيتها اليوم ، وسيظل لها اعتبار ووزن كذلك في حياة الغد . أما الاستيعاب لأحداث هذا العصر ، أو الاتصال المباشر بها وتطبيق الرأى الإسلامى عليها - فلا نجد في غير كتابنا هذا الذى تقدمه باسم «الفتاوى» لشيخ المسلمين وشيخ الأزهر :

ولذا كان من الواجب على الإدارة العامة للثقافة الإسلامية أن تراعى هذا الطابع للحياة المعاصرة ، بجانب ما تراعى حاجة المسلمين إلى التفقه وإلى إيجاد الحلول الإسلامية لأمرهم ومشاكلهم . وهنا أمل هذا للواجب عليها أن تسمى إلى سد هذه الحاجة . ومن حسن الحظ أنها وجدت في جوانب للفرقة العديدة التي يتميز بها شيوخ الإسلام وشيخ الأزهر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ما يسد هذا الفراغ في حياة المسلمين اليوم ، ويلبي حاجتهم السريعة ، فأخرجت هذا الكتاب : «الفتاوى» .

وإذا كانت الضرورة تدعو إلى تنوير المسلمين في حياتهم اليومية عن طريق «الفتاوى» ، وإذا كان شأن كتاب «الفتاوى» يختلف عن أى نوع آخر من أنواع الكتب فإن فتاوى الأستاذ الأكبر - بجانب ما تحمله من طابع التيسير في الوصول إلى حل المسائل اليومية الذى هو طابع الفتاوى بوجه عام تتميز بطابع خاص هو الإحساس القوي بالحياة اليومية وبأحداثها ، والعمق في فهم الإسلام وتطبيق مبادئه .

فالأستاذ الأكبر طائفة في فتاواه بين المسلمين ، وفي صلات المسلمين بنعيمهم ، ومرت عليه التطورات العديدة والقوية الأثر في حياة الإنسان ، وهو مقدم لهذه التطورات

بين المسلمين ، وتوقعهم على أهداف الرسالة الإسلامية ليجمعوا حول الإسلام ويعققوا رسالته - فكتاب اليوم : « الفتاوى » يقدم الحلول للسائل العملية التي تقع في حياة المسلم المعاصر ، كي يسلك في تصرفاته سلوكاً إسلامياً ، وكى يبنى مستظلاً بظل الإسلام ، يسير بمشعله في حياته ، بعد أن يمتلئ قلبه بالإيمان به .

كتاب الأمس كان تنويراً لتفكير المسلم المعاصر بما في الإسلام من قيم وتعاليم . وكتاب اليوم « الفتاوى » تنوير له في سلوكه الخاص ، وفي أسرته ، وفي مجتمعه وفي صلته بربه ، وفي علاقته بغيره من مواطنيه أو من الشعوب الأخرى .

وميزة أخرى لهذا الكتاب أنه منذ عصر الركود الذهني ، ومنذ عصر الجلود في تأليف الكتاب الإسلامي بقيت أنواع المعاملات وبقى الرأي فيها على نحو ما كان معروفاً للأئمة بين الفقهاء في الأجيال الماضية . والفتوى التي كانت تجد بعد ذلك كانت أيضاً لا تخرج عن هذه الأنواع ، وإن لم تأخذ حينها بالرأى فيها على نحو ما رأى السابقون . أما شيخ الإسلام وشيخ الأزهر في كتابه هذا فقد رأى من الواجب عليه - لأنه أراد تنوير المسلمين فيما جد من مشاكلهم العديدة - أن يبدى الرأي الإسلامى في الأحداث التي جددت والتي لم يبرفها الأوائل من

ومن ثم فكتب « الفتاوى » السابقة بأكملها كتاباً بهذا ، ويتم في سلسلة الفتوى حلقة أخرى ، تتضح صلاحيتها للسلم المعاصر على وجه أخص في حياته اليومية فرداً ومجتمعاً على السواء .

وفوق هذا وذاك فإن للعمق في الدراسة والبحث ، الذي يتميز به أستاذنا الأكبر فيما يكتب وفيما يفهم من الإسلام بصفة عامة ، هو ميزة أخرى تتجلى في كتاب اليوم : « الفتاوى » . والرأى الإسلامى الذي يعطيه الأستاذ الأكبر في فتاواه هنا ليس تاضعاً لحسب من الوجهة العلمية ، وإنما هو يعبر تعبيراً لا لبس فيه عن روح الإسلام وأهداف تعاليمه فيما يتعمق بتوجيه الفرد وتوجيه المجتمع .

فهم مستقيم لطبيعة الإنسان ، واستيعاب واسع لعناصر المشاكل والأحداث التي تجري في عالمنا اليوم ، وسلامة في تحديد أهداف الإسلام وتعاليمه في توجيه الإنسان ، واتصال قريب بالقرآن الكريم وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته الصحيحة - كل ذلك أساس « الفتوى » في كتابنا الذي تقدمه هنا الإدارة العامة للثقافة الإسلامية .

وإذا كان كتاب الأمس : « الإسلام عقيدة وشريعة » قصدت به الإدارة العامة للثقافة الإسلامية أن توقف الوعي الإسلامى

الإسلام وحاجة الإنسانية إليه

تأليف الدكتور محمد يوسف موسى
عرض ودراسة — الأستاذ محمد الغزالي

هذا موضوع يجب أن يطول فيه الحديث ، وأن تكثر فيه البحوث ، فإن تقدم العلم في عصرنا هذا يحبه تجههم للدين ، وتسكر للإيمان ، ونظر إلى تراث السلف كله وكأنه بقايا من أساطير الأولين لا ينبغي الاكتراث بها . وشملت هذه النظرة الإسلام بعدما بدأت من غيره ، وأعان عليها ما لحق المسلمين في الآونة الأخيرة من تخلف وعجز يجران النهم جرأ إلى دينهم الخفيف ، ويلصقان به ما هو منه بري . ١

وقد سرتني أن يتصدى الدكتور محمد يوسف موسى لإصدار كتاب حافل في هذا الموضوع تضمنت أقسامه الخمسة أطراف البحث كله ، وطوت مراحله الشاسعة طياً يجمع بين الاستقصاء والإيجاز .

وأسلوب الدكتور في كتابه هذا متضع فيه خصائص نفسه ، ففيه عمق الفلسفة وليس فيه تعقيد ، وفيه دقة القانون وليس فيه جفاف ، وإن كانت عباراته دانية يخيل إليك أنها لا تعلم عن لغة التخاطب المعتاد .. وهذه طريقة في الأداء يستريح لها الكثيرون

الآئمة . فأبدى الرأي مستخدماً فيه أصول الفقه التي استخدمها الآئمة من قبل ، ومستعيناً بفهمه البقيق لأهداف الإسلام ، وتاريخ الدعوة الإسلامية في مكة ، وتاريخ قيام المجتمع الإسلامي بالمدينة ، وتاريخ الغزوات الإسلامية وما كان لها من نتائج في علاقة المسلمين بغيرهم .

ورد الفتاوى ، التي تقدمها اليوم لذلك تميزت بعدة خصائص سواء بسواء الموضوعات والمساكن التي تارلتها أو بالرأى الذي تحمله للمسلمين وهي خصائص أقل ما يقال فيها إنها تطمئن الإنسان على أنه يسير في حياته طبقاً لها — سيرة المسلم الصحيح ، وإنه قد أرضى باتباعها ربه كما أرضى دينه .

وإدارة العامة لثقافة الإسلامية ترجو للمسلمين أن يلمتوا دوماً إلى إسلامهم ، وأن يزيد إيمانهم به على أنه المنهج القويم لسلوك الإنسان صاحب المستوى الرفيع . كما ندعو الله جل وعلا أن يبارك في فضيلة الأستاذ ، الأكبر وأن يمجزه خير الجزاء على ما يقوم به من توجيه للمسلمين .

الدكتور محمد البرهي

المدير العام لثقافة الإسلامية

وما يكون منه ، والرابع ، الشريعة الإسلامية ،
والخامس : « مقاصد الإسلام وغاياته » .

ووراء كل باب من هذه الأبواب الحسة
كلام مستفيض زاخر بالمخاطق العلية
والدلائل المورثة لليقين .

خذ مثلاً ما كتبه تحت عنوان « من
خصائص الإسلام » ، يقول : « لكل دين
خصائصه التي تميز بها عن الأديان الأخرى
فأما خصائص الإسلام التي ندعو إليه
باعتبارين ، والذي لا خلاص للعالم إلا به بعد أن
انقسم إلى معسكرات يترصد بعضها ببعض
الدوائر ؟ ، ثم يجيب على هذا التساؤل بعد
تمهيد يسير . « نكتفي هنا أن نتحدث بإيجاز
عن بعض هذه الخصائص وهي أنه دين
الوحدة الدينية ، والوحدة السياسية ،
والوحدة الاجتماعية ، ودين العقل والفكر
ودين الفطرة والوضوح ، ودين الحرية
والمساواة ، ودين الإنسانية ، وهو لذلك
كله دين ودولة ، وهو الذي قرر حقوق
الإنسان ، وتحت كل فصل من هذه الفصول
أخذ الدكتور يشرح قضاياها ويسوق براهينها
سوقاً سهلاً يعتمد كما قلنا على تجميع الحقائق
وإحسان ترتيبها .

ولا بأس من الإلماع إلى الطريقة التي
بمعالجتها المؤلف موضوعه ، فهو لكي
يستدل على حب الإسلام الحرية ، وعلى

وأظنها في مجال النشر الفنى أوسع طرائق
التحير للإفهام والاستدلال . . .

وقد ألف الدكتور كتابه على نسق مزدوج
فهو يجمع الحقائق ، ويضعها صفاء صفاء ،
ويدعك تشركه في استخلاص النتائج من
المقدمات ، وينتهي منه إلى حيث يريد .
وتجميع الحقائق من مظانها قد يبدو للفكر
القاصر حلاً سهلاً .

كلاً ، إنه في ميدان البحث الدينى والتشريعى
والتاريخى والكونى هو الجهد المضنى ،
والعمل المشكور . .

ثم هو بالنسبة إلى الإسلام العمل الفذ
الذى لا بد منه . فإن الدفاع عن هذا الدين
يتطلب من رجله أولاً وآخرها ، أن يذكرها
حقائقه المجردة ، وأن يحسنوا شرحها ،
لا بمجودة السبك وبهرج اللفظ ، بل بتحصين
الجوهر ، وتمحيته عن أية إضافة أخرى .
وذلك ما اضطلع به في وفاء وقوة مؤلف
« الإسلام وحاجة الإنسانية إليه » .

وصفحات الكتاب موزعة على خمسة
أقسام نرى ضرورة ذكر عناوينها هنا كي
يعرف القارئ اتجاهات البحث فيه .

أولها : « الإسلام هو الدين الحق ، الحاجة
إليه خصائصه ، والثاني : « العقيدة ، الإسلام ،
وعداؤه ، ورحته ، والثالث : « النبوة والبحث

في بيان أن الإسلام دين فطرة والوضوح:
«... وكذلك فكرة أن الإنسان ولد وولد
إلى هذه الحياة مثقلاً بالخطيئة الأصلية التي
لا يستطيع منها فكاً، وتقول بها المسيحية
وتعرفها نحن من كتبها التي بين أيدينا .
وهم ينعون بها أن الإنسان يولد وعليه وزر
خطيئة آدم عليه السلام جده الأعل حين
خالق من أمره وأكل من الشجرة التي
حرم الله عليه قربانها . وبذلك يحملونه وزراً
لم يحنه ، ويحملونه بعيش طول حياته وهو
واضح تحت أقال هذه الخطيئة المزعومة
ومن ثم يطلبون من الإنسان أن يؤمن
بمقيدة « الصلب والفداء » .

أي صلب « المسيح الإله » فدية للبشر
بما لحقهم من هذه الخطيئة الأصلية .
وكيف يستطيع عقل أن يؤمن بأن « الإله
كازموا يتمكن منه أعداؤه فيصلبونه وهو
يستفيك ولا مفيد له على حين يقول القرآن،
كتاب الإسلام ، من سيدنا آدم : « وعصى
أعم وبه فنوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدي . كما يقرر أنه ليس للإنسان إلامسى
وأنه لا تزور وازرة وزر أخرى .

كما يقرر من ناحية أخرى أن الإنسان
يولد بريئاً من كل ذنب أو خطيئة وأن من
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال
ذرة شراً يره .

ههوف النازع لرؤية البشر كافة متمتعين بها
يثبت لك هذه السطور الصغيرة : « من ضاية
الإسلام بالحرية وقدراها حق قدرها أن
الفقهاء يقولون : إذا وجد صبي غير معروف
نسبه مع مسلم وكافر ، قال الكافر هو ابني
وقال المسلم : هو عبدي ، يحكم بحريته وبنوه
لكافر ! ! وذلك لأنه بهذا ينال الحرية حالا
وينال الإسلام فيما بعد حين يكبر ويفهم
الدلائل على وجود الله وبعثه رسوله المصطفى
عليه الصلاة والسلام بأكل الأديان » .

وفي هامش الصفحة يذكر مصدر هذا
الحكم الرائع فيكتب « راجع الفد المختار
وحاشية ابرعابدين عليه المطبعة الأميرية . الثالثة
سنة ١٣٢٥ هـ - ٤٣٠ ص ٤٦٥ - ٤٦٦ » .

إن هذا الحكم المتقول أجدى عندي من
إنشاء صفحة مليئة بالتناء على موقف الإسلام
من قضايا الحرية . . . واستخراجه من مكانه
الحق جهد يستحق كل احترام . والدكتور
موسى من أروع المؤلفين في هذه الحطة . إنه
يغتم الإسلام بتسليط الأضواء على حقائقه
ووضعها أمام المجاهدين ، أو وضع ،
المجاهدين بإزائها . . .

وأعترف بأنني أحد الذين يستفيدون
من هذا المنهج أعظم الفائدة .

وبلغة الخطاب العادى التي لا تلح فيها أثراً
لتجويد العبارة وتزيين اللفظ يقول الدكتور

تلك الخصوم وجاء خصوم آخرون فلا يليق بنا فرض الذاهب حاضرا وترك الحاضر الذي لا يرد إلا كتاب الله إذا بيناه على وجهه . وليس من الحزم أن يضيع الإنسان عمره في الاشتغال بخصوم موهومين ويترك الخصم الذي ضيق عليه المسالك ١١ فضلا عن هذا فإن كتب علم الكلام فيها حجب كثيفة تمنع النور وتحدث الظلمة وربما قضت على اعتقاد ثابت صحيح . وهذا كلام حسن ، وقد طبقه المؤلف حين حاض في البحوث المتصلة بالعقيدة ،

أو المنبثقة عنها . فكان منهجه قرآنيا ، وكانت الشواهد التي استظهر بها للقرآن وابن رشد من هذا القبيل المحكم . وحذا لوفكر الأزهر في دراسة علم التوحيد على هذا النحو المجدي ، وأطرح الكتب الممتنة التي ما زالت بين أيدي الطلاب . والفصول التي تناولت الفقه الإسلامي في هذا الكتاب لأمعة الفكرة وهي ثمرة كتابات مسجلة ألفها المؤلف في كلية الحقوق - جامعة عين شمس . وتمتاز بالتحرد المذهبي ، والإحاطة بوجهات النظر الخاصة والمصادقة ، ودفع الشبهة إلى الأمام كي تحتل المكانة التي غصبتها منها القوانين الموضوعية .

وبعد : فهذا كتاب يشتمل على ثروة من المعارف الدينية السليمة تجعله عملا عظيما في خدمة الإسلام ورفع مناره ليهتدى به الحيارى والمبلجون . محمد الغزالي

وظاهر أن هذا العرض العلى لا يعنيه شيء إلا سرد الحقائق في بساطة تامة وكنت أود لو انضم إلى هذه القدرة العلية شيء من الاقتنان في الأداء ... ١ .

والكتاب مشحون بالمادة العلمية التي يشرح بها صدر المؤمن ، وتستوقف فكر الجاحد ، وترغمه على مزيد من التأمل والانعطاف إلى الحق .

وفي البابين : الثاني والرابع تلخيص العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية معا ، والمؤلف في هذين البابين يكتب بخبرة الإخصائيين . وقد تابعت شرحه لقضايا علم الكلام ، وتنويه بالدور الذي قام به في المهد الأول ، ومطالبته بتجدد موضوعاته واستدلالاته حتى توائم حاجة المعاصرين ، وماجد من مشكلات ذهنية ونفسية . والتجديد الذي يقترحه . هو في الحقيقة عود إلى منهج القرآن الكريم في إثبات الوجود الأعلى ، ووصف الكمال الذي يستحقه . وإنه لو اوجب على المعنيين بالدراسات الدينية أن يلتفتوا إلى هذا الاقتراح ، وأن يمهّدوا العمل به فإن دراسة القرآن لفهم العقائد الدينية والتدليل عليها أولى من دراسة كتب علم التوحيد أو الكلام اليوم ؛ لأن هذا العلم نشأ في زمن كانت الحاجة ماسة فيه للرد على خصوم الإسلام من الدهريين والزنادقة والملاحدة والمبتدعة . أما اليوم وقد ذهب

آراء وأحاديث

وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .
٣ - قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » .

وأضاف فضيلته قوله : إنه لو انخفضت الأمم المتحدة هذه النداءات الثلاث شعاراً لها لأفادت الهيبة من التمسك بهذه المبادئ ، والثقة بالناس حولها لأن ذلك يؤتي ثماره الطيبة ويكون له أثره الواضح بين جميع الأمم . ثم قال السيد الزائر : (إنني لأشعر دأماً ، وأعلم علم اليقين أن هناك صلات قوية بين مبادئ الإسلام والمبادئ التي تدعو إليها الأمم المتحدة والتي تتفق مع النداءات الثلاثة التي ذكرها فضيلة الأستاذ الأكبر ثم قال إنها لفرصة طيبة أن سمعت بقاء فضيلة الأستاذ الأكبر واستمعت إلى حديثه الطيب كما أنه لمن أهم الأشياء التي قامت بها الأمم المتحدة أن جمعت بين الناس من جميع الأجناس والألوان وإني لسهيد لوجودي في هذا البلد الإسلامي العظيم .

ثم اقترح على فضيلته أن يعلن هذه النداءات

مبادئ « المصوم » هي مبادئ « المصوم » :
استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه صباح اليوم مستر كولاند لقر مدير مكتب الأمم المتحدة للإعلام ، وكان يرافقه السيد الأستاذ علي خليل نائب المدير .

وقد دار الحديث حول أهداف الأمم المتحدة وما ينبغي أن تكون عليه هذه المنظمة العالمية التي تطلع إليها جميع الشعوب في الشرق والغرب .

وقد اقترح فضيلة الأستاذ الأكبر على سيادة الزائر أن تتخذ هيئة الأمم المتحدة مبادئها وأسسها من مبادئ الإسلام التي تدعو إلى التعاون والسلام بين جميع الأمم ، وهي تقوم على الأسس الآتية :

١ - قوله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ » .

٢ - وقوله تعالى : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلَا فَلَا ضَلَّاحَ بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلَا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ قَامَتْ قَاتِلَا فِيهِمَا بِالسَّيْلِ »

وإطلاق الحرية للفكر كي يؤدي واجبه الصالح العام ثم تركيز المسؤولية لكل إنسان في حياته الخاصة أو العامة والرسول يقول : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . ثم قال السيد الصحنى كيف تتحقق مسؤولية الفرد والإسلام يقول : « إن الله صانع كل شيء » ، فقال فضيلته : إن الإنسان مسئول بما منحه الله من عقل ، فله الاختيار في فعله وليس مجبراً على عمله .

وعند ذلك قال الضيف : هل هذا منهج تطورى فى الإسلام ؟ .

فقال فضيلته : هذه هى طبيعة الإسلام منذ بدأت دعوته .

ثم سأل الوائز عن الطلاق فى الإسلام ، وهل أعطى الإسلام حق التطلق للمرأة ؟ . فأجاب فضيلته : إن الطلاق تخلص من سوء العشرة وللرأة حق طلب التطلق من زوجها إذا أساء معاملتها ، أو اشترطت أن تكون العصة بيدها .

ثم تطرق الحديث إلى الحال التى يكون لها فيها أولاد ، فقال فضيلته : إذا كن الأولاد سفاراً غلام الحق فى حضانتهم ، أما إذا كانوا كباراً فإن للرجل الحق فى ذلك ، إذ هو أقدر من المرأة على مطالب الحياة .

ولماسأل السيد للضيف فضيلة الأستاذ الأكبر عن تعلم المرأة بالأزهر أجاب فضيلته : ليس هناك فكرة الآن لقبول المرأة فى الأزهر ،

على العالم يوم ١٠ ديسمبر وهو اليوم الذى تحتفل به هيئة الأمم المتحدة بذكرى إعلان حقوق الإنسان لنشرها على الملأ وليفيد منها الشرق والغرب فأجلب فضيلة الأستاذ الأكبر : إنه لمن دواعى سرورى أن ألبى هذه الرغبة المقترحة ، وإنى على استعداد تام أن أعلن للأمم المتحدة هذه المبادئ القويمة التى سوف تخطو بهذه الهيئة العالمية نحو تحقيق آمال الشعوب وخاصة الشعوب التى تتطلع إلى الحرية والاستقلال حتى يمكن التعاون الوثيق بينها إذ أنه لا يمكن التعاون بين جميع الأمم إلا إذا كانوا جميعاً أحراراً . ثم تحدث فضيلته عن شعب الجزائر وشعب فلسطين مهيباً بالأمم المتحدة أن تعمل من جانبها على تحقيق آمال هذين الشعبين . هذا وقد وعد السيد الوائز أن يحمل رأى فضيلته إلى أدوة الأمم المتحدة لتعلن على مثل العالم ، وليقفوا على النداءات التى اقترحتها فضيلته شاكراً له حسن استقباله وسجته صدره وآراءه القيمة لتنهوض بهذه المنظمة العالمية .

حول الإصلاح العربى فى الأزهر :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد روبرت بود زيت الصحنى الألماني الذى تحدث مع فضيلته فى الإصلاحات الدينية التى فبكت من الأزهر ، فقال فضيلته : إن من بين ذلك رفع التحكم عن العقل الإنسانى

الخاصة ، ثم سأله عن اجتماع المسلمين في المساجد ، قال : إن صلاتنا الجامعة نعتدها يوم الأحد وذلك لأنه يوم عطلتنا وليس أحد يستطيع أن يجتمع في غير هذا اليوم لارتباط المسلمين بالأعمال العامة يوم الجمعة ، ونحن في انتظار الأئمة الأزهرين فوعده فضيلة الأستاذ الأكبر بسفرهم في أقرب فرصة .

يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه سيادة بطريرك القسطنطينية المسكوف أتيينا غوارس الأول ، ولما استقر المجلس ببيادته قال : إن لنا مزيج الشرف أن قدما لزيارة فضيلتكم معربين عن صادق تقديرنا نحو الدعوة إلى المبادئ الإنسانية التي تعملون جاهدين من أجلها .

فقال فضيلته : إنه لمن دواعي سرورنا أن نلتقي الأديان من أجل المبادئ الإنسانية كما أنه ليوم مشهود أن صادف ذكرى إعلان حقوق الإنسان في الأمم المتحدة ، وأن أملنا لكبير في أن يكون مثل هذا اليوم عيداً حقيقياً جديراً بالاحتفال بمسدد أن تأمن الشعوب الصغيرة على مستقبلها ، وتعال حقها كاملاً غير منقوص .

ثم أضاف فضيلته : إنها لمقابلة تاريخية تلك التي نرجو أن يكون لها أعظم الأثر في مستقبل تضامن الأديان من أجل الإنسانية

غير أن الإسلام قد أعطى المرأة حق الدراسة ، وأن تنفق في دينها ، وهي في ذلك كالرجل سواء بسواء ، وذلك موجود فضلاً في دروس الوعظ التي يقوم بها السادة وعاط الأزهر وأئمة المساجد وخطابوها ، مما جعل كثيراً منهم يتفقه في دينهم ، ويقفون على كثير من جمال نظام المجتمع كطبيعة تكوين الأسرة ، وحقوق الزوج على زوجته والزوجة على زوجها ورعاية الأولاد — وما إلى ذلك — مما يجعل بناء الأسرة قوياً .

عال المسلمين في أمريكا :

ثم استقبل فضيلته السيد جيمس محمد خليل رئيس اتحاد الجمعيات الإسلامية بأمريكا وقد حيا السيد الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر تحية إسلامية باللغة العربية وقال : إنني يا فضيلة الأستاذ الأكبر لا أجيد التكلم باللغة العربية وإنما أنكمم بها قليلاً فقال فضيلته : إن القليل منكم كثير وإنما يهني الإيمان العميق والعقيدة الصالحة والحرص على الوصول إلى الفكرة السامية فيوم نخلص جميعاً في الدعوة إلى الله يوم يسود السلام الأرض ونبلغ الأهداف جميعها ، ثم سأله فضيلة الأستاذ الأكبر عن المدارس الإسلامية وهل توجد في أمريكا فقال : لا ، ولكننا نعتمد إلى بعض المساجد فنقيم بها بعض الدراسات

منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ،
ومعنى ذلك أنهم لا يستكبرون عن قبول
الحق ولا عن الرجوع إليه .

وهنا ابتسم البطريرك ابتسامة الرضا
والإبتهاج قائلاً : هذا ما ينادى به
الإنجيل أيضاً .

ولفتي لسعيد : بهذا اللقاء ، فإنك رجل
مملوء بالخير ، وقد قرأت ذلك في حينك
الذين تتوقدان إيماناً وقوة ، وفي لسانك الذى
ينطق بهذه العبارات التى تحمل أسمى معنى
لخدمة الإنسانية ، وإتنا لشكر سيادة الرئيس
جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة
جزيل الشكر ، ونسبر عن عظيم امتناننا
للتضامن الذى لمسانه من جميع الأديان ،
وتعاونها الوثيق ، والمعاملة الطيبة التى تلقاها
الكنيسة المسيحية في هذا البلد العظيم .

ثم قال الأستاذ الأكبر : لقد كانت فرحة
طيبة أن اجتمعت الأيدى متصافحة متآزرة ،
وإني إذ أتقبل هذه التحية بصدر رحب
ولسان صادق ، نشكركم على زيارتكم
التاريخية ، وندعو الله أن يوفقنا وإياكم
لعمل من أجل المبادئ الإنسانية التى تنادى
بها جميع الأديان كما أعبر عن شعورى
الأخوى الذى يحمل لكم أصدق التقدير
على تعاونكم ، كما أدعو أن يحفظ قائدنا
الحمام الرئيس جمال عبد الناصر الذى يعمل
حريصاً من أجل هذه المبادئ .

وإني أتهنى هذه الفرصة ليضع كل منا يده في
يد الآخر عاملين على خدمة الإنسانية والسلام .
وقد أبدى سيادة البطريرك سروره
وارتياحه لاقتراح فضيلة الأستاذ الأكبر
بإصدار بيان مشترك لدعوة رؤساء الدول
إلى الوقوف في وجه فرنسا لتحويل بينها وبين
تفجير القنبلة الذرية في الصحراء الكبرى ،
ولترفع يدها عن الجزائر ، ولتعمل
على إنصاف الشعوب المهضومة الحق حق
تنال استقلالها ، وأن تبني " للاجئين
الفلسطينيين سبيل العودة إلى وطنهم في أمان
واستقرار فإن الأديان تدعو إلى الإنشاء
والتعمير لا إلى الهدم والتخريب .

وأضاف سيادة البطريرك قائلاً : إننى بعد
العودة إلى تركيا سأعرض الأمر على المجمع
الكهنسي لاستصدار قرار بضرورة الاشتراك
في هذا البيان .

كما قال فضيلة الأستاذ الأكبر : ولا حرب
ولا ذرية ، وكردها مراراً مع فضيلته
سيادة البطريرك .

وقد أكد فضيلته الدعوة إلى السلام بقوله
تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ،
ولا نشرك به شيئاً ، ولقد ذكركم سبحانه
وتعالى في القرآن قال : ولتجدن أقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن

ياخوانكنا جميعا لأننى أرى من الضرورى أن توحدا لفتنا جميعاً لترتبط ارتباطاً وثيقاً ، فالرباط القلبي موجود ولكن ينقصنا أن نتفاهم ونتقارب ، والتقارب دعامة الاتحاد والقوة ، وتقوا أن الفضل كل الفضل للغة العربية إذ هى ثوب الإسلام الذى اكتسناه ثم طاف به فى جميع أنحاء العالم فدخل فى القلوب وأملت به النفوس ناشراً للعقيدة الصحيحة والإيمان العميق . ووزارة التربية فى أى شعب من الشعوب واجبة أن تعنى بتركية الروح وتربية الخلق عن طريق هذه العقيدة ثم تبدأ فى تعليم الناس ، وهذا هو الذى يشير إليه تعالى بقوله : « ويعلمهم الكتاب والحكمة » .

وتقوا أن لا وجود لأية وزارة من وزارات التربية إلا إذا توفرت على التربية الروحية والخلقية ، ومن ههنا نحن فإنى أقول لكم : إن الأزهر يعاهدكم على أن يتبع لكم تحقيق هذه الأراض .

إن عليكم يا وزراء التربية فى أنحاء العالم الإسلام والعربى — واجبا مضاعفا لأنكم أتم الذين تربون الجيل فأتتم أجيالاً فى أشخاص وأمل ألا تتأخروا فى هذه النواحي ، خاصة وأتم تدركون ما ينال على البلاد الإسلامية من نيازات جارقة من وجودية غاوية ، إلى شيوعية متجردة من الروح ، إلى إلحادية تنمى

هذا وقد وجه سيادة البطريرك المصرة إلى فضيلته لزيارة تركيا فأجلب فضيلته : إنه ليسعدنى أن ألبى هذه الرغبة عندما تناح الفرصة لذلك .

اللفظ العربية هى لغة المسلمين كافة :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبته السيد محمد خير جوهرى وزير التربية والتعليم بالملايو والسيد شيد جعفر البارد نائب وزير الاستعلامات بالملايو والسيد سيد ناصر مدير الجمع القومى بالملايو والسيد صالح عثمان مدير الشؤون الثقافية والعربية بوزارة التربية والتعليم بالملايو .

وكان يرافقه الوفد السيد ابراهيم حمودة مدير عام التخطيط بوزارة التربية والتعليم المركزية والسيد محمد محمد عبد الرؤوف مبعوث الأزهر وعميد الكلية الإسلامية العليا بالملايو والسيد محمد يوى ابراهيم العضو الفنى بالعلاقات الثقافية والخارجية بوزارة التربية والتعليم المركزية .

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر مرحباً بالزائر الكريم : إن الصلة الوثيقة بيننا وبينكم نجعلنا مسؤولين بهذه الزيارة ، ثم سأل فضيلته عن يعرف اللغة العربية فهم فأجلب اثنان منهم إتنا نحمد هذه اللغة فقد تعلم أحدنا فى الأزهر وأما الآخر فقد تعلمها فى الملايو .

فقال فضيلته : مرحباً بكما فوق الترحيب

الأعضاء فقال قليلاً من فضيلة الأستاذ الأكبر
في أن أترجم هذين الكتابين إلى لغة الملايو
فأذن فضيله وقال هذه كتب المسلمين جميعاً
لا تحتاج إلى إذن في الترجمة ولا في القراءة ،
فهى مباحة كلاً والمواء .

ثم ارتحل السيد محمد خير جومرى وزير
التربية والتعليم بالملايو بنعمه الطيبة وقلبه
الكبير — فعاهد الله (ثم التفوا جميعاً حول
فضيلته واضمين أيديهم في يده ، ثم قال : هذا
عهد الله بيني وبينكم وبين الذين يقومون على
تربية النشء ، وقد تعاهدت قبلكم مع السيد
كمال الدين حسين على ما فعاهد الله عليه الآن
من إخلاص في تربية الجيل على أساس
من الإيمان والتربية الصالحة ، وأنا مطمئن
إلى أنكم يا أبناء الملايو منفتحون لهذا العهد
فإن هذا الخلق الهادى والطبيعة السليمة إذا
ما انضم إليها خلق الدين وتسامحه يصبح
أسمى خلق وأقصد نوح من هذه الأنواع
على التوجيه السليم .
ثم أضاف فضيلته قائلاً : « كان الرسول صلى
الله عليه وسلم — مع أصحابه إذا اجتمعوا
على أمر هام لا يفترون إلا إذا قرأوا قوله
تعالى : « والعصر إن لآسان لى خسر إلا الذين
آمنوا » .

ثم انصرف الوفد شاكرين لفضيله حسن
استقباله لهم .

دون مدى أو إصلاح ، وإنما تنطبق طريقهما ؛
فإن أسسهم بنيانكم ، وأنتموه على تقوى من
الله أقمت الحصون القوية المتينة التي لا تؤثر
فيها المواقف ولا تصواعق ولا تصل إليها
هذه المبادئ الهدامة .

تعالوا بنا — وعلى رأسكم أخى وزير
التربية والتعليم بالملايو بنعمه الطيبة وقلبه
الكبير — فعاهد الله (ثم التفوا جميعاً حول
فضيلته واضمين أيديهم في يده ، ثم قال : هذا
عهد الله بيني وبينكم وبين الذين يقومون على
تربية النشء ، وقد تعاهدت قبلكم مع السيد
كمال الدين حسين على ما فعاهد الله عليه الآن
من إخلاص في تربية الجيل على أساس
من الإيمان والتربية الصالحة ، وأنا مطمئن
إلى أنكم يا أبناء الملايو منفتحون لهذا العهد
فإن هذا الخلق الهادى والطبيعة السليمة إذا
ما انضم إليها خلق الدين وتسامحه يصبح
أسمى خلق وأقصد نوح من هذه الأنواع
على التوجيه السليم .

ثم أضاف فضيلته قائلاً : « كان الرسول صلى
الله عليه وسلم — مع أصحابه إذا اجتمعوا
على أمر هام لا يفترون إلا إذا قرأوا قوله
تعالى : « والعصر إن لآسان لى خسر إلا الذين
آمنوا » .

ثم قدم إليهم فضيلته كتابيه الإسلام عقيدة
وشريعة ، « والفناوى ، وهنا وقف أحد

هجرة شاه إيران إلى الزهر:

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه السيد الوزير الموض السعادة الإيرانية نائباً عن السيد السفير الموجود في رحلة خارج القاهرة ، وكلن موضوع الزيارة حله تحيات جلالة امبراطور إيران وهديته إلى الأذهر الشريف وهي أربعة كتب من القطع الكبير عن الفقه الجعفرى وهي : كتاب « جواهر الأحكام » ستة أجزاء ، « شرائع الإسلام » ، و « قواعد الأحكام » ، و « مدارك الأحكام » .

وحينما قدمها سيادة الوزير إلى فضيلة قال : « إن هذه الكتب رمز لتوطيد العلاقات الثقافية ، والعلاقات الناشئة من التقريب بين المذاهب التي أزالته الفرقة بين المسلمين جميعا ، وألفت بين قلوبهم ، فتقبل فضيلته هذه الهدية الغالية قائلا : إن الرباط القوى بين قلوب المسلمين جميعا في أنحاء العالم إنما هو القوة التي سندها إليها وحرص عليها ، وما شقت قلوب المسلمين ولا أضاع قوتهم إلا هذه الفرقة الناشئة عن العصية التي يجب أن تزول عن المسلمين ، فإنه لا عصية في الإسلام ، إنما جميعا نستقي من منهل واحد إنما هو كتاب الله

وسنة رسوله ، وما أصاب المسلمين في أنفسهم وفي دينهم إلا نتيجة لهذه الفرقة .

ثم تلا قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا » .

ثم أضاف فضيلته قائلا : « ولقد أصبحت جماعة التقريب - التي أسهمت أيضا في إنشائها منذ مدة طويلة مع فضيلة أستاذنا الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم وقطعنا في ذلك شوطا كبيرا لم نقصد فيه إلا خدمة الإسلام والمسلمين موتلا بجمع شمل المسلمين وكنتم في عصر هذه النهضة الحديثة .

ثم قال سيادة الوزير : « لقد كان يسعد سيادة السفير أن يتشرف بزيارتكم ولكنه الآن في رحلة خارج القاهرة ، وإنى أقدم هذه الهدية نيابة عن جلالة الامبراطور الذي يرجو لكم دوام التوفيق حتى يصير المسلمون وحدة قوية متماسكة عند كل استعمار واحتلال .

هذا وقد دعا السيد الوزير فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة إيران ، ورجله أن يزور السيد السفير في منزله ليقم له حفلا خاصا .

بركة الحجامة

نمراد مع جماعة التبشير المسيحية :
بالسودان

هل يعلم المسلمون ماذا تصنعهم قوى الاستعمار
بالإسلام كدين ؟ وبالمسلمين كجموعه يجب
أن تعيش ؟

وهل يعلم المسلمون هذه الميزات العظيمة
التي يرصدتها التبشير الاستعماري للقضاء على
الإسلام ولائعهم المسلمين ؟

وهل يعلم المسلمون هذه الاجتماعات الختوية
بين كبار البارات والمستشرقين المنحرفين
من أجل هدف واحد هو هدم العقائد في
قلوب المسلمين والحيولة بينهم وبين شريعتهم
السمحة ودينهم الخاتم للإيمان .

إن صرختنا اليوم التي توجه بها إلى المسلمين
في مشارق الأرض ومغاربها من أجل ماعمله
الاستعمار في السنين الطويلة الماضية عندنا
في جنوب السودان .

إن الوثنية بركات التبشير الاستعماري
عشت وباضت وأفرخت في مديريات كاملة
في الجنوب .

وإننا نطالب المسلمين أن يشدوا الرحال
إلى مديرية بحر الغزال ، والمديرية الاستوائية
ومديرية أعالي النيل ، وما جاورها في جنوب
السودان ، ويسألون هناك الزكلم المتراكم
من المخلوقات البشرية عن الإله واسم الرسول
وسوف يجدون ما يصحهم ويخلصهم سوف
لا يجدون رجلا واحدا يعرف اسم النبي
محمد ، وسوف لا يجدون إنسانا واحدا يفقه
حدود الدين ولا الإنسانية .

إنهم أناس يلغون المشات من الألوف
يعيشون معزولين عن الحياة وعن المجموعة
المسلة التي حولهم .
إنهم أشباح لا أرواح ، إنهم أنصاف
ناس .

ومن أجل هذا قامت جماعة التبشير
الإسلامي بالسودان ، أي والله قامت تبشر
بالإسلام في جنوب السودان .

فهل تركنا الاستعمار في السنين الماضية ؟
أقم أمامنا العقبات والعراقيل كلما طلب
واحد من الجماعة أن يذهب إلى تلك البقاع
منه زبانية الاستعمار من النهاب إلى هناك .

إن هؤلاء الزبانية لا يهيم إسلام
ولا مسلمون .

واستطاعت الجماعة أن تثقف وأن تعاود
نشاطها رغم أتع الاستعمار وفي فترة وجيزة
جداً دخل في الإسلام ما يزيد على عشرة
آلاف نفس من جبال مصرية من سكان
مديرية جبال النوبة .

ما أعظم فرصة الجماعة حين يدخل رجل
واحد في الإسلام فضلاً عن عشرة آلاف
وسيتبعهم العشرات من الآلاف .

ولقد رأيت الجماعة أن تحصل بالآفطار
الشقيقة والبلاد الإسلامية . فأوفدت بعضاً
من أعضائها ليطوفوا ويستنهضوا ويشهدوا
المزائم .

فيأبى المسلمون وأصحاب القلوب المؤمنة
والنفوس التي تضار على الإسلام وعلى
حرمة الله . إنا توجه إليكم بهذه الصرخة
المدوية إلى كل قلب مسلم . وإلى رؤساء
الحكومات الإسلامية وإلى فضيلة الشيخ
الأكبر توجه بهذه الصرخة لكي تمدوا
إلىنا العون . كل بما يستطيع وفي حدود
الطاقة .

ونذكركم بقصة واقعية حدثت فعلا في
مؤتمر طم للبشرين حيث وقف رئيس
المؤتمر ويخ وفداً من المبشرين ضد الإسلام
بأنه لم يستطع أن يجعل مسلماً واحداً
يتزحزح عن دينه فوقه الوفد وقال :

(أنا وإن عجزت عن هذا فما قد جعلته
عامة المسلمين هناك لأمسلمين ولأمسيحيين) .

فأما في جنوب السودان فالوثنية تزحف
بخطها ورجلها وأساليبها المختلفة ودعاتها
الحيث .

وتصوروا أيها الإخوان أن هذه المجموعة
الكبيرة تلتفت حولها فلا تجسد مسجداً
واحداً عندها ثم تهد عشرات من الكنائس
والصلبان .

إننا نريد فضيلة عمرية الحق نهو الناعمين
ونحرك الجامدين ألا هل بلغنا اللهم فاشهد .

عبد الله شوقي الأوسر
السكرتير العام لجماعة التبشير بالإسلام
والإصلاح بالسودان

التمرح من زنجبار

نحن من طلبة الأزهر الواقفين إليه من
زنجبار .

تشرف بأن تهى إلى سيادتكم ما يعانیه
الإسلام في شرق إفريقيا من حملات المبشرين
والقاديانيين تحت ستار الاستعمار .

ونرى أن بعض المقالات الموجهة إلى القصة
الانجليزية فكرة ناجحة غير أنها قليلة النفع
بالنسبة لشرق إفريقيا ؛ ذلك لأن المسلمين
في هذه البلدان لا يعرف القصة الانجليزية
إلا قليل منهم ، ومصر ولا ريب عاصمة
الشرق على الإطلاق وبها الأزهر المعمور

وحجم الهند فقد عملوا على شرعيتهم الباطلة الزامية إلى إسقاط التكاليف الشرعية وفي اعتبارهم الباطل أن محمدا ليس بنبي إنما هو رجل عبقرى قد لحسب ، ويروجون لذهبهم بالمال إذ كل من يسلك طريقهم وينضم إليهم يخصصون له مرتبا شهريا لا يقل عن خمسة وعشرين جنيها كل شهر ولقد نجحوا نجاحا ملموسا إذ أصبح بعض الإفريقيين الذين كانوا على الفترة يتأدون بأن في اعتناق الإسلام تمكن من الاستمرار العربي في بلادهم ، ونحن لسنا عربا حق نتبع نبيا عربيا بله بقرآن عربي ولو أراد الله لنا الإسلام لأرسل إلينا رجلا منا يخاطبنا بلغتنا ومعه كتاب تفهمه .

ولقد استغل الصهاينة القارة البكر لشرعناهم الصهيونية ونجحوا في خلق أحزاب برز اثنتان منها في تنجانيقا تتنادى بأن الإسرائيليين هم أصحاب الدين الحق وتصف إسرائيل بالدولة الأم .

ويعتق بعض الزعماء في شرق إفريقيا المذهب الشيوعي ويتحينون الفرص للظاهرة به والدعوة إليه . وفي اعتقادنا أن أقوى الوسائل لمقاومة هؤلاء الأعداء إيجاد صلة قوية بين الأزهر وبين الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن الإسلام في تلك البقاع ؛ وذلك بأن يزودهم الأزهر بالكتب والفتاوى مكتوبة باللغة السواحلية ليستطيعوا بها إحباط ما ينشره

قبة الثقافة الإسلامية ، والعربية والمعدل الوحيد الذي ثبت لحلات المغيرين ، وقد انتهت إليه أمانة الرسول واستقرت فيه ودعوى السلف فلا يجب أن يتلقى المسلمون كل ما يصدر عنه بالرضا والقبول .

وتحقيقا للنفع في بلادنا نقتراح أن تترجم المقالات التي تنشرها مجلتكم الغراء إلى اللغة السواحلية إذ هي المنتشرة في شرق إفريقيا وأوسطها في منطقة تشمل : تنجانيقا ، وكنيا ، وأوغندا ، وروديسيا ، ونياسلاند ، والكنغو وتمتد إلى غانا وغينيا .

فسكان هذه البلاد جميعها يتكلمون بهذه اللغة وحبذا لو سمحت الظروف بإصدار عدد خاص من مجلتكم الإسلامية الهادية باللغة المذكورة يصد عادية الإلحاد والتبشير فقد اجتمعت على بلادنا والبلاد المجاورة لنا الدعوات الهدامة مثل القاديانية والاحمدية والبهائية والصهيونية والشيوعية .

فالأحديون قد بلغ بهم الأمر أن أذاعوا ترجمة للقرآن الكريم باللغة السواحلية ودرسوا فيها ما درسوا من أنواع الكذب والتحليل ومما قالوه أن عليا آخر نبي قد بعث بعد محمد كما حرفوا الكلم عن مواضعه في هذه الترجمة هادفين بذلك إلى تأييد مذهبهم الضال ونشره في تلك البقاع معتمدين على ضعف الوعي الثقافي والجهالة .

أما البهايون ومركزهم في بيروت ومصدر

الإيجابي . لاستطاع أن يقدم لنا شيئاً قنياً لأنه سيعالج العمل بطريقة موضوعية ... ولصافته الموهبة التي تمرل النقاد من الأدباء . الأدباء يشعرون أن النقاد خصوم لهم يحصلون من الحجة قبة ... والنقاد يعاملون الأدباء بالمسطرة والقلم الأحمر .. كما يعامل التلاميذ . ولو أنهم التزموا منها في كتاباتهم النقدية فسيتمتعون الجميع من أجل الجميع ... ولن تكون بينهم تلك الخصومات الدائمة . المسألة مسألة ضمير ... من الأدب إلى الناشر ... إلى الناقد إلى القارئ . قبل وبعد كل شيء ... ؟

صالح الربيع اسماعيل

ديوان الموظفين

عبد القادر

في جماعة التربية الإسلامية

هناك في حي شبرا قامت جماعة التربية الإسلامية منذ سنوات تحارب أعداء ثلاثة : الفقر والجهل والمرض . وهي أشد فتكا بالإنسانية ، وأكبر ضرراً بالقومية العربية من الاعتداء الثلاثي الذي وقع عام ١٩٥٦ على وطننا العزيز من : إنجلترا ، وفرنسا ، وذييلهما إسرائيل .

تحارب الفقر ، بالمقررات المالية الشهرية للبائسين المعوزين ، وتحارب المرض ،

المضطرون من أكاذيب وأضاليل حيث إن ما يصدر من الأزهر موثوق به عند جميع المسلمين وبخاصة مسلمي إفريقيا .

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد سليمان محمد العلوي الزنجباري

وطاهر أحمد مولانا جل الليل الزنجباري

• • •

الحياة الإيجابية في الفكر العربي ...

للحياد الإيجابي مفهوم سياسي كلنا تقريباً فهناه ... وهو باختصار صدم الانحياز إلى أي من المعسكرين المتنازعين . على ألا يعزلنا هذا الحياد عن إبداء رأينا في المشاكل العالمية التي تثار ... وذلك بوازع من ضميرنا .

ولقد ظهرت فوائد تطبيق هذا المسلك الخلق في عالم السياسة فيما أصبناه في المجال الدولي من نجاح مائة في المائة ... فلماذا إذن لا نضم هذا المفهوم للحياد الإيجابي ولا نحصره في هذا النطاق السياسي ...

فثلا معركة النقد التي نشأ عادة بين المؤلف والنقاد فور صدور عمل أدبي ..

إن القارئ كثيراً ما يضل بين النقاد ... ولا يستطيع أن يقف على الحقيقة لكثرة ما تتضاربها الآراء ... لعدم دراسة العمل الأدبي موضوعياً أو لتحامل الناقد أو لجوء البعض إلى التهمك المردول ...

ولو أن كل ناقد التزم هذا المبدأ الحيادي

الحاضرين زهاء الثلاثين طالباً ، بما حل معهم
 القاهرة الديني على توجيه خطاب شكر إلى
 المدرسة والقائمين بشأنها ، وفي ختامها حث
 الحاضرين على تلاوة القرآن ومدرسته ،
 وافتتح الحفل بتلاوة من الذكر الحكيم ، من أحد
 طلبة المدرسة بدأها بقوله تعالى : « إن هذا
 القرآن يهدي للتي هي أقوم ، جمعت مع حسن
 الأداء ، وشرف المناسبة جميل الصوت
 وجودة الترتيل ، ثم أجرت لجنة الامتحان
 برئاسة فضيلة الشيخ أحمد أحمد على الأستاذ
 بكلية أصول الدين ، وعضوية طائفة من
 العلماء امتحان الطلاب ، والطالبات فأظهر
 الجميع مهارة في الحفظ ، ودقة في الأداء
 مما يبشر بحسن المستقبل لهذه المدرسة
 وغيرها ، وفي فترة الاستراحة قام الطلاب
 بإلقاء نشيد القرآن .

هل بين دنيانا أمسى من الذكر

نحى تحايانا يلرسورة العصر

لماز إعجاب الحاضرين ، ورضاهم ،
 ثم اختتم الحفل بتلاوة آي من الذكر الحكيم
 وانصرف المدعوون شاكرين للجماعة عظيم
 جهادها ولسان حالم يقول : « لمثل هذا
 فيعمل العاملون ، « وفي ذلك فليتنافس
 المتنافسون . »

في مستشفاهما الخيري بتيسير العلاج ، والدواء
 للرضى والمحتاجين ، وتحارب الجهل ، بالوعظ
 في المساجد ، والدروس الدينية ، والثقافية
 في مدرستها : النهارية ، واليلية .

درجت هذه الجماعة منذ سنوات على إقامة
 حفل في مستهل العام الدراسي لاختبار طلاب
 مدرستها لتحفيظ القرآن الكريم فيما حفظوه
 من المقررات القرآنية أثناء العام الماضي
 بمعرفة لجنة مختارة من أكابر العلماء .

وفي مساء الخميس الخامس والعشرين من
 شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٩ أقيم هذا
 الحفل بمسجد الجماعة مشمولاً برعاية
 حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر
 الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ،
 وحضور ضيف الشرف فضيلة الشيخ محمد
 مصطفى أبو العلا المشرف العام على تحفيظ
 القرآن الكريم بالأزهر الشريف ، وحضور
 جمهور كبير من العلماء ، والوجهاء ، ودؤساء
 الجمعيات الدينية ، والسيد حكمدار العاصمة
 المساعد ، وكثير من أهل العلم والفضل ،
 وأولياء الأمور . ثم ألقى رئيس الجماعة الشيخ
 علي المنصوري كلمة مختصرة في فضل القرآن
 ووجوب العناية به حفظاً ، وتجويداً ،
 ودراسة ، وأشار إلى جهود الجماعة في تحفيظه
 لطلاب مدرستها ، وقد نصح منهم في امتحان
 القبول بالأزهر الشريف أثناء العامين

انباء الأزهري

حفل افتتاح الدراسات الاجتماعية بالأزهر

توفيق عبد الفتاح وزير الشؤون الاجتماعية ذلكم الرجل الذي عرفت فيه حبه للخير ، وأدركت لإيمانه العميق بكل ما يبل كلة الإسلام .

وذكر أن الدراسات الاجتماعية إنما هي إبراز لما نعلمه الأزهريون من شريعتنا الغراء . ويتكون الفرد تكويناً صالحاً يكون المجتمع الفاضل . ثم دعا الشباب إلى الفهم الصحيح الواعي ، وتركيز الخدمة للأمة لتسعد وترقى ، وقد ذكر أن صلاح المجتمع وصلاح الأمم إنما هو بالتعاون والتعاطف والتواد (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للؤمنين) إنكم يا أبناء الأزهر مرجعون لأممكم في يومها وفي غدها فكونوا عند حسن ظنها ، وتمثلوا أنكم في عصر نهضة إصلاحية بقودها الذي جمع قلوب العرب والمسلمين في عقد واحد الشباب المؤمن القوي بأفق الرئيس جمال عبد الناصر .

في التاسع من جمادى الآخرة أقيم حفل افتتاح الدراسات الاجتماعية بالأزهر ، وقد تحدث فيه الأستاذ محمد صفوت المدير العام لإدارة التدريب ، فأشار إلى الغرض من هذه الدراسات وهو إعداد قادة اجتماعيين دينيين ، يلون بجمرة حلول المشاكل الاجتماعية ، وبذلك يقومون بالمسئولية الكبرى نحو مواطنهم . وفي مقدمة القادة شباب الأزهر .

وقال : إن الأزهر احتل من قديم مزلته السامية في القلوب ، وسيظل مدرسة الشعب كله ، بل والعالم الإسلامي كله .

وأعقبه الأستاذ الشيخ محمد المدني ، فذكر أمثلة حية للتعاون الاجتماعي الصادق في الإسلام ، وأوضح أن الإسلام ليس عبادات فقط وإنما هو عبادات ومعاملات وأخلاق وتعاون وعبادة .

ثم ألقى كلمة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، وجاه فيها : إن مما يزيد في مروءتنا أن يشرف هذا الحفل أخى في الله السيد

وأبان أن الناس في هذه الحدود يستطيعون أن يقدموا الإنسانية خدمة كاملة ، فالأزهر الذي يكبح جماح الاتجاهات العمياء والوجودية الهزيلة الضائعة والشيوعية اللادينية ، وهو صاحب الدعوة إلى المساواة بين الناس جميعا لا يفرق بين أبيضهم وأسودهم ولا أحمرهم وأصفرهم ؛ فإنه لا عصبية في الإسلام فكلكم لآدم وآدم من تراب ومن أجل ذلك فإن الأزهر هو الجامعة الوحيدة التي تضم فوق ستين جنسية من مختلف بلاد العالم الإسلامي فهو هيئة الأمم الحقيقية التي تعمل عن هدى ومعرفة وصدق وإيمان . هي صاحبة الدعوة إلى احترام حقوق الإنسان لأن رسالتها هي رسالة محمد بن عبد الله .

ثم زار الوفد كلية اللغة العربية وشاهد ألوان النشاط فيها من جمليات التصوير والكشافة والفرق الرياضية ، وتحدث إليهم فضيلة الدكتور محمد الفحام عميد الكلية عن تاريخ الكلية وأمجادها .

هذا وقد أقام لهم اتحاد الأزهر حفل تكريم بقاعة المحاضرات الأزهرية ثم زار الوفد بعد ذلك دار الكتب الأزهرية والجامع الأزهر ومدينة البحوث الإسلامية التي يقيم بها طلاب البحوث الإسلامية .

وأخيراً تكلم السيد محمد توفيق عبد الفتاح وزير الشؤون الاجتماعية التنفيذي ، وبما قاله : حديثي إليكم حديث الأخ لأخيه لينفذ إلى الأعماق فني قلبي تجاهوب بيني وبين رجال الدين الذين شربت من مبادئهم وتوجهاتهم فكان لهم أكبر أثر في حياتي . وذكر أن القرآن والسنة وفصل الرسول والصحابة هي المصادر الأولى لتعاليم الخدمات الاجتماعية والتعاونية .

والأمل كبير في نهوض شباب الأزهر بالععب الكبير في حل المشاكل الاجتماعية بماله من حصافة ومكانة ، ولما يمتاز به من تربية دينية سليمة .

وفقد اتحاد جامعة عين شمس زور الأزهر :

زار وفد يمثل اتحاد جامعة عين شمس اتحاد الجامعة الأزهرية ، وهي فكرة تقوم على أساس التعارف بين الجامعات في الجمهورية العربية المتحدة ، وقد بدأ الأعضاء بزيارة كلية الشريعة وألقي فضيلة الشيخ محمد المدني عميد الكلية ورئيس الاتحاد كلمة عرفهم فيها عن الأزهر ونواحيه وأقسامه ثم تكلم فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور مدير الشؤون العامة بالأزهر عن ميزات أخرى في الأزهر على أساس أن مصاحب الدعوة للحرية الكاملة التي لا تعارض نفا من الكتاب أو السنة

THE ENGLISH DIVISION

Contents

1 — How Islam Tackles Poverty.

By

Ahmed Hassan El Zayat, Editor-in-chief.

2 — An Introduction to Islam.

By

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

The Rector of Al-Azhar University.

3 — Subversive Doctrines Destroy Themselves.

By

Abbas Mahmoud El-Aqqad.

4 — The Duty of The Learned (Al Ulamaa).

By

Dr. Muhammad El-Bahay, Director General of the Islamic

Culture Administration Al-Azhar University.

keeping the teachings of the Divine message and its moral commandments to deal with man's psychological problems. When they take this step towards "science" and the people of human knowledge take their described step towards the Divine message, both parties will meet and there will be no gap between them. They will adhere to one uniform and consistent kind of knowledge. They will be in agreement on (a) the belief in the Divine message and its universal laws, (b) the continuance of discovering the material aspects in the nature of the universe by means of modern "science" and (c) the perservation of the religious teachings to provide the selves with calm and security.

The mistake which should be shunned by all learned authorities, religious and secular, is that of making a "gap" between religion and science or between people of Divine knowledge and those of human knowledge. The people of Divine knowledge should not make the mistake of depriving themselves of discovering the nature of our universe. Likewise, the people of human knowledge must avoid the error of disregarding the Divine message and its universal principles.

It is clear by then that in the universe there is "dualism" but with no gap between its two sides. There is God the Creator by Whom the

universe was created, but there is no void between the Creator and the creatures. Man consists of soul and body, yet he cannot survive without the two together.

Because of the beblief in a split between God and man, contemporary people have strayed in their knowledge and have been non-disciplined in their behaviour. And because of the belife that man is made up of matter alone, people of this belief are more animal-like in their conduct.

Faith in God is the reliable source of every knowledge. The oneness of God is the standard which should be followed by the learned people in their search for harmony between the two aspects in the dualistic nature of the universe, especisly with regard to the human nature of soul and body as well as with regard to the social relations of man to his fellow man. "God the One" should be the emblem of every learned investigator and explorer of the universe.

To avoid all mistakes, then, we must believe in God, and to be accurate in our knowledge we must believe in His Oneness.

Spirituality is an indispensable necessity of human nature, and religion is a prerequisite to accuracy in knowledge. A man with no spirituality is a like a meaningless void, and knowledge without religion is scarcely certain

its inclusive consequences, they will be in agreement with those of Divine knowledge who started from the same point and understood this universal natural law with which the Divine message came to save them from tension and hostility. If they set off from this point, they will avoid errors and deception manifested in the bankruptcy of their ideas, because their guide will be the heavenly revelation at which falsehood cannot come from before or behind and which guides to that which is most upright in the life of man.

This universe is made subservient to man. "And He has made subservient to you whatsoever is in the heavens and whatsoever is in the earth, all, from Himself" (Surah 45, V. 13). "And He has made subservient for you the night and the day and the sun and the moon. And the stars are made subservient by His command. Surely there are signs in this for a people who understand. And what He has created for you in the earth is of varied hues. Surely there is a sign in this for a people who are mindful. And He it is Who has made the sea subservient that you may eat fresh flesh from it and bring forth from it ornaments which you wear. And you see the ships cleaving through it, so that you seek of His bounty and that you may give thanks" (Surah 16, Vs. 12-14).

These quoted verses mean that man should be the master in the universe instead of being subjugated to its powers. They also mean that the understanding of this natural law will enable the people of human knowledge to employ the modern science in a way as to realize the mastery of man and make him benefit from the things made subservient to him by God. When this is accomplished, "science" will not be used for destructive purposes but will do its natural service to man.

If the people of contemporary human knowledge follow the direction of the Divine message and start from this Divine basis, their knowledge will be a means of developing man and improving his qualities which consist of dualistic elements, in which case his development will take its natural course as it will include both soul and body which make up the nature of man.

We have said that the people of contemporary human knowledge must derive from the Divine message to be correct and upright and to be in harmony with the people of Divine knowledge. But this should not stop at the belief in God as the Creator and in the universe as created by Him. Besides this belief and their religious knowledge, they must also use "science" to discover the material nature of the universe while

This "Science" has disregarded the spiritual qualities of man and has failed to provide precautions and security even against its very laws and results. With this "science" man is insecure and subject to the tyranny of matter. And when the spiritual side in man weakens or stands inactive, this "science" - which controls the material nature of the universe - works in the wrong course and destroys man together with civilization.

The Duty of the people of Human Knowledge:

It is necessary, in the light of all what has been said, that people of human knowledge should discontinue their look to man as a mere material object to be tested by tubes and other experimental and laboratory instruments. They must understand man as composed of soul and body, and that he is a member in the category of the beings of the universe whose nature is based on dualism. When they do this, their solutions to man's problems and crises will be consistent with the logic of the natural law of existence, which law was brought forth in the message of God. But to attain such an aim, they have to seek help from the message of God and its teachings, because by virtue of that message they elude falsehood and deception in their

knowledge of the universe, and especially in their knowledge of man. It is beyond doubt that when they are guided by the teachings of the Divine message and become aware of the universal natural law, they will put an end to their errors and misleading and will come back to conformity with the law of existence. Then, whatever solutions to man's problems they suggest will be effective for they will not be contradictory to the dualistic nature of man.

People of human knowledge may use the experimental method of knowledge in their research about the material nature of man. But when they deal with psychological problems and social relations, they have to derive guidance and seek help from the Divine message only to which there is no alternative. Thus if they wish to have a right start and avoid frustration in their knowledge, they must begin with belief in this universal natural law and its inevitable consequences. They must believe in God as the Creator and in the visible universe as created. They must also grasp that God is distinguished by being the Creator, the One on Whom all depend, whereas other beings are distinguished by their dualism and their dualistic nature.

If the people of human knowledge start from this point and accept all

of human knowledge has contributed in the fields of philosophy, law, economy, and ethics — we shall find that these contributions have failed to provide man with stability, peace and repose. This failure is due to the very simple fact that people who made these contributions did not take into consideration the necessity of harmony between man's soul and body. They instead concentrated only on the material side of him.

The main object of man in his contemporary knowledge in the fields of philosophy, economy, law and ethics, is to satisfy the requirements and caprices of the body and to facilitate life. In his knowledge he does not try to restore peace to the self when it is upset or make it steadfast when it confronts crises. Nor does he attempt to establish the relations among individuals on a basis of mutual confidence and useful co-operation. This is why we see in modern society only helpless and upset selves, and find egoism and individuality prevailing in the relations of individuals to one another.

Whenever the contemporary man observes the instability of self and the unfriendly relations among individuals, he endeavours to make a readjustment by modifying his philosophy, his thinking about man, legislation, economical conditions and

ethical outlooks on life. Nevertheless, whatever he produces out of this modification in the said spheres remains far from restoring stability to the self of individual and confidence together with co-operation to the course of relations among people. This is, again, the result of the contemporary man's failure to see the spiritual side of the human beings and to liberate himself from the conventional method of knowledge, namely, the testing-tube and laboratory which suit only the material part in the two sides of the dualistic nature of the universe.

If we leave the theoretical knowledge of the contemporary man in philosophy, economy, ethics and law, to consider his scientific knowledge which he acquired in the name of "science" and upon which he founded the present material civilization and industrial evolution in the twentieth century - we shall see that this "science" with its laws and results has been fruitful in developing the machine which is used foremost in destructive ways instead of being constructive and helpful to man in the various aspects of his life. This "science" with its laws and results has remained far from offering remedy to unstable selves or curing the psychological ills.

and weakness. So if his testing - tubes and laboratory supposedly work well and be impartial, he himself cannot get away from his feelings and sentiments while recording the result of experiments.

Man's knowledge is, therefore, subject to the law of "becoming" and changeability. To-day's knowledge is unlike yesterday's, and to-morrow's may be different from to-day's and so on. And however man of this knowledge is certain about its results, his certainty about these results does not outlive him and he lives a short period of time.

Man of this knowledge may get concited and boastful of the results he reaches. He may be motivated by his vanity to think that his testing-tube and laboratory are the only means to perceive the whole universe, and thus make himself blind to the nature of the Creator and deny his divinity. Because the nature of the universe is dualistic and because man of human knowledge can perceive of this nature only its explicit aspect, the material side, and neglects the significance of spirit as representing one part in the dualism of nature and denies the spirituality of man. Then he thinks that the whole existence is confined only to what he can subjugate to his means of knowledge, i. e., the testing-tube and

laboratory. And by so doing he misses the secret of the whole existence. He fails to understand the natural law - already mentioned - of dualism which necessarily results in faith in the Creator as such and the creatures as being created by Him.

Man of human knowledge, accordingly, rejects the quality of createdness in man and grant him the faculty of createdness. He is unaware of the principle of dualism which we have shown as the law of the whole existence. So he tries to depict man in a material framework only and establishes all his knowledge of the human beings on a materialist basis.

It is strange that while the man of human knowledge fails to perceive human nature as dualistic he accepts dualism with regard to many other things, such as electricity, his attitude is contradictory; when he perceives the principle of dualism in some beings other than man, he is right and his attitude is consistent with the universal law of existence. But when he rejects this principle of dualism with regard to man, he becomes illogical with himself and stumbles in the solutions he suggests to his problems.

If we carefully examine the theories and doctrines which the man

And if his faith in the sense of his existence, of life and death increased, he would undoubtedly gain victory in his struggle against imperialism, atheism and oppressive materialism.

It is incumbent upon us, the learned Muslims, to lead the battle of victory against egoism, the imperialistic powers and the tyranny of machine over man to make faith triumphant. We want our peoples to be realistic in accordance with the message of Islam. We want them to have sovereignty over their societies and mastery over themselves. This is our duty because we are guides, leaders and authority. We are the followers of the first commander, the first believer, the first striver and the acquirer of the first victory in the battle of peoples life and the peace of humanity; namely Muhammad son of Abdullah, may the blessings and peace of God be upon him.

The Human Knowledge

In contrast with the Divine knowledge and its people there are the human knowledge and its possessors. The latter knowledge is that in which man tries to rely only on his mind, observation, experiences and experiments to discover his own nature and the nature of the whole universe in which he lives including the

earth and the sky, the clouds and the seas, the air and all the creatures.

The subject matter of this human knowledge is this universe; namely, these beings in which matter is mixed with soul and which are based on the principle of "dualism" in their inner nature. This knowledge may be precise and truly representative of the reality of this universe and may be otherwise; because its source is not God the Creator of the universe and the Knower Who sent down His revelation to explain the law of the universe and the principle of existence, and to enlighten people about both the Creator and the creatures. The source of this human knowledge is man who is limited by his heritage, environment, private and social circumstances. In his knowledge he tries in our contemporary age to get rid of this limitedness and not to be influenced by its factors. He wants to be free from limitedness and the effect of these circumstantial factors. This is why he uses testing-tubes and laboratories and adopts the method of synthesis and decomposition to acquire the knowledge he seeks without being affected by limitedness

At any rate, it is man who has different feelings and who fluctuates from moment between love and hatred, happiness and gloom, health

if they are considered self-controllers and conductors of their fellow patriots through their knowledge and deeds, they are also considered, on the same way, leaders of the sons of the whole Islamic nation throughout the world.

If it is possible for those who are close to them to see their deeds and then follow their example, their writings for the Muslims in the far countries should manifest a plain picture about their practical life and behaviour. That is because faith and clear conception do not rest only hidden in the heart and the mind but are also manifested in deeds and practices.

We, the learned Muslims, live in an era in which the spiritual values are shaking and the magnanimity of the spirit as well as faith in God has almost become immutable and stagnant. We are living in an age in which not only atheism conflicts with faith in God, but the immortal human values, love and fraternity among people, the internal psychological repose and external international peace have been also fluctuating as a result of the tyranny of caprices, individuality and egoism. We are facing an epoch in which machine is trying to replace God, Exalted be He, to be worshiped instead of Him and to be the master of the whole universe. We are living

in an age in which the tendency to destruction by the machine is more prevalent than the inclination to construction by means of spirituality and religion.

There is in our society, that of the Muslim countries, beyond all this another sort of conflict. In these countries imperialistic powers as well as the tyranny of foreign domination are in conflict with our rights of life, mastery on ourselves and sovereignty over our lands. If we awaken the conscience of Muslims, enlighten them with the guidance of God and make them aware of the principle of life, then not only their faith in God improve, but also they will be more prepared to conceive death as inevitable and as a shift from this temporary life to the immortal one. In this connection God says. "Wherever you are, death will overtake you, though you are in towers, raised high", (Surah 4, V. 78). They will know that whosoever dies in the way of God or martyrs because of the faith in the message of His messenger, may the blessings and peace of God be upon him, is expecting the immortal life of those who believe and struggle in His way : "And think not of those who are killed in God's way as dead. Nay, they are alive being provided sustenance from their Lord". (Surah 3, V. 168).

precise understanding of the message of God to His Messenger, peace be upon him, together with these he, to be successful, must apply this law and the teachings of the Heavenly message in his practical life in a clearer and more impressive manner so that he may be a standard example to follow, and his explicit conduct and practical behaviour may be true representatives of his inner nature and his conception. (This is because the practical example and genuine application given by propagators of any call is the most effective medium through which the propagated call appeals to people who are invited to it. People are usually more attracted in the beginning by deeds than by words, and the logic of tangible objects has more impact upon them than that of pure rationalism. It is reported that Aishah the Messenger's wife, may God be pleased with her, said in her description of his characters: "His morals were the Qur'an". By this she meant that the Messenger, peace and blessings be upon him, followed thoroughly the teachings of the Qur'an and his behaviour was completely representative of the Qur'anic Call which he was commanded by God to convey to all people.

When the man of Divine knowledge becomes weak in his conception of the principles of that knowledge, or when there is a gap between

what he conceives of it and what he practises, it will be difficult for him to impart his call to others or persuade them to accept it.

The duty of religious authorities or people of Divine knowledge, then, is to have a clear vision of the message of God and approach the source of that knowledge to derive therefrom opinions and solutions in a direct way without taking any intermediary or interceder between themselves and that source except those who have sincerely and impartially adhered to it. They have to live in the atmosphere of what they derive from the Book of God and the Traditions of His Messenger, may the blessings and peace of God be upon him. Because they are leaders and authorities, and possessors of virtue. They are to call people to the message of God by means of their knowledge together with their deeds. Their greatest leader Muhammad, may the blessings and peace of God be upon him, was following the morals of the glorious Qur'an as we have mentioned before.

The religious authorities as well as the possessors of the Divine knowledge have then responsibilities towards themselves and towards the believers in the Book of God and the Traditions of His Messenger. And

society. In other words, it establishes the meaning of justice between body and soul in the one hand, and between the individual and his fellow man in the other hand.

These are the consequences of the principle of dualism, that natural principle of the universe, whose logic the message of God does not oppose or contradict in any means. And this is because when it ordains the belief in God and His oneness, it demands harmony and justice, and prescribes the virtuous morality as well.

After all this, if we see a call for atheism and the rejection of divinity as well as the creativeness of God, or if we see another call for evolving the body and centering all attention in it alone, or if we see a call for monkery and the retirement from the material life, or if we see a call for fomenting anxiety, disorder, hostility and conflict — if we see all this or some of it, we must know that it opposes the nature of the universe as well as the message of God and His revelation.

The aim of the Divine message is to act in accordance with that law. And the sign of God to man is to enlighten him about that principle. And the straight path of God which He drew for man is which that is in

parallel with that principle and in complete coherence with it in all its stages.

Men of Divine Knowledge :

Men of Divine Knowledge, therefore, are those whose duty is to give enlightenment about this natural law. To be effective and clear in their prescribed endeavour they have to conceive this law vividly and adhere to it in their behaviour and practical life. People of this Divine knowledge, accordingly, are not isolated in their knowledge from reality nor are they alien to the natural course of existence.

Man of such knowledge is realistic and at the same time speaking in Divine terms so far as his message is concerned. He propagates the revelation of God to His Messenger, and his knowledge is Divine because it is not originally derived from the nature of the universe nor from his own mind. So, such knowledge is exempt from deception and treachery. Thus if he sometimes seems far from this law and goes astray, it is his own fault, not the responsibility of the knowledge to which he belongs.

It is not sufficient for the man of Divine knowledge to have clear conception of this natural law and

man alone or his spirituality alone is inharmonious with that principle and illogical with its consequences.

There are two things : The whole existence which must have Creator and in which existence all beings are created by Him. Hence, the belief in God the Creator, is not only derived from the necessities of the nature of the whole existence, but the belief in His oneness is also more attached to the conception of that nature and more logical and consistent with its necessities. God, the Creator, the One has absolute perfection and glory and He it is to Whom worship should be confined whereas the beings created by Him are linked with Him by the chain of need and worship. The Qur'an says "And I have not Created the jinn and the men except that they should serve me." (Surah. 51, V. 56). "And there is not a single being but glorifies Him with His praise" (Surah. 17, V. 44) " See you not that to God makes submission whoever is in the heavens and whoever is in the earth, and the sun and the moon and the stars, and the mountains and the trees, and the animals and many of the people ? " (Surah. 22, V. 18).

Secondly, the existence of the creatures which have dualistic natures and which, accordingly, should endeavour to attain harmony between the two opposite sides in their dualism,

and must also be linked with the Creator Who is the source of their existence.

The principle of existence supplies us with many significant things. It inspires us with faith in God. It lays down before our eyes the fact that all beings other than God depend on Him to keep their existence and survival. It illustrates the need of the creatures for harmony among themselves individually and collectively ; harmony between body and soul in man and between male and female.

We have already mentioned that the message of God is the enlightenment of people about that principle and that it is an expression of its results. We have seen then that there are many verses of the glorious Qur'an attest the authenticity of that principle. Faith in God as a result of the said enlightenment guides man to be truthful to the Creator and try to realize in his behaviour God's perfection, and then attempts to adapt himself to the morals of God. The prophet, may peace and blessings of God be upon him, refers to that by saying " Follow the morals of God " Belief in the necessity of man's endeavour to achieve harmony and erase antagonism realizes the sense of peace and tranquility in the life of man as well as in the life of his

God loves not the mischief-makers" (Surah, 28, V. 77). In this respect and in many verses of the Qur'an God disapproves the attitude of those who endeavour to support the soul at the expense of the body; "Say: Who has forbidden the adornment of God, which He has brought forth for His servants, and the good provisions? Say: There are for the believers in the life of this world, purely (theirs) on the Resurrection day. Thus do We make the messages clear for a people who know" (Surah 7, V. 32).

Moreover, the Qur'an came with an appeal to prevent hatred and antagonism between couples. It says "Divorce may be (pronounced) twice; then keep (the wives) in good fellowship or let (them) go with kindness" (Surah. 2, V. 229). "And when you divorce women and they reach their prescribed time, then retain them in kindness or set them free with kindness" (Ibid., V. 231).

Likewise, it called the alive human being to prepare himself to the reception of death, and to expect revival after his death; In this connection the Qur'an says. "Every soul will taste of death. And you will be paid your reward fully only on the Resurrection day. Then whoever is removed far from the Fire and is made to enter the Gardens, he indeed

attains the object. And the life of this world is nothing but a provision of vanity". (Surah 3, V., 184).

"And speak not of those who are slain in God's way as dead. Nay, (they are) alive, but you perceive not". (Surah 2, V. 154). "And think not of those who are killed in God's way as dead. Nay, they are alive being provided sustenance from their Lord. Rejoicing in what God has given them out of His grace, and they rejoice for the sake of those who (being left) behind them, have not yet joined them, that they have no fear, nor shall they grieve". (Surah 3, Vs. 168-169).

In addition to all this, the Qur'an tells us that strength may become weakness and vice versa. It says: "God is He Who created you from a state of weakness, then He gave strength after weakness, then ordained weakness and hoary hair after strength. He creates what He pleases and He is the Knowing, the Powerful". (Surah 30, V. 54).

The principle of dualism is representative of the nature of the universe, the human nature and the nature of all other beings. And if the rejection by man of the Creator gives an expression of utter deficiency or negligence to conceive that principle, the belief in the materiality of

should be no vacuum between the Creator and the creatures, not to speak of any contradiction between the Creator and creatures.

It is unnatural to make man's life confined to his body only or to his soul alone. It is also unnatural if there is disbelief in God the Creator and belief in man the created. Belief in God is a necessary result of the natural law of existence whereas disbelief in Him is a failure to appreciate that law or is a sign of neglecting and disregarding it. This is why the message of the Almighty God which was brought by the messengers, may the peace and blessings of God be upon them all, aimed at enlightening mankind about this natural law and teaching them that this nature is created and has a Creator, and that the relation between the created and the Creator should be in this visible world between the soul and the body, the pairs of male and female, life and death, strength and weakness, etc. The relation between the Creator and the created grows strong by means of endeavour from the latter's side to increase faith in the former. It also grows strong between the soul and the body by virtue of making them harmonious with each other without the domination of any of them over the other. The relation between the male and the female is

made strong by avoiding causes of aversion, hostility and malice. Similarly, it is made strong relation between life and death through the readiness of the alive being to face death and through his preparedness to receive a new life after his death. The strength of relation between weakness and its opposite is rendered possible when the strong person realizes that he may get weak and the weak person conceives the possibility of his getting strong.

The enlightening of the youth about this natural law of "dualism" is the essence of the Divine knowledge and is the centre around which the Heavenly message goes. So, the glorious Qur'an, the Book of God in which He presented His last message to all people, came with the call for permanent faith in God; "O you who believe, believe in God and His Messenger and the Book which He has revealed to His Messenger and the Book which He revealed before" (Surah V. 136). It also came with the call for harmony between the soul and the body without making any of them grow or improve at the expense of the other. "And seek the abode of the hereafter by means of what God has given thee, and neglect not thy portion of the world, and do good (to others) as God has done good to thee, and seek not to make mischief in the land. Surely

may be otherwise. So, the criterion by which we can correctly judge the Divine knowledge must be derived from the source of revelation itself before referring to the sayings or deeds of any of the followers of that message.

The Divine knowledge in itself is not new to man's nature nor is it strange to his existence. It is in complete harmony with the nature of the whole universe including the nature of man and his human course of life. In fine it is the same as the nature of existence. It is the guidance of God to man, and therefore it must be consistent with his nature as well as with the laws of nature and the rules of life.

The whole existence is based on the principle of "dualism," and the Creator of it is God, Exalted be He, and the created entities are the natures of the different beings. God the Almighty is a pure *mind* free from matter and personification, whereas the natures of other beings, which emanated from Him and which He wanted for His creatures, are a mixture of matter and *mind*. These other beings consist of *mind* and matter. It is a combination of visible and conceivable substances. The "dualism" in these beings is also represented in the existence of both male and female "And that He creates pairs,

the male and the female" (Surah 53, V. 45); of life and death "Who created death and life..." (Surah 67, V. 2); of strength and weakness "God is He Who created you from a state of weakness, then He gave strength after weakness, then ordained weakness and hoary hair after strength..." (Surah 30, V. 45) etc. The principle of "dualism", thus, is the natural law of the whole existence which is created and mixed with matter and which has a Creator Who is a pure *mind*.

So, if the principle of "dualism" is the law of existence and the basis of human life, it is only logical that the message of God the Almighty to man must aim at establishing harmony between the two sides of this "dualism" in the life of man. It would be illogical if the message of God aimed at strengthening or improving one of the two sides at the expense of the other. The purpose of the Divine message in the sphere of the human nature, then, is to harmonize the soul and the body, and its purpose in the whole existence is to make an adjustment between the Creator and the creatures.

There should be no vacuum in man's life so far as his soul and body are concerned. Nor should there be any contradiction between the soul and the body. Similarly, there

THE DUTY OF THE LEARNED

(al-ULAMMAA)

by

Dr. Muhammad El - Bahay

Director General of The Islamic Culture
Administration.

The Learned Man :

The learned man is he who has knowledge. And knowledge in turn may emanate from the revelation of God to one of His messengers, may the blessings and peace of God be upon them all. It may also stem from man's attempt to be independent in his research to discover the nature of his own self and of the universe in which he lives. The former kind of knowledge is considered Divine or religious whose source is God, while the latter is described as human whose source is man himself.

The Divine Knowledge :

When the possessors of the Divine knowledge convey their knowledge to people, they in fact speak in accordance with what God ordained and in a truthful manner without any deviation. Nevertheless, their speech may more or less get mixed

up with some of their own human characteristics, in which case they will not be true representatives of what God revealed to His Messenger. However, the Messenger, peace be upon him, is the only human being whose expression is in complete conformity with God's will. The contemporary companions of the Messenger and their successors differ among themselves in their representation of the Divine will. The more the propagator of the Divine message is cautious as to his expression of the will of God in that message, the closer he is to what God ordained to guide people. Likewise, the more he is affected by his subjective inclinations and his own limited environment, the remoter he is from the straight course of God's revelation.

The sayings of the possessors of the Divine knowledge, therefore, may express exactly the will of God in the teachings of His Message and

As for those who yield to these fallacious arguments in the Grey Note-Book and whose faith might be shaken thereafter, they are the farthest from the essence of religion. Nevertheless, this Note-Book with its fallacies and contradictions may cause the most superficial and weak-hearted believes to reflect once again on their faith and might help them to uproot the malice with their own hands and refute the big lies with their tongues. If the case were

not that the Arab Communist is a *voluntary* disbeliever depending on *evidence* inspired by rancour and stubbornness, all the contents of the Grey Note-Book would have been scattered notes. The Note-Book constitutes an argument in support of religion against those who reject it. The alleged poof in this Note-Book is inconsistent and illogical, and it will, however popular, now face its avoidless fate of disappearance; because it cannot affect a bit the certainty of any believer.

Note-Book mistranslates the verse "Indeed we see the turning of your face (Muhammad) to heaven", which means seeking the help from God, and explains it in a most literal and narrow sense to mean the mere aimless turning of the prophet's face to heaven. Besides that, there are many Qur'anic verses which the Arabic translator, after finding out their numbers in the foreign sources, reproduced without knowing their meanings.

The first thing we can understand, after viewing the Grey-Note Book, is that the pseudo Arabs and Muslims who propagaed it among their people were *voluntary* disbelievers instead of reading their Book, the Qur'an, Comprehending the history of thier religion and refuting those who are trying to criticize and defame Islam with a retort reply and conscious attitude. Conversely, their hearts were sealed with animosity and rebellion; because they envy people and have an evil feeling against them. So they became disbelievers without knowing what faith is or why the Marxist rejected Islam and the other religions.

All this is a well known unfounded propaganda repeated once and

again by the Marxists, however dissimilar their intellectual standards may be, as they boastfully assume that their writings are scientific or "analytic". In these writings they have not produced anything new except the "economical" factors which they cite in their own way by means of statements scattered here and there with the aid of some deceptive words learnt by heart such as exploitation, greed, wages, hard work and exhausted labourers which words are mentioned in comparison with bitter references to properties of capitalists estimated at millions. Obviously the mention of these words is quite sufficient to arouse the feelings of hatred and envy in the hearts of both audience and readers. And whoso accepts these words, he then is prepared to accept blasphemy which is justified by *voluntary* disbelievers through reasons they parrot without any sound argument save their spite, meanness, and the lust of slander against God's bondmen and even against God Himself whom they conceive as non-existent. Actually all what they said against God is clear evidence that they spite Him simply because He is the Possessor of power over all things.

Ill intention is a necessary prerequisite to the Marxist rejection of the Islamic principle prohibiting usury which rejection is based on taking usury sometimes in some Muslim countries. Accordingly, the Marxists consider Islam as a feudal religion serving the feudalists only. This is because no sound person dares to assume that law does not prohibit any crime whatsoever because people simply commit that crime. The Marxists are the last to adopt such an assumption for Marxism has not prevented the accusation, hurled against thousands from among the spokesmen of and adherents to Marxism, of exploiting their offices, betraying the people and violating the established rules of the doctrine. Likewise, this application did not impede the uprising of Hungarian labourers and peasants because they called for bread and clothes. Nor has it avoided the plundering of freedom of thought and expression to impose on people what they do not believe in or to force them to accept an idea which they would not welcome otherwise.

The author of the Grey Note-Book is obviously ignorant of Islam and the history of the Arabian Peninsula. And the Arab Communist who spread it is more ignorant of the history of Baghdad and its outskirts

both before and after Islam. He, for example, does not know the history of the Lakhmys (al-Lakhmiyeen) and calls them Lakhmeeds following the appellation of foreigners.

He speaks of the Zang (Black) Revolt in a wrong way and refers to it as the Zengah. When he mentions the tribe of Thaqeef, to which al-Hajjaj the famous ruler of Iraq belonged, he identifies it as the tribe of al-Thaqeef. He has not even read the Glorious Qur'an especially the Chapter of Victory which is the subject matter of launching attacks against the Islamic principle of *al-jihad* (struggling in the way of God) and against the Muslim victories which have been ascribed to factors other than the religious enthusiasm of Muslims. He translates the words *al-Sirat al-Mustaqseem* which mean the right path, by *al-Tareeq al-Aala*, which mean the highway. This kind of misquotation in every single word from the Qur'an is often repeated in the Note-Book which mentions the word *al-Hunafeyeen* a word that never occurred in the Qur'an - instead of the words *Haneef* and *Hunafaa* which mean the upright. Similarly, it speaks of the Sacred months (in which war is forbidden) as "holy" months by using the epithet *Muqaddas* instead of using *Hurum* which is actually mentioned in the Qur'an. Moreover, the

heavy taxes and intolerable religious persecutions. So they did not show any desire to resist the conquerors besides they had no motive to struggle.

It is not our wish to ask why the defeated Persians hastened at their own will to embrace Islam, and why they were followed by countless numbers of their fellow Asians who had been Buddhists or pagans or idolators, and who never engaged in any battle with the invading Arabs. What we wish to do, however, is to arrest the long fallacies of the materialists and raise this question: Why were the Arab Muslims able to defeat the Arab polytheists although the number of the latter was in some wars ten times as much in proportion to that of the former? The warriors of both parties consisted of similar categories as far as wealth and poverty, freedom and enslavement, supremacy and lowness were concerned. In the Muslim army as well as in the army of the disbelievers there were masters and slaves.

The disbelievers were not all feudalists nor were the Muslims all poor and heavily burdened with debts. Among the well-to-do Muslims there were Abu Bakr, Uthman and Khalid Ibn al-Walid, whereas there existed in the army of disbelievers thousands of slaves and destitute people. What powers then, except that of religious

zeal, made the less in number gain victory over the numerous? This question leads us to raise another imposed by the repeated mention of exploitation and weightless individuals throughout Marxist writings. We would like to ask them: Did Islam rise because the exploiters founded it or because the weightless people established it by means of revolting against those exploiters? What economical interest did the Prophet, peace be upon him, have to make him support the feudalists? And what did he gain for himself or for his family through the alleged aid he extended to the feudalists? Why did he arouse the weak against them in order that he himself might lead the same humble life as that of the weak? If "economy" can give satisfactory answers to all these questions, it would then be an odd form of economy created by the supernatural power of the jinn. Nay, it is a self contradictory creature.

This materialistic compilation of mistakes and lies and the misleading course of materialists in connection with religions could not be the result of ignorance alone. But together with ignorance there must be evil intention to misinterpret the virtues of religions by means of persistent deformation and denunciation without any proof except the vicious caprices of self.

Success has certainly aided the Materialists, the Marxists, in their "Grey Note-Book" which they publicized in Iraq and compiled therein all the sayings of the Materialist writers, old and modern, on the advent of Islam and the causes and circumstances of the rise of the Islamic Call. Never before has a great number of errors and contradictions been compiled in a note-book such as this. The embodiment of these errors and contradictions in such a note-book could not have been without misleading and false inspiration in which mistakes and deviation together with silly lies predominate over truth.

It is a historical fact that the defeat of Chosroes in the battle of Dhe Qar was the reason of the revolt of the Arabs against Persia. But after a few lines in the Marxist Note - Book you read that Quraysh in her objection to the Call of the Arab Prophet was relying on the support of Chosroes the King of Persia "whose death in 628 A. C. was among the reasons of the submission of Quraysh because Chosroes was known as the protector of idolators. So the people of Quraysh lost upon his death every hope to receive any support from without.

While reading this, one is struck by a statement which says that one

of the strongest reasons of the prevalence of Islam was the triumph of Quraysh's god over all the other gods. As for the followers of Muhammad, who were called the children of God, they belonged to the weak tribes, and this is why they followed him.

The Grey Note - Book does not reveal to us why Quraysh hatefully resisted the propagation of the Call of God and opposed the Propagator in a most inflexible way, and why those obstinate opponents did not surrender until they became desperate and hopeless as to the protection of the Persian king who was a well known idolator. Moreover, the Note-Book does not say why the Prophet was forced to leave the country of Quraysh, the worshippers of the supreme deity, to seek the help of the residents of Medina (al-Madinah) who disbelieved in Quraysh's deity and were not worshippers of God.

Furthermore, you read in the Note-Book that the victories of the Arabs were not a result of their religious enthusiasm, but were the outcome of the disintegration of the two great world powers, the Byzantine and Persian empires which were exhausted by long-standing wars.

The subjects of the two empires suffered so much from increasingly

SUBVERSIVE DOCTRINES DESTROY THEMSELVES

by

Abbas Mahmoud El-Aqqad

The Marxists write so much about religions, especially Islam, and the reason of their existence and development. In their writings they drive from one and the same idea and adopt their method without making any distinction between religions in spite of the fact that there may exist among the various religions some contradictions which cannot arise from one cause or from similar causes. Nay, it often happens that some religions bear elements which may destroy the beliefs, injunctions and morals of other religions, and may necessitate their invalidity, hold disbelievers their adherents and excommunicate them from the range of those who believe in the True God and the righteous messengers.

Whenever I finish reading a chapter of the Marxist writings on religion in general and on Islam in particular, the question comes to my mind: Which of the two parties is more entitled to speak up: the

supporters of Marxism or the believers of religion which the Marxists criticize and wish to refute by their analysis of the cause of its existence?

The virtues of religion may require some effort to uncover its secrets and expound the profound reasons out of which beliefs emerge and take forms and symbols adaptable to every age and harmonious with every stage in the course of development of thinking and knowledge. The true appreciation of these virtues, however clear they may be, is realized only through explanation and evidence. Contrary to that, the obviousness of stupidity and fallacies in the Marxist writings on religions is so clear that it needs no evidence or proof, and whenever these writings are re-examined they appear weaker and weaker and their fallacies become more vivid so much so that they constitute an argument for religion not against it.

be requited for it and will not find for himself besides God a friend or a helper. And whoever does good deeds, whether male or female, and he (or she) is a believer - these will enter the Garden, and they will not be dealt with a whit unjustly " (Surah 4, Vs. 123-124).

Equality of Man and Woman

In Religious Responsibility:

The verses mentioned above indicate that Islam task man and woman with equal religious responsibilities. Both are equally demanded to have faith and do good deeds. Moreover, these verses indicate that woman's is a responsibility independent from that of man, and as long as she is righteous the evil deeds and corrupt faith of man cannot affect her. Similarly, if she is bad and her faith is corrupt, the righteousness of man cannot do her any good because everyone of them is self-responsible for his good or otherwise deeds and will accordingly be rewarded. In reference to this principle God says: " God sets forth an example for those who disbelieve - the wife of Noah and the wife of Lot. They were both under two of Our righteous servants, but they acted treacherously towards them, so they

availed them naught against God, and it was said: Enter the Fire with those who enter. And God sets forth an example for those who believe — the wife of Pharaoh, when she said: My Lord, build for me a house with You in the garden and deliver me from Pharaoh and his work, and deliver me from the iniquitous people " (Surah. 66, Vs. 10 — 11).

In the same way the Qur'an stipulates that both father and son are equally entitled to religious independent responsibility from the day the latter reaches the age of maturity and adulthood. "O people, keep your duty to your Lord and dread the day when no father can avail his son in aught, nor the child will avail his father". (Surah. 31, V. 33).

(Translated from the Arabic text which appeared in the book titled:

ISLAM: BELIEF AND LAW

*by His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout Rector of al-Azhar University
Al-Azhar Press, Cairo, 1959).*

who say, our Lord is God, then continue on the right way, on them is no fear, nor shall they grieve" (Surah 46, V. 13).

Therefrom it is proved that Islam did not come as a Belief only nor was it concerned merely with organizing the course of relations between man and God. But it came as a Belief and as a conductive law to guide man to all aspects of good in life.

Belief is the Source and Law
is the Branch:

According to Islam, belief is the foundation upon which the law is built, and law is the necessary result of belief. So law does not really exist or flourish apart from the existence of belief. This is because law without belief is like an edifice which has no ground; it lacks the backing of moral and spiritual power which instigates the believers to intrinsically respect the law, apply its articles and follow its guidance.

The Relation Between Belief
and Law:

Islam, therefore, demands the adhesion of belief and law in such a manner as to make meaningless the existence of either of them separate a from the other. Yet it ordains belief

as a generating power leading to law which will then be a natural response to the interaction of the heart with belief. Such adhesion of belief and law is the way of salvation and gaining the reward promised by God for those who believe in Him. Thus whoso satisfies himself with belief and disregards the law or obeys the latter and neglects the former is not a true Muslim in the sight of God nor is he taking the straight path.

Equality of Human Beings In
Islam:

This is Islam which in its belief and law equalizes all human beings. It is addressed to all races and parties irrespective of physical differences of sex, i.e., male and female, or of colour, i.e., white and black, and irrespective of social differences between the ruling authorities and the ruled, the rich and the poor. Man becomes close to God's favour inasmuch as he is firm in belief and sincere in obeying His law. In connection with this point the Qur'an says: " O mankind surely We have created you from a male and a female, and made you tribes and families that you may know each other. Surely the noblest of you with God is the most dutiful" (Surah. 49, V. 13). " It will not be in accordance with your vain desires nor the vain desires of the people of the Book. Whoever does evil, will

human mind grows mature and the life becomes flourishing.

Islam : Belief (Aqeedah) and Law (Shareeah):

From God, Muhammad received the glorious Qur'an which is the comprehensive source of all beliefs and laws of Islam. With God as well as with Muslims the Qur'an is the principal source of knowing the basic teachings of Islam. It is a well-attested fact that through the Qur'an we know that Islam consists of two fundamental departments, namely, belief and law. Without the realization of these two departments in man's mind, heart and life, the essence of Islam and its significance alike are meaningless.

A — Belief :

Belief is the theoretical basis upon which the practical aspects of Islam were built and which all Muslims are demanded first of all to embrace whole-heartedly and undoubtedly. By its nature belief is established through unanimous and unequivocal texts as well as through the consensus of all Muslims from the beginning of the Islamic Call, though there have been different opinions in connection with matters other than belief. The first thing which the Messenger advocated and to which he called all people was belief. This call to belief

was the mission of every messenger sent by God as stated in the Qur'an in its references to prophets and messengers.

B — The Law :

The law of Islam consists of the very regulations ordained by God or of the general rules made by Him for man to follow in his relation with God, with his co-religionist, with his fellow man, with the universe and with life at large.

The Qur'anic Conception of Belief and Law.

In many clear verses of the Qur'an belief is viewed as "faith" and law is interpreted in terms of "good deeds". It says : "As for those who believe and do good deeds, for them are Gardens of Paradise, an entertainment, to abide therein ; they will not desire removal therefrom " (Surah 18, Vs. 107-108). " Whoever does good, whether male or female, and is a believer, We shall certainly make him live a good life, and We shall certainly give them their reward for the best of what they did " (Surah 16, V. 97). " By the time ! Surely man is in loss, except those who believe and do good, and exhort one another to Truth and exhort one another to patience " (Surah 103, Vs. 1-3). " Surely those

not - and you can never do (it) — then be on your guard against the fire whose fuel is men and stones" (Surah 2, Vs. 23 - 24). " Say : If men and Jinn should combine together to bring the like of this Qur'an, they could not bring the like of it, though some of them were aids to others" (Surah. 17, V. 88).

The Human Understanding of Islam Is Not a Religion to Be Followed :

After the death of Muhammad and his ascension to join the company of God, the notions of learned Muslim authorities as to the interpretation of some verses which bear more than one meaning became attached to the study of the Qur'an. Hence the field of human thought expanded and the opinions and doctrines related to theoretical as well as Practical matters multiplied. Yet those opinions and doctrines were not conceived as a religion to which adherence was obligatory but as mere opinions and notions concerned with some Qur'anic verses which might suggest more than one interpretation according to the different approaches of interpreters in the light of their understanding of the Qur'anic text with the aid of what they hold valid of the sayings and deeds of the Prophet or of what they conceived of general principles revealed by the

common spirit of religion. This attitude taken by the learned authorities was only believed to be an exercise of personal judgement (ijtihad). None of those authorities imposed his own opinion upon others who were qualified to exercise a like, free judgement.

As for the fundamental beliefs of Islam such as the belief in God, the Day of Resurrection, the ordinance of prayer, alms - giving, and consecration of self, honour and property, the texts concerned with these articles came very clear in the Qur'an and were in no need to free judgement or explanation. This is why there have been many opinions and doctrines in connection with the supplementary branches of the basic beliefs and in relevance to practice subordinate to the principles of laws and injunctions.

Adaptability to Islam :

The nature of Islam proves that it is a religion of reasonable intellectual freedom, and that, beyond its fundamental beliefs and principles of legislation, it does not confine itself to any particular kind of thinking or any special method of legislation. By virtue of this freedom Islam has been a religion to which all forms of sound cultures and beneficial civilizations are adaptable, however the

AN INTRODUCTION TO ISLAM

BY

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout
The Rector of Al-Azhar University

What is Islam ?

Islam is the religion of God Who revealed its teachings, principles and laws to the Messenger Muhammad, peace be upon him, and Who tasked him with conveying it to all people and calling them to embrace it. Through Islam Muhammad received from his Lord the glorious Qur'an and made it known in the same way it was revealed. In response to the demand of God and by virtue of His guidance Muhammad expounded the non-detailed verses of the Qur'an and translated its texts into practice by his deeds. Then people received it from him generation after generation until it came to us, just as complete and perfect as it was revealed, through a chain of reporters without any doubt in it.

The Qur'an is the Book of God:

A conclusive argument has been established with those who studied the Qur'an, appreciated its style, reflected upon its meaning and contents

and then aquired comprehensive knowledge of the life and environment of Muhammad - that the Qur'an could not have been the production of Muhammad nor of any other human being who might have received from him. Thus all those whose hearts incline to the truth believe that the Qur'an came from God Who revealed it to His chosen Messenger who in turn made it known to people, and so the Qur'an is - to those who believe in it - the source of religious beliefs, injunctions and laws

God has ascertained in the Qur'an itself the failure of human beings to bring the like of it, a result which was proved by the fact that they fell short in their attempt to bring its like. God challenged those who gave their backs to the Qur'an by disclosing their perpetual incapability of imitating the Qur'an; He says: " And if you are in doubt as to what We have revealed to Our servant, then produce a chapter like it and call on your helpers besides God if you are truthful. But if you do (it)

has reserved for them of pleasant reward. This is expressed in fascinating speech and unequivocal metaphor.

The approach of Islam to the problem of poverty is not confined to what we have already mentioned. But there are other ways through which Islam tackles this problem. It ordains the restriction of passions, the moderation of ambitions and the avoidance of greed. So it recommends the rich to lead a life of self-denying, commands the haves to exercise satisfaction and praises the contented poor.

This is how Islam treats the incurable disease of poverty which puzzled humanity since the existence of the universe. This treatment-although comprehensive, simple and effective - is a sound argument against those who pretend that the Law of the Qur'an is inharmonious with

civilization, and the Code of Napoleon is more suitable to mankind than the law of God, and the Marxist ideology is more useful to the world than that of Muhammad.

If every Muslim observes the right of God in his wealth and follows his kind nature as to give away of his surplus and console the miserable and behave in an altruist manner; and if all this finds rulers to administer it in the proper way - it will be easy then to establish peace in the earth, spread love among people. As a result, the ill feelings of hatred will calm in the envious, the tears of the miserable will dry, the stomach of the poor will be in peace, and the fears of the rich will cease. Prosperity then will prevail and people will enjoy the happiness of the earth and the blessing of Heaven.

connection, if he deliberately and with no excuse breaks the fasting, he must feed sixty poor men or free a slave. Furthermore, if the pilgrim violates any rule of pilgrimage, he has to expiate by offering a slaughtered sacrifice, e.g., a ram, to the poor. The father celebrates the seventh day of his child's birth by offering a sacrifice to the poor. On the occasions of the Lesser Bairam (Ied al-Fitr) marking the end of the fasting month of Ramadan and the Corban Bairam (Ied-al-Adha) marking the end of pilgrimage, the rich people have to relieve the poor by means of distributing the alms of fast-breaking (zakatul-fitr) and offering the oblations.

When the Muslim makes a vow, religion enjoins upon him to be faithful to his vow in order that he may be kind to the poor and helpful to the needy. In the Islamic law there is a wise rule which sets a duty against every right. Accordingly, when a person fails to stand for the demands of his livelihood, religion tasks those who are entitled to inherit him after his death with his subsistence. Thus the wealthy son, brother and husband have to maintain the needy father, brother and wife respectively and vice-versa. The second Calif Umar Ibn al-Khattab once saw a completely disable Jew. He stood by him and said: We

have not treated you justly O Jew. When you were able we took tribute from you and now in your weakness we must not let you down. Then he arranged a sufficient salary to be paid to that Jew regularly from the Muslim Treasury.

The Islamic law came with strong recommendations that when death draws nigh to anyone, he is to make will covering one-third of his property to be spent in charitable ways, besides his will to the parents and kinsmen. One of the blessings of the kind Messenger Muhammad is his praise of and exhortation to maintaining permanent sources of charity by virtue of mortmain to sustain the sick, the poor, the wayfarers, the pilgrims and the students. These people enjoy the benefit of this mortmain through the care and comfort they receive in benevolent hospitals, orphanages, hostels, monastery-like buildings, schools, and mosques. To appreciate the good and incessant results of the permanent sources of charity throughout the Muslim world one has only to cast a glance at the ways in which the revenue of mortmain is spent. In addition to all this, there are many verses in the Qur'an and numerous sayings and actions of the Messenger which urge the believers to spend in the way of God and endear what God

Then the first results of the Divine reform were clipping the nails of poverty, healing the wounds of the poor and suppressing the pains of misery. This Divine reform united the hearts of the people and fraternized them, equalized the various races, protected them from committing murders and purified the wealth from excessive usury. Finally it solved the same enduring disease of poverty in such a manner which, if adopted by reformers, will enable them to avoid the evils of these wars which disturb the peace of people and to save them from the defects of the ideologies which destroy the structure of human society. It solved the problem of poverty by creating a link between the rich and the poor on the basis of acknowledging the right of possession and maintaining the freedom of enterprise, so that no owner can be driven away from his property and no person can be opposed in his freedom. Accordingly, it entitles the poor to a certain right in the wealth of the rich whose religion is incomplete without giving that right. This right, i.e., alms-giving, is the third pillar in the five ones upon which Islam was built. It is not supplementary nor is it supererogatory or subordinate. Alms-giving has no insignificant effect in the life of the poor. It is estimated at one-fourtieth of properties,

If alms is collected, as estimated, with honesty and distributed with justice as prescribed, it will cure the souls from rancour and save the society from misery. Thus there will be no vagabonds on the streets or hungry in homes or disqualified labourers.

Islam in its treatment of poverty did not stop at the injunction of alms-giving. It has in the sphere of worships and dealings ordained inexhaustible sources of kindness and charity. When a person commits perjury he expiates it by feeding ten poor men with the average food he feeds his family with, or by clothing them, or by freeing a slave. Likewise, if he swears not to do a certain thing but then discovers that its doing is better than its leaving, he may do it after expiation by feeding the poor. Similarly, if he declares his wife as forbidden for him as his mother(zihar) and then decides to go back on his declaration, he must feed sixty poor men or free a slave. And if he kills a self by mistake, he feeds the poor or free a slave besides paying a blood-money (diyah).

Moreover, when the person is unable to fast the month of Ramadan because of illness or decrepitude, he may break the fasting and feed a poor man against every day he breaks the fasting of. In the same

When Islam plays its proper rôle in the life of Muslims, the whole nation becomes one family and all people become brethren among whom you may find the poor but not the deprived, and the weak but not the wronged. This is because the law of God has ordained a link of kindness between the wealthy and the poor and established a relation of mercy between the strong and the weak.

Islam has prescribed the remedy of poverty with clear awareness of the fact that it is the source of every disease and the origin of all evils. This remedy is one of the most fundamental pillars of Islam which come in grade after the Oneness of God. If you examine the verses of the Qur'an and the sayings of the Messenger concerning the poor-duty and kindness, you may think that the message of Islam was sent from God through Muhammad the Last Prophet only to save humanity from the calamities of poverty and evils of hunger. It is good proof to know that the verses of fasting in the Qur'an are four, and those of pilgrimage are about fifteen, while the verses of prayer are less than thirty. But with alms-giving and charity the Qur'an takes a different and stronger attitude described in more than fifty of its verses.

It seems that God chose the

poorest nation and the most barren land to combat poverty in its strongest fortress and vastest field; because if poverty is defeated in the desert of Hejaz (al-Hijaz), its defeat in the country of Egypt and that of Iraq would be far easier and much faster. Moreover, God chose His Messenger from among the poor to show more vividly His power in combating poverty, just as He chose him from among the illiterate to be a more conclusive argument in his support.

During the advent of the great Call of Islam the Arabian Peninsula was a deplorable example of what poverty afflicts upon mankind of savage instincts, dissolution of relations, aggressive assaults, suffering deprivation, slaying the children, excessive usury, devouring the forbidden things, cheating in measures, injustice of the heads, egoism of the rich, insecurity, the falling of man into the lowest depth of animal life, etc. But when God sent His Messenger with guidance and the true religion, his greatest miracle was the perfect Book (the Qur'an) which made of those bleeding and disintegrated bodies a strong and powerful nation and abrogated those corrupt systems to replace them with a constitution of solid foundations and immortal wisdom,

HOW ISLAM TACKLES POVERTY

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Take off your eyes this magic glass made by literature and art, and look into the various aspects of life. You will find that life is a formidable struggle for food. This struggle never ceases or weakens. It is continuous and common, and has caused the death and injury of many people, who were let down by their weakness to die martyrs or live in poverty. As for death, it is irresistible and there is nothing to be done about it, but poverty is the incurable disease which has been befalling humanity since God created it with the dual nature of power and disability, perfection and deficiency.

This disease has been the subject of social treatment which tried to mitigate its pain by sedative means and relieve its acuteness by charms. But the effective tackling of poverty remained inaccessible to the social treatment until God described

it in His religion and applied it in His law. Then the contagious effect of the disease was terminated and the danger was removed.

If you see in the Muslim world victims of poverty and preys to hunger, you must believe God and distrust your eyes ; because the world you see is not the one which shines with the light of God, nor is it the one which is perfumed with the breeze of Paradise. But it is Like a debris deserted by its people and a patient neglected by his comforters. The world you see is populated by "Muslims" who failed to appreciate the values of the Qur'an and - instead - glorified its words, and is governed by rulers who miss the solid foundations of sound government to satisfy themselves - instead - with its superficial forms.

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المستشار

إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة

ت ١٦٤١٤

مجلة الأهرام

مجلة شهرية جامعة

بصدور من شيخنا الأزهر في أول كل شهرين

يترك في التمهيد

عنا من مزاياها

بذل الاختلاف

في المهرجانات
خارج القاهرة

والذين والطلاب في بعض

الجزء الثامن - شعبان سنة ١٣٧٩ هـ - فبراير سنة ١٩٦٠ م - المجلد الحادي والثلاثون

المعركة التي أنقذت الإسلام والعروبة

١٢٢٢

بمناسبة اهنفال للجمهورية بذكرها

بفهم : أحمد حسن الزيات

دور

رشيد وبور سعيد ، وستحتفل في الثامن من هذا

الشهر : شهر فبراير يوم المنصورة ، وهو اليوم

الأمر الذي صدق الله فيه وعده للسليين

فأطاعت على مياه (البحر الصغير) آخر حرب

أوقد نارها الاستعمار الكافر ، باسم الصليب

على أرض الكنانة فأنقذ الأمة الوسط من

عاقبة كماقبتها في الأندلس مع الفرنج ، ومن

كارثة ككارتها في العراق من المغول .

كان . العرش العباسي في منتصف القرن

الثالث عشر للبلاد قد زعزع المغول قوائمه

وأوشكوا أن يقوضوه ، وكان الوطن العربي

قد مرقة المطامع وكاد أنه أن يفقدوه ؛

وكان آل الصليب عن وترم صلاح الدين

في حطين يجمعون الآهة ويتحنون الفرصة

لاسترداد بيت المقدس بالعودة إلى غزو الشام

وفلسطين ؛ ورأى لويس التاسع ملك فرنسا

أيام النصر كواكب سعد تالت في ليل

جهادنا الداعي الطويل ، أو هي أعلام مجد

تخفق على شواطئ تاريخنا الجليل الحفيل ؛

فيوم بدر ، ويوم مكة ، ويوم اليرموك ، ويوم

القادسية ، ويوم حطين ، ويوم المنصورة ،

ويوم رشيد ، ويوم بورسعيد ، مراحل هادية

في طريق الركب البشري نقلته كل مرحلة منها

إلى منزلة من منازل السالك الاجتماعي ؛ من الشرك

إلى الوحداية ، ومن الرق إلى الحرية ،

ومن هجية العوضى إلى مدنية النظام ، ومن فرقة

الجهالة إلى ألفة السلام ، ومن قيادة الهوى

الحاكم إلى سياسة العقل الحكيم ، فالاحتفال

بذكرياتها احتفال بكرامة الإنسان ، وغلبة

العدل والإحسان ، وسيادة العلم والنور .

وقد احتفلت الجمهورية منذ أسابيع بيومى

وهي حطين الثانية كانت كلمة من وعد الله
الصادق بالنصر لحياة دينه ، لحولت مجرى
التاريخ ، وغيرت وجه الأحداث ، وألقت
إلينا بمقاليد القدر .

— ٢ —

في أواخر سبتمبر من عام ١٢٤٨ م أوسى
أسطول القديس لويس على شواطئ (لجاسول)
ميناء قبرص ، فزل منه الفوارس الغلاظ
الشداد عليهم القمصان البيض والصلبان السود ،
فسطعت في أنوفهم من بعيد ريح الخبز القبرصية
وما ينتشر حولها من وهج الشواء وأريج
النساء وفوحة الزهر ، فتلقاهم ملك الجزيرة
(هنرى) بما يشتهون . فلبثوا يقصفون
ويفسقون ثمانية أشهر جعلوا قبرص كلها
في هذه المدة ماخوراً كبيراً وحانة عظيمة !
وكان الملك القديس في أثناءها يجمع المتونة
ويكمل العدة ويتنظر من تخلف عنه من هواة
الإقطاع ، ويستقبل من وفد عليه من سفراء
المغول ؛ ليحالفوه على قبض النفوذ المصرى
من الشرق بعد أن استحال عليهم ذلك ،
فلما قرروا الإبحار إلى مصر كتب لويس
إلى ملكها الصالح نجم الدين أيوب كتاباً يندره
فيه بالمهجوم جرياً على سنن الفروسية في المعصر
الوسيط جاء فيه على ما روى المقرئى :

« أما بعد : فإنه لم يخف عنك أنى أمين الأمة
المسيحية ، كما إني أقول إنك أمين الأمة
المحمدية . وإني غير عجب عنك أن أهل جزائر
الاندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا ،

أن الفرصة قد واثته بهجوم التار على العراق ،
وعبث الحشاشين في الشام ، وتنازع الأيوبيين
في مصر ، فاعتزم الغزوة الصليبية السابعة .
وفصح له أصحابه بأنه ، وأركان حربه أن يستولى
أولاً على مصر ؛ لأنها معقل الإسلام وموئل
المروبة ؛ والاستيلاء عليها يفتح الطريق إلى
فلسطين وسورية والعراق فيدخلها من غير حائل
ولا وائل . أليست مصر هي التي سحقته
الصليبيين في حطين فأقعدت دين الله ، وصعدت
التار في عين جالوت فأقعدت تراث محمد ؟ .
هنالك دعا القسيس لويس ومن شابهه
من أقطاب النصرانية إلى الغزوة الأمراء
والفرسان وعشاق المغامرات عن يعلمون
أن يكون لهم في مصر إقطاعيات وإمارات
على نحو ما كان لأسلافهم في بلاد الشام وشمال
العراق منذ قرن ونصف . فاجتمع إليهم
من الحاج الأرض زهاء خمسين ومائة ألف فارس ،
واحتشد لديهم من موانى البحر ألف وثلاثمائة
سفينة ، وأبحروا إلى مصر بهذا الجيش الحرمم
في هذا الأسطول الضخم ، يسوقهم الإيمان
الاعمى ، ويقودهم الطمع الجشع ، ويرشدهم
ضلال من سبقهم من الفزاة المفلولين ،
ويهرضهم التألم من صرعهم صلاح الدين ،
ولو أن المدد الناهض كان في صف العدو لوقعت
مصر والشرق العربي كله في قبضة فرنسا منذ
سبعة قرون ، ولا استحال على العرب وهم تحت
سلطانها المميت المدمر أن يذكروا معنى الوجود
إلى يوم الناس هذا ؛ ولكن موقعة المنصورة

وجيشه يقيم المرافض ويأتى الفواحر أربعة أشهر، ثم قرروا المسير إلى القاهرة عن طريق المنصورة.

وكان جيشنا يستعد في القاهرة للدفاع، وشعبنا يتجمع في الدكا للهجوم، وآلاف المتطوعين يتقاطرون على معسكرات العدو يتغلبونهم بالليل ويتخطفونهم بالنهار. ورأى القواد المصريون أن يحاصروا الغزاة في الدكا ولا يدخلوا بينهم وبين القاهرة، فتقدم الملك الصالح الجيش إلى المنصورة وهي قلعة مصر الشمالية ونزل بقصرها ليكون على مقربة من المعركة.

وبين عشية وصحائها انقلب هذا الشعب الأصيل الحر من فلاح بحرث وصانع يعمل وتاجر يبيع وعامل يلهو، كتلة واحدة من البأس تقسعرشوا إلى الحرب، وتقور حقدا على العدو، وتبذل كل ما تملك في سبيل الزيادة عن الوطن، والدفاع عن استقلاله. وأعجب العجب أن بلا المتطوعين كان أشد وجهادهم كان أصدق ...!

— . —

تجمع الجيش النظامي في المنصورة وانتشر المتطوعون حول جيش العدو في الموقع المثلث الذي اختاره بين الشمال الشرقي من بحيرة المنزلة، والشمال الغربي من فرح دمياط، والجنوب الشرقي من بحر أشموم طناح، وكانت قيادة العدو قد عسكرت في شرمساح والبرمون، فلم يكن بين الجيشين من فاصل

ونحن نسوقهم سوق البقر، ونقتل منهم الرجال ونرسل النساء ... وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت في ملاعق تملأ المهمل وعددهم كعدد الحصى.

ورد عليه الملك الصالح بحواب من إنشاء القاضي الشاعر بهاء الدين زهير فتخطف منه قوله: «وصل كتابك، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك». فنحن أرباب السيوف، وما قتل منا فرد إلا جددناه، ولا بنى علينا باغ إلا دسرناه. واستعصأنا ملك تدمر في يوم أوله لنا وآخره عليك، ونعود إلى قول الله تعالى: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بائن الله والله مع الصابرين».

— . —

رسا الأسطول الفرنسى على ساحل دمياط في اليوم الرابع من شهر يونيو من السنة نفسها وكانت غير محسنة فاحتلها، ودخلها الفرنسيون دخول الطاعون الوافد؛ فوجدوا أهلها قد جلوا عنها وراء القائد نجر الدين بن شيخ الشيوخ وتركوا منازلهم معمورة بالأرزاق ومتاجرهم مغمورة بالبضائع، فرتموا فيها رنوع الخنازير، واشتعلوا بها اشتعال الجردان، وحول الجيش المدارس مواخير، والساحات مراقص، كما حول الملك لويس المسجد الجامع كنيسة للمغوار، والمساجد الأخرى كنائس للقديسين، وحسن القواد الأسوار، وشيدوا الأبراج، وأعدوا وسائل الدفاع. وظل القائد القديس يقيم القداديس ويقدم القرايين

كيف يتقون المنايا وقد تخطفتهم من كل مكان ، فهلكوا جميعا وفهم (دارتوا) . وطلب الجيش والشعب بقية الصليبيين جنوب النهر ، فالتحم الفريقان وتماقبا بينهما المد والجزر . وكان الأسطول المصرى قد شارك فى القتال لحصر مراكب العدو فى النيل وقطع ما بينها وبين جيشه ، فمر القوت وفشت الجماعة وانتشر الوباء واستمر القتل ، ففقد الصليبيون أربعين ألف قتيل ومائة ألف أسير ، فلم ير ملك فرنسا بدا من أن يتقهقر هو وأركان حربه إلى (منية أبى عبد الله) وأن ينزل فى بيت قرنية كانت من ضواحي باريس ، ثم استسلم واستأسر . وتفاوض المصريون والفرنسيون فى شروط الهدنة ، فاتفقوا على أن يسلم هؤلاء دمياط ، وأن يقدوا ملكهم بثمانمائة ألف دينار ، وأن يسجن حتى ينفذوا هذه الشروط .

— ٩ —

اقتيد الملك لويس التاسع هو والكونت أنجو ، والكونت بواتو ، إلى دار القاىي غر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب الإنشاء ، وكلف الطواشى صبيح بالقيام على أمره ، فلبث فى السجن حتى ردت دمياط وأديت الفدية ، فحمل هو ومن معه على سفينة جنوية أفلتهم إلى عكا ، والمصريون يودعونه بهذه الآليات التى قالها جمال الدين بن مطروح :

إلا (البحر الصغير) وكان النيل لا يزال فى فيضانه . وتعذر على الفرنسيين عبور البحر الصغير فظلوا يكابدون هجوم المصائب من المجاهدين المتطوعين فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، ولغزوا الفدائين آيات من التضحية والبطولة يحملها مؤرخو هذه المعركة . منها أن أحدهم قور بطيخة ووضع رأسه فيها ثم سبح فى النهر حتى اقترب من الشاطئ الشرقى ، فنزل أحد الصليبيين ليأخذ البطيخة فسحبه المصرى وعاد به ساعيا إلى المعسكر .

فلما أعيى الفرنسيين الأمر لجأ ملكهم إلى الصلاة ، فيقال : إن من (كراماته) أن أعرايا غائتا طمع فى ملهم قدم على غاضة فى النهر عند (سلامون) فغاضها فريق من الجيش بقيادة الكونت دارتوا أخى الملك ، وباغتوا المصريين بالمدينة فى اليوم الثامن من شهر فبراير عام ١٢٥٠ فوقع الاضطراب وهم الفزع واغتيل القائد غر الدين حتى قال ابن واصل المؤرخ وكان فيمن جاهد وشاهد : « ازيجنا وغلپ على الظنون بوار الإسلام ، على أنه كان من سعادة المسلمين تفرق الإفرنج فى الأزقة » . وتولى القيادة ببرس فخر بالماليك البحرية الجيش المهاجم فى شوارع المنصورة الضيقة ، وأخذوهم بالسيف والدابيس ، وتلففهم الأهلون قذفا بالحجارة وضربا بالحديد وخطما باليد ، فلم يدروا

حديث الحسن الكبير في حيدر النهر

إخواني : المجتمعات البشرية الرجوع إلى الماضي واستحضار أحداثه وتقليب النظر في أسبابها ونائجها تمهد لنفسها سبل السير في حياتها المقبلة على ضوء ما عرفت من أحداث الماضي .
وإنا ونحن في هذه الآونة نذكر فضل الله علينا بالنصر في موقعة بور سعيد الخالصة حين تألبت قوى الشر على الحق وجنده ، فتذكر فضل الله علينا وعلى أمة العرب والمسلمين ، بتأييده لعباده ونصره لم وهزيمة أولئك البغاة الطغاة .

إخواني : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد : فإن لكل أمة فيما مضى من حياتها أحداث بارزة هيأت لها في حاضرها القوة أو الضعف ، والاستقرار أو الاضطراب .
وأن هذه الأحداث التي يسجلها التاريخ وتعرفها الأمم مرآة صادقة تقرأ فيها الأجيال المتعاقبة أحداث الخير وأسبابها ، وأحداث الشر وعواملها ، ومن هنا استقر في ضمير

قل للفرنسيين إذا جئت
مقال صدق من قتل نصيح
أجرك الله على ما جرى
من قتل عباد يسوع المسيح
أتيت مصرًا تبغني ملكها
نحسب أن الزمر يا طبل ربح
فساقت الحين إلى آدم
ضاق به في ناظريك الفسح
وكل أصحابك أودعهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح :
سبعون ألفًا لا يرى منهم
إلا قتل أو أسير جريح

أحمدك الله إلى مثله
لعل عيسى منكوا يستريح
وقل لم إن أذموا عودة
لأخذ نار أو لفعل فيبح
دار ابن لقمان على حالها
والقيد باق والطواشي صبيح
وقد أجليب الله دعوة الشاعر فساد خفدة
لويس إلى ديارنا يرتكون الجرائر ،
وانقلت دار ابن لقمان وقيدها وطواشيها
من مصر إلى الجزائر ١ .

أحمد حسن الزيات

أيها المسلمون : أيها العرب :

إن اليوم الذى حطمت فيه هذه القوى فى بورسعيد ، جدير أن تتخذة عيداً نذكر به فضل الله علينا ؛ إذ أمكننا من صدونا فمادت إلينا كرامتنا كاملة ، ورجع إلينا حقنا كاملاً غير منقوص .

هذا ولنصر مكاته عند الله ، بحمله القرآن الكريم فضلاً من الله العزيز الحكيم على عباده ، وما جعله الله لإبشرى ، ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ، وقد أعزاه بالنصر النفوس ، وقرن به فتح القلوب لا فتح البلاد ؛ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ؛ ليغمر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيماً . وينصرك الله نصراً عزيزاً . هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ؛ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، وفيه جنود السموات والأرض وكان الله عليهما حكيماً .

وجعله تعالى نعمة من نعمه تستوجب من عباده تسيحه وحمده ؛ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ، وإذا كنا بسبيل من ذكرى نصر بورسعيد فإننا نذكر بها يوماً آخر من أيام النصر ، ذلك هو ذكرى هزيمة الأحزاب على

نحو ما هزم الله انجلترا وفرنسا وإسرائيل . إذ تجمعت فى كل منهما عوامل الحقد ، وتوازع الشر ، ثم بدد الله فى الحالتين شمل الجميع وفرق وحدتهم وقلّ جوعهم ؛ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنوداً أرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً . إذ جاءكم من فوقكم . ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار ، وبلفت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا .

هذه ذكريات فى النصر ، والذى أريد الآن أن أبحله فى هذا المقام أننا لم نحصل على هذا النصر بكثرة العدد ولا بوفرة العتاد ، وإنما حصلنا عليه برعب قذفه الله فى قلوب أعدائنا كما قذفه بالأمس فى قلوب الأحزاب ، وأزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ، من صياصيم وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وهذا تحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم :

« نصرت بالرعب » . والرعب ليس قوة إيجابية مادية ، وإنما هو أثر من روعة الإيمان واندفاعاته ، وأثر من قوة الاتحاد ، ومعاني الرجولة المجتمعة فى صدور المؤمنين من صبر وجله . وسيظل هذا الإيمان يقذف الرعب فى قلوب الأعداء فلا تقوم لهم شوكة ، ولا تقوى لهم عدة .

الادب والتاريخ

في معرض النقد الحديث

لدؤساند عباس محمود العقاد

ولم نزع له أنه يترقى إلى مرتبة القول الملزم أو الرأي المقبول .
ونعتقد أن النقد العلمي في العصر الحديث وشيك أن يعتمد على وسيلة من أوثق الوسائل التي تستند إلى الحجة المقنعة ولا نكتفي بترجيحات الظن أو الذوق على ديدن النقاد قبل العصر الأخير ، ونود في هذا المقال أن نجرب طريقة هذا النقد العلمي في سيرة من أحوج السير إلى التحيص ، وأكثرها قبولاً لتطبيق هذه الطريقة على وجه واضح ...

لا بد من حيلة ناجعة غير حيلة الرفض المطلق أو القبول المطلق أو الظن المتردد بين الطرفين ، كلها عرضت للنقاد مشكلة من مشكلات الأخبار الأدبية أو التاريخية التي يحتلط فيها الصدق بالكذب والحقيقة بالخيال ، ولا يغلو منها مرجع من مراجع التاريخ القديم أو من المراجع المصرية في كثير من الأحيان .
فأما هذه الحيلة الناجعة ؟ إن الظن فيها لا يفنى شيئاً إلا إذا أخذناه مأخذ الظنون

عنده ، وانفك به والسير في حدود ما شرع الله وبينه ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ،

وفقنا الله وأدام اثرتي في لغادتنا . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

محمود شلنوت

واعلموا أن الفضل دائماً في القيادة التي يهتأ الله لهذه التجمعات الروحية القوية في نفوس المؤمنين إذا قالوا ، وإذا فعلوا أيها المسلمون ، أيها العرب :

« قد جاءكم آية من ربكم ، وآثارها قائمة ، ماثلة أمامكم ، كلما ذكرنا بور سعيد وكلنا مر علينا اليوم الثالث والعشرون من ديسمبر . دلنا هذه الآية على أنه لا فسر إلا بالإيمان بالله ، ولا إيمان إلا بحب الله ورسوله ، والعودة إلى فهم دينه والوقوف

ليتها وكرهت مكانها معه فجعلت تقول له :
يا خير الفتيان أصبحت ، فرفع رأسه لينظر
فإذا الليل كما هو فنقول : أصبح ليل ...
فلما أصبح قال لها : قد علت ما صنعت
الليلة فما الذي كرهت مني ؟ ولم يزل بها حتى
قالت مثل ما تقدم .

٣ — وروى الميداني أنه لما جاور في طيء
زل به علقمة المحل القيمي فقال كل واحد
منهما لصاحبه أنا أشعر منك ، فتحاكما إلى
امراته فقالت له : علقمة أشعر منك ،
لأنك زجرت فرسك وحركته بساقك
وضربت بسوطك وأنه أدرك الصيد ثانياً
من عنان فرسه ، فنضب امرؤ القيس وقال :
ليس كما قلت ، ولكنك هويت ، فظلتها
فزوجها علقمة وبهذا لقب علقمة المحل .

٤ — وأجمع المؤرخون على أنه كان
ياتب بذى القروح ، ولكنهم اختلفوا
في إصابته بالقروح فقال بعضهم : إنها مرض
كالجدري وقال آخرون إنها من حالة مسمومة
خلعها عليه قيصر بعد سفره من القسطنطينية
انتقاماً منه ، لأن رجلاً من بني أسد كان على
صلة بحاشية قيصر فسمع أن امرأ القيس
يغازل بنت قيصر فوشى به وألقى إلى الملك
أن امرأ القيس (غوى داعر) وسيفضح
أبنته بشعره .

٥ — وغير هؤلاء الرواة يقولون : بل

وتلك هي سيرة امرؤ القيس ، الذي
أضل تاريخه الكثيرين قبل أن يتقوه
بالملاك الضليل .

فن البسير عندنا أن تعرض أخباره على
التفسير العلى فتعلم منها يقيناً ما ليس بالمحتق
لاستحالة اختلافه على مؤرخيه في صدر
الإسلام وبعد صدر الإسلام إلى الأرملة
المتأخرة ؛ لأن أولئك المؤرخين يجهلون
التفسيرات العلية التي يؤخذ من أخبارهم فيها
يصححون روايته أو يتمدون فيه الربد
والثامني .

وهذه أمثلة متفرقة من الأخبار التي تضم
بعضها إلى بعض فيتم بها تفسير سيرة الشاعر
على نحو لا يستطيع تلخيصه في زمانه أو في
أزمانه مؤرخيه .

(١) يقول كتاب الشعر والشعراء : كان
امرؤ القيس جميلاً وسيماً ، ومع جماله وحسنه
مفرطاً لا تريد النساء إذا جربته ، وقال لامرأة
تزوجها : ما يكره النساء مني ؟ قالت : يكرهن
منك أنك ثقيل الصدر خفيف العجز ،
سريع الإراقة ، وسأل أخرى فقالت :
يكرهن منك أنك إذا عرفت تحت برائحة
كلب ، فقال إنك صدقتي وإن أهل أرضعوني
بلبن كلبه .

(٢) وروى غير مصدر من مصادر تاريخه
وأنه تزوج امرأة من طيء فأبغضته من

المرض الجنسى بعد طول العهد بالإصابة ؛
ولأن الرجل الذى تبغضه زوجته لعيوبه
الجنسية لا يبلغ من غوايته للرأى أن يستهوى
ابنة قيصر ، وأن يتعرض فى جريرة ذلك
للوشاية والافتنام .

• • •

ونتخل من روايات زواجه ومرحه إلى
روايات أخلاقه فنعلم من جعلها ما يفسر لنا
سميته وما اشتهر به من الإباحة وافتضاح
السيرة فى أمور النساء .

(١) ظهر مذهب مزدك على عهد الملك
الفارسى قباد ، وهو مذهب يدعو إلى المشاركة
فى الأموال والزوجات ، أراد الملك الفارسى
أن ينشره بين العرب فأفكره المنذر بن ماء
السماء ملك الحيرة وارتضاه الحارث بن عمرو
ملك كنده .

(٢) وكان المهلهل الشاعر حال امرئ
القيس ماجنا مشتهرا بمصاحبة النساء ولقب
من أجل ذلك بالزبر وهو الرجل الذى يكثُر
من مزاورة النساء .

(٣) وكان امرؤ القيس يبيع فى شعره
ما لا يباح من التحدث بالفسوق والخيانة
وغشيان الحدود ، فلا حرم يقال عنه أنه
غوى داهر ويتردد وصفه بهذه الصفة على
ألسنة رواة .

فهذه أخبار عدة تفسر لنا سمعة الشاعر

كان قيصر واضحاً عن الشاعر إلى ما بعد
وفاته وأمر بإقامة تمثال له عند قبره شاهده
الخليفة المأمون لما دخل بلاد الروم
ليخزو الصائغة .

• • •

هذه جملة أخبار متفرقة يؤخذ منها أن
امراً القيس كان مصاباً بالتهاب جلدى
يحدث من اجتذاب المواد الدمنية والسكرية
لطائفة من الطمليات ، ويفوح العرق فى هذه
الحالة برائحة كرائحة الكلب ؛ لأن الكلب قليل
المسام فى جلده ، فيشبه عرقه عرق جلد
الإنسان المصاب .

ويضاف إلى ذلك أن العلاقة بين
الأمراض الجلدية والأمراض الوظائف الجنسية
معروفة ؛ ولهذا العلاقة يتخصص أطباء هذه
الأمراض بمعالجة الأمراض الجنسية كما
هو معلوم .

فن الواضح إذن أن أخبار الرواة عن
الحال الجنسى فى بنية امرئ القيس صحيحة
لا يستطيع الرواة أن يلفقوها ويجمعوا بين
دلالتها على هذه الصورة ، ومن الواضح
كذلك أن تحليل رائحة العرق برضاح لبن
الكلبة وهم باطل ؛ لأن هذا الرضاح لو حدث
لم تحدث منه تلك الرائحة ، ونفهم من هذه
القرائن بالبداية أن قصة الحلة المسمومة وهم
كهذا الوهم ؛ لأن القروح لا بد أن تنشأ من ذلك

نشأ فيه الشاعر وطش فيه حتى انمقت هذه
اليئات جميعا على التمهيد لتكوين إنسان
موجود ، ولا بد أن يكون موجودا إذا
تلازمت مقدمات وجوده وتأنجها على وجه
يتمتع فيه الكذب ؛ لأنه كذب لا يستطيعه
من يأتي به ولو أراد وتجرأ .

• • •

فالشخصية التاريخية الصادقة هي الشخصية
التي تتوافق عناصرها ، وتتجمع ملامحها
وتتلاقى أجزاءها كما تتلاقى أجزاء الهيكل
المتفرق بين حفائر الأرض ، فيركب كل منها
في مكانه وتستوى الأعضاء من هنا وهناك
كما تستوى في الكائن الطبيعي والصورة الحية .
وربما كان هذا الاستواء الذي لا حيلة
فيه للرواة الكذبة ولا للرواة الأمناء أحق
بالاعتماد عليه من ورود السيرة في كتب
التاريخ من مصادر أخرى بعيدة من مصادرها
العربية . فقد وردت سيرة امرئ القيس
في كتب فونوز وكتب بروكوب من مؤرخي
الروم ، وورودها هنالك دليل وثيق على
شخصية تاريخية لم تنفرد بها المصادر العربية ،
ولكن الصدق الذي تأتي به الأخبار على غير
قصد من روايتها ووضعها أصبح في الدلالة
من المكتوب المقصود الذي لا يستحيل
عليه ظن التدوير ؟

عباس محمود العقاد

وتبين لنا البواعث النفسية التي تنبثق بها
تلك الخلقة وهي لها جوها الاجتماعي
ولوازمها العاطفية (أولا) من خلاق
القبيلة التي ولد فيها وسمحت لها أحوالها
الاجتماعية بقبول مذهب مردك ومطالعة
الملك الفارسي حيث خالعه ملك الحيرة .

وبأني جو الأسرة بعد جـو القبيلة
فلا يستغرب من امرئ القيس الناشئ أن
يشبه غايه زير النساء من جانب الطبيعة ومن
جانب الصناعة الفنية ، إذ كان خاله شاعرا
يقول بلفظه ما طبع عليه بورائه ، وقد يزيد
امرئ القيس تماديا في المجون والخلاعة
أنه يدفع بهما شبهة النقص ويعوض بهما
قولا ما ليس له في الحقيقة .

• • •

وعلى هذا النحو من المقابلة بين الروايات
نعلم حدود الكذب أو حدود الوضع
حتى عند ثبوت الوضع أو ثبوت التناقض
بين الروايات في الخبر الواحد .

فإن كذب الوضع ينتهي عند حدود
الاستطاعة التي لا يقدر على مجاوزتها ،
فليس في مقدورهم أن يختلفوا الموارض
الطبية التي تصلح دون غيرها لتفسير أخبارهم
وتناقضهم واستخراج الحقائق الظاهرة
أو المستترة بين طواياها .

وليس في مقدورهم أن يصنعوا بيئة القبيلة
ولا بيئة الأسرة ولا بيئة الجو النفساني الذي

المجتمع الحديث

للمستاذ الدكتور محمد البهي

تقديم :

أن تخفف من التزام توجيه الكنيسة في المعرفة والبحث ، فكانت النهضة العلمية الأوربية . وهي نهضة تتميز بتركيز البحث في الطبيعة ، والتخلي عن مجال الألوهية للمعرفة الدينية وحدها التي كانت من حق الكنيسة ورجالها ، ولم تزل حتى الآن .

وأفادت الشعوب الأوربية من هذه النهضة - أوبالآخرى من معارضتها لنفوذ الكنيسة - في تحديد كيائها الداخلي ، وفي تقديمها في الكشف عن الطبيعة وأسرارها . فكان من أثر تحديد كيائها الداخلي نمو القانون الوضعي ونمو ملكة التشريع عندها . وكان من أثر التقدم في الكشف عن الطبيعة وأسرارها بدء قيام العلم الحديث ، وبدء تطور الصناعة ، وبدء استغلال الخامات والطاقة السكونية استغلالاً منظماً . وهنا جاء عصر البخار ، وحل في توليد القوى المحركة محل الشراع في البحر ، ومحل الخيل والإبل في البر . ثم أعقبه عصر الكهرباء في توليد هذه القوى ، حتى جاء عهدنا الحاضر وهو عهد الفضة . والفضة وإن لم تستخدمها الإنسان حتى الآن في توليد قوى

المجتمع الحديث هو وليد النهضة الأوربية ، والثورات القومية لشعوب أوروبا ، والتطور الصناعي فيها . والنهضة الأوربية كانت بدورها نتيجة لوضع الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى وسلطانها ، ليس على اتجاه التوجيه والمعرفة في هذه الشعوب لحسب ، بل مع ذلك على سياستها الداخلية والخارجية ، وعلى السلم والحرب في علاقاتها مع الشعوب الأخرى غير الأوربية . والحروب الصليبية - التي دامت قرابة ثلاثة قرون ، والتي قصدت الكنيسة فيها غزو الشرق الإسلامي والاستيلاء على بيت المقدس وتحريره من سلطان المسلمين - تمثل سلطان الكنيسة الكاثوليكية على توجيه الشعوب الأوربية في ذلك الوقت .

حاولت أوروبا بعد هذه الحروب الصليبية - بفضل الاتصال بالإسلام - أن تتخلص من نفوذ الكنيسة ، وتستغل على الأقل بالسلطة داخل شعوبها ، فكانت الثورات القومية في إيطاليا وفرنسا وألمانيا . كما حاولت

ظواهر المجتمع الحديث :

وهنا ظهرت في المجتمع الأوروبي عدة ظواهر
تعتبر مقومات المجتمع الحديث :

١ - ظهر القانون الوضعي ، وبرزت معه
ملكية الفقه والتشريع .

٢ - ظهر العلم الحديث ، وبرز معه نمو
الصناعة وحضارة الآلة .

٣ - ظهرت معارضة القيم الدينية التي
تقنها الكنيسة ، وبرزت مع هذه المعارضة
الرغبة في انتقاص هذه القيم وفي محاولة إضعافها
وإبعادها عن مجال الحياة الإنسانية .

والمجتمع الحديث إذن مجتمع انبثق
من الصراع مع الكنيسة الكاثوليكية
في أوروبا ، ويقوم على القانون الوضعي ،
وعلى العلم الطبيعي ، وعلى إبعاد الدين عن مجال
توجيه الإنسان .

وإذا قيل : الدين هنا ، فهو المسيحية
بفهم الكنيسة الكاثوليكية . والكنيسة
الكاثوليكية تحاول أن تستنطق رسالة
المسيح عليه السلام بمبدأ التثليث ، ومبدأ
الفقران والوساطة ، ومبدأ عصمة البابا
في قوله وفعله ، ومبدأ إنايته عن الله
في الأرض ومباشرة أمر الحكومة الإلهية
عليها . والحكومة الإلهية حكومة لا تقبل
النقد من البشر ، إذ هي منزوعة عن الخطأ ،

الدفع في نطاق واسع وبنعقات محتملة ،
إلا أن استخدام الكهرباء بلغ الذروة في يومنا
هذا في سعة النطاق ورنحصر التكلفة ، وأصبحت
الكهرباء عاملاً رئيسياً لا يستغنى عنه تدوير
المول ، وإنتاج المصنع ، ولا تستغنى عنه
حياة الإنسان في صحته ومرضه ، وفي حله
ورحيله .

ثم عند ما تقدم البحث في الطبيعة وتعند
كشف الإنسان لأسرارها أو لقوانينها ،
وتطورت الصناعة على أثر هذا التقدم ،
وامتلك الإنسان الأوروبي هذه الصناعة ناصية
الأمر في تسخير قوى الكون - أخذ يعلن
معارضته لقيم المعرفة الدينية التي استندت إليها
الكنيسة في بسط نفوذها على الشعوب الأوروبية
في القرون الوسطى وبعدها بقليل . وبالتدريج
شيئاً فشيئاً قام بتقيد هذه القيم ومحاولة
تقويضها . وكلما تطور العلم ، الحديث ،
وكلما تطورت الصناعة في شتى جوانبها ،
وبالتالي كلما تمكن الإنسان الأوروبي عن طريق
العلم وطريق تطور الصناعة من الأرض التي
يعيش فوقها ، ومن الفضاء الذي يظله ،
ومن البحر الذي يسير فيه ، كلما سعى إلى الحد
من قيم التعاليم الدينية في حياة الإنسان ، إن لم
يسع إلى السخرية منها ومحاولة انتقاصها .

فقال المرتدين وعارضه كثير من الصحابة - أول الأمر - وفيهم عمر حتى شرح الله صدورهم لما رآه أبو بكر . وقد وقف عمر ابن الخطاب - في خلافته - على المنبر ينهى الناس عن المغالاة في المهور فقامت امرأة وقالت كيف تنهى عن ذلك وقد قال الله تعالى : « وآتيتهم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » فقال رضى الله عنه أصابت امرأة وأخطأ عمر ، ومعارضة كثير من المسلمين لعثمان ولعل أيام خلافتها معروفة مشهورة . وما قامت جماعة الخوارج ، وما قامت الشيعة ، وتألفت السنة ، إلا لتصرة رأى في الحكم ومعارضة رأى فيه .

العلمانية خداع في المجتمع الحديث :

المجتمع الحديث إذن مجتمع يتميز به العلمانية في التوجيه . والعلمانية في التوجيه شعار يقصد منه أن الدولة العلمانية تبعد في سياستها الداخلية والخارجية ، وفي توجيهها للناشئة - عن طريق المدرسة والجامعة ، والرأى العام عن طريق الصحافة والإذاعة والنشر - تبعد الدين كما تبعد رجاله عن أن تكون لهم حظوة عند الشعب أو نفوذ عليه .

والمجتمع العلماني أو الدولة العلمانية ، هو المجتمع أو الدولة التي تدخل في اعتبارها من أول الأمر تنقيع الاتجاهات الدينية وتنحيته

وعلى جميع رعاياها طاعتها وتقديسها . والتاريخ البشري لا يعرف حكومة استمدت قضايتها من رسالة دينية على هذا النحو ، إلا حكومة البابا ، أو حكومة الكنيسة الكاثوليكية ، تلك الحكومة التي كانت النهضة الأوروبية - كما أشرنا - مظهراً لمعارضة شعوب أوروبا لنفوذها وسلطانها . ويضل كثير من السكاتبين إذا ما حاول أن يقيس حكم الخلفاء المسلمين على الحكم البابوي . فالخلفاء لم يدعوا لأنفسهم ولحكومتهم العصمة لخطة ما ، ولم يدعوا لأنبيئهم عن الله في الأرض حتى يكون لقولهم من القداسة ما لكتاب الله وروحه . رسول الله كان بشرا ، وطبل بشرا ، ومات بشرا ؛ « قل إنما أنا بشر مثكم ، يوحى إلى أنما الحكم إله واحد » .

« قل سبحانه ربي ، هل كنت إلا بشرا رسولا » . وخلفاؤه من بعده أدخل في البشرية منه . وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي - وهم الخلفاء الراشدون - لم يسلم واحد منهم من النقد ، ولم تسلم حكوماتهم من المعارضة ولم يدع أحد منهم العصمة لنفسه . فأبو بكر يخطب في الناس عقب بيعته ويقول : « أيها الناس ، فإنى وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني » . ولما كانت الردة رأى أبو بكر

القيصرية في دفعه عن القرم ، ثم السياسة الأوربية الشرقية والغربية على السواء في دفعه بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية من بلاد البلقان ومن بلاد القوقاز إلى الحدود المتاخمة جنوبا بالبلقان والقوقاز .

مطاردة المجتمع الأوروبي في الحربين العالميتين

ومطاردة حماة المسيحية الكاثوليكية والبروتستنتية في أوروبا ، من الانجليز والفرنسيين للإسلام في آسيا وإفريقيا لا تتجلى في سياسة الانفصالية ، في التعليم بين تعليم مدني وتعليم آخر ديني التي رسمها وتقننها المستشارون الأجانب للتعليم في البلاد الآسيوية والإفريقية ، التي خضعت للنفوذ الانجليزي أو الفرنسي ، من أمثال المستر داتلوب في مصر ، وإنما تتجلى هذه المطاردة في قوة وفي وضوح فيما كتبه المستشرقون ضد الإسلام عما سموه بمحورنا ومعرفة ادنوا أنها أقيمت على منهج علمي ، ثم صدروه مرة إلى الشرق الإسلامي في صورة كتب وفي صورة خطباء وأساتذة ، أو لقنوه في جامعاتهم مرة أخرى لمبعوثين من هذا الشرق الإسلامي أرسلوا بهم إلى هناك ليوقفوا على الدراسات الإسلامية ويتعلموا التاريخ والفلسفة الإسلامية . وهم لا يعلمون إلا من قساوسة أملاك صدورهم بالحقد الصليبي

من مجال التوجيه ، أو على الأقل تجاهل هذه الاتجاهات وتناسها .

المجتمع الحديث في أوروبا مجتمع مسيحي :

وكان من المنتظر - والمجتمع الحديث ولبد الصراع في البيئة الأوربية - أن تكون المجتمعات والدول الأوربية مجتمعات ودولاً علمانية . ولكن أوروبا الحديثة وأوروبا المعاصرة ، مجتمعاتها ودولها مجتمعات ودول دينية ، هي مجتمعات ودول أخذت في الاعتبار منذ قيامها وتكوينها حماية الدين والفرد عن المسيحية . فأنجلترا حامية البروتستنتية ، وفرنسا حامية الكاثوليكية بل راعية التبشير بها خارج أوروبا كلها ، في آسيا وإفريقيا ، وعلى الأخص في المستعمرات والشعوب الخاضعة لنفوذ هاتين الدولتين .

ولست حماية هاتين الدولتين المسيحية على هذا النحو لحسب . وإنما حمايتهما للمسيحية كما يتمثل في عون العقيدة الكاثوليكية والبروتستنتية في إنجلترا وفرنسا ، وفي التبشير بها في آسيا وإفريقيا - يتمثل أيضا في مطاردة القوى الروحية التي تقف في طريق التبشير بها في آسيا وإفريقيا . يتمثل على وجه أخص في مطاردة الإسلام في هاتين القارتين ، بعدما قامت بحاكم التفتيش في إبعاده عن أسبانيا ، وإمبراطورية النمسا في دفعه عن حدود فيينا إلى بلاد البلقان ، وروسيا

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو
عشورهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان
وأأيدهم بروح منه . يدعوهم إلى استئصال
بذور الفتنة في الداخل ، كما يدعوهم إلى الهدوء
عن استقلال مجتمعهم في مواجهة اعتداء الغير
عليهم ، وقالوا حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين لله ، ، وقالوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم ، ولا تفتدوا إن الله لا يحب
المعتدين . طلب إليهم إعداد القوة المادية
لصون هذا الاستقلال وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم . وطلب إليهم أن يكونوا باستمرار
في تعبئة روحية لفرض الجهاد عليهم بالإيمان
والقلم والعلم ، والدعوة إلى الخير « إن الله
اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن
ومن أوفى بعهده من الله ، ، وجاهدوا
في الله حق جهاده هو اجتباكم ، ، ولتكن
منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون .
لم يكن المجتمع الحديث في أوروبا - وقد
خرج من المعارضة للكنيسة وتعاليمها -
إذن مجتمعا طليانيا ، بل كان مجتمعا حريصا
على الدين ومعنيا به ، إن لم يكن في اتباع
تعاليمه فعلى الأقل في الارتباط به وفي التكتل

على الإسلام ، وملئت عقولهم بالترويج
للاستعمار في بلاد المسلمين .
ورأوا أن إضعاف الإسلام بهذا الطريق
أو بذلك لا يفسح الطريق لحسب ، لا لتشار
المسيحية في القارتين الآسيوية والإفريقية ،
وإنما سيكون لنفوذ الأوربي السياسي ، كما
سيمكن للاقتصاد الغربي من الاحتفاظ بمستواه
أو بمستوى أرفع ، بفضل وفرة الخامات
الأولية واليد العاملة في أراضي هاتين القارتين
وفرة الخدمات البشرية وخصها في بلادها .
وعنى حماة المسيحية في أوروبا بمطاردة
الإسلام على وجه أخص في أراضيهم وبلادهم
في آسيا وإفريقيا ؛ لأنهم وجدوه وحده بين
أديان هاتين القارتين قوة إيجابية في الحياة
لا يدعو إلى الحرب منها واعتزالها ، وإنما
يدعو إلى السيادة فيها ، يدعو المسلم إلى أن
يسود على نفسه ليكون قوة في الأزمات والرعاة
على السواء ، ويدعو المجتمع الإسلامي إلى
أن يحتفظ بسيادته فلا ينسحق في مجتمع آخر
سواء ، ويدعو المسلمين إلى أن يحتفظوا
باستقلالهم وبكيانهم ، ويدعوهم إلى أن يكون
ولاؤهم لبعضهم دون دخيل عليهم ، والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يحرم
عليهم أن يتقلا ولا هم لأجنبي عنهم ، دون
إخوانهم الآخرين ، لا تجمد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله

الإبقاء على المسيحية والوقوف بجانبها ، رغم ما روجه المفكرون الأوروبيون واليهود - من بينهم على وجه أخص - من اتجاه « العلمانية » في هذا المجتمع . ومفكرو اليهود كان لهم دور كبير في ترويج هذه « العلمانية » في توجيه المجتمع الأوروبي ؛ تحقيقاً لغاية يهدفون إليها . وهي إضعاف المقومات التي من شأنها أن تبلور المجتمعات الإنسانية من جانب ، والتنفيس عن عدائهم التنايدي للمسيح ورسائله وحوارييه من جانب آخر . فكل حركة ترمى إلى زعزعة الشعوب وإبعادها عن الارتباط بمقوماتها الضرورية نيجد وراءها بعض المفكرين اليهود . والحركات التي ترمى إلى رفع الوطنية والقومية من أهداف الشعوب وإحلال « العالمية » أو « الدولية » مكانها تكاد تكون من صنع مفكري اليهود وحدهم . فالحكومة « العالمية » واللغة « العالمية » وهي لغة الاسبرانتو ، والشيوعية الدولية تكاد تكون جميعها من وحي مفكري اليهود وحدهم . والمجتمع الأوروبي الحديث إذا أعلنت فيه بعض المجتمعات الأخذ بتوجيه « العلمانية » وبفكرة « التطور » في التشريع والقانون - فإن ذلك لا يعدو أن يكون أمراً نظرياً يعلو سطح الحياة الفكرية في هذه المجتمعات دون أن يمس صميمها وجوهرها . ومن

في مقاومة الإسلام ، وبسط نفوذ الاستعمار . والمجتمع الأوروبي في وقتنا المعاصر الذي عادى المسيحية كدين وبقية الأديان الأخرى ولكن في الوقت نفسه استعاض عنها بدين آخر جديد من صنع الأرض والإنسان ولم يكن من وحي السماء - هو المجتمع الشيوعي وبالرغم من ذلك فلا يجوز أن نسميه مجتمعاً علمانياً ؛ لأنه مجتمع إيمان بدين وكفر بدين آخر . والمجتمع العلماني في تحديد مدلوله - من منطته ، لا من واقع المجتمعات الإنسانية - هو الذي لا يقوم على دين ولا يدعو إلى دين . ينفر من العقيدة ، ويفتش عن التعليل .

المجتمع الحديث لم يبر في تشريعاته

هه عرف الماضي وتقايره :

وإذا كان المجتمع الأوروبي الحديث ليس مجتمعاً علمانياً فهو كذلك في قانونه وتشريعاته لم يبعد عن العرف والتقاليد التي لماضي مجتمعاته السابقة . إذ لم يزل رجال القضاء في إنجلترا وفرنسا حتى الآن يحافظون - وهم فوق منصة الحكم - على الزي بزي أسلافهم في القرون الوسطى ، وقد كان زي رجال الكنيسة في ذلك الوقت ؛ لأن الكنيسة ، كما أسلفنا ، كانت صاحبة النفوذ والكلمة الأولى في توجيهه في تلك المصور . حافظ المجتمع الأوروبي الحديث إذن على

والأحزاب السياسية التي نشأت ونشأت في هذه المجتمعات الأوروبية الحديثة باسم الأحزاب الديمقراطية المسيحية ، على نحو ما هو موجود في بلجيكا وفي فرنسا ، وفي إيطاليا وفي ألمانيا - هي أحزاب تنتمي إلى الكنيسة الكاثوليكية وتتلقى التوجيه منها ، كما تتلقى الأحزاب الشيوعية في المجتمعات الشرقية والغربية توجيهها من عاصمة الشيوعية وهي موسكو .

وما حصل من انشقاق الكنيسة الكاثوليكية في روما والسلطات المدنية في المجتمعات الأوروبية على أن تستقل الحكومات الأوروبية بالشئون المدنية بينما تختص الكنيسة بالشئون الروحية - لا يخلخل من نفوذ الكنيسة في الجانب المدني والسياسي إلا بمقدار يسير . وفي واقع الأمر تجري الحياة الروحية والمدنية على السواء في كثير من الأحيان تحت تأثير السلطة الباطنية في روما وطبقا لتوجيهاتها وبدافع الحرص على إرضاء تلك السلطة وعدم إزعاجها .

والمجتمعات الأوروبية الأخرى ذات الحزب الواحد - كالمجتمع الأسباني الحديث - تسير فيها السلطة المدنية بمشاركة الكنيسة الكاثوليكية هناك في الرأي والتوجيه . وما نقرؤه أحيانا عن زيارة بعض رجال السياسة في أمريكا أو في أوروبا لفاتيكان له في واقع الأمر صلة

بصدق إذن أن المجتمع الأوروبي الحديث قد تطور ، بمعنى أنه تخلص من ماضي المجتمعات السابقة من عرف وتقاليد وانتمد عن المسيحية في توجيهه السياسي والثقافي والفكري . فإنه لم يصل بعد في دولته لهذه المجتمعات إلى ما يجري فيها من حقائق وما لها من واقع .

نعم هذه المجتمعات انفصلت عن سلطان الكنيسة إلى حد ما . وكما ذكرنا قد كان للكنيسة سلطان ونفوذ حكومي وتفضيلي . ولكنها لم تنفصل لحظة ما عن القيم المسيحية ولا عن التقاليد والعرف وغير ذلك مما كان للمجتمعات السابقة . وفرق بين الابتعاد عن الدين والانفصال عن سلطان الكنيسة . إذ الابتعاد عن الدين معناه إلغاء اعتباره ، بينما الانفصال عن سلطان الكنيسة معناه عدم الخضوع لرجال الكنيسة في سياسة الدولة وفي محيطها الداخلي وفي علاقاتها بالدول والشعوب الأخرى .

وحق الانفصال عن سلطان الكنيسة لم يكن تاما ولا نهائيا من جانب المجتمع الأوروبي الحديث . إذ لم يزل الكنيسة سلطان ولم يزل لها نفوذ في توجيه السياسة الداخلية للمجتمعات الأوروبية الحديثة ، ولم يزل لرجال الدين رأى فيما يجري داخل هذه الدول وفي علاقاتها بغيرها من الشعوب .

والفاتيكان ليس دولة دينية بمعنى الانعزال عن الحياة السياسية وإنما لها نشاط سياسي توجيهي يقوم على تنفيذ النظام الكنسي في المجتمعات المدينة ، وتشره الإذاعة الخاصة به ، كما تشره الصحيفة الرسمية له . ولدى الفاتيكان تمثيل سياسي لمعظم دول العالم ويعيش في المحيط السياسي في الفاتيكان مندوبون يرسلون جميع الصحف العالمية الكبرى ، ومحنة إذاعة الفاتيكان تخصص يوما من أيام الأسبوع لإفريقيا بالخصوص وهو يوم الثلاثاء ، ترسم فيه خطة التبشير كما توضع العقوبات القائمة في طريقه وتضع الوسائل الكفيلة بذهليها . وبجانب رسم خطة التبشير تعلن تعليقاتها السياسية على الأحداث الدولية .

« البقية في الجزء القادم »

الدكتور محمد البهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

وثيقة بحريات الأحداث السياسية في مجتمعات هؤلاء الرجال ، فزيارة ستيفنسون المرشح الديموقراطي السابق للرياسة في الولايات المتحدة خاصة وثيقة بموقف الكنيسة الكاثوليكية هناك من الانتخابات القادمة سنة ١٩٦٠ . ومحاولة يرون ، دكتاتور الأرجنتين السابق - زيارته للفاتيكان في هذه الآونة ، يقصد منها التكفير عن ماضيه السياسي الذي كان سببا في لسنه وإخراجه من الكنيسة ؛ كي يستعيد نفوذه السياسي من جديد في بلاده ، وما يرى الآن من اتصال رئيس الحزب الديموقراطي المسيحي في ألمانيا ، أديناور ، ورئيس الجمهورية الفرنسية ديغول ، بزيارة كل منهما لرئيس وزراء إيطاليا ، لا يقصد منه إلا توثيق الروابط بين هذه البلاد الثلاثة ألمانيا وفرنسا وإيطاليا ، على أساس من إشراف الكنيسة في الفاتيكان وبوحى منها . رغم أن العداوة التقليدية بين ألمانيا وفرنسا لم يكن من المهمل التغاضي عنها في وقت يسير .

من الشعر الموجه

والأمانى شر ما تمنى به همة المرء إذا المرء أعزم

الكرامة والعزة في القرآن الكريم

للاستاذ محمد محمد المديني

١ - الكرامة

و قد ، والصيغة التي جاء عليها الفعل مؤذنة بتعريف المعنى وتكثيره .

٢ - ثم هو تكريم شامل مستغرق لجميع أفراد هذا النوع من الخلق ، ولذلك اتخذ لم فيه أعم عنوان ، وهو كونهم « بنى آدم » ، فلا تمييز فيه بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين آرى وسامى ، ولا بين شرقى وغربى ، ولا بين ذكر وأتى ، ولا بين قوى وضعيف ، ولا بين غنى وفقير .

هذا هو مبدأ « الكرامة الإنسانية » ، تقرره هذه الجملة وأصلها حاسماً ، أما الجمل الثلاث بعدها فهي تذكر المظاهر الرئيسية لهذا التكريم الإلهى :

فقوله تعالى « وحملناه في البر والبحر » فيه تصوير لمظهر العلو ، وأن الإنسان عندوم محمول حيثما حل ، سخر الله له في البر ما يحمله ، وسخر له في البحر ما يحمله .

وقد كانوا قديماً يفهمون هذا « الحمل » بمعناه الضيق الذى لم يكن معروفاً سواء بومئذ ، وهو الحمل على الحيوانات التي

١ - القرآن الكريم يقرر مبدأ « الكرامة الإنسانية » ويعملها حقاً من حقوق بنى آدم التي فاض بها الجود الإلهى عليهم ، كما فاض بتقويمهم في الخلق وتمييزهم بالعقل ، وتسخير كل شئ في السموات والأرض لهم .

يقول الله تعالى : « ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفعلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » . (٧٠ - الإسراء)

وهذه الآية مؤلفة من أربع جمل :
الجملة الأولى : قوله تعالى : « ولقد كرّمنا بنى آدم » ، ونستطيع أن نستخلص منها الحقائق الآتية : -

١ - لبنى آدم كرامة ، وهذه الكرامة صادرة من الله تعالى ، فهي حق لم كونه الخالق ، فليس لمخلوق أن ينكره أو يهدره .

٢ - وهذا الحق مؤكد لا ريب فيه ، حرص القرآن على أن يقرره بعبارة قوية مشتملة على توكيدات ثلاثة هي « السلام ،

في كثير من مواضعه أن الله جل بجلاله قد خلق هذا الكون للإنسان وسخر له ما فيه من قوى . ومكن له فيه ، وقرر في بعض المواضع أنه جعله خليفة في الأرض ، وأنه آثره بهذه الخلاقة حتى على الملائكة الأعلى من خلقه ، وأمرهم جميعاً بأن يعترفوا بهذا الوضع ويخضعوا له .

(١) فما جاء في الأمر الأول قوله تعالى في سورة النحل :

«والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤوف رحيم . والحيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين . هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الروع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه ، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى

تركب من الحيل والبغال والحمير والجمال وعلى السفن التي تجري في البحر بالشرع والهواء ، أما الآن فإنتا نفهم هذا الحل على المعنى الواسع الذي صارت إليه حياتنا ، وهدانا الله إليه بالعلم ، وهو يشمل الآلات المحركة من قطارات وسيارات وطائرات وسابحات فوق الماء وتحت الماء وغير ذلك مما يشير إليه قوله تعالى : ويخلق ما لا تعلمون .

أما قوله تعالى : ورزقناهم من الطيبات ، فهو تصوير للمستوى الرفيع الذي عليه الإنسان في مطعمه ومشربه ومسكنه وملبسه وهو ما يمتاز به على ما سواه من الأجناس الحية .

وقوله تعالى : «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً» فيه إجمال للزايا الإنسانية ، والمواهب التي فطر الله عليها هذا النوع ، مواهب العقل والقدرة على متابعة التفكير ، وإدراك الروابط الحسية والمعنوية ، والاستعداد للانتفاع بما في هذا الكون ، وغير ذلك من ملكات انفرد بها ، أو امتاز فيها ، فكان من أجل هذا مفضل على غيره من أصناف المخلوقات الحية .

• • •

٢ — وإذا انتقلنا من هذه الآية إلى آيات أخرى ، فإننا نجد القرآن الكريم يقرر

وأشعارها أماناً ومناجاة إلى حين ، والله
جعل لكم مما خلق ظلالاً ، وجعل لكم
من الجبال أكناً ، وجعل لكم سرايل
تفيكم الحر وسرايل تفيكم بأسمكم ، كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون .

(٧٨ - ٨١)

وفي سورة الفرقان :

« وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم
سباتاً وجعل النهار نشوراً . وهو الذي
أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا
من السماء ماء طهوراً . لنحيي به بليدة ميتة
ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناساً كثيراً .

(٤٧ - ٤٨)

« وهو الذي مرج البحرين ، هذا عذب
فترات وهذا ملح أجاج ، وجعل بينهما
برزخاً وحجراً محجوراً . وهو الذي خلق
من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان
ربك قديراً . »

(٥٣ - ٥٤)

ففي هذه الآيات وأمثالها تتجلى عناية
القرآن بتعداد مظاهر التكريم الإلهي للإنسان
في جانب تسخير ما خلق من الأشياء والحيوان
له ، وزاد حريصاً على ترويض أسلوب الخطاب
للناس حيث يقول : لكم ، و تجعل لكم ،
أفقالكم ، و دحمر لكم ، و د جعل لكم ،
إلى غير ذلك من التسميات المؤنثة بالتحويل

الفلك وما خفي فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون . وألقى في الأرض رواسي أن تمتد
بكم ، وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون .
وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، (٥ - ١٦)
« وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً
سائناً للشاربين . ومن ثمرات النخيل
والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً
إن في ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى
ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا
ومن الشجر وما يعرشون . ثم كلى من كل
الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من
بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس
إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . »

(٦٦ - ٦٩)

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ،
وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفصه
ورزقكم من الطيبات . (٧٢)

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم
لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار
أولاً فأنذروا لعلكم تشكرون . ألم يروا إلى الطير
مسخرات في جو السماء ما يمكن الله ،
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون . والله جعل
لكم من بيوتكم سكناً ، وجعل لكم من
جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم
ويوم إقامتكم ، ومن أسوافها وأوبارها

لو كان يوصف به إنسان لكان صورة من صور التلطف والرغبة الشديدة ، ولكنه في جانب الله ، وفي المثل الأعلى ، يطيننا فكرة سامية عن مدى رحمة الله ، وعن مدى هناية الله بالإنسان ، وعن مدى اعتدائه بهذا المخلوق ، وتكرمه لهذا المخلوق !

• • •

(ب) وفي معنى استخلاف الله الإنسان في الأرض يقول عز وجل في سورة البقرة : « وإذ قال ربك لللائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قلوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون » (٣٠) . « وإذ قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٣٩ - ٤٠) .

والتلبيك للخاطبين وما كان ذلك إلا لكرامة هذا النوع على الله .

إني لأقف كثيرا موقف التأمل من هذه الآيات ، وأمثالها في كتاب الله الكريم فأحس بكرامتي كإنسان ، وأشعر في أعماق نفسي بهذا الفضل الإلهي العظيم ، حيث يمتد الله جل شأنه بهذا النوع الذي أنا واحد منه فيخاطبه ويستجلب عاطفته ويذكره ويناشده عقله ويفتح له آفاق النظر والتدبر ، ويمده بأسباب الاقتناع والتقبل ، تارة في رحمة واستعطاف ، وتارة فيما يشبه العتاب الهادي اللطيف ، وتارة في صورة من التأنيب والحساب العنيف ، وهو في كل حال لا يبرئسه ولا يقنطه بل يناديه بأنه التواب الرحيم ، « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم » ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ويصف الرسول صلوات الله وسلامه عليه بهذا الخلق الإلهي ، أو هذه الرحمة العظمى فيقول : « والله قد أفرح بتوبة عبده من أحسنكم يفقد حياته ثم لا يزال يطلبها حتى يجدها فيفرح بها فيقول من شدة فرحته اللهم أنت عبدي وأنا ربك » - أخطأ من شدة الفرح - هذا الوصف العاطفي الجليل ، الذي يندرك من وقف مثل هذا الموقف ،

آيات لقوم يعقلون ، ، ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون ، ، أم تأمرهم أحلامهم بهذا ،
« أفلا يعقلون ، ، « أفلم تكونوا تعقلون ،
« الذين يستمعون القول فيتعلمون أحسنه ،
أولئك الذين هدى الله ، وأولئك هم أولو
الآلآب ، ،

(ب) ومن هذا أن القرآن الكريم ينص
على الآخذين بالظنون والآراء فيقول فيهم
« وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني
من الحق شيئاً ، ، وإن قطع أكثر من
في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون
إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ، ،

ونراه بين أن الله تعالى سائل كل ذي
عقل وعلم عن اعتقاده الناشئ من غير علم
وعقل ، إذ يقول « ولا تقف ما ليس لك به
علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان
عنه مسئولاً ، ،

فالسمع والبصر والفؤاد هي وسائل العلم
ومنافذ العقل ، والقرآن يكرمها ويضعها
في موضع الاعتبار والمسئولية ، ولا شك
أن المسئولية كرامة وتقدير .

(ج) ومن هذا أن القرآن يعظم شأن
الحجة والبرهان ، ويطالب الناس بأن ينزلوا
على حكم الدليل والنظر السليم ، وألا يفتروا
غيرهم « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ،
« لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ،
« البقية على صفحة ٨٠٦ ،

وفي هذه الآيات بيان لشأن الإنسان من
حيث قيمته ووزنه ومركزه في هذا الكوكب
وأن له رجاساتاً وأفضلية وصفات تجعله أول
من غيره بالخلق فيه ، وأنه وضع في مركز
المسيطر الذي يجب أن يخضع له ما سواه ،
وأنه حتى في حالة خطئه مكرم بأنه حين يستدر
عنه ويندم عليه ، يقبل عذره ، وتطهره ندامته
ويعود له وداد عاقبه وإرشاده وهدايه .

أليس هذا كله من مظاهر التكريم الإلهي
للإنسان ؟ .

• • •

٣ - فإذا نظرنا إلى ما كرم الله به الإنسان
في جانب الاعتداد بعقله ، والسمو بمستواه
الفكري ، وجدنا آيات كثيرة في الكتاب
التكريم ترفع من شأن العقل ، ونحث على
النظر والتدبر والتفكير ثقة بأن هذا العقل
جوهره صافية من شأنها أن تدرك الواقع ،
وتستشف المجهول من المعلوم ، وتعتبر وتقيس
وتستنبط ، وتختبر ، وتجسد ، وعلى الجملة
ينظر القرآن إلى العقل على أنه هاد يهدي إلى
الخير ، ويحذو من الشر ويدفع إلى الإمام ،
ويضيئ السبيل لصاحبه إذا استضاء بنوره .

(أ) فمن هذا أن القرآن كثيراً ما يناشد
العقول مثل قوله : « إن في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ،
« إنما يتذكر أولو الآلآب ، ، « إن في ذلك

فتح القلبي

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

من شئون الله في خلقه أنه يرفع اقواما ويخفض آخرين

(أ) وهو الذي جعلكم خلافاً الأرض .
(ب) ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم بها أناكم .
(ج) إن ربك سريع العقاب ، وإنه لنفور رحيم .

مقامات ثلاثة } الأول : مقام استخلاف الله لعباده في أرضه .
} الثاني : مقام التفاوت في درجات العطاء لا ابتلاء الناس .
} الثالث : مقام الجزاء على ما كان من صنيعهم .

منهم ، ويقدره الله لهم في حساب ، ويقدره الرسول في شهادته ، ويقدره المؤمنون في الاعتراف به وإعطاء العاملين حظهم من الإجلال والثناء ، فيكون لهم من السؤدد ما ليس لذوى البطالة ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ، ورسوله والمؤمنون .

وتلك قضية مفروغ منها . . . وإنما نذكرها لأنها في مطلع الآية التي معنا ، وللتذكير القراء بأن الإسلام ينظر إلى الناس على أنهم سواسية كأسنان المشط ، وأنه يعتبرهم جميعاً أمة دعوة إلى الأخذ به ، والإيمان بالله ، وبكل ما جاء على لسان رسوله الخاتم . ولهذا الاعتبار يحاط بهم كثيراً بثناء

(أ) استخلف الله عباده في أرضه ليعمرها بهم ، ويعمروها بجهودهم ، وقد هيأ لهم أسباب العمل ، بما أوجد فيها من وسائل ، وأودع فيها من الكون كله من مؤهلات ، وجعل كل ما تحمله الأرض ، أو يجرى في الفضاء ، أو يبدو في السماء مستغراً لمنفعة الإنسان ، وتوفير متاعه في دنياه . سخر لكم ما في السموات وما في الأرض - خلق لكم ما في الأرض جميعاً .

ثم طلب من عباده أن يعملوا ، بصيعة الإطلاق في العمل ، دون أن يقصرم على عمل خاص بالدين ، أو بالدنيا ، بل هو عمل إيمان يشهد لهم به الله ، ورسوله ، والمؤمنون

وفي سلطان حكمه ، وسياسة ولايته
الحارسين لحدود الله ، ولحقوق الناس أن
يعيش بها طاب .

وهذه أصول بحلة : قراها مبثوثة في إطار
واسع للنهج الصحيح الذي قامت عليه حياة
مثالية سعدت بها الجماعة الإسلامية حينما
من الأمن وكانت تسعد بها الدنيا جميعا
لو قدر للناس ألا يحيدوا ، وأن يستجيروا
لأمر ربهم ، ويمنحوا إلى الإغاء والتراحم
لا إلى المغالبة والتنازع .

(ب) ومع هذه المساواة التي يشيد بها الدين
ويوصينا أن نتخذها طابعا لحياتنا لم يغفل
القرآن جانباً آخر قد يتعارض مع هذا بتأثير
النوازع المتباينة ، وما يفسق الناس إليه من
مفاخرة بغريهم بها غرور ، ومن تعلق بحب
الأرجحية ، ولو بسبب باطل أو تافه .

ذلك : هو جانب الاعتزاز بحظ في المال
أو كثرة العشرة وقوتها أو بنصيب في الجاه
والسلطان ، أو بموهبة كريمة تتعلق بها
الرياضات : كالعلم ، والذكاء ، والجمال ، وروى
هذا مما تتفاوت فيه الحظوظ المقسومة .

فقد يظن الناس بأنهم إلى ما بينهم من
مساواة في الأوضاع والحقوق التي كفلها
التشريع الإسلامي كالحرية والتعامل وبساط
العدالة الاجتماعية ... ولكنهم ينصرفون
عن هذه المساواة حينما يزهم الحظ الوفور

صواء - يأبى الناس . . يا بني آدم . .
يا عبادي - وبمثل هذه الدعوات يلقنهم
مبدأ المساواة ، ويرغظ وعيهم إلى أنهم
من أصل واحد وأن بينهم من وشائج القرين
والنسب ما يكبح الأنانية أن تستبد ببعضهم
على بعض ، ويذودهم عن التأثر بالعصبيات
القبلية ، وعن المنازعات الإقليمية ،
أو الطائفية .

وقد بادد الإسلام فأنكر على أهله ما كان
في العرب من شيوخ بالأنساب ، ومن التراشق
بالأهاجي والتناكب بالألقاب .

لما في هذا كله من تشاغل بالغو ،
وتعرض لتقاطع وقعود عن العمل والتجديد
في الحياة ، وتلك رسالتهم في دنياهم .

وأبدلم الإسلام من ذلك الماضي المضطرب
توجيها إلى المؤامعة ، وغرس في أذهانهم
أن من أبطأ به عمله لم يرح به نسبه ،
وأنه لا فضل لعربي على غيره إلا بالقوى
والعمل ، ففي هذين سلم المجد لمن شاء الظفر
بالمجد الصحيح .

وبهذه التوجيهات أدرك الفاعهون من
الناس قديما أن التطاول مذموم ، وأن السيادة
بين متبوع وتابع لم تعد مستساغة في الحياة
الإسلامية المشرقة بالتعاليم .

بل أصبحت بينهم مساواة رسمها الدين ،
وكفلتها عدالك ، وهي تتمثل في قضائه ،

للجتماع : لا من ناحية حفظه في المال أو نحوه .

ويقصد ثانيا : من ذكر التفاضل في الدرجات ، كما صرحنا الآية - أن العطاء والتفاوت فيه ، فممكن الناس أن يعملوا ، واختبارهم في فطرتهم إلى النعمة التي أنيحت لهم :

هل هي اعتبارهم حق مفروض لهم على الله كإعزاز أولئك المستكبرون قديما ؟ أو هي فضل يقتضيه الشكر ، وأن يقدروا النعمة قدرها فيحسنوا التصرف فيها ، والانتفاع والنفع بها لا تقسم ولغيرهم ٩٩ .

تقصد الآية - والله أعلم - هذين الغرضين وفي إدراك مقصدها كلف للأنفس من الفتنة بالنعمة ، وعن تجاهل الحكمة الصحيحة في تفاوت المخلوقات الدنيوية ، بين الأفراد أو الجماعات ، فهي فوارق تتناسق بها الحياة بين البشر جميعا ، لتكون ميدانا للتسابق في العمل بقدر ما تبيأ لكل منا ، من تلك النعم التي هي وسائل العمل .

وليكون التفاضل نفسه جامعا بين الصغوف لا مفرقا بين الأتقى ، وباعتنا على الشموخ إذ التفاضل هو الذي يجعل الحوائج متبادلة والجهود متكافئة ، والآمال متساوية .

فالقوى بماله يحتاج إلى القوى بمعضله ، والموهوب في ذكائه أو حله بحاجة إلى من

في شيء من أهراض الدنيا ، أو في موهبة شخصية .

وقديما كان في الناس من فتنه حفظه في المال - مثلا - حتى نسي أن لله فضلا عليه ، وقرر أنه جدير بهذا وفائده وقال : إنما أوتيته على علم عندي .

وكان فهمهم من « دخل جنه وهو ظالم لنفسه » فقال : ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ... ولئن رددت إلى ربي لأجلن خيرا منها منتقبا .

فهذا لم يقف به غروره عند حدود دنياه بل ذم نفسه حريا بخير من ذلك إذا صبح أنه سيموت ويرجع إلى ربه .

ولم تزل هذه النزعة الجامعة موروثة في المجموع الإنساني ، ولم تزل بحاجة إلى علاج وكان علاجها في آيات : منها آية الموضوع ، « ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيها آتاكم » فالتمريض لرفع بعض الدرجات على بعض ، بقصد منه « والله أعلم » أولا : التنويه على أن الله هو الذي أعطى ، وفاضل في العطاء ، وبذلك ينتزع من الأنفس غرورها بأن لها فضلا خاصا عند الله يميزها عن

سواها ، وإذا الأنفس كلها متساوية في الإنسانية وفي العلائق الاجتماعية ، وفي اعتبارهم عند الله عبادا ، وإخوة ، لا يرجح بعضهم على بعض إلا من ناحية عمله ، وكسبه للخير ، ونفعه

في ذاته ، فإنه لا يتضح ، ولا يتضح التفاوت إلا بالقياس بين الأشياء .

فما ينبغي إذاً وضوح الحكمة في تفاوت الحظوظ أن يتعاطف إنسان على إنسان ، وأن يتخذ من فضل الله عليه وسيلة إلى إغفال ما فرض الله عليه .

وقد وضع كثيراً أن لكل إنسان حقا على غيره فيما وهبه الله ، وفي حدود مرسومة فكأنهم العلم ملعون عند الله ، وإن العلم هبة نضى للناس مسالك الحياة ، فعلى ذى العلم أن يبذله ليتفع به الناس في ناحيته الخاصة به ، وليس له أن يؤذى بعلمه فإن الإيذاء به شر من كتمانته .

وعلى القوى يبدنه أن يعمل وأن يجعل لهذه النعمة أثرا إيجابيا في دفع المعتدى على وطنه ، أو الباغي على ضعيف ، أو المتحكم في سواء دين وجه من الحق .

وعلى ذى السلطة في عمله أن يقطع ، ويتحرى . ويتق : فإن السلطة محدودة بأيامها الموقوتة ، وهي إلى تقلص مهما اتسعت ، أو ضاقت جوانبها .

وما يكون الغرور بالسلطة إلا لونا من الحق ، وزعة من السفه ، وصاحب السلطة في شأن شئون الناس كللتحل بشوب من غيره ، فهو خالعه حتما لصاحبه : إن قريبا أو بعيدا . وربما كانت صولة النفوذ ، وأبهة السلطة

يؤازره في إبراز مواهبه . ومن هذا التفاوت في الحظوظ ، وفي الجهود ، والإنتاج يكون الحظ من ثواب الله أو عقابه

فذلك هو التفاوت في أدوات السعي في الحياة ، ويقابله تناقص الحظ عند المحرومين وكلاهما مقدمة الحكم على ما صنع الناس من عمل يرضاه الله ويشكره ، أو يستدله ويعاقب عليه ؟ والله يقول في الحظ على الإيمان في حكمة : : انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، .

وهناك آية تبرز هذه في ذكر الحظوظ وحكمة التفاضل فيها ... غير أن الحكمة هنا هي ابتلاء الناس والحكمة في تلك الآية هي حاجة الناس إلى التعاون .

وهي قوله تعالى - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا - . يعنى ليستخدم كل امرئ غيره بحكم تنوع المهن ، وتباين الأوضاع ، وتكامل الخلق فيما تكمل به حياتهم ، فكل يد بحاجة إلى تبادل النفع مع الأخرى ، ومهما يكن لإنسان من مال أو جله فهو بحاجة قصوى إلى غيره في عمله ، وإن يكن من أهون الطبقات .

وما يمكن عقلا أن يستقيم الأمر ونستقر أوضاع الحياة لو فرضنا الناس جميعا في ميزان متساو من كل ناحية ، والتساوى غير معقول

وذلك النعم - التي يتفاوت فيها الحظ ،
والتي قصد منها ما أوجزناه من التمتع بها ،
ومن امتحان الناس فيها يصنعون بها ، وفيما
يتعلق بها من ربط الناس ببعضهم في مجال
الحياة والرجوع بنتائجها إلى الله - لا ينبغي
أن تتأثر بزهادة أو تواضع : بما يطلع عليه
بعض الناس اسم التصوف ، أو القناعة ،
فإن شيئاً من ذلك للتدين أو التعفف
لا يتعارض مطلقاً مع النشاط في الاستثمار
والتحول مع الرضا بما قسم وقدر لتلك
الجهود من نجاح أو غيره .

وإذا كانت الفطرة لم تترك الناس يقعدون
عن طلب الرزق ، ويعتمدون على ما تطهرهم
السماء من فضة أو ذهب ، أو المن والسلوى ،
فقد جاء الإسلام معززاً لتلك الفطرة في تطلعيها
إلى السعي ، وفتحاً أمامها مغاليق السبل ،
وآفاق الفكر في جنبات الكون وإبراز
ما افطوت عليه أسرار الطبيعة .

وجاء الإسلام بشكليفه الخيث أن تنظر ،
وتجتهد وتستنبط ونتج ، ولم يحى بطلب
الزهادة إلا بمقدار ما يكفينا عن الشره ،
وعن مطاوعة الهوى في ملاعب الدنيا .

فإنه يمتن علينا بما أنعم ، وبما نجد من نعماء
جديدة ، لا بما نزهد ونحرم - ألم تروا
أن الله سخر لكم ما في السموات ، وما في الأرض
وأصبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، - ألم

في أهبج مناظرها وساعة شبابها كاشفة للناس
عن عورات لا يعيها المتجمل بهرجها .

فمن الحق على كل ذي نصيب من سلطان
بين الناس أن يؤمن بأنه كمن يلبس ثوباً
مستعاراً ، يترامى به بين الناس :

ثوب الرياء يشف عما تحته

فإذا التفتت به فإنك عار

وكذا صاحب المال ، والإحسان بالمال
في غير حاجة إلى الحديث عنه ، فقد أخذ
حظه من عناية القرآن به ، بما جعله يديه
في الأفهام . حتى ليغلب على بعض الأذهان
عند ذكر الإحسان أنه لا يتجاوز المال ،
والإحسان بالمال لم يقف عند إيجاب الزكاة
والنص على أنها حق يملكه الفقير في أموال
الأغنياء بل توسع الأمر به ، حتى طالب
ببذله تطوعاً ، وحث عليه كثيراً من الفاضل
عن حوائج الإنسان - ويسألونك ماذا
ينفقون ؟ قل : العفو -

بل فرض الإسلام في أهله أن منهم الخير
الذي لا يقف عند الزكاة الواجبة ، ولا عند
الصدقة المستحبة من العفو ، بل يكون محتاجاً
لما بيده ، ثم يؤثر على نفسه من يكون أشد
منه حاجة ، فامتدح من كان كذلك ، ليستمنه
من يكون على غرامهم - ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

أن الأمر ليس فرطاً ، ولا مقروكا على مواهبه ، بل من وراء ذلك محاسبة ، ومجازاة « إن ربك سريع العقاب وإنه لففور رحيم » ، وإذا كانت المحاسبة والمجازاة لإحلال كل منهم في مقعده المستحسن له بعد جهاده في الدنيا ، وتحقيقاً لوعده الله ووعيده من العدل بين خلقه ، وأنه يوفهم أجورهم على عملهم أو تكاسلهم فإن التذكير بأن هناك جزاء ولا محالة : يعتبر - كما قلنا في كلام سابق - عدالة معنا في تنبيهنا فوراً ، وقبل فوات الفرصة إلى ما يجب أن نختاط به ، حتى لا تكون لنا معذرة عند الله ، وهذا التنبيه في نفسه استنهاض إلى التنافس ، والمسابقة لمن أراد السبق فاجتماع هائيك المقاصد في قوله تعالى « إن ربك سريع العقاب وإنه لففور رحيم » - يشبه عناصر الدواء الناجع : تألف من صفوف ثم يكون مجموعها دواء واحداً في ذكر الجزاء تنبيه على أن الأمر جد لا هزل فيه ، وتنبيه على أن عدل الله يأبى التسوية بين العامل والمتقاعد ، وتنبيه على انتهاء الفرصة قبل إفلاتها واستنهاض إلى المسابقة فإن هناك درجات يطمع فيها أولو العزم من الناس وهناك حياة عالة على ما استقرت عليه درجة الإنسان في أخراه .

• • •

ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شيء . . .

« كلوا من طيبات ما رزقناكم - خذوا زيتكم ضد كل مسطح ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه . . . »

فالمعمل المطلوب ، حتى إن الإسلام ليعتبر العمل للدنيا خير مرغوب فيه ، ومثاب عليه ما دام في حدود الجواز وبذلك يكون اجتهاد الناس حصانة للجتمع الإسلامي من مظهر الفقر والمذلة فإن الله عز وجل ، ولم يرع إلا العزة لرسوله وللمؤمنين ، فهي عزة بالخلق ، وبالتضامن . وبالعامل ولأن يحطط للمرء بالحبل على ظهره ، ثم يبيع ما جمع من حطب فيستغنى به عن الناس أحب إلى الله من متعبد يفعد عن السعي في رزقه وهو يعتمد على معونة الناس .

ولقد أعجب النبي - صلوات الله عليه - ببيت قاله صخرة وقال : هذا أكرم بيت قاله العرب :

ولقد أبيت على الطوى - الجرح - وأظله حتى أنال به حكريم المأكل (٢) وإزاء ما عرفنا من رسالة الناس في دنياهم - دنيا ، وعمل - وما عرفنا من تفاضلهم في المعطاء ليخرج بعضهم إلى بعض ، ويتمعاون بعضهم مع بعض : يكون واضحاً

وانصراف الناس عن ذكر الجزاء ليس
معناه أن الناس له يبعده عنهم ، أو يفلتهم
منه وليس تخلف الجزاء إلى معناه صرفه
عنهم ، أو إرجاؤه إلى نسمة من الوقت بل
الجزاء متوقع في كل حين ، والمماجاة به ،
ليست مأمونة . . . وشئ* منه يصيب الناس
في دنياهم وإن لم يلحظه الكثير منهم ...
وشئ* منه وهو الأشد له وقت محدود في علم
الله وبهذا يكون العقاب المتوقع مريصا
وإن طالت المهلة ، فإنها مقضية ولا ريب ،

وبعد هذا البيان كله يظل باب التوبة
مفتوحا ، والأمل في عفو الله مرجوا ،
وهذا ما انتهت به الآيات البينة . . . وإن ربك
سريع العقاب وإنه لغفور رحيم . . .
ومهما يكن من ذكر وتذكير فإن رجاءنا
إلى الله أن يجعلنا موقنين لما أراد . . .

عبد اللطيف البكوي
عضو جماعة كبار العلماء
وأستاذ في كلية الشريعة

(بقية المنشور على صفحة ٧٩٩)

« قل فله الحجة البالغة » ، « إن عندكم من
سلطان بهذا » ، « فأتونا بسلطان مبين » ،
« لولا يأتون عليهم بسلطان بين » ، « فليأت
مستمعهم بسلطان مبين » .

(د) ويصل أمر القرآن الكريم في الاعتداد
بالبرهان العقلي إلى أن يقول في شأن العقيدة
الأولى ، عقيدة التوحيد « ومن يدع مع الله
إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند
ربه ، فمن المعلوم أنه لا برهان أبداً على الشرك
ولكن القرآن مع هذا يفرض المستحيل ،
ويخرج القضية في هذه الصورة التي تكرم

شأن البرهان العقلي وتصوره هو الحكم وهو
الفصل « فمن كان له برهان حق في هذا الشأن
الخطير يتأني ما عليه الواقع ، فإنه يكون
معذورا ، وبديهي أن هذا في الحقيقة
مستحيل ، ولكن القرآن يفرضه احتراماً
للعقل وتكريماً له وثقة بحسبه ، وفي ذلك
اعتداد أي اعتداد بالعقل الإنساني ، وبالتالي
بالإنسان نفسه ؟

محمد محمد المرنفي
عميد كلية الشريعة

مَثَلٌ عَلَى إِسْلَامِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

- ٣ -

الشهادة :

تسيل على حد الطباة نفوسنا

وليس على غير الطباة تسيل

وربما كانت القبيلة منهم - لتأصل هذا
الحلق القوي في نفوسهم ، وغلبته على طباعهم -
تندفع إلى القتال دون تعرف السبب الذي
أحاجهم ، وتبين إن كان حرياً بالحرب
وما فيها من أخطار ، وفي هذا يقول قائلهم :

لا يسألون أحام حين ينهبهم

للتأبسات على ما قال برهانا

إن الحياة لا قيمة لها عندهم إذا كانت حياة
فيها شيء من الذلة ، وإن للره أجيالا بعده
مضى جاء حينه سواء كان قتلا أو على فراش
ناعم ونير ، وإن الإقدام على المسكروه قد
يكون سبب الحياة المساجدة ؛ ومن ثم كانوا
- وما يزالون - سريعي الإقدام على المكاره
مضى وجب الأمر في رأيهم .

وفي هذا يقول أحدهم ، وهو عنزة أحد

فوارسهم الشجعان المشاهير :

كان العرب في جاهليتهم وإسلامهم مضرب
المثل حقاً في الشجاعة ؛ إذ كانت من غرائزهم
الفطرية وبجائهم الطبيعية ، ومن أخلاقهم
التي عرفوا بها في قديم الزمن وحديثه .
فكانوا يتهاجون إلى الحرب والقتال ، أفراداً
وجاعات ، إذا دعا الداهي كحماية العرض والمال
والنفاع من الجار والشرف ، ويمجدون في
ذلك الحياة العزيرة المحميدة الكريمة .

وكانوا يتمدحون بالموت تحت ظلال
السيوف ، أو طعنًا بالرماح ؛ كما يتهاجون
بالموت على الفراش ، ويقولون فيمن يموت
كذلك : فلان مات حتف أنفه . وفي هذا
يقول بعضهم حين يلقه موت أخيه : إن يقتل
فقد قتل أبوه وأخوه وعمه ؛ وانه إنما لامتوت
حتفاً ، ولكن قطعاً بأطراف الرماح ونحت
ظلال السيوف كما يقول أحد شعرائهم في
الجاهلية :

وما مات منا سيد حتف أنفه

ولا ظل منا حيث كان قتيلاً

« يوم ذى قار » الذى انتصر فيه العرب
على الفرس لأول مرة فى التاريخ .

وكان من خبره ، كما يذكر ابن الأثير
المؤرخ المعروف فى كتابه الكامل ، أن كسرى
غضب على النعمان بن المنذر واليه على الخيرة ،
وأرسل إليه يستدعيه إلى حضرته بالمداثر حاصلة
ملكه ، فصرف النعمان الشر فى ذلك ، ولكنه
ذهب إليه لخبسه حتى مات .

وكان النعمان قد أودع ، قبل توجهه
إلى كسرى ، أهله وسلاحه وما قدر عليه
من ماله لدى هانىء بن مسعود الشيباني وهو
رئيس بيته وسيد من سادات العرب ، فأمره
كسرى أن يسلم هذه الودائع والأمانات
إلى واليه الجديد على الخيرة ، فامتنع هانىء
من ذلك مدفوعاً بما هو معروف عند العرب
من الحية والآنفة .

فأمر ملك الفرس عامله بحرب هانىء ومن
معه ، وكان أن التقى الجمعان : جيش الفرس
وجيش العرب « بذى قار » . وحينئذ أدرك
هانىء أنه لا طاقة للعرب بحرب كسرى
وجيوشه ، فأشار على من معه بالفرق
فى الصحراء طلباً للنجاة قبل أن ينحسروا
معركة لا عهد لهم بمثلها ، ولا قبل لهم
بها ولا طاقة .

ولكن رجلاً معه ، وهو حنظلة بن ثعلبة
العجلي ، وثب إليه وقال له : يا هانىء !

بكرت تخوفنى الختوف كأتنى
أصبحت عن غرض الختوف بمزول

فأجبتها : إن المنية منهل
لا بد أن أسقى بكأس المنهل
فأتنى حياك ، لا أبالك ، وأعلى

أتنى امرؤ سأموت إن لم أقتل
كما يقول الحصين بن الحمام المرى :
ولما رأيت الود ليس بنافى

عمدت إلى الأمر الذى كان أحزما
فلمست بمبتاع الحياة بذلة

ولا مررت من خشية الموت بلما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد

لنفسى حياة مثل أن أتقدما
ويقول المتن فى هذا المعنى أيضاً :

عش عزيزاً ، أو مت وأنت كريم
بين ظل القنا وخمق البنود

ويقول آخر ، وهو قيس بن الخطيم ، معبراً
عن الإقدام فى الحرب :

إذا قصرت أسياقتنا كن وصلها
خطانا إلى أعدائنا فنضارب

هذا ، وقد سجل شعر العرب وتاريخهم المجيد
مآثر فى الشجاعة لا نجد ما يداونها عند غيرهم

من الأمم الأخرى ، ولم فى ذلك « أيام »
معروفة فى كتب التاريخ والأدب لا نرى حاجة

إلى ذكر بعضها فى هذه الكلمة ؛ إلا أننا مع
هذا نشير إلى يوم أغر من تلك الأيام ، وهو

إذ جعل للقتال والإقدام على المكاره غاية
هي أشرف النيات ، وهي الجهاد في سبيل
الحق وإعلاء كلمة الله ودينه ، كما جعل لمن
يقتل في هذه السبيل شرف أن يكون شهيدا له
عند الله الدرجات العلى في الدار الآخرة ،
فضلا عما يناله من المجد وحسن الذكر في
الدار الدنيا .

ها هو ذا الرسول صلى الله عليه وسلم
يقرر في بعض أحاديثه أن من قتل دون دينه
فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ،
ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل
دون ماله فهو شهيد . كما يذكر في حديث
آخر : « لضوء أو روحه في سبيل الله خير
من الدنيا وما فيها » . ويقول الله تعالى :
في القرآن : « ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .
ومن ثم أتى العرب والمسلمون في هذه
الناحية بالعجب العجيب ، فقد أزالوا
من الوجود دولة الأكاسرة والقيصرة من
الوجود ، على ما كان لهم من القوة والمنعة
وشدة البأس في الحروب ، وعلى ما كان لهم
من شديد السلطان على العرب وغير العرب
قبل الإسلام .

وكان الواحد منهم يقدم على الخطر غير
هاب ولا وجل لا يبالي أمات أم عاحيا .
يروى ابن قتيبة في عيون الأخبار : أن عمر
ابن الخطاب بعث الأحنف بن قيس على جيش

أردت نجارتا فألقيناه في الملكة ، وما كان
إلا أن رد الناس إلى مواقعهم ، وقطع
أحرمة الهواجج ، وضرب على نفسه قبة ،
وأقسم ألا يفر حتى تفر القبة .

فزاد صنيعة الناس شجاعة ، ثم اتقى الفريقان
في معركة هائلة ، فكان أن كتب الله النصر
للعرب على العجم ، وذلك بفضل
شجاعتهم واستبسالهم وإقدامهم على الموت
وهم ينظرون .

وعندئذ عرف العجم أن للعرب أحسابا
ومثلا عليا يدفعون عنها ، وأن لهم قومية
في طور النمو والظهور متى جئت أسبابها ،
وأن لهم يوما له ما بعده .

وفي هذه الموقعة يذكر ابن الأثير
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرف بما
كان من انتصار العرب نصراً مؤزراً ، قال :
« هذا أول يوم انتصفت العرب من العجم ،
وبن نصرنا » . وصدق الرسول الذي
لا ينطق عن الهوى ، وكان بعد ذلك أن
توالى نصر العرب والمسلمين حتى أزال
الله على أيديهم دولة الفرس ودولة الرومان ،
والنصر بيد الله العزيز الحكيم يؤتيه من يراه
أهلا له .

• • •

وقد زاد الإسلام حين أشرق نوره على
العرب هذا الخلق الأصيل فيهم قوة وذلك

في صحيفة إلى الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء .
ولا تسألوه من هو . قال مسلمة : فذاك له ،
قال : أنا هو . فكان مسلمة لا يصلح بعدها
صلاة إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب
النقب ! .

كما كانوا يستشرفون للبوت قتلا ويتمددحون
بذلك ، هذا سيف الله خالد بن الوليد يقول
لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي
موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ،
ثم ها أنا أموت على قرashi حتف أنثى (وى
رواية أخرى : ثم ها أنا ذا أموت حتف
نفسى كما يموت العير) فلا نامت أعين الجبناء .
هكذا كانت شجاعة العرب والمسلمين مثلا

في التاريخ ، وهى ما تزال كذلك حتى اليوم
لأن ما بالطبع لا يتغير كما يقال بحق ، ويكنى
أن تشير إلى معركة « بور سعيد » التى انتصرنا
فيها على الدول الثلاث العاتية ، وذلك بفضل
الإيمان بالله وبحق الوطن ، وبفضل الشجاعة
التي صارت مضرب الأمثال .

٨ - الكرم والإيثار :

وكذلك الأمر في الجود والكرم في الجاهلية
والإسلام حتى اليوم ، فالكرم من الأخلاق
التي تأصلت في نفوسهم ، وتوارثها الأبناء
عن الآباء والأجداد ، وربما نزل الضيف
بأحدم ولا مال له إلا ناقة واحدة هى قوام
حياته وحياة ولده ، فلا يتردد في ذبحها لضييفه

إلى خراسان ، فيبيتهم العدو ليلا وفرقوا
جيوشهم ، وأقبلوا معهم الطبل ففرغ الناس
منه ، فتفقد الأحنف سيفه ثم مضى نحو
الصوت وهو يقول :

إن على كل رئيس حقا
أرب يحضب الصعدة أو تدقا
ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، وكان
ذلك سبب هزيمة العدو بعد أن فقدوا
الصوت ، ثم حمل على الكتبية الأخرى
ففعل مثل ذلك وحده ، ثم جاء الناس وقد
انهزم العدو بأجمعه هزيمة منكرة فاتبعوهم
يقتلونهم في كل ناحية ، ثم مضوا حتى فتحوا
مدينة « قرو الروذ » .

كما كان الواحد منهم يستبسل في القتال
ويعرض نفسه للبوت ، لا يبنى جزاء
ولا شكورا إلا من الله وحده ، بل لا يبنى
أن يعرف اسمه فيذكر بالحمد والثناء .

يذكر صاحب ميوون الأخبار أيضا أن
مسلمة ، حاصر حصنا فتدب الناس إلى
نقب منه ، فما دخله أحد ، لجاء رجل من عرض
الجيش فدخله معرضا نفسه للبوت ففتح الله
عليهم ، فتأذى مسلمة : أين صاحب النقب
فما جاء أحد ، فتأذى : إني قد أمرت الآذن
بإدخاله ساعة يأتى فزمت عليه إلا جاء .

لجاء رجل ودخل عليهم قال له : إن صاحب
النقب يأخذ عليكم ثلاثا ، ألا تكتبوا اسمه

البلدان غير واحدة ، فأجبت أن يبقى لي
منكم في كل بلد ذكر ، فقالوا فيه شعراً
يمدحونه ويذكرون فضله .

فقال لهم : إنما أردت أن أحسن إليكم ؛
فصار لكم على الفضل ، وأخيراً وهب لهم
الإبل كلها فأصاب كل منهم تسعة وثلاثين
بعيراً ، ومضوا على سفرهم ، ولما سأله أبوه
عن الإبل قال له : يا أبت ! قد طوكت طوق
الحامة بهذا وذكرنا ، لا يزال رجل يحمل لنا
بيت شعر أبداً يابلك .

وهذا رجل آخر ، وهو سالم
ابن قحطان ، يحميه رجل يستنصحه ،
فيعطيه بعيراً ويطلب من امرأته حبلاً يربطه
به يمينه الذي جاء عليه ، ثم يعطيه ثانياً
وثالثاً وفي كل مرة يطلب حبلاً من امرأته
حتى لم تجد حبلاً ، فقال لها هذه الكلمة التي
ذهبت مثلاً : على الجبال وعليك الجبال !
فرمت إليه خمارها ليجمعه حبلاً لبعضها ،
فقال :

لا تعذلي في العطاء ، ويسرى

لكل بعير جله طال به حبلاً
فلم أر مثل الإبل مثلاً لمقتن

ولا مثل أيام الحقوق لها ميلا
وقد زاد الإسلام هذا الخلق العظيم قوة ،
ولذلك يحشه على إكرام الضيف وإغاثة
الحناج ، ووعده على هذا بالخير الكثير

خشية أن ينال شيء من مروته وعرضه ،
وقد بما قال قائلهم :

واعلم بأن الضيف ير

ما سوف يحمد أو يلوم
هذا حاتم الطائي الذي ضربت بهوده
الأمثال ، وكان به كما يقول صاحب الأمالي :
مظفراً ؛ إذا قاتل قلب ، وإذا غم أنيب ،
وإذا سئل وهب ، وإذا أسر أطلق ، كما كان
إذا أهل وجب ، وهو شهر كانت العرب
تعظمه في الجاهلية ، نحر كل يوم عشرة من
الإبل فأطعم الناس واجتمعوا إليه .

وقد عرف بالكرم منذ صغره ، فكان يخرج
طعامه فإذا وجد أحداً أكل معه ، وإن لم يجد
أحداً طرحه ؛ وكذلك كان يفعل حين ألحقه
أبوه بالإبل ، فكان يبغي الناس حيث هو
سمياً في المرحى فلا يجد أحداً ، فيأتي الطريق
حساء يجد من يكرمه إلى أقصى الغاية .

ووجد ذات يوم ركباً سائرين في الطريق
فأتاهم فقالوا له : يا فتى ! هل عندك من قرى ؟
فقال : نسألوني عن القرى وقد رأيت الإبل
انزلوا ؛ فزلوا وكانوا ثلاثة ، فحضر لهم
ثلاثة من الإبل .

فقال أحدهم له : إنما أردنا اللبن وكانت
تكفيننا بكرة إذ كنت لا بد متكلنا لنا ،
فقال له حاتم : قد عرفت ، ولكني رأيت
وجوها مختلفة وألواناً متفرقة ، فملت أن

وفي صحيح الإمام مسلم أن رجلاً نزل
 برسول الله وشكا إليه ما به من جهد ، فأرسل
 إلى أمهات المؤمنين فلم يجد عندهن شيئاً يقدمه
 له ، فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة
 وأخذه إلى رحله وطلب من امرأته إكرامه
 فأخبرته أنه ليس عندها إلا قوت الصبيان .
 فطلب منها أن تعمل الصبية حتى يناموا ،
 وأن تطفى السراج وتقرب للضيف ما عندها ،
 وهكذا أكل الضيف ما كان عندهم كله ، وباتوا
 طابرين وكذلك الصبيان . فلما أصبح
 غداً على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له :
 « قد عجب الله من صنيعةك بضيفك الليلة » .
 وفي هذا نزل قوله تعالى : « ويؤثرون على
 أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .
 ونكتفي بهذا القدر ، وفي الكلمة
 الآتية نتناول مثلاً رائعة أخرى ، ومن الله
 العون والتوفيق ؟

محمد يوسف موسى

في الدنيا والآخرة ، وهذا إلى أصالة هذا
 الخلق في نموس العرب كما هو معروف ،
 فكان من ذلك مثل رائحة في الكرم
 والإيثار .

يذكر ابن الأثير في كتابه « الكامل في
 اللغة والأدب » أن الأحنف بن قيس قال :
 كثرت على الديات فلم أجدها في حاضرة تميم
 فخرجت نحو « بربن » فسألت عن المقصود
 هناك ، فأرشدت إلى قبة فإذا شيخ جالس
 بفنائها مؤتزر بشملة محب بحبل .

فسلمت عليه وانسببت له ، ... ثم ذكرت
 له الديات التي لزمنا للأزد وربيعة ، فقال لي :
 أقم ، فإذا راح قد أراح ألف بعير ، فقال :
 خذها ، ثم أراح عليه آخر مثلها فقال :
 خذها ، فقلت : لا أحتاج إليها ، فانصرفت
 بالآلف عنه ، والله ما أدري من هو
 إلى الساعة !

الثناء بعد البلاء

قال الأحنف لزياد حين قدم البصرة وخطب خطبته المشهورة : أصلح الله الأمير !
 إن الجواد بشده ، وإن السيف بحده ، وإن المرء بحجده ، وإن جحك قد بلغ بك ما ترى .
 وإن الثناء بعد البلاء ، ولست أثنى عليك حتى تنليك ، فأول خيراً ثن به ... !

الشريعة والناس

للأستاذ محمود الشرقاوى

وقد بدأنا نسمع ونقرأ هذا الشعار يردده ويكتبه قوم في الآونة الأخيرة وهم يعلنون كما نعلم أن الجمهورية العربية المتحدة تفكر أو تعمل على تعديل قانون الأحوال الشخصية وللشريعة في هذا القانون شأن ورأى يجب أن يكون هو الشأن الأول والرأى المقدم .

وقد رأينا مسلما من رجال الثقافة والقانون يرفع راية هذا الشعار علنا في صحيفة كبرى فيطلب من الدولة أن تعتبر تشريع الزواج والطلاق من المسائل التي لا صلة لها بالدين^(١) ورأينا من يناصره ويجهر بمثل ما يجهر .

ولا بأس في أن نقول كلمة في هذه الدعوة قبل أن نسوق ما يبطلها ويفندها .

• • •

الذين يدعون إلى أن ندع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، يقولون أو يزعمون أن مكان العقيدة ومكان رجلها في حياة الناس هو التوجيه السديد ، القائم على الإدراك والوعى ، لأخلاق الفرد . والاتصال القائم على المحبة والبر والفهم لروحه وعواطفه .

(١) انظر كلمة منبلة الأستاذ الشيخ عبد القليل المبكى في عدد جادى الآخرة من (مجلة الأزهر)

دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله : كلمة من كلمات السيد المسيح اتخذها قوم شعاراً يرمزون به إلى مبدأ عرف في ترجمته العربية المتداولة باسم : فصل الدين عن الدولة ، وكلمة السيد المسيح عندما ما يتخذها بعض القوم شعاراً ورمزاً لمبتهم هذا ، هي كلمة يصدق عليها المثل القديم : « حق يراد به باطل » .

قال السيد المسيح كلمته تلك ليرد كيد خصومه من اليهود عندما تقدموا إليه يسألونه عن تلك الصورة التي يحدونها منقوشة على « الدينار » الرومانى ، وكانوا يشنون لو أنه ثار به الغضب فقال كلمة سوء عن صاحب هذه الصورة المنقوشة : قيصر الإمبراطور ، فيحاسب المسيح على كلمته تلك ويلقى جزاءه بسقطة لسانه .

ولكن الله ألهم فيه المسيح أن يرد عليهم كيدهم بكلمته تلك التي يريد بها أنه لا شأن له بسلطان الدولة والحرص لسلطة الحاكم . فإنما أرسله الله لهداية خراف بني إسرائيل الضالة ، كما جاء في الإنجيل ، فلتسكن دعوته لله وليترك ما لقيصر لقيصر .

في يثتها وزمنها . وسنرى قبل أن ننتهي من هذا المقال أنها تبور في غير زمنها ويثتها . ولكي نربط بين هذه الدعوة وبين يثتها وزمنها نسوق رأيا فيها ، أو شرحا لها ، قاله رجل من أبرز الدعاة لها ومن أبرز النافرين على الكنيسة وعلى الملكية في القرن الثامن عشر هو : « فولثير » الذي كان قلبه وكانت شخصيته من أقوى العوامل في قيام الثورة الفرنسية التي زلزلت الملكية والكنيسة معا .

الواجب المقدس الذي توديه للأمة تلك الهيئة المنظمة في داخلها ، الممثلة للدين والمهيمنة عليه ، ليس أن تتحد مع الدولة أو تندمج فيها ، ولا أن تغتصب سلطتها السياسية الزمنية ، ولا أن تملي على الرجال المسؤولين في شئون السياسة والاجتماع والفكر ، وترغمهم على الخضوع لهذا الإملاء . ولا أن تستخدم نفوذها وسلطانها على حياة الناس وعقولهم . عمالا تدعيه أية هيئة بشرية أخرى . كلا . إنما واجب الهيئة الدينية في كل أمة أن ترشد الناس إلى الله في طهر الحياة ونقاوة الفكر ، وأن تنجيهم إلى معرفة الله الحق ، حتى تغلب روح الله وعدالته وحقه في تصارييف الشئون ومناحي الحياة المختلفة . ومنى شهدت الهيئة الدينية شهادة أمينة صادقة لحق الله وتقدير الشئون الروحية ، فإنها - بطريق غير

والاندماج القائم على التعاطف والموااة في الجماعة البشرية مكان العقيدة ومكان رجلها عندهم هو التربية الروحية والتوجيه الحق ، واستخدام العاطفة الدينية في قلوب الناس ومشاعرهم لتسكين الفضائل النورية والخلقية في هذه القلوب والمشاعر . وليس من شأن العقيدة ولا من حق رجلها ، في زعمهم ، أن يسيطروا ، ولا أن يوجهوا ، ولا أن يشاركوا في السلطة الزمنية بأي وجه من الوجوه ، ولا من أي سبيل من السبل .

وهم يقولون : مادامنا نقول إن العقيدة ضرورة من ضرورات الحياة للفرد والجماعة ، فإن واجب رجلها هو اتخاذها وسيلة ومتكأ لتهديب الفرد وتربية الجماعة ، وليس لها ولا لرجالها أن يطمعوا في شيء آخر من المشاركة في السلطة الزمنية وقوانينها وما تفعل وما تدع لاستقامة حياة الناس وتنظيمها وتقديمها . وحسبهم أن يفعلوا ذلك ، وما هو بأمر يسير .

• • •

وهذه الدعوة ليست شيئا جديدا في حياة الناس ولا في عالم الأفكار والدعوات . فقد كانت صيحة مسموعة في القرن الثامن عشر في أوروبا عامة وفي فرنسا خاصة . فهي بصيغة مجلوبة لن تجد لها عندنا سوتا . وهي صيحة كانت لها أسبابها ومبرراتها

وشتان بين هذا وبين موقف الإسلام من الحياة . وبين الوضع في القرن الثامن عشر في أوروبا ، وبينه وبين حاضرنا في الشرق العربي ، أو الإسلامى .

وليس من الخير ولا من الكرامة ، ونحن نفنى قوميتنا العربية ، أن تتابع دعوات لا تصدق على ديننا ولا على يثنتنا وزمتنا . بل بيننا وبين ديننا من التنافر والتدابر ما يدركه كل منصف .

والذين يدعون أن يترك « ما لله وما لقدير » ، يعززون دعواهم هذه بأن الدين لا يدعو إلى تغيير جوهرى فى حياة الناس ، بل يؤيد الأوضاع القائمة ويتصدى لظواهر الأمور دون أن يمس جوهرها . فهو ، مثلا ، يشجع التصديق والإحسان على الفقراء ، دون التفكير فى القضاء على الفقر ، أو على النظام الذى أدى إليه . وذلك - فى رأيهم - عمل رجل الاقتصاد والاجتماع . وهذا قد يصدق على غير دين الإسلام الذى فرض الزكاة وأوجبها وجعلها ركناً من أركانه التى بنى عليها ولكن أهل الشطط هؤلاء ، يقللون الفكر الأوربي فى خروجه على المسيحية مع أن الفرق واضح بينها وبين الإسلام فى ذلك . فالمسيحية لم تعرض لشئون الناس فى دنياهم ولم تتناول تنظيم المجتمع . ولكن الإسلام كما تضمن

مباشر - تملك أقوى سلطة فى حياة الشعب المدنية ؛ لأن الناس لا بد يطبقون مبادئها وآراءها وينفذونها عملاً فى حياتهم اليومية . فتصبح الأعمال ترجان الأفكار والمبادئ . أما إذا أبت الهيئة الدينية أن تعمل فى دائرة اختصاصها ، وعجزت عن التفريق بين هذا وذاك ، فإن الناس - عاجلاً أو آجلاً - سيثيرون بشدة وطأة تدخلها ، أو مظالمها ، فيخلعون عنهم رداء الولاء لها ، ويعيشون حياة طليقة سائبة بعيدة عن الله . وهى فى نظرهم خير وأفضل من تلك الحياة المقيدة الضيقة (١) .

ومن يتأمل كلمة « فولتير » هذه - وهى من أقوى الدعوات وأسبغها وجوداً فى الجهر بفصل الدين عن الدولة - يدرك أنه كان يحارب سلطة الكنيسة الزمنية يوم كان « البابا » يجمع بينها وبين السلطة الروحية ، ويحرم من جنة الله ، ويتلقى رجال الحكم السلطة من يده ، ويتوج الملوك ويسقطهم إذا شاء . ويدرك من يتأمل أن « فولتير » وأصحاب دعوته كانوا يحاربون سطوة الكنيسة ، وسطوة رجال الدين وشغلهم ومظالمهم التى يعرفها من يدرس تاريخ أوروبا فى القرون الوسطى .

(١) من بحث كتابته كاترين هنرى عن (فولتير) : كتاب « أعلام الفكر الفرنسى » ص ٦٧ .

الوسطى يطيعون تعاليم الكنيسة هذه ، بل أوامرهما ، ليكونوا مسيحيين صالحين محتفظين بطهارة المعمودية . وكمن الأمراض والأوبئة اجتاحتهم وأنت حياة الآلاف منهم بسبب « طهارة الروح » على حساب طهارة الجسد .

ومن الحقائق التي نسوقها هؤلاء القوم أن الكنيسة في أسبانيا ، في هذه القرون الوسطى حظرت على المسيحيين جميعاً غسل أجسادهم ومنعته منعاً باتاً . وأن الكردينال « سينوزا » أحد رجال الدين المسيحي في أسبانيا هدم في سنة ١٦٧٧ ميلادية الحمامات التي كان قد بناها المسلمون في تلك البلاد .

وفي بلاد الحبشة يمتنع كثير من المسيحيين عن الاستحمام - إلى الآن - حتى لا يتشبهوا بالمسلمين .

فقياس الإسلام على المسيحية قياس غير قائم وغير صحيح .

وليس من هي ولا من غابت أن أتعرض للديانة المسيحية ولا أن أوازن بينها وبين الإسلام ، فأنا مسلم بأمر ديني بالاعتراف بالمسيحية والإيمان برسالة عيسى عليه السلام . وأنا حريص على عواطف المسيحيين الذين يكونون في هذا الشرق الذي نسكنه سواداً كثيراً كبير الأهمية في تحقق هذه « القومية العربية » .

« العقيدة » والمهداية وألزم بالعبادات والتكاليف ، تضمن « الشريعة » فنظم بها حياتهم ومعاشهم ودينام . والفهم المستقيم للشريعة لا يجعل منها خصماً ، بل ولا معارضاً ، لاستقامة الحياة البشرية وهناك على جميع المستويات البشرية ولا في جميع العصور ، ولكل الأجناس .

ونضرب هؤلاء الذين يقيسون الإسلام على المسيحية في ذلك مثلاً : فنحن نعرف أن الإسلام أمر بالطهارة ، أي بالنظافة ، عند كل صلاة ، أو عند صلاتين أو أكثر إذا دام وضوء المصل .

ومعنى ذلك أن المسلم مأمور بأن يستعمل الماء في الأصل ، إلا إذا لم يجدده ، في كل يوم مرة على الأقل لنظافة أعضائه الخارجية . ومأمور باستعماله لتحقيق غايات أخرى وفي أماكن أخرى من جسده . وقد يكون هذا الاستعمال لأكثر من مرة في اليوم . والمسلم مأمور بأن يغتسل ، أي ينظف جسده كله بالماء ، عند مباشرة المرأة بينا نجد الكنيسة في العصور الوسطى كانت ترى من دلائل الصلاح وتمكن العقيدة المسيحية في قلب أتباعها أن يتعد المسيحي الصادق عن الماء ويمتنع عن الاستحمام حتى لا يزول عن جسده ماء المعمودية الطاهر .

وكان ملايين الناس في أوروبا في القرون

الدنيا ، حتى في أوامره بالعبادة المحضة التي لأصلها لها بمعاش الناس ونظم حياتهم وتشكيل مجتمعهم ، وهو في شريعته كذلك حريص على خيرهم وسعادتهم واستقامة حياتهم ، وفيها من السعة والمرونة والمطاوعة ما يكفل تحقيق ذلك ، لذلك كان من الخطأ المحض أن يقاس الإسلام على المسيحية في تنحيته عن الحياة العامة ، وعن التشريع والدعوة إلى « فصل الدين عن الدولة » أو « إعطاء ما لغيره لغيره وما لله لله » كما يقولون ، فهذه دعوة صدقت في أوروبا على المسيحية لأسباب خاصة بها وبالجمتمع الأوروبي ، ولكنها لا تصدق على الإسلام .

ومن الأسباب التي قامت بسببها هذه الدعوة أو الثورة على المسيحية أنها تعرضت بأراء جلالة لبعض شئون الحياة والعلم . فهي ، مثلا ، قد نصت على أن الأرض ثابتة لا تتحرك ، وأنها مركز الكون . وبسبب ذلك لقي كوبرنيكوس ولقيت مستكشفاؤه وآراؤه المعارضة لذلك ما لقي ولقيت من رجال الدين المسيحي ، ثم تغلب العلم على رجال الدين بعد جهاد يعرفه من يدرس تاريخ الصراع بين العلم والدين في أوروبا ، وأصبحت « تنحية الدين عن الحياة » شعارا لا يجيد عنه المفكرون في الغرب ولا كذلك الإسلام ، كما ذكرنا .

وبدسى أن الإسلام يثبت أن التوراة والإنجيل دخلهما تغيير وتبدل ، كما نص القرآن الكريم على ذلك في آيات كثيرة . والمتفقون من المسيحيين أنفسهم يعترفون بأن المسيحية بعد المائة الأولى لمولد السيد المسيح كانت مغايرة مغايرة كبيرة لمسيحية القرن الأول . ويعترفون بأن المسيحية كما يعرفها ويعتقدونها المسيحيون الآن هي مسيحية بطرس الرسول وقسطنطين وليست مسيحية عيسى .

وهذا أمر لا يسي . - عند التأمل الهادئ - إلى المسيحية . بل لعله أن يرفع من شأنها ، ويبعد عن « أصلها » المأخذ ، كما كان يقول المصلح العظيم لوثر ، مجدد المسيحية ومصلحها وعماد الكنيسة البروتستانتية .

والذي أريد أن أقرره - وأنا أذكر قصة الطهارة والماء والوضوء قبل قليل - هو أن الإسلام يتضمن إلى جانب العقيدة « شريعة » تنسق حياة الناس وتشكل نظامهم في هذه الدنيا . وأن الإسلام في عقيدته نفسها يرضى مصلحة الناس ويحرص على خيرهم ، فمع أن الصلاة عبادة ، والغسل من الجنابة عبادة ، فقد جعل الإسلام الطهارة بالماء شرطا لصحة الصلاة والغسل من الجنابة شرطا لها أيضا . وهو في ذلك يرضى مصالح الناس ، ويحرص على خيرهم وسعادتهم وحمية أجسامهم في هذه

في شريعة الإسلام . ولكنني وقعت على كلمة للأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر تغني عن كل قول . فهو يقسم الحكم في الشريعة الإسلامية إلى نوعين : حكم نص عليه القرآن والسنة نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل ولا يحتمل الاجتهاد ، وهو قليل ، والنوع الآخر : (حكم لم يرد به قرآن ولا سنة ، أو ورد به أحدهما ولم يكن الوارد به قطعياً فيه ، بل محتملاً له وغيره وكان ذلك محلاً لاجتهاد الفقهاء والمشرعين فاجتهدوا فيه ، وكان لكل مجتهد رأيه ووجهة نظره » وأكثر الأحكام الإسلامية من هذا النوع الاجتهادي ، ثم يقول فضيتك :

(إذا علمنا هذا استطعنا أن نقول : إن الحكم في النوع الثاني - وهو النوع الاجتهادي - ولو خالف جميع الآراء والمذاهب الإسلامية - فإنه ما دام أساسه تحرري العدل والمصلحة لا اتباع الهوى والشهوة - فإن الإسلام لا يمنعه ولا يمحته ... ذلك أن الإسلام ليس له في هذا النوع حكم معين ، وإنما حكمه هو ما يصل إليه المجتهد باجتهاده المبني على تحرري المصلحة والعدل ، فتي وجد العدل والمصلحة ثم شرع الله وحكمه ^(١) .

• • •

ولكن هذه الصيغة أو هذا الشعار إذا تقل إلى الشرق كان تقليداً يحمل في طياته الشر لكل من الإسلام والحياة معا . وهو فوق ذلك دعوى لا أساس لها ولا سند ، بل هي في خصوص الإسلام الصحيح ، دعوى منهارة .

فقد حفظت شريعة الإسلام ما لقيصر وأبقته له . وتركته - أي للحاكم - شيئاً كثيراً جداً يحقق به ما يرى من الخير للناس على مطاوعة من الشريعة نفسها ، وعلى أساس من الدين نفسه . وذلك أمر طبيعي لأن الله جعلها آخر الرسالات فلم أن تصلح لحياة الناس في جميع الأمكنة والأزمان ، وأن تنسج لحاجاتهم كلها ، وأن يكون فيها من المرونة ما يكفل ذلك . فهي لم تفرط تفریط المسيحية ولم تضيق تضيق اليهودية ، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ^(٢) .

• • •

وقد كنت أريد هنا أن أقول كلمة في السياسة الشرعية ، أو فيما يعرفه فقهاء المذهب الحنفي وبالاختصاص ، وفقهاء المذهب المالكي والحنبلي بالمصالح المرسلة .

كنت أريد أن أقول كلمة في ذلك تدل على المدى الفسيح الذي يجده المشرع والمفتن

(١) الفتاوى ص ٣٨ من مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر

(٢) سورة البقرة .

على قتل رجل مسلم بلا إقرار ولا بينة ولا شهادة ولا محاكمة . وأن هؤلاء المسلمين أعلنوا غضبهم هذا إلى عثمان . وأن جماعة من أصحاب النبي ألحوا عليه في أن يقتل عبيد الله في الهرمزان ، وأن يقيم عليه حد من يقتل مسلماً عامداً متعمداً بغير حق وذلك كان رأى على ، وكتاب التاريخ وعلاء السيرة يقولون إن عثمان لم ينكر عليهم ذلك ولم يحتاجهم في الحد ولا في أن عبيد الله يستحقه . ولو أنه أمر به فأقيم ، لقتل عبيد الله جزاء قتله الهرمزان . لم ينكر الخليفة عثمان على صحابة النبي ذلك ولا شيئاً منه . بل كان جوابه أن قال : أخشى إن قتلت عبيد الله أن يقول الناس : قتل عمر أس ، ويقتل ابنه اليوم . . . وعثمان حين يفعل ذلك لا يخرج عن حد الشريعة - وحاشاه - ولا يجاوز الإدراك السليم لمصلحة الجماعة الإسلامية . فهو ولي أمر المسلمين وقد رأى - وكان حكماً في ذلك - أن يتجاوز عن شطط عبيد الله رعاية لمصلحة أعلى ، واتقاء لفتنة لم يكن يدرى أحد يوم ذاك إلى أي مدى يصيب شرها المسلمين جميعاً والعقيدة نفسها أيضاً .

وهذا هو السداد الذي يحمل السبب للإنسان ولا يحمل الإنسان السبب ، كما تقول آية الإنجيل ؟

محمود الشرفاوى

هذا رأى يجهل به الآن شيخ الجامع الأزهر وإمام المسلمين الآن . ونستطيع أن نصرب لذلك مثلاً من أقدم الأمثلة وأقواها دلالة على عدم الالتزام الحرفي كأمر ملزم بات لا مفر منه ولا عيب عنه . وهو مثل يعرفه المؤرخون ويعرفه علماء السيرة وكتابتها ومؤرخوها . فهو هؤلاء يجمعون على أنه لما قتل العبد الأسود أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسرع ابنه عبيد الله قتل الهرمزان وجفينة بالتهمة والظنة في اشتراكهما أو تديرهما أو تحريضهما على قتل أبيه . وما كان خطأ أن يقتل عبيد الله أحداً لأنه قتل مسلماً هو الهرمزان ، دون أن يستشهد عليه ودون أن يرفع أمره إلى الخليفة بعد اختياره وتقصيه ، أو بعد شفائه لو أن الله أراد لعمر أن يمضي من طمئنته . وكان من الممكن أن يقال إن حد الله في هذا بين واضح لا شك فيه ولا مرية عليه ولا لبس . فقد قتل عبيد الله الهرمزان قتلة جاهلية بغير حق ، أو بحق انفراد به لنفسه وأقرها عليه وأقدم على قصاص هو من حق ولي الأمر لا يقيمه إلا على قواعد وأسس تطمئن لها النفس ويستريح منها العنصر . وكتاب التاريخ وعلاء السيرة يقولون إن هذا كله تحدث به المسلمون يوم ذاك فضنبوا من تسرع عبيد الله وإقدامه

الحرية الدينية في الإسلام

وعلاقتها ، بالاجتهاد والتقييد

للكثور على عبد الواحد وافي

ويقول عمرو بن العاص في معاهدته مع المصريين بعد فتح مصر : وهذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ومالهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرمهم وبحرمهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص .

ومع أن الإسلام يجعل الرجل قواماً على أمرائه في كل ما يحقق صالح الأسرة والصالح العام ، فإنه لا يجيز للسلطان المتزوج كتابة أن يرغب على ترك دينها ، بل لا يجيز له أن يمنحها من أداء عباداتها وشعائرها ؛ بل إن بعض المذاهب ترى أنه ينبغي له أن يصطحبها إلى حيث تؤدي هذه العبادات والشعائر في كنيسها أو يعينها إذا رغبت في ذلك .

٢ — والمبدأ الثاني الذي سنه الإسلام في هذا الصدد هو حرية المناقشات الدينية . ولذلك ينصح الله تعالى المسلمين أن يلتزموا بجادة العقل والمنطق في مناقشتهم مع أهل الأديان الأخرى ، وأن يكون عمادهم الإقناع وقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل . وفي هذا يقول الله تعالى مخاطباً رسوله عليه السلام : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

سار الإسلام حيال الحرية الدينية على أسس سمحة نبيلة . فلم يلبث أن استقر ، وتبينت للناس معالمه ، حتى قرر في هذا الصدد أربعة مبادئ هي أسس ما يمكن أن يصل إليه التشريع في حرية الأديان والمعتقدات :

١ — أحدها أنه لا يرغم أحد على ترك دينه واعتناق الإسلام . وفي هذا يقول الله تعالى : « لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي » . وعلى هذا المبدأ سار المسلمون في معاملاتهم وحروبهم مع أهل الأديان الأخرى . فكانوا يبيعون لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة . وكانوا في مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء ، ويحترمون عقائدهم وشعائهم ومعابدهم . وفي هذا يقول عمرو بن الخطاب رضي الله عنه في معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له : « هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعظم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ... لا نسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبيهم ، لا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . . ويقول مخاطباً أهل الأديان الأخرى : « قل ماتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ؛ « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » ؛ « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أرؤيت ما إذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ؟ اتروني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين . . ولا يكتفى القرآن بذلك بل يغري الكفار بالناقشة والإتيان بالدليل على صحة دينهم ، فيتظاهر جدلاً بأنه لا يقطع بأنه على حق وأنهم هم على باطل ، فيقول : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » .

وكان الخلفاء من بني العباس وغيرهم يعتقدون المجالس للمناقشات الدينية فيجتمع عندهم علماء كثيرون ينتمون إلى مختلف الطوائف وشتى الأديان والفرق ، فيتناقشون في شئون العقائد ، ويوازنون بين الأديان ، كل يدلي بحجته ، ويبين رأيه في حرية وأمن واطمئنان . ولم يكن الخلفاء يحملون هذه المناقشات لحسب ، بل كانوا يشجعون عليها بمختلف وسائل التشجيع ، ويشتركون فيها بأنفسهم .

٣ - والمبدأ الثالث الذي سته الإسلام في هذا الصدد هو أن الإيمان الصحيح هو ما كان منبعثاً عن يقين واقتناع لا عن تقليد واتباع . وبذلك حطم الإسلام القواعد التي كان يسير عليها التدين في كثير من الأمم

من قبله ، وهي قواعد التقليد والاتباع وإهمال النظر والتفكير الحر ، وأحباب الناس أن يعملوا عمادهم في عقائدهم ونشر دينهم الدليل العقلي والمنطق السليم ، ودعا إلى النظر والتفكير ، وحث على رفض ما لا يؤيده علم ، ولا يعززه دليل . ومن ثم ذهب بعض علماء التوحيد إلى أن إيمان المقلد غير صحيح ؛ وأخذ الله تعالى على المشركين تقليد الأعمى لآبائهم وإغفالهم جانب النظر والتفكير ؛ قال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أول لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ١٩ » ؛ « وإذا قيل لهم تصالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أول لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ٢٠ » . ويقول الإمام الشيخ محمد عبده : « إن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين . وإن المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . فمن ربي على التسليم بغير عقل وعلى العمل - ولو صالحاً - بغير فقه ، فهو غير مؤمن . فليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد أن يرتق عقله وترتق نفسه بالعلم فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله ، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبه ودرجة مضرته . .

في فروع الشريعة لمن يعتمد على الاجتهاد ،
وانقسموا في ذلك ثلاثة مذاهب :

(١) فيرى كثير منهم أنه يجب عليه
الاجتهاد ولا يجوز له التقليد ، فالإسلام
في نظر هؤلاء لا يقتصر في هذا الصدد على إباحة
حرية الرأي ، بل يوجب العمل بها إلزاماً على
كل قادر ولا يجوز له أن يتخلى عن حقه فيها .
وإلى ذلك ذهب كثير من أئمة المذاهب
الأربعة ، وفقهائها ، وغيرهم :

فذهب إليه كثير من فقهاء الحنفية على
رأسهم العلامة أبو زيد الدبوسي (المتوفى
سنة ٤٣٠ هـ) وقد أبان عن وجهة نظره
هذه في كتابه « تحويم الأدلة » إذ يقول :
« أصل التقليد باطل لأن الله تعالى رد حل
الكفرة احتجاجهم باتباع الآباء ... من غير
نظر واستدلال ... والمقلد في حاصل أمره
ملحق نفسه بالبهائم في اتساع الأولاد
الأمهات على مناجها بدون تمييز . فإن الحق
نفسه بها لفقد آلة التمييز فعدوز ...
وإن الحق نفسه بها ومع آلة التمييز فالسيف
أولى به حتى يقبل على الآلة فيستخدمها ،
ويجب خطاب الله المفترض طاعته » وقد
ذم تعالى الكفرة على قولهم اتبعنا أكابرنا
وسلمنا ، ويقول في موضع آخر من هذا
الكتاب : « وكان الناس في الصدر الأول
أعني : الصحابة والتابعين والصالحين رضوان

٤ — والمبدأ الرابع الذي منه الإسلام
في هذا الصدد هو إباحة الاجتهاد في فروع
الشريعة لكل قادر عليه ، وهو المتمكن
من الكتاب والسنة واللغة العربية وقواعد
الاستنباط . فيباح لكل مسلم توافرت فيه
هذه الشروط أن يجتهد ويستنبط الأحكام
من أصولها وأدلتها ، ويعمل بما يراه ،
ويجهر بما انتهى إليه رآيه . والإسلام
يكفل له حرية الرأي ، ويحمي حرمة ،
ويحترم رأيه حتى لو كان مخالفاً في نظر غيره
أو كان مجانباً للصواب . فن المقر في الشريعة
الإسلامية أن المجتهد مثكور ومأجور
في حالتي صوابه وخطئه : فإن أخطأ فله أجر ؛
وإذا أصاب فله أجران .

وعلى هذا المبدأ سار الصحابة والتابعون
رضوان الله عليهم . فكان كل منهم يعتمد
على اجتهاده الخاص متى كان قادراً على ذلك ،
وبينح لغیره الاجتهاد ، ويحترم رأى غيره
متى كان قائماً على دليل من الكتاب أو السنة ،
بل يرجع عن رأيه ويأخذ برأى غيره إذا تبين
له وجهان هذا من ذلك . ومواقفهم هذه
— رضوان الله عليهم — كثيرة مشهورة قد
زخرت بها كتب التاريخ الإسلامي مسجلة لم
أسمي مبدأ في حرية الرأي والحث على
الاجتهاد .

وقد اختلف أئمة المسلمين في جواز التقليد

« فاعتبروا يا أولى الأبصار » وقوله « أفلا يتدبرون القرآن » وقوله « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول » وقوله « وما اختلفتم فيه من شئ فحكاه إلى الله » .
 وذهب إلى ذلك معظم أئمة الحنابلة وعلى رأسهم ابن القيم في كتابه « أعلام الموقعين » .
 وذهب إلى ذلك كثير من الظاهرية وعلى رأسهم ابن حزم ، بل لقد ادعى ابن حزم أن الإجماع قد انعقد على هذا المذهب .

وذهب إلى ذلك الشيعة الإمامية ، فهم يوجبون الاجتهاد على كل قادر عليه . ولا يزال لديهم إلى الوقت الحاضر أئمة مجتهدون في النجف الأشرف وطهران وغيرهما .

(ب) والمذهب الثاني يميز التقليد للقادر على الاجتهاد ، ولكنه يوجب عليه معرفة دليل الإمام الذي يقلده ، حتى يكون تقليده له عن يمينه وحق لا يعطل تفكيره تعطيلاً تاماً في مسائل الفقه : ومن هؤلاء : ابن ذروق المالكي : فهو يعرف التقليد بأنه « أخذ القول من غير استناد لوجه في المقول ، وهو مفهوم مطلقاً لاستبراء صاحبه بدينه ، فهو إذن لا يرى بأساً من التقليد متى استند المقلد على دليل الإمام الذي يقلده : بل إنه لا يسمى هذه الحالة تقليداً ويلحقها بحالات الاجتهاد .

(ج) والمذهب الثالث منسوب جماعة من المتأخرين يبيحون التقليد للقادر على

الله عليهم ينون أمرهم على الحجة ، فكانوا يأخذون بالكتاب ثم بالسنة ثم بأقوال من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصح بالحجة . فكان الرجل يأخذ بقول عمر رضي الله عنه في مسألة ثم يخالفه بقول علي رضي الله عنه في مسألة أخرى . وقد ظهر من أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله أنهم وافقوه مرة وخالفوه أخرى على حسب ما تتضح لهم الحجة . ولم يكن المذهب في الشريعة عمرياً ولا علوياً ، بل النسبة كانت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذهب إلى ذلك كثير من فقهاء المالكية ومنهم الإمام القرافي نفسه ، فقد نقل عنه صاحب « إرشاد الفحول » أنه قال : إن مذهب مالك وجمهور العلماء : وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد ويعنى بذلك من يقدر على الاجتهاد وتوافره وسائله .

وذهب إلى ذلك أيضاً كثير من فقهاء الشافعية وعلى رأسهم الإمام الغزالي في كتابه « المستصفى » ، فبعد أن أورد في كتابه هذا بعض الآراء في موضوع التقليد ، أبان عما يرتضيه هو فقال : إن القادر على تحصيل العلم والظن « ينبغي أن يطلب الحق بنفسه ... فكيف يبنى الأمر على حاية كالعريان وهو بصير » ، ثم استدلل على ما ذهب إليه من وجوب الاجتهاد على القادر بآيات من كتاب الله كقوله عز شأنه

وهذا كله في القادر على الاجتهاد ، وأما غير القادر عليه لعدم توافر عدة الاجتهاد وثقافته لديه ، فيكاد الإجماع ينمقد على إباحة التقليد . فعليه أن يستفتى ويرجع إلى العلماء

ويعتمد في عباداته ومعاملاته على مذهب إمام أو أكثر ؛ لقوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » ، وإجماع الصحابة على هذا فإنهم كانوا يفتنون العوام ولا يأمرؤنهم بنيل رتبة الاجتهاد ، بل إن الصحابة أنفسهم لم يكونوا جميعا مجتهدين ؛ بل كان منهم المجتهد ومنهم المقلد . وفي هذا يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته : « ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فقا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومقشاهه وعكسه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي ... وكانوا يسمون لذلك القراء ، أي الذين يقرءون الكتاب ؛ لأن العرب كانوا أمة أمية ، فاختص من كان منهم قارئا للكتاب بهذا الاسم » .

هذا إلى أن تكليف جميع المسلمين الوصول إلى رتبة الاجتهاد ينطوي على المخرج والمنع وشريعة الإسلام قائمة على دفع المخرج ؛ قال تعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، وقال « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » . بل إن هذا التكليف تكليف بما يستحيل

الاجتهاد بدون أن يوجبوا عليه معرفة دليل من يقطعه ، بل يتوسع بعض هؤلاء فيدعون لهذا المقلد الفتوى متى كان حافظا لرأي الإمام في الفرع الذي يفق فيه .

وقد تصدى ابن القيم في كتابه « إعلام الموقعين » للرد على آرائهم وخاصة على ما يذهبون إليه من إباحة الفتوى للمقلد فقال : « لا بد للعالم من تقليد عالم فيما جهله لإجماع المسلمين أن المكشوف يقلد من يثق بخبره في القبة لأنه لا يقدر على أكثر من ذلك ، ولكن من كانت هذه حاله هل تجوز له الفتيا في شرائع دين الله ، فيحمل غيره على إباحة الفروج وإزالة النماء واسترقاق الرقاب وإزالة الأملاك وتصييرها إلى غير من كانت في يده بقول لا يعرف صحته ولا قام له الدليل عليه ؟ » .

فإن من أجاز الفتوى لمن جهل الأصل والمعنى لحفظه الفروع لزمه أن يميزه العامة . وكفى بهذا جهلا وردا للقرآن ، قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » ، وقال : « أتقولون على الله ما لا تعلمون » . وقد أجمع العلماء على أنه عند عدم اليقين والتبين لا يكون ثمة إلا الظن ، والظن لا يفتى من الحق شيئا .

بالمعجز والإعجاز ، وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء ، كل بمن اختصاص به من المفكرين ... ولم يبق إلا قتل مذاهبهم ، وعمل كل مثله بملهب من قلة منهم ... ومدعى الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه ، مهجور تقليده وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة .

وهذا الاتجاه يتم على جهل بروح الشريعة الإسلامية وعمل الصحابة وآراء السلف ، وينطوي على تشجيع على إهمال البحث والتحقيق وتعطيل العقل في فهم شئون الدين ، كما ينطوي على مخالفة صريحة لما بوجه القرآن الكريم إذ يقول : « قلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، والتفقه لا يكون بالتقليد وإنما يكون بالوقوف على أدلة الأحكام واستنباط الفروع من الأصول .

غير أن ما قلناه عن ابن خلدون ليدل على أن العلماء كانوا قد اتهموا في عصره (القرن الثامن الهجري) إلى الإذعان لهذا الرأي الفاسد والتسليم به ، وأن هذه النكسة قد ظهرت عند المسلمين منذ عهد بعيد ؟

المكتسرة على عهد الواعظ والرائي

تحقيقه لأنه يؤدي إلى تعطيل الحرف والصنائع وجميع أنواع الكسب وجميع العلوم الأخرى غير علوم الشريعة ؛ وهذا يؤدي إلى خراب المجتمع البشري ، وحتى لو فرضنا جدلاً أنه أمكن أن يقف جميع المسلمين حياتهم على التفقه في الدين ، فإنه لا يمكن أن يصلوا جميعاً إلى مرتبة الاجتهاد .

هذا ، وقد ظهرت طائفة من المتأخرين تقول : إن الأمة الإسلامية أصبحت اليوم معذورة في تقليدها الأئمة الأربعة ؛ لأنها أصبحت غير قادرة على الاستنباط من الكتاب بل ذهب بعض هؤلاء إلى أن باب الاجتهاد قد أوصد وأنه قد أصبح واجباً على كل مسلم تقليد واحد من الأئمة الأربعة .

ويمثل هؤلاء اللغائي إذ يقول في جوهره : « وواجب تقليد جبر منهم » (أى من الأئمة الأربعة) ، وابن عابدين (من المؤلفين في فقه أبي حنيفة) إذ ينقل عن بعض رسائل ابن نجيم « إن القياس بعد الأربعة منقطع » وقد عبر عن ذلك أيضاً ابن خلدون إذ يقول في مقدمته : « ولما كثرت تشعب الاصطلاحات في العلوم ، وطاق ذلك عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد ، ولما خشي من إسناد ذلك إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه فصرحوا

الخليقة والسليقة

للككتور تمام حسان

يقول صاحب المقاموس : الخليقة الطبيعة والناس . ويقول : والسليق أثر دبرة البعير إذا برأت وابيض موضعها كالسليق محرقة ، وأثر الفسح في جنب البعير ؛ والاسم السليقة . ثم يقول : ويشكل بالسليقية أى عن طبعه لا عن تعلم . وفي الصحاح أن الخليقة الطبيعة ، والجمع خللاق . ويقول ابن أبي سلى : ومهما تكن عند امرئ من خليفة وإن غامها تخفى على الناس تعلم فإذا نظرنا في معنى كل من هاتين الكلمتين أدركنا أن الاستعمال اللغوي العام لا يفرق بينهما في المعنى تفريقا كبيرا . ولكن الاستعمال اللغوي من طبعه ألا يكون دقيقا ولا محددًا بقدر ما لمحمد الدقة والتحديد في الاستعمال الاصطلاحي . ذلك بأن المعنى اللغوي كما يحتمل الحقيقة يحتمل المجاز ، وكما يحتمل الإطناب يحتمل الإيجاز ، وكما يحتمل التصريح يحتمل الإيماء والتلميح ، وكما يحتمل المعنى الواحد يحتمل المعنيين . ففيه عدم الخصوص ، وعدم المحدودية ، وتعدد المعنى للكلمة الواحدة .

ويقابل هذا الاستعمال اللغوي استعمال آخر اصطلاحى الكلمات ، تتخذ الكلمة في محيطه معنى ثابتا لا يتوره مجاز ولا تلميح ولا تعدد ، وإنما يكون لها في الكلمة كما تكون الكلمة لها فيه ، لا يزيد أحدهما على الآخر ولا ينقص . والاصطلاح الفني كالم علم من حيث صلاحيته في المبدأ للإطلاق على أكثر من واحد . فالفاعل في اصطلاح النحوي غير الفاعل في اصطلاح الفيلسوف ، وهما غيرهما في اصطلاح القانون الجنائي ، ولكن لفظ الاصطلاح واحد في هذه الحالات جميعا . بيد أن الاصطلاح الفني يختلف عن اسم العلم من نواح معينة ؛ لأنه لا بد عند استخدامه من مراعاة الاعتبارات الآتية :

- ١ — أن هذا الاصطلاح المستعمل لا يدل إلا على مدلول واحد .
- ٢ — أن دلالة عليه إنما تكون بطريق الحقيقة العرفية لا المجاز .
- ٣ — أن هذه الدلالة لا بد أن تكون جامعة مانعة ؛ لا تحتمل التوسع ولا الحصر

المعاني وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك
الأسماء وهم اصطفوها على تسمية ما لم يكن
له في لغة العرب اسم فصاروا بذلك سلفا
لكل خلف وقدوة لكل تابع ولذلك قالوا :
العرض والجوهر وأيس وليس وفرقوا بين
البطلان والتلاشي وذكروا الهذية والهوية
والمسامية وأشياء ذلك . وكما وضع الخليل
ابن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجل
ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريص
بتلك الألقاب وتلك الأوزان بتلك الأسماء ،
وكما ذكر الطويل والبسيط والمديد والواقف
والكامل وأشياء ذلك وكما ذكر الأوتاد
والأسباب والحرم والزحاف .

فإذا كان صاحب القاموس وصاحب
الصحاح وزهير بن أبي سلمى قد ذكروا
أو حددوا لنا الاستعمال اللغوي للخليقة
والسليقة فإتينا نحاول هنا أن نرسم استخداما
اصطلاحيا لأولاهما ونقتضي في الثانية
استعمالها الاصطلاحي قديما وحديثا ، ثم
نتخلص لأنفسنا منها فهما اصطلاحيا مشتقا
من هذه الاستعمالات ثم نبتدع تقابلا بين
هذين الاصطلاحين يقوم على تخصيص معنى
لكل منهما لا يلتقي مع معنى الآخر بالفهم
العلمي .

فأما الخليقة فسنرتضى لها معنى شيئا بما
في استعمالها اللغوي ، فتقصد بها أن الإنسان

على نحو ما يحدث أحيانا في المفردات
والأساليب غير العلية . أى أن الدلالة
لا بد أن تحدد قبل الاستعمال الفعل .
٤ أن يكون لمعنى الاصطلاح محصورا
حتى يسهل تداوله .

٥ - أن يكون منسجما قدر الطاقة مع
طرق صياغة الكلمات في اللغة التي
يستخدم فيها .

تلك هي الاعتبارات التي لا بد أن تتوافر في
في استخدام الاصطلاح الفني . ولقد رأينا
العرب في تحقيقهم لأول هذه الاعتبارات
وهو ضرورة وحدانية المدلول ينصون في
تحديد كل اصطلاح قبل استعماله على المعنى
اللغوي الذي يستخدم به أولا ، ثم على المعنى
الاصطلاحي الوحيد الذي يساق له . وهم
يشيرون عادة إلى المعنى اللغوي الذي لا يقصد
من الاصطلاح إذا كان الاصطلاح قد خصصت
دلالة بمعنى الفنى بعد أن كان مستعملا
في فسخة الاستعمال اللغوي العام . فهم
يقولون مثلا : الصلة لغة الدعاء ، واصطلاحا
أحوال وأفعال مخصوصة ... الخ

يقول الجاحظ في تبيين الفرق بين
اصطلاحات المتكلمين وألفاظ الخطباء .
« ولأن كبار المتكلمين ورؤساء الناظرين
كانوا فرق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير
من البلقاء : وهم تغيروا تلك الألفاظ لتلك

بطبعه مجبول على استخدام اللغة ، وأنه لا يستطيع أن يحيا في مجتمع إلا بواسطة هذه الأداة الهائلة الخطيرة ، وما كان يستطيع إلا بها أن يخرج من لغة العزلة القائلة التي كان يمكن أن تضرب ستاراً من الصمت والجهل التام حتى بينه وبين أمه وأبيه وصاحبه وبنيه ، وتحول بينه وبين نقل أفكاره إلى الآخرين أو استقبال أفكار هؤلاء الآخرين .

وقديماً لم يجد المناطق تعريفاً للإنسان إلا أنه حيوان ناطق . فجعلوا الناطقية من طبيعته كما جعلوا الحيوانية تماماً . وفي القرآن أن الله تعالى بعد أن خلق آدم عليه السلام عليه الأسماء كلها فأعطاء بذلك ما لم يعط الملائكة الأخيار . ولقد اشتغل الناس منذ بدء المدنية بتأحية الطبع اللغوي في تكوين الإنسان وحاولوا أن يكشفوا بعض مظاهر هذا الطبع اللغوي في تكوين الإنسان وحاولوا أن يكشفوا بعض مظاهر هذا الطبع عن طريق التجارب التي يقومون بها على الأطفال دون سن الكلام .

يرى بلو ميلد في الصفحة الرابعة من كتابه اللغة أن الإغريق كانت لهم ملكة التفكير فيما يقبله الآخرون قبول التسليم وأنهم كانوا يفكرون في أصل اللغة وتاريخها وبنيها . ويقول إن هيرودوت المؤرخ الإغريق أخبرنا في القرن الخامس قبل الميلاد أن أسيانك أحد فراعنة مصر قد أتى بطفلين حديثي الميلاد في عزلة لينظر بعد أن ينطقا ما إذا كانت لغتهما التي يتكلمانها هي هذه اللغة أو تلك . وكان يرى أنه أيما كانت هذه اللغة التي سيتكلمانها فهي لا بد أن تكون أصل اللغات جميعاً لأن هذين الطفلين في ظنه كانا مثالين لنشأة الإنسان الأول فلا بد أن تكون لغتهما لغة هذا الإنسان لهذا السبب . وتذهب الرواية إلى أن هذين الطفلين نطقا أول ما نطقا بإحدى لغات آسيا الصغرى وهي اللغة الفريجية .

ويبدو أن هيرودوت قد جانب الدقة هنا في تحرى الحوادث التاريخية إما لكونه قبل الرواية عند سماعها قبول التسليم دون نظر فيها وإما لأنه أعطاهما لونا من التعصب القومي .

فقد تكون القصة في أصلها ذات جانب من الصحة ولكن الذي أنصروه نتيجة لحدوثها أن ينشأ الطفلان على التمام بطريقة بدائية لا ترقى إلى مستوى لغة من اللغات المعاصرة حينئذ . ولكن هيرودوت قد استبعد المصرية أن تكون أصل اللغات الإنسانية وأحل محلها لغة هندية أوروبية يتكلمها قوم يقعون ولو من الناحية الجغرافية على الأقل في المجال الحسوى الإغريق في ذلك الوقت .

بطبعه مجبول على استخدام اللغة ، وأنه لا يستطيع أن يحيا في مجتمع إلا بواسطة هذه الأداة الهائلة الخطيرة ، وما كان يستطيع إلا بها أن يخرج من لغة العزلة القائلة التي كان يمكن أن تضرب ستاراً من الصمت والجهل التام حتى بينه وبين أمه وأبيه وصاحبه وبنيه ، وتحول بينه وبين نقل أفكاره إلى الآخرين أو استقبال أفكار هؤلاء الآخرين .

وقديماً لم يجد المناطق تعريفاً للإنسان إلا أنه حيوان ناطق . فجعلوا الناطقية من طبيعته كما جعلوا الحيوانية تماماً . وفي القرآن أن الله تعالى بعد أن خلق آدم عليه السلام عليه الأسماء كلها فأعطاء بذلك ما لم يعط الملائكة الأخيار . ولقد اشتغل الناس منذ بدء المدنية بتأحية الطبع اللغوي في تكوين الإنسان وحاولوا أن يكشفوا بعض مظاهر هذا الطبع اللغوي في تكوين الإنسان وحاولوا أن يكشفوا بعض مظاهر هذا الطبع عن طريق التجارب التي يقومون بها على الأطفال دون سن الكلام .

يرى بلو ميلد في الصفحة الرابعة من كتابه اللغة أن الإغريق كانت لهم ملكة التفكير فيما يقبله الآخرون قبول التسليم وأنهم كانوا يفكرون في أصل اللغة وتاريخها وبنيها . ويقول إن هيرودوت المؤرخ

عام لتحليل الغوى ، : وإن عملية اكتساب اللغة سواء أكانت في الطفولة (إذ يكتسب الطفل لغة أسرته) أو في الحياة المتأخرة (حين يتعلم المرء لغة أجنبية) هي عملية واحدة في جوهرها . فلا بد للمرء فيها من أن يكون له منبع للمعلومات ولا بد أن يتعلم المرء كيف يميز عمليات النطق ، ويميد أداها حين يمدد هذا المنبع بها ، ويجب أن يكون المرء قادراً على تحليل عمليات النطق التي يعملها وعلى تقسيمها .

والذي يهنا هنا هو كيفية كسب الطفل اللغة ، لأنها هي العملية التي نستطيع بعد ذلك على أساسها أن نقرر معنى « السليقة » وأن نقابل بينه وبين معنى « الخليقة » . ثم نرى ما إذا كان معنى السليقة يتصل بالطبع أو يتصل بالطبع . والذي يبدو لأول وهلة أن عملية اكتساب اللغة من الناحية النفسية أكثر ما تكون شها بعملية اكتساب العادات . وهذا المعنى يصح أن نصف ما يقوم به المرء من حركات وسكنات أثناء التللفظ بلغة بأنه « عادات لفظية » . ولم يكن ابن فارس مجانباً للصواب حين قال في الصفحة الثلاثين من كتابه « الصاحي » : « تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربي يسمع أبويه وضيروها فهو يأخذ اللغة عنهم وعلى مر الأوقات » .

والذي يهنا من هذه القصة سواء أكانت صادقة أم كاذبة أن هيودوت وحده على أسوأ الفروض أو هو ومعاصريه على أحسنها كانوا يرون أن الطفل الوليد لو ترك وشأنه لأجبرته خليقة الغوية التي في تكوينه على الكلام أيأ كانت لغة هذا الكلام . ومرة أخرى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن علما تخفى على الناس تعلم وإن ابن طفيل لم يجعل حتى ين يقظان يتكلم بحسب وإنما جعل لغته من الغنى والنمو إلى درجة مكته من أن يفكر بها تفكيراً فلسفياً . وبمسن هنا أن نلاحظ كذلك أن ابن طفيل جعل حيا يتكلم العربية .

ثمة إذن ما يمكن أن نسميه من الناحية الاصطلاحية « الخليقة الغوية » ونقصد بهذا تلبس الإنسان بطبيعة الناطقية التي في خلقه وتكوينه ولا نقصد بذلك أنه يتكلم لغة بعينها ، وإنما نقى أن الإنسان وله هذه الخليقة صالح لأن يتكلم أية لغة من لغات هذا الكوكب الذي نمش على سطحه . وإن الذي يحدد له اللغة المعينة التي يتكلمها إنما هو ما يصادفه من ظروف النشأة والاكتساب وهي الظروف التي تتصل بالسليقة لا بالخليقة .

يقول بلوخ وتريمر في كتابهما « تخطيط

الحاجات . وكل هذا الدور الإعدادي في التثنية اللغوية يجرى في البيت بأقل توجيه متعمد من هؤلاء المحيطين بالطفل .

المسألة إذن مسألة تدريب مستمر على فطيق أصوات اللغة وعلى الإحاطة بصيغها وما يكون ضروريا للفرد من مفرداتها وعلى معرفة طرق صياغة جملها المفيدة . وهذا التدريب شديدا بما يقوم به الراغبون في اكتساب العادات . وليس صحيحا أن اللغة العربية في دم العربي تظهر على لسانه ولو ولد في بيئة أجنبية . وليس مقبولا أن اللغة توقيفية من عند الله ، وأن الله تعالى قد أنزل على العرب لغة ذات أصوات معينة وصيغ ومفردات وجمل بعينها ثم أنزل عكس ذلك مفصلا على الفرس وغيره على الترك والروس والهند والإغريق وهلم جرا . وليس مستغنا أن المرء إذا نشأ على الكلام بلغة بقي أمينا على تمثيل هذه اللغة ونطقها برغم المؤثرات الخارجية ، بل إن الأدلة على عكس ذلك قائمة في التاريخ العربي نفسه ، إذ أن نفوذ الموالى الفرس على لغة العرب في صدر الإسلام ونفوذ الترك على لهجات العرب التي يتكلمونها في عصرهم الحديث ثابتان وراء حدود الشك ويدلان على أن الناشئ في لغة ما قد يلحق التعديل ببعض عاداته النطقية إذا دفعه الاستعمال والاختلاط إلى عادات نطقية أخرى تحمل عليها .

وواضح أن عملية اكتساب اللغة هذه تستمر طالما كان الفرد عضوا في جماعة . واكتساب الفرد للغة عملية تدوم ما دامت الحياة : في الطفولة ، وفي المدرسة ، وفي الحياة العملية . يتعلم كل فرد كيف يتصل بزملائه ، فلا يكاد الطفل يبلغ باب الحياة حتى يبدأ في الحصول على لغة الأم . ولأمر ما جعل الله المرأة أكثر من الرجل شغفا بالكلام . وقد يكون هذا الشغف في نفسه خير معوان للطفل في مراحل اكتسابه اللغة ؛ فهو يقتنع منها به فيسمع كثيرا ويشارك ويحاكي ويلاحظ للصواب في الاستعمال . ولو أن العناية بالطفل كانت من نصيب أبيه وهو أميل إلى الصمت من أمه لكانت فرصة المحاكاة عنده أقل ، ومن ثم يقل تقدمه في اكتساب اللغة . ويقول مرنجير : إن النساء والأطفال أشد محافظة من الرجال من وجهة النظر اللغوية . فيما يختص بتطور اللغة .

ويقول لويس في كتاب له ترجمته عنه بعنوان « اللغة في المجتمع » : « وفي خلال سنوات ثلاث أو نحوها يستكمل (أي الطفل) المعرفة بمجموع أصواتها ونظام بنيتها ومفرداتها معرفة كافية لجملة واضحها في التعبير عن حاجاته الملحة ، ولاستجابته استجابة مناسبة لما يطلبه منه الآخرون مما يتصل بهذه

غيرهم من الأمم ، وأن صلة الفرس والسيان والبط والروم والقطب بالعرب صلة لم يأت بها إلا الفتح الإسلامي ؛ ومن ثم ظلت اللغة العربية الفصحى قبل الإسلام مبرأة من نفوذ جاراتها لا تتأثر بهن ولا تؤثر بهن ، وأن العربي قبل الإسلام كان ينطق الفصحى ولا يملك بين شذيقه كلمة أجنبية مهما كانت الظروف ؛ ولكن العربي بعد الإسلام كما يظنون قد ولان جلده ، على حد تعبير أبي عمرو حين قالها لأبي خيرة الأعرابي . وهذا خطأ لا شك فيه . وإن وجود بعض الكلمات ذات الأصل الفارسي أو الرومي في القرآن نفسه دليل على أن هذه الكلمات قد دخلت لغة العرب قبل الإسلام بمدة كافية لتجربتها وشيوعها في الاستعمال حتى استحضت شرف الورد في نص دفين عربي معجز كالقرآن الكريم . ثم هو دليل كذلك على أن التأثير والتأثر عمليتان قديمتان في علاقة اللغات بعضها ببعض ، وأن ما تجر به اللغة العربية الآن من تعرض لنفوذ اللغات الأجنبية عن شرقها وغربها لا يستحق كل هذا الجزع من أحبار اللغة لأنه ظاهرة اجتماعية لغوية تجري بها العربية في الجاهلية والإسلام ولا تزال تجريها حتى اليوم . وهذا دليل أيضا على أن اللحن في صدر الإسلام إن كان قد دفع إلى دراسة اللغة التي ورد بها القرآن فما كان ينبغي أن يتعدى ذلك

وإذا كان صحيحا أن الطفل يكتسب اللغة بالاحتكاك بمن حوله فيتعلم بالمشاركة والمحاكاة فإن المشاركة والمحاكاة تؤثران في الكبير كما تؤثران في الطفل . وإذا كان أثرهما في الطفل ينشئ في إعاقته على مطابقة الاستمالات اللغوية في داخل الأسرة التي هي مجتمعه وعالمه فإن الكبير سيجد في فحة الاختلاط أسرة تشمل المتكلمين باللهجات أو ربما بلغات مختلفة ، ولن تكون المشاركة والمحاكاة هنا عاملين من عوامل المطابقة لحسب . وإنما تكونان كذلك عاملين من عوامل التشعب وعدم التجانس في العادات النطقية للمتكلمين بلهجة واحدة . ومعنى ذلك أن العربي من تميم إذا كان قد رحل إلى مكة فأقام في قريش مدة من الزمان فترجع إلى أهله بعد ذلك وعلى لسانه نطق ما الحجازية في مكان ما التيممية ؛ ولربما أقام بين بني عموته زمنا وهو يخالفهم في هذا الاستعمال حتى يعود لهجته القديمة من جديد . ولو ظمربه راوية أو لغوي في ذلك الوقت لذهب عند سماعه إلى أن بعض بني تميم ينطقون ما الحجازية ، وجعل ذلك من كشوفه اللغوية التي يبني عليها القواعد . ولا شك أن ذلك لو حدث لكان خطأ منهجيا لا يفتقر .

ويظن الكثيرون أن اللغة العربية الفصحى كانت محصورة في شبه الجزيرة وما ناهه في الشمال من إقليمي المناذرة والغساسنة وأن العرب لم يكونوا قبل الإسلام يخاطبون

نحو ما يفعل الغربيون من الاحتجاج بلغة المعاصرين من أهل الأدب من بينهم .
ولكن بعض علماء اللغة العربية يصورون الأمور في صورة ملحمة جبارة يشترك فيها العرب بالأجانب وقد نسبوا للعرب فيها من صدق الطبع في لغتهم ما كان يحصلهم بمجزون حتى من ترديد الكلمة التي أرادوا أن ينطقوها نطقاً مغايراً للصواب .

يقول ابن جني : « أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن أحمد القرميستي عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم سهل ابن محمد السجستاني في كتابه الكبير في القراءات قال : قرأ علي أعرابي بالحصرم . طيبي لم وحسن مآب ، فقلت له طويبي فقال طيبي فأعنت فقلت طويبي فقال طيبي فقلت طوطو قال طيبي . أفلا ترى إلى هذا الأعرابي وأنت تعتقده جافياً كروا لا دمثاً ولا طيعاً كيف نبا طبعه عن ثقل الواو . إلى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ، ولا ثنى طبعه عن القياس الخفة هز ولا تمرين ؟ وما ظنك به إذا خلى مع سومه وتساند إلى سليقته ونجمره . فمنع نرى أن السليقة كما راها ابن جني قد منعت الأعرابي من نطق كلمة في القرآن كما هي ، وإن ابن جني يشيد بهذه السليقة على رغم هذه الحقيقة التي في الخبر . فما هي تلك السليقة المدهشة ؟ وأي نوع من السحر هي ؟

إلى أن يكون دافعاً على تمجيد حالة اللغة العربية التي كانت عليها تمجيداً زاده سوءاً ما جربه العرب في العصر التركي من جهل وانصراف عن البحث العلمي حتى شهدت الأيام الأولى من نهضتنا العلمية أننا ذوى آراء غريبة في اللغة يرون من صالحها أن تظل متحصرة لا تقبل التطور . وقد عادت آراؤهم على دراسة اللغة العربية وعلى هيئة أهل اللغة بأوخم المواقف .

إذن كلن العربي دائماً ولا يزال يتعلم لغة أسرته طفلاً ثم ينمو ويضرب في أرض الله ويتخالط قوماً على غير لهجته أو على غير لغته فيؤثر فيهم ويتأثر بهم ، ثم يعود إلى أهله وقد عدل من عاداته اللغوية فيؤثر فيهم حيناً ويصحح نطقه بصحبهم حيناً آخر .

ولم تكن الموجة التي سموها شيوع اللحن في صدر الإسلام إلا واحدة من هذه الموجات التي التقى العرب فيها بالمتكلمين بلغات أجنبية . وأغلب الظن أن هذه الموجة لو لم تدفع العرب إلى دراسة اللغة في ذلك العصر لكانت العربية التي ندرسها الآن على صورة أخرى أحدث عهداً في التاريخ ولكان من بين مصادر قواعدنا أشعار ينعنون الآن الاحتجاج بها في النحو واللغة . بل ربما صح الاحتجاج بشعر البارودي وحافظ وشوقي وغيرهم من غير ذوى السليقة على

٢ - يقول صاحب الزهر في صفحة ٣٠٩ من الجزء الثاني : « وإعنا مكنت القول في هذا الموضع ليفوى في قسك قوة حس هؤلاء القوم ، وأنهم قد يلاحظون بالمنة والطباع ، ما لا تلاحظه نحن على طول المباحثة والسباح . »
٣ - قدمنا أن صاحب القاموس يقول في مادة (س ل ق) :

« ويتكلم بالسليقة أى عن طبعه لا عن تعلم . »

٤ - يقول ابن فارس في ص ٢٣ من كتابه الصاحي : « وكانت قريش مع فصاحتها وحن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نهمائهم وسلاقتهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب . »
٥ - يقول الأستاذ إبراهيم مصطفى في الصفحة الثانية من إحياء النحر :

« وتألّف الكلمات في كل لغة يجرى على نظام خاص بها لا تكون العبارات مفهومة ولا مصورة لما يراد حتى تجري عليه ولا تزيف عنه . »

والقوانين التي تمثل هذا النظام وتحدده تستقر في نفوس المتكلمين وملكاتهم وعنها يصدر الكلام ؟ فإذا كشفت ووصفت ودونت فهي علم النحر . »

بل في أى قسم تقع من أقسام البطولات . إن العلماء يختلفون في معناها بين الطبع والاكتساب وإن كان القائلون بالطبع فيها كثرة . لقد مر بنا الاقتباس الذي أخذناه من خصائص ابن جنى عن الأعرابي الذي لم يستطع أن يحول الخطأ الذي في طبعه إلى الصواب الذي في طوبى بسبب سليقته . ويمكن أن نضيف إلى ذلك اقتباسات أخرى من كتاب قدماء وعلماء يرون أن السليقة طبع .

١ - قال عمار السكلي :

ماذا لقينا من المستعربين ومن
قياس نحوم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكرا يكون بها
بيت خلاف الذي قالوه أو ذرعوا
قالوا لحن وهذا ليس متعبا

وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرصوا بين عبد الله من حق
وبين زيد فطال للضرب والرجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم
وبين قوم على إصراهم طبعوا
ما كل قول مشروعا لكم فخذوا

ما تعرفون وما لم تعرفوا فعدوا
لأن أرضي أرض لا تشب بها
نار الجوس ولا تنبي بها البيع

أراد أن يكون كلامه صحيحا من الناحية النحوية، ولكنها لم تكن تتطلب من أصحاب السليقة مثل هذا الانتباه لأن هذه الأمور في طبيعتهم. وصاحب القاموس لا يكتفى بإثبات الطبع، وإنما يقوى ذلك بنى التعلم، والمقصود بالتعلم اكتساب اللغة في الصغر أو في الكبر على حد سواء، ولا شك أن الناشئ العربي في كل قبيلة كان كما يقرر ابن فارس يأخذ اللغة نموداً أي تملأ واكتساباً، ولكن ابن فارس لم يحافظ على تقاء رأيه هذا حتى رأياه يصف قريشاً بقوله: «فاجتمع ما تغيروا من تلك اللغات إلى نحائهم وسلاتهم التي طبعوا عليها، وما كان أجدر ابن فارس بالبقاء على الرأي الأول الذي نقله عنه السيوطي وآخرون». وقد رأينا أن أستاذين معاصرين من ذوي البصر باللغة قد انحازا إلى جانب الطبع. فأما الأستاذ إبراهيم مصطفى ففي كلامه عن النظام النحوي لغة رأى أن هذا النظام يستقر في نفوس المتكلمين وملكانهم. وإن كلامه هذا وإن لم يركن صراحة إلى القول بالطبع ليدور في استعمال كلتي الملكة والنفس في أثنائه من الغموض ما لم يمسلى أطمئن اطمئناناً تاماً إلى سلكه في عداد القائلين بالاكْتِسَاب. وإنما نسبت الغموض إلى استعماله الملكة والنفس، لتراوح استعمال هاتين الكلمتين بين دقة الاصطلاح ورخصة

٥ - يقول الدكتور إبراهيم أنيس في ص ٧٤، ٧٥ من اللهجات العربية:

«ولا يعقل أن صاحب السليقة النحوية يخطئ» إلا إذا نطق بلغة عامة يتمسك فيها بقواعد وأصول لا راعي في حياته العادية حين ينطلق على محيته».

نحن نلاحظ أن الشاعر في أول هذه الاقتباسات يرى نفسه مطبوعاً على الإعراب، فهو أراد أن ينطق بما يمارضه لما استطاع إلى ذلك سبيلاً مثله في ذلك مثل الذي جبل على أن يقرض جسمه العرق فهو أرا أو أراده إنسان أن يقرض من مسامه عطرًا لحالت الطبيعة بينه وبين ذلك لأن الطبع يغلب التطبع كما يقولون، فالعربي في رأيه يعرب لأنه عربي لا لأنه اكتسب لغة العرب، وليت هذا كان يعد من مبالغات الشعراء، إذن لكان مقبولا وطريفاً، وكان يمكن أن يصبح مبالغة شعرية لو أن علماء اللغة لم يؤبدوه فيما ذهب إليه.

فالسيوطي يرى أن العرب في كلامهم يلاحظون بالمنة والطبع ما لا تلاحظه نحن بطول المباحثة والسماع، فهم يلاحظون رفع الفاعل ونصب المفعول وإعراب المضارع وبناء الماضي، واتباع الوصف والمطف والتوكيد والبذل وهلم جرا. وتلك أمور تتطلب من متعلم العربية أن يتنبه إليها إذا

الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقى ما يرد عنها . وعلى ذلك العمل في يومنا هذا لآلا لا نكاد نرى بدويا فصيحاً ، ... فالعصاة عند ابن جني عادة لا أكثر ولا أقل . أى أن السليقة عنده اكتساب وتعود ، ولو أنها كانت في نظره طبعاً أوجبة أو نهية كما كانوا يقولون لما جعل ابن جني بين أبواب خصائصه ، باباً في العربي الفصيح ينتقل لسانه . ، والانتقال في نظره إما أن يكون إلى لغة فصيحة أو أخرى فاسدة ، فإذا كان الانتقال إلى لغة فصيحة جرى الاحتجاج بكلامه بها وإن كان إلى لغة فاسدة لم يحتج بكلامه . وإن رأى ابن جني هذا ليعطى الحق لمن تمكن من العربية من أدبائنا المعاصرين أن يحتج بكلامه لأن حكمه حينئذ حكم من انتقل لسانه من القدماء إلى لغة فصيحة .

ولو كانت السليقة طبيعة في العربي ما وجد اللحن سيلاً إلى كلام العرب ولو تعاونت على خلقه عوامل الأرض والسماء . والذي لا جدال فيه أن اللحن كان معروفاً قبل الإسلام وفي وقت ظهوره وأنه كان جائزاً حتى من سادة العرب وأشرافهم . ففي الجزء الأول من الجامع الصحيح للسيوطي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا أعرب العرب ولدتني قریش ونشأت في سعد بن بكر فأني يأتيني اللحن ؟ » وإن نفي اللحن عنه صلى الله

التوسع . فلما لم يتضح لي مقصدهما رأيت أن أضمه بين القتاتين بالطبع وأنبه إلى موقفى منه . وأما الدكتور أنيس فيرى من غير المعقول أن يخطئ صاحب السليقة اللغوية . وإننى بعد أن نشأت على التكلم بلهجة بلدى « الكرنك » وبعد أن بقيت يبلدى هذا حتى الثانية عشرة من عمرى جئت إلى القاهرة فأقمت بها . وكنت أعود إلى الكرنك في فترة معدودة من صيف كل عام تجعلنى أستعيد اللهجة إلى عاداتي النطقية ومع ذلك أجدنى الآن برغم هذا أقف في كلامى وسطاً بين لهجة الكرنك وبين لهجة القاهرة يخطئني المتكلمون بكليهما في بعض الأصوات والتراكيب والتعابير ، فإذا صح أن صاحب السليقة لا يخطئ ، فإني إذن غير صاحب سليقة لا في القاهرة ولا في الكرنك ، إلا إذا قيل بأن لكل امرئ سليقة الخاصة ، وذلك مسألة أخرى على أى حال .

ولقد سبق أن قدمنا اقتباسات تقول إن اللغة تكتسب ، وكانت هذه الاقتباسات لكتاب أمريكيين وبريطانيين وعرب ، ونحب أن نضيف إلى ذلك اقتباساً من خصائص ابن جني إذ يقول في صفحة ٤٠٥ : من الجزء الأول : « وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخيالها وانتقاض عادة

الإنسان هي مرحلة الطفولة ، أى أن تعلم الطفل لغة أمه هو السليقة التى كان العرب يتكلمون عنها ، وإن أخطأ بعضهم بأن نحاً بها منحى الطبع والجبلة . فأما مرد الطبع والجبلة فى اللغة فإلى أن الإنسان بطبعه حيوان ناطق من شأنه ومن طبعه أن يتخذ لنفسه لغة أى لغة فلا يتحتم أن تكون عربية أو فارسية أو هندية أو غير ذلك . وتاحية الطبع هذه هي التى اصطالحنا من أول الأمر على أن نسميها الخليقة . فالخليقة إذن تدفع إلى السليقة ، أى أن طبع الناطقية يدفع إلى اكتساب لغة بعينها . فالخليقة والسليقة معا هما العنصران اللذان تكون منهما شخصية المتكلم . بل إننا لو جعلنا معنى الخليقة ينصرف إلى كل ما يولد المرء به من طبائع واستعدادات وصرفنا معنى السليقة إلى كل ما يكتسبه المرء من بيئته كالعادات والتقاليد والمعلومات لكانت الخليقة والسليقة معا ملاك شخصية الإنسان لا باعتباره متكلماً لحسب وإنما باعتباره فرداً يعيش فى مجتمع . ودراسة الخليقة اللغوية من منهج الاجتماع ولكن دراسة السليقة اللغوية من منهج اللغة ؟

دكتور تمام حسام

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

عليه وسلم ليعنى أن اللحن كان ظاهرة معروفة حينئذ وأن بعض سادة العرب كانوا يلحنون . ولذلك رأى عليه السلام أن ينص على أنه غير هؤلاء الذين يصدر اللحن منهم . ولقد لحن رجل فى حضرته عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم لمن حوله : « أرشدوا أحاكم فقد ضل » . وإن شعراء العربية كانوا موضع اتهام فى الجاهلية والإسلام . فقصه بيت النابغة الذى بدأ فيه الإقواء قصه شهيرة ، وأشهر منها قصة الفرزدق وعبد الله بن أبى إسحق الحضرمى النحوى . ويقول ابن فارس : « وما جمّل الله الشعراء معصومين يرقون الخطأ والغلط ، فما صح من شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية وأصولها فردود . على للشاعر إذا لم يطرد له الذى يريد فى وزن شعره أن يأتى بما يقوم مقامه بسطاً واختصاراً وإبدالاً بعد ألا يكون فيما يأتيه مخطئاً أو لاحقاً » . وكان عبد الملك يقول : « شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن » . وقد عابوا على مالك بن أنس فى غضاظة العامة : « مطرنا الباردة مطراً أى مطراً » . وكان الحجاج يقول ليعبي بن يعمر النحوى : « أترانى ألحن ؟ » .

نخلص من كل ذلك إلى أن السليقة هي اكتساب اللغة فى مرحلة خاصة من حياة

حول قضية المرأة

مسألة العصمة

للأستاذ منصور رجب

مسألة والتي صلى الله عليه وسلم بالحديثة «
فأقبل زوجها : مسافر الغزوى . وقيل :
صيني بن الراهب . فقال : يا محمد : أريد إلى
امرأتى فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا
من أهلك منا . وهذه طية الكتاب لم تجف .
فأنزل الله تبارك وتعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ إِنَّهُ
أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَم
وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا آفَقْنَ وَ...
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ... وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ
وَأَسْأَلُوا مَا أَنتَقَمُوا وَلَيْسَ لَهُنَّ مَا أَنتَقَمُوا...
ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ...
لجاءت هذه الآية الكريمة بيانا لأن الشرط
لأنما كان في الرجال دون النساء . ولأن
اختلاف الدين يقطع العصمة . ويحل العقدة
عقدة النكاح . وعلى ذلك فالعصمة - هنا -
هى عقدة النكاح . أو هى عقد الزواج . .
ولما كان الزواج من شأنه أن يحفظ الإنسان
من الوقوع فى العيش والحفا التى مدلول

الحديث عن مسألة « العصمة » فى قضية
المرأة - هذه القضية التى شغلت العالم من لدن
آدم حتى الساعة . الحديث عنها يثير فى النفس
مسائل كثيرة :

المسألة الأولى : ما هى العصمة ؟ ...

العصمة وردت فى القرآن الكريم بمعنى
الحفظ . يقول الله تبارك وتعالى - فى سورة
المائدة - : « وَاللَّهُ يَعْصِمُكُم مِّنَ النَّاسِ » (١)
- أى يحفظك - ووردت كلمة العصمة أيضا
فى القرآن الكريم بمعنى العقد أو السبب .
فقال تعالى - فى سورة الممتحنة - : « وَلَا تُمْسِكُوا
بِعِصْمِ الْكُوفَرِ » (٢) . الكوافر : جمع كافرة .
والعصم جمع عصمة : وهو ما يمتصم به من
عقد أو سبب . ولتجلية مدلول العصمة
فى هذه الآية الكريمة نذكر سبب نزولها .

كان صلح الحديبية عى : أن من أتى المسلمين
من الكفار رد إليهم ، ومن أتى الكفار
من المسلمين لم يرد . وكتبوا بذلك كتابا
وختموه . لجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلية

هذه الآية الكريمة مع مدلول الآية الأولى .
هذه مسألة .

المسألة الثانية : ما مدلول كلمة العصمة
مضافة إلى المرأة حين نقول : عصمة هذه
المرأة بيدها .

الطلاق في الأصل حق الرجل . فهل إذا
فوض الرجل امرأته في أن تطلق نفسها متى
شاءت . هل يعتبر هذا تنازلاً من الرجل
عن حقه في الطلاق للمرأة ؟

كلا : لا يعتبر تنازلاً بدليل أن له أن يطلق
هو أيضاً متى شاء . وإذا لم يكن تنازلاً فماذا
يكون ؟

إنه : نفويض ، أو تخيير ، أو تسليط ،
ولا يسلب حق الرجل في الطلاق .

المسألة الثالثة : ما سند إعطاء المرأة حق
أن تطلق نفسها متى شاءت ؟

أولاً : سندها الإجماع . . هذا بعد
الزواج . . أما قبله كشرط في العقد . . فقد
انقسم فيها الأئمة إلى قسمين : بعضهم أجاز
وبعضهم منع .

ثانياً : احتجوا لها أيضاً بآية التخيير . .
وهي قوله تبارك وتعالى في سورة الأحزاب :
« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُن تَرْضْنَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْن أُمْتَكِنْنِ وَأَمْرَحِكْنَ
سَرَا حِيَلًا .. وَإِن كُنْتُن تَرْضْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْحَسَنَاتِ مَنكُنْ »

أجراً عظيماً (١) .

ولآية التخيير هذه أيضاً سبب . . فقد
تظاهر نساء النبي صلى الله عليه وسلم . .
تظاهرن عليه يطلبن منه أن يوسع عليهن
في النفقة والزينة . . تظاهرن عليه حتى أثرن
غضبه وموجده عليهن صلوات الله عليه . .
فقد روى مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال :
دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله فوجد
الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم . .
فأذن لأبي بكر . ثم دخل عمر . فاستأذن
فأذن له . . فوجد النبي صلى الله عليه وسلم
جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً . . فقال
أبو بكر : لأقولن شيئاً أضحك النبي صلى الله
عليه وسلم . فقال : يا رسول الله . . لو رأيت
ابنة خارجة - زوجته - سألتني النفقة لقممت
إليها فوجأت حقها - وجأعتني لسكوه بيده . .
أولواه - فضحك رسول الله وقال : « من
حول كما ترى يسألني النفقة . . فقام أبو بكر
إلى عائشة يجأ صفتها . . وقام عمر إلى حفصة
يجأ صفتها . . كلاهما يقول : تسألني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده . فقلن :
واقه لانسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده . .
ثم اعتزلن شهراً . . أو تسماً وعشرين يوماً
ثم نزلت الآية . . فبدأ بعائشة . . فقال :
يا عائشة : إني أريد أن أعرض عليك أمراً

على المرأة - فاقه سبحانه وتعالى يقول -
في سورة النساء: «الرجال قوامون على النساء»
وبحجة أن المرأة مخلوق طامع .. فلو أعطيت
لها العصمة لأسأت استعمالها .

مسألة العصمة هذه ليست أصلاً في التشريع
الإسلامي .. وإنما هي كاستثناء من القاعدة
للضرورة . فالطلاق في الأصل حق الرجل ..
والرجل أن يוכל في حقه .. أو يملك ..
أو يفوض .. على أن إعطاء المرأة حق
أن تطلق نفسها متى شئت فيه تحميل المرأة
مسئولية هدم بيت الزوجية .. وبذلك تقطع
حجتها إذا هي ألبت أهلها على الرجل وآله .
وهذا اللون من الأدب فيه رحمة بالمرأة . وحنان ..

وما أكثر عطف الإسلام على المرأة . فلو قارنا
بينه وبين غيره رأينا أن المرأة لم تنصفها
شريعة كما أنصفتها الإسلام .. فالتبرم بأدابه
وتعاليمه ومبادئه رجوع بالإنسانية إلى الوراء .
فالبرلمان الانجليزي في عصر هنري الثامن
أصدر قراراً يحرم على النساء قراءة الأناجيل ..
فأين هذا من وضع الصحابة المصحف الأول
الذي كتب في عهد أبي بكر رضي الله عنه
عن امرأة هي .. حفصة .. أم المؤمنين
رضي الله عنها

والبرلمان الإسكوتلاندي في القرن السادس
عشر أصدر قراراً بأن المرأة لا يجوز أن تمتنع
سلطة على أي شيء من الأشياء . فأين هذا

أحب ألا تمجلى فيه حتى تستشيرى أبويك ..
قالت : وما هو يا رسول الله .. فتلا عليها
الآية .. قالت : أفيك يا رسول الله أستشير
أبوي ؟ .. بل أختار الله ورسوله والدار
الآخرة .. وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك
بالذي قلت .. فقال صلوات الله عليه :
لا تسألني امرأة ممن إلا أخبرتها .. إن الله
لم يبعثني معتاً ولا منعته .. ولكن بعثني
معلماً مبشراً .. ثم خير من كلهن فاخترن ما هو
خير لهن - اخترن الله ورسوله والدار الآخرة .
يحتاج قوم بآية التحجير هذه على جواز
أن يفوض الرجل امرأته في أن تطلق نفسها
متى شئت .

ويعترض معترض فيقول : إن هذه الآية
ليس فيها تفويض الطلاق .. بل كل الذي فيها
إنما هو التحجير بين المقام معه صلوات الله عليه
وبين أن يفارقه ، فإذا اخترن أن يفارقه
طلقهن رسول الله بنفسه بدليل قوله تعالى :
فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً .

أجيب عن هذا بأنه لما فوض إليهن سبب
الفراق - وهو اختيار الدنيا - جاز أن يفوض
إليهن المسبب الذي هو الفراق . وهذا منطوق
معقول وتخريج مقبول .. وقياس صحيح .

المسألة الرابعة : من الناس من ينكر
أو يشمت من جعل العصمة للمرأة بحجة
أن هذا يناقض مسألة القوامة - قوامة الرجل

نبوغ وخلق . نبوغ ينشأ في سكون العزلة .
وخلق يكون في زحمة الدنيا وغمرات الحياة .
والمرأة في هذه الحياة رسالة كبيرة خطيرة .
إن الإسلام يطلب أن نعرض آدابها وتعاليمه
في سلوكنا . ونسرفاتنا عرضاً يجعلنا ندرك أمة
لها شخصيتها ولها إرادتها وكيانها : أمة أصيلة
لا تابعة . أمة تحيا في آدابها وبآدابها هي .

من محاسن الإسلام أنه لا تعزبه « شيوخه »
ولا أقول « شيوخه » ، غناه وعلمه أمر ثقيل
في النطق وعلى الأذن في كلمة واحدة . أقول
من محاسن الإسلام أنه أوجد لأهله « نوافذ »
ينفذون منها أرواحهم أن تظل مفتوحة .
فالإسلام صالح لكل زمان ومكان . فليس
علينا إلا أن نهل من أصوله لنعيش في زماننا
نحن . وبروح عصرنا نحن . وصدق رسول
الله صلوات الله عليه : « الناس بزمانهم أشبه
منهم بآبائهم » .

إن العصر الذي نعيش فيه ، والعنصرات
التي تحيط بنا إحاطة السوار بالمعصم ...
وإن الرواسب التي خلفها لنا عصر الاستعمار
البغيض كل ذلك يتطلب منا انتفاضة إلى
الاعتصام بتعاليم الإسلام الصحيحة لا بأفهام
الناس فيه ... وكفى .

منصور رجب

الأستاذ في كلية أصول الدين

من إعطاء المرأة في الإسلام حق الملك . .
وحق التصرف في ملكها بما تشاء . وكما تشاء .
وشريعة اليهود تفرص للمرأة مهراً لكنها
لا تملك بالفعل إلا إذا مات زوجها أو طلقت . .
لأنه ليس لها أن تصرف في مالها وهي متزوجة . .
والإسلام يعطيها المهر ملكاً تصرف فيه متى شاءت
وكيفما تشاء . والأحكام الشرعية في الأحوال
الشخصية للإسرائيليين نقول : « المتوفى عنها
زوجها إذا لم يترك أولاداً وكان له شقيق
أو أخ لأبيه عدت زوجته زوجة له شرعاً
ولا تحمل لغيره ما دام حياً إلا إذا تبرأ منها .
فإن هذا « الحبس » من حرية المتوفى عنها
مثل هذا الزوج في أن تزوج بمن تشاء وتقول :
« على الزوجة خدمة زوجها بشخصها خدمة
لا يبينها بها .
والإسلام لا يوجب عليها أن تخدم الرجل
مطلقاً بل يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
« المرأة رجحانة » ، وليست قهرمانة » .

وإذا كان لي من كلمة بعد هذا الاستطراد
الذي جر إليه الحديث عن مسألة على هامش
قضية المرأة فهي أن يتضمنهم الجنسان - الرجل
والمرأة - روح التشريع الإسلامي . . وأن
لا تصدر في تصرفاتنا عن الانانية البغيضة .
فيتق الله الرجال في النساء كما أمر بأن المجتمع
الصالح « محمد صلى الله عليه وسلم » ويتق الله
النساء فيعملن على تنشئة الجيل الذي يحيا .
أو ينبغي أن يحيا كما تكون الحياة . والحياة

الحلاج

منزله الحقيقية ومبادئ الصوفية

للكنوز محمد غزالي

الحلاج أكثر من تسعة مؤلف ، منها خمسمائة باللغة العربية ، وأكثر من مائتين باللغات الأوروبية ، ومائة باللغة الفارسية ، وسبعون بالتركية ، والباقي بالهندية والسريانية والعبرية . وهذا في منتهى العجب خصوصاً وأن أشيع طريقته قد انقرضوا منذ القرن الخامس ، وأن خصومه من معاصريه قد سوغوا تعذيبه وقطعه بمسوخ ديني محدد ، أو على الأقل ألبسوا هذا المسوخ رداء دينياً من شأنه أن يدفع المسلمين إلى إهمال الحلاج والاستهانة به ، بل إلى بغضه ومقتله . ولا ريب أن هذه الظاهرة تحمل الباحث المصري على الاستيقان بأن باب النقاش في هذا الحادث العظيم لم يغلق بعد ، وتدفعه إلى العودة إليه في قوة وعناية ، لعله يعثر بين ثنايا التاريخ على بواحي سياسية أو اجتماعية أو شخصية تكون هي التي دفعت أولئك المغرضين إلى إقرار ما انقروا بإزاه هذه الشخصية العظيمة ، لكي يرضى هذا الباحث خيره من ناحية ، ويبرز الضمير الإسلامي أمام العلماء المحايدين قتيلاً منزهاً عن شوائب

لا توجد شخصية من شخصيات صوفية المسلمين في القرون الأولى للهجرة قد ظفرت من عناية الجماهير واهتمامها بمثل ما ظفرت به شخصية أبي عبد الله الحسين بن منصور الحلاج ، بل إن حياته وآراءه وعباراته وشطحاته قد استهوت ولا تزال حتى الآن تستهوي الجماهير في جميع الأصقاع التي يسود فيها الإسلام ، وأكثر من ذلك أن الكافة في عدد غير يسير من البقاع الإسلامية لا تزال مؤمنة بأن الحلاج من أئمة الأولياء ذوي الكرامات التي لا نزاع فيها ولا شفاء ، وذلك نكراسان والأهواز وما إليهما . وليس هذا لحسب ، بل إن العلماء والباحثين والكتاب والشعراء في مشارق الأرض ومغاربها ، وفي ماضي المصود الإسلامية وحاضرها ، قد اقتنوا بهذه الشخصية العظمى اقتناياً بالغاً ، وألفوا في نواحيها المختلفة مئات الكتب ، وأنشؤا مئات القصائد والمقطوعات بلغاتهم المتباينة ، وأساليهم المتنوعة . فمن ذلك مثلاً ما حدثنا به المستشرق الكبير الأستاذ ماسينيون من أنه قد ألف عن

ونحن ، لكي نسجل هنا نقطة الضمير الإسلامي من جهة ، ونسوخ موقف الباحث المصري المسلم من جهة أخرى ، يجب علينا أن نشير إشارة عابرة إلى أولئك الأعلام الذين جزموا بأن الحلّاج كان على حق ، بل بأنه كان من أتقى صوفية المسلمين وأنقام ، وأنه قتل ظلماً ، وأن الأهواء قد لعبت في قضيته دوراً بارزاً ، وأن من واجب كل مسلم زيه أن يقف في صفه ، وأن يدافع عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ومن أولئك الأعلام الذين أعلنوا مناصرتهم للحلّاج حجة الإسلام الإمام الغزالي وابن خفيف من الأشاعرة وابن عقيل والمروى وعبد القادر الكيلاني من الحنابلة ، وعلى القاربي من الحنفية ونصير الدين الطوسي ، وعبد الدين الشيرازي من المتأخرين ، ونور الله الششتري من الإمامية وغيرهم .

ونحن نعلم علم اليقين أن أولئك الأعلام لا تربطهم بالحلّاج صلات خاصة أو منفعة مشتركة ، وإنما السبب الذي دفعهم إلى مناصرته في وسط تلك الأجواء المكفهرة ، وهاتيك الفن الهرجاء العانية ، هو قصة حياته المؤثرة ، وإعجابهم بنباته وصبره ، وافتانهم بتلك الصور الصادقة التي رسمها له زهاء الكتاب والشعراء من معاصريه ، ودراستهم الدقيقة . وتأملهم الطويل المتعمق في منتجاته وأقواله وأفعاله التي تينوا من خلالها أنها متفعة تمام الاتفاق

الظلم والوهم والتعصب والفسح والسطحية من ناحية أخرى . وهذا هو الذي حدث فعلاً ، فقد تبين للثقفين الزهاء واسمى الأفق أن الحلّاج شخصية قوية قضت عليها بالإعدام سلسلة من الظروف السياسية والدينية التي تمثل ذلك العصر أكثر مما تمثل روح الإسلام الحقيقية ، ومبادئه التأسيسية . ومن آيات ذلك أن إجماع الأمة المشيد على التقوى الخالصة يوشك أن يكون منقداً على أن الحلّاج كان من الأولياء والصديقين ، وأن علماء المسلمين الزهاء الذين لم يخضعوا للأهواء السياسية ، ولم تستعبد لهم الأحقاد الشخصية ، ولم يعصم التعصب عن إدراك الحقيقة ، قد أبدوا هذا الإجماع ، وبذلوا في التدليل عليه جهوداً مقدرة مشكورة . وما لا ينبغي إغفاله أيضاً في هذا الصدد ذلك الأثر الأدبي الباهر الذي امتلأت به الأوساط الشعبية في مختلف البلاد الإسلامية كاشع من آفاق الصفوة الممتازة من شعراء العرب والفرس والهنود والترك الذين اتخذوا من حادثة الحلّاج المؤثرة منبعا صافيا انتهلوا منه أبدع نماذج الجمال والحب إلى حد أن الحلّاج قد برز في قصائد أولئك الشعراء كأروع وأكمل مثال للصوفي المسلم المدله في الحب الإلهي ، والذي قضى عليه بالإعدام لا شيء إلا لأنه عمل بخمرة هذا الحب ، فصاح أثناء هذا التمل قاتلاً : وأنا الحق ،

اعتقاله قد وصلت إلينا في صورة قصص متفرقة: إما عن طريق أصدقائه كإبن خفيف، وأحمد بن فائق، وعلى بن عبد الرحيم القناد، وإما عن طريق خصومه كالديلمي، والقاضي محاسن الطنوخى، ومن إلى أولئك وهؤلاء. ومن ثم فإن تلك القصص المتباينة جاءت ممعنة بالتضارب والتناقض، ولكن أكثر هذه الروايات اعتدالا وتحددا رواية ابنه حمد. ولذا اعتمد عليها الباحثون رغم أنها تحمل في داخلها عناصر الحذر منها؛ لأنها شهادة ابن لآبيه.

أما الأعوام العشرة الأخيرة التي تلت اعتقاله، فقد عرفت معرفة واضحة بسبب تفاصيل القضية وما ورد فيها من تسجيلات رسمية حيناً، وملاحظات خاصة مؤسسة على مشاهدات العيان أحياناً. ومهما يكن من الأمر، فهناك نبذة خاطفة عن هذه الحياة: ولد أبو عبد الله الحسين بن منصور الحلاج في ريشا حوالى سنة ٢٤٤ هجرية. ولما شب تلقى العلم عن سهل بن عبد الله التستري الذى اشتهر في عصره بقوة مبادئه الأخلاقية، فكان لذلك أثر بعيد في تأسيس أخلاق تليذه الناشئ.

وعند ما نقى سهل إلى البصرة تبعه الحلاج ولازمه زمناً. وفي سنة ٢٦٢ هـ ارتحل إلى بغداد حيث تلتذ على عمرو بن عثمان المكي

مع أسهى ما في نظرياتهم الشخصية من حقائق تمثل المبادئ الإسلامية الصحيحة ظاهرها وخفيها أصدق تمثيل. ومن أروع العبارات التي أثرت عن أولئك الأعلام قول إبن خفيف: «إذا لم يكن الحلاج مؤمناً بالله، فليس في العالم مؤمن واحد».

ومهما يكن من الأمر، فإن اتجاهات البحوث الحديثة تكاد تكون مجمعة على أن الحلاج كان نخبية الأهواء والأحقاد وضيق الأنف. وأنه كان بريثامن الأغراض السياسية والثورة الاجتماعية والطمعون الدينية براءة الذنب من دم إبن يعقوب، وأن المصدر الوحيد لكارثته، هو أنه باح بالسر الرباني الذى احتفظ غيره من الصوفية بكتباته لمعاقبه الله على ذلك بأن ساعد عليه أشراو خطفه فرموه بما هو منه براء.

كانت هذه النظرة العاجلة ضرورية لتحديد هذه المنزلة الخاصة التي تفرد بها الحلاج بين صوفية المسلمين والتي شغلت من صفحات التاريخ مكاناً نفسياً بارزاً، ولغز الآن مصرعين بتلك الحياة المائجة بالمعواصف والأحداث، مشيرين من تلك الأحداث إلى ما ساهم في تكوين مذهبه الذى حددته عظاته وتعاليمه العامة تحديداً انتهى إلى تهيئة الفرصة لخصومه باتهامه بالكفر والزندقه على نحو ما سنراه. فير أن حياة الحلاج منذ نشأته إلى تاريخ

والدين كانت نتائج الفيض الإلهي عندهم تنحصر في إعداد المؤمنين لأداء واجبات العبادة على أكمل ما يمكن أن يكون ، والدين كانوا يحذرون أشد الحذر من كل أفعال تقصاني ، ويحددون أتم الجحود قيمة ما يتخيل الإنسان أن قلبه يشعر به ، أو يتصور أن روحه تلح به . وفي هذا يقول المكي والجنيد إن كل ما يحسب القلب أنه يتصل به من : لذة أو بهجة أو نور أو جمال أو كائن أو شبح ليس لله فيه أدنى دخل ولا أقل علاقة .

هذا هو أساس الأزمة الباطنية التي أملت بالحلاج ، إذ أنه لم يكن يستطيع أن يحتمل هذا التصوف السليبي ، لأنه كان يعتقد أن ذلك الخمول المجذب ليس من روح الإسلام في شيء من جهة ، وكان يشعر بانفعالات داخلية ، ويسمع أحاديث باطنية يعتقد أنها آتية من الله من جهة أخرى ، وأن هذه الأحاديث الإلهامية كانت تقدم إليه حلولاً لمعضلات في العبادات ، هي موضع جدل بين أهل السنة وغيرهم من المسلمين ، وأنه كان يقيد هذه الأحاديث الهامة حتى لا ينساها أو يحرفها عن مواضعها . وكما كانت تلك السلبية سبباً في نفور الحلاج من أساتذته ، كانت دعوى الإلهام من جانبه سبباً في نفور أساتذته منه . ومن ذلك ما يحدثنا به القشيري من أن سبب القطيعة بين المكي والحلاج أنه

زهاء ثمانية عشر شهراً ثم تزوج بابتنة أبي يعقوب الأقطع ، سكرتير المكي . ولم يكن الأستاذ ضرورياً من هذا الزواج ؛ لأنه كان يحس بأن ثليله آراء متعارضة مع آرائه . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل لم يلبثا أن اختلفا . وفي سنة ٢٦٤ هـ التقى بالجنيد ، وكان يعرفه من قبل فلتذ عليه وتأثر به تأثراً بالغاً ، بل كان أستاذه الأساسي ، ورائد وجدانه ، وهو الذي أرشده إلى الخلوة ، ومرنه على حياة العزلة ، وأمره بارتداء ثياب الصوف الأبيض التي كانت طابع الصوفية في ذلك الحين . وفي هذه الحقبة اتصل بابن عطاء اتصالاً متيناً الأواصر لم تنفصم عراه حتى الموت . وعلى أثر عودته من مكة في سنة ٢٨٢ هـ قطع علاقته بالجنيد أولاً ، ثم بأكثر أعلام صوفية بغداد بعد ذلك وارتحل إلى تستر فأقام بها ستين عاماً أثناءهما عطاء شديداً ؛ لأن صوفية هذه المدينة كانوا يهاجمونه في صنف ولعل القراء الكرام يتمتعون من هذه القطيعة ويدهشون لذلك الهجوم ، ولكن إذا ظهر السبب بطل العجب كما يقولون . وبيان هذه الأسباب : هو أن الحلاج قد اتخذ أساتذته من بين أعلام المحدثين ، ومشاهير أهل السنة المقتزمين الذين كانت جهودهم مقتصرة على إرجاع جميع الطقوس الإسلامية إلى ظواهر المأثورات النبوية ،

الندم ومزاولة الزهد ، ويتحدث إليها عن الضيائر والوجدانات ، وجعل يكشف لمستعبيه ما يدور بخواطرهم وقلوبهم ، ولذا دعوه بحلاج الأسرار . وينبغي أن نسجل هنا أنه قد بقي على هذه الحالة خمسة أعوام كاملة ارتحل بعدها إلى مكة فأدى شعيرة الحج للمرة الثانية ، وكان ذلك في سنة ٥٢٩١ هـ ثم عاد إلى بغداد فأقامها على ما كانت عليه من التجهم له والحنق عليه ، فارتحل منها إلى خراسان ، وهناك خطرت له فكرة اقتنع بها اقتناعاً قوياً وهي أن يرتحل إلى الأصقاع الوثنية ليهدي أهلها إلى الإسلام ، فأنجحه إلى الهند ثم إلى التركستان ، وتغلغل فيها إلى حدود الصين . وفي هذه البلاد الثانية عرفت قيمته ، ففى الهند كانوا يدعونه بالشفيع ، وفى الصين والتركستان كانوا يسمونه بالمعلم كما كان فريق من أشياعه فى بغداد يطلق عليه اسم المنجذب ، وفريق من أنصاره فى البصرة يلقبه بالمنبر .

ولا يفوتنا أن نسجل هنا أن هذه الرحلة التى قام بها الحلاج إلى البلاد الوثنية كانت طليعة تلك الرحلات الروحية التى وجهها صوفية الإسلام إلى الوثنيين ، فكان لها من النتائج السعيدة فى نشر الإسلام فى تلك الأصقاع أضعاف ما بذله الفاتحون من جهود كما شهد بذلك أعيان المستشرقين الأوربيين والسر

فاجاه وهو يسجل بعض تلك الإلهامات فسأله عما يكتب ، فاجابه الحلاج بأنه يكتب كلاماً يمكن أن يشبه بالقرآن .

أما منشأ قطيعته مع الجنيد فإنه قد وجه إليه سؤالاً عن قيمة الإلهام الباطنى بوصف أنه قاصدة من قواعد التقوى والعبادة ، فرفض الجنيد الإجابة على هذا السؤال ثم أطلق على الحلاج اسم المدعى ، أو رجل المطامع . ومنذ ذلك الحين اشتعل لهيب الحرب بين الحلاج وأكثر أهل الحديث وأعلام الصوفية المتمسكين بالطواهرى ببغداد ، فلما اشتدت هذه الحملة ، لم يسع الحلاج إلا أن يزرع ملابس الصوفية وأن يلقى بها جانباً ، وأن يختلط بأهل الدنيا (على حشد تصوير بعض المؤرخين) لى يرسد إلى مبادئه .

وهكذا قلن بنفسه فى وسط أفكار العصر وثقافته ، فدرس الفلسفة الإغريقية ، ونفذ منطق الأشاعرة واعتنى منطق أرسطو الذى كان يبدو له أكثر مرونة ، وارتبط بالراى الطيب وأبى سعيد الجنائى المصلح الاجتماعى وبعض ذوى السلطان كالأمير الحسين بن على الروضى ، ثم ارتحل على أثر ذلك إلى خراسان والأهواز ، وظل يتنقل فى تلك الأصقاع ، وهو يزاول الحياة التنسكية غير مقيد بشعائرها ولا بمظهرها . وكان إذ ذاك متصلاً بالجمهير التى تحبه وتلتف حوله ، فيعظها بمدوامه

المفارق ، وهذا يبرهنة تبرة تامة من تهمة وحدة الوجود التي رماها بها السطحيون حين أساءوا تفسير عبارة « أنا الحق » ، وإنما كل ما كان الحلاج يؤمن به في هذا الصدد هو أن الله يمثل في أرواح أوليائه ، لا عن طريق الحلول التجزئ ، بل بواسطة فيضه التشرىفي الذي يرفع أرواح الأنبياء إلى المراتب القدسية . وعنده أن أفعال التي في حالة هذا الاتصال ، أي : عين الجمع ، تبقى مسيرة بإرادته الشخصية ، منظمة ومراقبة بفعل عقله الخاص . ومعنى هذا أن ذلك الاتصال لا يهدف إلى هدم شخصية الصوفي ، بل هو يرمي إلى سموها وإكسابها وفوزها بالمساهمة في الفيض الإلهي .

كان الاتصال الإلهي الذي يقع للحلاج أثناء انجذابات وغيبوباته ، يتمثل في مناجاة أليفة ماثية مستمرة بين روحه ومخادتها الأسمى التي تشعر بوجوده في أعماقها دون كيف ولا انحصار ولا تحيز ولا حلول ، وهي تستعمل في تلك المناجاة كلتي : « أنت وأما » وتتقدم إلى يادها بذاتها وبما تحتويه من آلامها وآمالها ورغباتها ونأسفاتها وتندمها وتوبتها ، ولكن ذلك كله في عبارات هفيفة طاهرة نقية مترفة عن مواطن الصلايق الدنيوية إلى أن قيل : إنه لا يوجد صوفي مسلم قد استعمل عبارات أظهر ولا أعف

في هذا النجاح الباهر هو أن أولئك الصوفية كانوا قدوة مثالية في الفضيلة والتقوى والتضحية والفدائية .

عاد الحلاج بعد ذلك إلى مكة فأدى الحج للسرة الثالثة وأقام بها ستين ثم ألقى عصا القيسار أخيراً في بغداد في سنة ٥٢٩٩ . وهنا غير تيار حياته العملية ، فبدأ سلسلة من الامتحانات العامة أخذ رتبها بجلجل في أنحاء بغداد ، وجعل يوجهها إلى السكافة ويعرض فيها مذهبه النهائي . وما هو جدير بالذكر هنا ، بل قد يكون هو الأول من نوعه في البلاد الإسلامية هو أنه كان يؤيد منعه بالخوارق العامة التي كانت حتى عهد مفصورة على الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ومهما يكن من الأمر ، فإن هذا المذهب الذي أصله الحلاج وأيده بتلك الخوارق ، تركز أخيراً فيما كان يدوله أنه هو الغاية الحقيقية للصوفي ، وهو الاتصال بين الله وروح الولي . ومن ثم لم تكن الزهادة الجنيدي السلبية في رأيه سوى إعداد أول لهذه الغاية المثل التي عند ما يصل إليها الصوفي يظفر بحفظ وافر من الفيض الإلهي ، وبالتالي يستطيع دائماً وفي كل شيء أن يعبر عن الإرادة الإلهية ، وأن يكون لسانها الناطق . وما تتعمم الإشارة إليه هنا هو أن الحلاج كان يحرم دائماً بأن الإله هو الموجود الأسمى

هذه القسوة لم تلبث أن تلاشت أمام صبره وتقواه ، فاعتاد هذه الحياة الجديدة ، وكان نموذجاً من نماذج الروح والروحى بالقضاء والقدر وقد دفعت هذه الحطة القلوب إلى الالتفات حوله رغم ذلك الحجاب الصفيق الذى أنامه السجن بينه وبينهم وكان من بين مقدره وعارفى فعله نصر القشورى ، وهو إذ ذاك أحد كبار رجال القصر ، فكان يلقيه بالشيخ الصالح ، وقد شامت الأقدار فى ذلك الحين أن يمرض الخليفة المقتدر والدته وأن يكون برؤهما على يد الحلاج لا عن طريق الأدوية والمقايير ، بل بتلاوة آيات من القرآن الكريم عليهما ، فكان ذلك سبباً فى هودنة اسمه إلى الطوع فألحب هذا الامتياز فلوب خصومه بالحق والحمد ، وكان ذلك فى سنة ٣٠٨ هـ ومن سوء حظ أن الوزير حامداً كان يمتنع نصر القشورى مقناً شديداً وكان خصوم الحلاج يعرفون ذلك فأشعلوا لبيب القضية من جديد ووكلوا أمرها إلى هذا الوزير المغيظ المحقق الذى لا يعرف فى سبيل إرضاء شعوائه السياسية خلقاً ولادينا ، فصمم على قتل الحلاج وسلك لذلك كل الوسائل الممكنة لمحاول أن يظفر من القضاء بفتوى تنص على ادعائه الربوبية فلم يفلح ، فلجأ إلى حيلة تزييف مستندات تشهد بأن الحلاج قال بصحة تأدية فريضة الحج فى المنزل إذا

من عبارات الحلاج ، بل إنه لم يلبجأ قط إلى المفردات التى تستعمل للتعبير عن الحب البشرى . حسبنا اليوم هذه الوقفة الحاططة التى نفقها عند مذهب ذلك الصوفى العظيم آمليين أن تتيح لنا الظروف فرصة العودة إليه فى شيء من التفصيل .

بيد أن هذه العظات العامة التى كان الحلاج يعلن فيها اجتياحه بظفره بالاتصال الإلهى ، لم تلبث أن اصطدمت بسيل من المعارضة فى أوساط الفقهاء والساسة والصوفية حيث أخذوا عليه إنشاء الكرامات والتصريح بالحب المتبادل بين الله والبشر ، ونسبوا إليه التزندق بادعاء الربوبية . وعلى أثر ذلك جعل أعداؤه يحسون سعياً حثيثاً حتى ظفروا بفتوى من الفقيه ابن داود الظاهرى تنص على أن كل تصريحاته باطلة ، وأن الشرع يبيح قتله ، وعندما تم لهم ما أرادوا تقرر اعتقاله ، وقد حاول الفرار ، ولكن رجال الشرطة عثروا عليه فى مدينة سوس فاعتقلوه وأرسلوه إلى بغداد فى سنة ٣٠٩ هـ .

غير أن الوزير ابن عيسى الذى كان مؤمناً معتدلاً ، وتقياً واسع الأفق ، لم يجد حذره سبباً محمداً يثبت زندقته ، وبقتضى قتله ، فاكشف بعقابه وإبقائه فى السجن فظل رهينه ثمانية أعوام وسبعة شهور ، وكان هذا السجن أول الأمر قاسياً على نفسه ، ولكن

أما قصص تعذيبه الشهير المعروف، ولوحة التكيل به فهي كثيرة ، وقد بقيت لنا منها روايات ابنه حمد وابن خفيف ، وابن زنجي كاتب المحكمة ، وشقيق أحمد بن فائق ، وأبي بكر الشيلي ومن إليهم .

على أنه ينبغي لنا قبل مغادرة هذا المرقف أن نعلن أن قصص حياة الخلاج وإتهامه ، وقصته وتعذيبه وموته لم تكشف لنا إلا جانباً محدوداً من جوانبه المتشعبة التي يعتبر من أهمها التغلغل إلى أعماق مذهبه واتبعه في أسسه الرئيسية على ضوء عبارات « أنا الحق ، و « ما في الجنة إلا الله ، وما شاكل ذلك ثم إبانة المنزلة الحقيقية التي شغلها الخلاج في الآفاق الإسلامي فيما يرى المصنف وأهل الحديث وأعلام التصوف الإسلامي وأهلها الباحثين المحدثين الذين صرح أحدهم بأن تاريخ الخلاج لم يبدأ إلا بعد وفاته .

الركنور محمد محبوب

تعذرت تأديتها في الحرم ، ثم عرض هذه النعمة على القاضي أبي جعفر ابن بهلول فأبى أن يفتي بقتله استناداً إلى أن ناقل الرأي الباطل إذا لم يكن يؤمن به ، فلا شيء عليه ، لأن ناقل الكفر ليس بكافر ، وأن صاحب هذا الرأي لا يبدن إلا إذا سئل فأصر على ما نسب إليه واستتيب فلم يتب ، ولكن الوزير المفروض سرعان ما وجد قاضياً آخر وهو أبو عمر بن يوسف الذي لم يتردد في أن يفتي بأن تصريح الخلاج هذا زندقة تستوجب الإعدام وأن الحاكم ليس مكلفاً باستجابة الزنديق .

وقد انتهز الوزير غيبة ذلك القاضي القوي النزيه ، فعرض هذه الفتوى على المحكمة فأقرتها وأصدرت الحكم بالإعدام على هذا الصوفي العظيم . ولم تنجح جهود نصر الفشوري إلا في تأخير التنفيذ بضعة أيام . وأخيراً تم ذلك في ٢٤ ذي القعدة من سنة ٥٣٠٩ .

غنى النفس

قال محمود الوراق :

من كان ذا مال كثير ولم يكن مقلداً فهو المكثر
وفى غنى النفس الغنى الأكبر

صريح النصير

للأستاذ أحمد أحمد شلبي

كأنما كان علينا أن نؤم الخطأ ، ونفنع بالضيق ، ونرضى بالكفاف ، ونقبل الحوان . ما دام آباؤنا قد قبلوه عن إكراه فيجب أن نقبله عن رضا . وما دام آباؤنا قد أجبروا عليه عن قافة فيجب أن نجبر عليه عن غنى . وما دام آباؤنا قد التبس عليهم وجه الحق فيجب علينا أن نؤثر وجه الباطل عن عمد وقصد كأنما كان علينا أن تابع السير ولو عن ضلالة ، ونسط في النوم كأهل الكهف ، ونستلق على ظهورنا إلى الأبد ، لا يصح أن نتحرك إلا بأدب ، ولا ينبغي أن نفتح عيوننا إلا بانكسار ، ولا يحق لنا أن نقول إلا ما يرضى السيد الأمر ويشرح صدر المستعمر وينم عن إحسان وعرفان .

كأنما كان علينا أن نزرع وعيرنا بمحصد ، أن نشق وغيرنا بسعد ، أن نبني وغيرنا بسكن . أن نكد وغيرنا يبنى ثمرة الكفاف . لا يصح للظلم أن يرفع ظلامته إلا إلى الله ، ولا للهموم أن يفتت همومه إلا في صدره ، ولا ينبغي أن نرفع عيوننا إلا بالبكاء ،

أليست هذه القناة لنا ؟ أليست الأرض أرضنا ؟ أليس من حفرها هم آباؤنا وأجدادنا ؟ فما بال الذين لم يدفموا فيها درهما يأخذون منها الملايين ، ما بال الذين لم يبذلوا في سبيلها نقطة من عرق يتحركون في مصيرها ويحكمون ؟ ما بالهم عند ما سمعوا بتأميمها نكاد قلوبهم تميز من الغيظ ، وأفئدتهم تنفطر من الحزن ، وجوانحهم تمزق من اللوعة . كأنما كان علينا أن نظل هكذا : حياة بلا أمل ، وأمل بلا عمل ، وعمل بلا فائدة ، أو فائدة تعود على غيرنا ونحن نتظر ، ونحمل على ظهورنا ونحن تن ، وتساق إلى صلونا ليقتلنا بها . كأنما كان علينا أن نكد .

كالعيس في البسداء يقتلها الظلما والماء فوق ظهورها محمول وزدد في حيرة قول شوقي :
أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس
وتعثر في جهالة :
كالذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها .

ويحتدم وجهه ، فيذل الشعوب ويستعبدها ،
ويغتصب أرزاقها وأفواتها ، ويتركها جثثا
هامدة لا حراك بها .

ولكن نأيم الفناء كن لكمة قوية أصابت
العدو في عقله فأخذ يهذى كمن به مس ويتخبط
كالأعشى ، واختلط غايه أمره ، وفسد عليه
تدبيره ، وأصبح أعجز من أن يرسم الطريق
لنفسه .

وأصابته في صميره ، ففسى العهود والمواثيق
ونسى الواجبات والحقوق ، ونسى المروءة
وأصحاب المروءة ، ونسى الفضل وصاحب
الفضل .

وأصابته في عظمته ففقد كبريائه وفقد
نقته في نفسه ، واستمان بغيره واستجار
بسواه ، لهاجم دولة صغيرة جثم على
صدرها كالكاوس أكثر من ثمانين عاما ،
وأصابته في فلسفته وفي منطقته على حد سواء
فإذا بمكره ودهائه ، وإذا بقوته وجبروته
وإذا باستماره وإذلاله ، وإذا بخبرة العمر
وتجارب الزمن ، إذا كل أولئك كأنها آلات
دمرت نفسها بنفسها وصارت عظمت ...

ونظر العدو فوجد نفسه أمام أمة صغيرة
ولكنها أكبر منه ، أمة لا تزال في المهد
ولكنها أقوى من الشباب ، أمة لم يكد يجلو
عنها عدوها حتى هبت كالعاصفة ، وانطلقت
كالمارد تمسح العار عنها لتلطم به جيئنه ،
وتسترد أموالها في عزة ، لتلب بالحرمان

ولا أن نهد أيدينا إلا باستجداء ، ولا أن
نرفع أصواتنا إلا برجاه وتضرع وخشية .
كأنما كان علينا أن نقبل الظلم على أنه قضاء لا
يرد ، على أنه كتاب لا يأتيه الباطل ، على أنه
دستور له حرمة وله جلاله ، على أنه سنت من سنن
الحياة ، على أنه زمن تولى وذهب والذاهب
لا يعود ، على أنه قضية بدئية لا تقبل الجدل
والشك ، على أنه خير ونعمة وبركة ، ورد
الخير حماة ، وعمط النعمة كفران ، وجسود
البركة جهل ... فإذا استرد صاحب الحق حقه
صار مبطلا لأن حقه بمرور الزمن تحول إلى
باطل ، وإذا قام المظلوم ونفض عن رأسه
غبار الظلم صار ظالما ؛ لأن ظلمهم بتقادم العهد
تحول إلى عدل . وإذا قام صاحب المال فأخذ
المال من سارقه فقد صار سارقا ؛ لأن السرقة
لها في كل زمان تعريف ، وفي كل دولة رسم .
وإذا قام المنفصت بطلب من غاصبه حقه المسلوب
فقد صار غاصبا ، كافرأ بالقيم ؛ لأن انتفاع
الغرب بأرزاقنا قيم ، وامتصاصه لثماتنا دين .
وإذا قامت مصر وأمت قناتها لأنها قناتها ،
ولأن الأرض أرضها ، ولأن أهلها هم الذين
حفروها بأيديهم فقد جلزت الحد وتجرات
على المبادئ وخرجت على القانون ، وتعدت
على اللوائح ، وأسرفت في الظلم ، وأمعنت
في السرقة ، وبالغت في الجريمة وهذا منطق ،
منطق القوى مع الضعيف ، منطق الاستعمار
عندما تنتهز أوداجه ، وتصلب عروقه ،

وفي السكوت ، ويومها يقف الضجيج الهادر في المصانع ، والمدير الزاخر في المتاجر ، والتنافس الصاعد إلى أبواب المجد والمدنية والسيطرة ، ويومها تصبح كلتا الدولتين وهين العجز والضعف والمائة ، ويومها بعد هذا وذاك تصبح كلتا الدولتين غير آمنة في السلم والحرب ، فمن تسلم في السلم من مرارة الانتقام ولن تنجو في الحرب من غضبة الجبار .

وابتدأت المسرحية ووقف الأسد البريطاني يهز ذيله في غرور ، ويميل برأسه في خيلاء ويكثر عن أنيابه في غضب ، وجلس العالم أمام المسرح يراقب باهتمام فصول المسرحية . الأساطيل تتحرك ، هذه ناقلة الجنود وتلك حاملة الطائرات ، هذه تحمل المعدات الثغيلة وتلك تحمل الذخيرة ، هذا قائد القوات البرية وذلك قائد القوات البحرية ، هذه القطع قادمة من لندن وتلك قادمة من باريس ، وهذه الاجتماعات بعضها سرى وبعضها علني ولندن يطير إلى فرنسا ، وجى موليه يطير إلى لندن . وهذه جلسة تضم القيادة العليا في قبرص ، الوزارة الانجليزية تعقد جلسة مستعجلة برئاسة لندن ، والوزارة الفرنسية تنعقد إلى ساعة متأخرة من الليل ، ولكن كل هذه التجمعات كل هذه التحركات ، هذه الحرب الباردة لم تستطع أن تغير من اتجاه الشاب الأحمر ، ولا أن تزحزحه من مكانه . ولا أن تطفى الأقسام التي تتلأل على شفتيه .

جوفه . وتستمرى أوداقها في سعادة لتقطع بالمرارة أحشاءه ، وتبنى سدما العالی في عزم وحمه . في كرامة وعظمة ؛ ليوت في حاة الضلال بغيظه ، وتضيف إلى ميزانيتها كل عام أكثر من خمسين مليوناً من الجنيهات كان بها العدو ينعم ويسعد ، ويشرب ويعطرب ، ويزهو ويحتال .

نظر العدو فوجد كل ذلك يحدث أمامه ، على مرأى منه ومسمع ، فأخذته العزة بالإثم وكبر على حكومة المحافظين أن ترى أسدما البريطاني يتجمد وكأنما أصيب بالشلل ، أمام الفريسة التي كلن بالأسن القريب ينشب أظفاره في لحمها ، وأن ترى شمسا التي كانت لا تغيب عنها وعن بلادها لحظة واحدة تغطيها بحجاب سوداء .

وعز على جى موليه أن يرى تراث نابليون وقد أصبح أطماراً بالية اتسعت خرونها على الزايق ، وكشفت عن هزال شبه ناد أما يكون بالسل ، وأن يرى كل يوم جديد بجى ومعه هم جديد .

وعظم على كلتا الحكومتين أن يتهى حسابها في الفناء إلى هذا الحد ليتحول إلى رصيد عندها في الجزائر أو في عدن أو في عمان أو في البحرين ، وأقضى المضاجع الوثيرة وشتت الرقاد عن العيون الزرق أن يكون هذا أول البعث في أمة العرب ، وأن يفتح تأمين القناة في مصر تأمين البترول في العراق

الحرب الباردة حركة بارعة يقصد بها تجميد القوى وترويع النفوس وإثارة المخاوف ووضع العالم على شفا الهاوية ، فقد تجردت الحرب الباردة من معناها ، فبدد أعضاؤها الوعي الحق ، ووزع ضبابها الفهم الصحيح ، وكسرت حدها الصمود الراسخ ، وأذاب جليدها الصبر والثقة والصلابة والإيمان .

ورأى المسكين أن الشبكة التي ألقاها تلتف حول عنقه ، وأن السهام التي ريشها قد ارتدت إلى نحره ، وأن المدفع الذي صوبه قد استدار إلى صدره ، فركب رأسه والرأس جوح ، وأطاع نفسه والنفس أمارة ، وتبع هواه والهوى أعمى ، وتمنطق بالخماقة والخماقة داء ، ولحق بالشیطان والشیطان مضل ، وحرك ذنبه الأبر فتحرك إلى سيناء ، لتدفع إسرائيل ثمن وجودها ، لتدفع ضريبة بقائها ، لتؤدي رسالتها رسالة الخراب والدمار والقلاقل والفتن ، وتأخذ لقاء كل ذلك ملك سليمان . وأعلنت انجلترا وفرنسا أنهما سيقيمون بعمل بوليسى ، يقف من الفريقين المتخاصمين . من أجل ذلك طيرت إلى مصر آلاف الطائرات فغطت وجه الشمس ، الشمس التي لا تغيب عن بلادها وأبحرت عشرات السفن الحربية فغطت البحار ، البحار التي نحن وراها . وألقت مئات القنابل على الأهالي المزل وهذا هو العمل البوليسى ، وأشعلت

وقالوا نجاهلهم بالتي هي أحسن ، فتحاكروا إلى مجلس الأمن ، ومع أن المجلس مجلسهم ، يدين لهم بالولاء والطاعة ، فإنه لم يستطع أن يشوه وجه الحق ولا أن يزين وجه الباطل ، فردم على أعقابهم .

وقالوا لا يحسنون إدارة الفتنة ومحبوا المرشدين الأجانب ، وألقى في روعهم أننا ستمجروا لا محالة ، وأن العالم من حولنا سوف يضحك علينا ، فإذا بالمصريين يتقدمون ويمهلون بالليل والنهار في مهارة وإتقان ، وإذا بالعالم يصفق لنا .

وجلس العدو بعد هذه الجولة يلتذذ انتقاسه المبهورة ، ويستجمع قواه المتفرقة ويراجع كشف الحساب الذي أعده بنفسه ، وجد المسكين أن الركاثر التي أعدها تميد من تحت ، وأن القواعد التي بناها تنال على رأسه ، وأن الآمال التي كان يفسد منها ناطحات السحاب ذهبت أدراج الرياح ، وبدلاً من أن يكون محب المرشدين وبالأعلى مصر أصبح والخنقة خيرا لها ونعمة ، ثم به تأمين العمل بالقناة وصار المصريون وحدهم هم الذين يملكون أمر المرور فيها ، وبدلاً من أن يكون مجلس الأمن آلة طيعية في يد الغرب ووزرا كهربائيا يضغط عليه في الوقت المناسب ، فقد تحول وجهه نحو الحق واستطاع أن يثبت وجوده وأن يبلغ رشده . وبدلاً من أن تكون

المغرور نفسه : أن القمة سائفة لا تحتاج إلى عناء ، وأن الخلل وحده قد تخلف عن الراعي ، وأن البيت مفتوح ليس عليه حارس ، وأن الطريق معبد ليس فيه صعاب ، وأن مصر من طول ما قاست من ذلة واستعباد أصبح الانحناء فيها عبادة ، وصار الاستسلام فيها طبيعة ، وغدا الهوان في أخلاقها كرامة ، وما هو إلا أن يظل الاستعمار بوجهه من جديد - ومصر لا تطيق فراقه - حتى تتخلص من حال بينها وبينه ، فعدل ظهرها المقوس ، ورفع ظهرها المنكسر ، وعما من قاموسها كلمات النذل والهوان والعجزه وهكذا حدثت الثالوث نفسه ، وهذا آخر ما وصل إليه علم المخبرات والجانوسية .

فكنت - يا بورسعيد الفضة القاتلة والقمة المسمومة ، تساقط الأعداء دونك فكانوا كهشيم الحنظل أو كعصف مأكول ، وكنت - يا بورسعيد - العناية المهداة والرحمة الواسعة ، تجمعت من حولك أمة العرب ، واهتدى بهديك القطيع الضال ، واستيقظ على صوتك ضمير العالم ، وكنت - يا بورسعيد - رمز الكفاح المر والجهاد الحق ، حين وزعت حول العرب أسودك تنفض في غير رحمة ، وطيرت في السماء برائك ترمى بالصواعق والنهب ، ولجرت من تحت أطباق الماء الموت الأحمر حتى عرف العدو

النيران في المساجد والمعابد والمدارس وهذا هو السلام ، وقطعوا المياه عن الشيوخ والأطفال والحجزة وهذه هي الديمقراطية ، وغطوا وجه الأرض بالجنث والأشلاء وهذه هي الإنسانية وهذه هي الرحمة .

ومن بين الهمم المرتفع والدخان الكثيف ، من تحت الأتقاض المنهزمة والأحجار المشتعلة من بين الدماء الفزيرة والعظام المتناثرة ، من دوى المدافع وانفجار القنابل ، ومن كل أولئك تكونت ملاح بورسعيد ، كعنداء تدافع عن شرفها بحرارة ، كقديسة تدافع عن عقيدتها بإيمان ، كأم تفتدى أكبادها بصدق ، كشواظ من نار أحال الصبر إلى رماد ، كبركن تائر يقنف بالودي والحلم ، كما صفة هرجاء تدمر كل شيء بأمر ربها ، كبطل تعرف تاريخها في التاريخ ببسالة ، كأشدوة تهز أعطاف الزمان في غمار كل حين أبدى يتخذ الخلود شعاره ، كحكمة بالغة ، كمظلة ساطعة : أن زمن القوة قد راح ، وأن الحق أمضى سلاح ، وأن جواد العدوان عاثر ، وأن حظ الطغيان غامر ، وعلى الباغي تدور الدوائر .

وفي لنة ونشوة داعبت العيون الزرق أحلام وصور ، وفي منمة وحنان أمالت الشمر الأصفر نيمات رطبة من الآمال والآمان ، وفي ثقة واعتزاز حدثت الثالوث

الأعر ، ويصرع باطلها المغرور ، وتنه
أسطوطها المشكبر ، ثم تمود روحه لتكون
أول لبنة في بناء الوحدة ، وأكبر شاهد
على قومية العرب .

من بين حجاج المدافع وانفجار الألغام
لم أنس صوتك - يا بورسعيد - وهو يدوى
فيهز أركان لندن وباريس وتل أيب ، يتردد
صداه في جوانب الوطن العربي كله متدفقا
مع البترول الذي يسيل على أرض سوريا
بعد تحطيم الأنابيب ، قويا مع دماء الشهداء
في النجف وكربلاء بالعراق على أيدي
الاذئاب ، صادقا مع الشعور الجياش الملتهب
أمام السفارة المصرية في بيروت ، عزيزاً
كبابا الملك العزيز وهو يمنع نزول الطائرات
على أرض ليبيا ، أيا مع النفوس الآية
لعمال العرب وهم بصرون ولو ضاقت بهم
الحياة ، وانقطعت أرزاقهم وربطوا
الأحجار على بطونهم من الجوع .

أليس هذا هو القومية العربية ، وإلا
فما الذي جمع بالعرب ما تفرق ، وألف بهم
ما تنافر ، وقرب بهم ما تباعد ، وزين إليهم
الشهادة ، وحجب إليهم الزهادة ، وجعلهم
إخوانا في الله في السلم والحرب ، في الحياة
والموت ، في السراء والضراء .

ولم أنس في ذمة الأفراح - يا بورسعيد -
أصدقاءنا الذين وقفوا إلى جانبنا ساعة البأس .

إن البيت وبايحميه ، وكنت - يا بورسعيد -
في الطريق الذي ظنوه طريق الملهذات جاءوا
ليقتضوا بين حواشيه الخضر زهرة قصيرة ،
أو قرة سمينة ، أو رحلة ميمونة يعودون
بعدها إلى بلادهم وبأيديهم مفايلد الحكم
في الشرق ، ومفاتيح الأمر في القناة ،
والقول الفصل في العالم . ولكنك كنت
- يا بورسعيد - الطريق إلى النهاية ، النهاية
المؤلة الحزينة ، والألغام التي فصلت الروس
عن الأجسام ، وأحالت الثقة إلى أوهام ،
وردت الحقائق إلى خيبة ، وكنت الصخرة
العائية التي تحطمت عليها آمال الاستعمار ،
وتكسرت سهام الأعداء .

لم أنس - يا بورسعيد - طائراتهم وهي
تساقط كالذباب ثم تصير ماداً ، ولا
أساطيلهم وهي تهرب كالجرذان وقد كانت
تمخر المباب في ثقة وشيم ، ولا أبناءك الفر
الميامين وهم يستقبلون الموت فيستحيل أمامهم
إلى حياة ، ويذلون دماءهم فتتحول هذه
الدماء إلى عظمة ، ويقدمون أرواحهم فتطير
إلى عالم المجد والخلود والتصور . لم أنس
أطفالك - يا بورسعيد - وهم يجاهدون في
الشوارع ، ولا نساءك وهن يقاومن في
البيوت ، ولا شبابك وهم يردون العار في عزم
ونبات . ولا جول جمال وهو يتقدم إلى
فرنسا فيطرح أجماعها بالخزي ، ويذل أنفها

عندهم وجود ، وشباك من حرير ليقع فيها
البله والمساكين ، ويبدك الصغيرة
- يا بورسعيد - انتزعت الأنياب المنهبة
نابا بعد ناب ، والتي كانت تقع من بعيد ،
فيظن العالم أن الليث يتسم .

ورجعت إسرائيل لا بملك سليمان وإنما
بمخفى حنين ، ورجع الأسد البريطاني جز ذيله
ولكن في خيبة وانكسار ، وقد تأكدت
القناة لأهلها ، وزاد عبدالناصر قوة وصلابة
وعاد الجيش الفرنسي يضيف إلى هزائمه في
الجزائر هزيمة تكرار لا ينساها التاريخ ،
ولا يحسوها الزمن .

واليوم تقف وقودهم في استجداء تلح في
الاستغفار وتلحف في الرجاء ، وترف
في الندم . فما رأيك - يا بورسعيد - أتوب
على من تاب ؟

ولكننا لم نقس ، ولن نقس شهداءنا
الأبرار ، ولا أبطالنا الميامين . لن نقس
أخواننا الذين آزرونا ولا أصدقاءنا الذين
وقفوا إلى جوارنا ، ولا العالم كله ، ولن
نقس عدونا يوم حجب عنا السماء بطائراته ،
وغطى وجه الماء بأساطيله ، وألقى فوق
دموسنا آلاف القنابل ، لن نقس ، وليحفظ
الزمن ، وليشهد التاريخ ...

أحمد محمد جيلاني

مبعوث الأزهر في لبنان

لم أنس الإنذار الروسي وقد أصطكت له
أسنان العدو رعباً وفزعاً ، ولا الحشد
الصيني وهو يتدفق على السفارة المصرية
للتطوع ، ولا استفالة مرشوله وهو يقدمها
في جد وحزم احتجاجاً ومخاط ، ولا العالم
كله يوم وقف في هيئة الأمم ليحق الحق
ويبطل الباطل ولم يكن مع أعدائنا وأسفاه
إلا أصواتهم التي لا تكاد تبين .

ووقع الأعداء الثلاثة في حيرة وارتباك :
مصلحهم في بلاد العرب قد توقفت وأصبحت
بالشلل ، وسمتهم أمام العالم قد دمغت
بالعدوان وهم الذين زعموا أنهم قوة من
البوليس ، وهيتهم قد انتهت وأصبحت
دولهم من الدرجة الثالثة أو الرابعة وقد
كانت دولاً عظمى ، ومدينة واحدة ردتهم
على أعقابهم وهم الذين جاموا في نزعة قصيرة
يعودون بعدها وبأيديهم مفاتيح الغيب ،
أو هم الذين جلموا ليحتلوا أرض مصر
في أربع وعشرين ساعة .

وسقطت الأقنعة الرثة البالية فكشفت عن
وجوده كوجوده القرود الخاسئين ، وأذابت
قطرات العرق والحزى والعار ماعلى الوجنات
من مساحيق وأصباغ فبدت كأنها وجوه
الشياطين ، فإذا بالجمال كان صناعيا ، وإذا
بالسلام والحرية والديمقراطية ألوان زائفة ،
وعناوين خادعة ، وألفاظ ليس لمعناها

البابا السابق يعترف بالإسلام

ولكن النية مآلت دون إعلان هذا الاعتراف

للأستاذ محمد عبد الله التمان

جميعا في الإسلام بمراد صدق وقوة ،
ولكن لأن مثل هذا الإعلان كان سيهم
بنصيب كبير في حل مشكلة السلام حلا
سريعا حاسما ، هذه المشكلة التي تقف المطامع
لها بالمرصاد لتزيدها تعقيدا على تعقيدها .

فن جانب : كان من الممكن أن يتحد
العالمان : الإسلام والمسيحي اتحادا صادقا
مند الشيوعية الإلحادية ، التي هي طرف له
خطورته في مشكلة السلام ، وهذا الاتحاد
لن يكون يوما ما صادقا إلا إذا اعترفت
المسيحية بالإسلام كدين سماوي ، كما اعترف
الإسلام من قبل بالمسيحية ديننا سماويا ،
وكل اتحاد لا يقوم على هذا الأساس لن
يكتب له ذرة من النجاح ، والمحاولات التي
تقتضيها ظروف سياسية هي محاولات يشوبها
التناق السياسي في أجلى مظاهره ، ويجعل منها
بناء هش لا يصمد أمام نيات الهواة الوديعه .
إن أتباع كلا هذين الدينين الكبيرين
يعيشون في ظل عقيدتهم ، ولا يمكن لاتحاد
بينهما أن يكون ما دامت العقيدتان تعيشان
إلى اليوم على طرفي نقيض .

ومن جانب آخر : كان من المؤكد بعد

د إن البابا السابق الراحل كان قد ألف
لجنة لدراسة القرآن والدين الإسلامي ورسالة
محمد ، وإن اللجنة رفضت لقداسته تقريرها .
وبعد مراجعة ودراسة طويلة اقترح البابا
السابق بأن رسالة محمد رسالة صحيحة سليمة
من عند الله ، وقرر أن يعلن ذلك ولكن
وافته المنية .

فلما خلفه البابا الحالي وجد البحث ووجد
القرار ... فإذا أعلن ... فسوف يكون
خبر العام الجديد .

هذا هو الخبر الذي نشرته مجلة المصور
القاهرية في عدد ٢٣ ديسمبر الماضي تحت
عنوان : جلسوسيتنا نقول : والمعروف أن
أخبار الجاسوسية في مجلة المصور إنما يحررها
ويحررها بدقة الأستاذ فكرى أباطه رئيس
التحرير ، وهو من الأمثلة الطيبة لكبار
الصحفيين الذين يحترمون رسالتهم الصحفية
ويحافظونها بتميز من النزاهة والصدق
والضمير ...

والذين قرءوا هذا الخبر آلمهم أن المنية
قد وافت البابا السابق قبل أن يعلن رأيه ،
لأنهم كانوا يتوقعون دخول المسيحيين

السياسة الواضحة العادلة التزيية لم تتغل المسيحية في إطار دولها القوية عن أحقادها عند الإسلام وبلاده يوماً واحداً ، وما ذاقه الإسلام وشعوبه على أيدي الاستعمار الصليبي قد سجله التاريخ - ولا زال يسجل - صفحات سوداء هي بريئة من روح المسيحية الخفة ، وإن لم تبرا من العقليات الصليبية المتحجرة .. ونحن لانحاول أن نقرب صفحات الحروب الصليبية السابقة التي استمرت من القرن الحادى عشر إلى الثالث عشر ، والتي كانت الكنيسة مدبرها وقائدها ، وباعت في سبيلها سكوك الغفران للنزج البله لتجمع نفقات حملاتها البربرية باسم الصليب ، وقد اشترك في الحرب الثانية منها جيش من الرهبان مكون من فرقى : الداوية والاسبنارية ، مع أن الرهبان مهمتهم المزوف عن الدنيا بما فيها ومن فيها .

ونحن لانحاول أيضا ، أن نقرب صفحات الحروب الصليبية الحديثة وهي امتداد لروح الحروب الصليبية القديمة ، ولكنها في إهاب آخر اسمه الاستعمار ، الذى انقض ولا زال ينقض على ديار الإسلام بوحشية وجشع ووقاحة ...

ونحن لانحاول ثالثا : أن نقرب صفحات الفكر الصليبي الذى هو تمهيد لهذا الاستعمار الصليبي الحديث ، ولكنه في هذه الحال باسم التبشير ، وهو يمثل خطراً داهما محققا ...

إعلان اعتراف البابا السابق الراحل أن يزول التوتر العقيدى وأثره السياسى بين المسلمين والمسيحيين فى شتى بقاع العالم .

وهذا التوتر بدأ منذ ظهور الإسلام ولا زال إلى اليوم ، ونحن حين نحاول الزم بتلاشى هذا التوتر فكأنما نزم ألا وجود لهذا الوجود فى الحياة .

وقد بدأ بهذا التوتر العالم المسيحى أولا . فالإسلام ظهر فى جزيرة العرب مصترفا بكتلتا اليهودية والمسيحية دبنا كتابيا سماويا مع تحوير فى أصلهما اقتضته ظروف سياسية ، ومع ذلك فقد أعلن حرية العقيدة لاتباعهما فى ظل الإسلام . بعيداً عن جزيرة العرب كنطقة محرمة يجب أن نكون مؤمنة للدين الجديد .

ولم يفكر الإسلام فى غزو الروم التى هى مركز المسيحية حينذاك ، إلا بعد أن تأكد لديه سوء نية الروم وظهرت بوادرها حين أهدت العدة وجمعت الجرح لاختيال دعوة الإسلام وهى فى خضرة العمر ... ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا لم تهادن المسيحية الإسلام يوماً واحداً ، رغم أن الإسلام قد أعلن سياسته واضحة ، وهى تقوم على أساس التسامح مع أهل الكتاب جميعا فى ظل قوله تعالى : « ولا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن » ، والعدل معهم فى ظل قوله تعالى : « ولا يجرمكم شئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ... » ومع هذه

الأمواج الزرقاء الصافية من بحر ناستلق سماتنا
المراسى ؟ أنا ذاهب إلى طرابلس مسروراً
لأن رايتنا المثلثة الألوان تدعوني ، وذلك
الفطر تحت ظلها . .

لا تموتى لآتنا في طريق الحياة ، وإن لم أراجع
فلا تبكى على ولدك . . ولكن اذهبي في كل
مساء وزوري المقبرة ونسائم الأصيل تحمل
إلى طرابلس وداعك الذي يأتي الحساد على قبر
قلعة كبدك ، وإن سألك أحد من عدم حداثك
على فأجيبه :

إنه مات في « محاربة الإسلام . . »
وإليك مثلاً آخر من فرنسا قلب الكاثوليكية
المتعطشة :

فرنسا لم تكن لتقنع بالاستيلاء على شمال
إفريقيا ، ولكن لما هدفا صليبياً أكثر تعمقا
في الصليبية الجشعة ، وهو تصير البربر المغربي
لتضم إلى الكاثوليكية ثمانية ملايين من البربر
المسلمين . .

وإليك مثلاً ثالثاً من الدول الصليبية جماعاً
على اختلاف مذاهبها المسيحية :

فالريف المغربي يشور في وجه أسبانيا
المسيحية ، ويفتك بزهاء ستة وعشرين ألفاً
من جنودها ، واستمرخت أسبانيا النخوة
الصليبية ، فاستجابت فرنسا وحشدت مع
الأسبان ثلاثمائة ألف مقاتل ، وأدركتها
أمريكا بطائراتها المقاتلة ، وتم لهم محاصرة
منطقة الريف البالغ عدد سكانها قرابة ثلاثة

ولكننا لا نجد بداً من أن نؤكد من أن
هناك في كلا الميدانين : الاستعمار الصليبي
والفكر الصليبي ، دافعاً واحداً وهدفاً
واحداً أيضاً . .

أما الدافع فهو العقيدة الصليبية . . وأما
الهدف فهو السيطرة الصليبية على أقطاب
الإسلام . . وإليك مثلاً ولدينا منه الكثير ،
وهو من إيطاليا قلب المسيحية :

فقد غزت إيطاليا ليبيا المسلمة عام ١٩١١م
وليس بين البلدين أية روابط تذكر ، ولا أية
مطامع إلا المطمع الصليبي ، وأنفقت في هذا
العام زهاء مائة مليون جنيه في حملتها على ليبيا ،
وحسبك أن تقرأ معي هذا النشيد الطلياني
الذي رده الشباب الإيطالي خلال الغزو :

« إن من أعظم الآلام لشاب في العشرين
من عمره أن لا يحارب في سبيل وطنه مع درام
القتال في طرابلس ، والراية المثلثة الألوان
والموسيقى الحربية تنبهان النفس المقدماة :

يا أماء . . . أنمي صلاتك ولا تبكى . . بل
اضمكى وتأمل . . ألا تعلمين أن إيطالية تدعوني
وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل
دمي في سبيل سحى الأمة المملونة ولاحارب
الديانة الإسلامية التي تحمير البنات الأبقار
للسلطان .

سأقاتل بكل قوتي لحدو القرآن . . .
ليس بأهل للبعد من لم يحتم إيطاليا حقاً .
يا أماء أنا مسافر . . ألا تعلمين أن على

الدين والحق في بلادنا ، وبدون ذلك لا يمكن أن نحقق شيئا من التقدم .

ولما مثل عن المسلمين في بلاده أجب بكل تبحر .

نم : توجد هناك (أقلية مسلمة) في الجنوب اعتنقت الإسلام بتأثير الأجانب التجار ، وقد وضعنا لها برامج منذ اثني عشر عاما ، فلا يمضي وقت طويل إلا وقد عادت إلى حظيرة دين آباؤها .

ولك أن تعيد إلى مسامعك بعدئذ كلمة القائد الانجليزي اللورد القني في نهاية الحرب العالمية الأولى :

« الآن انتهت الحروب الصليبية ، وكلمة الجنرال الفرنسي غوردن زار قبر صلاح الدين في دمشق : « هاددنا يا صلاح الدين .. » ، وبعد - فقد كنا نود من صميم قلوبنا أن يعلن البابا السابق الراحل اعترافه بالإسلام ، كما لا زلنا نأمل أن يكتب التاريخ الخلود للبابا اللاحق ، ولنا فطعم في أن يسلم العالم المسيحي ، ولكننا فطعم في أن يعيش العالمان الإسلامي والمسيحي في ظل أخوة صادقة ، وتعيش الإنسانية بأسرها في مأمن من الخوف والفرع وأساليب التوترة العقيدى ، والاستعمار الصليبي المتعشش دائما إلى عقائد المسلمين ودمائهم .. »

محمد عبده الله السامح

أرباب المليون : برا وبحر أرجوا ، واستطاعت أن تؤدى جمعية الصليب الأحمر دوراً فعالاً .. أيضاً ..

وهولاندة في إندونيسيا ... يزعم أحد نواب برلمانها غلورا ، أن الجيش الهولاندي استطاع أن ينصر حوالي مليون مسلم من مسلمي جاوة ..

وفي أفريقيا الجنوبية حيث التبشير الصليبي استطاع الاستثمار البلجيكي أن ينصر من الوثنيين أكثر من مليون ونصف ، ولكنه يضيق ذروا بمائة وخمسين ألفا من المسلمين فيعمل فيهم قتيلا وتشريداً ..

ويفرح الدكتور « دوجست دو جلاس » رئيس أساقفة مدينة الكاب في جنوبي إفريقيا ، في سبتمبر الماضي : لأن سياسة الاستعمار الصليبي تقوم على أساس التفرقة العنصرية ، بينما الإسلام يتوغل في قلب القارة الإفريقية بمبادئ العدالة والمساواة ..

وعاتمة الأثافي من امبراطورية إفريقية يرأسها امبراطور صليبي :

في امبراطوريته يمثل المسلمون ثلثي سكانها ، ولكنهم يعيشون في إطار قائم من الرعب والفرع ، وبدون وضع أو هدف ، أما الامبراطور (العظيم) فيصرح في الكونغرس الأمريكى منذ سنوات ويقول متحدثا عن أم أهداه :

« إن أم الأهداب التي نسمي إليها هو توحيد

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

مولد كلفته بأسره :

كنت في بعض لغويات، عرضت لهذا الأسلوب والتفتت له وجهاً بوجهه ؛ إذ كانت التعدية بالحرف ذاعت عند المؤلفين وعلى ألسنة الناس من قديم ، وإن كان الذي جاء في فصيح الكلام ومأثور القول التعدية إلى المفعول الثاني من غير صلة .

وقد كتب إلى الأستاذ إبراهيم عبد المطلب بديوان وزارة التربية والتعليم أن تصحيح هذا الأسلوب يغري الناس به وبذلك لم الاستمسك به ، إذ يوافق ما ألفوه ودرجوا عليه ، وهو يقول : « وأعتقد أن الذي يحدث بعد قراءة مقالكم هذا هو أن الذين يكتبون هذا الفعل متعدياً بغير باء باتوا يتشككون في ذلك ، وأن الذين يكتبونه متعدياً بالباء ازدادوا إصراراً على خطئهم ، بعد أن وجدوا ما يؤيده ويركبه ، وذلك لأن المقال لم يبين مثلاً - كما كنا نود - حقيقة هامة ، وهي أن هذه الأمثلة على تعدية بالباء قليلة وتكاد تكون شاذة ولا يمكن الأخذ بها

شأنها في ذلك شأن كل قاعدة تعدد فيها الآراء ولا تخطو من شواذ هي في حد ذاتها مجرد آراء في أذهان أصحابها .

وإنني لأشكر الأستاذ وأقدر أدبه وفضله وأذكر أن سبيل في الحديث عن الأساليب المنسقة عن الجادة أن أسول تخريجها إذا وجدت لها وجهاً يرضيها ، وهذا لا يعني تسويتها بالأساليب الأصلية في الفصاحة والجودة ؛ فالأسلوب الأصلي أقوم وأسد ، والآتي به هو الذي استمسك بالعروة الوثقى في القول ، وهو الذي لم تزل قدمه فيمن ذل .

وفي مسألتنا هذه لا مزية في أن تعدية « كلف » إلى مفعولين من غير وسط هو أفصح كلاماً وأقوم قِيلاً . وأرد أن يكون هذا المنهج معلوماً عنّي فيما آخذ بسبيله في تصحيح ما جاء منحرفاً عن السنن السوي .

استمرالك على مليء

ذكرت في « لغويات » الجزء الماضي من مجلة الأزهر الغراء أن مليتاً بمعنى علو لم يجي

بالولاء . فأما على . فلا يجري على لغة تسنده ؛
على أنى قد قلت فيه قولاً يمكن به تصحيحه ،
فليرجع إليه من شاء .

وإذا كان الشيء يذكر بالشيء فإن ثعلباً
روى عنه فيما كان يقع فيه من مجازاة العامة
غير ذلك . وفي معجم الأدباء لياقوت
١١٧ / ٥ : قال أحمد بن فارس : كان
أبو العباس ثعلب لا يتكلف الإعراب في
كلامه . كان يدخل المجلس فتقوم له ، فيقول :
اقعدوا ، اقعدوا ، بفتح الألف ، . وجمه
ذكر القصة ، ويفسرهما في المصباح بأنها لم
يحدث من جاء بين الجلد والحم يتحرك
بالتحريك .

النادى والنوادى :

أنكر اليازجى جمع النادى على النوادى .
وهو يقول في لغة الجرائد ٣٧ : « ويقولون :
قد شاع هذا الخبر فى النوادى ، يريدون
جمع النادى . وهو - مع كونه القياس - غير
مستعمل ؛ وإنما يقال فى جمعه : الأندية .
وهو فى الأصل جمع ندى بمعنى النادى ؛
استغنوا عن جمع النادى كما استغنوا بالأحاديث
الذى هو جمع الأحاديث عن جمع الحديث ، ،
وتبع اليازجى الأب أناس الكرملى فى مجلة
لغة العرب (المجلد الرابع ص ١٠) .

وقد اعتمد اليازجى فى هذا القول على أن

فى اللغة ، وقد بان أنه على انحرافه قيم
فى السنة العامة .

فقد جاء فى تهذيب اللغة للأزهري - وهو
لما يطبع - : « وأخبرنى أبو الفضل المنذرى
أنه سأل أبا العباس أحمد بن يحيى عن كتاب
العين ، فقال : ذلك كتاب على غدد . قال :
وهذا كان لفظ أبي العباس ، وحقه عند
النحويين : ملآن غددا . ولكن أبا العباس
كان يخاطب الناس على قدر أفهامهم ، أراد
أن فى كتاب العين حروفا كثيرة أزيلت عن
صورها ومعانيها بالتصغير والتغيير ، فهى
فاسدة كفساد الغدد وضربها أكلها ، .

وأبو العباس أحمد بن يحيى هو الإمام
ثعلب من أئمة الكوفيين فى النحو واللغة
والأدب ؛ توفى سنة ٢٩١ هـ . وكتاب العين
هو أول كتاب فى اللغة ، وينسب إلى الخليل
والمندرى يريد أن ثعلباً لحن فى موضعين :
أن عبر بالملء فى موضع الملائن ، وأن وقف
على المنصوب المتون بالسكون فقال : غدد ،
والوجه أن يقال : غددا ، والأمر الثانى له
وجه صحيح فى العربية فإن الوقف بهذا يعزى
إلى قبيلة ربيعة ، وهى لغة معروفة ، وجاء
منها قول أحنى قبس - وهو من ربيعة - :

إلى المرء قبس ظليل السرى

ونأخذ من كل حى صمم
وكان ثعلب ربيعاً ، إذ كان من بني شيان

القوم لا يضيق بما يحدث فيها من جدل ،
فهو حليم واسع الحيلة . ليس بطريق العطن) .
فقرى في هذا النوادي جمعا للنادي .

على أن لقائل أن يقول : وما تنكر أن
يكون نوادي القوم في بيت مباح يراد بها
حوادث القوم وخطوبهم وما يمن من
شئونهم ، كحالات الديار والمغارم في إصلاح
ذات البين ! ولكن هذا تخريج بعيد ،
والقريب المتبادر أن النوادي في البيت جمع
النادي للجلس .

اللقانة والمهرام :

اللقانة في الريف إناء من الفحار يُعجن
فيه وقد عناني أن أبحث عن مأتى هذه
الكلمة في اللغة . وكان بدا لي من دهر معنى
أن أصلها الإجانة ، وهي إناء يفضل فيه
التياب أو نحسوه ، فنطقوا بالجيم كالتفاف
المعقودة وقربوها من الكاف ، وهي لغة
لبعض أهل اليمن ، ينطقون بها كما تنطق الجيم
الفارسية أو القاهرية في هذه الأيام ، ونقلوا
كسرة الميمزة في إجانة إلى لام التمرير
وحذفوا الميمزة ؛ كما يقال في الإحسان :
الحسان ، وكان الواجب أن يقال بعد هذا :
لجانة أو في ابتداء الكلام : أَلْجَانة ،
ولكن ظن أن الكلمة الأصلية لجانة فأدخلوا
عليها أداة التمرير فقلوا : اللجانة بالجيم
الفارسية ، ويظنها بعض الكتّاب أنها بالتفاف

المعاجم لم تذكر النوادي في جمع النادي .
ويقول في الأساس : « جلس في نادي قومه
وتدبهم وندوتهم ومتداهم . ولم أندية
وأنديات ، قال كثير :

لم أندية بالعمى وبالفضحا

بها ليل يرجو الراغبون نوالها
وناديتهم : « جالستهم » . وظاهر أن
الأندية جمع الأندية ؛ كالأعطيات جمع
الأعطية جمع العطاء ، فهذا من باب جمع
الجمع ؛ كما لا يخفى .

وجاء في اللسان جمع النادي على الأنداء ،
كما يقال : شاهدوا أشهاد .

وكان الذي دعاهم إلى إهمال السوادى
والاستغناء عنه بالأندية جمع الندى أن
النوادي استعملوها في معان أخرى .
فالنوادي : الحوادث ، ونوادي الإبل :
شواردها ، ونوادي النوى : ما تطاير منها
عند رضحها .

على أن هذا الذي قاله اليازجي رد عليه ،
فتناوله الأمير شكيب أرسلان في مجلة المشرق
(سنة ١٨٩٩ ص ١١٦٦) وأثبت أنه جاء
جمع النوادي للنادي في شعر لمعاذ الخزاعي
في أمثال الميداني يقول فيه :

ولست برعيد إذا راح معضل

ولا في نوادي القوم بالضيق المسك
(المسك : الجله . يقول : إنه في مجالس

حتى أصاروه إلى اللقاة ، وليس هذا بعيد من فعلهم .

المختابر :

يطلق في سورية المختار على رئيس القرية ، ويقال له في مصر : العمدة ؛ وكان يقال له في فارس : الدهقان ، وإياه كنى من يقول : إنما الدلفاء يا قوة

أخرجت من كيس دهقان

وقد رأيت جمع المختار في بعض المصحف الممورية على المختابر ، فورد فيها : « مختابر القرى » .

وهذا الجمع تنبؤ به العربية وتنفعو عنه . وذلك أن التاء في المختار زائدة فهي تاء الاقتمال ، فلا تقع بعد ألف الجمع ، وإنما يقع بعدها الميم في الكلمة ؛ ألا ترى أنك تقول في جمع مقامة : مقاوم ، وفي جمع تجربة : تجارب .

والحديث في جمعه يقضى بالبحث في أصله فهو في الأصل اسم مفعول ، وحقه إذ كان كذلك ألا يجمع جمع تكسير بل جمع تصحيح فيقال : المختارون . ولكن المختار لرئيس القرية صار اسما وانسلخ من الوصفية ، فساغ أن يجمع جمع تكسير . وجمعه على هذا : مختابر يذكر الياء فيه التي انقلب ألعا بعد ألف

فيه قولون : اللقاة . ويقرب من هذا التخريج قولهم : الحرام لكساء من الصوف يلتحف به وأصله الإحرام ، وهو الإحرام بالحج أو العمرة ، أطلق على هذا الكساء لما كان يلتحف به عند الإحرام بدلا من القميص المخيط . وسوخ هذا الإطلاق أن الإحرام سبب فيه وحامل عليه ، ولو من إطلاق السبب على المسبب ، وقد قالوا : أجنك يريدون : أمن أجل أنك ، قرى كيف حذف من والهمزة من أجل ، ومن أنك وغيرت الجيم من السكون إلى الكسر . وجاء في اللسان في حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن امرأته سأله أن يكسوها جلبابا ، فقال : إني أخشى أن تدعى جلباب الله الذى كسب بك . فقالت : وما هو ؟ قال : بيتك . قالت : أجنك من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تقول هذا ، وعامة زماننا يقولون : أجنك يريدون : أمن جراء أنك أى من أجل أنك . هذا وإعراب مصر ما زالوا يقولون : هات الحرام . ولا يقولون : الحرام ونطقهم هو الصحيح .

وقد وجدت في اللسان في لقن : « اللقن إعراب لكن : شبه طست من صفر ، يريد أن اللقن معرب وأصله لكن ، وهذا أقرب وأدنى أن يخرج عليه اللقاة فأصلها اللقن وتصرف فيه العامة

الجمع وحذف التاء ، ويجوز أن يقال : هو الجرمي تليين سيويه ، وكان الأصمعي أصاب الفلج والصلب على الجرمي في لفظة لغوية ، فأراد الجرمي أن يثار لنفسه من الأصمعي في النحو ، فجاء يوما في مجلسه وقال له : كيف تحقر مختاراً ؟ فقال الأصمعي : مختير . فقال أبو عمر الجرمي : أخطأت ، إنما هو مختير أو مختير ، تحذف التاء ؛ لأنها زائدة .

الجمع وحذف التاء ، ويجوز أن يقال : مختير بزيادة ياء تعويضاً عن التاء المحذوفة . والقول في تصغير مختار كالقول في تكسيره ؛ إذ كان اليا بان يجران بجرى واحداً . وقد كان تصغير مختار وتكسيره مدرجة للخطأ ، وقع فيه بعض أئمة اللغة ممن لا يمتنى بالقياس وقواعد النحو المستنبطة . وحبك في هذا أن الأصمعي — وهو من هو — وقع^(١) في هذا الخطأ ، استدبره إليه نحوي ماهر

محمد علي الشبار

(١) الظراخيص ٣/٣٠٠ .

الدين كقانون ...!

لابد للناس من قوانين تأس بها شئونهم ، ولأجل أن تحقق القوانين غايتها المقصودة منها ، لا بد أن تقع في نفوسهم موقع العقيدة ، والاحترام والتفديس ؛ فيكون لها بمكانتها في النفوس ، وهيمنتها على الجماعة قوة التفاعل بين ووازع العقيدة ووازع الحكم في التوجيه إلى الطريق السوي الذي يرضى الله ويعلى من شأن الجماعة ، ويعظم المصلحين ، الفاعلين على الأمر ، المهيمنين على القانون .

من كتاب « منهج القرآن في بناء المجتمع »

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ . محمد شلتوت

محمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر للأستاذ سليمان فياض

وكان هذا القرن الذي عاش فيه الخوارزمي هو القرن الثاني لوقوف العرب على علوم الفرس والهنود والإغريق . فخذ منتصف القرن الثامن الميلادي ، وأواخر القرن الثاني الهجري ، بدأ العرب في نقل معارف الفرس والهنود والإغريق العلمية إلى لغتهم ، بعد أن فرغوا من السيطرة على شعوب عديدة متجانسة طوتها الفتوحات العربية تحت راية الإسلام . وكانت عملية النقل والترجمة لمعارف الإغريق والهنود والفرس ، تتم في الأهم الأغلب بواسطة المترجمين غير العرب ، بسبب بصرم بعدة لغات ، بينها اللغة العربية التي ينقلون إليها ، وكانت نتيجة حركة النقل والترجمة هذه ، هي هذا العلم العربي المعجز ، على حد تعبير ساراطون ، الذي أثر إلى حد بعيد ، في تبديد ظلام القرون الوسطى عن الحياة والفكر في أوروبا ، بل وساعد إلى مدى أكثر بعدا في نشوء عصر النهضة الأوروبية الحديثة منذ القرن السادس عشر الميلادي ، وذلك بعد أن توقف العلم الإغريقي عن النمو ، منذ أواخر القرن الرابع الميلادي . بل لقد أثر هذا

بين العلماء العرب ، نجد اسم محمد بن موسى الخوارزمي منقوشا بحروف من نور ، في القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي . وفي هذه الفترة كانت البداية الرائعة ، للنهضة العلمية الأولى للعرب ، وكانت الحياة رابدة خامدة في أوروبا التي كانت تمر بمرحلة معروفة في التاريخ ، باسم العصور الوسطى المظلمة . وفي هذا القرن التاسع لليلاد ، الذي عاصرته حياة محمد بن موسى الخوارزمي ، كانت الخلافة العباسية في أوج مجدها ، وكان نظام الحكم نظاما امبراطوريا كاملا ، على نمط نظام الحكم الامبراطوري ، الذي عرفه فارس ، والهند واليونان ، والرومان ، والصين ، وكانت المرحلة الاجتماعية التي يمر بها العرب ، ويمر بها العالم كله معهم مرحلة إقطاعية ، بكل ما للإقطاع من ملامح وسمات . وهذا يعني في البداية والنهاية ، أن حياة الفكر والمفكرين كانت مشدودة إلى الحكم من خلفاء وأمرأه وولاء ووزراء ، فهم الذين يساعدون العلماء والأدباء بالبلل والتقدير ، ويشجعونهم على البحث والمعرفة والتفرغ للعلم أو الأدب .

ومحمد بن موسى الخوارزمي واحد من هؤلاء العلماء العرب الذين وقفوا على مفارق الزمن ، ليحملوا راية التقدم العلمي من ناحية ويبتعدوا شمعات المعرفة الإنسانية في تلك الحقبة من الزمن من ناحية أخرى . وكان الخوارزمي متمتعا مثل أئداده من العلماء العرب بهذه العقيدة الخاصة والمبدعة في الوقت نفسه .

ولما كان التاريخ القديم والوسيط في العالم يحتفل بتراسم الأدباء والفلاسفة ، أكثر بكثير من اهتمامه بتاريخ العلماء ، لأسباب عديدة لا تغيب عن بال متأمل . فقد ولد الخوارزمي وعاش ومات ، دون أن نعرف من تاريخ العلوم والعلماء شيئا عن ميلاده وموته ، بل دون أن نعرف شيئا يفتي عن حياته ومعيشته . فنحن لا نكاد نعرف عن الخوارزمي الإنسان شيئا يذكر عن أسرته وأساتذته وهلاكاته . فكل ما نعرفه عن الخوارزمي أنه كان من خوارزم (خيوه) ، وأنه كان أحد أبناء نبي موسى الدين لم على العلم أياديضاء . وأنه كان معاصرا للخليفة المأمون وأنه كان منتظما إلى خزنة الحكمة ، في ظل المأمون ومعونه وتشجيعه إياه . ومعنى ذلك ، أن الخوارزمي كان يعيش في القرن التاسع الميلادي الذي حكم المأمون أثناء تلك الأول ما يقرب من عشرين سنة .

العلم العربي المسجل ، في حياة الدول البوذية في شرق آسيا وجنوبها . كانت حركة النقل والترجمة إذن في ذروة وجودها ، بعد أن انقضى عليها ما يقرب من قرن ، وكانت بواكير الإبداع العلمي للعرب قد أخذت في الظهور ، وراحته إرهاباتها القوية تبشر بنهضة علمية عربية ، قدر لها أن تملأ فراغ ثلاثة قرون من الزمان وبرهن العلماء العرب منذ مطلع هذا القرن التاسع الميلادي ، على أنهم ليسوا مجرد نقل لعلوم العالم إلى قومهم ، وليسوا بمجرد دارسين وعالين لهذه العلوم ، فقد راحوا يهضمون هذه العلوم ، ويمثلونها ويعلقون عليها ، ويشرحون غوامضها ، ويقارنون بين نظائرها بل أخطر من ذلك أنهم راحوا يهضمون أشتاتها المتفرقة بين الشرق والغرب ، وهذا العلم وذلك . ويصنعون من أمشاجها المتناثرة هنا وهناك علوما جديدة ، لم تخطر من قبل بيال الإغريق أو الفرس أو الهنود . وهكذا كان وجود عقلية إنسانية ، تستوعب علوم الهنود والفرس والإغريق ، ضرورة تاريخية بالنسبة لتقدم العلوم وتقدم الإنسانية معاً . وقدر الحسب أن يكونوا في التاريخ أصحاب هذه العقلية الضخمة في تلك المرحلة التي وقفت فيها الإنسانية والمعرفة على مفارق الزمن .

الأوروبيين في ذلك العصر . وقد ذكر بعض المتقدمين من مؤرخي العرب ، أن محمد بن موسى الخوارزمي قد اشترك بتكليف من المأمون في قياس درجة من درجات محيط الكرة الأرضية . وهذا ما يعتقد سوتر ، بناء على تحقيقاته الجغرافية . وبين كتب الخوارزمي نجد أن كتاب « الجبر والمقابلة » هو أعظم كتبه على الإطلاق ، وأكثرها تأثيراً وشهرة لاسمه في عصره والمصور التي تلت ، في الشرق وفي الغرب . بل إن الخوارزمي يعد بهذا الكتاب ، الواضع الأول لعلم الجبر .

وبدلنا على مدى تأثير الخوارزمي وشهرته في الشرق ، أن كتابه « الجبر والمقابلة » قد شرحه كل من : سنان بن الفتح ، وعبد الله بن الحسن العدناني ، وأبو الوفا البزجاني . وفي القرن الحادي عشر الميلادي ، نجد أن البيروني ، وهو أيضاً من خوارزم ، له ما لا يقل عن ثلاثة مؤلفات ، كلها شروح لكتب الخوارزمي . ونجد أن عمر بن إبراهيم الخيام ، صاحب الرباعيات المشهور ، قد اقتبس من جبر الخوارزمي . ونجد أن محمد بن الحسين الكرخي قد اعتمد على هذا الكتاب أيضاً في تصنيفه في علم الجبر . أما في القرن العاشر ، فقد كان الرجل العربي الثاني الذي كتب في علم الجبر ، هو : أبو كامل الخوجي بن أسلم ، فله مؤلف مشهور في علم الجبر ، اعترف فيه بأنه

ولكن محمد بن موسى الخوارزمي ، العالم نعرف عنه ، وعن آثاره العلمية ، وعن تأثيره العلمي في الشرق والغرب شيئاً كثيراً . لها هو ابن النديم يذكر في الفهرست (ص ٨٤ مطب القاهرة) : « وله من الكتب : كتاب الفرج نسختان أول وثانية ، وكتاب الزخامة ، وكتاب العمل بالإسطرلابات ، وكتاب عمل الإسطرلاب ، وكتاب التاريخ » .

ولكن ابن النديم لم يذكر لنا أربعة كتب أخرى ألفها الخوارزمي ، وقدرها أن تصل إلى أيدينا ، بين مترجمة إلى اللاتينية أو بنصها العربي . وهذه الكتب هي : الحساب ، والجبر والمقابلة ، وتقويم البلدان ، وكتاب آخر جمع فيه الخوارزمي بين الحساب والهندسة والموسيقى والفلك .

وإن محمد بن موسى الخوارزمي يعتبر بهذه الكتب : مؤرخاً بكتابه في التاريخ ، وجغرافياً بكتابه في تقويم البلدان ، وفلكياً بكتبه الفلكية ، ورياضياً بكتبه الرياضية . وفي رسالة البستشرقي الإيطالي « نلينو » يقول عن كتاب الخوارزمي « تقويم البلدان » وشرحه فيه لآراء بطليموس : « إن عمل الخوارزمي ليس مجرد تقليد للآراء الإغريقية ، بل هو بحث جديد مستقل في علم الجغرافيا ، يمتاز امتيازاً ظاهراً عن كتابات المؤلفين

والأرقام هي « جوارزمو » . وعن طريق الخوارزمي هذا ، تعلم الفرييون علم الحساب حتى القرن السادس عشر الميلادي عن طريق كتب أوربية ، بنيت على كتابه في الحساب وبين هذه الكتب كتاب لإسكندر حي فيلادي في القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد نظم كتابه ذلك في أبيات من الشعر . على نمط ألفية ابن مالك . وكتاب لساكر وبوسكو في القرن الثالث عشر أيضا وذلك بعد أن ترجم كتاب الخوارزمي في الحساب إلى اللاتينية . ومن بين كتب الخوارزمي التي ترجمت إلى اللاتينية ، كتاب الزيج (وهو عبارة عن جداول رياضية) ، وقد ترجمه إديلارد البريطاني في القرن الثاني عشر الميلادي وعلق عليه عالم داتمركي ونشره في كوبنهاجن في مطالع القرن العشرين .

ونعود إلى المسألة التي تدور حول الخوارزمي ، كعالم رياضي مبدع ، ابتكر الجبر كعلم ، لأول مرة في التاريخ . فابن خلدون يذكر أن الخوارزمي هو أول من كتب في علم الجبر ، والقزويني المعاصر للقفطي ، يذكر أن الخوارزمي هو أول من ترجم هذا العلم للسليين . وبين هذين المؤرخين ، كما قلنا تعارض يضعنا أمام هذا السؤال : هل كان الخوارزمي هو الواضع الأول لعلم الجبر ، أم دور الخوارزمي في تعريفه للعرب بهذا

اقتبس من جبر الخوارزمي ، وأشار إليه دائما كمرجع لعله . وقد ذكر زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، أن « الخوارزمي هو أول من ترجم علم الجبر للسليين . بينما ذكر ابن خلدون في مقدمته التي كتبها في القرن الرابع عشر الميلادي أن « الخوارزمي هو أول من كتب في علم الجبر » . وبين النصين كما نرى تعارض واضح ، لا يخفى على أحد . فثمرة النص الأول تعني أن الخوارزمي لم يضع علم الجبر ، وأن علم الجبر كان معروفا لدى السابقين من غير العرب ، وأن دور الخوارزمي في معرفة العرب به ، لا يجاوز أن يكون دور الناقل أو المترجم ، ولا يرقى إلى درجة الوضع والتأليف . وثمره النص الثاني ، تعني أن الخوارزمي هو الواضع الأول لعلم الجبر في العالم كله . وهو تعارض له قيمته التاريخية التي سنقوم ببحثها بعد قليل . .

وبدلنا على مدى تأثير الخوارزمي وشهرته في الغرب ، أن اسم الخوارزمي قد أصبح كلمة دخلت معاجم أكثر لغات أوروبا ، بل وأصبحت هذه الكلمة تدل في الاصطلاح اللغوي على الطريقة الوضعية في حل المسائل فنحن نجد أيضا أن اسم علم الجبر في جميع اللغات الإفرنجية مشتق من كلمة « الجبر » العربية ، التي استخدمها الخوارزمي ، ونجد أن الكلمة الأسبانية التي تعني الأعداد

ولكن الأبحاث المعديفة في تاريخ الرياضة عند الإغريق والهنود ، لم تتح لمؤرخ فرصة العثور على كتاب واحد يشبه كتاب الخوارزمي ، الجبر والمقابلة . ثم إن الجبر كعلم له أصوله وأساسه وقواعده وقوانينه ، لم يكن معروفا عند الإغريق ولا عند الهنود ، بل كان الجبر مسائل رياضية متفرقة بين علم الحساب الهندي وعلم الهندسة الإغريقية ، وقد جعله الخوارزمي علما بعد أن جمع هذه المسائل وقدمها وقتها وجعل منها علما جديدا ، عن الهندسة والحساب ، علما آخر يقوم على أساس الجمع بين الفكرة الهندسية والفكرة العددية . وإذن ففكرية الخوارزمي العلية ، تتجلى في جمع شتات هذه المسائل وصياغتها في صورة علم منسق موحد ، وإذن فإن دور الخوارزمي في هذا العلم لا يمكن أن يكون هو دور المترجم ، بل دور الواضع المؤلف . ومن الطبيعي أن علما ما لا يمكن ابتكاره من العدم ، ولا يمكن أن يأتي ثمرة لجهد مصطنع وتدريب عقل متعزل .

و « نيوتن » مثلا ، وضع علم حركة الأجسام « الديناميكا » من أشنات موزعة ، وقد كانت معظم معلومات هذا العلم معروفة في زمان نيوتن وقبل أهل زمانه ، وكان دور نيوتن في هذا العلم كدور الخوارزمي في علم الجبر ، فالخوارزمي بلا شك يعتبر واضعا لعلم

العلم ، لا يجاوز حدود المترجم الأمين ؟ ... لا مفر إذن من الرجوع إلى التاريخ الخاص لعلم الرياضة ، لتحديد الإجابة على هذا السؤال . وهي إجابة يمررها لنا الدكتور على مصطفي مشرق حين يتحدث عن الخوارزمي وصلته بعلم الجبر .

من المعروف أن الحساب علم هندي ، وأن الهندسة علم لإغريق ، ومن المعروف أيضا أن العقلية الهندية كانت عقيمة في الهندسة ، بقدر ما كانت العقلية الإغريقية عقيمة في علم الحساب ، إلى درجة أن الإغريق كانوا يرمزون للأعداد من واحد إلى تسعة بالحروف الأبجدية . ومن المعروف أن حل المعادلات الجبرية يرجع إلى ما قبل الميلاد بألفي سنة ، أي إلى ما قبل الإغريق في مصر ثم بابل . ومن المعروف أن قاعدة حل معادلات الدرجة الثانية كانت معروفة عند الإغريق والهنود . وإذن فإن مسائل علم الجبر ، كانت معروفة لدى الإغريق والهنود بل ولدى المصريين والبابليين والصينيين ، ولما كان الخوارزمي على علم بالحساب الهندي وألف فيه ، وعلى علم بالهندسة الإغريقية وألف فيها ، فعنى ذلك ، أن الخوارزمي كان على علم بمسائل الجبر لدى الإغريق والهنود وهذا ما يؤكد أن الخوارزمي لم يأت كما يقول القزويني ، في الرياضة بمجديد ، وأن دوره لا يبدو أن يكون دور المترجم الأمين .

المؤرخ، الجغرافي ورياضيا من الدرجة الأولى، فاستحق بذلك لقب عالم، كما استحقه نيوتن بعده بقرون. وكان الخوارزمي في ما كتبه وألفه، كل هؤلاء الرجال الثلاثة الذين تحدث عنهم في مقدمة كتابه «الجبر والمقابلة» : «... إما رجل سبق إلى ما لم يكن مستخرجا قبله فوره من بعده. وإما رجل شرح عما أتى الأولون ما كان مستغلقا فأوضح طريقته، ومهلل مسلكه، وقرب مأخذه. وإما رجل وجد في بعض الكتب خلافا لم شمه، وأقام أوده، وأحسن الظن بصاحبه، غير راد عليه، ولا مفتخر بذلك من فعل نفسه،... فالخوارزمي كان الرجل الأول في ما أبدعه في كتابه الجبر والمقابلة، وكان الرجل الثاني بما فعله في الحساب والهندسة، وكان الرجل الثالث بما فعله في تقويم البلدان من شرح لآراء بطليموس الإغريقي.

سليمانه فياض

الجبر، بقدر ما يكون نيوتن واضعا لعلم حركة الأجسام، وكان كلاهما بهذا العمل، عالما عبقريا، وهل كانت العبقرية العلمية سوى قدرة على التجميع والتعريق، والتمييز والاختيار، والربط والتصنيف ؟

كان ضروريا إذن، أن توجد الهندسة الإغريقية، والحساب الهندي، لكي ينشأ علم الجبر. وكان ضروريا أن توجد بذور علم الجبر في هندسة الإغريق، وحساب الهنود لكي يتحول إلى علم. ولما عرف العرب أرقام الهند، وهندسة الإغريق، وامتزج الملمان في العقيدة العربية، أصبح من الممكن لعبقري عربي من طراز الخوارزمي أن يضع علم الجبر لأول مرة في تاريخ العلوم.

وإلى كتاب الخوارزمي «الجبر والمقابلة» يرجع الفضل الأول في انتشار هذا العلم في الشرق والغرب، وفي تقدم العلوم الرياضية على مر القرون.

وهكذا كان الخوارزمي العالم الفلكي،

من المبادئ التي ميزت الإسلام التوحيد وهو سبيل القوة، والإخاء وهو سبيل التعاون، والمساواة وهي سبيل العدل، والحرية وهي سبيل الكرامة، والبر وهو سبيل المحبة، والسلام وهو سبيل الرخاء... ١.

العالم الروحي في تفتير الإسلام

للشيخ عباس طه

حترم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك فصل الآيات لقوم يعقلون ، . فالإسلام في مدلوله ورامي به يحض على تطوير الأجسام تطويراً يحتمل مجاهدة النفس ومجاهدة العقل ومجاهدة الشدائد في أوسع معانيها وفي الحديث الشريف « إن لنفسك عليك حقاً ، وإن لبدنك عليك حقاً ، أما الذي يعرف عن الأديان الأخرى أنها تهدر العناية بالجسد في جانب السوء بالروح ولكل منها في ذلك أسلوب خاص اشتهرت به في هذا العهد .

فالبراهمة والبوذيون في الهند يرهقون أنفسهم عسراً ويسومونها التكاليف والرياضات المضنية كسرا لطفيان الجسم ومناهضة لسلطانة نذرعاً للوصول إلى السمو الروحي ، ويروي عن غاصتهم في هذا المجال من ضرور التعذيب التي يمارسون بها أجسادهم طموحاً إلى هذه المنزلة فهم من يحملون وينامون على أسنة مشرعة من المسامير ينضدونها متقاربة من أسفل آسرتهم لتلاصق

نريد أن نوازن في هذا البحث بين ما سلكه الإسلام في مقومات الجسد وإشباع غرائزه في حدود مثالية ليكون له هوناً على السمو الروحي الذي يرتفع إلى عالم الملكوت الأعلى في بعض الأحايين - فالجوع والحرمان والمرى استهدافاً للنسبة أولاً ثم السمو بالروح إلى منزلتها العليا ثانياً ليس من خصائص الإسلام ومميزاته - بل من سمات الإسلام الظاهرة أن يمارس المسلم مزاياء بناء الجسد وتطويره تطويراً يواكب التدرج الروحي في حدود ما أمراه به أن يفعل وتلك أول خصائص الإسلام وأفضاله وأسراره ومقدراته .

فقد كُفِيَ الإسلام بالمقومات الجثمانية عنايته بالمقومات الروحية والعقلية وهذه ميزة لم يشاركه فيها دين من الأديان المنتشرة بين جماعات البشر اليوم ، على معنى أن الإسلام قد كُفِيَ ببناء الجسد ليكون هذا الجسد محوراً تدور عليه التصرفات الروحية المنبثقة من الروح التي هي المدبرة المسخرة الآمرة لهذا الجسد يقول الله جل علاه : « قل من

المعروفة بالعدل بين مطالب الروح ومطالب الجسد فهو يحض على المتع المادية والملاذات الجسدية ما دام تناولها من طريقها المشروع وفي حدها المعتدل .

لم يقم الإسلام على هذا الصراط السوى بين الروح والجسد ذهاباً إلى أنهما سواء في الدرجة أو أن الحياة الدنيا تساوى الحياة الآخرة . لا ولكن لأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الدين العام الخالد مبنيًا على قواعد العلم ونواميس الطبيعة . وقد قرر العلم أن العقل السليم لا يكون إلا في الجسم السليم ، وأن السمو الروحاني لا يتأتى من حرمان الجسد من حاجاته ، ولكن من توفية تلك الحاجات في دائرة الاعتدال . وأن ذلك السمو ليس في أن يعيش الإنسان حياة سلبية لا أثر لها في الخارج ، ولكن في أن يعيش حياة إيجابية تستفيد من الوجود علماً وحكمة ، وتفيضهما على من يجاورها من المزاملين لها في الحياة .

فم إن السمو الروحاني لا ينال بحرمان الجسد من حاجاته فإن قصارى من يسلك هذه الطريقة أن ينفق السنين الطوال في ترويض نفسه على الإقلال ذائداً إياها عن التطلع للتع المادية بأدلا في هذا السيل جميع ما أوقى من مذخور معنوى ثم يخرج من هذا الكفاح المضني غير حاصل إلا على

أطرافها المحددة أبذاتهم ومنهم من يقللون من طعامهم وشرابهم حتى يصيروا كالمهاكل العظمية هزالاً ونحولاً .

أما الإسرائيليون فإن في دياتهم إرهاقات جسدية لا يتحملها إلا الأنقياء منهم ، وكانت صبياً في خسروج السكرة من إسرائيل أوربا عن تقاليدهم في مسألة السبت والثثون الغذائية واتباعهم مايجرى عليه الناس هنالك . ونظراً لفداحة التكاليف الجسدية في الديانة اليهودية وعجز أكثر الناس عن القيام بأدائها قد كلف كل رباني يتقدم إليه رجل طالبا الدخول في هذه الملة أن يحاول رده عن قصده حتى لا يرتد بعد شهوده ، يقول المسير جوليان ويل حاخام باريس في كتابه عن « الديانة الإسرائيلية » - يجب على كل رباني أن يرد كل طالب الدخول في عهد إبراهيم ثلاث مرات لاقتا نظره إلى الصعوبات التي سيصادفها والتكاليف الشاقة التي سيتحملها والاضطرابات التي سيتعرض لها . فإذا أصر على طلبه وتحقق الرباني بأن النواهي التي تدعوه للتهود سليمة أمكنه أن يقبله في حظيرة البيعة . أما المسيحية فإنها وإن كانت لا تبلغ شأو اليهودية في التكاليف الشاقة فهي بنصر كتابها وشروح علمائها ديانة زهد وتقتشف وتخلص من علاقات الدنيا واعتداد بالروح دون الجسد . أما الإسلام فقد امتاز عن جميع الأديان

من الناس تألفت في أبعد بلاد افة عن الاجتماع وسياسة الشعوب تستوى فضائلها مائة مليون من الشر في مدى قرن واحد بدون دعوة غير السمات الصالح والمظهر الفائق ؟

أليس ما نقوله هو ما نطق به الحوادث وقرره التاريخ وشهد به حق الأجانب ؟

فالإسلام قدس بأصوله ومبادئه إلى إحداث مثل هذا الحدث الضخم في العالم وما كان ليتأتى ذلك جرياً على مبادئ رياضية سلبية تجرد النفس من أشرف نزعاتها الإيجابية ونميت فيها أكرم غرائزها الفطرية وتضعف منها أقوى عواملها المعنوية . فما خلق الله في الإنسان هذه القوى الفريزية صفاً أو لتتوسع رياضتها وقمها حياة الإنسان كلها ثم لانكون ثمرة هذا الجهاد كله في أمة أو أمم برمتها إلا أن نصبح كالموميات المصبرة أو كالأشباح التي لا حياة فيها ، ولكنه خلق الإنسان على هذه الصورة من تباين القوى وتنوع الغرائز وتخالف الميول ليصل بامتلاك ناصبتها وتصريفها فيما خلقت له إلى مكانه من السمو وعدالة التصرف بحيث يصلح أن يكون خليفة الله في أرضه .

الذي يراه الناس اليوم أن الجماعات البشرية قسمان : قسم على المبادئ السلبية وهي لا تفرق عن قطمان المشاية في أيدي الأمم المتغلبة وقسم على الأصول الإيجابية وهي قد حصلت

ميزة واحدة وهي ضبط النفس عما سوى الضروري من مقومات الحياة ولكن لا يكون حاصله على السمو الروحي الذي يجد وراءه أهل الطموح العالي وهو أن يكونوا مالمكين لقياد أنفسهم بصرفونها فيما يجب من الأعمال ومؤثرين فيما حولهم بوجهونهم إلى حيث كرامة الحياة وشرف الوجود .

فالإسلام قصد من الدين أن يكون دستوراً عملياً لا خيالياً وميماً وأن تكون ثمرة إنشاء أمة تكون مثلاً أعلا للآمم في حاية بيطتها والزيادة عن كرامتها والجري على أكرم أصول العدالة وأشرف مبادئ الاجتماع لتصل إلى أبعد شأن من المدنية الفاضلة وينصرف آحادها إلى تحقيق مراد الله من تكميل الخليفة لا تصدم عنه عاطرة من شهوة ولا بادة من هوى ولا ساذجة من وهن .

فإن الأمة الإسلامية في صدر الإسلام كانت مثلاً حياً لما تقول . ألم تألف على أكرم المبادئ وأشرف الأصول طلباً للحق في ذاته لالدنيا نصيباً ولا لسيادة تحصلها . وكان آحادها من السمو الخلق بحيث ضربت بهم الأمثال وتناقلت سيرهم الأجيال فلما اختلطوا بالآمم داخلها من إكبارهم وإعظام شأنهم ما حملها على الدخول في ملتهم طوعاً لا كرها فهل عهد في تاريخ البشرية أن فئة

إلا مقرونة بتخصيص على قيل مكانة مادية
قال عز من قائل : « واشفع فيما آتاك الله
الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .
« وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا
الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة » ، ولدار

الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين ، « من
عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون » ، « والذين هاجروا في الله
من بعد ما ظنوا لنبتونهم أجرهم في الدنيا
حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » ،
وقد دلنا على ما يجب أن يكون عليه دعاء
المؤمنين من الجمع بين مطالب الدنيا ومطالب
الآخرة فقال تعالى : « فن الناس من يقول
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة
من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
أولئك هم فصيل مما كسبوا والله سريع
الحساب » .

وفي الكتاب الكريم آيات كثيرة تخص
المؤمنين على وجوب العناية بالجسم من ناحية
النظافة وحفظ الصحة وعدم إرهاقه بالمشاق
ولا حرمانه من منع الحياة والنفقات المشروعة
قال تعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج
لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا
في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، « وبأيتها

على حفظ من القوة والبطش بيد أنها قد انعطت
إلى الإباحة البهيمية التي لا تناسب وكرامة
الإنسانية وأنا لا أقول ذلك تعصبا لمذهبي
ولكن هذا ما يقوله علماؤها وفلاسفتها
حتى الماديون منهم .

ولو كانت هذه الإباحة سليمة من جرائم
المعطب لأمكن أشياعها أن يدعوا أنها هي
المثل الأعلى للحياة الأرضية ولكنها مبتلاة
بجرائم الأمراض الاجتماعية ومهددة بقارعة
حرب عومسية لو حدثت لتصوحت زهرة
المدنية وارتكست الإنسانية لأسوأ عهودها
البربرية . وقد ارتكست أمم متمدنة مرات
عديدة إلى البربرية الماحقة فنما من أنيج لها
الخلاص منها وفيها من بادت أو قنيت في جثمان
أمة أخرى .

فالحالة الوسطى بين الروحانية المتطرفة
والمادية الباحثة أمر يستدعيه الاتزان
الاجتماعي والاستقرار العالمي ولا يوجد فيها
بين أيدينا من التعاليم ما هو حاصل على هذه
الميزة في تركيب هو غاية في الحكمة غير التعاليم
الإسلامية .

نعم : قرر الإسلام أن الآخرة خير من
الأولى وأن الكمال الروحاني هو الغاية التي
يجب أن يتجه إليها كل مسلم ولكنه أمره
ألا يغفل حظه من الكمال المادي حتى تكاد
لا نجد في القرآن تخصيصا على منزلة روحية

صيام الدهر كله . قال عمرو : فشددت فشدد
علي . قلت يا رسول الله فإني أجد قوة قال
فصم صيام نبي الله داود ولا تزد ، قلت وما
صيام نبي الله داود عليه السلام ؟ قال رسول الله
نصف الدهر ، فكان عبد الله بن عمرو بعد
أن كبر يقول : ليتني قبلت رخصة النبي
صلى الله عليه وسلم .

أرايت أحكم من هذا ؟ رسول الله كان
يعبد الله حتى تتورم قدماءه ، ويربط الحجر
على بطنه من ألم الجوع ، ينهي أخذاً يدينه
أن يبالغ في العبادة (١) ؟ أتراه كان يصدّه
عن خير ؟ لا ولكنها الحكمة الإسلامية
ترشد أهلها إلى الكمال الإنساني المنشود ،
الذي لا ينال بإرهاق الأجسام ولكن بالعلم
وتحرى الحق وتجنب الباطل وتطهير القلب
وتهديب النفس ، والوصول إلى درجة
الرجولة الكاملة .

عباس طه

الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله
لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .
وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً وانقوا الله
الذي أتم به مؤمنون .

وما ينبغي التنبيه إليه في هذه الآية الأخيرة
أنه سمي حرمان النفس مما أحله الله اعتداء
أي خروجاً عن صراط العدل بين الطبيعتين
وهذه غاية في رعاية الإسلام بالناحية المادية
من الحياة الإنسانية .

أما السنة فهي حافلة في هذه الناحية بالحكم
الباهرة من ذلك ما روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص
وقد بلغه أنه يفرط في التنسك : يصوم الدهر
ويقوم الليل : يا عبد الله أتصوم النهار
ونقوم الليل ؟ قال عمرو : فقلت نعم
يا رسول الله قال : فلا تفعل صم وأفطر
وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً وإن لروحك
عليك حقاً وإن لذورك (٢) عليك حقاً وإن
بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام
فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فإن ذلك

١ | لذورك أي لذاتك جمع ذات .

[١] لا يمتنع من مرض بقوله : كيف ينهي النبي
صلى الله عليه وسلم الناس عما كان يفعل هو من
الباطنة في العبادة فإن قنوتها بالصالحات بالسلم الروحاني
شأنا غير شأن الناس كافة .

مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

الاسلام والعصر الحديث

للأستاذ عباس محمود العقاد

تأليف الدكتورة إلس إليختنستادتر

ISLAM AND THE MODERN AGE

BY. ELSE LICTENSTADTER

اشتهر به كتاب القرن التاسع عشر ترفعا منهم
عن علاج موضوعات الإسلام على خطة
المساواة بينها وبين موضوعات العقائد
أو المعارف التي تشيع بين الغربيين ،
واعترافا منهم بسيطرة الحاكم الذي يتحدث
عن محكومة ورعاياه ومن هم عنده في طبقة
المحكومين والرعايا ، وتعصبا منهم لعقيدة
يؤمنون بحرفها ومعانيها كما يؤمنون ببطان
"مقائد التي تغالفها .

فالؤلفون المعاصرون يتجنبون ذلك
الأسلوب لأنه أسلوب زمن مضى بأسبابه
ودواعيه ، وليس أقلها ولا أهمها أن
سيطرة الآس قد ذهبت بذهابه وأن العصبيّة
قد تزعزعت بعد الرسوخ وترددت بعد
المضاء ، وأن العالم الإسلامي قد أثبت له

مؤلة هذا الكتاب « الإسلام والعصر
الحديث » ، سيدة ألمانية درست العلوم العربية
والإسلامية في جامعة فرانكفورت ثم في
جامعة لندن وأقامت زهاء ثلاثين سنة بين
بلاد الشرق الأدنى والشرق الأوسط وزارات
إيران والباكستان وعينت نهاية خاصة
بالمقابلة بين مذاهب السنة ومذاهب الشيعة
ودعوات الاجتهاد والتجديد . كما استطاعت
أن تصبها أو تلتقاها من مصادرهما التي
هرقتها أثناء إقامتها بالمدن الإسلامية .

وخطتها في دراسة موضوعاتها هي الخطة
الغالبية على المؤلفين المعاصرين من الغربيين
حين يكتبون عن الدين الإسلامي أو عن
الأمم الإسلامية من وجهة دينية . فإن هؤلاء
المؤلفين يتجنبون أسلوب الاستحسان الذي

وجوداً - سياسياً أو ثقافياً - بقدره أصحاب
الرأى ويرفونه فلا يتجاهلونه في كتابتهم
عنه ووصفهم لحاضره وماضيه .
والدكتورة صاحبة كتاب « الإسلام
والعصر الحديث » تهيج هذا الهيج وتعرض
لشئون العالم الإسلامى والديانة الإسلامية
بما ينبئ من الأدب والرعاية وتجتهد غاية
اجتهادها في تحقيق مسائل البحث وإدراكها
على الوجه الصحيح . ولكنها كغيرها
من مؤلفي الغرب قد تفهم أكثر هذه الشؤون
بما تحدثه من الصدى وتثيره من اللفظ في
دوائر المستشرقين ، وقبلنا تفهم حركات
التجديد بفهمها للحقائق التي تدور عليها
أو بفهمها لحقائق الرأى عند المحافظين
أو حقائق الرأى عند أصحاب الدعوة إلى
الجديد ، وكثيرا ما يكون هؤلاء الذين
يحسبون من دعاة التجديد مقلدين يتخلقون
بمزاعم المستشرقين فيشرون بها من اللفظ
ما ليس له علاقة بالدين ولا بالإصلاح ،
وإنما هو تقليد كتقليد المتاملين بما يجهلون .
يصل حديثه إلى المشتغلين بالمسائل الإسلامية
في الغرب فيحسون صداه ولا يسيرون غوره
أو يدركون مداه .
ويظهر أن معرفة الكاتبة بالبلاد الإسلامية
في أواسط آسيا أوسع وأوفى من معرفتها
بغيرها من بلاد العالم الإسلامى ؛ لأنها لم تعمل
على المصادر العربية كما عولت على مصادر
اللغات الأوروبية واستماتت بمن يعرفها

أو ينقلها إليها . ومنهم صاحب المقدمة
الأستاذ طرفة خان الذى يعرفه المصريون .
على أن الفكرة التي لاحظتها الكاتبة في جملة
آرائها تقوم على أساس صحيح يرتضيه المسلم
وإن لم يذهب منهج الكاتبة في تفصيل تلك
الآراء . والإشارة إلى أغراضها ومقاصدها ؛
فهى تقر أن المسلم المعصرى يعتقد أن كتابه
المزىل يسمح له ، بل يوجب عليه ، أن يصالج
مشكلات عصره بما يوافق الدين ولا يضيع
المصلحة أو يصد عن المعرفة كما انتهت إليها
علوم زمنه ، وأن دعاة الإصلاح لم يعسر
عليهم أن يحنوا السند القوي من القرآن
لكل ما دعوا إليه من جديد ، وكل
ما اتفقوا عليه من تقليد ، وأن مزية القرآن
- في عقيدة المسلم - أنه متم للكتب السماوية
يوافقها في أصول الإيمان ولكنه يختلف
عنها في صفته العامة فلا يرتبط برسالة محدودة
تتضمن معنى عهدا ولا بأمة خاصة يلائمها
ولا يلائم سواها . وكل ما يراد به الدوام
ينبنى أن يوافق كل جيل ويصلح لكل أوان .
والكاتبة في توضيح هذه الفكرة أسلوب
يقبس من أساليب التصوف كما يقبس من
أساليب الفلسفة الدينية ، فهى تقول في فصلها
عن أسس الإسلام : « إنه من الضروري
لإدراك عمل القرآن من حيث هو كتاب
دينى وكتاب اجتماعى أن تدرك صدق المسلم
حين يؤكد أن القرآن يمكن أن يظل أساسا

الحديث . وكانت دعوة الأفغانى إلى نهضة الإسلام الروحية ميراثا تأسله محمد عبده وبرهانا فى هذه الصور الأخيرة على اشتباك المسائل السياسية والمسائل الدينية فى الديانة الإسلامية . وقد كان محمد عبده أقرب أعوان الأفغانى خلال الأيام التى قضياها منفين ياديس ، فأصدرا صحيفتهما المشهورة باسم العروة الوثقى لسان حال الأفغانى فى الدعوة إلى الوحدة كما يدل اسمها المقتبس من القرآن ، وأدرك محمد عبده بعد بحثه فى أسباب انتشار الشكوك بين شباب المسلمين أن العقيدة الدينية تتطلب إعادة التوجيه كى لا تنقسم العروة الوثقى بين المسلم وخميره . ورأى الأستاذ أن العلم لا يناقض الإسلام بل ينفع المسلم لتعزيز إيمانه وثبوت يقينه ، وأن القرآن إذا فهم على وجهه كان هو والمعلم كلاهما صونا لصاحبه على الفهم والإيمان ، واجتهد فى تفسيره آيات القرآن أن يرفق بينها وبين كشوف العلم لظواهر الطبيعة وقصد إلى إثبات المطابقة بين هذه الكشوف وما تقدم به الوحي القديم لا اختلاف بينهما إلا أن الكشوف الحديثة تقرير دراسى مفصل لما تملبه البصيرة الهادية ، فإذا كان العلم قد أثبت حقائقه بالتجارب أو المعادلات الرياضية فالتبى قد تلقاها بالوحي من عند الله العليم بكل شىء . وأفضى بها إلى الناس فى رسالة النبوة الرقيقة وآياتها البليغة . واستطردت من شرح دعوة الأستاذ الإمام

لأداة الحكم المعقدة التى تعالج مشكلات المجتمع الحديث . فإن التبى يرى أن القرآن هو حلقة الاتصال بين الإله فى كاله الإلهى وبين خلقته التى يتجلى فيها بفيضه الربانية وآياتها الكبرى الإنسان ، وأن واجب الإنسان أن يعمل بمشيئة الله للتقريب والتفسيق بين العالم الإلهى وبين عالم الخلق والشهادة ، وخير ما يدرك به هذا المطلب أن تتولاه جماعة إنسانية تحرى أعقق الأوامر الإلهية وأزمها وهى أراسر العدل للجميع والرحمة بالضعيف والرفق والإحسان ، وتلك هى الوسائل التى يضعها الله فى يد الإنسان لتحقيق نجاحه ، فهو من ثم مسئول عن أعماله ومسئول كذلك عن مصيره وترى الكاتبة - بحق - أن رد الفعل الأول للثقافة المصرية أن المصلحين المجددين من أئمة الإسلام رحبوا بالعلم الحديث وانبروا لإثبات الموافقة بينه وبين حقائق القرآن الكونية وشرائعه الاجتماعية ، وكان دور التنبيه فى هذه الحركة من عمل السيد جمال الدين ودور التعليم من عمل صاحبه ومريده الأستاذ الإمام محمد عبده ومن خلفوه من تلاميذه المقربين .

قالت : إن المسلمين أرادوا مطلباً أكثر من مجرد النهضة السياسية ؛ إذ كانت رسالة الإسلام الدينية تتطلب التمسك والتثبيت أمام هجمة الشكوك المصرية التى جاءت فى ذيل العلم

المعاصر إلى البناء بأكثر من زوجة واحدة كأنه طراز عتيق ، وتختلط هذه النظرة بشيء من الترفع لأنه عمل يكاد أن ينحصر في الطبقة الوضيعة ، وأن المصلحين ليجدون السند الأقوى للاكتفاء بالزوجة الواحدة في آيات الكتاب . إذ قلنا الكلمات الأخيرة من الآية المشهورة في السورة الرابعة على أن الزواج المفضل هو البناء بزوجة واحدة .

وقد تكون الكتابة غير بعيدة عن إيهام طبيعتها الأثوية حين تفرد للجهاد في الإسلام بحثاً خاصاً تفسره فيه تفسيراً يزيل بعض الشبهات التي ترد على خواطر الغربيين كلها ذكروا كلمة الجهاد ، وفهموا منها أنه شريعة توجب على المسلم أن يقاتل غير المسلمين ويناصبهم العداء لإكراههم على الدخول في الإسلام .

قلت في شرحها لقواعد الإسلام : « إن النظرية الإسلامية في القرون الوسطى تقسم العالم إلى قسمين : دار الإسلام ودار الحرب ، ودار الإسلام تشمل البلاد التي انبسط عليها سلطان الإسلام عقيدة وحكام ، ودار الحرب تشمل البلاد التي يصح من الوجهة النظرية فتحها للإسلام ولو بالسيف إذا اقتضى الحال ، ولهذا المصطلحين شأن في مبادئ السياسة الإسلامية والعلاقات الدولية وينبغى له لسوء فهمها بالمعنى الصحيح الذي تنطويان عليه - أن يبحثا ببعض التفصيل .

إلى المقابلة بينها وبين دعاء التجديد من أتباع العقائد الكتابية . فقالت : إن شهادة الإنصاف لهذا الإمام الأزهرى تقتضي أن نعلم أن طريقته لم تكن أغرب من طرائق اللاهوتيين المؤمنين بالتوراة والإنجيل حين ذهبوا يتنبهون كشوف أشور وبابل ليثبتوا أنها جاءت مؤيدة لآباء المهديين القديم والجديد ، وأن أقوالها عن الظواهر الكونية تقبل التأويل الذي يوفق بين العلم والإيمان .

ويحلو للكتابة كما يحلو لكتاب الغرب جميعاً أن يقرنوا بين بقعة المسلمين ونهضتهم لإصلاح مجتمعاتهم وبين أثر الحضارة الأوربية وتأثيرها الاجتماعية ، ولكنها أقرب إلى العناية بما يهم المرأة على الخصوص من شئون الزواج والأسرة وأولها قضية تعدد الزوجات .

نقول : « إنه من الأمثلة التي طال بحثها واشتهر أمرها مثل النظام الذي يبيع تعدد الزوجات ، فليس في البلاد الإسلامية - ما عدا البلاد التركية - قانون يحرم هذا النظام بحكم القضاء العام أو القضاء الخاص بالأحوال الشخصية والمحاكمات الشرعية ، فلا يزال تعدد الزوجات عملاً مشروعاً في ج . ع . م . والباكستان وإيران والعراق وأندونيسية ، وأن العرف ليجتبه - بتأثير القدوة الغربية وتأثير متاعب تعدد الزوجات - إلى النفور منه ، ويزداد هذا النفور مع الزمن فينظر المسلم

أبناء البلاد المفتوحة أن يحتفظوا بمقائدهم وشعائرهم بشروط ليست على الجلة بالمرهقة فليست فكرة النار والحديد بالفكرة الصحيحة التي يؤيدها الواقع ، ومن اليسور كما يقول المؤرخ توينبي أن نسطر الدعوى التي شاعت بين جوانب العالم المسيحي غلوا في تجسيم أثر الإكراه في الدعوة الإسلامية إذ لم يكن التخيير ببلاد الروم والفرس بين الإسلام والسيف وإنما كانت تخييراً بين الإسلام والجزية وهي الخطوة التي استعصت الثناء لاستنارتها حين انضمت بعد ذلك في البلاد الانجليزية على عهد الملكة إليصابات .

« بل نحن نعد أن الوثنيين من أهل البلاد المفتوحة لم يحرصوا على السيوف على قول الفقهاء المسلمين ، وهم أكثر الداخين في الإسلام عدداً خلال القرون التالية ، وهم أصديق برهان على الخطوة العملية التي لم تدر دائماً للرأى وفقاً أى بصيغته النظرية .

وتمضى المؤلف على هذا النحو في تفسير معنى الجهاد قولاً وعملاً إلى العصر الحاضر إذ يفهم من بعض تطبيقاته على أنه عمل واجب لاسترداد كل أرض مغصوبة أخرج فيها المسلمون من ديارهم عنوة وبغيا ، وهو بهذه المثابة دفاع محتم .

• • •

وانتهت المؤلف إلى الكلام على « الدولة الإسلامية » في العصر الحديث فأشارت إلى اعتقاد بعض الغربيين أن الإسلام لا يصلح

« إن كلمة الجهاد مشتقة من جدر في اللغة بمعنى الجهد أو المشقة ، ويمكن أن يصدق على الدراسة الفقهية وعلى تطبيق الشريعة وتعميد الأحكام ، إذ يسمى الفقيه أو القاضي إلى هذه الأيام بالمجتهد أى الباحث الذي يتوفر على المعرفة جادا في بحثه . وقد أمر القرآن بجهاد الكفار ولم يعين الجهود التي تعمل لذلك ، وقد استثنى الإكراه في الدين بنص الآية القرآنية . ولكن الجهاد اكتسب في أيام الفتوح الطائفة بعد وفاة النبي معنى القتال بما يفيد أن الحرب في هذه الحالة مقدسة تشهر في سبيل نصر الله وتعميقه ، وكاد أن يحسب ركنا من أركان الإيمان المفروضة على كل مسلم . ومن الوجهة النظرية تعد دار الحرب عاصمة لحكم الفتح ، ولكن خلفاء الإسلام وسلطانهم عقدوا المحاللات وانفقوا على جهود السلم والمودة والمعاملات التجارية مع الأمراء من غير المسلمين على الأقل ، منذ عهد هارون الرشيد وشرلمان .

« وقد جمدت العدواة المسيحية خطر الحرب المقدسة في إخضاع البلاد التي لا تدن بالإسلام للسيطرة الإسلامية ؛ إذ أن القتال لم يكن له كل هذا العمل في انتشار الفتوح حتى في إبان القرن الأول بعد الدعوة ، وإنما تم معظم هذه الفتوح بالتسليم ومعاهدات الصلح ، ووردت في هذه المعاهدات فقرات تبيح لأهل الكتاب من

ذلك الدين لدواعي الزمن الحاضر ودواعي الأزمنة التي تلوّه . ولا ينتظر أن تمرى على منواله . وتعود ، فنذكر صعوبة الموقف من وجهة النظر الإسلامية مع سوء الظن بمقاصد الغرب وقلة الثقة بمزايها الحضارة الغربية ، وعندما أن التناغم لا يأتي من جانب واحد ، وأن الصعوبة من هنا تقابلها صعوبة من هناك ، وكلتاها عصية على التذليل ما لم تكن عند المريقين رغبة صادقة في التفارب وأمل قوى في إمكانه .

وتتم الكتاب بهذه الأسطر القليلة التي عبرت بها المؤلف عن نتيجة الواقع وأمنية المستقبل في وقت واحد ، فقالت : « إن محاولة التوفيق والملاءمة بين الظروف في هذه الدنيا المصرية المستحكة آخذة لا تزال في مجراها إلى غايتها من جانب الشرق ومن جانب الغرب ، وأن الغرب ينظر وهو يقنع بالمراقبة وقلما يقترح الحلول وإن عمل على رفع العوائق من حين إلى حين ، وعليه كيف كانت الحال أن يحاذر الاستخفاف أو التمرض بوحى الطمع والآثرة لجهود الشرق فيما يعالجه من السعي إلى غاية لتقرير مكانه بين صفوف الإنسانية دون أن يفقد كيانه أو يفرط في وجدانه . »

عباس محمود العقاد

لإقامة دولة تأسس فيها الأمور على قواعد المصلحة الاجتماعية ، وحسن العشرة بين المسلمين وغير المسلمين ، فقالت : إن تاريخ الحكم الإسلامى يدهش هذه الظنون ، وأن مفكرى الإسلام في جميع العصور بحثوا قواعد الحكم والعرف من الوجهة الفلسفية وأخرجوا الأسس مذهب في السياسة والولاية تسو إلى الطبقة العليا ، وقد اشتهر منهم اثنان هما ابن خلدون المتوفى (سنة ١٤٠٦ ميلادية) والفارابى الذى سبقه ببضعة قرون . ونقول الكاتبة إن الفارابى رجح بآرائه عن الحكومة والدولة إلى أسس إغريقية ، أو أسس قائمة على الأفلاطونية الحديثة ، ولكن الفيلسوفين المسلمين لم ينحرفا عن قواعد الإسلام في وصف الحكومة ، وإن كان كل منهما يصف المجتمع الإسلامى كما عهده بين أقوام زمانه .

والفصل الأخير من الكتاب يلم أطراف البحث ليضع العالم الإسلامى والعالم الغربى وجهها لوجه في موقف المفاصلة وموقف الحاجة إلى الفهم المتبادل والمعاونة الإنسانية وتذكر المؤلف طائفة من الغربيين يرون أن المسلم المصرى يحاول أن يحارب العصر ولكنه يغمض عينه عن المناقضات التي تحول بينه وبين مجازاة عصره مع تسليمه السابق بصواب كل حكم من أحكام دينه وصلاح كل حالة من أحوال

مَحْنًا بِفَرْشِ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

الإِسْرَاءُ

للدكتور أحمد البطر البشبي

وزير التربية والتعليم بالبحرين

رقدت ملءَ عينها اليباءُ وأوى موكب الطيور إلى النخل
والمها أطبقت على الصفو عينها سكن الليل لا هتاف ولا عز
ليس إلا النجوم تمس فرحى وبحث مكة فلا الهوى لهو
أطفأت في الخيام كل سراج وانفضى كل سائر أسكرته
وتهادى التميم بين الروابي ملء أعتافه أريج الخزامى
نامت اليد حمل رأيت سريراً الطيوف الفرعى تطوف حوا
والمنى الضاحكات نلتم تحدة يا جمال البیداء ماذا ينال الوصف منه وما يصبى التثناء
كلها السحر والرحيق المصننى كلها الشمر والهوى والبهاء
كلها الجند والبطولة والسؤ كلها العز والتدى والإباء
واختونها في سرها الظلام وحتت لأغصها الورقاء
ومالت إلى الكناس الظباء و لا آفة ولا ضوضاء
في الرحاب الملى فقصفي الجواء في حماها ولا الغناء غناء
رفعت فوق تغريه الأضواء بالفنون الرواة والشعراء
كلنا هب هده الإنباء وبقياء الكشوش والأنداء
رقدت فوق صدره عناء ؟ ليه كما طاف بالقلوب الهناء
نمها فيفتر تغربها الوضاء بها جمال البیداء ماذا ينال الوصف منه وما يصبى التثناء
كلها السحر والرحيق المصننى كلها الشمر والهوى والبهاء
كلها الجند والبطولة والسؤ كلها العز والتدى والإباء

إليه يا متبج الصناديد يا يسعد إذا رَجَ جَانِبَيْكَ فداء
 يا مهب العُرسان إن صرخ المجد بُنادِيَهُمْ ومُزَمُّ اللّواءِ
 نام يا بيدُ في سُكونك قدبُ حَظِيظَتُهُ وَهَدْمَتُهُ السّماءِ
 سهرت حوله العِنايةُ ترعاهُ وحامتُ من فوقه الآلاءُ
 من دُؤاباتِ هاشمٍ كلُّهُ طَهَّرُ ونُبِّلُ ورنحةُ ووفاءُ
 أرواحُ أين من عريضة السيفِ ومن جهودِ كفه الأنواءِ
 عربُ تهلّ الكونُ كما كَرَّمَتُهُ النُّبُوَّةُ الفراءُ
 شاع منه الهدى فهاجتُ وماجتُ حنقاً جاهليّةُ رَغْصاءُ
 دينها البغيُّ والتناحرُ والتماعُ راتُ والبُطشُ والأذى والدِّماءُ
 فاحفظه يا بيدُ فهو رجاءُ الكونِ وسطُ الظُّلُمِ وهو الضياءُ
 لا يدومُ العمى إذا أسمر الحقُّ ولا انشورُ والظُّلُمُ سواءُ
 إليه يا نائماً فداعبُ جفنيْنِـه الحِيالاتُ والرؤى السّماءُ
 يا نبيّاً في صدرِهِ خفق الكونُ رُبُّ جَمِيعاً جِراحُهُ والدِّواءُ
 يا رسولاً ترتو لطلعتهِ الآلاءُ— لاءُ حَبْرِي قد عمَّها الإذْجاءُ
 أثبأ التائبُ اتبهُ قد أناك الروحُ يحذوهُ من علّاهُ الفضاءُ
 البراقُ السعيدُ سمع في الباءِ ب اشتياقاً فاهتزّت الصّحراءُ
 طرُ عليه تَمَضُّ القفارُ سراعاً نَحْتِ وثباته ويُطوى الفضاءُ
 والسّمواتُ تستعدُّ لمُشراكَ وقد زُغردت بها البُشراءُ
 تنفّ فيها الملائكُ فرحى وتهاوى البُشائرُ الأنبياءُ
 دَفرِفا في سماءٍ مَكَّةَ فالرُّيحُ ذلولٌ نَحْتِ البراقِ وُعاءُ
 واطمئنا يحقّ الفلا والمساقا تَ وكانَ ابتداءُ مُنْ انتهاءُ
 فإذا شمتها على البُعْدِ سينا ولاحت كُتُبُها السّمراءُ
 فاحبِطاً طرقة الميُون إليها يا ربِّ لما رأتُ سيناءُ
 يومَ ناجى الكلِّمُ في جانبِها رَجَمَهُ مِلَّةَ أَصْغَرِيهِ الرّجاءُ

فهي مُرَعَّشاً وقد هاله النور رُ وَأَعْنَى مُعْيُونَةُ السَّلاَةِ
ثم سيرا حتى إذا بيت لحم كَوَّمت من بُرُوجها الأصداءُ
فأهبطا ترابها الزكي فنه أسفر الرفق والهدى والحياءُ
وأما المسجد الذي برك الله حوالينه منذ كان البناءُ
فأسجدافيه للذي غمر الكون نَ كَداء وعطفه ورضا
صلياً ينمى المصلى ابتهاجاً لكما في الدجى ويشدو الغناءُ
واعرجا صاعدين سبعا طباقاً لا حجاب لا ذُجبة لا غماءُ
ألق باهرٌ وبجرٌ من النور دِرِ خضم وروعة وصفاءُ
ليس إلا ملانك تحمِلُ النشوى ورسلُ أجبة أصفياءُ
اصعدا في الجبال حتى تجلَى لكما سُدرة العصماءُ
وانظرا من عل إلى هذه الأجرام طراً يحلُّ عنها الهباءُ
فطرة منظم العوالم والآ بادُ فيها وتلقى الأملاءُ
اسموا اسموا ! فما أعظم الأنفس تفتى من دُونها العلياءُ
ما أجلّ الأرواح تغلو وتغلو ثم تغلو وإن كَتاهى العلاءُ
إله مسمى النبي قد تنكر الأنوارَ والفجر مُقلّة عنياءُ
ما على جاحدك لومٌ إذا ضلوا هل الناس كلهم أنبياءُ ؟
معرّج المصطفى إليك التحايا شغفتمها دُموعنا والدماءُ
بوركت أَرْضُكَ التَّديّةُ يا قد من ووشئت رِياضك التَّعْماءُ
أنت أم الدُّنى ومهد النُّبُوءا تِ ومنك استضاءت الآماءُ
فيك موسى ألقى عصاهُ ارنياحاً بعد أن طلّحت به الأرزاءُ
والمسيح العظيم فيك تجلّى يملأ الأرض من هداة السَّناءُ
علم الكون رحمة العبد للعبد فلا قسوة ولا إيذاءُ
وغذاء الحب الطهور فلا بُغض ولا نفرة ولا أَعْداءُ
بأحماة المسيح في القدس ما في دينه أن يُعَذِّب الضُّعفاءُ

لَيْسَ فِيهِ ظَرْفٌ هِزَارٍ مِنَ الْإِيكِ لَنَحْنُلَ وَكَثْرُهُ وَرَقَاهُ
 لَيْسَ فِي شَرْعِهِ هَوَانٌ الْمَوَائِيْقِ إِذَا مَا تَوَاتَقَ الشُّرَكَاءُ
 بِالذَّمِّعَ مَا كَانَ أَصْفَا هُ وَلَكِنْ رَوْحَكُمْ كَذَرَاهُ
 سَائِلُوا مَهْدَهُ الْمُطَهَّرَ كُلِّ حَا نَنَّهُ إِلَّا الْعُرُوبَةَ الْعَرَبِيَّةَ
 سَائِلُوهُ يَا نَاسُ عَنْ مُعَمَّرِ الْفَا رَوْقٍ مَا كَانَ عَدْلُهُ وَالْوَقَاهُ
 سَائِلُوهُ عَنْ ابْنِ أَيُّوبَ كَمَا صَنَعْتُ بُجْنَةً بِكُمْ هَوْنُجُهُ
 يَوْمَ جَاءَتْ بُجْيُوسُكُمْ مِثْلَ مَا انْحَطَّتْ عَلَى الْمَنْهَلِ النَّسُورُ الظُّمَاءُ
 تُفَرِّقُ الْمَهْدَ مِثْلَ مَا تُفَرِّقُ الْجَدَّ مِنْهَا الدِّمَاءُ وَالْأَسْلَاهُ
 يَوْمَ خَافَتْ عَنْهَا الْإِبَاطِحُ فِي الْبَرِّ وَنَاءَتْ بِحَمَلِهَا الدَّامَاءُ
 يَلْبَسُ الْحِرْقُودُ وَالْعِدَاءُ مَا قَبَسَ—هَا وَتَنْزُرُ فِي صَدْرِهَا الْأَذْوَاءُ
 وَابْنُ أَيُّوبَ يُطْفِئُ النَّارَ بِالْحُلْدِ م وَتَحْمِلُ بِنَصْرِهِ الْإِتْيَاءُ
 أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ عَدْلَ صَلَاحِ الدِّينِ وَنُطْقَ الْعَجَاجِ يَا أَطْلُقَاءُ
 لَمْ يَهْجُمْ لِلنَّارِ دِينَ وَلَكِنْ جَشَعَ الذَّنْبُ أَثْمَنُ الدِّمَاءِ
 أَيْ دِينَ يُحِلُّ ذَنْبَ الْيَتَامَى أَيْ شَرْعَ تَبَادُ فِيهِ النَّسَاءُ
 إِنَّمَا الْعُرْبُ نِعْمَةٌ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ وَهُمْ فِي ظِلَامِهَا الْأَضْوَاءُ
 لَهُمُ الْعِزُّ وَالنُّبُوَّةُ فِيهَا وَلَهُمْ دُورٌ أَهْلِهَا الْكِبَرِيَاءُ
 حَمَلُوا مِثْلَ الْحَضَارَةِ وَالْكُورِ بُ ظِلَامٌ وَحِيرَةٌ وَاعْمَاءُ
 هُمْ مُشْمُوسُ الْوَرَى وَصَفْوَةٌ خَلَقَ اللَّهُ وَالْمُحْلِيصُونَ وَالْحَنَفَاءُ
 كُلُّ تَجْدٍ لِمُجْدِمٍ يَخْتَفِضُ الرَّأْسَ سَ حُشُوعًا وَلَوْ نَمَتِ السَّمَاءُ
 دُمْتَ، هُ قُدْسٌ، الْعُلَا وَدَامَ لَكَ الْعِزُّ وَذَلَّتْ فِي غَايِكَ الدُّخْلَاءُ
 دُمْتَ فَوْقَ السَّهَاءِ وَدَامَ لَكَ الْعُرُ بُ فِدَاءٌ وَنِعْمَ هَذَا الْفِدَاءُ

مَنْ وَجَّهَ السَّيِّدَ

لِلْإِسْتِازَةِ مَحْمُودِ غَنِيمٍ

صل أساتين من عزم وإيمان
 ما كاليفين ولا كالعزم إن صدّا
 إن الألى رفوا الأهرام شاعرة
 أطل من قبره فروع مبتسما
 فقلت : شتان يوم الفخر بينهما
 بنى الحياة جال والرعاة مصاً
 من أطلق النيل أسود وهو بحبه
 يا باقى السد قد فتدت ما زعموا
 أقسمت لم تبأن الخزان منفرداً
 هيات يُعجزك البنيان من حجر
 أغمست سداً به كانت معلقة
 خطنا جناده الصماء السنة
 لانت في كل حرب سيف معركة
 فليسمع الغرب إن كانت له أذن
 أقسمت أن البراكين التي انصهرت
 ما أعول الصخر لكن قد شدا طرباً
 تفتيه لا من جرائيت وصوان
 تخطط فوق ظهر الأرض أوبان
 هيات يُعجزهم إنشاء خزان
 وقال : إن جمالا كنو عى الثانى
 فما هما فى مجال الفخر سيان
 لكن وخوفوا بنى قبرا لجثمان
 جال يلقى عليك المطلق العاقى
 بالأمس عن مصر من إلك وبهتان
 بل الكرامة والخزائن فى آن
 وأنت بنى دولات وأوطان
 كرامة العرب من أبناء كدان
 تشدو بذكرك فى سر وإعلان
 وأنت فى كل سلم كف عُمُران
 وليبصر الغرب هل للغرب عيتان ؟
 فى الصخر كانت لها دقات الحان
 كما شدا الطير فوق الأيك والبان

قد كان يشكوك صَادَيْنَا وَغَارَقْنَا يَا نِيلُ . حَالَاكَ فِي وَادِيكَ حَذَانِ
 مَا عَدْتَ يَا نِيلُ بَعْدَ الْيَوْمِ نُظْمَتُنَا أَوْ عَدْتَ تَطْفِي عَلَيْنَا أَيْ طَغْيَانِ
 إِنْ صَانَ مَا لَكَ فِي حَرْزِ بَنُوكَ فَكَمْ قَدَّوْهُ مِنْ قَبْلِ هَذَا بِالْأَمِّ الْقَانِ
 كَأَنَّهُ مِنْ نَفْثَاتِ الْمَسْكَ مُسْمَرَةٌ فَلَا تَجُودُ بِهِ إِلَّا بِمِيزَانِ
 يَا أَيُّهَا السَّدُّ بَشِّرْ بِالرَّخَاءِ فَا حَرِيتَ مَاءَ وَلَكِنْ ذُوبَ عَفْيَانِ
 مَا أَنْتَ حَرْزُ مِيَاهٍ قَاضٍ زَاخِرُهَا بَلْ أَنْتَ كَنْزُ يَوَاقِيتِ وَتَمْرِجَانِ
 قَالُوا الْعَجَائِبُ سَبْعٌ قُلْتُ وَيَحْكُو مَا هَذِهِ السَّبْعُ إِلَّا سَدُّ أَسْوَانِ

محمود غنيم

أطوار الشعر العربي

إذا أخذت الشعر العربي كله بنظرة واحدة فمرضت تاريخه كما تعرض تاريخ الكائن
 الحي وجمده قد تطور في موضوعه تطور الأمة العربية ، وقطع معها مراحل الحياة
 الإنسانية ؛ فهو في الجاهلية أنعام صبا ، وحماة فتوة ، وعواطف أثره ، وفي الإسلام
 أناشيد جهاد ، وثوران عصية ، وأطماع حياة . ثم استحار شبابه واكتمل في صدر الدولة
 العباسية ، فظهر في شعر بشار وأبي نواس وأضرابهما عبت شباب ، وأغاني طرب ،
 ومظاهر ترف . ثم عض على نواجذ الحلم واكتمل في أوساطها فبدأ في شعر ابن الرومي
 وأبي تمام والمتنبي وأمثالهم دروس تجربة ، ونتاج حكمة ، وخواطر فلسفة . ثم أدركه
 الهرم في أواخرها فظهر في شعر المتأخرين نموه صنعة ، وخوف شيخوخة ، ومعالجة روح .
 أما ولادته وطفولته فلم يدركهما التاريخ ولم يدخل في عله .

[من كتاب تاريخ الأدب العربي للأستاذ الزيات]

آراء وأحاديث

السبغ من وجهة نظر الدريه :

أدلى الأستاذ الأكبر بهذا الحديث إلى مجلة الإذاعة قال : إن السبغ بالنظر إلى ذاتها وبغض النظر عن قصصها وموضوعها وما يفتن بها ، جهاز طيب صالح لاستخدامه في الاسترشاد بالمبادئ الإنسانية التي تصنعها التاريخ والنس الاجتماعية ، وقد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض ، والواقع أنه ما من شيء إلا وفيه جانب الخير وجانب الشر ، فلو خيلنا جوارب الشر ونحيناها وأخذنا جوارب الخير وركزناها لكان لنا هذا الجهاز الصالح في التهذيب والنوعية والإرشاد وبناء جيل قوى في مبادئه ومناهجه وأسس وخططه ولعلك قد لمست الآن أن السبغ عندنا بوضعها الحالي أداة تهدم ولا تبني ، بل وتقرى بالفساد وقد تدفع إليه ؛ فإن أكثر جمهوري نظراتها هم الشباب والشباب مشبوب العاطفة متأرجح النظرات يتحطف ما يروى ظمأ وجدانه أو يرضى نياراته المتنازعة في نفسه المتزاخرة تراحمًا يطغى على تفروج العقل وسلامة التفكير .

إنسان إلا ما يناسبه في حياته من طعام وشراب وكذلك في جانب القراءة والمعرفة وفي جانب الاطلاع ما يكون كمن ، سواء أكان في الإذاعة أو في السينما كذلك يجب أن يتقن له ما يناسبه ويحفظ له كل مقوماته ويأخذ بيده إلى البناء لا إلى الهدم والشباب كل مريض الذي يمر بدور الزناهة عرضة للعدوى ما يجرؤونه ومن أي ميكروبية ؛ لذا كان لابد من اتخاذ الحيلة والحذر بالنسبة له وخاصة في الموضوعات السينمائية التي تحتل من نفسه المكانة الأولى ، فالآفة إذن هي في الموضوع الذي يختار ليقيم لجيلنا ولجتمعتنا الذي ترجو له الخير في كل نواحيه وكذلك في شكل العرض وطريقة الإخراج .

وأنا لا أحب أبدا أن يقال إن الجيل الجديد من الشباب يتطلب كذا وكذا ويحتاج إلى مسامرة المدنية ولا بد أن تطوع أحكام الإسلام لمقتضيات الجيل ، لا أحب أبدا أن أقوله ولا أحب أن أسمع أنه فإن تطويع الدين لغير الجهة التي حددها خروج عن وضعه وإفساد لتعاليمه .

ولنما علينا أن نفهم ديننا فهما صحيحا

وطبيعة الحياة تفنى بالآ لا يقدم لكل

الدولى الإسلامى فيجب ألا تنأى عن مقاييسنا ومبادئنا وقيمنا بل نظل على الحفاظ عليها والتمسك بها ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتعرق بكم عن سبيله .

الفصل والموضوعات التى أُرسمها:

السبيل التاريخى الأخلاقى الذى تجمع أجداد المسلمين من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا كل من رسم خطأ من خطوط النهضة الإصلاحية المتوالية، والموضوعات الأخلاقية لها من الأثر فى دعم مجتمعنا دعما يقوم على الأسس السليمة حتى يصبح مجتمعنا قويا صنع من فولاذ من الإيمان الذى لا تهده عواصف ولا تزعزعه صواعق ولا أعاصير ولا مبادئ هدامة واقعة وإن القصص التى تعرض من النوع التاريخى الأخلاقى سبيل للدعوة إلى إحياء الوعى التاريخى الخلقى بشرط أن تنقى مما يشير الفرائز وأن توجه عواطف الشباب بما يتفق مع الدعوة إلى مكارم الأخلاق .

كما أننا نرى أن تكون سبيلا من سبيل التعليم ونشره : فإن التطبيق العلمى فى كل شئ . مدعاة الفهم الصحيح ومتى فهمت الموضوعات فهمنا صحيحا استطعنا أن نحل مشاكلنا .

وأما الأفلام التى شاهدها فهم أفلام تعزل كل الاتصال بما رسمنا وما نرجوه للأفلام المعروضة، ولقد شاهدت قصة ظهور الإسلام

ولا نحكم فيه رغباتنا وشهواتنا والإسلام بطبيعته يدعو إلى التقسّم الرزين وإلى النهضة القويمة وإلى المدنية السليمة ثم إلى العزة والكرامة وحسب الفتيات هندنا والفتيان أن تفرس فيهم هذه المبادئ فتخرج بهم فى مدارج الكمال وتسمى بهم صعدا إلى قم المجيد والسودد .

وأمتنا أمة ذات رسالة فلا يجوز أن تتخل عنها ولا أن تتجاهل قيمتها ولا أن تتخلف عن حملها ؛ لأن التخلف عن حملها يؤدى إلى إيجاد ثغرة بين مامئنا الإسلامى الزاهر وحاضرنا فى النهضة المتوثبة المتوجهة إلى البناء والتعمير .

إن القصص الوافدة علينا فى أفلام براقة تعلوى بين جنباتها سباما قاتلة وتنفث فى مجتمعنا سموما تحطم الآمال فى هذا المجتمع الجديد وترسم فى عقول الشباب خطوط الفساد وقد نخط فى أذهانهم ما يدفعهم فى وقت ما إلى ما يؤذيهم أو يؤذى مجتمعهم وما هذه الحوادث التى تقع من كثير من الشباب إلا أثر من آثار الأفلام التى تعرضها دور السينما فى غير ما حياطة ولا حذر .

وإننا - نحن المتعاونين فى هذا البناء المخلصين فيه - يجب أن نرقب فى صحو ويقظة من يرى السوء ثم لا ينحيه ، فإننا أمة ذات حضارة وذات دين وذات موقف خاص فى الوسط

ولا تعاون عليها وإن جمعت لأصحابها ما جمعت
الدنيا لقارون .

وكلمة عامة صريحة يجب تنقية الإذاعة
والصحف والسبيل من كل ما يؤذى مجتمعا
أو بسبب انكسار القوى التي ترفع شأنه
وتقوى لبناته من أفراد وجماعات ، تقوية
تعمل ببناء المجتمع بناء مثاليا فاضلا .

وهذه دهور وتلك نصيحتي أوجهها إلى
إخواني موجي هذه الأجهزة والمشرفين
عليها فإنهم يعملهم ووطنيتهم شركاء في الدعوة
إلى الله وبناء أمتنا ومجتمعنا بناء على أساس
الحق والقوة، هدانا الله جميعا إلى الحق وإلى
الطريق المستقيم .

الحياة في الكواكب ورأى الربيع فبها :
قال محمّد الأهرام الاقتصادية للاستاذ
الأكبر :

تحدث العالم الروسي ديجل ، بأنه من المعتد
وجود كائنات حية أرقى وأذكى من الإنسان
وذلك في القمر وغيره من الكواكب فما
موقف الدين بالنسبة لهذا الزعم وهل في
الدين ما يؤيده ؟ .

فقال فضيلته : ليس في القرآن ولا في
الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه
وسلم ما يدل دلالة قاطعة على أن في القمر أو في
غيره من الكواكب كائنات حية ، نعم توجد
آية في سورة الشورى من القرآن الكريم وهي

وهي تعريف بما ينبغي أن نعرفه فإنه من التاريخ
الموجه الذي يبين مزايا التضحية وآثار العزيمة
الصالحة القوية في بناء المجتمع ودعمه وكيف
يستعمل الصعب في سبيل الفكرة السليمة
والإيمان العميق ، لقد سلفنا فيه التعبير عن مبادئ
الإسلام من الحرية والمساواة وانعدام العصبية
أن الناس جميعا سواء لا فضل لأحد على
الآخر إلا بالعمل الصالح والإيمان المنتج

وشاهدت كذلك قصة خالد بن الوليد واشتركت
في وضع أصول كثيرة من مشاهدنا ، مثل
هذه الأفلام التي تبرز المبادئ وتوضح المثل
هي التي نحتاج إليها ويجب أن نحرص عليها ،
لقد أصبح المشرّفون على الأفلام الوافدة
والمنتجون للأفلام المحلية لا يمتنعون من أمر
شبابنا ولا من أمر جيلنا شيء من فكرة
الإصلاح التي يجب أن تكون رائدنا وهدفنا .

إن لمجتمعنا مشاكل لو أنها حُلّت عن
طريق السبيل لحلت هذه المشاكل ولقدت
السبيل جهازاً قويا موجها وبائيا ولا عتبرت
حقا جزء من مدنية يجب أن نخلقها نحن ونضع
أسسها لنخرج إلى الناس مدنية تفيض بمبادئ
الإسلام وتوجهاته .

وليس ينبغي أن نكسد صناعة السبيل أو
تنجح فتجاح مجتمعنا هو الذي نرجوه وننشده
ونحرص عليه وكل فكرة لا تحرص على
ذلك فإنها فكرة غير صالحة ينبغي أن نطرحها

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه السيد ريمستر كلسترينا الدكتور في الفلسفة الصينية التاوية والمحرر في مجلة فيكوجورنال السويدية .

الحياة الأستاذ الأكبر قائلا : أهلا وسهلا . ثم دار بينهما هذا الحديث :

هل زرت القاهرة قبل اليوم ؟ .

فقال الزائر : نعم - زرتها في العام الماضي .

فقال فضيحه : وهل زرت الأزهر ؟ .

قال : لم - أتشرف بزيارته قبل هذه المرة .

فقال فضيحه : أنت دكتور في الفلسفة

على المنهج الصيني التاوي ؟ فما هي أهداف هذا المنهج .

فقال الزائر : هذه الفلسفة جزء من الفلسفة

الإلهية وهدفها رفع المساني الفاضلة في الإنسان .

تحرير الفصل :

ثم سأل فضيلة الأستاذ الأكبر عن تحديد الفصل .

فأجاب فضيحه قائلا : إن الإسلام يبيح التنظيم ويمنع التحديد ، أما التنظيم فهو مباح إذا كان يؤدي إلى حفظ صحة المرأة ، فهو إذن جائز أولا للسيدات اللاتي يسرع إليهن الحمل ، وثانياً بالنسبة لذوي الأمراض

قوله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض وما بينهما من دابة » يدل ظاهرهما - كما قال الإمام المفسر الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ قال : « إن ظاهرهما يدل على وجود كائنات حية في السموات وفي الأرض (وما بينهما) ومعناه أن دلالتها على وجود الكائنات الحية في السموات ليست قطعية وإنما هي ظن واحتمال . ثم قال ولا يبعد أن يكون في كل سماء حيوانات ومخلوقات على صور مختلفة وأحوال شتى لا نعلمها ولم تذكر الأحاديث شيئا منها ولا عنها . وقد قال الله تعالى « ويخلق ما لا تعلمون » واسترسل الألوسي فقال : وأهل الأرصاد اليوم يترأى لهم مخلوقات في جرم القمر ولم يحققوا أمرها لتقص فيما لديهم من آلات الرصد . وعلى كل فرأينا في الموضوع هو كما قال الإمام الألوسي : ليس في الإسلام دليل قاطع يدل على الوجود أو العدم ولو فرضنا أن ذلك قد ثبت وبأن بالكشف الإنساني وبالأجهزة التي تفيد اليقين ما ضر ذلك شيئا في العقيدة وكذلك إذا لم يثبت شيء فالمصادر الإسلامية ليس فيها قول قاطع بالاثبت ولا بالنفي وإذن فالإنسان في حل من اعتقادهذا أو ذاك ما لم يقف أمامه الاكتشاف الصحيح الذي يفيد اليقين والله أعلم بما خلق ويخلق وهو على كل شيء قدير .

والصناعة والمشروعات الهامة ، والتحديد
بمدلول هذا اللفظ ، لا يتفق أيضا مع
ما حثت عليه الشريعة الإسلامية من الزواج
وما بينته أيضا من امتنان المولى على البشرية
بنعمة البنين والخعدة كأثر من آثار الزواج
إذ يقول جل شأنه : والله جعل لكم من
أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم
بنين وخفدة ورزقكم من الطيبات . . وجاء
في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم :
« تناكحوا تناسلوا تكثروا فإن مباءكم
يوم القيامة . . . وسوداء ولود خير من
حسناء عقيم » ، ومن ترك الزواج غفلة العيال
فليس منا ، والقرآن ينهى على أهل الجاهلية
قتل أبنائهم غفلة الفقر . . ولا تقتلوا
أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم . .
وأينما قد أعد الله مائدة لعباده في ظاهر
الأرض وباطنها ، ولا يمكن أن تضيق عن
حاجتهم وحاجة نسلهم مهما كثروا ، فالتحديد
بهذا المعنى تأباه الطبيعة كما لا ترضاء حكمة
الحكيم . وتنبه الوصى القوي برده ، وكثرة
المصانع وطلب الأيدي العاملة فيها والمرص
على النهضة بالمجتمعات واستصلاح الأراضي
الزراعية - كل ذلك - يرفض هذا التحديد ،
فلا تدعوا الناس إلى التكاسل ؛ فإن كثرة العيال
الأقوياء يدعو الآباء والأمهات إلى النشاط
والجد ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

المتنقلة ، أو بالنسبة للذين تضعف أعصابهم
عن مواجهة المسؤوليات ، إن تنظيم النسل
لشئ منها إنما هو تنظيم فردى ، لا يتعدى
بجمله إنه شئ علاجي تدفع به أضرار محقة
والتنظيم بهذا المعنى لا يجاق الطبيعة ولا يأباه
الوصى القوي ولا تمنعه الشريعة بل هي
تطلبه وتحث عليه . وإذا كانت الشريعة
تطلب كثرة قوية لا هزيلة فهي تعمل على
صيانة النسل من الضعف والهمال ، وتعمل
أيضا على دفع الضرر الذى يلحق الإنسان
في حياته ومن هنا قرر العلماء منع الحمل
- مؤقتا - بين زوجين بهما أو بأحدهما داء
من شأنه أن ينتقل في الذرية والأحفاد .
وهكذا ترى أن الشريعة تحافظ على قوة
الأمة وقوة أفرادها وتباعد بينها وبين
أسباب الضعف .

ثم سأل السيد الزائر فضيلته عن الإجهاض .
فقال الأستاذ الأكبر : إنه اعتداء على
« حى » فيه بذرة الحياة والإسلام لا يقره .
ثم سأل الزائر : ما رأيكم فى أن كثرة
النسل قد ينحط معها مستوى المعيشة ؟

فرد فضيلته : إن كثرة النسل ، وخاصة
النسل الذى ترعاه الأمة ، النسل القوي يتفق
دائما مع روح التشريع الإسلامى ، وتحديد
لا يتفق مع أمة تريد النهوض والقوة واتساع
ال عمران ، وكثرة الأيدي العاملة فى الزراعة

المروحية والمادية :

حريص على نشر التربية الروحية . والشرعية الإسلامية تضمن للبشرية الخير والسعادة والرفاهية والمساواة التامة .
ثم سأل السيد الزائر : أليس هناك اتجاه سياسي من وراء هذه الروحية ؟

فأجلب فضيكة : إن الاتجاه إنما هو التعاون على خير الإنسانية والعمل على إسعادها والوقوف في وجه التخريب والتدمير ، ورد غائلة الطغاة والمستعمرين ، هذه هي الروحية ولو أخذ بها الشرق والغرب لعاش الناس جميعا في أمن ورخاء .

التمويه - ميل إلى الصريح :

ثم سأل بعض الأسئلة التي تتصل بالتوحيد وما هو الطريق الذي ينبغي أن تسير فيه أوروبا وغيرها فقال فضيكة : إن الواجب هو الرجوع إلى التوحيد فهو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ولا تصلح البشرية إلا به وأنت يا أخى أليس لك قلب واحد ولسان واحد ؟ فأعرف حينئذ أن خالقك وموجدك وبارئك ومصورك واحد لا إله إلا هو .

فقال الزائر : أجل ، وأنا أوافقكم على هذا الاتجاه وأنه لا صلاح إلا بالتوحيد ، وسأدعو إلى ذلك في السويد فأحوجنا إلى هذه الدعوة ، ثم أضاف أن هناك في السويد بعض المبعوثين المسلمين ، وبعد أن التقيت

ثم سأل الصحفي فضيكة - عن أن الثروة المادية في السويد تطفئ على الروحية وأما هنا فقد رأيت الروحية تطفئ على المادية .

فرد فضيكة : لأنهم هنا يؤمنون بالله وبرسله وذلك عميق في قلوبهم ، ويعملون بمقتضى التعاليم الإسلامية ، والأديان تدعو إلى السمو في الروح ، ومع ذلك فتمنح لا تغفل جانب العمل لأن الدين يدعو إليه ويحرم عليه ، إن جميع الرسل قد جاءوا بما يعلى الروحية ويسمو بها وأكد ذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعا إلى العمل وإلى الجهد فيه ، فلو أن الناس جميعا رجعوا إلى كلمة الحق والتوحيد لنعمت البشرية واستقر أمرها .

إن المادة المظلمة لا ينبعث منها نور على القلب الإنساني ، لكن الروحية تفتح على الإنسان باب العلم والمعرفة ، والخلق الكريم وتهدى الإنسان إلى أبواب السعادة الحقة .

وأما المادية فليس لأصحابها إلا الأحجار والأصنام يعبدها من دون الله .

هذا . وقال الزائر : إنني أوافقكم على ذلك ولذا فإتينا في السويد بدأنا نتجه الاتجاه الروحي لتسلم لنا الحياة .

ثم قال فضيكة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر

والعمل بدأ واحدة على عارضة لإلحاد ومقاومته .

قال فضيلة الأستاذ الأكبر :

إنه لمن دواعي سرورنا أن تلتقى الأديان من أجل المبادئ الإنسانية ، وقد قلت للبطريرك المسكوفى : « أينما غوراس الأول ، يوم زارنى فى الشهر الماضى : لئننى أرجو أن يكون لهذه المقابلة التاريخية أعظم الأثر فى مستقبل ، تعمل فيه الأديان من أجل الإنسانية ، وإنى أتهز هذه الفرصة لأدهو إلى أن يضع كل منا يده فى يد الآخر طاملا على خدمة الإنسانية والسلام .

هذا ما قلته لسيادة البطريرك وأزيد عليه أن تلاقى الأديان لمقاومة الإلحاد هو تحقيق رسالة الأديان لخير البشرية ، واقتلاع لجذور الشر من النفوس ؛ لأن وازع الدين إذا تمكن فى القلوب ينهض بممنوياتها ويحول بينها وبين الاستجابة لدعوات الإلحاد ، ويوجهها إلى الخير وإلى العمل المفيد .

والرأى عندى : هو الوقوف صفاً واحداً أمام تيارات المادية المظلمة التى لا تعرف ديناً ولا ترحى خلقاً ولا تقيم وزناً للإنسانية الحقة . وهذه التيارات إذا ترك لها الانتشار قضت على البشرية جمعاء ؛ لأنها لا تعرف إلا التحلل ، وإضعاف الأمم ، وتمزيق وحدتها . إن الأديان جميعاً تدعو إلى العفوية ، وحبنا

بكم ، واستمعت إلى حديثكم الذى يخرج من قلب مؤمن كامل فإنى سأعمل على الاتصال بهم . فقال فضيلته : هو واجب الإنسانية جميعاً ، والفلسفة الصحيحة . وواجب عليك أن تنصح الشعب السويدي بالتوحيد ، وأنا أهتكم بميلاد عيسى الذى جاء بالتوحيد ولقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم يؤكد ، وهو غاتم الأنبياء والمرسلين فادع قومك إلى ذلك فقال : نعم . وسأحمل هذه الرسالة إلى السويد ثم قال : أرجو من فضيلتكم أن تأذنوا لى بالزيارة إذا زرت القاهرة مرة أخرى ، وعند انصرافه قبل يده فضيلته .

رجال الأديان يقاومون الإلحاد :

قالت صحيفة « وطنى » الأسبوعية التى تصدر عن القاهرة :

إن موجات الإلحاد تزحف موجة بعد موجة ، تريد أن تحطم مقومات الأديان ، وأن تشكك الناس فى معتقداتهم ، وتمحو الفضائل التى قررتها الأديان السماوية يوم أن سميت بالبشرية إلى معارج الكمال ، وتقضى على أعز ما كسبه البشرية فى كفاحها الطويل ؛ لتحقيق الخير الشامل والصالح العام ، وقد تحدثنا إلى فضيلة الأستاذ الأكبر وقداسته البابا وطائفة من رجال الدين والعكر فاتفقت آراؤهم جميعاً على الوقوف صفاً واحداً

والإلحاد الذين يزعمون كيان المجتمع
البشرى الحديث .

وقال صاحب الفضيلة الأستاذ حسن مأمون
مفتي الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية .
نحن نعتبر المسيحية ديناً من الأديان
السموية تدعو إلى الإيمان بالله وحده ونفى
الشرك عنه ، ومن هذه الناحية نعتبر المسيحية
كالإسلام في الدعوة إلى هدم الإلحاد ومناهضته .
لذلك أؤيد فكرة تعاون الدينين الإسلامى
والمسيحى على محاربة الإلحاد فى كل صورة
من صوره .

وقال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة :

إن القرآن الكريم يدعو إلى التعاون
الكامل بين المسلمين وأهل الكتاب فى مقاومة
الإلحاد ، وأعتقد أن الخطوة الأولى فى هذا
الشأن يجب أن يتقدم بها الغرب المسيحى بأن
يعترف بالحقوق الطبيعية للشعوب الشرقية ،
فلا يرضى لها الاستعمار كما لا يرضاء لشعوبه ،
ولا يرضى مثل الوضع الحالى للأجشن
فى فلسطين . كما لا يرضاء لأى شعب فى أوروبا .
إنهم إذا اتجهوا إلى هذا الاتجاه فقد اتجهوا
إلى العدل والاستقامة على الطريق الطبيعى
وبالتالى لا يكونون ملحدين بحقوق الشعوب ،
ولا يمكن أن يتجزأ الإيمان بالحق ؛ فأنى
إذا آمنت بالحق فى جانب ، وكفرت به

لدينا ووطننا يقتضينا أن نقف سداً عالياً
أمام هذه التيارات الموحشة فالغرب حين
يرسل إلينا مدنيته لنمّا يرسلها سافرة الوجه
فعلينا نحن جميعاً أن نوجه الناس إلى الخير
والفضيلة ليتقوا هذه التيارات وبخاصة
اللا دينية ، التى أصابت كثيراً من لا يفقهون
ولا يفهمون : « قل هذه سبيل أدعو إلى الله على
بصيرة ، أنا ومن اتبعنى » : « وأن هذا
صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله » .

وقال قداسة البابا كيرلس السادس :
يقول معلمنا بولس الرسول فى رسالته
إلى أهل روما .

إن الذين يحبدون عن الأديان أو يلحدون
لا تبقى لهم مثل عليا ، ولا دوافع خير ؛
لذلك ينحرفون عن الصواب وينتشر الفساد
فى مجتمعهم وتضطرب حياتهم . إن الرسالة
الأولى للدين هى تقوية النفوس حتى تحظى
بأكبر قدر من السلام القلبي والأمن والسيادة
عن طريق التعاون مع الآخرين بالمحبة
والفهم والتقدير المتبادل لمشاعر الناس ،
ولو استطاع رجال الأديان فهم هذه الرسالة ،
وتبليغ الدين بهذه الصورة إلى أتباعهم
لتعاونوا معاً بروح المحبة والإخاء الذى تحليه
الأديان ، ولو تفوا صفاً واحداً لمحاربة المادية

الآخر أمكننا أن نكون قوة واحدة تقف في وجه من تسول له نفسه النيل منا ومن وحدتنا .

كما أمكننا أن نعزز بإعلاء كلمة الله أينما كانت وحيثما قيلت لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فتحن دائماً في خدمة قائلها بعلبائنا وثقافتنا وأفكارنا . ثم أفضى الحديث حول أحاديث فضيلة الأستاذ الأكبر في الإذاعة

والصحف فقال السيد الزائر : إنها ليست بجمالة أن أذكر لفضيلتكم أننا نتبع أحاديثكم في الإذاعة والصحف ونهتدى بهديها .

ونسترشد بها في تفهم تعاليم الله وشرعية محمد السمحاء ، وإنه لما يشرقت في يوم من الأيام جنديا من جنود الأزهر ومازلت أعتبر نفسي هذا الجندي ، أعمل على هداه وتعاليمه . وإنه لعهد علينا قطعه على أنفسنا ، أن نعمل دائماً على خدمة الإسلام والمسلمين . وأن نسلك السبيل الذي يوصلنا إلى وحدة الغاية وسلامة الهدف إن شاء الله .

ثم استقبل فضيلته السيد أبو الأعلى المودودي رئيس الجماعة الإسلامية في باكستان يرافقه السيد محمد حاتم مترجم كتب سياذته إلى اللغة العربية والسيد غلام محمد .

وقد قال الأستاذ الأكبر : مرحباً بكم في القاهرة ، ومرحباً بكم في الأزهر - مهد العلم والمعرفة - الذي تخرج فيه وعلى رجليه كثير

في جانب ، كنت في الواقع غير مؤمن به ، فالذين يلحدون بالحق في جانب يظنون ملحدين ولو آمنوا به في جوانب أخرى ؛ لذلك أكرر ما قلته من وجوب تقدم الغرب للشرق بالخطوة الأولى حتى يقوم التعاون في مقاومة الإلحاد على أساس سليم من الإخلاص للحق وقه الذي سمي نفسه بالحق .

• • •

الأزهر مصر يوص على توثيق العلاقات الثقافية

بين البلاد العربية

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد عبد الجواد فرج مدير جامعة ليبيا ، ودار الحديث حول العلاقات الثقافية والأخوية بين البلدين ، وقد قال سيادة الزائر : إنني أحمل إليكم تحيات أبناء ليبيا التي هي جزء من العالم العربي والإسلامي والتي تشعر نحوكم بشعور الأخوة والصداقة اللتين تربطان بين البلدين الشقيقتين .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الأزهر حريص دائماً على أن يقوى العلاقات بين البلاد العربية والإسلامية . ويسمى جاهداً ليمد هذه البلاد الشقيقة بمبادئه من ثقافات وأفكار لتوطد الروح العربية والإسلامية بين أبنائها ولتأخذ طريقها دائماً إلى الكمال وإننا إذا تكاتفنا ووضع كل منا يده في يد

تكالبا ، إنهم أصحاب إختراعات ولكنهم
 ينقصهم معين هذه الاختراعات الذى لا ينضب
 تنقصهم الروح ، فماديتهم مادية مظلة لا تعرف
 للإنسانية طريقا يوصلها إلى الخير ،
 ثم انجحه مرة أخرى إلى ذاته وقال اسمع
 يا أخى : نحن فى زمن السرعة ، فى زمن
 الصاروخ ، فى زمن يصعد فيه الإنسان إلى
 الكواكب ، فى زمن الوضوح وأنا أقول
 أيضا : يجب أن يكون الإسلام فى وضوحه
 وفى سرعته مع الناس ملائما لهذا الزمن وعلى
 رجال الدين نشر ذلك . وأنا - وإن كنت
 أراك شيئا - لكفى ألمس فيك روح الشباب
 القوى المنتج ، وأرجو أن يكون عملك -
 يا أخى - وعمل العلماء جميعا فى شيخوختهم
 أقوى من عملهم فى ريمان شبابهم
 إتنا نريد أن نعاهد الله على توحيد الفكرة
 الإسلامية لتنتشر فى كافة بقاع العالم .
 فسر السيد الزائر بهذه الفكرة .
 ثم انصرف الوفد ليزور مجلة الأزهر ، وقاعة
 المحاضر ، أتودار الكتب الأزهرية ، والجامع
 الأزهر .

من رجالات العلم والمعرفة فى العالم الإسلامى
 أنت يا أخى نعرفك بعلمك وبكتبك ، وإتنا
 ليهنأ أن يتضامن علماءنا مع علماء المسلمين فى
 أنحاء الأرض للعمل على إظهار العقيدة الإسلامية
 بعيدة عن الشوائب ، خالية من البدع ، فتعود
 بالفكرة الإسلامية إلى الوضوح الإسلامى
 الرصين ، إيماننا بكتاب الله وسنة رسوله .
 قال السيد الزائر : نعم - يا فضيلة الأستاذ
 الأكبر : إن العالم فى حاجة ماسة إلى الدين
 الخالص .

فقال فضيلته : وليس هناك من طريق إلى
 الدين الخالص إلا عن طريق أهله الذين
 يفهمونه ويمدونه إعدادا كاملا ، ثم يعرضونه
 على الناس فيثمر ثمرته ، ويؤتى أكله يأذن
 الله وثق يا أخى أن الترابط الذى بيننا هو
 ترابط الفكر والدين ، وهما رباطان قويان
 لا يقوى على فصلهما شئ .

وإن الأديان لا تقف حائلا دون التقدم ،
 بل هى لتقدم نفسه ولو أن أمم الغرب تمسكت
 بالأديان ، وارتبطت بها ، وعكست عليها
 وحرصت على فهمها ما رأيت تطاحننا ولا

الكتيب

نقد وتعریف

دیوانان من الإقليم الشمالی

”نجمی“: لعنان مردم - ”مع الله“: لمیرزا الدین الزیدی
للأستاذ ابرهیم محمد نجب

وأبدعه خياله ؟ وأشهد أني حين أخذت في قراءة هذا الشعر كنت أنزل بالشاعر عن مستواه الذي عرفته له . حين لم أجد فيه الكثير من قوة العاطفة ، وثورة الوجدان وإن وجدت فيه الكثير من فصاحة اللفظ ، وبراعة المعنى ، وجمال الصياغة . ولكنني لم أكّد أتمنى من شعر الغزل ، وأبدأ في شعر الطبيعة حتى ملأتني الإعجاب بما يتجلى في هذا الشعر من دقة الوصف وبراعة التصوير وروعة الخيال ، إن شعر الوصف هو المجال الذي يسبق فيه شاعرنا الكثيرين من شعراء هذا العصر وهو القمة التي يقسمها مع القليلين من شعراء هذا الجيل . ونحن من خلال هذا الشعر ، ندرك أن شاعرنا يحس الطبيعة إحساساً قوياً ويشعر بها شعوراً عميقاً ، فيتمثلها فلوياً تنبض

أما ”نجمی“: الشاعر عدنان مردم بمجموعة من القصائد في الغزل والوصف والتاريخ والمتأمل في هذا الديوان يدرك أن صاحبه يتخذ طريقاً وسطاً بين الابتداعية والاتباعية . فلا يذهب في الأولى مذهب ناجي وعلى طه ولا يصنع في الأخيرة صنيع الجارم ومحرم ، وإنما يلائم بين المدهين كما ينبغي أن تكون الملائمة ، فيأخذ من الابتداعية ، لقصائده العاطفية ، رقة اللفظ ، ورهافة الحس ، وعذوبة النغم ، ويأخذ من الاتباعية لقصائده الوصفية والتاريخية ، جزالة اللفظ ، وغفامة المعنى ، وقوة الجرس :

ولست أدري ، ما الذي جعل شاعرنا يبدأ ديوانه بشعر الغزل ، وليس هو خير ما جلت به قريحته ، وفاضت به عاطفته ،

وهضابها راحت على ضجر
في شمة الإعياء تلتفع
أنست يوحشتها وأسعدتها
صمت كداجي الليل متسع
واستسلمت للنوم ناعمة

بميق صمت ليس يتفتح
وسر براعته في الوصف أنه يشر بموصوفه
شعوراً حقيقاً ؛ لأنه يجد نظيره ما تلا في حياته
النفسية ، وتخرجته العاطفية ، فهو يبرع
في وصف النار التي تنتهي إلى رماد ، لأنه جرب
النار الخالدة في قلوب المحبين :

ما كن حبك غير مؤثلق اللظى
تخرى لواجبه القلوب بياتر
كم في الهوى والنار من متقارب
ومشابه في باطن أو ظاهر
وأرى الهميب إلى الرماد ماله
ولهب حبك خالد بسر أترى

وهو يبدع في وصف الخريف ، لأن أوراقه
التي تبدها الرياح ، تذكره بآماله التي بدتها
صروف الحياة ، ولأن خريف الطبيعة يقابله
خريف عمره الذي يبكي فيه ربيعته الذي ذهب
ولن يعود :

آمالنا ورق تقاذفه
يد عابت في لجة الحقب
وشبابنا الفينان فاكهة
لكنها نهب لمنتصب

ونفوسنا نحس ، وأرواحنا تشمر ، وليست
الطبيعة عنده ظواهر مادية ، يعرف حقيقتها
حين يعرف طبيعة وجودها الخارجي ، ولكنها
كائنات حية تفصح عن جوهرها داخل النفوس
وخفايا الضائير . وهو يرى الطبيعة المليئة
بالحياة والإلهام في كثير مما يدركه البصر
ويشمه الحس ... يراها في الربيع والخريف
والشقاء ، وفي الصباح والأصيل والمساء ،
بل إنه يراها ، بروعة تأثيرها ، وقوة تعبيرها ،
في غير ما تعود الناس أن يروه من صور
الطبيعة التي تأسر القلوب ، وتسحر الأبواب
وتفتن المشاعر ... يراها في الصحراء الصامتة
الموحشة ، وفي النار المستمرة المانجة ، وفي
الدخان الكثيف المتصاعد ؛ لأنه لا يقف من
الأنبياء عند ظواهرها الخارجية . ولكنه
يبلغ أعماقها الخفية ، فيرى مالا يراه غيره ،
ويدرك مالا يدركه سواه .

وهو في شعره الوصفي لا يعرض في إطار
القصيدة الواحدة ، صوراً صغيرة لا تألف
كل صورة مع أختها ، كما يفعل بعض الشعراء ،
ولكنه يعرض في كل قصيدة من قصائده
الوصفية لوحة كبيرة تنسج فيها الظلال
والألوان ، وتستقر كل لمسة فيها بلاء من مكان
يبدو ذلك في قصيدة الصحراء حين يقول :

عابتها والصبح مؤثلق
ينساح مواراً ويتسع

أسفا ، أكل شبيبة سمحت

تلوى بنوحها يد العطب ؟
ولشاعرنا في شعره الوصن لمسات إنسانية
تهز المشاعر ، وتثير القلوب ، حين يري موكب
الحريف ، وبلس حزن الطبيعة ، يذكر أعاء
الذي لجعه الدهر بفقده ، فيقول في حزن :

ألفيت كره الدهر ينسى

المراء أوطانا وجرا
وحواث الأيام ته

دل دون مانهوى ستارا
لكن جرحى لم يزل

في الصدر يستمر استعارا
أروم بمدك يا أخى

سلوى وقد بدلت دارا ؟
إني إذن ضيعت عم

دك ظالما ، وأتيت عارا
هيات ينسني الزما

ن العهد ، أو كره السنين
ومن لمساته الإنسانية التي تتم من سماحة

النفس ، ورجاحة العقل ، ونبل الخلق ، قوله
في قصيدته « غفران » :

إني إذا ما أمكنتني فرصة
من ظالم ، وقرعته بستان

غلب الحنان على المداء ، ولم يعد
في الصدر يحضرني سوى الإحسان

سر السعادة أن نحمد الحماطي
يد راحم ونمنن بالغفران

يسع الحنان الحماطي أوزاره

ولكم أقال الفمع عشرة جان
ويبقى بعد ذلك أن نذكر بعض ما وجدناه
في هذا الديوان من هنات لا تنقص من قيمة
الشعر ، ولا تنقص من قدر الشاعر . من هذه
الهنات أنه في بعض صوره لا يحقق الملائمة
النفسية بين أجزاء الصورة الواحدة ، ففي
قصيدته « وقفة على قبر أخى » يقول :

دعوتك والظلال علي
لك أرخت فضل أردان

ولالأزهار من عبت الصب
ما تهويم سكران

و « عبت الصبا » و « تهويم سكران »
لا يلائمان القبر الذي يثير الحزن ، ولا يوائمان
الشاعر الذي يشمر بالفجيرة .

ومنها أنه لم يحسن الملائمة بين المعطوف
المعطوف عليه ، حين عطف الماضي على

المضارع في هذا البيت :

وبكفك الدنيا تفيض سنا
من رحمة وتدفتت حطر

وأنة زاد وحدة صوتية « نغمية » في هذا
البيت من قصيدته « الأرز » :

وشهدتن مولد الملك الأم
مثل حيرام سليل الأجداد والابطال (١) .

(١) يمكن تصحيح البيت على هذا النحو :

وشهدتن مولد الملك حديا
م سليل الأجداد والابطال
يا سكان لام « لك » : نجا

وهناك بعض هنات أخرى يضيق المقام
عن ذكرها .

ومهما يكن من شيء ، فهذا الديوان خليف
بالدواسة ، وصاحبه جدير بالتقدير .

• • •

وأما (مع الله) للأستاذ الشاعر عمر بهاء الدين
الأيدي فالقول فيه إنه إذا كان الميدان الذي
يسبق فيه شاعرنا عدنان هو ميدان الوصف ،
فإن المجال الذي يتفوق فيه شاعرنا عمر هو
مجال التصوف ؛ فديوانه هذا لا يضم غير
الجانب الإلهي من شعره ، ونحن من خلال
هذا الشعر نلصق هذه الصوفية الرقيقة التي
تضفي على الأشياء ألواناً من السحر والجمال ،
وتسعو بالروح إلى سموات من الصفاء
والإشراق . .

هذه الصوفية التي يصورها الشاعر أجمل
تصوير ومقطوعة ، آفاق وآفاق ، حيث
يقول :

تمتد بالأبصار آفاقها

إلى التفاتات السما بالشئ
ويبلغ التميز غاياته

عند حدود الأفق المقترى
لكن أهل الله تسرى بهم

بصائر الإيمان أنى سرى
وفي التفاتات جباه التي

بالأرض آفاق لبعض الوردى

تجتاز بالأرواح دنيا الفنا

حتى ترى في الله ما لا يرى

وصوفية شاعرنا تلمو من «السطحات»
البعيدة التي يذهب الناس في تفسيرها مذاهب

شقي ؛ فإذا كان الحلّاج يقول في إحدى
شعرائه : « ما في الجبة إلا الله » فيشير بهذا

القول كثيراً من الجدول والخصام ، فإن
شاعرنا يرى نفسه قبساً من نور الله ، وهو

يؤمن بربه لأنه يراه في خلقه ، يراه في الفجر ،
وفي الضحى ، وفي جنح الفلّس :

كيف لا أومن بالله ، وهل

لندوى الأبواب فيه ملتبس
كيف لا أبصره في خلقه

في الضحى ، في العجر ، في جنح الفلّس
كيف لا أحياه بالروح من

أمره في غور ذراق انبجس
كيف لا تسعد نفسي بسنا

نوره في كل ترويد نفس
وأنا ، في سر كنهى ، من أنا ؟

أنا من إبداعه السامى قبس
فصوفيت إذن صافية أرق الصفاء ، واضحة

أشدّ الوضوح ، ليس فيها هذا الغموض
السكثيف الذي يلبّل الأفكار ، ويصير

العقول . وليس فيها هذا « الانجذاب »
الضيف الذي يوشك أن يكون عند بعض

الناس مرضاً من أمراض النفس ، أو وسيلة

من وسائل العيش ، وليس من الكشف
أو الوصول في قليل أو كثير . وأى صفاء
أرق من الصفاء الذى يتجلى في هذه الآيات :
في تناجى القلوب بالحب روح
فيه الروح والحشا خير قوت
فيه صفو ونشوة وهناء
وافطلاق من الأسى المكبوت
حين تصنى بعض القلوب لبعض
في الحديث التنى أو فى السكوت
يشرق الله بالصفاء عليها
وينادى أحفائها : هل رغبتي ؟
في تناجى القلوب بالحب
يتسمى بها إلى الملكوت
وهذه الصوفية الصافية بعيدة كل البعد
عن صوفية الغفواء ، تلك الصوفية العاجزة
البليدة التى يتخذها بعض الناس ستاراً للجهل ،
ويلتزمها فراراً من السعى ، ولكنها
صوفية حافلة عاملة تقسم بالثقافة والمعرفة
والإدراك ، وتعتبر عن قوة الروح ، وسمو
النفس ، وترى الأشياء فى جوهرها الداخلى
لا فى مظهرها الخارجى . . . قيمة الكعبة
عند شاعرنا ليست بأحجارها المرفوعة ،
وأستارها الموضوعة ، ولكن بأنها محور
أجداد الأمة العربية ، ومصدر أنوارها
الربانية ، وهى لذلك معنى يحسده المؤمن فى
نفسه ، يطوف حوله أنى ذهب ، وحينئذ كان :

الكعبة الشاء فى مذهبي
قيمتها ليست بأحجارها
والقرب من خالقها ليس فى
تثبت المرء بأستارها
فكسبة الكعبة فى جمعها
أمتنا من كل أقطارها
وأنها محور أجدادها
وأنها مصدر أنوارها
وكعبة المؤمن فى قلبه
يطوف أنى كان فى دارها

والصوفية قد تكون مظهراً من مظاهر
انطواء النفس ، واحتزال الناس ، وكره
الحياة ، وهذه صوفية ضعيفة لا تنفخ أمام
الإغراء ، ولا تثبت فى مجال الصراع ، وقد
تكون الصوفية وليدة خبرة بالحياة ، ومعرفة
بالناس . وصراع مع النفس ، وهذه هى
الصوفية الراضية التى لا تصف بها الأصاير
ولا تذيبها الشهوات . ومن هذا الطراز
صوفية شاعرنا التى تتجلى فى نفسه ، وتنعكس
على شعره ،
آمن بالله وبالإغراء
وزلل القلب مع الأهواء
والضعف أناء عن الإغواء
وغفوة العفة والإباء
وقننة البهاء فى الفناء
ومكرهن البارح المرائى

أمن إيمان خبير رائي
أحيط من أطرافه بالهدا
وكذا أب يهوى في البلاء
لؤلؤ البرهان في السماء
وشاعرنا كلما أظلمت من حوله الحياة ،
احتزل دنيا الناس ، ولاذ بنور الله ، فوجد
في هذا النور طمأنينة النفس ، وسكينة الحس
وسعادة الروح ، وعزلة هذه ليست عزلة
الجهان الذي يهرب من الميدان حفظاً لنفسه ،
وحرماً على حياته ، ولكنها عزلة الرابض
المتحضر ، الذي بعد نفسه ، ويهيئ سلاحه ،
لحازلة الأعداء في ميدان الكفاح .
قالوا اعتزلت ، فقلت عزلة رابض
متحضر قلوبية الشياء
إني لأرجو أن أحاول صادقا
في صوغ ذاتي من تقى ومضاء
لأكون في الجلى إذا الداعي دعا
سهما يصيب مقاتل الأعداء
فأجود بالنفس الزكية في رضا
ربي ، وأدخر في الإله دمائي
ولكن ماذا بيني شاعرنا من الحياة ؟ إنه
بينى فحرر النفس من قيد الجسد ، وانطلاق
الروح من أسر المادة ؛ لارتياح المجاهل ،
والاستغراق في الفشوة ، حين تلامس النفس
أسرار الوجود ، وتضامخ الروح أنوار الإله ؛
فإذا احتدم الصراع بين الروح الذي من
شأنه أن ينطلق ، والمادة التي من طبيعتها
أن تمسك ، فإن شاعرنا يستسلم حينئذ
لأمراهه ، الذي كتب على خلقه هذا الصراع
الخالد بين الروح والمادة ، لحكمة لا يعلمها
حق العلم أحد سواه ؛
سلبت الرحمن تسليم العزيز إذا هزم
ورضيت حكم الله في الروح المضرج بالآلم
ومكنا يبدأ الشاعر ديوانه مع الله ، ويختتمه
مستلماً لأمراهه .

إبراهيم محمد نجما
من خريجي الأزهر

بريد المجلة

أبى كنىب الأساذ الأكبر؟ من أمهلون المحدثين :

قرأت ما كتب الأستاذ السيد أحمد خيرى عن (المغير لآحمد القارى) فرجعت إليه وإلى ضمه من مؤلفاته قرأته يملخ فى الباطل وهذى بما لا يرضاه عاقل لنفسه ، وهو فى أطلعت عليه من كتبه يعوزه خلق المحدث .

وإلى أسوق الآن كلمات فى خلق المحدث ، ليستبين القارىء منها أنه ليس له طبع على أصيل يؤهله لتحرير ما يعرض له من البحوث الحديثة والعقبة وغيرها :

إن أول ما يجب أن يستفيدة حامل الحديث من الحديث هو كرم الطبع ولين الجانب والتلطف بالمسلمين ، والابتعاد عن هجر القول والعجرفة ، كأنه عاش مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاشره وتربى بسيرته فى إرشاد الأمة .

إن علم الحديث يظهر النفس فيكون المحدث صورة للخير والفضيلة : لا يداهن ولا يشاحن ولا يمتثال ولا يحمى ولا يحقد ولا يسفه ولا يطن ولا يلعن ولا يسب .

ألقى الينا البريد طائفة من الرسائل يقول فيها مرسلوها أن المجلة كتبت عن كتاب الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر : (الإسلام عقيدة وشرعة) و (الفتاوى) ولم تذكر من الناشر ولا أين تباع .

ويقول السيد أحمد عبيد من دمشق أنه تعب فى الاستدلال على عنوان الناشر أو المعهد وكان يريد أن يطلبها رأساً من فضيلة الأستاذ الأكبر وطلب منا أن نساعد على ذلك ؛ ليستطيع إجابة الطلب الشديد المتصل على اقتناء هذه الكتب . ونحن نقول لهؤلاء السادة إن الأستاذ الأكبر لاصلة له بنشر هذه الكتب ولا بتوزيعها ، وإنما يبرع بها لإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر فنشرتها على مألوف عاداتها وفى حدود اختصاصها من نشر الكتب العربية أو الأجنبية التى تخدم الإسلام بتفقيه الناس فيه ، أورد الشبه عنه ، وهى توزعها على الهيئات العلمية والإسلامية بالمجان .

المغير لأحمد الصديق ، فقد طعن في الحافظ السيوطي والحافظ ابن الجوزي - من جهة الحديث النبوي - وغيرهما من العلماء أكثر من عشرين مرة ، لا يبارك الله فيه .

وما اطلعت عليه من كتبه مشحون بمثل هذا ، فهو يلين بعض العلماء والقضاة ، ويكفر بعضهم .

واللجنة ترجع إلى قائلها إذا لم تجد مساعدا . ومن دعا رجلا بالكفر وليس كذلك حار عليه . على ما في الصحيحين وغيرهما . والله يفار على العلماء ، ويفضح من يقتصمهم .

وهو يقال في بعض كتبه من أناس لعيب يراه فيهم ، ثم يتعلق آخرون وهم متصفون بتلك الصفة ، مما يدل على أنه يكتب وهو حذر ، لأن اليقظان لا يتناقض .

قال الإمام الأعظم أبو حنيفة : ما صليت صلاة منذ مات شيخى حماد إلا استغفرت له مع والدي ، وما مدت رجلى نحو داره وإن بينى وبينها سبع سلك ، وإنى لاستغفر لمن تعلت منه أو علمنى .

وأحمد النجاشي يرد بحجج العلماء ثم يستلذ الوقعة فيهم .

ترجم العلامة الأديب ابن خلكان لحامد مجرد فلما وصل إلى ذكر أبيات ماجنة قالها هذا الشاعر في أحد الأئمة لم يرع ابن خلكان أن يصرح باسم هذا الإمام بل قال : يمكن أنه

روى القاضى ابن خلكان أن سهل بن عبد الله التستري جاء لآلى داود صاحب السنن ، فتقبل له يا أبا داود : هذا سهل بن عبد الله قد أتاك زائراً ، فرحب به وأجله . فقال سهل يا أبا داود : لى إليك حاجة ، قال وما هى ؟ قال حتى تقول قضيتها مع الإمام ، قال قد قضيتها مع الإمام . قال أخرج لسانك الذى حدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبله . قال فأخرج لسانه فقبله .

ودروا عن الإمام يحيى بن معين أنه كان يقول : حدثنا (اسماعيل بن علية) قناه الإمام أحمد وقال : قل (اسماعيل بن إبراهيم) فإنه بلغنى إنه كان يكره أن ينسب إلى أمه ، فقال قد قبلنا منك يا معلم الخير .

هذا خلق المحدث ذى الفطرة السليمة والتربية المثلى . أما ذو الفطرة السيئة المنحرفة الذى نشأ فى بيئة لا تعرف الحياء إذا تشاغل بالحديث كان له كالماء يرقد عن الجلود لا يرويه ولا يتروى به . طلب الحديث للفخر والرياء ، والجدال والمراء ، وتأكل به الأغنياء ، وهو ينسب نفسه إلى المحدثين ، وأخلاقه أخلاق سفلة الجاهلين .

قال ابن عينة : إذا كان نهاري نهاسفیه ، وليل ليل جاهل ، فما أصنع بالمعلم الذى كتبت .

وأصدق مثل لهذا الخلق هو ما جاء فى كتاب

وعقب نشر المقال وظهور العدد استفسر كثير من القراء عن هذه الشخصية العجيبة التي تعيش في عالم غريب...

ونحن نبادر أولاً فتحة للقراء الأفاضل بأنه ما منعنا من ذكر اسمه إلا علنا بأن هناك إجراءات رسمية قد اتخذت لحاسبته على آرائه الشاذة .

ومن الجدير بالذكر أن مجلة د صوت الإسلام ، كانت قد نشرت ما يكشف ستر الرجل بقلم الأستاذ عطية خميس المحامي رئيس تحريرها ، وتبيح الرجل ورد عليه مدهياً أنه إنما يستند إلى القرآن وحده ومتجنياً على الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر ، زاعماً أن فضيلة قرر في كتابه الأخير : الإسلام عقيدة وشريعة ، الاستناد إلى القرآن وحده فنضع حقه قبل أن يفضحه لسانه ، فالأستاذ الأكبر قرر في كتابه : أن العقيدة لا تثبت إلا بخبر قطعي الدلالة والورود ، سواء أكان قرآناً أم حديثاً متواتراً ، وهذا ما عليه جمهور العلماء . وتجاهل هذا الرجل في رده أن الأستاذ الأكبر حين تحدث عن مصادر الشريعة ذكر السنة كمصدر ثان بعد القرآن ، وقد زعم القائلين بأن القرآن هو المصدر الأول والأخير ، قد ذكر فضيلة في ص ٢٥٥ : تحت عنوان : الرد على شبهة هؤلاء ... إن الرأي السابق مخالف لإجماع الذين يعتمد بإجماعهم

كانت بينه وبين أحد الأئمة الكبار ، وما يليق التصريح باسمه ...

وهذا من سمو الأدب في التأليف ورعاية حرمة العالم للعالم ، وأما الجاهل المغرور فلا يحترم نفسه ولا الناس ولا الحق .

رووا أنه تغير خاطر الحافظ السيوطي على العلامة القسطلاني وقال : إنه ينقل من كتبي ولا ينسب إليها . فحشي القسطلاني من القاهرة إلى الروضة - وكان السيوطي بها منزلاً عن الناس ، فدق عليه الباب وقال أنا القسطلاني جئت إليك حافياً ليطيب خاطرك علي ، قال طاب خاطري عليك .

هذا هو أدب أهل الحديث النبوي . وأختم قولي بنصيحة لهذا الرجل إذا كان الصلف أبقي عنده مكاناً لقبولها :

قال الإمام الشعبي : (العلم ثلاثة أشبار ، فمن نال منه شبراً شمع بأنفه وغلن أنه ناله . ومن نال الشبر الثاني صفرت إليه نفسه وعلم أنه لم ينله . وأما الشبر الثالث فهبات لا يناله أحد أبداً) . وفي هذا بلاغ للعاقل .

أبو الفضل محمد الحيدري

هذه الرجل : ماذا وراءه ؟

في العدد الفائت من المجلة كتبت مقالا عن هذا الرجل الذي يدعو إلى دين جديد مبتكر باسم الإسلام ليقوض به أركان الإسلام نفسه ...

• وجهة البحث الجديد افقت نظري منه قوله عن الشيعة الضالين عن سبيل الحق وقد انقضوا ولم يعد لهم أثر في العلم الإسلامي وهم كفار خارجون على ملة الإسلام ملعونون من أهل السنة والشيعة ، أما إنهم مارقون من الإسلام ملعونون من المسلمين كافة فهذا أمر لا خلاف فيه ، وأما إنهم قد انقضوا فهذا كلام فيه نظر ؛ فإن هذه الفرق من الشيعة الذين يقولون بالوهمية على وأن جبريل أخطأ حين كان ينزل بالوحي فكان حقه أن ينزل على علي " فنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . وهذه الشذمة ما زالت تعيش في بلاد الشام ومنهم الدرود والنصيرية والإسماعيلية وهم يقولون بتناسخ الأرواح ويفسرون القرآن بأهوائهم ويقولون إن علياً حل في القمر ؛ وبعضهم يقول إنه حل في الشمس ؛ ولذلك يعبدون الشمس والقمر ولا يعبدون الدين إلا لمن بلغ الثامنة عشرة من عمره ، ويحبسون المرأة عن كل ما له علاقة بالدين الذي يزعمون أنه جوهرة ثمينة والمرأة غير أمينة عليها ؛ والغريب من أمرهم أنهم يتسمون بالأسماء الإسلامية ما عدا أبا بكر وعمر وعثمان . وما يبشر بالخير ما حدث من انتشار الإسلام بينهم أي بين النصيرية والإسماعيلية ، فقد بلغ عدد المسلمين حتى الآن من النصيرية ما يزيد على خمسة آلاف مسلم ومسلمة ، وبين يدي

وأن ما ذكروه من الشبه لا قيمة له أمام العمل المستمر من عهد الرسول إلى يومنا هذا في نزوح المسلمين في تعرف أحكامهم إلى السنة المروية .

ويظهر أن الرجل نسي أن دعوته المزعومة تقوم على انتكار الأحاديث جملة وتفصيلاً ، وأن محمداً صلوات الله عليه — لم يقل حديثاً واحداً ، وأنه من يدعى بأنه قال ولو حديثاً واحداً ينهم بالخيانة ، وهذا قول لا يجد تابعا واحداً إلا من سقطت عنهم التكاليف والعجيب مرة أخرى أن الرجل ذكر في رده على مجلة (صوت الإسلام) أن كتاب الأستاذ الأكبر ص ٤٤ تضمن حديث (: من تحدث عنى فليتبوأ مقعده من النار) وبالرجوع إلى الكتاب اتضح أن الرجل جرأه على الاختلاق لا تجاري ، فإن صيغة الحديث كما وردت في الكتاب : « من كذب على الخ .

أما الرجل فهو السيد / محمد المتولى نجيب سكرتير عام وزارة المواصلات الذي أصبح منذ أيام قلائل : وكيلًا مساعدًا لوزارة المواصلات أيضاً ...

محمد عبد الله السخاوي

غمرة الشيعة لم ينقضوا بعد :

قرأت في عدد جمادى الآخرة من مجلة الأزهري مقالاً للأستاذ محمد عبد المديني بعنوان

وعقائدهم وأحوالهم الاجتماعية وأوضاعهم
ثم يقوم بما تتطلبه أوضاعهم من عمل يرجى
من ورائه هدايتهم ودخولهم في دين الله .
ولقد بذل المبشرون جهوداً جبارة في
سبيل إدخالهم في النصرانية غير أنها باءت
بالفشل ونغم ما أعدهوا على كثير منهم
من أموال وثياب ، وشق أنواع المفريات .
وهناك طائفة أخرى غير هذه الطوائف
الثلاث هي طائفة اليزيدية التي تظن الجهات
الشمالية من الإقليم السوري وهي تعبد
الشیطان ، وأذكر أن عدداً من القرى من
هذه الطائفة كان قد دخل في الإسلام منذ
سنوات على قلة النعاة والمرشدين ، وقد بعث
المبشرون النصارى وفداً ليدرس أحوالهم
الدينية والاجتماعية وحياتهم العامة وتقاليدهم
الخاصة ، كل هذا وغيره يجري والمسلمون
في غفلة ساهون عن التبشير بدينهم في ديارهم
وفي غير ديارهم .

عمر عمر عمر

وأنا أحرر هذه الكلمة كتاب من أخ فاضل
يبشرني بأن الإسلام ينتشر بين هؤلاء انتشاراً
سريعاً ، وأن لجنة التبشير الإسلامي المنبثقة
عن جمعية العلماء في حمص قد نجحت في مهمتها
مبدئياً ، غير أنه ينقصها المال الكافي حتى
تستطيع أن تبلغ الرسالة وتؤدي الأمانة ،
كما أنها أخذت تهتم بالاسماعيلية بعد أن تبين
لها أن الاسلام يغزو هذه الطائفة في ديارها ،
فقد بلغ عدد المسلمين من هؤلاء أكثر من
سبعة آلاف في قضاء المسلية وما حولها .
وقد أرسل إليهم الأزهر هذا العام الأستاذ
الشيخ عبد اللطيف مشهري واحظاً وداعياً
إلى الاسلام ، غير أنه لم يمكث بينهم إلا شهراً
واحداً هو شهر رمضان وعاد إلى القاهرة .
وهكذا نجد أن هذه الطوائف لم تنقرض
بعد ، وما ذلك إلا من إهمال المسلمين وعدم
اهتمامهم بنشر الاسلام وبعث الروح الاسلامي
من جديد . إنهم هم المسئولون وحدهم عن
هؤلاء الذين لا يهابون عن الاسلام قليلاً أو
كثيراً ، فلم لا يدرس الأزهر حياة هؤلاء .

with proper guidance or lead mankind in a way free from the factors of limitedness and subjectiveness.

It has been established from what we have already mentioned that the real problem of the youth is not a sexual one but of human nature and pertaining to the value and standard of humanity in the conceptions of the youth. It is how to make the adolescent a mature human being, so that he may not return to the childish characters or yield to the attraction of matter, and may, instead, seek to realize the values which represent the human standard of maturity and perfection.

This is the nucleus of the problem of the youth and the solution is dependent on what religion can do in making the youth appreciate the virtuous standard of humanity. This in turn depends on how *ministers* of religion present the religious values. The more these *ministers* adopt modern methods in their presentations and the nearer they come to the spirit of the Divine message, the closer

they are to the hearts of the youth whose relation to religion will go stronger and stronger.

The value of religion is everlasting, and its necessity in man's life is unquestionable. The adherence of the youth to religion is indispensable to make them appreciative of their human values and guarantee good guidance on their part.

To make the youth associate themselves with religion there must be (a) a harmony between the various mediums of guidance in society ; (b) true understanding of the religious teachings and (c) a good presentation of the religious values on the part of those who have made religion their responsibility and mission in life.

These are the prerequisite to the association of the youth with religion which is irreplaceable and which empowers the youth to strive for *Independence, sovereignty* and values.

peace and avoidance of aggression, propagate sincerity and love, guide to brotherly human relations and sacrifice in the way of noble causes, national and social alike. The mission of religion, therefore, is nothing but making a sound presentation of the human values which ordain the proper course of man's relations to his fellow human being.

If the youth become clearly aware of their human nature and their values in life, they will undoubtedly be desirous to strive for attaining their human standard and enjoying the sense of their existence as human beings endowed with peculiar values. And when the youth are determined to struggle for such noble aims, their resolution will remove their uncertainty, and their tension, anxiety, will disappear. Thus we can find the right solution to the problem of the youth. This solution is to busy the youth with a struggle to achieve a good end.

It is religion only, to which there is no alternative in this respect, which can familiarize the youth with their human standard and with the necessity of making distinction between materialism and spirituality. For religion there is no substitute in philosophy or historical studies or psychology or any other branch of humanities, because none of these

subjects is exempt from partiality and limitation, and none of them can replace religion in making the youth familiar with their human standard and the position of spirituality in contrast to materialism in life.

Philosophy in some schools believes in *matter* only and pays no attention to the spiritual ideals; in some other schools it believes in ideals only apart from *matter* or rejects both *matter* and idealism as is the case with mystical philosophy. Philosophy in a broad sense could not get rid of these defects and could not evaluate materialism as such and spirituality as such. Consequently, it could not introduce the needed distinction between materialism and spirituality. It could not rid itself of the mentioned defects because it is man's production, it is man made, and he is limited by the social factors and environmental circumstances working in his society. Such a man is not the *universal* man who is qualified to draw the general course of humanity and lead mankind to the right way.

Similarly, psychological and historical studies together with other departments of humanities are not absolutely and thoroughly sound in their conclusions, interpretations and observations respectively. Hence they, too, cannot provide humanity

The crisis of instability and anxiety in the youth, or the problem of their uncertainty is actually due to the fact that they fluctuate between two opposite stages in man's life: childhood and maturity. The former stage is distinguished by the child's inclination and attraction to tangible objects of size, quantity, colour, tune, sound, picture and form. Contrary to that is the latter stage of maturity which is distinguished by man's inclination to ideas, values and ideals; and by his attraction to principles. In the stage of childhood the human being is subject to what he perceives of material objects, while in the stage of maturity he emancipates himself from the subjugation of the tangible and shows independence from; the attraction by things of concrete nature or tangible characters.

There is a gap in the life of the youth. It is the gap between the irresponsible conduct of childhood and the sound behaviour of maturity. There is in the life of the youth a great deal of uncertainty and fluctuation: Will they remain subject and enslaved to the tangible objects or grow independent in their attitudes and mature in their decisions? This is the real crisis and the acute problem of the youth. The remedy of this problem, which should be produced by the people of

religion, is to make the youth have clear distinction between materialism and spirituality, between two different stages in life, which require different attitudes, the stage of childhood, of the sense, and the stage of maturity, of sound mind and values. The youth should be taught to understand that spirituality is not a request to shun the course of material life. They should understand that spirituality means acquaintance with the significant role played by values and ideals in man's life besides the role played by the senses and material inclinations.

Nature and religion, then, are very necessary in man's life. Nature gives him the incentive to discover its wonders and perceive its aspects, whereas religion inspires him with insight into the real value of man, a function of which nature is absolutely incapable. The necessity of religion in man's life is beyond doubt because religion makes him conscious of his value and, consequently, emancipates him from the attraction of nature. Religion enables man to be his own master and the master of nature itself in a way as to render it subservient and useful to him, instead of the reverse.

Religious principles teach hearty sympathy and co-operation, advocate

religious values in a wrong manner. Some of these programmes introduce the religious values in the same way as some European intellectuals used to do in the Age of Enlightenment. This attitude is marked with some features the most important of which is glorifying man as the maker of law, morals, society and the state on the one hand; and disregarding religion as the source of all these systems and institutions, on the other hand. Some radio programmes depict man as being above the level of any criticism and as endowed with absolute authority to define the course of life in his own personal realm or in the whole social sphere. These programmes picture man as a completely self-sufficient being who needs nothing besides his mind, whereas religion and its values, as a right source of guidance, are derided and misrepresented by these programmes.

These are the obstacles and barriers standing in the way of the youth to religion. The definition of the way which associates the youth with religion is far beyond the ability of any individual or group of individuals, however capable they may be. If this way to religion is to be found and followed, it must be a part of the state policy and an element in the guiding forces of society

in such a manner as to make all divisions and systems of the state respect the religious values, represent them properly and finally seek them. When this is realized together with the proper function of the school and the mosque, which function aims at bringing up well-mannered youth, the public will become enlightened, discipline will prevail and public opinion will prove sound.

To attract the youth to the line of religion it is not sufficient to only present the religious values in a uniform way of guidance. But, in addition to that, religious teachers must produce good solutions to the psychological problems of the youth whose problems are not merely sexual, although sexual instincts play a dangerously important role in the period of adolescence. Yet the sexual dangers of adolescence can be arrested if the youth are provided with right guidance and clear instructions as to the way they should follow in their life and as to how to overcome the crisis of instability and anxiety in themselves. Hence we believe that the problems of the youth are not sexual ones. The acute real problem is how to make the youth aware of the attitude they should adopt and clear about the way they should follow in life, and how to give them solutions to their crisis of instability and anxiety.

immaterial. When it deals with social questions like marriage and divorce or like the freedom and equality of woman, Egyptian journalism does not make a fair presentation of these questions, nor does it discuss them with deep insight to and genuine understanding of the principles of Islam concerning the course of relations between man and woman in divorce and marriage and in the family system as a whole. On the contrary, it deals with such questions in a very biased and partial way and with a preoccupied mentality. It is not far from truth to say that the ideas and opinions propagated by journalism are imported ones. They are introduced from the outside world to our society with the intention of underminig the values which are considered the basic elements in our social and nationalist personality as Arabs and Muslims.

Similarly, when journalism deals with the problems of the youth, it adopts a sexual approach and concentrates all these problems in a certain point at which the relation between man and woman appears more chaotic and more licentious than disciplined and well-organized. On the subject of defeneing the freedom of woman journalism is both confused and misleading. It blames the customs and traditions of the people - and this may be justifiable - but it mixes,

and perhaps intentionally, the meaning of customs and traditions with the conception of religious principles and values. And if it refers to these customs and traditions in a *critical* spirit, it does so in a very disrespectful and sarcastic manner without trying to produce any substitute for them to serve as a social bond and a basis in the construction of our Arab-Muslim society. By so doing journalism diverts the youth from the way to religion. Even when it tries to produce a substitute for the prevailing customs and traditions, it advocates with no precaution the adoption of Western customs and traditions bad and good alike.

This is done in spite of the fact that in the West, as we know especially after the two World wars, human values have shaken, and the customs together with traditions have faced a shocking crisis because of which the West is moaning with complaints and to which is trying to find a solution but in vain.

It should be borne in mind that the *attitude* of journalism is not the only example of the barriers in the way to religion. There are also books, the broadcasting service, periodicals whose influence is very much the same like that of journalism in its attitude to Islam. The radio programmes, for example, present the

of modern mind. We know that the scientific mentality prevailed in Europe during the nineteenth century, and that it originated an attitude of hostility, deriding and carelessness towards religion as well as idealist values at large. The prevalence of this scientific mentality in Europe blew a wave of scepticism about religion and doubt in the abstract values. When the East came into close contact with the West, the effects of this scientific mentality and of its prevalence in Europe expanded to the Islamic East and caused some doubt and scepticism.

To challenge this wave of doubt and combat the attitude of carelessness about religion, it is necessary to present our religious values in a clear and healthy way. The method of presentation should be *modern* in the sense that it should be meant to lead to persuasion and conviction. Psychological and social studies are of great help in making any good presentation of ideals and religious or moral values. If the people of the past depended in their presentations on the Aristotelian logic and found it sufficient, it is indispensable for the people of modern time to employ psychology and sociology, so that they can make successful presentations of the religious values they cherish.

Thus we see that the absence of psychological and sociological approaches in making presentation of the religious values has created another obstacle and caused an additional difficulty in the way of the youth to religion. Moreover, we see that there are two kinds of obstacles one of which is psychological and the other is material. The former kind is manifested in disrespectfulness to the religious values as a result of the educational policy of separation between religious and non-religious education. The latter one is demonstrated in the failure to make persuasive or at least interesting presentations of the religious values.

Besides these two kinds of psychological and material obstacles, although their effects have mitigated for various reasons, there are barriers blocking the way of the youth to religion. These barriers serve the purpose of imperialism in the sense that they make the religious values continue to be disregarded and disdained just as imperialism pleased. The first of these barriers is the journalistic style and manners. Egyptian journalism, which has developed considerably and adopted itself to the latest developments in the field, abuses the advantages of its developments by way of presenting the religious values as insignificant or

two parties away from one another and struggling against one another. Accordingly, there was a section of the People ascribed only to the intellectual and spiritual legacy of the Muslim peoples and isolated, at the same time, from the course of contemporary life without being able to make any association between the past and the present. There was another section whose members completely abandoned the cultural legacy and the spiritual values of the Islamic history and turned their faces to the West to receive its guidance and follow its advice. The persons who constituted the former section stood stagnant and immutable in their respective homelands, whereas those of the latter section were strangers and foreigners in their countries in which they lived with their bodies only devoting their minds and loyalties to foreign places, Gibb concluded.

It is of particular interest to us here to point to the fact that the position of the latter group resulted from the educational policy followed in Egypt since and during the British occupation. That policy was planned on the basis of laying barriers between "religious" and "secular" education and stressing the differences between the "two" kinds of education. This policy made the school guides and instructors of all levels abandon

our religious values, disrespect our historical glories and deny our cultural contributions to human civilization.

Among the values mocked at are those of religion. When these religious values are depreciated or rejected, it follows that they will be deserted by the people who depreciate or reject them, and consequently immaterial to many others, who will find psychological difficulties and perplexities to adhere to values considered as reactionary forces and disdained by the so-called secular intellectuals.

Thus the interference of imperialism in the policy of education aimed at creating this phenomenon of educational dualism and of separation between secular and religious education. The harmful results of this policy of separation appeared afterwards in a course of a generation or two

Besides these psychological obstacles which blocked the way of the youth to religion and which were caused by the imperialist policy in education, there are obstacles of a different nature produced by internal factors amongst which is the form in which we present our religious values and our cultural and spiritual legacy, a form which does not satisfy the intellectual demand

HOW TO MAKE THE YOUTH ADHERE TO RELIGION

by

Dr. Muhammad El - Bahay

Director General of The Islamic Culture

Admin stration.

The article we introduce here, although originally written for the Arab and Muslim youth, is addressed to youth of all faiths and nations as well as to people of responsibility for the guidance of youth. The context of the article may appear local and particular but the thesis of it is universal and concerned with humanity at large. Youth of other nations may have different circumstances unlike those of the Arab and Muslim youth, yet we believe that youth everywhere face common problems and similar difficulties, and their adherence to "religion" is a Great service to peace and humanity.

Hammudah Abdul-Ati

There are obstacles in the way of the youth to conceive religion as a source of guidance. There are also barriers standing in their path to religion. Our youth of to-day find themselves living in an age marked with bad effects of imperialism in the sphere of educational policy in Egypt and the Muslim world as a whole. This imperialistic policy was meant to disassociate the past of the youth from their present and make

them derive their guidance from Imperialistic sources without paying any attention to their glorious past and the values which history has throughout witnessed and recorded.

In a public lecture delivered in 1938 at the university of Hamburg, the English Orientalist Gibb pointed out that the educational policy followed in Egypt divided the people of the one and the same nation into

pledges and non-fulfilment of vows. Blood is mercilessly shed in Algeria, men, women, and children, including aged persons and infants have been forcibly driven out of their homeland, Palestine, and several other peoples, are still suffering man's oppression to his fellow human beings.

Let all people learn that this Charter, the declaration of which we are celebrating today, is simply a form of re-adherence to God's injunctions as advocated by Islam and by all other Divine religions,

I exhort all people, all the faithful and all those who hold human rights in high esteem, to be inspired with the dictates of their religion,

seeking enlightenment and guidance by association with righteousness.

"It is not righteousness that ye turn your faces to the East and the West; but righteous is he who believeth in God and the Last Day and the angels and the Scripture and the prophets; and giveth of his wealth, however cherished, to kinsfolk and to orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask, and to set slaves free; and observeth proper worship and payeth the poor-due. And those who keep their treaty when they make one, and the patient in affliction and adversity and time of distress. Such are they who are sincere. Such are they who keep their duty" (2, 177).

father or mother, or a specific race or colour, but by being dutiful to Him, by obedience to His injunctions and because of benevolence to self, parents, husband or wife, sons and daughters, kinsfolk, neighbours and all brethren in humanity. This has been the reason for any person's distinction from others: "Lo! the noblest of you, in the sight of God, is the best in conduct".

O mankind, the above are God's injunctions, and it is for these reasons that He has sent His messengers and by these words of wisdom He appealed to you, through the last of His prophets, 1379 years ago.

Eleven years ago, a development of good augury loomed up in the horizon of human life in the form of the Universal Declaration of Human Rights. This Charter proclaimed that all people were born free and equal in dignity and rights. It also says that they are endowed with reason and conscience and should act towards one another in a spirit of brotherhood. This document further stresses that all human beings are entitled to all the rights and freedoms set forth in that Declaration, without distinction of any kind, such as race, colour, sex, language, religion, political or other opinion, material or social origin, property, birth or other status, without any distinction between men and women.

It also stipulates that everyone has the right to life, liberty and security of person.

Fourteen Centuries ago, the religion of Islam laid the foundations of all these rights as set forth in several verses of the Holy Qur'an.

It is a Day deserving special consideration. Human Rights Day should be an occasion of recalling the precepts of religion, and stressing the necessity for their application in a manner designed to bring happiness to the human race. It should act as a deterrent to big powers from undermining the status of small peoples. It should serve as an incentive to them to recognize these people's right to self-government, restoring to them their full rights.

If these cherished aims were to be attained, then Human Rights Day should be celebrated by all humanity as a happy festival in which the entire human race should take pride.

O brethren throughout the world. All human beings, inspired with true faith in religion, should ever remember their own pledges and the vows enjoined upon them by Heaven to adopt an attitude of co-operation, solidarity and aid to the weak. They should consider the pains suffered by humanity here and there, as a result of the repudiation of

An Appeal to the World on the Occasion of Human Rights' Day

In the Name of God the Most Merciful, Most Compassionate

On the occasion of the celebration of the eleventh anniversary of the Universal Declaration of Human Rights, His Eminence Sheikh Mahmoud Shaltout, Rector of Al-Azhar University, has issued the following appeal to the members of the entire humanity throughout the world.

This is an appeal by the Almighty God Who says in the Holy Qur'an; "O mankind! Lo we have created you from a male and a female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo! the noblest of you, in the sight of God, is the best in conduct. Lo! Allah is Knower, Aware" (49: 13).

"O mankind Be careful of your duty to your Lord Who created you from a single soul and from it created its mate and from them hath spread abroad a multitude of men and women. Be careful of your duty toward Allah in Whom ye claim (your rights) of one another, and toward the wombs (that bare you). Lo! Allah hath been a watcher over you"(4: 1)

O brethren in humanity, God has addressed you as "mankind" and since He created your religion, He has proclaimed your human fraternity. He has not appealed to a particular section, a particular nation, a specific race or a special colour. He has not addressed the rich, excluding the poor; the strong instead of the weak, the fully grown persons instead of these of tender age. He has appealed to the entire human race, as descendants of one father, Adam. This is why He has called you "Adam's Sons" to remind you of the fact that you have descended from Adam and that Adam was moulded from pure dust.

God has called upon you to be animated by a spirit of mutual compassion among yourselves by saying: "We have created you from a male and a female". He has also appealed to you to resort to co-operation and solidarity saying: "We have made you nations and tribes that ye may know one another". He has distinguished some of you not because they belong to a particular nation,

This is the understandable sense of the Qur'anic verses related to the end of Jesus with his people. It is easily conceivable by the reader of these verses, once he acquaints himself with the way of God concerning His prophets-when their opponents turn against them-and emancipates his mind from the stories and narratives to which the Qur'an is not to be subject. It is hard to perceive any other sense. One wonders as to how the salvation of Jesus by taking him from among his enemies and elevating his body to heaven could be considered *planning* of God, and how this could be described as *better* than and *superior* to the *planning* of the enemies who could not possibly resist or avoid the action of God which is beyond human power.

The confusion we come to from the thesis of this discussion is (a) There is nothing in the Qur'an or the genuine Traditions to establish the belief that Jesus was elevated with his body to heaven where he is alive

now and will continue to live until he comes down to the earth near the end of the world. (b) All that which can be understood from the verses concerning that matter is a promise from God to cause the death of Jesus, exalt him and clear him of those who disbelieve, a promise which was thoroughly fulfilled and according to which Jesus was not killed nor crucified by his enemies but was made to enjoy his life fully and to exalt in God's presence. (c) The rejection of the notion that Jesus was raised to heaven by his body where he is alive now and wherefrom he will come down to the earth when the world comes near its end-does not drive a Muslim out of the way of Islam or faith. Such a rejection does not justify the verdict of apostasy passed against those who question the notion. They are Muslims, believers, and should be treated as such during their lives as well as upon their death; because the rejection of this notion does not imply a rejection of any fundamental principle of Islam.

It is obvious therefore that Jesus was exalted in God's presence, because the Arabic word *rafa*, is mentioned in the verse after the word death, and so it means exaltation of Jesus, not the elevation of his body to heaven. This meaning is supported by the statement in which God promised to clear him of those who disbelieved, which indicates that the whole matter signifies honour and veneration for Jesus. It is also supported by the usages of the word *rafa*, in many Qur'anic verses and various classical expressions. Consequently, the word used in connection with Jesus can reveal one sense only, the sense of care and protection by God. Any other interpretation would do injustice to the Qur'an and would only appease unfounded stories and fabricated narratives.

After all, Jesus is but a messenger, before him messengers have already passed away. His people opposed him and on their faces appeared signs of hostility and evil. He, like all other prophets and messengers, took refuge with God Who saved him with His might and wisdom and frustrated His enemies' planning. This is the proper sense embodied in the verses which read as follows: "But when Jesus perceived disbelief on their part, he said: 'Who will be my helpers in God's

way?' The disciples said: 'We are God's helpers, we believe in God, and bear thou witness that we are submitting ones (Muslims). Our Lord, we believe in that which Thou hast revealed and we follow the messenger, so write us down with those who bear witness. And (the Jews) planned and God (also) planned. And God is the best of planners. When God said: "O Jesus, I will cause thee to die and exalt thee in My presence and clear thee of those who disbelieve and make those who follow thee above those who disbelieve to the day of Resurrection. Then to Me is your return, so I shall decide between you concerning that wherein you differ" (Surah. 3, Vs. 51 — 54). These verses explain that God's power of planning is far superior to that of His enemies who plotted the assassination of Jesus and whose tactics in that matter ended with mere frustration, while Jesus was saved and protected by God. This was the fulfillment of the promise of God Who said: "O Jesus, I will cause thee to die and exalt thee in My presence and clear thee of those who disbelieve". In that promise God gave him the good news that He would save him from the plots of the enemies and frustrate them, and that he would complete his course of life to die in a natural way without killing or crucifixion and then be exalted in His presence.

also unreasonable to say that the word death, *wafah*, in the passage means Jesus will die after his descension from heaven - according to the opinion which presumes that he is alive in heaven and will come down at the end of the world. This is because the passage speaks in clear terms of his relations to his own people, not to the other people who will exist near the end of the world and who are unanimously conceived to be Muhammad's people not the people of Jesus.

The Meaning of Rafa (Exaltation) :

The above-mentioned verse in the chapter of Women, which reads: "Nay, God exalted him (Jesus) in His presence" is taken by the majority of interpreters to mean that the body of Jesus was elevated to heaven where he is alive now, and wherefrom he will come down to the earth at the end of the world to kill all pigs and smash all crosses. They derive this opinion from narratives which indicate that Jesus will come down at a certain time near the end of the world. They do that in spite of the fact that these narratives are inconsistent and equivocal, and are reported through questionable sources. They hold this opinion unaware, perhaps, that they contradict themselves and twist the meanings of the Qur'an and

the Traditions by ascribing to them senses which they cannot bear or suggest.

If we leave these interpreters aside, and come to reflect on the verse of the Family of Amran, in which God says: "O Jesus, I will cause thee to die, and exalt thee in My presence," together with the verse of Women "Nay, God exalted him in His presence" - we shall find that the former verse indicates a promise from God the fulfillment of which is revealed and attested by the latter one. The promise of God as stated in the former verse, was that He would cause the death of Jesus, exalt him and clear him of those who disbelieve. The latter verse makes no reference to these meanings as such but is confined to the mention of exaltation in God's presence. This means that the two verses should be interpreted in the light of each other to be consistent, which - in turn - means that God actually caused the death of Jesus, exalted him in His presence and cleared him of those who disbelieved. The great authority of Qur'anic exegesis al - Alusi interpreted the sentence "will cause thee die" in a way as to mean that God made Jesus complete his life and die a natural death without being let down by God to the enemies to kill him or do to him the afflictions they intended to.

is in Thy mind. Surely Thou art the great Knower of the unseen. I said to them naught save as Thou didst command me : Serve God, my Lord and your Lord ; and I was a witness over them so long as I was with them, but when Thou didst cause me to die Thou wast the Watcher over them. And Thou art Witness of all things " (Surah. 5, Vs. 116—117).

These are the verses in which the Qur'an makes references as to how the life of Jesus with his people ended. The very last verses of the *Table* bear a special significance where they deal with Jesus and his mother as being worshiped by their people. They make it clear that Jesus, peace be upon him, did not say to his people anything except what God had commanded him to say i.e. "Serve God, my Lord and your Lord". They also state that he was a witness of his people when he was among them, but since the time God caused him to die, he knew nothing about what they did,

The Meaning of the word Tawaffa (to cause to die) :

The word *tawaffa* is frequently mentioned in the Qur'an to mean to cause death. This is the first and foremost sense of the word whenever it is mentioned. If it is used to mean something other than that,

there is always with it what points to the new meaning in which the word is used. The following verses show what the word and its derivations originally mean. The Qur'an says : "*Qul yatawaffakum malakul-mawt,*" which means "Say : The angel of death, who is given charge of you, will cause you to die " (Surah. 32, V. 11). " As for those whom the angels cause to die (*this is represented in Arabic by the words " tawaffakum al-Malaikah*) while they are unjust to themselves ... " (Surah. 4, V. 97). "And if thou couldst see when the angels cause to die those who disbelieve — this is represented in Arabic by the words '*yatawaffu al-ladhin kafarou al-malaikato*' - " (Surah. 8, V. 50). Besides these, there are many verses to support this notion.

It is logical, therefore, that the word *tawaffaytani* - mentioned above in connection with Jesus in the passage of the *Table* - should mean natural death in the normal way which people conceive and which the Arab-speaking people understand from both the text and the context. So if we take this passage in its original and proper sense, it should be concluded that Jesus died and that there is no argument to justify the notion which assumes that he is still alive and to him death never came. It is

THE "ASCENSION" OF JESUS

BY

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

In three chapters the Glorious Qur'an deals with the question of Jesus' end. First, God says in the chapter of the Family of *Amran* : " But when Jesus perceived disbelief on their part, he said : Who will be my helpers in God's way ? The disciples said: We are God's helpers, we believe in God, and bear thou witness that we are submitting ones (the Arabic word used in the text is *Muslims*). Our Lord, we believe in that which Thou hast revealed and we follow the messenger, so write us down with those who bear witness. And (*the Jews*) planned and God (*also*) planned. And God is the best of planners. When God said : O Jesus, I will cause thee to die and exalt thee in My presence and clear thee of those who disbelieve and make those who follow thee above those who disbelieve to the day of Resurrection. Then to Me is your return, so I shall decide between you concerning that wherein you differ " (Surah 2, Vs. 51 — 54).

Secondly, in the chapter #

Women God, exalted be He, says : " And for their disbelief and for their uttering against Mary a grievous calumny (we condemned them) : And for their saying: We have killed the Messiah, Jesus, son of Mary, the messenger of God, and they killed him not, nor did they crucify him, but a likeness of that was shown to them. And certainly those who differ therein are in doubt about it. They have no knowledge about it, but only follow a conjecture, and they killed him not for certain. Nay, God exalted him in His presence. And God is ever Mighty, Wise " (Surah 4, Vs. 156 - 158).

Thirdly, in the chapter of *the Table* God, glorified be He, says : " And when God will say: O Jesus, son of Mary, didst thou say to men, Take me and my mother for two gods besides God. He will say Glory be to Thee : it was not for me to say what I had not right to (say). If I had said it, Thou wouldst indeed have known it. Thou knowest what is in my mind, and I know not what

the right of ownership and enterprise. When Islam came, it tightened the sphere of slavery and made an atonement charity and the emancipation of slaves. It also equilized man and woman so far as rights and duties are concerned. Moreover, Islam declared the freedom of conscience or belief; as God says in the Qur'an: "There is no compulsion in religion; the right way is indeed clearly distinct from error" (Surah 2, V. 256). "And if thy Lord had pleased, all those who are in the earth would have believed, all of them. Wilt thou then force men till they are believers" (Surah 10, V. 99).

Furthermore, it respected the beliefs of the people of the Scripture Jews and Christians alike and guaranteed for them freedom of worship, security and justice. Muslim rulers and laymen are demanded to care for them, be kind and fair to them.

Besides all this, Islam declared the freedom of thought and opinion, and so rejected the faith of imitators and opposed the authority of dictators. With the same spirit Islam enjoined reflection upon the wonders of the heavens and the earth. It adopted a tolerant attitude towards politicians, intellectuals and jurists. And this is why there have been in the history of Islam many political parties, various intellectual trends and different

schools of law. It is also why non-Muslims are allowed to propagate their religions and practise their rituals without being interfered with or argued against except in a way which is best.

In fine, Islam has restored due respect to the right of ownership and established it on solid bases. It has regulated the laws and systems of inheritance and set up the course of dealing accordingly. These are the substance of the natural rights which Islam guarantees for man irrespective of his colour, religion and tongue.

Thirteen and a half centuries ago, where ignorance and error as well as oppression prevailed, Muhammad son of Abdullah declared these rights. Thus he emancipated humanity from the fetters of materialism, fanaticism and egoism. Further, he honoured humanity and guided it to the straight path, to a far more perfect system, to a better world and a happier life. But humanity unfortunately went astray from this path and was misled by those hypocrites who to-day declare these rights and do emphasize from the depth of their hearts the existence of distinctions and differences of all sorts among people.

* * *

justice; facilitated the freedom of slaves by virtue of exhortation to the setting free of the slaves, and granted woman's rights in a manner of equality.

The weak upon whom God bestowed His mercy through the message of Muhammad were not confined to any particular race or country. They constituted a universal community of different races and regions where Arabs and Persians, Romans and Turks, Indians and Chinese, Barbarians and Ethiopians all enjoyed the true justice of Islam and the protection of the caliphate.

Islam, whose Most Supreme Ordainer says: "Surely We have honoured the children of Adam", does not restrict its honour to any special colour or any particular class of people. On the contrary, it venerates all the children of Adam and so forbids them to prostrate to an idol or an image or a tree or an animal. It does not allow them to yield to the oppression of any monk or man of authority.

The Jews assumed that they alone were the beloved children of God and all other people were nothing. Likewise, the Romans claimed that they were created to be the masters of the world while people other than themselves were only servants.

The Arabs also used to think of themselves as gifted from among all people with eloquence and privileged with rhetorical qualities. The Indians, too, had their own imaginations of distinction to which some classes were entitled at the expense of other classes which were disdained and *untouched*. Thus the universal social system was based on recognition of social, racial and religious superiority of some people over others. This was the rule until the Messenger Muhammad son of Abdullah came with guidance and true religion to make it above all other religions. He declared equality in the words of God "The believers indeed are brothers", "O mankind, We have created you from a male and a female and have made you nations and tribes so that you may know each other. Surely the noblest of you with God is the most dutiful of you (Surah 49, Vs. 10, 13).

The Prophet gave more emphasis to this point by saying: "All people are like comb teeth. No Arab is superior to non Arab except by virtue of dutifulness. You all belong to Adam, and Adam was created from the pure earth".

Before the coming of Islam slaves and women were not considered human beings, but were conceived as mere material things deprived of

the Red Indian of America, he is considered by the Sons of Uncle Sam as a mean and disdained creature who is to be burdened with all kinds of duty and deprived of every right. His unrecognized existence in the countries of liberal democrats is still, from the Muslim's point of view, a big lie in the democratic Constitution of Washington and a horrid curse on the Statue of Liberty in New York.

Likewise, the coloured and black man of Africa, or the yellow man of Asia is viewed by the French and the English Imperialists as a worthless animal and a sort of raw material. He is born to be exploited and developed to be invested, and his production is to be consumed by others. He is the subject of hostility in times of peace and the substance of spoil in war. Yet his blundered right in the constitutional and educated nations is still in the opinion of the Muslims a case against the soundness of culture taught in the universities of France and a flat refutation of the truth of justice in the Parliament of England.

It is due to this false interpretation of the reality of man that the basis on which he is evaluated has been shaking and the criterion by which he is measured has been inaccurate. Accordingly, the value of

man has been given different explanations. His race, colour and religion all have a special weight on and a particular significance in his account. Man is not venerated because he is a human being of virtue, but his honour and value depend entirely on his conditions of ability and weakness. Consequently, knowledge, wealth and Power are the means of mastery, whereas ignorance, poverty and impotency are the way to enslavement. Mastery in this sense means the enjoyment of all rights without having any obligation, and enslavement means the burdening with obligations without enjoying any right.

In contrast to this it is useful to say that it is the Muslims only who understand the true value of man because they are the followers of Muhammad, who alone declared the rights of man with a clear vision of his real value and natural status. This is so because Muhammad was the Messenger of God Who inspired him with these rights as he was sent from God to be a mercy for all people. God sent him to be a mercy to the weak who lack money or have no ally or supporting relatives, or who are weak by the nature of their creation like women. Thus he guaranteed provisions for the poor by means of obligatory alms; assured the weak of dignity by way of

Muhammad the Messenger of God The First to Declare Human Rights

*Written on the occasion of the Eleventh anniversary
of the Declaration of Human Rights
in the United Nations Organization.*

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

On December 10, 1948 and with an artificial feeling of enthusiasm motivated by international hypocrisy, the politicians delegated to the General Assembly of the United Nations Organization adopted and proclaimed the Universal Declaration of Human Rights. A few weeks ago the officials of the organization together with other people concerned celebrated the Eleventh Anniversary of that historic declaration. On this occasion they gave glad tidings about the abiding boons, the copious prosperity and the perpetual peace. Before these humane politicians the leaders of the French Revolution had declared these very human rights in the year 1789, codified them in seventeen articles and made them a prologue of the Constitution of 1791.

It is easy for the social mind to reason out the utterance by the

French revolutionists of the human rights after having so painfully suffered from the subjugation of nobility and the despotism of religious authorities. It is also easy to explain the adoption by the United Nations Organization of these rights after having seen the Communist monster obstructing the course of life and opening its huge horrible mouth to devour the capitalist democracy and the spheres of its domination over people's sources of living and world markets through imperialism and influence. But it is difficult for the logical mind to conceive what the Europeans and Americans mean by the word *man* for whose sake they supposedly declared these rights and showed sympathy. Yet it seems probable that they mean by man entitled to these rights the luxurious white man who descended from Latin or Saxon origins. But as for

محکم دلائل سے مزین متنوع و منفرد موضوعات پر مشتمل مفت آن لائن مکتبہ

مجله شهریه جامعه

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المختصون

ادارة اجتماع الأزهر
القاهرة

ت : ٤٦٤٤

بَصْدُ رَعْنٍ شَيْخَنَا الْأَنْزَهَرِيُّ (وَلَمْ يَكُنْ شَيْخًا عَرَبِيًّا)

الجزء التاسع - رمضان سنة ١٣٧٩ هـ - مارس سنة ١٩٦٠ م - المجلد الحادي والثلاثون

الفهرس

مفتی

4544

٩١٠ يوحنا من أيام وسمان : يوم القرآن ويوم الفرقان
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٩١٣ نعمة من الأستاذ الأكبر إلى جميع المسلمين في شهر رمضان

٩١٥ البحث العلمي في تاريخ الأدب
للأستاذ عباس محمود العقاد

٩١٩ المجتمع الحديث الأستاذ الدكتور محمد الجبلي
٩٢٦ الكرامة والمهانة في القرآن الكريم

٩٣٧ مثل هذا إسلامه حرية

٩٣٧ الطاقة الذرية للأستاذ محمد فوزي عثمان
للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

٩١٢ للموم عاده صامته واكنه ماحاه عضى يى
المد وربه الأستاذ عبد اللطيف السكى

٩٤٧ صيام رمضان وصحته بصيام المأبوية والصائين
والعرب في الحاحية

٩٥٢ البلاغة العربية بين منهجين الأستاذ علي الهادي
للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وال

٩٥٧ اعداد الأدواق للأستاذ شفيق جوي
٩٦٠ الانجازات الحديثة في الفكر الإسلامي

٩٧٠ الكواكب والقوّة العربيه

٩٧٥. أهدوا كان اخلاص ! للأستاذ محمد خليل هراس

٩٧٩ لغويات : فصح يانح ، عمرو لحدود ، النجمة ،
السايفة ، النقة والخاتة ، مال عاد ، حده

يسببه
للإساذ محمد على انجار

يومان من أيتام رمضان

يوم القرآن و يوم الفرقان

بفهم: أحمد حسن الزيات

وضمف الإرادة إنما يقوى برياضة النفس على الحرمان المؤلم . كما يقوى الجسم برياضة البدن على الجهد الضيف ، وكما يقوى العقل برياضة الذهن على التفكير العميق . والرياضة الروحية هى حكمة الصيام فى الأدبان كلها . .
 « بأياها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، فتقوى الله ومجاهدة النفس هما الغاية من هذه الحكمة . وقد اجتمعتا فى قوله تعالى : « وأما من غاب مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ، فالخوف من الله هو التقوى ، ونهى النفس عن الهوى هو المجاهدة . أما قول من قال إن حكمة الصوم هى أن يذوق الغنى عذاب الجوع ليشفق على الجائع ويرأف بالفقير فقول سطحي توحى به النظرة العابرة والصكرة السريعة ، فإن إجابة الأغنياء ليشمروا بآلام الفقراء قد تكون معنى من معانى الصوم ، ولكن حكمة الله من صوم رمضان أسمى وأجل وأبعد .

يستقبل المؤمنون فى شهر رمضان وبيع القلوب ونعيم الأنفس وصيام الجوارح من الأذى ، وضام المشاعر عن الهوى ، بمد أحد عشر شهراً قضوها فى صراع المادة وجهاد الميث ، تكدر فيها القلب وتبله الحس وتلوث الضمير ، فيجلو صدورهم بالذكر ، ويظهر نفوسهم بالعبادة ، ويزود قلوبهم من مذخور الخير بما يقويها على احتفال الحق والمحن فى دنيا الآمال والآلام بقية العام كله
 رمضان هو القرين الرياضى السنوى للنفس ، يشترك فيه المسلمون فى جميع أقطار الأرض ، يصومون فى وقت واحد ، ويفطرون فى وقت واحد ، وينصرفون عن الذات الحسية والنفسية ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر . ويكفوا الستم من الفحش ، ويصموا آذانهم من الفرو ، ويغفلوا أيديهم عن سوء ؛ وتلك هى المناصر الجوهريّة لمقيدة الصوم ، وهذه القيود والحدود التى تضمنها معنى الصوم هى المجاهدة التى تعود الإنسان ضبط النفس وقوة الإرادة .

كان يفكر في الملوك الدائم ، ويسبح للجلال القائم ، ويفق في الوجود المطلق . فإذا جنة الليل أرسل نظره وفكره في أشعة القمر أو في أضواء النجوم ، يستطلع المجهول ويستجلي الغامض ، ويرقب انبثاق النور عن الخائق ، وانكشاف الستور عن الحق ؛ حتى إذا أجهده التفكير وأرعبته الحيرة ، أوى إلى الغار الموحش الترابي فيستأني على صخره سويحات ثم يستيقظ قبل أن تغور النجوم فيتمدد ويتجه بروحه اللطيف الصافي إلى الملا الأعلى حتى تهباً بطول الرياضة والعبادة والمخلوة لبليغ الرسالة .

في الليلة المباركة وهي ليلة القدر رأى وهو قائم في الغار أن رجلاً جلده ينمط من ديباج فيه كتاب وقال له اقرأ . وكيف يقرأ محمد الأعمى ولم يتل من قبل كتاباً ولا خطه يمينه ؟ قال للرجل بعد أن راحه ما سمع منه وآذاه ما صنع به : ماذا أقرأ ؟ قال له : : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، فقرأها وانصرف الرجل عنه وقد انتفتحت في لوح قلبه .

وأما يوم الفرقان فهو يوم التقى الجمعان : جمع المدينة وجمع مكة في بدر ، وكان المسلمون على فقرم وحرم تلك المشركين ، وكان

خمسائة شهر رمضان من بين الشهور بقيام الركن الرابع من أركان الإسلام فيه ، وهو الصوم ؛ ليومين من أيامه كان لها في تاريخ العالم أرفع الشأن ، وفي مصير الإنسان أبلغ الأثر : يومه السابع عشر من السنة الحادية والأربعين من مولد الرسول وهو يوم القرآن ، ويومه السابع عشر من السنة الثانية لهجرته وهو يوم الفرقان

فأما يوم القرآن ففي ليلة المباركة تجلجلى لجلجلى النور كما تجلجلى من قبل لجلجلى الطور فأزل الروح الأمين بالإشراقة الأولى من كتابه الكريم على قلب نبيه العظيم ، فاستعلنت منذ تلك الليلة معاني الحق ، واستبان سبل السلام ، واستقامت موازين العدل ، وخرج الناس من ظلام حالك كانوا يعمهون فيه ، إلى نور ساطع أصبحوا يمشون به ، ولقد كان لصباح هذا اليوم المسفر تباثير كانت تلوح في حياة محمد صلوات الله عليه في هذا الشهر من كل عام ، كان كلما أقبل شهر رمضان هجر المهاد الذين ، وفارق الزوجة الحنون ، وتزود الزاد اليسير ، ثم صعد جبل حراء على ألف وخمسة مئة من شمال مكة ؛ ليستعين بالصوم والاعتكاف والتأمل على استجلاء الحقيقة الإلهية التي خفيت بين جاهلية العرب ووثنية قريش ، وهناك على قمة الجبل المخروطة الشاهق ، وفي صمته الملهم الرائع ، وفي غياية الفضاء الرهيب ،

الوامض من ربوع يثرب ، وانكشفت
المعجزة الإلهية عن انصار ثلاثمائة
على قرابة ألف !.

موقعة بدر الكبرى لا بد كرميختها وعدتها
ونفقتها في تاريخ الحرب ، وإنما تذكر نتائجها
وآثارها في تاريخ السلم ؛ لأنها كانت حكا
قاطعاً من أحكام القدر غير مجرى التاريخ
وعدل وجهة الدنيا ومكن العرب في دورهم
أن يلغوا رسالة الله ويؤدوا أمانة الحضارة
ويصلوا ما انقطع من سلسلة العلم .

لم يكن النصر فيها ثمرة من ثمار السلاح
والكثرة ، ولكنه كان ثمرة من ثمار الإيمان
والصدق والإيمان الصادق قوة من الله فيها
الملائكة والروح ، وفيها الحب والإيثار ،
فلا نبالي العدد ولا تزهب السلاح ولا تعرف
الخطر .

بهذا الإيمان الصادق خلق الله من الضعف
قوة في بدر والقادسية واليرموك . وهذا الإيمان
الصادق جعل الله من البادية الجديية والعروبة
التفتية ، صرنا طبق الأرض بالخير ، وملكا
نظم الدنيا بالعدل ، وديننا ألف القلوب
بالرحمة .

أحمد حسن الزيات

المشركون على كثرتهم وعدتهم صفوة قريش ،
فكان موقف الإسلام من الشرك يومئذ موقف
محنة . كان بين العدوتين الدنيا والقصوى
في بدر مفرق الطريق : فإما أن يقود محمد
زمام البشرية في سبيل الله فتنجو ، وإما
أن يردّها أبو جهل إلى مجاهل التيه والضلال
قتهلك . وقفت مدينة الإنسان بأديانها وعلومها
وراء محمد على القلب ، ووقفت همجية
الحيوان بأصنامها وأوهامها وراء أبي جهل
على الكشيب . فكان طريق وعفة ، ونور
وظلمة . وإله وشيطان ؛ فإما أن يتزق تراث
الإنسانية على هذا الصخر ، ويتبدد نور الله
في هذا القفر . وإما أن تتم المعجزة فتفيض
الحياة على الناس من هذه البئر ، ويتصل
الحاضري بالمستقبل من هذا الطريق ، ويبدأ
التاريخ عهده الجديد بهذه الموقعة . وما هي
إلا خفقة من خفقات الوحي حتى نزل الوعد
بالنصر وجاءت البشرى بالجنة ، فغاب البديون
في إشراق عجيب من الإيمان لا يرسم في أخيلتهم
إلا الحور ، ولا يصور في أعينهم إلا الملائكة ،
وقد دف الله في قلوب المشركين الرعب فانهار
السد الغليظ أمام النبع التابض ، من صخور
بدر ، وانجذاب القم الكشيب عن النور

تَحِيَّاتُ مَنْ اسْتَأْذَنَ الْإِكْبَرُ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

ومصدق الخلق والاصطفاء في القرآن
على وجه عام قوله تعالى: «ووبك يخلق ما يشاء
ويختار» وفي الاصطفاء الإنساني يقول سبحانه:
«الله أعلم حيث يجعل رسالته» ويقول:
«إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم
وآل عمران على العالمين» ويقول: «يا موسى
إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي»
ويقول: «وهو الذي جعلكم خلائف الأرض»
ورفع بعضهم فوق بعض درجات»

وفي الاصطفاء المكاني يقول تعالى: «إن أول
بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى
للعالمين» فيه آيات بينات مقام إبراهيم «
يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك
بالوادي المقدس طوى» وأنا اخترتك «

وفي الاصطفاء الزماني يقول «إن قرآن
الفجر كان مشهودا» «إنا أنزلناه في ليلة
القدر» وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر
خير من ألف شهر «

على هذه السنة، سنة الاصطفاء في الزمان

إخواني وأبنائي المسلمين في مشارق الأرض
ومغاربها:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبالسلام
أحييكم أصدق تحية، تحية من عند الله طيبة
مباركة - أوجهها إليكم، عنوانا على ما بيننا
من الأخوة المشتركة، والمحبة الصادقة والإيمان
بالله ورسوله.

أيها السادة:

إن الله في خلقه الخلق والاصطفاء، فهو
يخلق ما يشاء لما يشاء، ويصطفى من يشاء
لما يشاء، يخلق البشر، ويصطفى منهم للقيادة
من شاء، يصطفى الأنبياء والمرسلين، ويصطفى
العلماء والفلاسفة، ويصطفى القواد والمصلحين.
ويخلق الأمكنة، ويصطفى منها مهبط الوحي،
ومنازل الذكريات، ومثابة التقديس والعبادة.
يصطفى منها على سائر الأماكن، ويجعل أفئدة
من الناس تهوى إليها، ويخلق الأزمنة،
ويصطفى منها مواسم لرحمته، وأياما وليالي
لنعمه وأفضاله.

المستهم بالتسبيخ والتقصيس ، ويعفها عن الإيذاء والتجريح ، ويسد عليهم منافذ الشر ، والتفكير فيه ، ويعلا قلوبهم بحجة الخير والبر لعباد الله ، ويفرس في نفوسهم خلق الصبر الذي هو عدة الحياة .

وشهر رمضان بعد هذا كله هو شهر الذكريات الإسلامية الأولى ، ففيه يذكر المسلمون نزول القرآن الكريم ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وفيه يذكر المسلمون تركيز الإسلام بالقوة على أساس من كبج جماع الشرك والوثنية وذلك كما نراه في غزوة بدر الكبرى .

ويذكرنا بعودة المسلمين من المدينة إلى مكة المكرمة ، بعد أن أخرجوا منها لا شيء سوى أنهم قالوا : « ربنا الله ، وبذلك تم على أيديهم الفتح المبين ، وفي ذلك يقول الله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ، وينصرك الله نصراً عزيزاً » .

أيها السادة :

إن الصوم حرمان من الطعام والشراب وما ألقه الإنسان من شهوات ، ويجب أن تنبه إلى أن هذا الحرمان ليس هو مقصود الله من الصوم ، وإنما مقصوده الذي يريد من عباده هو إعداد نفوسهم بالصوم للخير

والمكان والخلق اصطفي شهر رمضان وكان هو الشهر الذي تهز له قلوب المؤمنين ، ويذكرون به نعم الله وأفضاله ، ويرقبون فيه رحمة ورضوانه ، وكان مظهر اصطفاء رمضان جملة أمور :

أولاً : أنه الشهر الوحيد الذي صرح القرآن باسمه .

ثانياً : أنه الشهر الوحيد الذي ظهرت فيه أكبر نعم الله على عباده وهي كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ثالثاً : أنه فرض صومه وجعل صومه فريضة محكمة من أنكرها فقد خرج عن دائرة الإسلام واستحق العقوبة الأبدية ، وحرم جميع خصائص المسلمين ، فهو لا يدفن في مقابر المسلمين ، ولا يرثهم ولا يرثونه ، وتبين منه زوجته ، وتنقطع ما بينه وبين أبنائه صلوات النبوة والخفافة ، وكذلك تنقطع بينهم وبين سائر المسلمين صلوات المحبة والإخاء والولاية .

وصوم رمضان عبادة تلتقي في هدفها مع أهداف القرآن كلاهما يربي العقول ويسمو بالأرواح .

ولرمضان في صومه مظهر خاص ، فهو يوحد بين المسلمين في أوقات الفراغ والعمل ، وأوقات الطعام والشراب ، ويفرغ عليهم جميعاً صبغة الإنابة والرجوع إلى الله ، ويرطب

البحث العلمي في تاريخ الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أحيانا على من يريد ويتعمده ، إذا فكشفت
المقابلة بين الأخبار والروايات عن حقيقة
علية كانت مجهولة في الزمن الذي ترجع إليه .
وقد تكشفت المقابلة بين أخبار امرئ
القيس الذي عرشنا سيرته في ذلك المقال

كتبنا في مقال سابق عن فائدة البحث العلمي
في تمحيص تاريخ الأدب . ورأينا أن استخدام
هذا البحث قين أن يبين لنا موضع الصحة
وموضع التلفيق من كل خبر وكل رواية ،
لأنه يبين لنا صعوبة التلفيق ، بل استحالة

سبحانه وتعالى أن يوفق المسلمين في جميع
الأنظار للتكاتف والتعاون ، وسد منافذ الشر
التي تفد إليهم من الاستعمار والاستغلال ،
والإلحادية ، يأبى الذين آمنوا ، هل أدلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . يؤمنون
بالله ورسوله ، ويجاهدون في سبيل الله
بأموالكم وأنفسكم ، ذلك خير لكم إن كنتم
تعملون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة
في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم .
وفقنا الله جميعا ، وفق أولي الأمر منا
في أنحاء الأرض إلى خيرى الدين والدنيا ،
والله المستعان - وكل عام وأتم بخير .

محمود مستنوت

والثقوى ، وادكروا في ذلك قوله تعالى :
« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم لعلكم تتقون » .

عن القرآن عناية خاصة بفرضية الصيام ،
وجعل منه مظهر وحدة المسلمين ، لا يؤثر
على هذه الوحدة تباين أمكنتهم ، ولا اختلاف
السقمتهم ، ولا تعدد جنسياتهم . فالإسلام
وحد بينهم في العقيدة وفي العبادات ،
وفي المعاملات ، وفي الأخلاق وفي المسؤولية .
فالكل يؤمنون برب واحد ، وإله واحد ،
ويتجهون إلى قبلة واحدة ، ويصومون شهرا
واحدا ، ويرقبون هدفا واحدا . ويرتبطون
بالصالح العام .

أمام هذه الوحدة التي يرسمها الإسلام
للمسلمين ، ويمد خطوطها شهر رمضان ، أمام
هذا كله أمستكم شهر رمضان وأدعو الله

في أمور كثيرة ترتبط بتاريخ العصر كله ولا تحصر في سير أولئك الأدباء والوعلاء .
فالمشهور عن وفاة ابن الرومي كما جاء في تاريخ ابن خلكان وغيره : « أن الوزير أبا الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير الإمام المعتضد كان يخاف من هجومه وفلتات لسانه بالمعش . فدرس عليه ابن فراش فأطعمه خشكناجحة مسمومة وهو في مجلسه فلما أكلها أحس بالسم ، فقال له الوزير : إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى الموضع الذي يموتني إليه ، فقال له : سلم على والدي . ! فقال له : ما طريقى على النار . » .

وقد تداول المؤرخون من الشرقيين والمستشرقين هذه القصة وأجمعهم موقع النكتة منها مع وضوح الكذب فيها وسهولة الاهتداء إليه بالرجوع إلى تاريخ وفاة عبيد الله بن سليمان الذي طلب الوزير إلى الشاعر أن يبلغه سلامه في العالم الآخر ، فإنه كان حياً بعد آخر تاريخ ذكره الرواة لوفاة ابن الرومي بأربع سنوات ، إذ مات سنة ثمان وثمانين ومائتين .

والعجيب في قصور وسائل التحقيق عند المؤرخين أنهم لو راجعوا شعر الشاعر لعلوا أنه عاش إلى ما بعد سنة ثمانين لأنه بلغ الستين كما قال :

طرب ولم تطرب على حين مطرب
وكيف التصابي بأين ستين أشيب
أما سبب الوفاة الصحيح فلا ريب عندنا

عن حقيقة الفروج التي قيل إنه أصيب بها من أثر حلة مسمومة أرسلها إليه قيصر انتقاماً منه - لمنازلته بعض حرمه . فإذا بالإصابة كلها تمتشى بأعراضها من أيام صباه ؛ إذ كان له - كما قالت إحدى صواحيه - عرق يفوح برائحة كلب . وكانت تلازمه حالة من حالات الخلل الجنسي تشاهد مع حالات التهاب الجلد ، ولا بد أن تنهى مع إهمال العلاج إلى عواقبها - التي ظهرت قبيل وفاته .

ونود أن تبسط الآن بعض التبسط في أمثال هذا الخبر عن موت امرئ القيس ، فإنني تبينت بعد المقابلة بين أخبار الكثيرين عن توسعت في درس سيرتهم وقيل عنهم ياجتماع الرواة لإنهم ماتوا مسمومين أن الآفة كلها في هذه الأخبار إنما هي آفة العجز عن تطبيق النقد العالي والتعميل في صرف الحوادث التاريخية بالعلل القريبة ، على مثال التحقيقات الجنائية التي تختم بإحالة الأمر على القضاء والقدر ؛ إيثاراً للسهولة وإخلاداً إلى العفو والعافية .

ومن أصحاب السير التي توسعت في درسها وانتهت حياة أصحابها على قول المؤرخين بدس السم لهم في الطعام أو الدواء سيرة ابن الرومي في الأقدمين وسيرة جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي في المحدثين ، فإن أمير مراجعة عليية للأعراض التي محبت وفاتهم خلية أن توجه النظر إلى تعليل الوفاة بأسباب غير السم ، وأن تصحح أخطاء المؤرخين

والحاح البول والشعور بمثل ما يشعر به المسموم .

وليس بنا - هنا - أن نحاسب المؤرخين الأقدمين على قلة إدراكهم لهذه الحقيقة من جملة الأخبار التي رووها ، ولكننا نستدل على صدق رواياتهم بهذه المطابقة بينها وبين الأسباب العلوية ، ونخرج من ذلك إلى تحقيق جديد لرأى القائل : إن لسان الحال أصدق من لسان المقال ، وإتينا مطالبون بأن نستمع اليوم إلى لسان الحال قبل أن نستمع إلى أقوال المؤرخين وآرائهم فيما يقصدونه ويتعمدونه من العطل والتفسيرات .

• • •

وقد شاع عن أسباب وفاة السيد جمال الدين الأفغاني أنه مات بمرض السرطان في فكه ، وأن هذا المرض أصابه من يد طبيب مدسوس عليه من قبل السلطان أو من قبل رئيس الشرطة .

لكن السرطان لم تكن له جرائم معروفة يلقح بها المريض في أوائل القرن العشرين ، وقد أصيب السيد بآلام في فكه قبل أن يمرض حاله على الطبيب ، وقبل أن يسوء علاجه عمداً أو خطأ ، إن صح أنه ساء .

وليس من المستغرب أن يصاب السيد جمال الدين بالتهاب اللعك مع إفراطه في تدخين التبغ الحار وإفراطه في تناول الشاي

فيه وهو تسمم جرح فسد في جسم مريض مصاب بمرض السكر ، وليس أوضح من ذلك عند مراجعة جملة الأخبار والحقائق التالية :
١ - كان ابن الرومي مشهوراً بالتهم والإفراط في أكل الحلوى والنسم .

٢ - أصيب بجرح غلط فيه الطبيب كما قال : غلط الطبيب على غلطة مورد

عجزت موارده عن الإصدار والناس يلحون الطبيب وإنما

غلط الطبيب إصابة الأقدار

٣ - زاره صديقه الناجم في مرض وفاته فرآه يشكو من إلحاح البول وعنده ماء مثلوج ، فلما لاحظ الناجم ذلك قال الشاعر :

غداً ينقطع البول
ويبقى الهول والغول

وجعل الشاعر يشرب من الماء المثلوج ولا يروي فقال :

وأراه زائداً في حرقى
فكان الماء لئال حطب

ولا حاجة إلى غير المماثلة بين هذه الأخبار والروايات لتعلم أننا أمام حالة مرضية معروفة لاشك فيها : حالة رجل منهوم مفرط

منذ صباه إلى شيخوخته في أكل الحلوى والنسم . فمصدره الطبيب وهو لا يعلم خطر

الفصد في مثل حاله ثم فسد الجرح فاعتراه كل ما يعتري مريض السكر من شدة الظمأ

وليس يحق المؤرخ أن يبعد من ذهنه صلة الذبحة الصدرية وهو يقابل بين هذه الأعراض من ألم الذراع وألم الخاصرة والنوبة القلبية على أمر القى وألم الأمعاء ، وقد ذكر الأستاذ محمد لطفي جمعة فعلا في مقال نشره بمجلة الحديث سنة ١٩٣٧ أن الكواكبي ذهب ضحية ذبحة صدرية .

تلك سير ثلاث ، لم أتهد جمعها من عصر واحد ولم أبحثها في وقت واحد ، ولكنها مصادقات تدل كل مصادقة منها على فائدة البحث العلمي للتمييز بين مواضع الصدق ومواضع التلويح في أقوال المؤرخين ، وأن التاريخ بخلافه وشيك أن يتغير إذا عرصناه على ضوء المعارف التي كانت مجهولة من قبل ثم انجلت عنها غشاوة الجهل شيئا فشيئا حتى بلغت مداها من الوضوح والثبوت في العصر الحاضر ، ونعود في ختام هذا المقال إلى الرأي الذي بسطناه من قبل عن معنى التخصص للأدب أو للعمل في الثقافة المصرية ، فلا بد لميزان النقد اليوم من تمام الأداة التي يتخضع بها في هذه الصناعة ، ولا غنى للأديب ولا للعالم عن الإلمام بغير ثقافته الخاصة ، لتصحيح الحكم على حقيقة من حقائق المعرفة العامة .

عباس محمود العقاد

المريز ، وأن يتعسر بعد ذلك علاج الداء كما تعسر علاج داء قريب من هذا في فسك (أحمد فؤاد) ملك مصر السابق ، مع المارق الكبير في العناية بالحالتين ، ومع التقدم في فنون العلاج خلال ثلاثين سنة بعد أيام السيد جمال الدين .

وقد دعيتي الكتابة عن الكواكبي إلى استقصاء الأخبار عن سبب وفاته ، فكان أشهرها وأسبقها إلى خواطر أبناء عصره أنه مات مسموما ولم يستطع شهود الوفاة من صحبه أن يطلوا وفاته بعد هذه العلة .

ولكنني راجعت تفصيلات الخبر في مراجع عدة فראيت الأستاذ محمد كرد علي يقول : « إنه شعر بالأمس بوجع في ذراعه وما عرف له تعيلا ،

ورأيت الأستاذ صالح عيسى يقول : إن السيد عبد الرحمن : « استدعاني إليه وكنت جالسا إلى قربه وقال لي : أحس بوجع شديد في خاصرتي اليسرى ،

وجاء في خبر نشرته مجلة الحديث الحبيبة « أنه شرب قهوة مرة وبعد نصف ساعة أحس بألم في أمعائه فقام للحال وقصد مع ابنه السيد كاظم في عربة حنطور إلى الدار وظل يقه حتى قارب الليل منتصفا فأصيب بنوبة قلبية ضعيفة .. »

المجتمع الحديث

للمستاذ الدكتور محمد البهي

- ٢ -

إلى العلمانية، أى يزرع إلى التغاضى عن الدين،
ودين الأمة والشعب، وهو الإسلام، بل يزرع
إلى تحديه ومحاولة إبعاده عن التوجيه في عصف
وفي قوة.

وكما يزرع هذا المجتمع إلى الأخذ بفكرة
العلمانية، فإنه يزرع كذلك إلى إهمال التقاليد
والعرف اللذين كانا للشعب التركي في تاريخه
الإسلامي.

ومصطفى كمال أقام هذا المجتمع تحت التأثير
بالحركات العالمية الدولية - كالحركة الماسونية -
وتحت التأثير كذلك بالعلفلة الوضعية، فلسفة
أوجست كومت. وهى العلفلة التى قامت
لتجديد العلم الطبيعي وتدعو إلى تأليه وإلى عبادته،
وإلى أن يتجرد عرهاب العباداة فى المجتمع
من كل إله آخر سوى إله هذا العلم الواقعى
الطبيعى. تأثير كمال أتاتورك بالشاعر التركي
« طياجوك ألب »، فيما اتجه إليه من لائمة
المجتمع التركي الحديث. وهذا الشاعر كان
من أنصار الفلفلة الوضعية ومن مؤيدى
« العلمانية » والابتعاد عن الدين.

المجتمع الإسلامى تأثر بالصراع فى البيئة
الأوروية مع الكنيسة أكثر من تأثر المجتمع
الأوربى نفسه به :

وهكذا نرى المجتمع الأوربى الحديث
حتى الآن لم يتأثر بما بشر به فى دعواه من السير
فى خط « العلمانية »، ومن يتخلص بالتدريج
من العرف والتقاليد المأخوذة فيما يحدثه
ويصدره من تشريعات وقوانين، وإذا كان
هناك مجتمع إنسانى حديث تأثر بالصراع
فى البيئة الأوروية مع الكنيسة، وقبل
« العلمانية » فى توجيهه، وحاول أن يتخلص
من مأخوذه من عرف وتقاليد - فهو بعض
المجتمعات الشرقية الإسلامية.

فد النهضة، التركية التى قام بها مصطفى كمال
أتاتورك فى أعقاب الحرب العالمية الأولى
أقامت مجتمعاً حديثاً، له خصائص المجتمع
الذى طالب به الصراع فى البيئة الأوروية مع
الكنيسة وهو المجتمع « العلمانى ».

فالمجتمع التركى الحديث - كما يحدده دستور
الثورة التركىة الحالية - مجتمع يزرع

الذي لمجتمعات الشعوب الإيطالية والفرنسية والألمانية؛ لأن الشعب السويسري يتكون من مجموعات تنتمي إلى هذه الشعوب . ولذا لو أرادت تركيا الحديثة أن تحاكي سويسرا في قانونها وتفتبس منه للشعب التركي - ففوق أنه أجنبي عن طباع الشعب وخصائصه وعرفه وتقاليده ، فإنه نفسه لا يمثل الوحدة الواحدة .

ومن هنا كان هناك فراغ في المجتمع التركي الحديث ، فراغ فقهي وقانوني لم تملأه بعد تلك الاقتباسات العديدة المختلفة من القوانين الغريبة .

وبجانب هذا الفراغ في دائرة التشريع يوجد فراغ آخر في هذا المجتمع ، وهو الفراغ الذي حدث بإبعاد الدين رسمياً عن محيط التوجيه الداخل وفي العلاقات الخارجية . إن الدين في كل مجتمع هو مصدر الترابط الروحي والتماسك النفس بين أفراد المجتمع نفسه ، هو الذي يكون وحدتهم الداخلية كما يصون هذه الوحدة من التفتت أو الضياع . والشعب التركي في مجتمعه الحديث - وبالأخص الأجيال التي نشأت بعد قيام هذا المجتمع - يعاني أزمة دينية لم تستطع أية ثقافة أخرى أن تحل محل الإسلام هناك . ولذا كان توجيه هذه الأجيال توجيهاً مشتتاً لا انسجام بين خطوطه . يميل إلى الغرب ويميل إلى

وعلى ذات الأسس التي أقام عليها أتاتورك المجتمع التركي حاول بودقية في تونس البلد العربي الصغير أن يقيم مجتمعاً كهذا ، تحت تأثير التوجيه الاستعماري واليهودي معا . ففي إحدى إذاعاته الرسمية الأسوعية أعلن أن القرآن لم يعد صالحاً لهذا المجتمع الحديث ، وأن من الواجب تركه . وفعلاً أصدر من القوانين ما يبعد الشريعة الإسلامية عن الأحوال الشخصية في الميراث وفي الزواج وفي الطلاق .

والمجتمع التركي الحديث إذا أخذ في توجيهه بعيداً ، العلمانية ، وإبعاد الإسلام عن محيطه الداخل وفي علاقاته مع الشعوب الأخرى ، وإذا ابتعد عن أن يكون لعرف الشعب التركي وتقاليده صدى في قانونه الوضعي الحديث - فإن هذا المجتمع في حاضره يهتز في وضعه وفي مقوماته . لأنه لم يجد قانوناً واحداً من القوانين الغربية يستمض به عما كان للمجتمع التركي السابق من قوانين . إذ أن القوانين الغربية هي قوانين روعى فيها عرف الشعوب وتقاليدها . ولذا كانت قوانين مختلفة ، وإن اشتركت القيم المسيحية فيها جميعاً .

وسويسرا البلد المحايد في وسط أوروبا قانونها ليس قانوناً موحداً . وإنما هو قانون تمثلت فيه الاعتبارات والتقاليد والعرف

وموانها حتى الآن من طريق التبرعات من الأفراد والجمعيات الأمريكية ، وعن طريق المساعدات الرسمية الحكومية - إذا هي حموت السياسة التركية الحديثة على أن تعين إسرائيل في وجودها ، وفي حل أزماتها بما أشرنا إليه سابقا .

وإذا سار الحبيب بورقيبة في المجتمع التونسي الحديث مثل ما سارت الثورة التركية ، ونزع إلى توكيده العلانية ، وإبعاد الإسلام ، وعمل على إبعاد العرف والتقاليد في المجتمع التونسي من أن يكون لها صدى في التشريع والقانون - فإن نفس المصير الذي صار إليه المجتمع التركي الحديث - يسير إليه المجتمع التونسي ونفس الفراغ الذي يوجد في المجتمع التركي الحديث سيوجد في المجتمع التونسي ، ونفس التخلخل في العلاقات والتخلخل المجتمع التركي الحديث سيحدث في المجتمع العربي في تونس ، إذا ما استمر الحبيب بورقيبة في سياسته اليهودية العالمية .

وإذا كنا ذكرنا أن ماضنه كمال أقاتوك من إقامة مجتمع تركي حديث ينزع إلى العلانية ، وإلى التغاضي عن العرف والتقاليد إنما سم تحت تأثيره بالانجاء الدولى العالمى ، وهو الانجاء الماسونى ود تجاه المذهب الوضعى الذى قس العلم وحول محراب العبادة إليه ، فإننا لا ننسى أن نذكر هنا أيضاً أنه كان من

الشرق - وإذا مال إلى الغرب مثلاً فلا يدرى إلى أى مجتمع في الغرب يميل : أهو المجتمع الأوربي أم المجتمع الأمريكي . أهو المجتمع الانجليزي أم المجتمع الفرنسي . أهو المجتمع الألماني أم المجتمع الإيطالي . أهو المجتمع السويسري أم المجتمع السويلى في بلاد اسكاندينافيا ؟

ومن هنا يعيش المجتمع التركي الحديث بعد أن نزع إلى العلانية ، دون أن يستند إلى دعائم ماضية ، كما يعيش في حاضره وهو لا يستطيع أن يعرف على وجه التحديد : أين يتجه ، ومن هنا كل المجتمع التركي الحديث مجتمعاً غير ذي شخصية ، مجتمعاً مفككاً مانعاً ، وسياسة الحكم فيه لا ترسم من داخله وإنما يرسمها أصحاب النفوذ السياسى ، والاقتصادى فيه ، يرسمها الغريبيون ، وعلى وجه الأخص الولايات المتحدة الأمريكية . ولذا لا نعجب إذا رأينا صداقة قائمة بين

إسرائيل عدوة البلاد العربية والإسلامية على السواء وبين تركيا الحديثة ، لا نعجب إذا رأينا أن تركيا تحاول على حل أزماتها إسرائيل الاقتصادية بتمويلها من جيرانها العرب والمسلمين مرة ، وبترويج بضائعها في هذه البلاد المجاورة مرة أخرى ، لا نعجب لأن السياسة الأمريكية - وهي السياسة التى خلقت إسرائيل ، وأوجدت كيانها الدولى ،

أبنائهم وشعوبهم إن هم واجهوهم بمحقاق التاريخ . بل على العكس ترى كثيراً من كتاب الغرب يسخرون من تركيا الحديثة لأنها فقدت كل مقوم من مقومات المجتمع الإنساني دون أن تستعير منه مقومات يمكن اعتبارها مقومات ذاتية للشعب التركي في مجتمعه الجديد .

- ٣ -

دور الثورة المصرية في إعادة بناء المجتمع العربي والشرقي :

وربما كان يخشى من انتشار هذا النموذج للمجتمع التركي الحديث بين الشعوب العربية والإسلامية في إفريقيا وآسيا ، بفعل الدعوة العنيفة إلى محاكاة هذا المجتمع بين الشرقيين والمسلمين والتفاضى عن إسلامهم وقيمهم وعرفهم وتقاليدهم والزواج إلى د. العلمانية ، وتمجيد العلم الوضعي تمجيداً يدفع إلى التغلّي عن العقيدة الأصيلة - لو أن هذه الثورة المصرية لم تقم ، ولو أن راعيها وزعيمها لم يكن جمال عبد الناصر .

فهذه الثورة - وهي من صنعه - يصح أن نسميها ثورة لإعادة بناء المجتمع العربي والشرقي . لم تكن ثورة لمحاكاة أى مجتمع آخر حديث سواء في منطقة النموذج الشرق الشيوعي أو في منطقة النموذج الغربي الصليبي وإنما كانت ثورة لخلق مجتمع حيادي يقوم

العوامل في ذلك جهود العلماء في فهمهم للدين وفي مرحلتهم لقيمه ، فلم يستن له ولم يستن لمراقبه قيم هذا الدين في الحياة الإنسانية الفردية والجماعية والعلوية ، وهناك عامل آخر يجوار هذا العامل الداخلي يتصل بالاستعمار الغربي بصفة وبذلك العقدة النفسية التي خلفتها هزائم الحروب الصليبية في نفوس الغربيين واتسمات المسلمين عليهم في صورة يفخريها العرب والمسلمون على السواء ، وإذا كان أتاتورك قد أقام هذا المجتمع الحديث بين الشعب التركي - فإن استمرار المحافظة على بقائه على نحو ما وصفنا يرجع إلى النفوذ الغربي أكثر مما يرجع إلى أطمشان نفوس الشعب التركي إليه وقرّة أعينهم به . إن السياسة الغربية تروج في البلاد العربية والإسلامية للمجتمع التركي الحديث وتجعله نموذجاً للمجتمع الإنساني طبعاً . يطلب من العرب والمسلمين على السواء أن يحاكيوه ، إن هم أرادوا تقدماً وتطوراً ومدنية ، ويتجلى هذا الميل الاستعماري الغربي في صور عديدة ، أهمها الكتابة ، والدعوة إليه من طريق العلماء ، الأمريكان في محاضراتهم وأحاديثهم في مواجهة المسلمين والعرب وفي كتاباتهم لأبناء العروبة والإسلام .

ولكن أصحاب هذا النموذج الاستعماري لا يكتبون بتمجيد هذا النموذج التركي إلى

الأخرى الحديثة ، ولكنه في الوقت نفسه يدعو إلى عدم قبول أى نموذج سياسى أو توجيهى أو تقاى من الغرب أو من الشرق . إنه يدعو إلى الاحتفاظ بخصائص الشعب العربى والشعوب الإسلامية واعتبار ما لها من قيم في التوجيه ، وفي الوقت نفسه يدعو إلى العلم وإلى التصنيع . وليس هناك تضاد بين ما يدعو إليه هذا المنطق لأن العلم الحديث هو علم محايد ، هو علم الآلة والصناعة ، هو علم الكشف عن الطبيعة المجردة ، هو علم القوة والسيادة على الكون . وهو بهذا الوضع لا يرسم توجيهاً معيناً في الحياة لا يرسم توجيهاً إلى الشرق ولا إلى الغرب . وبذلك يبق مجال التوجيه في حياة المجتمع العربى والمجتمعات الإسلامية لأنهم الخاصة بهذه المجتمعات . الحيات الإيجابى ليس كلمة وإنما هو شعار يحمل أهداف المجتمع العربى والإسلامى في محيطه الخاص وفي المجال الدولى العام على سواء . نريد السلام ولا نحب الاعتداء ولكن ندفع الاعتداء بكل ما نملك من قوة النفس والمال والعدة يوم يتدى علينا . نحن عرب في مجتمعنا نقضرمو وثقنا وبأجنادنا في تاريخنا وبقيمنا الروحية والأخلاقية التى أتى بها ديننا ومع ذلك نحن إنسانيون على معنى أننا نسعى إلى تجسيد القيم الإنسانية ؛ لأنها لا تخرج عن القيم الروحية والأخلاقية التى جاءت بها وصايا الإسلام ، ولكننا لسنا إنسانيين

على مند من الماضى في التوجيه والأخذ بالقيم الأخلاقية في حياة الشعوب العربية والإسلامية . ويأخذ في حاضره بما يأتى من العلم في رفع المستوى الاقتصادى للشعوب . وبذلك يكون مجتمعا جمع في مقوماته بين خصائص الشعوب الإسلامية والعربية وبين عمرة العلم الطبيعى في تطور الصناعة وإيجاد الإمكانيات المديدة في الانتفاع بثروة البلاد التى تعيش فيها هذه الشعوب سواء منها ما كان في باطنها أو يظهر على ظاهرها .

فسياسة الحياد الإيجابى التى يدعو إليها الرئيس عبد الناصر هى ليست رسماً للعلاقات الخارجية فقط بين الجمهورية العربية المتحدة من جانب وبين شعوب الأمم الأخرى من جانب آخر ، وإنما هى مع ذلك وفوق ذلك رسم لبناء الداخلى للمجتمع العربى الحديث . ومنطلق هذه السياسة ، سياسة الحياد الإيجابى يدعو إلى اعتبار القيم الروحية والدينية والأخلاقية والتاريخية من جديد التى للشعب العربى والشعوب الإسلامية . في تخطيط سياسة التعليم والتوجيه . منطلق هذه السياسة يدعو إلى الأخذ بالاسلم الطبيعى ، ولكنه لا يدعو إلى « العلية » يدعو إلى تطوير القانون والتشريع ، ولكنه لا يهمل شأن العرف والتقاليد فيما يصدر من قوانين وتشريعات . يدعو إلى السلم في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وبين المجتمعات

على معنى أن نذوب في مجتمعات وشعوب أخرى، أو أن نبذل ما لنا من قيم وخصائص تميز مجتمعا عن أى مجتمع آخر، كما يحاول «العلانية» في المجتمعات الحديثة أن تبذل ما لهذه المجتمعات من قيم وعرف وتقاليده. إن لغتنا لغة عربية، وإن ديننا هو الإسلام، وإن وطننا هو وطن الأمة العربية. هكذا ينطق دستور الثورة. إن توجيهنا ينبثق مما لنا من قيم، إن تعليمنا يجب أن يصدر عن هذه القيم، ومهالتنا من موارث في ثقافتنا العربية والإسلامية.

إن البناء الداخلى لهذا المجتمع العربى يحتاج إلى تضافر وإلى تعاون. إلى تضافر وتعاون فى الإيمان به والعمل على تشييد معالنه بحيث يبقى عقيدة قوية فى مواجهة الأحداث والازمات، كما بقى للروحنة الإسلامية وللنظم الإسلامية قيمتها فى مواجهة هجمات الاستعمار ومحاولاته العديدة التى حاول أن يرهب بها تلك القيم ويفتت بعد ذلك المجتمع الإسلامى والعربى. لذا كان التعاون مقوما من مقومات مجتمعا الجديد، مجتمعا الثورة المصرية والعربية كما كانت الديمقراطية مقوما آخر من مقوماته لأن الإيمان بهذا المجتمع لا بقى ثمرته إلا إذا كان من وسى الإرادة الحرة للفرد. والديمقراطية ليست صورة للتصويت الشعبى فحسب، وإنما هى أيضا

عنوان على المشيئة والاختيار فى الإنسانية. والتعاون إذا كان من مقومات هذا المجتمع فإنه لا محالة يتطلب أن تقوم الروابط بين الأفراد بعضهم مع بعض على أساس لا حقد فيه من حقد ولا ظلم فيه من ظلم. وذلك لا يكون إلا إذا كانت هناك اشتراكية فيما يثير الحقد وفيما يدفع إلى الظلم. اشتراكية فى مجال الملكية والاقتصاد.

وهنا سياسة الحياد الإيجابى التى جعلت شعاراً لهذه الثورة. كن من مستبغاتها حتافى البناء الداخلى: التعاونية والديمقراطية والاشتراكية.

المجتمع العربى الجديد هو مجتمع مستقل تماماً فى توجيهه وفى علاقاته، ولكنه ليس فى عزلة عن المجتمعات الأخرى ولا عن تبادل النفع بينه وبينها.

إن الحياد الإيجابى الذى قام عليه مجتمعا الجديد كما يعتبر صدا لانففاع «العلانية» فى الشرق العربى والإسلامى حتى لا نبني المجتمعات الأوربية مستمرة فى ممارسة نفوذها وسلطانها فى هذا المجتمع إن هذا الحياد الإيجابى كما كان صدا لتيار «العلانية» هو فى الوقت نفسه رسم لبناء المجتمع العربى والإسلامى: كيف تقوم المجتمعات الحديثة فى البلاد العربية والإسلامية دون أن تخضع لنفوذ الشرق أو الغرب، ودون أن تفقد ما لها من قيم،

لتلك القيم الإسلامية وينحى عنها تلك المفاهيم التي آلت إليها بسبب الضعف السياسي والاقتصادي في الشعوب الإسلامية ، وبسبب ركود الفكر وجود الأذن لدى علماء المسلمين المتأخرين في مثل قوله تعالى : « وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » وقوله « وفي السماء رزقكم وما توعدون » وقوله « الله يبسط الرزق لمن يشاء » ويقدر ، وقوله « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » لا بد من تصحيح مفاهيم التوكل والصبر والقناعة والزهد والقضاء والقدر وتحديد ما على نحو يسمو بالنفس البشرية ويدفعها إلى القوة والاحتمال والسعي في الحياة ومسايرتها في نموها وتطورها .

ذلك دور الأزهر . أما دور المدارس والجامعات فهو أشبه بدور الأزهر ، لكن لا في إعادة المفاهيم الأولى إلى القيم الإسلامية ولكن في إعادة الاعتبار لتلك القيم الإسلامية والتخلي عن ذلك التفاضل لهذه القيم الذي أوجدهته سياسة التعليم في عهد الاستعمار وعهد الانفصال بين المدارس المدنية والمعاهد الدينية .

يجب على المدارس والجامعات أن تعيد في نفس المتردين عليها أننا نعيش في الشرق وعقلية المتطلع إلى السيادة من جديد ، فيقدرون ما للشرق من قيم ويسعون إلى الأخذ بما هو وسيلة لتلك السيادة وهو العلم والصناعة ، يجب عليها أن تطرح زعامة الغرب الثقافية

ودون أن تترك الانتفاع بالعلم والصناعات الحديثة ؟ .

تجيب عن هذا السؤال سياسة الحياد الإيجابي .

كيف يبنى المجتمع العربي أو الإسلامي وكيف تقام البنايات في بناء المحيط الداخلي حتى يكون مجتمعا متوازنا ؟ تجيب عن هذا السؤال الاشتراكية الديمقراطية التعاونية .

كيف نتعد عن مناطق النفوذ للغرب والشرق وكيف لا تقع تحت نفوذ التوجيه الخارجي في الشرق أو في الغرب ؟ سؤال تجيب عنه سياسة الحياد الإيجابي .

دور الأزهر :

وإذا كان مجتمع الثورة الجديد هو بناء أعيد من لبنات الماضي في ضوء ما للحاضر من علم وصناعة ، وإذا كانت تلك اللبنات هي ما للشعوب العربية والإسلامية من قيم في التوجيه - فأجدد بالمعهد الذي يباشر تبليغ هذه القيم وصيانتها من العبث على عمر الزمان وهو الأزهر ، أن يسهم إسهاما إيجابيا في صرحه هذه اللبنات من جديد . وصرحها الجديد ليس إلا نهرها بما آلت إليه من أهام منحرفة وشحنها من جديد بتلك المعاني الخالدة التي جاء بها القرآن وبلغها للناس محمد صلى الله عليه وسلم ، وصانها من بعده صحابته رضوان الله عليهم . يجب عليه أن يعيد المفاهيم الأولى (البقية على صفحة ٩٢٦)

الكرامة والعزة في القرآن الكريم

للدكتور محمد محمد المصطفى

٢ - الكرامة

في نظر نفسه محتاجاً إلى مغفرة ذلك الإله الواحد، عارفاً بأنه في هذه الحاجة متساو مع من هو مثله من المؤمنين والمؤمنات، فهو يطلب هذه المغفرة لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات.

• - والقرآن الكريم ينظر إلى حياة الإنسان من نواحيها المختلفة نظرة اعتداد واعتقال، ويشرح لها على أساس من الرغبة في صونها والحفاظ عليها.

(١) فهو ينظر إلى وجود الإنسان على أنه بناء بناء الله فلا يحق لأحد أن يهدمه، وبذلك يقرر عصمة الدم الإنساني إلا بالحق ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ويعتبر من يعتدي على نفس واحدة بغير حق كأنما اعتدى على الإنسانية كلها، ومن حق نفساً واحدة فكأنما حقن دم الإنسانية كلها، وذلك قوله تعالى: «أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً».

وفي هذه الآية تمرير للبدء الأول والأهم

• - والقرآن في تقريره العقيدة الأولى: «لا إله إلا الله، يسمو بالإنسان سمواً عظيماً، إذ يفرس في نفس كل فرد من أفراد أنه متساو مع غيره، وأنه ليس فوقهم من يخضع له ويذعن لسلطانه إذعان الإيمان إلا الله،

وهذا غراس طيب يفتي الكرامة الإنسانية ويغذيها دائماً وينميتها، مع ربط الروح برابطة الإيمان بالله، وهو من جهة أخرى علاج لما عصى أن ينظر للحاكمين من حق أو استعلاء، ولذلك يقول الله تعالى مخاطباً

رسوله في سورة محمد، بعد أن عرض لما يقاميه من خصوم دعوته: «فاعلم أنه لا إله إلا الله، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات، والله يعلم متقلبكم ومثواكم».

فلم المرء أن (لا إله إلا الله) يرفعه عن أن يحقر نفسه، ويرفعه أيضاً عن أن يتجاوز مداه، فهو في الحالين صون لكرامته، وحفظ لها في مستواها الطبيعي الذي يورثها النزول عنه صفة الصغار والدناءة، ويورثها العلو عنه الفرور والاستعلاء بالباطل.

وعلم المرء أن (لا إله إلا الله) يجعله أيضاً

تعالى : « ولكم في القصاص حياة » ، فإن المعتدى إذا اقتص منه علم كل من تحدته نفسه بالاعتداء أنه سيلقى جزاء ما قدمت يداه ، فيكف عن صدهاته ، فتحيا النفوس .

وعندى أن هذا بعض ما تفيد المباداة ، وليس هو كل ما تفيد ، ولو شاء قائل أن يقول : إنها تشمل الإحياء بالعلم والهداية لكان له ذلك ، على نحو ما جاء تفسيراً لقوله تعالى : « أو من كل ميتاً فأحييناه » ، وحينئذ يدل هذا على أن الناس متكافون في ترقية الإنسانية ورفع مستواها العقلي ، كما هم متكافون في حفظ الحياة والأمن ، فمن أحياتنا بالعلم ورفع مستواها ، فإن إحياءه إنما هو صنيع جميل للإنسانية كلها ورعاية لما يقضى به روح تكريمها وكرامتها .

(ب) وكما ينظر القرآن الكريم إلى وجود الإنسان هذه النظرة السامية . فيعرض على عصمة دمه إلا بالحق ، ينظر مثل هذه النظرة إلى « العرض الإنساني » .

ذلك أن العرض مصون فلا يجوز لأحد أن يعتدى على عرض غيره ، ولا أن يتقبل من غيره أن يعتدى على عرضه « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً » ، « والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد

الذي تستقر عليه حياة البشر وأمتهم ، فإن الإنسان - كسائر الحيوان - يعتمد على القوة وتنازع البقاء ، فإذا ترك إلى طبيعته عمد إلى قوته فاتخذها سبيلاً إلى قضاء مأربه ، وإذاحة كل من حال بينه وبين هذه المآرب من بني جنسه عن طريق سفك دمه ، وفي هذا ما فيه من تنافي هذا النوع وانقراضه وفيه كذلك انتشار الخوف بين الناس وفساد حياتهم ، واستحالة تعاونهم للمشر بسبب انعدام الثقة ، وفيه إهدار الكرامة الإنسانية واستهانة بهذا النوع الذي جعله الله خليفة في الأرض .

لكن إذا تقرر أن من قتل نفساً بغير حق كان كمن قتل الناس جميعاً ؛ لأنه اعتدى على النوع كله باعتدائه على فرد منه ، ولأنه فتح باب الضراوة والبغى وهدم ما بنى الله ، فإن الناس حينئذ يشعرون بكرامة النوع شعوراً يعثمهم على التعاون في الضرب على يد المعتدى واعتبار أنفسهم معتدى عليهم ، ومن واجبه رد هذا العدوان ، فيوجد التكافل على حفظ الحياة ، والتضامن على إقرار الأمن والسكينة وإقرار الصون والكرامة للجنس البشري .

هذا في جانب رد العدوان أما الشرط الثاني من المبدأ ، وهو قوله تعالى : « ومن أحيانا فكأنما أحيانا الناس جميعاً » ، فقد يمكن تفسيره بالقصاص ، وذلك أن في القصاص من المعتدى حياة للناس ، كما جاء في قوله

والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبنا نكالاً
من الله ، ولا يجوز أكل أموال الناس بالباطل
أو استعمالها في الرشوة ، ولا تأكلوا أموالكم
بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا
فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون .
وأموال السفهاء يجب أن تحفظ ولا تترك لهم
يبدونها ، والقرآن يعتبرها أموالاً للامة يجب
أن تقوم عليها وترعاها ، ولا تؤتوا السفهاء
أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ، وارزقوهم
فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً .
إلى غير ذلك ...

• • •

٦ - والقرآن الكريم ينظر إلا المخالفين
في الذين نظرة فيها سمو ورحمة وبر ، فبينما
ينهى أشد النهي عن اتخاذهم أولياء يرتبطون
بهم ارتباط المتناصرين بعضهم ببعض ،
يأمر يستعينوا بهم على المؤمنين ، ويهينهم
عليهم ؛ نراه بليغاً للمؤمنين أن يعاملوهم
معاملة أساسها البر والرحمة والقسط ، ما دام
لم يصدر منهم إيذاء لهم ، ولا تحريض عليهم ،
ولا محاولة لتهنتهم عن دينهم ، لا ينهاكم الله
عن الذين لم يتقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله
يحب المقسطين ، بل يذهب القرآن الكريم
إلى أبعد من هذا في التسامح ، فيبيح للسلم أن
يتخذ البر والقسط أساساً للتعامل بينه وبين

عذابيها طائفة من المؤمنين . الزاني لا ينكح
إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها
إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ،
كما لا يجوز لأحد أن يخوض في أعراض
الناس بالباطل ، وأن يبلغ في كراماتهم ، وإن
الذين يحبون أن تفسح الفاحشة في الذين
آمَنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ،
والذين يرمون المحصنات لم يأتوا بأربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم
شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون .

(ج) والمقول مصونة فلا يجوز تناول
ما يفسدها أو يفتنها من مسكر أو نحوه
، إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم
تفلحون ، كما لا يجوز أن تمتن المقول
بترويج الخرافات والتقليد الأعمى واتباع الظن
« ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على
الله الكذب وأكثرم لا يعقلون . وإذا قيل
لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا
 حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ، وما يتبع أكثرهم
إلا ظناً وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً » .

• • •

(د) والأموال مصونة ، فمن سرق من
مال لا شبهة له فيه وجب قطعه : « والسارق

٧ - والقرآن الكريم حين يذكر الخدم والأتباع لا يسميهم خدما ، ولا يعبر عنهم بلفظ فيه إيلا لم ، أو جرح لكرامتهم ، وإنما يعبر عنهم بعبارة فيها كناية لطيفة ، وفيها تكريم ، إذ يقول «الفتى» و «الفتيان» و «الفتيات» .

ومن المعلوم أن الفتى هو الشاب في قوته وميعة صباه ، ولما كان من عادة الناس أن يستغذوا في شئونهم قتي جلداء يستطيع أن يقوم بها ، ويصبر على متاعبها ويؤديها أداء حسنا ، كان من المناسب أن يعبر عن التابع أو الخادم بكلمة «الفتى» حفظاً لكرامته . ولذلك نرى القرآن الكريم يينا يعبر عن الشبان الذين هجروا بيعة الشرك والبنى إلى الكهف فيقول : «إنهم فتية» ويعبر عن إبراهيم عليه السلام بقوله : «قالوا سمعنا قتي يذكرهم يقال له إبراهيم» نراه كذلك يعبر عن تابع موسى بالفتى فيقول : «وإذ قال موسى لفتاه» ويعبر عن أتباع عزيز مصر بالفتيان حيث يقول : «وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحا لم» ويعبر عن الإمام المملوكات بالفتيات حيث يقول : «ولأنكرهوا فتياتكم على البضاء» وفي آية أخرى «فما ملكك أيمانكم من فتياتكم المؤمنات» . وفي هذا إرشاد كريم إلى ما يجب علينا من الرقي والتلطف في معاملة من تحت أيدينا

مخالفه وإن آذاه ، بشرط ألا يصل الأمر بينهما إلى حد الولاية والنصرة ، وبدل على ذلك قوله تعالى بعد الآية المتقدمة : «إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم» ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . فقد صرحت هذه الآية بأن المنهى عنه - في شأن هؤلاء - هو اتخاذهم أولياء . لا مجرد البر بهم ، والقسط إليهم .

وقبل هاتين الآيتين يقول جل شأنه : «عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة» والله قدير ، والله غفور رحيم . وفي هذا إيحاء بأن العداوات ليست دائمة ، وأن القلوب تتغير وتتحول ، وأن الرقي والإحسان قد يكونان سبيلا إلى إصلاح النفوس ، وتقريب القلوب ، وقد حدث فعلا في تاريخ المسلمين أن كثيرا ممن كانوا أعداء لهم وحربا عليهم ، أسلوا وحسن إسلامهم ، وأبلاوا في الدفاع عن الإسلام بلاء حسنا . فاقه تعالى لا يرضى بأن يتخذ المؤمن مخالفه في الدين وليا ومناصرا ، ولكنه مع ذلك يعطى هذا المخالف حقه في علاقات المعاشرة والمواطنة ، ويتم هذه العلاقات على البر والرحمة والقسط ، وكلا الأمرين هو غاية الحكمة والمستور الطبيعي للإنسانية في كمال وعيها ، وكال رقيها ومموها ، وما ينبغي لها من الكرامة .

في الخلق والإنعام والتشريع والاعتداد
بالنوع ، فالناس جميعا من هذه الناحية
متساوون لا فضل لأحد على أحد ، ولا
لجنس على جنس ، ولكنه بعد ذلك فتح
الباب للتفاوت والتفاضل وأن يمتاز فرد على
فرد وأن يتطلب الناس المنازل الكريمة
ويشربوا لتحصيل الغايات الشريفة .

وكل من هذا وذاك مقتضى الرحمة والحكمة
وأساس الصلاح والعمران اللذين سخر لهما
هذا الإنسان ، واستخلف من أجلهما في هذا
الكوكب ، فلم يكن يصلح أمر الناس على
التفاوت في أصل الكرامة تفاوتاً مرجعه
إلى الخلقة ، أو إلى الاختصاص بالإنعام أو
التحويل أو العصمة في السماء والمقوق
والأموال ؛ لأن التوازن حيثئذ يكون مختلاً ،
ولأن التعاون الضروري للعمران لا يوجد ،
إذ يشعر بعض أفراد الإنسان أنهم مستخرون
لغيرهم ، وأن مستوأم في هذا العالم كستوى
الحيوان الأعجم بالنسبة للإنسان ، أو قريب
من هذا المستوى ، واليوم الذى يشعر فيه
فريق من البشر بهذا ، ويستقر هذا الشعور
في قلوبهم ، ويتواضع العالم عليه ، هو اليوم
الذى تتعرق فيه الإنسانية ، وتفتابها الكوارث
وتخطو خطاها السريعة إلى الزوال والعناء .

وهذا هو العالم الآن يشهد ألوان الاضطراب
التي أحدثتها فكرة تقسيم الناس إلى سادة

من عبادة خدم كانوا أو أتباعاً أو عمالاً
أو أحراراً فإن لم كرامة يجب أن نرطها .
وقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى هذا الأدب القرآنى حيث يقول : ليقل
أحدكم فتى وفتان ، ولا يقل عبدي وأمتي .
كما سعى عليه الصلاة والسلام ، الخدم والخول ،
- أى الأعران - إخواناً فقال : إخوانكم
خولكم ، وقال في تمبير عاتق كرم : وفن
جعل الله أحراراً تحت يده فليطعمه بما يطعم . الخ .
ونهر صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه حين
قال لعبده : يا ابن السوداء ، فقال له : وأعيته
بسواد أمه ؟ إنه ليس لابن البيضاء فضل على
ابن السوداء ، وإنك امرؤ فيك جاهلية .
وقد قدرت الشريعة تمشياً مع هذا الروح
الإنسانى الكريم أن العبد المملوك يعتق على
سيده جبراً إذا مثل به أو أساء عشرته .

• • •

٨ - والقرآن الكريم ، كما يثبت
الكرامة الإنسانية على النعم الذى تيناه
فينا تقدم ، يقرر أن هذه الكرامة قابلة
لنمو والزيادة ، وأنها تتفاوت في الناس تبعاً .
ونستطيع أن نأخذ هذا من مثل قوله
تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .
ومعنى هذا أن الله سبحانه وتعالى أعطى
كل إنسان قسطه الأول من الكرامة الإنسانية

أرواح الذين استخدموم أو ساقوم إلى المذابح كما تساق القطمان .

هذا الجدا الذي أجاز هذا الصنيع يتنافى مع « الكرامة الإنسانية » التي غررها الله للإنسان ، ولكنه في الوقت نفسه سنة من سنن الله الكونية المطردة في كل من قرط في كرامته ، ولم يحتفظ بها ، ورضى بأن يكون مسوقا مسخرا مذلا لسواه من هو مثله وفي مستواه ، وله مثل حقوقه بحكم الخلق والتكوين والإنسانية ٩ .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

ومسودين ، ومستعمرين ومستعمرين ، تلك المكرة التي غزت أوروبا حينما من الزمان وسيطرت على عقول أبنائها ، فخلل لم أن الشرق ما خلق إلا ليكون مادة للغرب يدمر بما يحتاجون إليه ، وسوقا تصرف فيه بضائعهم وسلمهم ويعينهم على أن يكونوا في مستوى عال من المباشرة على حساب المستهلكين الذين يستغلون ، ويفرض عليهم من الأوضاع ما يحقق ذلك ، ثم وصل الأمر بهم إلى أن الجيوش الأوربية كانت تستخدم الجنود من الشرق ليجعلهم في المقدمة فيلقوا الموت في أشنع صورة ، ويحصدوا حصدا لأن أرواحهم رخيصة لا ترتفع قيمتها إلى

(بقية المنشور على صفحة ٩٣٥)

يظل عربيا إسلاميا . ولكن لا نفل عربا مسلمين في وجه هذه القوى من الشرق والغرب التي تربص بنا إلا إذا امتلأت نفوسنا بقيمتنا وكن لنا من العلم سلاح ندفع به مع هذه القيم ما يواجها به المتربصون بنا من عدوان .

إننا شعب حيادي وفي الوقت نفسه شعب إنساني . إن مجتمعنا مجتمع جديد ولكن لماضينا وتاريخنا القوة في بناءه والدفع في بقائه .

دكتور محمد البرهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

والتوجيهية ، لكن في الوقت نفسه تأخذ بما له من أسباب القوة المادية والصناعية . وبذلك يعيش البشر في صلة من ماضيه وفي حاضره . أما الاتحاد القومي فدوره لا يقل عن دور الأزهر ولادور المدارس والجامعات ، دوره أن يعيد إلى الشعب مالموارثه الثقافية والروحية من قيم ، وفي الوقت نفسه يعده لتقبل الحضارة الصناعية واستخدامها فبما ينتج وفيما يحتاج فتكون له من روحانية الإسلام قوة الدفع والتماكس ويكون له من الحضارة الصناعية مزيد الإنتاج ويسر العيش .

إننا أمة حرة إسلامية ، ومجتمعنا يجب أن

مُثَلُّ عَلِيٍّ إِسْلَامِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ

لِلأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

٤ - في العلاقات الدبلوماسية

على شعب واحد أو أمة واحدة ، بل هو دين مفتوح لكل من يطلب الحق ويريد لنفسه الخير ، هو دين على الناس جميعاً في كل زمان ومكان . ولذلك كان من الطبيعي أن يطالب المسلمين برعاية هذه القيم بالنسبة للناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ودياناتهم . ولذلك لا يأمر الإسلام أبناءه بمعاداة غير المسلم لأنه يخالفه في العقيدة ، بل إنه ليأمر في كثير من آيات القرآن بمودة المخالفين لنا في الدين ماداموا لا يقفون منا موقف الأعداء الباغين المعتدين ؛ وإلا ، وجب علينا رد الاعتداء بمثله .

ومن أهداف الإسلام السامية أن يعيش العالم كله في سلام وعجة وتعاون وعدالة ، ولهذا يحرص الحرص كله على الوفاء بما يكون من موثيق وعهود بين بنيهم وغيرهم حتى ولو كانوا في حالة حرب ، وحتى لو كان نقض العهد في مصلحة المسلمين في بادئ الرأي وأول الأمر .

وهذا كلام يحتاج إلى شيء من التفصيل فيما يتعلق بالعلاقات الدولية بين الدولة العربية

ذنب العرب والمسلمون ، كما عرفنا من الكلمات السابقة ، مثلاً إنسانية في الأولين والآخرين ؛ في العدل ، والأمانة ، والوفاء بالعهود والمواثيق ، وفي غير ذلك من الخلال والأخلاق التي عرضنا لها . وذلك بفضل طباعهم الأصلية النقية ، وبفضل الإسلام وشريعته وتعاليمه .

ونعرض اليوم في هذه الكلمة إلى أن ذلك لم يكن شأنهم فيما بينهم وبين بعضهم لحسب ، وفي حال السلم وحدها ، بل إن ذلك كان شأنهم في كل حال من السلم والحرب ، ومع الناس جميعاً حتى أعداء الدين والوطن .

إن الإسلام حين بين لنا القيم الأخلاقية النبيلة ، مثل العدل والأمانة والوفاء وأمرنا بانباعها وأن تكون الباعث القوي لسلوكنا وأعمالنا ومعاملاتنا ، أمرنا بها في كل حال ومع الناس جميعاً ، في السراء والضراء ، بلافراق بين جنس وجنس ، ولا بين قوى وضعيف . والسبب في ذلك ، كما قلنا في كتاب ظهر منذ شهر (١) ، أن الإسلام ليس ديناً مغفلاً (١) هو كتاب « الإسلام وساحة الإنسانية إليه » .

تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، وإذا
لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى
خصال ثلاث فأيسنَّ أجابوك إليها فاقبل
منهم وكف عنهم... » .

ومن البدعي أن يقتدى أصحاب الرسول
صلى الله عليه وسلم به في هذه الوصايا
والأوامر ، كما في كل ما جاء به من تشريعات
وآداب ، ولذلك نرى سيدنا أبا بكر الصديق
يقول في وصيته لأسامة بن زيد حين أرسله
على رأس الجيش إلى الشام ليتصرف من الروم
بما كان منهم من قبل .

« لا تخونوا ولا تغفلوا ولا تغدروا
ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيراً
ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة » (١) « ولا تمقروا
غزلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة
ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كمل ،
وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في
الصوامع ، قد عوم وما فرغوا أنفسهم له ،
وكذلك جاء في كتاب سيدنا عمر
ابن الخطاب لجيش من جيوشه : « لا تغفلوا
ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً ، واتقوا
الله في الفلاحين ، كما كان من وصاياهم لأمراء
الجنود : « ولا تقتلوا حرماً ولا امرأة
ولا وليداً وتوقوا قتلهم إذا التقى الصفان
وعند شن الغارات » .

أين هذه الأوامر الرائعة بما رأينا

[١] لأنهم لا يحاربون .

الإسلامية والدول الأخرى في حالة الحرب ،
فعلينا هنا أن نعرض لهذه العلاقات
من جميع نواحيها في حدود هذا المقال ؛
أي من ناحية المقدمات التي تسبق الحرب .
ثم متى نشبت فعلاً ، ثم ما تنتهي به من محادثات
ومعاهدات .

فنبين في إجمال القواعد الإسلامية التي تحكم
هذه الحالات جميعها ، والوصايا التي يجب
اتباعها حالة الحرب كما أشرت عن الرسول
وخلفائه الراشدين ، وكيف أظهرت الحوادث
والتاريخ كيف كفن العرب والمسلمون حريصين
على اتباع تلك القواعد والوصايا ، ثم فتوى
بأن ذلك كله وجدواه في إقرار السلام العالمي ؛
لا يجوز الإسلام أن تفاجئ أمة أمة غيرها
بالحرب ، بل لا بد من دعوته أولاً إلى
دين الله الذي وضعه للإنسانية كلها ، ثم
إلى طلب الإصاف والعدل ؛ فإن أي العدو
هذا وذاك ، كانت الحرب حينئذ ضرورة
لا بد منها ، ومن ثم يجب أن يتبع المسلمون
وصايا الرسول وخلفائه الأجداد حتى ينحصر
الشر في أضيق حدود ، وحتى لا يضار غير
المحارب وبيناته الشر والأذى .

فقد جاء في الحديث الصحيح أن الرسول
صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميراً على
جيش أوسرية أو صاه خيراً بتقوى الله تعالى
ثم قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله ،
قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغفلوا ولا

ثم أمر بالبحث عن ولدها وإحضاره إليه حتى يسلمه لها، فظهر أنه قد أخذ في غارة من الغارات، وأنه يبيع في السوق كما يباع الرقيق، فأمر باسترداده عن اشتراؤه، ولم يزل واقفاً حتى أحضر الطفل وتسلمته أمه الواهقة الباكية. فأرضعته ساعة، ثم أمر السلطان لحملته على فرس إلى معسكر قومها مع طفلها.

وقد يحدث في أثناء الحرب أن يعطى بعض الجنود المسلمين أماناً للعدو أو لبعض منهم، فما حكم الإسلام في هذا، وفي الأمان بصفة عامة؟ أى سواء كان الذى أعطاه أمير الجيش، أو أحد القادة، أو رجلاً آخر من عامة الجند حراً كان أو عبداً؟

هنا نجد الإسلام يضرب للناس جميعاً أروع الأمثال في احترام الأمان، ولو كان الذى أعطاه من عامة الجند أو رجلاً رقيقاً والأصل في هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «المسلمون متكافؤ دماؤهم»، ويعصى بذهنهم أديانهم.

بل إنه صلى الله عليه وسلم أجلاً تأمين «أم هاني» بنت سيدنا علي بن أبي طالب رجلاً من المشركين، وقال لها: «قد أجرنا من أكننت يا أم هاني».

وهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقاد إليه «الحرمرزان» أسيراً، وهو كما نعلم

في أيامنا هذه من دول الحضارة الحديثة الزائفة من تدمير المدن بما فيها من نساء وشيوخ وأطفال أبرياء وغيرهم من العجزة غير المحاربين؛ بل من تدمير مدينة بأسرها بما فيها من عشرات أو مئات الآلاف من السكان الآمنين وذلك فقط لتجربة قبيلة ذرية ومعرفة مدى ما تفعله من التدمير...!

هذا وقد حافظ أمراء العرب والإسلام في العصور المختلفة على ألا ينال غير المحاربين من النساء والأطفال ومن إليهم أى ضرر. وفي التاريخ أمثلة كثيرة في هذه الناحية نذكر منها هنا مثلاً واحداً وقع لباب اشتداد الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين الأيوبي. وذلك أن امرأة من مؤلاء الأعداء الصليبيين فقدت طفلها الرضيع ولم تقف له على أثر، فباتت بشر حال تدعو بالويل والثبور طوال الليل حتى وصل خبرها إلى ملوكهم فقالوا لها: إن صلاح الدين وجعل عادل رحيم القلب، وقد أذن لك في الخروج إليه ولقائه وطلب مساعدته حتى يرد إليك طفلك.

فخرجت حتى وصلت إلى الحرم واستغاثت بهم بما نزل بها، فأطلقوها وأتقنوها إلى السلطان، فلقينته وهو راكب وفي خدمته خلق عظيم فبكت بكاءً شديداً واستغاثت به ولما علم بقصتها غضب غضباً شديداً وورق لها ودعت عيانه.

وكان ذلك مشكلة بين أهل الحصن والمسلمين المحاصرين : فإن هؤلاء لم يعتبروا هذا أماناً ، وقالوا : ليس أمان العبد بشيء ، وقال أهل الحصن : لسنا نفرق الحر من العبد .

ولما استعصى حل هذه المشكلة على المسلمين هناك ، كتبوا بالأمر إلى سيدنا عمر ، فكتب إليهم يقول : إن العبد المسلم من المسلمين ، وذمته كذمتهم ، فلينفذوا أمانه ، فأنفذوه . وفي رواية أخرى أنه كتب إلى أبي عبيدة وكان قائد الجيش هناك ، يقول : إن الله عظم الوفاء ، فلا تكونوا أوفياء حق نفوا ، فوفوا إليهم ، وانصرفوا عنهم .

• • •

هذا عن احترام العرب والمسلمين للأمان الذي يعطيه أي فرد من الجيش حال الحرب ، حتى ولو كان عبداً مملوكاً ، أما عن الوفاء بالمعهود والمواثيق التي تكون بيننا وبين الأعداء فالأمر أوضح من أن يحتاج إلى حديث طويل . وذلك بعد أن أكد القرآن العظيم في كثير من آياته . وكذلك الرسول في كثير من أحاديثه وجوب الوفاء بالمعهود على كل حال . ونحب هنا أن نذكر بهذه الحقيقة التي أثبت التاريخ صحتها في الأزمان المختلفة ، وهي أن الإسلام لا يعنيه من المبادئ الإنسانية السامية التي يقرها كالعادل والأمانة والوفاء بالمعهود والمعهود - حتى في حالة الحروب مع الأعداء - إلا لاؤها وبريقها ، وإنما يعنيه إلى الدرجة

كان من رجال فارس الذين لقي منهم المسلمون حثاً كثيراً ، فيقول له عمر : تكلم ، فقال الحرمران : أكلام حتى أم أكلام ميت ؟ فقال عمر : تكلم لا بأس ، فاعتبر الحرمران هذه الكلمة أماناً له .

ولما أمر عمر بعد انتهاء الحديث بقتله جزءاً ما قتل من المسلمين ، قال له بعض من كان حاضراً من الصحابة : ليس إلى قتله من سبيل ؛ إذ قلت له : لا بأس . يريد هذا القاتل أن كلمة سيدنا عمر العابرة تعتبر تأمينا له ؛ فكانت النتيجة أن سيدنا عمر أطلق الحرمران من أساره ، فأسلم وفرض له نصيبه من العطاء .

وكان هذا الصنيع منطقياً من عمر مع ما عرف عنه من قبل ؛ فهو الذي يقول في كتاب له إلى سعد بن أبي وقاص حين وجهه إلى قتال الفرس : « فإن لأعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان ، أو قرهه بإشارة أو لسان (١) كان لا يدري إلا بعصى ما كلبه به ، وكان عندهم أماناً . فاجروا ذلك بجرى الأمان » . ويروي « البلاذري » في كتابه فتوح البلدان : أن المسلمين حاصروا حصناً في بلاد فارس حتى أوشك أن يقع بين أيديهم ، ولكن حدث أن عبداً مسلماً في الجيش أمن أهل الحصن من نفسه دون أن يدري أحد ، وكان هذا الأمان مكتوباً رضى به في سهم إليهم .

[١] قرهه : دأته ، أو ألقى إليه .

بما كان بينهم وبينه من عهد ، فسكتب عمر
رضي الله عنه إلى عامله هناك يأمره أن ينصب
لهم قاضيا ينظر في شكايتهم التي رفعوها إليه
فان قضى بإخراج المسلمين ، وجب إنفاذ قضائه .
ففعل العامل ذلك ، وبعد أن نظر القاضي
في الأمر حكم بأن يخرج المسلمون من المدينة
على أن يباذلوهم على سواء ؛ ففكره أهل
سمرقند الحرب ، ورضوا بإقرار المسلمين
على ما هم عليه ، وذلك بعد أن آمنوا إليهم
وحددوا سيرتهم بهم ١ .

ولا ريب في أن هذا صنيع لا يعرف
التاريخ مثيلا له ، إلا أن يكون في تاريخ
العرب والمسلمين ؛ وقد أقدم عليه سيدنا عمر
ابن عبد العزيز رضي الله عنه حبا للوفاء الذي
شد الله ورسوله في وجوبه ، واتقاء لشبهة
الغدر الذي حرمة الله وتوعد عليه .

وبقي بعد ذلك كله أن تسلم من معاملة
الأسرى في الإسلام . وعن القواعد والأصول
التي يجب اتباعها بشأنهم ، ثم عما كان للإسلام
وتعاليمه بصفة عامة ، وسير رجالاته من أثر في
إقرار السلام العالمي وتقوية أركانه ودعامته ؛
وذلك موعدا به الكلمة الآتية إن شاء الله
تعالى ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

القصوى تطبيقها والعمل بها في كل حال
من الرخاء والشدّة .

وبعد ذلك فكتفي في ناحية الوفاء في
العلاقات الدولية بمبادئين اثنتين ، ففيها
بيان أي بيان لتدريس العروبة والإسلام
للوفاء ، وللحرص الشديد على صيانة المجتمع
العربي الإسلامي من الغدر ، وذلك لما يكون
منه من نزاع الثقة بين الأفراد والمجتمعات
والدول .

١ - روى أبو داود والترمذي ، وغيرهما
من أصحاب السنن ، أنه كان بين معاوية بن أبي
سفيان وبين الروم عهد ، فأخذ في السير نحو
بلادهم حتى إذا انقضى العهد غرام فجاء رجل
على فرس أو برذون وهو يقول : الله أكبر ،
الله أكبر ، وفاء لا غدر ! فطروا إليه فإذا
هو عمرو ابن عبسة .

فأرسل إليه معاوية فسأله فقال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان
بينه وبين قوم عهد فليشد عقده ولا يحلها حتى
ينقضي أمدها أو يباذل إليهم على سواء » ،
فرجع معاوية بالناس .

٢ - وروى البلاذري في كتابه فتوح
البلدان ، عن أبي عبيدة وغيره من الرجال
الثقات : أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز
جاءه وفد من أهل « سمرقند » فذكروا أن
قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر

الطاقة الدينية

للأستاذ محمد مني عثمان

فالديانات عبارة عن قوى يجب الانتفاع بها
لا مدمها ، ولا يجوز أن يضطهد رجال الدين
إلا إذا أرادوا أن يضطهدوا المعتقدات
الأخرى . الديانات - وهي التي تورث النفوس
آمالا كباراً - ملجأ البائسين في كل وقت .
فلنعد الخيـالـيين الذين أوجدوا الآلهة
وعبادتها من المحسنين إلى البشر ، والعلم
الذي عرفهم أخذ يعدل عن مقائلهم ويعترف
بشأنهم الكبير ، فقد كانوا في الماضي عوامل
في ثبات الأمم الخلق ، وهم وإن كانوا سيتحولون
في المستقبل لن يزولوا ، ما دام البشر يحتاج
إلى الأمل ، .

وعندما غاب الدين عن التوجيه ، حاولت
ديانات مصطنعة أن تكلف الناس فوق
ما يكلفهم به أي دين لتحل في نفوسهم مكان
الدين وتعي " الطاقة الدينية المعطلة وتشغل
الفراغ المهول (١) . إن الفيلسوف الانجليزي
الكبير برتراند رسل يحلل شعور (الوطنية)

إن إيقاع الدين على النفس البشرية ، يحتاج
إلى ملاحظة وتأمل ... ١

فالنفس البشرية قد تقنع ، وقد تميل ،
وقد تخشى ... والإنسان قد يتأثر من المنطق ،
أو الرغبة أو الرهبة ... ولكن الطاقة التي
يطلقها الدين في الفرد والمجموع شيء أكبر
من هذا كله وأحق من هذا كله وأبقى
من هذا كله .

ولنستمع إلى جوستاف لوبون يرصد هذه
الطاقة الهائلة ، وسأنقل كلماته عن كتابه
(روح السياسة) سواء منها ما كان للدين
أو عليه ، ليتبين أن الذين يسجلون حقائق
التأثير الديني ليسوا من كنهة الدين المستسلمين
لأمره المسجعين بحمده المتحمسين من أجله !!
إنه يقول : « أحرار الفكر الذين يحملون
على المعتقدات لا يفقهون شيئاً من تأثير
الديانات ، فمع أن الديانات لا تشمل
إلا على قليل من الحقيقة من الوجهة العقلية .. ١٠
دلتنا التاريخ على أن أهم الحضارات قامت
عليها ، وأنها زينت حياة ملايين من الرجال
بما لا تتدر على فعله مذاهب الفلسفة من زهد
وإخلاص وإنكار الذات ومحبة الغير ،

[١] الثالان السابع (عصر بد الإله الواحد
موقع في شرك آلهة شتى ١٤١ الديانات الحديثة)
مجلة الأزهر .

هذه حقيقة ينبغي ألا تغيب عن يسجلون آثار الدين ... ويتناولون مدى الحاجة إليه . وما أصدق ما يقرره باستيدني كتابه (مبادئ علم الاجتماع الديني) : « لقد فرق كورنو في رسالته عن (تسلسل الأفكار الرئيسية) بين الغريزة الدينية وبين الأفكار التي تعبر عنها ، فمن الممكن أن تولد الديانات وأن تموت وأن تحمل مكانها ديانات أخرى ، ولكن الأشياء التي تولد وتموت على هذا النحو ليست سوى مجموعات الأفكار والعقائد والأساطير ، أما الغريزة الدينية التي أثارها هذه الأمور وهي غريزة فطرية في الإنسان فتبقى دائماً ، لأنها تخلق صوراً دينية جديدة على أنقاض الصور القديمة » .

والفيلسوف الكبير برتراند رسل لا يهتم بالتمييز لدين ، ومع ذلك فإنه قد صرف جيداً نزوع الإنسان لإرضاء طاقته الروحية ، فهو يقول « ويمكننا أن نقول : إن الناس يصعدون في أعمالهم عن أصول ثلاثة ليس بين بعضها كبير فرق إلا أنها تتميز عن بعضها البعض بما يكفي لتسميتها بأسماء مختلفة : الغريزة ، والعقل ، والروح . وحياة الروح هي التي تصنع الدين ... إن الغريزة هي التي تهينا القوة ، وإن العقل هو الذي يهينا وسيلة توجيه القوة إلى الغايات المنشودة . والروح هي التي توحى بالفوائد غير الشخصية للقوة التي تكون من فروع لا يستطيع العقل أن يحيط من شأنه

فيقول في كتابه (نحو عالم أفضل) : « والوطنية شعور معتقد أيما تعقيد ، يتكون من الغرائز الفطرية ومن المعتقدات الراضية في النفس ... وفصلاً عن ذلك كله هناك عنصر آخر ، هو عنصر العبادة ، عنصر التضحية الصادقة ، عنصر اندماج حياة الفرد وهو راضى النفس في حياة الأمة ، وهذا العنصر الديني من عناصر الوطنية ، عنصر جوهرى لقوة الدولة مذكّن يسجل أحسن ما تنطوي عليه صدور الذين يؤمنون بالفداء القوي » . والفيلسوف الفرنسي لارون يتحدث عن النظريات التي روجها الاشتراكيون في بلاده وغيرها بقوله : « ولا تنتشر الاشتراكية لما في مثلها الأعلى المبادئ الذي تقترحه من قيمة ، إنها تنتشر لما تبذره في النفوس من أمل ديني في جنات «نيوية» يتمتع فيها جميع الناس بسعادة سرمدية وقد أنبى لي مرات كثيرة أن أثبت أن الناس اقتتلوا في غضون التاريخ في سبيل المبادئ أكثر مما فعلوا في سبيل قضاء حاجتهم المادية ... عاش الناس للبدأ والخيال أكثر ما للعادة ، فقد مجدوا رجال الحرب الذين أتوا بضروب البطولة وأحيوا ذكريات قادة المكر وأرباب المن الذين لم تكن لآثارهم فائدة عملية ، وأما الذين أتوا بالاختراعات التي لا غنى للناس عنها فيظهر أن أسماءهم طمرت في عالم النسيان ، فكأن الناس ما عاشوا وما ماتوا إلا لأجل المبادئ » .

ويرى بنديتو كروتشي أن الدين ليس إلا صورة من صور الإدراك المحض للنشاط الروحي . وأعتقد أن ليس في وسعنا أن ننكر أن الإنسان قد بدأ يتفلسف حين فكر في الدين ، أى حين أخذ يكون فكرة عن العالم ككل ، وبما أنه لا شك في أن هذه المهمة - تكوين فكرة عن العالم ككل - تقع بتقدم المدنية على عاتق الفلسفة شيئاً فشيئاً ، فإن النتيجة أن الفلسفة - إن كانت هذه هي وظيفة الدين الوحيدة - لابد أن تنصب في نهاية الأمر مجال الدين كله . ولكنى لا أعتقد أن هذه هي وظيفة الدين الوحيدة ، ففى الدين يتشد الإنسان الاتصال بما يظن أنه يقوم وراء كل تجاربه ، بل وراء نفسه التى تقوم فى نفس الوقت بهذه التجارب . إنه لا يقنع بأن يدركه باعتباره شاملاً لمبدأ الحياة الأسمى ونمى به سر الوجود ، بل يتوق إلى الائتلاف معه بحيث لا يصبح موضوعاً لبعرة لحسب ، بل يصبح فريقاً ... إن مدرسة معاصرة من مثلفلسفة رجال اللاهوت بألمانيا قد استرعت النظر إلى أن مخاطبتنا لله بضمير المخاطب لا الغائب فى الدعاء والصلاة يكشف عن عمق الصلة بين المؤمن وبين الله .

وما أروع كلمات العقاد المنيرة الهادية فى كتابه (أبو الأنبياء) :

بالنقد . ومن شأن حياة العقل بسبب انزها أن تفصل بين الإنسان وبين غيره من الناس فصلاً داخلياً ، طالما تكون غير متوازنة وحياة الروح . ولهذا السبب يستطيع العقل إذا استقل عن الروح أن يسبب فساد الغريزة وأن يلحق بها الهزال ... ولكن تحصل الحياة الإنسانية على المحبوبة فلا بد من أن تكون النزعات الغريزية قوية ومستقيمة ، ولكن لكي تكون الحياة الإنسانية صالحة فلا بد أن تسيطر على هذه النزعات وتحوّلها بالرقابة وغبات أقل شخصية وأقل قسوة ، أقل قابلية للإفضاء إلى النزاع من الرغبات التى توحى بها الغريزة وحدها .

نحن فى حاجة إلى شيء كلى وغير شخصى أولاً وقبل كل شيء . مما ينشأ عن مبدأ النمو الفردى ، وهذا هو ما تمنحنا إياه حياة الروح .

• • •

ومن عناصر القوة فى الشعور الدينى أنه ليس إدراكاً وفظراً لحسب ، إنه وجدان وانفعال ، والتضاء واتصال ، وتذوق ومناجاة مع تلك القوة العليا التى اقتنع وآمن بها الإنسان والأستاذ كليمان وب بشير إلى هذه الخاصية التى يتفرد بها الدين فى بحته الممتع (الدين والفلسفة والتاريخ - المجلة التاريخية المصرية أكتوبر ١٩٥٠) حيث يقول :

والمنام، وصحبة العزلة والجماعة، وصحبة الحياة قبل الميلاد وبعد الموت، ولم تزل حتى أصبحت وهي صحبة الخلود الذي لا يعرف الفناء... .

• • •

« إن الثورات الدينية يمنحها الشعب وحدة أدبية تزيد قوته المادية كثيرا ، وقد شهود ذلك عند ماحول محمد بما جاء به قبائل العرب الضعيفة إلى أمة عزيزة . ولا يقتصر المعتقد الديني الجديد على جعل الأمة متجانسة ، بل يأتي بما يتعذر على أى فيلسوف أو قانون أن يأتي بمثله ، إنه يغير حواطف الأمة الثابتة ... ولم تقتصر المسيحية على تحويل المصادات بل أثرت تأثيراً كبيراً في سير الحضارة مدى ألفى سنة ففى يتم النصر لمعتقد ديني تلائمه الحضارة ملائمة تتحول بها ، ولا يفعل الكتاب ورجال الأدب والفن والفلاسفة وقتئذ غير الإشارة إلى المعتقد الجديد في تأليفهم . »

هذا ما يقرره لوبون في كتابه (روح الثورات) .

والواقع أن الطاقة الدينية تظهر ثمارها في الجماعات كما تظهر في الأفراد .

فالدين يؤدي وظيفة هامة جداً في تغيير بنية المجتمع ... وإذا أردنا أن نكون لانتقنا فكرة أكثر دقة عن هذا التأثير

« إن حقائق الكون الكبرى لن تتكشف لعقل ينظر إلى الكون كأنه أشنات مفرقة بين الأرباب ، يتسلط عليها هذا بإرادة ويتسلط عليها غيره بإرادة تنقضها وتمضى بها إلى وجهة غير وجهها ، فلم يكن التوحيد عبادة أفضل من عبادات الشرك وكفى ، بل هو علم أصح ونظر أصوب ومقياس لقوانين الطبيعة أدق وأوفى ... أما ميزان العدل الإلهي فهو الذي أقام المساواة بين الناس على دعائمتها الراسخة ، وكل ما عداها من دعامة فإنما هي دعائم القوة ممن يقدر عليها . وما كان للعدل بين الناس من سبيل وهم يتيسون بعضهم إلى بعض ... فإذا ارتفع الميزان إلى اليد الإلهية ، فهذا القوى مهما يبلغ من القوة ، وذلك الضعيف مهما يبلغ من الضعف ندان متساويان ومخلوقان أمام خالق واحد ... »

والإله الواحد لم يكن حل مسألة ولم يكن سر أخبار وحكام ، ولم يكن خالق الكون والناس ولا مزيد . بل كان خالق الكون والناس ، وحاكم الكون والناس ، وكان منه الأمر والنهي ، وإليه المرجع والمآب .

كانت عبادته (مسألة حية) تخرج بسرائر النفس وتنبعث منها فضائل الخير ، ولا تنزوى عنها زاوية في الكون ولا في ضمير الإنسان ... كانت صحبة البيت والطريق ، وصحبة اليقظة

يعبر النظام الاقتصادي ، فلقد وضع جيفونز وفريزر وريتاخ فرضاً يربط بين استئناس الحيوان وبين الديانة التوتمية ، ويسمى لجرانت ألين ومينهوف ارتباط الزراعة بدفن الموتى ، وبين الاقتصادى دولافيل أن رعاء الشعوب يتوقف على عقائدها ، وعندما يرى المرء أن البروتستانتين اللاتينيين يتفوقون على الشعوب الجرمانية الكاثوليكية وعندما يلاحظ أن تقدم البروتستانت أكثر سرعة واطراداً في نفس البلد وفي نفس الجماعة ومن نفس اللغة والأصل ، فن العسير جداً ألا ينسب تفوق هؤلاء على أولئك إلى طبيعة العقيدة التي يؤمن بها كل منهم ، . وأبرز ما كس فير وجود علاقة بين المذهب البروتستانتى والنظام الرأسمالى في أسمى درجاته وليس معنى هذا أن البروتستانتى يفسوق الكاثوليكي في اتجاهه المادى فإن لدى (البيوريتان) فكرة تقوم على الزهد ، ولما كان الزهد يحفز على الاقتصاد فقد ساعد على تركيز رؤوس الأموال ، وهكذا استخدم على نحو غريب كدعامة للنظام الرأسمالى . ثم إن البروتستانتى لما كان يتخذ عمله المهني سبيلاً إلى تحقيق سعادة أخروية فإنه يؤدي عمله على أكمل وجه طبقاً لما يوحى به ضميره وهكذا يصبح مديراً أصنافاً ممتازاً - باستيد : مبادئ علم الاجتماع الدينى) . هذا هو أثر

قربما كان من المستحسن أن نلجأ إلى تفرقة برجمسون الشهيرة بين البيانات المغلفة والبيانات المفتوحة ، فالبيانات الأولى تنبثق على نحو تلقائى من البيئة الإنسانية لتحل فيها مكان الفريضة الاجتماعية المشرقة على الأفول ، ولكن تدفع عن المجتمعات أسباب الانهيار ، أما البيانات المفتوحة فتستخدم قوتها الديناميكية في نفس الحدود وفي الفضاء على العادات التقليدية ، فأنيرها يدعو إلى التحول بل هو تأثير ثورى ... يقول ديباز : « يحمل المسكن طابع الآراء الوهمية والاعتقادات والطموس الخاصة ، ... وزيادة النسل أو نقصانه متأثر بالعامل الدينى ... وترجع بعض النظم الاجتماعية إلى عامل دينى ... وهناك اتصال مستمر بين النظم الدينية والسياسية ، فإعلان حقوق الإنسان على أثر اندلاع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ يرتبط مباشرة - عن طريق التصريح الأمريكى السابق عليه - بالإصلاح البروتستانتى في القرن السادس عشر ، وتؤدي المطالب الاشتراكية إلى طبع كثير من الاتجاهات الروحية المسيحية بطابع مدنى ... وعلى الرغم مما كتبه أحد الماركسيين : « ما كان للدين والفلسفة أن يوجد دون الشروط الاقتصادية التي تجعل ظهورهما أمراً ممكناً ، فقد يكون تطور الدين هو الذى « البقية على صفحة ٩٥١ »

فتحناية القرآن

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

الصوم عبادة صامته ، ولكنه مناجاة عظمى بين العبد وربه

(١) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .

(ب) كما كتب على الذين من قبلكم .

(٢) لعلكم تتقون .

فهو انبهار الأساس من قاعدته الأصيلة ،
ولا يستقيم شيء من الأركان الأخرى على
غير أساس .

والصوم إمساك عن شهوات البطن والفرج
وجهاد للنفس بحرمانها من لذاتها ، فهو غير
هين الاختال : إذ النفس نكره الاحتباس ،
وتجنى دائماً إلى التحلل .

لذلك كانت الدعوة إليه في أسلوب هين ،
وتلطف مشوق ، وكان سياقها سياق تكريم
بنداء رحيم — يا أيها الذين آمنوا —

فهذا تسجيل لإيمانهم ، وشهادة بأهلية
المؤمنين للدعوة إلى خير يريده الله لهم ، وليس
المؤمنون بالجفاة الذين يقسو عليهم الكتاب
في نجواه معهم ، كما يقسو على المتخلفين وإنما
هم المصفون المستجيبيون ، لحسبهم أن يسمعوا
ليطيعوا ، وذلك ديدنهم ، وهو شأن الإيمان ،

(١) شرع الصوم وكننا من أركان
الإسلام الخمسة ، فهو — بعد الشهادتين —
أحد مقوماته الأربعة . التي يشخص فيها
كدين له كيانه ، وله شعائره التي ترتبط بها
حياة المجتمع ، وينعكس منورها في مظهر
الجماعة : هداية ، وخلقا ، وعملا نافعا ،
وحضارة ناضجة برية من شوائب : الزلل
والفساد .

وفقدان الصوم أو غيره من الأركان
المساوية له يمتص من دين المرء ، ويجعله
في تدنيه كالمنجمل بثوب تمزقت وشائجه ،
فلم يمد واقيا له من عوادي سوء وليس
الذنب ذنب الدين ، ولا الغيب عيبه ، وإنما
هي جناية أهله على أنفسهم بالمرور من حوزته
أو من بعض نواحيها .

أما فقدان الركن الأول — الشهادتين —

فصوم المسلمين أشبه بصوم غيرهم من ناحية أنه تشريع سماوى إيجابى ، وإن اختلف صومنا عن صومهم فى مدته وأوصافه...

وقد يقال : إن صومهم كان أشبه بصومنا تماما ، غير أنهم أحدثوا تغييرات لم تكن ، حتى صار غلالنا لما نحن عليه .

وحسبنا أن يكون التشبيه بين الصومين فى أصل وجوبهما .

وذكر هذا التشبيه يحفزنا على القبول ، فالنفوس أميل إلى التقليد وإذا عرف أن شيئا كان مقبولا عند غيرنا هان علينا أن نأخذه .

بل نحن أولى بالاستجابة ، والسبب إلى تحصيل الثواب ، وقد اعتبرنا الله خير أمة أخرجت للناس .

فلنكن أقوى صلة بالله ، وأحرص على الاتصال به ، ولنكن أحفظ لأمانة الصوم على ما ورد بها تشريعه ، فلا نزيد فيها ، ولا نقص منها ، ولا نشوبها بصرف من عندنا ... حتى لا تقع فيها وقع فيه سوانا من الحاد فى دين الله ، ودعوة لعقيدة الناس ، والله سبحانه يقول فى هذا وفى غيره : إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا ، أفن يلقى فى النار خير ؟ أم : من يأتى آمنا يوم القيامة ؟ ؟ عملوا ما شئتم ، إنه بما

وهكذا خطاهم فى كل مقام يراد به تزويدهم من تعاليم الدين وآدابه ، وتكليفهم بكاله .

ثم يقتزن بهذا النداء ثلاث كلمات فى تشريع الصوم ، وتركيزه كركن من أركان الإسلام ،

وما بعد هذه الثلاث فيبان لقدرة أيامه ، وموعدها ، وبيان أحكام تتعلق به من ترخيص فى الفطر ، وقضاء الصوم ، أو فدية عنه إلخ ..

الكلمة الأولى - كتب عليكم الصيام -

المراد : يا معشر المؤمنين ، فرض عليكم الصيام ١١ ولم يكن عليهم صيام مفروض قبل ذلك .

وكان هذا التشريع فى السنة الثانية للهجرة .

وكانت الهجرة فى ربيع الأول ، من السنة الثالثة والخمسين من عمره - صلى الله عليه وسلم -

وقد مضى عليه بعد رسالته ثلاثة عشر عاما فى مكة وبعد سنة من الهجرة يكون النبي حاش تسع سنوات فى المدينة ، وهى التى صام فيها رمضان .

(ب) الكلمة الثانية - كما كتب على الذين من قبلكم - .

يفيدنا أن الصوم ليس جديدا فى الإسلام ، بل كان فى الأمم السابقة ، وهذا مما يشهد بأن الديانات السماوية لا يباين بعضها بعضا ، بل هى على أصل واحد فى التوحيد والعبادة لله ، وإن اختلفت رسوم العبادات أحيانا فى شكلها ، كما تختلف صلواتنا عن صلاة غيرنا .

وفي التشبه بالملائكة سيطرة على الشهوة ،
وترويض للنفس على التزهد ، والصبر .

فإذا ما عاش المرء في يسر فهو قادر على ضبطها
عن الإسراف ، والتورط في الجشع والتبذير ،
ويذكرها بما عليه المحرومون من الحاجة
المريّة ، والمعجز عن ضروراتهم ، فتقوى
فيه عاطفة الآدمية ، والأخوة الإنسانية ،
والناس بحاجة إلى التراحم في كل أوضاعهم ،
وطروفهم .

وإذا لم يكن في حياة المرء يسر فالصوم
تدريب على الصبر ، وتعويد على الرضا ،
 واعتبار بما تورط فيه بعض المومنين ،
والمترفون من الغرور بالنعمة والانهماك
في مطاوعة النفس ، وتبعية الأهواء ، حتى
كأن النعمة أنستهم غشية الله ، فهم يحاربون
ربهم بما أعقد عليهم من رزق ، ويتجاهلون
أن وراءهم حساباً عسيراً ، وهذا عزاء .
ولا شك - للمحروم .

وفي هذه المشاعر التي يوحى بها الصوم
للواجد والمصر نطمح كريم للزينة ، واتجاه
إلى أطيب المسالك .

فإن يكن الصوم شاقاً من ناحية ، فهو هناءة
روحية من ناحية أرجح وأقوى : ناحية
الوجدان .

وإن يكن تكليفاً غير محبوب عند
المستهترين ، فهو عبادة صامتة ، وهو مناولة

تعملون بصير 11 - وهذا تهديد شديد
لا ينبغي أن يتعرض له عاقل .

أما الصوم المستحب في نحو يوم عرفة
وعاشوراء ، ومثلها ، فليس زيادة على
الفرص ، بل ذلك زيادة مسنونة ، كما يزيد
في الزكاة بصدقات التطوع - فمن تطوع خيراً
فهو خير له .

(ج) الكلمة الثالثة - لعلمكم تتقون . -
يعنى : شرح الصوم وسيلة إلى التقوى ،
ورجاء حصولها للصائمين ، وهى الهدف
من التشريع .

وإذا كان الصوم حرماناً من الملاذ ،
وحبساً للنفس عن حريتها ، فالحرمان يثير
الآلم ، ويحمل على الضيق والتضرع ، فكيف
يكون مرضياً ، ومجلبة لتقوى التي لا تكون
غالباً إلا من طمأنينة وإرتياح ؟ .

جواب ذلك أن الصائم يجد نفسه بين
إحساس بالحرمان ، وشعور وجداني بأنه
يرتفع أثناء الصوم عن الشهوات البهيمية التي
لا تتجاوز بطنه وفرجه .

فهو يتشبه في صومه بالملائكة في تجردهم
عن شواغل الملهذات الحسية التي تسيطر كثيراً
على روح الإنسان ، وتقعده عن النشاط
في جانب الله سبحانه ، وتدفعه من شهوة
إلى شهوة ، ومن لذة إلى لذة - والنفس كالطفل
إن تهمله شب على حب الرضاع . -

ولا يمنع من رخصة السفر أن يكون المسافر في قطار ، أو سيارة ، أو باخرة ، أو طائرة فالسفر نفسه سبب الترخيص ، ولو لم تكن معه مشقة ولا تعب ، أما الذين يطبقون الصوم — يعنى يؤدونه في طاقة ، وهي غاية جهدم ، كالمجوز الذى يشق عليه الصوم ويبلغ نهاية طاقته وقدرته ، وكالحامل ، والضعيف ، وصاحب العمل المجهد ، أو العمل الذى لا تؤمن عواقبه مع الصوم كالطبيب الجراح ، والقاضى بين الناس ، فكل أولئك لم الترخيص في الصيام ، فإن كانت لهم فرصة القضاء فالأصل ذلك وجوباً . وإن لم تكن لهم فرصة القضاء لاستمرار العذر عندهم فعلى كل منهم الفدية بدلا من كل يوم .

وقد الفدية لإصطاء المساكين عن كل يوم ثمن قدح من القمح لكل مسكين أو قدحا بالكيل إن تيسر ، أو أكلة مشبعة تساوى ثمن القدح — لكل واحد ، والمقصود أن يظل الصوم محتفظا به ، أو يرمز إليه بذلك الصدقات على الفقراء .

والفداء عن أيام الصوم غير الزكاة الواجبة في عيد الفطر . . . والزيادة في الفدية عن القدر الواجب طاعة مشكورة ، فمن تطوع بخيرا فهو خير له .

والحديث عن الصوم في تشريعه ، وفي ذكر أيامه المحدودات ، وفي الترخيص بفطره

عظمى عند المهتدين : مناجلة لها شاتها ، ولها قدرها ، ولها ملذتها . . . وعبادة كهذه كفيلة بتوثيق الصلة بين العبد وربّه ، وكفيلة بإيقاظ الضمير ، وتبديد الغفلة ، والجنوح إلى توجهات الله نحو الدين والدنيا . . . وتلك كلها من معاني التقوى . . . فلا جرم أن يكون الصوم سبيلا إليها كما جاءت به الآية — « لعلكم تتقون » .

ثم تنتقل بنا الآيات مرة ثانية إلى ناحية مما يتعلق بالصوم .

« أياما معدودات » ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له .

ففي هذه المرحلة يبين الله أن الصوم المفروض إنما هو في أيام محصورة العدد ، وأن العاجز لمرضه ، والمسافر في أثناء الصوم لها أن يفطرا ، وعليهما القضاء في أيام غير رمضان ، وهذا ترخيص للحنوف الذى يحمده الصوم أو يجلب عليه ضررا .

والمرض المذكور يراد به ما يسمى في العرف مرضا يكون الصوم معه شاقا ، والسفر كذلك ما يعتبر سفرا في العرف ، وقد حدد العلماء مسافته بما يعادل ثمانين كيلومترا وشرطوا فيه أن يكون سفرا مباحا : لا لمصيبة .

الصائمين حقاً ؟ إن الصوم كما تحدثنا عبادة صامتة ، فقد يرى الناس بعضهم بعضاً في صلاة ، أو في حج ، أو في إمساك عن طعام وشراب ، ولكنهم لا يدرون شأن بعضهم في ساعات الخلوة ، فقد يكون فيهم الصائم الكاذب ولا يعلم خطوته إلا الله وحده ، والخلوة هي مجال الاختبار ، حيث لا رقابة لأحد ولا حاجة إلى رياء وتظاهر .

وإنما هو خدعة كانت في العن ، والخلوة راحة منها ...

أو هي تقوى صادقة والخلوة والعن فيها سواء ، فلم تصم بربه من شيطانه والمتقى لله لا لعباده هم المناجسون لربهم في خشية دأمة ، وطاعة خفة ، والله يجرى على الطاعة أجراها الموعود ، ويضاعف ثواباً غير محدد ، وهو الذي يقول - كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي ، وأنا أجزي به - كأن العبادات كلها بجانب الصوم دونه شأنا : أما الصوم فقد تحضره ، لما فيه من مزيد الإخلاص جهراً ورسراً ، فتوا به موكل إلى الله يتولاه بكرمه الوفير .

والله نرجو أن يجعل طاعته عبية إلى قلوبنا ، وغالصة لوجه الكريم ؟

هبة اللايف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

للريض ونحوه يشير في النفس تطلعا إلى تعيين الأيام المعدودة ببيان موعدها ، والتعريف بشأنها ، حتى لا يكون فيها إيهام ، وحكمة الله تأتي أن يكون في تشريعه إيهام ، ولذلك انتقلت بنا الآية مرة ثالثة إلى استيفاء هذا .

فقال تعالى : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فهذا إفصاح بذكر الشهر الذي يصام ، وهو إفصاح يشفي غلة النفس ، ويجعل لذكر رمضان وقفا كريما في السمع ، ومحبة في القلب ، ويشتر بفضل هذا الشهر على غيره ، فهو الذي أنزل فيه القرآن ، وهو الذي ابتدأت فيه بعثة محمد إلى الناس كافة ، وفيه ليلة القدر ، أي ليلة الشرف التي كانت مستورة في علم الله حتى أظهرها لعباده بنزول القرآن وبعثة محمد فيها ، وهي عند الله الليلة المباركة التي اختارها المولى سبحانه لهذه الأحداث الكريمة ، فهي لذلك خير من ألف شهر ، وهي ذات مناقب كثيرة ليست ليلة سواها ، ولا في شهر غير رمضان .

ذلك هو الصوم ، وهذا شأن الشهر الذي شرع فيه ، فهل يغيب عن واه الأبدع الصوم ، ولا يتخلف من الفضل في شهر من السنة ؟

ولكن : هل كل من صام يكون في مستوى

صِيَامُ رَمَضَانَ

وَصَلَتُهُ بِصِيَامِ الْمَانَوِيَّةِ وَالصَّابِئِينَ

وَالْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

لِلأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَلِيِّ عَبْدِ الْوَهْدِ وَائِي

مظاهرها على تقديس الكواكب (١) أنهم كانوا يصومون ثلاثين يوما تبدأ عندما يهل الهلال وتنتهي عند غروب الشمس إلى الدول ويمضون الشهر ثمانية أيام ، وأهم كانوا ينظرون في كل يوم منها « شند غروب الشمس » ، ويظهر من عبارته أن صومهم هذا كان متصلا اتصالا وثيقا بالظواهر الفلكية وأنه كان يقوم على تقديس الكواكب كصوم ثلاثين صابئ .

ولم يكن الصوم هو المظهر الفذ لتأثير الصابئين والمانوية بالديانة البابلية القديمة القائمة على تقديس الكواكب ، بل ظهر هذا التأثير كذلك في صورة جليلة في صلواتهم وأوقاتها . فقد جاء في « فهرست » ابن النديم (وهو من أم المراجع في « تين النحلتين ») ما يدل على اتصال هذه الأوقات اتصالا وثيقا بحركات الشمس الظاهرة . أما الصابئون فقد ذكر في صدم أن المفترض عليهم من الصلاة « في كل يوم ثلاث : أولها قبل طلوع الشمس

من أشهر النحل الدينية التي كان معتقوها يزاولون قبل الإسلام صياما شديدا بصيام رمضان نحل المانوية والصابئين والعرب في الجاهلية .

فقد ذكر ابن النديم في كتابه « فهرست » (١) أن شريعة الحسرافيين المبروقين بالصابئة أو الصابئين والذين قد بقي في ديانتهم راسب كثيرة من الديانة البابلية القديمة القائمة على تقديس الكواكب « نفترض عليهم الصيام ثلاثين يوما أولها ثمان مضي من اجتماع آذار (مارس) ، ويظهر من عبارته أن صيامهم هذا كان إمساكا عن جميع أنواع الطعام والشراب من طلوع الشمس إلى غروبها ، وأنه كان تمكينا للقر .

وذكر في أثناء كلامه عن الثنوية الكلدانيين أو المانوية (وديانتهم خليط من البابلية القديمة والمسيحية والفارسية ويقوم كثير من

(١) بعض زعيمهم الذي تنسب إليه هذه الديانة « ماني بن قنق » .

(١) النظر الجزء التاسع من كتاب الفهرست لابن النديم .

النير الأعظم قائماً ، ثم يسجد ويقول في سجوده مبارك هادي الفارق ليطرسول النور ومبارك ملائكته الحفظة ومسبح جنوده النورون ، يقول هذا وهو يسجد ويقوم ولا يلبث في سجوده ، ويكون منتصباً ، ثم يقول في السجدة الثانية : مسبح أنت أيها النير أصل الضياء . . .

هذا ، وقد حاول كثير ممن في قلوبهم مرض ، ومن وقفوا جهودهم على النيل من الإسلام والكيد له تحت ستار البحوث التاريخية والتحقيقات الاجتماعية أن يرجعوا أنواع صيام رمضان عند المسلمين إلى صيام الثلاثين عند المانوية والصابئين ، كما حاولوا أن يرجعوا صلواتهم إلى صلواتهم . فرغموا قبهم الله ، وكبرت كلفة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . أن عمدا عليه السلام قد نقل عن هاتين الديانتين - ديانة المانوية وديانة الصابئين ما جاء به من صيام وصلاة وأن الأوقات التي شرعت فيها صلوات المسلمين وصيامهم وانصال هذه الأوقات بمركات القمر والشمس والكواكب ، كل ذلك ينم على الأصول الصابئة والمانوية التي استمدت منها هذه العبادات .

ومن هؤلاء الدكتور جاكوب الألماني . فقد قرر في رسالة كتبها في صيام رمضان ، بعد تحقيقات حساية طويلة وموازنات

بنصف ساعة أو أقل لتقضي مع طلوع الشمس وهي ثماني ركعات وثلاث سجودات في كل ركعة ؛ والثانية انقضاؤها مع زوال الشمس وهي خمس ركعات وثلاث سجودات في كل ركعة ؛ والثالثة مثل الثانية انقضاؤها عند غروب الشمس . .

وعقب على ذلك بقوله . : وإنما ألزمت هذه الأوقات لمواضع الأوتاد الثلاثة التي هي وتدا المشرق وتدا وسط السماء وتدا المغرب ، وصلواتهم النافذة التي هي بمنزلة الوتر في لرومه للمسلمين ثلاث في كل يوم : الأولى في الساعة الثانية من النهار (وهي تقابل صلاة الضحى عند المسلمين) ؛ والثانية في الساعة التاسعة من النهار (وهي تقابل العصر) والثالثة في الساعة الثالثة من الليل (وهي تقابل العشاء) . ولا صلاة عندهم إلا على ظهور ، . . .

وأما المانويون فقد ذكر ابن النديم أنه قد فرض عليهم من الصلوات أربعاً . : فأما الصلاة الأولى فعند الزوال ؛ والصلاة الثانية بين الزوال وغروب الشمس ، ثم صلاة المغرب بعد غروب الشمس ثم صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات . . ووصف صلاتهم في العبارات الآتية التي تدل على أنهم كانوا يقيمونها تقديساً للكواكب وبخاصة الشمس ، فقال : : وذلك أن يقوم الرجل فيمسح بالماء الجاري أو غيره ، ويستقبل

وهذه لعمري شئنة عرفناها عن كل من تصدى من الفرنجة لبحث عقائد الدين الإسلامى وشعائره . فترام قبل أن يفهموا الموضوع الإسلامى الذى يتصدون لدراسته حق الفهم ، يوجهون كل منهم إلى البحث عن نظير له فى الديانات الأخرى ولا يكادون يعثرون عليه حتى يوحى إليهم تعصبهم أنه لا بد أن يكون هذا منقولاً عن ذلك ؛ ثم لا تعوزهم الحيل والمتافذ التاريخية لإلباس أهوائهم ثوب الحق .

ومع أن المقام لا يتسع لرد مفصل على ما زعموه بصد صيام رمضان لا نرى مندوحة عن الإشارة إلى بعض أمور أعماهم تعصبهم عن النظر إليها ، وهى خليفة أن تقوض مزاعمهم وأساساً على عقب .

فمن ذلك أنه لم يحدث فى الجاهلية انفصال فكري أو ديني بين قريش التى نشأ فيها الرسول عليه السلام وبين المانوية والصابئين وقد حال دون هذا الاتصال أمور كثيرة : منها اختلاف اللغة والرسم والثقافة والحضارة ومنها بعد المسافة بين مواطن هؤلاء . وأولئك فقد كانت بلاد الصابئين والمانوية على حدود فارس من الغرب ، على حين أن القرشيين كانوا يقطنون الحجاز والمواطن المتاخمة له ، وكانت أسفارهم التجارية لا تتجاوز طريق الشام والعين ، يسلكون أحدهما فى رحلة

بين التفويم العربى من جهة والتفويم البابلى والميلادى من جهة أخرى ، أن أول سنة شرع فيها الصيام ، وهى سنة ٦٢٣ ميلادية (كانت فرضته يوم الاثنين ليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وكانت الهجرة يوم الجمعة ١٦ يولية سنة ٦٢٢ ميلادية) . كان أول يوم من رمضان يوافق الثامن من شهر آزار ، أى أن أول شهر صامه المسلمون كان موافقاً فى مبدئه ونهايته لتاريخ صيام الصابئين ، ويرى جاكوب فى هذا دليلاً قاطعاً على أن محمداً قد نقل صيام رمضان عن شريعة الصابئين ^(١) . وذهب وسترمارك الفنلندى إلى ما يقرب من هذا الرأى مع شىء من الاعتدال والحيطه فى التعبير ، إذ يقول : « إن وجوه الشبه بين صيام رمضان وصيام الصابئين والمانوية لبائنة من الوضوح مبلغاً يحمل الياحظ على أن ينظر إلى هذه الأنواع الثلاثة من الصيام نظراً إلى ثلاث شعب متفرقة عن أصل واحد ، فمن الأرجح أن يكون محمد قد نقل صيام رمضان عن الصابئين أو من المانوية أو عنهما معاً » ^(٢) .

(1) Jacob (K. G.): Der muslimisch-Festenmonat Romadân; dans : VI Gesellschaft Zu Grefawald, 1ère partie 1893-96 p. 2 et suiv.

(2) Westermarck: Origine et Développement des Idées Morales. T. II. p. p. 301, 302 (trad. fran).

هدى قناس وبينات من الهدى والفرقان ،
فن شهد منكم الشهر فليصمه . فالحادث الذي
من أجله اختير شهر رمضان بالذات ليكون
شهرًا للصيام هو حادث إسلامي بحث ولا علاقة
له مطلقاً بأي شأن من شئون المانوية
ولا الصابئين .

هذا إلى أن القرآن الكريم ينص على أن
ما سن لنا من الشرائع قد سن مثله لكثير
من الأمم من قبلنا ؛ قال تعالى : « شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا
إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وهى » ،
وقال عز وجل في صيام رمضان نفسه :
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم » . فن المحتمل إذن
أن يكون صيام الثلاثين عند الصابئة والمانوية
مستمدًا في الأصل من شريعة سماوية تقادم
عليها العهد فدخلها التحريف والتبديل ،
وبعدت عز غابتها وأصولها الأولى ، وصبغت
بصبغة التقديس الكواكب ، وأن الدين
الإسلامي قد كتبت الصوم نفسه الذي كتبت
هذه الشريعة ، فأحيائها تقيّة طاهرة ، وقضى
على كل ما علق بها من أدران الشرك .

وما قيل في صيام رمضان يقال مثله في جميع
أرواح الصلاة عند المسلمين .

• • •

وقد ذهب بعض المؤرخين من المسلمين

اثناء والآخر في رحلة الصيف ، ولم يعرف
عن الرسول عليه السلام أنه أصل قبل بعثته
بالصابئين والمانوية أو احثك بثقاتهم الدينية
أو عنى بدراسة شرائعهم أو وقف على شيء
منها ، وظل هذا حاله إلى ما بعد رسالته
بأمد غير قصير .

ومما يرد به كذلك على أصحاب هذا الإفك
أن صوم رمضان يختلف لاختلاف جوهريا
في شروطه وقواعده ووقته وطريقته أدواته
ومقاصده وحكمة تشريعه عن صوم الثلاثين
عند المانوية والصابئين . فليس بينهما من وجوه
الشبه إلا الاتفاق في عدد الأيام وتابعا .
وهذه ناحية شكلية من التعسف اتخذها دليلا
على أن أحدهما منقول عن الآخر . على أنهما
في هذه الناحية نفسا يختلفان اختلافا غير يسير .
فالصيام الإسلامى مدته شهر قمرى ، على حين
أن صيام الصابئين والمانوية مدته ثلاثون يوما
تبدأ بالثامن من شهر شمس . والصيام الإسلامى
يبدأ ببداية الشهر وينتهى بانتهائه ؛ أما صيامهم
فيبدأ من الثامن من الشهر ولا ينتهى إلا
في الشهر التالى له .

وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم السبب
الذى من أجله اختير شهر رمضان بالذات
ليكون شهرًا للصيام ، فذكر أن السبب في ذلك
يرجع إلى أنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن .
قال تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن

الصيام وعمل به . وقد أخذ بهذا الرأي مورير في كتابه عن « حياة محمد » (١).

ولكن لم يثبت بعد شيء من هذا كله بدليل قاطع . على أنه لا يضير الدين الإسلامي في شيء أن يكون صيام رمضان متبعا قبل بعثة الرسول . فقد ثبت أن الشريعة المحمدية أقرت كثيرا من عادات العرب وشعائهم في الحج وغيره بمقد أن خلصتها مما كان عالقا بها من أدران الشرك وعبادة الأصنام .

دكتور علي عبد الوهاب

(1) Muir: Life of Mohamed, II, 56.

وغيرهم إلى أن صيام رمضان كان منتشرا عند بعض قبائل العرب والجاهلية ولاسيما قریش . ويؤيدون رأيهم هذا بأن النبي عليه السلام نفسه كان قبل بعثته يقضى في غار حراء شهر رمضان من كل عام متحننا صائما . وقد اختلفوا في أصل هذا التشريع . فهم من يرى أنه كان من الشرائع التي جاء بها إبراهيم عليه السلام ؛ ويستدل على ذلك بأن الذين ثبت أداؤهم لهذه الشعيرة في الجاهلية كانوا من المعروفين باتباعهم لملة إبراهيم . ومنهم من يرى أن عبد المطلب جد النبي عليه السلام كان أول من سن هذا

والطاقة الدينية ، بقية المنشور على صفحة ٩٤١

الإلزام (ism) خلعت عليه هذا الاسم أكداً للمذاهب التي تنتهي بهذه النهاية القوية في شتى مجالات الفكر والحياة ، فاندفع الإنسان لا يلوى على شيء ، وأومت دفعة التعصب لذهبه أن في وسعه أن يستغنى بما عنده عن الوحي والدين ...

ومضت الأيام ، وفتر وميض الكشوفه والمبادئ ، وبرد الإنسان ...

وماد يبحث من جديد : ترى هل يستطيع الدين أن يعيد المعجزة ، ويرى : أكله الروح ويجي موتى القلوب ؟

فتمى همام

الدين الاجتماعي الذي سجلته الملاحظات الدقيقة ...

لله أثر شمل الفرد والجماعة ، وامتد من الماضي إلى الحاضر ... وتجاهل هذا الأثر تعطيل لطاقة ضخمة في الإنسان ، وإضعاف لقواه الأخرى على مر الزمن .

لقد تألقت كشوف العلم في فترة فوهيت الإنسان حماسة ونفحة بروح خيل له معها أنه لم يفقد بطرح الدين شيئا ... ووهضت أمام عينيه أضواء النظريات في عهد من تاريخ الإنسان يصح أن يسمى (بعهد

البلاغة العربية بين منهجين

للاستاذ على العمّار

البلاغة من جوها الأدبي إلى جوها على فلسفي منطقي، وقد كان ذلك مشهوراً متعارفاً في وقت مبكر، يدل على ذلك قول أبي هلال العسكري: «وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين، وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب، فلهذا لم أطل الكلام في هذا الفصل» (١).

ومن هذا النص الموجز نقبين أن المنهجين، منهج المتكلمين، ومنهج صناع الكلام من الشعراء والكتاب، كانا معروفين في عصر أبي هلال، ومن مراجعة الفصل الذي يشير إليه نقبين الفرق بين المنهجين.

فأبو هلال كان يتكلم في الإبانة عن معنى الفصاحة وما يقتضيه منه، وعن موضوع البلاغة في اللغة وما يجري معه من تصرف لفظها، وهو لم يطل في هذا المصل كما يقول، بل اقتصر على بعض تعريفات البلاغة، والفصاحة وبعض الأمثلة الجيدة، وهذا مثل من هذا الفصل: «وشهدت قوماً يذهبون إلى أن الكلام لا يسمى فصيحاً حتى يجمع مع هذه النعوت بخامة وشدة جزالة فيكون مثل

من المعروف عند دارسي البلاغة العربية أنها برزت إلى الحياة في ثوبين متميزين، ووصلت إلينا بطريقتين مختلفتين، طريقة الأدباء، وطريقة المتكلمين وأنها طلت زمناً غير قليل تبدو في معارض أليفة من صنع الأدباء، وتتنفس في أجواء عبقة بنفحات الشعر.

قال الجاحظ: «طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعلمت على أبي عبيدة فوجدته لا يتقن إلا ما أنصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أعظم بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات».

فعلم الشعر الذي كان يطلبه الجاحظ، والذي ظهر أثره في كتبه، ولا سيما كتاب (البيان والتبيين) قد كان عند أدباء الكتاب، وعلم الشعر هذا هو المحارلات الأولى لعلم البلاغة.

فلما تقدم الزمن، ودخلت العلوم المترجمة على العربية ونشأ أصحاب العقول الفلسفية، والأذهان المنطقية أخذت تتحول أصول

قالت الأول قصيح بليغ ، وأليت الثاني بليغ وليس بقصيح .

فإذا استحضرتنا هذه الصورة في الحديث عن البلاغة والفصاحة ثم رجعنا إلى تعريفها في كتب البلاغة التقليدية التي ندرسها ، والتي ظلت قروناً طويلة موضع عناية الدارسين ، عرفنا الفروق بين هذه الطريقة الأدبية والطريقة الأخرى التي وسماها أبو هلال بأنها (مذهب المتكلمين) .

وليس من العسير على الناظر في مختلف كتب البلاغة أن يتبين أن المنهج الأدبي لا يعنى بما يعنى به المنهج الكلامي من التعريفات المنطقية ومناقشة هذه التعريفات بدقة زائدة ، وإطالة الجدل حول الألفاظ ، وما يؤخذ منها ، في حين لم يعم بالشواهد وتحليلها ، وتبين موضع الجدل فيها ، وعلى كثرة ما ترى في هذا المنهج من التقسيمات والتفريعات لانجده يقف عند كل تقسيم ليتبين فيه ما يؤدي إليه من جودة أو ركة في الكلام ، وإنما هو تقسيم عال من الهدف وربما كان الملحوظ فيه عقلياً لحسب ، ولا طائل وراءه مما يعنى البلاغي الذي همه أن يميز بين الجيد والردى ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

ولقد اعتبر ابن خلدون عمل السكاكي في هذا الفن عملاً جليلاً ، ولأن المتقدمين أول من تكلموا فيه ثم تلاحت مسائل

قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى » .

ومثل كلام الحسين بن علي رضي الله عنهما : والناس عبيد الأموال ، والدين لغو على ألسنتهم يحوطونه ما درت به معاشهم ، فإذا محصوا بالابتلاء قل الديانون ، ومثل المنظوم قول الشاعر :

ترى غاية الخطي فوق دهمهم

كما أشرفت فوق الصوار قرونها
قالوا : وإذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ، ولم يكن فيه غلظة وفضل جزالة سمي بليغاً ولم يسم قصيحاً كقول بعضهم وقد سئل عن حاله عند الوفاة فقال : ما حال من يريد سفرأ بعيداً بلا زاد ، ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بلا أنيس ؟ .
وقول آخر لأخ له : مددت إلى المودة يداً فشكرناك وشفعت ذلك بشيء من الجفاء فصدناك ، والرجوع إلى محمود الود أولى بك من المقام على مكروه الصد .

وأشدنا أبو أحمد عن أبي بكر الصولي لأبراهيم بن العباس :

تمر الصبا صفحا بساكنة العضا

ويصدق قلبي أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما
هو كل نفس حيث حل حبيبها

على هذا الفن أقوم من المغاربة ، أقول من
هذين النصين أخذ بعض الباحثين قضية عامة
فوسموا المذهب الكلاسي بأنه (مذهب العجم)
والمنهج الأدبي بأنه (منهج العرب) بل خطا
أحدهم خطوة أخرى فسماه (المذهب المصري)
والحق أن وسم هذين المذهبين بالشعبيين
المصري والعجمي عجاف للضواب ، ذلك أن
من الأماجم من قضى حياته في بلاد العجم
وروحه روح أدبية فبعد القاهرة الجرجاني
لم يفارق جرجان ، وعلى بن عبد العزيز
الجرجاني صاحب الوسيلة بين المتنبي
وخصومه ، قد قضى حياته كلها في بلاد الشرق
البعيدة ، وهذان العالمان الجليلان يمثلان
المذهب الأدبي أتم تمثيل ، وفق العلماء من
عاش في مصر ، وروحه روح كلامية
كبهاء الدين بن السبكي ، وقد عده بعض الباحثين
من رجالات المدرسة المصرية في البلاغة ذات
الطابع الخاص ؛ لأنه قال في مقدمة كتابه
(عروس الأفراح) : « أما أهل بلادنا
يقصد المصريين - فهم مستخونون عن ذلك -
يريدون البلاغة - بما طبعهم الله تعالى عليه
من الذوق السليم والفهم المستقيم ، والأذهان
التي هي أرق من النسيم والطف - ماء الحياة
في الخيا الوسيم ، أكسبهم النيل تلك الخلوة
وأشار إليهم بأصابه فظهرت عليهم هذه
الطلاوة فهم يدركون بطباعهم ما أفتت فيه

الفن واحدة بعد أخرى ، وكتب فيها جعفر
ابن يحيى والملاحظ وقدامة وأمثالهم إملاءات
غير وافية فيها ثم لم تزل مسائل الفن تكمل
شيئا فشيئا إلى أن غلب السكاكي زبدته ،
ومذهب مسائله ، ورتب أبوابه (١) .

ولا شك أن عقلية ابن خلدون كانت
عقلية عالية ، تسبب بالتحديد والتقييد ،
وتحتل لقنوايط والقوانين ، ومن هنا
- وهو أمر لا ينتهي العجب منه - أهمل
الإمام عبد القاهر عند تاريخه لهذا الفن ،
كان صنيع عبد القاهر لا يعد شيئا يذكر ،
أو كأنه لم يصل إلى علم ابن خلدون .

ومتذقيد السكاكي هذا الفن بالسلاسل
والأغلال والعلاء يدورون حول كتابه
يلتصونه أو يشرحوه أو ينظمونه ، ومع
هذا كان يظهر في الفينة بعد العينة من يرسم
خطا المنهج الأدبي ، وينسج على متواله .

فضياء الدين بن الأثير يؤلف كتابه المثل
السائر ، وينحرف فيه هذا المنحى ، والسيوطي
يتحدث عن نفسه فيقول : ورزقت التبحر
في سبعة علوم . ويذكر منها المعاني والبيان
والبديع على طريقة العرب والبلاء لا على
طريقة العجم وأهل الفلسفة .

ومن هذا النص . ونص آخر جاء في مقدمة
ابن خلدون يقول فيه : « وبالجملة فالمشاركة

مقدمة مؤلف آخر عاش في مصر زمننا ، وفي القرن الذي سبق قرن ابن السبكي هو ضياء الدين بن الأثير ، فإننا ندرك الفرق واضحاً وتبين أن بهاء الدين السبكي ، لم يكن من رجال المدرسة الأدبية ، وليس بينه وبين رجال المدرسة السكاكية فارق كبير .

فالتريق المأمون الذي نسلكه حين نسب هذا المذهب أو ذلك ، أن نعدد الأشخاص ، فنقول مثلاً: إن السعد والسيد والعهد الأيمن من رجال المذهب الكلامي ، وإن عبد الفاهر وابن ستان الحفاجي ، وابن الأثير ، من رجال المذهب الأدبي ... وهكذا .

بعد هذا العرض الموجز للمنهجين الأدبي والكلامي ، نريد أن نحدد مواضع أقدمنا من دراسة البلاغة ، وأجب ألا تنطبق بما أقوله صدور ، سواء كانت من هنا أو هناك وقبل أن نحدد الوضع الذي نريده نلح بشيء من الطرق التي تسير عليها دراسة البلاغة عندنا .

فالأزهر والمعاهد التي تحذو حذوه ، لا تزال كلها تدور في فلك السكاكي ، تدرس التلخيص أو الإيضاح ، مشروحين على الطريقة القديمة ، أو على الطريقة الحديثة ، وإذا كان قد جدد شيء في السنوات الأخيرة ، فإنما هو لفظة ضعيفة إلى كتب عبد القاهر ، وحذف لبعض المجادلات اللفظية ، وإذن

العلماء فضلاً عن الاغمار الأعمار ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار خلف الأستار .

في حين أن الرجل مبالغ في النزح عن القوس السكاكية ، فقد حشا شرحه بالتحقيقات النحوية والمنطقية ، والمناقشات اللفظية ، بما لا يمكن أن نعتبره مع ذلك من المدرسة المصرية أو من مدرسة الأدباء بهامة .

وبكى أنه نذب نفسه لحل معضلات مر عليها أسلافه وهم عن حلالة حلما معرضون . بل إننا لنجعل أسلوبه في مقدمة كتابه أكبر دليل على تأثره بهذه المدرسة الكلامية وهذه فقرات منها ، الحمد لله الذي فتح عن يدع المعاني لسان أهل البيان ، ورتق الأفواه عن تفسير المثاني إلى أن فتحها بلاغة آل عدنان وعنى به راعة كتابه العربي ، وأسنة دينه القوي ما عاقلهما من جندال لسان ... ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشتمل على جناح القلب فتسكن بهد النصر لحبا يرى بشر كالفصر ... ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب الفصل والوصل في الواقعة إذا وقف نصف يوم الحشر ، والمسند إليه الشفاعة إذا التفت الساق بالساق . وهكذا يعضى مقتبها اصطلاحات البلاغيين وبكى أن نضع بجانب هذه المقدمة

كانت المدة التي يقضيها في دراسة البلاغة مدة وجيزة فكيف نؤم أنه يتمكن من اكتساب الفوق وتكوين الملكة .

إنني لا أدعو إلى حشو ذهن الطالب بالقواعد والضوابط ولكني معه ذلك لا أرى أن يخرج من المرحلة الثانوية وهو يجهل قواعد البلاغة وضوابطها .

وأبعد من ذلك في الخيال ، وفي توهم أن تشر دراسة البلاغة أن تترك الأمر للدرس نعم يرى بعض الذين قضوا أعمارهم في دراسة البلاغة أن تترك الأمر للدرس ، وفي ذلك يقول أحدهم : « ولعل في هذا المقام أجهل ببقية رأي وهو ألا توضع كتب مقررة ، بل يترك كل مدرس - وبخاصة في هذه الدراسة الفنية الأدبية التي تتأثر بإقليمها أو بيئة فائراً شديداً - يترك كل مدرس ليضع بين يدي تلاميذه مراجع لهذا كره وتحصيل ما عرضه عليهم في صورته التي عرضه بها عليهم ، وما أهون أن يهيئ لهم ذلك إذا ما سرت له الجهات الإدارية سبله يبدل قليل عما تنفقه ثمنا لهذه الكتب » (١) .

وما أشك أن هذا كلام يقوله وجعل لم يختلط بأوساط المدرسين ، وقد يظن أن كثيرين منهم نوايغ يستطيعون أن يضعوا

فلا تزال آراء السعد والسيد والمهندو الرازي والسكاكي هي التي تدرس ، ولا تزال طريقهم هي الطريقة ، وقد قرأت قول الكافيجي : « والسيد الشريف وقطب الدين الرازي لم يذوقوا علم العربية » . وقرأت أن ابن خلدون كان ينكر على الطريقة المتأخرة التي أحدثها طلبة العم ومن تبعهم من التوغل في المشاحة اللفظية والتسلسل في الحدية والرسمية التين أثارهما المهند وأتباعه ، وأن العلم - كما يقول ابن خلدون - وراء ذلك كله .

ورجال وزارة التربية والتعليم نظروا في البلاغة الغربية ، فنقلوها إلينا جملة ، فالطريقة من هناك والأمثلة من هنا ولقد قرأ الكتاب الموسوم بالبلاغة والنقد ، المقرر على الفرق الأخيرة من المرحلة الثانوية فلا نجد فيه أثراً لقاعدة من القواعد . ولقد جاءني كثير من التلاميذ ، وهم أشبه بالضالين في يدهاء لا يعرفون منها مخرجاً .

نعم تعلم اللغة يكون أجدى لو كان بالممارسة فيخلى التلميذ ونفسه ليقراً ويتحدث ويحمد ويلفظ فيتذوق ويكتسب . ولكن كم من الوقت والجهد يحتاجه التلميذ ليصل بهذه الوسيلة إلى غايته . لو أن في الوقت متسعاً ولو أن التلميذ لا يدرس إلا هذه المادة اقلنا : إن هذه أجدى طريقة ، ولكن إذا كانت العلوم الأخرى تملأ كل وقت ، وإذا

(١) فن القول ص ٢٢ .

انحدار الأذواق

للاستاذ شفيق جبري

إن مثل هذا الرأي كثير في كتب أدبنا فلا أجد فيه شيئاً من الطرافة بالنسبة إلينا معاصر العرب ، ولكن الذي جعلني أستشهد بهذه العبارة أنها وردت في كتاب طبع في «نيويورك» ، وقد رسخ في أذهان طائفة من شباب هذا العصر ، أن الأمم المبنية حضارتها الحديثة على المادة قليلة الاهتمام بمذاهب البيان فإن الفكر وحده هو الغالب على كتابة كتابها . وقد جر مثل هذا الاعتقاد إلى عواقب غير محمودة فشهدا في أدبنا في هذه الأيام ، وإلى لأفانيل بين عناية شعرائنا وكتابنا بالبيان من نصف قرن أو أكثر وبين تهاوتنا

زرت مرة وأنا في الولايات المتحدة الأمريكية جامعة «يوتا» فكلفتني أستاذ اللغة الانكليزية أن أتو على طلابه شيئاً من شعر العرب حتى يسمعونوا نغمه ففعلت ، ثم سألتني أن أشرح لهم بعض أوزان الشعر فأجبت ، ولما انقضت الساعة ودعت الأستاذ والطلاب وانصرفوا ، فله تمنني طالبة وأهدتني ديوان الشاعر : روبر فروست ، وقد وجدت في خلال مطالعتي لبعض هذا الديوان عبارة لشارحه وهذه ترجمتها :

«والذي يجعل شاعراً يختلف عن شاعر أو قصيدة تختلف عن قصيدة إنما هو سبيل التعبير

(بقية) البلاغة العربية بين منهجين ص ٩٥٦

وعلى الذين يعيشون في أجواء باريس أو لندن ، أن يدركوا أن لنا بلاغة عربية مهما قيل فيها ، فإنه لا غنى لعرب عنها ، وأن الضوابط ليست عديمة الجدوى ، بل ربما كانت ضرورية في بعض الأحيان . ويأخذوا لو تقاربت البلاغتان ، فكان منهما مزيج طيب يبقى على تراثنا القديم ، ويسير بنا في الطريق السوي ، ويعطي الدارس ذوقاً وعناً .

على العماري

المنهج ويؤلفوا عليه المذكرات ، ويلقنوه بعد ذلك لتلاميذهم ...

والخلاصة أن على الذين يتمسكون بمنهج المتكلمين أن يتخلوا قليلاً عن تعصبهم لهذا المنهج ، وأن يلتفتوا إلى الكتب الأخرى التي ألقت على منهج آخر ، فيأخذوا منها ، ما يلفظ هذا الجو الذي لا أجد وصفاً له إلا ما وصف به شعر أبي تمام ، فقد ظفوا إن أبا تمام «استكرو الأنفاط والمعاني ، ففسد شعره ، وذبحت طلاوته ، ونشف ماؤه» (١) .

[١] للوازنة ص ١٩ . ط يحيى الدين .

من كل أمة يمثل هذه العناية باللغة والبيان .
كان كُتّابنا وشعراؤنا من نصف قرن
يحدِّدون كتابتهم وشعرهم التجويد كله ،
وكذلك كان أولئك الكتاب والشعراء
في خلال نهضتنا الحديثة ، وقد كان ميل الأدباء
إلى التمتع بمحاسن شعرهم وكتابتهم لا يمدله
ميل . وأذكر أن المتعلوطين كان إذا نشر نظرية
من نظرائه في الصحف شغل الناس وكذلك
كان الأدباء إذا اطلعوا على قصيدة للبارودي
أو لإسماعيل صبري أو لسوقي أو لحافظ
أو لخطران ، كان شعر هذه الطبقة في مصر
وفي بلاد العرب بمنزلة الكنز الذي لا يفنى
على الإتيان ، فلماذا تغيرت الأرض تغير
الأرض والسماوات ، لماذا نجد الصحف
الكبيرة في هذه الأيام تهتم بسفاسف الأمور
أشدَّ من اهتمامها بمقال إمام من أئمة الأدب
أو بقصيدة شاعر من كبار الشعراء ، لماذا
انحدرت الآذواق فقد يكتب أحدنا مقالا
أو ينشر قصيدة فلا نجد من يبالي بخطأ
يستفيض في هذا المقال أو بغلط يشيع في
هذه القصيدة وقد كان أئمة النقد قبل نصف
قرن يقفون بالمرصاد لكل خطأ يقع ،
ويذهبون على كل غلط يحدث ، فكانوا يقومون
اصولج الآلسن على صفحات الجرائد حتى
كان الكاتب أو الشاعر يشق إلى التحفظ
ويخاف الزلل ، فأين هذه الطبقة من البلغاء
الذين نشأوا في مصر وغيرها قبل أيامنا ؟ .
أين الإمام الشيع محمد عبده والسيد رشيد

بهذا البيان في يومنا الذي نفيس فيه ، فأدهش
كل الدهش من تماوت الأسرين ولولا بقية
صالحة من هذه الطبقة من الكتاب والشعراء
الذين يقنسون لغتهم ويحرصون على بيان
العرب لدخل اليأس على قلوبنا من انحدر
الآذواق في عصرنا ، لولا ما شهد من سلاسة
التعبير وإدماج الفكر القوي في الصيغة القوية
والحرص على بلاغة العرب والدفاع عن هذه
البلاغة في كتابات بعض الأئمة وفي مقدماتهم
الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد
والأستاذ الزيات ، لكدنا تقطع الأمل
من حسن البيان :

هذه الطبقة من الأئمة وقليل من الكتاب
غيرهم هم بقايا البلغاء الذين يقنسون لغتهم
حق قدرها ، ويغارون عليها أشد غيرة ،
ويدافعون عنها أقوى دفاع . ولست أدري
ما الذي حمل شبابنا في هذا العصر على
الاستحفاف بمذاهب البيان ، فإذا قالوا إن
العالم قد تطور ، فلم يبق للصيغة المقام الذي
كان لها من نصف قرن وإعما القارىء همه
الوقوف على الفكرة والوصول إلى هذه
الفكرة من أى وجه كان ، إذا قالوا هذا
القول ، قلنا : لماذا تطور العالم ، فطرنا ولم
ينطور في نظر الأمريكان وغيرهم من الأمم
الحريصة على المادة وأشكالها ، لماذا نجد
في آفاقهم من يرى أن سبيل التعبير وحده
هو الذي يجعل الشاعر يختلف عن الشاعر ،
والقصيدة تختلف عن القصيدة ، أفلنا أحق

الطبقات ، ولكن بعض الكتاب والشعراء في هذه الأيام ، قد ضاقت أخلاقهم وضاعت أوقاتهم ، فهم يريدون السرعة في كل شيء ، لأنهم يريدون أن يعيشوا على الساحل ، لأنهم يخافون الإيمان في العباب وما علوا أن الكاتب أو الشاعر لا ينضج بيانه إلا بعد أن يثقل ذهنه سنين طويلة من كتب البلاء ، وليس هذا الأمر أمرنا وحدنا ولكنه أمر الأمم الحديثة في نشأتها وتاريخها فإنها ترى أن سبيل التعبير إنما هو رأس البلاغة ١ .

في جمهوريتنا مجلس أعلى للفنون والآداب يخطط القرائح ويشجع الخواطر ، فلم يدخل على شاعر مجرد ولا على كاتب يبرئ ، ولا على قاص يخلق ، ولكني أرجو أن يعاقب هذا المجلس المتهاونين بلغتهم وبيانهم كما يكافئ الممتحنين بهذه اللغة . وهذا البيان . فالذي أشهده ويشهده غيري أن الطبقة الرفيعة من الكتاب والشعراء الذين كانوا زينة مصر وبعض بلاد العرب ، قد ذهبت فلم تات بعدها طبقة مثلها ، ولا مثي على آثارها أحد ولولا أمل قوى في بعض شعراء وكتاب ، يحافظون على عبقرية اللغة وروح البيان ، لما عم إلا الله وحده كيف تكون هذه اللغة وهذا البيان في الآتي .

سفيان مبري

وحاشا ! أين الموليحي والمنفلوطي ؟ أين الشدياق واليازجي وأرسلان ؟ أين البازوي وشوقي ؟ حاشا ! إن العالم قد تغير ، ولكن تغير العالم لا يستلزم انحطاط الذوق وفساد البيان ، فقد يجوز أن تغير العالم يستوجب تغير صيغة الكتابة ، ولكن تغير هذه الصيغة لا يراد به النزول إلى ما يقرب من العامة ، فقد جاءت مصور كثيرة من مصورنا الأدبية ، وتغير فيها العالم ولكنه نشأ من هذا التغير شيء من السلو في الذوق والبيان ، ولم ينشأ عنه شيء من الانحدار ، فإن أبا تمام في الماضي قد جدد الشعر ولكن تجديد لم يهبط هذا الشعر إلى الدرك الأسفل ، وإنما رفعه إلى أعلى مراتب البلاغة ، والملاحظ قد عدل الكتابة ولكنه لم يمحى البيان ولم يشوه الذوق ، وإنما رفع الكتابة بتعديله إلى الحضبة التي لا تعلوها هضبة . !

لماذا هذا الانحدار في التعبير ؟ وما فائدة هذه القصص التي تستفيض في العامة إذا لم تقوم أذواق العامة فهل خلقت القصص لتندرج إلى مستوى العامة ؟ أم إنها خلقت لترفع مستوى العامة إلى مستوى لائق ؟ أفلا نجد في لغتنا سهولة في بلاغة ، وبلاغة في سهولة ؟ ومتى كانت البلاغة الإتيان بكلام يديق على الأفهام .

إن في لغتنا ما هو صالح بكل طبقة من

الاتجاهات الحديثة في الفكر الإسلامي

للأستاذ منصور رجب

للتفكير .. وسلا يصعد فيه الفكر إلى حيث
يخلق في سماء الفكر الإنساني .. وإن هذه
الدعوة .. القرآنية .. القوية .. الحية ..
هي التي جعلت للفكر العربي .. أو الإسلامي
قدرة على التعميم ، وإن الفكر الإسلامي
هو الذي أثر في الفكر الأوروبي في ميدان ..
العلم والأخلاق .. خلال القرون الوسطى
وعصر النهضة .

وإذا كان الفكر الإسلامي قد توقف
- إلى حد ما - عن الجهد العقلي .. بسبب
اضطهاد العالم الإسلامي .. هذا الاضطهاد
الطويل العريض الذي انتهى بقيام المزعومة
« إسرائيل » فلن يلدغ المؤمن من جحر مرتين ..
فلقد طلع الفجر .. وبدد ضباب « الغفلة »
وإن أشعث لنضى لنا الطريق .. طريق العزة ..
والقوة . والكرامة .. وإن أنواره لتجذبنا
إلى مبادئ الإسلام القوية التي تنادى بأن
ليس لأحد أن يفخر إلا بما عمل .. لا فضل

الانجازات الحديثة في الفكر الإسلامي :
موضوع يشغل الآن بال كثير من المفكرين ..
يكتب فيه كل من ناحية .. كتب فيه أستاذ
« أكسفورد » الأستاذ « جب » فانهم الفكر
العربي بأن من خواصه الفطرية : « الذرية »
أي عدم القدرة على التعميم ، أو نزوعه
إلى تناول مشكلات الحياة ذرة ذرة .. وعزا
الحركة الإسلامية الحديثة إلى تأثير الثقافة
الأوربية .. وإلى حين أتناول هذا الموضوع
في مجلة « الأهر » أقدم جامعة تبنت الفكر
الإسلامي - إذا استثنينا جامع الزيتونة^(١) -
أقدم بكلمة يقتضيهام المقام لهذا الموضوع مشيراً
إلى الآيات .. أو بعض الآيات .. التي ذكرها
الكرآن الكريم .. كتابنا العزيز .. مادة

(١) تم بناؤه عام ١٩٤١ م ونخرج فيه
ابن خلدون . وأبو الحسن الفاضل أما الأهر
فقد تم بناؤه عام ١٩٦١ م ونجح للصلاة في نفس الشهر
الذي كمل فيه البناء . وأول تاريخ على له في صفر
من سنة ١٣٨٥

الله تبارك وتعالى والعمل به : فهو مفكر في ذلك كله دائماً لا يفتر عن الفكر فيه طريقة حين : بل اختلاج الفكر أسرع من لمح البصر . وعن الفكر تنشأ العلوم ، والفنون ، والآداب ، ولا يقال إلا فيها يمكن أن يكون له صورة في القلب : ولهذا روى : « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » لأن الله تبارك وتعالى منزّه عن أن يوصف بصورة .

والقرآن الكريم يطلب منا أن نفكر الأمور وأن نبحثها طلباً للوصول إلى الحقيقة في كل مناحي الحياة .

يقول — في سورة البقرة — : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة » (١) .

ويقول — في سورة النحل — : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » (٢) .

ويقول — في السورة نفسها — : « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون : ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من

لعربي على عجمي . . ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . أقول :

الفكر — بالكسر ويفتح — : إعمال النظر في الشيء : كالفكرة والفكري : بكسرهما . ويعرفه المناطقة بأنه : ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول .

ويقول بعض الأدباء : الفكر مقلوب عن « الفك » ، لكن : يستعمل الفكر في المعاني : وهو فك الأمور وبحثها طلباً للحقيقة (٣) .

والفكر — ككل معنى من المعاني — شيء مجرد لا وجود له إلا بآثاره : في الدين : في العلم : في الأخلاق : في السياسة : في الاقتصاد : في الاجتماع ، في كل ناحية من مناحي الحياة .

والتفكير : جولان الفكرة بحسب نظر العقل : وذلك للإنسان دون الحيوان : فالإنسان تشاركه جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس : والحركة : والغذاء : والكن : وغير ذلك : ويتميز الإنسان عنها بالفكر الذي يتهدى به لتحقيق معاشه : والتعاون عليه بأبناء جنسه : والاجتماع المهيء لذلك التعاون : وقبول ما جاءت به الأنبياء عن

(١) آية ٢١٩ .

(٢) آية ١١١ .

(٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٣٩٢ .

أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم
الآيات لعلكم تعقلون، (١).

وكقوله تعالى - في سورة الزمر - : « قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
إنما يذكر أولو الألباب »، (٢).

وكقوله - في هذه السورة نفسها - : « ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم
يتذكرون »، (٣).

هذه الدعوة القرآنية .. القوية .. الحية
إلى أعمال النظر في كل شيء : في الدنيا ..

في الآخرة .. في الحيوان .. في الطير ..

في الشجر .. في النبات .. في الماء .. في الموت ..

في الحياة .. في السماء .. في الأرض .. في النفس ..

في العلم .. في الجهل .. في كل شيء يدرك بالحس
وبالعقل .. هذه الدعوة القرآنية القوية

الحية .. إنما هي دعوة إلى « التعميم الذي
لولاه ما كانت العلوم الإسلامية ولما استطاع

الفكر أن يدرك الأنواع باعتبارها متميزة
عن الأشياء الجزئية . ولا أن يدرك الأشياء

بجردة عن صفاتها .. فالقرآن الكريم يوجه
الفكر إلى التعميم .. واتجه إليه الفكر الإسلامي

بالفعل حتى أصبح التعميم من خواصه .
قدرة الفكر على التعميم هي التي أوجدت

بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس
إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون، (٤).

ويقول - في هذه السورة أيضا - :
« هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب

ومنه شجر فيه تسميون : ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل

الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون »، (٥).

ويقول - في سورة سبأ - : « قل إنما
أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى

ثم تتفكروا »، (٦).

ويقول - في سورة الزمر - : « الله يتوفى
الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها

فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى
إلى أجل مسمى ، إن في ذلك لآيات لقوم

يتفكرون »، (٧).

ويقول - في سورة الجاثية - : « وسهر لكم
ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن

في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »، (٨).

إلى آخر ما ورد في هذه المادة أو ما يؤدي
معناها كقوله تبارك وتعالى - في سورة

الذاريات - : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون »، (٩).
وكقوله - في سورة الحديد - : « اعلوا

(١) آية ٦٨ ، ٦٩ . (٢) آية ١١ .

(٣) آية ٤٩ . (٤) آية ٤٤ .

(٥) آية ١٣ . (٦) آية ٢٠ .

(١) آية ١٧ .

(٢) آية ٢٧ .

(٢) آية ٩ .

عاشقة رضى الله عنها عن خلقه صلوات الله عليه
فقلت : « كان خلقه القرآن » وجاء الصحابة
من بعده رضوان الله عليهم . . فاقصدوا به
صلوات الله عليه .

أحاط القرآن الكريم سياج الفكر بمخاطب
من حديد ... تلك هي حرية الرأي ... حتى
قال يخاطب سيد المفكرين . . محمداً صلى الله
عليه وسلم : « وقل الحق من ربكم فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر » (١) . وقال :
« لا إكراه في الدين » (٢) وقال : « وما أنت
عليهم بمجبار » (٣) . وقال : « إن عليك إلا
البلاغ » (٤) ، وقال : « وإنا أوفوا بعهدي لعل
يهدي أو في ضلال مبين » (٥) . وعلى هذه
الآية الأخيرة أرسيت قاعدة الفكر ، وهي
« الشك أصل اليقين » من قبل أن يظنطن
بها « ديكارت » وغير ديكارت ... من
يأخذون منا ... ويبيعون علينا .

هناك شك مرعب ... وشك هو لعب . .
وشك الغرض منه ترجيع أحد الطرفين على
الآخر . وهذا هو الذي عناء القرآن الكريم
وسماه النبي صلى الله عليه وسلم : « صريح
الإيمان » ، فقد وفد عليه من الصحابة من
يقول :

لنا هذه الثروة الضخمة في العلوم والفنون
والآداب .

أنار القرآن الكريم طريق الفكر ودعا إليه :
أناره فتمشى فيه مدركاً بحواسك وعقلك سابحاً
بخيالك في روعته وجماله . . ودعا إليه مبنياً
فقهه . . والفهم له . . والتوجيه إليه .

في هندسة النحل آية للفكر . . في إزال
الماء من السماء آية للعكر . . في إنبات الزرع
من التراب آية للعكر . . في الثوم والموت
آية للفكر . . في اختلاف الليل والنهار آية
للفكر . . في العلم والجهل آية للعكر . .
في تسخير كل ما في السموات وما في الأرض
جميعاً للإنسان آية للعكر . . في كل ناحية
من مناحي الحياة يدور الفكر . . وفي كل ناحية
له آية لقوم يتفكرون .

والقرآن الكريم حين يدعو إلى التفكير
يدعو الناس جميعاً : فالآيات التي ذكرها
للتفكير فيها موجهة لكل . ثلثين للناس مازل
إلهم . . فيه شفاء للناس . . يثبت لكم به
الزرع . . وسر لكم ما في السموات
وما في الأرض . . قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون . . إلخ .

والذين يعلمون مازل إلهم فتبته نفوسهم . .
وأشد ما كانوا فقها في بحر الإسلام . . ذلك
أن حياة سيد المفكرين . . محمد صلى الله عليه وسلم
كانت تفسيراً بليغاً للقرآن الكريم . . سئل

(١) الكهف آية ٢٨ ، (٢) البقرة آية ٢٥٦ .

(٣) ق آية ٤٥ . (٤) التورى آية ٤٨ .

(٥) سبأ آية ٢٤ .

قال عمر : يا رسول الله .. ألسنا على حق
وهم على باطل ؟ ... قال : بلى .. قال : أليس
قتلنا في الجنة وقتلناهم في النار ؟ ... قال : بلى
قال : فسيم نعطي الدنيا في ديننا ونرجع ولما
يحكم الله بيننا وبينهم ؟ ... قال : يا ابن الخطاب
إني رسول الله ولم يعصني الله أبداً . فانطلق
عمر ولم يصبر متغيظاً ذاتي أباً بكر فقال له
مثل ذلك ... فقال أبو بكر : إنه رسول الله
ولم يعصيه الله أبداً ... ومضت فترة خالط
المسلمين فيها الكآبة والحزن لشدة الإشكال
عليهم والتباس الأمر .. فزل القرآن على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح و سورة
الفتح ، فأرسل إلى عمر ... فأقرأه إياها :
فقال : يا رسول الله أرفح هو ؟ قال : نعم
و قطابت نفسه ورجع ^(١) .

وهذا مثل آخر : في غزوة الأحزاب ..
لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة
الأمر بعث إلى اثنين من قواد المشركين هما :
عينة بن حصن الغزاري ، والحارث بن عوف
المري .. في أن يقطعهما تلك ثمار المدينة ،
على أن يرجعا بحق معهما عنه . فجاءا مستغفين
من أبي سفيان .. فوافقاه على ذلك بعد أن
طلبنا النصف .. فأبى عليهما إلا الثلث فرفضنا
وكتبنا بذلك صحيفة .

يا رسول الله ... إنا لنجد في أنفسنا
ما يتعاطى أحدنا أن يقوله .. فقال صلوات الله
عليه : أرفح وجدتموه ؟ ... قالوا : نعم ..
قال : ذلك صريح الإيمان ، رواء مسلم وأبو
داود عن أبي هريرة .

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود رضي الله
عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الوسوسة ، فقالوا : إن أحدنا ليجد
في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حممة - اللحم
الفحم ... أي يصير لحماً من شدة الاحتراق -
أو يخرج من السماء إلى الأرض أحب إليه من
أن يتكلم به ... قال : (ذلك محض الإيمان)
أخرجه مسلم .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أحرار
الرأى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
لم ينزل به وحى فإذا نزل كفوا .. فيها هو ذا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يراجع رسول الله
صلوات الله عليه في صلح الحديبية ... وكان
هذا الصلح قد تم على أن من أتى المسلمين من
الكفار رد إليهم - فيما عدا النساء - فقد نزل
القرآن الكريم مبيناً ذلك - ومن أتى الكفار
من المسلمين لم يرد ... حتى إن جندل
ابن سهل بن عمر ، جاء يرسف في قيوده فأرأ
من مشركي قريش فردّه النبي صلى الله عليه
وسلم إلى أبيه سهل وفاء بما شرطوه في عقد
الصلح .

(١) للواقعات للشافعي ج ١ ص ٥٨ ، ٥٩ .

أما الدين : فما هو ؟ ولصالحه من أمرنا
بمحدوده وقيوده ؟ ...

كلمة « دين » وردت في القرآن الكريم
في أكثر من ثمانين موضعاً : وفي حوالي
أربعين سورة - إن لم تكن الذاكرة - :
وردت في سورة الفاتحة، آية ٤ : وفي سورة
البقرة، آية ٢٢، ١٩٣، ٢١٧، ٢٥٦ :
وفي سورة آل عمران، آية ١٩، ٢٤،
٧٣، ٨٣، ٨٥ - وفي سورة النساء، آية
٤٥، ١٢٤، ١٤٥، ١٧٠ : وفي سورة
المائدة، آية ٣، ٥٣، وفي سورة الأنعام،
آية ٧٠، ١٦١ : وفي سورة الأعراف،
آية ٢٩، ٥١ : وفي سورة الألقاف،
آية ٣٩، ٤٩، ٧٣ : وفي سورة التوبة،
آية ١١، ١٢، ٢٦، ٢٩، ٣٣ : وفي سورة
يونس، آية ١٠٤، ١٠٥ : وفي سورة
يوسف، آية ٤٠، ٧٦، وفي سورة
الحجر، آية ٣٥، وفي سورة النحل،
آية ٥٢، وفي سورة الحج، آية ٧٨ .
وفي سورة النور، آية ٢، ٢٥، وفي سورة
الشمراء، آية ٨٢، وفي سورة العنكبوت،
آية ٦٥، وفي سورة الروم، آية ٣٠، ٤٣
وفي سورة لقمان، آية ٣٢، وفي سورة
الأحزاب، آية ٥، وفي سورة الصافات،
آية ٢٠، ٥٣، وفي سورة ص، آية ٧٨،
وفي سورة الزمر، آية ٣، ١٤، وفي سورة

وفي رواية أحضرت الصحيفة والدراسة
ليكتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الصلح
فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يوقع الصلح على ذلك بعث إلى : « سعد بن
معاذ » و « سعد بن عباد » رضي الله عنهما
فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه : فقالا :
يا رسول الله : أمراً نحب فنعصه ، أم شيئاً
أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ؟ إن كان
أمراً من السماء فامض له ، وإن كان إنما هو
الرأي فما لم عندنا إلا السيف . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لو أمرني الله
ما شاورتكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني
رأيت العرب قد رمتمكم من قوس واحدة :
وكالبوكم من كل جانب : فأردت أن أكره
شوكتهم إلى أمر ما . فقال له سعد بن معاذ :
يا رسول الله : والله لا نعطيك إلا السيف ،
حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك ، فأخذ
سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شق
الكتاب ، فشق سعد : وقال لعينة والحارث
ارجعما بيننا وبينكم للسيف^(١) .

والفكر الإسلامي يدور على أصول
كلية هي :

الدين : والنفس : والعقل : والفنل : والمال :

(١) ص ٢١١ ، ج ٢١٢ - السيرة الحلبية .

يعنى بقوله : « دان » ذل . وبقوله :
كرهوا الدين « الطاعة » .

ويقول الله تبارك وتعالى - سورة آل عمران
آية ١٩ - : « إن الدين عند الله الإسلام »
يعنى الاتقياد بالخضوع . والتذلل بالخشوع .
فالفعل من الإسلام . . أسلم أى دخل فى
السلم . . كما يقال : أفضط للقوم إذا دخلوا
فى القسط . وأربعوا إذا دخلوا فى الربيع .
فكذلك أسلوا إذا دخلوا فى السلم . . وهو
الاتقياد بالخضوع وترك المخالفة .

وإذا كان ذلك كذلك . . فتأويل (الآية)
إن الطاعة التى هى الطاعة عنده : الطاعة له .
وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والقدرة .
وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى . .
وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه
ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه
معه فى العبودية والآلوهية (١) .

وتطلق كلمة (دين) العربية أيضا فى لسان
القرآن على الجزاء والحساب . . ومن ذلك
قول الله تبارك وتعالى : « مالك يوم الدين »
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال
فى تفسير هذه الآية : يوم الدين . . يوم
حساب الخلاق وهو يوم القيامة يدينهم
بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر . .

(١) تفسیر الطبري ج ٣ ص ١٤١ طبعة المطبعة
الأميرة .

« المؤمن » آية ٢٦ ، وفى سورة « الشورى »
١٣ ، وفى سورة « الحجرات » آية ١٦ ،
وفى سورة « الذاريات » آية ٦ ، ١٢ ، وفى
سورة « الواقعة » آية ٥٦ ، ٨٦ ، وفى سورة
« الممتحنة » آية ٨ ، وفى سورة « المارج »
آية ٢٦ ، وفى سورة « المدثر » آية ٤٦ ،
وفى سورة « الانفطار » آية ٩ ، ١٥ ، ١٧ ،
١٨ ، وفى سورة « المطففين » آية ١١ ،
وفى سورة « التين » آية ٧ ، وفى سورة
« البينة » آية ٥ ، وفى سورة « الماعون » آية
١ ، وفى سورة « الكافرون » آية ٦ وفى
سورة « النصر » آية ٢ .

وإذا رجعنا إلى مدلول كلمة « دين »
فى لغة العرب ولسان القرآن الكريم تراها
تعنى : الطاعة ، والذلة ، يقول الشاعر :

ويوم الحزن إذ حشدت معد

وكان الناس إلا نحن ديتا

يعنى بذلك مطيعين على وجه الذل ، ومنه
قول « القطامي » :

« كانت ، نوار ، تدينك الأديانا » .

يعنى تنلك . . فى رواية أخرى كانت
« جنوب » ، وكلا العظمين أسم امرأة فلعل
فى البيت روايتين - ومنه قبول الأعشى
ميمون بن قيس :

هودان الرباب إذ كرهوا الدين

زدرأكا بغزوة وصيال

لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . فالدين الذي أوصى الله سبحانه وتعالى به محمدا هو الذي أوصى به موسى وهو الذي أوصى به عيسى عليهما السلام . . وإنما الخلاف في الشرائع . . ولذلك يقول القرآن الكريم - سورة المائدة ، آية ٤٨ - : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . .

والآية ٦٢ من سورة البقرة : : إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، هذه الآية صريحة في أن أصول دين الله تعالى على ألسنة جميع رسله هذه الثلاثة : الإيمان بالله . . والإيمان باليوم الآخر وما فيه من الجزاء . . والعمل الصالح . وهذه المناسبة أقول : إن الذين لا يعتبرون الدين ، مقوما من مقومات القومية العربية بحجة أن بيننا من المسيحيين . حتى اليهود . منهم ما يمنع جعل الدين من مقومات القومية العربية . أقول : إن هؤلاء غلطون . فالمسألة محلولة . ونحن الذين نقعدها . محلولة على معنى أن الأديان السابوية في الأصل واحدة لا فرق بينها وإنما الفرق إنما هو في الشريعة . فإذا قلنا : إن الدين مقوم لم يمنع

إلا من عفا عنه فالأمر أمره . . ثم قال : ألامه الخلق والأمر .

ومن ذلك أيضا قول الله تبارك وتعالى - في سورة الانقطار ، آية ٩ - : كلا بل تكذبون بالدين . (يعني بالجزاء) . ويؤيد هذا قوله في الآيات بسدما : وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون . إن الأبرار لاني نعم . وإن الفجار لاني جحيم . يصلونها يوم الدين . وما هم عنها بغائبين . وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تحملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله . .

أما المعنى الشرعي لكلمة دين . . فالدين لا يكون إلا وحيا من الله سبحانه وتعالى إلى أنبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم أممته يهدون بأمر الله . . يقول الله تعالى - في سورة الرعد ، آية ٣٠ - : وكذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتلو عليهم الذي أوحينا إليك . ويقول - في سورة النحل آية ٤٣ : : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فأسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . .

والدين - في أصله - واحد لا فرق بين دين ودين ، لا فرق بين (يهودية) و (مسيحية) و (إسلام) ولذلك يقول الله تبارك وتعالى في سورة الشورى ، آية ١٣ - : وشرح

من كتاب الله وكانوا عليه شهداء... (١).
ويقول : « وقفنا على آثارهم بعيسى ابن
مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتينا
الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه
من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم
أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم
بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (٢).

هذه السياسة التي رسمها القرآن الكريم :
والتي سار عليها العرب في حكم البلاد التي
خضعت لسلطانهم : هذه السياسة الحكيمة
كانت المصدر الفقهي لإحدى القواعد
الأساسية للقانون الدولي الخاص : وهي قاعدة :
« شخصية قوانين الأحوال الشخصية » التي
تقررت في بلاد الغرب لأول مرة في مجمع
« أكسفورد » سنة ١٨٨٢ : وفي مؤتمر
« لاهاي » سنة ١٩٠٤ : وأخيراً في اتفاقية
« مونترو » سنة ١٩٣١ (٣).

وإذا كان الإسلام يأبى التحكم في عقائد
الناس : ويأمر بتركهم وما يدينون : فإن
المرتدين لهم حكم آخر : ذلك لأنهم قوم
متلاعبون لإرادة لهم : ولذلك يقول القرآن
الكريم في شأنهم : « ومن يرتدد منكم عن دينه

هذا أو لم يخرج ما هذا المسلمين . . . على أن
الاديان كلها تدمر إلى البر والخير . والإيمان
بالله وباليوم الآخر... وهل القومية العربية
تخرج من هذه الدعوة ؟... »

والدين الإسلامي يأبى التحكم في عقائد
الناس . ويأمر بتركهم وما يدينون .

أما في العقيدة : فيقول القرآن الكريم
في سورة البقرة آية ٢٥٦ : « لا إكراه
في الدين قد تبين الرشد من الغي » قال ابن
عباس رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية
في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف
يقال له : « الحصين » كان له ابنان نصرانيان
وكان هو رجلاً مسلماً فقال للنبي صلى الله
عليه وسلم : ألا أستكرهما فإنهما قد أيا
إلا النصرانية ؟ فأنزل الله هذه الآية .

وأما في الشريعة فإنه يأمر بتركهم يحتكمون
في أقتضيتهم لقاضي دينهم ليحكم بينهم بحكم دينهم
يقول القرآن الكريم — في شأن الدميمين — :
« فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم
وإن تعرض عنهم فلا يضررك شيئاً وإن
حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب
المقسطين . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة
فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك
وما أولئك بالمؤمنين . إنا أنزلنا التوراة فيها
هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين
هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا

(١) للامثلة : ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٤٤ .

(٢) المائدة : ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) بحث الأستاذ صليب سامي نصر في جريدة

الأهرام ٥ / ٦ / ١٩٤٥ .

إبراهيم حنيفاً ، قيمياً : أي ثابتاً مقوماً -
بالإسلام إذاً : دين ودنيا .

والأمة التي تقوم في معاشها ومعادها
بالقسط هي الأمة . القيمة ، سماها القرآن
الكريم بهذا فقال - في سورة البينة ،
آية ٥ - : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة
ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

وأساس دين الإسلام وفواعله التي عليها
يبنى وبها يقوم بينها رسول الله عليه وسلم
في قوله : « بني الإسلام على خمس : شهادة
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،
 وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج
البيت ، وصوم رمضان . رواه البخاري
ومسلم .

وعلى جملة من القول يدعو الدين إلى
التسامح والإيثار واحترام شخص
الإنسان . . .

قيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم
في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون^(١) .

ولقد قاتلهم الخليفة الأول أبو بكر ومنى
الله عنه وأمر ذلك مشهور معلوم مستفيض .
والإسلام دين العطرة . يقول القرآن
الكريم - سورة الروم ، آية ٣٠ - :
« فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر
الناس عليها ، لا تبدل خلق الله ، ذلك الدين
القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » -
الحنف بالحاء : هو ميل عن الضلال
إلى الاستقامة وعكسه الجنف بالجيم : وهو ميل
عن الاستقامة إلى الضلال ويجمع الحنف
على حنفاء . يقول الله تعالى : « واجتنبوا
قول الزور حنفاء » - والإسلام دين مقوم
لكل أمور المعاش والمعاد . يقول الله تعالى
في سورة الأنعام ، آية ١٦٦ : « قل إني
هداني ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيمياً ملة

منصور رحيم

الأستاذ بكلية أصول الدين

(١) البقرة آية ٢١٧ .

صاحب النفس العزيزة

قال : محمد بن علي من : كرمته عليه نفسه هانت عليه الدنيا .

الكواكبي والقومية العربية

للاستاذ محمد سعيد العريان

من تلك الصور التي كانت تترامى للناس في مرآة الحوادث ، خلال ذلك النصف الثاني من القرن الماضي ، كانت تترامى لأعين الناس صورتان متضادتان أعظم تضاداً ، إحداهما : في بلاط السلطان عبد الحميد ، والأخرى في بلاط القيصر ...

أما في بلاط السلطان عبد الحميد فكان الخليفة الذي يزعم أنه باسم الله يحكم ويستبد ويسيطر ، وباسمه يخفق ويغرق ويحرق ، وباسمه يسفك ويفتك ويهتك ، ومن حوله أبو الهدى الصيادي وأمثاله ، يزعمون للخليفة ، ولأنفسهم ، وللناس ، أن هذا اللون الفاسد من الحكم هو شرح الله ، وهو الدين ، وباسم الله ، وباسم الدين ، يجب أن يذل الناس ، وأن تطأ أقدام الرءوس ، وأن يعيش البشر كالرقيق ، أو كعطلان المشاية ، ليس لها حرية ولا رأي ولا إرادة ؛ لأن الحرية والرأي والإرادة هي حق الخليفة الجالس على عرش الله وحده . وليس لها عزة ولا كرامة ولا فعة ؛ لأن العزة والكرامة والنعمة حق أبي الهدى الصيادي دون سائر المحكومين من رعية الخليفة .

هذه الصورة في بلاط السلطان عبد الحميد

في منتصف القرن الماضي نشأ الكواكبي ، وفي مستهل هذا القرن مات ...

نشأ في سورية ، ومات في مصر . تنفس أول أقسام الحياة في حلب ، ولفظ آخر أنفاسه في القاهرة ..

وفيما بين حلب والقاهرة ، وفيما وراءهما من بلاد الأمة العربية ، ومن بلاد المسلمين ، كان له خطوات ، ونظرات ، واقفالات ، ثم كان له من ذلك كله دعوة إلى الإصلاح جريئة وصريحة ...

نصف قرن عاش في هذا العالم ، هو نصف القرن الذي يصنع للبشرية في كل العالم اليوم تاريخها المعاصر ؛ لأنه نصف القرن الذي تماوجت فيه الأحداث والآراء ، فكان من تماوجها وتقاذك هذه المذاهب السياسية والاجتماعية التي تحكم طائفا المعاصر : الفوضوية ، والاشتراكية ، والديمقراطية التي تراها اليوم في شتى صورها . هي صور الحكم التي تمنحس عنها اصطراح الآراء ، واقفالات النعوس ، وأزمات القلب والعقل في النصف الثاني من القرن الماضي ...

نصف القرن الذي عاشه الكواكبي على أرض البشر .

راسبوتين في بلاط القيصر ، وأبي الهدى الصيادي في بلاط السلطان . ما تلك الصورة من الدين إلا زيف وضلال وفنضول وبدعة وباطل . اعرفوا الدين الحق تعرفوا الحرية ، وتعرفوا الإرادة ، وتعرفوا العزة والكرامة ... فأصلحوا دينكم تصلح لكم الحياة ، وتمز ونكرم ..

وأما متفلسفة روسيا فلم يستطيعوا أن ينظروا إلى ما وراء الصورة الظاهرة ، فقالوا إنه أفيون الشعوب ، يخدر العقول ، ويسلب الإرادة ، ويناهض الحرية ...

فلسفتان متقابلتان هنا وهناك ، أما إحداها ففلسفة أصلية عميقة تبحث عن الأسباب والعلل وتطب لأصل الداء ، وأما الأخرى فدعوة تدمير وعدم ورجعية ، تريد أن تنكس البشرية وتعود أذراجها إلى حيث بدأت ، لا يوجه سلوكها خير ، ولا يربط بين آحادها إيمان ولا تهتدى بغير الغريزة ...

في أزمة العقيدة التي استحكمت خلال تلك السنين التي اصطدمت فيها العقيدة بالرغبة في الحرية ، كانت دعوة الكواكي إلى إصلاح الدين وتحريره ، وإلى وحدة الأمة العربية لتنهض برساتها لدم الحضارة وتقدم الإنسانية ، وكانت دعوة لينين ، مقترف الشيوعية الأول ، إلى تدمير الدين ومحوه ،

لعهدي الكواكي كانت تقابلها صورة أخرى مشابهة في بلاط قيصر روسيا .

كان ثمة القيصر ، وكان في بطانته راسبوتين ، وكان الخنثى والإعراق والإعراق ، وكان السفك والفنك والخنك ، وكانت الشهوات والمبازل ، وكان الملايين من المحكومين كازريق أو كقطعان الماشية . بلا حرية ولا رأى ولا إرادة ، وبلا عزة ولا كرامة ولا فمة ، وكان ذلك كله بفتوى راسبوتين هو الدين ، وهو شرع الله . وكان القيصر هناك ، مثل السلطان هنا ، هو ظل الله على الأرض ...

من هاتين الصورتين المتقابلتين في استنبول وبطرسبورج ، كان تماوج آراء ، وكان اصطراع مذاهب ، وكانت أزمة العقيدة التي زالت لإيمان الملايين بالله ، وبالديانات ، وأنشأت الخصومة بين الدين والحرية ... في إبان هذه الأزمة التي أوشكت أن تعصف بطمأنينة البشر وسلام العالم ، كان الفيلسوف العربي عبد الرحمن الكواكي في بلادنا ، وكان متفلسفة آخرون في روسيا وفيما يحاورها من البلاد ...

أما عبد الرحمن الكواكي فقال : لماذا الخصومة بين الدين والحرية ؟ إن الدين لا يخاصم الحرية ، إنه سلام العالم ، وطمأنينة البشر ، وضمير الكون ، وسلوك الإنسانية الراشدة ، وما تلك الصور التي يزيها أمثال

الثبات ، وهذه القوة ، كل النصر الذي تحقق لنا في بورسعيد ...

وفي كل معركة قبل بورسعيد ، وفي كل معركة تلت أو تلي بورسعيد في جمهوريتنا ، أو فيما وراء جمهوريتنا ، في أرض فلسطين أو في الجزائر أو في عمان والبحرين و عدن - إيماننا بالله هو عدتنا ، وهو قوتنا ، وهو درعنا الواقية وسيفنا القاطع ...

إن إيماننا بالله هو بعض قوميتنا ، لأن تراثنا الروحي هو بعض مشخصات وجودنا ...

نحن الأمة العربية ، في هذا الوطن العربي ، وأول نسبنا أننا من أسرة محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأول خصائصنا أن بلادنا أرض النبوات ، على ثراها كل إبراهيم أبو الأنبياء ، ومن أقام شعث أنوار الرسالات القدسية على موسى وعيسى ومحمد ...

ما نحن إن لم نعرف لأنفسنا هذا النسب ! ما نحن إذا انقطعت بيننا الأواصر التي تربطنا قلباً إلى قلب ، بسلوك وضمير وإيمان بالله الواحد ؟ .

والدين ، كل دين ، هو الارتضاع بنفس كل ذي دين فوق كل ذي قوة ، فلا سلطان عليه إلا سلطان الضمير المؤمن الذي لا يمتو إلا لله ، لله وحده ، لأن الله أكبر ... ولأن الله أكبر ، كانت الحرية .

في ضوء فلسفة الكواكي كان الميلاد الجديد لفكرة القومية العربية كما يؤمن بها اليوم كل عربي بين الشاطئين .

وفي ضوء فلسفة لينين ، كان أول الشر الذي يترتب بالبشرية كلها الدمار في هذه الأيام ، بما يتهددها من خطر الشيوعية الحمراء .

إننا إذ نحتفل اليوم بذكرى الكواكي في ضوء الانتصارات الباهرة التي حققها القومية العربية خلال نصف القرن الذي مضى منذ وفاة صاحب هذه الدعوة ، ليقنعنا واجب الوفاء لصاحب الذكرى ، وواجب الوفاء لأنفسنا وقومنا ، وواجب الوفاء للقومية العربية ذاتها - أن نذكر بإعجاب ونظر أن هذه الانتصارات التي قضى مشاعلها وترفرف راياتها على رؤسنا ، إنما حققها إيماننا بالله ...

إن إيماننا بالله هو أول أسباب نصرنا ... فمن هذا الإيمان بالله ، كل اقتحامنا على المصاعب ، وكان اصطبارنا على كل مانزل بنا من البلاء ، وكانت قوتنا في مواجهة الأحداث ، وكانت استهانتنا بكل ما يدبر لنا من أسباب الكيد .

في بورسعيد ، حين أحاطت بنا أسباب الدمار والتهلكة من البر والبحر والجو ، كانت « الله أكبر » هي درعنا الواقية ، وهي قوتنا المدافعة ، وهي ثباتنا الراسخ ، وهي يقيننا الذي لا يززع ، وبهذا اليقين ، وهذا

إن بعض الذين يتحلون بالفلسفة من قومتنا ، يزعمون أن الدين شيء ليس من القومية ، يقولونها ملقنين ، أو يقولونها عذوعين ، وإنما هي دعوة ضلال وخيانة وفتنة
لست أظلمهم فأزعم أنهم جميعاً يريدون لأممتهم ضللاً وخيانة ، ولكنهم أرادوا أن يوصفوا بـعلم ، فزعموا كلاماً يقول به بعض صدوقنا ويزعم أنه العلم فزعموا مثل الذين ترجموا عنهم أن القومية شيء غير الدين . . .

أي قومية يمتنون ؟
ربما كان قصدهم أن يتحدثوا عن قوميات أخرى غير قوميتنا ، ولم يعرفوا فرق ما بين قوميتنا وقوميات أخرى ، فلم يحكموا بمقل وإنما تبيخروا

إن الأمة العربية أمة ذات رسالة ، رسالة يؤمن بها مسيحيها ومسلمها على سواء ، وليس لأمة من الأمم التي عرفوا أو وصفت لهم ، رسالة مثل رسالتنا

رسالتنا ذات الطابع الروحي التي جعلت بلادنا منذ الأزل مهبط الأديان ومن آفاقها كان مشرق الحضارة على أيدي رسل المسيح وأنباع محمد

روحيتنا بعض قوميتنا العربية ؛ لأنها بعض تراثنا الروحي ؛ ولأنها طابعتنا الأصل بالباقي على الزمن ، وليس لقومية من القوميات

التي يحتضنون فكرتها ويدعون إلى منجها في القومية ، مثل تراثنا الروحي
إن العرب أمة لا تشبههم أمة في الأرض ، وخصائص قوميتنا لا تشبهها خصائص أمة غيرنا ، وأول خصائصنا ، إيماننا بالله ، فلسنا عرباً ولا قوميين ، ولا أحراراً ، إذالم يكن بعض إيماننا بالعروبة إيماننا بالله ، وبعض إيماننا بالحرية إيماننا بالله .
قوة الإيمان بالله . . .

إن الإيمان بالله قوة لكل ذي دين في دينه ، وقوة لكل ذي وطن في وطنه ، وقوة لكل فرد في جماعته ، وقوة لكل جماعة في مواجهة الأحداث ، وهو الرابطة الإنسانية التي يشد كل إنسان إلى أخيه الإنسان

إن الدين ، كل دين ، في حقيقته العظيمة البسيطة هو التسامح ، وهو الحب ، وهو السلام ، وهو الأخوة الإنسانية ، فلا أخوة ببلادين ، وإنما تلك أخوة القطيع ، أخوة ساعة على منفعة مشتركة ، ثم آكل ومأكل .

تلك هي دعوة السكواكي للقومية العربية ، وكان معه على دعوته مسلمون ومسيحيون في كل بلد من بلاد الأمة العربية ، عرفوا الدين بإيماننا بالله ، وسلوكاً في المجتمع ، وضميراً يصرف الناس في الحياة على دستور ، فأتموا بالقومية العربية ديناً مشتركاً يؤمن بها المسلم

على كتب مترجمة ليس فيها من معنى العروبة إلا صور الحروف .

إن الكواكب الذي احتفلت الأمة العربية بذكره منذ عهد قريب ، في ضوء مشاعل النصر الذي حققناه بكفاحنا ، وإيمائنا ، ودماء صحايانا قد رسم الصورة الصحيحة للقومية العربية كما نؤمن بها اليوم وتدعو لها . . .

- إنها دعوة القومية العربية المؤمنة بالله ، وبالقيم والمثل العربية الصحيحة .

- دعوة الوحدة الوطنية التي تجمع العرب في شق ديارهم على الولاء للأمة العربية .

- دعوة الاشتراكية التعاونية التي تقوم على أساس الشورى واختيار الحاكم بإرادة المحكومين .

- دعوة المساواة بين الطبقات والأفراد

في الحقوق والواجبات ، والتقارب في الثروة ودرجات المعيشة .

- دعوة الأخوة العمومية بين الأفراد في الأمة العربية .

- دعوة الاتحاد القوي العربي .

هذه دعوتنا منذ كنا ، هي دعوة الكواكب أمس ، وهي دعوتنا اليوم ، وهي دعوة الأجيال في غد ؛ لتبث الأمة العربية من جديد وتشر رسائلها الحضارية بين البشر ، ليتحقق للبشر السلام والأمن والحرية .

محمد سعيد العربي

العربي والمسيحي العربي ؛ لأن بينهما إيماناً مشتركاً بالله الواحد ، وأخوة مشتركة في الوطن العربي الواحد .

إن مقترف الشيوعية الأول ، لينين ، الذي زعم مضللاً أو مضللاً أن الدين أفيون الشعوب ، لم يلبث أن اتخذ لقومه ديناً جديداً غير دين الله ، وإلهاً جديداً غير الله ، وكانت الشيوعية هي ذلك الدين ،

إن كان الدين أفيونا كما زعم مقترف الشيوعية الأول ، فماذا فعل وفعل خلفاؤه غير أن أبلوا بأفيون أفيونا ثم تأهلوا ؟ أبلوا بدين التسامح والأخوة والرحمة والتعاطف الإنساني ، ديناً متعصباً صلب الرأي سفاكاً لا يؤمن فرداً على حريته ولا يعترف له بكيان مستقل عن الجماعة ...

تاهضوا الدين باسم الحرية ، ليلفقوا لقومهم ديناً بلا حرية ، ففقدوا الدين والحرية جميعاً ...

إني لا أخشى هنا ، في وطني ، دعوة أخرى تشاكل تلك الدعوة إذ يقول بعض أولئك الذين وصفت من متعلى الفلسفة ، أو من مزيفي القومية ، إن القومية العربية شيء غير الدين ... طاشوا وضلوا ...

إن هؤلاء الذين يبرءون من دينهم لأنهم ينكرون صلة الدين بالقومية ليسوا من أمتنا ، ولا من قومنا ، إنهم كالعناوين العربية

أهكذا كان المحلّاج؟

للأستاذ محمد خليل هراس

لا ريب فيه لأن الجاهير التي استهوتها آراؤه وعباراته لا تزال مؤمنة بذلك . فتي كلت إيمان الجاهير وإعجابها بقياساً سياسياً والولاية أمر باطن لا يطلع عليه أحد فهي ليست بما يخضع لحكم الجاهير . وإن جاهير تستهويها عبارات وشطحات تمثل العلو والانحراف وتجاهي أبسط قواعد الإسلام لا يمكن أن يكون رأيهم وزن ولا لحكمهم اعتبار .

فالعبارة في صحة العقيدة وسلامتها ليس مرده إلى حكم الجاهير ولكن مرده إلى موافقة الكتاب والسنة أو مخالفتها فإنهما الميزان الذي لا يضل ولا يجر ، وقد أمرنا الله عز وجل أن نرد إليهما كل ما تنازنا فيه وجعل ذلك من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر وأخير أن ذلك خير وأحسن تأويلاً .

وإننا لنربأ بالدكتور وأمثاله من رجالات الفكر أن يتخذوا بهذا الهراء الصوفي وأن يبادروا العامة في التأثير بهذه المخاريق والشعوذات التي تسمى باطلاكرامات ، فإكانت الكرامة حرفة يجترعها نفر مخصوص من الناس ولكنها نوع من المعونة التي يكرم الله بها بعض عباده ممن يحسنون الاتباع

كتب أستاذنا الدكتور محمد غلاب في العدد الماضي من مجلة الأزهر مقالاً عن المحلّاج يهدف منه إلى إنصافه وبيان منزلته بين المتصوفة . وقد حاول الدكتور جاهداً - بما أوتي من حسن المبالغة - أن يجعل منه الصوفي الإسلامي الأول . وأن يجعل من حادث مقتله مأساة تصور الظلم والاضطهاد في أشنع صورهما وتمثل المحلّاج ضحية بريئة ، تألبت عليها عوامل الحقد والحسد .

ونحن وإن كنا نقدر للدكتور هذه العاطفة في الدفاع المتحمس عن يظن أنه مظلوم بريء ، إلا أننا نأخذ عليه الغلو في الحب والإفراط في الثقة والميل عن منهج العلماء في دقة البحث ونزاهة الحكم وتمحيص الحقائق : يقول الدكتور : « إن حياة المحلّاج وآراءه وعباراته وشطحاته قد استهوت ولا تزال تستهوي الجاهير وإن الكافة في عدد غير يسير من البقاع الإسلامية لا تزال مؤمنة بأن المحلّاج من أئمة الأولياء ذوي الكرامات التي لا نزاع فيها ولا شفاء » .

فإذا يعني الدكتور بهذا ؟ هل يعني أن ولاية المحلّاج وكراماته قد أصبحت حقاً

بالإعدام سلسلة من الظروف السياسية والدينية كما يقول الدكتور ولكن من الذي هيا لتلك الظروف الفرصة لكي تطيح برأس الحلاج ؟ إنه هو وحده المسئول عن المصير الذي لقيه بما أظهر من أقوال وعقائد تنافي المبادئ الأساسية للإسلام كتحريمه بأن الله حل فيه حتى وروا عنه أنه قال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته

وإذا أبصرته أبصرتنا
وكنذلك كان يدهي أنه يسمع نداء الله من داخل نفسه ويعتقد أن هذا النداء وحى يلتزم العمل به ولا يرجع في شيء من ذلك إلى كتاب ولا سنة إلى غير ذلك من ادعاءاته الكثيرة التي يكفي أحدها لإخراج صاحبه عن الإسلام .

ويقول الدكتور : ومن أولئك الأعلام الذين أعلنوا مناصرته للحلاج حجة الإسلام الغزالي وابن خفيف من الأشاعرة وابن عقيل والحروي وعبد القادر الكيلاني من الحنابلة ، وعلى القساوي من الحنفية ، ونصير الدين الطوسي وصدر الدين الشيرازي من المتفلسفين ونور الله الششتري من الإمامية وغيرهم ، وأحب في هذا المقام أن أذكر أستاذنا الكبير بكلمة قالها أمير المؤمنين علي بن أبي

الموافقة لأحكام الشريعة ، ويتقربون إلى الله عز وجل بما شرعه لهم من أنواع الطاعات ويقفون عندما حده لهم بلامعالة ولا تقصير أما الذين يشرعون لأنفسهم ما لم يأذن به الله ويعبدونه بالهوى والبدعة ، ويشاققون رسوله صلى الله عليه وسلم ويتبعون غير سبيل المؤمنين فهؤلاء مهما ادعوا محبة الله عز وجل والفاء فيه فلن يكونوا موضعاً للتكريم الإلهي الذي لا يناله إلا المؤمنون المنتقون . ويقول الدكتور : فقد نبين للشقيين الزهراء واسمى الأفق أن الحلاج شخصية قوية قضت عليها بالإعدام سلسلة من الظروف السياسية والدينية التي تمثل ذلك العصر أكثر مما تمثل روح الإسلام الحقيقية ومبادئه التأسيسية . ونحن لا نتكر أن الحلاج شخصية قوية لها قدرة عجيبة على التأثير والاستواء ولكن القوة شيء غير استقامة القصد وسلامة الاعتقاد والزام الحدود ؛ فإن القوة لها مظاهر كثيرة قد لا تكون كلها محمودة فهناك قوة في المكر والدعا وسعة الحيلة وهناك قوة في الحكم والسياسة وهناك قوة في الحق والتزام الجادة والقوة في أي مظهر من مظاهرها قد تثير الإعجاب ولكنها لا يصح أن تحصل على الاقتان بصاحبها إلى حد التقديس والإجلال .

وقد يكون الحلاج كذلك قد قضت عليه

فأى مر هذا الذى باح به الحلّاج فأحل
سفلك دمه ؟ لعل هذا السر هو ما كن يخفيه
فى نفسه من اعتقاد الحلول والاتصال وسماحه
نجمى المحبوب ، فلما باح بهذا الكفر وأظهره
على لسانه فى مثل قوله :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا - وقوله
أنا الله - وما فى الجبة إلا الله وغير ذلك كان
هذا هو سر نكته إذ لم يسع الدولة المسلمة
بما فيها من حكام وقضاة وفقهاء ومفتين أن
تسكت على هذا الهراء .

فكيف يصح أن يقال : إنهم رموه بما
هو منه براء .

ويقول الدكتور فى سبب قطيعة الصوفية
للحلّاج : « إنه لم يرفض التصوف السلبى والحلول
المجذب الذى يقوم على أداء العبادات حل
أكل وجهه دون رجوع إلى تأمل النفس
واختيار لانفعالاتها وما تحس به من فيض
فأخذ هو يدعى أنه يسمع أحاديث باطنية
يعتقد أنها آتية من جهة الله كما أنه أيضاً
لم يرفض طريقة المحدثين الذين كانوا يرجعون
جميع الطقوس الدينية إلى ظواهر المأثورات
النبوية » .

وأظن أن هذا الكلام يكفى كل منصف
ليتهم الحلّاج بالمروق فإنه لم يكن فى منهجه
وآرائه موضع رضى لا من أهل الحديث
التمسكين بظواهر النصوص ، ولا من إخوانه

طالب رضى الله عنه وهى : (اعرف الرجال
بالحق ولا تعرف الحق بالرجال ، اعرف الحق
تعرف أهله) فليست مناصرة هؤلاء الأعلام
للحلّاج فى باطله بمغنية عنه شيئاً ما دام قد
فعل ما يوجب مؤاخذته ديناً وشرعاً ، وهؤلاء
فى مناصرتهم للحلّاج لم يتعدوا دائرة الاعتذار
عنه بأنه قال ما قال وهو فى حال غيوبة وسكر ،
ولكن لا أظن أن أحداً منهم يستطيع أن
ينكر أن ظاهر قوله كفر إن قيل فى حال
الوعى والإدراك ، والذى يذكره التاريخ
أن الحلّاج كان يلجج بهذه الكلمات ويبشر
بمنجبه فى الحلول فى حالة من الصحو التام ،
بما جعل أعلام الصوفية كالجنيد وغيره ،
يفاطمونه وينكرون أحواله ، على أن كثيراً
من هؤلاء الذين يذكر الدكتور أنهم ناصروه
هم أيضاً منهمون فى بعض ما قالوه . ومن شاء
دليلاً فليقرأ ميزان العمل أو المعضنون به
على غير أهله للغزالي وليقرأ منازل السائرين
للهروى ، وليقرأ بعض مؤلفات الطوسى
ليعلم أن تأييد هؤلاء للحلّاج ليس فى نظر
المحدثين البصير حجة على صحة ما يقوله الحلّاج
مهما اجتهدوا فى تخريجه وتأويله ، ويقول
الدكتور : إن المصدر الوحيد لكارثته هو أنه
باح بالسر الربانى ، الذى احتفظ غيره من
الصوفية بكتباته فعاقيه الله على ذلك بأن سلط
عليه أشرار خلقه فرموه بما هو منه براء .

أن يكون كل أحد حلاجياً . إن الخوارق التي تحدث عنها يا سيدي الدكتور قد قيل فيها الكثير من أهل عصر الحلاج و ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه كان يريف الكرامات و يصطنع الحيل التي يخدع بها العامة والبسطاء و ربما جازت على بعض الأذكياء لغزاتها .

كما روى أنه حرك يده ذات مرة فانتثر منها طيب ، وحرکہا مرة أخرى فانتثرت منها دراهم فقال له بعض الأذكياء من الحاضرين بمن لم يصدقوا بترهاته إن أتيت بدراهم عليها اسمك واسم أهلك أعنت بكرامتك ، فقال له كيف هذا وهذا لا يصنع ؟ فقال له الرجل إن من أحضر ما ليس بحضور لا يعجز أن يصنع ما ليس بمصنوع ! .

هذا وفي المقال كثير مما كنا لا نحب للدكتور أن يتورط فيه ولكني سأقتصر على هذا القدر هذه المرة راجياً أن يكون منها لكل من يكتب في مثل هذه الموضوعات الشائكة الحساسة أن لا يخطح حرفاً قبل أن يقدر بنفسه ما يقول ...

واقه الهادي إلى سواء السبيل ؟

محمد خليل هراسي
المدرس بكلية أصول الدين

في التصوف كالجنيد والمكي وغيرهما فكيف يمكن تبرئته مما نسب إليه وقد شهد عليه شاهد من أهله ؟ لا سيما وأن الذين قاطعوه كانوا من أعلام المتصوفة الذين تعتبر أقوالهم ميزاناً للتصوف الصحيح .

ويقول الدكتور كذلك : إنه بعد ما أدى فریضة الحج للمرة الثالثة عاد إلى بغداد وغير تيار حياته العملية وبدأ سلسلة من المواقف العامة أعلن فيها مذهبه النهائي ، وأنه كان يؤيد مذهبه بالخوارق العامة التي كانت حتى عهده مقصورة على الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ولا بد أن نقف عند قوله أنه كان يؤيد مذهبه بالخوارق التي كانت حتى عهده مقصورة على الرسل ، فهل معنى هذا أن الدكتور يلحق الحلاج بأصحاب الرسالات ؟ إننا لا نحب أنتهم الدكتور في عقيدته ولكن كلامه هذا يبلبل الأفكار إلى حد كبير — إننا لانعرف في الإسلام صاحب مذهب كان يؤيد مذهبه بالخوارق ، فإن الخوارق ما جعلها الله عز وجل لإلتصديق رسله فيما يبلغون عنه ، وأما أصحاب المذاهب فهم كسائر الناس يخطئون ويصيبون ولو صح أن الله أيد مذهب الحلاج بالخوارق لما وسع أحداً من الناس مخالفته ، ولو جب

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

غصنه يانع :

يامن حواء اللحد غصنا يانعا
وكذا كسوف البدر وهو تمام
وهو كثير في كلامهم . ووقع مثل هذا
من أمثال هؤلاء الأئمة في منتهى الغرابة .
وقد يصحح ما خطأه اليازجي ما جاء
في اللسان : « امرأة يانعة الوجنتين » فهذا
معناه : نضارة الوجنتين لا نضجها .
ورد على اليازجي كاتب فاضل في مجلة المشرق
سنة ١٩٠٦ فأورد شواهد تشهد للعبارة
المنقودة . منها ما جاء في اللسان (صخا)
من قول الشاعر :

طربت وهاجلك الحمام السواجم
تميل بها صخوا غصون يوانع
وهذا البيت أورده ابن بري شاهدا على
أن الصخو لغة في الصخا . وابن بري لقوى
ثقة لا يستشهد إلا بالصحيح من القول ،
وله الحواشي الجلية على الصحاح للجوهري
وكانت وفاته سنة ٥٨٢ هـ .

تكثر في كلام الناس هذه العبارة . وقد
سبق بتخطئها اليازجي ؛ فهو يقول في لغة
الجرائد ٩٠ : « ويقولون : غصن يانع أي
نضير أو رطب ، وكذا زهرة يانعة وروض
يانع . ولا يأتي يانع بهذا المعنى ، إنما يقال
ثمر يانع وبنيع أي ناضج ، وقد ينع الثمر
وأيضاً إذا أدركت حان قطافه ، واليانع أيضاً
الأحمر من كل شيء وثمر يانع : إذا لونه .
ومن الغريب أن هذا الوم ورد في كلام
أناس من المتقدمين . وعنهم فيه الحريري
صاحب درة القواص ، قال في المقامة النصيبية
وكان يوماً حامي الوديقة ، يانع الحديقة ؛
وفسر الشريشي يانع الحديقة بقوله : ناعم
الروضة . وجاه الشريشي أيضاً في خطبة
شرحه . ولم يزل في كل عصر من حملته بدر
طالع ، وذهب غصن يانع . ومن كلام القاضي
شهاب الدين بن فضل الله : حتى تدفق نهره ،
وأيضاً زهره ، ورواه صاحب قوات الوفيات
وقال الصفدي :

عرو لود :

وهذه العبارة أسكرها أيضا إليازجي ، فهو يقول في لغة الجرامد ٢٨ : « ويقولون : عرو لود ، وهو ألد أعداء فلان ، يريدون باللدود : الشديد العداوة ؛ وهو خلاف المعروف في استعمال العرب ؛ لأن اللدود عندم : الذي يغلب في الخصومة ، يقال : لده يلده فهو لادله ، وهو رجل لود . ويقال : خصم ألد إذا كان شديد الخصام لا يذعن للحجة ومأخذه من اللديد ، وهو صفحة العنق ؛ لأن الخصام ينصب ليديه عند الخصام . »

وقد تعقبه الأمير شكيب أرسلان في مجلة المشرق فقال : « يظهر أن اللد من الصمات التي قد يتصف بها المسدود ، ويتبعه الحق والحق وما أشبه ذلك . قال الشاعر - وهو ربيعة بن مقروم العنبي - :

وألد ذئ حنق على كأنما

تغل عداوة صدره في مرجل
فإذا كان يقال : ألد ذو حنق فكيف يمتنع أن يقال : عرو ألد ! »

النجم :

اشتهر استعمال النجمة في غير النيرين - الشمس والقمر من الكواكب . والصواب

النجم ، وجمعه الأنجم والتجوم . فأما النجمة فواحدة النجم مقابل الشجر ، وهو ما لاساق له من النبات . وقد حمل عليه قوله تعالى : والنجم والشجر يسجدان ، في أظهر الأقوال . وقد يقال النجمة للنبات الصغيرة ، وهو من المعنى السابق .

الساقية :

الساقية في اللغة : نهر صغير ، كما في القاموس واللسان . وفي المصباح : « ويقال للقناة الصغيرة ساقية ؛ لأنها تسقي الأرض . » ويقول أبو الطيب المتنبي في مدحه لكافور الإخشيدي :

قواعد كافور توارك غيره

ومن قصد البحر استقل السواقيا
وفي جمعات الأساس : « من لقي جالينوس استجمل الزواقي ، ومن قصد البحر استقل السواق . »

واشتهرت الساقية في حرف الناس في أداة يرفع بها الماء يديرها الحيوان لسقي الأرض . ويقال لها في العربية الناصورة والدولاب . وفي الناصورة يقول الشاعر (١) :

وناصورة قد ضاعفت بنواحيها

نواحي وأجرت مقلتي دموعها
وقد ضعفت بما تنن فقد غلت

من الضعف والشكوى تعدلوعها

(١) انظر مطالع البدور ٤٢/١ .

محمد بن يحيى الدين) في قصة قوم كانوا في سجن
بعض الأتراء ، فرأى أبو جمعة بن علي
الثلاثي الجرائمي منهم كأنه قائم على ساقية
دائرة ، وجميع قواديسها يصب في تقيير
في وسطها ، وجاء في حسن المحاضرة ٢/٢٢٩
في الكلام على بركة الحبش : « وفي سنة إحدى
وأربعين وسبعمائة أمر الناصر بن قلاوون
بحفر خليج من النيل (عند) حائط الرصد
ببركة الحبش ، وحفر عشر آبار كل بئر
أربعون ذراعاً يركب عليها الموائى ليجري
الماء منها إلى القناطر التي تحمل الماء
إلى القلعة » .

وجاء في عبارة نفح الطيب وعبارة صاحب
بدائع البداهة ذكر القواديس - وهي جمع
القادوس - لأوعية الساقية التي تغترف
الماء من البئر فترفع إلى الخوض أو القناة .
وهذا مما حرفته العامة عن سننه ، وصوابها
الأقداس جمع القدس ، بالتحريك . وهذا
الانحراف قديم به عليه الزبيدي الأندلسي
في كتابه « ما تلحن فيه العامة » . فقد جاء
فيه - على ما نقله عنه الصفدي في كتابه
« تصحيح الصحيف » - : « ويقولون لبعض
الآنية : قادوس ، ويجمعونه على قواديس ،
والصواب قدس واجمع أقداس . وقال
أبو إسحاق الزجاج : إنما سمي السطل قدساً
لأنه ينظرب به ويتوضأ منه والقدس : الطهر .
وكانت وفاة الزبيدي سنة ٣٧٩ هـ

وفي الدولاب^(١) يقول مجير الدين بن تميم :
تأمل تر الدولاب والنهر إذ جرى
ودمعهما بين الرياض غزير
كأن النسيم الرطب قد ضاع منهما
فأصبح ذا يجرى وذاك يدور
وفي هذا الكتاب ١/٤٠ عن صاحب
بدائع البداهة : « مررنا في بعض العشايا
على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل ،
فرأينا بئراً عليها دولابان متحاذيان قد دارت
أفلاكهما بنجوم القواديس ، ولعبت بقلوب
ناظرهما لعب الأمانى بالمفائيس » .

واستعمال الساقية في معناها المعروف قريب
في العربية ؛ لأن الناعورة سبب في سقي الأرض ،
فن القريب إسناد السقى إليها على حد المجاز ،
كما أسند إلى القناة في الاستعمال القديم ،
أو ذلك لأن الناعورة تصب في القناة التي هي
الساقية ، فكانت بسبب منها ، خلج على الآداة
اسم الساقية لهذه العلاقة والمناسبة . وجاء
في تاج المروس بعد عبارة القاموس التي سبق
التنويه بها : « والآن يطلقونها على ما يستقى
عليها بالسوائى : والسوائى جمع السانية ،
وهو البئر ونحوه يسنى عليه أى يستقى
من البئر ونحوها .

وقد جاءت الساقية في معناها المعروف
اليوم في نفح الطيب ٧/١٦٦ (بتحقيق الشيخ

(١) مطالع البدر ١/٤١ .

العفشة ، العفاشة ، العفشي :

تطلق العفشة في لسان العامة على ما في كرش الحيوان من أمعاء وكبد وطحال وما إلى ذلك : يقول الفائل : اشتربت عفشة الخروف ، وقد بدالى أن أصل العفشة المعجج وهو الحمى والمصير ، وجمعه الأعفاج ، وقد قلبت الجيم في المعجج شيئاً ، ومن العرب من يقرب الجيم من الشين ، ويصير سيويه عن هذا الحرف بالجيم القرية من الشين ، وهو نطق أحراب اليوم ، فليس بعيداً من العامة إبدال الجيم شيئاً ، والجيم والشين متقاربان في النخرج ، كما هو معروف ، وقد قيل في الشماخة للشجب يعلق عليه الثياب : إن أصلها الجماعة ؛ لأنها تجمع ما يعلق عليها ، وقد زيدت التاء في العفش لتأنيث اللفظ ، وأطلقت العفشة على الأمعاء وما يحل معها في بطن الحيوان .

وعندى أنه جاء من العفشة بمعناها السابق العفاشة للقدارة والدفنس ؛ إذ كانت الأمعاء بما يستقدر ويتقرر منه ، لها فيها من الروث وجاء من هذا رجل عفش للقدرة والحديث . على أنه جاء في اللغة العفش للجمع ، يقال : عفش الشيء : جمعه ، ويقال من هذا قوم عفاشة - بضم العين - لا خير فيهم ، كأنهم جمعوا من هنا وهناك ليس لهم أصل يجمعهم

فهم أخلاط ، كما يقال في العامة : لماسة . فقد يقال : إن العفاشة - بضم العين - أخذ منها الحقارة والخوان ، وما يتبع ذلك من القذارة ، فجاءت العفاشة - بفتح العين - وجاء من هذا رجل عفش ، ولكن التخريج الأول أسوغ وأظهر .

وهناك في العامة العفش لمتاع البيت وأثاثه وما يدخل في هذا المعنى ، وهذا أصله الخفش ويجمع على الأحفاش ، وجاء في القاموس أن أحفاش البيت قشاه ووزال متاعه . والقماش : ما على وجه الأرض من قنات الأشياء ، والعين والحاء يقبضان ، يقال : بعثر المتاع وبحثره ، وضبت الخيل وضبحت ونزل بحراء وحراء أى قريباً منه .

تعال عاد :

تجرى هذه العبارة وأمثالها في بعض قرى الصعيد ، يأتون بكلمة (عاد) صلة في الكلام وكأنما يريدون : تعال إذن . ويقولون : في طلب الاكتفاء بأمر : بزيادة عاد ، أى حبك أو نحو هذا .

وقد كنت بحث عن أصل هذه الصلة فلم أجد لها إلى تخريج ولا أولية ، حتى وقفت على أن (عاد) كانت في لسان أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري ، فوفر في نفسي أنها انتقلت من الأندلس إلى بلاد المغرب ،

الحديث إلى تأكيد هذا الخبر ، وكأنه أمانة الإصرار على الخبر أو الطلب ، ولكن الأقرب ما ذكرت أولا .

فخره بعبد :

يقولون : جاء بعبله أى غير معنى بهندامه ويزنه ، ولا متنوق . ويقولون : خذ هذا الشيء بعبله ، أى كاهو ، على علته . والعبل - كما في القاموس - : كل ورق مفتول غير منبسط ؛ كورق الطرف ، وثمر الارطى أو هدبه إذا غلط وصلاح أن يدبغ به أو الورق الدقيق ، وحاصله : أن العبل الورق . ويبدو لي أن مأخذ العبارة المشهورة أن الشجر أو الزرع إذا بق بورقه ولم يشريف كان أدنى إلى التشعث ، وقد يفسد الزرع حينئذ فيدخله الدخول والمعاب . وفي القاموس : « شريفه : قطع شريافته » . وفيه : « والشرياف - كجربال - : ورق الزرع إذا طال وكثر حتى يخاف فسادة فيقطع » . فإذا قطع ورق الزرع أو الشجر كان ذلك آية تهذية وتجويدة . وإذا لم يقطع كان آية إيماله وراثته ، فمن هذا قيل : جاء بعبله ، وقد يكون العبل محرفا عن العبالة بتشديد اللام وتخفيفها - وهي الثفل والكلفة . يقال : ألقى عليه عبائه فمعنى خذه بعبله أى مكلفته وثقله وعييه .

محمد علي النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية
وعضو المجمع اللغوي

ثم انتقلت إلى الصعيد مع المفاربة الذين كانوا يهاجرون إلى مصر ، وقد كان أكثر ما يذرون بلاد الصعيد لمصافيتها لبلادهم ، ولا يزال كثير من أسر الصعيد يرجعون إلى أصل مغربي .

وقد أنبأنا بشأن (عاد) عند الأندلسيين الزبيدي في كتابه ، ما تلحن فيه العامة ، فقد جاء فيه : « ويقولون : لم أفعل هذا عاد ، بمعنى حتى الآن . والصواب : لم أفعل هذا بعد . وأما عاد فاسم الأمة . وعاد أيضا جمع عادة ، ولا وجه له هنا » .

وقد بدا لي أن (عاد) في قول أهل الأندلس : لم أفعل هذا عاد ، أصلها بعد ، فحركوا العين بالفتح ، وهذا كثير عند بعض الناطقين ، ثم مدوا العين فقالوا : بماد ، وقد نقسل عن أهل الأندلس أنهم يقولون في العنب : العناب ، ثم حذفوا الباء لكثرة الاستعمال فصار عاد . وقد قيل في قول العامة : حيممل كذا : إن أصله : رايح يعمل كذا ، وما هنا أقرب من اختصار (رايح) إلى حاء واحدة .

وإذا كانت هذه الصلة (عاد) في أصل وضعها تأتي مع النفي كما هو ظاهر كلام الزبيدي فقد كثرت فيها التصرف حتى صارت تستعمل مع غير النفي ، كما في قول أهل الصعيد : تعال عاد .

وقد يسبق إلى الذهن أن (عاد) هنا فعل من العود ، فقوله : لم أفعل هذا عاد أى عاد

دراسات لأسلوب القرآن الكريم

للأستاذ محمد عبد الخالق عظيمه

— ١ —

الجمعة إلا امرأة أو مسافر أو عبد أو مريض.

رواه الدارقطني .

(الناس كلهم هالكون إلا العالمون ،

والمسلمون كلهم هالكون إلا العاملون ،

والمخلصون كلهم هالكون إلا المخلصون ،

والمخلصون على خطر عظيم) . شرح الرضى

للكافية ٢٢٧ / ١ فماذا صنع النحويون

في هذا المسموح .

جمهور النحويين لا يحيز إبدال المستثنى

من المستثنى منه في الموجب وإنما يحيز ذلك

في المنق وقد عرض سيويه في كتابه ٣٦٩ / ١

لتعليل هذا الحكم قائلا: إن الإبدال إنما يجوز

إذا صلح البديل لأن يحل محل المبدل منه وهذا

إنما يصلح في النقي لا في الإثبات .

وكن اعتياد النحويين بسد سيويه على

ما ذكره في كتابه ظالما في كتابه المقتضب

والكامل يذكر هذا الحكم وحده وكالدين

الأنباري يفعل ذلك في كتابه أسرار العربية

٢٠٦ وغيرهما من المتأخرين

والزحشرى يؤول الفصل المثبت بفعل

منفي في قوله تعالى : « فشرخوا منه إلا قليلا ،

في قراءة من رفع قال أى لم يطعموه هكذا

المستثنى التام الموجب يجب نصبه وقد

قرئ في الشواذ برفع المستثنى في قوله تعالى :

« ثم توليتهم إلا قليلا منكم » . شواذ ابن

خلويه ٧ البحر المحيط ٢٨٧ / ١ .

« فشرخوا منه إلا قليلا منهم » . ابن خلويه

١٥ - شواهد التوضيح ، والتصحيح لابن

مالك ٤٣ البحر المحيط ٢٦٦٢

« فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ،

ابن خلويه ٤ .

« فلولا كانت قرية آمنت فنفخها إيمانها

إلا قوم يونس » . البحر المحيط ١٩٢ / ٥ .

« فلولا كان من القرون من قبلك أولو

بقية بنهون من الفساد في الأرض إلا قليلا

من أنجيناه » . البحر المحيط ٢٧١ / ٥ .

وكذلك جاء رفع المستثنى التام الموجب

في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله :

(كل أمتي معاني إلا المجاهر) رواه

البخارى .

(أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم)

رواه البخارى .

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه

فيه بعض أحاديث البخاري ، وخرج المرفوع على أنه مبتدأ ثم قال :

ولا يعرف أكثر المتأخرين من البصريين في هذا النوع إلا النصب وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء ثابت الخبر وعذوفه .

والرضي يخرج الحديث الرابع على أن إلا صفة .

ويخرج قراءة الرفع في الآية : « فتربوا منه إلا قليل » .

على تأويل الفصل المثبت بفعل منى كما صنع الزعزري .

وأبو حيان خرج الرفع في الآية على أن إلا صفة ورد على من أول الفعل المثبت بفعل منى كما رد إعراب ابن مالك له مبتدأ بقوله وهذه أطاريب من لم يمين في النحو .

ينظر البحر المحیط ١ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٦٦/٢ .

وقد خرج أبو حيان في البحر الرفع بعد لولا التحضيضية في الآيتين السابقتين على البديله لأن التحضيض يتضمن النفي وهو مذهب للفراء ينظر معاني القرآن للفراء

١ - ١٦٧ .

وقد جمع كل هذه التحريجات ابن هشام في المغن ٢/٧١ - ١٨٩ .

لجأ إلى التأويل ، وقد أجاز الإبدال في الاستثناء التام المثبت في غير الآيات المذكورة .

أجاز في قوله تعالى : « إنني براء عما تعبدون إلا الذي فطرنى » . أن يكون الذى بدلا من المجرور بمن .

وأبو البقاء العكبرى في إعراب القرآن يمنع الإبدال في الآية « ثم توليتم إلا قليل منكم » بالرفع وجعل المرفوع فاعلا لفعل محذوف تقديره امتنع أو مبتدأ والخبر محذوف أو توكيدا للضمير المرفوع ، ويقول سيويه يسميه نعتا .

إعراب القرآن للعكبرى ١/٢٧ .

صحیح أن سيويه يسمي التوكيد صفة كما ذكر ذلك في كتابه ١/١٤٠ ، ولكن من أى أقسام التوكيد يكون ذلك ، على أن العكبرى قد أجاز البديله في آيات أخرى .

قال في قوله تعالى : « ولا تزال تطلع على خاتمة منهم إلا قليلا منهم » . ولو قرئ بالجر على البذل لكان مستقيما . العكبرى ١ - ١١٩ . وكذلك قال في قوله تعالى : « وحفظناها من كل شيطان رجيم » ، إلا من استرق السمع » . العكبرى ٢ - ٣٩ .

أما ابن مالك فقد عقد في كتابه شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح بابا لرفع المستثنى التام الموجب ٤١ . ذكر

المنقطع ومثل له بآية من القرآن وهذه هي الآيات التي أجاز النحويون فيها الوصف يالا « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، « والذين يرمون أدواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم » .

« وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع » .

« الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » .

« وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إني برأء مما تعبدون إلا الذي خلقني فإنه سديد » .

« الذين يحتفون كباثر الإثم والفواحش إلا اللئيم » .

— ٣ —

يترجح إتباع المستثنى للمستثنى منه في الاستثناء التام المتني المتصل عند النحويين وكذلك وقع في القرآن .

وقد قرأ ابن طاهر من السبعة قوله تعالى « ما فعلوه إلا قليلا منهم » نصب قليل .

وقد قرأ خمسة من السبعة قوله تعالى : « فأمر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمر أنك » .

نصب التاء في قوله إلا أمر أنك وقد خرج هذه القراءة بعض النحويين على أن الاستثناء من قوله فأمر بأهلك حتى لا يجتمع أكثر

السبعة على الوجه المرجوح .

وفي كتاب سيويه ١ / ٣٦٣ حدثنا بذلك يونس وعيسى جميعا أن بعض العرب الموثوق

ونقل السيوطي في الجمع ٢ / ٢٢٥ أن الإتيان في الاستثناء التام الموجب لغة ، وألف ابن عمار المالكي رسالة سماها التاج المذهب في رفع المستثنى من الموجب :

— ٢ —

عقد سيويه في كتابه ٣٧٠ / بابا عنونه بقوله :

هذا باب ما يكون فيه إلا وما بعدها وصفا . ذكر فيه أمثلة وشواهد يصح في بعضها الاستثناء ولا يصح الاستثناء في بعض آخر .

وفيها التام المثبت والتام المتني غاية الأمر أن الموصوف في كل هذه الأمثلة والشواهد نكرة .

والجهد في المختضب ٤٧٦ صرح بأنه ينعت يالا ما ينعت بغير وذلك النكرة والمعرفة التي بالآلف واللام على غير معهود .

وابن الحاجب شرط للوصف يالا تعذر الاستثناء ثم قال وهذا مذهب المحققين . شرح

الكافية لابن الحاجب ٤٧ وابن يعيش في شرح المفصل ٢ / ٨٩ — ٩٠ — شرط

لوصف يالا صلاحية الكلام للاستثناء وأن يكون الموصوف نكرة أو مفعلا بالجنسية .

وبنقل أبو حيان أن الوصف يالا يخالف سائر الأوصاف فيوصف بها النكرة والمعرفة

والمضمر وغيره البحر ٢ / ٢٦٧ وكذلك ينقل السيوطي في الجمع ١ / ٢٢٩

وفي البرهان للزركشي ٤ / ٢٢٩ أن الوصف يالا يكون في الاستثناء المتصل وفي الاستثناء

- بعبريته يقول : ما مررت بأحد إلا زيدا
وما أنا في أحد إلا زيدا .
- وفي آيات كثيرة أجاز المعبود أن يكون
المستثنى منصوباً على الاستثناء أو تابعاً
للمستثنى منه وذلك في المستثنى الذي لا تظهر
عليه حركة الإعراب كقوله تعالى :
- « ومن يرض عن ملة إبراهيم إلا من
سفه نفسه، المكبري ٢٦/١ البحر ٣٩٤/١ .
- « ولم عذاب واصب إلا من خطف
الخطئة، البحر ٣٥٣/٧ .
- « ليس لم طعام إلا من ضريع ،
المكبري ١٥٣/٢ البحر ٤٦٢/٨ .
- في كلمة التوحيد لا إله إلا الله :
- يرى الرضى أن النصب على الاستثناء فيها
أضعف منه في نحو لا أحد فيها إلا زيد ؛ لأن
العامل وهو خبر لا محذوف وكذلك يرى
أبو حيان .
- وفي كليات أبي البقاء لم يأت في القرآن فيها
غير الرفع .
- جاء تكرير حرف الجر مع المستثنى عند
الإبدال في قوله تعالى :
- « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ،
الاستفهام كالتنقي في الاستثناء التام المنقضي وقد
جاء في القرآن في آيات كثيرة كقوله تعالى .
- « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا
من سفه نفسه .
- « ومن يغفر الذنوب إلا الله . .
- « ومن يفتن من رحمة ربه إلا الضالون .
- « فإذا بعد الحق إلا الضلال . .
- « كيف يكون للشركين عهد عند الله
وعند رسوله إلا الذين عاهدتم . .
- كما جاء بعد النهي في آيات كثيرة
النساء - ٢٩ - ٩٠ - هود - ٨١
المنكوت - ٤٦ .
- جاء الاستثناء التام المنقضي في القرآن بعد
هذه الأدوات من أدوات النفي
لا النافية للجنس وغير النافية للجنس
ما - لن - لم - ليس
- تميز تميز في الاستثناء التام المنقضي المنقطع
الإلتصاق وقد جاء ذلك في الشعر وفي بعض
القرائن في قوله تعالى
- « وما لاحد عنده من نعمة تجزي إلا
ابتغاء وجه ربه الأعلى . .
- قرأ ابن وثاب ابتغاء بالرفع على البدل من
موضع نعمته وهي لغة تميم، البحر المحيط ٤٨٤/٨ .
- لا بد أن يتقدم إلا حكم في الاستثناء
التام فلو وجد في الكلام جزء الجملة قدر
الجزء الآخر المحذوف كما في كلمة التوحيد
وكما في قوله تعالى « من كفر بالله من بعد
إيمانه إلا من أكره » إذا أعرب من مبتدأ
في من كفر أي فعليه غضب من الله البحر
المحيط ٥٤٠/٥ .

المواجر التي أقمناها بأيدينا

للأستاذ محمد عبد الله السلمان

الشرعية بالإقليم الشمالي أن تقر طلاق زوجته لأن صورتها نشرت في بعض الصحف ، ونشر بعد ذلك أن المحكمة أقرت الطلاق ..

ومنذ أيام قدم إلى القاهرة مفكر إسلامي ومجاهد عظيم في ميدان المعركة الإسلامية ، وله مؤلفات تدنو إلى المائة ترجم بعضها إلى اللغة العربية ، وحين طلبت من سكرتيره الخاص صورة « فوتوغرافية » ، العالم الكبير اعتذر بأن الرجل لا يحتفظ بصور لأنه يرى الكراهية في التصوير الفوتوغرافي ، ودهشت في صمت .. وكفى ...

ولا زال في المواسم الإسلامية جمعيات دينية متطرفة تنادى بأن وجه المرأة وكفها حورة ، وبأن صوتها حورة ، وبأن خروجها إلى ميدان العمل منكر يأباه الإسلام ، ولو اضطرت إلى لقمة العيش وصون كرامتها وعفتها ، وتتهم هذه الجمعيات نشاط المرأة بالاروق الوطني والترويجية الاستثماري وبحاربة الإسلام . وفي حي الزمالك أرقى أحياء القاهرة شيخ لا زال يفتي في مسجده بأن الصلاة في « البدلة » مكروهة وأن على الموظف أن يدع في حقبة « جلالية » حتى يصل فيها إذا حانت الصلاة . وفي العاصمة أيضا جمعية « شرعية » دابة

منذ شهود وردت رسالة من أحد المسلمين بالبلدان البعيدة إلى أحد المسئولين من علماء الدين ، يقول فيها : « إنه بعيد عن مسقط رأسه بوضع مئات من الأميال حيث تقتضي مصلحة عمله ذلك ، وحاول أن تصحبه زوجته معه فأبى عليها والدها بهذه الصعبة ، فطلب بعد أن وصل مقر عمله صورة « فوتوغرافية » لها تبقى معه بمثابة تذكير له وتسلية في غربته وعاصم من الانحراف الشكلي والموضوعي ، فأبى الوالد أيضاً بحجة أن الإسلام يحرم ذلك وهو يطلب من المسئولين فتوى بحل الصورة « الفوتوغرافية » لإقناعه .

وكان المنتظر أن ترسل الإجابة في كلمات معدودة تقضي بأن الإسلام يحجر التصوير الفوتوغرافي وكفى ، ولكن الإجابة أرسلت في أكثر من صفحتين عرض فيها آراء الفقهاء المتأخرين في التصوير المؤيدين لها والمعارضين ، دون أن تتضمن صراحة وبوضوح ما يقنع الوالد المتزمت ، ومسكين ذلك السائل الذي لجأ إلى علماء الإسلام فلم يجد ما يشفي غلته ، وما شككت لحظة في أنه حين تصله الإجابة ؟ سيصاب بصدمة نفسية وخيبة أمل ومنذ أسابيع طلب أحد المسلمين من المحكمة

كم استنفدت من جهودنا معارك : التوسل ،
ولية النصف من شعبان ، وكرامات الأولياء ،
والخلاف في إسرائ الرسول بالجسد أو الروح
أو هما معاً ، والصلاة على الرسول بعد
الآذان ؟.

وإزاء هذه الجهود ، من من العلماء
المشأخرين - إذا استثنينا القليل المصدود
على الأصابع - من جرى المتقدمين وأصانيفهم
الضخمة التي لازلنا عيالاً عليها . . من أمثال
الغزالي وابن حزم وابن تيمية ؟.

ومن من العلماء المشأخرين من خرج
عن حدود الفقه والتوحيد والسيرة والتفسير ،
إلى الفنون الأخرى . الرياض والفلك والهندسة
والطبيعة والكيمياء والفلسفة ، كما فعل ابن سينا
والحوارزمي والقزويني والبيروني والسكندي
والفارابي ؟.

إن العقليات الإسلامية القديمة لو كانت
تهضم كراهية التصوير « الفوتوغرافي » مثلاً ،
ولو أنها شغلت بتوافقه الأمور ،
ولو أنها فهمت أن الدنيا للكفرة ، والآخرة
للمسلمين ، لحرمت الإنسانية هذا التراث العلي
الضخم الذي تركته . والذي ياركة خلفاء
المسلمين وأئمتهم ..

فالحضارة بلغت أقصاها باسم الإسلام
في بغداد ، ودمشق ، وقرطبة ، وغرناطة ،
والقيروان ، وتلسان ، وسمرقند والقاهرة ..
والعلوم الإنسانية على اختلافها أسهم فيها
بأوفى نصيب علماء مسلمون ..

في إنشاء المساجد الشرعية حتى إنها أنشئت
في قرية أكثر من عشرة مساجد شرعية ،
والمسجد الشرعي في نظرهما يجب أن يكون
بدون مثذنة ومحراب ، وأن يكون منبره
ثلاث درجات بدون جدار ، والصلاة لا تجوز
إلا في هذه المساجد الشرعية التي تخيلتها عقلياتها .
وإزاء هذا التزم البغيض يسوع لنا
أن نقسال :

لم هذا الإعراض عن الإسلام حتى لم يعد
لثقافته كيان في نفوس المسلمين فضلاً عن ضمير
المسلمين ؟؟

لم هذا التفریط في ثقافة الإسلام حتى لم يعد
عقيدة تتماثل في قلوب الشباب كما تتفاعل
الثقافات الأخرى الفنية .. ؟؟

لم لم نسمع بأن المجلس الأعلى لرعاية الفنون
قد رصد جائزة للبحوث الإسلامية كما رصد
الجوائز للبحوث الأدبية والعلمية وما إليها ؟؟
أليس للإسلام ثقافات واضحة المعالم
والحدود والأهداف ؟؟

والإجابة عن هذا التساؤل أوضح
من أن توضح ... ودليل وضوحها هذا التزم
الذي يعاني الإسلام منه الكثير . .

إن لدينا علماء إسلاميين ، ولكن الكثرة
منهم إذا اشتغلت بالثقافة الإسلامية في حدود
الشكليات التي لا تتصل بالثقافة الأصيلة
للإسلام ، وإذا لم تشتغل وقفت بالمرصاد لكل
رأى جرى . تهمة إما بالإلحاد ، وإما بصك
بالاستعمار الأجنبي .

وهذه هي العقليات الإسلامية المتحررة التي خدمت الإنسانية باسم الإسلام، ولكن عقليات متزمتة خلفتها، تزعم أن الإسلام دين غير منحصر، لا يعنى إلا بالتوحيد والفقه والتفسير.

إن سيكار، أحد المبشرين الفرنسيين في المغرب ألف منذ ربع قرن كتابا ضد الإسلام يتهمه بالجمود وعدم الأخذ بأسباب الرقي والحضارة وحرمانه من المدنية، ولم يستند في هجومه إلا على العقليات المتزمتة وفي مقدمتها عقليات الطرق الصوفية، التي تحاول أن تربط المسلم بالآخرة وتزعمه في الدنيا، وقد ودعاه في المنار أمير البيان وشكيب أرسلان، فقد مزاعمه وأباطيله. العرب المسلمون فتحوا الدنيا في نصف قرن

كما قال قابليون، لأنهم كانوا يفهمون أن الإسلام يربط المسلم بالأرض قبل أن يربطه بالسما، ويربطه بالدنيا قبل أن يربطه بالآخرة، ونحن في عهد القنبلة الذرية، وغزو القمر، لازلنا باسم الإسلام تناقش الصورة والفوتوغرافية، أحلال هي أم حرام، أجازة هي أم مكروهة، ثم نشكو تخلف الشعوب والدول الإسلامية عن ركب الحضارة والمدنية. ونشكو تخلف الثقافة الإسلامية عن ركب الثقافات الأخرى المتحضرة، وتجاهل أننا نحن الذين نقيم حاجزا بأيدينا بين الإسلام والحياة...

محمد عبد الله السمان

فالخوارزمي بتكليف من الخليفة المأمون كان أول من وضع علم الجبر...

وكان الكندي أحد اثني عشر هجريا في العالم.. كما يقول كار دانو، وقد ألف حوالي ٢٣٠ كتابا عدا رسائله في المعادن والجواهر...

وكان جابر بن حيان من ألمع علماء الكيمياء العالميين...

وكان البيروني أعظم عقلية في التاريخ كما يقول شاو، أحد علماء الغرب.

وكان البنانى أحد عشرين فلكيا مشهورين في العالم...

وكانت كتابات ابن الهيثم في الضوء هي التي أوحى باختراع النظارات كما اعترفت بذلك دائرة المعارف البريطانية.

وكان الدينور صاحب مؤلفات ضخمة في شتى العلوم، وله في القرآن مؤلف في ثلاثة عشر مجلدا.

وكان ابن سينا صاحب مؤلفات عديدة في كل شيء، وكتابه الشفاء في ثمانية عشر مجلدا في المنطق والطبيعة والفلسفة والموسيقى...

وكان الغرر الرازي حجة في المنطق والفلسفة والهندسة وتفسيره للقرآن من الشهرة بمكان...

وعلماء العرب المسلمون القدامى قد أسدوا جليل الخدمات إلى هذا العلم، الذي تتجلى لنا فيه عظمة الابتكار الإسلامي: كما يقول الدكتور ماكس ماير هوف...

حكم الاجتهاد في تقدير الشريعة الإسلامية للأستاذ عباس طه

يمارسونه من أعمال ليخرجوا بها على مجتمعنا الإسلامي الحبيب كعلاج يداوون به ناحية من نواحي هذا المجتمع المتعلقة بأحواله الشخصية في ذات الإنسان .

١ - قال حجة الإسلام الإمام الغزالي :
(١) في المنحول : الاجتهاد ركن عظيم في الشريعة لا ينكره منكر ، وعليه حول الصحابة بعد أن استأثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم وتابعهم عليه التابعون إلى زماننا ، والغزالي متوفى سنة ٥٠٥ هـ .

(ب) وقال في المستصفى : : إنا نعتقد أن الله سرأ في رد العباد إلى ظنونهم حتى لا يكونوا مهملين ، متبعين الهوى ، مسترسلين استرسال بهم من غير أن يزمهم لحمام التكليف ، فيردم من جانب إلى جانب .

٢ - وقال الإمام النووي في شرح مسلم :
قال تعالى : ولو رددوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم ؛
فلا اعتبار بالاستنباط من أكد الواجبات المطلوبة ؛ لأن النصوص الصريحة لا تقي إلا باليسر من المسائل الحادثة ، وإذا أهمل الاستنباط فأت القضاة في معظم الحوادث والأحكام النازلة أو بعضها .

استرعى انتباهنا ما يكتبه صديقنا الأستاذ محمد محمد المدني شيخ كلية الشريعة عن وظيفة الكلية التي برأسها وما تؤديه من أعمال جسام للعالم الإسلامي في المشرق وما تميزت به من سمات فاضلة هي خلق مجتمع إسلامي بعيد الأثر في المبادئ الإسلامية عميق المرامي في النظريات الدينية يحيط بإحكام الروابط في كل ما ينجم عن مناحي الدين وآفاقه في العبادات والمعاملات المنبثقة عن رضى الخالق ورضى المخلوق على السواء - وقد حفزني إلى معالجة هذا الموضوع في ساعتنا القائمة الراحة أن نهم ناهم فيها ينادى بضرورة الخروج على أوضاع اعتبرها السلف الإسلامي والمجتمع الديني جزءاً من الماضي الحبيب . إلى شغاف القلوب غير منفصل عنه ولا سابق عليه - صيحة اصططعت من بينات نائية عن المستويات الدينية نخلت قضاها صفة العلم ثم أطلقت صيحتها في واد غير ذي زرع .

فأكبر رجائنا أن شيخ هذه الساعة وهو الأستاذ الأكبر يعني بتلك الضجة المصطنعة التي اصططنها المغرضون وجعلوها داخلة فيما

التقليد يختلف باختلاف أحوال الناس بما فيهم من آلة الاجتهاد المؤدى إليه أو عدمه ؛ لأن طلب العلم من فروض الكفاية ولو منع جميع الناس من التقليد ، وكلفوا الاجتهاد ، لتعين فرض العلم على الكفاية ، وفي هذا اختلال نظام وفساد فلو كان يجمعهم التقليد لبطال الاجتهاد وسقط فرض العلم ، وفي هذا تعطيل الشريعة وذهاب العلم ، فذلك وجب الاجتهاد عمن تقع به كفاية ، ليكون الباقيون تبعاً ومقلدين ، قال تعالى : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » . فلم يسقط الاجتهاد عن جميعهم . ولا أمر به كافةهم .

٤ - وقال الروياني في كتابه البحر :

إنما نهى الإمام الشافعي عن التقليد ليقصر طالب العلم في تعرف وجوه الأحكام ودلائلها ، ثم ينظر فيها لدينه ويحتاط لنفسه .

٥ - وقال الإمام البغوي في كتابه التهذيب : العلم فرض عين وفرض كفاية وبعد أن تمكلم على فرض العين قال : وفرض الكفاية : هو أن يعلم ما يبلغ رتبة الاجتهاد ، وحل الفتوى والقضاء ، ويخرج من عداد المقلدين فعلى كافة الناس القيام بعمله ، غير أنه إذا قام من كل ناحية واحد أو اثنان سقط الفرض عن الباقيين ، فإذا قد الكمل عن عمله حصوا جميعاً لما فيه من تعطيل أحكام الشرع .

٣ - وقال العلامة محمد بن الحسن الحجوي : أصول الفقه كملت في العهد النبوي ، والفروع لا تنتهي أبداً ، لذلك شرع الاجتهاد ٤ - وقال ابن برهان :

قد جعل الله المذاهب دولا ، والآراء توبا ، ولذلك المعنى يحدث في كل زمان مذهب تصنى إليه الأفئدة ، وتميل نحوه الأنفس .

إذنه فما هو حكم الاجتهاد شرعا : قال الإمام الجلال السيوطي :

١ - الاجتهاد في كل عصر فرض من فروض الكفاية ، ولا يجوز شرعاً خلوه العصر منه ونصوص العلماء من جميع المذاهب متفقة على ذلك .

٢ - فقد نقل المزي في مختصره من الإمام الشافعي رضي الله عنه : أنه نهى عن تقليده وتقليد غيره ، ولا يمكن نهى الخلق كلهم عن التقليد ؛ لأن العوام يجوز لهم التقليد بالإجماع ، وإنما نهى الشافعي عن ذلك حتى لا يجمع أهل العصر كلهم على التقليد ؛ لأن فيه تعطيل فرض من فروض الكفايات ، وهو الاجتهاد ، لحث على الاجتهاد ليكون في كل عصر من يقوم بهذا الفرض .

٣ - وقال الإمام الماوردي في الجزء السابع من كتابه الحاوي الكبير : فإن قيل : لم نهى الشافعي عن تقليده وتقليد غيره ، وتقليده جائز لمن استفاد من العامة ؟ قيل :

فلا يشترط الإذن كالحج بل أولى لأنه على الفور وإن كان يطلب رتبة الفتوى وفي البلد مفتون ففيه وجهان والظاهر أنه يجوز بغير إذن .
وقال جلال السيوطي تعليقا على هذا :
انظر كيف جعل رتبة الاجتهاد فرضا وجعله على الفور مقدما على الحج حيث شغل البلد عن المجتهد .
٩ - وقال ابن القصار في كتابه المقدمة وهو من أئمة المالكية :

أقضى أصحابنا بأن العلم على قسمين : فرض عين ، وفرض كفاية وتكلم على فرض العين ثم قال : أما فرض الكفاية فهو العلم الذي لا يتعلق بحالة الإنسان فيجب على الأمة أن تكون منهم طائفة يفقهون في الدين ليكونوا قوة المسلمين ؛ حفظا للشرع من الضياع ، والذي يتعين لهذا من الناس من جاد حفظه وحسن إدراكه وطاقت مجتهده .

١٠ - أما أئمة الحنفية ، والحنابلة فقد نقل ابن الحاجب في مختصره وابن الساعاتي في كتابه البديع أنهم قالوا :
لا يجوز خلو العصر من مجتهد لأن الاجتهاد فرض كفاية ، والخلو منه يستلزم اتفاق الأمة على الباطل .

هل يجوز خلو الزمان من مجتهد ؟
قال الإمام الجلال السيوطي :
نص العلماء على أن الدهر لا يخلو من مجتهد وأنه لا يجوز خلو العصر منه .

٦ - وقال الإمام ابن سرة في كتابه إيجاز القرآن :
لو كان القرآن جميعه جليا محكما لعدم الثواب على الاستنباط ، وسقط حكم الاجتهاد المؤدى إلى شرف المزية ، وعظم المروءة ، ولهذا المعنى لم ينص الله تعالى على حكم جميع الحوادث مفصلا ، بل أبان بعضها ، وذكر أشياء في الجملة وكل بيانها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبان النبي صلى الله عليه وسلم منها ، وكل ما يطرأ منها على العلماء بعده ، وجعلهم ورثته ، والناقلين مقامه في إرشاد أمته إلى حكم التأويل . ولو كان جميع العلم جليا لا يحتاج إلى بحث واجتهاد ، ولا إلى نظر واستنباط لكان في ذلك إبطال الشريعة .
٧ - وقال ابن سرة أيضا في أحكام الموطأ :

إن طريق أقسام الفقه وحدوده ودلائله وتفريعه طريق استنباط وذلك يختلف في الناس على حسب ما أراه الله من تفضيل بعضهم على بعض بقوة الاستنباط وصحة الاجتهاد .

٨ - وقال الإمام الغزالي في كتابه البسيط :
أما سفر الولد للحج بعد الوجوب فإنه لا يتوقف على إذن الوالدين ؛ لأنه واجب متعين ، وأما سفر طلب العلم فإن كان متعينا لما يحتاج إليه فلا يحتاج إلى إذن ، بل أولى من الحج لأنه على الفور ، وكذلك إذا كان يطلب رتبة المجتهدين حيث شغل البلد عن المجتهد

الذى هو فرض كفاية .

٣ - وعلق الجلال السيوطي على عبارة الأستاذ أبي إسحق السابقة فقال : يقول الأستاذ أبي إسحق : كأن الله ألهمهم ذلك ، يشعر بأنه لم يقف له على مستند من الحديث مع أن له مستندا : أخرج أبو نعيم في الحلية عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : « إن الله أجّل على خلقه من أن يخلق الأرض من قائم له بحجة إما ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مستوراً لئلا تبطل حجج الله وبيئاته ، أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً » . وهذا موقوف له حكم الرفع لأن مثل هذا لا يقال من قبل الراى .

٤ - وقال إمام الحرمين في البرهان : إذا خلا الزمان من مجتهد صار كزمان الفترة أى فتمطل أحكام الشريعة ويبطل التكليف .

٥ - ونقل ابن عرفة عن ابن عبد السلام وهما من أئمة المالكية : لا يخلو الزمان من مجتهد إلى زمن انقطاع العلم ، كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وإلا كانت الأمة بجمعة على الخطأ .

٦ - وقال الجلال السيوطي :

أقام الله في الأصصار ، قائماً له بالحجة من الملاء الأحبار ، وضمن حفظ شريعة نبيه المختار ، بطائفة من أمته موعودين بالنصر والإظهار ، وخص شريعة رسوله محمد

١ - فنصبته الخاتبة إلى أنه لا يجوز خلو الزمان من مجتهد لقوله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي طاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) . ورواه الشيخان وغيرهما ، قلوا : لأن الاجتهاد فرض كفاية فيستلزم انتفاؤه اتفاق المسلمين على الباطل ، وذلك محال لعصمة الأمة من اجتماعها على الباطل .

٢ - وقال الإمام الزركشى في البحر : لم ينفرد بذلك الخاتبة بل جزم به أيضاً جماعة من الشافعية منهم الأستاذ أبو إسحق فقد قال : وتحت قول الفقهاء لا يخلو الله زماناً من قائم لله بالحجة ، سر عظيم . وكأن الله تعالى ألهمهم ذلك . ومعناه : أن الله تعالى لو أخل زماناً من قائم بالحجة لزال التكليف ، وإذا التكليف لا يثبت إلا بالحجة الظاهرة ، وإذا زال التكليف بطلت أحكام الشريعة . ومنهم الزبيدي فقد قال في المسكت : لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة في كل وقت وعهد وزمان : لأنه لو فقد المجتهدون لم تقم الفرائض كلها ، ولو بطلت الفرائض لحلت النعمة بذلك في الخلق ، كما جاء في الخبر : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » .

وقد نقل هذه العبارة الزركشى في المحيط وقال : إن وجه ذلك أن الخلو من مجتهد يؤزم منه اجتماع الأمة على الخطأ وهو ترك الاجتهاد

أمة . . . وقله الهندي من الاكثرين ، وبه
جزم ابن شريح في كتاب الودائع فقال :
« وحقيقة الإجماع هو القول بالحق ، فإذا
حصل القول بالحق من واحد فهو إجماع » .

كم يلزم لكل قطر من المجتهدين؟

١ - قال إمام الحرمين في النهاية يقوم
الشرع بالمجتهدين ، ويجب أن يكون في كل
قطر من راجع أحكام الله تعالى ، وقد
قال الفقهاء : يجب أن يستبرأ في هذا مسافة
القصر ، فإذا سكن مجتهد بقعة استقل به من
هو على مسافة القصر منه في الجواب .

٢ - وقال الزركشي في القواعد والبحر :
لا بد أن يكون وجود المجتهد من فروض
الكفاية ، ولا بد أن يكون في كل قطر
من يقوم به الكفاية ، ولهذا قالوا : إن
الاجتهاد من فروض الكفاية .

وهنا يبدو تساؤل من جانب أهل العلم .
هل الاجتهاد وهو فرض كفائي لا يزال
مائلا إلى عصرنا الذي نمش فيه ولا تزال
رسالة مرفوعة اللواء مبسوطة الرواق
قائمة ماثلة ؟

يقيننا أن الاجتهاد ليس متحفظا بمعناه الذي
أفاقت فيه علماء الفروع في أمهات أسفارهم
عما قد تعود إليه في فرجة سائحة إن شاء الله .

عباس طه

بالاستمرار ، كما خص أمته ببقاء المجتهدين
فيها على مرور الأعصار ، ولقد غلب على
الناس الجهل ، فاستعظموا دعوى الاجتهاد ،
وعدوه منكراً بين العباد ، ولم يشعر هؤلاء
الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض
الكفايات في كل عصر ، وواجب على أهل
كل زمان أن يقوم به طائفة في كل قطر .

هل يعتبر في المجتهدين عدد التواتر؟

١ - نقل ابن خزيمة عن الفخر الرازي أنه
قال في المصنوع :

لو بقي من المجتهدين واحد - والعباد بالله
تعالى - كان قوله حجة .

قال الجلال السيوطي : فاستعاضتهم تدل
على بقاء المجتهدين في عصرهم . والفخر الرازي
توفي سنة ٦٠٦ هـ .

٢ - وقال التبريزي في تنقيح المصنوع :
لا يعتبر في المجتمعين عدد التواتر ، فلو
انتهوا - والعباد بالله تعالى - إلى ثلاثة ، كان
إجماعهم حجة ؛ ولو لم يبق إلا واحد كان
قوله حجة ؛ لأنه كل الأمة ، وإن كان ينبو
عنه لفظ الإجماع .

٣ - وقال الزركشي في البحر .
قال الأستاذ أبو إسحق : يجوز أن لا يبق
في البحر إلا مجتهد واحد ، ولو اتفق ذلك
فقوله حجة كالإجماع ، ويجوز أن يقال
للوحد أمة كما قال تعالى : « إن إبراهيم كان

ظاهرة التفخيم بين الفصحى والعامية

للدكتور تمام حسان

المذكورة جميعا . ومن هنا جاءت التثنية والطمطائية والكشكشة والعننة وهلم جرا ، كما جاءت الإمالة والتسهيل وغيرهما .

ولستطيع أن نقس موقف القبائل العربية المختلفة في صيغ نطق الفصحى بصيغة لهجاتها العامية على موقف العرب المعاصرين حين يفعلون ذلك . فنحن إذ نسمع اللغة الفصحى على ألسنة المغاربة وأبناء الإقليم الجنوبي وأهل الشام وأبناء الجزيرة والعراقيين والسودانيين نستطيع بشيء من التأمل أن نرد ألفاظها الفصيحة إلى الإقليم الذي جاء منه من ينطقها . فالجيم الفصيحة في يومنا هذا حرف شمي على ألسنة العراقيين وبعض أهل الصعيد ، وحرف قرى هند غيرهم من العرب . ويمكن تحقيق ذلك بالاستماع إلى إذاعة بغداد ، أو إعطاء نص أدبي لأحد أبناء العراق ليقرأ بصوت مسموع ، والجيم نفسها تختلف في نطقها على ألسنة العرب في أقاليمهم المختلفة بين التمليط والإرواء ، وتستطيع أن تطلب إلى خليط من أبناء الأقاليم العربية المختلفة أن ينطقوا بصوت مسموع قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل

بحلو لكثير من الناس أن ينتقصوا من خطر دراسة اللهجات العامية المعاصرة ، ويرون الاهتمام بهذه الدراسة ضربا من مزاحمة الفصحى والانصراف عنها ، أو نوما من أنواع الترف العقلي الذي لا طائل تحته ، إن لم يكن عبثا لا يقره عرف ولا مصلحة . الحق أن دراسة اللهجات العامية ليست جديدة على علماء العربية ، فقد فطن الأقدمون من جلة العلماء إلى أن اللغة العربية الفصحى كانت تتأثر في نطقها ونظامها الصوتي بالعاميات القبلية ، وكان من المعروف معرفة لا تحتاج إلى بيان أن العربي بين أهله وأبناء عجمته لم يكن يتكلم تلك اللغة الفصحى الأدبية التي ندرسها الآن في بطون الكتب ، وإنما كان يتكلم لهجة خاصة بقبيلته ، بينها وبين الفصحى رحم ونسب ، ولكن بين هذه وتلك في نفس الوقت وجوه خلاف من الناحية الصوتية النطقية ، ومن نواحي الصرف والنحو ومفردات المعجم . حتى إذا ما أراد صاحب هذه العامية القبلية أن ينطق باللغة الفصحى المعهودة قبل ذلك وهو واقع تحت سيطرة عاداته القوية في تلك النواحي

فإذا كان نطق الفصحى في القديم والحديث مرحلة نفوذ اللهجات العامية ، فلا أرى وجها لموقف الذين ينتقصون من خطر دراسة اللهجات العامية ؛ ذلك بأن دراسة هذه اللهجات دراسة مستفيضة تفتح لنا آفاقا جديدة في فهم الظواهر المختلفة في اللغة الفصحى التي هي رباط القومية العربية ، ولغة الكتاب الكريم .

وأود الآن أن أوضح الفرق بين نظام التفعيم في اللغة الفصحى وبينه في لهجة عامية معاصرة هي لهجة الكركك بمديرية قنا ، وهي ليست الكركك الشهيرة بآثارها بمركز الأقصر وإنما هي قرية أخرى إلى الشمال منها بقرب فرشوط ، وترتبط مع عدد كبير من القرى المحيطة بها برباط الانتماء إلى قبيلة القليعات من قبائل هواره ، تلك هي القرية التي نشأت فيها ، وأثبت منها ، ولا أزال أنتمسب إليها . والتفعيم أثر صوتي في النطق ناشئ عن تكيف تهويف الفم بكيفية خاصة باعتباره حجرة رنين ، ويحدث هذا التكيف نتيجة لرفع مؤخر اللسان أثناء النطق حتى يقرب من الجزء اللحمي المتحرك من سقف الفم ، وهو الذي أسميه « الطبق » . ذلك أن سقف الفم مكون من ثلاثة أجزاء هي : اللثة أو مغارز الأسنان في المقدمة ، والنافر أو الجزء العظيم من سقف الفم وهو يوجد فيها يتلو اللثة إلى

من قلين في جوفه ، ؛ إنهم إذا لم يكونوا قد تمرسوا بأساليب القراء والمجودين لمستمع هذه الآية منهم وقد اختلف نطق جملتها اختلافا كبيرا ؛ إذ ينطقها القاهري شديدة مرواة على حسب لهجته ، وينطقها الدمشقي رخوة ظاهرة التعليل ، كما لو كانت شيئا مجرورة ، وينطقها الصعيدى والسوداني مركبة من عنصرى الشدة والرخاوة إذ تبدأ شديدة وتنتهى رخوة معطشة ، ولم جرا .

ونستطيع أن نستبين مثل هذا الاختلاف في تفعيم الحروف وترقيقها في نطق الفصحى بحسب العادات النطقية العامية ، حين يتكلم عدد من أبناء الأقاليم المختلفة بعبارة معينة ، ولو أطينا عبارة « اتفاقية الهدنة » للذيعين بإذاعة القاهرة لراعنا اختلافهم فيها تفعيما وترقيقا ، ولوجدنا أن مديعا كالسيد نبيل بدر مثلا يفعم الماء في هذه العبارة تفعيما واضحا ، على حين يختلف الآخرون في ترقيقها بين الاعتدال والتطرف ، وإن طريقة نطق نبيل بدر من ناحية التفعيم والترقيق لتذكرني بنطق أستاذنا السباحى ييوى ، مما يجعلنى أرجح انقسامهما إلى إقليم واحد ، ولهجة واحدة من لهجات مديرية الغربية ، ونستطيع كذلك أن ندرك اختلاف العرب في نطق المصحى بالنسبة للكلمات المنتهية بتاء التانيث إذ يختلفون في الفتحة التي قبل هذه التاء بين الصراحة والإمالة .

والإراء المضمومة أو المفتوحة مطلقا في أكثر الروايات ، والساكنة في بعض الأحوال ، كما سيأتى تفصيل ذلك في بابها إن شاء الله تعالى . والحروف المستعالية كلها مفتحة ، لا يستثنى شيء منها في حال من الأحوال .

ويقول عند ذكر حروف الاستعلاء في ص ٢٠٢ من نفس الجزء : « وهى سبعة يجمعها قولك : فظ خص ضغط ، وهى حروف التفتيح على الصواب . وأهلها الطاء ، كما أن أسفل المستغلة الياء . وقيل حروف التفتيح هى حروف الإطباق ، ولا شك أنها أقواها تفتيحاً . »

ويمكن عند النظر في هاتين المبارتين من عبارات ابن الجزرى أن نستخلص ما يأتى :
١ — أن التفتيح فى اللغة العربية الفصحى مرتبط بحروف معينة ، وفى كل موقع تقع فيه هذه الحروف ، وتلك هى حروف الاستعلاء .
٢ — أن بعض الحروف المستغلة كالراء واللام قد تستعمل فى بعض المواضع فيلحقها التفتيح ، ومفهوم أن الاستعلاء يكون برفع مؤخر اللسان أثناء نطقها .

٣ — أن التفتيح يقع فى درجتين على الأقل : إحداهما أقوى ، وهى درجة تفتيح الحروف المطبقة ، والثانية قوية ، وهى درجة تفتيح الحروف الثلاثة الطيبة .

الخلف ، ثم الطبق وهو الجزء اللحمى الذى يلى الفار وينتهى بالهاء ، وكل ارتفاع فى مؤخر اللسان المقابل للطبق يسمى « استعلاء » عند علماء التجويد ، ثم إن هذا الاستعلاء إلى الطبق لا يخلو من أن يكون إما نطقا فى مخرج الطبق وإما إطباقا ، فإذا بلغ اللسان فى ارتفاعه الطبق ولصق به فهذا نطق فى مخرج الطبق أى المخرج الذى كان علماء التجويد يسمونه « أدنى الخلق إلى الفم » ، وهو مخرج الغين والحاء ، ثم يقع مخرج القاف خلفهما فى الهاء . أما إذا لم يصل ارتفاع مؤخر اللسان إلى حد الالتصاق بالطبق ، وكان مخرج الصوت فى مكان آخر غير الطبق فذلك هو الإطباق وهو صفة الصاد والصاد والطاء والطاء ، ولما كان مفهوم الاستعلاء قاصرا على حالتى الإطباق والنطق فى مخرج الطبق ، كانت الأصوات المستعالية فى اللغة العربية هى الأصوات المطبقة والأصوات الطيبة ، وكل ما عدا ذلك فهو من الأصوات المستغلة لا المستعالية .

يقول ابن الجزرى فى الجزء الأول من كتاب النشر فى القراءات العشر ص ٢١٥ : « فاعلم أن الحروف المستغلة كلها مرفقة لا يجوز تفتيح شيء منها ، إلا اللام من اسم الله تعالى بعد فتحة أو ضمة إجماعا ، أو بعد بعض حروف الإطباق فى بعض الروايات ،

٣ - خ - ح - ك - ك ، وهى المجموعة التى تخرج من مخرج العلق فى هذه اللهجة ، وطلق الأخير وهو القاف منها كناطق الجيم القاهرية .

٤ - ب ، م ، و ، ف ، ش ، ح ، ع ، هـ وهى مجموعة الخارج القصوى ، حيث تخرج الأربعة الأولى من مخرج شفوى ، على حين تخرج الأربعة الأخيرة من مخرج حلقى أو حنجرى .

٥ - ت ، د ، س ، ذ ، ل ، ن ، ج ، ش ، ي ، ويضاف إليها الكسرة الصريحة والخفظة التى بين الكسرة والفتحة والتى تشبه صوت الإمالة ؛ وتلك هى مجموعة مقدم اللسان .

ونحن نرى من وصف هذه المجموعات بالإطباق والتكرار والطبقة وهلم جرا أن كل مجموعة منها تربطها رابطة عجزية خاصة . والمجموعة الأولى مفخمة دائماً وفى جميع الأحوال ، ولكن كل حرف من حروف

المجموعات الأخرى إنما يلحقه التنخيم أو الترقيق بحسب الموقع . ومن هنا صحت أن نعتبر التنخيم فى هذه اللهجة وغيرها من العاميات ظاهرة من الظواهر الموقعية ، مثله فى ذلك مثل همزة الوصل ، تظهر فى موقع من الكلام ، وتختفى فى موقع آخر فلا تنطق .

وإذ نجد الحروف مقسمة هذا التقسيم لا بد أن تسوق وجود قاعدة تكون وراء

٤ - أن القاعدة العامة فى الحروف المستقلة أن تكون مرفقة دائماً وفى كل المواضع . تلك هى الخطوط العامة للتنخيم فى اللغة الفصحى ؛ أما فى اللهجات العامية فالأمر يختلف عن ذلك تمام الاختلاف ، ولكل لهجة منها نظامها التفضيى الخاص . وتلقى هذه اللهجات جميعاً مع الفصحى فى الالتزام بتنخيم الأربعة المطبقة وهى الصاد والضاد والطاء والظاء . أما الطبقة الثلاثة وهى القاف والغين والحاء فإن حكمها فى التنخيم والترقيق يباين حكم الأربعة المطبقة ، فننخم فى هذه العاميات حيناً وترقق حيناً آخر ؛ وكذلك بقية الحروف يلحقها التنخيم أو يلحقها الترقيق بحسب الموقع .

لقد قلت إننى سأختار لهجة بعينها لمقارنتها باللغة الفصحى من حيث التنخيم والترقيق ، ووعدت بأن تكون هذه اللهجة هى لهجة الكرنك ، أى لهجتى التى نشأت عليها .

إن الحروف فى هذه اللهجة تنقسم بالنسبة لدراسة التنخيم إلى مجموعات خمس ؛ ولكل مجموعة منها سلوك تفضيى خاص يختلف عن سلوك بقية المجموعات ، تلك المجموعات هى :

١ - ص - ض - ط - ظ - وهى المجموعة المطبقة أى التى يرتفع مؤخر اللسان فى نطقها مع أن مخرجها عند مقدم اللسان

٢ - ر ، وهى تكرارية مخرجهما اللثة

مثال ما استوفى شروط التفخيم في الكلمة
بكل حروفها هو الأفعال الآتية :

خمر - قمر - عبر - بتر - نفر -
زمر - ندر .

ومثال ما استوفاهما في الحرفين الأولين :

شرم - برك - فرم - حرك - برق
جرح - شرح - شرح .

ومثال ما فقد فيه شرط التفخيم لأن الراء
متلوة بحرف من حروف المجموعة الخامسة ،
ومن ثم رفقت الراء وما قبلها :

غرز - قرش - جرس - شرد -
هرس - حرث - غرش .

ومثال ما فقد منه شرط التفخيم لأن الراء
مسبوقة بكسرة أو خفضة تشبه الحركة المائلة
غير مسبوقة بحرف من حروف
المجموعة الأولى :

سيرة - خيرة - غيرة - سروال -
ضربال - برباوى ، فإذا سبقت الكسرة
أو الخفضة بحرف من المجموعة الأولى
نحمت الراء نحو : طيرة - صيرة -
فطيرة - ضاظر .

٣ - كل ما سبق حرفا من حروف
المجموعة الثالثة فهو مفخم إلا :

(١) حين يكون أول الكلمة ووسطها
من حروف المجموعة الرابعة أو الخامسة
أو كليهما .

هذه القسمة ، وهو توقع له ما يبرره ؛ لأن
أى تقسيم دراسى لا بد أن يستند إلى سند
من التوافق والتخالف بحيث يكون من
الأقسام المتكاملة نظام عام تعبر عنه القاعدة
المستنبطة من مفردات الاستقراء . هذه
القاعدة هى :

١ - حروف المجموعة الأولى مفخمة
في كل المواقع والأحوال ؛ وكل ما يسبق
حرفا منها في الكلمة فهو مفخم مثله مهما
كانت المجموعة التي ينتمى إليها . فالتفخيم صفة
كل حرف من حروف الأفعال الماضية الآتية
التي ينتهى كل منها بأحد حروف المجموعة
الأولى :

رقص - خبص - خبط - سخط -
هبط - عرض - نقض - لفظ - شفتط
ثم هو صفة الحرف المطبق وما سبقه
في الأفعال الآتية :

وصف - وطن - قطع - سطل -
وطن - حصب - حطن - لطف .

٢ - كل حرف يسبق الراء فهو مفخم
مثله ، إلا إذا سبق بكسرة أو خفضة تشبه
الحركة المائلة ، وهما غير مسبوقة بأحد
حروف المجموعة الأولى ، وإلا إذا كانت
الراء متلوة بحرف من حروف المجموعة
الخامسة . ففي هاتين الحالتين ترقى الراء
وما قبلها .

فإذا كان ثمة حرف من المجموعة الأولى
يقى مفتاحاً مع ما سبقه كما مضى بيان ذلك تحت
قاعدة هذه المجموعة .

من هذا يتضح أن مسلك التنخيم في اللغة
الفصحى غير في العامية وأنا أعتقد أن طريقة
تقسيم الحروف إلى مجموعات تنخيمية هي
طريقة صالحة لأن تتبع في كل اللهجات
العامية في البلاد العربية . وقد جربتها بنجاح
في دراساتي للهجة عدن في جنوب بلاد العرب
ونبت لي أنها صالحة في دراسة لهجة القاهرة .
وإذا كانت هذه اللهجات مجموعة من العادات

النطقية التي تختلف في إقليم عنها في الإقليم
الآخر ، وكانت هذه العادات من التأصل في
نفوس أصحابها والسيطرة على ألسنتهم ، بحيث
تؤثر في لفظهم اللغة الفصحى ، وقرارة القرآن
الكريم ، وإذا كان أسلافنا العرب قد احتفلوا
بأثر هذه اللهجات عند قبائل العرب في كلام
أفرادها باللغة الفصحى ، فسجلوا من طواجرها
ما سجلوا ، فليست أرى حجة لمن قام يهجن
دراسة اللهجات الحديثة العربية ، فكما كانت
دراسة اللهجات القبلية القديمة في خدمة
الفصحى في القديم ، تكون دراسة اللهجات
الحديثة في خدمة الفصحى المعاصرة .

دكتور فحام حسام

أستاذ مساعد بكلية دار العلوم

(ب) حين يكون الوسط حرفاً من حروف
المجموعة الخامسة .

مثال ما استوفى شروط التنخيم الأفعال
الآتية :

رغم - ربح - قع - صبح - فقع -
نمغ - فكف .

ومثال ما كان أوله ووسطه من المجموعة
الرابعة أو الخامسة أو كليهما بأي ترتيب :

مسك - دلق - سلق - نهب -
تلف - سلب - جلب - شلف -
بزق .

ومثال ما كان وسطه من المجموعة الخامسة :

وزع - خلف - غلب - خدم -
كسف - كتب - هدم - ردم .

وهذه الكلمات التي لم تستوف الشروط
مرققة بجميع حروفها .

٤ - إذا انتهت الكلمة بحرف من
حروف المجموعة الخامسة فهي مرققة بجميع
حروفها إلا إذا كان هذا الأخير مسبوقاً
بحرف من حروف المجموعة الأولى إذ يظل
حرف المجموعة الأولى مفتاحاً وينسحب
التنخيم على ما قبله .

مثال ما لم يكن به حرف من حروف
المجموعة الأولى :

غسل - كبس - غزل - حبس -
هرش - فرش .

السلام وَالثِّقَافَةُ الإفريقيَّة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من تصانيف العصر النافعة كتب مخصصة لتسجيل مظاهر الثقافة ، يوشك أن تنحصر في الأرقام والخرائط مع بعض التعليقات التي توضح بالكلام أغراض الرسوم والإحصاءات ، وهي رسوم تمثل النسب المتقابلة في توزيع اللغات والمعتقدات والفنون والنظم الاجتماعية ، وتقرن أحيانا بالخرائط الجغرافية أو يكتفى فيها بجداول الإحصاء وعلامات النسب البيانية ، وقلنا تشتمل هذه التصانيف على آراء خاصة لمؤلفيها أو على الأصح لجامعيها ومبوريها ، بل هي ترك للقارى أن يبحث لنفسه ويراجع ما شاء على حسب قصده ، ويبقى ما يعن له من الآراء على بحوثه ومراجعاته .

والقارة الإفريقية أوفر القارات الخس حظا من هذه التصانيف ، وبخاصة في هذه السنة الستين بحساب التصوير الميلادى ، لأنهم أطلقوا عليها اسم «سنة الفصل في القارة القديمة» لانتخاها في كثير من أقطار القارة حدا فاصلا لتوقيت مواعيد الانتقال من نظام الانتداب إلى نظام الحكم الذاتى أو الاستقلال أو الحقوق الدستورية .

ولا يخفى على القارى من النظرة العاجلة في هذه الكتب مبلغ الاهتمام بالإسلام ومصيره في القارة القديمة ، وما يتبين للباحث من عوامل الثبات أو عوامل المزاحة التي تنازعه الغلبة على مقاليد الثقافة الروحية والفكرية .

وفي هذا المقال نعرض بعض الأمثلة لتلك التسجيلات مقتبسة من مصادر مختلفة أشهرها وأحدثها كتاب «الاستمرار والتغير في الثقافات الإفريقية» (١) من مطبوعات جامعة شيكاغو وشركائها في البلاد الانجليزية .

وأثر اللغة أول الآثار التي يدركها الإحصاء وتظهر فيها العوارق بين موضع وموضع ، من البلاد التي تتكلم العربية إلى البلاد التي تتكلم بلهجات متعددة من الألسنة النجمية ، ففي هذه البلاد تسرى الكلمات العربية بمخارجها الأصلية أو المحرفة بين قبائل السود حيثما اتصلت بالمسلمين ، ولو لم يدخل أهلها في الديانة الإسلامية .

(1) Continuity and Change in African Cultures.

اختلط الأمر فلا يدري الباحث أى الفريقين يقتدى بالآخر فى استخدام الرقى والتعاويذ . وقد لوحظ أن الشبان من قبائل (موسى) Mosai أقرب إلى اقتباس العقائد الإسلامية ، ويعودون إلى أهلهم من بلاد (النيجر) مسلمين متحمسين فى الدعوة إلى عقيدتهم الجديدة ، ثم يقول مؤلفو الكتاب إن هؤلاء الشبان أصغر سناً من أن يسمح لهم بين قومهم ، ولكنهم إذا طال مقامهم بين القبائل الإسلامية وعادوا إلى أهلهم بعد مجاوزة الشباب تفتت حماسهم ويقنعون بما يعتقدونه بينهم وبين أنفسهم ولا يكثرثون لإقناع الآخرين بما اكتسبوه من شجاعة وأخلاق . ويرجع فضل العناية بالأبنية وتزيينها بإفريقية الغربية إلى الحضارة الإسلامية التى نأصلت فى الشمال وسرت منه إلى الغرب والجنوب ... « فإن تأثير فن العمارة فى شمال إفريقيا ظهر على أنحاء الصحراء إلى المغرب ، حيث تزدان مساكن الوجهاء بالرسوم الهندسية ... وقد يرجع كثير من الفضل إلى الاقتداء بالمسلمين فى اتخاذ الملابس حيث لا تستدعيها ضرورات الجو والحاجة ، ويتبع ذلك فضل الاهتمام بصناعات النسيج والحياكة وما إليها . وتدل البقايا والآثار على قدم صناعة المعادن من الذهب والفضة والشمع فى أقطار

ويؤخذ من الإحصاءات الأخيرة أن أبناء القارة يتكلمون بنحو سبعمائة لغة ليس بينها غير أربع صالحات للكتابة بحروف أبجدية ، أولها العربية ثم الامهرية الحبشية ثم لغة (تماشق) البربرية ثم لغة (فاي) فى ليبيريا ، وهذه إحدى العقبات الكبرى أمام المرسلين المبشرين الذين يفتتحون المدارس لتعليم الإفريقيين ، فإنهم يلقون المصاعب الكثيرة لإقناع الإفريقيين بتعلم اللغات الأوروبية ويلقون أكثر من هذه المصاعب فى شر التعليم باللهجات الإفريقية ، ولكن هذه العقبات تتراجع أمام اللغة العربية التى يتكلمها فى القارة نحو سبعين مليوناً ولا يتعسر على من يريدون نشرها ويبدلون الهمجـد فى تعليمها أن يجعلوها لغة الثقافة العامة ، لو أنهم توفرُوا على تعميم المدارس كما يتوفر المرسلون المبشرون على تعميم مدارس التبشير . ويعمم من الإحصاءات أيضاً أن الإسلام سريع الانتشار ولكن العلم به سطحي ، بين قبائل القارة الأصلاء ، ومن آثاره (الحضارية) حتى فى البلاد التى لا تدين به أن كهانها يتشبهون بشيوخ المسلمين وأزيائهم وأن القبائل التى تهتم بمحاربة السحر والساحرات من أهل « النيجر » يشتركون مع المسلمين فى استخدام الفرائع التى يحسبونها ناجعة فى إبطال السحر والمكائد السحرية وربما

الواقية ما يحيط بجميع نواحيه ، فلا محل
لتخلاف في تغلغل هذا الأثر بين أبناء إفريقية
الصحراوية ، ولا بين أبناء غانة وشواطئها ،
ولا بين أبناء السودان الشرقى وجهات الصومال
ولكنه أثر غير واضح ولا مفسر إلى الجنوب
من تلك الأقاليم ، وإن يكن ولا شك قويا
في الشاطئ الشمالى والأقاليم الوسطى .

ويكثر المؤلفون من بيان المصطلحات
العنية وتطبيقها على الأنعام والأصوات ،
في موسيقى القبائل على تفاوت درجاتها من
الحضارة والتهدب ، ولكنهم يذكرون أن
(الإيقاع الحار) ، يقل بين القبائل كلها
توشحت علاقاتها بالمسلمين ، ويعنون بالإيقاع
الحار تلك الحركات العنيفة التى يتتابع فيها
النق والقفز ويوشك الرقص الذى يصاحبها
أن يكون تحفظاً عارفا ، كتنخبط المصروع
والمنجول ، ويضاف إلى هذا الأثر المهذب
المخفف للذوق والشعور أثر مثله فى أصوات
الغناء وتعبيرات الألفاظ ، فلا يصعب على
السامع تمييز الأغاني التى ينشدتها الزنوج
المغربون فى الحمجية من أغاني الزنوج الذين
دانوا بالإسلام أو اتصلوا بالمسلمين ولولم
يدخلوا فى الديانة الإسلامية ، فإن الإيقاع
والحار ، يند بين أبناء القبائل التى فارقت
مبجيتها واقتربت من مواطن العرب المسلمين .
ويشير الكتاب إلى فعل التبشير فى تغيير

القادة ، ولكن العرب هم الذين توسعوا فى
كشف المناجم بسد وصولهم إلى إفريقية
الشرقية وتمكنوا من استخراج المقادير
الوافرة وتصديرها إلى العالم الإسلامى كله
فترة بعد فترة من القرون الوسطى .

ويذكر المؤلفون أثر العرب وأثر الأوربيين
والأمريكيين فى حياة الفنون الإفريقية ،
فيلاحظون أن سريان الذوق الفنى من قبل
العرب لم يهدد كيان الفنون الوطنية بالزوال
ولم يطمس معالمها التى تحفظ وجودها وتميزها
من الفنون الطارئة عليها ، ولكن القدوة
بالأوربيين والأمريكيين أوشكت أن تذهب
بالمزايا والمشخصة ، لروح الإفريقية وكادت
أن تمحو معالمها جميعا لولا انتباه المسؤولين
إلى هذا الخطر البالغ من الوجهة الانثولوجية ،
- أى وجهة علم الأجناس - وإسراعهم إلى
تدراك البقية الباقية بإنشاء المعاهد والجماعات
التي يتعاون فيها الأجانب والوطنيون على
حفظ قواعد الفنون ، وإبرازها فى صورتها
العصرية ، دون الإخلال بمعانيها التاريخية
وسماتها القومية .

والموسيقى إحدى الفنون الجميلة التى انتفعت
بدخول المسلمين إلى القاهرة فى كل جانب من
جوانبها ، وقد عرف أثر الموسيقى العربية
- كما يقول المؤلفون - وتكرر الاعتراف به
كرة بعد كرة ، إلا أنه لم يلق من الدراسة

الثقافة الإفريقية توغل في القدم إلى ما قبل آلاف السنين ولم تصرم بعد في أرجاء منها فكنتها طلبات المجهول إلى اليوم ، وربما صرحت هذه الحرافات إلى شعائر الإسلام والمسيحية واعتبرها القوم مجالا منفصلا عن مجال العبادة والإيمان ، فهم يقتنون فيها يمحرمهم وشيوخهم ولا يتفنون فيها الهداية من الشيخ أو القسيس .

• • •

ونحن نطمح هذا المقال وبين أيدينا يريد الغرب من الصحف والمجلات التي تفرد بعض أبوابها للسائل الدينية ، تنفتح إحداها على باب الدين فتقرأ فيها عنوان « الغزوة لصيد الأرواح » ، ويسمى الكاتب هذه الغزوة باسمها في اللغة السواحلية وهو اسم « السفرة » من السفر باللغة العربية . . . ويطلقونه على حملات الصيد التي تخرج إلى الغابات والقفار مزودة بمدتها الكاملة لاصطياد الفيلة والسباع .

أما هذه الغزوة لاصطياد الأرواح

Safari for souls

فقاتدها هو الواظظ الإنجليزي المشهور بيل جراهام وعابثها الطواف بالفقارة والزلزل بست عشرة مدينة من مدنها المشهورة خلال ستة أسابيع يلتقي فيها بالمجموع التي تحف إلى استقباله أو يدفعها حكماها إلى محافله

الثقافة فيعزرو نجاحه حيث نصح إلى تنظيم المدرسة والإشراف على التعليم ، ويقول : « إن جماعات المرسلين ذات شأن في بلاد النيجر وفي غيرها من البلاد الإفريقية ، ولا يحسب لها هذا الشأن لأنها جاءت إلى أهل البلاد بمفائد جديدة وشعائر مستحدثة وحسب ، بل يقوم شأنها بصفة خاصة على ولايتها لمعلم أعمال التدريس ، ولا يبدو أن هناك شيئا فريدا فيها صنمه المرسلون يلاذ قبيلة (الألبو) قياساً إلى سائر القبائل النيجرية وإن كانت قد بدأت متأخرة بعد ابتدائها في الجنوب الغربي . أما في شمال نيجيريا فلم يتسع قط عمل المرسلين لقيام النفوذ الإسلامي هناك ، وإنه لو امتد إلى الجنوب سمته إلى الشرق والغرب الجنوبيين . »

• • •

ونلم الإحصاءات أحيانا بالمجوانب الأخلاقية والاجتماعية التي ترتبط بها رعاية الأنساب والأعراض ، فيفهم منها أنها تغيرت كثيراً أو قليلا على قدر اتصالها بالديانتين الإسلامية والمسيحية ، ولكن هذا التغيير لم ينزع جذور الحرافات القديمة ولم يطل لإيمان القوم بالسحرة والأرواح وأنواع المخطورات التي قدستها التقاليد من أقدم عصور التاريخ المجهول ، وهي بين جوانب

الريالات ، ومن ثمن الإنسان ذى الريالين !
 واستعقب هذه الغزوة غزوات على مثالها
 كما يظهر من البرنامج المرسوم لسنة الفصل
 - سنة ١٩٦٠ - في تقدير الساسة والمرسلين ،
 وليس لنا أن نلوم غازيا من هؤلاء الغزاة
 على اجتاده في دعوته وتديره لنجاح مقصده ،
 بل ليس لنا أن نلوم أوربيا أو أمريكيا
 لأنه يحاول أن يعرف عن إفريقية
 والإفريقيين ما يتعلمه منه الإفريقيون ،
 ويكسب به من طريق الآخرة ما فاتته من
 طريق الدنيا الحاضرة ... ولكننا نرجو
 أن تلحق بهم في هذا المجال ، وأن نحفظ
 القارة التي تأويتنا نهار الوطن المستقل الآمن
 على فكره وضميره أن يقاد في أذيال الواغليين
 عليه ، ليصطبغ بغير صبغته في الحياتين ،
 ويخلص من فتح الديار إلى فتح الضمائر
 والأفكار ؟

عباس محمود العقاد

واجتماعاته ، ويصطبغ في ركابه مترجمين
 من الوطنيين والأجانب يتكلمون لغات
 القبائل ويستطيعون أن ينقلوا منها ما يستمعونه
 من لسانه على أثر لقائه . وقد بدأ الواعظ
 غزوته وهو يقول للصحف (إن سنة ١٩٦٠
 ربما كانت أهم سنة في تاريخ هذه القارة
 ونقلت الصحيفة طرفا من خطابه الأول فكان
 مثالا جليا لحطة هذا الواعظ التقدير في سياسة
 التبشير ؛ لأنه بدأه باسم السيد المسيح الذي
 قال عنه إنه ليس بأبيض ولا أسود ،
 ولكنه حمل إلى القارة الإفريقية وهو طفل
 صغير للنجاة به من مظالم الملك هيرودس ،
 ثم أنحى على الإنسان « ذى الريالين » ، يعني به
 ظاهرا ذلك الإنسان المادى الذى لا يساوى
 أكثر من ريالات معدودة إذا قدرت قيمته
 بشئ منه وعظمه في أسواق الأبدان ،
 ويعنى به من طرف بعيد أن قيمة الأسود
 بتقويم الروح أغلى من أثمان أصحاب

دمشق

سقى دمشق الشام غيث مرمج
 مدينة ليس يضامى حسنها
 نسيم ريا روضها متى سرى
 لا تسام العيون والأنوف من
 من مستبل ديمة نفاقها
 في سائر الدنيا ولا آفاقها
 فك أعا الموم من وثاقها
 رؤيتها يوما ولا انتشاقها

مَحْنًا فَرَّ الشَّجَرُ الْقَدِيمُ وَالْجَنَّةُ

الوجدة الخالدة

للأستاذ إبراهيم محمد نجيب

أقبل النصر ناشرا أعلامه	فقدنا البشر مرسلنا أنغامه
وبدا النيل في الضفاف سعيدا	حينما نال في الحياة مرامه
بردى في ضفافه الخضر أبدى	شوقه نحوه ، وأهدى سلامه
وأنته أنامه عطران	فأطالت عنقه والزامه
ثم قالت في رقة وحنان	ها هنا .. ها هنا تطيب الإقامة
أنعم الله بالوصال علينا	فلقينا بشكرنا إنعامه
سوف نحيا كما نشاء الأمان	لا نرى البعد ، أو نرى أيامه
أنت بمنى روحى ووجه قلبى	وأنا منك روحك المستهامة
وحدة تجمع القلوب ، فينسى	كل قلب أشجائه وانقسامه
ووفاء يبقى وتبقى الليالي	وإخاء كل الوفاء وسامه

• • •

نحن شعب بنى من المجد صرحا	بأذخ الركن ، مستقر الدعامه
وسمى البناء حتى يراه	يعجز النجم أن يقوم مقامه
عربي في سلمه ، عربي	حين يستل للنضال حسامه
لم يهن مرة أمام العوادي	ولكم هانت العوادي أمامه
عرف الدين حين كان سواء	للضلال البعيد ألقى زمامه
عرف العلم كوكبا بسناه	كل أفق يرد عنه ظلامه

عرف العدل في الحياة رفيقا ورعى عهده ، وصان ذمامه
 فهو عند الفخار أبعدُ صوتا من سواء ، وأرفع الناس قامه
 هكذا نحن أمة تعمل الخير ، ونهدي إلى الصديق سلامه
 هكذا نحن أمة تصرع الشر (م) وبلقى العدو منها حمامه
 من قديم قد وحدتنا الليالي وسنبقى حتى تقوم القيامة

• • •

يا رعى الله من بنى العُرب فردا عزمه عزم أمة مقدمه
 « ناصر » الحق بالكفاح « جمال » الحياة كانت تفيض جهامه
 صارع الظلم والفساد حصونا فجاء عزمه الحصون المقامه
 ورأى الشعب مثل الخطو من قيـد ينفلى حديدته أقدامه
 فدعا شعبه ، فثار على القيـد ، وألقى إلى النمار حطامه
 وأقام الحياة عدلا ، فصارت فرحة في قلوبنا وابتنامه
 ودعانا إلى البناء ، وأرسي أصله ثامنا ، وخط نظامه
 فبدأنا البناء صرحا جديدا وضعنا بمزمننا إتمامه
 نحن نبني لكي نميش حكراما فبناء الأجداد سر الحكرامه
 نحن نبني خيرا إذا راح يبني غيرنا شره ، ويبني أئامه
 نحن نبني فليعلم الغرب أننا قد صحتنا ، وليطرح أوهامه
 ورأينا طريقنا ، وعرفنا يوم سرنا على الطريق ختامه
 ولدينا زعيمنا ، لهـلاء ينظر النجم ، ثم ينخفض هامه
 يحمي الحق نصره في حماه ويرى الباطل العتى انهزامه
 رأيه في دجى الخطوب منار ولدى مفرق الأمور علامه
 وإذا أسرعت إلينا العوادي لم تطلق رأيه ولا إقدامه
 حرب الخلال ، لو رام شيئا فوق هام السها ، لثال مرامه
 راجع العقل ، صائب القول يلقى رأيه في صراحة واستقامه
 واسع العلم بالأمور ، لفرق حين يُغنى ، أو شدة وصرامه
 عبقري الذكاء يأتي إلى المبهـم يمحو في لمحـة إبهامه

يحمد الصعب بالإرادة سهلا ويرى المستحيل عند سواه
 يجر الصخر ، ثم يعليه سدا يمنع الجذب أن يقيم ، ويدعو
 يمشق النيل عزمه ، قراه فإذا حان الرحيل أوان
 ومضى في سيله يثنى أينما سار ، فالحياء رعا
 ذلك السد من أيادي جمال وحمد الشعب فيه ما يثني
 وعلى حبه توحيد حتى وبني دولة أقام بها الحمد
 هي للدين والعروة حصن وقفت موقف الحياض قويا
 وبنت ماردا يروع الأعدى وأقامت من العدالة حكما
 كل فرد فيه يمين أحاه ويراها ما دام يعمل خيرا ،
 لم بعد حاكم يحمود عليه هذه دولة يباركها الله (م) ويرعى في ظلها إسلامه
 ويميش المسيح فيها وفيها قل لمن قد سعى لفك عراها
 ولن رام أن يروع حماها هذه دولة الخلود ، فأبشر
 ويرى الغيب ما تلا قدماه يمكننا ضده ، ينال اهتمامه
 تحامى كل الجبال صدامه موكب الخصب أن يديم الإقامة
 ثأريا عنده يبت غرامه ودع السد وهو بطوى خيامه
 قنقى ضفافة البسامه ونمما وبهجة ووسامه
 حفظ الله ناصرا وأدامه فارتضاء زعيمه وإمامه
 لم يعد مغرض يثير انقسامه فصارت أيامها أيامه
 كلما أطلق الزمان سهامه يردح الشر أن يبط لثامه
 قرام يخشون حتى كلامه تنفى كل الشعوب نظامه
 جامعا نصب عينه إكرامه مستحقا تقديره واحترامه
 حينما صار أهله حكامه ويرعى في ظلها إسلامه
 لنى ألقى عليه سلامه ليس عني مسماك إلا الندامة
 هل يروع الأسود بأسا ، النعامة ؟ أنت بالموت ، جانبك السلامه

• • •

يا ابنة الشرق ، يا ابنة النور والإشراق ، يادمر مجده وقوامه

من الأناشيد الدينية :

مُنَاجَاةٌ

للأستاذ علي محمد حسن العماري

يا إلهي	يا إلهي ، والمناجاةُ رحيق
يا إلهي	لك أسلستُ قبضتي طريق
كم نجت	يا إلهي يا كثيرَ الرِّهات
وتجنت	ضلتُ النفسُ بَوَادِي الصَّبوات

حدثني الغرب أننا قد نهضنا فلكنا من كل مجد زمامه
وملأنا الأيام عزا وعدلا وهي كانت ذليلة مستغامة
حديثه أنا اتحدنا فصرنا دولة المجد والعلا والكرامه
وملكنا من قوة الخير والإصلاح ما يهدم القوى الهدامه
فإذا ما أراد حربا ، لحرب أو سلاماً ، فما نرد سلامه
نحن نبني الحياة غصنا نصيرا تتغنى على ذراه حمامه

• • •

بارك الله في جمال وشكري فهما قبلة المنى البسامه
أنشأ وحدة متكبر حتى يصبح الشرق صرحها والدعاه
فاهنتي ياربنا الخلود وقول هكذا المجد والعلا والزمامه

إبراهيم محمد مجا

ثم عاشت في أليم الذكريات ما تهنت

فأعف عنها

وأعنتها

لا تنها

يا إلهي والمناجاة رحيق

لك أسلت فبصرني طريق

يا إلهي

يا إلهي

في ظلام الليل في هذا السكون

في النجوم الزهر تهدي الحائرين

آية تنطق بالحق المبين

والبدور

كلزهور

منك نور

يا إلهي . والمناجاة رحيق

لك أسلت فبصرني طريق

التطير الزغب في العش المنيع

والمرؤج الحضرة في السهل الواسع

ورؤى الأطفال في المنهد الوديع

وكفاها

في لغاها

وكفاها

يا إلهي .

يا إلهي . والمناجاة رحيق

لَكَ أَسْلَتُ فَبَصُرْنِي طَرِيقَ
كَمْ لَهِيفَ فِي هَدْوِهِ اللَّيْلَ مَا جَا
وَجَدَ الرَّاحَةَ فِي النَّجْوَى فَنَاجَى
لَمْ يَجِدْ فِي غَيْرِ نَجْوَاكَ عِلَاجَا
يَا إِلَهِي
مَمَّ قَلْبُهُ
فَضَلَ رَبِّهِ
فَبَحَسِبَ

فَكَأَنَّكَ كَرِهِي
أَنْتَ رَبِّي
لَكَ حَقِّي

يَا إِلَهِي

يَا إِلَهِي وَالْمُنَاجَاةُ رَحِيقِي
لَكَ أَسْلَتُ فَبَصُرْنِي طَرِيقَ
يَا إِلَهِي . يَا رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ
لَكَ عِمَائِي وَمَا بَعْدَ الْمَائِ
وَلَكَ الْمَلِكُ تَجَدُّدِي بِالْهَبَاتِ
يَا قَدِيرَ

وَارِضَ عَنَّا
وَأَجِرْنَا
حَيْثُ كُنَّا

يَا إِلَهِي

يَا إِلَهِي . وَالْمُنَاجَاةُ رَحِيقِي
لَكَ أَسْلَتُ فَبَصُرْنِي طَرِيقَ
يَا إِلَهِي

على العمارة

الكتاب

نفيد وتعريف

تفسير الق — رآن

للاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

أوشك الجزء الأول من هذا التفسير المكاشف عن أسرار الكتاب العزيز ومراميهِ أن يصدر عن (دار الفلم) وقد صدره الأستاذ الدكتور محمد الهبى بمقدمة وجيزة لخصت مزاياه وفصلت منهاجه ونشرها اليوم ديثاً يصدر الجزء فنعود إليه بالتعريف والإبانة .

كانت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية تود أن يكون هذا التفسير للقرآن الكريم لمضية الأستاذ الأكبر ، إمام المسلمين وشيخ الجامع الأزهر ، الشيخ محمود شلتوت ، من بين المطبوعات التي تنشرها في هذا العام ، بعد أن تبرع فضيله — جزاه الله خيراً — بإنتاجه الخصب في جميع المجالات الإسلامية لتلك الإدارة كي تضعه في متناول المسلمين ليرجعوا إليه في فهم تعاليم الإسلام ، وفهم كلام الله في قرآنه المجيد . وهو إنتاج كرس له حياته العلمية في غضون خمسين عاماً أو يزيد .

ولكن ما رصد من مال في بند نشر الثقافة الإسلامية لهذا العام لم يجد يسمح — بعد طبع الكتب الثلاثة لفضيله — بشراء ورق يغطي حجم التفسير ، لو رغبت في إخراجه ، وانهزت تلك الفرصة العظيمة التي هيأها فضيله للإدارة العامة للثقافة الإسلامية بتبرعه بالطبعة الأولى من إنتاجه كله لتوزع على المسلمين في جميع أنحاء العالم حسبة منه لله سبحانه وتعالى وصدق — ونظراً لحاجة المسلمين الماسة في وقتنا الحاضر إلى كتاب لتفسير القرآن الكريم يكون نموذجاً في منهجه وفي سبر الوصول عن طريقه إلى القرآن الكريم وفهم أهدافه — تنازلت عنه الإدارة العامة للثقافة الإسلامية مكرمة غير راضية إلى « دار الفلم » حياً في الإفادة منه . وهامى ذى دار الفلم تدفع به بعد القيام بطبعه إلى العالم الإسلامي اليوم .

ولكن ما رصد من مال في بند نشر الثقافة الإسلامية لهذا العام لم يجد يسمح — بعد طبع الكتب الثلاثة لفضيله — بشراء ورق

كي يقف مباشرة ووجهاً لوجه أمام كتاب الله ، أمام سورة وآياته ، وملولات ألفاظه وتراكيبه :

المرحلة الأولى : أنه يقب على ما كان للتقدمين من آراء وهو سائر في طريقه إلى استخلاص المعاني التي يرشد إليها الكتاب الكريم ، بعد أن يوضح هذه الآراء ويبين بُعد كثير منها عن أن يكون مصوراً لما يقصده الله جل شأنه في كتابه العزيز .

المرحلة الثانية : أنه بعد أن يقب على آراء المفسرين ، وخصوصاً أولئك الذين تأثروا في تفسيرهم بحزبية خاصة ، أو بعصبية لمذهب معين أو عقيدة معينة ، يضع القارىء أمام المعنى المقصود من القرآن ووجهاً لوجه ، وبذلك يصل بين ما قاله في كتابه وبين ما للإنسان في قلبه من إيمان بهذا الكتاب .

هذا « التفسير » هو أجدر أن يسمى : « تفسير » مشاكل التفسير . أو يسمى « نهضة » في تفسير القرآن ، ورجوعاً به إلى طبيعته لرد المسلمين إليه نفسه ، لا إلى أقوال قد يحجب الكثير منها ما له من مدلول أو قيمة . هو أجدر أن يسمى : « تعقياً » على تفسير المفسرين ، ليرفض الصنعة ويرد الأمر إلى مصدره ، فيؤخذ منه في وضوح ، وبذلك يرفع العقبات ويزيل الحواجز .

والقارىء لهذا التفسير لا يدرك هذه المزايا إلا إذا ألم بمناهج التفسير المختلفة السابقة عليه . فبعد تفسير الطبري

وبذلك ساهمت هذه الدار مساهمة مشكورة في تلبية حاجة من أهم حاجات المسلمين اليوم في وعيهم ويقظتهم الراحنة .

ورغم أن الإدارة العامة للثقافة الإسلامية تدارك عن طبع التفسير لفضية الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت (لدار القلم) فإنه يطيب لما أن تقدمه للسليين وتكشف عما له من مزايا ، وهو مزايا تجعل منه طريقاً واضحاً يسير فيه القارىء إلى كتاب الله مباشرة ، دون أن يمر بصنعة المفسرين المختلفة ، في أجيالهم العديدة وتحت ضغط مذاهبهم في الفقه والعقيدة ، أو تحت تأثير ما اقتنعوا به مقدماً من اتجاهات حملتها إليهم ثقافات الشرق والغرب في صلاتهم بغيرهم ، بعدما اتسعت فتوحات المسلمين واشتد اختلاطهم بأرباب الثقافات القديمة السابقة على الإسلام .

والقارىء لهذا التفسير في طريقه إلى القرآن الكريم ، وفي مروره بصنعة المفسرين المتعددة الطوايع والخصائص ، لا يمر بهذه الصنعة مروراً حابراً ، وإنما في أثناء سيره يقف على ما كان لهذه الصنعة من أثر في تعسك وحدة المسلمين . وفي تعقيد فهم كتاب الله ، وفي حجب المسلمين عن تلك الروح الصافية الهداية القرآن الكريم .

مزايا هذا التفسير :

هذا « التفسير » رسم لنفسه مرحلتين

إذا بالقرطبي يعني باستنباط الأحكام
الفقهية ويذكر التفاصيل الخاصة بموضوعات
هذه الأحكام ، على نحو ما يعني بشرح الصلاة
مثلاً وما لها من أركان وشروط في تفسير
قوله تعالى : « ويقيمون الصلاة » .

وبينا البيضاوى في تفسيره يعني بذكر رأى
أهل السنة والرد على آراء غيرهم على نحو
ما يشرح (الإيمان) بأنه التصديق بما حُلم
بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم
كالتوحيد والبعث والجزاء ، دون ما يعرف
بجمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج من أنه
بمجموع أمور ثلاثة : الاعتقاد بالحق والإقرار
به والعمل بمقتضاه ، وذلك في شرح قول الله
تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب ، إذا بالآلوسى
يسلك في تفسيره مسلك التفسير الإشارى
الذى عرف للتصوفة ، وذلك على نحو ما يفسر
به (التقوى) في قول الله تعالى : « هدى
للتقين ، من أنهامى : التنزه عن كل ما يشغل
السر عن الحق ، وفي هذا الميدان ترا كضئ
أرواح العاشقين وتغافت أشباح السالكين .
وبجانب أن لكل من هذه التفسيرات الأربعة
طابعاً خاصاً به ، يتصل بمذهب معين أو عقيدة
معينة ، أو اتجاه معين في التفكير ، أو
في المذهب والاعتقاد ، فإن بعضها يعني كثيراً
بالإعراب وقواعده ، على نحو ما يعني البيضاوى
والبعض الآخر بمعنى بالبحوث اللغوية ،
كالتقرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » .

(٢٥١ - ٢٦١) - وهو التفسير بالمأثور ،
كما يقال عنه ، أى تفسير القرآن بالقرآن
أو السنة الصحيحة أو بما نقل عن الصحابة
والتابعين - لم يعد القرآن يُستوحى فيوحى ،
ولا يُستلهم فيلهم ؛ وإنما يفسر قرأاً إلى
رأى محدّد سابق ، أو يحمل جبراً على
مذهب معين ، ولو لم يكن هذا المذهب مذهب
عقيدة ، أو فقه ، أو تصوف ، بل قد يكون
مذهباً في قواعد اللغة أو في فقهها .

ولو استعرضنا في هذا التقديم الموجز
لكتابتنا اليوم أربعة من التفسيرات المتداولة
والتي نعد من عمد كتب التفسير ؛ لو استعرضنا
« الكشف » للزحشرى المتوفى ٥٣٨ هـ ،
و « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي المتوفى
٦٧١ هـ ، وه أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،
للبيضاوى المتوفى ٧٩١ هـ ، و « روح المعاني
للآلوسى المتوفى ١٢٧٠ هـ - لوجدنا أن هذه
التفسيرات الأربعة تمثل ألواناً لها طوائف مختلفة :
فبينما « الكشف » ، يعنى بإبراز مذهب
الاعتزال في العقيدة ، ويعنى بمسلكهم في التأويل
على نحو ما يحاول أن يستخرجه من قوله :
« الذين يؤمنون بالغيب » ، لما هو معروف
للمعتزلة من وضع « الفاسق » في منزلة بين
المؤمن والكافر ، وعلى نحو ما يشرح قول
الله تعالى : « وما رزقناهم ينفقون » من
قصد ما يتمذهب به رجال الاعتزال من أن
الرزق المسند إلى الله هو الحلال فقط

تاريخ الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي -
بمحاولة في تفسير القرآن الكريم ، يتميز
بها تفسيرهم عن تفسير السابقين في تضمين
تراكيب القرآن وألفاظه ، المعاني الخلقية
التي أمر بها الإسلام . وشرعها الله سبحانه
لتهذيب النفس ، وزكية الوجدان ، ونهضة
الشعوب ، وتنمية المعرفة ، والسمو بالإنسانية
عن الدنيا والحجائب في السلوك والعلاقات
العامة ، وبذلك يكون القرآن ملياً لحاجات
المسلمين في كل وقت . والمبادئ أو القضايا
التي استحدثتها الحضارات الإنسانية الحديثة
أو أوجدتها بعض الأحداث العالمية ، أما
الانتماء لمذهب على مذهب فقد بقي طابعا
غالياً لهذه المحاولة ، وإن تجنب اللباجة
في الجدل ، ولكنها مع ذلك محاولة من غير
شك تستحق التقدير ؛ لأنها فتحت المنفذ
على التغيير ، فيما خلفه الأقدمون من المفسرين
كما أعطت للقارئ لها والباحث فيها ، حرية
الحكم على ما كان لهذه التفسير من منجز ،
أو ما تراكم فيها من صنعة .

وفي مقدمة هذه القلة من الخالدين في الفكر
الإسلامي المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده
والعالم الإسلامي الكبير السيد محمد رشيد رضا
في « تفسير المنار » .

أما « التفسير » الذي تقدمه اليوم للمسلمين
فهو تفسير للمسلمين أجمعين ، لا لمذهب معين
من المذاهب الفقهية ، ولا لون من ألوان

وبدخول صنعة الإعراب والبحث اللغوي
فتفتت آيات القرآن إلى كلمات ، وتفتتت
الكلمات إلى وحدات ، وأصبح ما يراد من
القرآن عن طريق هذه التفسير : إما مذهباً
معيناً اجتمعت عليه مدرسة خاصة من مدارس
الفكر الإسلامي ، أو معنى لغوياً ، أو قاعدة
إعرابية ، أما ما يرشد إليه الله فكثيراً ما بقي
غامضاً - بسبب هذه الصنعة - في أفهام المسلمين
والقرون التي نلت عهود هذه التفسير
كانت تردد مناهجها في صور مختصرة ، أو
في تعليقات عليها .

ولم يزل يتأثر بمناهجها إلى حد كبير في عصرنا
الحاضر كثير ممن يعالجون تفسير القرآن .
فلم يتخلوا عن هذا الطريق في التفسير ، وهو
طريق التمسك أو طريق التفسير والإكراه
على رأى خاص ، كما لم يتخلوا عما صاحب
بعضها من أبحاث لغوية ، أو فقهية عن
قواعد إعرابية ، والذين يحددون من بين
هؤلاء المتبعين لهذا المنهج في وقتنا الراهن
« يلفقون » في النقل عنها ، فيضيفون إلى ما
يؤخذ من واحد منها ما أخذ من الآخر .
وبذلك تبدو صنعة « الترفيع » بجانب تلك
الصنعة التي عرفت لهذه النماذج المتعددة المشار
إليها ، ومن هنا اشتد البعد - عن طريق
هذه التفسير الجديدة - بين المسلمين وبين ما
يرشد إليه الله من قرآنه الكريم .

نعم ؛ فلم بعض الخالدين - وهم قلة في

لأنه اقنع ، بعد أن كان من المؤسسين للجماعة بأنها اللسان الذي ينقل المسلمين ما يريد الإسلام لهم في قرآنه الكريم ، لا ما يريد منه مذهب معين ولا اتجاه فكري خاص .

ولذا فهو تفسير سيلفاه العالم الإسلامي جميعه بالترحيب . سفيه وشيعيه ، وكل من آمن برسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

وكافينا الآن أنه « التفسير » الذي تخلص من تلك الحزبية السياسية والمذهبية والطائفية وبذلك يفتح قلب المؤمن وعقله إلى كتاب الله مباشرة ، ويصل بين روح المسلم ومبادئ الرسالة الإسلامية الخالدة .

وإذا أمئنا في شيء بعد صدور هذا الجزء من « التفسير » فإننا نؤمل أن يطيل الله في حياة فضيلة الأستاذ الأكبر لئتم نعمته عليه فيتم تفسير القرآن الكريم على هذا المنهج ، وبذلك تأتي حاجة المسلمين إلى تفسير فهم كتاب الله تلبية غير كاملة متقوصة .

وإلى أن يحرح تفسير القرآن الكريم كاملاً لفضيلة الأستاذ الأكبر ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفق المسلمين إلى الانتفاع بما تقدمه لهم اليوم منه ، ووعى ما فيه من توجهات ومبادئ ، تجمع قلوبهم على كلمة الإسلام ، وتصل بينهم وبين كتاب الله دون واسطة أودخيل . والله الموفق والمعين .

دكتور محمد البهي

المدر العام

لإدارة الثقافة الإسلامية بالأزهر

للعقيدة الكلامية ، ولا لاتجاه خاص من اتجاهات أهل الظاهر أو أهل الباطن .
فقد خلا من هذه العصبية التي فرقت وحدة المسلمين بعد أن وضع ضمتها ، كما خلا من تفتيت آيات القرآن إلى كلمات ليخرج بشاهد على قاعدة إهرائية أو معنى لغوي ، بعد أن أبان أن القرآن كتاب هداية وليس كتاب تمرين واختبار ، ولذا كان منهجه يمثل فيما يلي :
أولاً : جعل السورة وحدة واحدة ، يوضح مراميها وأهدافها وما فيها من عبر ومبادئ إنسانية عامة .

ثانياً : صم إقحام غير القرآن على القرآن من رأى خارج عنه ، أو مصطلح اقترح من مصدر آخر ، لجعل كلمات القرآن يفسر بعضها بعضاً ، كما أطلق الحرية للقرآن في أن يدل بما يريد ، دون أن يحمل على ما يراه .
ثالثاً : لم يكن له أن يدع القرآن ينطق بما يدل عليه ، إلا بعد أن يزيل العقبات التي كانت تحول دون ذلك ، فكان من منهجه التعقيب على آراء المفسرين السابقين .

ولأنه تفسير للمسلمين جميعاً أثر به فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر - منذ أن تفرغ عليه في عام ١٩٤٩ - مجلة « رسالة الإسلام » ، التي تصدرها جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة . وهي جماعة تأسست في يناير سنة ١٩٤٧ .

وقد أثر فضيلته هذه المجلة بهذا التفسير ،

آراء وأحداث

الأستاذ الأكبر

يعتذر من قبول ترشيحه لجائزة الدولة التقديرية

كانت إدارة الثقافة الإسلامية وإدارة الجامعة الأزهرية قد رشحتا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية، وكتبنا بهذا الترشيح إلى المجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم الاجتماعية ولم يكذب يعلم شيخ الشيوخ بهذا الترشيح حتى يادر إلى الاعتذار من قبوله ربوا. بجمالة منصبه أن تعرض لما يتعرض له هذا الأمر من دعاية وتنافس وقد كتب إلى رئاسة المجلس الأعلى هذا الكتاب :

السيد الأستاذ رئيس المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية :
السلام عليكم ورحمة الله وبعد: فقد تقدمت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية وإدارة الجامعة الأزهرية إلى سيادتكم بطلب ترشيحي لجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية لعام ١٩٦٠ م.
ولأن مع عميق امتناني لما قامت به الإدارتان المذكورتان ومع خالص شكرى للسيد رئيس المجلس الأعلى أود أن أعرب لسيادتكم عن رغبة عامة في هذا الصدد .
لأن كنت أرغب في ترشيح نفسى لهذه الجائزة التقديرية لو لم تلق دواعي المصلحة

السيد الأستاذ رئيس المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية :
السلام عليكم ورحمة الله وبعد: فقد تقدمت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية وإدارة الجامعة الأزهرية إلى سيادتكم بطلب ترشيحي لجائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية لعام ١٩٦٠ م.
ولأن مع عميق امتناني لما قامت به الإدارتان المذكورتان ومع خالص شكرى للسيد رئيس المجلس الأعلى أود أن أعرب لسيادتكم عن رغبة عامة في هذا الصدد .
لأن كنت أرغب في ترشيح نفسى لهذه الجائزة التقديرية لو لم تلق دواعي المصلحة

وإني إذ أقدر الأسباب التي أبدىتموها فضيكتكم لعدم قبول الترشيح ، يعني أن أنوه بمحكاتكم في العالم العربي عامة وفي نفوس المسلمين خاصة ، والتي لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تكون موضع المفاضلة والمقارنة وتفضلوا بقبول فاتق الاحترام .

رئيس المجلس

كمال الربيعه حسين

٠٠٠

مجلة المعهد العالي للخدمة الاجتماعية

تسأل والاستاذ الأكبر محيىب

تقدم محرر مجلة المعهد العالي للخدمة الاجتماعية إلى الأستاذ الأكبر بعشرة أسئلة في أمور محتاجة أجاب عنها فضيلته بما يلي :
س - ما دور الجامعة الأزهرية في نشر الثقافة الإسلامية بالخارج ؟

ج - الأزهر هو الجامعة الوحيدة في العالم التي تربط لمسلمين والعرب بعضهم ببعض ، والتي يتجه إليها الناس لا بأنظارهم ولكن بقلوب تشد الإصلاح وتطلع إلى نواحي الكمال من الخلق والفضيلة . والأزهر كذلك هو الجامعة الوحيدة التي تضم أمم الأرض بين أحضانها فتحنو عليهم وتوجههم وشفقهم في دينهم ، وتجعل منهم رجالا يحبون مجتمعتهم ويفهمون ويعملون على إسماعده ، فهو يضم

ومن أجل أن نحفظ لهذا المنصب الخطير بهيته في نفوس المسلمين وبقيمته التوجيهية في عقول المفكرين والموجهين ، ولكي نبقي هذه الهبة وتلك القيمة بعيدتين عن التعرض لطوات الانتعاب والتصويت والاقتراح ، وببعدتين في الوقت نفسه عن الامتزاج في نفوس المسلمين وعقولهم ، وحتى لا يكون هناك إخراج أدنى لأي مسئول ولا عاطرة بقيمة المشيخة ومركزها ، رأيت أن أقدم إلى سيادتكم راجيا اعتبار ترشيح الإدارتين المذكورتين كأن لم يكن ، ومعبراً في الوقت نفسه عن خالص شكري وعميق تقديري لسيادتكم وللإدارتين المرشحين .

وفق الله الجميع وسدد خطا العاملين لما فيه الخير والرشاد .
والسلام عليكم ورحمة الله ؟

محمود شلنوت

شيخ الجامع الأزهر

وقد أجاب السيد رئيس المجلس على كتاب نيته بهذا الكتاب :
فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر تحية طيبة وبعد :

فقد تلقيت كتاب فضيكتكم الذي تشيرون فيه إلى اعتبار ترشيح الإدارة العامة للثقافة الإسلامية ، وإدارة الجامعة الأزهرية لفضيكتكم لتبيل جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٥٩-١٩٦٠ كأنه لم يكن .

بالأزهر على ذلك بل أخذ العلماء يتنافسون في التأليف وتوجيه العالم عن طريق العلم المكتوب والبحث المستفيض ، واشترك في ذلك كثير من رجالات العلم والفكر عن طريق القاعة الكبرى للأزهر ، تلقى فيها المحاضرات ثم تطبع بمختلف اللغات وتوزع على دوائر العلم والمعرفة في أنحاء العالم كما تعتبر مجلة الأزهر الآن في ثوبها الجديد — مجلة إسلامية عالمية بطبع عليها الكثيرون من العرب والمسلمين ، واهل المستعان ، ومنه نستمد الرعاية والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير .

س — ما أهم نواحي التطور الآخر في في المناهج بالجامعة الأزهرية ؟

ج — لقد عملنا - واتخذناه - على تطوير المناهج الأزهرية تطويراً يتفق ومهمة الأزهر العالمية والمحلية ومعنى ذلك أنها ليست مقيدة ببيئة واحدة وإنما انصالحا بشق البيئات المختلفة يمتصها التسليح والتثقيف لها . والعالم الذي يتصل به الأزهر عالم تعددت لغاته واختلقت نواحيه الاجتماعية لذلك أدخلنا في مناهج التعليم العام في الأزهر وكياناته اللغات الأجنبية الفرنسية والانجليزية وسندخل الألمانية قريباً - إن شاء الله .

ولم نقف عند هذا الحد وإنما أفتأنا معهداً للإعداد والتوجيه يدرس الطلاب فيه على مستوى عال اللغات المختلفة فوق دراسة

فوق الحسنيين جنسية ، ففيه السوداني والحبشي والبولوني والروسي والتركي والأمريكي والأندونيسي والملييني وغير هؤلاء ، وم بهذا الوضع يوم يتخرجون فيه يكونون ألسنة صادقة لجمهوريتنا العربية لدى أهمهم في أنحاء المعمورة .

وإننا لمحيصين كل الحرص على العناية بطلاب البحوث وتطوير مناهج معهد البحوث الإسلامية تطويراً يتفق وما لم من رسالة عظيمة ومهمة سامية ، فيفيد منه كل طالب وحبياً لأن يعيش في بيئته التي سيعيش فيها .

هذا جزء من رسالة الأزهر بالنسبة للعالم ، ومن ناحية أخرى فإن للأزهر مبعوثيه من العلماء إلى البلاد العربية والإسلامية هؤلاء وضعنا لهم أسساً وقواعد بحيث لا يوفد إلى شعوب الأرض إلا الصالح المؤمن برسالة الإسلام الحقبة الصحيحة القادرة على أداء مهمته خير أداء فإنها مهمة جمهوريتنا الناهضة ومهمة الدين الحنيف ورسالته الحقبة .

وحق البلاد الإسلامية التي لا تكلم اللغة العربية أعددنا لها مبعوثين يجيدون لغات البلاد التي يوفدون إليها . فالأزهر الآن يدرس هذه اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والأندونيسية والأردية والسواحلية والفارسية فلم يعد بين الأزهر وبين العالم أجمع حجاب أو مانع ولم تقتصر العناية

طبائع الشعوب وبيئاتهم وخصائصهم . والمتخرجون في هذا المعهد الذين نرسل منهم بعثات الأزهر إلى العالم الإسلامي لتوجيه الشعوب التي لا تتحدث العربية بلغاتهم وتنوير بصائرهم بتعاليم الإسلام الخالدة . أو نرسل بهم إلى جامعات الغرب للاستفادة من دراسة اللغات ، وحتى يكونوا نواة للارتفاع بدراسة اللغات في الأزهر .

هذا من ناحية اللغات ولم يقف التطوير عند هذا الحد وإنما أدخلنا الدراسات القانونية في كلية الشريعة من تجارية ومالية ومدنية وجنائية والمقارنة بينها وبين الشريعة الإسلامية حتى ينتخرج الطلاب وقد اتسعت آفاقهم لحل مشاكل مجتمعهم الذي يتطور مع الزمن فإن المشاكل متعددة وكثيرة . والمتخرج في الأزهر مقصد وملجأ يلجأ إليه الناس في حل مشاكلهم فلا بد أن يكون مزوداً وملماً بكل النواحي .

وقد عملنا كذلك على تطوير الدراسة في معهد البحوث الإسلامية وكتيبي أصول الدين واللغة العربية وسنعمل — بحمودة الله ثم بهمة المخلصين من إخواننا وأبنائنا على ما من شأنه أن يرفع شأن الأزهر ويعلل من كرامته ويميد إليه أجماده السالفة ، فإن النهوض به نهوضاً بالفكرة الإسلامية الصحيحة .

س — هل كن لفضيلتكم مشروعات النهوض بالمناهج الأزهرية ؟
ج — نعم — ويمكن أن نعرفوا أننا استمد العون من الله في تنفيذ ما أطمنن إليه في النهوض بالأزهر ، فإنني لأحب الحديث عن النفس وإنما أسأل الله تعالى أن يؤدي الأزهر مهمته بأمانة وإخلاص ، وهذا هو اليوم الذي أطمنن فيه وبدأ بال ، وتقر أعين المسلمين .

س — كان هناك مشروع لإنشاء معهد خاص للبنات ، فلماذا لم ينشأ بعد مع أنه كان سيُساعد على نشر الوعي الديني بين المثقفات ؟
ج — نحن نؤمن بأن المرأة في المجتمع قطب الرعي ، فلا بد من العناية بها وتوجيهها للتوجيه الديني الصحيح ، والسلوك بها السلوك الأخلاقي القويم ، فإنها فتاة اليوم وأم المستقبل ، وهي المدرسة الأولى التي تحتضن الجيل الجديد وتوجهه فلا بد من استقامة الدين والخلق والفكر ، وخاصة أمام تيارات المادية العارمة فهي أولى إذن بأن ينشأ لها معهد يأخذ بيدها ويوجهها ويتقنها ، لكن الوقت بإنشاء معهد خاص لم يتأجل بعد ، وعندما تسنح هذه الفرصة يكون أولى المشروعات بالتنفيذ ، على أننا لم ننفل هذه الناحية ، فإن السادة الوعاظ

فيه ثم يعودون إلى شعوبهم وسلا للبررة والهداية ، وإن البعث التي يوفدها الأزهر من بين عباده إلى العالم على خير سبيل لمناهضة أولئك المتعثرين في فهم القومية العربية .

إن عمداً صلى الله عليه وسلم هو صاحب الدعوة إلى توحيد الأمة العربية بما جمعهم عليه من كتاب الله الكريم الذي أنزل على رسوله العظيم ، وذلك بما طبعهم بطابع القومية العربية السليمة ، ورسالة الأزهر هي رسالة محمد بن عبد الله ، فالأزهر مؤمن بهذه القومية حريص عليها ، واللغة العربية جزء من مقوماته إذ هو حصنها وراعيا ، واللغة هي الثوب الذي لبسته الشريعة الإسلامية منذ فجر النبوة وطافت به أنحاء العالم ، فلات كل مسمع ، واستقرت في كل قلب . حقق الله الآمال ، إنه سبحانه على كل شيء قدير .

س — ما أوجه الرعاية الاجتماعية التي يمتزها الأزهر للطلاب المبعوثين إليه من العالم الإسلامي ؟

ج — إن لمدينة البعث الإسلامية التي تضم الوافدين إلى الأزهر مشرفين يوجهونهم إلى كل أنواع النشاط الاجتماعي والثقافي والرياضي . ونحن نحرص على دمجهم في المجتمع والتخلق بأخلاقنا الدينية التي تنبثق من القيم الإسلامية الصحيحة .

في الأزهر والسادة آتمة وخطباء وزارة الأوقاف يعنون كل العناية بتثقيف النساء وتوجيههن ، مما كان لذلك من أثر في جيلنا من خلق مجتمع فاضل من النساء يؤمن بالمثل العليا ومن يدري ؛ لعل هؤلاء يكن النواة الصالحة لإنشاء هذا المعهد النسوي الكبير .

س — تعلم أنه قد أنشئ قسم لدراسة الخدمة الاجتماعية بالأزهر فما شروط الالتحاق بهذا القسم ؟

ج — هذه الدراسات أنشئت لطلاب الكليات الأزهرية من السنتين الثانية والثالثة ويختار الطالب بعد اختيار شخصي يؤديه أمام لجنة تؤلف في كل كلية ، ويمكن الحصول على معلومات أوسع من إدارة الشؤون العامة بالأزهر .

س — ما دور الجامعة الأزهرية في بث الدعوة للقومية العربية في العالم الإسلامي ؟ وما موقفها إزاء المناهضين لهذه الدعوة ؟

ج — للجامعة الأزهرية الدور الخطير في بث الدعوة للقومية العربية ، فالأزهر يتخذ من آلاف الوافدين من مختلف الأقطار والشعوب ، والقومية العربية تقوم على دراسة اللغة العربية ومعرفة نواحيها واتجاهاتها وشعوبها ومقوماتها ، وذلك كله بعض من دراسات الأزهر فيتلقاها الطلاب

س - ما نصيحة فضيلتكم لطلاب العلم وطالباته ؟

ج : أما نصيحتي لطلاب العلم وطالباته فهي التمسك بأهداب الخلق والمضيئة ، وذلك عن طريق معرفة الدين وما فيه من صفات خلقية حميدة واجتماعية قريمة - فالدين ملء بالخير يدفع به الإنسان إلى الإمام ، ففيه التعاون الصادق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . وفيه التعااضد الوثيق ، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وما أقوى دعوة المساواة التي يدعو إليها الدين : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، والرسول يقول : لا عصبية في الإسلام ، ويقول : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

تلك المساواة الحقة التي تفتقر إليها مجتمعات الغرب ، والإسلام لا ينظر إلى لون أو جنس بل الناس عنده سواسية كأسنان المشط لا فضل لأبيض على أسود ، ولا لأحمر على أصفر ، ولكن المبدأ الذي يجمع بين الناس جميعا : إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، والشباب خير من يتجه بالحياة اتجاهها سليما إذا استقامت موجهاته ، ولا يستقيم أبدا إلا إذا استقامت الحياة الروحية . وإن الكفايات العلمية لا خير فيها إذا لم تصحبها القوة الروحية ، فإن المادية المظلمة لا تؤمن

س - لقد خذلت فرنسا الضمير العالمي بتصميمها على تفجير قنبلتها الذرية في صحراء الجزائر فما رأي فضيلتكم ؟

ج - إن كل دولة لا تقيم وزنا للقيم الخلقية ولا للثقل العليا دولة هزيلة لا تبقى بعهده ولا تحتفظ برباط ، وفرنسا مع أنها صاحبة الدعوة إلى الإيمان بحقوق الإنسان إلا أنها لا تؤمن بهذه الحقوق ولا تراها ، فهي تقتل النساء والأطفال والشيوخ في الجزائر وتسلبهم التمتع بالحرية في أوطانهم ، فهل تستكبر عليها ما تفعل بعد ؟ لا ، وفي الحديث : إذا لم تسح فامنع ما شئت .

س - هناك جمعية لتحضير الأرواح ، وقد انضم إليها بعض أساتذة الجامعات فهل تؤمن فضيلتكم بحقيقة تحضير الأرواح وعاطلتها ؟

ج - إنه لم يبق دليل حتى الآن يثبت إمكان تحضيرها وتسخيرها لدعوة الإنسان كما لم يدل عليه حسن موثوق به أو تجربة صادقة ، وكل ما نسمعه عن ذلك لا يعدو أن يكون خداعا وأوهاما لا تلبث أن ينكشف أمرها ، وما دام الأمر كذلك فنتحفظ في حل من رفضها إلى أن يقوم الدليل على صدق ما يذهبون إليه وحسب المؤمن أن يقف عند ما أخبر الله به ، وصح عن رسوله .

فريمة لهذه التيارات الجارية وإذا ما حذرت
فائق أفصح بأن يأخذوا بأسباب الدين
والخلق والمضيئة فإن ذلك خير لهم في حياتهم
وإذا ما نصحت الشباب عامة فائق أخص
شابات الخدمة الاجتماعية - فتيات اليوم
وأهبات المستقبل - أخصن بأن يتخيرن في
القراءة وفي السماع وفي المشاهدة الجيد البعيد
عن مواطن الزلل وأن تكون لمن الشخصية
القومية العربية الإسلامية بعيدات عن هذه
« البدع » التي تفد إلينا سافرة مبتذلة .
واقه أدعو أن يتولى شبابنا وشاباتنا
بالخير والتوفيق .

محمود شلتوت

واستقبل فضيلته سير . جوزيف كونيكا ،
زعيم أوغندا الذي وفد إلى الأزهر ليلبغ
فضيلته تحيات المسلمين في أوغندا .
كما استقبل فضيلته وفدا من كبار علماء
إيران على رأسهم آية الله الشيخ ميرزا خليل
كرا لشكر فضيلته على مؤلفاته القيمة وإذاعته
التي يستمعون إليها وقد قالوا لفضيلته : إن
الخطوة المباركة التي ألقتم فيها بين قلوب
المسلمين في أنحاء الأرض أمت ثمارها الطيبة
فلم يمد لطفانية أر بين المسلمين جميعا .
وقال فضيلته : لا شكر على واجب مقدس
ولولا أني أحسست أنكم جميعا تؤمنون بهذا

بمثل ، ولا تدين بقيم . والتيارات الوافدة
من الغرب تضغط المثل والقيم عندنا ، فعلينا
أن نحصن شبابنا بصمق الإيمان ، والمؤمن
القوى خير من المؤمن الضعيف .

إن السموم القاتلة - دائما - تكون
في نواح يتجه إليها الشباب ، ويرتجى في
أحشائها ، فمن كتب تحمل هذه السموم إلى
قصر إلى روايات تحي . إلينا من كل ناحية
إلى أفلام تعرضها دور السينما ، إلى صور
خليعة تحملها صحفنا وتقدمها إلى شبابنا ،
تحرك بها الفرائز الهايطة فثير كوامها ،
وتضعف عقلية الشباب ، فلا يفكر إلا في
إشباع هذه الفرائز بما يضعف قوة الإنتاج
العملي عندنا

وإن الأعاقي الرخيصة والمبتذلة لا تقل
شأنا في الاحمدار بهذه المستويات ، ولست
بمطلق هذه التبعات على الشباب وحده - إنما
ألقها أيضا على أجهزة التوجيه عندنا -
من صحافة وإذاعة وسينما وتمثيل ، فهؤلاء
جميعا مسئولون عن كل انحدار في مجتمعتنا .
إن النهضة في حياتنا الجديدة لتحتاج إلى قوة
في التفكير وسمو في الروح ، وذلك كله
لا يستقيم إلا إذا اتجهت هذه الموجبات
لشباب وجهتها السليمة وبعدت عن إغراء
الشباب بما قشره وتذيعه .

إنني أحذر أبناءنا وبناتنا أن يكونوا

حضرة صاحب الفضيلة المقيم الأستاذ الأكبر
 الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :
 فقد رفعت إلى مقام مولاي صاحب الجلالة
 محمد الخامس - أعزه الله - الكتب التي
 تفضلتم بإعدادها إلى مقامه الرقيق : فتأثر -
 أعزه الله - من نبل مواطنكم التي حدثت
 بكم إلى تفعيم ثمار قرائحكم إليه ، وهي أعز
 ما يهدي ، وأثق على الجهود العظيمة التي
 تبذلونها دون انقطاع لخدمة الثقافة العربية
 والدين الإسلامي الحنيف .
 وأمرني جنابه الشريف أن أبلغكم شكره
 السامى وتقديره لجهودكم ودعاءه لكم بمزيد
 التوفيق والنجاح .
 ولأني إذ أبلغكم هذا المظف الملكي السامى
 أرجو أن تتكرم فضيلتكم بقبول
 خالص تقديري .
 مدير الديوان الملكي

من سيادة رئيس الجمهورية إلى الأستاذ الأكبر
 الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ
 الجامع الأزهر :

تلقيت بخالص التقدير برقيتكم التي أحررتم
 فيها عن أصدق المشاعر وأخلص التهاني
 بمناسبة بدء بناء السد العالي ، وإننا لنحمد
 الله على أن حقق آمالنا بإقامة هذا الصرح

وأنكم كنتم متظرين هذه الوحدة ما استطتم
 أن أصل إلى شيء فيها فإن الإسلام لا يعرف
 الطائفية ولا العصبية إنما يعرف ديناً واحداً
 ورباً واحداً فالحمد لله على ما وفقك إليه .
 هذا وقد أهدى الوفد إلى فضيلتكم كتاباً
 عن قبلة الإسلام ، السكبة ، كما أهدى إليهم
 فضيلتكم كتب التي كلت لها أعظم الأثر
 في نفوسهم .

ثم استقبل فضيلتكم الإهم السنغالي الشيخ
 توري الذي قال بعد أن حيا فضيلتكم : لقد
 قرأت كتابكم الإسلام عقيدة وشريعة الذي
 قدم لي في المغرب وإني أطلب ترجمته وتوزيعه
 على إفريقيا والسنغال ثم طلب معونة الأزهر
 العلماء وقبول طلبه هذا بالترحيب من فضيلة
 الأستاذ الأكبر .

كما استقبل فضيلتكم الشيخ محمد بن داود
 المغربي الذي كان يرافق جلالته الملك محمد
 الخامس أثناء زيارته للدول العربية وتخلف
 في بيروت من أجل زيارة فضيلة الأستاذ
 الأكبر الذي يعرفه منذ ٢٢ سنة وتلذذ
 بعض الوقت عليه .

من معونة ملك المغرب إلى الأستاذ الأكبر :

تلقي فضيلة الأستاذ الأكبر الرسالة التالية
 من السيد مدير الديوان الملكي نصها كما يأتي :

كان مريضاً أو على سفر فعُصِدَ من أيام آخر
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكلوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون .

هذا وأولى الناس بالآخذ برخصة الإفطار
في السفر هم الجنود المجاهدون ، الذين يباشرون
قتال العدو فعلاً ، أو يتهيأون له ما بين ساعة
وأخرى — كالجنود الذين في شرق القناة
الآن — ذلك لأنهم مسافرون أولاً ، والسفر
يبيح الإفطار ، وعاصمه إذا صحبته المشقة
والعنف .

وثانياً ، لأنهم مجاهدون في سبيل الله ،
والإسلام يريد أن يوفر كل أسباب القوة
للمجاهد ، حتى تكون قوته شوكة في جنب
الاعداء ، وخاصة في حلقهم ، وحتى لا يصيبه
أذى ومن أو ضعف في منازلهم ورودم على
أعقابهم خاسئين ، فإذا كان صومه عن الطعام
والشراب لله ، ولحرارة الله ، فإن إفطاره عند
النضال والذوال لله وفي سبيل الله ، لأنه به
يقوى ويستند فيحقق الله له الغلبة والنصر
يأذنه .

ويستوى في ذلك من يقاتل ، ومن يجهز
للمقاتلين ويعد لهم ما يحتاجون إليه من
تموين وغيره .

روى كتب السنة عن أني سعيد الخدري
رضي الله عنه أنهم سافروا مع النبي صلى الله
عليه وسلم إلى مكة في خزوة الفتح — وهم

المنيع والذي نرجو أن يكون يأذن الله منبأ
لخير العميم ولرخاء طال أوتقاه ، ضارعين
إليه تعالى أن يكتب لجمهوريتنا الفتية كل
ما نبغيه لها من عزة وسؤدد ، وأن يحقق
للأمة العربية والإسلامية في ظل التضامن
والقائد كل خير ومجد ، ويمرني أن أبعث
إليكم بأجل الشكر مقروناً بأطيب تمنيات
الصحة والهناء .

(جمال عبد الناصر)

رخصة الإفطار للجنود المقاتلين :

قال فضيلة الأستاذ الأكبر بعد أن حمد الله
وصلى على رسوله ، فإن الله جلت قدرته قد
فرض صيام رمضان على المسلمين تصفية
لروحهم ، وتهذيباً لنفوسهم وتقوية لإرادتهم ،
وتزكية لهم على تحمل المكاره ، ومخالفة
المألوف ، ودرية لهم على ترك الشهوات ، كل
ذلك في سبيل الله وطاعته وابتغاء مرضاته
وهو ما عبر عنه القرآن بالكلمة الجامعة
« لتتقوا » فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون » .

ولكن الله الرحيم بعباده أقام تشريع
الصيام — كما أقام الشريعة كلها — على التيسر
ودفع الحرج عن عباده ، فكان من ذلك
ما شرعه جلت حكته ، وعمت رحمته من
الإفطار للمريض والمسافر في رمضان ، قال
تعالى : « فن شهد منكم الشهر فليصمه » ومن

ومن شق عليه الصوم كان عليه أن يفطر ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً في سفر أجهده الصوم فيه حتى نصبوا عليه ظلة تظله فقال : ما هذا ؟ فقالوا : إنه لصائم ، فقال ليس من البر الصوم في السفر أى الصوم مع مثل هذه المشقة .

فلتقبل رخصة الله التي رخص لنا فإنه سبحانه يحب أن توقي رخصه كما يجب أن توقي عزائمه وتكن نيتكم أيها الجنود القوة على أعداء الله (ولكل امرئ ما نوى) وتعلموا أن الجهاد في سبيل الله أعظم عبادة وأجل قربة إلى الله وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ودجلاً منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوداً رحباً .

وقتكم الله لما يحب ويرضى ، وجعل هذا الشهر الكريم - شهر البشر وشهر الفتح المبين بشير نصر لكم ولأمتنا الكبيرة آمين .

هذا وأما من كان بعيداً عن منطقة القتال والتأهب للحاق بالمقاتلين - كالجنود الذين في منقباد - فإنهم يعدون مقيمين مستقرين لا يباح لهم الفطر إلا إذا صدر إليهم أوامر بالرحيل لحيثنف يأخذون حكم الدين في غرب الفتاة .

والله المستعان وهو ولي المتقين لا ملجأ منه إلا إليه وهو المولى ونعم النصير . هذا واعلموا أن ما قدمته لكم إنما هو حكم الله

صيام - فزولوا منزلاً قريباً من مكة - وهي يومئذ حصن المشركين - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم ، فكانت رخصة - أي لم يأمرهم أمر إلزام - فمنهم من صام ومنهم من أفطر ، ثم زولوا منزلاً آخر كانوا فيه أقرب إلى العدو ، فقال صلى الله عليه وسلم لهم : إنكم مصبحو عدوكم ، والفطر أقوى لكم فأفطروا .

وهكذا أصدر النبي أمره الصريح ، وعالله بهذا التعليل الواضح ، فأنتكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا .

قال أبو سعيد : فكانت عزمة فأفطرتنا . وقد أخذ العلماء من هذا الحديث الصحيح أن الفطر أولى للمجاهدين إذا كانوا في مكان يظن فيه لقاء العدو ، أما إذا كان اللقاء مؤكداً فالإفطار واجب لا مجرد رخصة ، تقوية للجهاد ، وإعانة له على مغالبة أعداء الله وما جعل عليكم في الدين من حرج . وإن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، وأما من كان بعيداً عن مواطن ملاقات العدو ولكنه يتأهب للرحيل والرحف إلى إخوانه في الخطوط الأمامية كالذين في غرب الفتاة مثلاً - فهؤلاء ما داموا غير مستقرين في مناطقهم يعدون مسافرين ، لهم رخصة الإفطار ، ولم أن يصوموا حسب قدرتهم

إن مؤتمركم المنعقد اليوم ليعلم لكل مستتر بحقوق الإنسان أننا بقوة الاتحاد والتعاون، ومبدأ التضحية التي رسمتها لنا الأديان سنرد عليهم بقيمهم وطفائهم فلم يعد العالم يتحمل لثم هذه العقلية الاستعمارية المأفونة التي تنادى بمبادئه لا تستطيع حمايتها ولا تتمثل في نفوس أصحابها، فإن كل ما أتى به إنما هو من الإنسانية التي يظنون أنهم منها وهي منهم براء .

لقد خلقنا الله من نفس واحدة ، فمن إخوة متحابون تجمعنا الإنسانية فلو كانت فرنسا تؤمن بهذه المعاني ما أقدمت على تفجير الذرة، وطالما نادينا بالكف عن الإقدام على تحطيم المعاني الإنسانية بتفجير هذه القنبلة فلم ترعوا فرنسا ولا مؤيديها، وإنما كان إصرارهم إصرار المستبد الذي لا يحترم حقوقاً ولا يعرف للإنسانية كياناً، وكيف يتحقق هذا مع تشدقها بحق تقرير المصير، ألا فلتنبؤ هي وكل معتد بالخسران المبين .

ولنتوجه إلى الله تعالى أن يقوى وحدة القلوب المليئة بالرحمة التي لا تعرف الفسوة ، والتي تحنو على بني الإنسان وترعاهم .

أيديكم الله وأييد الحق بكم ، وأييد الزعيم العظيم والبطل القوي المؤمن بالله وبحقوق الوطن الأكبر السيد الرئيس جمال عبدالناصر وأدام الله له توفيقه في خدمة الإنسانية حتى

تعال بالنسبة لأهبيام المجاهدين والمقاتلين وبقى الحكم بالنسبة لفضاء هذه الأيام ، فاعلموا جميعاً أن من وجد وقتاً يقضى فيه الصوم فعليه قضاء هذه الأيام التي أظفرها لقوله تعالى : ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر . وأما من لم يتيسر له هذا الوقت بأن ظل مشغولاً في مثل هذا العمل وكان عمله يقتضيه ذلك كأولئك الذين يعملون طول حياتهم في المناجم وفي صهر الحديد فلي من كان مثل ذلك فدية . يعلم عن كل يوم مسكيناً والله الموفق والمساعد .

صه الأستاذ موسى عز الدين

إلى الأستاذ الأكبر

توحيد كلمة الأمة وجمع شتاتها لا تستحقون عليه شكرنا لحسب ، ولكن شكر الاجيال القادمة كذلك لأنه خير ما قام به روحاني جليل في تاريخ أمتنا، وفقكم الله وسدد خطاكم لكل ما يعود على الأمة الإسلامية والعرب أجمع بما فيه الخير والصلاح .

خادم العلم الشريف

موسى عز الدين

من كبار علماء الشيعة الإمامية في لبنان

صه الأستاذ الأكبر

إلى رئيس المؤتمر الآسيوي الإفريقي السيد رئيس المؤتمر الآسيوي الإفريقي بالقاهرة :

على المحرص عليها والاحتفاظ بها فإنها رمز
لأمة وأجيال تربعت على عرش الحضارة
وخلدت ذكريات في التاريخ .

ولست هذه صدنا في مكانة آثار تدل على
الضعف والاستكانة . فشتان ما بين هذا وذاك .
إن الأزهر قد قام على حفظ التراث القوي
النافع المفيد وظل يدأب على ذلك أكثر من
ألف عام وسيظل يأذن الله يؤدي رسالته
ويقوم على مهمته في قوة وإيمان ونهم
لهذه المهمة . إنه رائد التربية والثقافة في أنحاء
العالم الإسلامي ، ومنظمة اليونسكو رسالتها
التربية والثقافة وهي على هذا النحو شريكة
الأزهر ، فلا بد من التعاون بين البيتين -
بين البيت التي وقعت على قدمها وبين البيت
التي بدأت تفارق في هذه المهمة .

إن أول لقاء وجهه من المولى - جلست
قدرته - إلى محمد صلى الله عليه وسلم - النبي
الأمي إنما كن رسالة تطارد الجهل في كل
أوكلاه وتمح على العلم بكل أنواعه . اقرأ
باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من
علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم . .
إننا ينبغي أن نحرص كل المحرص على
الآتي في العالم إنسان جاهل فإن الجهل
شرما في الوجود والله يقول : « هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . ولا يحيا
العلم ويموت الجهل إلا في الأمم المستقرة

لا نرى في إفريقيا وآسيا إلا أمة حرة قوية
تبنى مجدها على أساس من الاتحاد والصبر
فتظهرها من كيد الكائدين .

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

الأستاذ الدكتور

مدير اليونسكو

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه
الدكتور فيتورينو فيرونيز مدير طم منظمة
اليونسكو ، وبعد أن حياه فضيلة وحيا
مراقبه قائلا لهم « مرحبا بكم فانا أحب
البيئات - والأفراد الذين يعملون للإنسانية
عامة - وهيئة اليونسكو - هيئة التربية والثقافة
نحبا كذلك ما دامت تعمل للخدمات
الإنسانية عامة . وأقوى ما في هذه الخدمات
أن تقيم وزنا لكل ما يبق على آثار السلف
الصالح ، فللقآن اهتمام كبير بآثار السلف
ما دامت نافعة وما دامت تحي فكرة وتثير
ذكرى وتحرك معاني يكون لها الأثر الصالح
في تربية الأجيال وتنشئتها » قد خلقت من
قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين .

إن الآثار التي تعلن عن قوة الأمم ورفعة
شأنها وقوتها في الحضارة وعمقها في الإيمان
بالوطنية ، هذه يجب أن تتعاون الأمم جميعا

لا يمكن حلها إلا عن طريق التربية والتثقيف .
ثم إن التربية لا تنفع وحدها إذا خلت من
الضمير الذي يربط الفرد والجماعة بالرقب
الجبار ؛ فيحس الضمير معه في كل عمل ، وبذا
يستقيم الأمر ونحيا مقومات المجتمع لأن
حوامل الهدم حينئذ - لا يكون لها أثر بين
الأمم حيث لا غش ولا خداع ولا خيانة
ولا سرقة ولا نهب ، وحيث الرحمة تعمل
في النفوس ، فلا قسوة ولا ظلم ولا طغيان .
هذه بعض مثل الإسلام ومبادئه وقيمه ،
وهي الأصول التي نستدير بها ، وهي تأخذ
بأيدينا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم . هذه
المثل هي مبادئ الأديان جميعاً . وأصل من
أصولها هذا لو سار الناس جميعاً في دربها
واقتضوا آثارها . إن النفوس الخيرة هي التي
تستطيع أن تتجاوب مع أوامر السماء
بخلاف النفوس التي لم تطيع على الخير ،
ولم يحرك الإيمان أوتار قلوبها فن أولئك
الذين يعيشون تحت تأثير المادية المظلمة
فهؤلاء جميعاً ندعو الله أن يوجههم إلى فهم
معاني التراحم والتواد والتعاطف .

فقال السيد الزائر :

إني لأشكر هذه الظروف التي أتاحته لي
هذه الزيارة ، وإنه ليسرني أن أعبر لكم
عن عاص شكري وتقديري .

فقال فضيلته :

« وأنا أشكر لكم هذا التقدير ، ... »

المطمئنة ، والاستقرار والأمن هما المائدة
التي يطعم منها الناس طعام العلم والمعرفة
ويستقون من مناهلها . فعلى كل متجه إلى العلم
أن يعمل على دعم والاستقرار الأمان والطمأنينة
فمن الواجب حينئذ أن تتضمن على تخفيف
ويلات الإنسانية التي تحمل بها وتخفيف
الويلات التي يصيبها الأقوياء على ردوس
الضعفاء ، فإن أمة كالجزائر - كيف ينتشر
العلم بينها والسهام مصوبة نحو أبنائها ،
وذئاب البشرية يربصون بهم ، ينحون
الإنسانية جانباً ولا يذكرون إلا الطمع
وحب السيطرة والنفوذ والاستعمار الذي
يؤمنون به .

ثم كيف ينتشر العلم في فلسطين المنكوبة
التي شرد أهلها وذووها . إن أصحاب المثل
وذوى المبادئ هم الذين يحرصون على أن
يؤدوا للبشرية خدمات عامة وأولها الاطمئنان
والاستقرار .

وهنا رد مدير اليونسكو قائلاً :

أنا أنفق مع فضيلتكم في العشاء السهل ،
ونأمل أن تهباً للثقافة والعلم كل هذه النواحي .
فقال الأستاذ الأكبر :

إن الإسلام يدعو إلى التعاون . فهذا
كتاب الله يقول : « تعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . ومن
البر تعليم الجاهلين . وإنني أرى أن مشكلات
العالم التي ين منها ويرزح تحت أعبائها

برِّيَّةُ الْجَنَّةِ

من ذكريات رمضان

عاشهر رمضان شهر الخير والبركة والإحسان شهر الوثام والحب والتعاون عاد رمضان وطاد معه الخير الوفير والثواب الجزيل . عاد رمضان شهر الخيرات والبركات ففيه أنزل القرآن . هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . . فرض الله علينا صيامه تمجيذاً له وتعظيماً . وفي شهر رمضان فتحت مكة فقد فتحها الرسول الكريم في العام الثامن للهجرة فكان لفتحها الأثر البالغ في قلب العرب . وتم فتح مصر في الشهر المبارك من العام العشرين للهجرة فأصبحت مصر بعد فتحها قطعة من الوطن العربي الكبير . وإنه لمن العذوب الحميدة أن الجامع الأزهر الشريف ذلك الرمز العظيم الذي يعتبر مركزاً عظيماً من مراكز الإشعاع العلمي والثقافي والذي يقد إليه كل طامع مئات الآلاف من شباب الوطن العربي يطلبون العلم والمعرفة من بين رجا به قد تم بناؤه في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٦١ هـ في عهد الفاطميين وفي شهر رمضان أيضاً تم انتصار صلاح الدين الأيوبي

على أعدائه فاستطاع أن يوحد كلمة العرب وأن يوحد صفوفهم وأن يجمع شملهم . فما أعظمه من شهر تحققت فيه كثير من آمال العرب فهو حقاً شهر الخيرات والبركات . ولكن ما هو الهدف من صيامنا وما هي الدروس التي نستخلصها من الصيام ؟ لقد فرض الله علينا صيام رمضان حتى نتعلم من الصيام أشياء كثيرة فنحن عندما نفصوم نشعر بالجوع والعطش وهذا الإحساس يدفعنا إلى أن ندرك مدى ما يعانيه الفقير من آلام عندما يقرصه الجوع ولتس ما يكابده الفقير المحتاج من يؤس وشقاء فإن هذا الشعور يدفعنا دفأ إلى أن نمطف على الفقراء والمساكين وإلى أن نمد لهم يد العون والمساعدة . ونمطف عليهم عن طيب خاطر . والصوم يعلمنا الصبر والاحتفال على الشدائد وهما من أهم عناصر نجاح الإنسان في الحياة كما أن الصوم يحمد من كبرياتنا ويمسنا نبتعد عن التعالى ونشعر بالمساواة وبأنا جميعاً من جنس واحد فلا فرق بيننا إلا بما نقدمه من عمل صالح يرضى الله والرسول . ولقد فرض علينا الصيام لكي تصفو نفوسنا

حيث نحدثنا طويلا في شئون المسلمين ووضع الإسلام في إفريقيا الغربية .

والشيخ تورى درس الإسلام والعربية في دار جمعية العلماء بالجزائر ، وأعيد إلى مسقط رأسه « السنغال » حين شبت الثورة في شمالي إفريقيا . ثم بدأ اتصاله بالمهتمين بالشئون الإسلامية من المثقفين ، وتأسس الاتحاد الإسلامى الثقافى واختير رئيسا له عام ١٩٥٣ م .

وبذل الاستعمار الفرنسى جهودا ضخمة ليعرقل الاتحاد ، وفشلت الجهود ، وعقد أول مؤتمر إسلامى عام لغربي إفريقيا ، حضره جميع المنظمات الإسلامية في جميع المقاطعات الإسلامية ، واتخذ قرارات كان لها أثرها في تعبئة الوعي الإسلامى .

هذا وقد أنشأ الاتحاد زهاء خمسين مدرسة ابتدائية لتعريس العربية ومبادئ الشريعة ، وشجع تسلل الشباب إلى البلاد العربية الإسلامية لا سيما شمالي إفريقيا ليتزودوا بأكبر قسط من الثقافة الإسلامية ، وأرسل بعثة إلى تونس للدراسة في جامعة الزيتونة كان عددها ٣٢ طالبا منهم ثلاث فتيات .

والشيخ تورى شاب مسلم مجاهد ، لا يألو جهدا في العمل المتواصل من أجل المحافظة على كيان الشعب المسلم في غربي إفريقيا ، ولقد قابل السيد وزير الأوقاف ، والسيد

وتباعد عن الأحقاد وما أجمل أن تصفو نفس الإنسان وتبعد عن المنكرات فليس الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب لحسب بل الإمساك عن السب والشتم والقول الجارح أيضاً . انظر إلى قول رسول الله عليه السلام حين يقول : « ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من الغفوة والرفث فإن ساءبك أحد أو جهل عليك فقل : إني صائم إني صائم » . ويقول في حديث آخر : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

فما أجمل أن نتعلم من شهر رمضان معنى الجلال والمحبة جمال الروح وحب الناس جميعاً فهو شهر كريم خليف أن يبعث في نفوسنا الإيمان والتقوى وعمل الخير والبعد عما ينهض الله ورسوله وما أجمل أن يكون هذا الشهر باعثا لنا على التعاون والسمي من أجل رفع شأن وطننا ومرحبا بشهر رمضان شهر النين والبركات .

سعد توفيق حمدى

بجاءه إسلامى :

يزور القاهرة الآن مجاهد إسلامى هو الشيخ تورى رئيس الاتحاد الإسلامى الثقافى في غربي إفريقيا .

وقد زار فضيلة الأستاذ الأكبر في مكتبه

ويبتلى "رحمة وشفقة بأناس تمردوا من الإنسانية واقتضت من قلوبهم كل رحمة ، فأصبحت كالسجارة أو أشد قسوة ، والكاتب القدير يولول ويتحجب على مصيرهم السيئ ، وحظهم العائر ، مما يدعو إلى البعث والمعجب . وما لاشك فيه أن حكمة الله بالغة ، وأن ما وضعه من حدود كفيل بسعادة المجتمع ورفقه وازدهاره ، وما رسمه للناس من تشريع يهيء لهم أسباب الحياة الوادعة الآمنة المطمئنة ، وما أروع قوله تعالى : "ولسكن في القصاص حياة" ، وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والآنق بالآنق والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، ويعلم الله أن فئة من القوم سوف يخرجون على هذه التعاليم ، ويتعدون تلك الحدود ، لحذونا من ذلك ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون .

وإذا كلن السيد الكاتب يصف المجرم القاتل الأثيم بالمسكنة ، ويستجدي له الرأي العام الرحمة ويطالب من أجله بإلغاء العقوبة فيم يصف الصحبة المسكنة البريئة ، التي سلبت حق الحياة ، وحرمت نعمة البقاء ؟؟ وماذا يطلب من أجلها ؟؟

سيدى الكاتب : إن الجلاد يسلب المذنب حياته باسم القانون والعدالة ويعتق الدين

أنور السادات سكرتير المؤتمر الإسلامى ، واستطاع أن يلقى وعدا بضرورة التعاون مع الاتحاد الثقافى الإسلامى ، الذى يترتب به الاستعمار الفرنسى المواتر .

ويعتقد الشيخ تورى أن العاطفة الإسلامية من أقوى العواطف ويمكن استغلالها استغلالا خالصا فى توحيد كلمة الشعوب الإسلامية فى سائر أنحاء العالم ، ويقول :

"لقد كانت معركة فلسطين من قبل ، كما أن حرب الجزائر اليوم ، تلهيان إحساسات المسلمين ومشاعرهم فى كل إفريقيا ، ولو كانوا يملكون من الأمر شيئا لسعوا بأرواحهم يفتحمونها قربانا لفلسطين الشهيد . . والجزائر المكافئة المناضلة .

ولكن ما حيلتهم وهم فى قبضة استعمار تجرد من كل دوافع الشهامة والشرف . .

سم - ع - السهام

بل يجب أنه تبقى هذه العقوبة !!

قرأت فى جريدة الجمهورية الصادرة فى ١٩٦٠ / ٢ / ٩ مقالا للأستاذ إبراهيم نوار رئيس التحرير يطالب فيه بإلغاء عقوبة الإعدام .

والمقال يفيض بالهوى والأسى من أجل فئة ضالة ، خرجت على القوانين ، وتمردت على الأديان ، وأحلت لنفسها ما حرم الله ،

مول النصيرية والإسماعيلية : في الاقليم الشمالي

وبعد : فقد قرأت في عدد شعبان ١٣٧٩ هـ في باب (بريد المجلة) تحت عنوان (غلاة الشيعة لم ينقضوا بعد) كلمة للأستاذ حسن عمر عمر - بشر فيها بالخير لاقتشار الإسلام بين طوائف (النصيرية والإسماعيلية) في بلاد الشام وأن الأزهر قد أرسل إليهم هذا العام الأستاذ الشيخ عبد الطيف مشتهري واعظاً وداعياً إلى الإسلام عبر أنه لم يحكك بينهم إلا شهراً واحداً هو شهر رمضان وعاد إلى القاهرة - ثم وجه الأستاذ كلمة عتاب للسليمن لإهمالهم نشر الإسلام بين هؤلاء ورجا الأزهر أن يدرس حياتهم وعقائدهم وأحوالهم الاجتماعية ليقوم معهم بواجب الإرشاد لقاء ما يبذله المبشرون في هذه المناطق .

وانصافاً للحقيقة أقرر - وأنا المشار إليه في كلمة الأستاذ والذي أرسلني الأزهر إليهم في رمضان الماضي - أن أهل هذه المناطق لديهم استعداد طيب للهداية ولا ينقصهم إلا الواظظ المخلص المقيم بينهم وبما لمسوه مني وسمعوه في هذه الفترة القصيرة وبما قت به أثناءها من زيارات في قرى الجبل والساحل والمدينة بمحافظة اللاذقية وهي معقلهم إذ يبلغ عدد السنيين فيها الخمس والباقي علويون ومسيحيون

والنصارى ، ولكن القاتل الذي تدافع عنه .. بأى حق أراق الدماء ، ثم قل لي بربك ! ألو تركنا القاتل حياً ستصلح حاله وتحرر نفسه عما اعتراها من عقد وانحرافات ؟ قطعاً لا ، فكم من قاتل لم يعدم ، وخرج من السجن ليعيد سيرته من جديد ، وليريق دماء الناس ظلماً وعدواناً ، ثم ألا ترى أن أهل القنيل إذا أعدم القاتل هدأت نفوسهم وأطمأنت قلوبهم بينما لو لم يعدم انتظروا خروجه من جحره ليأخذوا بالثأر وتصور قصصك والدا أو أخاً لقنيل ، فهل ستدافع عن القاتل هذا الدفاع المجيد ؟ وهل ستطالبه بحق البقاء ؟ وتأكد يا سيدي أن القانون حينما منع المحكوم عليه بالإعدام حق الالتجاء إلى التقصص لم يمن في تعذيبه كما قررت ، ولم يكرر موته كما قلت ، وإنما منحه فرصة يثبت فيها براءته إن كان بريئاً ، وأعطاه أملاً يعيش عليه تلك الأيام الباقية في حياته ، فلا تذهب قصصك عليهم حشرات ، فألقه عليهم بما صنعوا وبما يصنعون - لو لم ينفذ فيهم الحكم - من سفك الدماء ، ونشر الخوف والموضى بين الناس .

ثم هل دافعت عن كل المظلومين ، ومهضوى الحقوق ، ولم يبق أمامك إلا الدفاع عن القنلة المجرمين ، شئ غريب !!

مصطفى أحمد أبو خيرة

على تجميع العناصر وبسبب عشرات الآلاف من البشر الزاحفين على بيوت الله كل يوم ، حتى ضاق وسع الجوامع عن استيعابهم مما دعا المجلس الإسلامي الأعلى لأوقف الشام بحلته ١٩٦٠/١/٧ إلى تقرير توسيع جامع (العجمان) بمدينة اللاذقية لشدة إقبال الرجال والسيدات كما قرر مفقش دار الفتوى العامة السورية بعد مروره على دروس في تقرير دفعه للسيد وزير الداخلية أن الإقبال منقطع النظير ، ونشرت صحيفة الأيام مقالا من أربعه أعمدة بتاريخ ١٩٥٩/١٢/٣١ عن الأثر الطيب بين الشباب والسيدات لهذا الانتداب وأرسل لي الأزهر كتاب شكر على أداء الرسالة كاملة . وكنت كل يوم أنتقل من نصر إلى نصر في إعلاء كلمة الله . وغازت تجمع المسيحيين والعلويين والسنين عملاء الاستعمار من الملحدين والمخربين ، حاول أحدهم مقاومة موجة الإيمان والوحدة العربية الموحدة برهبا ، فألقى بالمركو الثقافي العربي باللاذقية محاضرة عن العدالة الاجتماعية قرر فيها أن الإسلام حقق العدالة الاجتماعية في النصوص أكثر منه في الواقع وأن الرسول مات قبل تأدية رسالته وأن كلول ما ركس هو نبي الاشتراكية . وأنه مع أنجلزهما اللدان حقاً مبادئ "العدالة في منتصف القرن التاسع عشر ، وأن مدة الخلقاء الراشدين لم تكف لتكوين الفرد المدني الصالح ؛ وأن

أقول بما لمسوه أبرقوا إلى المسئولين بالقاهرة لاتداني لم بصفة دائمة ، وقد تم الانتداب ووافق الأزهر على سفرى إليهم لهذا الغرض السامى بعد دراسة مستفيضة عن أحوالهم ومذاهبهم ومبادئ المنطقة كلها ووصلت إليهم من أول شهر ربيع الآخر هذا العام وقت إلتقاء المحاضرات والدروس وبالزيارات لبلاد المحافظة ، حتى جمع الله على يدي عناصر الشعب هناك (سنين وعلويين ومسيحيين) ولأول مرة في تاريخ اللاذقية بالذات يجتمع العلوى في المساجد بأخيه السنى ويجتمع المسيحي في المسجد بأخيه المسلم تحت راية العروبة الصاعدة والقيادة الناصرية الرشيدة ، وكانت فرق العلويين تتوافد كل يوم علينا بالعشرات طالبة الهداية وطالبة زيارتهم وقت بزيارة قضاء الحفة وبانياس وطرطوس وجبله وقرى جسر الشفور وحريصون ودباش وقرداحه وبارقا وبيت سوهين ومنبرعه ... حتى أبرق العلويون ومفتوم ومشايخهم إلى السيد الرئيس والمشير عامر والسراج وشيخ الأزهر يشكروهم على انتدائي الذى وحد كلمتهم ونشرت هذه البرقيات في جريدة (الأيام) السورية بتاريخ ١٩٦٠/١/٨ وقد رد عليهم المسئولون ببرقيات شكر كما أرسل إلى السيد الرئيس - حفظه الله - لهذه المناسبة بطاقة شكر

حيث أركبوني الطائرة بالقوة وقدمت
تقريراً مفصلاً للأزهر وأبرقت إلى السيد
الرئيس بملخص الموضوع وطالبت بالتحقيق
السريع لصالح الوطن - وقد قامت في
المحافظة مظاهرات ضخمة من الشباب
والسيدات والرجال للطلالبة بعودتي وجرح
منهم من جرح وأرسلت مئات البرقيات
للمسؤولين بذلك وأبرق أعضاء الاتحاد
القوى باللاذقية - وم - ثلاثون عضواً منهم
ثلاثة مسيحيون لإعادتي .

والمشكلة التي أقررها على مسئوليتي أن
بعض المسؤولين في المحافظة من حزب البعث
المنحل ولا تزال روح الحزبية البغيضة تعمل
عملها فيهم ولا يصرم أبداً أن يروا مصلحا
تجتمع عليه كفة الأمة ويجمع عناصرها
المختلفة تحت لواء العروبة - وأنا أحتفظ
معي بالوثائق المثبتة لكل كفة من مقال وأقرو
أخيراً أن الواجب يقتضي لصالح العروبة
والإسلام أن نطهر البلد من بقايا النغميين
والملاحدين وقد اقترحت في تقريرى أن تسافر
لجنة من العلماء والمسؤولين إلى اللاذقية لثرى
وتسمع بنفسها عن الأثر الذي تركته في هذه المدة
القصيرة - والله متم نوره ولو كره الكافرون .

عبد اللطيف مشهري

مبعوث الأزهر لسوريا - اللاذقية

القانون الفرنسى غزا النفق الإسلامى وأثر
فيه وأنه العقل المدون وأول شريعة
مكتوبة ، وأن السلف حاولوا تحقيق العدالة
الاجتماعية ، ولكن حال دون ذلك
التطاحن على كراسى الحكم وتحكم الأغنياء
في الفقراء وجهل علماء المسلمين ومشايخهم
بأمور الحياة سوى المبادئ وبعض المعاملات .
وأن النصرانية حاولت تحقيق العدالة ولكن
تكالبرهبتها على الشهوات حال دون ذلك وكان
هذا المحاضر هو أحد المحمود المحامى باللاذقية .

وقامت في المحافظة موجة من السخط
والتذمر من المسلمين والمسيحيين على هذه
المحاضرة ، وجهل في مدير المركز الثقافي ووكيله
وطلبا منى إلقاء محاضرة عن العدالة الاجتماعية
في الإسلام وحضرها أكثر من ٢٥ ألماً
من المسيحيين والعلويين والسنيين ، ومكثت
ثلاث ساعات ونصف ساعة أرد فيها شبهاته
وأفند ادعاءاته ، وبجئت هذه المحاضرة التاريخية
وهي معي ، وقد نالت رضا الجميع وأعادت
الطمأنينة إلى النفوس .

وما أشعر بعد ذلك بأسبوح إلا بالأمر
من المسؤولين في اللاذقية لأغادر عملي إلى
القاهرة وحاولت أن أنعرف الأسباب فلم
أستطع حتى أبرقت للأستاذ الأكبر وأنا
بدمشق لأستأنس برأيه فتمنوا وصول البرقية
إلا بعد خمسة أيام وبعد وصولي للقاهرة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المعاون
إدارة إجماع الأزهر
بالقاهرة
١٩٦٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

يشترك في التحرير
عبد الرحمن محمد الوائلي
بذل الاشتراك
في مجلتي الأزهر والمجلة
خارج المؤسسة
والدستور والطلاب تخفيضاً

بجهد من شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء العاشر - شوال سنة ١٣٧٩ هـ - أبريل سنة ١٩٦٠ م - المجلد الحادي والثلاثون

الفهرس

صفحة

- ١٠٣٨ أمة التوحيد لا بد أن تتحد
للأستاذ أحمد حسن الزيات
- ١٠٤١ الإسلام وحدة وجامعة
حدثت قضية الأستاذ الأكبر
- ١٠٤٤ مود إلى التفاهين
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ١٠٤٨ دور الأمومة في الخدمة الاجتماعية
للأستاذ الدكتور محمد المهي
- ١٠٥٨ جانب من العبرة في قصة آدم عليه السلام
للأستاذ عبد الحليم السبك
- ١٠٦٤ مثل عليا إسلامية مربية - ٥ -
للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
- ١٠٦٩ الكرامة والعزة في القرآن الكريم
للأستاذ محمد محمد الدين
- ١٠٧٤ عبد القطر في التاريخ والأدب
لأديب من العراق
- ١٠٨٣ شعراء الوحدة : ابن سناء الملك
للأستاذ علي العماد

صفحة

- ١٠٩٠ الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب القسطنطين
للأستاذين يوسف القرضاوي وأحمد السال
- ١١٢٤ للحمية والتفليد : الأستاذ محمود المرطوي
- ١١٣١ عمر القاروق في بعض جوانبه للمنازة
للأستاذ عباس طه
- ١١٣٧ لغويات : الأصول : للأستاذ محمد علي التجار
- ١١٤١ ما يقال عن الإسلام : الله في العقيدة الإسلامية
وفي أقوال علماء المقاترة بين الأديان
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ١١٤٥ نجد - قصيدة -
للأستاذ حسن يلد
- ١١٥١ الكتب : تاريخ الإسلام في الهند - ديوان
ابن الحمينة - وحيمة العالم الإسلامي - أشعة
خاصة بنور الإسلام
- ١١٥٥ يريد الحق : كلمة الرئيس جمال عبد الناصر
لفناء الإسلام والهدى - برقية الأستاذ الأكبر
إلى سيادة الرئيس بمناسبة هذه الكلمة - رسالة
الأستاذ الأكبر إلى مسلمي القبلتين - عبد القطر
عبد مبادئ - ومثل - بدعة استعمار الأرواح

بآخر العدد

فهرس أيجلد

لموضوعات المجلد الحادي



أُمَّةُ التَّوْحِيدِ لَابَدًا أَنْ تَتَّحِدَ

بغلام : أحمد حسن الزيات

غير رابط ، فاصت في نفوسهم الحياة وزخرت في صدورهم القوة فصرفوا هذا النشاط العارم إلى نزاع لا ينقطع وصراع لا يفتر . فاقضت حكمة العلم الحبير أن يكون لباب الدعوة المحمدية الوثام والسلام والهداية .

ومن أجل ذلك كانت الصفات الغالبة على شرح الله في كتابه هي النور والهدى والاستقامة والرحمة : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » . « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » . « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونفسه جهنم وساءت مصيراً » . « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » . « هذا ناسر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » .

ومن أجل ذلك أيضاً كانت عزائم الله

التوحيد أصل الأصول في دين الله - عليه فاست المعقيدة واجتمعت الكلمة واتحدت الأمة ؛ وبه فتح العرب أكثر الأرض وحكم المسلمون أكثر الناس .

وليس التوحيد أن تقول : لا إله إلا الله . ثم تجعل معناها الجامع ومرماها البعيد وراء عقلك ودون وعيك ؛ فإن توحيدك الله معناه اعتقادك بأن لاسلطان إلاسلطانه ، وأن لا دستور إلا قرآنه ، وأن لاسبيل إلاشرعه ، وشرع الله إنما قام على الوحدة والجماعة ؛ لأن شرع الجاهلية كان يقوم على الثنات والفرقة . والثنات سبيل الضلالة ، والفرقة أصلها الجاهلية . والضلالة والجاهلية لا تجتمعان في طريق ولا تتوافيان على غاية .

والعالم كان يوم بعث الرسول وظهر الإسلام جائر السبيل حائر الدليل غائر العزيمة . يكابد في هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية وثيق الروح ، وعصية ترقق الشمل وجاهلية تقطع الطربيق . وكان العرب يومئذ على الأخص أشثاناً من غير جامع ، ومسلماً من

بشرة قفوة وتوزيع للعدة ، وليس في الرمل
المزابل شدة الجبل المتناكس ، ولا في القطر
المتفرق قوة السيل المتجمع وإذا كان للقوى
أن يعيش منفردا كالأسود ، فليس للضعيف
إلا أن يعيش مجتمعاً كالقروء .

ومن أسرار الطبيعة في الحي إذا خلق
أصل من الثاب الأعصل والظفر الحاد أن
تنمي عدده بكثرة النسل ، وتقوى ضعفه
بضرورة الاجتماع . ونهه الأخلاق التي تمسك
المتجمع وتقويه من إيثار الخير وإنكار الذات
واتحاد بالجماعة ؛ ليستطيع في حي جنسه أن
يضمن القوت ويأمن العدو . ومن أعجب
العجب أن العالم العربي وقد قل بالانقسام
وذلك بالتنازل يرى الخطوب تتوالب على
جوانبه ، والنوازل تتعاقب في أحشائه ، ثم
تظل كل دولة من دوله سائرة في مشاصب
مواسم لا تعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة
ضعف النحل والنمل من التكافل والتعاون ،
ولا بما فرضته الشريعة على المستضعفين من
التواصل والتضامن ، وقد كانوا أحرى بما يحكم
الطبع والشرع أن يتحدوا في السياسة الموجهة
والقوة المدافعة والستود المشرع والرئيس
الحاكم .

إن الدويلات الضعيفة كان لها فيما مضى
من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين
وحكم القاتون وعرف السياسة ، فكانت
تعيش في ظلال الخلق الإنساني العام حرة آمنة

في الكتاب قائمة على ما يحقق الوحدة ويوثق
العقدة ويديم الألفة واعتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا . . ومن يعتصم بالله فقد هدي
إلى صراط مستقيم . . ولا تنازعوها فقه شلوا
ونذهب وبحكم . . وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . .

فالتوحيد إذن من الكلم الجوامع التي وعث
جوهر الإصلاح وسر النجاح لكل مجتمع
وأمة ، فهو يدل بمفهوم لفظه على توحيد
الله ، ويلزم معناه على توحيد الرأي
وتوحيد الحكم وتوحيد القبلة وتوحيد الخطوة
وتوحيد الغاية وتوحيد القوة وتوحيد
القيادة . وفي سبيل هذا التوحيد قضى الإسلام
على الفرد الذي يكفر بوحدة العقيدة والأمة
أن يقتل . وعلى الطائفة التي تبني على جماعة
المسلمين أن تقتل .

ومهما تختلف الآراء وتنشعب المذاهب
وتتعدد الفرق فإن التوحيد الذي تضمن سر
الإسلام كما تضمنت النواة سر النحلة ، يظل
بنجوة من الخلاف لا يخرج عنه ولا يمارى
فيه إلا مشرك أو مرتد . كذلك الوحدة التي
انبثقت عنه انبثاق النور عن الشمس والعبير
عن الروع والحياة عن الروح ، لا يجوز في عقل
واع ولا إيمان خالص أن تعرقها عصية لحزب
أو مذهب ، ولا أناية لزعيم أو حاكم .

والوحدة كما توجهها الشريعة لسلام الجماعة ،
توجهها الطبيعة لسلامة الفرد ؛ لأن التشتت

الدعوة العظمى أن يذكروا مانسوا ، ويجددوا ما طمسوا ، ويعملوا أن الحق هو القوة ، وأن القوة هي الوحدة ، وأن وحدة العرب كانت معجزة دين التوحيد ، قام عليها تاريخهم القديم ولن يقوم على غيرها تاريخهم الجديد .

إن اتحاد الدول العربية ضرورة خلقتها غريزة حب البقاء وهو لابد واقع . أما وحدة الأمة العربية فهي واقعة بالفعل ؛ لأن كتاب الله لا يزال مقروءاً وسنة رسوله لا تزال متبعة . فمن يقل إن العراق منشق على الوحدة لأن فلانا اشق ليسمى قصة الزعيم الأوحده ، وأن الأردن قد فارق الجماعة لأن علاناً فارقه لينتم في ظلال انجلترا بالعيش الأرغد ، وأن تونس تركت العقيدة لأن (أبا جان) تركها لتصبح عقيدة بفرنسا أو تون وأعتقد ، من يقل ذلك يكن من الذين لا يرأون يقولون بأن هوى الرعيم مشيئة الأمة ، وأن إرادة الملك شريعة المملكة !

إن الأمة العربية جمعاء لسان واحد وسيف واحد في جهاد الاستعمار والبنى . فمن لم يكن معها فيه فهو عليها . ومن يحال عدوها لفلول في صدره أو نكول في طبعه فليس منها .

ومن تسول له نفسه أن ينقض اليمين بعد توكيدها ، ويفرق الأمة بعد توحيدها ، فهو هربي من غير هروبة ، ومسلم من غير إيمان ، وإنسان من غير ضمير ؟

أحمد حسن الزيات

لا تجحد من جلالتها الكبرى إلا ما يجحد الصغير من عطف الكبير والفقير من صون الغنى .

فلما استكلب الطغيان واستشرى الطمع وامتدت أعين الأقوياء إلى ما في أيدي الضعفاء ، عاش الناس عيش الوحش في البر يفترس قويه ضعيفه ، أو السمك في البحر يبتلع كبيره صغيره ، وسمى المادون المخربون هذا البغي الكافر استعماراً والتسواؤه المال والأسباب ، وعاقبوا عليه الأسماء والألقاب ، وأدخلوه بمصطلحاته المقررة ومسوغاته المزورة في دنيا الاسترقاق من أبواب القانون الدولي العام ١ وحيث ذل الحق وعزت القوة ، وخرس العقل وتكلم الهوى ، وأفلس المنطق وأغنى السلاح ، وشمرت الأمم التي لا تملك العدد ولا العتاد ولا المال ولا العلم حين رأت أشدق الجبابرة المستعمرين من دول الغرب تحطب طمعاً في احتلال الشرق واستغلاله ، شمرت أنها موضوع النزاع وموضع الصراع وغنيمة الحرب ، فاعتراها ما يعتري النطيع من التجمع والتضام حين يسمع من بعيد هجمة الذئب ، وسمى بعضها إلى بعض بالتماريف والتحالف على اختلاف الجنس وتباعد الموطن لينحدوا .

ولكن الاتحاد الذي ألفه الله من صلة الدم ونسب الروح ورابطة اللسان وشركة النار لابد أن ينتهي إلى وحدة .

وقد آن لأبناء الأمة الوسطى ووراث

الإسلام وحدة وجماعة

لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

أيها الإخوة المؤمنون :
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :
 فإن الأعياد سنة فطرية جبل عليها الناس
 وعرفوها منذ فهموا التقاليد وأدركوا معنى
 الاجتماع ، ومرت بهم أحداث الخير والشر
 ومظاهر النصر والهزيمة ، ويمتص هذه السنة
 الفطرية كان لكل أمة أعياد تظهر فيها أفراسها
 وتأخذ فيها ذبقتها ؛ تذكيراً بفضل أنعم الله
 عليها وتمكيناً للعاني السامية التي وصلت
 إليها وتركيزاً للثقل العليا التي اقتضت بها
 عقبات الحياة ، وما أحرانا اليوم حين برعت
 علينا شمس العيد مذكرة لنا بما آفاه الله علينا
 من لمة النصر كآثر للوحدة التي كانت نلية للعاني
 المستقرة في نفوسنا من إيمان عميق وعقيدة
 راسخة وقلوب متألفة ولغة وأهداف واحدة ،
 ماثت معها العصيات المفرقة والطائفة المشتتة
 واستيقظت معاني الإيثار ، وقويت التضحية ؛
 استجابة للعاني الإنسانية والمثل العليا
 التي حوتها شريعتنا الإسلامية الغراء وبينها
 لنا القرآن الكريم وتحدثت بها السنة النبوية
 الكريمة «إنما المؤمنون إخوة» ، ونعاونوا
 على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
 والمعدون ، ، وأمرهم شورى بينهم ،
 وشاورهم في الأمر ، ، والناس سواسية
 كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي
 إلا بالتقوى ، ،
 ذلكم أن السلام راعدنا والوحدة هدفنا
 والوحدة هي دعامة السلام وأساس النظام وقوة
 للأمم المهيضة الجناح فألم بها يوم أن
 انبثقت من نفوس شعبنا في قوة إرادة ،
 وصدق عزيمة فأيدعها الله وملأ بها القلوب ،
 وما هي ذى توثى ثمرتها فترهق الأعداء
 بما أينعت ، ومن ثم دارت دهمهم ،
 وتفتطرت عقولهم فلا يجدون إلا أن يطلقوا
 شياطينهم توسوس هنا وهناك ظنا منهم أن ذلك
 البناء الأثم يستطيعون أن يتناولوا إليه بعد
 أن غدا سامقا لا يرقى إليه طير ولا تصل إليه
 وسوسة ومهمات هيات فإنها الوحدة التي صاغت
 القلوب المتألعة ووفقت من خلفها الأرواح
 الزاكية تحمها وتذود عنها ، ولكم ظلت
 آمال العروبة تهفو إليها بحرارة وشوق
 طامعة على جعل الحلم حقيقة واقعة . ولكم
 ظلنا رقب ذلك وظل أملا تطلع إليه النفوس
 المؤمنة حتى هيا الله لهذه المعاني من أبرزها ،
 فإذا بالخيال يغدو واقعا ، وإذا بالأحلام
 تصبح حقائق .

الجنسية والإقليمية ليجعل منها أمة واحدة مترامية متكاملة البناء قوية الدائم فطالما أغرت هذه المصريات بين الناس العداوة والبغضاء ، وقضت على روح التعاون والتحاب والتواد والتراحم ، جاء الإسلام بوحدة العقيدة ووحدة العبادة ، ووحدة السلوك ، ووحدة الأهداف مع وحدة الرحم ، وأخذ ينادي الخلق ببناءات إلهية مختلفة تمحرك في نفوسهم كل معاني الوحدة الفاضلة وتبعث في قلوبهم الألفة والمحبة « يأياها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » ، « يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، « يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . ولا بد لحماية هذه الوحدة من عوامل أخرى تحصل بالغير وترتبط به والله سبحانه وتعالى ينادي عباده بأن يكونوا إيجابيين في بناء وحدتهم ويحذروهم من عوامل الفرقة والتفرق ويحذروهم أن يستمعوا إلى أراجيب المرجفين الذين يضيقون ذرعا بتنازع الوحدة والآفة فيحاولون العبث والإفساد ويأياها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

والجماعة في نظر الإسلام شخصية مميزة شعارها الوحدة الكاملة وإن أبرز ما يطالعنا من النواحي التي كانت أساسا للوحدة والتي اتخذتها الشعار العام للشخصية الإسلامية ما حكاه الله عن جدي العروبة والإسلام : إبراهيم وولده إسماعيل ، وهما يرضان القواعد من البيت الحرام : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن دبرتنا أمة مسلمة لك » .

إنهما قد دعوا بالإسلام لله والإخلاص له والاعتصام بدعوته دون أن يكون لسلطان الدنيا أو شهوات النفس ومقتضيات المصذية سلطان عليهما ولا على قلوبهما ، وقد طلبا ذلك لذريتهما أيضا « ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » . ومن ثم كانت الوحدة في الإيمان والعمل أساسا وشعارا للجماعة في نظر الإسلام منذ أن وضعت اللبنة الأولى في بنائه على عهد جدي العروبة : إبراهيم وولده إسماعيل وبذا كانت العروبة والإسلام قوتين متعاوتين تشد إحداهما أزر الأخرى وتبثان النفوس المستعدة للخير والإصلاح إلى اقتحام ما يكيد به أرباب الفساد والشر الأثيم ويضعونه عقبات في طريق النمو الإنساني العاقل الكريم . وحينما اكتمل النمو البشري السليم جاء الإسلام دين الوحدة والجماعة يحمله كتاب عربي على لسان رسول عربي كريم . وقد نحى عن أمته صبغة

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ،
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتكم بنة واحدة إخوانا ، وكنتم على
شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين
الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

إن الأجيال جميعا ترتقب هذه الوحدة
وإتانا لندعوه سبحانه أن يكل عقدما وأن
تصبح شاملة فقهر الاستعمار وتحيا في ظلها
أم غلبت فيهم كلة التفريق فأرغمتهم على
حياة القهر والذل ، وحينئذ نكون هذه
الوحدة مصدر سعادة العرب أجمعين يرتفع
بها شأننا ، وتصد الغوائل عنا ، وتظهر
أرضنا من المرجفين الذين ينفثون سمومهم
« فترى الذين في قلوبهم مرض يمارعون
فيهم يقولون نغشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله
أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده » .

ولنتجه جميعاً إلى الحق الذي رسمه الله لنا ،
أدام الله التوفيق لفقى العروبة والإسلام وبطل
هذه الأمة جمال عبد الناصر .

ووفقنا الله وباعده بين العروبة وبين
المفسدين الذين تدفعهم العصبية الموجهة إلى القتل
والحق والفضيلة .
والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد مشهور

ونذكر في هذا المقام موقف اليهودي الذي
ساء له وحدة الأوس والخزرج لما حاول أن يفرض
بينهم العداوة والبغضاء فهموا إلى السيوف
يميدون الحرب جذعة وكاد الفريقان يقتلان
لولا أن وقف الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم
وقال : « يا معشر المسلمين أتدعون الجاهلية
وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام
وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم
فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟ الله .. الله !
الله في دينكم الله في إسلامكم ! » فأدرك القوم
أن ما أريد لهم من فرقة إنما هي زعة شيطان
وكيد عدو ، فألقوا السلاح وعانق بعضهم
بعضا وانصرفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم
في سماع وطاعة ، وهكذا التأمّت الجراح
وعادت الوحدة إليهم ، وما أشبه الليلة بالبارحة
حيث يدعى قوم بين وحدة العرب بالفساد
ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ،
وفي هذا يقول الله تعالى في سورة آل عمران :
« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين
أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين .
وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله
وفيكم رسوله ؟ ومن يعصم بالله فقد هدى
إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .
وينوه الله بنعمة الوحدة والآلة فيقول :

عَوْدٌ إِلَى الثَّقَافَتَيْنِ

ليس في الإسلام مشكلة ثقافية

لأؤنساز عماس محمود العقاد

وقد عاد الأستاذ (سنو) إلى بحثه في مقال نشرته مجلة المساجلة Encounter في عددها الصادر في شهر فبراير الماضي، وأراد بمقاله هذا أن يلم أطراف المناقشة ويعقب عليها بخلاصة رأيه بعد عرض أقوال الموافقين والمخالفين من الباحثين قبله أو بعده في مشكلة الثقافتين، وقد جمعهم إلى طوائف ثلاث: موافقين في الرأي والنتيجة، وموافقين في الرأي مخالفين في النتيجة، ومخالفين يعارضون نظريته كل المعارضة في وصف المشكلة ويرون أن العصر الحديث كالعصر القديم في تعدد الثقافات، مع اختلاف الموضوع والمقدار.

ولا يعني هنا تفصيل أسباب الخلاف بين آراء الموافقين والمعارضين، فذلك شرح يطول ولا علاقة له بالناحية التي نحول إليها البحث من أمر الثقافة الإسلامية.

ولكننا بحتري بالإشارة إلى رده المجهل على المخالفين، ثم بالإشارة إلى الحل الذي يقترحه لعلاج المشكلة من الوجهة العامة.

فالمخالفون يقولون: إن الحال لم تتغير في جوهرها من أيام عصر النهضة إلى اليوم. فلو تلاقى عالم فقيه وشاعر فتان قبيل القرن

عمرنا في إحدى مقالاتنا بمجلة (الأزهر) لمشكلة الثقافتين عند الأمم الغربية والمقصود بها مشكلة الاتصال بين ثقافة العلم وثقافة الأدب، وانساع الهاوية قرة بعد قرة بين تفكير العلماء وتفكير الأدباء وأصحاب الآراء النظرية، بما يندربإصابة الشخصية الإنسانية، في هذا العصر بدء كداء انفصام، ويجعل الإنسان الناشئ على إحدى هاتين الثقافتين دون الأخرى كأنه نصف إنسان.

وقد كانت هذه المشكلة مدار البحث في سلسلة المحاضرات الفلسفية التي ألقاها الكاتب - العلي الأدبي - الأستاذ سنو Snow في شهر مايو الماضي، فثارت حولها ضجة من النقاش والنقد والتعقيب لم تنقطع إلى هذه الأيام، لأن المشكلة - على ما هو ظاهر ليست في المشكلات التي ينتهي الفصل فيها بسلسلة من المحاضرات، أو بطائفة من الآراء فنشر ثم تطوى بعد أسابيع أو شهور، ولا مناص فيها من إتباع القول بالعمل على منهاج متعمق عليه، فإن لم يبلغ التفاهم عليه مبلغ الاتفاق فلا أقل من أن يكون صالحا للتنفيذ والتقرير.

الذي ينظر إليه ، وهو جانب (الإنسان الغربي) وارث العلم والأدب في البلاد الأوربية أو الأمريكية من القرون الأولى بعد الميلاد .

فقد عاش هذا الإنسان على الدوام في ميدانين متقابلين من عالم الثقافة : ميدان الروح وميدان الجسد ، أو ميدان ملكوت السماء وميدان ملكوت الأرض ، وكان الانفصال بين الميدانين بعيد الأمد يكاد ينتهي إلى عالمين متناقضين أحدهما ملعون منبوذ هو هذا العالم المشهود ، والآخر مقدس مطلوب ولكنه غائب وراء الحواس بل وراء العقول التي تنصرف في الأمور الدنيوية .

وإيس الانفصال بين العلم والأدب في القرن التاسع عشر وما بعده إلا ميراثاً متقولاً من ذلك الفاصل القديم ، ولا غنى في هذه الحالة عن تقريب القواعد قبل تقريب البناء الذي يقام عليها .

ولهذا لا غنى عن سؤال يحجب عليه قبل البحث في الحلول العامة المقترحة ، سواء منها حل الكاتب الإنجليزي وحل غيره من المفكرين العلميين والنظرين .

هذا السؤال هو : ما الرأي في الشخصية الإنسانية ، على أي وضع من الأوضاع الاجتماعية في العصر الأخير : عصر الصناعة وحضارة العلم الحديث أو عصور الزراعة والعلاقات الاقتصادية على اختلافها .

السادس عشر لما كان بينهما من التفاهم والتقارب أكثر مما يكون بين علماء العصر الحاضر وأدبائه أو مفكريه النظريين .

وجواب الكاتب على هؤلاء أنه لا يسلم بأن المسافة بين الفريقين كانت على هذا البعد منذ ثلاثة قرون ، ولا يقول إن العلم والأدب كانا قريبين متلاقين في القرن السادس عشر ، ولكنه يقول إن القنطرة بينهما كانت موجودة مستقرة وهي اليوم تهدم شيئاً فشيئاً وتوشك أن تزول ، وأنه على أية حال لا يريد أن تتوحد معرفة العالم ومعرفة الأديب ، ولا أن يتم التفاهم على نمط واحد بين جميع المثقفين ، وإنما يريد أن تقام القنطرة وتظل قائمة لمن يعبرها ، ولا يمنع أحد من عبورها إذا أراد .

أما حل مشكلة الثقافتين من الوجهة العامة عند الكاتب فهو تعميم التصنيع في المجتمعات الحديثة ، ولا بد - على رأيه - من الاختيار بين البدائية الحمجية وبين تصنيع المجتمع وتعويد الناس جميعاً أن يعيشوا معيشة الحضارة العلمية ، فيصبح الشغف العلمي حقيقة واقعة يزاوئها الناس في البيوت والأسواق وفي ميادين الرياضة البدنية والنفسية ، وفي حينها تحول الإنسان بين العمل الصالح والهمم البرية ، لا يضطرهم إلى استخدام الآلات .

والكاتب ، فيما نعتقد ، مصيب من الجانب

قدرة على أن يحرك الجبال بالضغط على زر صغير ، وتمنح العين قدرة على النظر بالمجاهر والمناظير إلى دقائق الخفاء ، وإلى آفاق السماء . ولكن هذه القوى جميعا لن تبلغ في القيم الإنسانية مبلغ القدرة التي ترفع ضميره وتوليه من الشعور والعكر وسيلة توسع أمامه آفاق الحياة وتبسط بين يديه كونا أعظم من الكون الذي يعيش فيه جسده ووجوداته من الوجود الذي يلبسه بأعضائه البدنية ولو بلغت غاية مداها من بسطة وامتداد .

إن « ذرا » يضغطه الإنسان بإصبعه قد تمنحه قوة ألف إصبع أو آلاف من الأصابع تحسب بالملايين ، ولكن « الشخصية الإنسانية » لا تتوقف عليه ، وقد تصنعه للإنسان شخصية أخرى فيعمل به كل عمله المطلوب ، فليس في الضروري أن يكون صانع الرز هو المنتفع به أو هو المتعلم لتركيبه واستخدامه ، ولا شأن له في إتمام « كيانه الإنساني » ولا في الارتفاع به إلى ما هو أهل له من مراتب الكمال .

ولكن القدرة الروحية إذا عرف بها الإنسان مزايا الخير والجمال ونذوق بها محاسن الحياة الفكرية والعاطفية تتوقف على « الشخصية » التي تستطيعها ولا تصنعها لها شخصية أخرى كما تصنع الأزوار والمجاهر والمناظير .

هل « الشخصية الإنسانية » هي موضع التربية والتثقيف وغرضها ومدارها في جميع الأحوال ، أو أن موضع التربية والتثقيف وغرضها ومدارها شيء آخر لا يبالي مصير هذه الشخصية ؟

إن الإسلام لا مشكلة فيه من جهة الثقافة على أنواعها ؛ لأن « الضمير الإنساني » هو المستول دينا وأخرى عما يعمل به الإنسان وما يعمل وعما يدين به في نجواه وما يدين به بينه وبين غيره .

والتربية في الإسلام هي تهذيب هذه « الشخصية » وتزويد قواها الفكرية والبدنية بما بكل ما يصلحها للعلم والعمل .

وكل تربية يتأهلها الإنسان فهي امتداد لقوة من قواه ، سواء منها قوة البدن وقوة الروح ، وإنما تعرف قيمتها بميزان القوة التي تمدها وتزيدها وتهيئها للعمل في الحياة الخاصة أو الحياة الاجتماعية العامة .

فالتربية الصناعية تجعل للإنسان بدا أقوى من يده أو قدما أقوى من قدمه ، أو بصراً أقوى من بصره ، أو سمعا أقوى من سمعه ، وهي تربية ضرورية نافعة لا غنى عن تصميمها بين الناس في المجتمعات الحديثة ، ولا غنى لهذه المجتمعات عنها في عصر الصناعة والمخترعات .

هذه التربية الصناعية قوة تمنح الإصبع

قلم الحبر اختراع عربي

قيل : إن قلم الحبر اختراع في القرن الثامن عشر الميلادي ، وقيل إن الأمريكيين كانوا أسبق الناس إلى معرفته .

والحق أن الذي اخترعه هو المعز لدين الله الفاطمي فقد جاء في كتاب المجالس والمسامرات على لسان القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمي قاضي قضاة المعز المتوفى سنة ٣٦٣ هـ قال : ذكر الإمام المعز لدين الله القلم فوصف قصله .

ثم قال : ونحن نريد أن نعمل قلمًا يكتب به بلا استمداد من دواة منه يجعله الكاتب في كفه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه ولا يرشح شيء من المداد منه ، ولا يكون ذلك إلا عند ما يتخفى منه فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنا قد سبقنا إليها ، فقلت : أو يكون هذا يا مولانا عليك سلام الله ؟ قال : يكون إن شاء الله .

فما مر بعد ذلك إلا أيام حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة ومعه قلم من ذهب فأودعه المداد وكتب به فكتب وزاد شيئًا في المداد على مقدار الحاجة ، وأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه وجاء به وإذا هو قلم يقلب في اليد ويميل إلى كل ناحية ، فلا يبدو منه شيء من المداد وإذا أخذه الكاتب وكتب به كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به ثم إذا رضعه من الكتاب أمسك المداد .

وهذا هو الفارق بين تربية وتربية ، وبين إنسان مثقف وإنسان ناقص التشقيف ، أيا كان نظام المجتمع وأيا كان حظه من التصنيع . فإذا وجب التصنيع فإنما يجب لتكوين الإنسان من الانتفاع بصناعات عصره وتوزيع منافع الصناعات بين جميع أبناء المجتمع على سنة الإنصاف والتعاون في المصلحة والخير ، ولكن المجتمع الذي يصنع الأضرار والمجاهر والمناظر لأبنائه لا يعطيهم كل شيء ولا يودهم بمقومات الحياة التي يحتويها كل ضمير بينه وبين الله وبين الناس ولا يستطيع أن يعمل فيها على معمل من معامل التصنيع يتكفل بتوريد الضمائر لأبنائه كما تتكفل معامل بتوريد هذه الأداة أو ذلك المخترع المصنوع .

ولن تتم في مجتمع من المجتمعات ثقافة عالية جذيرة بأن تسمى ثقافة إنسان مالم تكن ثقافة شاملة يتم بها قوام الشخصية الإنسانية ، بريئة من داء الفصام موفورة الحظ من الضمير والجسد ، ومن العلم والأدب ومن مطالب الأذواق ومطالب العقول .

عباسي محمود العقاد

دور الأمومة في الخدمة الاجتماعية

للأستاذ الدكتور محمد البسمي

ما هي الغرض من الاجتماعيات :

أول ما يتبادر إلى معالج لهذا الموضوع أن يسأل : ما هي الخدمة الاجتماعية ؟ ولكي يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال يجب أن يتعرض لجوانب المجتمع العديدة . والمجتمع البشري - كمجتمع - يقوم على إقرار بهدف معين لأفراده . وهذا الهدف المعين المشترك بين الأفراد يدفع بالضرورة إلى إيجاد نوع من العلاقات بينهم ، لا يمكن بحال من الأحوال أن يتركوها فضعف ، فضلا عن أن يتخلوا عنها . وإلا انحل المجتمع من نفسه وصار مجموعة من الأفراد ، يعيشون وحدات مفرقة متباعدة ، تختلف أهدافهم وتعارض اتجاهاتهم تبعاً لاختلاف أهدافهم في الحياة . المجتمع البشري يصنع ، ولذا فهو طارئ فإذا ذهب الهدف الذي من أجله فلم يجمع من المجتمعات ، ذهب هذا المجتمع في مجتمع آخر قائم بالفعل أو مجتمع يتشأ عنه وعندئذ ينشأ هدف . وربما يكون هذا الهدف الهدف السابق نفسه فتكون نشأة المجتمع وقتئذ « نهضة » . فإذا كان الهدف على الضد من الهدف السابق كان مجتمعا آخر جديداً ،

مع أن أفراد المجتمع السابق هم أفراد المجتمع الجديد .

جاء الإسلام فوجد مجتمعا عربيا في شبه الجزيرة العربية ، له عرفة وتقاليد ، وله هدف وغاية . ووجد مجتمعا فارسيا في منطقة الامبراطورية الفارسية له عرفة وتقاليد ، وله هدف وغاية ، ووجد مجتمعا رومانيا شرقيا في رقعة الشرق الأدنى له عرفة وتقاليد ، وله هدف وغاية . ووجد مجتمعا مصريا وآخر في شمال إفريقيا لكل منهما عرفة وتقاليد ، وهدف .

١ — فكان من العرف والتقاليد التي سادت هذه المجتمعات بصفة مشتركة — اضطراب التوازن الاجتماعي وتعدد الطبقات في المجتمع ، مرة على أساس من النسب ، وأخرى على أساس من الثراء في الملك والتجارة ، ومرة ثالثة على أساس من المعرفة الدينية ، ورابعة على أساس من جله الحكم فكانت هناك الطبقة الاستقرابية في الشرف والطبقة الأخرى الوضيعة الملقاة لها ، وكانت هناك الطبقة الرأسمالية والأخرى العاملة المستتلة ، وكانت هناك طبقة الكهان

التي كانت تحكم هذه المجتمعات - ولعل ذلك كان نتيجة لتلك المفارقات والفجوات الواضحة فيها ، التي قامت عليها الطوائف والطبقات هناك - أن رفع الإنسان إنسانا آخر فألمه وعبد ، أو دنا بنفسه في التقدير فبعد ما هو دون الإنسان في موجودات هذه الأرض من نار أو حجر ، وبذلك أضى القدسية ، وأسند النفع والضرر ، إلى مالا قدسية له من طبيعته ، ولا تقع أو ضرر ينشئ أصلا عن ذاته . فكان الشرك في العبادة ، وكان الهوان في الاحتقاد .

المسلمون على مجتمعهم مبررا :

جاء الإسلام بنظام ورسالة بشرية . وحدد في هذا النظام وفي هذه الرسالة هدف المجتمع الإسلامي . حده برفع الظلم الاجتماعي ورفع الطائفية والطبقية من مجتمعه ، وأعلن قيمة الإنسان من خصائصه البشرية وحدها ، لا من أرستقراطيته في شرف سابق في النسب ولا من جاهه في الثراء أو الحكم ، ولا من اقتسابه اللون معين من المراقبة أو المعرفة ، فكان قول القرآن الكريم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . قال الناس جميعا بمقتضى هذه الآية من خلق واحد . فكل فرد جاء من ذكر وأنثى . وإذن أصل النشأ واحد . ثم هم بعد

أصحاب المراقبة أو المعرفة الدينية والطبقة الأخرى التي تطيعها ولا تناقشها ، وهي طبقة المستسلمين أو التابعين ، وكان هناك البيت الحاكم أو الأسرة الحاكمة من جانب والرعايا المحكومون من جانب آخر . ووصل اختلال هذا التوازن الاجتماعي إلى أن أصبح الإنسان سلعة تباع وتشتري ، وأصبح الرق البشري تجارة رابحة ، وأصبح النذل والاستذلال طابعا لحياة فريق في المجتمع ، بينما الصلف - ومن توابه الظلم - طابعا لفريق آخر فيه .

٢ - وكان من العرف والتقاليد التي تميزت بها هذه المجتمعات شيوع النزف القائم على الإصراف والفساد ، والانحراف عن خط الاستقامة والسلوك المهنئ في جانب ، وفي الوقت نفسه شيوع الفقر والفاقة في جانب آخر .

وكما كانت « الفجرة » أو « التناقض والمقابلة » مظهرا مسيطرا بين طبقات المجتمع وفي جوانبه - كانت هذه الفجوة أو هذه المقابلة مظهرا مسيطرا كذلك بين نوعي الأفراد في بعض هذه المجتمعات . فكان للرجل قيمة وللراقة من الأفراد قيمة أخرى ، تقربها من أن تكون طبيعة منقصة على الدوام ، ليس لها إيجابية في المجتمع سوى أن تقلل التوجيه في صوره المختلفة من الرجل .

٣ - وكان من العقائد وصور الإيمان

والآثي من الإنسان، وذلك فيما ذكره هذه الآية الكريمة: «ومن كل شيء خلقنا زوجين»، إذ بمقتضى منطوق هذه الآية الكريمة أن كل جنس من أجناس الكائنات خلق منه زوجان ذكر وأثي في الإنسان، والحيوان، والنبات، وقابل وفاعل أو موجب وسالب فيما عدا الإنسان والحيوان والنبات.

وكما كانت نظرة الإسلام إلى البشر أنهم شعوب وقبائل هي للعارف واللاتلاف والانسجام، وليست للباين والتعارض والنمرة — كذلك نظرت إلى خلق الزوجين من كل شيء كانت غايته أيضاً اللاتلاف والانسجام وليس النفرة والتعارض. ويشير إلى هذه الغاية ما تنطق به آية أخرى هي قوله تعالى في شأن الذكر والآثي من الإنسان: «هن لباس لكم وأتم لباس لهن»، وقوله: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها».

وكان لابد من وجهة نظر الإسلام — وقد أعلن مساواة البشر في الطبيعة، ومساواة الذكر والآثي في الأصل والنشأة، وألغى تبعاً لذلك كل المفارقات والفجوات التي لاتصل بالطبيعة الإنسانية — أن يدهو الإنسان إلى الاحتفاظ بقيمته الإنسانية سواء فيما يتصور، أو فيما يتصرف، أو فيما يعتقد.

وهنا في دائرة الاعتقاد لا ينبغي له إذن

التشابه وعدم التباين في أصل النشأة يتميز بعضهم عن بعض بمدى تنمية طبيعته وتطويع إمكاناتها واستعداداتها البشرية، وهي إمكانيات واستعدادات تختلف تماماً عن تلك التي يشارك فيها الحيوان. ولذا كان التعبير في هذه الآية عن هذا التمييز بمد التشابه في الطبيعة بقوله: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» — تعبيراً في غاية الدقة. لأنه أفاد: أن أمانة هذا التمييز هو الاتقاء والتجنب. وشأن الاتقاء والتجنب لا ي أمر أو تصرف وسلوك لا يتم إلا بإرادة، والذي يدرك من الكائنات حدود ما ينبغي ويتجنب هو الإنسان وحده. ولذا الذي له إرادة من بينها — وبالأخص عند الاتقاء والتجنب — هو الإنسان وحده أيضاً. إذ الحيوان لا يفرق بين ما ينبغي وما لا ينبغي، ثم ليست له إرادة بجانب عدم إدراكه المميز. فشأن الحيوان أن يدفع ويساق، وأن يحال بينه وبين أمر ما. وهو لا يعرف أن يقدم، فضلاً أن يدرك: متى يقدم؟ لا يعرف أن يمنع، فضلاً عن أن يدرك: متى يمنع؟.

وبجانب إعلان الإسلام لقيمة الإنسان على هذا النحو — فألغى بذلك الطبقة والطائفة، وفي ضمن إلغاء الطائفة والطبقة إلغاء الرق والبيع والشراء للإنسان — أعلن المساواة في النشأة والأصل بين الذكر

ومن سيطر عليهم الرومان في الشرق الأدنى ، ثم امتد فوصل إلى ما وصل إليه انتشار الإسلام في إفريقيا وآسيا ، وفيما وراء إفريقيا وآسيا من قارات العالم القديم .

وهنا نجد أنه نشأ مجتمع جديد انتمت فيه المجتمعات التي سبقت ، وكان لهذا المجتمع الجديد هدف بغير أهداف تلك المجتمعات السابقة ، وبها لقيام هذا المجتمع الجديد وجد نوع من الروابط بين أفراد ، يقصد إلى تحقيق الهدف وصيانة المجتمع نفسه من الضعف أو الانحلال . وتحقيق الهدف هنا هو تأكيد اعتبار القيم التي جاءت بها الرسالة الإسلامية ، وهذه القيم هي ما يتعلق بوضع الإنسان وضعا مقسوما للإنسان الآخر في الطبيعة والاعتبار ، وإلغاء الفوارق التي تقوم عليها عادة الطبقات والطوائف تبعاً لذلك ، وكذا ما يتعلق بتحديد المقياس الذي يتميز بمقتضاه إنسان عن إنسان آخر ويفضل به شخص شخصاً آخر ، وهو مقياس التنمية للواهب والاستعدادات البشرية ، وليس مقياس الغنى والتميز في الشرف أو المال أو الجاه .

وجدة المجتمع الإسلامي إذن أنه مجتمع لا يعترف بالطبقات ، ويقوم على أساس المساواة ، وإن كان يقر مبدأ التفوق والمفاضلة في المعافاة الإنسانية ، بينا المجتمعات

أن يؤله مساويها في البشرية ، وبالأولى لا يؤله أقل منه في الطبيعة . وإلا إن فعل واحد منهما — يكون قد عكس أية الوجود فيما يتصل بخلقه ووجوده .

وهنا كان منطق الإسلام في دائرة العقيدة والإيمان أن يدعو الإنسان إلى أن يتجه بإيمانه وعبادته إلى حقيقة أعلى من الإنسان ، وهي ذات المولى جل شأنه ، وأما كون هذه الحقيقة حقيقة عليا ، أنها ليست شبيهة لكائنات أى جنس من أجناس الوجود . وقد عرفنا أن أجناس الوجود تقوم جميعها على الزوجية الذكورة والأنثى . أو الفاعل والقابل ، وأنه عن طريق هذه الزوجية يكون الولد وتكون الكثرة والزيادة . فإذا كانت هذه الحقيقة العليا لم تولد فهي لا تلد أيضا ، وإذن فهي فرد محدد . وهذا ما ذكره الإسلام في سورة من السور القصيرة في كتابه في قوله : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

وبهذا كله حدد الإسلام غاية رسالته ، وخلق من التابعين له والذين آمنوا به من أفراد المجتمعات السابقة عليه المختلفة في الجنس أو الاعتقاد أو العرف والعادة ، مجتمعا جديدا . وأصبح التاريخ الإنساني يتحدث عن مجتمع إسلامي دخل فيه العرب والفرس

مجتمع جديد ونهضة مجتمع قائم هو في ذات الهدف ، فمقد النهضة هدف المجتمع لم يتغير ، بينما عند قيام مجتمع جديد يستلزم الأمر تحديد هدف آخر يغير تماماً ما كان من هدف للمجتمع السابق عليه .

هذا المثل الآخر هو مجتمع « ثورة الإقليم المصري » في يوليو سنة ١٩٥٢ ، فمجتمع الإقليم الجنوبي قبل الثورة هو مجتمع إسلامي في رقعة الوطن العربي ولكن غشاه من الانحراف ما جعله مجتمعا لا يمر عن هدف المجتمع الأصيل ، فالمساواة التي دعا إليها الإسلام تحولت في المجتمع إلى طبقات وطوائف ، وكرامة الإنسان التي أعلن عنها الإسلام في توجيه العبادة والإيمان إلى الله وحده سقط اعتبارها تبعا فهو المعنى الطبقي والطائفي في ذلك المجتمع ، وهنا ابتعد المجتمع المصري السابق على الثورة عن هدفه ، وإذا ابتعد أي مجتمع عن هدفه ضعفت أو تلاشت الروابط التي ربطت بين أفرادها لأن تلك الروابط وجدت لوجود الهدف وفي سبيل المحافظة عليه .

وعندما قامت ثورة الإقليم الجنوبي أعلنت هدفها في : المساواة ، والكرامة الإنسانية ، أي أعلنت الهدف الذي هو للمجتمع الإسلامي في رقعة الوطن العربي - الإقليم المصري - فهي ثورة لا انقلاب ، ولكن لإعادة المجتمع الإسلامي العربي في الإقليم المصري ، بعدما ابتعد عن هدفه

السابقة كانت مجتمعات طبقية ، أساس المعارف بين الأفراد فيها عوارض تعرض لذات الإنسان ، دون طبيعة الذات نفسها ، وجدته أيضا في أنه - بناء على رد الاعتبار للإنسان أي إنسان من حيث إنه طبيعة إنسانية - حول الإيمان بالشرك في الألوهية - لأنه لا يتفق مع كرامة الانسان - إلى الإيمان بالوحدة ، فلت النظر إلى أن للعبود الواحد هو فوق الإنسان ، وأول الموجودات ، وأصل الوجود ونهايته كذلك ، هو الأول والآخر ، « كل شيء هالك إلا وجهه » .

• • •

هذا مثل يوضح كيف أن المجتمع الإسلامي يُصنع ، وأن صنع أي مجتمع جديد لابد أن تسبقه دعوة إلى تحديد هدف جديد ، ويتلو تحديد الهدف الروابط بين الأفراد ، تلك الروابط التي تساعد على تحقيق الهدف الجديد أو استمرار قيام المجتمع الناشئ .

الثورة المصرية نهضة في مجتمع قائم :

ومثل آخر لا يوضح قيام مجتمع جديد ، ولكن يوضح نهضة المجتمع القائم بالفعل ، ونهضة أي مجتمع قائم تساوي قيام مجتمع جديد في الحاجة إلى دعوة وفي الإيمان بما توجه الدعوة إليه من هدف من قائد الدعوة نفسها ، والفرق بعد ذلك بين قيام

دفع أفراد المجتمع بالقول أو بالعمل إلى تنمية الشعور المشترك بينهم ، ذلك الشعور الذي يعكس بدوره هدف المجتمع - خدمة اجتماعية : إن إشعار الإنسان لإنسان آخر في مجتمعه بمساواته له في معنى الإنسانية، وفي الكرامة والاعتبار - خدمة اجتماعية . فثلاً إن أسند إليه عملاً ، أو أعطاه شيئاً ما يدفع به حاجته أو يدفع عنه أذى - لا يشعر بأنه أقل منه في معنى الإنسانية أو في الاعتبار والقيمة . الإحسان في صورة العديدة - في العشرة والمعاملة ، في الإعطاء والمنع ، في الرعاية والولاية ، في التوجيه والقيادة - خدمة اجتماعية . الزكاة والصدقة - إن لم يصحبهما عدم الزهو وعدم الرياء - يصوران معنى الخدمة الاجتماعية . « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » . والآذى الذي يتبع الصدقة ليس هو الآذى المادى وحده ، بل والآذى النفسى . ومصدر الآذى النفسى عند المتصدق هو في زهوه وريائه بصدقه . إن قيام كل فرد بواجبه في نطاق ما يناط به - خدمة اجتماعية : فقيام الموظف بوظيفته ، وقيام العامل بعمله - في إتقان - في مصنعه أو متجره ، وقيام صاحب العمل في المصنع أو المتجر برعاية حق المستهلك والعامل معا ، وقيام الجندي في الميدان بما يقتضى حق الدفاع عن الوطن ، وقيام رجل الشرطة بتنفيذ

وضعفت روابطه بين أفرادها فيما قبل قيامها ورد أى مجتمع إلى هدفه الذى قام من أجله هو نهضة ، وليس إنشاء لمجتمع آخر جديد . لأن الهدف لم يختلف عندئذ .

وإذن مجتمع الثورة العربية هو مجتمع إسلامى محربي ، أى مجتمع يرتبط بهدف المساواة ، ورفع الطبقة والطائفة ، وبالكرامة الإنسانية في بلد عربي ، والقومية العربية لا تعنى إلا تحقيق هذا الهدف في الوطن العربي ، ولا تعنى بحال شيئاً آخر في ذلك ، وإلا كانت تعبيراً لا مدلول له ، وهدف المساواة والكرامة الإنسانية هو هدف الرسالة الإسلامية التي قام المجتمع الإسلامى على أساسها ، وحدد الروابط بين أفرادها قصداً إلى تحقيقها ، وقد تجلّى لنا هذا الهدف من توضيح قيام هذا المجتمع الإسلامى على أنقاض المجتمعات السابقة عليه .

وهنا نعود إلى شرح معنى : الخدمة الاجتماعية . ومعناها الآن بسيط كل البساطة : الخدمة الاجتماعية هي إذن كل عمل يصون هدف المجتمع من الضعف . هي كل عمل يسمى بطريق مباشر أو غير مباشر إلى وقاية هذا الهدف من التخلخل في نفوس أفراد المجتمع . هو كل عمل يتمثل فيه هذا الهدف . كيف ؟ إن توجيه الناشئة إلى القيم التي تقبلور في هذا الهدف خدمة اجتماعية . وإن

وكل عمل يقوم به الإنسان من ميل واستعداد فطرى فيه ، يحدد فيه متعة ، ويكون في الوقت نفسه مشعراً . فأى جانب أو أية جوانب من جوانب المجتمع في حاجة إلى حنو وعطف ، وبالتالي في حاجة إلى دور الأمومة ؟

إنه جانب « الضعف » في المجتمع ليتقوى ، وجانب « الركود » ليتأنف حركته ، وجانب « المبطوط » لينهض .

إنه ميدان التربية والتنشئة ، ليسير الصغير ويمتد في سيرة ، إنه ميدان القريض ليدفع المريض عن كاهله ثقل المرض ويستأنف حركته في الحياة .

إنه ميدان الحرب لإدبل الجندي عن نفسه داعي الجبن ونخور العزيمة ، وينهض بروح وثابة ملؤها الإقدام والأمل .

إن هذه الميادين يثمر فيها دور الأمومة ، دور الحنو والعطف ، أكثر وأسرح مما يثمر دور الرجل . بل إن قوة عضلات الرجل ، وصلابة إرادته قد تزيد ضعف الصغير والناشي أو قد تدفعه إلى الاغتراب فضلًا عن أن تتخلق من ضعفه هذا قوة واستقامة . وقد ترهق المريض بالإحانة إلى مرضه ، فضلًا عن أن تسجل باستنائه الحركة في الحياة . وربما تكره الجندي على القتال ، ولكنها لا تجعل منه مجاً للاستشهاد في سبيل وطنه ومجتمعه .

القانون في غير تحيز ، وقيام القاضي برسالة العدالة في قضائه ، وقيام الطبيب برسالة الإنسانية في مباشرته لعلاج زائريه .

كل ذلك خدمة اجتماعية . لأنه ينمي شعور الترابط بين الأفراد الذي أوجده هدف المجتمع من المساواة والكرامة . فهو بطريق غير مباشر يقي هدف المجتمع من الضعف أو التلاشي .

• • •

الأمومة والمجتمع :

وهنا يأتي الحديث عن دور الأمومة في الخدمة الاجتماعية . والأمومة ترجع إلى « الأم » في معناها . والأم هي المرأة ذات الحنو والعطف . وكل امرأة معدة بطبيعتها - التي تمثل في الأمومة - لأن تكون ذات حنو وعطف .

والحنو مشترك مع الانحناء في المعنى ، والعطف مشترك مع الانعطاف وهو الميل كذلك في معناه . وإذن من لوازم الأمومة الحنو والعطف أو الانحناء على الغير والانعطاف والميل نحوه . ودور الأمومة لذلك هو دور الانحناء على الغير والميل نحوه . ولأن الحنو والعطف أمر طبيعي في الأم فالدور الذي تؤديه الأمومة من الانحناء على الغير والميل نحوه دور طبيعي ، ينبثق من طبيعة المرأة . وينمية فقط ممارستها لهذا الدور .

أو يشبع نفسه من طعام ، أو عندما يقترب وقع قدمها من سريره في غير إلتحاح — إنه يشعر بذلك فتتحرك الحياة في نفسه وبقي أمه في الحياة من جديد . وهنا إذا قوى الأمل في الإنسان ارتفعت قدرته على اجتياز الأزمات ، واستأنف بها . وذلك سر النجاح في الحياة ، ليس على المرض وحده وإنما على كثير من العقبات .

وشأن الجندي في ميدان الحرب لا يختلف عن أن يتأثر بعطف الأم وحنوها ؛ لأنه إذا رأى هذه الرقيقة في صوتها ، والخفيفة في حركتها ، والناعمة في تكوينها تقاسمه غاطر الميدان بوجودها فيه أو بالقيام على خدمته في صحته ، أو بالعناية به في مرضه — تذكر أنه رجل قوى العضلات ، حليب الإرادة ، أحد بقوة عضلاته وصلابة إرادته للدفاع عن وطنه ومجتمعه. وفي وطنه ومجتمعه من ينتظر منه أداء دوره الخاص به في الحياة . في وطنه أمه ، وإسرته ، وطفله ، وأبوه الشيخ وأولو دمه . في وطنه ومجتمعه فوق ذلك العلم ، الذي يرمز إلى شخصية هذا الوطن . العلم ، الذي يميز عن الهدف الذي قام أو نهض من أجله هذا المجتمع . فإذا تذكر رجوله ودوره الخاص به في حياة مجتمعه ارتفعت معنوياته وتملكه الأقدام وأصبح جندياً لا يهاب الموت لأنه سبى في الحياة .

إن الصغير والناشي " تستهويه نظرات الأم ويحن إليها كما يحن إلى أن يمتص اللبن من ثديها مباشرة ، فيطعمها ويقبها فيما تفعل أو تقول في سر وفي هدوء وفي مقابل ذلك يخشى نظرات أبيه لأنها نظرات إنسان له من قوة الصوت وخشونة الحركة وضخامة بناء الجسم — بالتقاس إلى المرأة — ما لا يجرى طفله بأن يسكن ويطمئن إليه كما يسكن ويطمئن إلى أمه . ومن هنا ندرك : أن رقة صوت المرأة ، وخفة حركتها ، وقومة تكوينها الجسمي — هي التعبير الحسي المشاهد عما أودع في طبيعتها من العطف والحنان . كما ندرك أن هذه الرقة في الصوت ، وهذه الخفة في الحركة . وهذه القومة في تكوينها الجسمي التي جعلها الرجل في بعض الأحيان أمانة على ضعفها — هي التي تفعل فعلها في تحويل الضعف في الناشئ إلى قوة ، والجلود في المريض إلى حركة ، وانحطاط النفسية ، وهبوطها عند الجندي المحارب إلى إقدام واستقبال عند الاشتباك في ميدان الحرب والقتال . وكذلك المريض في سرير مرضه يستهويه ما يستهوى الصغير الناشئ " من عطف الأمومة وحنانها إن قامت المرأة بتربيته والعناية به إنه يشعر بما وهبها الله من طبيعة الآتي ، عندما تلتقي نظراته بنظرتها ، أو عندما تقدم له يدها الناعمة ما يسكن إليه من علاج ،

والأم لا غيرها بمعطها وحنانها ، بركة صوتها وخمة حركتها ، ونموه تكوينها ، هي التي تستطيع أن تعين الصغير على السير والاعتدال فيه ، وتعطى الأمل للمريض في الشفاء واجتياز أزمات المرض ، وتجعل من الزوج رجلاً إقدام وشجاعة في الحياة .

إن هي قامت بدور الأمومة في خدمة الأسرة خدعت المجتمع كله . ومن السهل عليها أن تقوم بدور الأمومة في خدمة الأسرة لأنها أنثى وامرأة . والذي يصعب عليها أمر القيام بهذا الدور ليس هو طبيعتها . وإنما أمر خارج عما لها من طبيعة ، تميزت بالاستعداد للأمومة . قد تكون تنشئتها الأولى حرقت فيها هذه الطبيعة . وقد يكون عنادها للرجل أو تقليدها إياه قد استبد بها فكبنت ما لها من أئونة . وبذلك ابتعدت عن أن تقوم بدور الأمومة . وهي إذ تبتعد عن أن تقوم بدور الأمومة ، لا تستطيع أن تقوم بدور الرجولة ، وإن حاولت أن تمثله لأن ذلك ضد طبيعتها الأولى . والإنسان لا يفقد خصائص طبيعته الأولى بحال ، وإن تعطل بعضها حين بالقصر وقوة الإرادة ، أو بحكم التكوين والتنشئة في أحوالها المختلفة .

والمرأة التي تحاكي الرجل ، والرجل الذي يحاكي المرأة كلاهما يعيش في صراع مع نفسه . وطرفا هذا الصراع في نفسه : الطبيعة الخاصة

سبحانك اللهم في خلقك ! كيف ميزت بين الرجل والمرأة ؟ وما ميزت بينهما إلا لتجتمع بينهما . وما أفردت واحد منهما بطبيعته ليستغنى عن الآخر أو ليمتزله في الحياة . ولكنك زودت كلا منهما بطاقة ليتم الوفاق بينهما ، وليكون أحدهما عوناً للآخر في حياته . وإن مجتمعاً إنسانياً لا يستقيم أمره أبداً ، إذا كان مجتمع رجال فقط ، أو مجتمع نساء فقط ، أو عطلت فيه طاقة الرجل ، أو عطلت فيه طاقة المرأة . إنه عندئذ يكون غير مجتمع طبيعي . إنه عندئذ لا يكون هو المجتمع الذي أراده الله الخالق ، الذي ميز كلا من الرجل والمرأة بميزة تدفع إلى لقاءهما ، وإلى الحركة معاً في طريق الحياة البشرية .

• • •

الأمومة والأسرة :

هذا الذي للبراة بحكم أمومتها من ميادين الخدمة الاجتماعية إن بدا متفرقا في حياة المجتمع ، فهو مجتمع في حياة الأسرة : في الأسرة صغير وناشئ ، وفي الأسرة مريض ، وفي الأسرة من هو في حاجة إلى أن ينهض كما ينهض الجندي في الميدان . في الأسرة الولد ، وفي الأسرة المريض من الأولاد أو الزوج ، وفي الأسرة الزوج ، وهو في حاجة - كالجندي سواء - إلى أن ينهض ويقدم في حركته في الحياة .

يمش فيه . ورسالة المجتمع هي التي تحقق هدفه . يجب أن توفقه على خطوط هذه الرسالة تباعا وبالتدرج . ففي مجتمع - كجتمنا هذا - يجب أن نعرفه ما هو الإسلام ؟ وما هي القومية العربية ؟ .

يجب أن تذكر المريض بالله وبأنه عمل الأمل ، وأنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون . يجب أن تثير في الجندي حماس الاستشهاد في سبيل الله . وسبيل الله هو سبيل الصالح العام للمجتمع .

ليست التربية زيا ، ولا غدوا ورواحا إلى مكان التعليم ، ولا نجاحا وسقوطا آخر العام ولا شهادة بإتمام الدراسة . إنما التربية تكوين عقلية وتكوين روح وخلق . أما العقلية فلكي يتدى بها الإنسان في حياته ، فلا يتخبط في أحكامه وإدراكه لأحوال مجتمعه . وأما الروح والخلق فلكي يسلك في حياته السلوك السليم ، سلوك المذهب وسلوك المضي في سبيل مثل مجتمعه ، لا سلوك الأناني أو سلوك المخدوع بما فيه من واقع . والمرأة التي تقوم بدور أمومتها في مجالات الأمومة في حياة المجتمع . هي التي تقوم أولا بهذا الدور في أسرتها الخاصة . لأنها عندئذ كمن يقيم البناء من أساسه .

الدكتور

محمد البهي

المدير العام للثقافة الإسلامية

بواحد منهما والأسلوب في الحياة الذي يريد أن يكره طبيعته عليه .

وكما أن تفريغ المجتمع ، أو تعطيله من المرأة أو الرجل يجعله مجتمعا غير طبيعي وعلى الضد مما أراده الله للإنسان - كذلك محاولة المرأة لأن تكون رجلا ، أو محاولة الرجل ليكون امرأة أمر غير طبيعي وعلى الضد مما أراده الله للإنسان .

• • •

الأمومة والتربية :

ولكن متى يؤدي دور الأمومة خدمة للمجتمع الكبير وهو الوطن أو المجتمع الصغير وهو الأسرة ؟ .

ليس فقط في أن يكون في تلك الجوانب من حياة المجتمع التي تحتاج إلى عطف وحنو . وإنما مع ذلك بأن يكون ذا قيمة وعلى صلة بالهدف الذي قام من أجله المجتمع ، أو نهض لبعثه من جديد .

وعلى نحو ما تفعل : الراهبة ، في مدرسة الصغار ، وفي ملجأ اليتامى أو الأطفال غير الشرعيين ، وفي المستشفى ، وفي ميدان القتال - في أنها تقوم بدورها في أي واحد منها لتنفذ إلى رسالتها ، وهي رسالة التبشير بما آمنت به . يجب أن يكون دور الأم - وهي كل امرأة - في مجال الأمومة في حياة المجتمع والأسرة معا .

يجب أن تذكر الصغير برسالة المجتمع الذي

فتح آية القرآن

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

جانب من العبرة في قصة آدم عليه السلام

١ وإذا قال ربك لللائكة : إني جاعل في الأرض خليفة ١١
ب قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟؟
ج قال : إني أعلم ما لا تعلمون ١١ .

تفسير :

هذه الجوانب كلها من طريقة خاصة لاخذ في تفصيل أوسع ماورد فيه ، ولكن القرآن كما هودنا نهج في كثير من قصاياه وقصصه يكشف لنا لفظاء مما يكون مستورا علينا ، وينبها في قصد من البيان إلى ما ينبغي أن نحيط به ، ثم يكتفي بهذا الإيجاز في توجيهنا إلى الاستقصاء من طريق بحثنا ، وتلعب ما يصل إليه جهدنا العلمي في تراث الأنبياء والعلماء من أهل الذكر .

وفي هذا التوجيه مسامرة لقوله تعالى -
اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - ومسامرة كذلك لقوله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

خلق آدم هو الومضة الأولى في مجاهر الدنيا ، وكانت قصة آدم أول أحداث في مطلع الحياة .

والقصص عن آدم ليس جديدا في القرآن بل هو فيما اشتملت عليه الكتب السابقة ، وكتب الحديث النبوي عندنا ، وكتب التاريخ الإسلامي وغير الإسلامي .

وقد حق القرآن فتمرض لقصة آدم في ست وستين آية أو تزيد ، وجلدت هذه الآيات مبثوثة في سبع سور ، وتناولت من شأن آدم جوانب عدة .

ولو أن القرآن الكريم أراد بنا استيعاب

بل كلن - أولاً - محض تطفه من جانبه
فيشعر ملائكته أنه يكرمهم حين يفضى إليهم
بما يريد ، ولعل هذا من مظاهر السمو
حين يرى صاحب السلطان أن يطمئن المقربين
إليه على مكاتبتهم عنده ، فيزيدهم ذلك عرفانا
لفضله ، وشكراً على نطقه معهم .

وكلن هذا النبأ - ثانياً - سبقاً إلى وضع
معالم الهداية في طريق الإنسان ، قبل أن
يأخذ الإنسان طريقه في دنياه ، فإذا برز
الإنسان من أفقه المهدود في عالم الغيب إلى
أفقه الفسيح الملبأ بحياته ، ولحركاته وسكناته
استطاع أن يقتبس لنفسه بما صنع الله مع
ملائكته ، وأدرك أن الله قد بذل لمباداه
بذور المعرفة ، وعلمهم أن يفضى بعضهم
إلى بعض بما يعينهم من شأن ، وأن يعملوا
تدبيرهم جماعياً لا فردياً ، واستشارياً ، لا
استبدادياً ، كما أفصحت عن ذلك الشرائع
بصد .

وشاهد للمبرة واضح فيما صنع الله ، فإذا
لم يكن هذا الذي قررناه مستفاداً من صنع
الله ، فإذا يكون القصد الذي نلتزمه من
إخبار الله للملائكة ؟ .

أيمكن مجرد خبر لا غير ؟ ذلك بعيد
وكلن من مظاهر السمو والتطفه - مرة
ثالثة - أن يتقبل الله استفهام الملائكة ،
ويجيبهم إجمالاً بأنه يعلم ما لا يعلمون .

وإذا كان الحديث عن آدم شعاب تطول ،
فإننا نكتفى بجانب من المبرة فيه ، وهو
حسبنا فيما زيد من قصص القرآن .

١ - أفادتنا الآيات السابقة أن الله أخبر
ملائكته أنه سيجعل خليفة في الأرض ،
وأن الملائكة - وكانوا على شعور سابق بأن
آدم هو الذي سيخلف - أخذهم حب
الاستطلاع أن يتعرفوا وجه الأرجحية لآدم
عليهم . إذ هم المسبحون بحمد الله ، والمقدسون
له . . أما آدم فليس ملكاً متعبداً بل هو
إنسان فيه ما فيه من طباع الشر ، فيكون
له في الأرض فساد ، وسفك للدماء ، فكيف
يختار دونهم ، وكأنهم حسبوا أن الخلافة
مسألة روحانية ، مجرد العبادة ، لائقاً آخر ،
فهم يستفهمون من المرجح لآدم ، وهو
دون مستواهم عبادة : لا مباهاة بأنفسهم ،
ولا تدخل في فعل الله - فكان الجواب إجمالاً
في قوله تعالى - (إني أعلم ما لا تعلمون) . .

وقد كان فضلاً من الله على الملائكة أن
يخبرهم بشأن اقتضت حكمته ، وفي هذا توجيه
لنا إلى سياسة رشيدة في مجتمعنا : وهي
مكاشفة الأعلى لمن هو دونه بما يفيد العلم به ،
إذ لم يكن هذا النبأ استشارياً للملائكة ،
ولا استعانة بهم ، ولا وفاء لم يحق عند الله
فيما يريد أن يفعله بملكه ، وهو لا يسان
عما يفعل .

هذه الكائنات إن كانوا أهلاً - أنبثوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين - وكان هذا أمر تعييز لا تكليف ، وكيف يكلفون بما لا يعرفونه ؟؟ وإنما هو ترغى حكيم في إشعارهم بفضل آدم ، وبيان استعداده لما لم يكن فيهم استعداد له من معارف وتديرات تصل بالعالم الأرضي .

فلم يسهم إلا الاعتذار بقولهم : سبحانك لا علم لنا إلا ما علنتنا إنك أنت العليم الحكيم ، ثم أجاب آدم عما عجزوا عنه ، ونهضت له الحجة ، وثبتت له الحكمة المرموقة عند الملائكة .

وتبينت لهم الحكمة التي كانوا يتوهمون إلى معرفتها من قبل ، وهي صلاحية آدم لأمر لا يلائمهم ، ولا تنبأ له فطرتهم .

وحينئذ سجل الله على الملائكة تكريم آدم ، فأمرهم بالسجود له : سجود تعظيم لا بسجود عبادة ، وسجوداً في صورة ما ، لا بسجوداً على الجباه كما نسجد نحن ١١ .

فإن ذلك لم يشرع إلا عبادة لله وحده . وما كان آدم في قدره بالغاً ما بلغ إلا بفضل ما منحه الله من علم نافع وعدى - غير مبالغ - أن هذه الحفاوة بآدم لعله تعتبر إيذاناً بعيد العلم الذي أخذنا به أخيراً ... وأى شيء أجدر بالتكريم من العلم ؟؟

وكيف يكرم العلم في شخص آدم بالسجود له

فلم ينعم عليهم أن يسألوه ، ولم يبخل عليهم بالتبنيح إجمالاً على أن لديه حكمة يعلمها وحده ومن هذا فطن الملائكة إلى أن الأمر فوق تقديرهم ، فإلادادوا طمأنينة إلى صنع الله وأيقنوا أن في آدم صلاحية للخلافة ليست فيهم .

ومن هذه المقررة في القصة نستفيد أن توجيه الاستعظام من الأدنى إلى الأعلى رغبة في العلم ليس تطاولاً ، ولا مساس فيه بأحد الجانبيين . وأن الاقتصاد في السؤال مع الأعظم ضرب من الأدب الكريم كما نادى الملائكة مع الله عز شأنه ، وفي التأسى بهم كال وفلاح .

ثم يتجه التدبير الإلهي نحو الإعراب عن مقام آدم ، وكرامته على ربه ، فيخلق الله في آدم علماً بأسماء الكائنات من سموات وأرض ، وشمس ، وقر ، وحيوان ، ونبات ، وهواء . ونور ، وظلمة ، وجبال ، وبحار ، ونحو هذا مما يلبس أهل الدنيا ، ويحتاج المقيم فيها إلى معرفته ، ليستطيع مزاولته الحياة فيها ، وبخاصة من يكون خليفة بقيم العدل ، ويدفع الظلم ، وينهض بتدبير الأمر في مجتمعه .

علم الله آدم أسماء تلك المسميات تكميلاً له ، ورضاً لشأنه ، ثم طرحت من جانب الله مناظرة عليية بين الملائكة ليزكروا أسماء

يكون من وراء هذه القصة الرحيمة قصة أخرى شقيت بها الإنسانية ، وعاشت في مرارتها ، ولن نحمد نارها إلا إذا خلت الأرض من سكانها

وتلك القصة هي تمرد إبليس ، وعدم جوده لآدم كما جحد الملائكة ، ووقوفه من الله موقف الجدل .

وقد انفردت سورة البقرة بذكر الجانب الأول المتعلق بخلق آدم ، وتعليمه ، وإقناع الملائكة بمكانته ، وبالسجود له .

ثم جاء الاستثناء لإخراج إبليس من الساجدين ، ووصفه بأربع صفات ثلاث : إلا إبليس ، أبى ، واستكبر ، وكان من الكافرين .

ومع أن هذه القصة وردت في خمس سور أخرى سوى البقرة ، فكلها تكتفي بالجانب السلبي المتعلق بتمرد إبليس ، ونقيضه ، وطرده ، وتحذيرنا منه ، ومن ذريته وجنوده ، لأن جانب الخير من إبليس ، والتخويف منه ، والخش على مخالفته أشد اتصالا بنا ، وأهم ضاية به . فأطبقت السور كلها على ترديد هذا الجانب الخطير في حياتنا ، وإشعارنا بوجوب الحيطة له : دون حاجة إلى تكرار صدر القصة وما فيها من حوار مع الملائكة وأنت ترى في سورة الأعراف - مثلاً - ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس

من الملائكة بين يدي الله وفي الجنة ، ثم لا يكون ذلك عيداً مستجيباً عندنا .

وإذا كان علم آدم تعريفاً بمسميات وأسمائها وليس خصوص أمور روحانية ، قلنا أن نعتبر العلم كله قبساً منفيض الله ، وأن المشاهد الذي ندركه من طريق الحس لم يكن متاحاً إلا بمعونة الله وهديه ، وعلى هذا يستوى في مفهوم العلم ما يكون للدين أو للدنيا ولو أن علم الدين أحب إلى الله ، وأقرب مشوبة ، وأعم نفعاً .

فبعد العلم بوجه عام لا يحبس على نوع دون نوع وإن تفاوتت قيم العلوم .

غير أن العلم - وهو كما عرفنا من غراس الجنة ، وإشراقه من إشراقات الله فيها ... وأول نغمة من نغماته وأعياده كانت في رياضها لا بليق بشأته ، ولا بالإنسان الذي كرمه ربه بالعلم وأجهد الملائكة له من أجل العلم أن يضار أحده .

بل يكون المرء ماجداً بالعلم في نفسه وبين الناس ، ونافعاً لنفسه وللناس .

ومن آفة العلم أن يسخر في غير أهدافه ، أو يكون ضياعاً بين أهله ، فربما كان ساحتد كالخمر : إنهم أكبر من نفعه .

ومع ما تم من تكريم آدم بالسجود له أي الله إلا أن يكون للعلم خصوم لا يدينون به وأن يكون لآدم حاقد لا يسجد له ، وأن

وهنا موقف بين الآيات يحتاج إلى شيء من التمهيد فالقرآن يقول في كل آيات القصة فسجدوا إلا إبليس ، أو فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس وهكذا بما يفيد أنه من الملائكة ، ثم يقول القرآن في آية أخرى — إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه — وهذا يفيد أنه من الجن : لا من الملائكة . . وإبليس نفسه يقول — خلقتني من نار ، وخلقته من طين فهذا قاطع بأنه من الجن والجن من النار لا جرم — والله يقول : والجان خلقناه من قبل من نار السموم — فكيف يطلق على إبليس أنه من الملائكة .

تكلف العلماء في تحقيق هذا كلا ما كثيراً وأيسره قبولاً أنه يذكر مع الملائكة تبعاً لا استقلالاً فقد كان يمشي في زميرهم ويحكمهم في أعمالهم ، وهذا تائق الأمر بالسجود معهم ، فكان حرياً به أن يستجيب .

ونحن نرى من شاهد أحوالنا أن المقيم في أهل بلد يتابعهم فيما يطلب إليهم ، وأنه ما دام يعاشرهم ويساكنهم كواحد منهم فهو مسئول عما يسألون عنه ، وإلا كان شذوذه عنهم مجلبة لما لا يرضاه ، فكيف إذا كان شذوذاً مقصوداً يتشبث به ؟ .

لهذا كان من عدل الله في جزائه ، ومن حكمته في قضائه أن يطرد إبليس بعيداً

لم يكن من الساجدين — وترى في آية أخرى بسورة الحجر — إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين — وفي سورة الكهف — فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه — وفي سورة طه — فسجدوا إلا إبليس أبى — وفي سورة ص — فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين .

ففي هذه المواطن كلها تريد لا متاع إبليس وأنه كان من الجن ففسق عن أمر ربه وتقييد له بالاستكبار والإباء والكفر وفي كل موطن مثل فيه إبليس عن سبب امتناعه لم يكن له من معذرة يشغل بها : غير أنه كان مخلوقاً من النار ، وأن آدم من طين .

وليس هذا بحجرات ، وإنما هو إمعان في السفه ، وشطط في العناد والتجبر ولم يكن أذكى من الملائكة ولا مثلهم ، حتى يستكبر عما لم يستكبروا عليه ، فهم من نور صاف ، وهو من ما ج مختلط ناره بدعائه ، فليس له من وجه في الحجاج ، وإنما هي شقوة غلبت عليه ، و غضب أحاط به .

ومن هذا التثبت بالجدل الذي طابه الله على إبليس ، وكرره بأسلوب التشنيع وقرنه باللعنة والمهانة يمكن أن ندرك معابة الجدل والمشادة في النقاش ، والركون إلى الغلبة في حنف وبذاة ، وما ورد في كراهية الجدل قول النبي صلوات الله عليه (أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن ترك المراء ولو كان حقا) .

والفساد ، وأنصار الضلال .
وعلمنا الكتاب العزيز أن نستعيز بالله من
الشیطان الرجیم کما خشنا من غواية الشیطان
— وإما یزغنا من الشیطان نزغ فاشمذ
بأنه — والامر لا یكلفنا عند عناية
الشیطان ، بل وفي كل حال غیر استعانة بالله
من الشیطان الرجیم ، وحبقت یندحر الشیطان
ویخف نشاطه ، وقد صدق الله في وعده
لنا برعايته ، إنه لیس له سلطان علی الذين
آمَنوا ، وعلى ربهم یتوکلون — .
هذا وقد اکتفينا من القصة بما ذکرنا ،
ولها جوانب أخرى فسیحة کما أسلفنا ، والله
یهدينا به إلى خیر ما یحب من عمل خالص .

عبد الایمن البکی

عضو جماعة کبار العلماء
وأستاذ فی کلیة الشریعة

عن الملائكة ، وأن یأمره بقوله — فامبط
منها — من الجنة — فما یكون لك أن تکبر
فیها ، فأخرج إناک من الصاغرين — وکن
کذلك من العدل فی الجزاء والحكمة
فی القضاء أن یسجل علیه القعة إلى یوم الدين
— یوم القيامة .

وکان من رحمة الله بعباده أن یحذر آدم
وزوجه من عدوهما هذا وأن یحذرنما نحن
من عدائته لنا ، وقتله إيانا ، حتى لا تقع
فی شراکه کما أخرج أبونا من الجنة .

وقد حدثنا الكتاب العزيز فی آیات
القصة وفي مواطن غیرها أن الشیطان لا یفتن
نشاطه فی إفسادنا ، وأنه وقد بقى من رحمة
الله له أعلن أمام الله فی صفه وتبجح أنه لیفتن
أبناء آدم أجمعین إلا عباد الله المخلصین .

وحدثنا الكتاب العزيز أن الله سیمصم
من اعتصم بربه إلا الغاوين من أبواب الهوى

الهمة العالية (من الشعر الجيد)

لیس التعلل بالآمال من أدبی
وما أظن بنات الدهر تترکني
سیصحب النصل منی مثل مضربه
ولا القناعة بالإقلال من شیمی
حتى تسد علیها طرقها میمی
وینجل خبری عن حمة الصم

مَثَلٌ عَلَى إِسْلَامِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ

لِلأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

هـ - في العلاقات الدولية (تتمة)

وحديثه حتى هذه الأيام ، أيام المدينة الحديثة كما يزعمون .

وقد وضع القرآن الكريم الأساس الأول فيما يجب أن تكون عليه معاملة الأسرى ، ثم جاءت السنة النبوية بعد هذا بالتفصيل ، وصار هذا وذاك أمراً متبعاً وقواعد ملزمة يجب أن تحكم هذه الحالة التي تتخلف عادة عن الحروب ، وذلك تخفيفاً

من وبلائها التي تصيب الجميع ، الغالب والمغلوب كما هو مشاهد ومحسوس .

يقول الله تعالى في سورة محمد عليه السلام :
« فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ ،
حَتَّى إِذَا أَثْبَتْتُمُوهُمْ فَهَشِّدُوا الرِّثَاقَ ، فَمَا مِنْهُ
بَعْدَ ذَلِكَ قِتْلٌ ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا عَاهَدَ
بِالنَّفْسِ الْقَتْلَى فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ »

الحياة بين أمرين فيما يختص بالأسرى :
إما أن يمن عليهم ، أو على من يشاء منهم ،
ويجلى سيدهم دون أى عوض ، أى لوجه الله
تعالى وحده ، وإما أن يكون إطلاقهم وتخليه
سيدهم نظير فدية يتنفع بها المسلمون ،

في كل حرب يكون أسرى ، فكيف يعامل
الإسلام هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم
ووقعوا في الأسر أثناء الحرب أو بعدها ؟
كيف يعاملهم ، بخاصة بعد أن تضع الحرب
أوزارها ، وقد استقر بهم الأمر في الأسر
لا حول لهم ولا قوة ، وهم لا ينتظرون إلا
القتل جزاء ما فعلوا بالمسلمين من كيد وقتال
وأذى كبير ؟ .

إن الله اللطيف الخبير بالنفوس الإنسانية ،
وبما يتأبها أحياناً من الضعف الذي يضل
بها عن الطريق المستقيم ، يطلب منا أن نرمم
هذا الضعف ، وأن نطلب له الطب والشفاء
بالخير والحسنى لا بالإعنات الذي ينتهى
غالباً إلى العناد ، والضلال الذي لا هدى
بعقبه بحال .

ومن ثم ، نجد الإسلام يضرب أروع
الأمثال في معاملة الأسرى معاملة إنسانية ،
إن ما أثر عنه في هذه الناحية لا يعرف
التاريخ ما يقرب منه في أى دين آخر ، ولا
في أى قانون أو نظام وضعى في قديم الزمن

حيث وجدتموه ، ، وقوله في سورة التوبة :
« ما كان لشي أن يكون له أسرى حتى يُشْحَنَ
في الأرض ، الآية . . »

وهذه الآية الثانية نزلت في أسارى بدر .
حين مال الرسول إلى رأى سيدنا أبي بكر
وأخذ به ، ولم يرض بقول سيدنا عمر الذي
أشار بقتلهم ، وكان أن أطلق الرسول الأسرى
نظير الفدية التي أخذها المسلمون ، ولكن
القرآن نزل مبينا أن القتل كان هو الرأى الصحيح
الذى ينبغي الأخذ به .

وأما السنة ، فإن من المعروف أن الرسول
صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر ، عتبة بن
أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، بعد الأسر
كما قتل يوم أحد ، أباعرة الشاعر بعد أن
صار في الأسر .

وكذلك كن الأمر في بني قريظة ، بعد أن
نزلوا على حكم سعد بن معاذ فصاروا بذلك
في حكم الأسرى ، فقد حكم بقتل المقاومة منهم
وسبي الذرية ، وكذلك كن .

وهكذا نرى رأيين متعارضين في بادي
الرأى ، ولكل منهما سند من الكتاب
والسنة وأنصاره من رجال التفسير والفقهاء .

ولكن ينبغي أن نفرق بين حالين مختلفين
وبذا يزول التعارض : حال غزوة بدر
وأمثالها وما كان فيها من ضراوة المشركين
وإجورهم وإمعانهم في الشر والاعتداء ،

وليكون هذا فيه شيء من التعويض والجزاء
بما فعلوه .

ولذلك ذهب كثير من الفقهاء ورجال
العلم والتفسير إلى كرامة قتل الأسير (١) .
ومن هؤلاء عطاء والحسن وابن عمر وكثير
آخرون غيرهم .

جاء في كتاب أحكام القرآن للإمام الرازى
الخصاص ، من الحسن أنه كره قتل الأسير ،
وقال : من عليه أو فاده (٢) . وجاء فيه
أيضا أن رجلا سأل الحسن عما يصنع
بالأسير ، فقال : يصنع به ما صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأسارى بدر ، بمن عليه ،
أو يفادى به .

وروى عن ابن عمر أنه دفع إليه عظيم من
عظماة أسطوخ ، ليقتله ، فأبى أن يقتله ،
وتلا قول الله تعالى : « فَاِمَّا مَنًّا بَعْدُ » ،
وإما فداء . . .

عل أن من الفقهاء من أجل أول الأمر
قتل الأسير ، وذلك بالرجوع إلى القرآن
وإلى فعل الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم .
ففي القرآن قوله تعالى : « فَاَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ »

(١) ينبغي أن نلاحظ أن الكرامة في ذلك الزمن
كانت أطلق على التعريم ، ويشهد بذلك كثير من
النصوص الفقهية من انه منى ومالك وغيرهم .

(٢) ج ٣ : ٤٨٩ ، المظنة البنية المصرية
سنة ١٣٤٧ .

« ماذا عندك يا ثمامة ؟ » ، قال : عندي
يا محمد خير ! إن قتل تقتل ذا حم ، وإن
« تنعيم » تنعم على شاكر ! وإن كنت
تريد المال ، « فسل » تعط منه ما شئت .
فتركه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كان
الغد ، فخرج إليه كلمرة الأولى وقال :
« ما عندك يا ثمامة ؟ » قال : عندي ما قلت لك
فقال : « أطلقوا ثمامة » ، فأطلق إلى نخل قريب
من المسجد فاعتقل ، ثم دخل المسجد فقال :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله ، يا محمد ! والله ما كان على
الأرض أبغض إلى من وجهك ، فقد أصبح
وجهك أحب الوجوه كلها إلى . والله ما كان
دين أبغض إلى من دينك ، فأصبح دينك
أحب الدين كله إلى ! وإن خيلك أخذتني
وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟ فبشره رسول
الله وأمره أن يعتنق .

فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ أي
ملت إلى الإسلام ، فقال : لا ، ولكني
أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والله لا تأنيكم من يمامة حبة حنطة حتى يأذن
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وزاد ابن هشام على هذا أنه خرج فيما بعد
إلى اليمامة ففتح أهلها أن يحملوا إلى مكة شيئاً ،
فكتب المشركون إلى النبي يذكرونه بما
يأمر به من صلة الرحم ، فكان أن كتب إلى

وخروج صناديدهم وقادتهم للفضاء على
الإسلام والمسلمين .

وتلك حال شاذة يجب أن يكون لها حكم
يناسبها ، وهو عدم المنع على الأخرى ، وبذلك
يكونون عبرة لغيرهم ، وتمكن هبة المسلمين
ورهبهم في قلوب الأعداء الذين لا يصلح معهم
العفو ، بل الخير أخدم بالكسوة والعقاب الغليظ .
وبجانب هذا الحال الشاذ ، الأحوال
الأخرى العادية ، فهنا لا يكون القتل
هو الواجب ، بل المنع والعفو أو الفداء
لعل الله يميل بهم إلى الإسلام ، ويكون منهم
حماة وتناصر لهم فيما بعد .

• • •

ومهما يكن من جواز قتل الأسير أو كراهته
فإن الإسلام يوصي بمعاملة تليق به
باعتباره إنساناً ؛ كذلك كان يفعل الرسول
صلى الله عليه وسلم والصحابة في زمنه ،
وكذلك ينبغي أن يفعل المسلمون في كل زمان .

حدث أن وقع يمامة بن أثال أسيراً بين
أيدي المسلمين ، وكان سيد أهل اليمامة ، فربطوه
بسارية من سوارى المسجد ، وأمر الرسول
صلى الله عليه وسلم بإكرامه ، وذلك بقوله :
« أحسنوا إيساره » ، فكانوا يقدمون له لبن
ناقة الرسول « غدوا » ورواحا ، وبهذا كان على
خير حال يكون للأسير .

وكان من أمره أن النبي خرج إليه وقال له :

العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أسرى يوم « بدر » ، وقد بعث قريش إلى الرسول في فداء أسراهم ، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا .

أما العباس فقال : يا رسول الله إني كنت مسلماً ، فقال الرسول : « الله أعلم بإسلامك ، فإن يكن كما تقول فاقه بهزبك بذلك » ، فأما ظاهر أمرك فكان علينا ، فاند قسك وابن أخويك : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وحفيل بن أبي طالب ، وحليفك عتبة بن عمر أخا بني الحارث بن فهر » .

فقال العباس : ماذا كنت عني يا رسول الله قال : « فابن المال الذي دفعته أنت وأم الفضل (وهي امرأة العباس) فقلت لها : إن أصبت في سفري هذا ، فهذا المال لبني الفضل وعبد الله وقم » .

فقال أبا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله ، إن هذا شيء ما علمه غيري وغير أم الفضل » . ثم فدى نفسه وبني أخويه وحليفه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه ، وكان فداءؤه مائة أوقية من ذهب ، وكان هذا أكبر فداء لآل كنان رجلاً موسراً .

وعن ابن شهاب أن رجلاً من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إثنين لنا فلتترك

ثمانية أن يغلي بين أهل مكة وما يريدون من حل الخنطة إليهم .

وكان صلى الله عليه وسلم يعنى ضاية عاصه بالنساء ، ويحاملهن ويفرق بين غاية الرفق . حدث أن وقعت ابنة حاتم الطائي (أحد من شرب بهم المثل في الكرم) في أيدي المسلمين ، فأنزلوها بمكان يراها فيه الرسول إذا مر به ، فتمرحت له وقالت : هلك الولد ، وغاب الرائد (تعنى أخاها عديا) ، فامتن من الله عليك . فقال لها :

« قد فعلت ، فلا تجعل بمفروج حتى تهدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يلحقك إلى بلادك » .

فأقامت بين المسلمين حتى أتاها رعد من قومها وعزمت على الرجوع معهم ، فكسماها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعطاهما ما يلزمها من النفقة ، فخرجت معهم مكرمة ، وعادت إلى بلدها وقومها .

• • •

هذا عن المن بلا عرض وأثره الطيب فيمن يمتن عليه . وفي الفداء بعوض كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعنى العدل دائماً شأنه في كل عمل يأتيه ، فلا يفرق في هذا بين قريب أو حميم أو غيرهم .

وروى الإمام القرطبي في كتابه « الجامع لأحكام القرآن » (١) ، عن ابن إسحاق ، أن

وزملائي ، بألمانيا بالمنطقة التي ابتليت منها بالاحتلال الأمريكي ، فقد كان الألمان في هذه المنطقة وغيرها أذلاء حقا بكل معنى الكلمة ، وذلك إلى درجة أن كان اليأس يتمكن من قلوبهم أن يعودوا من بني الإنسان كما كانوا من قبل .

من هذه المقارنة السريمة ، في هذه الناحية وحدها فصلا عن النواحي الأخرى ، يتبين لنا بوضوح كيف يفهم الغربيون الحضارة وكيف يطبقونها فعلا في حالة السلم والحرب وما هي تعاليم الإسلام العادلة وشرائعه الرحيمة ، وكيف فهمها رجاله الأجداد وكيف يطبقونها في كل زمان .

إن الإسلام وسير رجاله في حالة السلم والحرب ، يظهر لنا ولكل منصف من غير المسلمين أنه الدين الحق العادل الرحيم ، وأنه الدين الذي يسلح الناس جميعا في كل مكان وزمان .

وقد كان لتطبيق رجالته تعاليمه وآدابه وتقاليده الطيبة أكبر الأثر على الغربيين غير المسلمين ، حتى لقد دخل الكثير منهم فيه وجعلوه ديناً لهم ، وذلك من غير تبصير به من جانبنا .

هدانا الله للخير دائماً ، وجعلنا بسيرتنا وأعمالنا من المبشرين بالإسلام الداعين له ، والله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم .

دكتور محمد يوسف موسى

مستشار وزارة الأوقاف للشئون الدينية والتأهية

لابن أختنا عباس فداد ، فقال : « والله لاتذرون درهما » ، بل قال : « أضعفوا الفداء على العباس » ، فأخذ منه المبلغ الذي ذكرناه على حين كان فداء كل واحد من الأسارى أربعين أوقية لاغير .

• • •

وبعد ! ما أكبر الفرق بين حكم الإسلام في الأسرى ، وما وصى به رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم من معاملتهم برفق وإحسان وإكرام بما كان له أثر كبير طيب فيما بعد ، وبين ما نعرفه اليوم من معاملة الأسرى من الدول الغربية المتشددة كما نزعهم .

لقد رأينا بأنفسنا سنة ١٩٤٥ بأوروبا نفسها عند سفرنا إليها كيف كانت فرنسا تعامل الأسرى الألمان ، إنها كانت تعتبرهم بمنزلة الحيوانات التي لا تحس ولا تشعر بكرامة أو إهانة تنزل بها ، وكانت تسومهم سوء العذاب ، وتزعم بمنزلة الهوان في كل شيء . إنهم كانوا يعاملونهم على أنهم أرقاء ملكوا رقابهم ، أو يسخرونهم في الأعمال الشاقة التي لا يقوم بها عادة إلا الحيوانات . وكانوا يعتمدون أن يشعروهم بالذل والهوان ، حتى لقد رأيت بنفسى أن الفرنسي الذي كلن يحادث الأسير الألماني ، كما يحادث الإنسان الإنسان كان يعتبر خائناً ويستحق العقاب ! .

ورأيت مثل ذلك ، أنا وكثير من إخواني

الكرامة والعزة في القرآن الكريم

د. أسد محمد محمد المصطفى

(ب) العزة

- ١ -

حينئذ تكون وهمية مصطنعة ، ولا يكون لها بقاء .

والقرآن الكريم يرشدنا إلى هذين النوعين المختلفين من العزة في كثير من آياته ، فيعتبر العزة الأولى هي القوة بالإيمان والاستقامة على الطريقة المثلى في كل شيء ، ويعتبر الثانية هي العزة بالإثم أو الكفر أو الاتواء عن الصراط المستقيم ، أو الجهل وفساد الصور . يقول الله تعالى :

١ - « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ، ومكر أولئك هو يبور » .

وهذه الآية تقرر أن من كان يريد أن يكتسب العزة ويتحقق له معناها الدائم الحقيقي ، فليبتس ذلك وليكتسبه من الله . فإن العزة لله كلها ، والتامها من الله إنما هو بالسيرة على ما رسم ، وتوخي طاعته ورضاه والنزول

« العزة » حالة يشعر معها صاحبها بأنه قوى منيع لا يسهل قهره واحتضامه والتغلب عليه .

وهذا الشعور الذي تنبعث عنه « العزة » قد يكون شعوراً صادقا له ما يبرره من واقع صاحبه ، وقد يكون شعوراً كاذبا منشؤه الغرور أو الجهل وعدم إدراك الواقع الصحيح للأنبياء .

ولذلك تختلف « العزة » فتكون تارة مدحوخة ، وتارة مذمومة ، فإذا كان الشعور بالعزة ناشئا عن صفات وأحوال واقعية تشرها وتؤدي إليها ، وتعمل صاحبها متسلحا بها أمام القوى المضادة له ، قادرا بها على أن يقاوم ويتناضل ويغلب ويتفوق ، فإن العزة حينئذ تكون حقيقية . أما إذا كان الشعور بالعزة ناشئا عن غرور أو عدم تقدير للأمور ، ولم يكن لصاحبه من الصفات القوية ما يجعله منيعاً مصوناً ، فإن العزة

ذلك إلى الغاية المرجوة منه ، فهو لا بد فاشل ضائع مهدر لا ثمرة له ولا انتفاع لصاحبه به . وإذا فالعزة لها مصدر واحد ، هو ترسم ما رسم الله ، ولست أقصد مجرد التزام الأوامر واجتناب النواهي فيما شرع الله من عبادات ، ولكن أقصد مع ذلك التزام المنهج الإلهي الذي رسمه الله في احتفاظ الإنسان بكرامته ، وفي سعيه لاداء واجبه والقيام بنصيبه من الخلافة في الأرض ، وفي ترفضه عن كل ما يهبط به عن تلك المنزلة الشريفة ، أو يلتوى به عن ذلك الصراط المستقيم .

٢ - « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا . »

والمبادىء في هذه الآية أن المقصود هم آلهة الشرك والوثنية التي يتخذها أهل الكفر اعتقاداً بأنها تمنعهم يوم القيامة وتدرأ عنهم العذاب ، فيكونون بها ذوى حزة ومنعة ونجاة . وأن الله تعالى يرد عليهم بأن ذلك لن يكون ، وإنما الذي يكون هو عكسه ، فهذه الآلهة ستنكر عبادتهم ، وتنكفر بها أى تجحدوا وتبرأ منها وتكون عليهم ضداً ، فهم قد اتسموا العزة والمنعة من غير مصدرها فأنتهى أمرهم إلى عكس ما اتسموا ، فذلوا بما به استعزوا .

على حكمه ، والله تعالى لم يشرع لعباده إلا الخير والأعمال الصالحة المثمرة للصالح والقوة سواء أكانت أعمالاً شخصية أم أعمالاً جماعية أو اجتماعية ، كما أنه عز وجل لم يمنع عباده من فعل شيء إلا إذا كان هذا الفعل منافياً للخير والرشد ومن شأنه أن ينزل بالإنسان عن المستوى اللائق بكرامته في شخصه أو مجتمعه أو فيهما معا فإذا ترسم المرء ذلك فيما يأتيه من الأمور وفيها بركة كان ملتصقاً لأسباب العزة الحقيقية من حيث تلتصق في الواقع ، وكان حرياً بأن يصيب هذه الأسباب وبأن ينال بها ما يطلب من العزة التي هي القوة والمنعة والامتياز والأفضلية ، فتكون عزته ثابتة قائمة على أصول سليمة ، مستقرة غير قابلة للزلزل أو التحول .

وقد أتبع الله تقرير هذه الحقيقة بتقرير حقيقة أخرى توضحها وتبين سرها ، ففرقنا أن ما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل ، إما أن يكون طيباً صالحاً ، فهذا هو الذي يصعد إلى الله ، وإما أن يكون عملاً خيئاً ، ومكراً سيئاً ، فهو لا يرتفع ولكن يرد فيود ولا ينال صاحبه منه إلا العذاب والوبال . ومعنى صعود القول الطيب إلى الله ، وارتفاع العمل الصالح ، هو تحقيق الغاية ، وحصول الثمرة ، ونجاح القصد ، ومعنى برار المكرو والتدبير السيئ هو عدم وصول

هذا هو المتبادر ، و الذى يشرح به الآية فعلا كثير من أعلام المفسرين .

ولكننا لا نحمد مانعاً من أن نتوسع فى معنى الآلهة التى يتخذها الناس من دون الله ، وألا تقصرها على آلهة الأحجار أو الأشجار ، أو الكواكب أو غيرها من آلهة الوثنية الحجرية أو الجمادية ، فإن الناس يتخذون آلهة أخرى من دون الله غير هذه الآلهة ، ويلتمسون بها العز ، فهم يتخذون الرؤساء آلهة معبودة ، يزلون على حكمها ولو تعارضت مع حكم الله ، ويتخذون المال إلهاً معبوداً ، ويتخذون الأهواء والشهوات ويتخذون الجاه ، ويتخذون غير ذلك من الشئون العاجلة مؤثرين إياها على الآجلة ، يريدون بذلك العز والقوة والمنعة ، ويحسبون أنهم واصلون إليها . وربما اغتروا بأوائل الحال ، والله تعالى يذكر فى هذا المقام بسنة فى خلقه ، ويقول إن هذا اللون من انتماس العزة والعلو باطل غير مؤد إلى المقصود منه ، بل هو مؤد إلى عكس هذا المقصود ، فإن هذا ما هو إلا التواء عن الطرق المستقيم ، وما هو إلا نزول عن مستوى المثل الرفيعة ، والعمائم الشريفة ، وما هو إلا تزوير لموامل العلو والعزة والمنعة لا بد أن يكشف ، ولا يلبث أن يفتضح أمره ، ويسقط صاحبه .

٣ - الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيتخذون عندم العزة ، فإن العزة لله جميعاً .

وهذه الآية أصرح فى المعنى الذى ذكرناه آنفاً فهى تذكر قريباً من الناس يلتمسون العزة من غير وجوبها للصحيحة ، فيخرجون على الكرامة الإنسانية ، التى ينبغى لهم أن يحتفظوا بها ، حيث يرضون بأن يوالوا أهل الفساد وأهل الباطل المعبر عنهم بالكافرين ، دون أهل الحق والصالح المصبر عنهم . بالمؤمنين ، فليس من شأن الكريم الذى يعرف حق كرامته ، ونعمة الله فيها عليه ، أن يوالى الشر من دون الخير ، وأن يوالى الفساد من دون الصلاح ، وأن يوالى الباطل من دون الحق ، ذلك ما عبرت عنه الآية بقولها : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ثم تساءلت عن البواعث الخفية التى تبعث مثل هؤلاء إلى هذا الالتواء عن الفطرة ، وعن الكرامة ، وعن المنطق الطيى الذى تستوى فيه العقول كلها ، تساءلت عن ذلك فى عبارة واضحة فاضحة تساؤلاً كاشفاً واضحاً : هلنا منه أنهم إنما يتخذون عندم العزة يريدون أن يتخذوا لديهم أبادى تنفعهم وتشفع لهم ولو على حساب الحق والخير والصالح ، وما دروا أن ذلك سى غير حميد ، وقصد لا يمكن أن يصل

فهؤلاء ، المنافقون يرجفون على المؤمنين ويريدون أن يفتنوا في عضمهم ، ويقوضوا تكتلهم واجتماعهم على مقاومة الباطل ، ويريدون في الوقت نفسه أن يقولوا روح الباطل والشرك ، وأن يفتنوا في روح الكافرين المقاومين لدعوة الحق طمأنينة وثقة ، فهم يلوحون بكثرة المبطلين ومظاهر عزتهم وتقوؤهم ، وأن ذلك سيكون وبالاً على المقاومين المناضلين ، لما هم فيه من القلة وضعف النفوذ ، فلذلك يتوقعون أن يخرج من المدينة أقل الفريقين عدداً ، وأضعفهم مدداً ، وأهونهم منعة وقوة ، - يريدون بذلك المؤمنين - واقع تعالى لا يرد عليهم ظاهر قولهم ، ولكن يقرم عليه ، والذين سيخرجون من المدينة هم الأذلون حقاً ، والذين سيخرجونهم هم الأعزاء حقاً ، ولكن العزة ليست في هذا الأفق الذي يتطلع إليه المنافقون ، وإنما هي في أفق آخر ، هو أفق الإيمان والحق ، والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ، لأنهم اتخذوا بما يبدو من المظاهر البراقة ، والمناوين الخادعة ، وما دروا أن الله هو العزيز ، وأن الله هو الغلاب القاهر ، وأن رسوله هو المؤيد ، لأنه هو الداعي إلى الحق ،

بصاحبه إلى ما يريد ، فإن العزة كلها إنما هي لله ، وليس اتحاد الأولياء من المبطلين والمفسدين من الله في شيء فإن الله هو الحق المبين ، وأن الله لا يحب المفسدين .

ونحن - معاصر الشرقيين - قد ابتلينا بهذا النوع من الذين يتخون العزة من غير سبيلها ويرجون أن يقتصرها من غير ميدانها ، أو أن يستظلموها من غير أفقها ، ابتلينا بهذا النوع من المواطنين: كانوا يوالون أعداءنا ، ويصانعون الغاصبين لحقوقنا العاملين على كل ما فيه ذلنا وموتنا ، وإذا كن بعض المؤمنين منا قد عرف هؤلاء في بلد أو غيره من بلاد الإسلام ، ونادوا في أقوامهم عذرين ، فإن خطرهم ما يزال ماثلاً في الشعوب والدول ، وإن علينا جميعاً أن نفتح عيوننا لكي نراهم ونحذرهم ونحذر منهم ، كما حذر الله من أمثالهم سلفنا الصالحين الأولين .

١ - يقولون أن رجعتنا إلى المدينة ليخرجن الأعداء منها الأذلة ، والله العزة ورسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون .

وهذه الآية تتحدث عن نوع آخر من المنافقين المرجفين الذين يفترون بظواهر العزة الكاذبة ، من الأغراض التي ليس لها بقاء ، وليس لها أمام الإيمان والثقة قوة ولا احتمال .

النزول على مقتضى الحق ليس ذلاً وإماماً هو
العز كل العز ، وإذا هؤلاء الكافرون
ليسوا أعزاء في الحقيقة ، وإنما هم في صرة
مزورة ، وشقاق باطل .

٦ — وقد وصف الله بعض الناس بقوله
« وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم »
وقابل بينهم وبين عباد آخرين بقوله « ومن
الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » .

وهما صورتان متقابلتان : إحداهما صورة
الرجل المستكبر المتعصب الذي يرى نفسه
فوق الناس ، وفوق الحق ، ويرى أنه أرفع
وأكبر من أن ينه إلى خطأ ، ومن أن يرجع
إلى خير وصلاح ، فإذا نصحه ناصح ازود
عنه مغضبا ، وولى مستكبرا ، وغضب
وانتفخت أوداجه ، فهذا هو الذي أخذته
العزة بالإثم ، أى أنه اعتز وتمنع لا بالحق
ولا بالبر والصواب ، ولكن بالإثم والخطأ
وأى إثم وخطأ أكبر من العناد واللجاج
والاستكبار عن الحق بعد ما تبين ، وإيثار
العزة الباطلة والقوة المفتعلة ، أما الصورة
الثانية فهي صورة رجل يشرى نفسه أى
يبيعها ابتغاء مرضاة الله ، ومعنى كونه يشرها
أو يبيعها لله ، أنه لا يرى لنفسه حقا أمام
الحق ، ولا يرى نفسه إلا مملوكة لله ، وهذا
يقضيه أن يؤدى حق هذا الملك فيبدل نفسه

والمدافع عن الحق « كتب الله لأغلبن
أنا ورسلى إن الله قوى عزيز » .

٥ — ص . والقرآن ذى الذكر ، بل
الذين كفروا في حرة وشقاق ، يذكر الله
تعالى في مطلع هذه السورة الكريمة المانع
الذى منع من الانتفاع بالقرآن الكريم
وتصديقه ، وهذا المانع هو ما فيه هؤلاء
الكفار من « حرة وشقاق » فالعزة في هذا
المقام هي التنع والتعزز ، والاستكبار عن
قبول الحق والإذعان له ، والشقاق : المشاقة
والمخالفة وكونك في شق غير شق صاحبك ،
وكثير من الناس يأتهم الفساد ، ويقعون
في الباطل من جهة الاستكبار عن قبول الحق
والمشاقة فيه ، والمناغضة له ، وهؤلاء
يظنون أن الرضوخ ضعف وذل ولو كان
للحق وما استبان من الهدى ، مع أن الرجوع
إلى الحق فضيلة والنزول على حكمه حكمة
ورشد ، ولذلك نراه يصرون على ما يرون
في عناد وتصميم مهنا تبين لهم أنه خطأ أو
ضلال ، يبتغون بذلك موقف الرجولة أو
البطولة ، وبرونه عزاً وضعفاً وقوة .

والحقيقة أن من أكبر مظاهر القوة المقدرة
على قبول الحق بعد ما تبين ، وأن المرء
لا يكون قويا حقيقة إلا إذا كان قويا أمام
نفسه وهواه كما هو قوى أمام غيره ، وأن

عيد الفطر في التاريخ والأدب لأديب من العراق

لهذين العيدين مظاهر إسلامية تعرض فيها عظمة الدولة وجلال الملك وكان في العصور الإسلامية الزاهرة تبدو فيها سطوة الإسلام وشوكته وإنا اليوم في حاجة ملحة إلى تعزيز الروح القومية بالإشادة بمفاخرنا وأعيادنا الشعبية وحيداً لو أكثرنا من إقامة ذكريات لأعياد قومية منسية لتعش في الأمة الحياة والعزة وتثير في الشباب النخوة والشعور القوي. فعلى المسلمين والعرب أن يعملوا اليوم بعيد ذكرى فتح العرب للأندلس، وعيد دخول العرب وتوغل جيوشهم في فرنسا، وعيد نزول جيوش العرب إلى إيطاليا بعد فتحهم صقلية، وعيد فتح العرب للبلدان طامعة

ذكر القلقشندي في صبح الأعشى والنوري في نهاية الأدب في فنون الأرب: أن الأعياد الإسلامية التي وردت بها الشريعة - اثنان: عيد الفطر وعيد الأضحي والسبب في اتخاذها ماروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قدم المدينة ولأهلها يرمون بلعيون فهمما فقال صلى الله عليه وسلم ما هذان اليومان؟ فقالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد بدل لكم خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحي فأول ما بدى به في العيدين عيد الفطر وذلك في السنة الثانية من الهجرة وفيها كان عيد الأضحي^(١) ولقد كان (١) صبح الأعشى للقلقشندي ونهاية الاوب للنوري.

وهكذا يبين لنا القرآن في هذه الآيات وفي غيرها أن العزة، الحقيقة الباقية المستقرة هي العزة التي تقوم على أساس من الاستقامة والعمل الصالح، والتي ينتج صاحبها في اتجاه الخير والبر، أما العزة المصطنعة المفتعلة فهي التي تقوم على أساس من الباطل والإثم والاعترار والاستتار والاستكبار.

محمد محمد العربي

عميد كلية الشريعة

لما لكها غير صنين بها، ولا حريص عليها، ولا مستشعر ذلاً فيما يفعل. والصورتان متقابلتان تمام التقابل إحداهما لنفس مغرورة معتزة بالباطل لا نعباً بالحق ولا تنزل عن كبرياتها، شيء من الأشياء، والأخرى نفس معتزة برضا الله، حريصة على هذه المنزلة، متنازلة عن أنانياتها في سبيلها فالنفس الأولى معتزة بالإثم والنفس الثانية معتزة بالله.

بغداد (كما استفاد من تاريخ الطبري) قال :
« وكان الاحتمال بها يبلغ منتهى الروعة والآية
في البلاد التي يكون فيها الشهور الإسلامية
على أقواه مثل طرسوس حيث كان يأتي غزاة
المسلمين في كل أنحاء المملكة الإسلامية حتى
كان عيдаها يعتبران من محاسن الإسلام
ولما ضاعت طرسوس من المسلمين بقيت
حقيقية مشهورة بحسن عيديها . » (١)

ويقول الدكتور حسن إبراهيم حسن
في كتابه (تاريخ الإسلام السياسي والثقافي
والاجتماعي) : « عن المسلمون منذ عهد بعيد
بالاحتفال بالعيدين في شئ كثير من الآيات
والعظمة وكانوا يحتفلون برمضان احتفالا
شائقا ويتخذون غرة رمضان في مواسمهم
الدينية كما كانوا يحتفلون بالعيدين احتفالا
دينيا فيؤم خلفاء المسلمين الناس في الصلاة
ويلقون عليهم خطبة في فضائل العيد وما يجب
على المسلمين مراعاته للمحافظة على شعائر
الإسلام ولا عجب فقد كانت مظاهر الإسلام
تجلى في الاحتفال بالعيدين في البلاد الإسلامية
ونخاصة في بغداد وبيت المقدس ودمشق
والقاهرة . وكان الاحتفال بعيد الفطر يبلغ
منتهى الروعة والآية في البلاد التي يسكنون

الأكسرة ، وعيد فتح المسلمين للقسطنطينية على
يد محمد الفاتح ، وعيد إخراج الصليبيين من فلسطين
وأمثال ذلك في الأعياد القومية الإسلامية
التي تبث في النفوس نشوة الانتصار وتعيد
ذكرى الفتح التي سيطر بها آباؤنا على البلاد
وهدوا العباد وأقاموا منار الرشاد . وعلينا
أن نفهم الاحتفالات بالأعياد الدينية الشعبية
التقليدية لأنها توحّد الرأي العام في الشرق
المصري وفهم سكانه وتذكرهم بالروابط
الروحية والتاريخية التي تجمع بين أقطار الشرق
الأدنى في مراكن إلى إيران وتركستان والهند
وأندونيسيا ومن تركيا وألبانيا إلى اليمن وزنجبار
ضامة بين جناحيها الجمهورية العربية المتحدة
والسودان ولبنان وفلسطين وشرق الأردن
والعراق والحجاز ونجد والبحرين وحضرموت
وعدن والأفغانستان وغير ذلك من الأقطار
الإسلامية وإن الاحتفال بهذه الأعياد الإسلامية
قديمًا كان يشتد ويقوى حيث يكون الشعور
الإسلامي أقوى حيث يعظم التنافس بين أتباع راية
الإسلام وبين خصومهم : قال الأستاذ آدم متز
Adam Metz في كتابه القيم : (الحضارة
الإسلامية في القرن الرابع الهجري) : « كان
عيد الفطر والأضحى هما العيدين الوحيدين
الكبيرين الذين كان يحتفل بهما بالآيات
الإسلامية احتفالا رسميًا ، وكانا إلى جانب
التبريز الفارسي أكبر الأعياد عند أهل

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع

الهجري لأدم متز .

(٢) تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن

هكذا كانت الجيوش الإسلامية المجاهدة تحتفل في الثغور التي ت رابط فيها وتعظم من الاحتفاء بالعيدين لأن ذلك مما يظهر شوكة الإسلام وجلال سلطانه .

لقد كانت المدن الإسلامية (١) - خصوصاً بغداد في عهد العباسيين والقاهرة في عهد الفاطميين - تسطع في أرجائها الأنوار في ليالي العيد ، وتتجاوب أصوات المسلمين بالتكبير والتهليل وتزدحم الأنهار بالزوارق المزينة بأهبي الزينات وتسطع في جوانبها أنوار القناديل ، وتلاذلا الأنوار الخاطعة الأبصار من قصور الخلافة ، وقد لبست الجماهير في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية الطيالة السود تشبها بالخلفاء العباسيين (يقول في المنجد : العيلسان كساء أخضر يلبسه الخوارج من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم) . الذين اتخذوا السواد شعاراً لهم وكان بعضهم يتخذ بدل العمامة قلانس طويلة (القلنسوة نوع من ملابس الرأس على هيئة متعددة ويلبسون بدل الدروع دراريع كتب عليها نفسيكميكمهم اقموهو السميع العليم) (والدراريع جمع دراعة ، وهي جبة مشقوقة المقدم) ولقد

فيها الشعور الإسلامي قويا مثل طرسوس حيث كان يتوافد إليها غزاة المسلمين في أنحاء البلاد الإسلامية وترد إليها تبرعات أهل البر من المسلمين الذين لا يستطيعون الخروج للغزو بأنفسهم (٢) ولا يخفى ما كان هنالك من أثر واضح لوقوع طرسوس على حدود المملكة الإسلامية في قصد إظهار جلال الإسلام وأبعته وإظهار قوة المسلمين أمام أعدائهم من الروم في الثغور وذلك بتعظيم شعائر الإسلام في الاحتفال بعيدى الفطر وأضحى في تلك المدينة الاحتفالا نظماً بما جعل العيدين هنالك من محاسن الإسلام كما عددهما المؤرخون .

ولتعد إلى حديث العيد قال الأستاذ آدم منز في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) : « إن المسلمين لما أضعوا طرسوس بقيت صقلية مشهورة بحسن عيديها ويؤيد قوله ما قرأت في كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للقدسي وهو من كتب العرب في الجغرافيا والمقدسي من مؤلفي القرن الرابع الهجري وقد تحدث عن حسن العيدين بصقلية من بلاد الإسلام فذكر أن العيدين في هذا الثغر يمتازان بمظاهرها كما أمتازت الجمعة في بغداد مثلاً (٣) . »

[١] الدكتور حسن إبراهيم حسن في (كتابه

تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي) ج ٢

ص ٦٠٠ .

[٢] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لأدم منز .

المركب حتى وقف بمقربة من الجسر وعلى مظل من قصور الخلافة (في المنجد : المظل : المكان يشرف منه) التي كانت تتلأأ بضوء الشان (نقلا عن الأغانى ج ٤ ص ١٨٩) فركبت البر في الموضع المعروف بحميرة العباس (في المسعودى أن السفن الواردة من البصرة تقف في بغداد بهذا الموضع) وقد غص بمجموع من الناس قد لبسوا الطيالس السود تشبها بملوك هذه الدولة الذين اتخذوا السواد في شعار الخلافة حزنا على شهدائهم من أهل البيت ونعياً على بني أمية في قتلهم . وشاهدت جماعة قد اتخذوا بدل العائم قلانس طوالا مصنوعة من القصب والورق ملبسة بالسواد أيضا وبذل البدوع دراجات مكتوباً عليها بين كتنى الرجل . فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ، أخرى (نقلا عن ابن الأثير ص ٢٤٥ ج ٥ والأغانى ج ٥ ص ٩٥) بعض من لقيه في تلك الليلة أن أبا جعفر هو الذي أحب أن تزييا حوزته (حوزة المملوك ما بين نخوما) بهذا الشكل من اللباس منذ ثلاث سنين . قال ولما تجولت في المدينة وانتهيت إلى الشارع الكبير المعروف بشارع أبي جعفر وجسده كاحسن وأحفل ما يكون من الشوارع وله السيادة عليها بأمرين : الأول انساخه إلى أربعين ذراعاً وإن كان يشاركه فيه غيره والثاني طوله من دار الخلافة إلى

أفاض جميل نخله صاحب كتاب (حضارة الإسلام في دار السلام) وأسهب في وصف الحالة الاجتماعية في بغداد على لسان رسالة فارسي أدخله بغداد ليلة عيد رمضان فأخذ يحدثنا الرحالة هذا عما شاهده فيها وقد اقتبس مؤلف الكتاب مواد بناءه من الكتب التاريخية الموثوقة متخذاً لها كمصادر اعتمد عليها وقال في مقدمة الكتاب : وهذه رسائل وصفت فيها عصرنا من عصور الإسلام قد أشرق به نور العلم وحجرت فيه أعمال عظيمة ظم بها رجال كبراء ملثوا العالم بآثار جمالم وجعلت الكلام فيها لرحالة فارسي طوفه معظم البلدان الإسلامية في المائة الثانية للهجرة ، وتختلف من هذا الكتاب اللطيف صفحة جميلة يصف بها بغداد ليلة العيد قال (١) : « اتفق وصولي إلى دار السلام في عيد الفطر قبيل العتمة هي : (الثلث الأول من الليل) وهي تلمع بالأنوار ويتصاعد من المسبحين بحمد الله والمقدسين له نغفات ترددها معهم أرجاء المدينة وتعلم المسير على مركبنا تجاه باب البصرة (وهو باب من أبواب بغداد) أو كاد بل ازدحام الرواق المشتبكة في هذا المكان وهي مطلية بأبيض الأصباغ والألوان مرصعة بأنوار القناديل الحسان حتى كأن دجلة في الزوراء أشبه بالبحر في كبد السماء ثم تقدم بنا

[١] حضارة الإسلام في دار السلام لجميل نخله .

من الفضة وكان لجامها في يد حاجب من حجاب الخليفة وقد دخل صاحبنا بغداد في عهد يانها أبي جعفر المنصور ولم يلق المؤلف كلماته جزافاً ومن دون سند تاريخي بل إنه اعتمد على أوثق المصادر .

والذي يظهر من قصيدة البحرى التي يخفى بها المتوكل بعيد الفطر أنه كانت بغداد تشهد موكباً رائعاً للخلافة بتلك المناسبة الكريمة ويؤيد ذلك المؤرخون قال الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه (تاريخ الإسلام): « كانت تجلى عظمة الخلفاء العباسيين وأهمهم في الاحتمال بالعيد واتجهت سياستهم إلى اجتذاب الشعب على اختلاف طبقاته بالمعطيات والأرزاق والهبات والاسمطة التي كانوا يعدونها في الأعياد والمواسم وعنوا باحتفال بعيدى الفطر والأضحى احتفالاً رائعاً » .

وبعرض علينا ابن قتيبة في عيون الأخبار خطبة طويلة للأمين في عيد الفطر قال فيها مخاطباً المسلمين :

(إن يومكم هذا يوم عيد وسنة وابتهاال ورجبة ، يوم ختم الله به صيام شهر رمضان وافتتح به حج بيته الحرام لمجعله خاتمة الشهر وأول أيام شهور الحج وجعله معقبا لمفروض صيامكم ومتمم لقيامكم فاطلبوا إلى الله حوائجكم واستغفروه لتفريطكم فإنه يقال لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار) .

باب الشام على استقامة ليس في الإمكان أصح منها فلما صرت فيه استقبلت في دور الخلافة ذينة كضوء الشمس قد اتخضت على القبة الخضراء . (عن المسعودي والقزويني) التي رفعها أبو جعفر إلى علو يزيد عن ثمانين ذواهاً ليشرق منها على جهات المدينة وما يجوارها من البساتين كما أنه عني بتجميلها بالرسوم العجيبة ليكون منها الدلالة على سعة ملكه والشهادة باقتداره على عظام الأعمال فكانت تظهر ذبقتها في تلك الليلة وهي مرتفعة في الفضاء كأنها إكليل من نور قد تدلى على قصر السلام . ثم إنى أقبلت في صدر هذا الشارع على مسجد جامع عليه ازدحام فلت إليه فإذا برجال متمنطقين بالسيف يرجعون الناس ويجعلون ممرأ بين جموعهم وورائهم رجل طويل (عن العقد الفريد) أسمر نحيف خفيف العارضين معرق الوجه ناطق المينين عليه ثياب سود من الخز وقلنسوة مملوكة بوبر أسود (عن ابن عون وذكر ابن جبير أنه رأى الخليفة ببغداد وعليه قلنسوة ذات وبر) من الأوبار الغالية الثمن وفي وجهه مهابة الملوك وجلالهم فمرفت أنه الخليفة أبو جعفر على غير ما تدل عليه حاشيته إذ الشمس لا تخفى وإن سترت ثم لم أزل أتبعه بالعين حتى توادى بين المجموع وركب بغلة (عن ابن خلدون) عليها حلية خفيفة

أنه في آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٠ هـ حمل
يأنس الصقلي صاحب الشرطة السفلى السباط
وقصور السكر والتماثيل وأطباقا فيها تماثيل
من الحلوى وحمل أيضا على بن سعد المحتسب
القصور وتماثيل السكر وطافا بها في شوارع
القاهرة . وكانت تعمل أسبعة أخرى في القصر
يحضرها الخليفة بنفسه في يوم عيد الفطر ،
وعيد النحر . ففي عيد الفطر كان يعمل سباط
طوله ثلاثمائة ذراع في سبعة أذرع من
الحشكنا والفانيد والبسند فإذا صلى الخليفة
النحر جلس ومسكن الناس من ذلك السباط
(وهو مائة طويلة ممدودة فيهمجون عليه
وينهبونه ويحملونه ^(١)) .

ويحدثنا المقرئ في الخطط ج ٢ ص ٣٢٢
أنه ركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة
العيد إلى مصلى القاهرة التي بناها القائد جوهر
فأقبل في زيه وينوده وقبابه ، وصلى بالناس
وأطال الصلاة وهي صلاة جده علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال : قلنا فرغ المعز من
الصلاة ، صعد المنبر وسلم على الناس يمينا
وشمالا ، ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر
فخطب وراءهما على رسمه وكان في أعلى درجة
من المنبر وسادة ديباج مشغل مجلس عليها بين

ولقد كان الخلفاء العباسيون يجلسون
في الأعياد لاستماع تهنات الشعراء وجر ذلك
إلى أن يتنافس هؤلاء في تجويد روائع الشعر
يمدحون بها سجايرة العباسيين لينالوا من
هباتهم وعطاياهم الأموال الفزيرة إذ كانت
ثروة الدولة الإسلامية تنجي إلى الخليفة
ببغداد أو سامراء فينفقها كما يشاء ولئن
شاء .

وإنك لتجد الخلفاء عامة ، (والفاطميين
خاصة) يجلسون بعيد الفطر الذي كانوا
يتبركون به وتعم خيراتهم الناس فيه ، فمن
هذه الخيرات تفرقة الفطرة والسكوة وعمل
السباط وركوب الخليفة لصلاة العيد . وكان
هؤلاء الخلفاء يهتمون بالاحتفال بعيد الفطر
في العشر الأخيرة من رمضان ، واتخذ
الفاطميون في القصر بابا عاما أطلقوا عليه
(باب العيد) ؛ لأن الخليفة كان يخرج منه
في يوم العيد إلى المصلى شرق القصر الكبير
في الفضاء الذي تشغله الآن قراة باب النصر
وراء حي الحسينية (كما حقق ذلك الأستاذ
إبراهيم حسن) .

أما الأستاذ آدم متر Adam Metz فإنه
ينقل في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن
الرابع الهجري) عن المقرئ ج ١ ص ٣٨٧
وعن النجوم الزاهرة لأبي المحاسن ج ٢
ص ٤٧٣ : وعن رحلة ناصر خسرو ص ١٥٨ (

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري
لآدم متر ، والنجوم الزاهرة لأبي المحاسن
ورحلة ناصر خسرو .

وهي مواد مشتملة تقذف نحوسو العدو
باسطوانات نحاسية مستطيلة : قنابل عن كتاب
الجندي في الدولة العباسية لصابط عراقي^(١)
وخرج الخليفة الفاطمي بالمظلة الثقيلة بالجواهر
ويده قضيب جده على بن أبي طالب عليه
السلام فصول على رسمه (على عادته) .

ولما استوزر بعد الأفضل المأمون بن
الطائفي انتقد عدم ظهور الخليفة وقال هذا
نقص في حق العيد ولا يعلم السبب في كون
الخليفة لا يظهر فقال الخليفة الأمر بأحكام الله
فأترأه أنت؟ فقال : يجلس مولانا في المنطرة
التي استجنت بين باب الذهب وباب البحر ،
فإذا جلس مولانا في المنطرة وقتحت الطاقات
وقف المملوك بين يديه في قوس باب الذهب
وتجوز العساكر فارسها وراجلها ، وتشملها
بركة نظر مولانا إليها ، فإذا حان وقت الصلاة
توجه المملوك بالموكب والزي وجميع الأمراء
والأجناد واجتاز بأبواب القصر ودخل
الإيوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه
وبالغ في شكره . ثم عاد المأمون إلى مجلسه
وأمر بتفرقة كسوة العيد والمهيات وجملة
العين ثلاثة آلاف وثلاثمائة دينار وسبعة
دنانير ومن السكوات مائة قطعة وسبع قطع
برسم الأمراء المطوقين والأستاذين المحسكين
وكاتب القسوت ومتولى حجية الدار وغيرهم

الخطبتين وكان معه على المنبر القائد جهور ،
وخطب وأبلغ وأبكى الناس ، وكانت خطبة
بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف
في عساكره وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن
والخوذ على الخيل بأحسن زى وساروا بين
يديه بالقيلة ، فلما حضر في قصره أحضر
الناس فأكلوا وقدمت السمط ونشطهم على
الطعام ، وكتب على من تأخر وهدد من بلغه
صيامه العيد^(٢) ونقل المقرئ أنه في آخر
يوم من رمضان سنة ٨٢٣ هـ (قلاع المسيحي)
بقيت مصاطب ما بين القصور إلى المصلى
ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل
التكبير من المصلى إلى القصر وفيه تقدم أمر
القاضي ابن النعمان بإحضار المتفقهة والمؤمنين
يعنى الشيعة ، وأمرهم بالجلوس يوم العيد على
هذه المصاطب وفي يوم العيد ركب العزيز بالله
لصلاة العيد ، وبين يديه الجنائب والقباب
الديباج بالحلى والعسكر في زيه من الأتراك
والدبل والعريزيه والإخشيديه والكافورية
وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق
الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجواهر
والسروج بالعنبر وبين يديه القيلة عليها الرجال
بالسلاح والوراقة (والوراقون هم الذين
يقذفون بالنار اليونانية وقد اقتدسها الصرب
من الروم وهي في الأصل من اختراع المشرقة

(١) الخطط المقرئ

(٢) الجندي في الدولة العباسية لصابط عراقي .

وقد تمت جفان القفاط (طعام يسوى من الدقيق المرق بالماء) مع الخلوى جروا على عادتهم وملئوا أكلامهم ثم خرج أستاذ من باب الدار الجديدة بخلع خطمها على الخطيب وغيره ودرهم تفرق على المقرئين والمؤذنين ورسم أن تحمل الفطرة إلى قاعة الذهب وأن تكون التبعة في مجلس الملك حيث تعد الأسطة وحضر الخليفة واستدعى المأمون (الوزير) وعرضت المظال المذهبة وكان المقرئون يلوحن عند ذكرها بالآيات التي في سورة النحل والله جعل لكم بما خلق ظلالا، إلى آخرها. وجلس الخليفة الفاطمي ودفعت الستور وسلم الرسل الواصلون من جميع الأقاليم ووقفوا في آخر الإبران وحضر الأمراء ورجال الدولة واستعرضت الدواب وهي ما يزيد على ألف فرس عدا البغال وعرضت الوحوش بالأجلة والديباج والديبق بقباب الذهب والمناطق والآلهة وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب الذهب وحملت الفطرة الخاصة التي يفطر عليها الخليفة بأصناف الجوارشات (في المنجد الجوارش نوع من الحلاوات) بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التي يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتحتم وملت للاستخدمين في القصور وعبيت في مواعين الذهب المكللة

قال: ووصلت الكسوة المختصة بالمعيد في آخر شهر رمضان من سنة ٥١٦ هـ وهي تشتمل على دون العشرين ألف دينار وهو عند الفاطميين الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لأن الحلل فيه تم الجماعة وفي غيره للأعيان خاصة قال المقرئى ولما كان في التاسع والعشرين من رمضان سنة ٥١٦ هـ خرجت الأوامر بأضعاف ما هو مستقر للقرئين والمؤذنين في كل ليلة باسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر وحضر المأمون (الوزير) في آخر النهار للفطور مع الخليفة والحضور على الأسطة على الصلاة، وحضر المقرئون والمؤذنون، وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات من أهل القصور بلاحي (في معجم دوزى أنها ضرب من الأواني لحفظ العطور) وموكيات (في معجم دوزى شمعدانات موكية أى تستعمل في المواكب) ملوءة ماء ملفوفة في عراضى (يقول دوزى هي قطع من النسيج يلف بها الرأس) وديبق (قاش صمغ مدينة ديبق بمصر) وجعلت أمام المذكورين لبشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من الحمد إلى غاية القرآن تلاوة وتطريبا، ثم خطب من أسمع ودعا، فأبلغ ورفع الفراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهلوا وأخذوا في الصوفيات إلى أن تثر عليهم من الروشن درهم ودنانير،

الفاطمية بمصر بعيد رمضان ومن تعقب
وعاض كتب التاريخ الإسلامى وجد الدول
الإسلامية جمعا تحتفى بهذا العيد فهذه الدولة
البويهية يحدثنا الأستاذ آدم متز فى كتابه
عن الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع
الهجرى الذى هو عصر ما الذى ازدهرت فيها
العلوم وأبنت الفنون — يحدثنا (قللا
عن معجم الأدباء لياقوت الحموى) أن ابن
عباد وهو من وزراء البويهيين كانت دأبه
لا تغلو فى كل ليلة من ليالى رمضان من ألف
نسمة تظفر فيها وأن أصدقاءه وأقرباءه فى هذا
الشهر كانوا يزورونه بكثرة تبلغ مبلغ زيارتهم
له فى جميع شهور السنة .

بالمجاهر وخرجت الأعلام والبنود وركب
المأمون (الوزير) فلما حصل بقاعة الذهب
أخذ فى مشاهدة السباط من سرير الملك إلى
آخره وخرج الخليفة وطلع إلى سرير ملكه
وبين يديه الصوائى التى فيها العطرة الخاصة
والمقرون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون
فيفطر الخليفة ويدخل الناس فىأخذون جميع
ما هناك فلما انفضى العطور ضربت الطبول
والأبواق على أبواب القصور وخرجت
أزمة المساكر فادسها وراجلها ورتبت
الصفوف من القصر إلى المصلى (١) .

هذه صفحة رائعة من احتفاء الدولة

(١) المخطوط للقرىزى.

عربى يصف قومه

إذا مات منهم سيد قام صاحبه
بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
دجى الليل حتى فظم الجزع ناقبه
تسير المنايا حيث سارت كواكبه

وإني من القسوم الذين همُّهم
نجوم سماء كلبا غار كوكب
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم
وما زال منهم (حيث كانوا) مسود

شِعْرَاءُ الْوَحْدَةِ

للأستاذ علي العتاري

وما فتحت البلاد بالمسكرة وإنما فتحها
بكلام العاضل، يقصد وزيره القاضي الفاضل .
وقد ازدحم (بلاط) صلاح الدين بالشعراء
الذين غنوا على فيثاراتهم أمانيج النصر ،
ورددوا أناشيد الوحدة ، ومن هؤلاء :
ابن سناء الملك ، والهاد الأصفهاني ، والقاضي
الفاضل ، وغيرهم من شعراء الإقليم المصري
في القرن السادس الهجري .

وسنكتب كلمة عن كل واحد من هؤلاء ،
تتبع فيها أثره في توحيد الصف ، وإشاعة
الموزة والمجد في قلوب الشعوب ، إذ ذاك .

ابن سناء الملك

- ١ -

نشأته :

هو أبو القاسم حبة الله بن القاضي الرشيد
أبي الفضل جعفر بن محمد بن حبة الله
السعدي ، ويلقب بالقاضي السعيد ، ويعرف
في الكتب بابن سناء الملك ، وسناء الملك
لقب أبيه جعفر ، وقد ذكره ابن خلكان
عقب (المعتمد) فيكون - على رأيه - لقباً
لجد القاضي السعيد ، ويدل لقب جده
سناء الملك أنه كان من كبار الموظفين في الدولة

منذ أكثر من ثمانية قرون ، وعلى التحديد
في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ،
وأوائل القرن السابع ، كانت تعيش البلاد
العربية في ظروف تشبه كل المشابهة الظروف
التي تعيش فيها الآن ؛ أعداء من خارج البلاد
يتربصون بها الدوائر ، ويغنون لها الغرائل ،
ويهاجمونها كلما ضئت لهم فرصة ، وأعداء
في داخل البلاد ، من أهلها ، يتكبرون للشعوب
ويعاونون الأعداء .

وفي ذلك التاريخ اصطفت الأقدار العرب
بطلا ، عاصم العقيدة ، طاهر الطوية شديد
البأس ، هو السلطان الملك الناصر أبو المظفر
صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب .
الذي يصل نسبه ببنى أمية ، فدحر الصليبيين ،
وخلص البلاد من شرورهم ، ووحد الأقطار
الإسلامية .

وفي أثناء هذه الحروب الشهيرة ، برزت
ظاهرة أفاقت منها الأقطار الإسلامية ، تلك
هي الشعور بوحدة الدم والعقيدة والتاريخ ،
وقد كان لشعراء شأن أي شأن في الإشادة
بهذه الوحدة ، والعمل على إذكاتها في النفوس ،
والشعر - برمذاك - بل الأدب بعامه هو الموجه
والرائد ، حتى قال صلاح الدين الأيوبي

ولم أستبعد أن يكون ابن سناء يخفى في نفسه العقيدة الشيعية ، ويبدو أمام الأيوبيين متمسكا بالذهب السني ، وقد خدعته العقل الباطن في هذا الشعر ، فأجرى على لسانه التعجب من (متشيع متسنن) . ولا وجه للتعجب ، فإن سناء نفسه هو ذلك الرجل . وأيا ما كان فقد كان ابن سناء من رجالات الدولة الأيوبية ، وكل آثاره التي بين أيدينا تدل على أنه كان في ريعان الشباب وفي كهولته وفي شيخوخته (متسننا) على حد تعبيره . وقد تولى ابن سناء القضاء ، وتوافقت المودة بينه وبين القاضي الفاضل . وصنف كتابا ، أهمها (دار الطراز) في الموشحات ، و (نصوص الفصوص ، وعقود العقول) وهو لا يزال مخطوطا ، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ ، وسمى المختصر (روح الحيوان) وقد أعجبت هذه التسمية (ابن خلكان) فقال : وهي تسمية لطيفة . وله ديوان شعر منه نسخة خطية في مكتبة الأزهر ، وهي نسخة كثيرة الأخطاء .

وتوفي ابن سناء باتفاق الدين ترجوا له في ستة ثمان وستائة ، في شهر رمضان من السنة المذكورة ، وهي توافق سنة ١٢٩١ م .

أدبه ونهايته :

يعتبر ابن سناء من كبار الشعراء المصريين

الفاطمية ، فقد خلع هذا اللقب أيضاً على حسين ابن بدر الجعالي ، الوزير الفاطمي المشهور (١) ولد ابن سناء الملك بمصر ، في أسرة غنية في حدود سنة ٥٥٠ هـ . وقد حفظ القرآن وبرع في العلوم الدينية واللغوية والأدبية ، وتفقه في الدين الإسلامي على مذهب أهل السنة ، وإن كان ابن سعيد المغربي يذكر أنه كان متشيعا ، بل وغالياً في التشيع ، وقد انفرد ابن سعيد بهذا . ويظهر أنه بقيت في نفس ابن سناء رواسب شيعية ، وآية ذلك أننا نجد بعض العقائد الفاطمية في شعره ، وهو يمدح ملوك الأيوبيين ، من ذلك - مثلاً - قوله في مدح صلاح الدين :

أعدت إلى مصر سياسة يوسف ،
وجددت فيها من سميك موسما
وأحييت فيها الدين بعد مماته
فأنت (ابن يعقوب) وأنت (ابن مريم)
وقد وقفت طويلا عند هذين البيتين من شعر ابن سناء ، وهما من قصيدة في مدح القاضي الفاضل ، قال :

أصبحت في مدح الأجل موحداً
ولكم أنقنى من أياديه ثنى
وغدوت في حبى له متشيعاً
من ذا رأى متشيعاً متسنناً

(١) مامش جريدة النصر : القسم المصري

لا أستعير خرجة غيري، بل أبتكرها وأخترتها،
ولا أؤضي باستعارتها، وقد كنت
نحوت فيها بحر المغاربة وقصدت ما قصدوه
واخترت أوزاناً ما وقعوا عليها، ولم يبق
شيء عملوه إلا عملته إلا الخرجات الأجمعية
فإنها كانت بربرية، فلما اتفق لي أن تعلت
اللغة الفارسية عملت هذا الموشح وغيره
وجعلت خرجته فارسية بدلاً من الخرجة
البربرية (١).

وظهرت في شعر ابن سناء السمات التي
طبعت شعر العصر الأيوبي، من التأنق اللفظي
والشكف المقيت، والتقص إلى المحسنات
البدعية من جناس وطباق وتورية، حتى لقد
كن الجناس يملأ تفكيرهم فترى ابن سناء
يتروعه في بعض الأفعال، فهو يتحدث عن
عين عشقت، لأن عيناً نظرت إليها، فيحاول
أن يتخذ من هذا دعوى قصد الجناس فيقول:
يا جور هذا الحب في أحكامه

خديجة، وطرف عين قد زنا
وأطنه قصد الجناس لأنه
طرف زنا لما رأى طرفاً زنا
فيدعى أن طرف العاشق إنما (زنا)
بالنظر إلى المعشوق لأن طرف المعشوق (زنا)
إليه ونظر، وسبب هذا إنما هو قصد الجناس
بين زنا وزنا.

في العصر الأيوبي، وديوان شعره يضم شعراً
في كل الأغراض التي تنتمي الشعراء في ذلك
العصر من مدح وثناء وغزل ووصف، إلى
هجر، إلى إخوانيات.

أما الفن الذي نفع فيه ابن سناء فهو فن الموشح
وكتابه (دار الطراز) يعتبر الأول من نوعه
في موضوعه، فقد قام فيه بمهمة وضع قواعد
واضحة للموشح، وليس معنى هذا أن أحداً
قبله لم يتعرض لهذه الأصول، فإن بعض هذه
الأصول وردت - ولو بطريق الإشارة -
في بعض الكتب الأدبية كالذخيرة لابن
بسام، وإنما معناه أن تحديد قواعد الموشح
وتبيان خصائصه وطرق نظمه، وأوزانه،
ثم تأييد هذه الأصول بأمثلة من الموشحات،
هذا العمل لم يعمل أحد قبل ابن سناء، بل،
وكل الذين جاءوا بعده، وتحدثوا عن الموشح
كانوا عيالاً عليه.

وكان ابن سناء منذ شبابه المبكر أظهر
ميلاً قوياً للأدب، ولا سيما الشعر، وقد جاء
في مقدمته لدار الطراز أنه لم يأخذ فن الموشح
عن أستاذ أو شيخ، ولم يتعلمه في كتاب،
وقد ظهرت عبقرية بشكل واضح في الموشحات
ومما قاله في كتاب (النصوص الفصوص)
الورقة (٢١) : « وكنت لما أولعت بعمل
الموشحات قد فكبت عما يعمله المصريون
من استعارتهم لخرجات موشحاتهم خرجات
موشحات المغاربة، فكنت إذا عملت موشحاً

١ | هاشم دار الطراز ص ١٣٥ تحقيق دكتور
جودت الركابي.

القاضي ابن خلكان ، بأنه صاحب الشعر
البديع والنظم الرائق . وأحد الفضلاء النبلاء
الأدباء . وأجيب بوصفه لنقصان النيل وقال
إنه أحسن ما يوصف به ، وعجاجة ابن سناء :
وأما أمر الماء . فإنه فضبت مزارعه ونقطعت
أصابه ، وقيم العمود لصلاة الاستسقاء ،
وهم المانياس من الضيف بالاستسقاء .

ابن سناء والوعورة :

ذكرت فيما سبق أن القاضي السعيد قال
الشعر في كل الأغراض التي كان يقول فيها
الشعراء في عصره ، وقلت : إن المن الذي
نبغ فيه هو فن الموشحات ، وأضيف هنا
أن شعر المدح عند ابن سناء لا يقل أهمية
عن موشحاته التي امتاز بها ، ذلك أننا يمكن
أن نقتر هذا الشعر وثائق تاريخية فيما يتعلق
بالسياسة العامة . ولا سيما السياسة الحربية
الأيوبيين ، كما يمكن أن نتعنه دليلاً على
شعور هذا الشاعر بما يمكن أن يطلق عليه
(الوحدة العربية) وقبل أن نخوض في
دراسة هذا الشعر ، نقدم كلمة بجملة عن البيئة
التي عاش فيها هذا الشاعر من الناحية السياسية .
ولد ابن سناء في سنة خمسين وخمسمائة .

وتوفي في سنة ثمان وسبعمائة ، فهو قد عاش
زهاء الستين عاماً عاصر فيها أواخر الخلفاء
المالطيين ، وعاصر من الأيوبيين السلطان
صلاح الدين وابنه العزيز عثمان ، وولد

والشعراء المصريين مذاهب في هذا ومن
ذلك قول الشاعر :

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى
مليحاً ، دونه السر الرفاق
فقلت وذل أما إلا أدب

فكيف يفوتني هذا الطباقي
والشواهد كثيرة من شعر ابن سناء على
تكلمه المحسنات البديعية ، حتى مقدمته في دار
الطراز جاءت مسجوعة ، مع أنها مقدمة
جملية من حيث ما تضمنته من أصول الموشحات .
كان القاضي العاضل يثنى كثيراً على ابن
سناء ، وعلى بلاغته . وصنعتة في النظم ومن
قوله في ذلك : « أما بلاغته فقد بلغت الغاية ،
وأما قلبه فإنه به قد أعطى الراية » . وكان
معاصره النهاد الأصفهاني الكاتب صاحب
خريدة القصر يثنى عليه ، ويعجب به ،
وكذلك أثنى عليه ياقوت الحموي في أكثر
من موضع في كتابه « معجم الأدباء » . وما
قاله : « أحد أدباء العصر وشعرائه المهيدين ،
ذاع صيته ، وسار ذكره » . وامتدح قصيدته
التي سارت بها الركبان - على حد قوله -
والخاصية الغزلية . وهي :

سواي يهاب الموت أو يرهب الردى

وغيري يهوى أن يمشي مخلداً
وبعد أن ذكر أبيتنا كثيرة منها قال :
« واتقصيدة طويلة ، كل بيت فيها غريدة في عقد ،
وشعره كثير ، وأكثره جيد » . وأثنى عليه

عند الملك المنصور أسد الدين شيركوه وقالوا له : شاور فساد العباد والبلاد . وقد كاتب الفرنج ، وهو يكون سبب هلاك الإسلام . ومن الآراء التي قيلت في موت شاور أن الأمراء قتلوه لما علوا بما فعل .

ولم يكن الفرنج وحدهم هم الذين يهددون وحدة المسلمين ، بل كان في داخل البلاد أفراد يعملون على الثورة ولكن صلاح الدين قضى عليهم واحداً بعد آخر . وكانت تقع الفتنة بين بني أيوب أنفسهم بعد صلاح الدين لولا أن الله تداركهم بفضله فتم بينهم الصلح .

هذه صورة مصغرة لما كانت عليه البلاد الإسلامية في السنوات التي عاشها القاضي السعيد ولا بد أنه وهو رجل مسلم ، شاعر ، ومقرب من السلاطين والأمراء كان أشد شعوراً بكل هذه الأحداث ، فلا عجب أن نجد في شعره رقة الفرح كلما أحرز المسلمون انتصاراً أو ملكوا بلداً ، أو فتحوا حصناً ، وكان كل ذلك كثير الحدوث ، فقد فتح نور الدين محمود في مدة ولايته نيفاً وخمسين حصناً ، وأما صلاح الدين فقد أعاد للإسلام سطوته ، وللمروية قوتها ، بالانتصارات المتتالية التي أحرزها .

وقد أسهم ابن سناء بنصيب موفور في تسجيل انتصارات صلاح الدين ، من ذلك قوله يهنئ بفتح حلب :

العزير الملك المنصور محمد ، ثم الملك العادل ابن الأمير نجم الدين أيوب ، وهو آخر صلاح الدين ، وفي هذه الفترة كان ملوك آخرون من الأيوبيين في دمشق وحلب واليمن ، ومنذ أن ولد ابن سناء إلى أن توفي ، وملوك المسلمين يشنون غزوات على الفرنج ، والفرنج يحاربون المسلمين ، ويفترون على البلاد المصرية ، ويقتصر المسلمون حيناً ، ويقتصر الفرنج حيناً آخر ، وقد يمدد الصلح بين الفريقين ، وليس من شك أن الشعور العام للمسلمين في ذلك العهد كان الضيق الشديد بحركات الفرنج ، والفرح المتزايد بكل انتصار يحرزه المسلمون .

ومما يدلنا على الشعور النليل في نفوس المسلمين في ذلك ، وبغضهم الشديد للفرنج ، هذه القصة المعبرة : كاتب (شاور) وزير المعاضد الفرنج ليحاربا معه (أسد الدين شيركوه) قلباً فأخمر الفرنج عاف شاور ، فعمل في عمل دعوة لأسد الدين المذكور ولأمرائه وبقيض عليهم فنهأ ابنه الكامل . وقال : وانه لئن لم نقتل عن هذا الأمر لأعرفن أسد الدين قتال له أبوه شاور : وانه لئن لم نفعل لنقتل كلنا ، فقال له ابنه الكامل : لأن تقتل والبلاد بيد المسلمين خير من أن تقتل والبلاد في يد الفرنج ، (١) . ولما بلغ أعيان الدولة أن شاور كاتب الفرنج اجتمعوا (١) ٢٥١ النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٥١ .

وفي هذا ما يشير إلى ما كان عليه أعداء
الإسلام من قوة هائلة ، وأنه لولا صلاح الدين
لتغيرت معالم الإسلام ، ولكنه أعاد للدين
حرمة وقوم ما كان قد طرأ عليه من أهوجاج .
وكان صلاح الدين في الشام ، فسكتب ابن
سناء يذكر له شوق مصر إليه ، ويقول :
تفايرت الأقطار فيك فواحدا

لبعدك يسكني أو لتربك يقيم
ولا شك في أن الديار كأهلها
كما قيل تشق بالزمان وتتم
وما برحت مصر أحق يوسف
من الشام لكن المخطوط تقسم

بمصر كما في من جوى وصبا
كلانا معنى بالأحبة مغرم
فهذه البلاد التي (تفايرت) لاشك أنها
بلاد واحدة ، تنظر إلى زعيم واحد ، ويجمعها
الشرق إليه ، والغيرة عليه ، وهذا هو أصرح
تعبير عن الوحدة التي عمل لها صلاح الدين
والتي تمت في عهده ، وغذاها الشعراء والأدباء
بما ينظمون وما ينثرون .

ويبقى صلاح الدين بفتح الشام ، فيقول :
لست أدري بأي فتح تنها
يامنيل الإسلام ما قد تمنى
أنهنيك أن تملكك شاما
أم نهنيك أن تملكك حدنا
إن دين الإسلام من على الخد
ق وأنت الذي على الدين منا

وفي زمان ابن أيوب غدت حلب
من أرض مصر ، وعادت مصر من حلب
ولابن أيوب ذات كل مملكة
بافتح والصلح أو بالحرب والحرب
أرض الجزيرة لم تظفر بمالكها
بمالك قطر أو سائر درب
بمالك لم يدرها مديرها
إلا برأى خصى أو بعقل صبي
حتى أنها صلاح الدين فأنصاحت
من الفساد كما صحت من الوصب
ويمدح صلاح الدين في قصيدة أخرى
فيقول : إنه أنام بنى الإسلام في كهف بأسه ،
هكذا (بنى الإسلام) لابن مصر وحدها ،
ولابن الشام وحدهم ، ولابن قطر من
الأقطار وإنما هم (بنو الإسلام) بهذا
العنوان مما يدلنا على شعور الشاعر بالوحدة
الإسلامية ويمدح صاحبها فيقول
إنه عوض المسلمين من صغرتهم وصنا ، ومن
خوفهم أمناً وأنه أقام بذار الكفر تجي له
الجزية ، والكممار صاغرون ، وهذا غاية
ما يمتناه كل مسلم .

ويقول في قصيدة ثالثة في مدح صلاح الدين :
لقد نصر الإسلام منه بناصر
يرى مغرما في الدين ما كان مغرما
يذب عن البيت المحرم جنده
فلولام ما كان بيتا محرما
ولولام ما كان زمزم زمرا
ولولام كان العظيم محظرا

فلا عجب بعد هذا أن يقول أحد السكاكين
في ابن سناء الملك ومدائحه : « أنت ترى
خلال هذه المدائح نقفاً عربية مغلظة تجيش
بالإكبار والإجلال نحو الرجل الذي صان
الديار الإسلامية وفرض احترامها على من
حاول العبث بها ، وطهر بيت المقدس من
المفسد على أرضه ، فهجر الشاعر الصنعة
والتكلف عفواً ليترك العاطفة تتحدث ،
وترتفع نشوى في أجواء النصر والمجد^(١) .
وظل ابن سناء بعد صلاح الدين يمدح
ملوك الأيوبيين ، وفي كل مدائحه تظهر
الروح التي ظهرت في مدائحه لصلاح الدين .
(وبعد) : فإن ابن سناء شاعر كبير ،
وهو من الشعراء الذين خدموا الوحدة بين
البلاد العربية بما نظموه فيها من أشعار .
ولقد أعاد التاريخ نفسه لمجمل من عبد الناصر
الناصر صلاح الدين الثاني ، فهل نجد
من شعرائنا من يكون ابن سناء الملك الثاني
يتغنى بوحدة العرب ، ويسجل لنا مظاهر
النصر التي تملأ حياتنا الحاضرة .
ولولا أن الأناشيد ، والأغنيات الشعبية
ملككت ناصية الأمر في هذه الأيام لكنا نطمح ،
في شعر كثير جميل يبقى على مر الأيام ، يتحدث
بانتصاراتنا ويسجل أدوار صفحاتنا ويخزنها .

على الشعراء

قد ملكت البلاد شرقاً وغرباً
وحوت الآفاق سهلاً وحزناً
وهذه القطعة على صغرها مملوءة بالمعاني
تؤيد ما ذهبنا إليه من أن هذا الشاعر كل
من المفردين بالوحدة ، وأن الشعور
بهذه الوحدة كان يملأ نفسه ، وأن شعره صورة
صادقة لما كان عليه الشعراء في ذلك العهد ،
وواضح من هذه الآيات أن الوحدة الكبرى
تمت لصلاح الدين : الشام وعدن ، ومن قبل
الجزيرة والفرات ، وفلسطين وعسقلان .
وقد لاحظت أن ابن سناء كان حريصاً
على أن يقارن بين ماضي الإسلام وحاضره
بين ماضيه مدد دست معاليه ، وضعف سلطان
تعاليمه ، وبين حاضره حيث أحياء صلاح الدين
من موت ، وأعتقه من عبودية ، وإن ما يثلج
صدر كل مسلم أن يملك صلاح الدين (البلاد
شرقاً وغرباً) فهو جدير بأن يهنا ، بل وأن
يهنا الإسلام والمسلمون بهذه الفتوحات
العظيمة التي أنالت الإسلام ما كان يتمناه ،
وهل كان يتمنى الإسلام إلا جمع شمل المسلمين
وتوحيد كلمتهم . بل يصرح ابن سناء في آيات
أخرى بأن صلاح الدين قد جمع شمل المسلمين
فيقول من فتحه لإحدى البلاد :

وصلت فيها جمعة بجماعة

تناديك للإسلام يا جامع الشمل

لجيك مفروض على كل مسلم
ويطم هذا فيك بالعقل والنقل

(١) مقدمة داود الطراز للدكتور جودت كازاني
ص ٩١ .

الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين لغالبين من علماء الأثر

حجة قديمة - الإيمان بالألوهية ضرورة عقلية - إرسال النبيين من
آثار الروح الألهية - رسالة الإسلام - القرآن هو الآية الكبرى من رسالة
محمد - القرآن آية وعداية أين للمعارضون للقرآن - الإسلام عبادة وخطام
مزايا الهدية الإسلامية - شبهات حول العبادة « الخير والاختيار » -
حول الإيمان بالآخرة - نظام الإسلام - عبادة الله وحده - العلاقات
الإنسانية - العلاقة بين الأغنياء والفقراء - بيت المال ملك الأمة -
الإسلام يتم التوازن بين الأغنياء والفقراء -

لقانون ، ثم كان أن وضعت القوانين ،
فاختتمت المظاهر العلنية من هذه الفوضى
البداية ، ولكن الجرائم السرية ما برحت
سائدة منتشرة فهناك فكر بعض المباقرة
في إقناع الجماهير بأن في السماء قوة أديلة أبدية
ترى كل شيء وتسمع كل شيء ، وتهيمن
بحكمتها على كل شيء (١) .

ولسنا ننكر أن تكون هناك عقيدة معينة
قد استحدثت في عصر ما أو أن يكون ثمت
وضع خاص من أوضاع المبادات قد جاء
بجلوبها مصنوعاً لذلك سائغ في العقل بل واقع
بالعمل ، أما فكرة التدين في جوهرها ،
فليس هناك دليل واحد على أنها تأخرت
عن نشأة الإنسان .

الحملة على الأديان ليست بفت اليوم
ولا وليدة الأمس وليست من مبتكرات
المادية الماركسية التي زعمت أن الدين أفيون
الشعوب .

قال لأديب الفرنسي ، فولثير ، أن فكرة
التأليه إنما اخترعها دهاء ماكرون
الذين لقوا من يصدقهم من الحق
والسحما .

وفولثير أيضاً لم يكن مبتكراً لهذا فن
قديم ظهر مثل هذا الزعم عند السوفسطائيين ،
من اليونان الذين أنكروا حقائق الأشياء
أو شككوا فيها وكان فيا روجوه من
مغالطات وتشكيكات أن الإنسان في أول
نشأته كان لا يخضع إلا للقوة لخلق ولا

(١) الدين للبرخوم الكنود دواز من ٧٤ .

والحق أن الإيمان بقوة عليا — خلقت هذا الكون وقامت بتدبيره ورعايته على أحكم نظام — ضرورة عقلية بعد كونه ضرورة فطرية وجدانية ، فإن العقل الإنساني بغير تعلم ولا اكتساب يؤمن بقانون السببية ولا يقبل فعلا من غير فاعل ، ولا صنعة من غير صانع .

وبدون الدين والإيمان سيظل هذا السؤال الذى أثاره القرآن حائراً بغير جواب ، أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض ؟ ، وبداية لم يخلقوا من غير شيء ، وطبعاً لم يخلقوا هم أنفسهم ، ولم يزم أحد أنه خلق ذرة فى السموات أو فى الأرض ، فلم يبق إلا الاعتراف بوجود الخالق العليم الحكيم الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

والذين فروا من الاعتراف بالالوهية الخالقة لأنها شيء غير مشاهد ولا محسوس ولا يدخل تحت التجربة ، لم يمكنهم إلا أن يلجئوا إلى قوة غامضة خفية هى الأخرى أطلقوا عليها « الطبيعة » .

وقد كان الوثنيون والجاهليون أقوم فكرياً وأصرح رأياً حين اعترفوا بموجب المطرة ومقتضى العقل فلم يلقوا وبدوروا كهؤلاء الذين يقولون : بالدهر والطبيعة ، حين سئلوا من خلق السموات والأرض ؟ قالوا

يقول معجم « لاروس » ، للقرن العشرين : إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها صمجية ، وأقربها إلى الحياة الحيوانية . . . وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي ، وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية .

ويقول هنري برجسون : « لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنها لم توجد قط جماعة بدون ديانة .

ويقول أرنست رينان فى تاريخ الأديان : « إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نجبه وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي الدين بل يبقى حجة نامقة على بطلان المذهب المادى الذى يريد أن يحصر الفكر الإنسانى فى المضائق الدينية فى الحياة الأرضية . »

وبعلق الأستاذ محمد فريد وجدى على هذه الكلمة فى دائرة معارفه فيقول فى مادة « دين » : « نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة الدين لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها ، ناهيك بميل رافع رأس الإنسان بل إن هذا الميل سيزداد . . . ففطرة الدين ستلاحق الإنسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علوم مداركه ونمو معارفه . »

والآيات البينات على صدق دعوتهم وأنهم
رسل الله حقاً ولم يملك المتصفون من
معاصريهم إلا أن ينعنوا لهم ويؤمنوا
برسالتهم « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » وأوضح
مثل على ذلك سمرة فرعون الذين اتفقوا من
الإيمان بربوبية فرعون إلى الإيمان الحق
وقالوا : آمناب رب هرون وموسى... « لن
نؤثرك على ما جاءنا من البينات والدى فطرنا » .
وقد تعهد الله البشرية في شتى عصورها
بأنبياء ومرسلين كانوا منارات هادية وقادة
مبينين ومعلمين إلى أن أكمل الله الدين وختم
الرسالات بعثة النبي الأمي محمد بن عبد الله
بالرسالة العامة الخالفة ليعكون للعالمين نذيراً
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . .

يخطئ كل الخطأ من يحاول أن ينعت
الإسلام بأنه رسالة أرضية اخترعها بشر
ونسقها فكر إنسان ، أو أنه ظاهرة اجتماعية
أوختبها أسباب تاريخية أو عوامل اقتصادية .
... إن من يحاول هذه المحاولة يمدح نفسه
أولاً ويكذب على الناس ثانياً ... ذلك أنه
بمعصب عينيه ويستر عقله عن كل عوامل
المعرفة الصحيحة ، فهو يتجاهل التاريخ
الصحيح ، ويضل عن الواقع الاجتماعي
والعمل في جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده...

في صراحة وصدق : خلقهن العزيز العليم .
« قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن
يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر
فسيقولون : الله »

وكان من مقتضى الحكمة الإلهية البالغة
والرحمة الإلهية الواسعة ألا يترك الناس
سدى أو هملاً يتخبطون على غير هدى أو
يختلفون بغير حكم ولا مرجع ... فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم
الكتاب والميزان ليقيم الناس بالقسط ،
وليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه .
وليضعوا لهم أسس الحياة الفاضلة ، وأرسموا
لهم الطريق إلى الله وإلى سعادة الآخرة
والأولى « لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل » .

وكان من حكمة الله أن يكون هؤلاء بشرأ
لا ملائكة يبعثون من بين أقوامهم ليكونوا
آنس بهم وأعرف بأحوالهم وأقدر على
التأسي بأخلاقهم وقد تعجب بعض الناس
أن يرسل الله بشرأ فرد الله عليهم « قل لو
كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين
لأنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً » ، هو
الذي بعث في الأميين رسولا منهم .

وقد أيد الله هؤلاء المرسلين بالحجة القاطعة

الأسدي الذي قرأ الكتب القديمة ، وعرف النصرانية واتبعها . وعثمان بن الحويرث الأسدي والرابع عبيد الله بن جحش ابن أسد بن خزيمية ...

ولم يكن هؤلاء دعوة أو أثر في قومهم ينصف من غلواء وثنيهم وتمسكهم بأصنامهم حتى إن دعوة الرسول محمد إلى التوحيد لقيت استنكاراً بالغاً ورفضاً صارماً ، أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا شيء عجاب وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آلتكم إن هذا شيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق .

ولمعرفة الرسول بعصية قومه لوثنيهم لم يفاجئهم بدعوته إلى التوحيد وتمسك طريقه إلى القلوب لمدة ثلاث سنوات ثم بدأ ينسدر عشيرته الأقربين ويتدرج في التبشير بالدعوة ومع هذا لم يكذب يمش إلا على الفرد بعد الفرد مدة ثلاثة عشر عاماً لقي فيها مريراً الأذى وصنوف العذاب هو وأصحابه واضطر أن يأمرهم بالهجرة إلى الحبشة مرتين .

وأعقب هذا الاضطهاد والناس في مكة صراع دام في المدينة دامت به الوثنية عن نفسها وألقت بكل ما تملك من أرواح وأموال حتى لا يقوم في الأرض دين التوحيد ...

فهل يمكن أن يقال بعد هذا إن الجزيرة العربية كانت تتطور إلى التوحيد بتأثير

فإن أحوال القبائل العربية في مكة وما حولها معروفة في التاريخ كانت حياتها حياة انتجاع وسفر وتجارة ، وسمو ولهو ، وحرب وخصام على ناقة أو فرس — كما نعرف من حرب البسوس ، وداحس والغبراء .

ومن ناحية العقيدة معروف كذلك أنه كان لكل قبيلة وثن تعبدونه وتستعينه وتستقسم عنده ، وكانت الكعبة معظمة عندهم يتوارثون تعظيمها من قديم وكانت كل قبيلة تأتي بصنمها فتجعله حول الكعبة حتى بلغ عدد الأصنام في الكعبة ثلثمائة وستين .

ولم تكن الوثنية سطحية في بلاد العرب بل كانت متغلغلة في أعماق حياتهم : ظهر ذلك في حجهم ونذورهم وبجائزهم وسوائهم وسائر شئونهم ، وجعلوا لله عما ذرأ من الحرث والأعام نصيباً فقالوا هذا لله برعهم وهذا لشركائنا فكان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم .

والتحنف قبل الإسلام لم يعرف به إلا أفراد معدودون كانوا أسلم فطرة وأنضج عقولاً من أن يجاروا نيار الوثنية في قومهم فجهروا بالأوثان وتعبدوا على ما بلغهم من دين أبيهم إبراهيم ، أو اعتنقوا ديانة كثرانية كالنصرانية .

ومن هؤلاء أربعة نفر ثلاثة من قريش ورابع من حلفائهم ، فالقرشيون عمر بن قنيل بن عبد المزى المعوى ، وورقة بن نوفل

شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ،
وحقت عليهم الغلبة والإذعان التي سجلها
التاريخ والواقع .. وصدق قول القرآن نفسه
« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيراً » .

واستطاع هذا الكتاب المبين أن يحدث
أكبر ثورة نفسية واجتماعية غيرت وجه
التاريخ وأنشأت أمة من عدم قوتها من
ضعف وهذبتها من ضلالة وجمعتها من شتات .
فأصبح لها بفضل هذا القرآن كيان واحد
وتشريع يحتكم إليه وأخلاق توجه سلوكها
وأعم لها وجهة الخير ، ورسالة عالمية تدهو
الناس إليها ، هو الذي بعث في الأميين رسولا
منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي
ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو
العزير الحكيم » .

وقد امتاز القرآن عن آيات الأنبياء جميعا
بأنه آية وهداية معا أو كما وصف نفسه :
« هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

والآية المعجزة إذا كانت من جنس الرسالة
والدعوة ، كانت أدل على صدق من أيدها
وأثبت عند العقل من الآيات الخارجة
عنها .

العوامل الاجتماعية ، وأن التحذف كان ظاهرة
عامة قبل الإسلام .

كان من حق الناس أن يقولوا لمن يدعى
النبيوة عن الله : أثبت بآية إن كنت من
الصادقين وقد أيد الله رسوله بآيات كونية
نأسبت عصرهم وما برح فيه قومهم من مثل
قلب العصا حية لموسى ، وإحياء الميت وإبراهيم
الأكبر لعيسى ..

ولما كانت دعوة محمد دعوة عامة خالدة
للإنسانية كلها وللأجيال كلها شاعت حكمه الله
أن يؤيده بآية عامة خالدة أيضاً ، آية عقلية
معنوية هي (القرآن الكريم) .

« وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ، قل
إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين » .

« أولم يكفهم أما أنزلنا عليك الكتاب
بتل عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم
يؤمنون » وقد اشتمل القرآن على وجوه
من الإعجاز خرسست أمامها ألسنة المعارضين
وانقطعت حججهم أمام التحدى الواضح المثير
« فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » .

« قل فأبوا بعشر سور مثله مفتريات
وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم
صادقين » .

« قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا

لو استدلل ذلك الطيب الجسداني على صحة دعواه بعمل غير مألوف للناس ، ولكن لا علاقة له بالطب ، لا يمكن المراء في صحة دعواه ، كذلك شأن هذا النبي في ادعائه أنه مرسل من الله لهداية البشر ، فإن كتابه العلمي المؤيد بنجاح العمل به ، أدل على كونه وحياً أوحاه الله إليه من جعل عصا حية أو إحيائه ميتاً لأن هذين - على غرابتهما - ليسا من موضوع الإرشاد والتعليم ، كما أنهما ليسا من موضوع الطب ، فهما إن دلا على صدق الرسول فدلالتهما ليست في أنفسهما .

والإتيان بعمل غارق للألوف في العادة من سنن الكون ، هو دون الإتيان بالعلوم العالية الإلهية والتشريعية من غير تعليم ، فكيف بالإتيان بأنباء الغيب : الماضي والمستقبل ؟ فكيف بصلاح حال من عملوا بهذه العلوم ديناً ودنيا ؟

فالقرآن إذا برهان على أن ما فيه من الطب الروحاني والاجتماعي وحى من المدبر الحكيم لا يمارى فيه إلا معاند مكابر أو مقلد جاهل (١) .

• • •

ظهر بعد نجاح الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية - لأسباب نفسية وقبلية - بعض مدعى النبوة ، فإذا كانت حججهم ؟

وضرب بعض العلماء لذلك مثلاً : وجلا ادعى في بلاد كثرت فيها الأمراض أنه طبيب وأن دليله على ذلك أنه ألف كتاباً في علم الطب ، يداوى المرضى بما دونه فيه فيبرءون فاطلع عليه الأطباء البارعون ، فشهدوا بأنه خير السكتب في الطب وما يتعلق به من عمل ثم عرض عليه من لا يحصى عدداً من المرضى وقبلوا ما وصفه لهم من الأدوية فبرئوا من عائلهم ، وصاروا أحسن صحة ، فهل يمكن المراء في صحة هذه الدعوى - دعوى الطبيب - مع هذين البرهانين العلمي والعمل ؟

كلا . وإن العلم بطب الأرواح أعلى وأعز مثالا من طب الأجسام وإن معالجة أمراض الأخلاق وأدواء الاجتماع أصعب من مداواة أعضاء الأفراد .

ومن المعلوم بالضرورة أن القرآن مشتمل على العقائد الصحيحة والآداب العالية ، وأصول التشريع الاجتماعي والمدني ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم طالج به أمة هريقة في الشقاق وحينه الجاهلية ، هريقة في الجهل والامية ، وذائل الرثنية ، فنهضت واتحدت وتعلت السكتاب والحكمة ، وسادت الأم من بدو وحضر ، مع أنه كان أمياً لم يتعلم شيئاً من العلوم ولم يتمرس في سياسة الشعوب .

وكفاك بالعلم في الأمي معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتيم ،

كما فعل طلحة الذي انضم إلى صفوف
المجاهدين المسلمين بحماسة بالغة ، يكفر بها
عن ماضيه في منازعة الإسلام .

• بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فإذا هو زاهق .

وفي عهد الدولة العباسية تحكى لنا بعض
الروايات عن أشخاص اتهموا بمعارضة القرآن
منهم « ابن المقفع » ولم تعزز هذه التهمة
بذكر نصوص هذا القرآن المقلد .

فقد ذكر ابن قيم الجوزية والباقلاني أن
ابن المقفع عندما انتهى إلى قوله تعالى :
« حتى إذا جاء أمرنا وطار النور » إلى قوله
تعالى : « وقيل بعداً لقوم الظالمين » (١) .
عدل عن إنشاء قراءته وقال : هذا ما لا
يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، وترك المعارضة ،
وأحرق ما كان قد اختلقه .

ويقول الباقلاني : إن قوما ادعوا أن ابن
المقفع عارض القرآن في كتابه « الدرة اليتيمة »
ولم يجد الباقلاني فيما أنشأ ابن المقفع بهذا
الكتاب ما يصح أن يكون تقليداً للقرآن (٢) .
ومن الذين اتهموا بهذه التهمة وهم محاولة
محاكاة القرآن « أبو العلاء المعري » في كتاب
الفصول والغايات ، وما ورد في هذا الكتاب
« أقسم بخالق الخيل . والريح الحاسبة بليل

وما هي كتبهم التي دعوا إليها الناس ،
وما هي أعمالهم التي ترجمت رسالاتهم ؟ .

في العام التاسع والعاشر من هجرة الرسول ،
ثم في عهد أبي بكر ، تنبأ مسيلة الذي ظهر
في اليمامة في قومه بني حنيفة - منازة اقربش
أن تستأثر بالنبوة في زعمهم وزعمه .

والأسود العنسي الذي تنبأ في (اليمن) .
وطلحة بن خويلد الأسدي الذي ظهر
في قبيلة (أسد) .

وبجاح بنت الحارث والتي ظهرت في
(بني تغلب) .

وقد تحدثت الروايات عن مسيلة وغيره
أنهم أنشئوا كتباً يعارضون بها القرآن ،
لم نسمع ذاكراً الأدب والتاريخ شيئاً منها
إلا ما تندرت به الروايات من مثل قول
مسيلة : « يا ضفدع يا بنت ضفدعين ،
تق ما تنقين ، فصفك في الماء ونصفك
في الطين ، لا الماء منكدرين ، ولا الشارب
تمنعين » .

وسواء صححت هذه الروايات أو لم تصح
فإن التاريخ الذي ترك لنا تراثاً هائلاً من
الشعر والحكم والأمثال وغيرها لم يجد شيئاً
ذا قيمة أدبية يمكن أن يسجله أو يحتفظ به .
ولم يستطع باطل هؤلاء أن يصمد طويلاً
أمام الإسلام الحق غرطان ما انتهى أمرهم ،
بعضهم بالموت وبعضهم بالإذعان للإسلام

أن التوفيق لم يقدر له كما لم يقدر لغيره ، بل من المحقق أيضاً أنه لم يظفر إلا بمثل جمع الكهان . ولكن المهم أن هذه المحاولة ظاهرة ملوثة في الكتاب ولا تلزمه إنما ولا حرجاً .

ولا : إن فهم من المعارضة الاستجابة لتحدى وعادة الإتيان بسورة أو سور مثل القرآن فهذا خاطئ ما أحبه خطر لأبي العلاء ، فقد كان أشد تواضعاً من أن يبلغ به الكبر إلى هذا ، وقد كان أحقل من أن يطاول ما لا سبيل إلى مطالوئه ... إلخ .

وآخر ما عرفنا من محاولات المتنبيين الذين يتحدثون عن صلتهم بروحى السماء ، وأنه ينزل عليهم قرآناً ، كما كان ينزل القرآن على محمد هي محاولات غلام أحمد الهندى القاديانى وميرزا على الباب ، وتليذه البهاء .

ومن حسن الحظ أن أنباع هؤلاء لا يظهرون هذه القرآانات المزعومة ، بل يسترونها كما تستر العورات ... ومن استطاع بوسيلة ما أن يقرأ شيئاً من هذه الكتب لم يجد إلا الفثالة والتفاحة الفكرية والبيانىة ... وخرج منها ييقن أعظم بأن هذا القرآن من عند الله . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

والإسلام الذى يمت به محمد وكان القرآن مصدره الأول ليس — كما يظن القاصرون

بين الشرط ومطالع سهيل . إن الكافر لطويل الويل . وإن العمر لمكفوف الذيل . فقد مدارج السبل ، ومطالع التوبة من قبيل تنج وما إخالك بتاج .

ويقول الراقى فى إعجاز القرآن (١) : ولا ريب أن هذا قرية على المعرى أرائه بها عدو حاذق ؛ لأن الرجل أبصر بنفسه ، وبطبيعة الكلام الذى يمارضه ، وما أراء إلا أصرف الناس باضطراب أسلوبه ، والتواء مذهبه ... إلخ .

ويقول طه حسين فى كتابه ، مع أبي العلاء فى مجته ، (٢) هل أراد أبو العلاء إلى معارضة القرآن فى الفصول والنهايات كما ظن بعض القدماء ، فهم ، ولا .

نعم : إن فهمنا فى المعارضة مجرد التأثير وعادة المحاكاة ، إن فهمنا من المعارضة أن أبا العلاء قد فطر إلى القرآن على أنه مثل أعلى فى الفن الأدبى فتأثره . وجد فى تقليده ، كما يتأثر كل أدب بما يعجب به من المثل الفنية العليا . ذلك شئ لا شك فيه ، فأبصر فطر فى كتاب ، الفصول والنهايات ، يشعر بأن أبا العلاء حاول أن يقلد قصار السور وطولها ، وليس المهم أنه وفق فى هذا التقليد أو لم يوفق بل من المحقق

(١) ص ١٨٩ .

(٢) ٣٣٦ .

فيهما آلهة إلا الله ففسدنا» ، « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض » .

وهي عقيدة ليست غريبة عن العقيدة ، ولا مناقضة لها ، بل هي منطبقة عليها الصواب المتاح المحدد على قلبه المحكم ، وهذا هو صريح القرآن « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وهي عقيدة ثابتة محددة ، لا تقبل الزيادة والنقصان ، ولا التحريف والتبديل ، فليس لها حكم من الحكم ، أو مجمع من المجامع العالية ، أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية ، أن يضيف إليها ، أو يحذف فيها ، وكل تحوير أو إضافة مردود على صاحبه ونبي الإسلام يقول : (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد) أى مردود عليه والقرآن يقول : « أم لم يشركوا شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » .

وعلى هذا فكل البدع والخرافات ، والإضافات التي لصقت بعقائد المسلمين أو دس في بعض كتبهم ، أو أشيعت بين عامتهم - بإحالة مردودة لا يقرها الإسلام ولا تؤخذ حجة عليه .

• • •

مسألة الجبر والاختيار ، مسألة حار العقل البشري في الوصول إلى رأى قاطع فيها وتنازع

دنيا لاموتيا ، وليس عقيدة فقط تعنى بالجانب الروحي للإنسان دون أن تعنى بتنظيم علاقته بالكون ، وعلاقته بالحياة ، وعلاقته بإخوانه بني الإنسان أفراداً وأسراً ومجتمعات ودولاً .

كلا إن الإسلام عقيدة شاملة يلبث عنها نظام عالمي كامل تقوم على أساسه أمة عالمية متوارة أبرز سماتها ما وصفها به القرآن : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

• • •

والعقيدة الإسلامية مزاجاً وخصائص لا تتوافر لغيرها من العقائد الدينية فهي عقيدة واضحة بسيطة لا تعقيد فيها ، تتلخص في أن وراء هذا العالم المنسق البديع المحكم رباً واحداً ، خلقه ونظمه ، وقدر كل شيء فيه تقديراً وهذا الرب وإله ليس له شريك ولا شبيه ، ولا صاحبة ولا ولد ، « بل له ما في السموات والأرض كل له قانون » .

وهذه عقيدة واضحة مقبولة ، فالعقل دائماً يطلب الرباط والوحدة وراء التنوع والكثرة ويريد أن يرجع الأشياء دوماً إلى سبب واحد والواقع المطرد ثبت أبداً أن تعدد الإرادات لا ينتج عنه أثر متكامل أو نظام منسق والقرآن يقرر هذه الحقيقة فيقول : « لو كان

كامل القدر محتجين . بمشيئة الله تعالى في فعل ما فعلوا ، أو ترك ما تركوا

وفي أربع سور من القرآن يرد الله تعالى على هذا الزعم الباطل في سورة الأنعام : « سيول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا أباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تقبضون إلا الظن ، وإن أتمم إلا تخوضون قتل : » فله الحجة البالغة .

وفي سورة النحل « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء . نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين . »

وفي سورة يس « وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أتمم إلا في ضلال مبين . »

وفي سورة الزخرف « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . »

وهذه الردود الصريحة على الجبر من القدماء قل هل عندكم من علم . . ؟ كذلك فعل الذين من قبلهم . . إن أتمم إلا في ضلال مبين . . ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ، حرف

فيها العلاسفة ، وعلماء الأخلاق ، والنفس والقرية وغيرهم منذ تفلسف الإنسان إلى اليوم وبحث .

وعقيدة الإسلام في هذا هي العقيدة المتوازنة المطابقة للعطرة السليمة والواقع المشاهد .

فالإنسان بالنسبة لهذه العقيدة ، حر مسئول عن نفسه وعمله — في دائرة أعماله الاختيارية — له أن يقدم وله أن يحجم كما تشهد بذلك بديته وإحساسه . وكما تشهد فصوص القرآن نفسه « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ، « لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ، « فمن عمل صالحاً فنتفسه ومن أساء فعليه وما ربك بظلام للعبيد ، « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، إلى غير ذلك من آيات تبلغ الستين أو تزيد ، كلها تقر بحرية الإنسان وكسبه ، ومسئوليته عن عمله « ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، .

ولم يكشف القرآن بهذا التقرير الإيجابي ، ولكنه زاد على ذلك لحمل بقوة على الجبريين الذين يلقون بشرتهم وأوزارهم على

أو هو يشاء ، لأن الله قدر له أن يشاء :
« وما تشاءون إلا أن يشاء الله » .

ولا يجب أن يذكر القرآن - بجانب حرية
الإرادة الإنسانية عمل الإرادة الإلهية ،
وهيمنة القدر الأعلى ، الذي يعنى الإنسان
والكون جميعا « إنا كل شئ » خلقناه بقدره
« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا » ،
« فعال لما يريد » ، « إن ربك يسقط الرزق
للمن يشاء » ، ويقدره .

وإيمان المسلم بقدر الله ليس إيمانا بعقيدة
جبرية ولا بمنعذب أهل الصدقة والاتفاق ،
وإنما هو إيمان بأن الكون لا يعنى بغير غاية
ولا يسير بغير تدبير ، كيف وكل ذرة من
ذراته فى الأرض أو فى السماء يحيط بها علمه
وتجرى عليها مشيئته وقدرته وفق حكمته
البالغة ، ورحمته الواسعة ... « لا يمزب
عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا
أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب
مبين » .

هذا والإيمان بالقدر على هذا النحو لا ينافى
الاجتهاد فى العمل ، واتخاذ كل ما يمكن من
أسباب ، فإن الله كما كتب المسيدات كتب
الأسباب ، وكما قدر النتائج قدر المقدمات ،
فهو لا يقدر للطالب مثلا النجاح لحسب
بحيث يصل إلى هذه النتيجة عمل أو لم يعمل
ولكنه تعالى قدر له النجاح ، بوسائله من

موقف القرآن الحاسم من مشكلة الإرادة
الإنسانية والإرادة الإلهية .

يبد أن الإنسان - كما هو الواقع - ليس
مطلق الإرادة ، كامل الاختيار ، بحيث يفعل
كل ما يشاء . وينفذ كل ما يريد ، ولو فعل
لكان لها .

ولم يستطع أحد - مهما بلغ فى الانحصار
للحرية الإنسانية - أن ينكر محدودية الإرادة
البشرية . فحكموا فيها الوراثية أو البتة أو
كليهما ، وعبر من ذلك بعض الفلاسفة بقوله :
« الإنسان حر فى ميدان من القيود » .

حتى أولئك الماديون الجدليون قيدوا
الإنسان بوسائل الإنتاج وظواهر الاقتصاد
فهمى التى تكيف تكيفه وسلوكه . وتوجه
سير أحداثه . وبذلك نزلوا بالإنسان إلى
أحد مستوى من الجبرية حين جعلوه عبدا
خاضعا لمظاهر المادة ، لا سيدا مهيمنا عليها
كما يقرر الإسلام .

هذه الحقيقة المتفق عليها - محدودية الإرادة
البشرية - قررها الإسلام فى صورة أشرف
وأكرم للإنسان من الجبرية المادية أو التاريخية
فالإنسان فى عقيدة الإسلام حر مختار فى دائرة
ما رسم الله للوجود من سفن يجرىها بقدرته
ومشيئته ووفق علمه وحكمته - على أجزاء
الكون كله ، ومنها هذا الإنسان .

الإنسان إذا حر ، لأن الله أراد له الحرية

نحو ما رأينا قولاً وعملاً ، ونظراً وتطبيقاً
فإن النبي صلى الله عليه وسلم من الناحية
العملية كرم وقائد وإمام أمر أصحابه - سداً
للذريعة ، ودواء للفتن - أن يغلقوا أبواب
الجدل المقيم حول المسائل الشائكة التي
حارت فيها العقول من قديم ، وهدى الوحي
الإلهي الناس فيها إلى القدر الذي فيه تفهم
في الدين والدنيا ... ومنها مسألة القدر .

قال الشيخ محمد عبده : « ولكن وأسفاه
تأت رموس بين المسلمين كأنها رموس
الشياطين ... جاء الموالى من عجم الفرس
والرومان ، ولبسوا لباس الإسلام ، وحلوا
إليه ما كان عندهم من شقاق وفتاق ،
وأحدثوا في الدين بدعة الجدل في العقائد ،
وغالغوا الله ورسوله في النهي عن التكلم في
القدر ، وخدعوا المسلمين بهرج القول وروروا
الكلام حتى كان ما كان من تفرق المسلمين
شيخاً ، والله يقول لئيبه : « إن الدين فرقا
دينهم وكانوا شيخاً لست منهم في شيء » .

وجد بين المسلمين طائفة تعرف (بالجبرية)
ولكنها كانت ضعيفة ضئيلة يمثلها الحق
ويطردها العقل ، وينبذها الدين ، حتى
انقرضت بعد ظهورها بقليل ، وغلب على
المسلمين مذهب التوسط بين الجبر والاختيار
وهو مذهب الجبر والعمل وصدق
الإيمان ... إلخ .

ثير بعض الماديين المتحذلقين غباراً

جد وحرص وانتباه ووعي وصبر ومداومة
إلى آخر هذه الأسباب فهذا مقدر مكتوب
وذاك مقدر مكتوب .

وإذا فالأخذ بالأسباب لا ينافي القدر
بل هو من القدر أيضاً ولهذا حين سئل
صلى الله عليه وسلم عن الأدوية والأسباب
التي يتق بها المكروه : « هل ترد من قدر الله
شيئاً ؟ كان جوابه الفاصل : « هي من قدر الله » .
ولما انتشر الرباء في بلاد الشام قرر عمر
بمشورة الصحابة - العنود عن دخولها
والرجوع بمن معه من المسلمين ، فقيل له :
أنقر من قدر الله يا أمير المؤمنين ؟ قال :
نعم أنقر من قدر الله إلى قدر الله ، أرايت
إن زلت بقعتين من الأرض إحداهما نخبة ،
والأخرى مجذبة ، أليس إن رحيت النخبة
رحيتها بقدر الله ، وإن رحيت المجذبة رحيتها
بقدر الله .

والرسول صلى الله عليه وسلم - وهو أقوى
الناس إيماناً بقدر الله - كان أكثر الناس
اتخاذاً للأسباب وعملاً بمقتضاها ، فقد أخذ
الحذر وأعد الجيوش ، وبعث الطلائع
والعيون ، ولبس المغفر على رأسه ،
وأقصد الزمّة على قم الشعب ، وخندق
حول المدينة ، وأذن في الهجرة
إلى الحبشة ... إلى آخر ما نعرف من سيرته
صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه المهتدين .

ومع وضوح هذه القضية في الإسلام على

وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا
قويل للذين كفروا من النار . أم نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين
في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار .

والإيمان بدار الجزاء والخلود ليس معناه
اضطراح الدنيا ، واستبدال الحياة والعيش
فيها عبثة التواكل والتفنى الفارغ ... كلا فإن
استحقاق السعادة في الآخرة لا ينال إلا
بالمعمل الدائب والجهد المتواصل . ليس
بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل
سوءاً يحزبه ولا يجده من دوى الله وليا
ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر
أو أُنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة
ولا يظنون ظميراً .

وحسبنا في هذا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان
ما فهموا الحياة ولا عاشوها إلا سعيًا
وكفاحًا ، وضرباً في الأرض ، وسعيًا
في كل ميدان من ميادين الحياة ، لم يقعدوا
ولم يكسلوا انتظاراً لجنة وما فيها من نعيم ،
والآخرة وما فيها من راحة ، كيف
وقرأهم يقول : « قامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه وإليه النشور » . « وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون » .

حول ما ذكره القرآن ، بل الكتب السماوية
جميعاً عن انتهاء هذه الحياة ، وقيام الساعة ،
ويوم الجزاء ، والجنة والنار .

وكان مما أثاره هؤلاء : أن القرآن يقول :
« لعل الساعة تكون قريباً » . وقد مضى
أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، ولم تقم الساعة
بعد ونسى هؤلاء أن تناسوا أن القرب
والبعد مسألة نسبية ، وألف عام أو أكثر
ليس إلزاماً يسيراً وعهداً قريباً بالنسبة
لعمري الدنيا وعاصفة إذا عرفنا ما يقوله علماء
الجيولوجيا الذين يقدرون عمر الأرض
بالملايين من السنين والقرون ، ونضيف
إلى هذا أن محمداً خاتم الأنبياء ، وأن رسالته
هي الكلمة الأخيرة من الله للناس . وبذلك
يكون معنى القرب واضحاً ، فلا نبي بعده ،
ولا رسالة بعده حتى تقوم الساعة .

أما الحياة الآخرة فهي نشأة أخرى
يستوفى فيها كل عامل جزاء عمله بالعدل التام
والقسط الأولي ، فكثيراً ما تقصر الحياة
الأولى عن تكافؤ الأختار بما قدموا ،
أو تجزى الأشرار بما أسرفوا ، والإيمان
بوجود إله عادل حكيم يستوجب وجود هذه
الدار الأخرى . ليجزى الذين أساءوا بما
عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .
الحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا
لا ترجعون ، « وما خلقنا السماء والأرض

أن يتبنوا تقعا أو انحرفا فيها وضعوا
أو وضع لهم من نظام .. فيقومون أو يطالبون
بالتغيير والتعديل والتبديل . . . أما نظام
الإسلام فراضعه هو الله رب الناس ملك الناس
إله الناس، لا يتحين لجنس على جنس ولا لطبقة
على طبقة ، ولا لجيل على جيل لأنهم جميعاً
عباده وهو رب العالمين ، كما أنه تعالى لسهة
عليه لا تخفى عليه مصلحة، ولسهة رحمة لا يريد
لعباده ضرراً ولا عتاً ، يريد الله بكم البر
ولا يريد بكم العسر ، ، ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم
نعمته عليكم لعلكم تشكرون . .

وأول ما شرعه نظام الإسلام هو تنظيم
العلاقة بين الله وبين عباده . فإن العباد لم يخلقوا
أنفسهم ، ولا أنشئوا في الأرض أو في السماء
شيئاً مما حولهم من نعم ظاهرة ، ورحمة سائغة ،
خلق الخلق لهم والإِنعام عليهم ، والتكريم لهم
على من سواهم من الخلق .. يقتضيهم أن يقوموا
بشكر ربهم ويعترفوا له حقاً ، فيعبده وحده
لا شريك له ، ويخلصوا له الدين هذا ما تنادي
به الفطرة السليمة وهو عين ما جاء به الإسلام
« وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
حنفاء . وقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة وذلك
دين القيمة . .

والنظام الإسلامي لا يقتصر على ناحية
من نواحي النفس أو المجتمع أو الحياة ،
أو يتم بها على حساب غيرها .. كلا إنه يصل
كل النواحي وينظم كل العلاقات الروحية
والمادية . الفردية والاجتماعية ، وقيمها
جميعاً على أساس من التوازن والعدل فيما بينها
بالقسطاس المستقيم ، فلا يظنى المادة
على الروح ، كما هو سمة اليهودية ، ولا يهضم
جانب المادة من أجل الروح كما هو دعوى
النصرانية ، ولا يظنى الفرد على حساب المجتمع
كما هو نظام الرأسمالية ، ولا المجتمع على حساب
الفرد كما هو الشأن والواقع في الشيوعية .

ذلك أن هذا النظام لم يأت نتيجة ثورة جامعة
كانت رد فعل لأوضاع قضاومت التطرف
في اليمين بالتطرف في اليسار كما هو الشأن
في الثورات التي جمعت دائماً وجاءت بأنظمة
شكا الناس منها وعدلوا بها بعد زمن قليل .

ولم يضع هذا النظام فرد أو مجموعة أفراد
من البشر تحكم عليهم مواريثهم ويهضمهم
وظروفهم وتقاتلهم - فضلاً عن أهوائهم
وشهواتهم - فيتجهون بالنظام الذي يضعونه
وجهة ذاتية توافق تكوينهم الشخصي ،
وظرفهم الزمني ، ووضعهم الإقليمي ونزوعهم
القوي . . ولذلك لا يلبك الناس بعد حين

والفكرة والاتجاه، والحج رحلة يتجه فيها المسلم بدينه وقلبه إلى بيت جعله الله رمز التوحيد والوحدة : ذلك البيت الذي بناه إبراهيم الخليل يحطم الأصنام وهدم الشرك والوثنية وأبو الأنبياء المرسلين . والذي أمره الله بالتأذين بالحج في الناس ، وإذ برأنا لإبراهيم مكان البيت ألا نشارك في شيئا وطهر بيتي الطائفين والقائمين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ؛ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات . لكن هذه العبادة التي وضع أساسها إبراهيم خالصة لله .. لم يلبث كر الأيام ومر السنين أن بعد بالناس عن شرع الله فيها ، وجرم الجمل والهوى والخرافة ، فاتخذوا من دون الله أوثانا وضعوها في بيت التوحيد وبدلوا في شعار الحج ومناسكها فطافوا بالبيت عرايا وقدموا القرابين للأصنام وخطوا ما بقى من التوحيد بما ابتدعوا من شرك فسكانوا يقولون في تلبيتهم « لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك » يضمنون بهذا الشريك أصناما لهم .

جاء الإسلام والقوم على هذه الحال فحما معالم الشرك وحطم النبي بيده الأصنام التي نصبوها حول الكعبة — يوم الفتح — وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن

وقد نفى الإسلام العبادة عما ألصقها به أهل الملل والنحل المختلفة ، من طقوس شركية ووساطات زعموها بين الله وعباده وابتداعات وثنية لم يأذن بها الله ، فالصلاة اتجاه إلى الله وحده لا يتوقف على إذن كاهن ، ومكان خاص ، فالأرض كلها مسجد ، وأيما رجل مسلم أدركته الصلاة أذن وكبر وصلى .. »

والإمام في صلاة الجماعة — التي فضلها الإسلام على صلاة الفرد بدرجات كبيرة ليس وجل كهنوت وإنما هو واحد منهم ، يقدمونه لعله أو صلاحه ، يستمعون له إذا قرأ ويصحون له إذا أخطأ .. ومرد القبول في صلاة الجميع إلى الله وحده الذي يعلم الصادق من غيره ، إنما يتقبل الله من المتقين .. وهذه الصلاة الإسلامية بكيفيةها ، ومواقفها وشروطها ، وما يتلى فيها من أقوال ، وما يؤدي فيها من أعمال لم تعرف لدين ، ولا لمنه من قبل ، إنها الصلة اليومية للسلم بربه ، وهي طهارة للجسد ، وزكاه للنفس وتربية للعقل ، وتنمية للوازع الأدنى ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما أنها بما شرع فيها من جمعة وجماعة رباط اجتماعي وثيق ومدرسة ينعم فيها المسلم بطريقة عملية — النظام والإعلاء والمساواة وهي بما اشترط لها من استقبال قبلة واحدة تعلم المسلمين في أنحاء الأرض وحدة الغاية

والآلام، ويوحى إليهم أن يعملوا ويتعاونوا ليعودوا من جديد خير أمة أخرجت للناس، وهذا ما تنص به حقوق أعداء الإسلام ١١

وحسبنا هذه الكلمة الموجزة في هاتين العبادتين ، وهي كافية في التعبير عن روح الإسلام في تنظيم العلاقة بين الله والناس .

ولنتظر الآن كيف نظم الإسلام العلاقات بين الناس هل أيد الإسلام الإقطاعيين ؟ هل أقر الظلم الاجتماعي ؟ هل أعان طبقة على طبقة أو قويا على ضعيف ؟ هل ترك المجتمع تتحكم فيه الفوارق المصطنعة من عنصرية ، أو وراثة حسب أو جاه ؟ .

ذلك ما نجيب عنه في الصفحات التالية :

لن أدنى دراسة لتعليم الإسلام تبين أنه ليس دين طبقة خاصة أو فئة معينة إنما هو دين قامت أسسه الاجتماعية على : الأخوة والعدالة ، والمساواة وضع ذلك في شعائره وعباداته كما وضع ذلك في أنظمته الاقتصادية والسياسية .

اعترف الإسلام بالتفاوت الفطري المعقول في الأرزاق بين الناس ، إذ قبل ذلك ثبت تفاوتهم الفطري في القدر والمواهب والملكات والطاقات .

الباطل كان زهوقا ، وخلصت الكعبة للتوحيد ، ورد النبي الحج إلى ما كان عليه في عهد أبيه إبراهيم وخلصه من آثار الوثنية الجاهلية وأصبح شعار الحج : ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك ، وما ربط الله شعائر الحج بأماكن معينة في البلد الحرام مكة إلا لأنها أرض الذكريات وميراث إبراهيم ، ونبت الدعوة ، فهي صلة بين قديم المؤمنين وجديدهم وكل ما يقوم به المؤمنون من أعمال في الحج إنما هي رموز لها دلالتها وإيحائها في أنفسهم مجردة من أى قصد ذاتي لها إلا قصد التعبده بانسجام ما أمر وأداء ما أوجب ، وقديما وقف عمر أمام الحجر الأسود وقال : « أيها الحجر إني أقبلك وأنا أعلم أنك لا تنصر ولا تنزع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » .

أقيل بعد هذا إن المسلمين إنما يحجون إلى حبر أسود أو أحمر يسجدون له ويتبركون به .

إنما كان الحج قوى في عين أعداء الإسلام لأنه المؤتمر الإلهي الجامع ، الذي يقنادى إليه المسلمون من كل فج وصوب فيربط بين قلوبهم برباط الأخوة الإسلامية العامة ، ويذكرهم بوحدة الهدف ، ووحدة الآمال

حق معلوم وضرية مفروضة تأخذها الحكومة بواسطة « الجباة » العاملين عليها ، وتنفقها على المحتاجين أو على المصالح العامة « وفي الرقاب والعاملين وفي سبيل الله » .

والزكاة ليست تعليقا فرعيا أو ثانويا من تعاليم الإسلام بل هي ركن من أركانه وأصل من أصوله لا يكون الفرد مسلما إلا بأدائها ، ولا تكون الدولة مسلمة إلا بالعمل على تحصيلها وجبايتها وقد حدثنا التاريخ أن أرباب المال من العرب عز عليهم دفع هذه الزكاة ، فأبى أبو بكر أن يقبل أى تهاون فى حق الفقير وجهر أحد عشر لواء لمحاربة الرأسماليين الأشرار وقال كلمته المشهورة : « والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » .

وقد أشاع بعض المفرضين كلاما مردوفا حول بيت المال الذى تجمع فيه الزكاة والموارد الأخرى للدولة الإسلامية ، زاعمين أن هذا المال إنما يجمع للحنفاء والولاة وأن بيت المال إن هو إلا خزانة خاصة ينفقون منها كيف شاءوا دون معقب أو محاسب .

والحق الذى يعرفه كل من درس شريعة الإسلام وتاريخه ، أن بيت المال ليس ملكا للخليفة ، وإنما هو ملك للأمة جميعا ،

والإسلام - كدين يعترف بالفطرة ويسموها ولا يقارمها - اعترف بالملكية الفردية الناشئة عن سبب مشروع ليشيع بذلك الدوافع البشرية الفطرية فى حب التملك والمتاع والادخار . ولكن الإسلام لا يحترم الملكية الفردية إذا نشأت عن سبب غير مشروع ، كالنصب ، والسرقة الجبلية ، أو الخفية ، كالتدليس للحكام ، واستغلال النفوذ ، وأخذ الرشوة والتعاجل على أكل أموال الناس بالباطل بل يصادر هذه الملكيات مهما طال عليها الزمن واختلف الليل والنهار ، فطول الزمن لا يبيح المحظور ، ولا يقلب الحرام حلالا .

والإنسان فى الإسلام ليس مالكا حقيقيا ، يتصرف فى ماله كيف يشاء ، لا ، فالمال مال الله ... ، ومعنى هذه العبارة أنه مال الجماعة ، والغنى موظف على رعايته وتسميته ، وإنفاقه بما يوافق صالح الجماعة لا بما يضارها ، فهو مستخلف على المال « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

فالملكية إذا : وظيفة اجتماعية ، والغنى إذا مطالب إزاء مجتمعه بواجبات مالية أدائها الزكاة ... وهى : ليست تبرعا ولا إحسانا يعطيه الغنى للفقير فيشمر بالاستعلاء ، ويشعر الفقير بالملذة والهووان ، بل هى

القانوني ، وتوجيهه الأخلاق لتقريب الشقة بين الأغنياء والفقراء ، لحد من طغيان أولئك ، ورفع من مستوى هؤلاء ... حرم على الأغنياء الكسب بالباطل .

وحظر عليهم الربا قليلا وكثيره ، حليه وخفيه ، واعتبر أكل الربا عاريا لله ورسوله ولمن كل من شارك في أمر الربا لأنه امتصاص الضعفاء لحساب الأقوياء ، وبأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله . (لمن الله آكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه) .

وحرم عليهم الاحتكار الذي هو سعة الرأسمالية الجشعة وأعلن رسول الإسلام (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) .

وحرم عليهم السرف والتبذير ، وجعل للحاكم سلطة الحجر على المبذرين السفهاء .

ولا توتروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما .

إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا .

وحرم عليهم ألوان الترف الذي يفسد الأفراد والامم ، فالخمرمنوعة ، وأواني الذهب والفضة محظورة ، ولبس الذهب والححرير للرجال محرم ، وإذا أردنا أن نهلك قرية

والخليفة إنما هو عازن أمين ، ليس له منه إلا راتبه المعروف كما قال أبو بكر (أعطوني كأوسط رجل من قريش ليس كأوكهم ولا أعلام) ذلك أن أبا بكر صبيحة ببيع بالخلافة ذهب إلى السوق كعادته ليتاجر ، ويقوت نفسه وأهله ، فلقبه عمر فقال له : إلى أين ؟ قال إلى السوق ، قال عمر : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : من أين أعلم عيالي ، فقال عمر : انطلق يفرض لك أبو عبيدة أمين بيت المال . ، فاطلق إلى أبي عبيدة ، فقال للخليفة : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكهم ، وكسوة الشتاء والصيف ، إذا أخلقت شيئا رددته وأخذت غيره .

وقال عمر : إنما أنا وهذا المال . كولى اليتيم ، إن استغنييت استعفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف .

وأبي علي بن أبي طالب أن يأخذ من بيت المال شيئا لنفسه وأهله هذا هو مسلك الراشدين من حكام المسلمين وخلفائهم ، أما انحرافات بعض الحكام فليست حجة على الإسلام ولا يسأل عنها .

واعتراف الإسلام بالتفاوت الطبيعي في الرزق ، ليس معناه أن يدع الغني يزداد غنى ، والفقير يزداد فقرا ، بل تدخل بشرية

أمام أحد من أحياء أرضا ميتة فهي له ،
ومن طرق باب تجارة فربحها له ، ومن حفر
في باطن الأرض على ركاز يدفع الخس منه
والباقي له .

ومن لم يجد عملا وجب على ولي الأمر
أن يهيئ له عملا ، فإن لم يهيئ له أو كان
خارجا عن العمل أو كان أجبره من عمله
لا يكفيه كان واجبا على ولي الأمر أن يرطاه
ويهيئ له ما هو حق لكل مسلم أو ذمي في ظل
دولة الإسلام من مأكل ومشرب وملبس
في الصيف وملبس للشتاء ، ومسكن يكره
ويأويه كما قرر فقهاء الإسلام .

وللحاكم إذا لم تكف الزكاة ، والموارد
العادية لد هذه الحاجات أن يفرض على
أغنياء المسلمين الضرائب الكافية التي تقيم
مصالح المسلمين ... وقد قرر علماء المسلمين
هنا المبدأ : « إذا احتاج المسلمون فلا مال
لأحد ، وقد اتخذ الإسلام طرقا مشعرة في
تفتيت الثروات أبرزها تشريع الميراث الذي
يوزع ثروة الرجل الواحد بين زوجته وأبويه
وأولاده جميعا ، أو عصبته أو ذوى أرحامه
توزعها عادلا حكما شمل الذكور والإناث ،
لا الذكور فقط كما كان يفعل العرب في الجاهلية ،
ولا الابن الأكبر لحسب كما تصنع بعض الدول
اليوم كأنجلترا مثلا .

أمرنا مترفها ففسدوا فيها لحق عليها القول
فدمرناها تدميرا ، (من شرب في آنية
ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم) .
ثم حرم الكنز وأندر القرآن الكاذبين
بوعيد تنعلع له القلوب ، والذين يكزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحصى عليها في نار
جهنم فتسكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم
تكفرون ، . ولم يحارب الكنز بالقول
بل بالعمل ، فالزكاة عبارة عملية لكل مال
يكنز إذ ينقص منه كل عام ٢.٥٪ - اثنان
ونصف في المائة ، فإن لم يعمل ويستثمر
استهلكته الزكاة .

وبهذه الأساليب من تحريم الربا والاحتكار
والسرف والترف من جانب ، ومحاربة
للكنز وإيجاب للزكاة من جانب آخر أصبح
مفروضا على صاحب المال أن يوجه ماله إلى
الاستثمار المشروع والخفاء لمنفعة الجماعة ،
فيتحقق التوازن العادل الذي يريده الإسلام
ويشير إليه قوله تعالى : « كيلا يكون دولة
بين الأغنياء منكم ،

ومن ناحية أخرى أتاح الإسلام الفرص
للمتكافئة للفقراء ليقفوا على قدم المساواة
مع الأغنياء . فباب العمل والكسب مفتوح
للجميع ، ليس عتقرا لطائفة ولا ممدودا

الحكام أفراد تختارهم الأمة بواسطة أهل
الحل والعقد فيها أو بأي وسيلة تختارها ،
وليسوا من فئة أو أسرة معينة بل قال
الرسول : « اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر
عليكم عبد حبشي يقولكم بكتاب الله » وقال
عمر قبيل موته « لو كان سالم مولى أبي حذيفة
حيا لاستخلفته » .

ونظام توارث الحكم والخلافة نظام
دخيل على الإسلام فلا يقره ولا يعترف به .

والمقهاء في الإسلام ليسوا طبقة كهنوتية
كرجال الأديان الآخرين إنما هم علماء
متخصصون في دراسة الإسلام عقيدته وتشريعه
وأخلاقه ، فهم في الحقيقة علماء دين ، وعلماء
قانون وعلماء أخلاق واجتماع وليسوا واسطة
بين الله وعباده ، ولا هم يملكون مفاتيح
الجنة ولا هم باعة لصكوك المنفرة والرضوان .

لا طبقات إذا في الإسلام بالمفهوم الغربي
لهذه الكلمة وإذا سمى بعض الناس الأفراد
الأغنياء في دولة الإسلام طبقة فلا خير في
التسميه إذا وضحت التسميات فقد قسم بعض
الباحثين الناس إلى ثلاث طبقات : غنية
وفقيرة ، وميسورة ، وهو تقسيم على وجه
التقريب والتشبيه كتقسيم الناس إلى أبيض
وأصفر وأصفر من حيث اللون . ووجود

ونظام الإسلام يتسع للأغنياء كأفراد
يجمعون الثروات من حلها وينفقونها في حلها
ولا يجعلون بها عند الحاجة إليها ، يتسع لم
كأفراد لا طبقة لها مزايا شرعية ، أو
حقوق قانونية ، أو سيادة اجتماعية بتوارثها
الآباء عن الآباء ، والأحفاد عن الأجداد
لجميع الناس أمام القانون وأمام الله وكتابه
سواء ، لا يتفاضلون إلا بمقدار وقاتهم
لإنسانيتهم وإيمانهم بالله واحترامهم لحقوقهم
العامة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن
أكرمكم عند الله أتقاكم » (الناس سواسية
كاستان المشط) .

وإذا فالأغنياء إنما هم أفراد يثرون بمجهود
ونشاطهم ، وقد لا يدوم لهم الثراء ، بل قد
ينقص أو ينتقل ميراثه إلى غيرهم ، فالفقر
أو الغنى في المجتمع الإسلامي ليس شيئا ثابتا
مؤيدا ، بل هو أمر دائم التغير بتغير ظروف
الحياة وفرص الكسب ، وقوانين الميراث .

ليس في الإسلام إذا طبقات بهذا المعنى
الذي كائن معروفا في الغرب — بمعنى طبقة
لها مزايا وحقوق متوارثة كطبقة الحكام
وطبقة الأشراف ، أو النبلاء وطبقة الفرسان
وطبقة رجال الدين ... الخ .

بعضاً محورياً ، وهذا ليس تسخير القهر والإذلال كما يرومه المذلول العرفي للكلمة إنما هو تسخير النظام والمصلحة المشتركة . فلو كانت الحياة مصنعا لم يكن صلاحه أن يكون كل العاملين فيه مديرين أو مهندسين بل لابد من المدير والمهندس والكاتب والعامل والخمير .

وإذا كنن التفاضل في الرزق لا يمنح صاحبه ميزة أو مرتبة دينية أو تشريعية في المجتمع المسلم ، فإن التفاضل الحقيقي المعترف به ، هو التفاضل في مجال العلم والإيمان ، والعمل : « هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون » . ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

« ولكل درجات مما عملوا وما ربك بظافل عما يعملون » .

وهكذا أقام الإسلام العلاقة بين الغنى والفقير على أساس العدل والمساواة والإخاء ، فهو يسوى بين الجميع في الحقوق والواجبات العامة .

ويتيح الفرصة للجميع ليكتسبوا . ويقول للأغنياء بعد هذا : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » . ويقول لولى الأمر : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

ويقول للفقير : (لا تحقد ولا تحسد) .

الطبقة بهذا المعنى أمر اقتضاء نظام الوجود كله الذى قضى باختلاف والتفاوت حتى بين النباتات والجمادات ، فما بالنا بالإنسان وبين أفراد من التفاوت ما لا يوجد فى أى نوع من الأنواع الأخرى للكائنات ؟ ولقد زال رأس المال من روسيا وزال معه أغنيائها وثوراتها ونبلاؤها ، وعلى هذا ظهرت فيها — كما قال الأستاذ العقاد طبقة حاكمة من الخبراء والمهندسين لا تدانيها فى سلطتها واستبدادها طبقة حاكمة فى أشهر البلاد ، لاستبداد نظم الصناعة ورأس المال (١) .

ولقد كان الإسلام دين العطرة والواقع حقا حين اعترف بالتمييز الموجود فعلا فى كل بلاد الدنيا — رأسمالية أو شيوعية — قال تعالى : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » . ونحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا .

وإذا كنن هذا صنع الله فانه لا يصنع شيئا عبثا ، إنما يصنعه لحكمة بالغة والحكمة هنا كما ذكر القرآن أمران : أولها : الابتلاء الذى على أساسه يقوم التكليف والجزاء « لئبلوكم فيما أناكم » ثانيهما التسخير — ليتخذ بعضهم

به من خطاياهم أو يتقربون به إلى ربهم ، بل جملة واجبا على الدولة تسام به من مال الزكاة ، وفي الرقاب .

ولم يقتصر على فتح أبواب العتق بل قبل ذلك سد كل ما يمكن سده من منافذ الاسترقاق ولم يبق منه إلا ما أبقاه العالم المتحضر الآن .

فإن الأمم التي اتفقت على معاهدات منع الرق تبيح الأسر واستبقاء الأسرى إلى أن يتم الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى أو على اقتداء بعضهم بالفرامة أو التحويل .

أما في عصر الدعوة الإسلامية فلم تكن دولة من الدول تشغل نفسها بهذا الواجب نحو رعاياها المأسورين . وإذا كان ارتباط الأسرى ضربة لازب في الحروب الحديثة ، فالإسلام لم يجعله حتما مفضيا في جميع الحروب ، وحرص على التخفيف من شدته ما تيسر التخفيف منه وجعل المن في التبريح أفضل الخطتين ، فإما متا بعدة وإما فداء .

وشريعة تجعل الرق في أضيق نطاق وتوسع مجالات التحرير وترفع من شأن الرقيق فتجعله عضوا في الأسرة (إخوانكم خولكم) لا يمكن أن توصف بأنها تشجيع الرق أو ملاك الرقيق ، إنما هي في الحقيقة جاءت لتقوم بتصفية هذا النظام في العالم بتدرج حكيم وخطة مثل ... فلم يكن من السهل إلغاء نظام تغلغل جذوره في الحياة الاجتماعية

ولا تمدن عينيك إلى مامتنا به أزواجنا منهم ، ثم يقول للجميع : (كونوا عباد الله إخوانا) .

وكذلك فإن الإخاء يسود المجتمع الإسلامي كله ، فلم يحقد فقير على غني ، ولم يسخ غني على فقير ، وشعر الغني أن الفقير أخوه ، وشعر الفقير أن مال الغني ماله ...

فلا عجب أن رأينا بلال بن رباح ، وعمار ابن ياسر ، وأبا هريرة وأهل الصفة يعملون جنبا إلى جنب مع عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن عباد ، لا يشعرون إلا بالحب والتعاون والإخاء .

ومن السهل بعد هذا أن نعرف إذا كان الإسلام يشجع الطبقة أو يعترف بالإقطاع والإقطاعيين ١١ .

جاء الإسلام فوجد العالم كله يعترف بنظام الرقيق : رق الأسرى في الحروب ، ورق السبي في إغارات القبائل بعضها على بعض ، ورق الاستدانة أو الوفاء بالديون .

فإذا كانت موقفه لم يرد نص واحد بالاسترقاق على حين وردت عشرات النصوص تدعو إلى العتق ، وتفتح أبواب التحرير للرقاب^(١) ولم تدعه للأفراد وحدهم يكفرون

(١) العتق - التدمير - الكتابة - الكفارات - أمهات الأولاد - من ملك ذوى رحم محرم .

كان أكثرهم مسئولية ، هو وكيل للأمة بل هو خادم وأجير لها . عرف ذلك الخلفاء أنفسهم ، وعرف ذلك الأدباء والشعراء ، وعرف ذلك عامة الناس .

يروى لنا الإمام البخارى عن عائشة قالت : لما استخلف أبو بكر قال : لقد علم قولى أن حرقى لم تكن تعجز عن مثونة أهلى ، وقد شغلت بأمر المسلمين ، فسيأكل آل أبى بكر من هذا المال ، وسأحترف للمسلمين .

هذه هى وظيفة الحاكم محترف للمسلمين ، وبمباراة أخرى مستخدم أو أجير للأمة . هى التى وظفته وهى التى منحته راتبه ، وهى التى تعينه إذا استقام ، وتقومه إذا اعوج . ويدخل العالم الجليل أبو مسلم الخولانى على معاوية أمير المؤمنين ، فيقول له فى صراحة : السلام عليك أيها الأجير ، ويقول جلساؤه : قل السلام عليك أيها الأمير ، فيقول أبو مسلم : السلام عليك أيها الأجير فيعيدون قولهم ، ويميد قوله ، وهنا يقول معاوية ، دعوا أبا مسلم فهو أدرى بما يقول . وينظم الشاعر المعروف أبو العلاء المعرى هذا المعنى ساخطاً على انحراف الأمراء والحكام عن وظيفتهم فى العدل والإصلاح للأمة فيقول :

الأمة فى الإسلام هى الحاكمة وهى صاحبة السلطة . هى التى تختار حاكمها ، وهى التى تشير عليه ، وهى التى تصح له وتعينه ، وهى التى تعزله إذا انحرف وجار .

والخليفة فى الإسلام ليس نائبا عن الله ولا وكيله فى الأرض ، إنما هو وكيل للأمة ومناوب عنها .

والخلفاء الراشدون لم يكونوا خلفاء عن الله بل خلفاء لرسول الله فى حكم الأمة بما أنزل الله ، وسياستها بما أمر الله ورسوله .

أخرج الإمام أحمد عن ابن أبى مليكة قيل لأبى بكر : يا خليفة الله ، قال : أنا خليفة رسول الله ، وأنا راض به .

وحين ولى الخلافة خطب خطبه الشهيرة فقال : « إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموى على حق فأعينوى ، وإن رأيتموى على باطل فقوموى ، القوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له ، أطيعوى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

وعمر بن عبد العزيز حين ولى الخلافة وبأية الناس قام بخطب فقال : « إنما أنا كأحدكم غير أن الله جعلنى أقتلكم حملا » . هذا هو الخليفة ، ليس أفضل الناس وإن

وبعد أن همت نفوسهم بالانتقام من الظالمين وردهم الرسول إلى الصبر وانتظار أمر الله قائلاً لم أؤمر بقتال . لم أؤمر بقتال ، ولما طال الصبر ولم يتحول المشركون عن اضطهادهم للمستضعفين ، ومصادرتهم الدعوة ، أنزل الله في شأن القتال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت صوامع ويبع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً . »

وابتدأ الصراع بين جبروت الشرك ودعوة الإسلام الذي استمر عدة أعوام وقمت فيها الغزوات المعروفة في السيرة النبوية ، وكانت كلها رداعاً على عدوان المشركين وغدر اليهود . وفي الوقت الذي كان فيه الصراع دائرة داخل الجزيرة بين قوى الإيمان والشرك كانت هناك دولتان استعماريتان كبيرتان تتنازعا العالم إذ ذاك وتقرضان سيطرتهما على أجزاء من بلاد العرب ... هما دولتا : فارس الوثنية التي تسيطر على العراق ، والروم المسيحية التي تسيطر على الشام .

ولم يكن المسلمون في هذا الوقت يحيط بمكرونها في فتح إمبراطوريات ضخمة مثل فارس والروم أو أعدوان عليها ، وإنما بدأ هؤلاء بالشر والعدوان .

مل المقام فك أعاشر أمة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستباحوا كيدها
وعدوا مصالحها وهم أجراءها

ويشيع هذا المعنى في الناس جميعا متعلمهم وأمية ، حضريهم وبدويهم ، فلا يؤمنون بقداسة الخليفة ، أو بملو حاكم على الناس حتى إن رجلاً بدوياً دخل على أحد الخلفاء فوجده جالساً على مكان مرتفع والناس دونه في مكان منخفض ، فقال له البدوي : هل أنت الله ؟ فقال الخليفة : لست الله ، فقال الرجل : هل أنت جبريل ؟ قال : لا . فقال لست الله ولا جبريل فلماذا تجلس مرتفعاً ؟ أنزل واجلس مع الناس .

وكان من ثمرات هذا الفهم أن شعر كل مسلم بمسؤوليته وشخصيته في رعاية الحق والعدل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تختلج امرأة خليفة على المنبر فلا يجد غضاضة أن يعلن على الناس : أصابت المرأة وأخطأت .

بعد ثلاثة عشر عاماً من احتمال صنوف العذاب والأذى وهجرة المسلمين إلى الحبشة مرتين ، وبعد أن أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وتركوا إخوانهم المستضعفين في مكة يسامون سوء العذاب ،

ونهب ، وإنما كان إزالة السلطات الطاغية ،
وتأميناً للحريات ، ونشراً لمبادئ العدل
والمساواة ...

« أين هذا الفتح من فتوح أبادت أجناساً ،
وقتل شعوباً ، وغربت دياراً ؟ وقد صدق
جوستاف لوبون حين قال : « ما عرف التاريخ
فاتحاً أعذل ولا أرحم من العرب » .

كانت المرأة في الجاهلية متاعاً أو كالتناع
لا تعرف لنفسها قيمة ، ولا يعترف لها برأى
أو إرادة حتى شك بعض الناس ألهما روح
أم لا ؟ . وكانت نزعة الزناية بها والمهضم
لشخصيتها تسود العالم كله .. حتى جاء الإسلام
فأعلن كتابه : « إنا خلقناكم من ذكر وأنثى » ،
« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى
وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ، والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، « إن المسلمين
والمسلات » ، وبذلك حطم الأغلال عن عنقها ،
وأظهر شخصيتها وأعلن مساواتها للرجل
في الحقوق والواجبات إلا ما تقتضيه طبيعة
كل منهما .

وحسبنا في هذا أن الله يقول : « ولئن
مثل الذي عليهن بالمعروف » ، وأن النبي
يقول : (إنما النساء شقائق الرجال) .

وخلق حواء من ضلع آدم — الذي يقال

بدأت فارس حين أرسل كسرى - ردأ
على دعوة الرسول له - إلى واليه باليمن « بأذان »
يقول له : بلغني أن رجلاً من قريش خرج
بمكة يزعم أنه نبي ، فسر إليه فاستبته فإن ناب
وإلا فأبست إلى برأسه ، أيكتب إلى هذا
الكتاب وهو عهدي ١١٤ .

ولم يكن هذا الفرور والاستهتار عند الفرس
وحدهم ، فإن الروم أيضاً بدسوا بالتحرش
والعدوان ، فقتلوا مبعوث رسول الله إلى
والى الروم بيسرى ، ولم يتركوا الحرية لمن شاء
أن يسلم بل قتلوا وعذبوا ... ثم أرسلوا
طلانهم إلى تبوك بالأردن تنذر وتهدد ،
وعلم النبي أنهم ينوون مهاجمته في عقر داره
فكان من حسن السياسة أن يبادرهم قبل
أن يبادروه ويهاجمهم قبل أن يهاجموه ، وبدأ
قتال مربر بصرية « مؤتة » ، وغزوة تبوك ،
وامتدح في عهد الخلافة الإسلامية .

لم يكن المسلمون يخفون من ورائه إكراه
أحد على دين ، أو إعلاء جنس على جنس
أو طلب منفعة ، أو استزاق ، كيف وقد
سئل نبيهم : « يا رسول الله الرجل يقاتل
للبغم والرجل يقاتل ليرى مكانه ، والرجل
يقاتل حمية - أى عصبية - فأيهم في سبيل الله ؟
فأجاب بالجواب الجامع : « من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

ولم يكن هذا الفتح فتح استعمار وسلب

من المرأة... بل كاذب في عالم الحيوان نراه أقوى من الآتى ... نرى ذلك في الديك والدجاجة والكبش والنسجة... الخ ستة من سنن الله. وما يذكره بعض الجاهلين بالإسلام

(شاوروهن وخالفوهن) فليس له أساس صحيح في دين الله بل فيه ما يناقضه وينقضه. تقرأ ذلك في القرآن وفي السنة، فالقرآن يجعل للمرأة حق المشاركة وإبداء الرأى في رضاء ولدا وفطامه وتربيته، فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما، والسنة تجعل للأم رأيا في زواج بناتها (آمروا النساء في بناتهن) وتجعل الرأى الأخير للبنت نفسها (البكر تستأذن وإذنها صمتها والثيب أحق بنفسها).

إذا كانت بعض الأديان تقول: اطفئوا نور العقل... اطمسوا عين البصيرة. أو تقول: اعتقد وأنت أعمى... أو آمن ثم اعلم... فإن الإسلام يقيم عقيدته من أول الأمر على أساس من النظر والتفكير لا التبعية والتقليد:

«قل إنما أعظكم بواحدة: أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا...»
«قل انظروا ماذا في السموات والأرض،
«أو لم تفكروا في أنفسكم».

إنه يوحى بطغيان الرجل على المرأة... لم تدل عليه أية صريحة في القرآن، وما ذكره في ذلك بعض المفسرين رده عليهم آخرون، والذين ذكروه إنما استمدوه مما ذكر في (سفر التكوين) من العهد القديم، وقوله تعالى: «خلقكم من نفس واحدة»، وخلق منها زوجها، معناه خلق من جنسها زوجها، كما حلل ذلك في آية أخرى: «ليسكن إليها»، وذلك كقوله مخاطبا للجميع: «خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، أي من جنسكم».

كل ما للرجل من ميزة هو الدرجة التي ذكرها الله للرجال عليهن درجة، وهي درجة القوامة والمسئولية عن البيت والرجل قوامون على النساء، ليست درجة الفهر والعنف، ولا درجة الاستبداد، إنما هي الرياسة التي تقتضيها الفطرة، ويرجعها الواقع وطبائع الأمور. وهذه الرياسة لا تتال من حريتها الدينية، ولا حريتها الفكرية، ولا حريتها المدنية، ولا تصرفها في أحوالها الشخصية، ولا تهضمها حقا مقررأ لها.

إن إعطاء القيادة للرجل أمر طبيعي، فالحياة لا تتظم من الوحدة الصغيرة إلى الوحدة الكبيرة — إلا بقائد أو محثول، والرجل أولى وأحق بهذه القيادة؛ لأنه القائم بحلب القوات والمنفعة، وبالمسئولية عن رعاية البيت وحمايته، وهو أشد قوة وأعظم قدرة

المعرفة، ويرد الناس إليه، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

ولا يرضى للسلم أن يسير وراء الوهم أو الظن ويحكم بغير بينة أو علم، ولا تقف ما ليس لك به علم، « أن الظن لا يغني من الحق شيئا .

ويحارب التقليد والجود على موروثة الآباء، وإذا قيل لهم انبعثوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان أبائهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون .

كتاب يهيب بالعقل البشري مثل هذه الإلهية، ويصبح به هذه الصيغة المدوية

لا يمكن أن يخفى نتيجة النظر أو التفكير، وما يستتبع ذلك النظر من حقائق ومعلومات

والقرآن أنزله الله كتاب هداية وتوجيه وتشريع، وليس من مهمته التحدث عن

نظريات العلوم الكونية أو الطبيعية، وحسبه أن يدعو الناس للوصول إليها

بوسائلهم وجهدهم، ولم يمنع هذا أن يشير أثناء حديثه عن الكون وما فيه من آيات -

إلى حقائق علمية كانت مجهولة للبشر، كشف الزمن عن صدقها . وقد ألف علماء

متخصصون مخلصون في التنبيه إليها كتباً شتى، ومن حسن الحظ أن هذه الكتب

لم يؤلفها أحد من علماء الدين الذين اطلعوا على علوم الكون، بل ألفها في الغالب

« أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض .

والقرآن هو الكتاب الذي يهيب بناليه وسامعه دائماً : « أفلا تتفكرون ... لو كانوا

يعلمون ... أفلا تبصرون ... إن كنتم تعلمون .. إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ..

اتسوم يتفكرون .. لقوم يعلمون .. آية للعالمين .

والعلم في الإسلام يقوم على الإيمان، والإيمان ثمرة له، ومرتبة عليه، اقرأ

قوله تعالى : « وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ... الآية .

والعلم الكوني في القرآن سبيل إلى خشية الله تعالى، « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء

فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها

وغرابيب سود، ومن الناس والنبات والأنعام مختلف ألوانه، كذلك إنما يخشى

الله من عباده العلماء . وما ذكر في الآيتين يشير إلى علوم العلك

والنبات والجيولوجيا والحيوان .. وكلها علوم كونية، والقرآن يمجده العلم من حيث

هو علم، ولا يسوى بين من يعلم ومن لا يعلم بغض النظر عما يعمل به، هل يستوى الذين

يعلمون والذين لا يعلمون . ويحترم الاختصاص في كل فرع من فروع

« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع
الناس فيمكث في الأرض » .

ولكن المعتادين من المفكرين المسلمين
لم يحددوا في آيات القرآن شيئاً يناقض
ما ذهبوا إليه أو وصلوا إليه من ظواهر
الطبيعة أو حقائق العلم ، ومن هؤلاء البيروني
العالم المؤرخ الفيلسوف المعروف .

وتنقل هنا ما قاله المستشرق الألماني
دي يوير في كتابه « تاريخ الفلسفة في
الإسلام » (١) قال : « لا شك أن البيروني
كان سنيا مستقراً ، وهو لعلو كعبه في العلم
وسعة فكره ، وتنوع معارفه ، ونعطقه
للحدود التي لا يصح أن تتجاوزها أحكام
التجربة الإنسانية المعتمدة على المشاهدة -
يتمسك بحقائق الدين العميقة فلا يعجبه
التأويل الملالل للقرآن ، ولا الانكسار
المتحلق - من غير أساس كاف - لما يروى
من غريب الأفكار ، وهو يتمسك بالقرآن
فيؤلف مثلاً كتاباً جليلاً يسمى « لوازم
الحركتين » مقتبساً أكثر كلماته عن القرآن
(معجم لأدباء البياقوت ج ٦ ص ٣١١) .

ويقول في كتابه عن الهند ص ١٣٢ : إن
القرآن لم ينطق في أمر صورة السماء والأرض
وفي كل شيء ضروري بما يحوج إلى تعسف
في التأويل . فهو في الأشياء الضرورية معها
(١) ص ٣٠٢ ترجمة الدكتور عبد الحادي أبو رييدة .

متخصصون في هذه العلوم اطلعوا على الدين
وعلى القرآن الكريم .

ومع أننا لا نوافق على كل ما في هذه
الكتب ، ولا على منهج بعضها ، فإننا نحمد
في مثل هذه الكثرة من الكتب أدلة واضحة
على أن القرآن في نظر المتبحرين في العلوم
الحديثة ليس غير معاصم لها لحسب ،
بل هو هاد إليها ودال عليها ، وسابق في
بعض الأحيان لما قررته .

والقرآن لا يعارض حقيقة علمية قاطعة ،
ولكنه قد يعارض بعض الآراء والفروض
والنظريات التي لم تصل بعد إلى مرتبة الحقائق
الثابتة ، ولا ضمير على القرآن في هذا . فكم
من آراء ونظريات كانت عند أصحابها في
مرتبة اليقين الذي لا ريب فيه ، فإذا كر
الغداة ومر العنى وتطور البحث العلمى
يجعلها أوهاماً في أوهام .

وحسبنا ما كان يعتقده بعض من صرفوا
بفلسفة المسلمين : « كآبى نصر الفارابي وأبى
على بن سينا ، من إيمانهم بالنظريات الفلكية
اليونانية إيماناً جعلهم يؤولون آيات القرآن ؛
فالأرض عندهم مركز الكون ، والأفلاك
عندهم لا تقبل الحزم ولا الالتئام ، والعناصر
أربعة لا زيادة فيها ... الخ ثم يثبت العلم
التجريبي أن هذا كله باطل لا يقوم على أساس
فذهب ظنونهم ... وبقي ما هدى إليه القرآن

رسالة ووجهه ، ولا يمكن أن يحكم له أو عليه بالاستمداد من غيرها ... وتنحصر هذه المصادر فيما يلي :

أولاً : القرآنة الكريم

وهو مصدر إلهي بلفظه ومعناه ، ليس من عمل محمد ، وإنما هو قول رسول كريم هو جبريل ، تلقاه من لدن حكيم عليم ، ثم بلسان عربي مبين على قلب محمد فتلقاه محمد منه كما يتلقن التلييف من أستاذه نصاً من النصوص ولم يكن عمل بعد ذلك إلا : —

١ — الوعي والحفظ : « سنقرئك فلا تنسى » .

٢ — الحكاية والتبليغ : « وقرأنا فرقناه

لقراء على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ،

٣ — البيان والتفسير : « وأنزلنا إليك

الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

٤ — التطبيق والتنفيذ : « إنا أنزلنا

إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما

أراك الله » .

وقد نقل إلينا هذا القرآن كاملاً متواتراً

نقله أجيال من أجيال تلاوة بالالسة

وحفظاً في الصدور ، وكتابة في المصاحف ،

وشهادة التاريخ بتواتر هذا الكتاب شهادة

ناصحة لا يمانها ولا يدانها كشهادته

لكتاب غيره ظهر على وجه الأرض ...

هذا الكتاب هو المصدر الوحيد لعقائد

حزب القدة بالقدة ، ولم يشتمل على شيء مما اختلف أيسر من الوصول إليه ...

ويصف البيروني كيد مظهرى اتحال

الإسلام له ، وإدخالهم ما في كتبهم فيه تصديق

ذوى القلوب السليمة - الساذجة - لهم . وفي

بعض الأحيان يذكر الزنادقة من أصحاب

ماني ويذكر الحركات والاتجاهات غير

الإسلامية ناقداً لها ، راجع كتابه عن الهند

ص ٧٦ - ١٣٢ الآثار - ٢١٥ - ٢١٤

(٢٦٤ - ٢٦٥ - ١٩٦)

هذا هو الإسلام الذي قامت على أساسه

حضارة عليا واسعة معتدة في وقت لم تكن

أوروبا ترى فيه النور إلا من سم الخياط ،

وفي تاريخه الطويل لم يضق صدره بعالم أو

باحث كما حدث في أوروبا من معارك بين العلم

والدين ومجازر تقشعر لها الأبدان .

وما قل من حوادث فردية وقع فيها صدام

بين من اشتغلوا بالفلسفة وبين الفقهاء وعلماء

الكلام ، فما كان صداماً مع علم سليم الأسس

والقواعد بل كلف صداماً على الجانب

المتساميزيق الإلهي من الفلسفة الإغريقية

بالبذات ، وهو جانب يبحث في أمور قطع

الوحي فيها برأى حاسم لا مجال بعده لتخمين

المقول ، وافترض الفروض . وإضاعة

الأوقات في غير نفع ولا فائدة للإنسان والحياة

مصادر العلم معلوم :

للإسلام مصادر محددة ، تعرف منها

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ، والراشون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب . .

وليس المحكم هو الواضح ، والمتشابه هو غير الواضح أو غير المفهوم ، كما يظن أو يقال ، فالقرآن كله واضح مبين . وإنما المحكم : هو المقطوع بدلالته جزماً ، والمتشابه هو : ما اختلفت الأدهان في دلالاته ، ولعل سائلاً يسأل : لماذا لم ينزل القرآن كله محكماً ويرج الناس من التشابه ؟

ومن عرف حكمة الابتلاء والتكليف للإنسان أولاً ، وعرف طبيعة اللغات وتنوع دلالاتها ثانياً ، وعرف طبيعة بني آدم واختلاف عقولهم واتجاههم ثالثاً ، وعرف عموم القرآن لكل البينات والأزمان ، والأجيال المتطورة رابعاً ، وعرف طبيعة الإسلام الذي يبحث على أعمال العقل والاجتهاد والاستنباط خامساً ... من عرف هذا كله لم يشكبه عليه الأمر ولم يحتاج إلى هذا السؤال بل قال ما قاله الراشون في العلم : « آمنا به كل من عند ربنا » . لقد اقتضت حكمة الله أن تكون الآيات

المحكمات في كتابه ، هي الأصول التي لا خلاف عليها ، والأسس التي يردفها إليها ، والمجود الذي يلف حوله الجميع ، أما الآيات الأخرى فقد جعلها الله من السعة والمرونة بحيث تنسج

الإسلام ، وهو المصدر الأول لنظمه وتشريعاته وآدابه وتوجيهاته .

وقد تلقاه المسلمون بالشرح والتفسير والتحليل كل في مجال عمله واختصاصه واستنبطوا منه أحكام دينهم وأصول مجتمعاتهم . . . هذا في مجال العقيدة وذلك في مجال الفقه والتشريع وتلك في مجال الآداب والأخلاق .

وقد وضعوا الأسس السليمة ، والقواعد المثبتة لفهم هذا الكتاب والاستنباط منه وفق ما عرفوه من أساليب لفهم العربية ، وما خطه لهم النبي من توجيهات ، وما فهموه من جملة تعاليم الإسلام وروحه العامة . . . ولم يجد هؤلاء العلماء في آيات هذا الكتاب إلا التناسق والاتلاف . فهي يصدق بعضها بعضاً ، ويفسر بعضها بعضاً ، وما يظنه القاصرون - الذين يجهلون أسرار العربية وأساليبها - تعارضاً أو اختلافاً ، فما هو بالتعارض ولا الاختلاف ... وإنما هي نصوص عامة تقيد بها نصوص خاصة أو آية مطلقة تفسرها آية مفيدة ... وهكذا ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً . .

نعم إن في القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات ، كما قال تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

فانتهوا ، هذه السنة مشيت في رحاب القرآن ، وصبرت عن روحه شارحة وموضحة وتركت للناس أبواب الفهم والتجديد في أمور حياتهم المتطورة ، التي تصل بوسائل المعاش التي تتغير بتغير البيئات والأزمان ، وفي ذلك يقول رسول الله : أتم أطم بشئون دنياكم .

وقد وجدت هذه السنة من الرعاية في حفظها ، وجمعها ، وتنقيتها من الدخيل عليها ما لا يزال التاريخ العلي يذكره بالفخر والإعجاب ... فقد حاول أعداء الإسلام أن يدسوا فيها ما ليس منها ، ليكذبوا لقاءها ، فوضعوا أحاديث مكذوبة ، وروايات ملفقة ، ونسبوا زوراً إلى رسول الله منتهزين ما حاق بالمسلمين من قن في فترة من الدهر ، ولكن سرعان ما وقف الأفاضل من سلف هذه الأمة الذين كرسوا حياتهم ، يطوفون البلاد ، ويحجرون الفقار ، بحثا عن صحيح السنة ، وكشفوا عن زائفها ... وكان العهد قريبا بالرسول وصحابته ، والأمة العربية أمة حفظ ووعي ، موضع هؤلاء العلماء الأصول والقواعد لرواية ، وبحوثا عن الرجال ، وجرحوا وعدلوا ، وألقوا الكتب الكثيرة في التاريخ والسير والأسماء ، ولم يأخذوا إلا عن ثقة عدل حافظ ضابط حتى لقد أفردوا كتباً للثقات من الرواة ، وكتباً للضعفاء ، وذلك جهد لم يعرف لأمة في حياة تراث نبيها ...

لختلف الأنهام المعقولة في شق البيئات والمصور بحيث يمدو بعض الفاهمين بعضا ، ولا يكفر بعضهم بعضا وشعارهم تلك الكلمة الحكيمة « تعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعمد بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، وبهذا يكون القرآن مصدرا لجميع لا مثير ففرقة ، يكون كتابا للإنسانية كلها ، في كل أحوالها ، وجميع أزماتها وشق بلادها ولو كانت كل آياته محكمة فاطمة الدلالة ، لكانت هذه هي النعمة الكبرى التي تغلق على المجتهدين باب الفهم ، وتطفى تألق الفكر ، وتشل حركة العقل ... ولا تليق إلا بصنف واحد من الناس ولزومية واحدة من النظر ، وما لهذا أنزل الله القرآن » تبارك الذي نزل الفرقان هلى عهده ليكون للعالمين نذيرا .

ثانيا : السنة :

وهي الأقوال والأعمال الثابتة عن محمد رسول الله ، وضع بها يحمل القرآن ، وفسر بها مرادربه ، وطبق بها شرائعه وآدابه تحقيقا لقول الله « لتبين للناس ما نزل إليهم » .

هذه السنة هي المصدر الثاني في تعرف نظام الإسلام وتعاليمه ... ، وإذا ثبت أن محمدا رسول موحى إليه ، كان لما بقوله ويهدي إليه في تبين هذا الإسلام ، وتوضيح معالنه ، وتطبيقه في الحياة ، منزلة الوحي المعنوى ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه

باختلاف الآراء والبيئات، وأعطى بذلك العقل الإنساني حقه في الاجتهاد والقياس والاستنباط، وجعل للاجتهاد أجراً إذا أخطأ وأجرين إذا أصاب .

وعلى هذا الأساس قامت حركة فقهية تسير تطور الزمن وحاجة الناس ... وقال الفقهاء : تحدث للناس قضية بقدر ما أحدثوا من أمور .

ولم يوضع الفقه في عهد الخلافة العباسية — كما قاله بعض الجاهلين — بل وجد الفقه منذ عهد الرسول ، ونما في عهد الصحابة ، وزاد نمواً في عهد التابعين ، وكان تدوينه في عهد العباسيين .

وحسبنا لا بد أن ننبه — إلى الفرق بين الشريعة الإسلامية ، والفقه الإسلامي .

فالشريعة هي النصوص المقدسة من الكتاب والسنة الثابتة ، والفقه هو : استنباطات الفقهاء في دائرة النصوص، أوفياً لانصافه . الشريعة : ثابتة لا تتغير ولا تتطور ، والفقه مرئ متحرك يتغير ويتطور ، الشريعة وحى الله والفقه عمل الإنسان (١) .

ولكن مهما قلنا إن الفقه من صنعة العقل الإسلامي ، فإن فقهاء الإسلام كانوا يحرمون حسب طاقتهم على أن يكون اجتهادهم داخل

وما يقال : إنهم اهتموا بسند الحديث ورواياته دون موضوعه أو مضمونه ، فهذا كلام غير صحيح لأنهم اهتموا بالموضوع أيضاً فردوا الحديث الشاذ المخالف لما عرفوا من أصول ، وردوا الأحاديث لعل قاعدة تتصل أحياناً بالموضوع كما تتصل بالسند .

نعم إنهم وجهوا جل همهم إلى السند والرواية لأن الموضوع يختلف العقول في قبوله ورده حسب عصورهم وثقافتهم ... وما كان يعتبر صحيحاً مقبولاً بالأمس ، قد يعد خطأ مرفوضاً اليوم ، وبالعكس ..

فقاموا بما عليهم في نقد الرواية وتجليه عالم ، وتركوا لمن يأتي بعدهم الحكم على موضوع الحديث بما يتفق وما عتدم من وسائل الفهم وموازين النقد ...

مآلنا : الاجتهاد :

لم يشرع الإسلام في مصدره : القرآن والسنة السليين في كل شيء ، فيضيق عليهم فيما لم فيه فسحة ، ولم يدع التشريع في كل شيء . فتركهم قائمين بلا أصل يعتمدون عليه ، ولكنه شرع وحدد فيما لا مجال للرأى فيه كالعبادات وفيما لا يختلف باختلاف الأزمان والأحوال كالتقواعد الكلية ، والحدود والعقوبات والمواريث وأكثر شئون الأسرة .

وترك التشريع أو النص والتحديد فيما يختلف

[١] راجع مقال الدكتور محمد البهي في مجلة الأهرام تحت عنوان مع المذاهب الإسلامية عدد صفر ١٣٧٩ هـ .

قال أبو حنيفة : هذا رأينا فن جاءنا بأحسن منه قبلناه .

وقال مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم .

وقال الشافعي : رأي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب .

وما عرف في بعض العصور والأقاليم من التعصب للمذهب ضد غيره ، فهو ثمرة من ثمرات الجهل ، والتأخر العقلي الذي أصيب به المسلمون حينذاك والإسلام وقفاء الإسلام منه براء .

ونحب أن نقرر هنا أن الخلاف بين المذاهب السنية ، وبين الشيعة المعتدلة ليس خلافا جوهريا يمتد إلى أصول العقيدة ، وإنما توسع الهوة بينهما أهواء الحكام ، ودسائس خصوم الإسلام ، فالجميع من سنيين وشمعية ، يؤمنون بإله واحد ، ويقدمون كتابا واحدا ويتبعون رسولا واحدا ، ويتجهون إلى قبة واحدة .. هم جميعا يقيمون الصلاة ، ويؤدون الزكاة ويصومون رمضان ، ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلا .

إن في الفقه الإسلامي ثروة من الفواهد والتطبيقات والنظرات العميقة في كل مجال من مجالات الحياة : أسرية ، ومدنية ، وجنائية ودستورية ، ودولية ، اعترفت بقيمتها وصلاحيتها المؤتمرات الدولية التشريعية

إطار الشريعة ، وتبعا لها يحاولين التحرر من الهوى والذاتية ما استطاعوا ...

ولم يهدف الفقهاء في فقههم إلا إلى ما عدت إليه الشريعة ، من رعاية مصالح العباد ، من ضروريات ، وحاجيات ، وتحسينات — كما عبر الشاطبي .

ولم يهدفوا إلى رعاية مصلحة خاصة لطائفة أو فرد أو خليفة ، وكيف وكلهم رفضوا المناصب والقربى من الخلفاء ، وتعملوا الأذى في سبيل تجردهم العلى .

رفض أبو حنيفة القضاء وتقبل السجن راضيا ، وروى أنه مات فيه .

وضرب مالك بالسياط في سبيل أن يغير أو يكتسب رأيا رآه قأبي .

وأودى الشافعي من أجل تجرده وأمانته . واحتمل أحمد بن حنبل من العذاب ما لا يحتمله إلا المؤمنون الأبطال .

وهؤلاء الأئمة الأربعة هم مؤسسو المذاهب السنية المشهورة في المسلمين .

وهذه المذاهب الأربعة وغيرها لا تلزم المسلمين باتباع أحدها إنما هي اجتهادات لأصحابها الذين لم يزعموا لأنفسهم العصمة ، ولم يلزموا الناس بتقليدهم يوما ، ولم ينظر واحد من هؤلاء الفقهاء إلى غيره نظرة التعصب أو الخصومة ، بل نظرة ملؤها التسامح والمودة ، وتقدير آراء الآخرين .

نرد قول الفائل :

« يا له من دين لو كان له رجال ، .

وحسبنا أن تعلم أنه حين نبيا للإسلام حكم عادل ، وخلافة راشدة في عهد عمر بن عبد العزيز رأت الدنيا في مدى عامين - ٩٩ - ١٠١ هـ - من العدالة والنظام ، والقوة ، والرعاة ما لم تحققه عشرات السنين من بعد .

ومن كان يريد أن يستدل بالتاريخ فليستدل بأمثال هذه السير المنيرة . . وإلا فليعرف الإسلام من كتابه المنزل ، وسيرة نبيه الثابتة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

يوسف القرضاوي ، أحمد المسال

الحديث ، كؤنم ، لا هاي ، وغيره .

وهي ثروة سالحة لأن يقوم عليها صرح تشريعي ممكن إذا توفر باب الفقه والقانون عليها . . . ، وفلا قد اقتبس واضعو القوانين المدنية في البلاد العربية منها كثيرا من المواد والقواعد . . .

وبعد : فإن مبادئ الإسلام هي أفضل المبادئ لإصلاح الأفراد وإسعاد الأسر ، وتنظيم المجتمعات ، وتوجيه الحكومات ، وهداية الإنسانية كلها إلى الصراط المستقيم . بيد أن المبادئ وحدها لا تغني إذا لم تجد رجالا يؤمنون بها ، وينقلونها إلى واقع تراه الآعين ويلسه الناس ، وبدون هذا سنظل

العلم

وشفرة السيف تستغنى عن العلم
عزم يفرق بين الساق والقدم
في موج ملطم أو فوج مضطرم
والأمر أهون فيه من يد لغم
لطفاً ويقوى شرار النار بالضم

للعلم مذكان ، محتاج إلى العلم
وخير خيلك (إن غامرت في شرف)
لا يدرك المجد إلا كل مقتنم
ورب أمر يهاب الناس غايته
تسمى قوى الشيء بالتدريج إن رذقت

المذهبية والتقليد

للأستاذ محمود الشراوى

« التقليد إجمال منفعة العقل ، لأنه خلق للتدبر والتأمل »

[أبو الفرج ابن الجوزى]

من ذلك أن أحمد بن حنبل كان يقول :
« من ضيق علم العالم أن يقلد في اعتقاده
رجلا ، وذكر له رأى لابن المبارك فقال :
« إن ابن المبارك لم يزل من السماء .
وقبل له : قال إبراهيم بن آدم ، فقال :
جشتموى بينيات الطريق ، عليكم بالأصل .
فلا ينبغي أن يترك - أى الأصل - لقول
معظم في النفس ، فإن الشرع أعظم ، والخطأ
في التأويل على الناس يجرى . »

وقد نهى الإمام الشافعى عن التقليد .
وروى عنه وعن غيره من الأئمة قوله : إذا
صح الحديث فهو مذهبي ، وأضربوا ، وقول
عرض الحائط .

بل إن بعض العلماء - كأبي الفرج ابن
الجوزى - يرى أن يجتهد العاى أيضا ،
لا العلماء وحدهم ، واجتهاد العاى في اختيار
من يقلده : « وأما القرعيات فإنها لما كثرت
حوادثها واعتاصر على العاى عرفانها ، وقرب
له أمر الخطأ فيها كان أصح ما يفعله العاى

المذهبية والتقليد مظهران من مظاهر
الانحراف الذى ندعو إلى تقويمه في الفكر
الدينى ، ولكنهما مظهران أخذتا يتحولان
أو يزولان في السنوات الأخيرة . ولكنى
أعتقد أن الأمر لا يزال يحتاج إلى معالجة ،
لأنه على وجه اليقين ، لا يزال كذلك موجوداً
في غير مصر من بلاد الشرق . ولا يزال التعصب
للمذهب أساساً لا يحيد عنه كثير من رجال
الدين في بعض البلاد الإسلامية من شرقنا
العرى . ونعتقد أن بعض رجال الدين
عندنا لا يزال في نفوسهم شيء كثير من
هذا التقيد بالعصية المذهبية والانتصار
لما يتبعون من المذاهب . مع أنهم ورثوا
تبعيتهم لهذه المذاهب عن آبائهم وأجدادهم
ولا مدخل فيها لفهم والرأى والترجيح
ولم يستمسك المقلدون بمتابعة مقلديهم
إلا بعد أن قسست الجهالة بين الناس .

لذلك نجد العلماء وأصحاب الرأى لا يقلدون
ولا يرضون لغيرهم أن يقلد .

ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه ، بحيث لا يجد لضعفه مدفعا وهو مع ذلك يقلده فيه ، ويترك من شهد الكتاب والسنة له ، ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة فضلا عن مقلده . . ثم يصف الشيخ عز الدين كيف كان المتقدمون يتبعون ويعرفون أمور دينهم فيقول :

« لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقييد بمذهب ، ولا إنكار على أحد من السائلين ، إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومنعصبوها من المقلدين ، فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلداً له فيما قال ، كأنه نبي أرسل ، وهذا نأى عن الحق وبعد عن الصواب ، لا يرضى به أحد من ذوي الألباب . »

فالتقليد عند عز الدين بن عبد السلام : بعد عن الحق ، وعن الصواب ، لا يرضى بهما عاقل .

وعز الدين بن عبد السلام من أعظم علماء الشافعية في جميع العصور ، وكان أبرز علماء مصر في القرن السابع الهجري .

وفي شرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور البهاري أن من ألزم بالتقليد ، فقد ألزم بشرح لم يأمر الله أحداً بالترامه ، فهو يقول إن إيجاب التقليد « تشريع شرع جديد » .

التقليد فيها لمن سبر ونظر ، إلا أن اجتهاد العاقل في اختيار من يقلده ، (١) .

ويقول ابن الجوزي في التقليد رأياً هو : « أعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلده . وفي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتدبر والتأمل . وقبيح بمن أعطى شعبة يستغنى بها أن يظفنها ويمشي في الظلمة » . وكذلك يقول : « وأعلم أن هموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال ، وهذا عين الضلال . لأن النظر ينفي أن يكون إلى القول لا إلى القائل » (٢) .

ثم يروى أبو الفرج أن الحارث بن حوط قال لعلي رضي الله عنه : أظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل ؟ فقال له علي : « يا حارث : إنه ملبوس عليك . إن الحق لا يعرف بالرجال ، يعرف الحق تعرف أهله . »

ويقول الإمام ابن حزم : المقلد راض أن يغيب في عقله .

ومن الذين وقفوا موقف الخصومة من التقليد العالم المجتهد الذي كان غفر صهره علما وعاملا وخلقاً : الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، الذي يقول :

[١] ص ٥٧ من كتابه : « قد علم والسطا أو تلبس إبليس » السعفة ١٢٤ هـ .
[٢] ص ٧٦ - ٨٧ من المصدر السابق .

مردود المذاهب الأربعة :

ننتقل بعد ذلك من (المذهبية والتقليد) إلى أفق أوسع : إلى حدود المذاهب الأربعة فقد مضت على الفكر الديني عصور ، من التخليق والضيق كان يرى فيها أن (الشريعة) هي مذهب أبي حنيفة ، كما كانت ترى دولة الخلافة العثمانية في عصور طويلة . وكما كان غيرها يرى الرأي نفسه في مذهب الشافعي ، أو مالك ، أو مذهب الشيعة ، كما فعلت الدولة العاطمية زمنا ما . وكما يرى غيرهم الرأي نفسه في مذهب الزيدية ، أو الوهابية . ولكن هذه النظرة خاطئة بقدر ما هي ضيقة . وشريعة الله أوسع وأرحب من حدود هذه المذاهب ، ونحن لا نريد أن نفصل أمر هذه المذاهب الأربعة وما بعد الأربعة ولا أن نذكر أمر نشأتها وتداولها ، واستقرارها وأسباب الغلبة التي جعلت بعضها يشرع ويثبت ويستقر وبعضها الآخر يضيق ويتهاق ويضعف ، أو يتلاشى لا نريد أن نستطرد إلى شيء من ذلك الذي يستطيع أن يعرفه من يريده في تاريخ التشريع ولكن الذي نقوله إن العمل برأي ضعيف أو مرجوح في هذه المذاهب ، وترك العمل بالراجح القوي فيها ، ليس خروجاً على الشريعة ، وما دامت المصلحة هي الدافع على

وأن إلزام العمل بمذهب معين تقفه على الناس وشدة .

كانت المذهبية والتقليد تعصبا وعوجا ابتلى به الفكر الديني عند ما ضعف العلم وفشا الجهل . حتى رأينا من (أوجب) هذا التقليد ، كصاحب الجوهرة الذي يقول : وواجب تقليد جبر منهم .

وقد كان لهذه العصية المذهبية الضيقة أثرها في حياة المجتمع الإسلامي حتى رأينا بعض الفقهاء يجعل من مسائل فقهه هذا السؤال : الابن الذي أبوه شافعي المذهب ، هل هو كفؤ للزواج من بنت الحنفى ؟ .

وحتى رأينا من يعرض بحضنى المذهب فيقول : إذا وقع النكاح على طعام أو عجين ، قارم به إلى كلب أو إلى حنى ، يريد أن بعض الحنفية يرى تحليل النكاح ومطهرته .

فانظر ماذا تفعل العصية وضيق الفهم بأراصر المسلمين الذين جعلهم الله أمة واحدة وجعلهم الحديث الشريف كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحى والسهر .

وقد قلنا أول هذا المقال إن هذا الانحراف في الفكر الديني أخذ يتحول ويذول ، عندنا على الأقل ، وبقي أن يعمل رجال الفكر الديني على القضاء على ما بقي منه فيها وفي غيرها وقد رأينا وجه الحق ورأى العلماء فيه .

وفي الحكم لأصحاب مذهب الاعتزال أكثر من خمسين سنة في زمن الدولة العباسية .
يقول أبو بكر الصيرفي ، الفقيه الشافعي الأصولي ، « كانت المعتزلة قد رفضوا ، وسهم حتى أظهر الله أبا الحسن الأشعري فحجزهم في أقبح السجون . ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار ، علم ما كانوا عليه من العدد والقوة » .

ونحن ليس من هنا أن توارى بين المذاهب الأربعة وغيرها من وجهة التاريخ والسيادة بل نحن نراها من جانب الفائدة العلمية وإمكان الاستفادة مما عند أهلها من الفروق والاختلاف عن المذاهب الأربعة الشائعة في السعة واليسر ، « وكلهم من رسول الله ملتمس » . كما قال صاحب البردة .

هذه النظرة إلى هذه المذاهب وموازتها بالمذاهب الأربعة والاستفادة مما قد يكون فيها من اليسر والسعة . سيظهرنا على ميادين فيسحة ، نجد فيها آراء ذات قيمة في عصرنا الحاضر ، ومجتمعنا الحاضر . وقد نجد لهذه الآراء أيضاً رجحاناً في الفهم والحجة .

أربعة عشر مذهباً :

نحن واجدون أن في الفكر الإسلامي القديم مذاهب لا يقل بعضها في القيمة والقوة عن هذه المذاهب الأربعة ، وواجدون

ترك القوى الراجح إلى الضعيف المرجوح وترك العمل برأى في هذه المذاهب بعضها أو كلها ، إلى رأى قيل به في مذهب آخر وراء هذه المذاهب الأربعة ليس كذلك خروجاً على الشريعة ما دامت المصلحة هي الدافع والغرض ، أو أن يرى صاحب الأمر ذلك لحير الجماعة . وصاحب الأمر الآن هو الدولة . وعلى رجال الفكر الديني الفاضلين ، أن يهيئوا لها ذلك وأن يمكنوها منه .

أسباب السيادة لبعض المذاهب

ونحن نعرف أن السيادة قد تقررت لهذه المذاهب بشيوعها وغلبتها على بقية المذاهب وتداول كتبها ودراسة رجالها ومعرفة الناس لهم وتلبسهم بهذه المعرفة السنين الطوال . ولكننا نعرف بعد ذلك أن هذه السيادة المقررة وهذا الشيوع والغلبة على بقية المذاهب لم تكن لتفوق الأولى على الثانية من الوجهة العلمية أو الدقة في الفهم ، بل لذلك أسباب هي إلى السياسة أقرب منها إلى العلم .

ونعرف أيضاً أن بعض هذه المذاهب - غير الأربعة - كانت له في يوم من الأيام وفي أزهر المصور من دول الإسلام مثل هذه الغلبة وهذا التفوق للذين نجدهم الآن للمذاهب الأربعة . فقد بقيت السيادة في الزمن

ونحن في كل ذلك ملتزمون حدود الإسلام وأصوله ما دامت هذه المذاهب منه .

وهذه الفوارق بين المذاهب تعد من دلائل اليسار والسمّة ، وهي كثر لا يفنى التجديد الديني ومطابقة الشريعة الإسلامية لكل عصر وجيل .

لست أقصد في هذا البحث أن أنقص هذه الفوارق بين المذاهب وما نجد فيها من الآراء الموافقة لعصرنا وحاجتنا من غير المذاهب الأربعة التي عكفنا عليها . بل إن مقصدي الأول هو لفت الأنظار إلى هذه المذاهب والفوارق بينها وأنه من الضروري أن نعرف بها وأن ندرسها لاستفيد مما فيها . وأما الضمين بآتنا سنجد في ذلك قاعدة لا ندرك قيمتها الآن ، وهي تفوق كل ما يخطر على بالنا في ذلك .

وأخص بالنص ولفت النظر من المذاهب ما يمتاز تفكير الرجال فيه بميزات فائقة من رجاحة العقل وحرية البصر وحملة الفهم وتفاذ الذهن والقوة في الجهد والبراعة في الإحاطة بالرأى ونقده وتقديره كذهب المعتزلة ، وهذه الميزات التي نحتاج إليها لنلجح بها تفكيرنا الديني الحديث .

وليس بدنا أن ندرس كتب المذاهب المختلفة ولا أن نعرف مقدار رجالها ونستفيد من مذاهبهم وتفكيرهم . فهم مسلمون

في هذه المذاهب من الكثرة ومن السعة ما نستطيع أن نقيدهم أكبر الفائدة في تجديد تفكيرنا الديني وإمداده بالطريف الصالح مما يوافق العصر والحاجة .

فقد كانت المذاهب في العصر العباسي نحو أربعة عشر مذهباً كلها من الإسلام وكلها مفيدة وكلها مستمدة من كتاب الله .

نجد غير هذه المذاهب الأربعة مذهب الأوزاعي فقيه أهل الشام . ومذهب الحسن البصري ، ومذهب سفيان الثوري ، ومذهب ابن عيينة ، والليث بن سعد فقيه مصر الذي قال فيه الشافعي : « الليث أفقه من مالك ولكن أصحابه أصاعوه أي لم يدروا فقهه ومذهبه . وهناك مذهب إسماعيل بن راهويه وأبي ثور ، والطبري وهناك من المتأخرين من لم يشتهر بأنه صاحب مذهب فقهى . ولكن له آراء يخالف بها أصحاب المذاهب الأخرى ، كان تيمية وابن حزم .

وبعض هذه المذاهب شاع في بلاد الإسلام كما شاع مذهب الظاهري في فارس والاندلس وكان القضاء في القرن الرابع للشيعة حتى نقله صلاح الدين إلى الشافعية لأنه شافعي .

ونجد فوق ذلك — وهو ما يهمنا لأنه مناهج المائدة — نجد من الفوارق بين هذه المذاهب ما يمكننا من نيل أكبر الفائدة حين ندرسها ونقتبس منها ما يوافق حاجة عصرنا

وكانت الخلافة العباسية في بغداد ، في نفس الوقت ، على مذهب أهل السنة . وكان الناس في كلا البلدين الإسلاميين يترقبهم هذه الخصومات المنهجية الحادة .

ولا أريد أن أستمرسل في أخبار هذه الخصومات المنهجية التي كان لها أثر بالغ السوء فيها وقع من الخصومات السياسية والحروب بين البلاد الإسلامية في تاريخها الطويل . فذلك أخبار مبسطة في كتب التاريخ ، ولو أنها ترددها وترونها وتقص عنها دون أن تستعلن أسبابها أو تستخلص عبرتها . وقد أوشكنا وقد أخذنا أن نفي إلى أمر الله ، ونستمسك بحبله ، ونعلو بديننا وعقيدتنا عن هذه الخصومات المفرقة .

لا أريد أن أستمرسل في ذلك . ولكني أقول إنه ليس من المبالغة القول بأن هذه الخصومات المنهجية أفسدت في الماضي حياتنا ، وسودت فترات من تاريخنا ، بل ملأته في بعض الأوقات ، بالشرور والآثام والدم والخسومات والحروب والمظالم . ويكفي أن تذكر محنة ابن حنبل في فتنة خلق القرآن وما يشبهها .

وقد ظهر قليلون من عباقرة العقول والفلوب في طلقات هذه الأيام صاقوا ذرعا بهذه الخصومة السوداء واستطاعوا أن يظهروا

كأصحاب المذاهب الأخرى التي نكف عليها . بل فهم كثيرون هم الذين حلوا لواء الدفاع عن الإسلام وصمدوا في خصومة المغيرين عليه من رجال التكفير النصراني واليهودي في عصرهم .

وبعض هذه المذاهب قريب غاية القرب من المذاهب الأربعة في العقيدة والشريعة . كما نجد في مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية .

نظرة إلى الماضي :

وإذا نظرنا إلى تاريخنا الإسلامي بعد العصر الأول خاصة رأينا ما كان لهذه الخلافات المنهجية من الأثر في تفنيت المجتمع الإسلامي وتوهين وحدته التي أمر بها القرآن ، حين تمسدى أصحاب الخلافات فيها ، فاستحالت بعد ذلك إلى خصومات . استغلتها المطامع والأهواء حتى وقعت بسببها حروب ، وجرت دماء .

نجد في نظرنا إلى هذا التاريخ أن الخصومات المنهجية لم فيها أصحابها ومسادوا وأخذوا حتى خشي منهم الفتنة ، فأصدر الحاكم الفاطمي مرسوما بأن يترك الناس هذا الجدل الفقهي والمنهجي .

ونجد في فترة من تاريخ مصر أن الحاكم ، وهو المستنصر ، وأبوه وجده كانوا رافضة ،

تقدير المجتهد الذي جعل الله له أجرين إن أصاب ، وأجرأ إن أخطأ ، كما جاء في الحديث الشريف ، وأن ينظروا إلى أصحابها ومعتقداتها الآن نظر الأخ إلى أخيه . وهو النظر الذي جده قول الرسول الكريم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

ونحن نعرف أن هناك مذاهب متسدة ونحلاً كثيرة أدعو لدراسة هذه المذاهب دراسة موضوعية مجردة .

وأعتقد أن أحداً لا يجادل في أن هذه الدراسة ، على الأسس التي بينها ، كفيّة بأن تحقق لفكر الدين ، والحياة العامة جملة من الموائد ، فهي ، في الفكر الديني ، تزيد نماءً وخصباً وعمقاً وسعة ، هي ثروة من المعرفة يحتاج لها الفكر الديني أكبر الحاجة وهي كفيّة بأن تظهر ما في شريعة الإسلام من السعة والرونة والكفاية لتحقيق حاجات مجتمعاتنا الحاضرة ووضع الحلول لمشكلاته ، سيجد فيها المقنن والمشرع ما يتغنى أن يحدد من القوانين والتشريعات لتنظيم مجتمعاتنا المعاصرة على أسس الشريعة ، بدلا من تنظيمه على أسس دخيلة . وهي — بعد ذلك — ستكون عاملا قويا الأثر في التقريب بين عواطف الناس في الجماعة الإسلامية كلها ، وفي الأمة العربية التي تريد أن تبني قوميتها وتقيم أسسها على عواطف الفهم والمحبة والقرابة .

محمد الشرفقاري

على الملا سبطهم عليها ومنهم البيروني^(١) ، فقد كان يلبس في إصبه غاتما رسم عليه شعارين : أحدهما لاهل السنة والآخر للشيعة . ونريد من رجال الفكر الديني في عصرنا الحاضر أن ينظروا إلى هذه الخلافات المذهبية كما يجب أن ينظر أهل العلم إلى الرأي المجرد ، نظرة التقدير وحسن الظن والإفادة من خلافاتها لمصلحة الشريعة نفسها ومصلحة الناس . وأن يكون تقديرهم لأصحابها الأول

(١) أبو الريحان البيروني : من عباقرة الفكر الإسلامي ، أصله فارسي ولد بخوارزم سنة ٩٧٣ م [سبتمبر سنة ٩٧٣ م] تبع في الفلك والرياضيات والطب والفيزياء والتاريخ . وكان يراى ابن سينا . وضم في الفلك « القانون للسودى » للسلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين صال حجة في علم الفلك قروناً . ودخل إلى الهند فأقام بها سنين طويلة يدرس الثقافة اليونانية والفقه الفسكريفية ثم وضع كتابه في تاريخ الهند : « تحقيق ما للهند من مقولة » مقولة في الفلك أو مرسولة « فكان أفضل وأكمل كتاب من تاريخ الهند وثقافتها القديمة » قد طبع وترجم إلى الإنجليزية في لندن سنة ١٨٨٧ بإشراف المستشرق سعاد وله كتاب « آثار باقية عن الفروع الخالية » كان تمر من ثمرات وسائله مع ابن سينا « وقد طبعه صغ و أيضاً مع ترجمته الإنجليزية في ليدسك - سنة ١٨٧٨ ، وله رسائل ومؤلفات أخرى « وكان كنفه بارما في الفلك الفارسية وله بها مؤلفات في صناعة التنجيم » وله عند الأوروبيين مجلة عطية

توى البيروني في اليوم الثالث من رجب سنة ٥٤٤٨ هـ ١١٣٠ من ديسمبر سنة ١٨٤٨ م .

عبدُ الفاروق

في بعض نواحيه الممتازة

للأستاذ عباس طه

وقد رأيت ما لقينا . . فقال له عمر والذي
بمئذ بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر
إلا جلست فيه بالإيمان ! فلقبه النبي بالفاروق
من ذلك اليوم .

قرر علماء النفس أن البقرة لا تقتصر على
العلوم والفنون والحروب ، ولكنها قد
تكون في الحكم أيضا . ولنا نذك في أن
عمر وقد خلف أبا بكر كان عبقريا لما ظهر
من ثمرات أعماله المأجدة الخالدة .

كانت الأداة الحكومية في منتصف
القرن السابع لليلاد على شيء من التركيب
الآلي ، بحيث تتأثر ما جريات الشؤون
وأطوارها الاجتماعية برفاءة جاهل وقيام جاهل
آخر مقامه . وكانت الحكومات كلها من
الضرب الاستبدادي الذي ترجع فيه الأمور
إلى القائم بالأمر وخصائصه العقلية والحلقية .

والحكم في الإسلام وإن كان حاصلًا على
جميع الأصول التي تدعو إلى إقامة أداة محكمة
الحكم ، يكون من عملها تمثيل الأمة في مجلس
نائب أو مجلسين ، وتقسيم السلطات على
هيئات خاصة ، وضمان استقلال كل منها ،
فإن الأحداث لا يمكن أن تسبق أزمته ،

لحياة عمر رضي الله عنه متاح شق ، دينية
 واجتماعية وسياسية ، ولعل من أحفلها
بالطرافة ناحيتها الفلسفية . والفلسفة مما يبرها
في تقدير الملكات العقلية ، وطرقها في
التنقيب عما ينطوي في أعمال العاملين من
البواعث الدالة على ميّزاتهم الأدبية ومرتبتهم
الروحية .

نشأ عمر وكبر في الجاهلية ولم يظهر عليه
شيء من السمو الذي ظهر به في الإسلام ،
فكُل ما اشتهر به الشدة وقوة الإرادة فلما
بعث النبي وبدأ يدعو إلى الله سرا ، بلغه أن
أخته قبلت الإسلام دينًا ، فغضب لذلك أشد
الغضب ، فلما زارها في دارها فلما أسرع
قناوله صحيفة فيها من القرآن . فلما قرأها
(وكان من القلائل الذين يقرءون) وقع
في قلبه من سمو الإسلام ما حفزه على أن
يجتمع بالرسول الأعظم ، فلما التقيا عرض
أرسول عليه السلام ، وتلا عليه آيات
من الفرقان فأمن بها من فوره .

وكان أول ما عمله في إسلامه أن قال :
يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق
وعم على الباطل ؟ فأجاب رسول الله : إنا لله

والآخرين : لاشتغالهم بالهنن اليدوية ! فشتان بين ديمقراطية أمس وديمقراطية اليوم .

فتبوء رجل كعمر يدركها وأمثالها على الوجه الذي أراده الإسلام مطلقة وعالصة من كل شائبة بشرية ، فوق ما كان يدركه منها فلاسفة النفس وعلماء الاجتماع على عهده وبعد عهده بأجيال ، أمر يستوقف النظر ويدعو إلى العجب العاجب ، ولا يخرج منها إلا بتخليها بالعبقرية في الحكم .

كل ما في الإسلام من التعاليم الاجتماعية لا يخرج عن إقامة مشاركة الحق ، وسراة المساواة بين الخلق ، والحكم بالعدل ، واحترام حرية القول والعمل ، واللجوء إلى الشورى في الأمور الجامعة ، فكان عمر مثلاً أعلى في تطبيق هذه الأصول الكلية . وله في كل منها مواقف وكتابات نابغة بقيت أعلاماً منصوبة ومبادئ عرفية ومكتوبة حتى يومنا الراهن .

ومن أمثلة اعترافه بسلطان الأمة عليه وخضوعه لرقابتها قوله من خطبة : « أيها الناس إذا رأيتم في أحوالنا قوموه » فقام إليه رجل من الحاضرين وقال : « واقه يا عمر لو رأينا فيك أحوالنا لقومناه بسيوفنا » . فلو كان عمر اكتفى بسياح هذه الكلمة وتجاوز عن مواخذة قائلها لعد ذلك له منقبة ومفخرة يتناقلها الناس ويمدونها دليلاً على

فكان الحكم في الإسلام موكولاً لمن تراه الأمة أهلاً لإقامة تلك الأصول ، اجتهداً من تلقاء نفسه .

وقددلت الأحداث على أن عمر قد حقق الفراسة فيه ، وبلغ من إقامة الأصول الإسلامية مبلغاً رفعه إلى درجة العبقرية .

ليس من الهين في دور الشكل الاستبدادي للحكومات أن يقيم القائم بالأمور جميع المثل العليا للتعالم التي يصدر في أعماله عنها تمثيلاً كاملاً ، مهما حرص على ذلك ، إلا إذا كان من المهمين .

لأنه كيف يتسنى لعقل عادي في أول عهد القرون الوسطى أن يفهم مغزى أصول مثالية لم يفهمها نحن اليوم إلا تحت ضوء العلوم الحديثة ، ولم ندرك مراسيها البعيدة إلا بعد ظهورها للعيان عقب انقلابات عالمية خطيرة

نعم إن كلمات عدل وحق ومساواة إلخ ، كانت مدلولاتها معروفة منذ القدم ، ولكنها كانت مدلولات تنقص أهم مؤدياتها المطلقة ، حتى إن واضع الديمقراطية أرسطو لم يفهم مؤداها المطلق ، فقرر في بحوثه السياسية حرمان العيال والأرقاء من الحقوق المدنية من الناحية السياسية ، الأولين : باعتبار أن نفوسهم ليست من نوع نفوس الأحرار ،

المقدس ليتفق والمدافعين عنها على التسليم ، كما شرط عليه ذلك ، شخص إليها على بعير كان يتعاقب عليه هو وسائسه في الطريق ، ولما شاربوا المدينة كان الدور للسائس فكان راكباً وأمير المؤمنين أخذ صفود البجل . فقال له خادمه : لو زلت أنا وركبت أنت حتى لا تقابل الناس على هذه الحال فلم يجبه أمير المؤمنين إلى طلبه ، وقدم على مستقبله راجلاً بقود البعير لخادمه . فكانت المفاجأة المنحلة ، ولكن أحداً لم ينبس بكلمة لعلمهم من هو عمر وما هي ديمقراطيته .

وأبلغ مما مر في الدلالة على فهم عمر للديمقراطية ، كما يريد الإسلام مطلقة ، أنه لما كان في بعض انشقاقاته بفلسطين عرضت له غاضنة ، فزل عن بعيره وخلع لعليه فأمسكها بيده ، غلاض الماء ومعه بعيره . فقال له أبو عبيدة كبير قواده : قد صنعت يا أمير المؤمنين صنعة عظيمة عند أهل الأرض فصك عمر في صدوره وقال : « أواه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ! إنكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأمركم الله بالإسلام ، فهما تطلبوا العزة بغير الله بذلك الله » .

وأعظم مما مر وأحفظ بالمعاني التي لا يدركها إلا المستبصرون ما رواه الفضل بن عبيدة : أن الأحنف بن قيس قدم على عمر بن الخطاب

وفور عقله وسعة حله ، ولكنه أجابه بقوله : الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم أحوال عمر بسيفه .

قال كعب الأحبار :

« زلت على رجل يقال له مالك ، وكان جراً لعمر بن الخطاب ، فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلم الناس » .

وعن الحسن البصري قال :

كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام فقال له الرجل : اتق الله ، فقال رجل من القوم : أنقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر : دعه فليقلها لي ، نعم ما قال ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها » .

نأمل في قوله : لا خير فيكم إذا لم تقولوها ! إنها والله لكلمة من أنبغ الكلمات الاجتماعية ، وهي كما تدل على مبلغ احترام عمر للمعارضة وهي ركن من أركان الحياة السياسية ، تدل أيضاً على تمرد الأمة التي تهييب هذا الركن من الخير . وقوله : « ولا خير فينا إذا لم نقبلها » ، تقرير بأن الحكومة التي لا تطبق المعارضة تكون مجردة عن الخير أيضاً .

أبلغ من كل ما مر في الدلالة على فهم عمر للديمقراطية الحققة ، أنه لما دعي إلى بيت

فها لم ما رأوا وأبوا أن ينفقوا مع من هذه حاله ، استنكاراً لها ، حتى يستأنسوا برأى كبرائهم . فلما رجعوا وقصوا عليهم ما رأوا قال لهم بطريقهم : ارجعوا أدر اجمعكم إنه طلبتنا ، وهذه حلية في كتبنا .

نقول : ليس هذا من سقوط اللمعة ، ولكنها الديمقراطية يضع عمر بيديه أركانها ويشيد بنيانها ، ويقم يقصدوته أهلامها . وإذا كان العظمة معنى يرى بالعين ، فهو ما رآه الناس من أمثال هذا في سيرة عمر عظمة صبر عنها (أمن وكونان^(١)) وإن هذا المعامل الذي كان يلبس ثوباً مرقعاً كانت ترتد غرائص الملوك عند ذكر اسمه .

وخطب الفاروق يوماً قال : يا أيها الناس إني واقف ما أرسل عمالاً^(٢) إليكم ليضربوا أبقاركم ولا يأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وستكم ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي ، فوالذي نفس عمر بيده لأقصينه عنه .

فوقف عمرو بن العاص فاتح مصر واليها فقال : يا أمير المؤمنين أرايت إن كان رجل من أمراء المسلمين أدب بعض رعيته أنئك لتقصينه عنه ؟

(١) طائمان ومؤرخان فرسايان في كتابهما المسمى بالتاريخ العام .
(٢) ولاه .

في وفد من العراق ، قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو مختجر بمبابة ، هنا بعيداً من إبل الصدقة .

فقال عمر : يا أخنث دع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة فيه حق اليتيم والأرملة والمساكين ، فقال رجل : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلاً نأمر عبداً من عبيد الصدقة يكفيك هذا . فقال عمر : يا ابن فلانة وأى عبد هو أعبد مني ومن الأخنث هذا ؟ إنه من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين ، يجب عليه لم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة .

إن عمر رضي الله عنه بقوله من : ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين ، وبتوليته عملاً هو من مهن العبيد ، وبدعوته الأخنث ليعمل معه فيه ، قد ضرب الأرسطراطية ضربة قاصمة لن تقوم بعدها لها قائمة في المسلمين باسم الإسلام قط . وقد تبعنا سير جميع الحكام النابهين فلم نعث على مثال في الديمقراطية يشبه هذا المثال .

وهكذا ثمرات العبقريه تأتي على غير مثال سابق .

ولما أقبل سفراء بيت المقدس لمقابلة أمير المؤمنين عمر ، سألوا أين هو ؟ فأشاروا لهم إليه ، وكان نائماً على الأرض في ظل شجرة ،

فقال الفاروق :

« أى الذى تقص عمر بيده إلى لافضينه
عنه ، وكيف لا وقد رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقص من
نفسه » .

إذا ادعت حكومة بأنها تقيم مبدأ المساواة
بين الناس فلتكن من هذا الطراز المطلق ،
ولا فهى صورة ناقصة لها كآكثر ما نسمعه
هنا وما نراه منها .

الديمقراطية نسوية بمعنى السادة والعبيد :

من أمثلة المساواة التى كان يقيم عمر حكمه
عليها ما رواه الحسن البصرى قال :

« حضر باب عمر سهيل بن عمرو وبن الحارث
بن هنام وأبو سفيان بن حرب فى حضر
من قريش بين تلك الرموس ، وصهيب وبلال
من تلك الموالي (١) الذين شهدوا بدرأ . فخرج
إذن عمر لم يترك أولئك .

« فقال أبو سفيان : لم أر كاليوم قط :
يأذن هؤلاء العبيد ويتركونا على باب لا ينفذ
إلينا .

« فقال سهيل بن عمرو وكان رجلاً ماعلاً :
أيها القوم إلى والله أرى الذى فى وجوهكم ،
إن كنتم غصبا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى
القوم ودعينهم (٢) ، فأسرعوا وأبطأنهم ،

(١) الذين كانوا أرقاء أو أبناء أرقاء .

(٢) يريد دعوا إلى الإسلام .

فكيف بكم إذا ادعوا يوم القيامة وتركتم ؟ .
ومن أجل ما صدر عن الفاروق فى تنفيذ
مبدأ الديمقراطية المطلقة قوله وهو يعود
بنفسه وقد دعى لأن يعهد بالخلافة لمن يثق به :
« والله لو كان سالم مولى أى حذيفة حيا ما جعلتها
شورى . أى أنه كان يهد إليه بالخلافة
ولا يحيلها إلى شورى .

هنا لا نجد عبارة تصور إكبارنا لهذه
الديمقراطية التى تمثل روح الإسلام فى أبدع
وأروع صورة .

وشكا أحد أهل مصر إلى الفاروق ابننا
لعمر بن العاص واليه مدعى أنه ضربه
قائلاً له : أنا ابن الأكرمين . فلما ثبت لعمر
أنه صادق فى دعواه ، أخطاه دبرته وقال له :
« اضرب ابن الأكرمين كما ضربك ، ثم
التفت للناس وقال لهم : متى استبدتم الناس
وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

إد الفاروق لم يرو بما فعل أن يذل ابن
أحد ولاته ، ولكنه يرفع علم المساواة
إلى أعلا ما يمكن أن يصل إليه ، وليس بعد
هذا غاية .

ومن أمثلة حرص عمر على حفظ النظام
ما رواه أبو ساعدة الهذلي قال : « رأيت عمر
ابن الخطاب يضرب التجار بدرة إذا اجتمعوا
على الطعام بالسوق حتى يدخلوا سلكك
أسلم ، ويقول لا تعلموا علينا سائلاً ،

من للشئون ، ولشئون مآزم لا يغنى فيها مجرد
التشدد في تطبيق حرفية المثل العليا ، فلا بد
فيها من تصرف وجداني يضع الأمور مواضعها
وهناك مجال فسيح للعبقرية .

والألم قرر علماء النفس وجود عبقرية
للحكم ؟ أليست أصول الأحكام القويمة
مقررة مرسومة ؟

نعم . ولكن تطبيقها على الحوادث
إلى سبلها القيم ، واستغلال الظروف لمصلحة
الجماعة دون الإخلال بسلطان تلك الأصول
والإفادة من مرونتها في حدودها المقررة
وتعيين مواضع هذه الرخصة وأوقاتها المناسبة ،
كل هذه مجالات تتفاضل فيها النفوس وتجده
العبقرية مكانها العالي منها .

هذه سيرة عمر وأنماطه في الحياة المثالية .

وتلك همه نفس لو أراد بها

شم الجبال لما فرت دواسيها

عباس طه

أليس هذا يعينه ما تكلف به الشرطة
من تنظيم حركة المرور بالمواضع اليوم ؟
فلو كنت شرطيا لبايحت بوظيفتي التي وضع
أساسها أكرم حكام الأرض في أعظم أمة .
قال المسيب ابن دارم رأيت عمر بن الخطاب
يضرب جمالا وهو يقول : حملت جمالك
ما لا يطيق .

فن لي بمن يبلغ جماعات الرفق بالحيوان
أن عمر بن الخطاب سبقهم إلى سن هذا النظام
قبل أكثر من ثلاثة عشر قرنا ؟

وبعد : فإن هذه السيرة التي تتجلى فيها
المثل العليا للحكم في غاية أبتها ، وتطبق
إلى أقصى حدودها ، لا تأتي إلا إذا كان
القائم بها عبقريا .

نعم : إن عمر لم يفعل أكثر من أن نفذ
الأصول التي دونت في الكتاب ، والسنة ،
ولكن تنفيذها على هذا النحو الباهر لا يأتي
إلا من طريق العبقرية ، فهي وحدها التي نلهم
صاحبها المواقف الموفقة في كل ما يعرض له

الوطن

بلد محبته به الشبية والصبا

ولبست ثوب العيش وهو جديد

فلذا تمثل في الضمير وأيته

وعليه أغصان الشباب تيميد

لغويات

للأستاذ محمد علي النجار

البيتين ، وكتاب المزهري ص ٨٣ ، أنضح لي بأن (كذا والصواب أن) صوغ هذه الكلمة بمعنى إنما تأثر بما جاوره من الصوغ الحبشي في العهد الذي قيل فيه البيتان ، إذ أن الجمع عند الأحباش يأتي في الأعم على وزن أفصول . وقد ذكر السيوطي مما جاء على وزن أفصول ثلاث كلمات في العربية ، هي أموذ لقطيع من الغناء ، وأجوش لجبل الحبش ، وأركوب لجامعة الركاب . وكنت أرى أنه لا يمنع أن تزيد كلمة (أموك) على الثلاث التي ذكرها السيوطي ، أو ما يماثل هذه الكلمة . . والأستاذ يسألني بعد هذا مزيداً من البحث في هذه الكلمة .

ويمحق التعريف بالشاعر فهو حجية ابن المضرب الكندي ، والمضرب أبوه بفتح الراء المشدودة لا بكسرهما ، كما جاء في كتاب الأستاذ القدوسي تبعاً لنسخة الأماي ويقول البكري في اللال ٢٠٤ : وإنما قيل لأبيه المضرب لأنه ضرب بسيف عدة ضربات

الأموك :

كتب إلى الأستاذ محمد فكري كمال القدوسي بالقوات المسلحة يقول : « تأد جعدل بيني وبين أحد مدرسي اللغة العربية في المدارس الثانوية بوزارة التربية والتعليم حول كلمة (أموك) التي وردت في قول الحجة بن المضرب يمدح يعفر بن كدعة من ملوك اليمن :

فإن كنت سآلاً عن المجد والملا
وأيّن العطاء الجزل والنائل الفمر
فنفب عن الأموك واحض يعفر

وعش جرد ظل لا يغالبه البحر
أهي مفرد أم هي جمع ، أم هي اسم جمع فيقول الأستاذ متنباً : إنها مفرد ، وحيث في ذلك وجود الألف ، ولو حذفت لكانت جمعاً . وقلت أنا : إنها اسم جمع بمعنى الملوك وبعد الرجوع إلى الجزء الأول من كتاب الأماي لقال ص ٥٢ ، والاطلاع على هذين

اسم الجمع — أى لجمع ملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقال حمير ، . وفى اللسان والاملوك قوم من العرب من حمير . وفى التهذيب : مقال حمير ، . ويقول القالى فى يعفر بن زوعة : « أحد الاملوك أملوك رحمان » ، فيقول أبو عبيد البكرى فى اللال ٢٠٥ : « فالاملوك قبيلة من حمير . وقال الخطابي : « الاملوك واحد . وهو دون الملك ، ويقول السهيل فى الروض الأتق ٢٣/٩ فى مالك الذى هو أبرشمر أحد التباينة ومالك هو الاملوك . وفى بنى الاملوك يقول الشاعر :

فنتقب عن الاملوك واهتف يعفر

وعش جلعز لا ينال به الدهر
وقد قيل : إن الاملوك كان على عهد منوشهر . وذلك فى زمن موسى عليه السلام .

وأظهر هذه الأقوال أن الاملوك مقالو اليمن ، وهم كالولادة ورؤساء الأقاليم . وإذا صح أن الأقوال من صيغ الجمع فى لغة الحبش فالقريب أن هذه الصيغة كانت فى اليمنية إما بالأصالة أو بالاستعارة من الحبشية ، فيكون الاملوك جمعا لملك ، ويكون من هذا القبيل ما ذكره السيوطى ، فالامعوز والاركو ب والاحبوش صيغ يمنية وبقية

فما أحاك فيه . . وزوعة أبو يعفر مدوح الشاعر كأنه زوعة الرهاوى الوارد ذكره فى سيرة ابن هشام على هامش الروض (٢ - ٢٤٦) .

وأقول بعد : إنه جاء فى الحديث : أن الرسول عليه صلاة الله وسلامه كتب إلى أملاك ردمان ، ووردمان : موضع باليمن . وأكثر اللغويين على أن الاملوك مقالو حمير . والمقال جمع مقول ، وهو الأمير دون الملك الأعلى . ويقال أيضا الأقيال جمع القيل ، والقيل أصله القيتل بتشديد الياء فحتمت كما يقال : هتين فى المئين

ومرجع ذلك إلى أن قوله نافذ ماض على رعيته لا يرد . فالاملوك على هذا من المملك فى معنى جمع المملك ، فإن القيتل ملك صغير فى قومه : وقال قوم : إن الاملوك مفرد وهو دون المملك كما ذكره الخطابي فى تفسير الحديث ، وقال آخرون : إن الاملوك هو مالك من تبابعة اليمن ، ويريد الشاعر بقوله فنتقب عن الاملوك . عن بنى هذا التبغ . وعند بعضهم أن الاملوك قبيلة من حمير ، وهذا راجع إلى ما قبله ، فإن المراد قبيلة تسمى باسم أبها الاملوك .

وإلى أسوق إليك بعض النصوص فى هذه الكلمة .

جاء فى القاموس : « والاملوك بالضم :

ولذاذة - بالفتح - : صار شياً ، فهو لذ ولذيد - ولذذته ألد : وجدته كذلك ، يتعدى ولا يتعدى . . ولم أقف في اللغة على ألد من الإلذاذ .

على أن بعض الباحثين يرى صواب اللذ لما يحدث اللذة : وقد جاء في الأساس في مادة رذذ : « وبانت السماء ترذنا وتقول : إن السماء مرذ ، وإن السماء صلد » فهل أنت إلينا مغذ . أراد سماع الحديث والعلم ، لا سماع الفناء . . والظاهر أن الذي أوقع الرغشري في هذا وغبته في السجع وكلفه بالازدواج . فاستعمال اللذ إنما سوغه مشاكلته للرد والمفذه . وبدل على هذا أنه لم يذكر اللذ في مادة (لذذ) . والسجع والازدواج يجوزان ما لا يجوز في غيرهما . وفي حديث (١) ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموذ الحسن والحسين بهذه الكلمات : أعيدكما بكلمة الله التامة ، من شركل سامة ، ومن كل عين لامة ؛ قال أبو عبيد : قال : لامة ولم يقل ملنة ، وأصلها من الممت بالثي . تأنيبه ونظم به ليزاوج قوله : من شركل سامة . وقد ذهب إليازجي في مجلة الضياء ٤٢١/٨ هذا المذهب في تخريج كلام الرغشري . فهو يقول : « استدبره إليه

في المضربة : ويقابل هذه الصيغة في المضربة الأفعال فيقابل الأملاك والأملاك والأحبوش الأحباش وقد جاء عن العينية أبنية لم تعهد في المضربة :

فمن أسماء المواضع عندهم حوريت ، وهو لا يأتي على بناء من أبنية الأسماء التي دونها سيبويه في كتابه ، وفي الخصائص ٢/٣٠٧ : « وأما حوريت فدخلت يوماً على أبي علي - رحمه الله - حين رآني قال : أين أنت أنا أطلبك . قلت : وما هو ؟ قال : ما تقول في حوريت ؟ فلفظنا فيه فرايتاه خارجاً من الكتاب (يريد كتاب سيبويه) . وصانع أبو علي عنه بأن قال : إنه ليس من لغة ابني نزار ، فأقل الحقل به لذلك . . ويريد بابني نزار ربيعة ومصر .

شئ وعنزة

أنكر (١) إليازجي هذا الاستعمال . وذلك أنه يقال : لذت الشيء أي أحسست له شهوة ومالت النفس إليه . ويقال أيضاً : لذت الشيء ، فهو لذ ولذيد وفي الكتاب العزيز في صفة نحر الجنة : يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين . وفي المصباح : « لذ الشيء يلد لذذاذا

(١) انظر اللسان في الم [.

(١) انظر لغة الجرائد ٤٦ .

وجاء قوله تعالى في سورة النور : « يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » ، بفتح الباء من (يسبح) في قراءة أبي بكر عن عاصم ، وقراءة ابن عامر . فالفعل في البيت والآية مبنى للفعل ، ثم ذكر الفاعل مرفوعا بفعل محذوف . وهذا وإن كان الكلام فيه من جهتين فهما كالجمل الواحدة في الاتصال ، فهو لا يختلف عما نحن فيه .

وقد جاء من هذا الأسلوب كثير في الكتاب العزيز . فنه قوله تعالى : « فن أعني له من أخيه شيء فانباغ بالمعروف وأداء إليه بإحسان » إذا أريد بالأخ ولي المقتول ، ويقدره بعض المفسرين : من دم أخيه أى المقتول فلا يكون من بابنا . ومنه قوله تعالى : « قل إنما أتبع ما يوحى إليّ من ربى » ، وقوله تعالى : « أنعلنون أن صالحا مرسل من ربه » .

محور على النجار

قصد التجنيس بين سماء وسماع ، ومرذومته ولذلك عدل إلى تذكير السماء وهى أضعف اللغتين .

فعلونه منسوب منه وزارة التربية :

عاب بعض النقاد هذا الأسلوب ، وذلك أن الفاعل قد حذف حين بنى الوصف للفعل ، وقد ذكر بعد (من) فإن الوزارة هى التى قامت بالنصب ، ففى هذا شبه النقص لغرض الذى ابتدئ به الكلام . وقد قيل : إن هذا ترجمة لأسلوب الفرنجى ناب عن العربية .

ولم أر من نص من القدماء على إنكار هذا الأسلوب . فأما الحذف للفاعل ثم ذكره فقد يكون له غرض صحيح ، ودو الإجمال ثم التمهيل ، وهو من مقاصد البلاغ . وقد جاء قريب مما نحن فيه فى قول الشاعر :

ليُجَبِّك يديّ ضارح الخصومة
وعتبط مما تطيح الطوائح

مَائِقَاتُ الْعَزَائِمِ

”اللَّهُ“ فِي الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَفِي أَقْوَالِ عُلَمَاءِ الْمَقَارَنَةِ بَيْنَ الْأَدْيَانِ لِلْأَسَازِ عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ

من الأمم والجماعات أو الآحاد ، فهو يحفظ لموضوع البحث حرمة وقداسته ويقبل التفصيلات بعد ذلك أو يرفضها على حسب أسانيدهما الإنسانية وظروفها الواقعية ، فيعالجها تارة بمقاييس الغيب المجهول وتارة أخرى بمقاييس الواقع المشهود التي تتردد بين الأنبياء والأفكار .

ومن علماء المقارنة بين الأديان من ينكر الأديان أصلاً ولكنه يؤمن بصلاحيها لسياسة الأمم وتعمية النفوس ، ومنهم من ينكرها أصلاً وينكر فائدتها وصلاحيها ، بل يرى أنها خدعة مقصودة وغير مقصودة يخترعها الرؤساء وتمالئهم على اختراعها البدئية الشعبية فلا تستحق بعد فوات الخدعة غير التفتيد والتجريح .

وهؤلاء المنكرون جميعاً يبحثون العقيدة غير معتقدين ، فيخفي عليهم جوهر العقيدة في صميمه ولا يتأقن لهم أن يحكموا على شيء مجهول أو إحساس لا يشعرون به حكماً يصدر عن فهم وادراك محيط ، فإنهم

علماء المقارنة بين الأديان ، يسمى علماء مع الحيلة المتفاهة عليها بين الباحثين والقراء لأنه من المصروف التي يقيمها المشتغلون به على أسس مختلفة كاختلافهم في العقيدة الدينية وفي النظر إليها .

فمن علمائه من يؤمن بعقيدة يصدقها ولا يصدق غيرها ، فهو يتدنى البحث بحكم قاطع على العقائد الأخرى يحرم تكذيبها قبل الموازنة العلمية بين أدلة التصديق وأدلة التكذيب .

ومن علمائه من يؤمن بعقيدته ويؤمن بصدق العقائد الأخرى في أوقاتها ومناسباتها ، ويرجع بالخطأ والنقص فيها إلى انتهاء زمانها أو إلى عوامل التشويه والتبديل التي طرأت عليها ، فهذا العالم يواجه البحث مفتوح العينين مستعداً لقبول الحسنة والسبئية ولكنه يرتبط بنتيجة سابقة لا يسمح للخدمات أن تذهب به إلى نتيجة غيرها .

ومن علماء المقارنة بين الأديان من يؤمن بالغيب ويؤمن بالإله ، ولكنه يحكم على الأديان كأنها أعمال إنسانية تنافس بمقاييس النظر إلى الرسل والأنبياء وإلى التابعين لهم

الخلول والتبدل والاعتراض .

وفي هذا الكتاب تابعت تراجم أرباب الديانات المجوسية والصينية واليابانية ، ثم انتهى الكتاب بالكلام على « الله » بعد الكلام على « يهوا » كما يصفه كتاب العهد القديم ، فكانت فائدة الكلام على الإله في العقيدة الإسلامية أن الاعتقاد به غير مستعار من ديانات الأمم الأخرى ، وأن الدعوة إلى الإيمان بالله كان يمكن أن تظهر حيث ظهرت ولولم تدخل الجزيرة العربية عبادة من خارجها ، لأن وحدانية الله في الإسلام لم يسبقها مثل لها في صفة الوحدانية التي لا هوادة فيها ولا في غيرها من جملة الصفات المستفادة من أسماء الله الحسنى .

ولا حاجة إلى بيان الخلاف بين المفهوم من صفات الله في عقيدة المؤمن المسلم وبين المفهوم من هذه الصفات في هذا الكتاب ، ولكن المؤمن المسلم لا ينتظر من غير المسلمين ولا من الكتابيين بهذا الأسلوب الذي يسوق الدراسات مساق القصة فسكرة عن « الله » هي أقرب إلى « الاحترام » من فكرة الله في كتاب تراجم الأرباب .

إن « الله » الذي يدين به المسلمون لم يخلوهم في حياة البادية ولم يتركهم في حياة الحضارة الممزجة من بقايا الدول الفارسية والبيزنطية التي انتقل إليها المسلمون بعد انتشار الإسلام في الأقطار الآسيوية والإفريقية ، وقد وصل إلى أبعد أقطار العالم المعمور في هذه القارات قبل انتهاء

من يحكم على الكائن الحي بعد وصوله إلى مائدة التشریح معقود الحياة ، فلا يخلو حكمهم من النقص الذي يتعرض له كل حكم على مجهول غير محسوس به على وجه الذي يتم به وجوده في عالم العمل والحياة .

ومن أولئك الباحثين من يقارب موضوعه كما يقارب الشاعر موضوع ملحمة تاريخية يؤمن بحدوثها إيماناً لا شك فيه ولكنه يتصوره كما يتصور ملاحم البطولة بين الجمار والخيال والواقع ، فلا يعرضها ليقول للقارىء هل يؤمن بها أو يرفضها ولكنه يعرضها ليشهد القارىء ما فيها من بواعث الروعة والجمال وما تحده في الخواطر من دواعي الشعور والتأثير ، وهؤلاء الباحثون يقرأهم القارىء فلا يحاسبهم بحساب الدين ولا بحساب العلم ، وإنما يحاسبهم بحساب الأسلوب ، أو بحساب العرض الفني ، ولا يعطيهم من العناية فوق هذا المقدار .

من هؤلاء الأخيرين الأستاذ استاس هايدون Eustace Haydon صاحب كتاب « تراجم الأرباب » Biography of the Gods وقد كان أستاذاً لعلم تاريخ الأديان بجامعة شيكاغو عند تأليف هذا الكتاب ، ويظهر أسلوبه وموضوعه من عنوانه القصصى ، لأنه يتكلم عن حياة الإله المعبود كأنها ترجمة تبدأ بظهور الديانة التي تدعو إليه وتتقدم بين النشأة والشباب والبقاء أو الزوال على حسب مصير الديانة من الشيوخ والانتشار أو من

أحيانا كلما حاول تصوير الظروف الطبيعية، والاجتماعية، التي يفسر بها ثبات المسلم على الإيمان بالله أحد (لم يك ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ولكنه يعود حيناً بعد حين إلى عناصر قوية تكن في ذلك الإيمان وتبيّن له أسباب النجاة من الشكوك والبدع التي لانسوقها قلبيات الزمن وعوارض الاحتكاك بالحضارات الأجنبية، وهذه العناصر القوية هي التي أنجدته مرة أخرى بعد محنة الفلسفة اليونانية عندما واجهته العصور المتأخرة بمحنة كبرى لا تذكر محنة الفلسفة اليونانية بالقياس إليها، ففي هذه العصور المتأخرة استطاع الضمير الإسلامي أن يخرج للمحنة الجديدة أنداداً لها من المفكرين المؤمنين خلعاء الغزالي والأشعري وورثة الحكمة والتصوف وأعلام المحافظة والإصلاح، وأعظمهم الإمام المصري الشيخ محمد عبده، فإنه حفظ العقيدة الموروثة دون أن يمس بها وجدد الإيمان بالله الإسلام الترمذي بلا أول ولا آخر، فرداً لا مثيل له في قدرته وكأله، حياً عالماً مريداً ميمعاً متكلماً بصيراً، ينجيل إلى من ينظر إلى هذه الصفات لأول وهلة أنها حكاية معادة من بقايا الماضي، لولا أن الشيخ محمد عبده ينفذ عن الدين ما علق به من جود القدرية ويقرر نصيب الإنسان من التبعة وواجه في إصلاح العالم معتمداً على عون

المائة الثانية من تاريخ قيام الدعوة المحمدية . وفي خلال هذه الرحلات المتباعدة لقي المسلمون عقيدة الفلسفة اليونانية القديمة ، وسمعوا بالله بسميه أرسطو السبب الأول ، ويقول الأفلاطونية الحديثه إنه بكل تدبير العالم الأرضي إلى فيض بعد فيض من خلأته العليا حتى ينتهي إلى ما دون فلك القمر فيتصل بعالم المصاد على بعد ومهل عبادته على الأرض إلى حين ، ريثما تعود عقولهم الميولانية إلى الاتصال بعد الجهاد ، بالعقل الأول مصدر هذه الفيوضات .

ولو أن معبوداً آخر فهم المفكرون من عبادته أنه لا يصد أن يكون ، سبياً أول ، أو حلة رياضية بعيدة عن هذه الحياة الإنسانية لما بقيت لعبادته بقية في عقول قراء العلم والفلسفة ، ولأصابه ما أصاب المعبودات المهجورة من (الأنيميا) القائلة للأرباب الباطلة على حد تعبير الكتاب

ولكن الفلسفة اليونانية لم تزجزع عقيدة المسلم المفكر في (الله) بل استطاع الضمير الإسلامي أن يخرج لتلك الفلسفة أنداداً لها من المفكرين على طريقة الإمام الغزالي : برأس فيلسوف ، وقلب ناسك ، أو على طريقة الإمام الأشعري بتسليم صاحب البحث وبحث صاحب التسليم ، فخرج الإيمان بالله وصفاته المتعددة سليماً ، منزّه الوحدانية بعيداً من شبهات العلاسفة وأنباع الزندقة المشنوية ويتخلل الكتاب خلط كثير يخرج بالسخافة

على السيف في نشر الدعوة وأوصاف النعم
السموية في الدار الآخرة .

وقد يكفى لإسقاط هذا الرأي ما أئمتنا
إليه من استحالة تفسير العوامل المتناقضة
بعلة طبيعية واحدة ، أو يكفى لإسقاطه
إحصاء المسلمين والمقابلة بين عددهم في البلاد
التي فتحت بالسيف ، والبلاد التي لم تحارب
المسلمين ولم يجاروها ، أو إحصاء هذه
الداخلين في الإسلام على أثر الفتح وعدد
الداخلين فيه عتارين بعد ذلك بمصو ومطابقة
ولكننا نكتب هذا المقال بين مصالم شهر
رمضان ونقتنع منه بصيغة واحدة تدل على
حكم الإسلام في مسائل الحس وواجب المسلم
نحوها ، ولا تحتاج إلى دلالة أخرى لتقرير
موقف الإسلام بين الحياة الروحية ، والحياة
الجسدية ، وتلك الصفة هي تخصيص شهر
كامل من شهور السنة ، تقوم فيه حياة المسلم
خلال هذا الشهر على حكم شهوات الحس
وإخضاعها للإرادة في أقوى مطالب الجسد
من طعام ومتاع ، وهي فريضة نعم المسلم
واجبه في سائر أيام حياته ، وتعلمه أنه
صاحب ضمير يملك زمام نفسه ويأخذ من
الحس بما يشاء الإنسان العاقل المرید .

وكل فريضة من فرائض الإسلام هي في
الواقع صورة أخرى من صور هذه الرياضة
العامة في جميع أوقات الحياة فالمسلم لا يقف

الله له في إقامة النظام الاجتماعي الصالح والقيم
الأخلاقية الملائمة لذلك النظام .

• • •

ومن متاعب علماء المقارنة بين الأديان من
يعولون أولا وأخرا على طبيعة الأرض
والسكان في تعليل العقائد أن يعطوا هذه
القوة - قوة العقيدة الإلهية في الإسلام - بعلة
طبيعية يتواضعون عليها ويطبقونها على سائر
العقائد ، إذا كان المسلمون قد انتشروا في
بقاع كثيرة بين أُمم مختلفة في أزمنة متفاوتة
فلا تصلح العلة المتفرقة بين هذه البقاع
والأزمنة لتعليل عقيدة واحدة ، ولا معنى
للتفسير إذا اشتركت جميع هذه العلة في أثر
واحد ...

ولكنهم - على وضوح الخطأ في الاستناد
إلى سبب طبيعي واحد لتفسير هذه الظواهر
المتعددة بتلافون عند وجهة يكررونها على
نحو متشابه ، ولا يقع الخلاف فيها كثيرا
بين مدارسهم المتناقضة ، ومنها المدارس التي
تعطى الأديان حضا من أدب الرعاية والاحترام
والمدارس التي تستخف بأسبابها ونتائجها ،
ولا تتكلف لها ما ينبغي لموضوعها من الثبوت
والإمعان في المراجعة والتحقيق .

تلك الوجهة الواحدة هي غلبة العوامل
الجسدية ، على عقائد الديانة الإسلامية ،
وبرهان هذه الفلسفة الحسية عندهم هو الاعتماد

يتبين للنظر فيها كلها قابل بينها وبين الحقائق الثابتة من تاريخ الإسلام ، فلا مناص من تغييرها أو تغيير التاريخ الثابت الذي لا يتكرونها إذا عادوا إليه بالتمحيص النزيه .

إذا صدق علم المقارنة بين الأديان هل أسس الأسباب الطيحية التي تفهمها مدرسة التعليل الطيحي وجب أن يكون اعتقاد المسلم بالله كاعتقاد (بشيخ عربي) كبير تضاعفت قواه الحسية من النسبة التي تكون بين رئيس قبيلة وبين رئيس الخلق جميعا .

وصاحب الأمر والنهي في السموات والأرضين .

ولكن علم المقارنة بين الأديان لا يصدق الحكم في هذه القضية ، لأن الله ، في عقيدة المسلم ينسخ آداب الشيخ العربي القديم وأولها العصية وإثبات الآل والبنين . وأين يجد الباحثون أثرا من آثار الشيخ العربي في مصبود سرمدى لم يكد ولم يولد ولا فضل لأحد من العالمين عنده بغير التقوى ، وليس يحب العدوان والمعتدين ولا يأمر بغير البر والإحسان .

فإن دليل المقارنين بين الأديان ليتخط في طريق مضلة لا تهديه إلى شيخ ولا إلى شيء لأنه يولى وجهه إلى قبلة غير القبلة وعلى سبيل غير السبيل فإذا أدار وجهه عنها فأينما يول ثم وجهه الله .

عباسي محمود المقاد

بين يدي الله خمس مرات في اليوم ليكون (مخلوقا حسيا) مستغرقا في مطالبه الجسدية ولا تجب عليه الزكاة لأنه (مخلوق حسي) ينتقاد لطعام النفس وشهوات الجسد ، وليس الحج بواجبه عليه لأنه (مخلوق حسي) يستسلم للدعة ويطمئن إلى الراحة ويحجم عن مشقة السفر وبذل المال والتضحية بشيء منه وهو مرتحل أو مقيم ، بل هو لا يشهد بوحدانية الله ليشرك معبودا آخر مع الله يتمثل في عبادة الدنيا والاستسلام لقوانينها على وجه من الوجوه .

إنما العقيدة الإلهية في الإسلام عقيدة حسية روحية كما ينبغي أن نكون كل عقيدة يؤمن بها كائن حسي عاقل له جسد وروح .

والله خالق الحياتين ومناخ السعادين في الدارين ، فلا ينبغي أن يكون قوام عبادته مسخ الجسد وازدراء الدنيا ، ولا أن يكون قوام عبادته تسليم الدنيا للشيطان والابتعاد منها كأنها من عمل عدو لله وليست من عمل الله ولا من نعمه التي ارتضاها لعباده بتدبيره وهدهداه .

ونختتم هذا المقال كما بدأناه فتعبد في ختامه أن علم (المقارنة بين الأديان) يسمى علما مع الحيلة ... لأنه معارف شخصية يقيمها المشتغلون به على أسس مختلفة ، ولكنا نعیده لتضيف إليه شاهدا من الشواهد المحسوسة ، على وجوب الحيلة في تناول آراء الباحثين في هذا العلم ، فإن بها نقصا

مَحْنًا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

نَجْدٌ

لِلأُسْتَاذِ حَسَنِ جَادٍ

مَبْعُوثِ الْأَزْهَرِ بِالرِّيَاضِ

تلك الرِّياضُ وهذه نَجْدُ	الشَّعْرُ والتَّارِيخُ والمَجْدُ
ماضٍ العروبة في مفاخرها	وعلى رُبَّها دُفُوفُ الحُدُ
وأرومة الفصيحى وقد درجتْ	في حَجَرِها وصفا لها الورْدُ
سُبَّ البَيَّانُ العَبْقَرِيُّ بها	فرعته وهي لعَبْقَرٍ مَهْدُ
وعلى ثراها من مشاعره	هطل الحيا وتفجسر الصلْدُ
عُصْمٌ إِذَا (شَمْلَانُ) رَنَجَها	صفت الرُّبَا وتلفت الوَهْدُ (١)
يا نَجْدُ أين صباك مُلْهِمةٌ	للشَّعْرِ وهي رَقِيقَةٌ رَوْدُ (٢)
مُسْكِيَةٌ النَفْحَاتُ ضَمْنُها	العَمِيرُ المَنْضُورُ والرَّندُ (٣)
والبرق حَزْزٌ لِحَفَقٍ وامضه	فَلَمْ المَشُوقُ فَكَادَ يَنْقُدُ
كَمْ نَشَاءُ الظُّهَارِ مُدَّ كَرَأُ	وتوهته حُلِيِّها الحَوْدُ
وشمِيمُ ذِيَاكِ العَرَارِ وَقَدْ	رَقَّ العُشَى وراقِ يا نَجْدُ
طارتْ إِلَيْكَ بَنَى مَجْنَعَةٌ	كأَلْبَرِقٍ أَعْجَلَ وَمَضَى الحَفْدُ (٤)
وصكبتْ سَرَاةَ الرِّيحِ مَلْجَمَةٌ	فَعَنَّا الْجَلْجَاحُ وَذُلِّلَ القَوْدُ (٥)

(١) الوعد : الأوامر للخطبة . شملان : جبل بنجد . (٢) رود : لغة .
(٣) العمير : النرجس أو الياسمين - الرند : شجرة طيب الرائحة .
(٤) الحفد : الإسماع . (٥) السراة : الظهر . والقود : القيادة .

تطوى الفضاء فلا يعوقها
وتشق جيب السحب مائتة
تنفض جراحة قلب صعدت
وكأنما الجبل الأشم يرى
حتى أظلتنا سماء ربا
يا ساهر الأشواق أرقه
يصبر لأهل بصر وقد
أقبلت من وطن إلى وطن
أهلوه أهلونا يظلمنا
هوّن عليك فنت مغرباً
سبق الخيال إلى مطارحها
كم قد ضدا والصبح منبلح
ولكم حكى عنها وصورها
حملت صباها منه راوية
وعلى ضفاف النيل سائر
اليوم رأى العين نبصرها
وعلى رمال البید لاح لنا
مشت الحضارة في جوانبه
وبدت حواشيه مطرزة
يجلو (الرياض) على ترائبه
ثمناً بواذخ كلما نهضت
طلعت نجوم الكهرباء بها

بحر طغى موجا ولا طود
وأزبها في جوفها رعد
فُسده لم يخطه الفسد^(١)
منها كتيب رملته مهد^(٢)
في ظلمها يتروح الجهد
طول الحنين وشفه الوجد
شط المزار وأوغل البعد
حزن فلا بُغض ولا حقد
علم ويجمع بيننا الود
تلك الديار لنا بها عهد
شوقا وطار بأفتها يشدو
وسرى وجنح الليل مُرَبَّد
فكأنها لعيوننا تبدو
يحده من نفحاتها الند^(٣)
قد شافه الإنشاد والسرود^(٤)
بعد الخيال ويصدق الوعد
واد فسيح الأفق مُمتد
فصبا إليها السهل والنهد
فكأنه من وشيها يُرود
رُحنا وطيداً ليس ينهد
عصاء مها طالها نُد^(٥)
وزانت الشرقات والعُمد

(١) الجراحة : واحدة الجوارح وهي سباع الطير . وللدود : السم

(٢) الهد : الأرض المتوية . (٣) الند : الحبيب والغدير .

(٤) السرد : جودة سياق الحديث .

(٥) طالها : قلبها في الطول . والند : الدائل ، والمراد بذلك قصور الرياض وعماثرها الفخضة

وترى الموارق في طرائقها
مجنونة الأبواق نافرة
أين النواحي في مفاوزها
أنا من صبا اليد يأسره
ومحكونها ذاب الضجيج به
ومساوفا الساجي يهيم به
ونجومها حياً على نبج
ورمالها تبر يفضضه
وغياؤها السجواء قد سطت
والنساء والراعي وممزقة
قف سائل الطلل المحيل بها
أين المهمل في ملاعبها
وحل (عيزة) أو بنى حُسم
بنا باني الليل كيف ترى
كم ضاق قبلك ذو القروح به
نأما بليـل ما لأوله
أغنى به الأعشى وكان بها
مُشدت أنامله حل وتر

زُمرأ ينوء بمصرها المد (١)
فصرَ الظباء يروّعها الصبيد
فُلصاً وأين عتاقها الجرْدُ (٢)
منها قضاء ماله كحد
إلا رسمُ النوق والونحد (٣)
سارى الخيال ويُقدحُ الزند (٤)
والليل مدَّ عجايبه المد (٥)
بعد الأصيل من الضحى وأد
فيها الحياة وأسعف الجدد
والشيخ والقيصوم والمرد (٦)
إن كان فيه لسائل رد
غزل الشباب يروح أو يفسد
كم شدة وهو الفارسُ الجدد (٧)
ليلا ليوم الحشر يمتد (٨)
في (أحمد) وأمنته السُّهد
من آخر أو يأتي الوعد
صناجة بصرى الدهى تحدد
بطويه في (منفوحة) الحُد (٩)

- (١) انصود الموارق : السيارات الكثيرة الصاخبة الأبراق بمدينة الرياض .
(٢) النواحي : جمع ناحية وهي اللافة تنجو راحتها وتجتاز للماز . والفلس : جمع فلوس وهي الشابة القوية . والعتاق الجرْد : لحيل الأصبة . (٣) الرسم والونحد : نوحان من سير الإبل .
(٤) الساجي : الكسك المدي . والزند : ما يقدح به الدرر . والمراد بفتح القريحة وتوقدها .
(٥) الحب : ما ينعو للقاء من قاذبج والتبج : وسط لواء أو اضطرابه .
(٦) اللرد : النفس من ثمر الأراك (٧) عيزة وذو حسم من مواقع حروب البوس .
والجدد القوي (٨) كان النافذة وذو القروح (وهو اسم الفيس) مشهورين بالذكورية
من طول الليل . والمراد بإليل الآخر للوقت .
(٩) منفوحة : قرية بجوار الرياض بها قبر الأعشى وكان يسمى صناجة العرب فبنى بتمره .

أنيك البيان الحُرُّ منذ نما
مازلت في الإسلام حلبة
حتى أظلك بعد منية
فالتبع شمعٌ وغاض دافقه
والجمل أطفأ من خرافته
ثم انتبهت على كجالة
فلى (عينة) كيف ردهما
(والدماعية) كيف دن بها
دفع حبسه حين لاذ بها
والشرقية الهدى سند
تقوى السيوف الفاتحات به
والملك عالم يستقل على
قد ينهر الشعب الجريح إذا
ويعود مرفوح اللواء وما
والعبدُ حُرٌّ من تخلفه
نقلُ البُدلِ بكل مخترع
أعماه عن نور الهدى صلف
أبين السعادة في مدمرة
قالوا : السلام فقلت : ينشده
وبكوه موموداً ومن عجب

في الجاهلية عُصْنُهُ المله (١)
وبه تدفق نبئك المد (٢)
ليلُ الخنول وأطبق الرعد (٣)
والروض جفٌ وصوح الورْد
نور العقول فأبهم القصد
للبعث يطلقها قى نجد (٤)
مثل الأذان إمامها الفرد (٥)
صوتُ البشير ورفرف البند (٦)
وجنودها لرائه جند
والدين نعم المون والأيد (٧)
وبدعوة الإصلاح تشد
أسس من الأخلاق ينهد
لم ينطق من دوحه الوقْد
لمضيح أخلاقه عمود
والحرُّ من شهواته عبد
يُشقق الحياة ورُوحه صل (٨)
وأضله الإلحاد والمجحد
تفتق ؟ وأين العيشة الرعد
يا للأسى أعداؤه الد
يحبكه من يمينه الواد

(١) للهدى : النام العين . (٢) المد : الكثير للباء . (٣) الرعد : النوم

(٤) النجد : الشجاع ، وللقصود به هو الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب « الذي نهض
بدعوة الإصلاح الديني في نجد بعد ردها للطوية في ليل الجبل والحراقات ، وذلك حوالي عام ١١٤٠هـ »

(٥) عينة : هي البهة النجدية التي انبثت منها صوت إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب .

(٦) الدامية : هو الأمير سمود الذي ناصر دعوة الإمام « ابن عبد الوهاب » - البند الم الكبير .

(٧) الأيد : القوة . (٨) صل : متعبر .

مدينة تُخَدِّعُ الغريرُ بها لي في بريق طلائها دُهمدُ
قلبي أُنْقَضَتْ النفوسُ به وتوقع الشرُّ مُمْتَدُ
وصراعُ غائب من شريعته أن يثبته بأعزل ورؤدُ (١)
ولربما جمر الخرابِ على دنيا الخلاق أحق وغدُ
السيفُ لم يمتد حامله بمقيدة أولى به الغمدُ
والعلمُ ذو حدين : نافعه حدٌ وجانبُ شره حدُ
إِنا ودينُ الله عدتنا لنا بغير الله نعتد

• • •

زمنٌ أَدَّلك في تداوله لجرى عليك النحر والسعد
والدمر صفو بعده كدر والعيش صاب بمده شهد
قد أَدَّمن الفجر المظنُّ فلا يحجبك عن أضوائه سُدُ
صُبحُ العروبة لاح بعد دُهي من ليها وتبين الرشد
لُغْذَى مكانك في انتفاضه نهضَ الأسير وُحِّلِمَ القيدُ
قوى انهضى وأبى ولا تهنى حكما يعود لأرضنا المجد
حيا صباحُ هلاك مُطْلِعِهِ وله التناء الميم والحمد
(وسقى ديارك غير مفسدما) غدق عيمُ السَّحْ يا نجمد

صلى جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

ومبعوث الأزهر (بالرياض)

الكتاب

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - تاريخ الإسلام في الهند:

للأستاذ عبد المنعم النمر

وحضارتها ومراحل الغزو الأجنبي منذ الغزو الآري إلى قبل الميلاد بقرون طويلة إلى الغزو الانجليزي الأخير ، ثم تحدث عن الأدبان العديدة التي استقرت في الهند قبل الإسلام ، وأبرزها الهندوكية والبوذية وعن تسرب الإسلام عن طريق العلاقات التجارية وعن فتح الإسلام للهند على يد الدولة الغزنوية وبطلها الفاتح محمد الغزنوي وأواخر القرن الرابع الهجري إلى أن صنى الاستعمار الإنجليزي هذا الحكم الإسلامى في متوسط القرن التاسع عشر .

وعرض المؤلف لمزايا الحكم الإسلامى في الهند ، حيث استقر العدل والسلام والأمن وغرس فيها ضروما من الحضارة في أرق أطوارها ، كما عرض لنماذج من البطولات الإسلامية التي صنعت بسواعدها أروع ما عرفته البشرية من الفداية والتضحية .

وختم المؤلف مؤلفه الذي جاء في دهاء خمسمائة صفحة ، يبحث عن الثورة الهندية

للإسلام والمسلمين تاريخ حافل في الهند استقر هناك خلال أكثر من ثمانية قرون ، والأستاذ عبد المنعم النمر المدروس بالأزهر الشريف حين كان مبعوثا للوتمر الإسلامى والأزهر في الهند عام ١٩٥٦ جعل هدفه أن يكتب تاريخ الإسلام في الهند ، حيث المراجع مبصرة والآثار الإسلامية قريبة منه والعلماء المؤرخون الهنود من المتأخرين لا زالوا على قيد الحياة .

ونحن نتعجب مع المؤلف لهذا الإهمال في العناية بتدريس تاريخ الإسلام في الهند ، في الوقت الذي نغنى بتدريس تاريخ أوروبا والغرب المزدحم بالصليبية الحقاء .

لقد قدم المؤلف لسفره الضخم يبحث ألقى أعضاء على الهند عامة تشمل أوضاعها السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية

الماجستير للؤلف والشطر الآخر دراسة مطولة للشاعر والديوان معا ، وفي هذا المؤلف جعل دراسته ذات شطرين :

الأول عن ابن الدمينه الرجل ، والآخر عن ابن الدمينه الشاعر ، وجعل الشطر الأول في فصلين ، أولهما عن مصادر ترجمة ابن الدمينه وقيمته التاريخية يعتمد في الحديث عن حياته على أساس نقدي صحيح ، والآخر عن حياة ابن الدمينه نفسها . وأما الشطر الثاني من الكتاب فقد جعله المؤلف في ثلاثة فصول ، عن رواة شعر ابن الدمينه وتدوينه ، وعن اختلاط شعره بغيره ، ثم عن أغراض الشاعر الشعرية ومذاهب فيها .

وابن الدمينه شاعر عربي ينتمى إلى قبيلة خشم ، ولكن مولده ووفاته مقتولا مجهولان اضطربت في إثباتهما آراء المؤرخين ، وبذل المؤلف المحقق في هذا الصدد جهوداً ضخمة مضيئة ، وخرج بأن الشاعر لم يكن إسلامياً ولا من محضرى الدولتين الأموية والعباسية وإنما كان شاعراً عباسياً محدثاً .

وحقق الأستاذ النفاخ شعر الشاعر تحقيقاً دقيقاً عميقاً ، وقد اعتبر - كما ذكر في المقدمة - أن الشطر الأكبر من شعر الشاعر جاء نسياً عذرياً وهو الذى اختلط بشعر غيره ، وأما الباقي فقد جاء نسياً مشروباً بموضوعات وصفية

عند النفوذ الإنجليزي في مايو عام ١٨٥٧ حيث استمرت أربعة شهور ، استقرت بعدها السيطرة الإنجليزية التامة على شبه القارة الهندية وانهارت آخر لبنة في الحكم الإسلامى .

وفي هذا البحث الأخير قدم المؤلف وصفاً دقيقاً للوحشية الإنجليزية خلال الثورة الهندية ومهما بحثت عن مرافقات الغنصه والنذالة والهمجية في قواميس اللغة بأسرها ، فلن تنق بما هو أهل للوحشية الإنجليزية الفذرة ولقد تجلت وقاحة الإنجليز في معاملتهم بعد إحداث الثورة لآخر ملوك المسلمين (جهادور شاه) وأبنائه ، بما يحمل عن الوصف ، ولا تحمله الأعصاب .

والواقع أن الأستاذ عبد المنعم الفرقدمنح المكتبة الإسلامية العربية مؤلفاً كانت في صميم الحاجة إليه ، حيث سد فراغاً كان لابد أن يملأ ، كما أدى إلى جانب مهمته - كبعوث للأزهر والمؤتمر الإسلامى - واجب الوفاء ، فقد حقق هذا أديباً دينياً ، وليست مجرولينا في شق البلاد الإسلامية يقتنون به فيستطيعون أن يسدوا التاريخ والإسلام أجل الخدمات .

...

٢ - ديوان ابن الدمينه :

للاستاذ أحمد راقب النفاخ

تحقيق هذا الديوان شطر من رسالة

سيا في تحرهم من تفوذها ومعرفتهم لمصادرها ومواردها .

وللأستاذ مالك مجموعة من المؤلفات القيمة اختار لها عنوان : مشكلات الحضارة ، وبحوثه جميعها ربطها دائماً بالثقافة الإسلامية ، ويقدمها ناضجة وافية ، تبدو عليها هندسة البناء ، فأصبحت تؤسس مدرسة على مستوى أعلى في الأفكار الإسلامية ..

وكتابه هذا « وجهة العالم الإسلامي » دراسة عميقة ، قسمها إلى ستة فصول :

يجمع ما بعد الموحدين ناقش فيه نظرية الظاهرة الدورية ، وقدم إنسان ما بعد الموحدين ، والاتصال الأول بين أوروبا والإسلام ، والفصل الثاني : النهضة وناقش فيه « حركة الإصلاح » التي بدأت بكتب ابن نيمية وكانت الحركة الوهاية امتداداً لها ، ثم جاءت عقلية جمال الدين الأفغاني التي كان هدفها الأول تقويض نظم الحكم الموجودة آنذاك كيما يعيد بناء التنظيم السياسي في العالم الإسلامي على أساس الأخوة الإسلامية ، أما هدفه الثاني فهو مكافحة المذهب الطبيعي الذي كان متفشياً ، كما ناقش في هذا الفصل « الحركة الحديثة » التي ليس لها في الواقع نظرية محددة كما يذكر المؤلف - لافي وسائلها ولا في أهدافها ، وهي لم تنجح نحو الأعمال بل اتجهت إلى الأشكال ، كما لم تأت بمناصر

من أغراض أهل البادية ، ثم ألم ببعض عيوب القافية في شعر ابن الدميني ، وتناولها بالتحليل والتفسير .

إن الأستاذ النفاخ أديب متعمق من الإقليم الشمالي ، وفي تحقيقه لهذا الديوان قدم للكتابة أثراً أدبياً له قدره ، والتقدير اللائق به ليس لأنه حقق ديواناً ، وإنما لأنه اختار شاعراً مغموراً لم تتفق روايتان على تاريخ مولده ووفاته والمصر الذي طش فيه ، ولذلك بذل مجهوداً مضمناً وحسبنا دليلاً هذه الأمهات من المراجع الأدبية والتاريخية والخطوط والمصحات وهي مائة وستون مرجعاً أثبتنا في تحقيقه عدا غيرها بما ضاق به الحصر ، ومع هذا فالأديب النفاخ يرى أن بين عمله وبين ما يريده لهذا الديوان بونا بعيداً ، وهو يأمل أن يجد من آراء الزملاء الدارسين ما يمين على استكمال أسباب التحقيق وفوق كل ذي علم عليم .

٣ - وجهة العالم الإسلامي :

للأستاذ مالك بن نبي

ترجمة الأستاذ عبد الصبور شاهين

الأستاذ مالك بن نبي أحد أبناء الجزائر المناضلة ، وهو من المفكرين القلائل الذين نشأوا في أوروبا وأقتوا زهرة شبابهم في طلب العلم هناك ، وكان تعمقهم في الثقافة الأوروبية

في الدفاع عن الإسلام ودحض المفتريات التي ألحقها بالإسلام - عن قصد - بعض المستشرقين الموقورين ، وأخرج للكتابة الإسلامية عدداً من المؤلفات الجليلة .

وفي هذه الرسالة عرض المؤلف لمناقشة المعجزات وطنايع الإسلام والإصلاحات الدينية إزاء حركة مصطفى كمال أتاتورك ، كما عرض المؤلف لمسائل : الحمر ، والوسيلة ، والعلم ووضعه في الإسلام ، وتعدد الزوجات وغير ذلك ، وفي كل مسألة يتقن عن الإسلام الأباطيل التي صاغتها الأهواء .

ويقدم المؤلف لرسالته بأنه لا عدوان في الإسلام . وأن وصية الله لنا معشر المسلمين ألا نعتدى على أحد مسلم لنا . أما أهل السوء الذين لا يتمسكون بهاجون الإسلام بالأباطيل ويحاربونه بالمفتريات فليس علينا جناح بعد ذلك أن نظهر من نوع سلاحهم ، ونُدفع عن بيضة الإسلام بهتانهم فواحدة بواحدة والبادي أعظم .

والواقع أن السيد ناصر الدين دينيه ، وهذا هو الاسم الجديد بعد اعتناقه الإسلام ، ناقش بنفس الزيف في بعض العقائد ، وكان لكتبه أثر بالغ سواء في فرنسا مسقط رأسه ، أو في الجزائر وطنه الثاني ، والذي أوصى أن يدفن فيه وقد تفتت وصيته

عام ١٩٢٩ م - محمد عبد الله السوادي

ثقافية جديدة لعدم انفصالها الواقعي بالحضارة الحديثة .

وفي الفصل الثالث تحدث المؤلف عن فرضي العالم الإسلامي الحديث وعواملها الداخلية والخارجية ، وفي الفصل الرابع عن فرضي العالم الغربي ، وفي الفصل الخامس عن الطرق الجديدة لبناء النهضة الشاملة ، وفي الفصل السادس عن بواكير العالم الإسلامي التي تبشر بمستقبل زاهر ، وختم المؤلف كتابه ببحث موجز عن السكال الروحي لعالم الإسلام .

والحقيقة التي لا نكران فيها أن الأستاذ مالك بن نبي ووثيق الصلة بالثقافة العربية ، ووثيق الصلة بالأفكار الحديثة ، وواسع الاطلاع إلى درجة تفوق الوصف ، وهو مؤلفاته يعنى بالتخطيط الهندسي والتعمق في الدراسة ، والواقعية في معالجته للمشكلات والقضايا .

٤ - أشعة فاضلة بنور الإسلام :

للسيد إيتين دينيه

ترجمة الأستاذ راشد رستم

هذه الرسالة هي العدد السابع عشر من سلسلة الثقافة الإسلامية ، أما المؤلف فهو فنان فرنسي طاش زهرة شبابه في خضم الفكر الإسلامي ، وبعد بحث وروية وثيقين وتفكير أعلن إسلامه عام ١٩٢٧ ، وجعل مهمته الانتصار للحق ، فبذل جهداً مشكوراً

برِّيُّ المجتَلَّةِ

الرئيس بشير بالزهر في الهند :

الكلمة التي ألقاها السيد / الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة في حفل الاستقبال الذي أقامته جمعية علماء الهند تكريماً لسيادته :

وأيها السادة العلماء :

إنني أحمل إليكم من القاهرة - مقر الأزهر الشريف - تحية إخوان لكم يعملون معكم لنفس الأهداف التي يسعى إليها مجتمعنا، وهي في الواقع نفس القيم الإنسانية العالية التي يوحى بها ديننا، وهي في الوقت نفسه جزء من التراث الروحي للجنس البشري - ذلك التراث الخالد الذي استطاع به الجنس البشري أن يعبر على جسر من الإيمان في عصور الظلام الأولى إلى الآفاق الروحية المشتركة .

وأيها السادة العلماء :

إن الشعوب الإسلامية مدعوة اليوم للسماحة بنصيب وافر في خدمة المبادئ العليا السامية التي نريد لها أن تسود ،

وبذلك أهنأ أئمتنا ليعود من عقائدها حوافر تدفعها إلى العمل - مع غيرها من الأمم - التي تسمى خلال عقائدها الخاصة إلى نفس المثل العليا، التي أرادها الله للعالم الذي خلقه وأبدعه ، وأراد له الخير وأراد له الهدى ، وفقكم الله إلى أن تقوموا مع إخوانكم من علماء الإسلام في النهوض بجزء من أعباء الرسالة العظيمة التي تعمل الشعوب الإسلامية على إقامتها مع غيرها من شعوب العالم المتطلعة إلى الحرية والعدل .

والسلام عليكم ورحمة الله .

شكر الأستاذ الأكبر للسيد الرئيس :

بعث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر إلى الرئيس جمال عبد الناصر في الهند يشكره على الكلمة السابقة :

أحمد إليك الله وأشكره على ما أمذك من عونه وتوفيقه في جمع كلمة العرب والمسلمين على التواص بالخير والتعاون على البر والتناصر في الشدة ثم أقدم إلى سيادتكم أخلاص الشكر وأصدق الدعاء على توفيقكم

إليكم فأتحدث معكم مرة أخرى حديثاً متصلاً بحديثنا السابق في غرة رمضان المعظم ، وكان موضوع حديثنا السابق التهنئة بحلول شهر رمضان أما موضوع حديث اليوم فهو التهنئة بحلول عيد الفطر المبارك .

إخواني :

استقبلنا بالأمس القريب شهر رمضان وظنونا وسعنا قول الله فيه « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وكنا أمام هذا الأمر الإلهي فريقين: فريقاً آمن بربه وعرف مكانة الشهر عنده فقام بواجبه فيه فصامه ، وأخلص في صومه ، واستمر الشهر كله صائماً حتى أتم الله عليه نعمته بالامثال والطاعة ، وفريقاً آخر انحرف قلبه عن أمر الله ، فانتهك حرمة الشهر بفمه ، فأكل وشرب ، وبقلبه ، لحسد وحقد ودبر الكيد ، وبنفسه قامت شهوته إلى ما حرم الله عليه واستمر هكذا حتى ودع رمضان ورمضان ساخط عليه .

فإلى الفريق الأول الذي قام بواجب الصوم توجه التهنئة له بهذا التوفيق الذي ظفربه ، وتهنئة أخرى باستقبال العيد: عيد الفطر المبارك

برسالة الأزهر في كل تلك الكريمة الحكيمة للسادة علماء الإسلام في الهند ، وعلى دعوتك وارث الدعوة المحمدية وقادة الشعوب الإسلامية إلى العمل معا على نشر مبادئ الرسالة الخالدة: رسالة الوحدة والوئام رسالة الهدى والسلام: رسالة الله العامة التي لا تفرق بين دين ودين، ولا بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون . وعلماء الدين وزعماء الدنيا حريون أن يستجيبوا لهذه الدعوة الجامعة فيتضافروا على رفع المنارة الروحية في طريق التقافة البشرية ؛ لتهتدى بنور الله إلى السيل الواضحة وتنتهي إلى الغاية الجامعة ، أيديكم الله بنصره وأمدكم بروح من عنده وجزاك جزاء المصلحين المخلصين .

رسالة الأستاذ الكبير

إلى مسلمي الفيليبين :

يحرص إخواننا مسلمو الفيليبين على أن يسمعوا صوت إمام المسلمين وشيخ الأزهر في الشئون الدينية ، فهم لا يصومون إلا إذا أشار ، ولا يفترون إلا إذا أفتى ، وقد اتصل بهم فضيتك في يوم عيد الفطر عن طريق اللاسلكي وأبلغهم هذه الرسالة .

إخواني في الدين وفي الله مسلمي الفيليبين ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد . فإنه ليسرني ، ويشرح صدري أن أتود

قلبا وهدفا ، وغاية وسلوكا وأما وطمأنينة
وليمد بعضكم إلى بعض - على ما بينكم -
من بعد المسافات ، واختلاف اللغات وتباين
الأقاليم - يد التهنئة والتعاون والتكاتف ،
التآلف والمحبة التي تجمع قلوبكم وتوحد
كلتكم وتظهر أرضكم من أشراك الاستعمار
وظلمه ومكائده والله معكم أينما كنتم
واحتضنوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عيد الفطر عير مبادي ومثل :

أبرق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع
الأزهر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة عيد
الفطر المبارك يقول :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس
الجمهورية العربية المتحدة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد
فإن عيدنا اليوم عيد مبادي ومثل لأنه
عيد القيام بالواجب الذي فرضه الله علينا ،
هو عيد التواد والتآلف والتحاب والتعاطف
والتراحم والوحدة الجامعة بين القلوب
والسلام لجميع الناس .

المعاني الفاضلة للصيام :

فرحة المسلمين إنما هي فرحة زينة وعبادة
تجمع بين حظي الجسم والروح فتبقى على

الذي نستقبله بفرحة العبادة ، وشكر المولى
على ما أنعم به علينا ، وأما الفريق الثاني فإتينا
ندعواقه أن يوجه قلبه إلى الهداية وأن يأخذ
بيده إلى الطريق المستقيم .

أيها السادة :

إن يومنا يوم عيد وقد انقضى شهر رمضان
ونبتت رؤية هلال شوال عندنا في مساء
السبت ٢٦ من مارس وهذا صار يوم الأحد
٢٧ من مارس عيد الفطر صلينا في صباح
العيد وأفطرناه ومنا به بعضنا بعضا بعد
أن نبت رؤية هلال شوال في الجمهورية العربية
المتحدة ، وإذا لم تعلموا أتم برؤية هلال
شوال إلا بعد ظهر يوم الأحد المذكور فإن
اليوم التالي وهو يوم الاثنين ٢٨ من مارس
يكون هو العيد عندكم وعليه يجب أن تعزموا
من الآن على صلاة العيد صباح الغد وهذا
صحت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
واختاره جمهور الفقهاء وبه نعمل ونفتي .

وإني أتهز هذه الفرصة فأبحث إليكم ،
وإلى سائر المسلمين في جميع بقاع الأرض
خالص التهنئة داعيا الله لنا جميعا بالآلفة
 والمحبة ، واتحاد الكلمة ، وجمع الشمل
وأن يؤيدنا تعالى في نشر ديننا والعمل بما
يرضيه ويقربنا إليه .

فلتفرحوا وليفتي بعضكم بعضا متحدين

فسيرو على بركة الله تكلوكم رعايته ،
ونحدوكم صنيته والله معكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد شلتوت

بدره استنصار الدرواح :

كانت الروحية الحديثة أو الدعوة الخيثة
قد شغفتني ردحا من العمر كنت أحسب
خلالها أني أحسن صنعا - وزين لي باطلها
ما روجه لها المروجون وزيضا الداعون .
إما عن حسن نية وسذاجة تفكير وإما عن
سوء طوية وخبيث تدبير ، فألبسها ثوب
العلم المتحرر والتحرير المتكرر حتى شغلت
على تفكيري وأفسدت على تدبيري ؛ كيف
لا وهي تزعم أنها تقتحم العيب المجهول وكل
غيب يستوى الفؤاد وتوق إلى العقول ؟ .

حتى فجأني الحق جل جلاله في لحظة فأزال الله
جل وعز بركة روحانية رمضان المبارك
عن عين قلبي غشاوة الضلال وأبان لي
الحرام من الحلال فعلت ما في هذه الدعوة
الخطيرة المساكرة من سموم تستهدف
تمسيح العقيدة وتهوير سلطان الدين
في النفوس وعدم الاكتراث بفرائض الله
وأوامره بل وامتهانها والتشكيك في قيمتها
ويكفي ما بينه ما يسمونه سلفر برش أو ني

المعاني الفاضلة التي اكتسبها المسلمون في شهر
الصيام من إيمان وصبر وعزم وقوة وإرادة ،
وما أخرجنا إلى هذه المعاني تستقر في نفوسنا
لتكون لنا النور المشرق الذي نهتدي به
في نهضتنا الحديثة التي أرسبتم قواعدها وأقمتم
بناها الأشم .

الدين أساس القوة والمجد :

وإن مثل هذا البناء الضخم ليجتاح إلى
أسس من الدين وقواعد من الخلق قوامها
التربية الروحية الأصيلة ؛ لأن قوة الروح
هي القوة الدافعة إلى الخير المحفزة للنصر
في جميع الميادين .

وما أخرى أمنا بالشكر تقدمه إلى
مولانا وبارتنا على ما أولاهنا به من نعم
النصر وجمع الكلمة ووحدة القلوب
على يديكم .

وإني إذ أعتكم بالعيد - باسم الأزهر
علائه وطلابه - فإنما أعتي فيكم المبادئ
القوية التي آمنتم بها وآمن بها شعب من
ورائكم يؤمن بالبناء والتعمير ولا يعرف
التحريب ولا التدمير وبذلك سرتم بنا
من نصر إلى نصر .

وإن المبادئ التي تركز في النفوس
وتؤمن بها القلوب تصبح عند أصحابها أعز
من نفوسهم ومن أموالهم ومن كل ما يملكون .

وزيما مقروا بعد هذا الشوط الطويل أنى ما وجدت طريقا صحيحا إلى الله حقا إلا فى كتابه العزيز وسنة رسوله النبى الأسمى الذى لا ينطق عن الهوى والتعلق بأهل البيت وعترته الطاهرين .

والآن وأنا أودع هذه الحقبة الشقية من عمرى أجدد فيها لإسلامى وأستعيد فيها إيمانى أودع معها زملاء أعراء وأصدقاء شرقاء لا أحمل لهم فى قلبى إلا كل عطف وإشفاق ورفاء ملحا على الله فى الدعاء أن ينير بصيرتهم وينتقم من أحوال هذه العقيدة الفاسدة مؤكدا لم أمرين . أولها أنه كفاعدة لا تتخلف ما من مشغل بهذه الحركة إلا أصيب بفقد أحب أمه لديه وأعزهم عليه ويمكنهم تتبع ذلك فى كل من يعرفون وأنا أولهم . وثانيهما أن معتق هذه العقيدة لا يموت حين يموت مسلما أو مؤمنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فاللهم إنى أعتمد إليك بما كتبت أو حدثت أو فلت وأبرأ إليك من ذلك كله ومن كل عقيدة تخالف الإسلام فى أبة صورة من الصور .

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد .

حسن عبد الوهاب

السكرتير السابق لجمعية الأهرام الروحية

الروحانية من عقائد زائفة فهو الذى يقول : إن ولادتنا لا لكتاب ولا لنبي ولا لعقيدة ولكن لله وحده ، ويقول : دلونى على الرجل الذى لم يمن ركبته قطقه فلم يعترف به ولم يؤمن به بل أنكر وجوده وألحد فيه وهو مع ذلك يعامل الناس بخلق حسن لأقول لكم إنه هو الشخص السعيد الناجى فى عالم الروح .

ولقد ثبت لى أخيراً أنبونا قاطعاً لا شك فيه أن الشخصيات التى تحضر فى جلسات التحضير وتزعم أنها أرواح من سبقونا من الأهل والأحباب إن هى إلا شياطين وقرناء من الجن يلبسون على الناس ما يلبسون .

والآن وقد انقشع عن قلبى زيف الباطل ببركة إلحاحى فى الدعاء بقولى : اللهم أرنى الحق حقا فأطيعه وأرنى الباطل باطلا فأجتنبه ، لست أشك أن وراء هذه الحركة منذ نشأتها يهودى خبيث كائن سبأ شأن كل الدعوات الزائفة البراقة من إخوان الصفا قديما إلى الشيوعية والماسونية حديثا .

ولقد آليت على نفسى إبراء للذمة وانخلاعا مما كتبت أو حدثت ، ما جلست مجلساً دعوت فيه لهذه الدعوة الخيئة عن حسن نية إلا جلست مثله لهدمها وتقضيها ولا كتبت فى صحيفة مؤبدا لها إلا كتبت مستنكرا معتذرا متبرئا ومحذرا إخوانى المسلمين من خداعها

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الحادى والثلاثين

١٠٤١	الإسلام وحدة وجماعة	حرف (ا)	١٠٨٣	اس سناء الملك
٢٢٤	الإسلام والعرب		٦٩٨	ابن مضاء وتحرير النحو
٨٧٦	الإسلام والعصر الحديث		٩٦٠	الاتجاهات الحديثة فى الفكر الإسلامى
٦٢١	أسماء بنت الصديق « مسرحية دينية »		٤٧٥	أثر الروح الإسلامية فى النفس البشرية
٢٧٢	الإشترائية فى الإسلام		٩٠	أثر الفرقان فى تحرير الفكر الإنسانى
١١٥٣	أشعة عامة نور الإسلام (كتاب)		١٨٢	أحفاد القرامطة
٧٧٥	افتتاح الدراسات الاجتماعية فى الأزهر		٦٥٥	الأدب العربى والتخصص
٤٦٢	ألا تزال للدين رسالة ؟		٧٨٣	الأدب والتاريخ فى معرض النقد الحديث
١١٤١	الله فى العقيدة الإسلامية وفى مقارنة الأديان		٤٢٧	الأزهر منذ أربعين سنة
٣١٤	إلى الصحافة المصرية		٥٦١	الأزهر منذ أربعين سنة
٨٠	إلى المشتغلات بالشئون النسوية ...		٧٢١	الأزهر ومذاهب الفقه الإسلامى ...
١١٣١	الأملاك		١٤٢	الأزهر والثقافة فى البلاد العربية ...
١٠٣٨	أمة التوحيد لا بد أن تتحد		٨٩٦	أسباب اختلاف الرأى بين المسلمين ...
١٠٤٨	الأمومة فى الخدمة الاجتماعية		١١٥٥	استحضار الأرواح
٣٦	أنجع وسائل الدعوة		٨٣	استقبال شهر المحرم
٩٥٧	انحدار الآذواق		٨٨٢	الإسراء (قصيدة)
٤٦٩	الانحلال شر من الشيوعية		١٠٩٠	الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب
٧٩٥	أهكفنا كان الحلاج ؟		١	امترن
٥	الإيمان بين التفكير والفلسفة ...		٦٢٨	الإسلام عقيدة وشريعة (كتاب) ...
	(ب)		٤٨٠	الإسلام فى إفريقيا الغربية
٨٥٦	البابا السابق يعترف بالإسلام		٩	الإسلام كنظام للحياة
٩١٥	البحث العلمى فى تاريخ الأدب		٩٥٧	الإسلام وحاجة الإنسانية إليه
٦١٠	بحث فى فعل « ظل »			

(ب)

١٢٩ الجهاد فضيلة في العرب وفريضة في الدين

(ح)

١٥٩ حاجتنا إلى التشريع الإسلامي ...

٤٩٣ أحاديث الأستاذ الأكبر ...

٦٢٦ ...

٧٨١ ...

٨٢٠ الحرية الدينية في الإسلام وعلاقتها

بالاجتهاد والتقليد ...

٩٩١ حكم الاجتهاد في تقدير الشريعة الإسلامية

٢٥٩ حكم الله في حكم قاسم ...

٨٤١ الخلاص منزلة الحقيقية ومبادئ الصوفية

٩٨٨ الحواجز التي أقفناها بأيدينا ...

٧٦٤ حول الإصلاح الديني ...

٦٣١ حول كتاب المغيرة لابن الصديق ...

٨٦٠ حول كلفته بأمر ...

١٠٢٣ حول النصيرية والاسماعيلية ...

(خ)

٩٧٩ خذه بعبه ...

٨٢٦ الخليقة والليقة ...

(د)

٩٨١، ٧٣٦ دراسات لأسلوب القرآن الكريم

٣٩٣ الدين المعاملة ...

٢٦٥ الدين في حياة الإنسان ...

٢٩٠ الدين هل أدى دوره وانحصر مده ؟ ...

٧٢ الديانات الجديدة ...

١١٥١ ديوان ابن العمينة (كتاب) ...

١١٥٦ برقية الأستاذ الأكبر إلى الرئيس جمال

عبد الناصر في الهند ...

٩٥٢ البلاغة العربية بين منهجين ...

١٠٢٣ بل يجب أن يبقى هذه العقوبة ...

٢٣٩ بين السنة والشيعة ...

(ت)

٢٦١ تحدى الإله ومعناه ...

١١٥١ تاريخ الإسلام في الهند (كتاب) ...

٨٩١ تحديد الفسل ...

٤١٤ التشريع الإسلامي ...

٩١٣ تحية الأستاذ الأكبر إلى جميع المسلمين

في شهر رمضان ...

١٠١٢ تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت

٥٧١ تحقيق المعنى ...

٤٥١ تطور النحو العربي ...

٥٩١ ...

٣٢٨ التوازن بين العقل والقلب ..

٨٩٣ التوحيد سبيل الإصلاح ...

(ث)

٥١٧ الثقافتان ...

١٠٤٤ (عود إلى الثقافتين) ...

٤٩١ ثورة بيضاء من نور الإله (قصيدة) ...

(ج)

٩٠٣٨ جانب من العبرة في قصة آدم ...

١١٨ جدد حياتك للقرآن (كتاب) ...

صوتية الأدب	٣٣٩
الصوم عبادة عامّة ولكنها مناجلة	٩٤٢
بين العبد وربه
صيام رمضان وصلة بصيام المائوية	٩٤٧
والصائين والعرب في الجاهلية

(ط)

الطاقة الدنيوية	٩٤٧
------------------------	-----

(ظ)

ظاهرة التفتيم بين الفصحى والعامية	٩٩٦
-----------------------------------	-----

(ع)

العالم الإسلامي والجغرافيا الدينية ...	٣٥٠
العالم الروحي في تقدير الإسلام	٨٧١
عبد الرحمن الكواكبي	٦٩١
عبد الرحمن الكواكبي رائد النهضة العربية	٧٥٢
عبد الرحمن الكواكبي والقومية العربية	٩٧٥
عتاب على كاتب حرف معنى وإذا بليتيم	٥٩٥
فاستروا
عنود لدود	٩٧٩
(مسألة العصمة)	٨٣٧
العنفقة والعفافة	٩٧٩
عمر الفاروق في بعض نواحيه	١٠٣١
عيد الفطر في التاريخ والأدب	١٠٧٤
عيد الفطر عيد مبادئ ومثل	١١٥٥
عيد النصر	٨٤٩

(ذ)

ذكري ميلاد الرسول	٢٩٥
ذو القرنين في القرآن والتاريخ	١٧٣-٤٤٢
ذو النون المصري	٤٧

(ر)

رجل الدين بين المسيرة والمكابرة ...	٦٧٤
رجل الأديان يقارمون الإلحاد	٨٩٤
وجه البحث الجديد في كلية الشريعة ...	٥٢٧
وخصة الإنظار للجنود المقاتلين	١٠٩٨
رسالة ١	٥٦٧
رسالة الأستاذ الأكبر إلى مسلمي المليين	١١٥٥
وماد ولا نار	٦١٣

(ز)

زعيم أوغندا لدى الأستاذ الأكبر	١٠١٨
الزكاة فريضة الإسلام ولا بأس من جبايتها	٣٦٧
بالقوة

(س)

الساقية	٩٧٩
السبيل من وجهة نظر الدين	٨٨٨

(ش)

الشريعة والناس	٨١٣
شعراء الوحدة	١٠٨٣

(ص)

صلوات روح قصيدة	٤٨٨
------------------------	-----

- ١١٥٥ كلة الرئيس جمال عبد الناصر لعلاء
الإسلام في الهند
٣٠٦ كنوزنا في طريق الضياع ...
٦٦٠ كيف يتصل الشباب بالدين ؟ ...

(ل)

- ٧٦٧ اللغة العربية هي لغة المسلمين كافة ...
٨٦٠ القناعة والحرام

(م)

- ٧٤٥ ماذا يقولون بل كيف يقولون ؟ ...
٧٦٣ مبادئ الإسلام هي مبادئ السلام ...
٣٩٤ المشركون والمشرقون وموقفهم
٥٢٢ من الإسلام
٥٤٤
٦٨٠
٨٠٧ مثل عليا إسلامية عربية
٩٣٢
١٠٦٤

- ٩١٩٠٧٨٧ المجتمع الحديث
٣٠٠ محاولات شيوعية فاشلة في العصر القديم
٨٦٥ محمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر
٦٥٠ محمد رسول الله أول من أعلن حقوق
الإنسان
١١٢٤ المذهبية والتقليد
٣٧٩ المذاهب الهدامة تهدم نفسها
١٣٣ المساواة في الإسلام وفي المذاهب الهدامة

(غ)

- ٩٧٩ غصن يانع

(ف)

- ٧٥٦ الفتاوى وكتاب
١٤٦ الفنون الجميلة في نظر الإسلام
٩٥٠ الفنون في تاريخ المسلمين
٣٦٩ الفوائد في أصول البحر والقواعد وكتاب
٤٧٢ في دعوة الإسلام قضاء على الإلحاد ...
٤١٠ في وصايا القرآن دعم لنظام المجتمع ...

(ق)

- ٦٠٥ القانون الدولي في تقدير الإسلام ...
٩٤ القدر والمصادقة في الإسلام والفلسفة المادية
٥١٤ قرآن الفجر
٥٤٩ قصص الأنبياء بين القرآن الكريم
وأفسار المهددين الجديد والقديم ...
٨٧ قصص الأنبياء في السينما
١٠١ قصة الفداء وقصيدة
٥١ القومية في عهد الأيوبيين
٢ قوى الإسلام الثلاث

(ك)

- ٢٣٥ كارثة فلسطين وكتاب
٧٩٥
٩٢٦ الكرامة والعزة في القرآن الكريم
١٠٦٩

١١٤٥ نجد قصيدة
٨٩٨ بحوى لعدنان مردم . ديوان شعر ،

« ه »

٤٠ الهجرة
٧٢٧ هذا الرجل ماذا وراءه ؟
٢٢١ هل تعلم شيئا عنا ؟
٤٣٩ هل ينتفع الميت بعمل الحى ؟

« و »

٢٦ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
٣١٤ وجود الله يتحدى الشيوعيين
١٩٥١ وجهة العالم الإسلامى (كتاب)
٤٨٦ وجهة نظر الشيوعية عن الإسلام
١٠٠٧ الوحدة الخالدة قصيدة ، ..
٢٣٣ وحدة فى سبيل الحق
٧٣١ وصف اسم الجمع
٣٤٧ وصف الجمع والخبر عنه
٤٧٢ وصف جمع المذكر غير العاقل بجمع المؤنث
٥٧٩ ! وضع الربا فى بناء الاقتصاد القومى
٧١٦ /
٦١ وقفة على رأس الحسين

« ي »

٣٨٩ يا حمرنا على العراق
٩٤٠ يومان من أيام رمضان : يوم القرآن
ويوم الفرقان

١٥١ المستشرقون والإسلام
٢٠٥-٦٨ المطالع والمقاطع فى شعر شوقي
٣٢١ مظاهر إسلامية كريمة فى أندونيسيا ...
٣٢٣ مع الشيوعيين فى سمونهم
٤٩٩ مع الله كتاب ،
١٣٧ مع المداة - الإسلامية
١٩٠ معارك دمياط والمنصورة فى العصر
الصليبي وأثرها فى الأدب

٧٧٧ المعركة التى أنقذت الإسلام والمروبة
١٠١٠ مناجاة موشح ،
٩٠٤ من أخلاق المحدثين
١٠٢٣ من ذكريات رمضان
٨٠٠ من شئون الله فى خلقه أنه يرفع أقواما
ويخفض آخرين
٦٨٦ من عدالة الإسلام بيان الجواز قبل المحاسبة
٢٥٨ من اليهود المظلة أشرق نور الله
٨٨٦ من وحي الد (قصيدة)
٥٣٧ موقف الإسلام من الوحدة والتفرق
٣٠ موقف اليهودية والمسيحية والإسلام
من العزوبة
٣٥٦ مولد رسول وأمة قصيدة ،
٦١٩ مهبط الوحي قصيدة ،

« ن »

٢١٦ النابغة الثيبانى مسلم لانصرافى
٧٤٣ النبوات فى تقدير الإنسانية

With the passing of time the Muslims began to feel impatient, and the idolators did not stop persecuting the weak Muslims nor did they slow down their oppression to the Call of Islam. At this critical stage the revelation of God came down to declare: "Permission (to fight) is given to those on whom war is made, because they are oppressed. And Surely God is able to assist them. Those who are driven from their homes without a just cause except that they say: Our Lord is God, And if God did not repel some people by others, cloisters, and churches, and synagogues and mosques in which God's name is much remembered, would have been pulled down. And surely God will help him who helps Him. Surely God is Strong. Mighty" (Surah. 22. Vs. 39—46).

The conflict between the Call of Islam and *disbelief* was a very serious one. It continued for several years and caused a number of battles by which the Muslims meant to repel the aggression of the disbelievers and the treacherous Jews. When this conflict was taking place inside the Arabian Peninsula, there were two great powers of imperialistic policy, viz., the Zoroastrian Persia and the Roman Empire with Christian foundations. These two powers rivaled each other in dominating the neighbouring regions and in extending the spheres of influence.

At that time Persia exercised role over Mesopotamia, while the Roman Empire was in command over Syria.

Under such circumstances it was inconceivable for the Muslims to think of building for themselves a huge empire like the Roman and the Persian empires, or even of attacking them. What happened, however, was that aggression began from the non-Muslim side. When the Messenger Muhammad invited Chosroes the Emperor of Persia to embrace Islam, this wrote to his representative in the Yeman, Badhan, saying: "I have heard that there appeared in Mecca (Makkah) a man from the tribe of Quraysh pretending to be a prophet. Go to him and ask him to give up this claim completely, and if he refused to do that kill him and send his head to me. How could he risk writing to me when he is my slave?"

Vanity and irresponsibility were not confined to the Persians alone. The Romans, too, began by provocation and aggression against the Muslims. They killed the Messenger's delegate to the Roman Mayor of Besra and did not let the people free to join Islam. They slaid and tortured those who were inclined to Islam or attracted by its call. Not only did the Romans do all that, but they further sent out their vanguards to Tabook (Tobe continued)

to them and repeated his earlier words with the same frankness. They tried again their suggestive remark and he insisted on what he had already uttered. Then Muaawiyah interfered and said: "Let Abu Muslim go his way, he knows better what he says."

This Islamic principle is well-established and affirmed, and has been observed by Muslim rulers so much so that it became known to all sections of the people. Muslims of different backgrounds consider the Califs and rulers as ordinary men whose infallibility and superiority to other people is no article of faith, and whose injustice and corruption instigate severe criticism from all public sides. This is not only in theory but also in practice. It has been exercised on many occasions. For example, the famous poet Abu Al-Ala Al-Maarri launched his attacks against his contemporary rulers and governors, when they went wrong and abused their power forgetting their real status as hired employees. Moreover, a nomad once was admitted to the audience of a certain Caliph, who was sitting on a higher place while the people were below him. Then the nomad asked the Caliph: "Are you God?" "No, I am not God," he replied. "Are you Gabriel?" "No," he said. The nomad added: "You are neither

God nor Gabriel, so why do you sit higher? Step down and sit with the people".

These are a few examples but are very significant. They prove the practicability of the mentioned principle of the status of the ruler and the rights of the people. This principle was clearly conceived and properly observed by Muslims. The result was that every individual felt conscious of his responsibility and personality as to guard the truth and justice, command the good and shun the indecent. It is with such a spirit that an ordinary woman stood bravely in the mosque to oppose the Calif Umar who felt no humiliation or harm to declare to the people that the woman was right and he was mistaken.

The Policy of Islam in War:

For thirteen years starting from the advent of Islam the Muslims suffered all kinds of harm and persecution. They fled twice to Abyssinia and were finally driven from their homes and properties without any just cause, leaving behind their weak brethren in Mecca to face torture and cruelty from the idolators. Then they felt inclined to take revenge from the wrong enemy, but the Messenger exhorted them to patience and asked them to await the decree of God as he was not by then ordained to fight.

His viceroy on the earth. He is only a representative of the nation and its spokesman. The Four Wise Califs were clear about their position and knew that they were not successors to God but successors to His Messenger Muhammad in ruling the nation according to the Divine revelation. It is reported through Imam Ahmad that when it was said to Abu Bakr : O Calif of God, he said : I am the Calif of the Messenger of God, and I am satisfied with that. Moreover, when he was appointed to the Caliphate, he made a famous policy statement in which he said : " I have been chosen as your Head of State, but I am not the best of you. So if you find me right, help me; and if I am wrong correct me. The strong among you is weak with me until I take all dues from, and the weak among you is strong until I restore his right to him. Obey me as long as I obey God, but if I disobey Him, I have no right to your obedience."

Furthermore when Umar Ibn Abd-al-Azeez was appointed Calif he made a public speech in which he said : " I am only like anyone of you, but God has shouldered me with a heavier burden." This is the real status of Califs in Islam. The Calif is not necessarily the best person, although he is charged with the heaviest responsibility. He is a representative of the nation and a paid

employee. This fact was clear to the Califs themselves, to the learned men, the literary figures, the poets and finally to the majority of the public.

It is reported through the great authority of Traditions Imam Bukhari that Aishah, the prophet's wife and daughter of Abu Bakr the First Calif, said : " When Abu Bakr was appointed, he said : My people know well that my profession could produce sufficient provisions to maintain my family, but I have become concerned with the affairs of Muslims. So my family will depend in their livelihood on what they receive from the Treasury as I shall be working for Muslims."

This is the function and status of the Ruler in Islam. He is an employed servant paid by the nation which appoints him and supervises his deeds to help him when he is right and correct him should he deviate.

When Abu Muslim Khawlanj, the reverend doctor of Islam, once came in where Muaawiyah the fifth Calif was sitting, he said to him in frank words ; " Peace be upon you, O hired employee." The company of Muaawiyah suggested to Abu Muslim to say : Peace on you O prince, but he paid no attention

agreed to disallow slavery do allow taking prisoners of war and keeping them until a peace treaty is negotiated and the exchange of prisoners or ransom or heavy compensation is agreed to.

Nations at war develop very disturbing worries about their prisoners, and the ill-treatment received by these captives certainly justifies those worries. But with Islam it was a different story. During the propagation of the Islamic Call the prisoners taken by Muslims did not cause any worries to their people and states, because they were assured of fair treatment and did really enjoy it. We are told (Surah. 47, V. 4) that prisoners of war can only be taken after meeting an enemy in a regular battle, and even in that case they must be set free, either as a favour or after taking ransom. The former of these alternatives was the course adopted by the Prophet Muhammad in most cases, and there are many examples reported when thousands of prisoners were set free by the Prophet as a mere favour and with no reference whatsoever to redemption.

Prisoners of war were mentioned here because their status is closely related to slavery. According to Islam, slaves are formerly prisoners of war taken after regular battles against disbelieving enemies who

launch war against Muslims and try to hamper the spread of Islam. But, as already stated, Islam encourages the course of setting the prisoners of war free, and even if they are justifiably made slaves, their freedom is commendable. Thus we see that Islam has come to narrow the sphere of slavery and confine it to the minimum circle, and to enlarge the scope of liberty and raise the standard of slaves. It honours the slave by considering him a member of his master's family so far as treatment is concerned.

This is the attitude of Islam towards slavery. It is clear, therefore, that Islam cannot be said to encourage slavery or support slave-masters. It meant to abolish the slavery-system from the world by gradual and most wise steps. It resorted to this course because it was impracticable to eradicate overnight a system which was deeply rooted in social and economical life.

The Relation Between the Ruling and Ruled in Islam :

Authority in Islam belongs to the Nation, which is the possessor of sovereignty and is empowered to elect the Head of State, help him by good advice and oust him should he deviate or do injustice. The Caliph is not the representative of God nor

taken as slaves. So were the captives in tribal and nomadic raids and indebted people who failed to pay back their debts.

When Islam came to find these conditions, it did not advocate slavery or even make any statement in support of it. On the contrary, it took every possible measure to mitigate the practice of slavery and produced numerous revealed texts urging emancipation of slaves and opening all the possible ways to freedom. From the very beginning Islam did not address individuals only as to set free slaves in atonement for their sins and in seeking God's contentedness, but also made it incumbent upon the State to partake in setting free the slaves by means of contributing some amounts of collected alms to those who are trying to secure freedom through certain payments to their masters (Surah. 9, V. 60).

Nearly fourteen centuries ago Islam organized the emancipation of slave, and gave it full support and utmost encouragement. It ordained emancipation by means of exhorting the masters to set free their slaves. To realize this aim Islam encourages voluntary emancipation from the master's side. Besides this commendable practice, there are other forms designed to help the slaves gain their

liberty. For example, there is the *tadbeer*, which is a pledge making the slave's freedom conditional to his master's death. In this case the master makes a statement like "if I die, my slave becomes free," and upon his death his slave's liberty immediately becomes effective. Another case is the *Kitabah* whereby the master and his slave reach an agreement according to which the latter gains his freedom in return for some payments to the former. Moreover, when a slave-woman gives her master a child, she enters a transitional period in which she cannot be treated as a slave but enjoys a considerable deal of liberty which becomes complete upon the death of her present husband-like master. Furthermore, emancipation of slaves is enjoined in many cases as the only acceptable atonements for committing sins or making mistakes in swearing or fasting or the like.

The rule of Islam in fostering freedom was never confined to opening the doors of emancipation of the already enslaved people. But it was always concerned with the prevention of slavery and interested in combating it before it would take place. Whatever form of slavery that Islam kept was nothing more than what the civilized world has maintained nowadays. It is a well-known fact that the nations which have

Are those who know and those who know not alike? Only men of understanding mind." (Surah. 39, V. 9.) "God will exalt those of you who believe, and those who are given knowledge, to high ranks" (Surah. 58, V. 11.) "And for all are according to their doings. And thy Lord is not heedless of what they do" (Surah. 6, V. 133).

It is on these bases of justice, equality and brotherhood that Islam has established the relationship between the rich and the poor. It equalizes them in right and public obligations, and provides them with fair opportunities to make earnings. Then, it says to the rich: "... Spend of the good things that you earn and of that which We bring forth for you out of the earth..." (Surah. 2, V. 267.) It commands the Ruler to "Take aims of their (Muslim's) property-thou wouldst cleanse them and purify them thereby..." (Surah. 9, V. 103), and tells the poor to shun spite and envy: "And strain not thine eyes toward that with which we have provided different classes of them, of the splendour of this world's life, that we may thereby try them. And the sustenance of thy Lord & better and more abiding" (Surah. 20, V. 131). And to all of them it appeals: "Be God's bondmen, brethren." "The believers are brethren" (Surah. 49, V. 10;) and "... remem-

ber God's favour to you when you were enemies, then He united your hearts so by His favour you became brethren" (Surah. 3, V. 102.)

Whenever Muslim society is guided by these Divine principles, mutual brotherhood prevails, and grudge against the rich does not find any means to the hearts of the poor nor does injustice to the poor develop in the rich. All will exchange feelings of mutual co-operation and brotherhood.

It is no wonder then that Bilal son of Rabah, Ammar son of Yasir, Abu Hurayrah and the people of Suffah—all belonged to the humble and poor section in the early Muslim society—stood side by side and worked with the richest and noblest people like Uthman son of Affan, Abd al-Rahman son of Auf and Saad son of Abadah. They did not develop feelings except of mutual love, co-operation and brotherhood. It is easily understood by now to know whether Islam supports the class-system or recognizes feudalism and the feudahsts.

The Attitude of Islam towards

Slavery :

Before the advent of Islam slavery was a universally recognized system. People practised it in various forms. Prisoners of war were

with approximate similarity in colour according to which people are divided into white, black and yellow. The existence of classes in this sense is an indispensable matter resulting from the order of the whole universe which order necessitates differences and dissimilarities even among plants and minerals, not to mention mankind among whom there are differences the like of which is not found in anyone of the being species.

It is true that Russia succeeded in eradicating the *Capital* with which were gone the wealthy Russians, Russian riches and nobles. Yet there appeared, according to Aqqad, a ruling class of experts and engineers, who exercise power and despotism unexampled with other ruling classes even in the most capitalist states. (The Truths of Islam ... by A. M. al-Aqqad, P. 207).

Islam proves itself to be the religion of reality and sound nature, when it recognizes the differences which actually exist in all countries, Capitalist and Communist alike. This recognition is declared in God's words: " We portion out among them their livelihood in the life of this world, and We exalt some of them above others in rank, that some of them may take others in service " (Surah. 43, V. 32) and " God has

made some of you excel others in the means of subsistence ... " (Surah. 16, V. 71).

This is the order of God Who never does anything in vain. Whatever He does is done with utmost wisdom and for profound reason. The mentioned classification of mankind was ordered by God, according to the Qur'an, for two reason. First, *trial* of man which is the basis of responsibility and rewarding. Trial is frequently stated in the Qur'an as the objective of many injunctions and ordinances, i. e. " So that He may try you in what He has given you. " Secondly, *taking in services* as already mentioned in the verse. But this is not the service of oppression and humiliation as might be derived from the ordinary sense of term *service*. It is the service of common interest and order. Had life been a factory, it could not have been successfully managed if all people working wherein were made mangers or engineers, but there must be the managers, the engineers, the clerks, the labour and the watchmen.

Excellence in the means of subsistence does not entitle its people to any merit or religious or legislative rank in the Muslim society. The real excellence and recognized merit are those which consist in knowledge, faith and good deeds. " Say :

teeth of a comb; no Arab is better than a non - Arab except by dutifulness."

The rich therefore, are mere individuals who make fortunes through their endeavours and enterprise, yet their fortunes may not last; they may get less or be transferred to new owners. So poverty and wealth in the Muslim society are not fixed or continuous phenomena. On the contrary, they are changeable and subject to the alteration of circumstances and chances of earning, and the change of ownership according to the laws of inheritance.

There Are no Classes In Islam :

Islam then does not recognize existence of social classes in the western terminology. It is free from any class of inherited rights and prerogatives. Its teachings are not familiar with the so-called classes of rulers or nobles or knights or clergy or the like.

The rulers are only individuals chosen by the nation and appointed to office either through the people of authority in it or through any other means; the nation may choose. They are not of a special group and do not belong to any particular family. Nay, the Prophet said : " Listen and obey, even if you are ruled by an Abyssinian negro as long as he leads you in accordance with the Book of

God; the Qur'an. Just before his death the Calif Umar said: " Had Salim, a former slave of Hudhaylah, been alive, I would have appointed him to succeed me."

The system of inherited rule and califate is alien to Islam. It is not recognized by its teachings or admitted to them. The jurists of Islam do not constitute a priestly class with alleged Divine powers as is the case with the clergy of other religions. They are only specialized doctors of the Islamic faith, law and morals. Their actual status is that they are scholars of religion and law, of ethics and sociology. They are not, by any means, intercessors between God and His bondmen nor are they in possession of the keys of Paradise or dealers in the bonds of God's contentedness and forgiveness.

It is clear, therefore, that if we apply Western terminology and Western conceptions, we shall find no classes in Islam because Western terminology in this respect is inapplicable to Islam. Once this classification is pointed out, it is no harm then if some people call the rich individuals in the Islamic State a *class*, because serious researchers classify mankind to three classes : rich, average and poor. This classification is understandable; since it corresponds

that *whoever* quickens a dead land it belongs to him, and *whoever* trades the profit goes to him; and *whoever* comes across any source of property or treasure without a known owner and covered by the ground pays only one fifth of it to the State and the rest is his.

It is the duty of the ruler in an Islamic state to find work for the unemployed. If he fails to do so, or if any citizen becomes jobless owing to his disability, or if the worker's wage does not suffice his needs — it is the responsibility of the ruler to take good care of him. The Muslim ruler must secure for such a citizen, be he a Muslim or otherwise, the due rights of diet, winter and summer clothes and a proper lodge. When the collected alms and ordinary resources of the state do not meet these demands, the ruler is authorized to impose new taxes on the wealthy people to ensure the interests of Muslims. The doctors of Islam have laid down the principle which states that should the Muslims be endangered, their holdings automatically become a common property and nothing of it belongs to anybody in particular. Moreover, Islam has taken useful steps to break the big capitals into small units of property. One of the most important measures in this respect is the law of inheritance according to which the

wealth of the deceased person is distributed among his wife, parents, his children and other entitled heirs from amongst his kins. This distribution must be carried out in a just manner as to include the male and the female alike, not the former only as the Arabs used to do before Islam nor the eldest son as is practised in some modern nations of today like England.

The Rich Are Not a Class :

The system of Islam accepts the rich as individuals who may acquire properties by lawful means and use them in like ways without being niggardly or holding back in times of need. It accepts them as such, not as a privileged class of special prerogatives or endowed with social sovereignty inherited from generation to generation. This is because Islam considers all people equal before God, the Law and the Qur'an; and no preference is granted to anyone except inasmuch as he is faithful to God, truthful to humanity and respectful of his general rights as the Qur'an says: "O mankind, surely We have created you from a male and a female, and made you tribes and families that you may know each other. Surely the noblest of you with God is the most dutiful of you" (Surah. 49. V. 13). In addition to that the Prophet said: "Mankind are equal like the

monopolizer cursed. The rich people are strictly forbidden to squander, and the ruler is authorized to decree interdictions against the immature and squandering people. He is authorised to arrest their wasteful use of property. The Qur'an says: "And make not over your property, which God has made a means of support for you, to the weak of understanding" (Surah. 4, V. 5.) and "Surely the squanderers are the devil's brethren. And the devil is ever ungrateful to his Lord" (Surah. 17, V. 27.) Moreover, all kinds of luxurious squandering, which saps nations and individuals, are prohibited. This is why wine is strictly forbidden and this is why the lavish use of golden as well as silver articles and the adornment of men by wearing gold and silk are ordained unlawful. The Qur'an says: "And when we wish to destroy a town, we send commandments to its people who lead easy lives, but they transgress therein; thus the word proves true against it, so we destroy it with utter destruction" (Surah. 17, V. 16).

Furthermore, Islam prohibits the hoarding of gold, silver and the like. The Qur'an contains frightening warnings addressed to the hoarders; "And those who hoard up gold and silver and spend it not in God's way—announce to them a painful chastisement. On the day when it will be heated in the Fire of Hell,

then their foreheads and their sides and their backs will be branded with it: This is what you hoarded up for yourselves, so taste what you used to hoard" (Surah 9, V. 34-35).

Islam does not campaign against hoarding by words only; it prescribes practical measures one of which is the ordained alms which amounts to two and a half percent of the capital. This is in itself an alarm to the proprietor meaning an eventual exhaustion by prescribed alms of his property if he hoards it up or fails to invest it.

It is through these said measures of forbidding usury, monopoly, squandering and lavishness, on the one hand; and of combating all kinds of hoarding and enjoining alms, on the other hand, that the proprietor is compelled to invest his property in a legal way for the common weal of society. Thus the fair balance which Islam seeks can be realized.

Conversely, Islam gives the poor people opportunities equal to those of the rich. The former are entitled to all possibilities and means to attain the standard of the latter and stand with them on equal footing. The door of business and earning is open for all people poor and rich alike. It is not confined to or monopolized by any group nor is it inaccessible to anybody. It is a well-established principle of Islam

man from among the Immigrants and supply you also with winter as well as summer clothes, which you will use till they are worn out and then bring back to take new ones instead of the old."

Moreover, Umar the Second Calif of Islam said: "My attitude towards the property of this Treasury is like that of the guardian of an orphan towards his property; when I am needless I will keep my hands off, but when I am in need I will satisfy my necessary needs therefrom without any excessiveness. Furthermore, Ali son of Abu Talib, the Prophet's cousin and Fourth Calif of the Muslims, refused completely while in office to take anything from the Treasury for himself or his family.

This is the practice of the wise califs and pious leaders of Muslims. But the deviations from the right path of some *Muslims* rulers and their errors are not an argument against *Islam*, and *Islam* is, by no means, responsible for such errors.

Islam Ordains Balance Between the Rich and the poor.

The recognition by *Islam* of natural dissimilarity in sustenance does not mean that *Islam* lets the rich free to increase his wealth and the poor to worsen in his poverty. Nay, it interferes by virtue of its legislative

system and moral instructions to narrow the gap between the rich and the poor. It has taken the necessary measures to prevent injustice from the former and to raise the standard of the latter.

Islam forbids the rich to make any wealth or earning through unlawful means. It forbids them to swallow usury in any form and by any quantity. It considers the swallower of usury as fighting against God and His Messenger, and curses everyone who participates in a dealing of usury because it is an unjust deal in which the weak are exhaustively exploited for the interest of the strong. In support of this point the Qur'an says. "O you who believe, keep your duty to God and relinquish what remains (*due*) from usury. If you are (*true*) believers." "And God has allowed trading and forbidden usury." "God will blot out usury, and He causes charity to prosper" (Surah 2, Vs, 275-275, 278). In addition to that the Prophet said: "God will curse the recipient of usury, its giver, its scribe and its witnesses."

On the other hand, *Islam* forbids them to resort to monopoly which is the character of greedy capitalism. The Prophet of *Islam* declared that the *distributor of life stocks* would be sustained and the

contribution or a sort of kindness that would make the rich feel superior and exalted, and make the poor develop a sense of self-contempt and disdain. It is a known right, an ordained tax, which is to be collected by the government through appointed tax-collectors and is to be expended on the needy and the common interest "in the way of God and emancipation of slaves."

Alms-giving is not a supplementary principle of Islam, but is a fundamental pillar and without the distribution of which no man can be Muslim. If the State fails to collect the alms and expend it properly, it is not entitled to be called an Islamic state. It is a well-attested historical fact that when some Arab proprietors refused to pay their alms, Abu Bakr, the First Calif, showed no tolerance. He prepared eleven brigades to fight the greedy capitalists and said: "I swear by God, if they retain a camel's tether which they used to give to the Messenger of God, I will fight them for it."

The Treasury Belongs to the State:

Some biased people have spread vicious rumours about the Muslim Treasury and its contents of alms and other resources of the Islamic State. They pretend that the Treas-

ury and its contents are nothing but personal propriety of the Califs and Sultans, who can expend of it as they please without any supervision or questioning. But the fact, which is well-known to anyone who has studied the law and history of Islam, is that the Treasury does not belong to the Calif but is a common property for all the people

The Calif is only an entrusted treasurer who is entitled to nothing of it more than his regular and reasonable salary. It was Abu Bakr the First Calif who laid down this principle when he said: "Pay me as an average person of Quraysh, not like one of the low or one of the upper class." This happened after he was sworn fealty to the people. He went on the following day to the market for his daily business to maintain himself and his family. Then the great Companion Umar met him and said: "Where are you going? He replied: I am going to the market to do business. Umar exclaimed saying: What! how can you do that after having been chosen to administer the affairs of Muslims? He said: How am I going to maintain my dependents? Umar answered: Go to the Treasurer Abu Abaydah and ask him to fix a regular salary for you. Abu Bakr went to the Treasurer who said to him. "I shall fix for you victuals sufficient for an average

weak? Has Islam left society to be dominated by artificial barriers of discrimination on the basis of race or colour or inherited nobility? This is what we shall give answers to in the following pages.

The lightest examination of the teachings of Islam demonstrates that it is not a religion of any particular class or any special group, but is a religion socially founded on the bases of fraternity, justice and equality. These bases are clearly represented in the rituals and worships of Islam as well as in its economical and political systems.

The Relation Between the Rich and the Poor :

Islam admits the instinctive dissimilarity of people in abilities and natural gifts, faculties and capacities, and it accepts, therefore, their reasonable and instinctive dissimilarity in sustenance. Islam as a religion which recognizes the natural instincts of man and things, sublimates them and does not conflict with them accepts individual ownership as long as it comes from lawful sources. By this attitude Islam means to satisfy the instinctive motives and human desires for ownership competition and saving. But it does not regard the individual property which is obtained through illegal means like usurpation

and stealing whether this latter is in apparent or hidden forms such as gifts presented to rulers, exploitation of influence, accepting bribes and taking other people's properties by subtle manners. On the contrary, it confiscates all holdings of this sort however long they remain in the holders' hands, because length of time and succession of day and night do not allow the forbidden or make the prohibited lawful.

In Islam man is not the real owner of property and cannot do with it what he pleases. All holdings belong in fact to God alone. This statement means that they belong to the entire society, and the rich man is a mere employee appointed to take care of what he holds, invest it and spend it in such a way as to agree with the interest of society, without inflicting any harm upon it. In other words, as the Qur'an puts it, the *rich* person is only a successor; "and expend of that unto which He has made you successors" (Surah 47, V. 6); "and give them (the earnest slaves who seek emancipation) of the wealth of God that He has given you" (Surah. 24, V. 33).

Ownership, therefore, is a social function, and the wealthy person is tasked with financial duties to his society the least of which is giving *alms* (*zakah*). This is not a voluntary

The rituals of pilgrimage are associated with certain place in the sacred city of Makkah only because it is the land of remembrances, the legacy of Abraham and the cradle of the Call. All the rituals performed by the believers in the course of pilgrimage are indicative symbols of suggestive revelation. They have no value or significance in themselves because they are meant for the glorification of God and submission to His ordinances. It is reported that Umar, the Second Caliph and great Companion of the Prophet, stood before the Black Stone in the Kaabah and said : " I kiss you although I know that you are a stone incapable of doing any harm or causing any benefit. And had I not seen the Messenger of God kiss you, I would have never done so. "

In view of these explanations, would there be any ground for the superficial outlook of those who say that the Muslims make pilgrimage to a stone and bow down in prostration before it, seeking its blessings or graces? Any such allegation is a mere nonsense. Pilgrimage is a pointed mote in the eyes of the enemies of Islam because it is the most impressive Divine convention to which the Muslims come from everywhere in the globe to enjoy the mutual feelings of a common Islamic brotherhood and joint aims, and to discuss

their affairs in co-operative and most understanding manners as to return to their previous state of dignity and power; to be new the best nation raised up for men by enjoining good and forbidding evil and by believing in God.

It is these Divine principles that vex the blind enemies of Islam and make them hit at random. The advocates of chaos and enemies of humanity stay restless when they face any organized course of relationship either between man and man or between man and God. This is why they look to Islam with unhappy eyes and shamelessly invent all sorts of lies and allegations to set barriers between men and Islam. But we believe that all this will be in vain once Islam is properly presented and correctly represented. It is our hope, however, that the short account given of these two forms of worship (Prayer and Pilgrimage) will be a sufficient expression of the spirit of Islam in drawing the course of relations between God and man.

Human Relations

Now let us consider how Islam organizes the course of human relations among people. Has Islam ever supported the feudalists, or recognized social injustice, or helped a class of society against another, or favoured the strong at the expense of the

to Islam as they were not known to any religion before Islam. They are the daily contact between the Muslim and his Lord. They are the effective means of purifying the body and the soul, of cultivating the sound conscience and developing decent morals; "Surely prayer keeps (one) away from indecency and evil..." (Surah. 29, V. 45). They are, especially when performed in congregations, a strong social bond and a practical lesson by which Muslims practise discipline, brotherhood and equality. The condition which enjoins upon all Muslims to turn their face to one direction towards Mecca (Makkah) while praying is profoundly significant as it trains them to be whole-heartedly united in aim, opinion and tendency.

Pilgrimage, another fundamental pillar of Islam, is a journey in which the Muslim turns his heart and body to the House of God at Makkah, the House which was built by Abraham to be the symbol of monotheism and unity. When Abraham, father of the prophets and the enemy of idolatry, established it, God ordained him to proclaim to men the pilgrimage; "And when We pointed to Abraham the place of the House, saying: Associate naught with Me, purify My House for those who make circuits and stand to pray and bow and prostrate themselves. And procl-

aim to me the Pilgrimage. They will come to thee on foot and on every lean camel, coming from every remote path" (Surah. 22, Vs. 26-27).

This form of worship, started with Abraham as entirely pure for God, was abused and spoiled. The succession of time together with ignorance, caprices and superstitions drove the people out from the path of God to indulge in idolatry and associate images with God. They laid down idols in the House of God to worship them and offer oblations to them, mixing whatever was left of the monotheistic rituals with the accretion which they invented.

When Islam came to find the said condition, it removed all traces of idolatry and abolished the remaining forms of Partnership in Divinity. Upon the triumphant return of the Prophet Muhammad to Makkah he smashed with his own hands the idols which were set around the House of God at Makkah (the Kaabah), saying: "The Truth has come and falsehood vanished. Surely falsehood is ever bound to vanish" (Surah. 17 V. 81). Thus the House was made pure for God alone and the institution of Pilgrimage restored to its former state in the days of Abraham. In forms and slogans, in intention and practice pilgrimage was once again designated to God.

made by an individual or any group of individuals directed by their cultural backgrounds or environmental circumstances or legacies, not to mention their caprices or passions, to introduce a subjective system doomed to deficiency and change. Islam is the system of God Who is the Lord of men and is free from bias and partiality to any race or class or generation. He is the Lord of them all and they are His servants. He knows their interest and His mercy is so comprehensive that He does not over-task them: "God desires ease for you, and He desires not hardship for you . . ." (Surah. 2, V. 185).

Worship is God's Alone :

The first article in the faith of Islam is the organization of relationship between God and His bondmen. Mankind do not create themselves nor do they invent any of the many embracing dooms and universal graces in the heaven and the earth. But it is God Who creates them, bestows favours on them and honours them from among his creatures. This leads to one logical conclusion, that is, they ought to be thankful to Him as to know His rights on them and worship Him alone without associating any partner to Him. And this exactly what Islam ordains in the words of the Qur'an "And they

are enjoined naught but to serve God, being sincere to Him in obedience, upright, and to keep up prayer and pay the poor-rate, and that is the right religion" (Surah 98, V. 5)

Moreover, Islam does not only confine worship to God alone, but also purifies the rituals from all the idolatrous accretions and innovations invented by the followers of different sects to lay barriers between God and His bondmen and to establish a system of priestly intercession between the Heaven and the earth. Prayer in Islam is a devotion to God only in which man turns his face wherever he happens to be to the Lord without dependence on the permission of any religious minister. The prayer-leader in a congregational service, which is more preferable to private worship, is not a man of priestly rights but is one of the congregation. They let him lead their prayers for his knowledge or piety and check his recitations to correct him, if he makes any mistake. He cannot assure any member of the congregation that his prayer will be accepted by God; because the final word on acceptance is God's only Who knows the truthful from the otherwise, and Who "accepts only from the dutiful" (Surah. 5, V. 27).

The Islamic prayers with their manners, their time-tables, their conditions and recitations are peculiar

the Garden, and they will not be dealt with a whit unjustly " (Surah. 4, Vs 123 — 124).

It is sufficient to support this argument that the Messenger of God-peace and blessings be upon him-and his Companions as well as their pious successors did not conceive life or live it except as an aspect of serious undertaking and earnest endeavour. It was this spirit that made them surpass other peoples in every field of life. They did not remain stagnant or lazy awaiting the peace of the Hereafter and the boons of the Garden. They could not do it because the Qur'an, their right guide, says : " And say, Work; so God will see your work and (so will) His Messenger and the believers. And you will be brought back to the Knower of the unseen and the seen, then He will inform you of what you did " (Surah. 9, V. 105). " He it is Who made the earth subservient to you, so go about (working) in the spacious sides thereof, and eat of His sustenance. And to Him is the rising (after death) " (Surah. 97, V. 15). Again it says : " O you who believe, when the call is sounded for prayer, on Friday, hasten to the remembrance of God and leave off traffic. That is better for you, if you know. But when the prayer is ended, disperse abroad in the land and seek of God's grace, and remember God much that

you may be successful " (Surah. 62, V. 6 - 10).

The System of Islam:

Islam has a very unique and universal system which is closely associated with all aspects of life. It is concerned with the individual and the society and is interested in life at large. In a very fair manner and on a well-balanced scale Islam deals with all aspects of life, spiritual and material, personal and social, local and international. No matter is over-rated at the expense of another, but justice in all sides prevails. Unlike other religions, it does not wear a material uniform or take a material view of life, nor does it over-estimate the spiritual elements of existence. It draws a balance-line between the individual and his society without making the former dominate the latter as is the case with capitalism, or vice-versa, as is the case with communism.

All this is because Islam is not the production of an unguided revolution resulting as a reaction to corrupt conditions or to oppose extreme right with extreme left, as was the case with the unguided revolutions which introduced weak and shaking systems that were the subject of common complaints and inevitable alterations. The system of Islam is not

especially if we take into consideration what geologists say about the estimated age of the world, which goes back millions and millions of years. The Materialists disregard another significant fact, when they do not realize that Muhammad is the last Prophet and his message is the final word from God to mankind. Should they conceive this fact, they would find it easy to clearly understand what the word "nigh" in the verse means, because they will then know that since there is no prophet after Muhammad nor is there any message after his until the day of Resurrection, the Hour is coming and nigh.

The Hereafter is another creation wherein every person will receive a fair return for what he or she has done in first life. In many cases this present life falls short of rewarding the good people for their deeds and punishing the mischievous for what they might have committed. Faith in a Wise, Just God leads by necessity to the belief in the existence of that other life to be. This is the logic of faith in God Who ordained the Hereafter "that He may reward those who do evil for that which they do, and reward those who do good with goodness" (Surah. 53, V. 31) Belief in Resurrection is the logical conclusion of man's creation and his responsibility; "Do you then think that We have created you

in vain, and that you will not be returned to Us" (5. 23, V. 115) "And We created not the heaven and the earth and what is between them in vain. That is the opinion of those who disbelieve. So woe to those who disbelieve on account of the Fire. Shall We treat those who believe and do good like the mischief-makers in the earth? Or shall We make the dutiful like the wicked? (Surah. 38, Vs. 27 — 28). If there were no belief in Resurrection, the justice of God and the very principle of laying responsibility on man's shoulder would be very critically questionable; an attitude which could produce nothing but chaos and destruction.

It should be borne in mind, however, that belief in the Hereafter does not mean giving one's back to life and being indifferent to the serious course of events on dependent on others with indulgence in vain wishful thinking. Happiness in the Hereafter is not attainable except through persistent work and serious endeavours. "It will not be in accordance with your vain desires nor the vain desires of the people of the Book. Whoever does evil, will be requited for it and will not find for himself besides God a friend or a helper. And whoever does good deeds, whether male or female, and he (or she) is a believer — these will enter

The messenger of God, though having the strongest faith in God's Fate, was fully aware of the necessary measures and means to be taken. He therefore, had taken necessary precautions, mobilized armies, sent reconnaissance patrols, fought full-armed and had followed the most advanced rules of tactics and strategy.

Although the question of predestination and choice was clear enough in Islam, as we have already seen-through texts, practice, theory and application- the messenger of God, peace be upon him, had ordered his companions to block the way of fruitless discussion about such delicate questions in which the human mind had failed to reach a sound solution for long ago, in order they might escape dissension and divergence of views.

Referring to this question Shaykh Muhammad Abdu had said : " unfortunately some persons who have evil intentions appeared among the Muslims from amongst the Persian and Roman subjects who feigned to be muslims and who brought to Islam what they have had of dissension and hypocrisy. They disobeyed God and his messenger when they violated Their order of forbidding discussion of Fate, and misled Muslims through their ambiguous and absurd words. They even disintegrated their unity and God says to His messenger conce-

erning this attitude : " As for those who split up their religion and became sects, you have no concern with them." (Surah. 6, V. 160).

"Such was a group of determinists who were weak and helpless whose plea could not stand sound reasoning, and whose actions had been so repulsive that they were expelled from the domain of religion. It was left lagging behind until it was fully uprooted. This gave impetus to the prevalence of the tendency calling the majority of Muslims to adopt the trend of moderation between determinism and choice which is the trend calling to serious activities and true faith.

Faith In Resurrection :

Some Materialist pedants often try to spread doubts about the belief in resurrection and other eschatological doctrines, like that of the Day of Judgement, Paradise and Hell-Fire to which doctrines references are made in the Qur'an and all the other Divine Scriptures. In a sarcastic manner they comment on the Qur'anic verse " Perhaps the Hour is nigh " (Surah. 42, V. 17) by remarking that a period of more than thirteen centuries has elapsed yet, the Hour has not come as yet. They forget or overlook that measurement of time is a relative question, and that a thousand years or more is only a short time in the account of history,

and wisdom, and which are applying to all creatures including man himself. Man is free because God wants him to enjoy liberty, and has his own will for God says: "But you will not except as God wills." (Surah. 76, V. 30)

There is no wonder then when we read in the Qur'an the combination of both the liberty of the human will and the mastery of Divine will which appears in the following verses: "Verily, all things have We created in porportion and measure." (Surah. 54, V. 49); "And if thy Lord had pleased, all those who are in the earth would have believed." (Surah. 10, V. 99); "Doer of what He intends." (Surah. 95, V. 16) and "Surely thy Lord makes plentiful the means of subsistence for whom He pleases, and He straitens." (Surah. 17, V. 30).

Mushm's belief in Fate, however, does not represent any determinist dogma nor does it express the accidentalists trend, but it is rather the belief in that the universe is heading to an ultimate end and that it is regulated by a Supreme Power. How can it be otherwise while God's knowledge fully comprises every atom in heavens and earth, and directs it according to His conclusive wisdom and mercy? "And not the weight of an atom in the earth or in the heaven is hidden

from thy Lord, nor anything less than that nor greater, but it is (all) in a clear book". (Surah. 10, V. 61).

Belief in Fate as such depicted does not at any rate contradict the exertion of efforts and the search of whatever possible means to carry out one's own affairs. This is simply because God had ordained causes and means, introductions and conclusions. He had not destine success without any work, but had ordained it through its due means, of unflagging efforts, of caution, vigilance, patience, endurance and so forth.

Taking means then does not oppose Fate but in fact is implicitly included in God's Fate. Therefore when the messenger of God was asked this question: "could you prevent the occurance of God's Fate?" in view of remedies and ways thereby evil might be evaded, his unequivocal answer was: "all happenings are ordained by God's Fate." Furthermore when epidemic disease was prevailing in Syria Omar Ibn El-Khattab, after his consultation with the companions, had decided not to enter it and returned back with his company. Some companions said to him: "do you run away from God's destiny O Prince of Muslims?" He said "yes; I run away from God's desting to face God's destiny in other from."

have made anything unlawful. Thus did those before them reject (the truth) until they tasted our punishment. Say : Have you any knowledge so you would bring it forth to us ? You only follow a conjecture and you only tell lies." (V. 159). He also says in the chapter of th Bee : "And the idolators say : Had God pleased, we had not served aught but Him, (neither) we nor our fathers nor had we prohibited aught without (order from) Him. Thus did those before them. But have the messengers any duty except a plain delivery (of the message)." (V. 35). He further says in the chapter of Yasin : "And when it is said to them : Spend out of that which God has given you, those who disbelieve say to those who believe : Shall we feed him whom, if God please, He could feed ? You are in naught but clear error." [V. 47]. And finally He says in the Chapter of Gold : "And they say : If the Beneficent had pleased, we should not have worshipped them. They have no knowledge of this; they only lie." (V. 29).

By such strong and clear rejoinders to the old determinists the decisive attitude taken by the Qur'an towards the question of *the human will and Divine will*, is obviously conceived.

Nevertheless, man is not actually at absolut liberty or at complete

choice in the sense that he does all what he pleases and abstains from all what he displeases; because if he were really free in that sense he would certainly be a God.

No one, whatever his staunch support to the human liberty may be, can deny the determinism of the human will. This is why the authorities concerned always refer it to hereditary or environmental factors or to both of them. Some philosophers express this notion by saying: "Man is free in a domain of fetters and limits"

The dialictical materialists have even tied man to means of productions as well as to the economical phenomena which direct his way of thinking, his course of behaviour and his current affairs. Thus they degraded man and brought him to the most repugnant standard of determinism when they have made of him a humble slave of matter not a master of it as ordained by Islam.

This well attestad fact, the limitedness of the human will, is decreed by Islam in a way more honourable and dignified to man than that of the materialistic and traditional determinism. Man, from Islam's point of view, is at liberty and choice in the range of what God had ordained of rules being carried out by His will and power according to His knowledge

and still from amongst the most amazing and disputable topics which human mind failed to find out solution or reach a decisive conclusion, and in which philosophers, ethicalists, psychologists and educationalists had disputed so far as philosophy and research are concerned.

Islam in this connection is the balanced religion which is in complete harmony with sound nature and the tangible reality

Man in view of the belife of predestination and choice is completely free and responsible for his actions and self in the domain of his optional activities. He is at absolute liberty to do or abstain according to his own common sense and feelings.

The Qur'an gives full support to this attitude in the following verses: "So let him who please believe, and let him who please disbelieve." (Surah. 81, V.29). "There is no compulsion in religion — the right way is indeed clearly distinct from error." (Surah. 2, V. 256). "Surely this is a Reminder; so whoever will, let him take away to his Lord." (Surah. 76, V. 29). "To him among you who will go forward or will remain behind" (Surah. 74, V. 37) "Whoever does good, it is for his own soul; and whoever does evil, it is against it. And thy Lord

is not in the least unjust to the servants." (Surah. 41, V. 46) "If you do good, you do good for your own souls. And if you do evil it is for them." (Surah. 17, V. 7). "God imposes not on any soul a duty beyond its scope. For it is that which it earns (of good) and against it that which it works (of evil)." (Surah. 2, V. 289).

In addition to the above mentioned verses there are many in the Qur'an which stipulate and decree man's liberty, gains and responsibility; "That no bearer of a burden bears another's burden: And that man can have nothing but what he strives for: And his striving will soon be seen. Then he will be rewarded for it with the fullest reward." (Surah, 53, V. 5. 38-41).

This positive attitude adopted by the Qur'an has been backed by a strong campaign against the determinists who ascribe their blasphemy and sins to Fate under the pretext that their actions are directed by the will of God.

In four Suras (chapters) of the Qur'an God, the Almighty, refutes this false assumption. In the Cattle chapter He says: "Those who are polytheists say: If God pleased we would not have set up (aught with Him) nor our fathers, nor would we

merits and characteristics which other religions are lacking. It is a clear and simple belief which may be expressed in the idea that there is beyond this disciplined and unique universe One God who had created and regulated it, and who had destined every thing in this universe. This God has no associate, no counterpart, no wife and no son but "To Him belongs whoever is in the heavens and the earth." (Surah. 21, V. 19.).

This belief is plain and acceptable. Because the human mind seeks always association and unity beyond the apparent variation and multiplication. It incessantly tends to refer all things to one cause. The uniform fact also proves that the multiplication of wills does not produce an integral conclusion or lead to a coherent system. The glorious Qur'an assures this fact when stipulating that: "God has not taken to Himself a son nor is there with Him any (other) god-in that case would each god have taken away what he created, and some of them would have overpowered others." (Surah. 23, V. 92); "If there were in them gods besides God, they would both have been in disorder." (Surah. 21, V. 22),

Moreover it is not a belief alien to human nature nor does it contradict this nature at any rate. It is rather in complete harmony and

accordance with this nature. The Qur'an illustrates this notion plainly when saying: "So set your face for religion, being upright, the made by God in which He has created men. There is no altering God's creation. That is the right religion-but most people know not. (Surah. 30, V. 30).

It is as well a fixed and defined belief which is not subject to increase or decrease, distortion or change. No ruler whosoever or scientific synod or religious congregation is allowed to make addition or adjustment in this belief. Any addition or adjustment will be held invalid and will only express the point of view of such innovator. The messenger of God in this respect says: "Whoso produces any idea alien to our injunctions will be responsible for this and his innovation will be only ascribed to him" and the Qur'an says: "Or have they associates who have prescribed for them any religion that God does not sanction" (Surah 42. V. 21).

Thus all innovations, superstitions and supplements maliciously entered into Muslim beliefs or foisted into their books or treacherously propagated among uneducated masses are false, unreliable and thoroughly rejected by Islam.

Misconception of predestination and choice

Predestination and choice were

the Qur'an until he reached at the following verse : "At length, behold ! There came our command, and the fountain of the earth gushed forth" and went on reciting until God's saying : " Away with those who do wrong." (Surah, 11, Vs. 40-44), then he said with admiration : this can not be challenged at all by any human being " and burnt what he had invented. Furthermore, El-Bakellani goes on to say : "there had been persons who assumed that Ibn El Mokaffaa had opposed the Quran in his book titled *the Unique pearl -Aldurratul Yatim-*"; but El Bakellani failed to find any thing in Ibn El-Mukaffaa's work that might be held as an imitation of the Qur'an.

There was also Aboul - Alaa El Maarri who had been accused by the sin of imitating the Qur'an. But-El-Rafei, the Egyptian writer, refuted this charge very strongly. Dr. Taha Hussein, the contemporary Arab writer, refuted as well what had been attributed to Aboul El-Alaa.

The latest attempt of such fraudulent prophets, who claimed to be in touch with the divine revelation, is seen in the assumption made by Mirza Gholam Ahmed El Quadyani-the Indian-, Mirza Ali El-Bab and his disciple El Bahaa.

Fortunately, the followers of those fabulous prophets do not show us what they assume to be Qur'anic verses and hide it in such a manner

as it was something to be ashamed at. Whoever manages to read their books will see nonsense and absurd words and ideas. He will be profoundly confident that the Qur'an is the genuine revelation of God; "This is a Book, with verses basic or fundamental (of established meaning), further explained in detail from One Who is Wise and Well-Acquainted (with all things)." (Surah. 11, V. 1).

Islam is a belief as well as a system of life.

Islam is not, as being held by short-sighted individuals, a theological religion nor is it a mere belief taking only into account the spiritual side of man while leaving aside the organization of his relations with the universe, with life and with his fellow human beings whether they are individuals or families or nations. In the contrary Islam is a comprehensive belief out of which an integral as well as a universal system comes forth on which a balanced and universal nation is based. Such nation is depicted in the Qur'an as follows: " And thus We have made you an exalted nation that you may be the bearers of witness to the people." (Surah. 2, v. 143); "You are the best nation raised up for men: you enjoin good and forbid evil and you believe in God." (Surah 3. V. 109).

The merits of the Islamic belief.

The Islamic religion has its own

Jesus brought forth alive. Because these two miracles, though unusual, are not a means of instruction and guidance nor are they pertaining to medicine. Therefore their indication is not intrinsic.

However, the doing of supernatural miracles is less important than the making of supreme, divine and legislative sciences without having any sort of knowledge. Yet the Qur'an anticipates the hidden matters in the past and the future, and its teachings lead to success and prosperity. The Qur'an thus is a clear proof that its spiritual as well as social remedy is only revealed by God, the Wise, the Sustainer, and no person whosoever can oppose or doubt it.

Was there any opposition to the Qur'an?

After the shining success of the Islamic call in the Arab peninsula there appeared, for psychological as well as tribal reasons, some persons who claimed themselves to be prophets. What their proofs, their books and their achievements? The following may give answer to this question.

In the ninth and tenth years after the Immigration there had been some individuals who claimed themselves as prophets. They were: Musaylama of the tribe of Hanifa which had envied Quraysh because the messenger of God belongs to it,

Al-Aswad El-Ensi who appeared at Yamama, Talha Ibn Khawayled El-Asadi who appeared within the tribe of Asd and Sagah daughter of of El-Harith who had Known Christianity before and who appeared in the tribe of Taghlib.

The different narrations, however, tell us that such pseudo prophets had made books to oppose the Qur'an. But history and literature did not preserve any trace of their works except that had been introduced as anecdotes or Jokes

The false allegation of these feigned prophets had not managed to stand upright in face of the strong march of Islam. No sooner had they proclaimed their absurd calls than they had met their utter defeat and profane destiny. Some of them had died and others embraced Islam and became sincere believers such as Talha who had joined the army and fought heroically in the way of God to atone for his past attitude against Islam; "Nay, We hurl the truth against falsehood, and it knocks out its brain, and behold, falsehood does perish!" [Surah. 21, V. 81].

In the Abbaside Caliphate some narrations stated that there had been an opposition to the Qur'an but these narrations were not backed by factual texts. For instance Ibn Kayyem al-Jozzyeh and al-Bakellani stated that Ibn al-Mokaffa had been reciting

others of them, who have not already joined them; And He is exalted in might, wise". (Surah 62, Va. 2-3).

The Qur'an is a miracle and guide

Apart from all other Scriptures the Qur'an stands unique by being a miracle as well as a guide; "a guide to mankind, also clear Signs". However if the miraculous sign proved to be in accordance with the spirit of the message, then it would be more indicative of the truthfulness of the messenger and would give him more support than the outward miracle. To illustrate this idea some learned men gave the following example. If there be a man in a city-wherein diseases are spread-claiming to be a physician, and forwarding as a proof of his plea a book written by himself dealing with medicine and adding that patients will find their cure in such a book. If such a book on being examined by other physicians well versed in their subject proved to be the best book bearing on that subject, and if such a physician diagnosed the people's illness and prescribed for them the medicine leading to their recovery; could such a plea be disputed after being confirmed by practical as well as theoretical proofs? Definitely no one can doubt the authenticity of such clear plea.

If in a likewise manner we apply this reasoning to a more subtle matter that is curing of spiritual and moral maladies the result should be more striking because the treatment of physical maladies is not easy as the treatment of physical ailment. It is rather more subtle and difficult to be attained.

It is a well attested fact that the Qur'an includes the sound creeds, the sublime morals and the origins of social and civil legislation. It is well known too that the prophet, may the blessings and peace of God be upon him, had successfully treated by the virtue of his holy book a people of long-established conflict illiteracy and idolatrous vices. Such people through his treatment recovered and became unified, sophisticated, wise and masters of numerous countries. However it is more striking to notice that the man who attained this success had been illiterate with no background either in science or politics. If the afore mentioned physician proved his claim by means of an action which is unfamiliar to the people and has no bearing on medicine, his claim would probably be suspected. Similar is the case with the prophet Muhammad in his claim that he was sent by God to guide the whole of mankind. His Book, which proved to be sound, is more indicative that it is a revelation from God than the rod of Moses which became snake and the dead woman

Because the message of Muhammad is conclusive, ever-lasting and addressed to all mankind the wisdom of God had backed him by a comprehensive and immortal miracle as well; which is an abstract and intellectual sign i.e., the glorious Qur'an. God refers to this miracle in the Quranic texts by saying: "Yet they say: 'why are not signs sent down to him from his Lord?' Say: the signs are indeed with God and I am indeed a clear Warner. And is it not enough for them that we have sent down to thee the Book which is rehearsed to them? Verily, in it is mercy and reminder to those who believe." (Surah 29, Vs. 50-51). The glorious Qur'an constitutes so many miraculous aspects which lie in its inimitability and which had strongly retorted the pretexts of the unbelievers, silenced their tongues and brought their arguments to naught; "Let them then produce a recital like unto it,—If (it be) they speak the truth." (Surah 52, V. 34); "Or they may say: he forged it. Say; bring ye then ten suras (chapters) forged, like unto it, and call (to your aid) whomsoever ye can, other than God—If ye speak the truth." (Surah 11, V. 13); "And if you are in doubt as to what we have revealed from time to time to Our servant, then produce a Sura (chapter) like thereunto; and call your witness or helpers (if there are

any) besides God; if your (doubts) are true." (Surah 2, V. 23).

Thus the unbelievers had met their utter defeat and faced their impotence thanks to the startling challenge of the Qur'an. Such defeat was recorded in history and expressed by the Qur'an when saying. "Say: if the whole of mankind and the Jinns were to gather together to produce the like of this Qur'an, they could not produce the like thereof, even if they backed up each other." (Surah. 17, V. 88).

This clear Book had managed to create the most momentous revolution which turned the face of history. It was a psychological as well as social revolution which had led to the establishment of a strong nation by directing it to the right path and by unifying its scattered groups. Consequently it had attained, by virtue of the Qur'an, an integral status, an ideal legislation, morals to conduct its behaviour, means leading to prosperity, and a universal message to be addressed to the whole of mankind; "It is He Who has sent amongst the unlettered a messenger from among themselves, to rehearse to them His signs, to sanctify them, and to instruct them in Scripture and wisdom - Although they had been, before, in manifest error; - As well as (to confer all these benefits upon)

rejected to fall into the abyss of heathenism. They deserted the worship of idols and either followed the path trod by Abraham or embraced a divine religion such as christianity. The pioneers of this trend before the advent of Islam were of four persons : three of them were from the tribe of Quraysh namely; Amer Ibn Nofayl Ibn Abdu Ozza, Warake Ibn Nawfal-who already knew the old scriptures and adhered to christianity -and Othman Ibn Howayrith, and the fourth was Oba-ydullah Ibn Gahsh Ibn Asad. However, those four monotheists had utterly no impact upon their fellow men at any rate. This is why the call of the prophet Muhammad to monotheism was met at first by utter frustration and by entire rejection. The Qur'an in this respect says : " Has he made the gods all into one God ? Truly this is a wonderful thing. And the leaders among them go away (impatiently), (saying) Walk ye away, and remain constant to your gods ! For this is truly a thing designed (against you) ! We never heard (the like) of this among the people of these later days : This is nothing but a made - up tale. " (Surah 38, Vs. 5 - 7).

It was rather wise under such circumstances that the messenger of God, who was fully aware of the fanatical adherence of his people to their idols, did not openly declare his call to monotheism, and instead he sought

the way to the fulfillment of this sacred objective in secret for three years long. Shortly afterwards and in response to God's command he began to announce his call in public to his close kinsfolk. Nevertheless he did not find but a scores of sincere individuals who believed in his message. Simultaneously he together with his companions had suffered torments and persecution for thirteen years of time. This persecution obliged him to give order to his followers to immigrate twice to Abyssinia. It was followed by a bleeding conflict at Medina made by the heathens to defend their cult and to impede the upsurge of the monotheist religion.

Is it logical then to assume that the Arab peninsula was evolving towards monotheism as a result of the interaction of some social factors, and that the belief in one God (tahannof) was a general phenomenon before the advent of Islam ?

The Qur'an is the clearest proof of the message of Muhammad.

It was natural that peoples in olden times might harbour doubt about the missions of the prophets and therefore had asked for evidence. God consequently had backed His messengers by cosmic miracles fashionable to their times and similar to dexterities exercised by their peoples such as magic vis-a-vis Moses and medicine in connection with Jesus.

and turned to sound faith. Saying, according to the Qur'an, : "We belive in the Lord of Aaron and Moses . . ." (Surah. 20, V. 70) and also saying : "Never shall we regard you as more than the clear signs that have come to us, or than Him Who created us." (ibid V. 72).

Throughout all the ages God have sent prophets and messengers to be guiding lights to their peoples and sound educators and were counsellors to them. Such messengers were continuously sent to the people to lead them to the right path until God crowned religions by Islam and ended all messages by the ever-lasting mission of Muhammad son of Abdullah, who was sent to be a mercy to the whole universe; "We have not sent thee, save as a mercey unto all beings". (Surah 21, V. 105).

The message of Islam :

It would be a serious mistake to depict Islam as an unheavenly message merely invented by a human mind, or to illustrate it as a social phenomenon emerging from some historical effects or some economical factors. Whoso believes in such an idea is only deceiving himself and lying to the people as well. He is shutting his eyes and eclipsing his reason to the true facts around him. Furthermore, he ignores the authentic history and misconceives

the practical and social facts of the Arab peninsula before and after Islam; simply because the conditions of the Arab tribes at Mecca and its outskirts are well-known in history. It was the life of nomadism and travelling, commerce and amusements, ventures and raids.

As for their belief it is known that each tribe had its own idol to which it devoted worship. The Kaaba (Sanctuary) was honoured and glorified by all tribes. It was their habit to bring their idols around the Kaaba until the number of these idols reached three hundred and sixty. Paganism was not a superficial phenomenon in the life of the Arabs but it was penetrating deeply therein. The manifestation of this was obviously seen in their pilgrimage, their vows and all their rituals. The Qur'an in this connection says : " Out of what God has produced in abundance in tilth and in cattle, they assigned Him a share : They say , according to their fancies : ' this is for God, and this for our partners ' ! But the share of their partners reaches not God , whilst the share of God reaches their partners ! " (Surah 6, V. 136).

Belief in one God (Tahannof) was not known before Islam except to a throng of individuals who were so sound and reasonable that they

nature. Pagans and heathens as in this concern were more logical and reasonable. When they were asked to identify who had created both heavens and earth, they said : God;

"Say : 'Who provides you out of heaven and earth, or who possesses hearing and sight, and who brings forth the living from the dead and brings forth the dead from the living, and who directs the affairs ? They will surely say, 'God.'. [Surah 10, V. 31].

Sending of prophets is a manifestation of God's mercy.

Thanks to the conclusive wisdom and to the comprehensive mercy of God, the people were not left to go astray or to wonder aimlessly. He sent them messengers and prophets from amongst themselves to warn them and, at the same time, to give glad tidings about the boons of the Hereafter. Those Messengers were provided with heavenly Scriptures and commandments thereby they could set the people on the right path, to judge among them with equality and to lay down the foundations of a virtuous and dignified life. The Qur'an refers to that by saying : "... So that mankind might have no argument against God." (Surah. 4, V. 165).

Furthermore, the most pervaded wisdom of God necessitated that the messengers should be human individuals, not angels, selected from amongst

their own people in order to be well-acquainted with their conditions, with their life, and to sympathise with their joys and sorrows. Some short-sighted persons, however, made an objection against the humanity of the prophets. The answer to this came in the Qur'an in the following verses : "Say, if there were settled, on earth, angels walking about in peace and quiet, we should certainly have sent them down from the heavens an angel for a messenger," (Surah. 12, V. 95) and : "God did confer a great favour on the believers when He sent among them a messenger from among themselves." (Surah 3, V. 164).

God purveyed those messengers with conclusive arguments as well as with clear proofs to show His approbation and to back their messengership. Such backing was so clearly defined that it convinced all fair and just people and made them believe wholeheartedly in the call of those prophets. The Qur'an refers to such an attitude by saying : "Lord, we believe in that You have sent down, and we follow the messenger. Inscribe us therefore with those who bear witness. " (Surah. 3, V. 46)

Another striking example of turning to the right is that related by the holy Qur'an about the magicians of Pharoah who, for their good fortune, had given up blasphemy

Dictionary states the following : "religious instinct is unanimously shared by all human races. It is even shared by the barbrous and savage races. The humanity at large takes great interest in pondering upon the heavenly concepts as well as the metaphysical concepts."

The philosopher Henrie Bergson says : "there had existed and still exist some human groups without sciences, arts and philosophies, but there had never existed any group of individnals without religion or belief."

Earnest Renan in a treatise on the *history of religion* says "it is feasible that any thing we like may decay and the freedom to use mind, sceience and industry may stop functioning, but it is quite impossible that religion can be abolished. It rather stands as a conclusive argument against the fallacious doctrines of materialism which desirously attempt to confine human thought to mean and narrow passages of the mundane life."

Mr. Muhammad Farid Wagdi comments on this quotation by saying : " Nay; It is impossible that the idea of religiousness can be eradicated because it represents the most sublime sentiments of the human-being. Therefore the natural tendency to

religion will continue deeply implanted in the heart of man so far as he has sound mind to differentiate between beauty and ugliness."

Faith in God is an intellectual requirement.

It is evident that faith in a Supreme Power, which initiated this universe and maintained its discipline, is an intellectual necessity. This is because the naive human mind firmly believes in the principle of causation and always inclines to justification and reasoning. If there is no religion or faith, the question aroused by the Qur'an will have no answer; which question reads as follows: " or were they created out of nothing ? Or are they the creators ? " (Surah. 52, V. 35).

Evidently they were not created from nothing nor did they create themselves, then it is inavoidable to recognize the existence of one God who is the Creator, the Knowing and the Wise.

As for those who evaded from the recognition of the creative Divinty because it is unseen, intangible and not subject to experimental tests could not deny utterly the existence of managing power. So they resorted, however, to another vague and esoteric power i. e.;

ISLAM: ITS ORIGIN AND ITS FUTURE

This is a rejoinder to Series number II of All-Union Society for Propagation of Political and Scientific Knowledge which discusses the same topic under the same caption, and which appeared in Moscow in 1956 and was introduced to the Arab readers as "The Grey Note-Book."

An old Campaign.

The war waged against religions is not the outcome of the present age nor is it the innovation of the materialistic Marxism which assumes that religion is an opium given to the people. Voltaire, the French writer, had expressed such an idea long before the time of Marx, the Jewish thinker, when he said that deification had been an idea contemplated by clever priests to win the hearts of simpletons who enthusiastically took it to heart and believed in it. In such an attitude Voltaire in fact was following the example of the Greek Sophists who had denied or at least suspected the genuineness and naturalness of things. They propagated fallacies and diffused doubts. They alleged that man, since the dawn of humanity, had submitted only to power and not to any code of laws or set of values. Later on when laws were instituted

the explicit performance of such chaotic and primitive deeds disappeared. This apparent features gave way to the prevalence of secret crimes which were incessantly committed. Such behaviour inspired certain genius-minded men to initiate the idea of an unforeseeable power which controls the lives of all creatures and masters their fates; an eternal power all-seeing and all-hearing so as to convince the masses to behave well secretly and in public.

However, it is unwise to deny the assumption that at a certain historical period a new belief or a set of laws of worship had been instituted, for such assumption does not oppose reason or contradict facts. Such concession does not at all give any ground to convince us that the idea of religiousness was not as old as humanity itself.

Religiousness is innate instinct:

Twentieth Century Larousse